حـــرف الخـــاء

الخاء:

الخاء من الأصوات الاحتكاكية (انظر مادة «الحاء» فى م ١٢ / ٥٩٤). ويرتفع أقصى اللسان حال النطاق بهذا الصوت: بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسع للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك. ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به.

فالخاء صوت من أقصى الحنك، احتكاكى مهموس (علم الأصوات / ١٢١)

وللخاء خمس صفات: الهمس، الرخاوة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات (ملخص أحكام التجويد / ١١٧)

وجاء فى اللسان:

قال ابن كيسان: من الحروف المجهور والمهموس، والمهموس عشرة: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء، ومعنى المهموس أنه حرف لان فى مخرجه دون المجهور، وجرى معه النفس، فكان دون المجهور فى رفع الصوت. وقال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون صحاح لها أحياز ومدارج، فالخاء والغين فى حيز واحد، والخاء من الحروف الحلقية.

خا: الخاء: حرف هجاء، وهو حرف مهموس يكون أصلا لا غير. وحكى سيبويه: خييت خاء؛ قال: ابن سيده: فإذا كان هذا من باب عييت، قال: وهذا عندى من صاحب العين صنعة لا عربية؛ وقد ذكر ذلك فى علة الحاء. قال سيبويه: الخاء وأخواتها من الثنائية كالهاء والباء والتاء والطاء، إذا تهجيت مقصورة، لأنها ليست بأسماء، وإنما جاءت فى التهجى على الوقف، ويدلك على ذلك أن القاف والدال والصاد موقوفة الأواخر، فلولا أنها على الوقف حركت أواخرهن، ونظير الوقف ههنا الحذف فى الياء وأخواتها، وإذا أردت أن تلفظ بحروف المعجم قصرت وأسكنت، لأنك لست تريد أن تجعلها أسماء، ولكنك أردت أن تقطع حروف الاسم، فجاءت كأنها أصوات تصوت بها، إلا أنك تقف عندها لأنها بمنزلة عِهْ، وإذا أعربتها لزمك أن تمدها، وذلك أنها على حرفين الثانى منهما حرف لين، والتنوين يدرك الكلمة، فتحذف الألف لالتقاء الساكنين فيلزمك أن تقول: هذه حا يافتى، ورأيت حًا حسنة، ونظرت إلى طًا حسنة، فيبقى الاسم على حرف واحد، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركا، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكنا، فإن ابتدأته ووقفت عليه جميعا وجب أن يكون ساكنا متحركا فى حال، وهذا ظاهر الاستحالة؛ فأما ما حكاه أحمد بن يحيى من قولهم: شربت ما بقصر ماء فحكاية شاذة لا نظير لها، ولا يسوغ قياس غيرها عليها.

وخاءِ بك: معناه اعجل. غيره: خاء بك علينا وخاى لغتان، أى اعجل، وليست التاء للتأنيث لأنه صوت مبنى على الكسر، ويستوى فيه الاثنان والجمع والمؤنث، فخاء بكما وخاى بكما وخاء بكم وخاى بكم؛ قال الكميت:

وذا ما شحطن الحاديين سمعتهم
بخاى بك الحق يهتفون وحى هل

والياء متحركة غير شديدة، والألف ساكنة، ويروى: بخاء بك؛ وقال ابن سلمة: معناه خبت، وهو دعاء منه عليه، تقول: بخائبك، أى بأمرك الذى خاب وخسر؛ قال الجوهرى: وهذا خلاف قول أبى زيد كما ترى؛ وقيل القول الأول. قال الأزهرى: قرأت فى كتاب النوادر لابن هانئ خاى بك علينا، أى اعجل علينا، غير موصول؛ قال: أسمعنيه الإيادى لشمر عن أبى عبيد خايبك علينا، ووصل الياء بالياء فى الكتاب: قال: والصواب ماكتب فى كتاب ابن هانئ وخاى بك اعجلى، وخاى بكن اعجلن، كل ذلك بلفظ واحد إلا الكاف فإنك تثنيها وتجمعها (لسان العرب ١٣ / ١٠٨٤).

ويتناول الإمام الصفاقسى صوت الخاء من حيث صحة نطقه فى تلاوة القرآن الكريم، فيقول، مع ملاحظة أن مصنفات التراث تستخدم لفظ «حرف» بدلا من «صوت»:

الخاء يخرج من المخرج الثالث من مخارج الحلق وهو

حرف مهموس رخو مستفل منفتح مصمت مفخم متوسط إلا أنه إلى إلضعف أقرب لكثرة صفات الضعف فيه .

ويقع الخطأ فيها من أوجه الأول : ترقيقها وهو حرف مستعل لا بد من تفخيمه كساير [كسائر] حروف الاستعلا [الاستعلاء] في نحو طفق وظلم وقال وصلى وغلب وضراء وكثير من الناس يرققها باعتبار ما فيها من صفات الضعف وهو خطأ لا شك فيه فإذا أتى بعدها ألف نحو خالق والخاشعين والخاسرين فيكون تفخيمه أمكن لتفخيم الألف بعدها إذا الألف كما تقدم تابع ما قبله في التفخيم والترقيق فإن قلت هذا مخالف لقول الجعبري (أوردنا ترجمته في م ١٢ / ١٨٩ ـ ١٩١ فانظره في موضعه) .

وإيـــاك واستصحـــاب تفخيم لفظهـــا
إلى الألفـــات التـــاليـــات فتعثـــرا

ولقول تلميذه أبي بكر عبد الله بن الجنيدي [الجندي] تفخيم الألف بعد حروف الاستعلا خطأ، وقول تلميذه أبي الخير محمد بن الجزري في تمهيده لما ذكر تفخيم الخاء واحذر إذا فخمتها قبل الألف أن تفخم الألف معها فإنه خطأ لا يجوز وكثيرا ما يقع القراء في مثل هذا ويظنون أنهم أتوا بالحروف مجودة وهؤلاء مصدرون في زماننا يقرئون الناس القراءات فالواجب أن تلفظ بهذه كما تلفظ بها إذا قلت ها يا وهو ظاهر قوله في مقدمته (وحاذرن تفخيم لفظ الألف) قلت نعم لكن الصواب ما ذكرته ونص عليه غير واحد من المحققين كمكي وبه قرأت على جميع شيوخي المشارقة والمغاربة وقيد به إطلاق المقدمة غير واحد من شارحيها منهم ابن مصنفها (ابن الناظم، أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة ٨٢٧) وقد نص عليه العلامة ابن الجزي نفسه في نشره وهو من أحسن ما ألف وقال إن من قال بترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شئ قد وهم فيه ولم يسبقه إليه أحد وقد رد عليه الأيمة [الأئمة] المحققون وقد ألف الإمام البارع المقرئ المجرود النحوي محمد بن أحمد بن نضحان [نصحان] الدمشقي في ذلك تأليفا سماه «التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الألف وأنكره» واطلع عليه إمام المفسرين والقراء والنحويين أبو حيان فكتب عليه : طالعته فرأيته قد حاز إلى صحة النقل كمال الدراية وبلغ في حسنه الغاية . انتهى .

والتمهيد من أول تواليف ابن الجزري رحمه الله تعالى ألفه في سن الحداثة والبلوغ فالصواب ما في النشر والتعويل عليه لا على ما في التمهيد والله الموفق، ومنها إبدالها إذا سكنت غينا في نحو تخشي ويفعله كثير من الناس وهو لحن فاحش وخطأ ظاهر لا تحل القراءة به، ومنها تشديدها في مثل الأخ والدخان فليتحفظ منه (تنبيه الغافلين / ٥٥ ـ ٥٧) .

ويقول الإمام الفيروزابادي معددا وجوه ورود الخاء في القرآن الكريم وفي لغة العرب، بادئا بتعداد وجوه الكلمات المنفتحة بالخاء وذلك في الباب الثامن من بصائره :

وهي الخاء الخبت، الخبث، الخبر، الخبط، الخبل، الخبء، الختر، الختم، الخداع، الخدن، الخذل، الخرب، الخروج، الخرط، الخرق، الخزن، الخزى، الخسر، الخسف، الخسأ، الخشب، الخشوع، الخشية، الخصوص، الخصف، الخصم، الخضر، الخضوع، الخط، الخطب، الخطف، الخطأ، الخفيف، الخفي، الخلل، الخلود، الخالص، الخلط، الخلع، الخلف، الخلق، الخلاء، الخمر، الخير، الخيط، الخيل، الخول، الخوف، الخلاء .

ثم يقول :

اعلم أن الخاء ورد في القرآن وفي لغة العرب على وجوه عشر :

الأول : الخاء حرف من حروف التهجي . وهي من حروف الحلق من قرب العين في أنحاء الحلق، يمد ويقصر . وهو خائي وخاوي وخيوي وقد خييت خاء حسنا وحسنة، ويذكر ويؤنث . ويجمع على أخياء وأخواء وخاءات .

الثاني : الخاء اسم للعدد الذي هو ستمائة .

الثالث : الخاء الكافية، يقتصرون على الخاء من الخليل والأخ، قال :

هـــو خـــائي وإنني لأخـــوه
لســـت ممـــن يضيـــع حـــق الخليـــل

أي هو أخي .

الرابع : الخاء المكرر نحو خاء سخّن وسخّر .

الخامس : الخاء المدغمة في مثل فخ وزخ في قفاه .

السادس: خاء العجز والضرورة، فإن بعض الناس يجعل الخاء حاء.

السابع: خاء ملحق بنوع من الأصوات نحو بخ بخ ... وأخ.

الثامن: الخاء الأصلي في سخر وخسر ورسخ.

التاسع: الخاء المبدلة من الحاء نحو خمص الجرح وحمص إذا تورم.

العاشر: الخاء اللغوي (بصائر ٢ / ٥١٩، ٥٢٠).

قالت المؤلفة: وأما من حيث النظام الخطي للغة العربية فإن الخاء حرف يتميز بنقطة فوقه، ومن ثم فإنه يختلف في الدلالة الخطية عن الجيم التي تتميز بنقطة في وسطها، وعن الحاء الخالية من النقط. ومن ثم فإن النقطة من حيث عددها وموضعها تغير المعنى تبعا لذلك، فهي على المستوى الخطي تسمى «جرافيما» أي وحدة خطية أساسية، وقد بسطنا الكلام في هذا كله في بحث لنا بعنوان «علم اللغة والنظام الخطي» في كتابنا بعنوان «دراسات في علم اللغة» ١٠٠ / ١٠٧ - ١٣٤

(علم الأصوات - د. كمال محمد بشر / ١٢١، وملخص أحكام التجويد - د. شعبان محمد إسماعيل / ١٠٧، ولسان العرب لابن منظور ١٣ / ١٠٨٤، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي - تقديم وتصحيح نخبة من العلماء / ٥٥ - ٥٧، وبصائر ذوي التمييز للإمام الفيروز ابادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢ / ٥١٩، ٥٢٠)

*** الخاتم:**

في اصطلاحات الصوفية هو الذي قطع المسافات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال، وبهذا المعنى يتعدد ويتكثر:

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٥٩).

*** خاتم رسول الله ﷺ:**

ذكر ابن سعد في طبقاته خاتم رسول الله ﷺ وسلم الذهب، ثم ذكر خاتمه من الفضة، ثم خاتمه الملوى عليه فضة. وأتبع ذلك كله بذكر نقش خاتمه ﷺ ثم ماصار إليه الخاتم مما ننقله لك فيما يلي، مع الاحتفاظ بالأسانيد. قال ابن سعد رحمه الله:

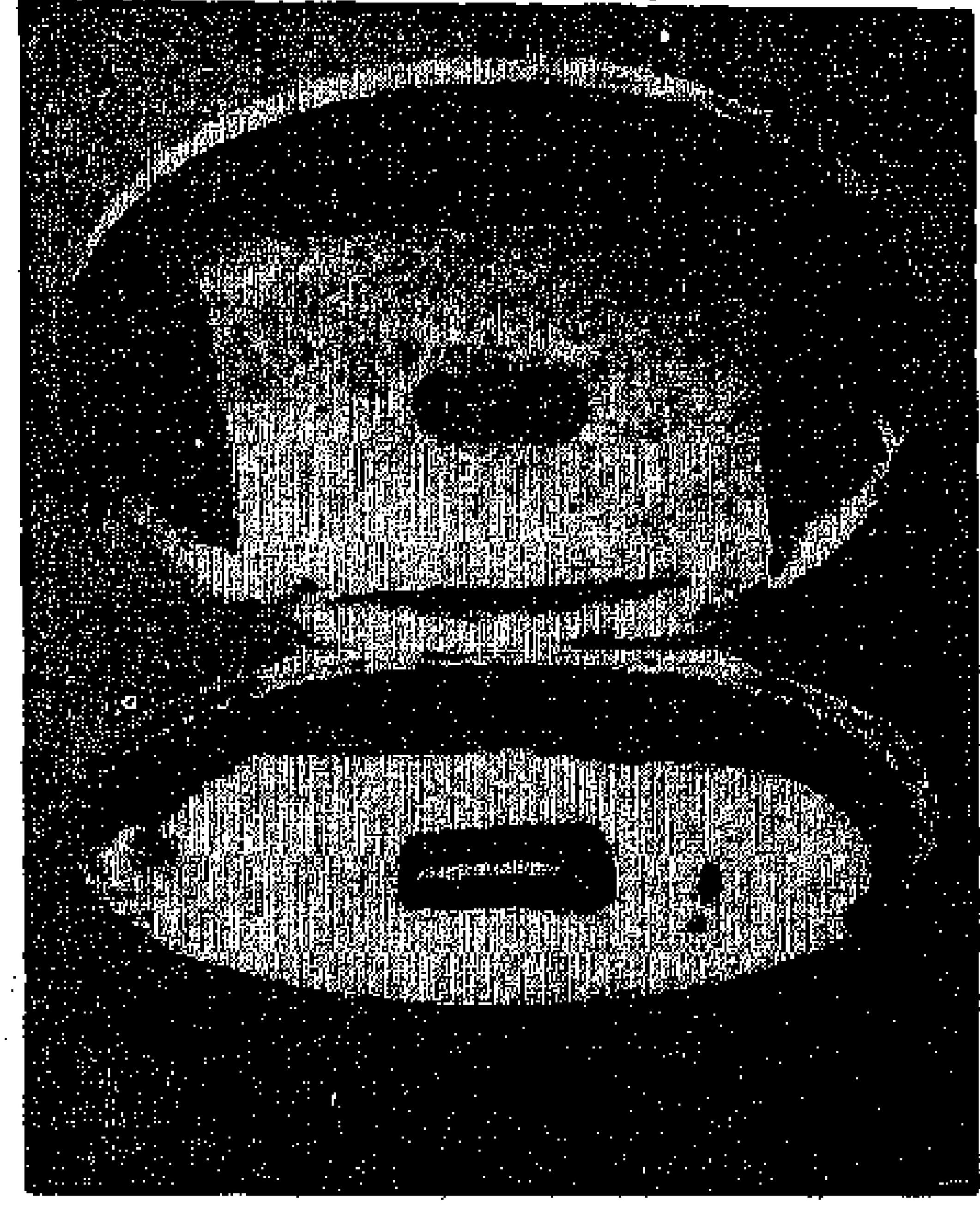
ذكر خاتم رسول الله ﷺ الذهب:

أخبرنا يزيد بن هارون والفضل بن دكين قالا: أخبرنا سفيان عن عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر، وأخبرنا عفان بن مسلم وعبد الله بن مسلمة بن قعنب قالا: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، وأخبرنا خالد بن مخلد البجلي، حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر، وأخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا عفان بن مسلم وخالد بن خداش قالا: حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بشر عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا الضحاك بن مخلد الشيباني عن المغيرة بن زياد الموصلي، عن نافع، عن ابن عمر، وأخبرنا خالد بن مخلد البجلي، حدثنا عبد الله بن عمر العمري، عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا موسى بن عقبة، أخبرني نافع أنه سمع ابن عمر، وأخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي، حدثنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قال: اتخذ رسول الله، ﷺ، خاتما من ذهب، فكان يجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى، فصنع الناس خواتيم من ذهب فجلس رسول الله ﷺ على المنبر فنزعه وقال: إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من باطن كفي، فرمى به وقال: والله لا ألبسه أبدا. ونبذ النبي، ﷺ، الخاتم، فنبذ الناس خواتيمهم.

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن طاوس، وأخبرنا عارم بن الفضل، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: سمعت طاوسا يحدث أن النبي ﷺ اتخذ خاتما من ذهب، فبينما هو يخطب الناس يوما نظر إليه فقال: له نظرة ولكم أخرى. ثم خلعه فرمى به وقال: لا ألبسه أبدا.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس وخالد بن مخلد قالا: حدثنا سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله، ﷺ، كان يتختم في يساره بخاتم من ذهب، فخرج على الناس فطفقوا ينظرون إليه، فوضع يده اليمنى على خنصره اليسرى، ثم رجع إلى أهله فرمى به.

أخبرنا حجاج بن محمد، حدثنا شعبة عن قتادة، عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة عن النبي، ﷺ أنه نهى عن خاتم الذهب.



ذكر خاتم رسول الله ﷺ الفضة:

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك، وأخبرنا يزيد بن هارون وهاشم بن القاسم قالا: أخبرنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر، أو إلى الروم، ولم يختمه، فقيل له: إن كتابك لا يقرأ إلا أن يكون مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة، فنقشه ونقش: محمد رسول الله. قال: فكأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ. أخبرنا يزيد بن هارون ومحمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالوا: أخبرنا حميد الطويل، وأخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد ابن سلمة، حدثنا ثابت - زاد بعضهم على بعض - قال: سئل أنس بن مالك: هل اتخذ رسول الله ﷺ خاتما؟ فقال: نعم، أخر ليلة العشاء الآخرة إلى قريب من شطر الليل، فلما صلى أقبل علينا بوجهه فقال: إن الناس قد صلوا وناموا ولم تزالوا في صلاة ما انتظرتموها. قال: أنس: فكأني أنظر الآن إلى وبيص خاتمه في يده، ورفع أنس يده اليسرى.

أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي، حدثنا همام عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ، اصطنع خاتما كله من فضة وقال: لا يصنع أحد على صفته. أخبرنا أحمد ابن عبد الله بن يونس وموسى بن داود قالا: حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان خاتم رسول الله ﷺ، من فضة، فصه منه. قال زهير: فسألت حميدا عن الفص: كيف هو؟ فأخبرني أنه لا يدري كيف هو. أخبرنا عبد الله بن وهب البصري وعثمان بن عمر قالا: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: اتخذ رسول الله، ﷺ، خاتما من ورق (الورق بكسر الراء والإسكان للتخفيف: الفضة الحاوي ١/ ٧٥) فصُّه حبشي، قال عثمان ابن عمر: ونقشه: محمد رسول الله. أخبرنا سليمان بن داود الهاشمي وموسى بن داود الضبي، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب عن أنس أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتما من ورق يوما واحدا، فصنع الناس خواتيم من ورق فلبسوها، فطرح النبي ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم. أخبرنا عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ، خاتما من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر بعده، ثم كان في يد عمر بعده، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله (انظر مادة «أريس (بئر -)» في م ٤/ ٤٤).

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا ابن عيينة عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة نقش فيه: محمد رسول الله، فجعل فصه في بطن كفه. أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن جابر، عن محمد بن علي وعطاء قالا: كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة، وكان نقشه: محمد رسول الله. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: كان خاتم النبي ﷺ فضة وفيه: محمد رسول الله. أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، حدثني جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ طرح خاتمه الذهب، ثم تختم خاتما من ورق فجعله في يساره. أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عيسى بن أبي عِزة، عن عامر قال: كان خاتم النبي ﷺ، من فضة.

ذكر خاتم رسول الله ﷺ وسلم الملوى عليه فضة.

أخبرنا جرير بن عبد الحميد الرازي، عن مغيرة عن فرقد، عن إبراهيم قال: كان خاتم رسول الله ﷺ، حديدا ملويا عليه فضة. أخبرنا الفضل بن دكين وموسى بن داود قالا: حدثنا

محمد بن راشد عن مكحول أن خاتم رسول الله ﷺ، كان من حديد ملوى عليه فضة، غير أن فصه باد. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا إسحاق عن سعيد أن خالد بن سعيد أتى رسول الله ﷺ، وفى يده خاتم له، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ فقال: خاتم اتخذته، فقال: اطرحه إلى، فطرحه، فإذا خاتم من حديد ملوى عليه فضة، فقال: ما نقشه؟ فقال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله ﷺ، فلبسه فهو الذى كان فى يده. أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقى المكى، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد القرشى، عن جده قال: دخل عمرو بن سعيد بن العاص، حين قدم من الحبشة، على رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا الخاتم فى يدك يا عمرو؟ قال: هذه حلقة يارسول الله، قال: فما نقشها؟ قال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله ﷺ فتختمه فكان فى يده حتى قبض، ثم فى يد أبى بكر حتى قبض، ثم فى يد عمر حتى قبض، ثم لبسه عثمان، فبينما هو يحفر بئرا لأهل المدينة، يقال له بئر أريس، فبينما هو جالس على شفتها يأمر بحفرها سقط الخاتم فى البئر، وكان عثمان يكثر إخراج خاتمه من يده وإدخاله، فالتمسوه فلم يقدروا عليه.

ذكر نقش خاتم رسول الله ﷺ

أخبرنا عبد الله بن إدريس الأودى، حدثنا هشام عن ابن سيرين قال: كان فى خاتم رسول الله ﷺ بسم الله، محمد رسول الله. أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنى أبى، حدثنى ثمامة، حدثنا أنس بن مالك قال: كان خاتم النبى ﷺ نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله: محمد فى سطر، ورسول فى سطر، والله فى سطر. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتما، فقال: إنا قد اصطنعنا خاتما ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد. أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى وعبد الوهاب بن عطاء العجلى قالا: حدثنا ابن جريج، أخبرنى الحسن بن مسلم، عن طاووس قال: قالت قريش للنبى ﷺ: إن الناس ههنا (كأنهم يريدون العجم) لا يجرون عندهم كتابا إلا وعليه طابع، فكان هو الذى هاجه على أن اتخذ خاتمه، ونقش فيه: محمد رسول الله، وقال: لا ينقش أحد على نقش خاتمى. أخبرنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم الشيبانى، عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة، عن أنس قال: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله. أخبرنا شبابة بن سوار عن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ إنى قد اتخذت خاتما فلا يتخلف عليه أحد. قال: وكان نقشه: محمد رسول الله. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن الحجاج بن أبى عثمان قال: سئل الحسن عن الرجل يكون فى خاتمه اسم من أسماء الله فيدخل به الخلاء، فقال: أو لم يكن فى خاتم رسول الله ﷺ آية من كتاب الله؟ (يعنى ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] أخبرنا جرير بن عبد الحميد الرازى عن منصور عن إبراهيم، وأخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنى شريك عن منصور، عن إبراهيم وسالم بن أبى الجعد، وأخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا سفيان بن سعيد عن منصور عن إبراهيم قالا: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله. أخبرنا عارم بن الفضل، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب، عن محمد قال: كان نقش خاتم النبى ﷺ محمد رسول الله. أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا أبو خلوة قال قلت لأبى العالية: ما كان نقش خاتم رسول الله ﷺ؟ قال: صدق الله، ثم الحق الحق، بعده محمد رسول الله. أخبرنا خالد بن خداش، حدثنا عبد الله بن وهب، عن أسامة ابن زيد، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان حدثه، أن معاذ بن جبل لما قدم من اليمن، حين بعثه رسول الله ﷺ إليها، قدم وفى يده خاتم من ورق نقشه: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ قال: يارسول الله، إنى كنت أكتب إلى الناس، فأفرق أن يزاد فيها وينقص منها، فاتخذت خاتما أختم به، قال: وما نقشه؟ قال: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: آمن كل شئ من معاذ حتى خاتمه. ثم أخذه رسول الله ﷺ، فتختمه:

ذكر ما صار إليه أمر خاتمه ﷺ

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنا أبى، حدثنى ثمامة بن عبد الله، حدثنا أنس بن مالك قال: كان خاتم النبى ﷺ فى يده حتى مات، وفى يد أبى بكر وعمر حتى ماتا، ثم كان فى يد عثمان ست سنين، فلما كان فى الست الباقية، كان معه على بئر أريس، وهو يحرك خاتم رسول الله ﷺ فى يده، فوقع فى البئر، فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم

نقدر عليه . أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن جابر عن عدى بن عدى، عن على بن حسين قال : كان خاتم رسول الله ﷺ مع أبى بكر وعمر، فلما أخذه عثمان سقط فهلك، فنقش على نقشه .

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن سيرين أن خاتم رسول الله ﷺ، سقط من يد عثمان فابتغى فلم يوجد .

أخبرنا الفضل بن دكين وإسحاق بن سليمان أبو يحيى الرازى قالا: حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد، عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان يجعل فص خاتمه مما يلى بطن كفه . أخبرنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة قال : رأيت ابن أبى رافع يختتم فى يمينه، وقال عبد الله بن جعفر: كان رسول الله، ﷺ يختتم فى يمينه . فسألته عن ذلك فذكر أنه رأى عبد الله بن جعفر يختتم فى يمينه أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبى منصور، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد، عن أبيه عن جده، وأخبرنا محمد ابن عمر، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن عبد الملك بن مسلم عن يعلى بن شداد أن النبى ﷺ، كان يلبس خاتمه فى يساره . أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى، حدثنا عطاف بن خالد، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة، عن سعيد بن المسيب قال : ما تختم رسول الله ﷺ حتى لقى الله، ولا أبو بكر حتى لقى الله، ولا عمر حتى لقى الله، ولا عثمان حتى لقى الله، ثم ذكر ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ (الطبقات الكبرى م ٩ حـ ١ / ١٦٠ ـ ١٦٦، والحاوى ١/ ٧٥) .

ويورد الحافظ السيوطى فى الحاوى فتوى عن الخاتم بعنوان «الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم» جاء فيها بعد البسملة :

مسألة ـ التختم بالفضة هل له وزن معلوم لا تجوز الزيادة عليه وهل يجوز التختم بسائر المعادن كالنحاس والحديد وهل يجوز تعدد الخواتم من الفضة وهل تختم النبى ﷺ بالفضة أو بغيرها؟ وهل تباح الفصوص فى الخواتم للرجال وهل كان خاتم النبى ﷺ بفص وماكان فصه؟ وهل تختم فى اليمين أو الشمال وهل كان فصه مما يلى ظاهر الكف أو باطنه؟ وهل الحديث الذى ورد «أن رجلا دخل عليه ﷺ وفى يده خاتم نحاس فقال : ما لى أرى عليك رائحة أهل النار»؟ صحيح ومن رواه، وهل يؤخذ منه التحريم أو الكراهة؟ .

الجواب ـ أما الوزن فلم يتعرض له أصحابنا فى كتب الفقه ولكن ورد فى الحديث «ولاتتمه مثقالا» قال الزركشى فى الخادم لم يتعرض أصحابنا لقدر الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه إسراف، وأما التختم بسائر المعادن ما عدا الذهب فغير حرام بلا خلاف لكن هل يكره وجهان : أحدهما نعم لحديث بريدة أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وعليه خاتم من شبه فقال : ما لى أجد منك ريح الأصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال : ما لى أرى عليك حلية أهل النار؟ فطرحه فقال : يارسول الله من أى شيء أتخذه؟ قال : اتخذه من ورق ولا تتمه مثقالا» أخرجه أبو داود والترمذى وفى سنده رجل متكلم فيه فضعفه النووى فى شرح المهذب لأجله ولكن ابن حبان صححه فأخرجه فى صحيحه وهذا هو الحديث المسئول عنه فى السؤال، والوجه الثانى أنه لا يكره ورجحه النووى فى الروضة وشرح المهذب قال لضعف الحديث الأول، ولما أخرجه أبو داود بإسناد جيد عن معيقيب الصحابى قال كان خاتم النبى ﷺ من حديد ملوى عليه فضة، وأما التعدد فصرح به الدارمى من أصحابنا فقال يكره للرجل أن يلبس فوق خاتمين فضة فمقتضاه جواز الخاتمين بلا كراهة وارتضاه الأسنوى وقيده الخوارزمى فى الكافى بأن لا يجمع بينهما فى أصبع، وأما هل تختم النبى ﷺ بالفضة أو بغيرها فسيأتى حديث أنه كان خاتمه من ورق وتقدم حديث معيقيب أنه كان خاتمه من حديد، وأما تختمه بالذهب فقد كان قبل ذلك ثم نهى عنه وطرحه كما فى الصحيح، وأما الفص فمباح للرجال وغيرهم قال النووى فى شرح المهذب : يجوز الخاتم بفص وبلا فص ويجعل الفص من باطن كفه أو ظاهرها وباطنها أفضل للأحاديث الصحيحة فيه انتهى، وأما فص خاتم النبى ﷺ ففى صحيح البخارى أن فصه كان منه، وفى صحيح مسلم عن أنس قال كان خاتم النبى ﷺ من ورق وكان فصه حبشيا فجمع بين الحديثين بالحمل على التعدد، وذكر فى شرح قوله وكان فصه حبشيا أنه حجر من بلاد الحبشة، وقيل جزع أو عقيق لأن ذلك قد يؤتى به من بلاد الحبشة، ورأيت فى المفردات فى الطب لابن البيطار أنه صنف من الزبرجد .

وأما هل تختم ﷺ فى اليمين أو اليسار ؟ فقد تختم فى كل منهما صح كل ذلك من فعله، قال النووى فى شرح

المهذب التختم فى اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبى ﷺ لكنه فى اليمين أفضل لأنه زينة واليمين بها أولى، وقال الحافظ ابن حجر: ورد تختمه ﷺ فى اليمين من حديث ابن عمر عند البخارى، وأنس عند مسلم، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر عند الترمذى وجابر عنده فى الشمائل، وعلى عند أبى داود والنسائى وعائشة عند البزار، وأبى أمامة عند الطبرانى، وأبى هريرة عند الدارقطنى فى غرائب مالك فهؤلاء تسعة من الصحابة، وورد تختمه باليسار من حديث أنس عند مسلم، وابن عمر عند أبى داود، وأبى سعيد عند ابن سعد، ووردت رواية ضعيفة أنه تختم أولا فى اليمين ثم حوله إلى اليسار أخرجها ابن عدى من حديث ابن عمر واعتمد عليها البغوى فى شرح السنة فجمع بين الأحاديث المختلفة بأنه تختم أولا فى يمينه ثم تختم فى يساره وكان ذلك آخر الأمرين، وقال ابن أبى حاتم: سألت أبا زرعة عن اختلاف الأحاديث فى ذلك فقال لا يثبت هذا ولكن فى يمينه أكثر، وأما هل كان فصه مما يلى باطن الكف أو ظاهره فقد ورد أيضا كلاهما من فعله ﷺ ولكن أحاديث الباطن أصح وأكثر فلذلك كان أفضل، والله أعلم (الحاوى ١/ ٧٥، ٧٦).

وللدكتور سيد رضوان علي، بحث بعنوان «خاتم الرسول ﷺ التى تحمل صورة نقشه العملة الذهبية التذكارية الصادرة من قبل الحكومة التركية» يجيب فيه على تساؤلين وننقله لك فيما يلى. قال سيادته، مع ملاحظة أننا أوردنا آنفا ما ورد فى طبقات ابن سعد.

أثير خلاف لدى بعض الجهات حول نقش خاتم الرسول ﷺ، الذى تحمل العملة الذهبية التذكارية الصادرة من الحكومة التركية صورته، وذلك احتفاء بنهاية القرن الرابع عشر الهجرى، وبداية القرن الخامس عشر الهجرى. فهل نسبة هذا الخاتم إلى الرسول ﷺ صحيحة؟ وهل هناك أدلة تثبت وجود مثل هذا الخاتم حتى اليوم؟ وهذا ما سأحاول أن أجيب عليه.

صحة نسبة الخاتم ووجوده

والمشكلة فى اعتقادى تنحصر فى قضيتين رئيسيتين:

ا ـ صحة نسبة هذا الخاتم إلى الرسول ﷺ من عدمه.

ب ـ صحة وجوده عند الأتراك العثمانيين.

لقد ورد موضوع خواتيم النبى ﷺ فى كتب السنة الصحيحة كصحيحى البخارى ومسلم، وسنن أبى داود والنسائى والجامع الصحيح للترمذى، وبعض كتب التاريخ والسيرة النبوية ـ كفتوح البلدان للبلاذرى، و «عين الأثر فى فنون المغازى والسير» لابن سيد الناس، و «طبقات ابن سعد» وغيرها. ولعل أوسع من كتب فيه ابن سعد فى الجزء الأول من طبقاته، ثم خير من بحث فيه من المتأخرين العلامة عبد الحى الكتانى المغربى فى كتابه المشهور: «التراتيب الإدارية» (الجزء الأول)، وبعده العلامة المصرى المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه «الآثار النبوية»، وقد عالج فيه القضية الثانية أيضا، أى صحة وجوده فى تركيا.

انتهيت بعد دراسة الموضوع من جميع جوانبه إلى الآتى:

١ ـ يتأكد من الروايات الواردة فى كتب السنة الصحيحة وطبقات ابن سعد أن الرسول ﷺ كان له أكثر من خاتم، وصرح بذلك ابن سيد الناس ثم الكتانى.

٢ ـ والخاتم الأول كان من فضة وفصه من فضة.

ففى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: «لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم فقيل له إنهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، ونقشه (محمد رسول الله) فكأنما أنظر إلى بياضه فى يده ﷺ». ومثل هذا الحديث باختلاف اللفظ فى صحيح مسلم وغيره.

أما كيفية هذا النقش فكما ذكره الصحابى أنس رضى الله عنه (محمد) سطر و (رسول) سطر و (الله) سطر. من الأسفل إلى الأعلى. وكانت كتابته مقلوبة كما هو الأمر بالنسبة للخواتم فى عصرنا.

وهذا الخاتم الذى ختم به على الرسائل الموجهة من قبل النبى ﷺ إلى عدد من ملوك زمانه، وقد عثر من هذه الرسائل على أربع: إلى المقوقس، وإلى النجاشى، وإلى المنذر بن ساوى، وإلى كسرى برويز: وقد أورد الدكتور محمد حميد الله صورها فى كتابه: «مجموعة الوثائق السياسية» (طبعة ثالثة)، وفيها صورة هذا الخاتم، هكذا.

وهذا هو الخاتم الذى ذكره الإمام مسلم أيضا تحت عنوان: باب لبس النبى خاتما من ورق، نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء بعده. كما ذكره ابن سعد فى فقرة منفصلة.

وقصته معروفة بأنه كان في يد رسول الله ﷺ، ثم في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان لبضع سنوات إلى أن سقط من أصبعه في بئر أريس فاتخذ خاتما آخر على صورته ونقشه، وكان يسمى «خاتم الخلافة»، وورثه الخلفاء الأمويون ثم العباسيون، وكان يسمى «الخاتم الأكبر» كما جاء في بعض المصادر التاريخية، وكان بجانب ذلك الخاتم خواتيم أخرى لكل خليفة بدءا من سيدنا أبي بكر، وانتهاء إلى آخر خليفة عباسي، وعليها نقوش مختلفة من كلمات الحكمة أو الموعظة أو مجرد اسم الخليفة، حسبما ورد في بعض كتب التاريخ والأدب مفصلا.

وليس هذا الخاتم قد رسم على العملة الذهبية التركية التي هي موضوع دراستنا.

٣ ـ أما الخاتم الثاني فهو ما ذكره الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة (في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري بتحقيق الأستاذ محمد ناصر الألباني) تحت عنوان: «باب: في خاتم الورق فصه حبشي والتختم باليمين» (٢/ ١٢٦) ولفظ الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه فيه فص حبشي، كان يجعل فصه مما يلي كفه».

وقد ورد ذكر هذا الخاتم في طبقات ابن سعد أيضا، وزاد فيه من كلام أحد رواته: «ونقشه محمد رسول الله» (ص ١٦٢، طبعة سخاو، ليدن).

وقال صاحب «التراتيب الإدارية» (عبد الحي الكتاني) في تفسير الفص الحبشي: «والحبشي حجر من جزع أو عقيق فإن معدنهما بالحبشة واليمن، وقيل لونه حبشي أي أسود».

٤ ـ والخاتم الثالث هو ما ذكره ابن سعد ١، ١٦٣ تحت عنوان: «ذكر خاتم رسول الله ﷺ الملوي عليه فضة»، وأورد تحت هذه الفقرة عددا من الأحاديث المرسلة والمرفوعة، وأوضحها عن مكحول: «إن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد ملوي عليه فضة غير أن فصه باد». وكان قد نقش عليه «محمد رسول الله» كنقش الأختام السابقة. وقد ذكر العلامة عبد الحي الكتاني مثل هذا الحديث رواية عن أبي داود والنسائي (التراتيب الإدارية) جـ (١)، ص (١٧٩) ولفظه: «إن خاتمه كان من حديد ملونا (كذا) عليه فضة» وهو أيضا في طبقات ابن سعد، ولكن عنده (ملويا) بدل (ملونا) ويبدو هو الأصوب. وعقب الكتاني بعد هذا الحديث. (وهو محمول على التعدد).

أما كيفية نقش جملة «محمد رسول الله» على هذا الخاتم فلم يرد عنها شيء في الطبقات. وقد وردت في «التراتيب الإدارية» (١/ ١٧٨) عبارة عن ابن كثير: «عن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة، وكانت تطبع كتابة مستقيمة».

وهذه الملحوظة من ابن كثير مهمة جدا تساعدنا في حل معضلة صورة الكتابة التي نراها مرسومة في العملة الذهبية التركية موضوع دراستنا، فالكتابة فيها مستقيمة، وليس في ثلاثة أسطر من الأسفل إلى الأعلى كما مر بالنسبة للخاتم الأول.

عدد أختام الرسول

والنتيجة بعد هذا البحث أنه كان هناك للرسول ﷺ ما لا يقل عن ثلاثة أختام إذا لم تكن أكثر كما يبدو من تفاصيل ابن سعد في الموضوع.

وأولها: ذلك الذي ختمت به بعض الرسائل التي ذكرناها. وثالثها: هذا الذي رسمت نقشها الحكومة التركية طبق الأصل، أي كتابة مستقيمة، وأما الثاني: فأنا أعتقد أنه كان للزينة، وليس للأعمال الرسمية، أي ختم الرسائل الموجهة إلى الملوك والأمراء، أو إلى عماله ﷺ في الجزيرة العربية.

والذي يدفعني إلى هذا الاعتقاد هو أن رسول الله ﷺ كان قد لبس خاتما من ذهب حين كان مباحا، ثم نبذه بعد تحريمه على الرجال حسب حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم، وكان فيه فص. واستبدله بعد ذلك بخاتم من فضة فصه من عقيق، وقد أجمع جمهور علماء المسلمين لذلك بجواز التختم بخاتم الفضة، واعتبره البعض مستحبا.

وبالإضافة، فقد ورد في كتب التاريخ كما ورد في «التراتيب الإدارية» نقل عن البخاري في تاريخه أن خاتمه ﷺ المصنوع من الحديد الملوي عليه فصه كان يحفظه الصحابي معيقب بن أبي فاطمة أحد كتبة النبي ﷺ.

كما ورد في «العقد الفريد» وغيره من كتب التاريخ أنه ﷺ كان يضع خاتمه عند حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب «لأنه كان ينوب عن جميع كتاب النبي عليه السلام عند غياب أحدهم».

وأعتقد أن حنظلة بن الربيع كان يحتفظ بالخاتم الأول، وخصوصا أن ابن عبد ربه ذكر الاثنين من حفظة خاتم النبى، ولا يصلح أن يناقض نفسه. أو يكون الصحابيان مسئولين عن خاتم واحد، إذ نلاحظ فى كتب التاريخ والسيرة، الدقة فى توزيع الأعمال على الجهاز الإدارى (الكتبة) للرسول ﷺ، كما ورد فى كتاب (الإدارة العربية) لمولوى عبد القادر الحسينى الهندى.

أما صحة وجود هذا الخاتم فى تركيا مع غيره من بعض الآثار النبوية كالبردة الشريفة وقضيب الخيزران، وقبضة السيف والعمامة وغيرها فقد بحث فيها بإسهاب المرحوم تيمور باشا فى كتابه (الآثار النبوية)، ومال إلى قبول ما ورد فى كتب المؤرخين الأتراك عن وجود هذه الآثار النبوية الشريفة، ومن بينها الخاتم، فى استانبول بتركيا.

قالت المؤلفة: أوردنا ما ذكره المرحوم أحمد تيمور باشا عن الخاتم وما جاء فيه من شعر فى مادة «الآثار النبوية» فى م١ / ١٢٢ فانظره فى موضعه.

وتعرف هذه الآثار النبوية عند الأتراك «بالأمانات المباركة» وقد قدمها الشريف نمى بن بركات أمير مكة المكرمة إلى السلطان سليم الأول عند قدومه إلى القاهرة لزيارة السلطان فى ١٥١٨م، حين فتح السلطان سليم مصر.

وقد ذكر ابن إياس المؤرخ المصرى المعاصر أن: «ابن الشريف بركات، أمير مكة قدم إلى السلطان «تقادم فاخرة» ـ أى هدايا فاخرة ـ وكانت هى تلك الآثار النبوية كما يرى أحمد تيمور باشا. وقد ثبّت السلطان الشريف نمي على إمارة مكة بعد والده، تقديرا لهذه الهدايا التى لا تقدر بثمن، وبالفعل اعتبرها السلاطين الأتراك أعز ما يملكون، فكانوا يحتفظون بما فى حجرة خاصة بنيت بجانب مخدع السلطان، وبالغوا فى المحافظة عليها بحيث كان يتولى حراستها أربعون جنديا والسلطان بنفسه واحد منهم، فى حجرة خاصة بقصر توب كابى فى استانبول.

ولقد انتهى أحمد تيمور باشا إلى القول إن الثقات لم يقولوا شيئا فى نفى أو إثبات هذه الآثار، فلا يصح نفيها، والأغلب أنها صحيحة النسبة.

هذا، وقد كان السلاطين الأتراك يزورون هذه الآثار فى يوم معين من رمضان كل سنة فى صحبة وزرائهم والقضاة والقواد من كبار رجال الدولة على احتفائهم بها.

ورأيت أنا شخصيا بعض هذه الآثار النبوية، كشعرة رأسه المباركة، وقبضة سيفه، وقضيب الخيزران وغيرها معروضة فى توب كابى سراىء (المتحف) فى سنة ١٩٧٢ م. أما البردة الشريفة، واللواء النبوى، وسنه الشريف، والخاتم فقد بالغوا فى المحافظة عليها، فهى فى مقصورة داخل حجرة الآثار النبوية فى صناديق حديدية، ومغطاة بأفخر الأغطية، ولا يراها الزائر إلا من النافذة الكبيرة المفتوحة فى تلك الحجرة.

وأخيرا، فالأدلة التاريخية والقرائن تدل على صحة هذا الخاتم الذى طبعت الحكومة التركية صورته على العملة الذهبية التى أصدرتها احتفاء بذكرى بداية القرن الخامس عشر الهجرى («خاتم الرسول ﷺ/ ١٦، ١٧»).

قالت المؤلفة: أسعدنا الحظ بزيارة «الأمانات المباركة» أو «الأمانات المقدسة» باستانبول أكثر من مرة فى الفترة مابين ٣١ يولية إلى ٥ أغسطس ١٩٨٤، وقد نقلنا فى مادة «استانبول» وصفا لها مصحوبا بالصور، وذلك فى م ٤ / ١٩٠، ١٩١ فانظرها فى موضعها.

ويذكر الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط: الخاتم تحت عنوان «حكايات وطرائف خطية» فيقول: كان لرسول الله ﷺ خاتم من صنع وكتابة يعلَى بن أمية رضى الله عنه كانت كتابته تقرأ على وجهه بصورة مستقيمة، وتختم بصورة مستقيمة أيضا، وهذه معجزة له ﷺ لأن الخاتم يكتب عادة بصورة مقلوبة وعند الطبع تظهر الصورة بصورة صحيحة (الخط العربى/ ١٢٢).

(طبقات ابن سعد. كتاب التحرير م ٩ حـ ١ / ١٦٠ ـ ١٦٦، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٧٥، ٧٦، و«خاتم الرسول ﷺ» ـ د. سيد رضوان على. الفيصل. العدد (١٦٥) السنة الرابعة عشرة. ربيع الأول ١٤١١ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٠ م/ ١٦، ١٧، والخط العربى: تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط/ ١٢٢. انظر أيضا الآثار النبوية ـ أحمد تيمور باشا / ٢١، ٢٣، ٣٢، والمنهيات للحكيم الترمذى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٢٠٤ ـ ٢١١).

انظر مادة «الأختام الإسلامية» فى م٣/ ٩٠ ـ ٩٩

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الخط العربى - يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١٢٢

*** خاتم الشيخ:**

خاتم الشيخ: الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة وهو المشهور بوفق زحل من علم الحرف. وله شروح منها شرح شرف الدين أبى عبد الله ابن فخر الدين عثمان بن على المعروف بابن بنت أبى سعد، أملى فى مجلسين أحدهما فى ثامن محرم سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وثمانمائة وسماه مستوجبة المحامد فى شرح خاتم أبى حامد. (كشف الظنون ١/ ٦٩٨).

*** خاتم النبوة:**

فى اصطلاحات الصوفية هو الذى ختم الله به النبوة ولا يكون إلا واحدا، وهو نبينا ﷺ (اصطلاحات الصوفية / ١٥٩) وقد أفرد الإمام السيوطى بابا فى «ماجاء فى خاتم النبوة». أى ما جاء من الأخبار فى صفة خاتم النبوة: كلونه، ومقداره، وتعيين محله من جسده ﷺ وفى كونه من العلامات التى كان أهل الكتاب يعرفونها.

وننقل لك هذه الأحاديث وقد احتفظنا بأرقامها التى وردت فى النص:

١ - «فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة».

(رواه البخارى بنحوه فى الوضوء (باب استعمال فضل وضوء الناس). ١/ ٤٨. وفى المناقب (باب خاتم النبوة) ٢/ ٢٧٠ - ٢٧١ وفى كتاب المرضى (باب من ذهب بالصبى المريض ليدعى له)٤ / ٧. وفى كتاب الدعوات (باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رءوسهم) ٤ / ١٠٦. ومسلم بنحوه فى كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة حديث ١١١ والترمذى فى المناقب باب فى خاتم النبوة وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ١٣/ ١١٩. والبيهقى بنحوه فى الدلائل باب صفة خاتم النبوة ١/ ٢٥٩).

زر (بتقديم الزاى على الراء على المشهور. وقيل بالعكس) والحَجَلة بفتحتين. وقيل بسكون الجيم مع ضم الحاء (الحُجْلَة) وقيل: مع كسرها.

وقد جزم المصنف فى الجامع بأن المراد بالحجلة الطير المعروف، وأن المراد بزرها بيضها.

قال ابن الأثير: ويشهد له الحديث الآتى:

«مثل بيضة الحمامة».

(رواه مسلم فى كتاب الفضائل عن جابر بن سمرة باب شيبه ﷺ حديث ١٠٩ والترمذى فى المناقب برواية أخرى لجابر. باب فى خاتم النبوة وقال: حديث حسن صحيح ١٣/ ١٢٠، وأحمد فى مسنده ٥/ ٩٠، ٩٥، ٩٨، ١٠٤، ١٠٧ بروايات مختلفة، والبيهقى فى الدلائل. باب صفة خاتم النبوة ١/ ٢٦٢، ٢٦٣).

وجزم السهيلى بأن المراد بالحجلة الكلة التى تعلق على العريش، ويزين بها العروس كالباشخاناه.

والزر: واحد الأزرار.

(جاء فى المعجم الوسيط: الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس، وستر يضرب للعروس فى جوف البيت، (الناموسية).

وهى أيضا طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم. والجمهور على أن المراد بالحجلة بفتح الحاء والجيم بيت كالقبة له أزرار وعراو وقيل المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها).

٢ - «غدة حمراء».

بالدال المهملة، ورأيت من صحفه بالراء، وسألنى عنه فقلت له:

إنما هو بالدال مثل بيضة الحمامة.

٣ - زاد بن سعد «يشبه جسمه».

ووقع فى رواية لابن حبان من طريق سماك بن حرب.

٤ - «هذا كبيضة نعامة».

قال الحافظ ابن حجر: وقد تبين من رواية مسلم أنها غلط من بعض رواته.

٥ - «وعن ابن حبان من حديث ابن عمر «مثل البندقة من اللحم».

٦ - «وعن قاسم بن ثابت من حديث قرة بن إياس: «مثل السلعة».

(السلعة ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه، وله غلاف، ويقبل الزيادة، وزيادة تحدث في الجسد في العنق وغيره تكون قدر الحمصة أو أكبر).

٧ـ «كأن في ظهره بضعة ناشزة» (أي بارزة).

قال في النهاية: أي قطعة لحم مرتفعة عن الجسم.

٨ـ «مثل الجمع».

قال في النهاية: يريد مثل جمع الكف وهو أن تجمع الأصابع وتضمها.

٩ ـ وفي رواية ابن سعد قال حماد: «جمع الكف» وجمع حامد كفه وضم أصابعه.

١٠ ـ «حولها خيلان».

(هذا الحديث وما بعده من حديث عبد الله بن سرجس في مسلم).

هي جمع خال وهي الشامة في الجسد كأنها الثآليل جمع ثؤلول.

رأي العلام ابن حجر:

قال في فتح الباري: هذه الألفاظ في صفته متقاربة.

وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء، أو مكتوب عليها «محمد رسول الله» أو «سر فأنت المنصور» ونحو ذلك فلم يثبت منها شيء. وقد أطنب الحافظ قطب الدين في استيعابها في شرح السير، وتبعه مغلطاي في الزهر الباسم، ولم يبين شيئا من حولها.

والحق ما ذكرته، ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك.

رأي القرطبي:

قال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابته على أن «خاتم النبوة» كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر «بيضة الحمامة» وإذا كبر «جمع اليد».

ووقع في حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أن خاتم النبوة كان بين كتفه عند ناغض كتفه اليسرى.

(رواه مسلم من حديث عبد الله بن سرجس في كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وصفته حديث ١١٢ / ٤٠ ١٨٢٣، ١٨٢٤.

ويقول الإمام النووي معلقا:

وأما (ناغض كتفه) فبالنون والغين والضاد المعجمتين والغين مكسورة.

وقال الجمهور: الناغض أعلى الكتف. وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه.

وقيل: ما يظهر عند التحرك).

وفي حديث عباد بن عمرو عند الطبراني:

«كأنه ركب عنز على طرف كتفه اليسرى».

ولكن سنده ضعيف.

قال العلماء:

السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة، ومنها يدخل الشيطان.

وقت وضعه:

وقد اختلف في وقت وضعه:

فقيل: ولد به. نقله ابن سيد الناس.

وقيل: حين ولد. نقله مغلطاي عن يحيى بن عائذ.

وقيل: عند شق الملكين صدره وهو صغير في بني سعد.

ورُد من حديث عتبة بن عبد السلمي عن أحمد والطبراني وجزم به القاضي عياض (انظر مسند أحمد حيث أورد حديثا مطولا ٤ / ١٨٤، ١٨٥).

قال الحافظ ابن حجر: وهو أثبت من القولين الأولين.

وفي حديث عائشة عند الطيالسي وابن أبي أسامة، وأبي نعيم في الدلائل: أن جبريل وميكائيل لما نزلا إليه عند المبعث هبط جبريل فلصقاني بحلاوة القفا ثم شق على قلبي فاستخرجه، ثم غسله في طست من ذهب، بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه ثم ألقاني وختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي وقال: اقرأ.. الحديث.

(انظر دلائل النبوة لأبي نعيم حيث أورده من حديث طويل حديث رقم ١٠٦٣/ ٢١٥/ ٢١٦. وحلاوة القفا: وسطه كما في المعجم الوسيط).

قلت:

وذكر الواقدي عن شيوخه أنهم لما شكوا في موت

النبـي ﷺ وضعت أسمـاء بنت عميس يدهـا بيـن كتفـي النبـي ﷺ فقالت:

«قد توفي، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه».

وفي مستدرك الحاكم عن وهب بن منبه قال: لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شـامة النبوة في يده اليمنى إلا أن يكون نبينا ﷺ فإن شـامة النبوة كـانت بين كتفيه (زهر الشمـائل / ٤٣ ـ ٤٧).

وقد سأل سـائل يقول: نشرت صـورة لخاتم النبـوة ومعها حديث: من نظـر إليه حفظه الله من الآفات وغيرهـا ويختم له بالإيمان، فهل هذا صحيح؟

وأجاب عليه فضيلة الشيخ عطية صقـر بقوله: خاتم النبوة وردت به الأحاديث الصحيحة فـي البخاري ومسلم وغيرهما، وجاء في هذه الروايات أنه قطعـة لحم ناتئة عليها شعرات بين كتفي النبي ﷺ، وأنـه مثل بيضـة الحمـامـة، وأنـه مثل زر الحجلة وعليه خيلان كأنها الثآليل السود...

وقد جـاءت روايات أخـرى في صفة هـذا الخاتـم، منها ماهو باطل مكذوب، ومنها ما هو ضعيف لا يعول عليه، ومن ذلك ما رواه التـرمذي الحكيم ـ وهو غيـر الترمـذي صاحب السنن ـ أنه مكتـوب في باطنه، أي ما يلي جسـده الشريف ـ «الله وحده لا شريك له» وفي ظاهره، أي ما يقابل الجهة التي خلفه «توجَّه حيث كنت فإنك منصـور» وهو حديث باطل كما قال ابن حجر في فتح الباري.

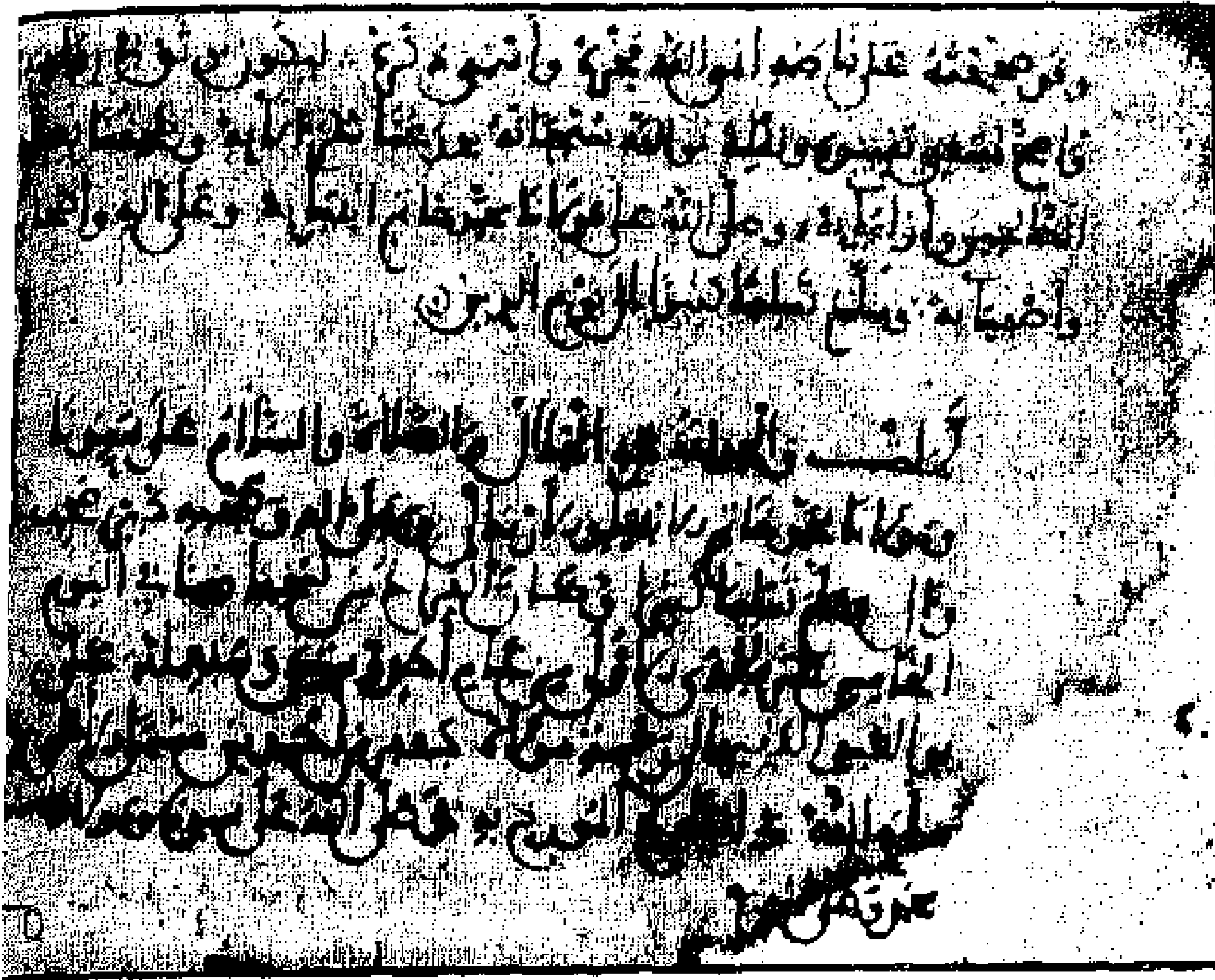
ومن هـذا يعلم أن مـا نشـر من صـورة هـذا الخـاتم غيـر صحيح، وأن ما يترتب على النظر إليـه من آثار لا أصل له في الدين (أحسن الكلام ٢/ ٣٥).

(اصطلاحـات الصوفيـة للشيخ كمال الـدين عبد الـرزاق القاشـاني ـ تحقيق وتعليق د. كمـال إبراهيـم جعفـر / ١٥٩، وزهـر الخمـائل على الشمائل. أوصاف النبي ﷺ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٤٣ ـ ٤٧ وقـد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايـا النص، وأحسن الكلام في الفتـاوى والأحكام ـ فضيلـة الشيخ عطية صقر ٢/ ٣٥. انظر أيضا دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ بتحقيق السيد أحمد صقر ١/ ٢٠٩ ـ ٢١٨).

*** ابن خاتمة (ـ بعد ٧٧٠ هـ/ ـ بعد ١٣٦٩):**

قال عنه الزركلي:

أحمد بن علي بن محمـد بن علي بن محمد بن خـاتمة،



خاتمة كتاب «رائق التحلية في فائق التورية» لأحمد بن علي بن خاتمة الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨م، من نسخة أندلسية كتبت في حياة المؤلف سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م وعليها خطه.
(اسبانيا: إسكوريال ٤١٩ – معهد المخطوطات)

أبو جعفـر الأنصـاري الأنـدلسي: طبيب مـؤرخ من الأدبـاء البلغـاء. من أهل المـرية بـالأنـدلس. تصـدر للإقـراء فيهـا بالجـامع الأعظم. وزار غرناطـة مرات. قال لسـان الدين ابن الخطيب: «وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٠» وقال ابن الجـزري: «توفي وله نيف وسبعـون سنة» من كتبـه «مزية المـرية على غيرهـا من البلاد الأنـدلسيـة» في تاريخها، و «رائق التحلية في فائق التورية» أدب، انظر صورة المخطوط و «إلحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس»، و «أبـراد اللال»، من إنشاد الضـوال» معجم صغير لمفردات من اللغة وأسماء البلدان وغيرها، مخطوط في خزانـة الربـاط (١٢٤٨ جلاوي) والنسخـة حديثـة، حبذا لـو يـوجد أصلهـا، و «ريحانـة من أدواح ونسمة من أرواح» وهـو ديوان شعـره، مخطوط فـي خزانـة الربـاط، (المجموع ٢٦٩ كتاني) و «تحصيل غرض القاصـد في تفصيل المرض الوافد» وضعه سنـة ٧٤٧ هـ وقد ظهـر في تلك السنة وبـاء في المـرية انتشر في كثير من البلدان سماه الإفـرنج الطاعون الأسود، ولم أقف على نص يركن إليه في تاريخ وفاته. (الأعلام ١/ ١٧٦ وما جاء من مصادر في هامش ١).

ملاحظة: صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت من «الكتـاب العـربي المخطـوط» ـ جمعهـا وعلق عليهـا د. صلاح الدين المنجد، لوح ٥٢.

* الخاتون:

لفظ تركى معناه السيدة دخل العالم الإسلامى عن طريق الأتراك. وقد استعمل فى النقوش والمؤلفات بهذا المعنى: فجاء على صيغة الجمع: خاتونات أو خواتين للتعبير عن الحريم؛ وورد لفظ «خاتونات» فى نقش بتاريخ سنة ٢٠٠ هـ على الكعبة خاص بالمأمون جاء فيه أن الفضل بن سهل قتل قائد الثغر وسبا أولاد جبغويه الخزلجى مع «خاتوناته» (الأزرقى - تاريخ مكة ١/ ١٥٨). كما جاء فى «السلوك» أن غازان اغتم لهزيمة التتار سنة ٧٠٢ هـ فحرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت، واحتجب حتى عن «الخواتين» (المقريزى - سلوك/ ٩٣٧).

واستعمل اللفظ أيضا كلقب على المرأة يتفرع عليه باقى الألقاب المؤنثة: ففى نص تأسيس بتاريخ سنة ٥٠٤ هـ فى المدرسة الظاهرية بدمشق تقدم هذا اللقب بعض الألقاب المفردة والمركبة فى نعت والدة الملك دقاق: «... الخاتون الأجلة السيدة صفوة الملك، عز نساء العالمين، والدة الملك دقاق بن تاج الدولة ...» وكذلك ورد فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٢٨ هـ فى المدرسة الشامية فى دمشق أول سلسلة ألقاب أم حسام الدين بنت أيوب بن شادى «بسملة هذه المدرسة الخاتون الكبرى الأجلة، عصمت الملوك والسلاطين، ست الشأم، أم حسام الدين بنت أيوب بن شادى..».

وكان هذا اللقب فى زمن القلقشندى يستعمل كأحد الألقاب المفردة المفرعة على الألقاب الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا (القلقشندى - صبح الأعشى ٦/ ٧٨).

وكان اللفظ يرد أحيانا بجانب الاسم، وكان يقوم فى هذه الحالة مقام لقب «السيدة» للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصا أميرات الأسر الحاكمة، وفى هذه الحالة كان اللقب يتبع الاسم، ومن أمثلة استعمالاته ما ورد فى «السلوك» من أنه بعد أن مات ملكشاه ملك بعده ابنه محمود سنة ٤٨٥ هـ وكان عمره أربع سنين فقامت أمه «تركان خاتون» بتدبيره، وكذلك ذكر «ضيفة خاتون» بنت الملك العادل الأول وزوجة الملك الظاهر غازى سلطان حلب.

هذا وقد استعمل اللفظ فى تكوين بعض الألقاب المركبة: مثل «افتخار الخواتين». «وخاتون الدنيا والآخرة». (الألقاب الإسلامية/ ٢٦٤-٢٦٦).

وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته مقابلته لعدد من الخواتين ووصف حياتهن، وهى معلومات طريفة، فارجع إلى المصدر إن شئت (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٦٦ - ٢٧٥)

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا/ ٢٦٤ - ٢٦٦، ومهذب رحلة ابن بطوطة - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك/ ٢٦٦ - ٢٧٥)

قالت المؤلفة: ورد ذكر الست خاتون بنت معين الدين أثر فى مادة الجديد (جامع ــ بدمشق) فى م ١٢/ ٧٦ فانظره فى موضعه.

* خاتون الدنيا والآخرة:

خاتون الدنيا والآخرة: أطلق هذا اللقب على بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى نص جنائزى بتاريخ سنة ٦٤٥هـ فى قيسارية. ويلائم لفظ الآخرة الاستعمال فى نص جنائزى. (الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا/ ٢٦٦).

* الخاتونية (المدرسة - ببغداد ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م):

مدرسة أنشأتها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد على الكبير القادرى الكيلانى يتصل نسبها إلى الشيخ عماد الدين نصر قاضى القضاة ببغداد المتوفى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م.

ولدت السيدة عاتكة ببغداد سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وكانت من الصالحات العابدات كثيرة الخيرات والمبرات.

ومن أعمالها سنة ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م أنها جعلت دارها مدرسة علمية وسجلتها وقفا وسمتها «المدرسة الخاتونية» وحبست عليها وقوفا كبيرة بموجب الوقفية المؤرخة سنة ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٨ م وجعلت الواقفة فى هذه المدرسة خزانة كتب قيمة جمعتها من مالها الخاص، جمعت فيها كل نادر ونفيس مخطوط ومطبوع، وحررت على ظهر كل كتاب وقفية، وختمتها بختم «وقف عاتكة خاتون».

والمدرسة الخاتونية هذه كانت تقع مما يلى القبلة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلانى، غير أنها اندثرت بعد وفاة واقفتها سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩م عند غرق بغداد سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م، أى بعد وفاة السيدة عاتكة بسنة واحدة، لكن السادة الكيلانيين نقباء الأشراف فى بغداد استطاعوا انتشال

مـا تبقى مـن تلك الكتب والمحـافظـة عليهـا من التلف والضياع، وجعلها وقفا على المدرسة القادرية.

ومازالت خيرات السيـدة عاتكة خاتـون رحمها الله تعالى، تزود مكتبـة المدرسـة القادرية سنـويا بمئـات المجلدات من الكتب تقـدم كهـديـة من وقف عـاتكة خـاتـون إلى المكتبـة القادرية العامة.

(مكتبة المدرسة القادرية العامة ـ نورى محمد صبرى المفتى، مطبعة المعارف. بغداد ١٩٨٢).

انظر: القادرية (مدرسة).

*** الخاتونية (المدرسة ـ ببيت المقدس) ٧٧٥ـ٧٨٢:**

من مدارس القـدس الشريف أعـاده الله ديار إسـلام. قال عنها الدكتور العسلى:

الخاتونيـة هى إحدى ثلاث مدارس وقفتهـا نساء فى بيت المقـدس، والمدرستـان الأخريـان همـا المدرسـة العثمانيـة والمدرسة البارودية. وقد كان هناك مؤسسات وقفية أخرى غير المـدارس بـالطبع وقفتهـا محسنـات من النسـاء الميسـورات الحال من بنات الأمراء والسلاطين والحكام أو النساء الثريات الأخـريات بـوجـه الإجمـال، منهن خاصكـى سلطان زوجـة السلطـان سليمان العثمـانى التى مـا تـزال تكيتها قـائمـة فى القـدس والسيدة طشنق المظفـريـة (المتوفـاة سنة ٧٨٩ هـ)



المدرسة الخاتونية من الداخل

والتى بنت الـدار الكبـرى التى تعـرف اليوم بـاسـم دار الأيتـام الإسلامية.

تقع المدرسة الخـاتونية بين باب الحديـد وباب القطانين غربى الحرم وجنوبى المدرسـة الأرغونية مباشرة. وواقفتها هى أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغـدادية. ووقفت عليهـا المزرعـة المعـروفة بظهـر الجمل. وتاريخ الـوقف هو ١٥ ربيع الأول سنـة ٧٥٥ هـ. ثم أكملت عمارة المدرسة المذكورة ووقفت عليها المرحومة أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه. وتاريخ وقفهـا شهر جمادى الآخرة سنة ٧٨٢. وكـان من أوقـاف المـدرسة فى القـرن الحـادى عشـر أراضى قريـة دير جـرير بظـاهر القـدس. ويقول محمـد كرد على: إن فى الدار قبر السيدة خاتـون القازانية البغدادية واقفة المدرسة.

والواقع أن مبنى المدرسة كان مجمعـا يضم ضريحا وقاعة للاجتمـاعات (مجمع) وإيوانين وكلها فى طـابق فى مستوى الحرم. وكـانت هنالك فى الطـابق الذى تحتـه غرف للسكن تحيط بصحن المـدرسة التى كـانت حدودهـا الجنوبيـة تطل على سوق القطانين.



المدرسة الخاتونية (٧٥٥ ـ ٧٨٢)

وكان هنالك باب يصل بين المدرسة وبين الحرم. ويستفاد من السجل ١٨٥ (ص ٣١٢، سنة ١٠٩٢) من سجلات المحكمة الشرعية فى القدس أن قاضى القدس أجاز إجراء تصليحات فى مبنى المدرسة بناء على طلب متولى الوقف فى تلك السنة.

وممن درس فى الخاتونية فى القرن الحادى عشر الشيخ كمال الدين العسلى ثم ابنه الشيخ محمد كمال الدين. كما درس فيها وأعاد فى أواخر القرن الثانى عشر السيد محمد السرورى ومن بعده أولاده.

تعرف المدرسة اليوم باسم دار الخطيب إذ يسكنها جماعة منهم. وفى قاعة المجمع القديمة هناك اليوم عدة أضرحة لمسلمين بارزين توفوا فى هذا القرن منهم الأمير محمد على من أمراء الهند المسلمين، الذى توفى سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ودفن فى القدس فى الخامس من رمضان، ومنهم الزعيم الفلسطينى موسى كاظم باشا الحسينى المتوفى سنة ١٩٣٣، والشهيد عبد القادر الحسينى بن موسى كاظم باشا، الذى استشهد فى معركة القسطل فى ٩ نيسان ١٩٤٨، وأحمد حلمى عبد الباقى من زعماء فلسطين المتوفى فى ٢٩ حزيران سنة ١٩٦٣، ومؤسس البنك العربى عبد الحميد شومان المتوفى فى ٩ أيلول سنة ١٩٧٤.

ويوجد فى غرفة الضريح ذات القبة الملحقة بالمدرسة قبر قديم يفترض أنه قبر أوغول خاتون كما يوجد فى الغرفة نفسها قبر الشريف الهاشمى عبد الحميد بن عون.

وتستعمل الغرف المحيطة بصحن المدرسة القديمة اليوم كمساكن. وقد أجريت فى مبنى المدرسة تصليحات كثيرة فى السنوات الأخيرة. وكان المبنى فى أواخر العهد العثمانى آيلا للخراب. وفى سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ انهارت قبة الضريح تماما، غير أن القبة استبدلت فيما بعد بقبة من الاسمنت، كما أن الجدران الحجرية عمرت جزئيا.

وكان ينزل فى هذه المدرسة فى العصور الوسطى ضيوف القدس البارزون.

(معاهد العلم فى بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلى / ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦ ـ انظر أيضا المدارس فى بيت المقدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢/ ٦٠، ٦١).

*** الخاتونية البرانية (المدرسة ـ بدمشق) ٥٢٦ هـ:**

قال عنها النعيمى:

مسجد خاتون على الشرف القبلى عند مكان يسمى صنعاء الشام المطل على وادى الشقراء (صنعاء دمشق قرية على باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون، خربت وهى اليوم مزرعة وبساتين) وهو مشهور بدمشق، واقفته الست خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق قاله ابن شداد.
وقال الحافظ فى العبر فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة: المحترمة صفوة الملوك زمرد خاتون ابنة الأمير جاولى أخت دقاق لأمه وزوجة تاج الملوك بورى، وأم ولديه شمس الملوك إسماعيل ومحمود، سمعت الحديث من أبى الحسن على ابن قيس، واستنسخت الكتب، وحفظت القرآن الكريم، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق، ثم تزوجها أتابك زنكى، فبقيت معه تسع سنين، فلما قتل حجت وجاورت بالمدينة المنورة، فماتت ودفنت هناك بالبقيع، وأما خاتون بنت أنر زوجة الملك نور الدين فتأخرت، ولها مدرسة بدمشق وخانقاه معروفة على نهر بانياس انتهى. وقال ابن كثير فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة عقب ذكر خاتون عصمة الدين الآتية: فأما الخاتونية البرانية التى على القنوات بمحلة صنعاء دمشق، ويعرف ذلك المكان الذى هى فيه بتل الثعالب، فهى من إنشاء الست زمرد خاتون ابنة جاولى، وهى أخت الملك دقاق لأمه، وكانت زوجة زنكى والد نور الدين صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدم انتهى. وقال صلاح الدين الصفدى: زمرد الخاتون بنت الأمير جاولى بن عبد الله الحجة صفوة الملوك أخت الملك دقاق وزوجة الملك بورى تاج الملوك وأم الملك إسماعيل شمس الملوك ومحمود ابنى بورى، سمعت الحديث، واستنسخت الكتب، وقرأت القرآن الكريم، وبنت المسجد الكبير الذى فى صنعاء، ووقفت مدرسة للحنفية، وهى من كبار مدارسهم وأجودها معلوما، وكانت كبيرة القدر وافرة الحرمة، خافت على ابنها شمس الملوك فدبرت الحيلة فى تسليمه بحضرتها وأقامت أخاه شهاب الدين محمود، وتزوجها الأتابك قسيم الملك زنكى والد نور الدين (لقبه «قسيم الدولة وهو آق سنقر البرقشى)، وسارت إليه إلى حلب، فلما مات عادت إلى

دمشق، ثم حجت على درب بغداد وجاورت إلى أن ماتت بالمدينة، ودفنت بالبقيع سنة سبع وخمسين وخمسمائة، و إليها ينسب مسجد خاتون الذى هو مدرسة الأصحاب أى أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه بأعلى الشرف القبلى وقد تقدم ذكره انتهى.

وقال شيخنا بدر الدين (محمد بن أبى بكر الأسدى) فى كتابه الكواكب الدرية فى السيرة النورية فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة: وفيها أخذ عماد الدين زنكى مدينة حمص، وتزوج بالست زمرد خاتون أم شمس الملوك إسماعيل، وهى التى تنسب إليها المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق بأعلى الشرف القبلى انتهى. وقال ابن شداد: تاريخ وقفه سنة ست وعشرين وخمسمائة، وقف على الشيخ أبى الحسن على البلخى المشهور، وهو أول من ذكر بها الدرس، والذى علم من بعده فخر الدين القارى. وبعده ولده نجم الدين. وبعده القاضى شرف الدين عبد الوهاب الحورانى. ثم من بعده قاضى القضاة صدر الدين سليمان المشهور. ثم من بعده ابن أخيه عز الدين عبد العزيز. ثم من بعده فخر الدين موسى بن هلال بن موسى، وهو مستمر إلى سنة أربع وسبعين وستمائة.

وقال الذهبى فى تاريخه العبر سنة إحدى وتسعين وستمائة: والخبازى الإمام العلامة جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد بن عمر الحنفى الخجندى، كان فقيهًا، بارعًا، زاهدًا ناسكًا، عابدًا، عارفًا بالمذهب، صنف فى الفقة والأصلين، ودرس بالعزية على الشرف الشمالى، ثم حج وجاور بمكة سنة، ثم رجع إلى دمشق، فدرس بالخاتونية التى على الشرف القبلى إلى أن توفى فى آخر ذى الحجة عن اثنتين وستين سنة، ودفن بالصوفية رحمه الله تعالى انتهى. وقال تلميذه ابن كثير فى سنة تسعين: وفى هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الخبازى بالخاتونية البرانية انتهى. وقال فى سنة إحدى وتسعين المذكورة: جلال الدين الخبازى عمر ابن محمد بن عمر أبو محمد الخجندى وأحد مشايخ الحنفية الكبار، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال لها خجندة، وهناك اشتغل، ودرس بخوارزم وأعاد ببغداد، ثم قدم دمشق فدرس بالعزية والخاتونية البرانية، وكان فاضلاً بارعًا، مصنفا فى فنون كثيرة، توفى رحمه الله تعالى لخمس بقين من ذى الحجة منها، وله اثنان وستون سنة، ودفن بالصوفية انتهى.

(أفردنا له مادة خاصة بعنوان «الخبازى» فانظره فى موضعه)

ثم ولى تدريسها فى سنة ثمان وتسعين وستمائة شمس الدين بن الحريرى قاضى القضاة، وهى فى ذيل العبر فى سنة خمس عشرة وسبعمائة قدم القاضى ملطية (شمس الدين محمد) بعد فتحها إلى دمشق، فأعطى تدريس الخاتونية البرانية وشيخ الصوفية انتهى. وقال تلميذه ابن كثير فى تاريخه فى السنة المذكورة: وفى يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضًا عن قاضى القضاة الحنفى البصروى (على بن أبى القاسم بن محمد) وحضر عنده الأعيان، وهو رجل له فضيلة وحسن خلق، كان قاضيا بملطية وخطيبًا بها نحوًا من عشرين سنة انتهى. وقاضى القضاة المشار إليه هو صدر الدين أبو الحسن على ابن الشيخ صفى الدين أبى القاسم الحنفى البصروى، وفى يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ست قدم دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضًا عن الأذرعى مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية، وخرج الناس لتلقيه وهنؤوه، وحكم بالنورية، وقرىء تقليده بالمقصورة الكندية فى الزاوية الشرقية من جامع بنى أميه، وتوفى رحمه الله تعالى فى شعبان سنة سبع وعشرين وسبعمائة عن خمس وثمانين سنة. وقال ابن كثير فى سنة تسع عشرة وسبعمائة فى جمادى الآخرة: وفى هذا الشهر درس بالخاتونية البرانية القاضى بدر الدين أبو نويرة الحنفى وعمره خمس وعشرون سنة، عوضا عن القاضى شمس الدين محمد قاضى ملطية لما توفى انتهى.

وقال الأسدى فى شهر رمضان سنة ست عشرة وثمانمائة من ذيله على تاريخ شيخه: وفى يوم الجمعة ثامن عشريه، بلغنى وفاة قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى (على بن محمد بن محمد الدمشقى، ٧٨٧ ـ ٨١٦) بالقاهرة، مات رحمه الله تعالى بالقولنج ولم ينقطع إلا يومين، وكان له بدمشق جهات كثيرة، وكانت خرجت قبل ذلك، فلما جاء الخبر بموته أخرج باقيها، فما كان بيده: تدريس الخاتونية

البرانية، والقصاعين، والشبلية، وخزانة كتب الأشرفية بالجامع، ومباشرات، وأنظار كثيرة، وخلف ابنا صغيرا انتهى.

فائدتان الأولى: قال ابن كثير فى تاريخه فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة: وفى يوم الجمعة ثانى ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخاتونية البرانية، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن بالأموى، وترك خطابة جامع القابون انتهى. زاد البرزالى فى تاريخه ومن خطه نقلت: وخلع عليه خلعة الخطابة وقرر له معلوم على مال المصالح المبرورة، وانتفع بذلك أهل تلك الناحية، وولى مكانه خطابة القابون الإمام به ولد الشيخ عبد الوهاب التركمانى الحنفى انتهى.

الثانية: قال ابن كثير أيضا فيه فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة: وفيها توفيت الست خاتون والدة الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب، توفيت بدمشق فى ذى الحجة فى دارها المعروفة بدار العقيقى انتهى. وقول كاتبه: كأنها أم ست الشام أو زوجة أبيها، ولم أدر أين تُربتها الآن، فإن دار العقيقى الآن هى المدرسة الظاهرية وشرقيها دار البارزى؛ بل رأيت فى كلام بعضهم أن الأسدية تجاه العزيزية شرقى دار العقيقى، وهى الآن الدار المذكورة، فليحرر (الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٢ـ٥٠٧).

يقول الأستاذ أكرم العلبى:

وقد أقيمت الجمعة الأولى فى هذه المدرسة فى ربيع الأول سنة ٧٣٤ هـ (ابن كثير ١٤/ ١٦٤، وابن عساكر ٢/ ٩١). وموقعها بلغة اليوم مكان مبنى الإذاعة تقريبا. وقد ذكر العلموى أن «سيباى» كان أول من خرب هذه المدرسة، وأخذ رخامها، وضمها إلى مدرسته فى باب الجابية، ثم توالى الهرم عليها حتى لم يعد لها أثر.

أما تاريخ بنائها فهو فى حدود سنة ٥٢٦ هـ، لأن ابن عساكر ذكر أنها بنت المدرسة قبل قتل ابنها شمس الملوك سنة ٥٢٩ هـ، وذكر أيضا أن أبا الحسن البلخى بنيت له البلخية، ثم درّس بجامع الخاتون، أى المدرسة الخاتونية، وهذه المدرسة تكاد تكون معاصرة للبلخية والله أعلم.

(الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ـ تحقيق جعفر الحسنى ١/ ٥٠٢ـ٥٠٧، وخطط دمشق ـ أكرم حسن العلبى/ ١٨٥، ١٨٦).

* **الخاتونية الجوانية (المدرسة ـ بدمشق) ٥٧٠ هـ:**

قال عنها الدكتور صلاح الدين المنجد: من مدارس الحنفية، أنشأتها عصمة الدين خاتون، زوجة السلطان نور الدين، ثم السلطان صلاح الدين. لم يبق لها أثر اليوم. وأخبرنى أحد المعمرين أنه قرأ كتابة عتبتها قبل أن تزول. وأنها كانت مكان بناية آل البكرى، فى طريق المارستان النورى، إلى غربه وفى هذا القول نظر (دور القرآن فى دمشق/ ٤٩).

وقد ذكرها النعيمى فى «الدارس من المدارس» وترجم لمؤسستها الخاتون عصمة الدين وللشيوخ الذى قاموا بالتدريس بها مما ننقل بعضه فيما يلى. قال المؤلف: المدرسة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكى تنسب إليها، وقفها سعد الدين أخوها عليها، ثم من بعدها على عقبها ونسلها، وماتت ولم تعقب، قاله عز الدين. وقال الذهبى فى العبر فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: وعصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين أنر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين واقفة المدرسة التى بدمشق للحنفية والخانقاه التى بظاهر دمشق، توفيت فى ذى الحجة، ودفنت بتربتها التى هى تجاه قبة جركس بالجبل انتهى. وقال فى مختصر تاريخ الإسلام فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة: وفيها سار صاحب حلب نور الدين محمود بن زنكى، فاستفاد أرباحا من الفرنج، فخافته ورعبت منه، وتزوج بابنة نائب دمشق معين الدين أنر، وأرسلت إليه إلى حلب انتهى. وقال ابن كثير فى تاريخه فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة: وفى صفر منها تزوج السلطان صلاح الدين بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وكانت زوجة الملك نور الدين، فأقامت مدة فى القلعة محترمة مكرمة معظمة، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين مسعود بن أنر، وحضر القاضى ابن أبى عصرون العقد ومعه جماعة من العدول، وبات السلطان عندها تلك الليلة والتى بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين من الدخول بها انتهى. وقال فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين نائب دمشق وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن خدمة، وهى واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة

حجر الذهب وخانقاه خاتون ظاهر باب النصر فى أول الشرف القبلى على بانياس، ودفنت بتربتها فى سفح قاسيون قريبا من قباب الجركسية، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك انتهى. وقال الأسدى فى تاريخه فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر زوجة السلطان صلاح الدين، تزوجها سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وكانت قبله زوجة نور الدين محمود، وكانت من أعف النساء وأكرمهن وأحزمهن، ولها صدقات كثيرة وبر عظيم، بنت بدمشق مدرسة لأصحاب أبى حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه فى محلة حجر ذهب، وبنت للصوفية خانقاه خارج باب النصر على بانياس، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس، ووقفت على هذه الأماكن أوقافا كثيرة، وكانت وفاتها فى شهر رجب كذا قال فى المرآة.

وقال الذهبى: توفيت رحمها الله تعالى فى ذى القعدة ودفنت بتربتها، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بحران، فتزايد مرضه وحزن عليها وتأسف، وكان يصدر عن رأيها، ومات بعدها أخوها سعد الدين مسعود فى جمادى الآخرة من هذه السنة من جرح أصابه فى حصار ميافارقين، وكان من أكبر الأمراء، زوجه السلطان أخته ربيعة خاتون، فلما توفى تزوجها مظفر الدين صاحب إربل، وفى زماننا وسعت تربتها وصارت جامعا وأقيمت فيه الجمعة وغيرها انتهى.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى الروضتين فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: قال العماد فى هذه السنة توفيت الخاتون ذات العصمة بدمشق فى ذى القعدة، وهى عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وكانت فى عصمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله، فلما توفى وخلفه السلطان بالشام فى حفظ البلاد ونصرة الإسلام تزوج بها فى سنة إثنتين وسبعين وخمسمائة، وهى من أعف النساء وأعصمهن وأجلهن فى الصيانة وأحزمهن، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى، ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وإدرارات وبنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا. قلت: وكلاهما ينسبان إليها، فالمدرسة داخل دمشق بمحلة حجر الذهب قرب الحمام الشركسى، والرباط خارج باب النصر راكب على نهر بانياس فى أول الشرف القبلى. وأما مسجد خاتون الذى فى آخر الشرف القبلى من الغرب، فهو منسوب إلى خاتون أخرى قديمة، وهى زمرد بنت جاولى أخت الملك دقاق لأمه والد نور الدين رحمهما الله تعالى، قال العماد: وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأقاربها، وكان السلطان حينئذ بحران فى بحر المرض وبحرانه، وعنف الألم وعنفوانه، فما أخبرناه بوفاتها خوفا من تزايد علته وتوقد غلته، وهو يستدعى فى كل يوم درجا ويكتب إليها كتابا طويلا، ويلقى على ضعفه من تعب الكتابة والفكر حملا ثقيلا، حتى سمع نعى ناصر الدين محمد بن شيركوه ابن عمه فنعيت إليه الخاتون، وقد تعدت عنه إليهما المنون، وكانت وفاة نصر الدين بحمص فى تاسع ذى الحجة فجأة من غير مرض، وأجرى السلطان أسد الدين شيركوه ولده على ما كان لوالده ومقابلته بأحسن عوائده. قلت: وقبر الخاتون المذكورة فى التربة المنسوبة إليها بسفح جبل قاسيون قبلى المقبرة الشركسية ... وقال شيخان فى الكواكب الدرية فى السيرة النورية: وقد كانت زوجته هذه أيضا من الصالحات الخيرات تكثر القيام، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهى غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت له نومها الذى فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانات فى القلعة وقت السحر ليوقظ النائم بذلك الوقت لقيام الدين، ورتب للضارب جراية وجامكية انتهى. قال ابن الأثير: وكان لا يفعل فعلا إلا بنية حسنة انتهى. وقال ابن شداد: وانتقلت المدرسة فى شهور سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. وأول من ذكر بها الدرس حجة الإسلام والدين إلى أن توفى. ثم من بعده تولاها فخر الدين الحوارى إلى أن توفى. واستمر بها ولده إلى أن توفى. وبقيت على ولده تاج الدين محمد المذكور. وقد ناب عنه بها نجم الدين خليل بن على الحموى إلى أن توفى فجأة، ووليها بعده ولده شمس الدين على وانتزعت من يده فى زمان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى جمادى سنة أربع وأربعين وستمائة. ووليها بعده القاضى عز الدين السنجارى إلى أن توفى فى سادس عشرين شعبان سنة ست وأربعين وستمائة.

ووليها بعده ولدها كمال الدين عبد اللطيف فى الشهر المذكور فى السنة المذكورة، واستمر بها إلى حين استيلاء التتار على دمشق فى صفر من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فوليها فى أيام التتار القاضى شمس الدين عبد الله بن محمد ابن عطاء الحنفى إلى حين عود الشام إلى يد المسلمين، فعاد كمال الدين عبد اللطيف المذكور وانتزعها من يده ووليها

واستمر بها إلى حين توجه الخليفة إلى بغداد، فسار معه وقتل بالفلوجة فى سنة تسع وخمسين وستمائة، وكان ينوب عنه فى حال غيبته صدر الدين إبراهيم بن عقبة الحنفى، فلما صح قتله وليها القاضى شمس الدين عبد الله بن محمد الحنفى المتقدم ذكره إلى حين توفى وهو متوليها فى خامس جمادى سنة ثلاث وسبعين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون بالتربة المعظمية، وكان له من العمر ثمان وسبعون سنة، وكان رجلا فاضلا.

ثم ولى بعده قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن ابن الصاحب كمال الدين أبى القاسم عمر ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله ابن قاضى القضاة مجد الدين أبى غانم محمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد بن أبى جرادة (٦١٤ ــ ٦٧٧) الحنفى، وهو مستمر بها إلى سنة خمس وسبعين وستمائة انتهى ...

وأما ابن أبى جرادة فقال الشيخ نجم الدين الطرسوسى فى شرح منظومته: قاضى القضاه مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن الصاحب الكبير كمال الدين بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبى جرادة، ميلاده بحلب سنة أربع عشرة وستمائة، كان إماما جليلا فاضلا دينا متعبدا متقشفا، مواظبا على ورده من النوافل، ممدوحا رئيسا، لم يزل من أول عمره عند الناس معظما، حتى قيل إنه فى حياة والده كان يرجح عليه مع جلالة والده، درس بحلب ودمشق ومصر: فدرس بدمشق بالخاتونية العصمية، وهو أول من درس بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة، وحضر السلطان درسه وسمع بحثه ومناظرته، وتأخر هو عن الناس حتى تكاملوا، فلما حضر قام له السلطان وتلقاه، وولى الخطابة بالجامع الحاكمى مدة بمصر، وكان له أوراد من العبارة لا يخل بشىء منها، وفى يوم الأربعاء سلخ ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وستمائة قدم دمشق قاضى القضاة بها بعد القاضى شمس الدين عبد الله واستناب القاضى بدر الدين مدرس المعينية، ومات بجوسقة ظاهر دمشق فى الشرف القبلى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وستمائة، ودفن بتربته بالقرب منه، ومما أنشد لنفسه يقول:

شهود ودى تؤدى وهى صادقة ... وحاكم الشوق بالأسجال قد حكما

هب أننى مبدع قد غاب شاهده ... أليس قلبك يقضى بالذى علما

وممن درس بها البرهان بن الموفق (٥١٠ ــ ٥٩٩). قال الذهبى فى العبر فى سنة تسع وتسعين (بالتاء فيهما) وخمسمائة: والعلامة أبو الموفق مسعود بن الموفق شجاع الأموى الحنفى الدمشقى مدرس النورية والخاتونية وقاضى العسكر، كان صدرا معظما مفتيا رئيسا فى المذهب، وارتحل إلى بخارى، وتفقه هناك، وعمر دهرا، توفى رحمه الله تعالى فى جمادى الآخرة وله تسعون إلا سنة، وكان لا يغسل له فرجية، يهبها ويلبس جديدة انتهى. وقال الأسدى فى تاريخه فى هذه السنة: مسعود بن شجاع بن محمد الإمام برهان الدين ابن الموفق القرشى الأموى الدمشقى الحنفى مدرس النورية والخاتونية أيضا، إمام خبير بالمذهب، درس وأفتى واشتغل، وكان ذا أخلاق شريفة وشمائل لطيفة، ولد بدمشق ورحل إلى ما وراء النهر فتفقه على شيوخ بخارى، وسمع بها من الإمام ظهير الدين الحسن بن على المرغينانى وجماعة، وولى قضاء العسكر لنور الدين، وحصل له جاه وافر، ودنيا واسعة، وكان لا يغسل له فرجية، بل إذا اندعكت وهبها ولبس أخرى جديدة، وطال زمانه، ولد فى جماد الآخرة سنة عشر وخمسمائة، وتوفى فى جمادى الآخرة أيضا. روى عنه الشهاب القوصى فى معجمه وابن خليل. قال بعضهم: وجمع كتابا فى الفقه انتهى. ودرّس بها الحسام الرومى (٦٣١ ـ ٦٩٩)

قال الصفدى فى وافيه فى حرف الحاء: الحسن بن أحمد ابن أبو شروان قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل ابن قاضى القضاة تاج الدين أبى المفاخر الرازى الحنفى الرومى، ولد سنة إحدى وثلاثين بآق سراى، وولى ملطية أكثر من عشرين سنة، وخرج إلى الشام سنة خمس وسبعين وستمائة بعد القاضى صدر الدين سليمان، وامتدت عليه أيامه إلى أن تسلطن حسام الدين لاجين، فسار إليه سنة ست وتسعين

وستمائة، فأقبل عليه وولاه القضاء بالديار المصرية، وولي ابنه جلال الدين مكانه بدمشق، وبقي معظما وافر الحرمة إلى أن قتل السلطان حسام الدين وهو عنده، فلما زالت دولة حسام الدين قدم دمشق على مناصبه وقضائه بدمشق، وعزل ولده، وكان مجمع الفضائل كثير المكارم، يتودد إلى الناس، له أدب وشعر وفيه خير ومروءة وحشمة، خرج إلى المصاف وشهد الغزاة، فكان ذلك آخر العهد به في سنة تسع وتسعين وستمائة. قال الشيخ شمس الدين: والأصح أنه لم يقتل بالغزو، وصح بروزه مع المنهزمين بناحية الجرنيين، وأنه أسر مع الفرنج وأدخل إلى قبرس وهو وجمال الدين المطروحي، وقيل إنه تعاطى الطب والعلاج، وإنه جلس يطبب بقبرس، وهو في الأسر، ولكن لم يثبت ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال في سنة إحدى وسبعمائة: استمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين بإذن نائب السلطنة انتهى (٦٥١ ـ ٧٤٥) وقال السيد شمس الدين رحمه الله تعالى في ذيله: ومات بدمشق العلامة قاضي القضاة جلال الدين أبو المفاخر أحمد بن قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرازي ثم الدمشقي الحنفي، عن ثلاث وتسعين سنة ونصف، حدث عن ابن البخاري وغيره، وناب في الحكم بدمشق عن والده، ثم ولي استقلالا، ثم عرض له صمم فصرف بالقاضي شمس الدين الحريري، ودرّس بالخاتونية والريحانية والقصاعين، وإليه المنتهى في مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة: ودفن بمدرسته التي أنشأها بدمشق المعروفة بالجلالية، وكانت سكنه رحمه الله انتهى (في ابن كثير: ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا عن الخاتونية الجوانية»).

وقال تقي الدين بن قاضي شهبة في ذيله في شهر ربيع الأول في سنة خمس وعشرين وثمانمائة: وفي يوم الأحد حادي عشريه حضر ابن القاضي شهاب الدين بن العز بالمدرسة الخاتونية الجوانية، وحضر عنده القاضي الشافعي وبعض الفقهاء والترك، وكان يوما مطيرا انتهى. ثم قال في ثامن عشرين المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة وهو يوم دخل المحمل ما عبارته: وفي يوم دخول المحمل سأل قاضي القضاة شهاب الدي بن العز قاضي القضاة الشافعي أن يستنيب ولده في القضاء فأجابه إلى ذلك، وهو شاب لم تطلع ذقنه بعد، ولكنه قد قرأ كتبا واشتغل، وباشر الخاتونية الجوانية وباشر القصاعين، وكان يحضر معه نواب والده وغيرهم من الحنفية انتهى، ثم قال في محرم سنة أربعين: وفي يوم الجمعة ثاني عشر بلغني أن قاضي القضاة شمس الدين الصفدي رجع ومعه ولايته بالخاتونية الجوانية، ثم قاتل في ذلك غريمه، ووقفا للنائب، ثم قيل إنهما بعد يصطلحان فلم يتفق ذلك، وأرسل كل منهما قاصده يسعى في ذلك انتهى. ثم قال في سنة إحدى وخمسين ما عبارته: وفي العشر الأخير أي من شهر رمضان، إلى أن قال: وفيه جاء مرسوم فيه أن القاضي حسام الدين بن العماد الحنفي أنهى أن الخاتونية والقصاعين كانتا بيد القضاة، وهي معروفة عندهم وبهم، فجاء مرسوم أن يعقد لهما مجلس عند النائب بحضرة القضاة والعلماء، فإن كان كما أنهاه فيسلمان إليه، وإن كانتا بيد القاضي شمس الدين الصفدي بطريق شرعي فتستمران بيده، فعقد له مجلس في رابع عشريه وحضر الصفدي وأظهر بيده نزولا من ابن العز بالقصاعين، محكوما له بالاستحقاق، وولاية الخاتونية عوضا عن ابن العز بحكم وفاته، ومحضر مثبوت على المصريين، على أن الوظيفة المذكورة لم تزل بيد بني العز في حال ولايتهم وعزلهم، ومال أكثر أهل المجلس مع الصفدي، وتكلم خصمه حسام الدين بكلام ساقط، ونسب أهل المجلس إلى التحامل عليه، وانقضى المجلس على المراجعة، واحتج الحسام بأشياء لا تجدي شيئا، فأجيب عنها في المجلس انتهى (الدارس ١/ ٥٠٧ ـ ٥١٨).

يقول الأستاذ العُلبي: وقد أوقف سعد الدين، أخو الخاتون عصمة الدين، أوقافا كثيرة على المدرسة المذكورة، ومات قبلها بستة شهور ودفن شمالي جامع جراح في مسجد يقال له جامع الشيخ مسعود.

وذكر العلموي أن فخر الدين القدسي المالكي خربها وبنى مكانها بيتًا، وصارت نسيًا منسيًّا ثم انتزعها منه الكتخدا حسن باشا قهرًا، ثم صارت المدرسة معملا للقاشاني ...

وهكذا أسرع الخراب إلى المدرسة منذ أوائل العصر العثماني، وبقي ضريح الواقفة بعيدا عن مدرستها، والملاحظ أن المدارس التي يدفن أصحابها فيها تبقى، أو يبقى جزء منها مدة طويلة لإحجام الناس عادة عن التعرض لقبور «الأولياء» كما يسمونهم، أي الواقفين، في حين يسرع الخراب إلى المدارس التي لا وجود «للأولياء» فيها.

ويقدر تاريخ بناء المدرسة بحدود سنة ٥٧٠ هـ، كما يفهم من العبارات الناقصة والغامضة التي وردت في النسخة المطبوعة من تاريخ ابن شداد (خطط دمشق / ١٨٧).

(دور القرآن في دمشق لعبد القادر بن محمد النعيمي ـ صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد/ ٤٩، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي أيضا ـ تحقيق جعفر الحسني ١/ ٥٠٧ ـ ٥١٨، وخطط دمشق ـ أكرم حسن العلبي / ١٨٧، وجاء في هامش٢ به: انظر العبر ٣/ ٨٣، وكرد علي ٦/ ٩٠ الذي جعل اسم والد الواقفة «سعد الدين اتسز»، والقلانسي / ٤٥٠، والروضتين ٢/ ٦٦، وابن كثير ١٣/ ٣١٧).

*** الخادم:**

الخادم: بغير تاء يقع على الذكر والأنثى، تقول: هذا خادم الوزير، وهذه خادم زوجه.

قال الإمام علي كرم الله وجهه يوما للسيدة فاطمة الزهراء: اسألي أباك خادما تقيك (بالتاء) حر ما أنت فيه.

وفي حديث عبد الرحمن أنه طلق امرأته فمتعها بخادم سوداء (أي جارية).

وفي لسان العرب والمختار: الخادم واحد الخدم غلاما كان أو جارية. وفي المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلام كان أو جارية والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدَّام (الرسالة الرشادية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٣).

*** خادم الرافعي والروضة في الفروع:**

قال حاجي خليفة:

خادم الرافعي والروضة في الفروع لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة ذكر في بغية المستفيد أنه أربعة عشر مجلدا كل منه خمسة وعشرون كراسة ثم إني رأيت المجلد الأول منها افتتح بقوله الحمد لله الذي أمدنا بإنعامه إلخ ... وذكر أنه شرح فيه مشكلات الروضة وفتح مقفلات فتح العزيز وهو على أسلوب التوسط للأذرعي وأخذه جلال الدين السيوطي يختصر من الزكاة إلى آخر الحج ولم يتم وسماه تحصين الخادم. (كشف الظنون ١/ ٦٩٨).

*** خادم النعل الشريف:**

خادم النعل الشريف: رسالة للجلال السيوطي ذكرها في فهرس مؤلفاته من فن الحديث.

(كشف الظنون ١/ ٦٩٨).

*** ابن خارجة [٦٦هـ / ٦٨٦ م]:**

أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري؛ أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة، كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق.

حكى ابن عساكر قال: أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان في حمالات تحملها عن قومه، فأبى أن يعطيه شيئا، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك فقال كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بن خارجة، فتحملها عنه جميعا، فقال:

إذا ما مات خارجة بن حصن
فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البشير بغنم جيش
ولا حملت على الطهر النساء
فيوم منك خير من رجال
كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وفي بنيهم
وإن كثروا، ونحن لك الفداء

وبلغ الشعر عبد الملك فقال: عرَّض بنا الخبيث في شعره.

وحكى أبو اليقظان قال: دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له: بم سدت الناس؟ فقال: هو من غيري أحسن، فقال له: بلغني عنك خصال شريفة، وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها، فقال: أما إذ عزمت على فنعم، فقال عبد الملك: هذه أولها، فقال أسماء: ما سألني أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل علي، ولا دعوت أحدا إلى طعام إلا ورأيت له المنة علي، ولا جلس إلي رجل إلا ورأيت له الفضل علي، ولا قصدني أحد في حاجة إلا وبالغت في

قضـائهـا، ولا شتمت أحـدا قط، لأنـه إنمـا يشتمني أحـد رجلين: إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها، وإما لئيم فأصون عرضي منه، فقـال له عبد الملك: حق لك أن تكون سيدا شريفا.

وقـال الكلبي: خـرج أسمـاء في أيـام الـربيع إلى ظـاهـر الكـوفة فنـزل في ريـاض معشبة، وهنـاك رجل من بني عبس نازل، فلمـا رأى قباب أسمـاء وخيامه قـوّض خيامـه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنك؟ فقال: لي كلب هو أحب إليَّ من ولدي، وأخـاف أن يؤذيكم فيقتلـه بعض غلمانكم، فقـال له أسمـاء: أقم وأنـا ضامن كلبـك، ثم قال لغلمـانـه: إذا رأيتم كلبـه قد ولغ في قـدوري وقصـاعي فـلا تهيجوه، وأقـام على ذلك مـدة، ثم ارتحل أسمـاء ونزل في الـروضـة رجل من بني أسد، وجاء الكلب على عـادته فضربه الأسـدي فقتله، فجاء العبسي إلى أسمـاء فقـال لـه: أنـت قتلت كلبي، قـال لـه: وكيف؟ قال: عودته عادة ذهب يـرومها من غيرك فقتل، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب.

ولم أراد أسماء أن يهدي ابنته إلى زوجها قال لها: يا بنية، كوني لـزوجك أمة يكن لك عبدًا، ولا تـدني منه فيملك، ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك، وكوني له كما قلت لأمك:

خـــذي العفـــو مني تستـــديمي مـــودتي
ولا تنطقـي في ســــورتي حين أغضـب
فـإني رأيـت الحبَّ فـي الصــــدر والأذى
إذا اجتمعــــا لم يلبث الحب يـــذهـب

وأسند أسماء عن علي بن أبي طالب وابن مسعود، وتوفي في سنـة ست وستين وقيل: سنـة اثنتين وثمـانين، وهـو ابن ثمانين سنة، رحمة الله عليه. (فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد ابن شاكـر الكتبي ـ تحقيق د. إحسان عباس / ١٦٨، ١٦٩. انظر أيضا الأعلام للزركلي ١ / ٣٠٥).

*** خارجة بن زيد (٢٩ـ٩٩ هـ / ٦٥٠ـ٧١٧ م):**

خارجة بن زيد: أحد الفقهـاء السبعة مذكور في المهذب في مسألة خيار الأمة بالعتق هو أبو زيد خارجة بن زيدبن ثابت ابن الضحاك بن زيد بن لوذان بـن عمرو بن عبد عوف بن غنم ابن مالك بن النجار الأنصـاري النجاري المدني التابعي أدرك عثمان وسمع أباه زيدا وعمه يزيد وأم العلاء الأنصارية. روى عنه سالم بن عبد الله والزهري ويزيد بن عبد الله بن قسيط وأبو الزنـاد وآخرون وكان إمـاما بارعـا في العلم واتفقوا على تـوثيقه وجلالته وهو أحد فقهاء المدينة السبعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعـود، وخارجـة بن زيد، وسليمـان بن يسار، وفي السابع ثلاثـة أقوال فقيل سالم بن عبد الله بـن عمر، وقيل أبو سلمـة بن عبد الـرحمن، وقيل أبـو بكر بـن عبد الـرحمن بن الحارث بـن هشام وعلى هذا جمعهـم الشاعر في بيـت فقال شعر.

ألا كـل من لا يقتـــــدي بأئمـــــة فقســـــ
ـــــمته ضيـــــزى عن الحق خـــــارجــــةْ
فخـــــذهم عبيــــد الله عـــــروة قـــــاسم
سعيـــد أبـــو بكـــر سليمـــان خـــارجـــةْ

توفي بالمدينة سنة مائة وهو ابن سبعين سنة.

(تهذيب الأسماء واللغـات للإمام محيي الدين بـن شرف النووي ١/ ١٧٢. انظر أيضا الأعلام للزركلي ٢/ ٢٩٣، وفقهاء المدينة السبعة ـ عبد المنعم عبـد الـراضي الهـاشمي. دار ابن كثيـر. دمشق ـ بيـروت. بـدون تاريـخ / ١٥١ـ١٦٦).

*** الخارصيني:**

أحد الفلذات التي أحصاها القزويني، وقال عنه:

الخارصيني: تولده كتولد الأجسـاد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونـه أسود يضـرب إلى الحمرة نصلـه شديـد الضرب جدا، ويتخذ منه الكلاليب يصـاد بها الحوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشيء لا ينفصل منـه إلا بالشـدة، ويتخذ منـه المرآة ينظر فيهـا صاحب اللقـوة في بيت مظلم فإنه أنفـع دواء لهذا المرض، ويتخذ منـه منقاش ينتف به الشعر ويـدهن موضعه مرارا بفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت. (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات/ ١٣٩)

*** الخارق:**

قال التهانوي:

الخـارق في عرف العلمـاء هـو الأمـر الذي يخـرق بسبب ظهـورة العادة وهـو على الصحيح ينقسم بـاعتبار ظهـوره إلى ستة أقسام لأن الخارق إما ظهر عن المسلم أو الكافر.

والأول إما أن لا يكون مقرونا بكمال العرفان وهو المعونة أو يكون وحينئذ إما مقرون بدعوى النبوة وهو المعجزة أو لا وحينئذ لا يخلو إما أن يكون ظاهرا من النبى قبل دعواه وهو الإرهاص أو لا وهو الكرامة .

والثانى أعنى الظاهر على يد الكافر إما أن يكون موافقا لدعواه وهو الاستدراج أو لا وهو الإهانة . ومنهم من ربع القسمة وأدخل الإرهاص فى الكرامة فإن مرتبة الأنبياء لا تكون أدنى من مرتبة الأولياء ، وأدخل الاستدراج فى الإهانة فإن معنى الاستدراج هو أن يقربه الشيطان إلى فساد على التدريج حتى يفعله سواء وافق ذلك غرض مرتكبه أو لم يوافق، وعاقبة ذلك حسرة وندامة فقد آل الأمر إلى الإهانة . والسحر ليس من الخوارق لأن معنى ظهور الخارق هو أن يظهر أمر لم يعهد ظهور مثله عن مثله وههنا ليس كذلك لأن كل من باشر الأسباب المختصة به ترتب ذلك بطريق جرى العادة . إلا ترى أن شفاء المرضى بالدعاء خارق وبالأدوية الطبية غير خارق ، وكذلك الطلسم والشعبذة وهذا هو الحق .

وقيل الحق إن السحر قد يكون من الخوارق فإنه ربما يحتاج إلى شرائط ليست مقدورة للبشر كالوقت والمكان ونحوهما . وفيه أنه لا يشترط فى عدم كون الفعل من الخوارق أن يكون جميع شرائطه مقدورة بل يكفيه أن يكون بعد مباشرة الأسباب سواء كانت مقدورة أو لا . ولأنه يلزم كون حركة البطش أيضا من الخوارق لتوقفه على سلامة الأعصاب والعضلات وصحة البدن التى ليست مقدورة للبشر هكذا يستفاد من شرح العقائد النسفية فى بيان كرامات الأولياء .

وقيل إطلاق الخارق على السحر على سبيل المجاز. وقال الإمام الرازى فى التفسير الكبير فى سورة الكهف إذا ظهر فعل خارق للعادة على يد إنسان فذلك إما أن يكون مقرونا بالدعوى أو لا . أما القسم الأول فتلك الدعوى إما أن تكون دعوى الإلهية أو دعوى النبوة أو دعوى الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشياطين فهذه أربعة .

الأول ادعاء الألهية ويسمى هذا الخارق الذى يظهر من المتأله بالابتلاء كما فى الشمائل المحمدية وجوز أصحابنا ظهور الخارق على يده من غير معارضة كما نقل عن فرعون من ظهور الخوارق على يده وكما نقل ذلك عن الدجال وإنما جاز ذلك لأن شكله وخلقته تدل على كذبه وظهور الخوارق على يده لا يفضى إلى التلبيس .

والثانى ادعاء النبوة وهذا على ضربين لأنه إما أن يكون المدعي صادقا أو كاذبا فإن كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده وهذا متفق عليه بين كل من أقر بصحة نبوة الأنبياء ، وإن كان كاذبا لم يجز ظهور الخوارق على يده . وبتقدير أن يظهر وجب حصول المعارضة .

وأما الثالث وهو ادعاء الولاية فالقائلون بكرامات الأولياء اختلفوا فى أنه هل يجوز ادعاء الكرامة ثم إنها تحصل على وفق دعواه أم لا .

وأما الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشياطين فعند أصحابنا يجوز ظهور الخوارق على يده وعند المعتزلة لا يجوز.

أما القسم الثانى وهو أن تظهر الخوارق على يد إنسان من غير شيء من الدعاوى فذلك الإنسان إما أن يكون صالحا مرضيا عند الله أو يكون خبيثا مذنبا . فالأول هو القول بكرامات الأولياء وقد اتفق أصحابنا على جوازه وأنكرتها المعتزلة إلا أبا الحسن البصرى وصاحبه محمود الخوارزمى . وأما الثانى وهو أن تظهر الخوارق على يد بعض من كان مردودا عن طاعة الله تعالى فيجوز أيضا وهذا وهو المسمى بالاستدراج . ثم قال : اعلم أن من أراد شيئا فأعطاه الله تعالى مراده لم يدل ذلك على كونه وجيها عنده تعالى سواء كانت تلك العطية على وفق العادة أو على خلافها بل قد يكون ذلك إكراما للعبد وقد يكون استدراجا . ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما أراد فى الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بُعدا من الله وذلك لم تقرر فى العلوم العقلية أن تكرر الأفعال سبب لحصول الملكة الراسخة فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل إلى المطلب ويزيد حصول اللذة والميل وزيادته توجب زيادة السعى ولا يزال تتقوى كل من هاتين الحالتين درجة فدرجة إلى أن تتكامل وتحصل غاية البعد فصاحب الاستدراج يستأنس بذلك ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقا لها فيحنئذ يستحق غيره وينكر عليه ويحصل له أمر من مكر الله وغفلة فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها استدراج

فإن صاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يصير خوفه من الله أشد وحذره من قهره أقوى وإن كان بحسب الواقع كرامة له ولذلك قال المحققون: أكثر الانقطاع من حضرة الله تعالى إنما وقع فى مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشد البلايا وهذا هو الفرق بين الكرامة والاستدراج.

اعلم ان للاستدراج أسماء كثيرة فى القرآن أحدها الاستدراج قال **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾** [الأعراف: ١٨٢] وثانيها المكر **﴿ومكروا ومكر الله﴾** [آل عمران: ٥٤] وثالثها الكيد **﴿إن كيدى متين﴾** [الأعراف: ١٨٣] ورابعها الخداع **﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾** [النساء: ١٤٢] وخامسها الإملاء **﴿إنما نملى لهم ليزدادوا إثما﴾** [آل عمران: ١٧٨]. وسادسا الإهلاك **﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾** انتهى.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٤٤٤، ٤٤٥).

*** الخازن (ـ٦٠٣هـ):**

ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٠٣ هـ وقال عنه:

أحمد بن أبى المعمر يحيى بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله، أبو المعالى البغدادى الخازن.

سمع الكثير من نصر بن نصر العكبرى، وابن ناصر، وابن الزاغونى، وأبى جعفر أحمد بن محمد العباسى، ومحمد بن عبيد الله الرطبى، وأقرانهم، من بعدهم، وكتب الكثير، فمما كتب: الصحيحان، ومسند أحمد، طبقات ابن سعد، وكتاب الأغانى.

وهو من بيت العدالة والرواية، وهو ابن عم الوزير عبيد الله ابن يونس.

قال ابن النجار: كتبت عنه، وكان صدوقا، حسن الطريقة، عفيفا، دينا، متوددا.

وقال الدبيثى: كان ثقة؛ سمعنا منه الكثير. وتوفى فى شعبان.

وروى عنه هو، والنجيب عبد اللطيف. وأجاز للفخر على، وأحمد بن شيبان، وجماعة.

ترجم له ابن نقطة فى التقييد، الورقة ٤٧؛ وابن الدبيثى فى تاريخه، الورقة ١٣٩ (باريس ٥٩٢١)، والمنذرى فى التكملة ٣/ ١٦٨ ـ ١٧١، وابن الساعى فى الجامع ٩/ ٢١٣ ـ ٢١٤، وابن الفوطى فى الملقبين «فخر الدين» من تلخيصه ٤ الترجمة ١٩٨٧، والذهبى فى المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبى ـ حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف. ١٨/ ١٢١).

*** الخازن (عبد الرحمن) (ـ نحو ٥٥٠ / ـ نحو ١١٥٥م):**

من علماء المسلمين فى الرياضيات والفلك.

قال عنه الزركلى: عبد الرحمن الخازن، أو الخازنى، أبو الفتح، حكيم فلكى مهندس قال البيهقى: كان غلاما روميا لعلى الخازن المروزى، فنسب إليه. حصَّل علوم الهندسة والمعقولات، وصنف «ميزان الحكمة»، و«الزيج» المسمى بالمعتبر السنجرى، نسبة إلى سلطان سنجر. وكان متقشفا بعث إليه السلطان سنجر ألف دينار فأخذ منها عشرة، ورد بقيتها وقال: يكفينى كل سنة ثلاثة دنانير، وليس معى فى الدار إلا سنور (الأعلام ٣/ ٣٠٥).

ويضيف البيهقى: وكان عبد الرحمن يأكل اللحم فى كل أسبوع ثلاث مرات، ويتغذى كل يوم بجردقين. وبعثت إليه زوجة الأمير لاحى آخور بك الكبير ألف دينار فردها أيضا. وكان يلبس لباس الزهاد، ولا يأكل إلا طعام الأبرار، والحكيم الحسين السمرقندى من جملة تلاميذه.

وله كتاب فى ميزان الحكمة، وهذا الميزان منسوب إلى أرشيمدس. وعرض عليه طالع من استخراجى فكتب عليه: أما الحساب فقد حفظ أجزاءه بالموازين، وأما الأعمال فقد ألف بينها وبين المؤامرات، وأما الأحكام فقد جمع فيها بين المنقول والمسموع والمطبوع والله تعالى يطرف عنه عين الكمال (من المجاز: فقأ الله عنك عين الكمال). ومن سعادة هذا الطالع أن مستخرجه كامل فى تلك الصناعة متصف بها والسلام. (تاريخ حكماء الإسلام/ ١٦٢، ١٦٣).

ويبسط الأستاذ قدرى حافظ طوقان القول فى الخازن ويوفيه ما يستحقه من تقدير، ويصحح الأخطاء التى أحاطت باسمه مما ننقله لك فيما يلى. قال رحمه الله:

لا أظن أن عالما أصابه الإهمال «كالخازن»، ولا أظن أن الإجحاف الذى لحق بمآثره لحق بغيره من نوابغ العرب وعباقرتهم.

فلقد أدى ذلك الإهمال وهذا الإجحاف، إلى الخلط بينه

وبين علماء آخرين فنسبت آثاره إلى غيره، كما نسبت آثار غيره إليه. وقد وقع فى هذا الخلط والخطأ بعض علماء الغرب، وكثير من علمائنا ومؤرخينا.

قال «درابير» الأميركى:

إن «الخازن» هو «الحسن بن الهيثم»، وأن ما ينسب إلى من يسمى «بالخازن»، هو على الأرجح من نتاج «ابن الهيثم».

وكذلك وقع فى الخطأ الأستاذ منصور حنا جرادف أستاذ الرياضيات العالية بجامعة «بيروت» الأميركية، فى محاضرته عن مآثر العرب فى الرياضيات والفلك، بين «الخازن» و «ابن الهيثم»، يتجلى ذلك فى قوله:

«ومن أشهر المشتغلين بالفلك، والطبيعيات فى «الأندلس»، «أبو الفتوح عبد الرحمن المنصور الخازنى الأندلسى»، الذى عاش فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد، وأوائل القرن الثانى عشر للميلاد. وألف مؤلفاته الشهيرة فى النور وآلات الرصد. وأوضح مقدار الانكسار، وألف فى الفجر والشفق، وعين ابتداء كل منهما وقت بلوغ الشمس ١٩ درجة تحت الأفق».

ونحن هنا أمام خطأين:

الأول: فى اعتبار الخازن من «الأندلس» وهو فى الحقيقة من «مرو»، من أعمال «خراسان».

والثانى: فى أن المآثر التى أوردها الأستاذ ليست «للخازن»، بل هى من نتاج «ابن الهيثم».

وأكبر الظن أن ما وقع فيه الأساتذة والعلماء من أخطاء، يعود إلى الوضع الأفرنجى للاسمين، فأكثر الكتب الأفرنجية حين تكتب «الحسن بن الهيثم» تكتبه "AL - Hazin"، وحين تكتب الخازن تكتبه "AL- Khazin"، فظن كثيرون أن هذين الاسمين هما لشخص واحد، ولم يدققوا فى حروفهما، مما أدى إلى التباس الأمر عليهم ووقوعهم فى الخلط والخطأ.

وسنحاول فى هذه الترجمة أن نبين مآثر «الخازن» فى علم الطبيعة "Physics"، وأثره فى بعض بحوثها، جاعلين نصب أعيننا إنصاف عالم، هو من مفاخر الأمة العربية، ومن كبار عباقرتها، من الذين عملوا على إنماء شجرة المعرفة، وساهموا فى خدمتها ورعايتها.

و «الخازن» من علماء النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد، وهو «أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى»، المعروف «بالخازن».

«نشأ فى مرو»، أشهر مدن «خراسان» ودرس فيها، وعلى علمائها نبغ، ولمع فى سماء البحث والابتكار.

اشتغل بالطبيعة، ولا سيما بحوث الميكانيكا، فبلغ الذروة، وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب.

كما وفق فى عمل زيج فلكى سماه « الزيج المعتبر السنجرى» نسبة إلى السلطان «سنجر»، وفيه حسب مواقع النجوم لعام ١١١٥ ـ ١١١٦م.

وجمع أرصادا أخرى هى فى غاية الدقة، بقيت مرجعا للفلكيين مدة طويلة. ومن الغريب أن قنصل روسيا فى «تبريز»، فى منتصف القرن الماضى، عثر صدفة على كتاب «ميزان الحكمة»، وقد كتب عنه عدة مقالات فى إحدى المجلات الأميركية. ولعل العلماء الألمان أكثر العلماء اعتناء بآثار «الخازن»، فنجد فى رسائل للأستاذ «ويدمان Wiedman»، فصولا مترجمة عن «ميزان الحكمة»، وقد استوفت بعض حقها من البحث والتعليق، كما نجد فى رسائل غيره، مقتطفات من محتويات الكتاب المذكور، دللوا فيها على فضل «الخازن» فى علم الطبيعة.

ولا بد لى فى هذا المجال، من إبداء دهشتى لعدم نشر فصول هذا الكتاب النفيس فى كتاب خاص، ولا أدرى سببا لهذا. ولعل السؤال الآتى يتبادر إلى غيرى أيضا، لماذا نشرت بعض محتويات الكتاب وأهملت الأخرى؟

ليس لىَ أن ألوم علماء أوروبا أو غيرهم فى ذلك، فلقد قاموا بواجبهم نحو «الخازن» أكثر منا، وعرفوا فضله قبلنا، ولا أكون مبالغا إذا قلت إنه لولا قنصل روسيا «N. Khanikoff»، وبعض المنصفين من المستشرقين والباحثين، لما عرفنا شيئا عن «الخازن»، ولما كان فى الإمكان نشر هذه الترجمة.

وقد يكون الأستاذ مصطفى نظيف، أول عربى أشار إلى بعض محتويات كتاب «ميزان الحكمة» فى كتاب: «علم الطبيعة تقدمه ورقيه...»، ولكنه لا يذكر شيئا عن المؤلف، بل ولا يذكر أنه «الخازن» ويقول:

«والكتاب لا يعلم مؤلفه . . » ثم يردف هذا القول : إن «درابر» يرجح أنه من تأليف «الحسن بن الهيثم» .

وأظن أن ترجمتنا هذه : أول ترجمة تظهر فى كتاب تبحث فى «الخازن» ، وتزيح الستار عن آثاره وتفيه بعض حقه . والذى أرجوه أن تثير كتابتنا عن «الخازن» ، أساتذة كليات العلوم فى مصر ، فيعملون على إنصاف «الخازن» ونشر مآثره بين المتعلمين والمثقفين ، فهم أولى الناس بذلك وأحق من غيرهم بالقيام بهذا العمل الجليل ، ولنا من حماستهم للتراث العربى والإسلامى ، ما يدفعنا إلى لفت أنظارهم إلى حياة «الخازن» الحافلة المليئة بالإنتاج ، التى أحاطها الإهمال من كل جانب .

(هذا ما نشرناه فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب أبقيناه على نصه . وأخيرا توفق السيد فؤاد جميعان فى الحصول على مخطوط «الميزان الحكمة للخازن» فنقله مع شىء من الشرح ، وظهر سنة ١٩٤٧ فى كتاب تحت اسم «ميزان الحكمة» . وقد وضعنا (مقدمته) بناء على طلب السيد جميعان) .

وضع «الخازن» كتابا فى الميكانيكا سماه «كتاب ميزان الحكمة» ، وهو الأول من نوعه بين الكتب القديمة العلمية القيمة ، وقد يكون هو الكتاب الوحيد المعروف ، الذى يحتوى على بحوث مبتكرة جليلة لها أعظم الأثر فى تقدم الإيدروستاتيكا .

وقد قال عنه الدكتور «سارطون» :

«إنه من أجلّ الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات ، وأروع ما أنتجته القريحة فى القرون الوسطى . . » .

والذى يطلع على بعض مواد هذا الكتاب ، تتجلى له عبقرية «الخازن» ، وبدائع ثمرات التفكير الإسلامى والعربى .

واعترف «بلتن» فى أكاديمية العلوم الأمركية بما لهذا الكتاب من الشأن ، فى تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند العرب .

لا يجهل طلاب الطبيعة : أن «توريشللى» بحث فى وزن الهواء وكثافته والضغط الذى يحدثه ، وقد مر على بعضهم فى تاريخ الطبيعة أن «توريشللى» المذكور لم يسبق فى ذلك . وأنه أول من وجه النظر إلى مثل هذه الموضوعات ، وبحث فيها وأشار إلى منزلتها وشأنها .

والواقع غير هذا ؛ فلقد ثبت من كتاب «ميزان الحكمة» ، أن من بين المواد التى تناولها البحث مادة الهواء ووزنه . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أشار إلى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل ، وإن وزن الجسم المغمور فى الهواء ، ينقص عن وزنه الحقيقى ، وأن مقدار ما ينقصه من الوزن ، يتبع كثافة الهواء .

وبيّن «الخازن» أيضا : أن قاعدة «أرخميدس» ، لاتسرى فقط على السوائل كما تسرى على الغازات . وأبدع فى البحث مقدار ما يغمر من الأجسام الطافية فى السوائل .

ولا شك فى أن هذه البحوث ، هى من الأسس التى بنى عليها العلماء الأوروبيون ــ فيما بعد ــ بعض الاختراعات الهامة : كالبارومتر ، ومفرغات الهواء ، والمضخات المستعملة لرفع المياه .

ولسنا هنا ننتقص من قدر «توريشيللى» و «باسكال» و«بويل» ، وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم «الإيدروستاتيكا» خطى واسعة ؛ ولكن مانريد إقراره هو : أن «الخازن» قد ساهم فى وضع بعض مباحث علم الطبيعة ، وأن له فضلا فى هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده . وقد توسعوا فى هذه الأسس ووضعوها فى شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها .

وبحث «الخازن» فى الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة ، واعتمد فى ذلك على كتابات «البيرونى» وتجاربه فيها ؛ وعلى آلات متعددة ، وموازين مختلفة ، استعملها لهذا الغرض .

واخترع «الخازن» ميزانا لوزن الأجسام فى الهواء والماء ، وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرج .

ويقول «بلتن» : إن الخازن استعمل «الأيرومتر» ، لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل . . . . .

ومن الغريب أن تجد : أن الكثافات لكثير من العناصر والمركبات التى أوردها فى كتابه ، بلغت درجة عظيمة من الدقة لم يصلها علماء القرن الثامن عشر للميلاد .

وتقدم «الخازن» ببحوث الجاذبية بعض التقدم ، وأضاف إليها إضافات لم يعرفها الذين سبقوه .

ويتجلى من كتاب «ميزان الحكمة» أيضا: أن «الخازن» قال بقوة جاذبة على جميع جزيئات الأجسام، وأن هذه القوة هي: التي تبين صفة الأجسام، وهذه - كما لا يخفى - نظرية هامة ومفيدة فى التحليل الكيميائى، وهى مفتاح لعديد من خفايا الطبيعة.

وكذلك أوضح الخازن أن الأجسام تتجه فى سقوطها إلى الأرض، وقال: إن ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الأجسام فى اتجاه مركز الأرض.

ويرى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز جاء فى كتاب «علم الطبيعة» - تقدمه ورقيه - للأستاذ مصطفى نظيف: «... ومما يثير الدهشة؛ أن مؤلف كتاب «ميزان الحكمة» كان يعلم العلاقة الصحيحة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض، والبعد الذى يقطعه، والزمن الذى يستغرقه. وهى العلاقة التى تنص عليها القوانين والمعادلات، التى ينسب الكشف عنها إلى «غاليلو» فى القرن السابع عشر للميلاد ...»

وعلى الرغم من التحريات العديدة، لم أتمكن من العثور على المقتطفات التى تنص على العلاقة بين السرعة والبعد والزمن فى المصادر التى بين يدى، سواء العربية منها أو الإنكليزية، ولهذا: فمن الصعب أن أحكم على صحة ما جاء عن «الخازن» بشأن هذا العلاقة. وأظن أن العلاقة التى عرفها «الخازن» والتى وردت فى كتابه - وهى العلاقة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو الأرض، والبعد الذى يقطعه، والزمن الذى يستغرقه - لم تكن صحيحة ودقيقة بالدرجة التى تنص عليها معادلات «غاليليو»، ولكنها قد تكون صحيحة إلى درجة، ودقيقة إلى حد.

وأجاد فى بحوث مراكز الأثقال، وفى شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع بها؛ وقد أحاط بدقائق المبادىء التى عليها يقوم اتزان الميزان والقبان، واستقرار الاتزان، إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام فى الهواء والماء كما مر بنا.

ومن كتاب «ميزان الحكمة»، يتبين كذلك: أن العرب فهموا فعل «الشرقة» وسببها. ووضع الماء فى أنابيب شعرية، لها فتحة واحدة. كما تتجلى الدقة التى وصل إليها على سر العرب فى صنع الموازين، لقياس كثافة الأجسام، وبوساطتها عرفوا الأحجار الكريمة، وميزوها عن أشباهها وملوناتها.

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من مآثر «الخازن»، بعد الرجوع الى مصادر عديدة، ونرجو أن تكون هذه الترجمة حافزا لغيرنا للاعتناء بتراث هذا العالم العربى، الذى ترك ثروة علمية ثمينة للأجيال؛ كما نأمل أن تدفع بعض المنصفين من الباحثين والمؤرخين، إلى الاهتمام برفع الإجحاف الذى أصابه، والعمل على إزالة الغيوم المحيطة بنواح أخرى من ثمرات قريحته الخصبة المنتجة (تراث العرب العلمى/ ٣٥٠ - ٣٥٥).

(الأعلام للزركلى ٣/ ٣٠٥، وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى - عنى بنشره وتحقيقه محمد كرد على / ١٦٢، ١٦٣، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٣٥٠ - ٣٥٥. أنظر ايضا «تراث المسلمين فى ميدان العلوم» د. محمد جمال الدين الفندى. دراسات فى الحضارة الإسلامية م ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤، و«من عباقرة العلوم التطبيقية فى الحضارة الإسلامية العربية» - د. محمود فيصل الرفاعى مجلة الفيصل. العدد (١٩٠) ربيع الثانى ١٤١٣ هـ - أكتوبر ١٩٩٢م/ ٤٩).

*** الخازن (على بن محمد) (٦٧٨-٧٤١ هـ / ١٢٨٠-١٣٤١م):**

على بن محمد بن إبراهيم الشيحى علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادى الأصل، نسبته إلى «شيحة» بالحاء المهملة من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها (نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى). وتوفى بحلب.

له تصانيف، منها لباب التأويل فى معانى التنزيل» فى التفسير يعرف بتفسير الخازن (يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية ويأتى بيانه فيما بعد) و «عدة الأفهام فى شرح عمدة الأحكام» مخطوط فى فروع الشافعية، و «مقبول المنقول» مخطوط، الجزء السابع منه، وهو فى عشر مجلدات، فى الحديث. (الأعلام ٥/ ٥).

وفيما يلى بيان مخطوط «لباب التأويل فى معانى التنزيل» كما ورد فى فهرس مخطوطات الظاهرية وهو كما علمت من زيارتى الأخيرة للدار بدمشق قد نقل مع باقى المخطوطات إلى مكتبة الأسد بدمشق:

لباب التنزيل فى معانى التنزيل «تفسير الخازن»

النسخة الأولى ـ الجزء الأول

الرقم ٥٠٧ تفسير ١١١

المؤلف: علاء الدين أبو محمد على بن محمد بن إبراهيم الشيحى البغدادى الصوفى المعروف بالخازن والمتوفى سنة ٧٤١ هـ.

أوله: الحمد لله الذى خلق الأشياء فقدرها تقديرا، وصور الأشياء فأحسنه تصويرا ومنحه العقل وجعله سميعا بصيرا، وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا ... وبعد: فإن الله جل ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين.

آخره: «وإنه لغفور» يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته. «رحيم» يعنى بجميع خلقه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تم الجزء الأول من كتاب لباب التأويل فى معانى التنزيل. أول الجزء الثانى فى تفسير سورة الأعراف وكان الفراغ من تعليقه فى يوم السبت المبارك رابع عشر صفر الخير من شهور عام ستة وماية وألف من هجرة من له التشريف عليه أفضل الصلاة والسلام على يد فقير رحمة ربه ... عيسى بن موسى السفارى بلدا المالكى مذهبا المصرى وطنا.

أوصاف المخطوط: نسخة عادية من بداية القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد فيه أخطاء كثيرة. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر.

الورقة الأولى تالفة ومرممة، بعض الأوراق مصابة بالرطوبة، على الورقة الأولى ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب دستور الإعلام بمعارف الأعلام، وقيد وقف الوزير سليمان باشا على مدرسته، الغلاف من الجلد المزخرف. ومحلى بالنقوش المذهبة وهو بحالة جيدة.

٣٧٨ ق ٢٩,٥ × ٢٠ م ٣٣ س

النسخة الأولى ـ الجزء الثانى

الرقم ٥٠٨ تفسير ١٢٢

أوصاف المخطوط: جزء النسخة السابقة يبدأ بتفسير أول سورة الأعراف وينتهى بتفسير آخر سورة الفرقان، وقد كتبه عيسى بن موسى الشعارى المالكى فى الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ألف وماية وستة عشر [وست عشرة] من الهجرة النبوية. كتب الجزء بخط معتاد فيه أخطاء نحوية وإملائية، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أصيبت النسخة بالرطوبة، وانفرطت أوراقها، على الورقة الأولى قيد وقف الوزير سليمان باشا للكتاب على طلبة العلم فى مدرسته. الغلاف من الجلد المزخرف.

٤٤٠ ق ٢٩,٥ × ٢٠ م ٣٣ س

النسخة الأولى ـ الجزء الثالث

الرقم ٥٠٩ تفسير ١١٣

أوصاف المخطوط: الجزء الأخير من النسخة السابقة يبدأ بتفسير أول سورة الشعراء وينتهى بتفسير آخر الكتاب، كتبه بخط معتاد ردىء فيه أخطاء إملائية ونحوية. كتبه عيسى بن موسى الشعارى المالكى فى ربيع الآخر سنة ١١١٨ هـ.

أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر.

الأوراق الأولى مصابة بالرطوبة دون أن تتأثر الكتابة.

على الورقة الأولى قيد وقف الوزير سليمان باشا على طلبة العلم فى مدرسته، الغلاف من الجلد المزخرف.

٣٥٩ ق ٢٩,٥ × ٢٠ م ٣٣ س

النسخة الثانية ـ الجزء الأول

الرقم ٣٧٠٠

آخره: ﴿وإنه لغفور﴾ يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته ﴿رحيم﴾ يعنى لجميع خلقه. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تم الجزء الأول من كتاب لباب التأويل فى معانى التنزيل يتلوه إن شاء الله فى أول الجزء الثانى أول سورة الأعراف ... تبدأ بأول الكتاب وتنتهى بتفسير آخر سورة الأنعام.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى جيد. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر. خرمت من أولها مقدار اثنتين وثلاثين ورقة، وقد عوض النقص بخط مشابه للأصل. على الورقة الأولى خاتم وقف المرحوم السيد عبد الله بن كمال الكزبرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف بنقوش جميلة ولكنه ممزق.

٤٠٢ ق ٣٠ × ٢٠ م ٣٣ س

النسخة الثانية ـ الجزء الثانى

الرقم ٣٧٠١

أولـه : تفسير سورة الأعـراف : مكيـة روى ذلك عن ابن عباس، وبـه قال الحسن ومجاهد وعكـرمة وعطاء وجـابر بن زيد وقتـادة، وروى عن ابن عباس أيضا أنهـا مكية إلا خمس آيات.

آخره : ﴿هو مولاكم﴾ أى وليكم ونـاصركم وحـافظكم، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أى الناصر لكم والله أعلم بمراده وأسرار كتـابه. تم الجـزء الثانى ... ويليـه الجزء الثـالـث وهو تفسير سـورة قد أفلح المؤمنـون، وهو آخر الأجـزاء من تفسير الخازن.

أوصـاف المخطـوط : نسخـة من القـرن الثـانـى عشـر الهجرى، تبدأ بسورة الأعراف وتنتهى بتفسير آخر سورة الحج، كتبت بخط نسخي جيد، أسمـاء السور وآيات القـرآن الكريم مكتوبة بالأحمـر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر. بـدأ الحبر يحتـرق فى بعض الأوراق. على الـورقة الأولى قيـد تملك بـاسم وجيه المـؤيد العظـم بن أحمد بن نصـوح باشـا العظم زاده، ثم قيـد وقف السيد عبـد الله بن كمـال الكزبـرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف.

٣٩٦ ق ٣٠ × ٢٠ م ٣٣ س

النسخة الثانية ـ الجزء الثالث

الرقم ٣٧٠٢

أولـه : تفسيـر سورة المـؤمنين، وهى مكيـة، وهى مـاية وثمانى عشرة آية وألف وثمانماية وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وثمانماية وحرفان.

آخـره : آخر كتـاب لباب التأويـل فى معانى التنـزيل. تم بحمد الله وعـونه فى يوم الجمعـة المبارك ثانى عشـر جمادى الآخرة من شهـور سنة ألف ومـاية واثنين وعشـرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة ...

أوصاف المخطـوط : الجزء الثالث من النسخة السـابقة، كتبت بخط نسخي جيد، أسمـاء السور وآيات القـرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر عدا الصفحة الأولـى والثانية فقـد رسم إطاراهمـا بالـذهب، على الـورقة الأولى قيـد تملك باسم وجيـه بن أحمد المـؤيد سنـة ١٣١٧ وقيد آخر باسم عبد اللطيف بن عبد القادر، وقيد وقف باسم السيد عبد الله بن كمال الكزبرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف (فهرس الظاهرية ٣ / ٣٨٠ — ٣٨٤).

(الأعلام للزركلى ٥ / ٥، وفهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية. علوم القـرآن الكريم ـ التفسيـر ـ وضعه صـلاح محمد الخيمى ٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨٤).

*** الخازندار:**

الخازن : كاتب يتولى خزن الغلات وصرفها وعليه سداد ما يعجـز من عهـدتـه. وقد يضـاف إليهـا اللفظ الفـارسى «دار» فتكون «الخازندار»، وهو الذى يتولى أعمال خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما وفى عهدته ما بها من أموال وغلال.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١١٣ عن صبح الأعشى للقلقشنـدى ٥ / ٤٦٢، ٤٦٣ وقـوانين الـدواوين لابن مماتى / ٣٠٦).

*** الخازندار (جامع ـ) ١٢٠٣:**

قال عنه على باشا مبارك كما كان فى زمانه :

هـذا الجامع فى شـارع درب المـزين بالمـوسكى. أنشأه محمد أغا الخازندار، ولما مات دفن به، وعلى تربتة تركيبة من الرخام مكتوب عليها آية الكـرسى، وتاريخ سنة ثلاث ومائتين وألف. وهو مقام الشعائر، والناظر عليه جلبى سيد أحمد.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى بـاشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤/ ٢١١).

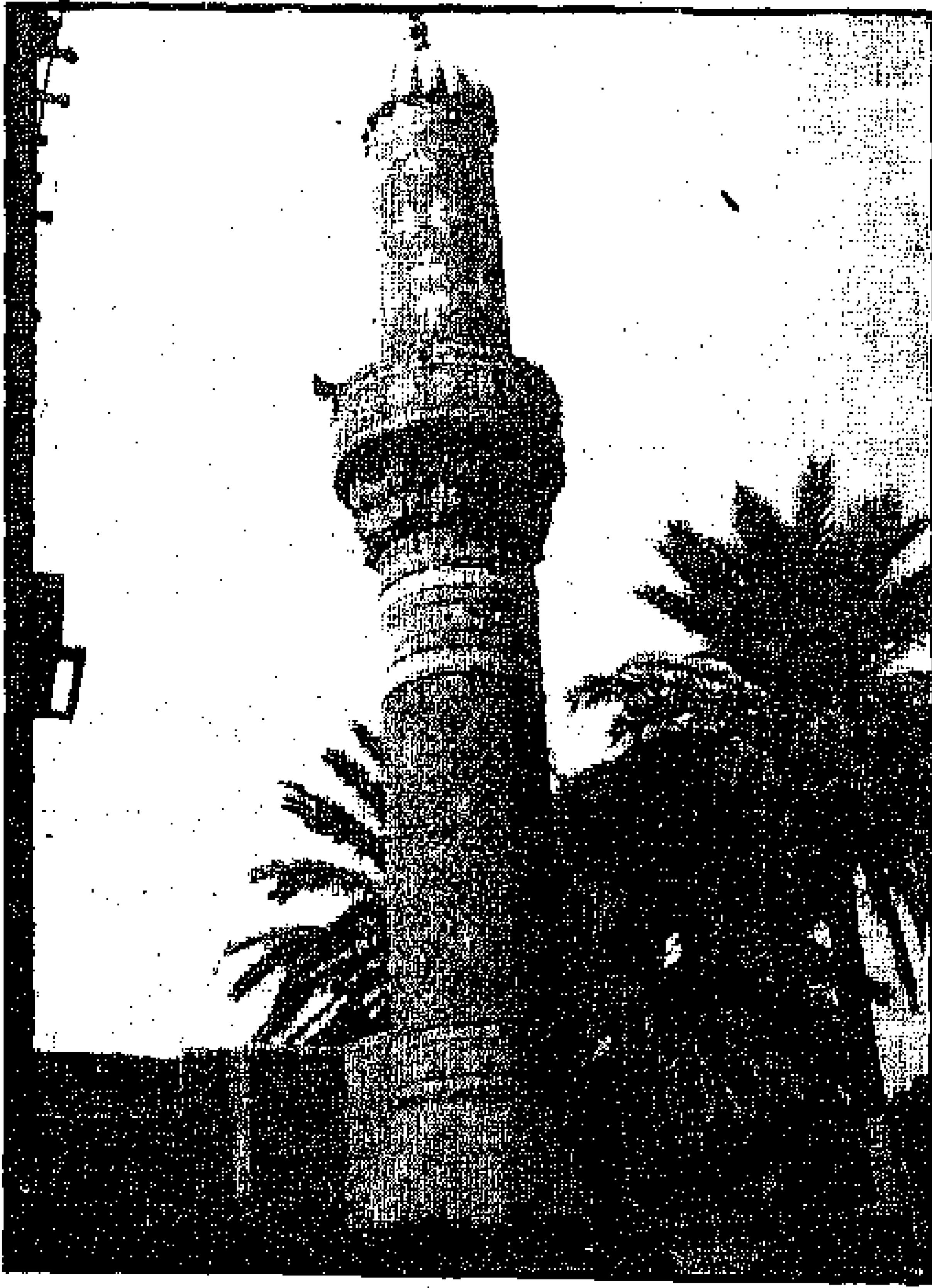
*** الخاصكى (جامع ـ):**

من جوامع العراق. يقوم هـذا الجامع اليوم فى محلة رأس القرية، وهى من محـلات بغداد الشرقية القـديمة المشهورة، وعلى درب ضيق يوصل بين شارع الـرشيد وشارع المستنصر. أمر بتشييده عام ١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٨ م محمد باشا الخاصكى فدعى باسمه. ولم تمض سنوات قليلة على إكمال بنائه حتى جدد بأمر الوزير أوزون الطـويل إبراهيم باشا. ورمم بعد ذلك مرتين مـرة عام ١٠٩٤ هـ/ ١٦٨٢م حيث جددت زخـارفه. وجدد الجـامع أيضا وكـان ذلك بأمـر محمد بك السـلامشور السلطانى، ومرة أخرى عـام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩٢ م حيث عمر

الجامع حسب رواية وردت بشأن ذلك، ويكشف بناء الجامع اليوم أن التجديدات قد شملت تغيير سقف بيت الصلاة بصورة عامة. ويحتمل جدا أن المئذنة قد أعيد تغطيتها بتشكيلات زخرفية ولكن لا نستطيع أن نحدد تاريخ هذه التغييرات حيث لم تذكر النصوص الخاصة بالتجديد أبعاد عملية التجديد هذه أو الأجزاء التى تم تجديدها. ومثل بقية مساجد بغداد أو العراق فإن التجديدات لم تغير القضايا الأساسية مثل التخطيط أو إعادة البناء بصورة تامة بل اقتصر على إعادة بناء ما قد تهدم أو إضافة أبنية جديدة فى صحن المسجد وإعادة إكساء الأجزاء التى تعرضت كسوتها إلى التخريب.

يشغل جامع الخاصكى قطعة من أرض مربعة الشكل طول ضلعها ٣٥ مترا. ويتألف من بيت للصلاة وصحن ومئذنة مثل أغلب الجوامع العراقية. وتخطيطه لا يختلف فى شيء عن بقية الجوامع المعاصرة إلا أن بشكل بيت صلاته الشتوى مربع طول ضلعه ١٥ مترا ويتألف من أسكوبين وثلاث بلاطات. أما المصلى الصيفى فمستطيل ويتكون من رواق أو أسكوب واحد ينفتح على الصحن بثلاث فتحات أيضا. ونمط تخطيط هذا الجامع يشبه تخطيط جامع النورى فى الموصل. يحتل بيت الصلاة هذه الجزء الجنوبى الغربى من أرض المسجد وشيد البناء بالطابوق والجص وهو متين المظهر سميك الجدران خصوصا بيت الصلاة حيث يبلغ سمك جدرانه ٨٠ سنتيمترا. ويغطى المصلى سقف مستو يستند إلى جسور بنائية تجلس على أربعة أعمدة أسطوانية رخامية تقسم المصلى إلى قسمين من الشمال إلى الجنوب ويلتصق أحدها فى الجدار الشمالى الغربى والآخر فى الجدار الجنوبى الشرقى. ويقسم خط الأعمدة هذا والمصلى الشتوى إلى ثلاث بلاطات وأستكوبين، كما ذكرنا، ويبلغ عرض كل من البلاطات أربعة أمتار، أما عرض كل من الأسكوبين فيبلغ ٤,٣٠ أمتار.

يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وهو مجوف ذو خمسة وجوه ويغور فى الجدار بمقدار متر واحد فقط وعقد حنيته مدبب، وهو أصيل ويحتمل جدا أن وجوهه الخمسة تشير إلى الصلوات الخمس ونجد مثل هذا المحراب فى عدد من جوامع بغداد. وبيت الصلاة يكاد يخلو من الزخارف وغطيت



(لوح ٦٣) مئذنة جامع الخاصكى

جدرانه بالجص. ويتصل المصلى الشتوى مع بيت الصلاة الصيفى عن طريق ثلاثة أبواب يتوسط أحدها الجدار الشرقى ويقع على الخط المحورى للمحراب. أما المصلى الصيفى فيطل على الصحن بثلاث بوائك ناتجة من صف من أربعة أعمدة رخامية إسطوانية مثل أعمدة بيت الصلاة الشتوى، تجلس على قواعد مربعة. وسقف بيت الصلاة لا تسنده عقود بل هو مستوى مثل سقف بيت الصلاة الشتوى وهو مجدد كما ذكرنا، وهناك محراب يجاور الباب الوسط فى هذا المصلى ويوجد مثل هذا المحراب فى معظم المساجد من هذا الطراز. ويحتضن الصحن بيت الصلاة من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية.

ومئذنة جامع الخاصكى رشيقة فى قوامها جميلة فى مظهرها، تنتصب فى الركن الجنوبى الشرقى من بيت الصلاة وتلتصق به من الخارج وهى متوسطة الطول يرتفع رأسها عن مستوى سطح الأرض ١٥ مترا فقط. ويجلس بدنها الأسطوانى الشكل على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣,٥ مترا والحقيقة أن البدن لا يجلس مباشرة على سطح القاعدة المربع بل هناك مرحلة انتقالية، كما هو الأمر فى مئذنة جامع قمرية، حيث حولت القاعدة المربعة إلى قاعدة دائرية عن طريق تحويل

الشكل المربع إلى شكل مثمن ثم دائرى. ويخترق البدن سلم حلزونى يبدأ من سطح المسجد وينتهى بحوض المئذنة الذى يتصف ببروزه الواضح عن مستوى وجه البدن وجلوسه على ثلاثة صفوف من المقرنصات الجميلة. ورقبة هذه المئذنة طويلة وغليظة نسبيا إذا ما قورنت برقاب بعض مآذن بغداد السابقة. ويتوجها رأس مقبب مضلع مدبب قليلا تبرز حافة أضلاعه قليلا عن مستوى وجه جدار الرقبة حيث يسندها صف من المقرنصات مثل رأس مئذنة جامع المرادية. والحقيقة أن هذه المئذنة قريبة الشبه فى تكوينها المعمارى وبعض عناصرها المعمارية من مئذنة جامع المرادية. ولكنها تختلف عنها فى تقنية التشكيلات الزخرفية التى تحليها (لوح ٦٣).

ومما تجدر الإشارة إلية أن مقرنصات هذه المئذنة جميلة فى تكوينها ولا تتشابه تماما مع أى من مقرنصات أحواض المآذن السابقة. فيتألف الصف الأول منها من سلسلة حنايا ذات وجوه مستوية ورؤوس بارزة جميعها إلى الأمام أيضا ولكن بمستويين مختلفين ومقرنصات الصف الثالث زوجية وفردية، متبادلة مع مقرنصات الصف الثانى حيث تعلو المقرنصة الزوجيه فى الصف الثانى مقرنصة فردية فى الصف الثالث. وتعلو المقرنصة الزوجية فى الصف الثانى مقرنصة فردية فى الصف الثالث. وتبرز رؤوسها جميعا إلى الأمام. وقد تمكن المعمار من إسناد الحوض البارز باستعمال ثلاثة صفوف من المقرنصات تبرز رؤوس جميعها تدريجيا إلى الأمام.

وأبرز ما يميز مئذنة جامع الخاصكى التشكيلات الزخرفية التى تغطى كامل البدن والحوض والمقرنصات والرقبة والرأس وجزء من وجوه المرحلة التحويلية التى تصل البدن بالقاعدة. وتتصف هذه التشكيلات بدقة تكوينها وإتقان تركيبها وتناسقها، وقد عملت من التفنن فى صف الطابوق المزجج وغير المزجج، وتتنوع الأشكال فيها ما بين مضلعات وأشكال هندسية مختلفة وكتابات كوفية فى أوضاع مختلفة تشغل أشكالا هندسية. وجعلت التشكيلات هذه بمستوى واحد واستخدام أكثر من لون فى تزجيج الطابوق. وتتوزع هذه التشكيلات على البدن بهيئة أشرطة ضيقة نسبيا تدور حول بداية البدن وتتوجه ويحصر بينها نطاق واسع يشغل ثلاثة أرباع البدن تقريبا وقد حدد الشريط الأسفل بحافتين مفتولتين بارزتين وشغل بنقشة من زخارف هندسية جميلة. أما البدن فتتكون الوحدة الزخرفية الأساسية فيه من صلبان معقوفة متصلة الأذرع مع بعضها حددت حافاتها بسلاسل من قطع طابوق مربعة مزججة ونثرت أشكال هندسية فى مناطق معينة من هذه التشكيلة وبلون أبيض يتباين بإشراق مع لون حافات الأشكال الصليبية التى جعلت زرقاء نيلية. ويتوج تشكيلات البدن شريط عريض نسبيا إذا ما قورن مع الشريط الأسفل ولكنه مشغول أيضا بنفس التشكيلات التى تشغل الشريط الأول ومحفوف بحزامين مفتولين وبارزين أيضا. وشغلت أيضا حنايا المقرنصات بتشكيلات زخرفية مصنوعة من التفنن فى صف الطابوق المزجج. وأجمل هذه التشكيلات تلك التى تزين الحوض حيث تداخلت الأشكال الهندسية وشغلت ذات الأشكال النجمية الثمانية منها بخط كوفى جميل فى أوضاع مختلفة وتغطى الرقبة نفس الوحدة الزخرفية التى تشغل نطاق البدن ولكن الصلبان المعقوفة نتجت عن خط حافة واحدة لا حافتين وبنفس تقنية نطاق البدن. كما شغلت الفراغات بين امتدادات أذرع هذه الصلبان بنقشة هندسية بلون مزجج أبيض تختلف عن تلك التى تزين نطاق البدن. ويتوج الرقبة شريط مشغول بكتابات بخط كوفى جميل. أما مقرنصات الرأس وأضلاعه فمغطاة أيضا بتحلية زخرفية ناتجة من التفنن فى صف الطابوق.

ومدخل هذا الجامع يقع فى الجدار الجنوبى الشرقى وبناؤه مستطيل الشكل وواجهته مزينة بعقد مطول مفتول مؤطر بشريط مستطيل بارز قليلا عن مستوى وجه العقد ومزين بوحدات زخرفية هندسية. (العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ١/ ٢٤٣-٢٤٨).

* **خاصكى سلطان (بيمارستان -):**

بيمارستان باستانبول، أنشىء سنة ١٥٣٩م (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام - د. أحمد عيسى/ ٢٧٨).

* **الخاطر:**

من اصطلاحات الصوفية

وهو مايرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذى لا تعمُّل للعبد فيه وما كان خطابا فهو على أربعة أقسام: ربانى وهو أول الخواطر ويسميه سهل (هو سهل بن عبد الله

التسترى) السبب الأول ونقر الخاطر وهو لا يخطىء أبدا. وقد يعرف بالقوة والتسلط. وعدم الاندفاع بالدفع؛ وملكى وهو الباعث على مندوب أو مفروض وفى الجملة كل مافيه صلاح ويسمى إلهاما. ونفسانى وهو مافيه حظ للنفس ويسمى هاجسا. وشيطانى وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق قال تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] وقال ﷺ: «لمة الشيطان تكذيب بالحق وإيعاد بالشر» (أخرجه الترمذى والنسائى وابن حبان عن ابن مسعود وهو حديث صحيح الجامع الصغير، للسيوطى ١/ ٩٥)ويسمى وسواسا ويعبر بميزان الشرع بما فيه قربة فهو من الأولين وما فيه كراهة أو مخالفة شرع فهو من الآخرين.

ويشتبه فى المباحات فما هو أقرب إلى مخالفة النفس فهو من الأولين وما هو أقرب إلى الهوى وموافقة النفس فهو من الآخرين. والصادق الصافى القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله وتوفيقه.

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كما الدين عبد الرزاق القاشانى - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر — ١٥٨، ١٥٩).

* **الخافض الرافع جل جلاله:**

هما من أسماء الله الحسنى التى لا يطلق أحدهما عليه تعالى إلا مقترنا بما يقابله، وقد أوضحنا ذلك فى مادة «أسماء الله الحسنى» فى م ٤/ ٤٧٥ فانظره فى موضعه.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى: الخافض الرافع

هو الذى يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنين بالإسعاد ... يرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد. ومن يرفع مشاهدته عن المحسوسات والمتخيلات، وإرادته من ذميم الشهوات ــ فقد رفعه إلى أفق الملائكة المقربين. ومن قصر مشاهدته على المحسوسات، وهمته على ما يشاركه فيه البهائم من الشهوات ـ فقد خفضه إلى أسفل السافلين. ولا يفعل ذلك إلا الله تعالى؛ فهو الخافض الرافع.

[تنبيه]: حظ العبد من ذلك أن يرفع الحق، ويخفض الباطل. وذلك بأن ينصر المحق، ويزجر المبطل. فيعادى أعداء الله ليخفضهم، ويوالى أولياء الله ليرفعهم. ولذلك قال تعالى لبعض أوليائه: «أما زهدك فى الدينا فقد استعملت به راحة، وأما ذكرك إياى فقد تشرفت بى. فهل واليت فىّ وليًّا؟ وهل عاديت فىّ عدوا؟.»

(تمام الحديث: «أوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك فى الدنيا فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلى فتعززت بى، فماذا عملت فيما لى عليك؟ قال: يا رب: وماذا لك على؟ قال: هل عاديت فى عدوا؟ أو هل واليت فى وليا. رواه أبو نعيم فى الحلية، والخطيب فى التاريخ، عن ابن مسعود انظر ضعيف الجامع الصغير). (المقصد الأسنى/ ٨٢، ٨٣).

ويقول الإمام الفخر الرازى فى تفسير اسمى الله تعالى الخافض الرافع:

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ [المجادلة: ١١] والخفض والرفع معناهما معلوم. فإن كانا فى الدين فهما الإضلال والإرشاد، إما فى المعرفة أو فى الطاعة، وإن كانا فى الدنيا فهما إعلاء الدرجات وإسقاطها، ومنه قوله تعالى فى صفة القيامة ﴿خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ٣] أى خافضة للكفار فى أسفل الدركات، ورافعة للأبرار أعلى الدرجات.

واعلم أنا إن حملنا الرفع والخفض على هذا كانا من صفات الأفعال، ومنهم من فسرهما بالذم والمدح، وعلى هذا المعنى يكونان من صفات الذات.

رأى المشايخ فى هذين الاسمين: أما المشايخ فقالوا: خفض قوما لأنه ذكرهم فى الأزل بالإهانة، ورفع آخرين لأنه ذكرهم بالإعانة.

أما حظ العبد: فهو أن يرفع جانب الروح، ويخفض جانب النفس، أو ينصر أولياء الله، وينازع أعداء الله (شرح أسماء الله الحسنى/ ٢٣٦، ٢٣٧).

وقد أورد الشيخ أحمد عبد الجواد كلا من الاسمين على حدة، فقال عن «الخافض جل جلاله»:

الخافض جل جلاله: هو اسم من أسماء الله الحسنى.

وقد وردت فى القرآن الكريم معانى لاسم الله «الخافض جل جلاله»:

وقال الله تعالى: ﴿يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن﴾[الرحمن: ٢٩] أى أنه يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قوما ويضع آخرين.

ولذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقوله الكريم:

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وكذلك نبه الله جل جلاله عباده إلى البر بالوالدين.

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقد ذكر الله سبحانه بقوله الكريم: ﴿إذا وقعت الواقعة* ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

تنبيها لعباده بأنه إذا قامت القيامة فهى تخفض أقواما بدخولهم النار وترفع أقواما بدخولهم الجنة.

وحظ العبد من اسم ربه (الخافض جل جلاله): قالوا من قرأه خمسمائة مرة قضيت حاجته وكفى ما أهمه، ومن كرره ألف مرة أمن من جميع الأعداء، والله أعلم.

ثم قال عن «الرافع جل جلاله» وهو الاسم الرابع والعشرون من أسماء الله الحسنى.

الرافع جل جلاله: هو اسم من أسماء الله الحسنى التي وردت فى حديث النبى ﷺ فى كتابنا.

وقد ورد فى القرآن الكريم ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥].

ومعناه عظيم الصفات المستحق لدرجات المدح والثناء وليس لأحد من خلقه هذه الصفة وهو من الذى يرفع أولياءه ويعزهم وينصرهم.

ومن اسم «الرافع جل جلاله» اشتق الرفع.

قال الله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣]

قال الله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]

أى أنه جل جلاله رفع ذكر النبى ﷺ فى الأرض وفى السماء.

وقال الله تعالى: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ [مريم: ٥٧]

أى أن الله تعالى رفع نبيه «إدريس» عليه السلام بعد موته إلى السماء الرابعة أو ما فوقها.

وقال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقد نبه الله عباده بقوله الكريم: تكريما لنبيه ﷺ:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [الحجرات: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]

كما أنه سبحانه وتعالى وصف لنا الجنة بقوله الكريم: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ [الغاشية: ١٣]

﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة: ٣٤]

فسبحانه من إله عظيم ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ يرفع قوما ويخفض آخرين.

وحظ العبد من اسم ربه «الرافع جل جلاله» أن يدعو به الداعى لرفع شأنه وذكره وإعلاء قدره مع المقربين الشهود.

وقالوا: من قرأه سبعين مرة أمن من الظلمة والمتمردين.

ومن قاله أربعمائة وأربعين مرة فى يوم الإثنين أو فى ليلة الجمعة بعد المغرب أو بعد العشاء كانت له هيبة بين الخلائق. والله أعلم (ولله الأسماء الحسنى/ ٧٣-٧٦).

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت/ ٨٢، ٨٣، وشرح أسماء الله الحسنى، وهو الكتاب المسمى «لرامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد/ ٢٣٦، ٢٣٧، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد، قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على/ ٧٣ - ٧٦).

* الخافضة الرافعة (يوم-):

قال الإمام القرطبى فى تذكرته: الخافضة الرافعة أى ترفع قوما فى الجنة وتخفض آخرين فى النار، والخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة والعز والإهانة،

ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب فى إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفى التنزيل ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده، فرفع أولياءه فى أعلى الدرجات وجعل أعداءه فى أسفل الدركات قال الله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] وقال ﷺ فى حديث جابر رضى الله عنه «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس» قال ابن العربى وهذا حديث فيه تخليط فى كتاب مسلم لم يتقنه راويه، ومعناه: أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمدا ﷺ وأمته فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنه، وفى رواية: أكون أنا وأمتى يوم القيامة على تل فيكسونى ربى حلة خضراء، ثم يؤذن لى فذلك المقام المحمود.

أنواع الرفع

قلت: وهذا الرفع فى المكان بحسب الزيادة فى المكانة. قال ابن العربى: وهى أنواع فرفع محمدا ﷺ بالشفاعة فى أول الخلق وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها، ورفع العادلين بالحديث الصحيح «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم. «يقال: اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» وسيأتى ورفع الشهداء فقال فى الحديث الصحيح «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله» الحديث، ورفع كافل اليتيم فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد فى الجوار وقال ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغائر فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» ورفع عائشة على فاطمة رضى الله عنهما، فإن عائشة مع النبى ﷺ وفاطمة مع على رضى الله عنهما.

(التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى - حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر. ط دار الغد العربى / ٢٦٧، ٢٦٨).

*** الخاقان:**

تعريب لقب «قاغان» التركى الذى كان يطلق على ملوك من تسموا بالأتراك فى القرنين السادس والسابع من الميلاد. وأصل اللقب «قان قان» أى «قان القان» أو «قان القانات».

وقد دخل هذا اللقب فى الإسلام فأطلق على رؤساء الترك من المسلمين. ومن أقدم استعمالاته على النقود الإسلامية وروده على سكة من بخارى يغلب على الظن أنها من عصر الأمين أو المأمون؛ وربما أشار اللقب فيها إلى عاهل إحدى قبائل التغزغز فيما وراء النهر.

واستمر هذا اللقب يطلق على خانات تركستان، وينقش على نقودهم. ومن أمثلة ذلك وروده على سكة بتاريخ سنة ٤٠٤ هـ من بخارى تحمل اسم القادر بالله ويرمز اللقب فيها إلى شرف الدين توغان أو أحمد بن على من خانات تركستان، وعلى قطعتين من العملة بتاريخ سنة ٤٠٥ هـ: إحداهما من بخارى كذلك، والأخرى من الصغد، وهى خاصة بأحمد بن على؛ وعلى سكة بتاريخ سنة ٤٥٧ هـ من أوزكند خاصة بتنغج خان إبراهيم؛ وكذلك على سكة خاصة بأحمد الثانى ابن خسروخان (سنة ٤٧٢ - سنة ٤٨٨ هـ).

وقد انتقل هذا اللقب مع الأتراك الذين استأثروا بالسيادة فى بعض نواحى العالم الإسلامى فأطلق على علاء الدولة أبى سعد مسعود فى نص إنشاء من سنه ٥٠٨ هـ على برج مسعود فى غزنة، وعلى أبى الفتح طغرل السلطانى فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٤٠ هـ فى بارى دركاه فى بهار فى الهند؛ كما ورد فى نص إنشاء من سنة ٦٧٠ هـ فى جوك مدرسة فى سيواس فى تركيا: «اللهم أيد وانصر عبدك وخليفتك السلطان الأعظم والخاقان المعظم، مولى ملوك العرب والعجم، ظل الله فى العلم، أدام الله دولته وسلطنته إلى يوم القيامة».

وفى عصر ملوك المغول صار لقب «خاقان» أو «قان» يطلق على رئيس الأسرة المغولية صاحب السيادة العليا على كافة ولاة المغول فى أنحاء العالم، بينما تلقب الولاة الفرعيون بلقب «خان» (انظر «الخان»). وقد أطلق هذا اللقب على مانجو أحد الخانات العظام فى سكة من استراباد؛ ثم استعمل بعد ذلك للمغول فى إيران، والتيمورية كما تشير إلى ذلك نقودهم.

هـذا وقـد دخل هذا اللقب مصر فى عصر المماليك : فأطلق كلقب فخرى على السلطان الأشرف قايتباى فى نقش بتاريخ سنة ٨٨٥ هـ فى وكالة باب النصر، وفى آخر فى وكالة السروجية وفى ثالث بصيغة النسبة : «الخاقانى» فى نص بتاريخ سنة ٩٠١ هـ فى ضريح الأمير يعقوب شاه (ست نصره) . وإطلاق هذا اللقب على سلاطين المماليك يتصل بادعائهم أحقية السيادة على العالم الإسلامى عربه وعجمه ؛ ومما له دلالته أن هذا اللقب فى النصوص السابقة الخاصة بالسلطان قايتباى كان يلحق بلقب آخر يشير إلى السيادة على العرب والعجم والترك .

وكان يغلب وصف «الخاقان» بصفات أهمها ـ «الأعظم» و «العادل» و «المعظم» . وكان يقال أيضا «خاقان البحرين» أو «الخاقان ابن الخاقان» .

وقد أطلق لقب «الخاقان» كنعت فخرى خاص على موسى بن سلم وهو جد الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وقد نعت بذلك لتقريبه الغلمان الترك

. (الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧١ ـ ٢٧٣) .

*** ابن خاقان:**

انظر: الفتح بن خاقان

*** الخاقانى (الجوسق ـ):**

انظر مادة «الجوسق الخاقانى» فى م ١٢ / ٥١٨ ـ ٥٢٥

*** خالد الأزهرى (٨٣٨ـ٩٠٥ هـ / ١٤٣٤ـ١٤٩٩م):**

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجاوى الشهير بالأزهرى أحد مشاهير علماء النحو والإعراب فى القرن التاسع الهجرى درس اللغة العربية فى رحاب الأزهر الشريف وحفظ عددا من المتون وبرع . فى عدد من الفنون وكثر النفع بتصانيفه لإخلاصه ووضوحها :

ذلك هو الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن أحمد الجرجاوى الأزهرى الشافعى وغلبت شهرته بالأزهرى إذا كان الانتساب إلى الأزهر فى ذلك الزمان شرفا يغطى على النسب الخاص للشخص ، وحتى مؤلفاته العلمية فى النحو سمى بعضها أو أضاف إليها كلمة الأزهرية تحقيقا لهذا الشرف (الكتاب التذكرى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ ـ مارس سنة ١٩٨٣ م مقال الأزهر المعجزة الجامعة الرباط لسماحة الشيخ عبد الله كنون)

مكان مولده وأصل محتده :

ولد الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى بمدينة جرجا من أعمال محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ٨٣٨ هجرية تقريبا ونشأ فى كنف والديه وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ فيها القرآن الكريم وقرأ العمدة ومختصر أبى شجاع وعمل فى شبابه بالوقادة فى الأزهر حيث كان يشعل فوانيس الزيت فى أروقة الأزهر فى ذلك العصر واستمر على أداء هذا العمل حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره .

حادثة تعرض لها غيرت مجرى حياته إلى الوجهة العلمية :

ذلك أنه بينما كان يشعل إحدى القناديل بالأزهر سقطت فتيلة على كُراس أحد طلبة العلم فهاج ذلك الطالب وشتمه وعيره بالجهل وعندئذ ترك الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى الوقادة واشتغل بطلب العلم وهو فى تلك السن المتأخرة عن وقت التحصيل وجدَّ واجتهد وبرع وصنف حتى صار من كبار علماء النحو والإعراب واللغة .

شيوخه الذين تتلمذ عليهم :

تتلمذ الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى على عدد من شيوخ الأزهر ودرس عليهم اللغة العربية ونال منهم الإجازة نذكر منهم .

١ ـ الشيخ السنهورى قرأ عليه كتب ابن الحاجب المصرى .

٢ ـ الشيخ الأمين الأقصرائى قرأ عليه كتاب العضد وحاشيته .

٣ ـ الشيخ التقى الحصنى درس عليه علوم البديع والمعانى والصرف والمنطق والأصول والبيان .

٤ ـ الشيخ على بن المجدى درس عليه علمى الفرائض والحساب .

٥ ـ الشيخ يعيش المغربى نزيل سطحه قرأ عليه فى العربية .

٦ ـ وقرأ على الجوجرى وإبراهيم العجلونى والزين الإيناسى والشيخ داود المالكى والشيخ عباس الأزهرى وغيرهم (من أعلام الأزهر / ٧٧ ـ ٧٩) .

ولازم تغرى بردى القادرى فقرره فى المسجد الذى بناه الدوادار نجان الخليلى ومشى حاله به وبغيره قليلا وتنزل فى سعيد السعداء (خانقاه نوردها فى موضعها إن شاء الله تعالى) وغيرها (الضوء اللامع ٣/ ١٧٢).

مؤلفاته العلمية:

بارك الله فى علم ودراسة الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى فألف عدة مؤلفات قيمة قاربت الخمسة عشر مؤلفا أشهرها الكتب الآتية:

١ - التصريح بمضمون التوضيح.

وهو شرح على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للعلامة ابن هشام وقد طبع هذا الكتاب بحاشية الشيخ ياسين الحليمى فى مجلدين وأثنى الإمام ابن العماد الحنبلى على هذا الكتاب فقال عنه: «إنه لم يصنف مثله» (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد)

٢ - الحواشى الأزهرية - وهو كتاب فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية فى التجويد.

٣ - المقدمة الأزهرية فى علم العربية.

وقد طبع هذا الكتاب بحاشية العلامة أبى بكر الشنوانى، كما شرحها الشيخ زين الدين منصور الطبلاوى فى كتاب العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية.

٤ - الزبدة فى شرح البردة.

وهو رسالة فى شرح قصيدة البردة التى قام بتأليفها الإمام البوصيرى وقد شرحها شرحا مفصلا ثم اختصره.

٥ - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب.

وهو شرح قواعد الإعراب لابن هشام.

٦ - شرح المقدمة الأجرومية فى كتابين.

وقد قام بتأليف ذلك الشرح بطلب من أستاذه الشيخ عباس الأزهرى وطبع الكتاب الأول بحاشية الشيخ أبى بكر الشنوانى، وطبع الثانى بحاشية الشيخ أحمد بن سلامة القليوبى.

٧ - القول السامى على كلام ملا عبد الرحمن الجامى فى النحو.

٨ - تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب وهو إعراب لألفية ابن مالك. (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد).

٩ - الألغاز النحوية.

وهو كتاب لطيف يحوى مسائل يعدها النحاة من الألغاز التى تحل بالذكاء.

١٠ - تفسير آية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥]

وفاته:

توفى الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ببركة الحاج خارج القاهرة بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام، وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٩٠٥ هجرية التى توافق سنة ١٤٩٩ ميلادية (من العلماء الرواد/ ٧٧-٨١، و «من أعلام الأزهر/ ٨٠٤-٨٠٦».

أما عن المخطوطات فيوجد مخطوط «التصريح بمضمون التوضيح» فى خزانة القرويين بمدينة فاس وجاء بيانه كما يلى:

سفر واحد ضخم بخط مشرقى المتن فيه مكتوب بالأحمر مبتور من أوائله وأواخره الموجود الآن منه: من فصل المبتدأ والخبر إلى باب التصريف عند قول ابن هشام: وللخماسى المجرد أربعة ... وبآخره ثمان أوراق من باب النسب بخط مغربى غير متصلة بالأصل (فهرس القرويين ٢/ ٣٠).

أما مخطوط كتاب «تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب» فتوجد نسخ منه فى الأماكن التالية:

١ - مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل وجاء بيانه كما يلى:

الناسخ: ابن درويش محمد على الهدرانى سنة ١٠٦٦.

ق - ٢٠ × ١٥

و - ٢٣٥ (فهرس مخطوطات الموصل ٨/ ٩١)

٢ - مكتبة لامبروزيانا بميلانو: أدرج فى الفهرس تحت الرقم التسلسلى ١٥٢ D372 وتحت عنوان «موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب».

٦٠ ورقة تقريبا كتب سنة ١١٤٣ هـ.

ووردتنا هذه الملاحظة: طبع باسم تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب (الفهرس/ ٨٥، ٨٦).

٣ - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وجاء بيان المخطوط كما يلى:

رقم الحفظ: ٢٠٨ ف. الفن: نحو. عنوان

المخطوطة: تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب. عنوان المخطوط الفرعى: تمرين الطلاب. اسم المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبى بكر، الجرجاوى، الأزهرى، اسم الشهرة: خالد الأزهرى. تاريخ. وفاته: ٩٠٥ / ١٤٩٩ م القرن ١٠ هـ / ١٥ م.

بداية المخطوطة: يقول الفقير إلى عفو ربه.. الحمد لله الذى رفع قدر من أعرب بالشهادتين ونصب الدليل على وجود ذاته. بسم جار ومجرور متعلق بمحذوف اتفاقا قدَّره البصريون.

نهاية المخطوطة: للمفعول فى موضع نص للنبى وآله معطوف على محمد.. جمع اخر نعت أول لآله والكرام جمع كريم نعت ثانى [ثان] لآلة والبررة.

نوع الخط: نسخ واضح. تاريخ النسخ: القرن ١١ هـ / ١٧ م. عدد الأسطر: ٢٩ س.

ملاحظات عامة: النسخة ناقصة من آخرها كما أن الورقة الأولى أثرت عليها الإصابة وأضاعت جزءا من النص (فهرس المصورات الميكروفيلمية / ١٧١).

(من العلماء الرواد فى رحاب الأزهر ـ المستشار محمد عزت الطهطاوى / ٧٧ ـ ٨١، و «من أعلام الأزهر فى القرن التاسع الهجرى ـ للمؤلف نفسه. مجلة الأزهر. الجزء السابع، السنة الحادية والستون، رجب ١٤٠٩ هـ ـ فبراير ١٩٨٩ / ٨٠٤ ـ ٨٠٦؛ فهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد الفاسى ٢/ ٣٠، والمدرسة الرضوانية فى النحو. فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل ـ سالم عبد الرزاق أحمد ٨/ ٩، وفهرس المخطوطات العربية فى الأمبروزيانا بميلانو، معهد المخطوطات العربية ـ وضعه د. صلاح الدين المنجد جـ ٢ ق ١ القاهرة ١٩٦٠/ ٨٥، ٨٦، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م/ ١٧١. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢/ ٢٩٧، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد طنطاوى / ٢٩٠، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١/ ١٨٨).

*** خالد أبى بهاء الدين (تكية ـ):**

من تكايا مدينة دمشق تكية خالد أبى بهاء ضياء الدين النقشبندى الدمشقي: وتقع فى الصالحية فى محلة الأكراد أقيمت له سنة ١٢٤٢ هـ بعد وفاته، وكان ذلك بأمر من السلطان عبد المجيد. واشتمل بناؤها على قبة فوق ضريحه ثم مسجد وعدد من المقصورات للمريدين المتجردين ومطبخ وبركة ماء عظيمة.

(مجتمع مدينة دمشق ـ د. مدينة دمشق ـ د. يوسف جميل نعيسة ـ/ ١٦٣).

*** خالد بن سعيد بن العاص (ـ١٤ هـ/ ـ٦٣٥ م):**

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابى من الولاة الغزاة قديم الإسلام أسلم ورسول الله ﷺ يبث الدعوة للدين سرا، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين فى الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله ﷺ يصلى معه فى نواحى مكة خاليا، فبلغ ذلك أبا أحيحة، وهو أبوه (وكان من خصوم الإسلام الأشداء) فدعاه وكلمه فى أن يدع ماهو عليه، فأبى، فضربه أبو أحيحة بعصًا كانت فى يده حتى كسرها على رأسه، ثم حبسه بمكة وضيق عليه وأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر.

ثم هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة سنه، وعاد سنة ٧ هـ، فغزا مع النبى ﷺ وحضر فتح مكة ثم وقعة تبوك. وكان يكتب للنبى ﷺ بمكة والمدينة. وهو الذى خط كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف ومشى بالصلح بينهم وبين النبى ﷺ. ثم بعثه رسول الله عاملا على اليمن، فأقام إلى أن استخلف أبو بكر فعزله عن اليمن ودعاه إليه، فجاءه، وخرج مجاهدا فشهد فتح أجنادين (قرب الرملة فى فلسطين. انظر مادة «أجنادين (موقعة ـ)» فى م ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٧) سنة ١٣ هـ، ثم شهد وقعة مرج الصفر (قرب دمشق) فقتل فيها ولعمرو بن معدى كرب قصيدة يمدحه بها (الأعلام ٢/ ٢٩٦).

وقد أورده الإمام ابن حُديدة فيمن أحصى من كُتَّاب رسول الله ﷺ، ومما قاله عنه أنه كان أول من كتب لرسول الله ﷺ، وقيل: أول من كتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ... ثم قال:

وكان سبب إسلامه أنه رأى فى المنام أنه وقف على شفير جهنم وكأن أباه يدفعه فيها ورسول الله ﷺ آخذ بحقويه لا يقع فيها؛ ففزع وقال: أحلف بالله أنها لرؤيا حق، فلقى أبا بكر فقال له ذلك، فقال له أبو بكر: أريد بك الخير، فلقى

رسول الله ﷺ بأجياد (موضع بمكة مما يلى الصفا) فأسلم؛ فعلم والده بذلك فضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ... إلخ مما سبق ذكره.

قتل خالد بأجنادين يوم السبت سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبو بكر بأربع وعشرين ليلة. وقيل: بمرج الصفر سنة أربع عشرة فى صدر خلافة عمر.

وكتب خالد بن سعيد كتابا عن رسول الله ﷺ إلى بنى عمرو ذى حمير يدعوهم إلى الإسلام - قاله ابن عبد البر والله أعلم (المصباح المضى ١/ ٩٠، ٩١).

وذكر البغوى قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، قال: حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه عن خالد بن سعيد أنه أتى النبى ﷺ، وعليه خاتم من فضه مكتوب عليه «محمد رسول الله» قال: فأخذه منى فلبسه، وهو الذى كان فى يده (انظر مادة «خاتم رسول الله ﷺ»).

وقال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد: أخبرنى أبى أن أعمامه: خالدا، وأبانا وعمرا، بنى سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا. ثم مضوا إلى الشام فقتلوا جميعا.

وكان خالد على اليمن، وأبان على البحرين، وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية. ويقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد فيها رجل من بنى سعيد بن العاص ميتا (الاستيعاب ٢/ ٤٢٢، ٤٢٣).

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٩٦، والمصباح المضى فى كتاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وعجمى للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد ابن على بن أحمد بن حديدة الأنصارى - صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ١/ ٩٠، ٩١، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢/ ٤٢٢، ٤٢٣، انظر أيضا تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - عنى بتحقيق النص وتحرير الحواشى حسام الدين القدسى ٣/ ٥٨، ٥٩).

*** خالد بن الهياج:**

أول من كتب المصاحف فى الصدر الأول، ووصف بحسن الخط، وكان سعد نصبه لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك، وخالد هذا قيل إنه هو الذى كتب عددًا من سور القرآن الكريم على جدران المسجد النبوى بالمدينة. كتب مصحفا خاصا للخليفة عمر بن عبد العزيز فأقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فرده إليه.

وذكر أن ابن الهياج من أبرز المجودين فى العصر الأموى بعد قطبة المحرر (نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش/ ٢٧٤ عن الفهرست لابن النديم/ ٩، ١٠، وتاريخ الخط العربى وآدابه/ ٣٢٥).

*** خالد بن الوليد (ـ ٢١ هـ/ ـ ٦٤٢ م):**

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلا فجعل الناس يمرون؛ فيقول رسول الله ﷺ: من هذا يا أبا هريرة فأقول: فلان. فيقول: نِعْم عبد الله هذا؛ ويقول: من هذا؟ فأقول: فلان. فيقول: بئس عبد الله هذا. حتى مر خالد ابن الوليد رضى الله عنه. فقال: من هذا؟ فقلت: خالد بن الوليد. قال: نعم عبد الله، هذا سيف من سيوف الله تعالى أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٢/ ٢٢٥).

خالد بن الوليد الصحابى رضى الله عنه مذكور فى أطعمة المهذب والطلاق والسير وحد الخمر وصلاة الخوف من الوسيط وغيرها هو أبو سليمان وقيل أبو الوليد خالد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى المخزومى سيف الله. أمه لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها ولبابة الكبرى امرأة العباس (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٢، ١٧٣).

وكان خالد أحد أشراف قريش فى الجاهلية، وإليه كانت القبة والأعنة فى الجاهلية.

فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش. وأما الإعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش فى الحروب. ذكر ذلك الزبير.

واختلف فى وقت إسلامه وهجرته، فقيل: هاجر خالد بعد الحديبية. وقيل: بل كان إسلامه بين الحديبية وخيبر. وقيل: بل كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله ﷺ من بنى قريظة. وقيل: بل كان إسلامه سنة ثمان مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة (الاستيعاب ٢/ ٤٢٧) قال صاحب الرياض المستطابة: كان إسلامه بين الحديبية وخيبر وقبل غزوة مؤتة بشهرين، وكان الفتح فيها على يديه (الرياض المستطابة).

وكان من المشهورين بالشجاعة والشرف والرياسة ثبت في صحيح البخاري عنه قال لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية . قال الزبير بن بكار وغيره كان خالد هو المقدم على خيول قريش في الجاهلية ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون في مقدمتها وشهد فتح مكة فأبلى فيها وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى فهدمها وكانت بيتا عظيما لمضر تبجله (تهذيب ١/ ١٧٣) ولقريش وكنانة ولما هدمها جعل يقول :

يـا عُزَّ كُفرانك اليوم لا سُبحانك

إنـي رأيت الله قـد أهانك

قال ابن عبد البر: لا يصح لخالد بن الوليد مشهد مع رسول الله ﷺ قبل الفتح (الاستيعاب ٤/ ٤٢٨ والتهذيب ١/ ١٧٣) أما صاحب الرياض المستطابة فيقول :

ولا يصح له مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشهد قبل غزوة مؤتة . وكان على مقدمة خيل رسول الله عليه وآله وسلم في بني سليم يوم حنين ، وجرح يومئذ ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بين الرجال ويقول : «من يدلني على رحل خالد» حتى وقف عليه . فنفث في جرحه فبرأ خالد . وقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب دومة الجندل ، فقتل أخاه وأسره وأحضره عند رسول الله صلى الله

الطريق التي سلكها خالد في مسيره من العراق الى الشام *

« معارك خالد بن الوليد ـ ياسين سويد »

عليه وآله وسلم . فصالحه الرسول على الجزية . وأرسله رسول الله ﷺ سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم ، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم بنجران .

ثم إن لخالد الأثر العظيم في قتال أهل الردة وفتوح الشام والعراق . وذلك أن أبا بكر كان بعثه إلى العراق فافتتح الأبلَّة ، وأغار على السواد وحاصر عين التمر، وأرى الفرس ذلا وهوانا . ثم إنه خرق البرية ولحق بجيوش المسلمين في الشام وفتوح خالد ومشاهده وشجاعته معلومة بالاستفاضة . وكان في قلنسوته شعرات من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح بها في حروبه فيفتح عليه . ولما حضرته الوفاة قال : لقد حضرت مائة زحف أو نحوها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، وها أنا أموت على فراشي ؛ فلا نامت أعين الجبناء . وما من عمل أرجى عندي من لا إله إلا الله وأنا مترس بها من النار.

روى خالد في الصحيحين حديثين ، أحدهما متفق عليه ، والآخر للبخاري وهو موقوف ، وخرج عنه الأربعة خلا الترمذي . روى عنه ابن عباس ، وعلقمة ، وجبير بن نفير. وقد توفي بحمص سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر (الرياض المستطابة / ٦٢ ، ٦٣ وقبره مشهور على نحو ميل من حمص . تهذيب الأسماء ١/ ١٧٤) وأوصى إلى عمر. ولما بلغ عمر أن نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبكين على خالد قال عمر: ما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة (الرياض المستطابة / ٦٢ ، ٦٣).

أراد رضي الله عنه بالنقع حثي التراب على رؤوسهن عند المصائب ، واللقلقة أراد به النياحة . قال : ولم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد ـ يقول حلقت شعرها . ذكره ابن شبة في كتابه قاله ابن عبد البر في ترجمة أُبي بن كعب ـ رضي الله عنهم (المصباح المضي ١/ ٩٣) كما ذكره في الاستيعاب ٢/ ٤٣١ .

ولما حضرته الوفاة حبس فرسه وسلاحه في سبيل الله . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «إن خالدا احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله» وفضائله كثيرة مشهورة رضي الله عنه (تهذيب ١/ ١٧٤).

وتأمر ولده «المهاجر» مع علي وعبد الرحمن مع معاوية ،

وانقرض ولده ولم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة رضى الله عنهم أجمعين (الرياض المستطابة / ٦٤).

وقد بهرت شجاعة خالد بن الوليد وانتصاراته الساحقة الشعراء المسلمين على مر العصور فصاغوها نظما تحفظه الأجيال، ومن روائع ما قيل فيه من شعر ما نظمه أمير الشعراء أحمد شوقى فى أرجوزته التاريخية «دول العرب وعظماء الإسلام». وقبل أن ننقلها لك نسوق مثالا لشجاعته ومهارته الحربية فى معارك الشام من منظور العسكرية الحديثة ومن حيث اختياره طريق المفازة المعروفة بالسماوة، ذلك الاختيار الذى كان عملا عظيم الشأن فى تاريخ الحروب، وهو الذى أشار إليه شوقى فى البيت رقم ٤٠ من أرجوزته.

يقول الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى تحت عنوان «خالد بن الوليد فى الشام»:

علم قادة المسلمين بأمر حركة الروم فكتبوا إلى الخليفة الصديق رضى الله عنه فأرسل الإمدادات وكتب فى الوقت ذاته إلى خالد بن الوليد كتابا يقول له فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن أبى قحافة إلى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فإنى أحمد الذى لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد ﷺ وإنى قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع فى مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله حق جهاده» (فتوح الشام للواقدى ١/ ٢٤).

انصرف خالد بن الوليد لتنظيم قواته من أجل التحرك إلى الشام وانطلق بقوة خمسة آلاف فارس وكان أمام خالد أربع اختيارات فى سلوك الطريق ليقطع المسافة بين الحيرة فى العراق وبصرى فى الشام بأقل ما يمكن من الوقت والمسافة بينهما لا تقل عن ستمائة ميل (٩٦٥ كم) والاختيارات الأربعة هى: -

١ - الطريق الأول: عين التمر - قراقر - سوى - إراك - تدمر الغوطة - بصرى.

٢ - الطريق الثانى: الفلوجة - هيت - دير الزور - تدمر - حمص - القطيفية - دمشق - بصرى.

٣ - الطريق الثالث: عين التمر - هيت - كبيسة - بئر اللوحة - أبى الشامات - الفجر - عذراء الغوطة - بصرى.

٤ - الطريق الرابع: الحيرة - وادى حوران - الجوق - الزرقاء اليرموك - بصرى.

ولكل طريق من هذه الطرق الأربعة ميزة من محاسن ومحاذير.

الأول: خالى من قلاع الروم والفرس ومسالحهم فتصل إلى بصرى دون أى تعرض للعدو إلا إنه مفازة قاحلة طويلة ومن أخطر الطرق، وسلوكها يعتبر مخاطرة.

الثانى: سهل الاجتياز كثير الماء والكلإ إلا أنه أطول من الطريق الأول ومعرض لمقاومة العدو وقلاعه ومسالحه لوقوعه على حدود إمبراطوريتى الفرس والروم.

الثالث: أقصر الطرق وأصلحها للمرور ولكنه محمى بكثير من المسالح والقرى المعادية ومن الصعب اجتيازه دون تعرض.

الرابع: أسلم الطرق ولكنه يحتاج إلى أيام طويلة ولا تؤمن المباغتة. اختار خالد بن الوليد وعلى ضوء دراسة هذه الطرق الطريق الأول رغم صعوبته فى الوصول بأقل سرعة ممكنة إلى الشام وإنجاد الجيش الإسلامى هناك. عندما وصل إلى أرض السماوة قال خالد بن الوليد لأصحابه: «أيها الناس إن هذه الأرض لاتدخلونها إلا بالماء الكثير لأنها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الأمر؟ فقال رافع ابن عمير الطائى: أيها الأمير أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما نصنع وفقك الله مولانا جل وعلا للخير قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا الحمير وجنبوا الخيول فساروا فكانوا كلما نزلوا أخذوا عشرة من الإبل يشقون بطنها ويأخذون ما يجدون من الماء» (فتوح الشام للواقدى ١/ ٢٥).

ابن الوليد يتدارس الموقف

وصل خالد بن الوليد إلى بصرى والجيوش الإسلامية لا زالت متفرقة وتوفرت المعلومات لدى المسلمين عن تحرك قوات الروم من الشمال على محورين.

١ - المحور الأول: محور الساحل بقيادة تيدور أخو الملك ومهمته مشاغلة جيش المسلمين فى فلسطين وقوة هذا الجيش تسعون ألفا.

٢ - المحور الثانى: محور الجهد الرئيسى جيش أنطاكية -

بعلبك ـ حمص ـ دمشق وهدفه عزل جيش عمرو بن العاص ثم الاتجاه لتنفيذ عملية إحاطة لقوات المسلمين الأخرى ووضعها بين المطرقة الجنوبية والسندان الشمالي.

بعد دراسة الموقف كان القرار على تجميع قوات المسلمين بأسرع ما يمكن واستطاعت الفرق الإسلامية التجمع فى الجولان باستثناء فرقة عمرو بن العاص فى فلسطين وكان أمام خالد بن الوليد موقف صعب حيث تمكنت جيوش الروم من تنظيم صفوفها وجيش عمرو بن العاص بحاجة إلى قوة كبير لذلك ما كان أمامه إلا أن ينقذ هذا الجيش مستفيدا من الإيقاع البطيء فى سرعة التحرك لخصمه فقرر تصفية الجيش الجنوبى بقيادة تيدور «تدارق» وبذلك دارت معركة طاحنة هى معركة أجنادين (العمليات التعرضية / ١٥١ـ١٥٣).

ويمكنك استكمال معلوماتك عن هذا الموضوع بالرجوع إلى كل من مادتى «أجنادين (موقعة ـ) فى م٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧، و «بصرى» فى م٧/ ١٦٧، ١٦٨ وإليك شعر أمير الشعراء أحمد شوقى قال رحمه الله:

١ - من طبع السيف ومن جلاه؟
هل يصنع الآيات إلا الله؟

٢ - إنس الحديد، بشر الفرند
ليس بصنع يمن أو هند

٣ - وكيف لا يصحبه المضاء
وقينه المقدار والقضاء

٤ - قلده من ربه محمد
يسله بإذنه ويغمد

٥ - خلقت لا أعظم السيوفا
إلا الشريف العالى العيوفا

٦ - المفتدى بحده من ظلمه
والمهتدى بنوره فى المظلمه

٧ - والناصر الحق على المقاتل
والضارب الباطل فى المقاتل

٨ - والرافع الدولات ركنا ركنا
بالحق بنيان الخليل الركنا

٩ - كابن الوليد موئل الأعلام
سيف الإله أسد الإسلام

١٠ - طلّق جاهلية المعاصى
ودخل الإسلام وابن العاص

١١ - كلا العظيمين فتى قريش
صدر ندى، ولواء جيش

١٢ - تخير السمحة غير دار
ما خلفها من عجب الأقدار

١٣ - من نعم تترى وعيش مرغد
وشأن اليوم وذكر فى غد

١٤ - سبحان ربى منشىء النوابغ
مرتجل المواهب السوابغ

١٥ - هل خالد إلا فتى من فهر
لم يشتهر بصولة وقهر

١٦ - منزلة فى غالب عليه
وشيم تقطر جاهليه

١٧ - زهو الصناديد بن الجلاد
ونفخة بالقوم والميلاد

١٨ - نفس غذتها الجاهلية الدما
وأرضعتها جرأة ومقدما

١٩ - ونهية كالجوهر الوقاد
لم تبد للصائغ والنقاد

٢٠ - فكان من عناية السلام
به اكتساب أدب الإسلام

٢١ - إذ كان فى دولته مجال
فيه جلت أسرارها الرجال

٢٢ - ا بد للعقل الكبير من وسط
وللشعاع من مدى ومنبسط

٢٣ - رب هبيـــات ذهبت هبــاء
كمـــا أتى بهـــا التــراب بـــاء
٢٤ - مـــوفق الآراء والــــرابيــــات
معلق الهمـــة بـــالغــايــات
٢٥ - إذا غـــزا عن النبى أو سفـــر
اقتـــرح النجح عليـــه والظفـــر
٢٦ - سمـــاه سيف الله يـــوم مـؤتـــه
معظمـــا فى الآخـــرين شأنـــه
٢٧ - فمـــا مضى فـى مـــوطن أو همَّــا
إلا وكـــان اسمـــا على مسمى
٢٨ - أليس كـافى الإمـــام الشـــده
وقـــامع الفتنـــة يـــوم الـــرده؟
٢٩ - وقــاتل الكـــذاب فـى المعـــارك
وكـل أفـــاك لـــه مشـــارك
٣٠ - أيـــامـــه مشهـــورة فى فـــارس
مسطـــورة فـى صحف الفـــوارس
٣١ - خـــاض بهـــا الـــوقـائع الكبـــارا
وفتـح الحيـــرة والأنبـــــارا
٣٢ - واحتـــاجـت الشـــام إلـى همـــام
أروع يحمـى عسكـــر الإمـــام
٣٣ - يقحمهـــا على جمـــوع الـــروم
وينثنى بفتحهـــا المـــروم
٣٤ - وهـى تمـــوج بجمـــوع قيصـــرا
وعـــالم من عـــرب تنصـــرا
٣٥ - قبـــائل فـــؤادهـــا مـــوزع
دين هـــو الغـــالى وعـــرق ينـــزع
٣٦ - فلـم تقع إلا عليـــه الخيـــره
إن الـــرجـــال أفضل الـــذخيـــره
٣٧ - فخف للغيـــاث فى ليـــوث
صحـــابـــة أهلّـــة غيـــوث
٣٨ - خلى العـــراق وتـــولـى الشَـــامـــا
نجمـــا لأهـــوال الســرى جشّـــامـــا
٣٩ - يقطع غُفْـــلا ويجـــوب بـــائرا
إن المغيث من أتـــــاك طــــائرا
٤٠ - فكـــان فـى السمـــاوة الـــرئبـــالا
لا تـــــذكـــر الألب وأنبيـــالا
٤١ - تخفق فـــوق رأســـه العقـــاب
فى مهمـــه تنكـــره العقـــاب
٤٢ - حتى حـــوى الجيش القـــرى فصـــارا
بين ديـــار العـــرب النصـــارى
٤٣ - أحـــراس تخم وحمـــاة حـــد
وحـــاطـــة الأطـــراف من تعـــد
٤٤ - سل تـــدمـــرا والقـــريتين وأرك
هـل ثبتـــوا لخـــالـــد فى معتـــرك
٤٥ - وسل بـــه غســـان كيف صُبِّحـــوا
بـــالخيل جـــاءت من بعيـــد تضبح
٤٦ - هبت علـى الشـــام قبـــولا ريـــده
فـــاستـــروح الغـــوث أبـــو عبيـــده
٤٧ - أوفت علي اليـــرمـوك تطغى من طرب
يـــا مأتم الـــروم ويـــا عـــرس العـــرب!
٤٨ - أقبل سيف الله يـــزجى خيلـــه
ويل هـــرقل منـــه ثم ويلـــه!
٤٩ - وأمَّـــر الجيش عليهم خـــالـــدا
وانتظـــروا اليـــوم العظيم الخـــالـــدا
٥٠ - فعبىء الحـــزبـــان للطـــام
طـــام يعب لنـــزال طـــام
٥١ - تـــراءيـــا على تفـــاوت الفئـــه
ذا مئتـــا ألف وذا نصف المئـــه
٥٢ - ونشبت جـــائحـــة الـــدهـــور
عـــدوة القـــاهـــر والمقهـــور

٥٣ - فـداهم الـروم الـرعيل المسلم
إن العتيق بـالعتـاق أعلم

٥٤ - واخترق الهيجاء فرسان العجم
تحت سروج الخيل أو فوق اللجم

٥٥ - أما الرجال فاحتموا فى الخندق
ليلا فمسوا بالبلاء المحدق

٥٦ - يوم كبدر فى الفتوح منزله
أمسى هرقل بعده لاعز له

٥٧ - لما رأى سلطانه تداعى
صاح الوداع سوريا الوداعا

وفيما يلى شرح ما يحتاج إلى شرح :

البيت ١٧ : الجلاد : القتال .

٢٩ : الكذاب هو مسيلمة وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله .

٤٠ : السماوة : مفازة مشهورة بين العراق والشام اختارها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن فى تاريخ الحروب .

٤١ : العقاب فى الشطر الأول راية الرسول ، وفى الشطر الثانى الطائر المعروف .

٤٦ : أى هبت الأمداد هبوب الريح اللينة فوجد أبو عبيدة ريح الغوث والنجدة .

٥٢ : جائحة الدهور : أى نادرة الدهور ، وهى الحرب .

٥٣ : العتيق هو أبو بكر الصديق ، أى أنه أعلم باختيار الخيل .

٥٥ : الرُّجالى جمع راجل وهو فى الحرب خلاف الفارس (دول العرب وعظماء الإسلام/ ٧٠ـ ٧٢) .

٥٦ـ ٥٧ : بعد انتصار خالد بن الوليد الساحق فى معركة «اليرموك» أنهت هذه المعركة الفاصلة تسلط الروم ، فقد غادر هرقل البلاد بعد أن عرف مصير نخبة جيوشه ، وكان يقول : سلام عليك ياسورية سلاما لا لقاء بعده (معجم المعارك الحربية / ٣٥٦) .

وفى خلال معمعة معركة اليرموك هذه فوجىء المسلمون بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعزل خالد بن الوليد عن قيادة جيوش المسلمين . وقد أورد الواقدى كتاب العزل كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد (ﷺ) وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فإن الله لايستحى من الحق ، وإنى أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه والذى استخرجك من الكفر إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى ، وقد استعملتك على جند ما هنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن إمارته ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ولا تقل إنى أرجو لكم النصر فإن النصر إنما يكون مع اليقين والثقة بالله ، وإياك والتغرير بإلقاء المسلمين إلى الهلكة ، وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك ، وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وإنما بينك وبين الآخرة ستر الخمار وقد تقدم فيها سلفك وأنت كأنك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضرتها وذهبت زهرتها فأحزم الناس فيها الراحل منها إلى غيرها ، ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت ، وأما الحنطة والشعير الذى وجدت بدمشق وكثرت فى ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين ، وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام ، وأما اختصامك أنت وخالد فى الصلح أو القتال فأنت الوالى وصاحب الأمر ، وإن صلحك جرى على الحقيقة أنها للروم فسلم إليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين ، وأما هديته ابنة الملك هرقل فهديتها إلى أبيها بعد أسرها تفريط (كان خالد بن الوليد قد أطلق سراح ابنة هرقل إلى أبيها بعد أن أرسل فى طلبها بيعا أو هدية) ، وقد كان يأخذ فى فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ، ثم دعا بعامر بن أبى وقاص أخى سعد ودفع الكتاب إليه ، وقال له انطلق إلى دمشق وسلم كتابى هذا إلى أبى عبيدة وأمره أن يجمع الناس إليه واقرأه أنت على الناس ياعامر وأخبره بموت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم دعا عمر رضى الله عنه

بشداد بن أوس فصافحه، وقال له: امض أنت وعامر إلى الشام فإذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك بيعتي (من كتاب فتوح الشام / ٨٣، ٨٤).

وقد روى أنه استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس، فخفت أن تفتتن بالناس.

وعن عزل خالد بن الوليد يقول أحمد شوقي في الأرجوزة نفسها:

١ - والله ما أدرى ولا تدرى الزمر
ما كان بين ابن الوليد وعمر

٢ -سيف الإله سلّه النبى
وهزه وليه الحبى

٣ - أغمد لا كلاًّ ولا مقصِّرا
فى حرب كسرى وقتال قيصرا

٤ - توجعت لعزله العقاب
وحل بالمبرأ العقاب

٥ - ضغينة لم تدع الإماما
حتى رمى فى يدها الزماما

٦ - وزلة الكبير أكبر الزلل
وإن أحيطت بالطلاء والعلل

٧ - خاف الإمام أن يكون فتنه
سياسة عالية وفطنه

٨ - كم هاضت الممالك العظاما
مخافة أن يقطعوا النظاما

٩ - وكم مرجى السبق مات بالكمد
قد وقف الناس له دون الأمد

١٠ - أعيذ من مضلة الحقد عمر
مثل الإمام بالمراشد ائتمر

١١ - لعله أبصر وجه منفعه
أو خاف ضرا فرأى أن يدفعه

١٢ - فالسيف لا تأمنه أن ينقلب
كم غلب الحق به وكم غلب

١٣ - فى طبعه الطيرة والشرور
وربه يوما به مغرور

١٤ - وكيف غدر ابن الوليد كيفا
الله أوفى وأبر سيفا

***

١٥ - عجبت ممن ملك الزمانا
ودان بعد فارس الرومانا

١٦ - ومن قناه كل يوم فى ظفر
وخيله من سفر إلى سفر

١٧ - تتكل الطير على بنوده
وينزل النصر على جنوده

١٨ - تهيب البحر وخاف حربه
وحرَّم المجاهدين قربه

١٩ - ظل الولاة يبسطون الراحا
فلا يلبى لهمو اقتراحا

٢٠ - كم حسنوا النفع وقبح الضرر
خوفا على جنوده من الغرر

٢١ - وقال لم يأذن ولم يُسلِّم
لا أشترى الروم بنفس مسلم

٢٢ - كان الإمام وهو للعدل علم
لم ينصف الروم وللبحر ظلم

٢٣ - كما جر نفع المسلمين الروم
والبحر عز أبدا مروم

٢٤ - ينهض بالملك العظيم فاتحه
لأنه من الثرى مفاتحه

٢٥ - فيروز منه يبرأ النصارى
ومثله إلى الجحيم صارا

٢٦ - لا دين للباغى وإن تدينا
كفى بقتل النفس ظلما بيِّنا

وفيما يلى شرح بعض الألفاظ التى تحتاج إلى شرح:

البيت ٤: العقاب: قيل الراية، وقيل العلم الضخم، وقيل الحرب، وكل يصلح أن يكون مرادا فى ها المقام

٥ : الضغينة : الحفيظة أو الحقد.

٢٠ : الغرر: الخطر (دول العرب وعظماء الإسلام / ٤٤-٤٦).

قال الإمام النووي: روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثا اتفق البخاري ومسلم على حديث. روى عنه ابن عباس وجابر والمقدام بن معدى كرب وأبو أمامة بن سهل الصحابيون رضى الله عنهم. وروى عنه من التابعين قيس بن أبى حازم وأبو وائل وغيرهما (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٣).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣/ ٢٥٥، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧٢-١٧٤، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢/ ٤٢٨، ٤٣١ والرياض المستطابة للإمام يحيى ابن أبى بكر العامرى اليمنى / ٦٢-٦٤، والمصباح المضى فى كتاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وأعجمى ١ / ٩٣، والعمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين - الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى / ١٥١-١٥٣، ودول العرب وعظماء الإسلام - نظم أحمد شوقى / ٦٩-٧٢، ٤٤-٤٦، ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ٣٥٦، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى - اختار النصوص وقدم لها ماجد اللحام / ٨٣، ٨٤. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبى - عنى بتحقيق النص وتحرير الحواشى حسام الدين القدسى ٣/ ٢٥٣، ٥٤).

انظر صورة مسجد خالد بن الوليد بحمص فى مادة «حمص» فى م ١٤/ ٥٨٦.

ملاحظة: صورة الخريطة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب العمليات التعرضية والدفاعية الذى جاء بيانه فى ثبت المراجع.

*** خالد بن يزيد (-٩٠هـ / -٧٠٨):**

قال عنه الزركلى: خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى القرشى، أبو هشام حكيم قريش وعالمها فى عصره. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأتقنها وألّف فيها رسائل. اختلفوا فى سنة وفاته، إلى أن قال الذهبى: «وفيها - أى سنة ٩٠ - على الأصح» توفى خالد بن يزيد وكان موصوفا بالعلم والدين والعقل» وشك ابن الأثير فى بعض نواحى علمه، فقال: «يقال إنه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لأحد».

وقال البيرونى: كان خالد أول فلاسفة الإسلام. وفى سبائك الذهب ومعجم قبائل العرب أن الحمدانى ذكر أقواما فى ناحية تندة وما حولها من بلاد الأشمونيين، من الديار المصرية يسمَّون «بنى خالد» نسبة إلى خالد بن يزيد بن معاوية. وقال ابن النديم: كان خالد بن يزيد فاضلا فى نفسه له همة ومحبة للعلوم، خطر بباله حب الصنعة (الكيمياء) فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى. وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة. وقال الجاحظ: خالد بن يزيد خطيب شاعر، وفصيح جامع، جيد الرأى كثير الأدب، وهو أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء توفى فى دمشق، ولسعيد الديوه جى رسالة فى سيرته، طبعت فى دمشق سنة ١٩٥٣ (الأعلام ٢/ ٣٠٠، ٣٠١)

وقد أورد له الدكتور فاضل أحمد الطائى ترجمة مستفيضة فى بحث له بعنوان «خالد بن يزيد وكيمياؤه» وذلك فى كتابه الموسوم بأعلام العرب فى الكيمياء. وننقل لك فيما يلى مقتطفات مما جاء فى بحثه هذا. يقول المؤلف:

لقد اجتمعت المصادر المتوفرة لدينا على أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، رائد العرب والإسلام فى الكيمياء، وكان أول من أمر بترجمة التراث اليونانى إلى اللغة العربية، إضافة إلى تعريب ما نقل من اليونانية إلى القبطية ويعتبر بحق الرائد الأول فى نقل العلوم إلى اللغة العربية وبذلك وفر العلم لمن أراد ارتشافه من العرب والمسلمين الذين يحسنون اللغة العربية. وبعد أن قرأ العلم بإمعان شغف بعلم الكيمياء بالدرجة الأولى، وبالعلوم الأخرى بصورة عامة.

يذكر ابن النديم راويا عن محمد بن إسحاق الذي عنى بإخراج الكتب القديمة فى الصنعة أن خالد بن يزيد بن معاوية كان خطيبا وشاعرا فصيحا، وحازما ذا رأى، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم، وكتب الصنعة والكيمياء وكان جوادا، ويقال إنه قيل لخالد لقد فعلت أكثر شغلك فى طلب الصنعة فأجاب خالد ما أطلب بذلك إلا أن أغنى أصحابى وإخوانى، إنى طلبت الخلافة فاختُزلت دونى فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصنعة فلا أحوج أحدا عرفنى يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة، ويقال إنه نجح فى عمل

الصناعة (الفهرست / ٤٩٧) أى أنه تمكن من تحويل المعادن البخسة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة، وأقول بأن هذا الخبر ينقصه العلم ولا صحة له مطلقا. إلا أن خالدا كتب عددا من الرسائل فى الصنعة، ونظم الشعر فى هذا الباب وقد اطلعت على مخطوطة تضمنت شعرا لخالد فى الصنعة وهى موجودة فى المجمع العلمى العراقى وسأتطرق إلى ذكرها ثانية فى هذا البحث نفسه، ويقول عنه ابن النديم بأن محمد بن إسحاق قد رأى من شعر خالد نحوا من خمسمائة ورقة فى الصنعة، كما رأى من كتبه «كتاب الحرارات»، و «كتاب الصحيفة الكبرى» و «كتاب الصحيفة الصغرى» و «كتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة».

ويذكر أبو الفرج الأصبهانى (الأغانى ط بولاق ١٦/ ٨٨) أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان من أكثر رجالات قريش سخاء، وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه، وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. ثم ينقل الأصبهانى عن كل من الطوسى وحرمى بأن الزبير قد روى عن عمه مصعب بأن خالد بن يزيد بن معاوية عالم وشاعر ...

وذكر الجاحظ (البيان والتبيين ط القاهرة ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م ١ / ٣٢٨) فى كتابه البيان والتبيين، بأن خالد بن يزيد بن معاوية، كان خطيبا، شاعرا فصيحا، جيد الرأى، كثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء.

وجاء فى طبقات الأمم، لصاعد الأندلسى (ص ٦٣) «كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، بصيرا بالطب والكيمياء، وله فى الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها».

ويبدو أن الزركلى قد جاء برواية عن خالد تختلف عما جاء به بعض الكتاب ولا سيما المستشرقين منهم، حيث أشاد بخلق وعلم خالد، وزهده فى الخلافة وتبرمه بها وضجره منها ومقته للنزاع الذى حصل بين جده معاوية بن أبى سفيان وعلى ابن أبى طالب، واعتبر خالد الإمام عليا أولى من جده فى الخلافة. ويذكر أن خالد بن يزيد أموى قرشى، حكيم قريش وعالمها فى عصره، واشتغل فى الكيمياء والطب والنجوم فأتقنها وألف فيها رسائل. ويقول الزركلى إن بنى أمية قد اتفقوا على بيعه خالد بعد موت أبيه يزيد سنة أربع وستين للهجرة (٦٤ هـ)، فبايعوه بالخلافة، فأقام خالد ثلاثة أشهر، وغلب عليه حب العلم. فجمع الناس وخطب فيهم قائلا «إن جدى معاوية نازع الأمر من كان أولى به، ثم تقلده أبى ولقد كان غير خليق به، ولا أحب أن ألقى الله عز وجل بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم، ولّوه من شئتم. فقالوا: ألا تعهد إلى أحد؟ فقال: لم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ولا مثل أهل الشورى، فأنتم أولى بأمركم، ثم لزم منزله. ولم نجد فى المصادر الأخرى ما يؤيد الزركلى فى هذه الرواية، وبعد التثبت رأينا بأنه قد أخطأ فى كتابه «الأعلام» الطبعة الثانية ونسب ما لمعاوية الثانى إلى خالد وصحح ذلك فى كتابه فى الطبعة الثالثة، هذا ولم أرفع الخطأ من البحث كى لا يقع فيه من يقرأ هذا البحث ... وذكر الجاحظ أن خالدا توفى فى دمشق ...

والحقيقة أن المصادر التى تناولت ذكر خالد ضئيلة إذا ما قورنت بمن هو أقل شأنا منه، ويعود السبب حسبما أظن إلى بُعد الفترة الزمنية بين خالد وبين من دوّن تراجم أهل العلم والحكمة والأدب من العرب والمسلمين الذين تركوا آثارهم كلها أو بعضها باللغة العربية. ويكاد جميع من كتب عن سيرة خالد بن يزيد وعلمه وأدبه أن يكونوا متشابهين فيما دونوه، ولعل ياقوت الحموى قد جاء بذكر أوفى من غيره وسأدرج أكثر ما جاء فى كتابه «معجم الأدباء» لا لاحتوائه على معلومات فى الكيمياء حسب بل لغرض إظهار فضل رائد العلم عند العرب ليطلع عليه من يقرأ هذا البحث من غير المعنيين بالتاريخ والأدب، أن لخالد الفضل الأكبر فى نقل العلم اليونانى عن اللغة اليونانية أو عن القبطية التى استقت علمها من العلم اليونانى نفسه، ولا يشير التاريخ إلى أحد عنى بالعلم ونقله من للغات الأخرى إلى اللغة العربية قبل خالد بن يزيد يقول الحموى عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان

الأمير، أبو هاشم الأموى: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة العارضة، علامة خبيرا بالطب والكيمياء، وشاعرا قال الزبير بن مصعب: كان خالد ابن يزيد ابن معاوية موصوفا بالعلم حكيم شاعرا وقال ابن أبى تمام: كان خالد بن يزيد من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام، وقيل عنه: قد علم عِلمَ العرب والعجم. وروى خالد الحديث عن أبيه وعن دِحية بن خليفة الكلبى. رضى الله عنه. وروى عنه الزهرى وغيره وأخرج البيهقى والخطيب البغدادى والعسكرى والحافظ ابن عساكر عنه عدة أحاديث، وكان من صالحى القوم يصوم الجمعة والسبت والأحد وكان يقول: كنت معنيا بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجهال. وكان خالد جوادا ممدحا جاءه رجل فقال له: أنى قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما إلا بحكمى - أى بما يطلب ويريد - فقال له قل: فقال الرجل:

سألت الندى والجود حُرَّان أنتما؟
فقالا بلى عبدان بين عبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا
علىَّ وقالا خالد بن يزيد

فقال خالد للرجل: احكم، فقال: مائة ألف درهم، فأمر له بها. وكان خالد شجاعا جريئا...

ولما لزم خالد بيته بعد تركه الخلافة قيل له: كيف تركت الناس ولزمت بيتك؟ قال: هل بقى إلا حاسد نعمة، أو شامت بنكبة.

ولخالد شعر نفيس، أورد بعضا من أبياته ياقوت الحموى - فى المرجع نفسه -، وإليك مقتطفات منها:

أتعجب إن كنت ذا نعمة
وأنك بها شريف مهيب؟
فكم ورد الموت من ناعم
وحب الحياة إليه عجيب
أجاب المنية لما دعت
وكرها يجيب لها من يجيب

ولخالد فى الحكمة قصيدة، إليك بعض أبياتها:

إن سرك الشرف العظيم مع الغنى
وتكون يوم أشد خوف وائلا
يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت
فى الوزن إذ غبط الأخف الأثقلا
فاعمل لما بعد الممات ولا تكن
عن حظ نفسك فى حياتك غافلا

ومما نسب إلى خالد من التصانيف فى الكيمياء. البديع فى فلك الرمز المنيع، وكتاب الفردوس، ورسائل أخرى، توفى خالد بن يزيد سنة تسعين، وقيل سنة خمس وثمانين، وشهده الوليد بن عبد الملك وقال: لتلق بنو أمية الأردية على خالد فلن يتحسروا على مثله إبدا.

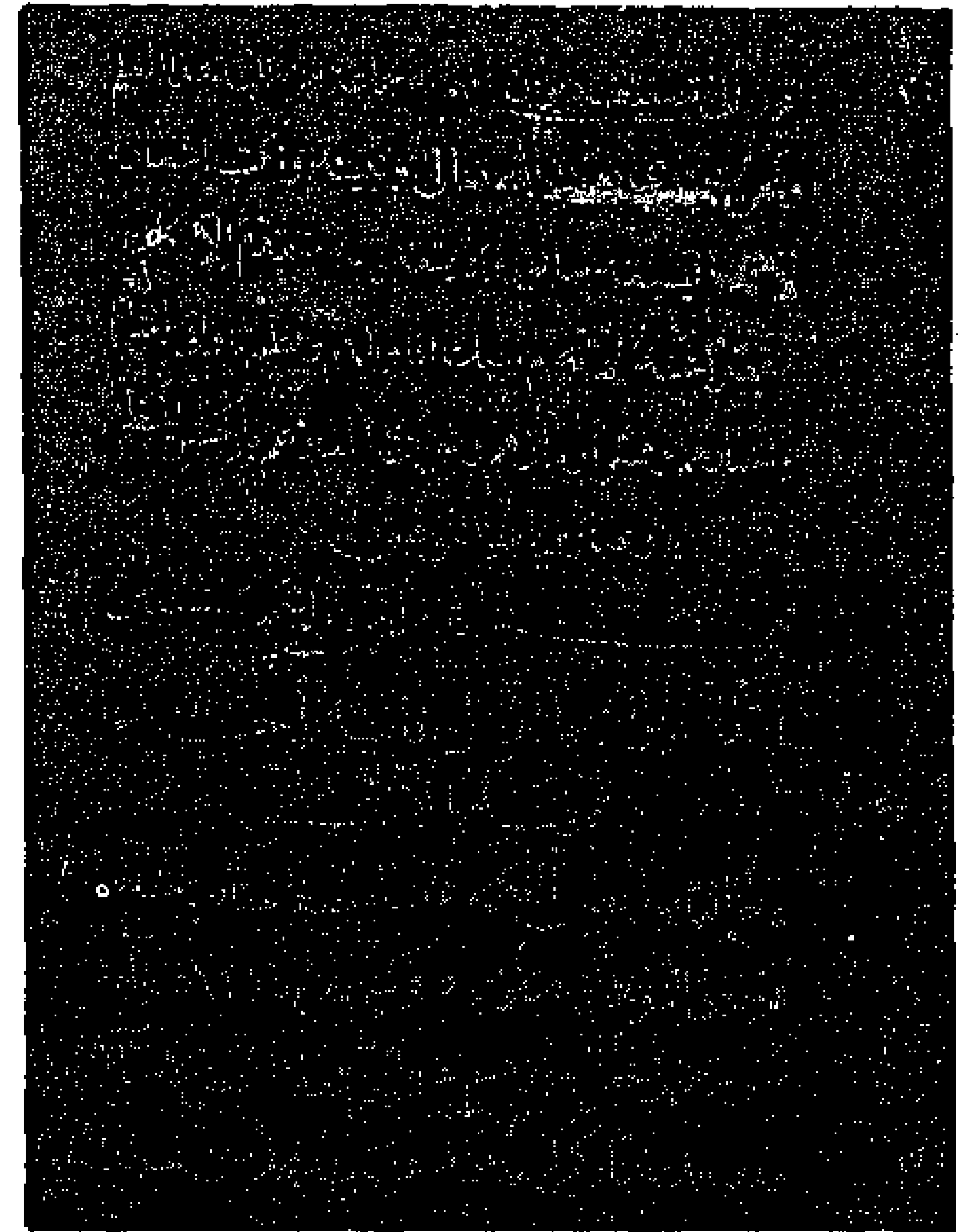
وجاء فى هدية العارفين (إسماعيل باشا البغدادى - هدية العارفين ط أوفست استانبول ١٩٥٥ ط ٣، جـ١ ٣٤٣) أن خالدبن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان الأموى الأمير، توفى سنة (٨٥) خمس وثمانين من الهجرة، له من كتب «السر البديع فى رمز المنيع فى علم الكاف، وفردوس الحكمة فى علم الكيمياء»، منظومة، وكتاب الحرارات «وكتاب الرحمة فى الكيمياء»، وكتاب «الصحيفة الصغير» وكتاب «الصحيفة الكبير»، مقالتا مريانس الراهب فى الكيمياء، وكتاب «وصيته إلى ابنه فى الصنعة».

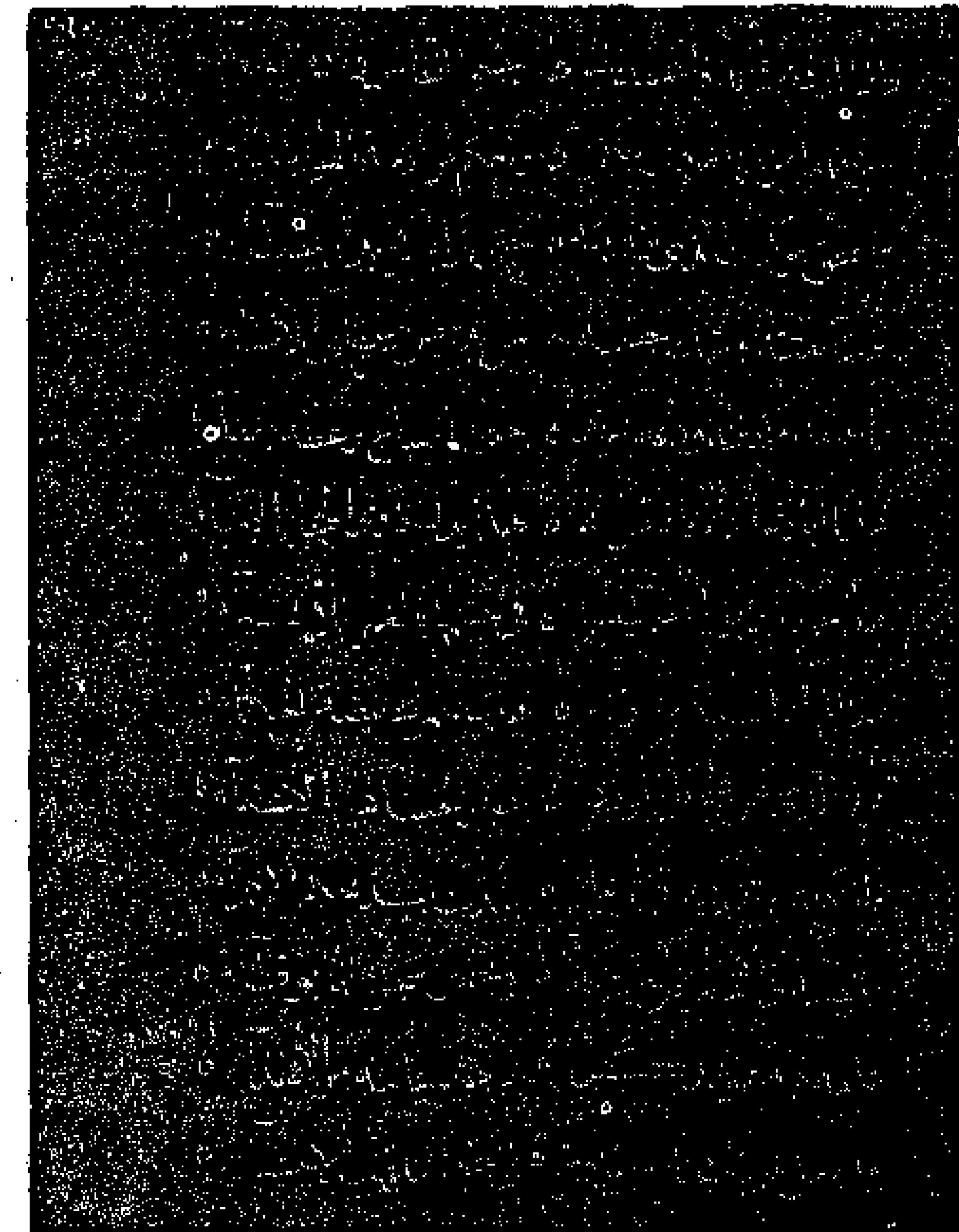
وجاء ذكر خالد فى وفيات سنة أربع وستين لابن الأثير (٦٤ هـ) وذلك فى معرض حديثه عن يزيد بن معاوية: وكان له من الولد معاوية، وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو ليلى، وهو الذى ولى بعده، وخالد ويكنى أبا هاشم يقال إنه أصاب عمل الكيمياء، ولا يصح ذلك لأحد.

وقد خالف ابن الوردى (تاريخ ابن الوردى المطبعة الوهبية مصر ١٢٨٥ هـ ج١/ ١٧٩) أغلب المؤرخين وأصحاب التراجم فى وفاة خالد بن يزيد، حيث ذكره فى وفيات سنة اثنتين وثمانين للهجرة ٨٢ هـ ما نصه «وفيها توفى خالد بن يزيد بن معاوية من أسخياء بنى أمية وعقلائهم وفصحائهم» ذكرت المصادر المتيسرة لدينا سنة وفاة خالد بن يزيد إما عام خمسة وثمانين للهجرة، أو عام تسعين للهجرة، وربما كانت وفاته بين هذين التاريخين أى بين (٨٥ هـ) و (٩٠هـ)...

ويوجد بعض شعر خالد فى الكيمياء مخطوطا ومحفوظا فى مكتبة استانبول ... وقد صور بعض هذه المخطوطات المجمع العلمى العراقى (أعلام العرب فى الكيمياء/ ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥).

وفيما يلى صورتان للمخطوط وتتبعهما بقراءة له :





وهذه هى قراءة المخطوط :

اعمد إلى تصنيف ديوان افهم به جماعة من طلبة هذا العلم ونحن نبتدى بعون الله تعالى ونبيه ونكتب أشعاره لإنه لم يسبقه سابق ولا يتقدمه متقدم إلا كان مقصرا عنه لأنه لمَّ سبك أقاويلهم ونظمها وأتى بأمثالهم وأخبارهم وفسر أرمازهم وشرح ألغازهم بأحسن لفظ.

وعبارة بالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ابتداء ديوان خالد على قافية أبجد

قافية الألف

ياطالبا بوريطس الحكماء ،
يامنطقا حقا بغير خفاء ،
هو زيبق الشرق الذى هتفوا به
فى كتبهم من جملة الأشياء ،
سموه زهرا فى خفاء رموزهم
والجن شغلا أغمض الأسماء ،
ودعوه بأن النار كيما يصدقوا
عن صبغه بخلا عن البعداء ،
فإذا أردت مثاله فاعمد إلى
جسم النحاس وناره الصفراء
فامزجهما مزج امرء ذى حكمة
واحكم مزاوجة الهوا بالماء ،
واسحق مركبك الذى أزوجته
حتى تراه كزبدة بيضاء
سحقا يفتته ويهتك جسمه
من بدء من صبح إلى الإمساء ،
واجمعه وادفنه ودعه بمرقد
حتى الصباح وغطه بغطاء ،
هذا آبار نحاسهم فافطن له
هذا يدك ذوى الحجا النجباء ،

هـــذا خمـــار زوابق المغنيسيـــا
في جسمهـــا بـــالغمـــر لـــلأشيـــاء
هـــذا المهـــاد لصنعـــه معــروفــة
هـــذي لعمـــرك بيضـــة الحكمـــاء،
هـــذا الـــذى أعمى على كـل الـــورى
نفـــو من الحســـاد بـــالإعمـــاء،
فـــاسكنـــه مبتهجـــا بـــه فى قـــرعـــة
شـــدت بشـــد محكم الإجـــزاء،
وانصبـــه فى القمّيم نصبـــة حـــاذق
فى محصن سجن لـــه بـــوفـــاء،
علقـــه فيـــه فهـــو عمـــد كلمـــا
تـــرجـــو صيـــانتـــه من الاهـــذاء،
واجعل ســـ فـــديتك ســـ نـــاره مـــوزونـــة
فى حـــرهـــا لتلهب الأحشـــاء،

(أعلام العرب فى الكيمياء/ ٢٩، ٣٢، ٣٣)

(الأعلام للزركلى ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، وأعلام العرب فى الكيمياء - د. فاضل أحمد الطائى/ ١٧، ١٨، ٢٠ ــ ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٢، ٣٣).

*** الخالدى ((-١٠٣٤هـ/ -١٦٢٥م):**

أحمد بن محمد بن يوسف الخالدى، فقيه متأدب، من أهل صفد (بفلسطين) مولدًا ووفاة. تعلم بمصر. له رحلة إلى الحج» و «رحلة إلى القدس» نظما، وكتاب فى «العروض» و«شرح ألفية ابن مالك» و «لبنان فى عهد الأمير فخر الدين المعنى الثانى» مطبوع، وصل فيه إلى سنة وفاته (١٠٣٤) ونظمه حسن.

(الأعلام للزركلى ١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

قالت المؤلفة: له مخطوط بعنوان «الأنوار الجلية فى تخميس الهمزية» من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الأنوار الجلية فى تخميس الهمزية

الرقم ١٨٤٤٦/ ٢

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن يوسف الصفدى المعروف بالخالدى المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ/ ١٦٢٥ م.

الأول:

(كنت نـــورا وكـــان ثَمَّ عمـــاء
ونبيـــا وليس طين ومـــاء
فإذاً كان من علاك العلاء
كيف تـــرقى رقيّك الأنبيـــاءُ
يـــا سمـــاء مـــا طـــاولتهـــا سمـــاء)

نسخة جيدة عليها حواش وشروح، كتبها محمد بن حاج حسن دباغ ١٢٧٩ هـ/ ١٨٦٢ م.

٩٠ ص　　　٢١×١٠ سم　　　٢٠ س

معجم المؤلفين ٢/ ١٦٩، الذريعة ٤/ ١٤، بروكلمان (عربى) ١٥/ ١٠١، فهرس أوقاف الموصل ١/ ٢٤٩.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٤)

*** الخالدية (المكتبة -):**

من مكتبات القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. يقول الدكتور كامل جميل العلى:

مكتبات الأسر المقدسية وغيرها من المكتبات الخاصة:

كان فى القدس مكتبات خاصة بعائلات مقدسية قديمة تجمعت مجموعاتها فى القرون الماضية. ولعل كثيرا من كتبها وصل إلى هذه المكتبات من مجموعات مكتبات الأقصى القديمة أو مكتبات المدارس القديمة أو توارثتها الأسر المقدسية عن أفرادها من العلماء. ومعظم هذه المكتبات اندثر الآن، وأكثرها أضاعته الكوارث التى حلت بالمدينة أو الجهل بقيمة الكتب، فضاعت بها كنوز لا تعوض، على الوجه الذى سبقت الإشارة إليه. وأشهر المكتبات التى ما زالت قائمة حتى اليوم هى:

المكتبة الخالدية:

تقع المكتبة الخالدية فى مبنى أثرى قديم هو تربة الأمير

بركة خان بحى باب السلسلة عند ملتقى شارع باب السلسلة بعقبة أبو مدين التى تتجه إلى حارة المغاربة . والمبنى الآن هو وقف لآل الخالدى وسنتحدث عنه بالتفصيل بعد حديثنا عن المكتبة نفسها .

أسس هذه المكتبة الشيخ راغب الخالدى، الذى كان من أعيان القدس ورئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية فيها . وهو والد العلامة أحمد سامح الخالدى والدكتور حسين الخالدى والدكتور حسن الخالدى . .

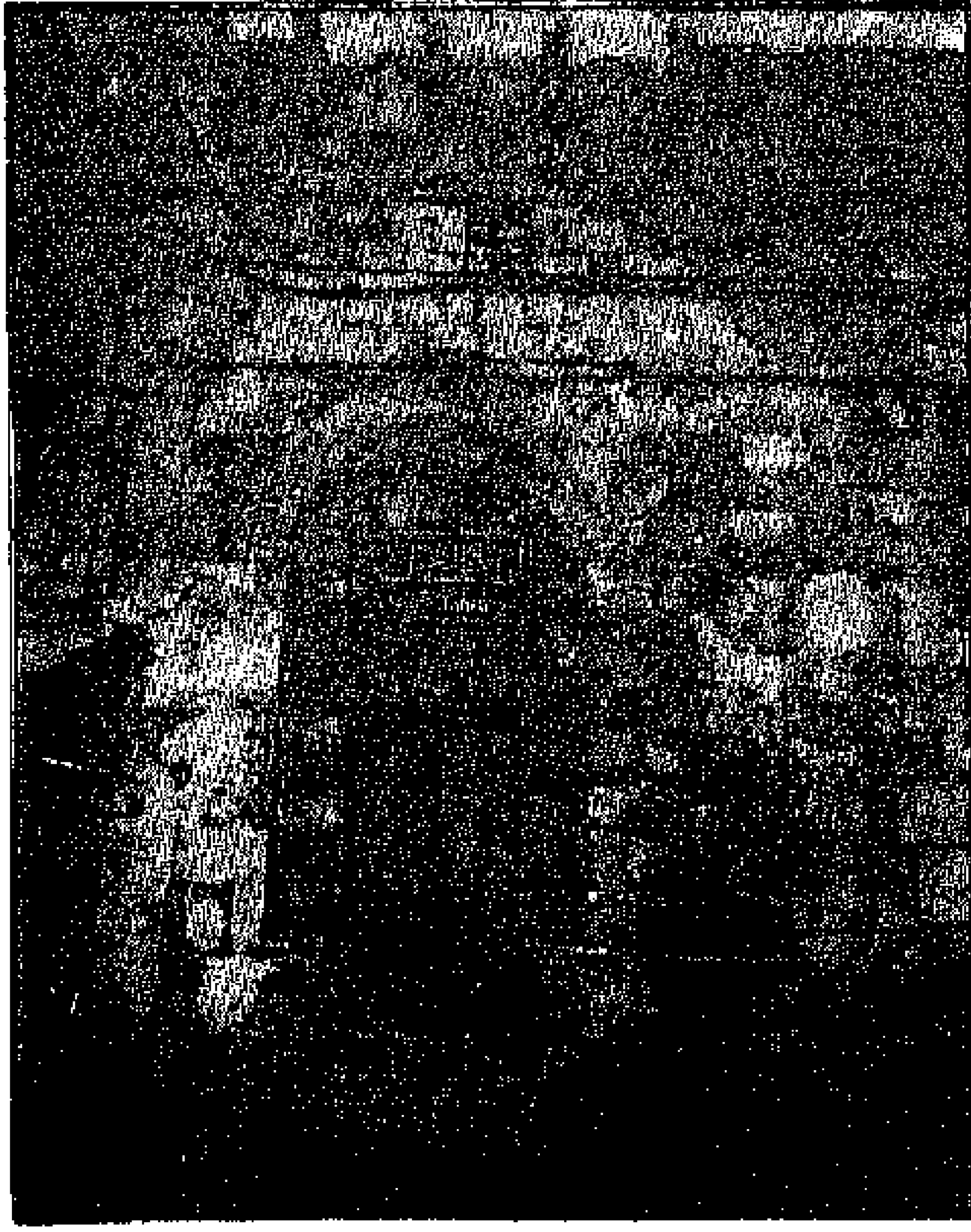
وقد أصدرت المكتبة عقب تأسيسها دليلا لقرائها أسمته «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» جاء فيه : (وفق الله تعالى جناب الفاضل الأديب الفطن الأريب صاحب المكرمة الحاج راغب أفندى الخالدى الديرى المقدسى بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة وهما صاحب الفضيلة ياسين أفندى الخالدى وموسى شفيق أفندى الخالدى إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة فى القدس الشريف) . (برنامج المكتبة الخالدية العمومية، ص ١ - مطبعة جورجى حبيب حنانيا . القدس سنة ١٣١٨ نقلا عن المكتبات الإسلامية فى القدس - بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام المنعقد بعمان ١٩٨٠ للدكتور أمين أبو ليل، ص ٢) .

ومن شروط مؤسسيها كما جاء فى هذا البرنامج «أن لا يخرج منها كتاب حرصا على المنفعة العامة» .

ونص البرنامج على أن تكون الدار «دار عمومية لمن يرغب فى المطالعة من أى فرد كان ... وهى مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء وعينوا لها محافظا أمينا» .

ويروى لنا فيليب دى طرازى قصة تأسيس هذه المكتبة فيقول : «خطر ببال الحاج راغب الخالدى أن ينشىء مكتبة عامة تظل وقفا ينتفع به طلاب العلم وكانت والدته خديجة بنت السيد موسى الخالدى قد أوصت بمبلغ من المال لأعمال البر فأقنعها ابنها الحاج راغب أن تؤسس بهذا المال معهدا يستوعب المكتبة المشار إليها .

وبعد المفاوضة فى الأمر اتفق أركان الأسرة الخالدية على



المكتبة الخالدية

أن يكون باب السلسلة مركزا لتلك الخزانة العلمية التى فتحت أبوابها رسميا عام ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ) لجمهور المطالعين . وجرى الاتفاق على أنه متى توفى أحد أفراد الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة الخالدية . وهكذا ضمت إليها كتب يوسف ضياء الدين باشا الخالدى نائب القدس فى مجلس المبعوثين العثمانى سنة ١٨٧٨، ومكتبة روحى بك الخالدى الرئيس الثانى لمجلس المبعوثين العثمانى سنة ١٩٠٨ بالأستانة، ونظيف بك الخالدى أحد مهندسى السكة الحديدية الحجازية، وأحمد بدوى بك الخالدى وغيرهم» (خزائن الكتب العربية فى الخافقين/ ١٢٤)

ويضيف دى طرازى قائلا (ص ١٤٣) :

«ما كادت المكتبة تظهر إلى الوجود حتى أقبل إلى القدس الشيخ العلامة طاهر الجزائرى منفيا من دمشق بأمر من السلطة العثمانية ... وكان الشيخ طاهر من أكبر غلاة الكتب وصديقا حميما للحاج راغب مؤسس هذه المكتبة . فكلفه هذا أن يساعده فى تبويبها وسعى فى إنشاء أوقاف خاصة بها تضمن نجاح مستقبلها» .

وتولى إدارة المكتبة بعد الشيخ طاهر الجزائرى الشيخ أمين

الأنصارى (الدنف). وقدظل مديرا للمكتبة زهاء نصف قرن وتوفى فى أوائل الخمسينات. وكان يتقاضى على ذلك أجرا من ريع الوقف الذى وقفه الشيخ راغب الخالدى. وكان الشيخ راغب قد وقف على المكتبة نصف حمام العين. بيد أن غلة الوقف هذه الأيام زهيدة جدا ولا تكفى للإنفاق على المكتبة.

وبعد وفاة الشيخ أمين الأنصارى بقى مفتاحها فى عهدة ابنه.. وفى سنة ١٩٦٧ تولى أمر المكتبة السيد حيدر الخالدى بوصفه قائما بأعمال متولى أوقاف آل الخالدى فى القدس.

مجموعة المكتبة:

نواة المكتبة كانت مجموعة المخطوطات التى توارثتها الأسرة الخالدية وكانت محفوظة فى ديوان الأسرة بباب السلسلة. ثم ضمت إليها مكتبات أفراد الأسرة الذى توفوا واشتهروا بالعلم كما أسلفنا، فتجمع لذلك فى المكتبة عدد كبير من المخطوطات والكتب النادرة والجرائد والمجلات وبلغات عديدة.

كتب محمد كرد على سنة ١٩٢٨ عن مجموعة المكتبة يقول (خطط الشام ٦/ ١٤٣، ١٤٤): ومن نوادرها «أنموذج العلوم» للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى المتوفى سنة ٨٣٤ هـ ذكر فيه أصول مائة علم. «الطبقات السنية فى تراجم الحنفية» عليه خط مؤلفه تقى الدين بن عبد القادر المصرى التميمى الدارى المتوفى سنة ١٠١٠ هـ. «الشعور بالعور» للصلاح الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ فى ذكر العلماء الذين أصيبوا بفقد إحدى أعينهم «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر فى خصائص الملك الناصر» وهو المعروف بالمدبجات لعبد المنعم الجليانى (٦١٣).

«مختصر حياة الحيوان» لجلال الدين السيوطى (٩١١). «قهوة الإنشاء» لابن حجة الحموى (٨٣٨) وهو مجموع رسائله. «إختصار السيرة النبوية» لمحيى الدين بن عربى (٦٣٨)، رواية ولده أبى سعيد وولده أبى بكر أبى المعالى محمد وابنته فاطمه عنه. «نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين» لمرعى الحنبلى (١٠٣٣).

«رونق الحفاظ بمعجم الألفاظ» للحافظ جمال الدين يوسف سبط شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن على بن حجر وعليه خط الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩)، وهو المجلد الثانى ويرجح أنه بخط مؤلفه. «مثير الغرام بفضائل القدس والشام» لشهاب الدين بن سرور المقدسى (٧٦٥). وفى آخره حواش فيها أسماء بعض تواريخ القدس. «اتحاف الأخصا فى فضائل المسجد الأقصى» لكمال الدين محمد بن أبى شريف الشافعى (٩٠٦).

«شاناق فى السموم والترياق» لشاناق الهندى. نقله من لغته الهندية إلى الفارسية منكة النهدى، نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهرى مولاه وهو فى معرفة السموم والترياق، وهى نسخة مملوكية. «الوسيط» للواحدى (٤٦٨)، الجزء الثالث منه. «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» لابن سيد الناس اليعمرى (٧٣٤). «أرجوزة محمد بن أحمد الباعونى» (٨٧١) فى التاريخ وقعت فى نحو ألف بيت من الهجرة إلى الملك برسباى. «تعاليق شهاب الدين أحمد بن الهائم» على الخصائص النبوية بخط المؤلف شهاب الدين أحمد الشهير بابن الهائم (٨١٥). «تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع» للدبوسى (٤٣٠). «مجموعة رسائل لابن كمال باشا» (٩٤٠). «تأويل مشكل الأحاديث والرد على الملاحدة والمعطلة وأهل الأهواء المبتدعة» من إملاء أبى بكر محمد بن حسن فورك (٤٠٦). «إيضاح الأشكال فى من أبهم اسمه من النساء والرجال» أى رواة الحديث للحافظ محمد بن طاهر المقدسى (٥٠٧)، وهو ينسب إلى قيسارية بين حيفا ويافا على ساحل البحر. «كتاب الأربعين الأبدال التساعيات» للبخارى ومسلم للحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى (٧١٧). «ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد» للسخاوى. «كتاب قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام» لأحمد بن محمد بن عمر القدسى الشهير بابن زوجة أبى عذيبة (٨٥٦).

كتاب «التبيان فى إعراب القرآن» لأبى البقاء العكبرى (٦١٦) «دمية القصر وعصرة أهل العصر» لأبى الحسن على الباخرزى. (٤٦٧) «ذيل يتيمة الدهر» للثعالبى.

إن بعض هذه المخطوطات التي ذكرها كرد على، بل كثيرا منها، فُقد ولم يعد موجودا في الخالدية، مع بالغ الأسف. على أنه ما زال في المكتبة عدد من المخطوطات القيمة منها على سبيل المثال:

		رقم المخطوطة في سجل المكتبة
الجامع الصغير	لجلال الدين السيوطي	(٣٧٣٩)
سهام الإصابة في الدعوات المستجابة	لجلال الدين السيوطي	(٣٩١٣)
أنموذج اللبيب في خصايص الحبيب	لجلال الدين السيوطي	(٣٩٧١)
الفتح القسي في الفتح القدسي	عماد الدين الأصبهاني	(٣٩٨)
حزب النصر	عبد القادر الجيلاني	(٣٠٢٠)
دايرة القطب الشاذلي	عبد الوهاب الشعراني	(٣٨٠٧)
الجواهر والدرر	عبد الوهاب الشعراني	(٣٢٦)
الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر	عبد الوهاب الشعراني	(٥٥٤)
مقامات الحريري	لأبي محمد القاسم بن علي الحريري	(٣٧٢٣)
مرآت المروءات	لأبي منصور الثعالبي	(٣٥٠٧)
باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس	لأبي إسحاق إبراهيم الفزاري	(٣٣٢١)
الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين	لأبي حامد الغزالي	(٢٩٤١)
مشكاة الأنوار	لأبي حامد الغزالي	(٢٩٤٦)
الفتاوى الخيرية	خير الدين الرملي	(٣٩)
مقامات الزمخشري	جار الله أبو القسم محمود ابن عمر الزمخشري	(١٤٧١)
مجمع الأمثال	لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني	(١٥١٩)

ومن الدواوين المخطوطة:

ديوان ابن الفارض	(٩٠٦)
وديوان الشاب الظريف	(٦٩٨)
وديوان امرىء القيس بن حجر الكندي	(٩٤٩)
وديوان حافظ الشيرازي	(١١٣٩)

ولو تتبعنا عدد مجلدات المكتبة من يوم إنشائها حتى اليوم لاتضحت لنا الصورة التالية:

عندما أسست المكتبة الخالدية سنة ١٩٠٠ / ١٣١٧ كانت تضم ١٣١٨ كتابا وفي سنة ١٩٢٨ بلغ عدد مجلداتها نحو أربعة آلاف نحو ثلثيها من المخطوطات وفي سنة ١٩٣٦ ازداد عدد كتبها ومخطوطاتها فبلغ سبعة آلاف مجلد ثلثها مخطوط. ومن تلك المخطوطات ما يبلغ عمره السبعة قرون.

وفي سنة ١٩٤٥ ازداد عدد الكتب والمخطوطات فبلغ اثنى عشر ألفا باللغة العربية، واللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية.

أما فهرس المكتبة الخالدية الذي بين أيدينا والذي تم إعداده سنة ١٩٧٣ فيشير إلى أن عدد الكتب والمخطوطات الحالي لا يتجاوز الستة آلاف. وهو بالتحديد ٥٩٨٠ كتابا ومخطوطا، منها ٤٤١٢ باللغة العربية واللغتين التركية والفارسية و ١٥٦٨ كتابا باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

وإذا افترضنا أن هذه الأرقام كلها صحيحة أو قريبة من الصحة لتبين لنا أن مجموعة المكتبة قد نقصت في الثلاثين سنة الماضية حوالي ٥٠٪ وهو رقم مخيف. ولا بد من اتخاذ الإجراءات العاجلة لحماية ما تبقى من موجودات هذه المكتبة.

لقد قامت بعثة من معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بتصوير مخطوطات المكتبة الخالدية في القدس في سنة ١٩٥٣ ولكننا علمنا أن نوعية الصور الموجودة في معهد المخطوطات ليست جيدة، وأن بعض الأفلام قد تلفت فلا تُقرأ. وقد بدأت مكتبة الجامعة الأردنية بتصوير مجلدات الخالدية من جديد، وبالفعل وصلتها بعض الصور وستوالي تصوير الباقي. على أن التصوير لا يمكن أن يكون بديلا عن

بذل الجهد لصيانة المخطوطات والكتب الأصلية وحفظها من التلف .

مبنى المكتبة الخالدية :

تحتل المكتبة دارًا أثرية بباب السلسلة، مقابل الطازية، هى تربة الأمير بركة خان وولديه، وقد كان الأمير حسام الدين بركة خان قائد الخوارزمية الذين استدعاهم الملك نجم الدين أيوب لفتح القدس ، وقد استرد هؤلاء القدس من الصليبيين للمرة الأخيرة، وقتلوا عددا كبيرا من سكانها النصارى . وواصل حسام الدين المعارك مع الخوارزمية إلى أن قتل فى معركة حمص فنقل رأسه إلى حلب وجسده إلى القدس (محرم سنة ٦٤٤) ودفن فى تربته، ثم دفن بعده ولداه بدر الدين محمد بك وحسام الدين كره بك . وفى صحن التربة اليوم ثلاثة قبور عليها شواهد مكتوب عليها أسماء الأمراء الخوارزمية الثلاثة المدفونين فيها على الوجه التالى :

شاهد القبر الأول :

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى حسام الدين ملك الأمراء البركة خان . توفى فى سنة أربع وأربعين وستمائة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

شاهد القبر الثانى :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب *سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ هذا قبر العبد الفقير الراجى رحمة الله وغفرانه حسام الدين كره بك بن بركتخان . نوَّر الله ضريحه . توفى فى ثالث ذى الحجة سنة إحدى وستين وستمائة هجرية غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

شاهد القبر الثالث :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم﴾ هذ قبر الفقير إلى الله الراجى رحمته وغفرانه الأمير الكبير بدر الدين محمد بك بن بركتخان . توفى مستهل ربيع الأول لثمان وسبعين وستماية» .

ويتألف مبنى التربة من صحن مفتوح تحيط به غرفة ذات قبة من الشرق، وقاعة القراءة (المكتبة الخالدية) من الغرب . ويبلغ طول العقار من الشرق إلى الغرب ١٧,٥ متر وعرضه ٨ أمتار من الشمال إلى الجنوب . ويستدل من المحراب الكائن فى جهة المكتبة القبلية أن المكان كان يستعمل مسجدا . والواقع أن المبنى كان يدعى فى السابق زاوية بركة خان كما كان يدعى تربة بركة خان ، من قبيل الاختلاط فى التسميات ، أو الشبه بين التربة والزاوية . ومن الطبيعى أنه كان يضم، كزاوية أو كتربة، مسجدا للصلاة . وفى القرن الحادى عشر قرر القاضى الإخوة الثلاثة الشيخ صالح والشيخ على والشيخ حسين أولاد الشيخ حسن بن على القرقشندى « فى وظيفة النظر والبوابة فى زاوية بركة خان الكائنة بالقدس الشريف بخط داود بالصف القبلى، عوضا عن والدهم بحكم وفاته .

من الذى أنشأ التربة ؟

يقول مجير الدين الحنبلى (الأنس الجليل ٢/ ٤٥) : « تربة الملك حسام الدين بركة خان مقابل المدرسة الطازية تاريخ عمارتها فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . وعمرت بعد موته» . ومن المعروف أن بركة خان توفى سنة ٦٤٤ . ويظهر أن مجير الدين استند إلى نقش على نافذة تربة بركة خان (يحيط به فرسان) هذا نصه :

« أنشأ هذا الشباك والقبة بتربة المرحوم الشهيد الملك حسام الدين بركة خان ، والقنطرة وعلوها والبوابة المباركة والمسقاة والحوانيت وعلوهم وخمسة بيوت بدار الوقف الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن تمر (نمر) العلائى لطف الله به فى مستهل ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة » .

غير أن هذا النقش لا يفيد أن التربة كلها بنيت فى تلك السنة . والأرجح أن العلائى المذكور بنى القسم الأعظم منها على كل حال . ويرى « فان برشم » أن منشىء التربة الأصلى هى ابنة بركة خان وزوجة الظاهر بيبرس فى القرن السابع

الهجرى، وأن محمد بن أحمد العلائى أعاد تعمير التربة وزاد عليها . وهذا أمر مرجح . ولا بد من الإشارة فى ختام حديثنا عن المكتبة الخالدية إلى أن السلطات الإسرائيلية تطمع فى الاستيلاء على المكتبة . وقد ذكر لى السيد حيدر الخالدى قيم المكتبة الخالدية فى الوقت الحاضر أن سلطات الاحتلال حاولت مصادرة الدار، وأنه اضطر لهذا السبب إلى مراجعة السلطات الإسرائيلية باعتبار أن الدار من أملاك وقف آل الخالدى، فألغى أمر المصادرة. ولكن أحدا لا يدرى ما يأتى به المستقبل إذا دامت الأوضاع فى القدس على ما هى عليه .

(معاهد العلم فى بيت المقدس ـ د . كامل جميل العسلى / ٣٧٩ ـ ٣٨٨) .

*** الخالص فى الكيمياء (كتاب ـ) :**

كتاب الخالص فى الكيمياء : للشيخ جابر بن حيان الطرسوسى وقيل الطوسى إمام علم الكيمياء المتوفى سنة ٢٦٠ ستين ومائتين وذكر فيه أسرار الصنعة .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٥) .

*** خالصة :**

خالصة فى اللغة خاصة . وقد استعمل هذا اللفظ فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل « خالصة أمير المؤمنين » ، و« خالصة الأنام » ، و« خالصة الدنيا والدين » . انظر كلا تحت عنوانه .

(الألقاب الإسلامية ـ د . حسن الباشا/ ٢٧٣)

*** خالصة أمير المؤمنين:**

خالصة أمير المؤمنين : لقب قديم كان يعطف على «صفى أمير المؤمنين» وقد أطلق على أبى سلامة محمود بن نصر بن صلح فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٤٦٥ هـ على القلعة بحلب . واعتبره ابن شيفى أواخر العصر الأيوبى ضمن الألقاب التى تطلق على كبراء الدولة من الكتّاب . وأورده القلقشندى مع «الجناب الكريم» ضمن ألقاب الوزراء ومن فى معناهم .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن باشا/ ٢٠٠)

*** خالصة الأنام :**

خالصة الأنام : جعل شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابه «عرف التعريف» هذا اللقب أعلى ألقاب الصلحاء من هذا النوع ، وأورده مع « الحضرة الشريفة» التى جعلها أكبر رتبهم، ومع « الجناب الشريف» و « الجناب الكريم» و «الجناب العالى» ، وجعل دونه «شريف الأنام» ، وأورده مع «المجلس العالى» ، ودونه «زين الأنام» وأورده «مع المجلس السامى» .

(الألقاب الإسلامية ـ د . حسن الباشا / ٢٧٣) .

*** خالصة الحقائق:**

انظر: خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق .

*** خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق:**

جاء فى الكشف : خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق : لأبى القاسم عماد الدين محمود بن أحمد (الفاريابى) المتوفى سنة ٦٠٧ سبع وستمائة .

مجلد أوله : الحمد لله الذى برأ كل حى . . . إلخ . رتب على خمسين بابًا وأورد فى كل منها طرفًا من الأخبار والآثار وكلمات الأكابر والحكم والأشعار وفرغ منه فى سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة . واختصره على بن محمود بن محمد الرابض البدخشانى وسماه « أخلص الخالصة » لخصه على سبيل الإيجاز والاختصار.

أوله : الحمد لله الأحد القديم السلام . . . إلخ (كشف ١ / ٦٩٩).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٣٧٣٤

لأبى القاسم عماد الدين محمود بن أحمد (الفاريابى) المتوفى سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠م

الأول : (يقول العبد المذنب أبو القاسم . . . لما كانت السنة النبوية والسيرة الرضية بين السالكين منهج المجاهدين والممسكين عروة . . .) .

وهو كتاب فى غرائب الأخبار، ونوادر الأشعار، والحكم

والآثار واللطائف والنصائح الملتقطة من كتب الدين والأدب والتاريخ، وقد أشار المؤلف إلى المصادر التي اعتمدها والتي بلغت (٧٠) كتابا... فرغ منه المؤلف سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م ورتبه على خمسين بابا.

ذكر المؤلف في ديباجة الكتاب أن له كتاب «مصباح الجنان» وكتاب «خلاصة المقامات».

نسخة نفيسة، ترقى إلى القرن الحادي عشر الهجري/ القرن السابع عشر الميلادي.

ناقصة صفحة واحدة من الأول.

٢٥٤ص ٢٠×١١,٥ سم ٢٩س

كشف ١/ ٦٩٩، معجم المؤلفين ١٢/ ١٤٥، الأعلام ٧/ ١٦١، ششن ٢/ ٢٧٩.

(نسخة من الكتاب في مكتبة رشيد أفندي بتركيا برقم ٣٧٢/ ١).

نسخة أخرى.

الرقم: ٣٦٦.

أولها: (الحمد لله الذي برأ كل حي ثم دعاه، وذرأ كل شيء، ثم أفناه لا تتمثله الأبصار، ولا تتخيله الأفكار والظنون...).

كتبها بخط النسخ مصطفى بن عبد اللطيف متولي حضرة الإمام الأعظم سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م عن نسخة المؤلف.

٣٥٠ص ٢٥×١٦ سم ٢٧ س

نسخة أخرى.

الرقم: ٢٨٣٤٨

كتبت سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م، بخط النسخ الجيد، مؤطرة الصفحات في أولها فهرس، مذهبة الأول، تملكها محمد بن عبد الله بن محمد.

٥٦٦ص ٢٨×١٨,٥ سم ٣١س

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي/ ١٥٥، ١٥٦).

ويوجد مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا، وقد أدرج تحت الاسم المختصر «خالصة الحقائق» وجاء بيانه كما يلي:

خالصة الحقائق OP 2153

تأليف: أبي القاسم محمود بن أحمد بن أبي الحسن الفاريابي المتوفى سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م.

اسمه الكامل: «خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق» وهو كتاب في غريب الأخبار، ونوادر الأمثال، وغرر المقالات، ودرر الدلالات، ومقامات الزهاد.

قسمه مؤلفه إلى أبواب وفي كل باب أورد أولاً دلالات أرباب الشريعة وإشارات أصحاب الحقيقة، ثم ثنى بالأخبار والآثار والحكايات والحكم والنوادر والأشعار حسب ما يقتضيه مقام الباب.

وجعله من خمسين بابًا، أولها: باب العقل والعقلاء، وآخرها في المتفرقات، وختم كتابه بفهرس أسماء الكتب التي استخرج منها حكمه ونوادره وشعره وسائر مادة كتابه.

أوله بعد البسملة: «الحمد لله الذي برأ كل حي ثم دعاه، وذرأ كل شيء ثم أفناه...».

آخره: «... تمت كتابة هذا الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد العاصي... حاجي بن شادي في يوم الثلاثاء من غرة ربيع الثاني بمدرسة الملكية بقصبة سلومة... سنة ست وثلاثين وثمانمائة، اللهم اغفر لمصنفه ولكاتبه ولصاحبه».

النسخة بحالة عادية وقع فيها خروم قليلة وكتبت بخط تعليق مفيد بالشكل.

(٣٤٦)ق (٢٦ × ١٧,٥ سم) (١٩ × ١١,٥سم) مسطرتها (٢٣ س) الكشف ١/ ٤٥٩ بروكلمان ١/ ٣٧٩ ذيل بروكلمان ١/ ٦٥٢ (فهرس المخطوطات العربية/ ٢٣٨، ٢٣٩).

ويوجد مخطوط ترجمته التركية في الدار القومية وجاء بيانه كما يلي:

تأليف الإمام الفاريابي (أبي القاسم عماد الدين محمود ابن أحمد (الفارابي) المتوفى سنة ٦٠٧هـ) ولم يعلم اسم المترجم وقد ترجمها باسم مصطفى باشا.

أول الترجمة : الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبرياء ...

وبعد فهذا كتاب ترجمته من كتاب خالصة الحقائق للإمام الفاريابي ... إلخ .

ــ نسخة مخطوطة في مجلد، بقلم نسخ عادي، تمت كتابتها سنة ١٠٩٦ هـ، في ٢١٥ ورقة، مسطرتها ١٣ سطرا، في ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم .

(٤ أخلاق تركي طلعت)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١/ ١٩٨)

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٩٩، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٥، ١٥٦، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠م، ١/ ١٩٨) .

* خالصة الدنيا والدين:

خالصة الدنيا والدين : من الألقاب المضافة إلى « الدنيا والدين » وقد أطلق هذا اللقب على ابنة الملك فخر الدين في نص إنشاء من ح سنة ٦٢٥ هـ في برج الأسوار في بيروت : «رسمت بعمارت هذا البرج الملك العالمت العادلة خالصة الدنيا والدين افتخار الخواتين ابنة الملك فخر الدين » .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٣) .

* الخالصة في الطب:

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الطب .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم : ٧٥٨٢ .

كتاب باللغة الفارسية في الأمراض والعلاجات الطبية لم يعلم اسم مؤلفه الذي رتبه في ٢٤ بابا .

الأول « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين ... » .

نسخة جيدة كتبت لأجل رضا بك سنة ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠م .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي / ٩٨) .

* الخالق البارىء المصور جل جلاله :

الأسماء الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من أسماء الله الحسنى . وقد أدرج حجة الإسلام الغزالي الأسماء الثلاثة معا فقال في تفسيرها : الخالق البارئ المصور :

قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع. ولا ينبغي أن يكون كذلك . بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى التقدير أولا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا ، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا .

والله تعالى : خالق من حيث إنه مقدر... وبارىء من حيث إنه مخترع موجد ... ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب .

وهذا كالبناء مثلاً، فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها . وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره . ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال التي عندها يحدث حصول الأبنية . ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره، ويزين صورته ... ويتولاه غير البناء .

هذه هي العادات في التقدير والبناء والتصوير، وليس كذلك في أفعال الله تعالى . بل هو المقدر والموجد والمزين . فهو الخالق البارىء المصور .

ومثاله الإنسان، وهو أحد مخلوقاته، وهو يحتاج في وجوده أولا أن يقدر ما منه وجوده وأنه جسم مخصوص . فلا بد من الجسم أولا حتى يخصص بالصفات، كما يحتاج البناء إلى الآلات حتى يبنى. ثم لا تصلح بنية الإنسان إلا في الماء والتراب جميعا، إذ التراب وحده يابس محض لا يتثنى ولا يتعطف في الحركات، والماء وحده رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب . فلا بد وأن يمزج الرطب باليابس حتى يعتدل، ويعبر عنه بالطين. ثم لا بد من حرارة طابخة حتى يستحكم مزاج الماء بالتراب ولا ينفصل ؛ فلا يتخلق الإنسان من الطين

المحض، بل من صلصال كالفخار. والفخار هو الطين المعجون بالماء الذى عملت فيه النار حتى أحكمت مزاجه. ثم يحتاج إلى تقدير للماء والطين بمقدار مخصوص؛ فإنه إن صغر مثلا لم يحصل منه الأفعال الإنسانية، بل كان على قدر الذر والنمل؛ فتسفيه الرياح، ويهلكه أدنى شىء. ولا يحتاج إلى مثل الجبل من الطين؛ فإن ذلك يزيد على قدر الحاجة. بل الكافى من غير زيادة ولا نقصان قدر معلوم يعلمه الله.

وكل ذلك يرجع إلى التقدير. فهو باعتبار تقدير هذه الأمور، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير ـ خالق. وباعتبار مجرد الإيجاد والإخراج من العدم إلى الوجود ـ بارىء.

والإيجاد المجرد شىء، والإيجاد على وفق التقدير شىء آخر. وهذا يحتاج إليه من يبعد رد الخلق إلى مجرد التقدير مع أن له فى اللغة وجها؛ إذ العرب تسمى الحَذِق المجرب خالقا؛ لتقديره بعض الفعل على بعض. ولذلك قال الشاعر:

ولأنت تفـــــرى مـــــا خلقت

وبعض القـــــوم يخلق ثم لا يفـــــرى

فأما اسم المصور؛ فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب، وصورها أحسن تصوير.

وهذا من أوصاف الفعل، فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل؛ فإن العالم كله فى حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على غرض مطلوب منه. وإنما أعضاؤه وأجزاؤه: السموات، والكواكب، والأرض، وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما.

وقد رتبت أجزاؤه ترتيبا محكما، لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام. فمخصوص بجهة الفوق وما ينبغى أن يعلو، وبجهة السفل وما ينبغى أن يسفل.

وكما أن البنَّاء يضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالجملة والقصد لإرادة الإحكام. ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب أسفلها لانهدم البناء ولم تثبت صورته أصلا. وكذلك ينبغى أن نفهم السبب فى علو الكواكب وتسفل الأرض والماء، وسائر أنواع الترتيب فى الأجزاء العظام من أجزاء العالم.

ولو ذهبنا نصف أجزاء العالم ونحصيها، ثم نذكر الحكمة فى تركيبها ـ لطال. وكل من كان أوفر علما بهذا التفصيل كان أكثر إحاطة بمعنى اسم المصور.

وهذا الترتيب والتصوير موجود فى كل جزء من أعضاء النملة، بل الكلام يطول فى شرح صورة العين التى هى أصغر عضو فى الحيوان. ومن لم يعرف طبقات العين، وعدد هيئاتها، وشكلها، ومقاديرها، وألوانها، ووجه الحكمة فيها ـ فلن يعرف صورتها، ولم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل. وهكذا القول فى كل صورة حيوان ونبات، بل فى كل جزء من كل حيوان ونبات.

تنبيه: حظ العبد من هذا الاسم أن يحصل فى نفسه صورة الوجود كله على هيئاته وترتيبه حتى يحيط بهيئة العالم كله كأنه ينظر إليها.

ثم ينزل من الكل إلى التفصيل فيشرف على صورة الإنسان من حيث بدنه وأعضائه الجسمانية، فيعلم أنواعها وعددها وتركيبها والحكمة فى خلقها وترتيبها. ثم يشرف على صفاته المعنوية ومعانيه الشريفة التى بها إدراكاته وإراداته. وكذلك يعرف صورة الحيوانات، وصورة النبات ظاهرا وباطنا بقدر ما فى وسعه حتى يحصل نفس الجميع وصورته فى قلبه.

وكل ذلك يرجع إلى معرفة صورة الجسمانيات وهى مختصرة بالإضافة إلى معرفة ترتيب الروحانيات. وفيه يدخل معرفة الملائكة، ومعرفة مراتبهم، وما وكل إلى كل واحد منهم من التصرف فى السموات والكواكب، ثم التصرف فى القلوب البشرية بالهداية والإرشاد، ثم التصرف فى الحيوانات بالإلهامات الهادية لها إلى مظنة الحاجات.

فهذا حظ العبد من هذا الاسم، وهو اكتساب الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية؛ فإن العلم صورة النفس مطابقة لصورة المعلوم.

وعلم الله بالصور سبب لوجودها فى الأعيان والصور الموجودة فى الأعيان سبب لحصول الصور العلمية فى قلب الإنسان.

وبذلك يستفيد العبد بمعنى الاسم المصور من أسماء الله تعالى. ويصير أيضا باكتساب الصور فى نفسه كأنه مصور. وإن كان ذلك على سبيل المجاز فإن تلك الصورة إنما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه، لا بفعل العبد ولكن يسعى فى التعرض لفيضان رحمة الله تعالى عليه؛ فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا».

(أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن محمد بن مسلمة. وقال السيوطى فى الجامع الصغير: حديث ضعيف (١ : ٣٦٧ ـ حديث رقم ٢٣٩٨) وقال الهيثمى: فيه من لم أعرفهم، ومن عرفتهم وثقوا (المجمع ١٠ : ٢٣١) وللطبرانى نحوه عن أنس بن مالك، وإسناد رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن الكبير وهو ثقة).

أما الخالق والبارىء، فلا مدخل للعبد أيضا فى هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد. ووجهه أن الخلق يرجعان إلى استعمال القدرة بموجب العلم، وقد خلق الله تعالى للعبد علما وقدرة، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق تقديره وعلمه.

والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلا: كالسماء، والكواكب، والأرض، والحيوان، والنبات، وغيرها. وإلى ما لا يرتبط حصولها إلا بقدرة العباد، وهى التى ترجع إلى أعمال العباد: كالصناعات، والسياسات، والعبادات، والمجاهدات.

فإذا بلغ العبد فى مجاهدة نفسه بطريق الرياضة وفى سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيه باستنباط أمور لم يسبق إليها، ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها ـ كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل؛ إذ يقال لواضع الشطرنج إنه الذى وضعه واخترعه؛ حيث وضع ما لم يسبق إليه. إلا أن وضع ما لا خير فيه لا يكون من صفات المدح. وكذلك فى الرياضات والمجاهدات والسياسات والصناعات، التى هى منبع الخيرات ـ صور وترتيبات يتعلمها الناس بعضهم من بعض، وترتقى لا محالة إلى أول مستنبط وواضع. فكان ذلك الواضع كالمخترع لتلك الصور والخالق المقدر لها، حتى يجوز إطلاق الاسم عليه مجازا.

ومن أسماء الله ما يكون نقلها إلى العبد مجازا، وهو الأكثر. ومنها ما يكون فى حق العبد حقيقة، وفى حق الله تعالى مجازا: كالصبور، والشكور. ولا ينبغى أن تلاحظ المشاركة فى الاسم وتذهل عن هذا التفاوت الذى ذكرناه (المقصد الأسنى / ٧٢ ـ ٧٥).

أما الإمام الفخر الرازى فيقسم بحثه إلى ثلاث مسائل: الأولى والثانية فى تفسير اسمه تعالى «الخالق»، والثالثة فى تفسير أسمائه الثلاثة: الخالق البارىء المصور.

يقول رحمه الله: القول فى تفسير اسمه «الخالق»:

قال تعالى: ﴿هو الله الخالق﴾ [الحشر: ٢٤] وقال تعالى: ﴿خالق كل شىء فاعبدوه﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى: ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ [يس: ٨١] وقال تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] وقال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] وفيه مسائل.

الأولى: فى تفسير الخلق: اعلم أن الخلق جاء فى اللغة بمعنى الإيجاد، والإبداع، والإخراج من العدم إلى الوجود، والدليل على أنه جاء بمعنى التقدير وجوه.

الأول: قوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] هذه الآية تقتضى كثرة الخالقين، وثبت بالدلائل العقلية والسمعية أنه لا موجد إلا الله تعالى، فوجب حمل الخلق فى هذه الآية على التقدير.

الحجة الثانية قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩] ومعلوم أن المراد من قوله «كن فيكون» هو الإيجاد والإبداع، وقوله «خلقه من تراب» مقدم عليه، والشىء المتقدم على الإيجاد ليس إلا التقدير، فثبت أن المراد بقوله ﴿خلقه من تراب﴾ هو أنه قدره منه، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ألا له

الخلق والأمر﴾ فالخلق هـو التقدير، والأمر هـو قوله: ﴿كن فيكون﴾.

الحجـة الثالثـة: أن الكذب في اللغـة يسمى خلقا، قـال تعالى: ﴿وتخلقون إفكا﴾ [العنكبوت: ١٧]. ﴿إن هذا إلا خلُق الأولين﴾ [الشعـراء: ١٣٧]. ﴿إن هـذا إلا اختـلاق﴾ [ص: ٧] والكذب إنمـا يسمى خلقا، لأن الكـاذب يقدر في نفسه ذلك الكـذب ويضمره فدل هذا على أن التقـدير يسمى بالخلق.

الحجة الرابعة: قـوله لعيسى عليه السلام ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ [المائدة: ١١٠] والمراد التصوير. والتقدير.

الحجـة الخـامسـة: قـول الشـاعـر: [زهيـر والبيت من الكامل]

ولأنت تفـــرى مـــا خلقـت وبعــــــــــــــ
ـــــــــــض القـــوم يخلق ثم لا يفـــرى

وأيضا الإسكاف يسمى خالقا، لمـا أنه يقدر النعل بقالب مخصوص، قال:

ولا يبسط بأيـــــدي الخـــــالقين ولا
أيـــــدي الخـــــوالق ألا حبـــــذا الأدم

فثبت بهـذه الـوجـوه أن الخـالق جـاء فـي اللغـة بمعنى التقـديـر، فلنبحث الآن عن التقـديـر أيضا مـا هـو، فنقـول: التقدير عبارة عن تكـوين الشيء على مقدار معين، ولا بد فيه من أمور ثلاثة.

أحـدهـا: القدرة المـؤثـرة في وجـود ذلك الشيء، ثم إن كانت القـدرة بحيث لايتوقف تأثيرها في المقـدور على آلة، كما فـي حق الله سبحانـه وتعالى كان التقـدير هـو نفس ذلك التحصيل والتكوين، وإن كان يتوقف على آلة مخصوصة كما في حق العبد، فإنه لا يمكنه تصوير الجسم المتباين وتشكيله إلا عند حركات الأصابع فها هنا سميت تلك الحركات القائمة بأصابعه تصويرا وتقديرا.

والثاني: الإرادة المخصصـة لذلك الشيء بـذلك المقدار المعين، دون ما هي أزيد منه وأنقص منه.

والثـالث: العلم بذلـك القدر الخـاص، وذلك لأن إرادة الشيء مشـروطة بـالعلم بـه، ثم إن كـان الفاعـل عالمـا بكل المعلومـات كـان غنيـا في حصـول ذلك العلم عن الفكـرة والروية، كما في حق الله سبحانه وتعالى، وإن لم يكن كذلك لم يحصل له ذلك العلم بذلك المقدار الموافق للمصلحة إلا بالفكر والـروية، فهاهنا قـد تسمى تلك الفكرة والرويـة تقديرا وتخليقا، ولكنـه على سبيل المجاز، وذلك لأن التقديـر عبارة عن إيقـاع الشيء على قـدر معين، وذلك لا يمكن إلا بعـد العلم بأمرين. أحدهما: العلـم بذلك القدر، والثاني: العلم بكون ذلك القدر الموافق للمصلحة. وهذان العلمان لا يمكن حصولهمـا إلا بعد الفكرة فكانـت الفكرة شرطا لحصـول هذا العلم في حق العبـد، وهذا العلم شـرط لكون المـريد مـريدا لإيقاعه على ذلـك القدر، ولكون القادر موجـدا له على ذلك القدر، فكانت الفكـرة شرطا لشرط التقـدير لا مطلقا، بل في حق العبد، فبهـذا الطريق سميت الفكرة خلقا وتقـديرا، هذا هو البحث عن حقيقة التقدير وماهيته. أما بيان أن لفظ الخلق جـاء في اللغـة بمعنى الإيجـاد والإبداع، فيـدل عليـه وجـوه الأول: قوله تعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] ولو كان الخلق هاهنا عبارة عن التقدير لصار معنى الآية إنا كل شيء قدرناه بقدر، فيكون تكريرا بلا فائدة.

الحجة الثانيـة قوله: ﴿وخلق كل شيء فقـدَّره تقـديـرا﴾ [الفرقـان: ٢] ولو كـان الخلق عبارة عـن التقدير لكـان معنى الآية: وقدر كل شيء فقدره تقديرا.

الحجة الثالثة قوله تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء﴾ [فاطر: ٣].

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكـون المراد نفي خـالق غير الله يرزقكم من السماء، وهذا لا يقتضي نفي خالق غير الله؟

قلنا: بتقدير أن يصح الإيجـاد من غير الله لا يمتنع إثبات خالق غير الله يرزقنا مـن السماء، لأن الملائكة يصدق عليهم كـونهم خالقين، ولا يمتنع عليهم أن يـرزقـوا غيرهم، ولـذلك يقال رزق السلطان فلانا كذا إذا ملكه ومكنه من التصرف فيه، فثبت أن هـذه الآيـة تقتضي نفـي خـالق غيـر الله، ولا يمكن حمل الخالق هـاهنا على المقدر، لما بينـا أن في المقدورين كثرة، فوجب أن يكون المراد منه الإيجاد والإبداع.

الحجة الرابعة: قوله تعالى ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ولا يليق بلفظ الخلق ها هنا إلا الإيجاد:

الحجة الخامسة: قوله تعالى: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا

خلق الذيـن من دونه﴾ [لقمـان : ١٣] ذكـر هـذا على سبيل الإنكار، وهذا صريح فى أن كل من سوى الحق ليس بخالق، فثبت بهـذه الـدلائل أن الخلق جاء فى اللغـة بمعنى الإيجـاد والإبداع.

المسألة الثانية : زعم أبو عبد الله البصرى عن المعتزلة، أن إطـلاق اسم الخـالق على الله ليس على سبيل الحقيقـة؛ لأن الخلق فى اللغـة عبـارة عن الفكـرة والـرويـة، وهـذا على الله محـال، وكان إطـلاق اسم الخـالق على الله ليس على سبيل الحقيقة، وهذا ضعيف من وجهين.

الأول: أنا بينا أن لفظ الخلق كما ورد بمعنى التقدير، فقد ورد أيضا بمعنى الإيجاد والإبداع، وهذا المعنى ثابت فى حق الله تعالى.

الثانى: سلمنا أن الخلق فى اللغة عبارة عن التقدير فقط، لكنا بينـا أن الفكرة ليست جـزء ماهيـة التقدير؛ بـل هى شرط التقـدير فى حق العبـد لا مطلقـا، فلا يلـزم من انتفاء الفكـرة انتفاء التقدير.

المسألة الثالثة : معنى الخـالق البارىء المصور: اعلم أن قوله تعالى ﴿هو الله الخالـق البارئ المصور﴾ [الحشر: ٢٤] إما أن يكون المراد هو المقدر. أو الموجد، فإن فسرنا الخالق هاهنـا بالمقـدر حسن انتظام هـذه الأسماء الثـلاثة علـى هذا الترتيب، وذلك لأن التقـدير يرجع حاصلـه إلى العلم، فنقول من قـدمـاء الفـلاسفـة من ظن أنـه سبحـانـه وتعـالى لا يعلم الأشياء، بل قالـوا: إنه سبحانه آنية معلـة، فلفظ الخالق يدل على كونه سبحـانه وتعالى عالما بحقـائق الأشياء، وبجهات مصالحها.

ومنهم من سلم كـونـه سبحـانـه وتعـالى عـالم بحقـائق الأشياء، لكنه يقول الهيولى قديمة، والبارئ يتصرف فى فلك الهيولى القـديمة، فقـوله البـارئ رد على هؤلاء فإنـه يدل على كونـه تعالى موجدا لهـا عن العدم المحض، ومبدعـا لها عن النفى الصرف.

(الهيـولى فى الفلسفـة المـادة الأولـى، تنفعل وتحمل الصورة فتتولد الموجودات والجمع هَيُولَيَات)

ومنهم من سلم كونـه تعالى عالمـا بالأشياء، وسلم كـونه موجدا لهذه الذوات، إلا أنه يقـول صور النبات والحيوان إنما تصدر عـن الطبيعة، فالطبيعـة هى التى تصور كل واحـد من النبات والحيوان بصـورته الخاصة، وخلقته المعينـة، فقوله : «المصـور» رد على هؤلاء، فـالخالق يـدل على كمال علمـه، والبـارئ يـدل على كـونـه مـوجـدا للـذوات لا عن المـادة، والمصور يدل على أنـه هو الذى صور هـذه الأشياء ووضعها بكيفياتهـا، فمن عـرف ربه بهـذه الأسماء الثـلاثة فقـد عرف معبوده بصفات الإلهية، ونعوت الربـوبية، فظهر بهذا أن هذا الترتيب فى غاية الحسن والفائدة.

ومثـاله : أنـه سبحانـه وتعـالى لما أراد أن يخلق الإنسـان عاقلا فاهما متحملا لأمانـة الله تعالى، مخاطبا، مكلفا، فلا بد وأن يقدر تـركيب ذاته بقدر مخصوص وصفـات مخصوصة ويـؤلف أعضـاءه على وجـه مخصوص مطـابق للمصلحـة، والحكمة على مـا يشتمل عليه كتب التشـريح، ثم إذا حصل التقـدير على هـذا الـوجه فـلا بد من مـادة عنهـا يتكون بـدن الإنسـان، وهى الأجسام، ولا بـد من صـورة بهـا يتكون بـدن الإنسـان، وهى الأمـزجـة والقـوى والتـركيبـات، فهـو تعـالى ﴿خالق﴾ لأنـه هو الـذى قدر كل شيء فى علمـه بالمقـدار النـافع، الطـابق للمصلحـة، «و ﴿بارئ﴾ لأنـه أبـدع تلك الأجسام، وأخرجها من العـدم إلى الوجود، و ﴿مصور﴾ لأنه تعـالى هو الـذى أحـدث المزاج والقـوى والتـراكيب فى تلك الأجسام، فإذا عـرفت وجه الكلام فى هذه الصـورة الواحدة، فـاعـرف مثلـه فى جميـع الأجسـام العلـويـة، وهى الأفـلاك والكـواكب، وفى جميع الأجســام السفليـة وهى العنـاصـر، والمعادن والنبـات، والحيوان، وخاصـة الإنسان، وتأمل فى كيفية تركيبـاتها، وتأليفاتها، حتى يقع فى بحـر لا ساحل له، وكل ذلك كالتفسير لكونه تعالى خالقا بارئا مصورا هذا كله إذا فسرنا الخالق بالمقدر.

أما إذا فسرناه بالموجد والمبدع فإنه يصعب تفسير البارئ : فنقول : ذكروا فى تفسير البارئ وجوها.

الأول: أن البـارئ هو المـوجـد والمبـدع، يقال: بـرأ الله

الخلق يبرأهم، والبرية الخلق، فعيلة بمعنى مفعولة، وأصله الهمز إلا أنهم اصطلحوا على ترك الهمزة فيه قال أبو عبيده الهروى: العرب تترك الهمزة من خمسة أحرف: البرية وأصلها برأت، والروية وأصلها رأوت، فى هذا الأمر، والخابية وأصلها خبأت والنبوة وأصلها نبأت، والذرية وأصلها ذرأت، فعلى هذا التقدير لا فرق بين الخالق والبارئ، وهما لفظان مترادفان وَرَدَا فى معنى واحد.

الوجه الثانى: أن أصل البرء القطع والفصل، قال الأخفش: يقال برت العود وبروته إذا قطعته ونحته، وبريت القلم بغير همز إذا قطعته وأصلحته، ويقال: برأت من المرض أبرأ برأ وبريت أيضا من المرض أبرأ، ويقال برأت من فلان ودعواه أبرأ براءة، وبرأ الرجل من شريكه، وبرأ الرجل من امرأته إذا فارقها، إذا عرفت هذا فنقول إنه تعالى خالق بمعنى أنه موجد للذوات والأعيان، وبارئ بمعنى أنه فصل بعض الأشخاص عن بعض، ومصور بمعنى أنه هو الذى يصور كل واحد من الأشخاص بصورته الخاصة، وعلى هذا الوجه ظهر الفرق بين هذه الأسماء الثلاثة.

الوجه الثالث: أن البارئ مشتق من البرى وهو التراب، هكذا قاله ابن دريد، والعرب تقول بفيه البرى أى التراب، فالخالق يدل على أنه تعالى أوجد الأشياء من العدم، والبارى يدل على أنه تعالى ركب الإنسان من التراب، كما قال: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ [طه: ٥٥] ومصور من حيث إنه أعطاه الصورة المخصوصة، كما قال: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤] و [التغابن: ٣].

قال أبو سليمان الخطابى: وللفظة البارئ اختصاص بالحيوان أزيد مما لسائر المخلوقات، فيقال برأ الله الإنسان، وبرأ النسم، ولا يقل برأ الله السماء والأرض، وكانت يمين على بن أبى طالب عليه السلام التى يحلف بها؛ والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة، وهذا يؤيد قول ابن دريد، وأما المصور فهو مأخوذ من الصورة.

وفى اشتقاق لفظ الصورة قولان:

الأول: من الصور وهو الإمالة قال تعالى: ﴿فصرهن إليك﴾ [البقرة: ٢٦٠] أى أملهن؛ وفى حديث عكرمة «وحملة العرش كلهم صور» يريد جمع أصور، وهو مائل العين، فالصورة هى الشكل المائل إلى الأحوال المطابقة للمصلحة والمنفعة.

والثانى: أن الصورة مأخوذة من صار يصير، ومنه قولهم: إلى ماذا صار أمرك، ومادة الشىء هى الجزء الذى باعتباره يكون الشىء يمكن الحصول، وصورته هى الجزء الذى باعتباره يكون الشىء حاصلا كائنا لا محالة، فلا جرم كانت الصورة منتهى الأمر ومصيره.

إذا عرفت هذا فنقول: لا شك أن الأجسام متساوية فى ذاتها، ويرى كل جسم مختصا بصورة خاصة، وشكل خاص، والذوات المتماثلة إذا اختلفت في الصفات كانت تلك الصفات جائزة العدم والوجود، والجائز لا بد له من مرجح ومخصص فافتقرت الأجسام بأسرها فى صورها المخصوصة، وأشكالها المخصوصة إلى مخصص قادر، وهو الله سبحانه فثبت أنه سبحانه وتعالى هو المصور، ثم إنه سبحانه خص صورة الإنسان بمزيد العناية، كما قال: ﴿وصوَّركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤] و [التغابن: ٣] وقال تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] وقال بعد أن شرح خلق الإنسان: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] هذا هو الكلام فى تفسير هذه الأسماء الثلاثة.

المسألة الرابعة: فى كلام المشايخ فى اسمه الخالق والبارئ والمصور: فى هذه الأسماء قالوا: الخالق هو الذى بدأ الخلق بلا مشير، وأوجدها بلا وزير، وقيل: الخالق الذى ليس لذاته تأليف، ولا عليه فى قوله تكليف، وقيل: الخالق الذى أظهر الموجودات بقدرته، وقدر كل واحد منها بمقدار معين بإرادته، وقيل: الخالق الذى خلق الخلق بلا سبب وعلة، وأنشأها من غير جلب نفع ولا دفع مضرة.

حكى عن جعفر بن سليمان أنه قال: مررت بعجوز مكفوفة تنوح على نفسها فقلت لها: ما معاشك؟ فقالت: دع هذه الفضول، بلغت هذا المبلغ فما أحوجنى إليك ولا إلى

غيرك. ثم قالت أما سمعت قول الخليل عليه السلام: ﴿الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠].

أما البارئ فقالوا: من عرف أنه البارئ لم يكن للحوادث فى قلبه أثر، ولا للشواهد على سره خطر، وقيل: من عرف أنه البارئ تبرأ عن حول نفسه وسطوته، ولا يمن على الحضرة بعبوديته وطاعته، وقيل من عرف أنه البارىء فنى عن مساكنة الأغيار، وسقط عن سره ملاحظة الآثار، وقيل: من عرف أنه البارئ تبرأ عن المحظور، والتجأ إلى الملك الغفور.

أما المصور فقالوا: إنه الذى سوى قامتك، وعدل خلقتك، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ [التين: ٤]، وقيل: المصور من زين الظواهر عموما، ونور السرائر خصوصا، وقيل المصور الذى ميز العوام من البهائم بتسوية الخَلق، وميز الخواص من العوام بتصفية الخُلق.

واعلم أنه تعالى كما زين الظواهر بالصورة الحسنة، زين البواطن أيضا بالسيرة الحسنة، وبهذا المعنى قال تعالى فى تعظيم العلم: ﴿وعلَّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ [النساء: ١١٣]، وقال فى تعظيم الخُلق: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤] فالمرء مشهور بخلقه، مستور بخَلقه.

قال يحيى بن معاذ: إذا سكت فأنا من الناس واحد، وإذا نطقت فأنا فى الناس واحد، ولهذا قيل: المرء مخبوء تحت لسانه.

وقال عليه الصلاة والسلام «ما واحد خير من ألف مثله إلا الإنسان».

المسألة الخامسة: حظ العبد من هذه الأسماء الثلاثة قليل، أما الخالق فقد رجع حاصله إلى العلم، وأما البارئ فقد رجع حاصله إلى القدرة، فحظ العبد من الأول تكميل القوه النظرية بمعرفة الحقائق، ومن الثانى تكميل القوة العملية بمحاسن الأخلاق، وإليهما الإشارة بقول الخليل: ﴿رب هب لى حكما﴾ [الشعراء: ٨٣] إشارة إلى تكميل القوه النظرية ﴿وألحقنى بالصالحين﴾ إشارة إلى تكميل القوة العملية، فإذا صار هكذا فقد صار تاما فى ذاته تماما يليق بالبشرية، فيجب بعده أن يشتغل بتكميل غيره، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلى﴾ [يوسف: ١٠٨] وهذا هو حظ العبد من اسمه المصور، لأنه بإرشاده يصور الحق فى عقول الخلق (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٠٢ ـ ٢١١).

وفى منظومته الموسومة بالفرائد فى علم العقائد يسوق الشيخ معروف النودهى «فريدة فى افتقار العالم إلى صانع هو الله تعالى عز وجل» وهذه أبياتها:

أشهد من صميم قلب جازم
معتقدا أن لا غنى للعالم
عن صانع أخرجه من العدم
إلى الوجود ذى بقاء وقدم
وواجب وجوده بالذات
متصف بقدم الصفات
حى عليم متكلم قدير
شاء مريد وسميع وبصير
وأن ذاك الصانع الإله
ليس له من خالق سواه
أبدعه بلا مثال سابق
وذاك عكس عمل الخلايق
من غير حاجة له إليه
أو موجب أوجبه عليه
فكم دليل قاطع قد نطقا
بأنه هو الغنى مطلقا
بذاته العليا وأن البارى
فاعل ما يشاء باختيار
لكن قديم علمه به سبق
من أجل هذا خلق الذى خلق
وليس من إبداع مصنوعاته
من حادث بعارض فى ذاته

لم يكتسب بصنعه من زين
ولم يفد بفعله من شين

(الأعمال الكاملة ق ٥/ ٧٩ـ ٨١)

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٧٢ ـ ٧٥، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٠٢ ـ ٢١١، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى - دراسة وتحقيق السيد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى وزميليه. المجموعة الأصولية ق ٥ / ٧٩ ـ ٨١. انظر أيضا ولله الأسماء الحسنى فادعو بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على / ٤٤ ـ ٥٣).

*** ابن خالويه (-٣٧٠هـ/ -٩٨٠م):**

قال عنه القفطى:

هو أبو عبد الله الحسين بن محمد النحوى اللغوى، من أهل همدان، ودخل بغداد، وأدرك أجلة العلماء بها؛ مثل أبى بكر بن الأنبارى وابن مجاهد وأبى عمر الزاهد وابن دريد، وقرأ على أبى سعيد السيرافى، وكان منتصرا له على أبى على الفارسى، وانتقل إلى الشام، وصحب سيف الدولة ابن حمدان، وأدَّب بعض أولاده. تصدر بحلب وميافارقين وحمص للإفادة والتصنيف، وعاش بعد سيف الدولة فى صحبة ولده شريف وغيره من آل حمدان، ومات بحلب فى سنة سبعين وثلثمائة.

وله من التصانيف: كتاب «الاشتقاق». كتاب «الجُمل» فى النحو. كتاب «اطرغش». (يقال: اطرغش المريض اطرغشاشا؛ إذا برىء، واطرغش من مرضه؛ إذا قام وتحرك ومشى، ومُهر مطرغش: ضعيف تضطرب قوائمه، واطرغش القوم؛ إذا غيثوا وأخصبوا). كتاب «القراءات». كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز» (طبعته دار الكتب المصرية بمطبعتها سنة ١٣٦٠). كتاب «المقصور والممدود». كتاب «المذكر والمؤنث». كتاب «الألفات» (فى مرآة الجنان وكشف الظنون: «الألقاب»). كتاب «الأسد». كتاب «ليس». كتاب «تقفية ما اختلف لفظه واتفق معناه لليزيدى». كتاب «المبتدأ» فى النحو. كتاب «شرح المقصورة». كتاب «اشتقاق خالويه». كتاب «تذكرته»، وهو مجموع، ملكته بخطه (وذكر له اليافعى من المؤلفات كتاب «الآل»).

وذكره شيرويه فى علماء همذان فقال: «الحسين بن محمد بن خالويه، أبو على الأديب. رفيق عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بالشام. روى عن ابن دريد والصولى وغيرهما. روى عنه أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ، وقال: رأيته ببيت المقدس، وكان إماما، أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام العلم والأدب، وكان إليه الرحلة من الآفاق. سكن حلب، وكان آل حمدان يكرمونه، ومات بها - رحمه الله».

وذكره اللحجى اليمنى فى كتاب «الأترجة» عند ذكره ابن الحائك اليمنى، ووصف شعر ابن الحائك، وقال: «ومن الشاهد على ذلك أن الحسين بن خالويه الإمام لما دخل اليمن ونزل ديارها، وأقام بها شرح ديوان ابن الحائك، وعنى به، وذكر غريبه وإعرابه».

قال القفطى: ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلا من كتاب «الأترجة» هذا، وهو كتاب غريب قليل الوجود، اشتمل على ذكر شعر اليمن فى الجاهلية والإسلام، إلى قريب من زماننا هذا، وما رأيت به نسخة ولا من ذكره؛ إلا نسخة واحدة جاء فى كتب الوالد، أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن (إنباه الرواة ١ / ٣٢٤ـ ٣٢٦).

ولابن خالويه مع المتنبى مناظرات وكان كوفى النزعة، قصير الباع فى النحو، طويله فى اللغة، يشهد بذلك ما ساقه فى انتصاره لثعلب عند رده الاعتراضات العشرة التى فند بها الزجاج نصف كتابه «الفصيح». وقد ذكر السيوطى ردود ابن خالويه مبسوطة بعد ذكر اعتراضات الزجاج فى الأشباه والنظائر (الفن السابع) فى الجزء الرابع. وغير خاف أن للنزعة الكوفية فى نفس ابن خالويه أثرها فى الدفاع عن ثعلب (نشأة النحو/ ٢٠٠).

ترجمته فى إشارة التعيين الورقة ١٦ ـ ١٧، وأعلام النبلاء

٤ / ٥٤ ـ ٥٦، وبغية الوعاة / ٢٣١ ، ٣٣٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٢، وابن خلكان ١/ ١٥٧، ١٥٨، وروضات الجنات / ٢٣٧، وشذرات الذهب ٣/ ٧١، ٧٢، وطبقات الشافعية ٢/ ٢١٢، ٢١٣، وطبقات ابن قاضي شهبة ١ / ٣١٧ ـ ٣١٩، والفلاكة والمفلوكين / ١٠١، ١٠٢، والفهرست/ ٨٤، وكشف الظنون / ١٢٣، ٦٠٢، ١٣٩٧، ١٤٥٤، ١٤٦١ ، ١٨٠٨، ومرآة الجنان ٢ / ٣٩٤، والمزهر ٢/ ٤٢١، ٤٤٦، ومسالك الأبصار جـ ٤ مجلد ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، ومعجم الأدباء ٩/ ٢٠٠، ٢٠٥، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٩، ونزهة الألباء/ ٣٨٣ـ ٣٨٥، ويتيمة الدهر ١/ ٨٨، ٤٨٩؛ وهو في جميع هذه الكتب، عدا تلخيص ابن مكتوم مذكور باسم «الحسين بن أحمد» (إنباه الرواة ١/ ٣٢٤).

(إنباه الرواة للقفطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٣٢٤ـ ٣٢٦، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٠٠)

*** الخامس من الأحاديث والأخبار والحكايات:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٤٥٤١

جمع عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م

(ترجمته في بروكلمان الذيل ١ : ٦٠٥ والأعلام ٤/ ١٦٠ ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٧٥ و ١٣ / ٣٩٨)

أوله : «أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي الدمشقي بها، أنا الشريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس العلوي الحسيني، أنا أبو الحسين رشأ بن نظيف بن ما شاء الله المعدل، أنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل الغساني ...

كتب رجل إلى بعض الزهاد : أنا أكرمك الله رجل من إخوانك قد أوثقتني ذنوبي وكثرت عيوبي فأخبرني كيف يقف ذو اللب على ما ينفعه ...»

آخره : «... فدخل ليدعوني فقال لي : يا مدعيا التوكل في الصحاري والبراري، ليس التوكل بالجلوس إلى السواري على البواري، والانتظار لأكلة تأتيك من قبل الجراري (؟) ثم خرج فخرجت أطلبه وأسأل عنه فلم يعطني إنسان خبره وخرجت من الكوفة فدخلت قصر هبيرة».

نسخة قديمة بخط المؤلف عليها سماعات في سنة ٦٠٠ و ٦٦٢ و ٧٢٧ و ٩٠٠

٢٠ ق		٢٠ س		١٥ × ٢٠,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٣، ١٩٤).

*** الخان :**

وهي وظيفة من وظائف كبار الأمراء بالهند، وفي نصوص أوردها القلقشندي « وبها الجمال قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه من الخانات والأمراء » و « وأن أعلى عسكره الخانات ثم الملوك ثم الأمراء، ثم الاسفهسلارية ثم الجند » (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٥) .

والخان : لقب تركي يطلق على شيوخ الأمراء في قبائل الترك منذ القرن الأول أو الثاني الهجري، ومعناه الرئيس؛ وربما قيل لهم أيضا « قان » أو « خاقان » (انظر «الخاقان») وقد أطلق هذا اللقب بعد ذلك على الولاة من المغول الذين كانوا يعترفون بتبعية ولو اسمية لسيد الأسرة الأعظم الذي أطلق عليه « الخاقان » أو « القاف » وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أن « خان » كان لقب السلطنة عند ملوك المغول في فارس والعراق .

وقد دخل هذا اللقب في العالم الإسلامي عن طريق خانات التركستان : فأطلق على الأمير نصر بن علي في سكة بتاريخ سنة ٣٩٠هـ من بخارى، وفي أخرى من فرغانة بتاريخ سنة ٣٩٩هـ ؛ ثم أطلق على علاء الدين أبي الفتح محمد بن تكش خوارزم شاه في سكة بتاريخ سنة ٦١٠هـ من سمرقند. ومن ثم انتقل إلى بعض أنحاء العالم الإسلامي مع الترك والتتار كعلم على السلطنة : فأطلق على أبي الفتح طغرل السلطاني في نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٤٠هـ في باري دركاء في بهار في الهند وعلى أبي المكارم « تاتارخان » في نص

إنشاء بتاريخ سنة ٦٦٥ هـ في ضريح شاه فضل الله فى بهار فى الهند (الألقاب الإسلامية / ٢٧٤).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١١٥ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥/ ٨٢، ٩١، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٤).

*** خان الخليلى (أبواب الغورى) ٩١٧هـ/ ١٥١١م. أثر ٥٣، ٥٤، ٥٥:**

لما أسس جوهر الصقلى القاهرة وبنى القصر الشرقى الكبير أنشأ بجواره تربة تضم رفات الخلفاء الفاطميين أسلاف المعز وخلفائه وذراريهم من بعده « سميت تربة الزعفران» وهذه التربة كانت تشغل المكان المعروف الآن « بخان الخليلى» نسبة إلى الأمير «جهاركس الخليلى» أمير أخور السلطان الظاهر برقوق (دليل موجز / ١٨٥) أى رئيس الإسطبلات وكانت من الوظائف الكبرى (أسماء ومسميات / ٢٧٤).

يقول المقريزى:

خان الخليلى: هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران. أنشأه الأمير جهاركس الخليلى أمير أخور الملك الظاهر برقوق وأخرج منها عظام الأموات فى المزابل على الحمير وألقاها على تلال البرقية هوانا بها فإنه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجى وقال له إن هذه عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة فاتفق للخليلى فى موته أمر فيه عبرة لأولى الألباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب ومجىء الأمير منطاش نائب ملطية إليه ومسيرهما بالعساكر إلى دمشق أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الأمراء بالمسير بهم فخرج الأمير الكبير أيتمش الناصرى والأمير جهاركس الخليلى هذا والأمير يونس الدوادار والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى والأمير ندكار الحاجب وساروا إلى دمشق فلقيهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغاوندكار وفر أيتمش إلى قلعة دمشق وقتل الخليلى فى يوم الإثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة وترك على الأرض عاريا وسوءته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا إلى أن تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم.

ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيرا بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الأسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل إلى مكة مال ويفرق بها على الفقراء. (المواعظ والاعتبار ٢/ ٩٤)

(دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ـ محمود أحمد / ١٨٥، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ٣٧٤، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٩٤).



ـ خان الخليلي في القاهرة. نقلا عن هاي

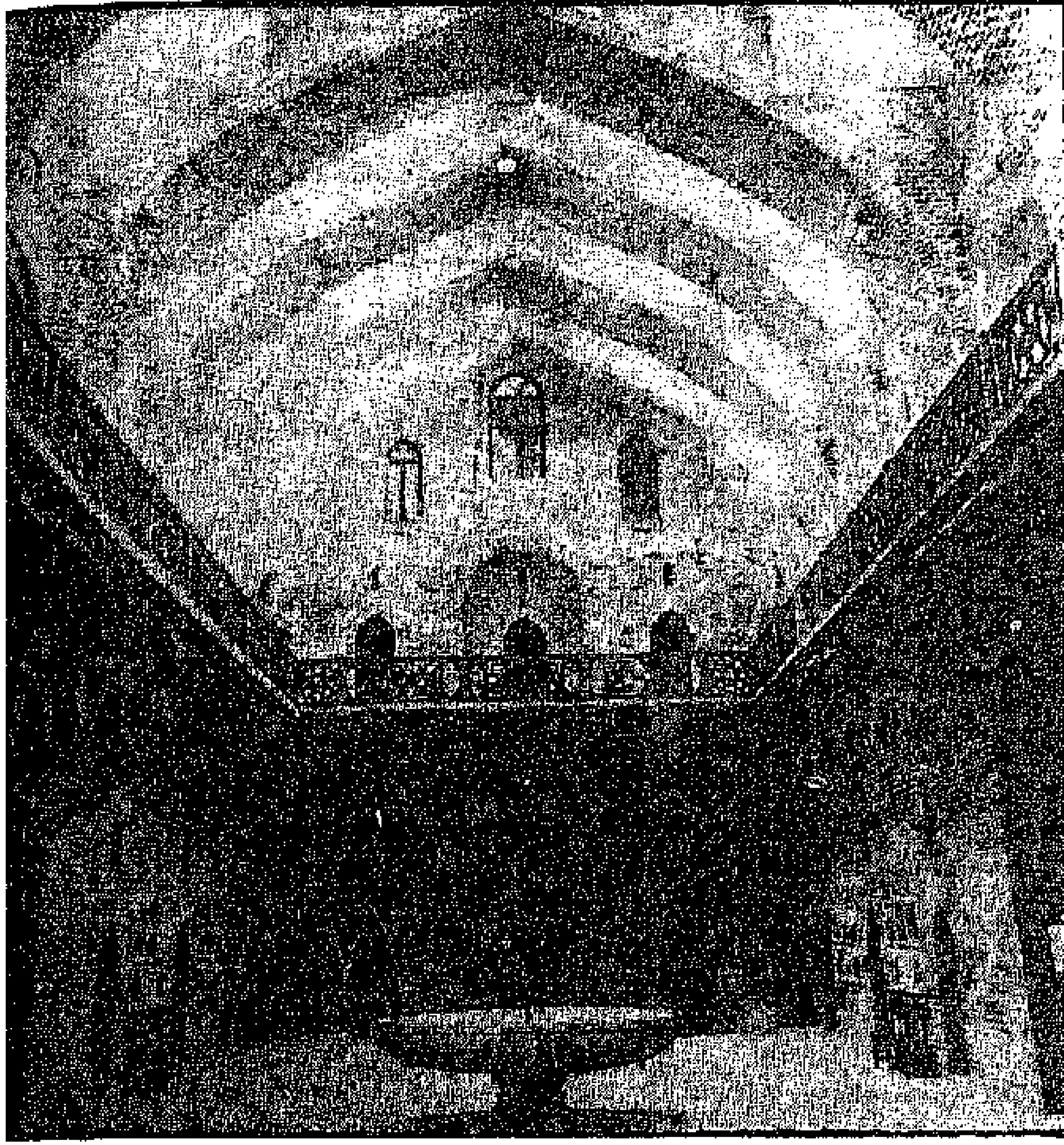
*** خان مرجان ١٣٥٩:**

خان مرجان ببغداد شيده عام ١٣٥٩ أمين الدين مرجان حاكم بغداد فى عهد السلطان أويس الجلائرى: وذلك خلال عصر الإيلخانات بالعراق وقد اتخذ ظل الحكم العثمانى إدارة للجمارك. وبعد طول المبنى ومسقطه الصليبى الشكل أمرًا

غير معهود فى الخانات التى كانت تبنى داخل المدن آنذاك على ما يشهد به استقراء أوصاف تلك المبانى التى تركها لنا الكتّاب والمؤرخين. فعلى الرغم من كثرة المادة الوصفية لهذا الطراز من الأبنية فى وقفيات القرنين الثالث عشر والرابع عشر إلا أنه لم تبق لنا نماذج منها.

وقد أسس مرجان فى الوقت نفسه مدرسة يحتلها الآن جامع مرجان ومستشفى، وأوقف الخان عليهما (جدد بناء هذه المدرسة مرارًا ولم يبق منها سوى باب ومئذنة) وينفرد هذا الخان بأسلوب تسقيفه بأقواس وعقود فيما بينها يبلغ ارتفاع سقف البهو ١٤ مترا، ويتألف من بهو مستطيل (٢٩,٧٢ مترا × ١٠,٧٠ أمتار) من حوله غرف للتجار فى طابقين، ويبلغ ارتفاع سقف البهو أربعة عشر مترا، وقد اتخذ هذا البناء متحفًا للآثار العربية منذ عام ١٩٣٧ (القيم الجمالية / ٢٢٤).

ويحتوى الطابق الأول على ٢٢ غرفة، والثانى على ٢٣ غرفة، وفى أبواب الطابق الأرضى يؤدى البروز الآجرى وظيفته الجمالية المثلى... سلسلة من مشكاوات مقوسة تنحدر منها الزخارف المقرنصة تفصل ما بين الطابقين وتعد من أنفس آثار الزيارة فى بناء الخان (مطعم خان مرجان / ١).



خان مرجان.

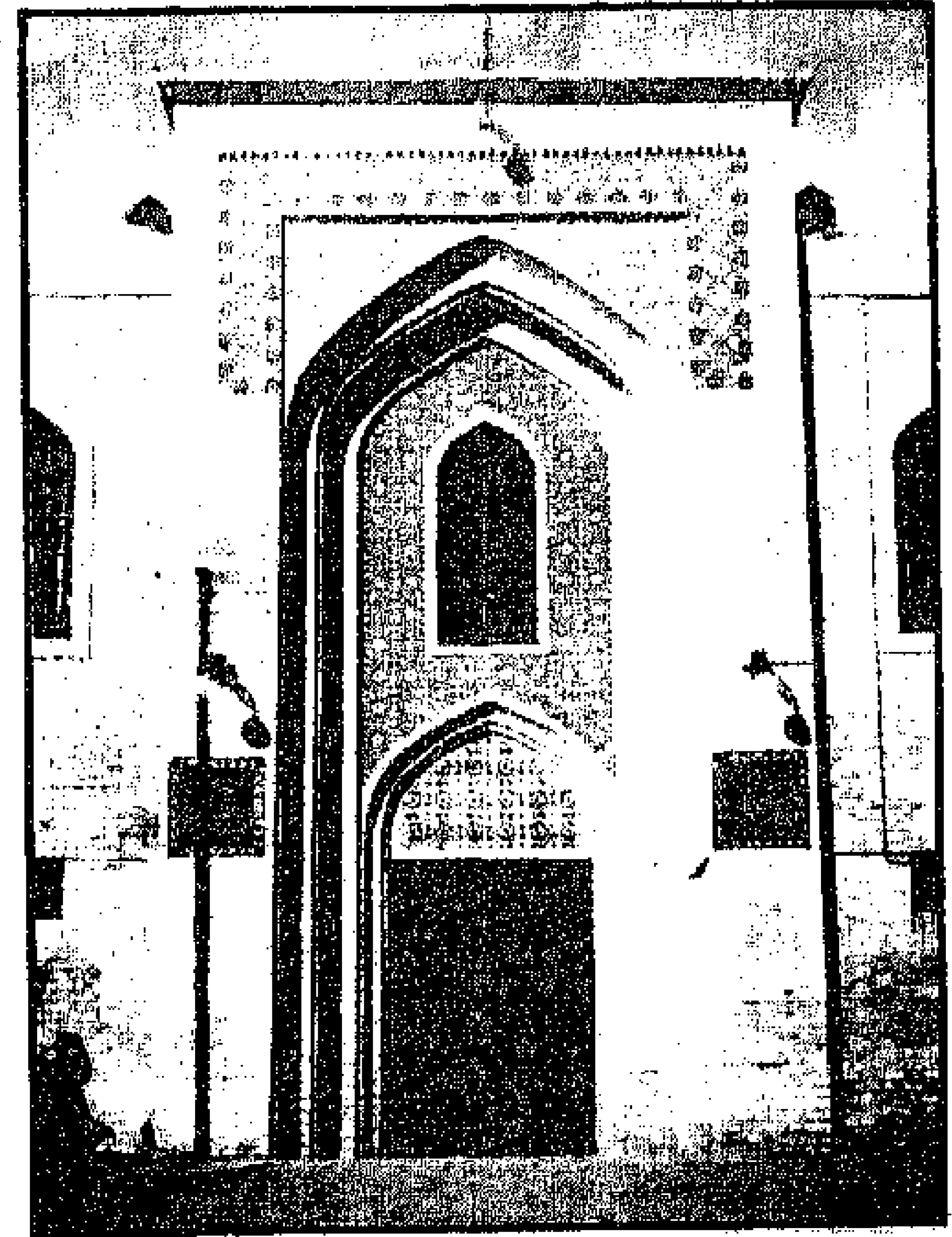
قالت المؤلفة : يستخدم خان مرجان الآن مطعما سياحيا، وقد قمنا بزيارته يوم السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م وتناولنا به الشاى، حيث كانت الزيارة فى الصباح، وهو أثر مبهر حقا.

(القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٢٢٤، ومطعم خان مرجان. المؤسسة العامة للسياحة. المنشأة العامة لإدارة المرافق السياحية / ١).

*** الخانات :**

وتسمى الوكالات، وهى مخصصة لإقامة المسافرين وقوافل التجار، وكانت ذات مداخل ضخمة وصحن تربط فيه الدواب، وحواصل مفتوحة على الصحن لإيداع البضائع، والأدوار العليا للسكن وتفتح الحوانيت على الشارع (الفن الإسلامى / ١٢٤).

والخان : لفظة فارسية الأصل، أطلقت على مكان مبيت المسافرين وأول نص نقع عليه فيه يعود لعام ٦١٠هـ / ١٢١٣م، محفورا على الحجر يؤرخ تأسيس خان العقبة.



خان مرجان.

يقول الدكتور عبد الرحيم غالب :

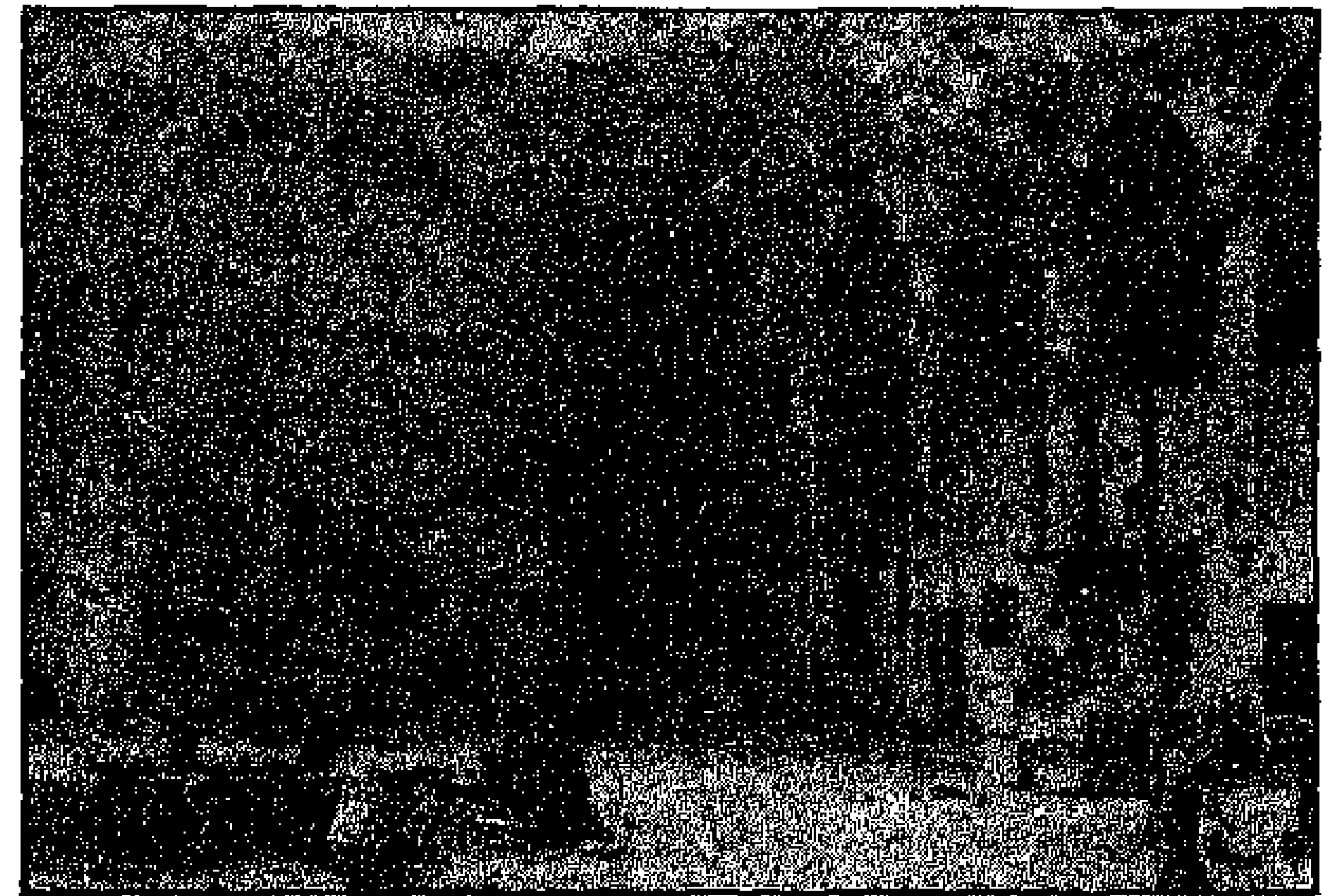
والخانات نوعان : الأول أقيم على طرق السفر، خارج المدن المتباعدة، والثانى داخلها .

النوع الأول : كان يبنى بادئ الأمر على منابع المياه ومجارى الأنهار، يبتعد الواحد عن الآخر مسيرة نهار، أى ما يقارب الثلاثين كيلو مترا كان الخان يقدم الخدمات للتجار والرحالة والمسافرين كافة، ويوفر لهم الراحة ويجنبهم مشقة السفر ليلا ومخاطره. وكان يضم مستودعات لحفظ البضائع واصطبلات مختلفة لإيواء العربات، وأنواع الحيوانات التى لا تتجانس فى المزارب : فالخيول تأنف من روائح الإبل والبغال ولا تساكن الحمير. وكانت الاصطبلات مجهزة بلوازم لإصلاح المركبات ومعدات للعناية بالدواب ورعايتها . وإلى جانب تلك المرافق والخدمات ، هناك الحوض، فى وسط الصحن ومشرب البهائم، والفرن، والمصلى ، وكذلك الحمام. وقد استعملت فى بناء الخانات مواد تغيرت مع المواقع، فقد تكون من طين أو من قرميد مشوى أو نىء، فى العراق وإيران ومصر، أو من حجارة كلسية أو بازلتية، فى الشام وتركيا. أما من حيث التصميم فكان مربع المسقط، إجمالا، وغالبا بطبقتين اثنتين، تحتل أركانه أبراج للمراقبة والدفاع. وقد يحيط به سور خارجى مدعم وبوابة مصفحة ضخمة محكمة الإغلاق ليلا وكأنه حصن صغير وكانت غرف المسافرين موزعة بين الطبقتين أو فى العليا فقط. وفى بعض الخانات المتواضعة كانت قاعة النوم مشتركة يرقد فيها المسافرون ، على منصات (دشكات) مرتفعة عن الأرض وكانوا عليها يجلسون ومن الملاحظ أن خانات السهول كانت أوسع من خانات الجبال. كما كانت خانات البلاد الباردة تخلو من الصحن المكشوف. ولقد أخذت الخانات إجمالا بعد انتشار الإسلام تصميمين رئيسيين : الأول إيرانى بقاعات متطاولة موازية للصحن المركزى. ولكن هذا التصميم ما لبث أن أخذ شكل الأواوين. وقد احتلت البوابة فى عمارته مركزا على جانب كبير من الأهمية . أما التصميم الثانى فهو بأربعة أضلاع وصحن مركزى تحيط به الأروقة، قديم العهد، ويعرف بالطراز البحر ـــ متوسطى . ومع هذين الشكلين العامين كانت هناك صفات تميزت بها الخانات السلجوقية الفخمة فى إيران والأناضول، والأيوبية فى سوريا، والمملوكية فى سوريا ومصر، والإيلخانية والصفوية فى إيران، والعثمانية فى آسيا الصغرى، وخانات طرق الحج . وكان عددها فى سوريا وإيران والأناضول فى القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى، مئة وتسعة عشر. وقد قامت حول بعضها تجمعات سكنية أصبحت مدنا فيما بعد، كجسر الشغور وخان العسل فى سوريا وخان يونس فى مصر وكثير غيرها . أما أقدم خان أقيم على طرق المسافرين فى الإسلام فهو قصر الحير الشرقى من الطراز البحر أوسطى، فى بادية الشام على بعد خمسة وستين كيلو متر جنوبى تدمر على مفترق طرق يؤدى إلى «ميادين » على الفرات و « تدمر » و «حمص» و «الرصافة » ومنها إلى « حلب » باتجاه الغرب و «البصرة » و «بغداد» باتجاه آخر (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٢ ، ١٥٣) .

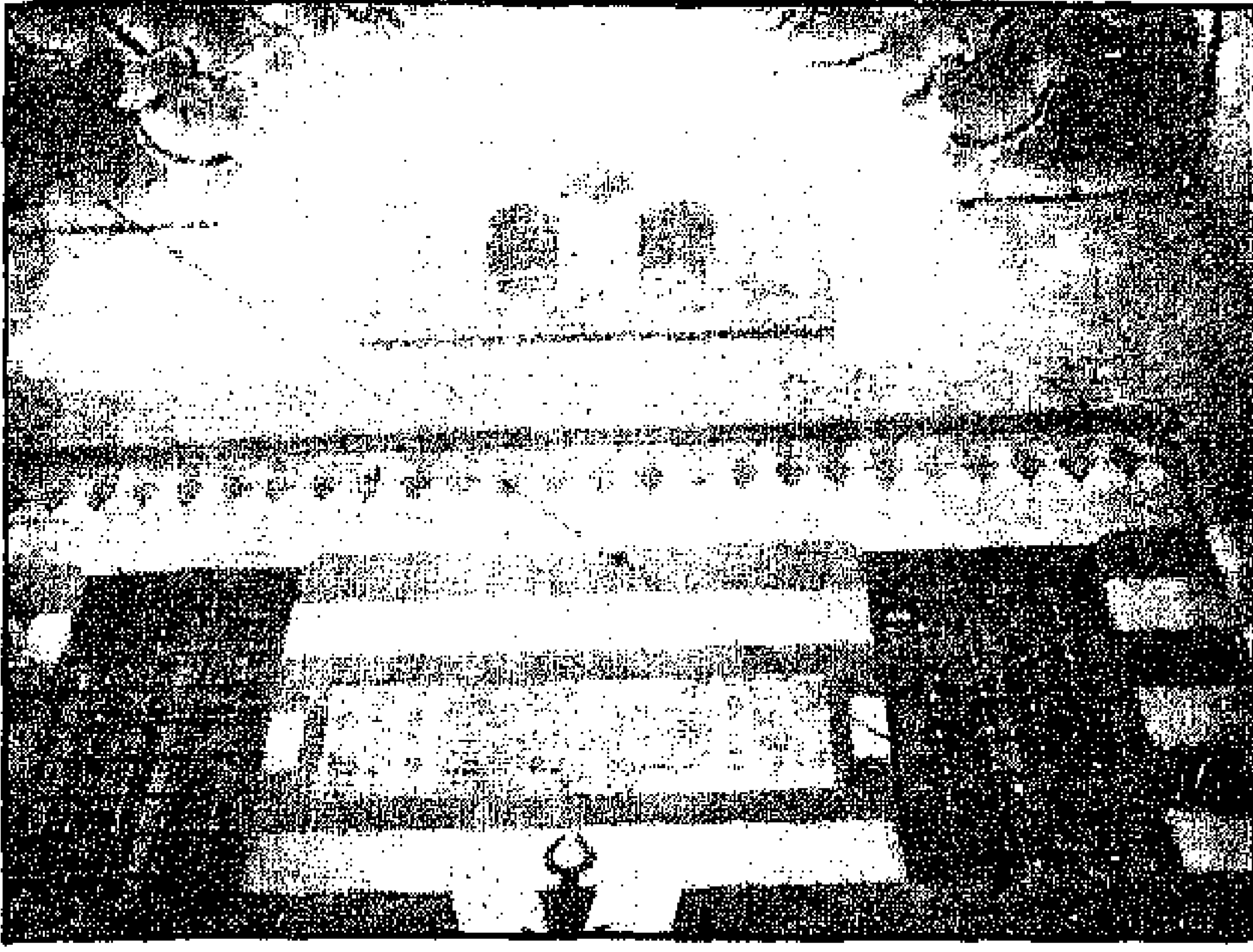
وهذه هى خانات القوافل أو خانات الطرقات التى يقول عنها الدكتور ثروت عكاشة :

وشاع نوع هام من المبانى فى إيران وفى بلاد الأناضول منذ عهد السلاجقة ، هو خانات القوافل التى كان القصد منها إيواء التجار المسافرين وحراستهم فى بعض الأحيان حينما يضطرون إلى المبيت فى الطريق بين مدينتين ، وكانت هذه الخانات تدعى فى إيران باسم « الرباط» ومن الثابت أن مبانى مماثلة أقيمت على طول طريق نهر الفرات المتجه إلى الشرق فى ظل الإمبراطورية الرومانية، غير أن أقدم ما بقى منها حتى الآن هو «خان دايا خاتون » بآسيا الوسطى السوفيتية على مقربة من مرو. وعلى الرغم من أن الحفائر الجارية لم تكشف لنا بعد عن التخطيط الكامل للمبنى، إلا أن المعلومات المتوفرة حتى الآن تقرر أن مسقطه كان صليبى الشكل ذا أربعة إيوانات تطل على فناء فسيح. وتتكون هذه الإيوانات من طابقين أو ثلاثة من الغرف تتوسطها عدة ممرات أو أروقة مواجهة للفناء كذلك. وأمام كل إيوان منها موقد ليطهو النزلاء طعامهم فوقه. ولم يكن هناك بد من أن تكون هذه المبانى مزودة بالمرافق الضرورية، كالحمامات والمسجد أو المصلى وحظائر عديدة لدواب الركوب بالقرب من مداخلها، بل نجد

فيها أحيانا عيادات لعلاج المرضى والعناية بهم . وعلى الرغم من أننا نعرف من نماذج هذه المبانى أمثلة رائعة من حيث المستوى الفنى ومستوى الزخرفة ولا سيما فى خراسان الإيرانية مما يرجع إلى عصر السلطان سنجر (١١١٦ ـ ١١٥٦) مثل «رباط شرف» وخان شاه سلطان حسين بأصفهان وخان القوافل بكاشان فإن أكبر قدر توفر لدينا من المعلومات حول هذه المبانى هو ما يتعلق بخانات الأناضول التى ترجع إلى عصر السلاجقة، ففيما بين سنتى ١٢٢٠و ١٢٨٠ شيد أكثر من ستين خانا من هذا النوع فى رقعة ضيقة من أرض هذه المنطقة . وأقيمت تلك المبانى بالحجر، وأسرف فى تحصينها حتى بدت أشبه بالقلاع وانتشرت هذه الخانات على طريق التجارة المتجه نحو الجنوب الشرقى من قونية يفصل بين كل منها نحو عشرين كيلو مترًا. وأوضح نموذج لهذه المبانى هو «خان سلطان» بقرب آق سراى الذى بناه السلطان علاء الدين كيقباذ الأول فى سنة ١٢٢٩ ــ ١٢٣٠ . ويتألف من صحن خارجي وبه حظيرة للدواب، ومن حانوت حداد يعنى بالركائب، والراجح أن الصحن قد ضم كذلك بعض المتاجر، وثمة قاعة داخلية مسقوفة تقى المجتمعين زمهرير البرد. أما مدخل البوابتين الخارجية والداخلية فقد نقش نقشا بديعا



الشكل ٢٢ : ـ باحة خان قرت بك في حلب



الشكل ١٣ : ـ مدخل خان الجمرك بحلب

مرصعا بالرخام. وتشهد الفخامة التى يلاحظها المشاهد على المبنى كله داخله وخارجه بسخاء منشئى الخانات ، وهو ما تؤكده كذلك وثيقة وقف أحد الخانات المسجلة باسم الأمير السلجوقى قازاتاى فى أنطاليا سنة ١٢٥١ ، وتنص على تقديم الطعام وتيسير المبيت للمسافرين بلا أجر، ومنحهم ما يحتاجون إليه من خدمات أخرى مثل إصلاح أحذيتهم والعناية بدوابهم ، بل وتقديم هدايا من السكر فى أيام الأعياد . وكان بهذا الخان مستشفى وحمام ومسجد، وعدد كبير من الموظفين فى خدمة هذه المرافق، كما كانت به هيئة دائمة من البنائين المكلفين بإصلاح المبنى وصيانته والسهر على خدمة المسافرين .

وتبدو الزخارف الأساسية فى هذه الخانات « السراى » على وجه المدخل الرئيسى وواجهة باب الحظيرة المحاذى له ويطل على الفناء بناء من غرف ثلاث من ثلاثة اتجاهات . فى حين تطل من الاتجاه الرابع قاعة ضخمة طويلة ذات بهو رئيسي مرتفع السقف وعدة قاعات صغيرة منخفضة السقف يتراوح عددها بين خمسة وتسعة ، وكلها محاذية للبهو الرئيسى نفسه . وكان هذا الجزء الرابع من خان القوافل هو البناء الرئيسى الهام فيها ، يبدأ البناؤون بتشييده ثم يتبعونه ببقية أجزاء البناء .



الشكل ٨ : ـ خان الجمرك بحلب

وهناك فروق جوهرية بين الخانات والوكالات القائمة وسط المدن التي كانت تقدم خدماتها بأجر بوصفها أماكن ذات طابع تجاري خالص، وبين خانات القوافل المبنية في طرق الصحراء أو بين المدن بوصفها محاط لتوقف قوافل التجارة تقدم خدماتها بلا مقابل، غير أن الفروق بين هذين النوعين من المباني لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوزه إلى اختلافات كبيرة في تصميم البناء وفي زخرفته .

وثمة نوع أخير من المباني هو « اليام» المغولي الذي يجوز لنا أن نطلق عليه اسم «خان البريد » ويبدو أنه كان توفيقا بين نظام خانات القوافل وبين النظام البريدي الذي ساد بلاد الصين وكان على قدر كبير من الكفاءة. ومما يبعث على الأسف أن تلك المنشآت التي وصفها لنا القزويني تفصيلا والتي شملت بلاد فارس كلها في العصور الوسطى قد اندثرت جميعا ولم يبق منها أثر (القيم الجمالية / ٦٩ ـ ٧٢) .

يقول الدكتور عبد الرحيم غالب :

كانت هذه لمحة عن خانات الطرقات أما خانات المدن فكانت تشترك معها ببعض ما تقدم من خدمات، وتضم من مرافق، وتختلف عنها في أخرى، وتسقط ما يمكن أن تقدمه المدينة بشكل أفضل لزوارها، كالحمام والمسجد والمطعم وشغل البيطار وغير ذلك من الضروريات والكماليات . وكما كانت الأولى تحتل المحطات الحساسة ومفارق الطرق ومجاري المياه ومراكز الحدود، احتلت الثانية مداخل المدن، خارج السور أو داخله أيام السلم وقلب الأسواق وجوار الحمام والمسجد .

خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، كانت المخازن الكبرى تسمى « بالدار» يضاف إليها الصنف المتخصصة به، فيقال: دار الوكالة، للتجارة العامة ، ودار القز ودار القطن ودار الخيل، والتي صار اسمها فيما بعد خان الخيل ، وكلها كانت في بغداد. ثم أخذت الدار تسمية : الفندق. ومنذ القرن السابع للهجرة، الثالث عشر للميلاد، عرفت تلك الأماكن في الضواحي: بالخانات. ولاحقا في القرن الحادي عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد، احتل اسم الخان وحده تدريجيا، داخل المدن، مكانة دار الوكالة والفندق والقيسارية . أما وظيفة الخان في المدينة فكان استقبال التجار بشكل عام ، من باعة الجملة، ومروجي البضائع ، ومراسلي المستوردين والوسطاء وباعة المفرق. وتتكدس في الصحن، البالات والصناديق المعدة للتصدير، والمستوردة للسوق المحلية. في هذا المكان يتم البيع والشراء، وكأن المكان لم يعد لإيواء المسافرين، بل استقبلهم ريثما يتمون تجارتهم . وكما كان لكل بضاعة دار صار لها خان يرتبط اسمه بها ، إن لم يرتبط باسم مؤسسه أو مالكه. فهناك خان الحرير وخان الحبالين في دمشق، وخان الجوخ في اسطنبول، وخان الخياطين والصابون في طرابلس، وخان الزيت في حلب. وكان بعضها عظيم الاتساع كخان الجمرك في حلب والذي يعود تاريخه إلى عام ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، فقد ضم اثنين وخمسين مخزنا، وسبعا وسبعين غرفة، وسوقين مبنيين بالحجر المهندم، يصل إليهما الضوء من قبب عشر تعلوهما. وكان مجموع دكاكينه ثلاثمئة وأربعة وأربعين إلى جانبها سبيلان ومسجد ولهذا الخان « المجمّع» مدخل في غاية الفخامة، ويبقى هذا المحتوى متواضعا إذا ما قيس بخان

الخليلي في القاهرة الذى أعطى اللفظة مدلولا جديدا يدل على تجمع الأسواق المتخصصة، وكان قد وقفه مؤسسه، جهاركس الخليلي على «عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه في اليوم رغيفان». وأهم الخانات في تركيا قامت في «بورصة» واسطنبول. وكان لـ «سنان» المهندس العثماني المشهور، دور في إقامة اثنين على القرن الذهبي. وبالطبع لم تكن كل الخانات أنيقة البناء فخمة المظهر، وإلا لما عرفت عاصمة السلطنة في القرن الحادى عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد: خمسمئة وستة وخمسين خانا، كان أحد الأنيقة منها معدا لإقامة سفراء الدول العظمى.

تصميم خان المدينة بشكل عام لم يتغير على مر العصور. وأخذ تخطيط صحن مركزى مكشوف يتوسطه حوض. وتحيط بالصحن بوائك أقيمت الدكاكين تحتها، لتبقى أبوابها محمية من الحر صيفا والمطر شتاء.

ومن الناحية الإدارية، قد يكون الخان مؤسسة دينية مرتبطة بوقف يحول ريعه لصيانة مدرسة أو مسجد أو إطعام مسكين أو فقير. وربما وقف له كي يستقبل الحجاج والمحتاجين وأبناء السبيل، مجانا. ومدير الخان يسمى: وكيل التُّجار، فهو المسئول عن تخزين بضائعهم ومولج ببيعها والمكان



خان السبيل

خاضع لتفتيش مندوب المحتسب، ومراقبة السلطة. ويقوم بحراسته موظف مختص يقفل أبوابه ليلا إذا كان خارج السور.

لم يبق من كل تلك الخانات إلا عدد قليل فقد طابعه واقتصرت خدماته على استعمال مستودعاته ودكاكينه من قبل مستأجرين لا تجمعهم، إلا نادرا، تجارة مشتركة أو مهن واحدة، وربما سكنت غرفه عائلات فقيرة. ولكن، بالرغم من كل ذلك، بقيت، في خان الصابسون وخان الخياطين في طرابلس، بعض محلات تذكرنا بالسبب الأصلي للتسمية (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧).

ويتابع الدكتور أندريه ريمون صاحب « العواصم العربية » نشأة الخانات وطرزها في المدن العربية المختلفة بادئا بالمغرب العربي، ثم ينتقل إلى القاهرة وحلب ودمشق فيقول:

- المغرب العربي:

يطلق في المغرب العربي على الخانات اسم فندق أو وكالة، وكانت خانات المغرب العربي بوجه عام مبان ذات أهمية متواضعة، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن بلدان المغرب لم يكن لها إلا شأن ثانوي في تجارة حوض البحر المتوسط. ونحن لا نعرف إلا القليل عن الفندق في الجزائر، إذ أنه اندثر مع بقية المباني الرئيسية في وسط المدينة منذ الغزو الفرنسي.

ومع هذا يمكننا الافتراض بأن خانات الجزائر قريبة من خانات تونس في شكلها المعماري وفي استعمالها (للتجارة ولنزول التجار) وعددها (حوالي عشرين ونيف) فخلافا للجزائر احتفظت تونس بعدد كبير من الخانات الماثلة للعيان حتى يومنا هذا.

ولعل أبرز وأكمل خان (فندق) في تونس الآن هو فندق ناسيون الذى بنى من أجل الجالية التجارية الفرنسية في سنة ١٦٦٠م، وقد شيد وفق الطراز الشائع في تونس أيام المراديين والحسينيين، وهذا البناء عملي التصميم ومجرد من كل تذويق وتنميق. إذ أنه يتألف من دهليز معقود يفضي إلى ساحة مربعة مطوقة بأروقة محمولة على ١٦ عمودا وتقبع خلفها مستودعات مسقوفة بالعقود. وفي الطابق العلوى تطل الحجر المخصصة لنزول التجار على ممشى طليق. وتبلغ

مساحة البناء قرابة مائة متر ويضم فى جنباته حوالى ٥٠ غرفة .

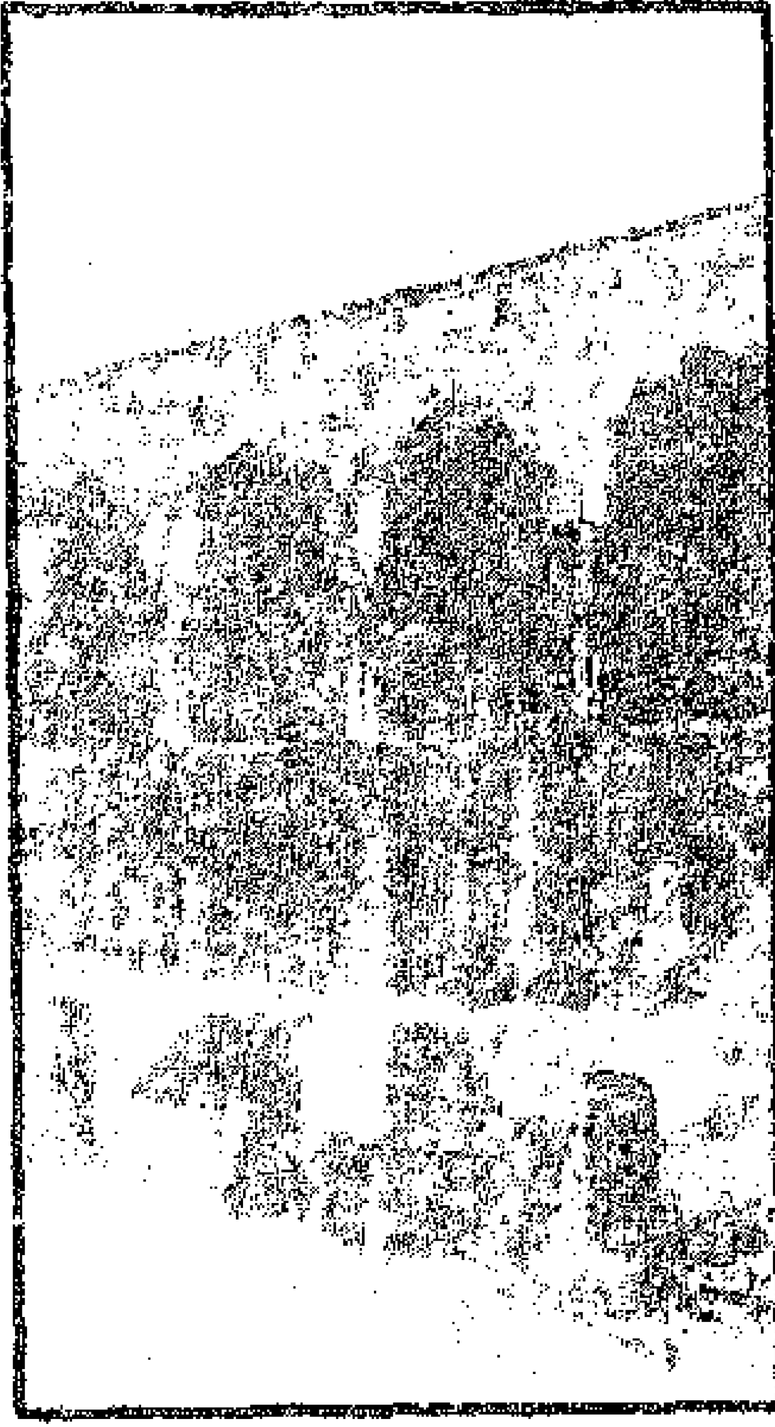
وقد أكمل البناء ببناء ثان مشابه للأول بقليل أو بكثير، وصار الناسيون والقنصلية يشتركان فى استعمال المبنيين .

جاء بناء فندق (خان) العطارين على نمط بناء الناسيون ولكن بحجم أصغر (بناء مربع يبلغ طول ضلعه ٢٥م) وهو فى قلب منطقة الأسواق أما خانات الموصل فيبدو أنها اعتمدت هذا النمط من البناء لكن بحجم متواضع وبقيمة معمارية قليلة ، وهذا ما يبدو ظاهريا على الأقل فى الخانات التى ما تزال قائمة فى المدينة من أصل ٣٥ خانا كانت موجودة فى الفترة العثمانية ، وهى مكونة من ساحة مكشوفة ومخازن واصطبلات فى الطابق الأرضى وغرف فى طابق علوى واحد أو أكثر .

القاهرة :

كانت خانات العواصم التجارية الرئيسية فى الإمبراطورية العثمانية ، كالقاهرة وحلب ودمشق ، وربما بغداد أيضا ، مختلفة كل الاختلاف فى آفاقها المعمارية وفى مضامينها الفنية . والعدد الذى أمكن التثبت منه فى تلك المدن يقيم الدليل البين على مدى هذه المغايرة ، فثمة ٦٠ خانا فى دمشق وحلب و٣٦٠ وكالة (خان) فى القاهرة ، حجم بعض منها يتجاوز نصف هكتار، وفخامة بناتها أسطع دليل على عظمة الحركة التجارية التى ولّدتها (العواصم العربية / ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩) .

قالت المؤلفة : نلاحظ أن الدكتور أندريه ريموند حين يتكلم على خانات القاهرة يذكرها باسم وكالات باعتبار أن كلمة «وكالة» استخدمت فى مصر للدلالة على الخان أو القيسارية ، فيذكر وكالة الغورى، ووكالة ذى الفقار كتخدا ، ووكالة بازرعة ومن ثم فإننا لا نجد ذكرا للخانات فى الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك و إنما هى « الوكائل » كما أوردها فى الجزءين الثانى والثالث . أما المقريزى فلم يذكر من الوكالات سوى اثنتين ، وذكر الباقى تحت اسم «خان» أو «فندق» ومن ثم فإننا ندرج ما أورده الدكتور ريموند فى مادة « الوكالات» فى حرف الواو إن شاء الله تعالى :



خان الوزير

وما ذكره المقريزى فى هذا الباب هو ما يأتى :

١ ـ خان سرور ٢ ـ فندق بلال المغيثى
٣ ـ فندق الصالح ٤ ـ خان السبيل
٥ ـ خان منكورش ٦ ـ فندق ابن قريش
٧ ـ وكالة قوصون ٨ ـ فندق دار التفاح
٩ ـ وكالة باب الجوانية ١٠ ـ خان الخليلى
١١ ـ فندق طرنطاى

وننقل ما قاله المقريزى عنها فيما عدا خان الخليلى إذ نفرد له مادة خاصة باعتبار أنه الأثر الوحيد المدرج فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة تحت الأرقام ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ولما كان الشيء بالشيء يذكر، فقد ورد فى هذا الفهرس اسم خان يسمى خان الزراكشة أثر رقم ٣٥١ أنشيء فى أول القرن العاشر الهجرى / أول القرن السادس عشر الميلادى، وموقعه على خريطة مصلحة المساحة ١٩٤٨ (٤٤/ ١٥٧) التى عندى هو فى المربع ٥ ح من الخريطة رقم ١ ، وبذلك يتحدد لنا أن خان الزركشة هذا هو الذى تشغله مكتبة صبيح وأولاده الآن، وقد زرت هذه الوكالة مرارا بسبب ترددى على المكتبة .

ونعود إلى المقريزى فننقل ما أورده من الخانات والفنادق السابقة الذكر:

خان مسرور: خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التى تقدم ذكرها فى خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق .

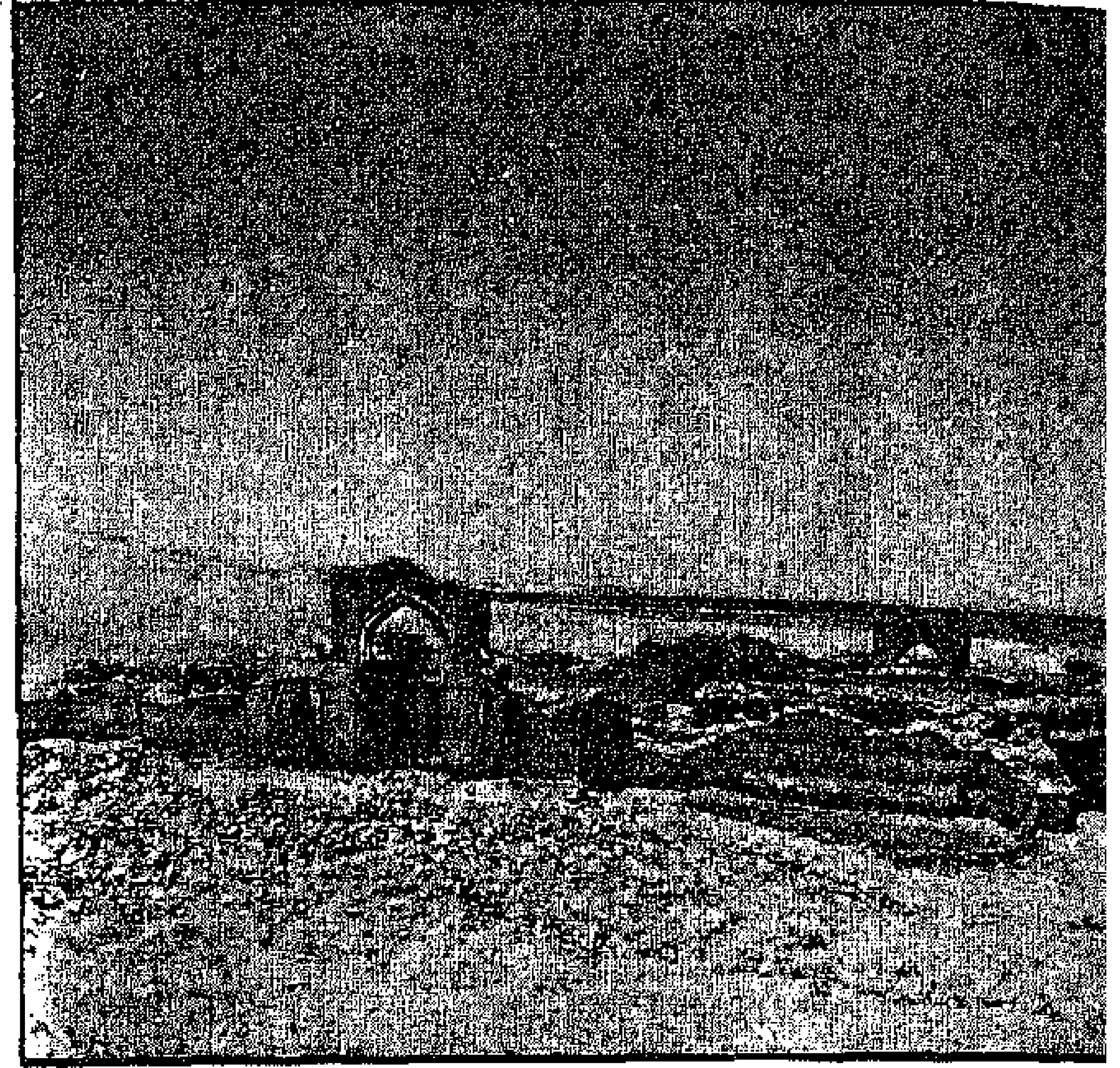
قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت فى المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم استعمالات الأساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك . وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور (مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على حلقته ولم يزل مقدما فى كل وقت وله بر وإحسان ومعروف ويقصد فى كل حسنة وأجر وبر وبطل الخدمة فى الأيام الكاملية وانقطع إلى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير إلى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدى رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر وكان قد ملك الفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الأسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت إلا بيتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهى بخط حارة



خان الوزير سنة ١٩٤٥

الأمراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام يبعث للأمير سيف الدين أبى الحسن القيمرى بجملة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى) وقد أدركت فندق مسرور الكبير فى غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب وكان من أجلِّ الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمور لنك وتلاشت أحوال إقليم مصر قل التجار وبطل الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة .

فندق بلال المغيثى : هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية أنشأه الأمير الطواشى أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثى أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشى الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح على بن الملك المنصور قلاوون وكان معظما إلى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون إذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت أحمل شارموزة هذا الطواشى حسام الدين كلما دخل إلى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمها له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر فى سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب إلى تربته بالقرافة فدفن هناك ومابرح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فإذا بدائره صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه فلما أنشأ الأمير الطواشى زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الأمير قلمطاى الفندق بالزجاجين وأخذ الأمير يلبغا السالمى أموال الناس فى واقعة تيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة تلاشى أمر هذ الفندق وفيه إلى الآن بقية .



خان قراقول «رباط شرف» خراسان بإيران

فندق الصالح : هذا الفندق بجوار باب القوس الذى كان أحد بابى زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام ابن نوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين على بن السلطان الملك المنصور قلاون وكان أبوه لما عزم على المسير إلى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل فى شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر إلى أن عاد إلى قلعة الجبل وأجلسه على مرتبته وجلس إلى جانبه فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعا مفرطا وحزنا زائدا وصرخ بأعلى صوته وا ولداه ورمى كلوتته عن رأسه إلى الأرض وبقى مكشوف الرأس إلى أن دخل الأمراء إليه وهو مكشوف الرأس يصرخ وا ولداه فعندما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الأمير طرنطاى النائب شاش السلطان من الأرض وناوله للأمير سنقر الأشقر فأخذه ومشي وهو مكشوف الرأس وباس الأرض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال إيش أعمل بالمُلك بعد ولدى وامتنع من لبسه فقبّل الأمراء الأرض يسألون السلطان فى لبس شاشه ويخضعون له فى السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها الأمراء من غير حضور السلطان وصاروا بها إلى تربة أمه المعروفة بتربة خاتون قريبا من المشهد النفيسى «فواروه وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثانيه نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده وسار ومعه الأمراء بثياب الحزن إلى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام .

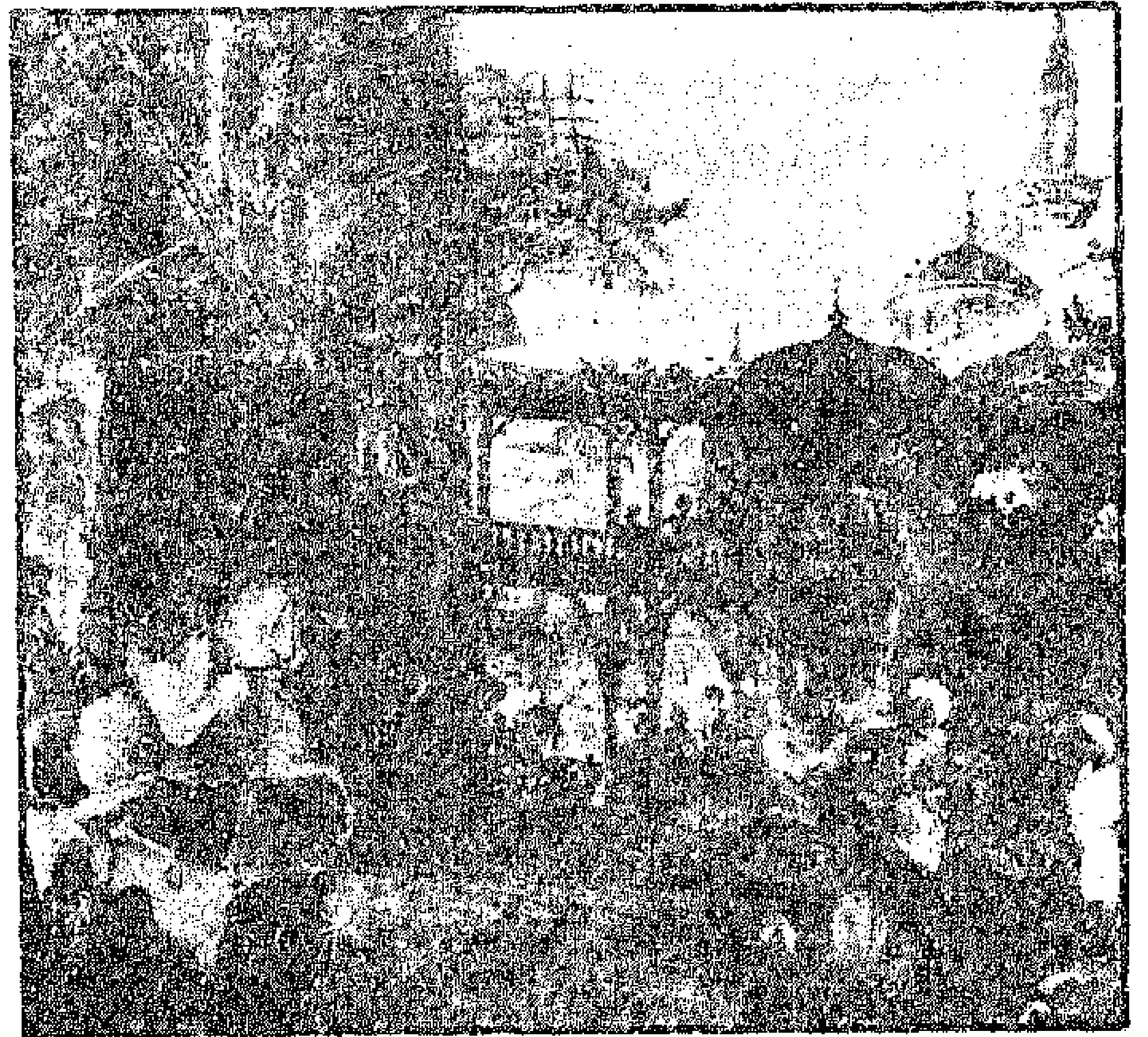
خان السبيل : هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الأمير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش عبد الله الأسدى» خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لأبناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض . وقراقوش هذا هو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام وعمر بالمقس رباطا وأسره الفرنج فى عكا وهو واليها فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار وتوفى مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة .

خان منكورش : هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب من الجامع الأزهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناه الأمير ركن الدين منكورش زوج أم الأوحد بن العادل ثم انتقل إلى ورثته ثم انتقل إلى الأمير صلاح الدين أحمد بن شعبان الأربلى فوقفه ثم تحيل ولده فى إبطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصدًا لوالدة خليل ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان أحد مماليك السلطان صلاح الدين بن أيوب وتقدم حتى صار أحد الأمراء الصالحية وعرف بالشجاعة والنجدة وإصابة الرأى وجودة الرمى وثبات الجأش فلما مات فى شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة أخذ إقطاعه الأمير ياركوج الأسدى وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من الخراطين إلى الخيميين وهو وقف على جهات بر.

فندق ابن قريش : هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق

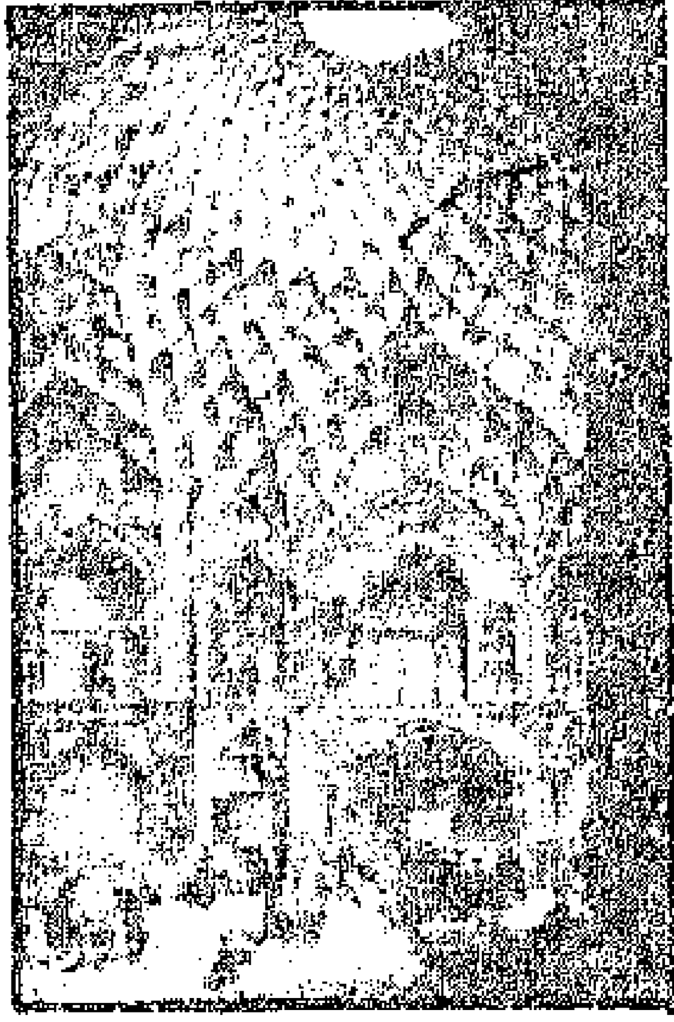
ابن قريش استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش كاتب الإنشاء وانتقل إلى ورثته انتهى (إبراهيم بن عبد الرحمن ابن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش) أبو إسحاق القرشي المخزومي المصري الكاتب، شرف الدين أحد الكتاب المجيدين خطا وإنشاء خدم في دولة الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الإنشاء وسمع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة في أول يوم من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي وبرع في الأدب وكتب بخطه ما يزيد على أربعمائة مجلد ومات في الخامس والعشرين من جماد الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وكالة قوصون: هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء كانت أخيرا دارا تعرف بدار تعويل البوعاني فأخربها وما جاورها الأمير قوصون وجعلها فندقا كبيرا إلى الغاية وبدائره عدة



خان قوافل بالأناضول

مخازن وشرط أن لا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج أحد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها وقد



لوحة ٦١ب خان قوافل بكاشان لوحة محفورة عن كتاب «رحلة في فارس» ١٨٤٠ م

أدركنا هذه الوكالة وإن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمور لنك وفيها إلى الآن بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا أدركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوي نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن في سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل.

فندق دار التفاح: هذه الدار هي فندق تجاه باب زويلة يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية إنما يباع في وكالة قوصون إذا قدم ومنها ينقل إلى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عملت بستانا في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. وأنشأ هذه الدار الأمير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ووقفها على خانقاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة في تنضيدها واحتفافها بالرياحين والأزهار وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل إلى الفواكه حر الشمس

ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا إلا أنه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذلك ولم تزل إلى أن هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وذلك أن الجامع المؤيدى جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل في الأوقاف وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار إفريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ويتحصل من أجرتها إلى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق.

(وكالة باب الجوانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا بأعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر بوقوف أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد في البر يدخل به على عادته إلى وكالة قوصون وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التى أنشأها بخط بين القصرين فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم.

خان الخليلى: أفردنا له مادة خاصة فانظرها في موضعها.

فندق طرنطاى: هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل في دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان في واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن في مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى أصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيأ لها الفراغ من نقل الزيت إلى داخل هذا الفندق إلا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع في غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنيا بها وحتى الأعمدة المذكورة وصارت كلها جيرا واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطى الناس (المواعظ والاعتبار ٢ / ٩٢ ـ ٩٤).

بغداد:

خان مرجان: أفردنا له مادة خاصة فانظره في موضعه.

المدينة المنورة: يقول الدكتور صالح لمعى مصطفى: قل وجود الخانات في المدينة المنورة، علما بأن أقدم ما عرفناه أقيم في النصف الثانى من القرن التاسع عشر. ولعل وجود عدد كبير من الأربطة يوضح لنا أنها قد استعملت كمكان لنزول القادمين للزيارات الدينية الطويلة، أو أن عددا من الدور السكنية كانت تستعمل لاستقبال النزلاء والزوار (المدينة المنورة / ٢٤٦).

دمشق:

عن خانات دمشق وطرزها المعمارية يقول الدكتور يوسف جميل نعيسة في دراسته التى حددها في الفترة مابين ١١٨٦ إلى ١٢٥٦ هـ (١٧٧٢ ـ ١٨٤٠ م):

ارتبط بناء الخانات في دمشق بظروفها الاقتصادية والسياسية في مختلف العهود. وما بنى منها في العهد العثمانى كان قليلا إذا ما قورن بالعهود السابقة وأقله في فترة دراستنا وأهم الخانات العثمانية في دمشق لم يتجاوز عدد أصابع اليد.

خان الخياطين الذى بناه في سوق الخياطين الوالى العثمانى أحمد شمسى سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣ م ثم خان المرادية الذى بناه والى دمشق ما بين ١٠٠٢ و ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٣ ـ ١٥٩٥ م. ثم خان درويش باشا (٩٧٩ ـ ٩٨٢ هـ / ١٥٧١ ـ ١٥٧٤ م) وهو ما سمى بخان الحرير أو قيسارية الحرير وتم بناؤه في سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٤ م ثم خان سليمان باشا العظم الذى يقع في محلة القماحين، وكان يسمى خان الحماصنة بناه سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م ثم خان مصطفى باشا الذى بناه خارج باب الفرج بمحلة العقيبة بالقرب من حمام المحتسب. ثم خان أسعد باشا العظم في سوق البزورية بدأ ببنائه سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ ـ ١٧٥٢ م. وتم بناؤه في سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م ويقول البديرى الحلاق: «اشترى أسعد باشا سوق الدق وما حوله من الدكاكين ومراده أن يعمل بهم قيسارية ليس لها نظير في قيساريات الشام»

وتعرض سقفــه للانهيـار بعد بنـائه بستة أعـوام نتيجة للـزلزال الذى ضـرب دمشق فى ربيع الأول والثانى سنـة ١١٧٣ هــ ـ ١٧٥٩ ـ ١٧٦٠ م.

ولقد كان هذا الخان أفضل ما بنى من الخانات فى دمشق على الإطلاق من حيث اتساعه وهندسته وزخرفته . وعندما زاره «لامـارتين» فى سنة ١٨٣٣ م / ١٢٤٩ هـ وصفـه بأنه «أجمل خان فى الشرق وقبته الفخمة تـذكر بقبة بـولس فى روما فهى محمولة على عضائد من الغرانيت ... أما بابه فيعتبر قطعة من العمـارة الإسـلاميــة التى لا نظيـر لهـا فى العـالم من حيث الزخارف».

ولقـد أدخل العثمانيـون الفن الرومى فى بنـاء الخانـات . فأصبحت خانـاتهم فى دمشق مسقوفـة بالقباب والعقـود بدلا من الجملون الذى كان سائدا فى بنـاء الخانات قبل عهدهم . وعنوا بزخرفة الخانات بـالحليات المعمارية والحجارة الملونة (الأسود والأبيـض بالتنـاوب) سواء فى جـدرانها أو أقـواسهـا . وهـذا الفن كـان استمـرارا للفن السلجـوقى الممـزوج بـالفن المملوكى بالإضـافة إلى الفن البيزنطى . وحل فى بناء الخانات القوس الـرومى محل القوس الفـارسى الذى استخـدم فى بناء الخانـات السابقة فى دمشق . وتميـز القوس الرومى الجـديد برأسه المقعر قليلا نحـو الخارج والجزء السفلى منه محدب . وازداد استخدام القوس نصف الـدائرى المجزوء أى الذى تقل فتحته عن نصف الدائرة، فى الأبواب والشبابيك . أما الأعمدة فقد شاع فيها استعمال التيجان المقرنصة ورسمت فى الزخرفة العروق النباتية والأزهار.

وأهم الخانات التى كانت تقع خارج دمشق : خان الشيخ عمر ظـاهر دمشق بمحلـة العاصيـة ثم خان سـوق الخيل ثم خان المشعلجية بمحلة تحت القلعة غـرب خان الباشا وخان المليحى ظاهر دمشق وخان الحنابلة فى محلة العقيبة ثم خان الآلاجا فى الشاغور البرانى بالقـرب من جامع الشنباشية وخان العكجية وقف بنى البكـرى ظاهر دمشق وخان الـوقف بمحلة الشويكة ظاهر دمشق .

أما ماكان منها باطن دمشق فهى :

خـان الأقميم قـرب حمـام عيسى القـارى وخـان الـوقف بمحلـة النصارى بـزقـاق جعفر البـرانى وخـان البترك الكـائن بمحلة الخـراب بزقاق الكنيسـة المريميـة . كان معدا للفتـالة وخان الـرواس فى محلة باب تـوما وخان شيخ الحـارة بمحلة باب توما وكان معدا لنسيج القطن وخان المصبنة باطن دمشق بمحلة النصـارى بزقاق التلـة بالقرب مـن جامع التوبـة وخان حيدر الكائن بزقاق المسبك الجوانى بمحلة النصارى بالقرب من خان شيخ الحارة وخان قجماس باطن دمشق بالقرب من سـوق الأروام وخان البـرنجك شرق جـامع الـدغمشية وخـان الدهـوار بمحلة الشيخ سيف الدين باطن دمشق كمـا ورد ذكر لبعض الخانات فى السجلات إلا أنها لم تحدد أماكنها مثل : خان الحشـاشة وخان بـازرباشى ويبدو أن تلك الخـانات لم تكن بأهمية الخانات الكبيـرة والتى لعبت دورا فى حركة تجارة دمشق الداخلية .

وقد فصل الدكتور نعيسة فى هامش : (ص ١٨١ ـ ١٨٣) هذا الذى أجمله مما ذكرناه آنفا فقال :

ذكر يوسف عبد الهادى الخانات الدمشقية التى بقيت إلى عهده (القرن العاشر للهجرة) وما بنى فى العهد العثمانى أو ما قبله . فى كتـابه «الإعانات على معـرفة الخانات» . كمـا يذكر نعمان القساطلى الذى : عاش فـى القرن التاسع عشر للميلاد ١٢٣٩ خـانا فى دمشـق بين كبير وصغيـر للتجـارة والصناعـة والقهـوة ولإيـواء الـدواب والمكـاريـة والفقـراء داخل دمشق وخارجها فى كتابه «الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء» وما بقى من هذه الخانـات إلى فترة دراستنا نرصـده من تلك المصادر وبعض المـراجـع الأخرى وهى على الشكل التـالى : خـان جقمق (وأحيانا سوق جقمق) وهو ما يـزال قائما إلى يومنا هذا فى سـوق مـدحت باشـا ويقع فى الصف الشمـالى من هـذا السوق وإلى الشـرق من خان الزيـت الدكة (التكـة) . ثم خان الدكـة (التكة) ما يـزال موجـودا إلى الآن ويعرف لدى العـامة بخان الدكة ويقع فى أول سوق مـدحت باشا الآن . ويقول ابن عبد الهادى : بأنه كان يباع فيه الرقيق والجوارى . ثم خان لالا مصطفى بـاشا ويقع ظـاهر دمشق خـارج باب الفـرج بمحلة

العقيبة بالقرب من حمام المحتسب. ثم خان القماحين، ويقع ظاهر مدينة دمشق بمحلة القماحين. وتعود ملكيته لآل النقطة. خصص لزرب الدواب. ثم خان بني الناشف، ويقع بالقرب من جامع درويش باشا. إلا أن الوثائق الشرعية لم تحدد مكانه بدقة فيما إذا كان داخل أسوار دمشق أم خارجها. ثم الخان المعروف ببني رمضان ويقع في محلة الشيخ محيي الدين في الصالحية. ثم خان الخضيرية أو الخضيري ويقع بباطن دمشق بمحلة القطانيين بالقرب من سوق العلبية وربما هو الخان الموجود اليوم بسوق القطن قريبا من المدرسة الخضيرية. ثم خان المسرجية ويعرف بخان الحورة. أما مكانه فلم تحدده سجلات محاكم دمشق الشرعية.

ثم خان سيباي ومكانه غير معروف وينسب إلى النائب سيباي الذي ولي على دمشق في آخر العهد المملوكي.

وخان في باطن دمشق بمحلة باب شرقي المعد لوضع الغلة ويقع قبلي الطريق الآخذ إلى باب شرقي. ورغم ورود ذكره في سجل المحكمة الشرعية إلا أن نسبته لم ترد فيه. وخان المغاربة في باب المصلى بزقاق الأربعين. وخان عبد العظيم بمحلة القيمرية باطن دمشق. وخان السيد منصور، وربما هو خان السيد الموجود اليوم قبالة الجامع المعلق خارج السور الشمالي.

وخان الجاموس أو الجواميس - ثم خان الشلاح، وخان بسوق الحمام، كلها ورد ذكرها في الوثائق التاريخية. أما أماكن هذه الخانات في دمشق فلم تحددها تلك السجلات. ثم خان الدقاقين في محلة الدقاقين قبالة سوق البزورية من جهة الجنوب. وخان البهرامية.

وبالرغم من بقاء هذه الخانات إلى العهد العثماني، إلا أنها لم تكن في أهميتها كالخانات التي أنشئت في العهد العثماني والتي بقيت إلى وقتنا الحاضر في دمشق، وربما يعود ذلك لاهتمام جميع العهود التي مرت على دمشق منذ إنشائها وحتى وقتنا الحاضر، بالحفاظ عليها والاستمرار في استخدامها من قبل التجار والحرفيين، فقاموا بصيانتها وترميمها وأهم هذه الخانات هي:

خان الجوخية ـ أو خان الخياطين ـ وهو جزء من سوق الخياطين بناه في بداية العهد العثماني والي دمشق أحمد شمسي باشا في عام ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢ـ١٥٥٣ م، كما هو مثبت بالكتابة المنقوشة على بابه، وخان الحرير عمره والي دمشق العثماني درويش باشا الذي حكم ما بين (٩٧٩ ـ ٩٨٢ هـ) وعرف باسم قاسارية درويش باشا. ولقد تم بناؤه كما هو مثبت نقشا على حجارة بابه في عام ٩٨١ هـ/ ١٥٧٣ ـ ١٥٧٤ م.

وخان سليمان باشا ويقع في سوق مدحت باشا في أيامنا هذه في الجانب الجنوبي منه قريب من محلة الدقاقين. كان يطلق عليه قديما (خان الحماصنة) لنزول تجار حمص فيه، بناه سليمان باشا العظم الذي ولي على دمشق عام ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م.

وخان العامود، ويقع في سوق البزورية قبالة خان أسعد باشا العظم وهو قائم إلى وقتنا الحاضر، ولا توجد معلومات عنه قبل ذكره من قبل نعمان القساطلي، وهذا الخان صغير إذا ما قيس بالخانات الأخرى في دمشق.

وخان المرادية، ويقع عند باب البريد، وله واجهة على سوق الحميدية في وقتنا الحاضر وواجهة أخرى على سوق الحرير، وهندسة هذا الخان حديثة العهد تعود إلى مطلع القرن العشرين، وربما تهدم في الزلازل التي ضربت دمشق في العهد العثماني، فأعيد ترميمه ولقد ورد ذكره في الكتاب (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) بأن الوالي قام ببنائه عام ١٠٠٢ هـ/ ١٥٩٣ م ـ ١٥٩٤م.

وخان الجمرك ويقع جوار خان المرادية وبابه مفتوح على سوق القلبقجية، وله هندسة خاصة فهو عبارة عن زاوية قائمة مسقوفة بست قباب وعلى جانبي الممر منه فتحت سلسلة من المخازن التجارية. ولا نعلم شيئا عن تاريخ بنائه. أما نعمان القساطلي فيذكره في كتابه «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء» على أنه كان مركزا لجمرك دمشق حتى عام ١٨٦٤م/ ١٢٨٠ ـ ١٢٨١ هـ.

وخان قطينا ويقع بين خان الجمرك وخان المرادية، وبابه

مفتوح على سوق القلبقجية، ولا نعلم شيئا عن تاريخ بنائه، إلا أن عبد القادر الريحاوي يعقد أن بناءه تم قبل بناء خان الجمرك. ثم خان الزعفرجية في سوق القلبقجية إلى الجنوب من خان الجمرك، هندسته شبيهة بخان قطنا. ولا نعلم تاريخ بنائه. ثم خان الحرمين أسماه القساطلي «خان الجواري» ويقع في سوق الحرير في الطرف الشرقي منه قبالة خان قطنا ويذكر «بورتر» الذي زاره في سنة ١٨٥٥ م أنه مخصص لبيع الجواري والعبيد.

أما البديري الحلاق الذي عاش في منتصف القرن الثامن عشر فإنه يذكر هذا الخان على أنه في باب البريد. وأحد سجلات محاكم دمشق / لعام ١٠٤٠ هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٦٣١ م عين مكانه في سوق الجراكسة باطن دمشق ولعله جدد بعد القرن الثامن عشر واحتفظ باسمه.

وخان التتن: والتتن كلمة تركية تعني التبغ. ويبدو أنه خصص عند إنشائه لتجارة التبغ، ويقع إلى الجنوب من الجامع الأموي شرقي خان الحرير، وبابه مفتوح على سوق السلاح وهو من النموذج المسقوف صحنه بالقباب.

وخان الصدرانية: يقع بالقرب من قصر أسعد باشا العظيم في صدر سوق البزورية، وبابه مفتوح على هذا السوق، مسقوف بعقد وثلاث قباب وقد عثرنا على وصف هذا الخان في الوثائق التاريخية التابعة لمحاكم دمشق لعام ١١٧١ هـ/ ١٧٥٧ م وربما هو خان معاوية الذي تصفه سجلات محاكم دمشق بأنه معد للفتالة وجاري في دايرة أسعد باشا العظم. ثم خان السفرجلاني، ويقع في سوق السلاح بين الصاغة المحروقة وخان الصدرانية وهو خان صغير من طابقين، له صحن مسقوف بثلاث قباب وحوله رواق. وخان المغاربة ثم خان أسعد باشا العظم وهو أوسعها وأفخمها على الإطلاق. (مجتمع مدينة دمشق ١/ ١٨١ ـ ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧).

حلب:

تفصح خانات حلب الفخمة عن قوة التراث المحلي، فخان الصابون (بناه قزدامور) وخان الأبرك المملوكيان يعتبران من الأمثلة البديعة على زيادة أثرت على ما يظهر في مخطط الخانات العثمانية وزخرفتها. أما خان قورت بك (حوالي ١٥٤٠م) فتشدنا مساحته البالغة ٢٥٠٠ م٢، ويفرض هيبته علينا بفخامة بوابته التي يتقدمها سوق صغير خاص بنزلاء الخان. وتعتبر البحرة التي تتوسط باحته والإيوان الضخم في صدره من العناصر المميزة للعمارة «السورية».

تأسس خان الجمرك في حوالي ١٥٧٤ م وهو فريد في ضخامة حجمه (٥٢ حانوتا في الطابق الأرضي و ٧٧ غرفة في الطابق العلوي، يحتل مساحة ٦٤٠٠ م٢). أما زخارفه فتذكرنا بزخارف الخانات المملوكية. وهناك ربط محكم للخان والأسواق التي بنيت في نفس الفترة، في جملة أوقاف الباني محمد باشا.

يوفر خان الوزير، الذي تأسس في زمن متأخر (١٦٨٢ م) الدليل على استمرار الفن المملوكي، ويتحلى ذلك بوجه خاص في زخارف الواجهات الرئيسية والداخلية. وعلى هذا الأساس هيمن التراث السوري هيمنة ملموسة على التأثير القادم من اسطنبول (العواصم العربية / ٦٢، ٦٣).

قالت المؤلفة: زرنا خان الوزير في سوق الزرب يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م ووجدنا لوحة رخامية عليها الكتابة التالية: بني في عام ١٠٩٣ هـ/ ١٠٨٢م وهو مبني مهيب.

وقد أحصى ابن الشحنة خانات حلب في زمانه على النحو التالي:

خان ابرك بسوق الهواء.

خان خير بك بالقرب من باب السر من دار العدل تجاه باب سوق الدهشة.

خان ازدمر بسوق الصابون.

خان السيد تجاه المدرسة الصلاحية.

خان القاضي تجاه البيمارستان الجديد داخل باب قنسرين.

خان الخراطين.

خان الشيباني المعروف بالفرنج.

خان المرة بسوق الهواء .

خان المجنى وقف الحرمين بسوق الهواء .

خان الشعارين .

خان لصيق باب المقام .

خان الزيت بباب المقام لصيق الألجيهة .

خان الجورة بقرب المقصف .

خان البرادعية .

خان السهيل . «خان» الحنة . «خان» الدكاشرة . «خان» الأكبجي بالقرب من الكلتاوى . «خان » الخسف يعرف الآن بخان الحرير داخل باب النصر .

«خان» ببحسيتا .

خان الزيت المعروف بخان خير بك بالقرب من المصابن .

خان دار كوره .

خان ابن السفاح بالقرب من دار كوره قد صار الآن حانوتا للقهوة سنة خمس عشرة وألف .

خان الصابون داخل باب الجنان .

خان فى دركاه باب قنسرين .

أما ما هو خارج البلد ظاهر باب الجنان

خان السمك على النهر .

خان الحنة خراب .

خان الفاخورة .

خان الفحم بالقرب من الوراق .

خان سويد بالقرب من الجسر . «وظاهر باب النصر» :

خان خير بك نائب حلب .

خان بردبك الحاجب .

خان الخندق .

خان العصيص .

خان تجاه خان العصيص .

خان بقرب بيت المرعشى . «وظاهر باب القناة» «فخان» اللبن .

خان الفحم (الدر المنتخب / ٢٤٨ ـ ٢٥٠) .

ويسوق خير الدين الأسدى (١٣١٩ ـ ١٣٩٠ هـ / ١٩٠٠ ـ ١٩٧١ م) عددا من الخانات فى مدينة حلب المعاصرة وهى كما يلى :

خان استانبول : يقع فى السوق المسمى باسمه . كان مقرا للشرطة الفرنسية أيام الاحتلال . تحتله الآن ورش الموبيليا .

خان البنادقة : يقع قرب الجامع الكبير . كان يشغله تجار البنادقة وقنصلهم لأن الحاضر المهدم لم يعد يستطيع أن يستخدم مكان إقامة .

خان الحبال : فى سوق الحبال . ترك الفرنسيون خان الجمرك للإنكليز واستأجروا خان الحبال لسكنهم واستعمالهم الخاص، وسكن قنصلهم فى مبنى مجاور. وكان يسمى خان الفرنسيس .

خان الحرير : من أعمر المناطق التجارية فى حلب . كان الهنود ينزلون فيه بالحرير، تقع هذه المحلة بين الجامع الكبير والسبع بحرات . وفيه خان الحرير تباع فيه الأقمشة وفيه أيضا مطابع لليهود .

خان السبيل : وتسمى حارة الباشا . فيها خان وفيه سبيل ماؤه جمع ، ينزل هذا الخان القوافل .

[تقع قرب ابن نصير، وهى حارة معروفة بكثرة مساجدها ، رغم صغرها فيها ستة مساجد وعدة سبلان وخانان وحمام سوق الغزل ، وقد هدمت حديثا] انظر الصورة

خان الشوربجى : فى الطرق الغربى من العقبة ، كان مقرا لجنود الفرنسيين وسجنا للوطنيين ، وقد هاجمه «الجتا» عدة مرات . والجتا هم الميليشيا الوطنية فى عهد الانتداب الفرنسى .

خان طومان : من خانات السبل، مشهور بكلابه التى تنبح الناس ، يقولون «ما بتعوى عليه ولا كلاب خان طومان» موقعه على نهر قويق ظاهر البلد،

رممه وعمره أبشير مصطفى باشا وأجرى إليه الماء من عين المباركة. يعد ٣ أميال عن حلب. كان فيه ٤٠ محافظا يقودها آغا لردّ غارات العربان ومنعهم من نهب محاصيل القرى.

خان العسل: قرية غربي حلب، دخلت حديثا الحدود الإدارية للمدينة حوفظ فيها على المسقفات، فيها مداجن حديثة، وعندها تجرى مراسم استقبال ووداع الحجاج أو غيرهم من المسافرين، وكانت تعد أحد متنزهات حلب. كان الخان كبيرا محصنا تأوى إليه القوافل، والآن مائل للخراب وقربه عين ماء عذبة.

خان الجمرك: فى سوق المدينة، وهو مجمع تجارى بناه عام ١٥٧٤ م إبراهيم خان زاده محمد باشا، مدخله ما بين سوق العفص وسوق الهواء ويضم خانا فيه ٥٢ مخزنا و ٧٧ غرفة وسوقان جميلان من الحجر المنحوت بعشر قباب للإنارة يجمعان ٣٤٤ حانوتا ومنهلين ومسجدا ومدخلا فخما متوجا بقباب، كان مقرا للفرنسيين والإنكليز والهولنديين يقيمون فيه ويسكنون، ثم تركه الفرنسيون إلى خان الحبال، وغادره الهولنديون إلى خان احتفظ باسمهم مدة. وكان الخان يضم مقر القنصل وراهب الجالية ويسمى مقره بالدير تفخيما. وقد أصبح خان الجمرك المركز الرئيسى للصرافة وبيع الأقمشة بالجملة. وفى عام ١٩٨١ منع الصرافون من مزاولة أعمالهم ودوهمت حوانيتهم فأصبحوا يعملون سرا متخفين ببيع الأقمشة (أحياء حلب وأسواقها / ١٨٥ ـ ١٩٠) انظر الصورة.

قالت المؤلفة: يضيف الدكتور أندريه ريموند قائلا: وهو فريد فى ضخامة حجمه (٥٢ حانوتا فى الطابق الأرضى و ٧٧ غرفة فى الطابق العلوى، تحتل مساحة ٦٤٠٠ م٢). أما زخارفه فتذكرنا بزخارف الخانات المملوكية. وهناك ربط محكم للخان والأسواق التى بنيت فى نفس الفترة، فى جملة أوقاف البانى محمد باشا (العواصم العربية / ٦٣)

ويمضى خير الدين الأسدى فى تعداد خانات حلب فيقول:

خان النحاسين: فى المحمص. كان مقرا لقنصلية فينيسيا ثم للقنصلية البليجيكيه:

خان الوزير: بناه أحد ولاة حلب عام ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م وهو مؤلف من غرب للتجارة فى طابقين، وأروقة ممتدة، وفى منتصف ساحته يقوم مسجد الخان بقبة عليه وقد ألغى وحول إلى محلات لتجارة الأقمشة، ويقع الخان شرقى الجامع الكبير، وقد هدم الرواق الشمالى منه بسبب فتح الجادة العريضة. وتفكر الحكومة بتحويله إلى فندق سياحى.

ومحلة خان الوزير ذات فعالية تجارية كبيرة، فيها جامع الصاحبى، وهو مدرسة أنشأها أحمد يعقوب الصاحب عام ٧٥٠ هـ ويعرف الآن بجامع الفستق. وكان فيه قيسارية تحوى غرفا وأنوالا يدوية، وتؤجر غرفها للمبيت أو العمل وثمة أماكن فيها للدواب، وكان الجمالة والمكارية ينامون فيها. وفيها المطبخ العجمى وقد رمم بعد اقتطاع جزء منه مع فتح الجادة، وكان متحفا للتقاليد الشعبية وتفكر الحكومة بإحيائة وجعله مطعما، وفيها قاعة الصقال، وفيها حمام الواسانى ويقال: الواسانو. قديم جدا خرب مع فتح الجادة. وينقل الغزى عن صاحب كنوز الذهب «فى الحمام جرن أسود يذكر أن الخليل عليه السلام اغتسل فيه» ولم يزل هذا الأمر مشهورا حتى الآن، وهو حمام مبارك

يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام ويحصل لهم الشفاء من أمراضهم وخصوصا النساء.

وفيه خان الكتان وقيسارية خان الكتان. وتجاه باب خان الوزير تقوم المدرسة الجردكية أنشأها عز الدين جرديك النوري سنة ٥٥١ هـ وهي لصق أصلان دده. وقد بني حديثا في هذه المحلة مقسم توزيع رئيسي للهاتف الآلي (أحياء حلب وأسواقها/ ١٩٠ـ١٩٢) انظر الصور.

قالت المؤلفة: قمنا بزيارة خان الوزير يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م، وشاهدنا مدخل المدرسة الصاحبية المعروفة الآن بجامع الفستق والمشار إليها آنفا، ولم نستطع الدخول لأنه كان وقت إقامة الصلاة.

يقول الدكتور أندريه ريمون: يوفر خان الوزير، الذي تأسس في زمن متأخر (١٦٨٢ م) الدليل على استمرار الفن المملوكي، ويتجلى ذلك بوجه خاص في زخارف الواجهات الرئيسية والداخلية. وعلى هذا الأساس هيمن التراث السوري هيمنة ملموسة على التأثير القادم من استانبول.

كما يذكر خانا آخر هو خان «قورت بك» فيقول عنه أما خان قورت بك (حوالي ١٥٤٠ م) فتشدنا مساحته البالغة ٢٥٠٠ م٢، ويفرض هيبته علينا بفخامة بوابته التي يتقدمها سوق صغير خاص بنزلاء الخان. وتعتبر البحرة التي تتوسط باحته والإيوان الضخم في صدره من العناصر المميزة للعمارة «السورية» (العواصم العربية/ ٦٣) انظر الصورة.

وهكذا فقد بسطنا الكلام على الخانات باعتبارها مؤسسات تجارية هي جزء من معالم حضارتنا، وهي أنصع دليل على النشاط التجاري العظيم الذي كانت تتمتع به الدول الإسلامية.

(الفن الإسلامي ـ أبو صالح الألفي/ ١٢٤، موسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحمن غالب/ ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، والقيم الجمالية في العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة/ ٧٩ـ٧٢، والعواصم العربية وعمرانها في الفترة العثمانية ـ د. أندريه ريمون ـ تعريب قاسم طوير/ ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٣، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي ٢/ ٩٢ـ٩٤، والمدينة المنورة. تطورها العمراني وتراثها المعماري ـ صالح لمعي مصطفى/ ٢٤٦، ومجتمع مدينة دمشق ـ د. يوسف جميل نعيسة/ ١٨١ـ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، والدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ـ تقديم عبد الله محمد الدرويش/ ٢٤٨ـ٢٥٠، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدي ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جي/ ١٨٥ـ١٩٢. انظر أيضا التراث الإسلامي المعماري في مصر ـ د. صالح لمعي مصطفى/ ٥٦ـ٥٩).

*** الخانقاه:**

انظر: الخوانق

*** الخانقاه (جامع ـ):**

انظر: سعيد السعداء (خانقاه ـ)

*** الخانقاه الصلاحية:**

انظر: سعيد السعداء (خانقاه ـ)

*** الخانقاوات:**

انظر: الخوانق

*** خانم:**

لفظ فارسي بمعنى سيدة. ويعتقد «فان برشم» أن هذا اللقب لم يرد في النقوش الإسلامية غير مرة واحدة.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٧٤)

*** خاورنامه:**

خاورنامه: فارسي منظوم لمحمد بن حسام الدين المتوفى سنة ٨٩٢ اثنتين وتسعين وثمانمائة بقهستان نظم فيه سيرة علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

(كشف الظنون ١/ ٦٩٩)

*** خاير بك (مدرسة ـ):**

انظر: خاير بك (مسجد ـ)

*** خاير بك (مسجد) (٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢): أثر ٢٤٨:**

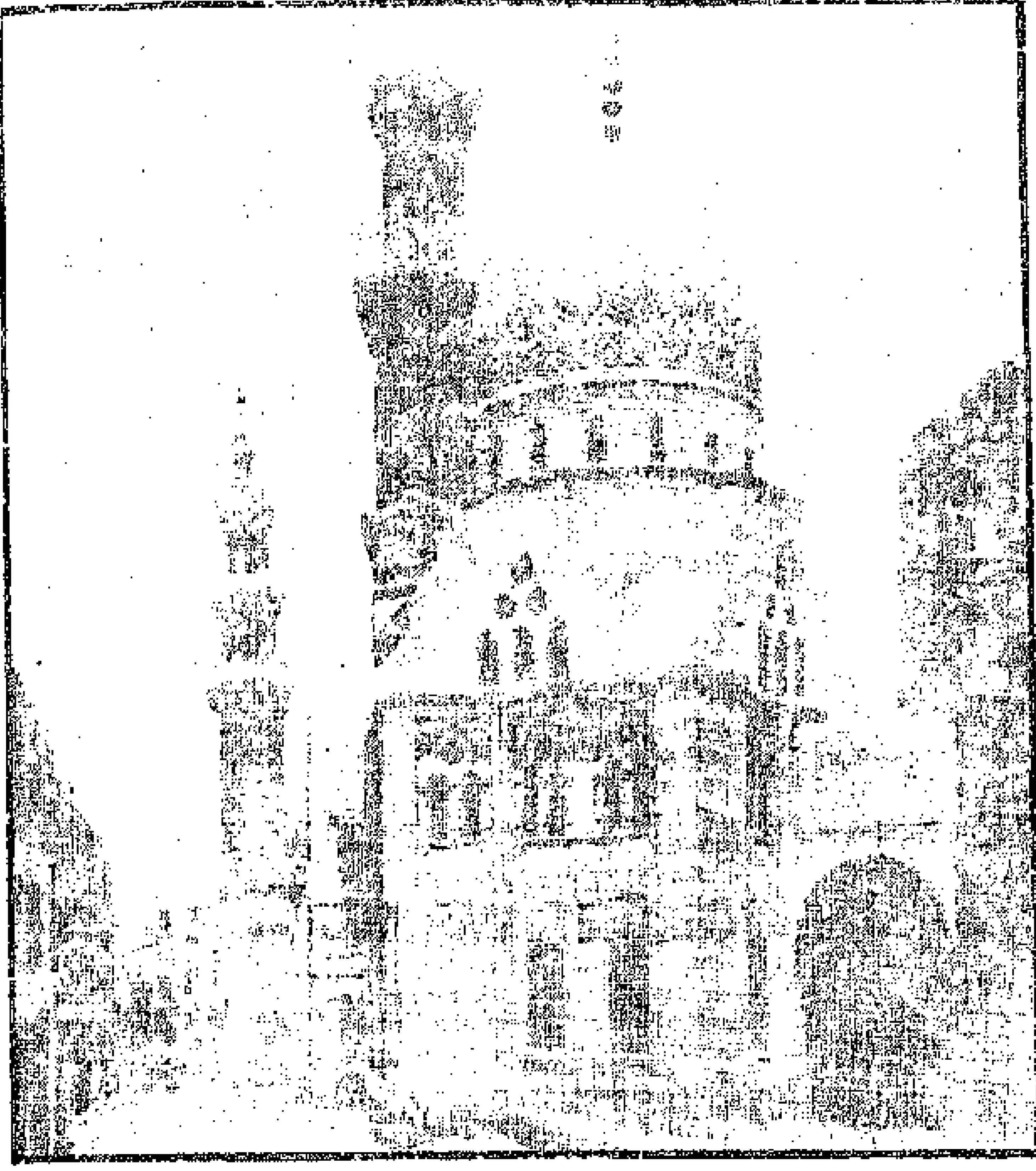
يقع هذا المسجد بشارع باب الوزير إلى جوار مسجد آمدسنقر (إبراهيم أغا مستحفظان) أنشأه في سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ ـ ٣ م) (في الخطط التوفيقية ٤/ ٢٢٨ سنة ٩٢٧) الأمير خاير بك أحد أمراء المماليك الجراكسة، وصل في عهد السلطان

الغورى إلى مرتبة صاحب الحجاب (كبير الأمناء). وفى سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ ـ ٥م) عينة الغورى نائبا عن حلب وظل فى هذه الوظيفة إلى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) حيث غزا السلطان سليم الشام، وعندئذ ولاه الغورى قيادة ميسرة الجيش المملوكى، وعندما اشتد هجوم الجيش التركى خان خاير بك سيده وانسحب فأدى انسحابه إلى وقوع الاضطراب فى صفوف الجند وهزيمة المماليك فى موقعة مرج دابق التى قتل فيها السلطان الغورى ولم يعثر له على أثر. وبعد ذلك أخذ فى تمهيد السبيل لدخول الجيش العثمانى مصر ببذر بذور الفتنة فى الجيش المملوكى المرتد من الشام مما أدى إلى انهيار الدولة المملوكية والقبض على آخر ملوكهم طومان باى وقتله. وهكذا بدأ حكم العثمانيين لمصر، وكان خاير بك أول حاكم عليها من قبل الدولة العثمانية، فصار يتصرف فى شئونها تصرف الملوك، وكان عهده عهد قسوة وعنف، وساءت أحوال البلاد، وتوفى سنة ٩٢٨ هـ ويتكون المنظر الخارجى للمسجد من القبة الجميلة المحلى سطحها بزخارف نباتية، والمنارة التى فقد قمتها فى وقت غير معروف، والمدخل المعقود الذى تغطيه طاقية مقرنصة الأركان، ثم السبيل الواقع فى الطرف الشمالى من الوجهة، وكلها تكون مجموعة متناسقة امتازت بعدم بنائها على خط واحد مما زاد فى جمال تكوينها.

ويؤدى المدخل إلى دركاة معقود على يسار الداخل إليها باب يؤدى إلى ممر يتوصل منه إلى فضاء به سبان ومقابر مبعثرة، وتطل عليه الوجهة الخلفية للمسجد وبقايا وجهة قصر الأمير ألناق أحد أمراء المماليك البحرية، ويحده من الشرق سور البلد القديم، وإلى يسار الممر آنف الذكر باب السبيل وإلى يمينه باب يؤدى إلى المسجد يتوصل إليه ببعض الدرجات.

وتخطيط المسجد عبارة عن حيز مربع أمام المحراب على جانبيه إيوانان يفصلهما عنه عقدان، وبنهاية الإيوان القبلى منهما بابان يؤدى أحدهما إلى القبة والثانى إلى الغرفة الواقعة أسفل المنارة.

ويسترعى النظر فى هذا المسجد طريقه تسقيفه، فهو مغطى بقبوات مصلبة من الحجر.

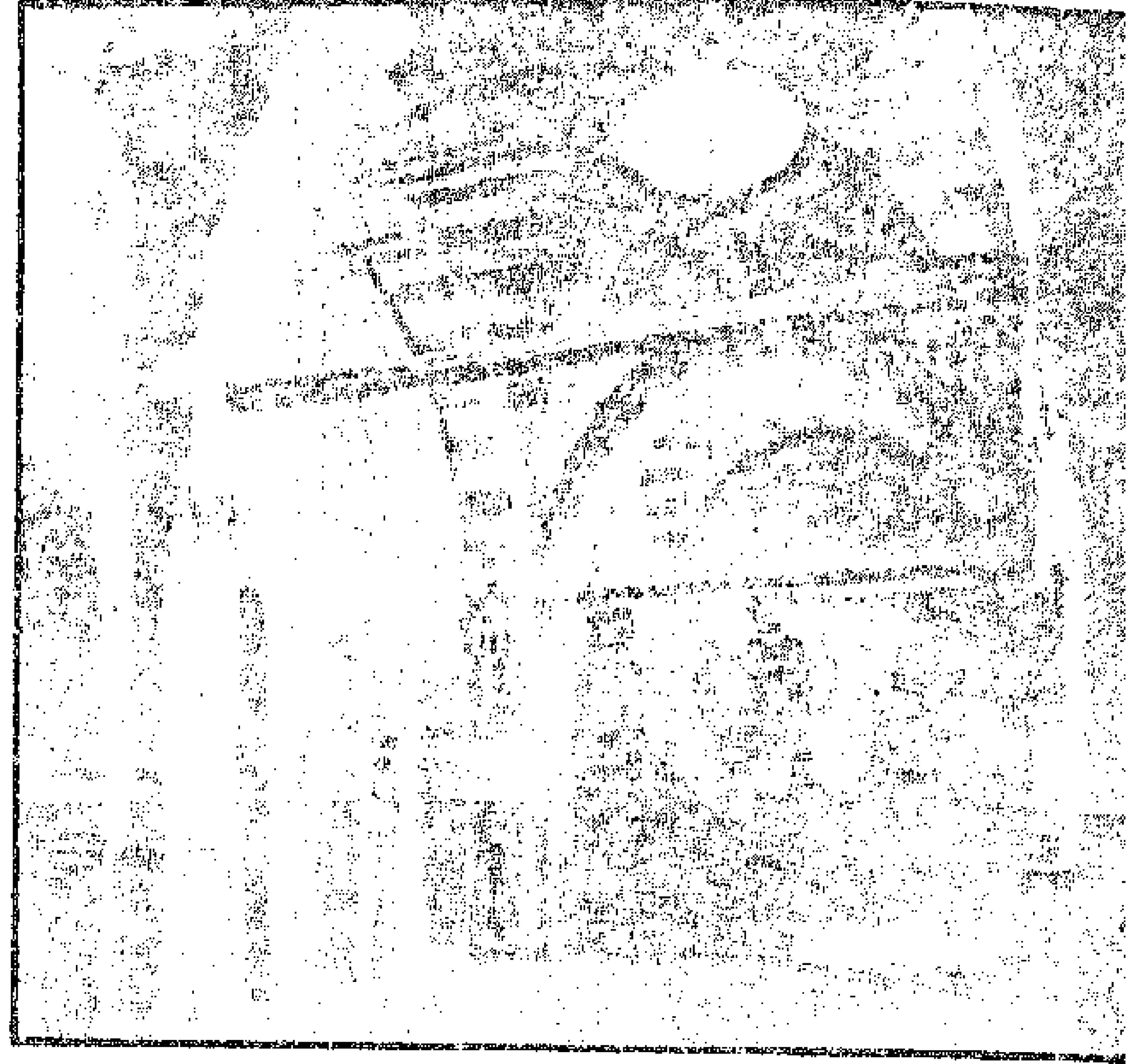


مسجد الأمير خاير بك
٩٠٨ هـ (١٥٠٢/٣م)

ولكى يجمع المهندس الذى وضع تصميم المسجد والقبة بين ضرورة مراعاة اتجاه القبلة وبين اتباع خط تنظيم الطريق أدخل المسافة الناتجة من انحراف الوجهة فى سمك حائطها وأنشأ بها صفنفا عقدها بقبوات حجرية، وشغل الصفة المقابلة للمحراب بأن وضع بها دكة المبلغ.

وفى القبة انتنى بالشبابيك لتكون عمودية على كل من حوائط المربع من الداخل ووجهاته، وتفنن فى تغطيتها بقبوات حجرية دقيقة الصنع (مساجد مصر ٢/ ١١٠، ١١١).

هذا وقد أدرجه على باشا مبارك فى الجوامع (الخطط ٤/ ٢٢٩، ٢٨٨) تحت اسم «خير بك» وقال عنه: جامع خير بك: هذا المسجد بالخربكية جهة باب الوزير أنشأه الأمير خير بك ملك الأمراء فى سنة سبع وعشرين وتسعمائة، وهو من المساجد المشيدة، وأرضه مرتفعة نحو ثلاثة أمتار ومفروشة بالرخام الملون، وبه ضريح منشئه، ومن داخل المسجد بظحاء متسعة بها المطهرة وتوابعها، وبعض قبور، وشعائره مقامه من ريع أوقافه التابعة للديوان.



مسجد الأمير خاير بك

٩٠٨هـ (١٥٠٢/٣م)

ثم ترجم له فقال : وخير بك هذا كما في ابن إياس : هو ملك الأمراء خير بك أول من تقرر باشا بمصر بموعد سبق له من السلطان سليم، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، واستمر نائبا عليها إلى أن مات سنة ثمان وعشرين وتسعمائة، فكانت مدة نيابته بمصر نحو خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، وكان جبارا عنيدا سفاكا للدماء، قتل ما لا يُحصى من الخلائق ... إلخ. وهكذا يعدد ابن إياس مساوئه، ثم يقول: أصله من مماليك الأشرف قايتباي. وكان جركسي الجنس، وكان اسمه بلباي الجركسي، وكان يدعى أيضا خير بك بلباي. وفي مرض موته أعتق جميع جواريه ومماليكه، ثم إنه دفع القاضي بركات بن موسى المحتسب ألف دينار فضة، ورسم بعشرة آلاف أردب قمح من الشون، ورسم للمحتسب أن يفرقها على مجاوري الأزهر، وعلى المزارات، والزوايا. ثم أمر بإخراج مراسيم للقاضي شرف الدين بن عوض بأن يفرج عن أصحاب الرزق الأحباسية التي كان قد أدخلها إلى ديوان السلطان - وكانت نحو ألف وثمانمائة رزقة - فأفرج عنها لأصحابها. ورسم بإطلاق المحابيس من رجال ونساء فأطلقوا من كان بسجن الديلم والرحبة، ولم يتركوا بالسجن إلا القاتل والسارق، ولم ير الناس في أيامه أحسن من أيام مرضه، ولم يعرف الله عز وجل إلا وهو تحت الحمل، وكان مريضا بفروح بجحر فأعجز الأطباء، واستمر به المرض إلى أن مات. ودفن بجامعه المذكور انتهى. فسبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت (الخطط التوفيقية ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩).

وقد ذكره علي مبارك باشا ثانية في المدارس تحت عنوان «مدرسة خير بك» وقال: هي بشارع الخربكية قرب باب الوزير على يمنة السالك من القلعة إلى الدرب الأحمر، أنشأها الأمير خير بك ملك الأمراء في سنة سبع وعشرين وتسعمائة، وهي عامرة إلى الآن، وتعرف بجامع خير بك وقد ذكرناه في الجوامع ا هـ (الخطط التوفيقية ٦/ ١٦).

(مساجد مصر. وزارة الأوقاف ٢/ ١١٠، ١١١، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩ و ٦/ ١٦).

قالت المؤلفة: قمت بزيارة هذا المسجد مرتين كانت الثانية منهما يوم الأحد ٢٠ مايو ١٩٨٤، وقد قال لي خادم المسجد إن العامة حرفت اسم «خاير» بك إلى «خاين» بك بإبدال الراء نونا لأنه - كما سبق القول - خان سلطانه الغوري وباعه للسلطان سليم في موقعة مرج دابق. وقد توجهت بعد زيارتي المسجد إلى الحوش الذي أشار إليه علي مبارك بلفظ «بطحاء» وشاهدت وراءه سور القاهرة القديم، كما أن بالحوش حواصل، وفي نهايته إلى اليمين باب يؤدي إلى قصر ألين آق الحسامي (٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م، أثر ٢٤٩) الذي ترى بقايا وجهته، ولم يبق منه إلا أطلال وقد صحبني خادم المسجد في محاولتي مشاهدة القصر الذي يقع بابه بجوار باب المسجد، وهو مهدم تماما، وكذلك القاعة، وهي مهدمة، ويصعد إليها على أكوام من الحجارة والرمال مما جعلني أحجم عن الصعود إليها. وأمام القاعة أبواب تؤدي إلى غرف لعلها كانت اصطبلات أو حواصل، وكلها يسكنها أناس في كل غرفة. وسور القاهرة القديم يقع وراء القصر مباشرة، وأمام القصر سبيل ومدفن عمر أغا والمنازل المجاورة (أثر ٢٤٠).

*** الخايف العايم من لومة اللايم:**

من مصنفات التراث الإسلام في التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦٣٧٩.

- رسالة في شرائط الخلوة وحفظ الوقت وعدم تضييعه إلا في الطاعات والقربة.

المؤلف: نجم الدين؟

أولها: الحمد لله تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه ...

آخرها: وكان راع من رعاة الغنم يرعى فاستقاه إنسان فقال ليس عندنا ماء فاشترى منه لبنا فحلبه في إناء فشرب العطشان وفضلت فضلة فقال أما تشرب قال: لا إني صائم ...

الخط: نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: سعيد الحبش بجامع العفيف بدمشق

تاريخ النسخ: الأحد ١٢ شوال سنة ١٢٦٧ هـ

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٤).

*** خباب بن الأرت (-٣٧ هـ / -٦٥٧ م):**

قال عنه الإمام النووي: خباب بن الأرت بالتاء المثناة فوق المشددة الصحابي رضي الله عنه تكرر، هو أبو عبد الله. وقيل أبو محمد. وقيل أبو يحيى خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة وقيل هو حليف بني زهرة وقيل هو مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية وهي من حلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة فهو تميمي النسب خزاعي الولاء زهري الحلف وكان خباب من السابقين إلى الإسلام وممن تعذب في الله تعالى وكان سادس ستة في الإسلام. قال مجاهد أول من أظهر إسلامه من الصحابة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار فكان أبو بكر رضي الله عنه يمنع عنه قومه وأما الآخرون فكانوا يعذبونهم. وقال الشعبي إن خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوه فجعلوا يلزقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم ظهره قال وسأله عمر رضي الله عنه عما لقي من المشركين فقال يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري فنظر فقال ما رأيت كاليوم ظهر رجل قال خباب: لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري. وشهد مع رسول الله ﷺ بدرا وأحُدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ روى له عن رسول الله ﷺ اثنان وثلاثون حديثا اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بحديث. روى عنه ابنه عبد الله وقيس بن أبي حازم وأبو نوفل ومسروق وأبو ميسرة والشعبي وآخرون ومرض خباب مرضا شديدا طويلا توفي منه بالكوفة سنة سبع وثلاثين في خلافة علي رضي الله عنه وقبره أول قبر دفن بظاهر الكوفة وكان أوصى بذلك وكان الناس إنما يدفنون على أبواب بيوتهم ثم دفنوا بظاهر الكوفة حين أوصى خباب بذلك ولما رأى علي كرم الله وجهه قبره قال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا. وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وقال بعضهم توفي سنة تسع عشرة وغلطوه.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١/ ١٧٤، ١٧٥ ـ انظر أيضا الأعلام للزركلي ٢/ ٣٠١).

*** ابن الخباز (-٦٣٩هـ / -١٢٤١م):**

أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلي الموصلي، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز، نحوي ضرير. له تصانيف منها «الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية» مخطوط، وهو شرح لألفية ابن معطي، و«توجيه اللمع» مخطوط شرح لكتاب اللمع لابن جني، في الأزهر وانظر شستربتي (٥٠٩٣) وله شعر (الأعلام ١/ ١١٧).

عرف بابن الخباز البلدي، شارح ألفية ابن معطي، وسكن الموصل ونشأ بها، واشتغل وجلس مكان شيخه يقرىء النحو، واللغة، والعروض، والقوافي، والفرائض، والحساب، وتزاحم الناس عليه، ولم ير في زمانه أسرع حفظا منه، وكان كثير العتب على الزمان، مستحضرا لجمل من الأشعار والنوادر، توفي سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وكـان من جملة محفوظه : الإيضاح ، والتكملة ، والمفصل، ومجمل اللغة لابن فارس، ومن شعره فى ذم أهل الزمان :

أعـراضهم لم تـزل مسـودة فـإذا
قـدحت فيهم أصاب القدح حـرّاقا
بلـوتُهم وطعمت السم فى عسل
وما وجدت سوى الهجران درياقا

له ترجمه فى : البلغة / ٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٠٢، وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ١٩٤، ونكت الهميان / ٩٦، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢ (إشارة التعيين / ٢٩) .

(الأعلام للزركلى ١/ ١١٧، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٢٩ . انظر أيضا نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢١٠ وفيه وفاته سنة ٦٣٧هـ) .

* **الخُبَّازَى :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم طب الأعشاب ، وعلم التغذية . ذكره المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

خبازى « ع ـ منه بستانى يقال له الملوكية ، ومنه برى معروف، ومنه برى كالخطمى . والخبازى البستانى ، وهو الذى يسميه أهل الشام الملوكية ، يصلح للأكل أكثر مما يصلح البرى، وهو ردىء للمعدة ، ملين للبطن، ويدر البول، وخاصة قضبانه ، نافعة للأمعاء والمثانة ، وورقه إذا مضغ نيئا وتضمد به مع شىء من الملح ، نقى نواصير العين ، وأنبت فيها اللحم ، وإذا تضمد به كان صالحا للسع الزنابير والنحل . والخبازى : بارد رطب فى الأولى، وخاصة البستانى منه ، ردىء للمعدة الرطبة ، نافع للمثانة ، وبزره أنفع ، وهو نافع صالح لخشونة الصدر والرئة والمثانة ، وإن طبخت بدهن ، وضمد بها الأورام الحادثة فى المثانة والكلى نفع ، وإن ضمدت بها الأورام الحارة سكنها ، وينفع غذاء من السعال اليابس، الحادث عن خشونة الصدر، وبزرها إذا أضيف إلى أدوية الحقن أزال ضرر الأدوية الحارة . «ج» الخبازى نوع من الملوخية، وهى الملوكية ، وقيل : الملوخية هى البستانى، والخبازى هى البرى. ومن الخبازى نوع يقال له ملوخيا الشجر، وهو الخطمى ، وقيل إن البقلة اليهودية أحد أصناف الخبازى، والبرى ألطف وأيبس، وهو بارد رطب فى الدرجة الأولى، وقيل إنه معتدل فى الحر والبرد، والخبازى ينفع من النملة والحمرة ، وورق البردى مع الزيتون ينفع من حرق النار، وكذلك طبيخه نطولا، ويمضغ للقلاع، ويلين الصدر، ويغزر اللبن ، ويسكن السعال عن حرارة ويبس، ويفتح السدد فى الكبد ، وزهره نافع لقروح الكلى والمثانة شربا وضمادا. وربما أفرط وأسهل دما «ف» حشيشة معروفة، يقال لها الملوكية، مختارها البرى الطرى، وهى باردة رطبة فى الأولى، ينفع من خشونة الصدر، وبزره من قروح المثانة . الشربة : بقدر الحاجة (المعتمد ١/ ١١٥، ١١٦) .

كما أدرجه الشيخ داود الأنطاكى فقال عنه :

خبازى : ويقال خبيزا اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ويطلق فى العرف الشائع على نبت برى مستدير الورق وسط أوراقه كشىء مجوف دقيق سبط له زهر إلى الصفرة وبزر إلى السواد مفرطح وربما ارتفع هذا النبات كثيرا ورأيت منه شجرة تقارب التوت وأما النوع الشبيه بالقصب وبين كل قصبتين زهر يستدير وينفتح كالورد فهو الخطمى وأما البستانى من الخبازى فهو الملوخيا ويقال الملوكيا وهو نبت سبط الأوراق من وجه خشن من الآخر الذى يلى الأرض مسيخ الطعم مائى يطول نحو ذراع بزهر أصفر يخلف غلفا كالدود إلى خضرة محشوة بزرا أسود شديد المرارة وسائر هذا النوع كثير اللعابية واللزوجات وتدرك الملوخيا بأيار (مايو) وتستمر

إلى أواخر الصيف وأما الخبازى فلا تدرك إلا بأكتوبر وتستمر طول الشتاء والكل بارد فى الثانية رطب فى الثالثة يلين ويطفىء الصفراء واللهيب والأخلاط المحترقة وتنفع من الحكة والجرب وقروح الأمعاء وخشونة القصبة وحرقة البول والسدد وأوجاع الطحال واليرقان إلا أنه ردىء للمعدة الضعيفة والأمزجة الباردة والملوخية تعطش للطفها وتهيج الحرارة وينبغى أن لا يبادر إلى أخذ الماء فوقها وبزر الخبازى شديد اللعابية ينفع من أورام الحلق والخشونات وبزر الملوخيا يسهل الأخلاط الغليظة والبلغم اللزج ويفتح السدد وينفع عرق النسا وكلها بسائر أجزائها واقعة فى الحقن والفتائل وماؤها بالسكر يخلص من الأخلاط المحترقة جميعا وإذا مضغت حللت الأورام وسكنت لسع العقرب وهى ترخى وتولد الرياح والنفخ وتصلحها الحوامض للمحرورين ونحو الفلافلى والكمونى فى المبرودين والشربة من مائها إلى خمسين درهما وأجود ما طبخت الخبازى بلحوم الطيور (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٣٥ ، ١٣٦) .

وقال القزوينى : الخبازى حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل ويفتح بالنهار، ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالها ويسكن لسع الزنابير ضمادا خصوصا مع الزيت؛ وإذا مضغ الملح وجعل على النواصير نفعها ، بزرها يشربه المسموم ويتقايأ مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم . وينفع من نهش الرتيلا (عجائب المخلوقات / ١٨٥ ، ١٨٦) .

وقد ذكرها الطبيب المغربى ، ابن شقرون فى البقول البرية فى منظومته المعروفة بالأرجوزة الشقرونية ، وقال إن خصائصها هى خصائص « البامية » فقال عن « البامية » :

لينة قد ما تهيج السودا
لا تقربنها ما استطعت أبدا
لاكنها تطفى لهيب المعطش
من أجل ذا تعجب أهل الحبش

وأعقب ذلك بقوله عن الخبازى :

وقس عليها بقلة الخبازى
حقيقة فى الطبع لا مجازا

(الطب العربى / ١٣٩) .

كما أفرد لها الإمام السيوطى مقامة من مقاماته فقال عنها :

وما أدراك ما الخبازى بارد رطب فى الأولى ، ردىء للمعدة الرطبة فضولا، مغزر للبن نفاع ، يفتح لسدد الكبد وينفع للقلاع ، وينفع من السعال اليابس بالاغتذاء ، ومن أوجاع المثانة وما بها من أذى ، ويدر البول ويلين طبعا ويصلح خشونة الصدر والرئة ، وبزره فى ذلك أشد نفعا .

وقضبانه نافع للمثانة والأمعاء ، وورقه إذا مضغ نيئا وضمد به العين نقى البواسير وأنبت فيها اللحم وأزال الغين ، وإذا ضمد به للسع النحل والزنابير نفع ، وإذا دق وخلط بزبد أو تمسح به لم يضره منها ما لسع وإذا ضمد به مع البول أبرأ الرطبة من قروح الرأس ، وإذا طبخ ودق وخلط به زيت ووضع على الجمرة وحرق النار أذهب عنها البأس ، وإذا وضع وحده على الأورام سكنها ، أو الدماميل فجرها وأخرج ما فيها من الأدناس ، وإذا جلس النساء على طبيخه سكن صلابة الرحم والمقعدة ، وإذا أضيف بزرها إلى أدوية الجفن أمال ضرر الأدوية الحادة وبرده ، وإذا طبخ ورقه بأصوله نفع من لسعة الرتيلا والأدوية القتالة ، وينبغى أن يشرب ويتقيأ دائما فإنه يبرأ ذلك لا محالة .

وقد قلت فيها شعرا :

خبازيات نراها
تحكى قباب زبرجد
كثيرة النفع طبا
مقامها فيه أمجد
تفوق فى الطب حقا
على لجين وعسجد

وجاء فى الهامش ما يلى :

(١) خبازة برية :

(خبيز فى الشام ، جنس زهر من فصيلة الخبازيات) .

مكان النبتة : حواشى الطرق ، السياج .

أوصافها : عشبة يبلغ ارتفاعها نحو متر، أوراقها مستديرة

مجنحة ومسننة وساقها الطويلة مكسوة بشعيرات دقيقة، وكذلك الساق وفروعها . وهى تزهر بين حزيران وأيلول (يونية وسبتمبر) أزهارا بخمس أوراق مجوفة عند الرأس، لونها أحمر فاتح ومخططة بخطوط قاتمة ، ساقها طويلة ومكسوة بشعيرات دقيقة .

الجزء الطبى منها : الورق مع الساق، والأزهار بدون الساق .

المواد الفعالة فيها : مواد هلامية وقليل من المواد الدابغة والمقشعة وفى الأوراق مواد قابضة .

أ ـ من الخارج : تستعمل لبخ العشبة الغضة والمهروسة لمعالجة القروح ويستعمل مغليها للمضمضة والغرغرة فى التهاب اللوزتين والفم .

ب ـ من الداخل : يشرب مغليها لمعالجة النزلات الصدرية (سعال مصحوب بقشع) والنزلات المعوية (إسهال) ولمعالجة التهاب الحلق واللوزتين .

ويعمل المغلى كالمعتاد وبنسبة ملعقة كبيرة من العشبة المجففة لكل فنجان من الماء، ويشرب منه ساخنا (٢-٣) فناجين فى اليوم . (مقامات السيوطى / ٣٣، ٣٤) .

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١١٥ ، ١١٦ ، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٥ ، ١٨٦ ، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية للطبيب عبد القادر بن شقرون ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٣٩ ، ومقامات السيوطى للإمام جلال الدين السيوطى ـ تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى، ومحمد السعيد بسيونى زغلول / ٣٣، ٣٤ وهامش التحقيق) .

* **الخبازى (٦٢٩-٦٩١هـ / ١٢٣٢-١٢٩٢م) :**

عمر بن محمد بن عمر الخبازى الخجندى ، أبو محمد، جلال الدين ، فقيه حنفى، من أهل دمشق. جاور بمكة سنة وعاد إليها . له « المغنى» مخطوط فى أصول الفقه قال الزركلى : اقتنيت منه نسخة كتبت سنة ٦٩٢ ومنه ثانية فى مغنيسا (الرقم ٤٤٣س) كتبت سنة ٧٨٣، و « شرح الهداية » مخطوط (الأعلام ٥/ ٦٣) .

قال صاحب مفتاح السعادة : ومن شروح « المغنى » «شرح منصور القاآنى، وهو أبو محمد منصور بن أحمد بن يزيد الخوارزمى القاآنى. شرح «المغنى» للخبازى شرحًا مفيدًا فى الغاية فى بابه ... ومن شروحه « شرح سراج الهندى» وهو أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوى، سراج الدين الهندى قاضى الحنفية بالقاهرة (مفتاح السعادة ٢/ ١٦٨، ١٦٩) .

(الأعلام للزركلى ٥/ ٦٣ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١٦٨، ١٦٩) .

* **خبايا الزوايا:**

خبايا الزوايا فى الفروع : لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة .

أوله : الحمد لله الذى لم تزل نعمته تتجدد ... إلخ ذكر فيه ما ذكره الرافعى فى النووى [والنووى] فى غير مظنتها من الأبواب فرد كل شكل إلى شكله وكل فرع إلى أصله واستدرك عليه الشريف عز الدين حمزة بن أحمد الحسينى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٨٧٤ أربع وسبعين وثمانمائة وسماه بقايا الخبايا . ولبدر الدين أبى السعادات محمد بن محمد البلقينى المتوفى سنة ٨٩٠ تسعين وثمانمائة حاشية عليه .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٩) .

* **خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الأدب .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٧١٠٩ .

للخفاجى : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى، المصرى المتوفى سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ٢/ ٣٩٦، والأعلام ١/ ٢٢٧، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٣٨) .

ذكر فيه أدباء عصره من شيوخه وشيوخ أبيه، كصاحب الذخيرة وقلائد العقيان واليتيمة والدمية وعقود الجمان. رتبه على خمسة أقسام وخاتمة :

- القسم الأول : فى رجال الشام .
- القسم الثانى : فى رجال الحجاز.
- والقسم الثالث : فى رجال مصر.
- والقسم الرابع : فى رجال المغرب.
- والقسم الخامس : فى رجال الروم .
- والخاتمة : فى نظم المؤلف ونثره .

أوله : « حمدا لك اللهم يطوق جيد البلاغة نظم عقوده، وينسج بنان البيان على منوال البراعة رقيق بروده، وشكرا تدفقت موارده ومصادره وغرقت فى سواحله من كل وارد فكر خواطره ... » .

آخره : « ...

فـلا تضيقـه بهم قـد نـزل
ومـا لغيـر الله فيـه مـن محل
فـاشرحـه بـالنـور اللطيف القـدسي
وصيـر البسـط أنيس ...

تم نسخ كتاب خبايا الزوايا ... سنة ثلاث وثمانين وألف على يد الفقير رجب بن محمد نزيل دمشق ... » .

كتبت النسخة بخط نسخ مستعجل .

٢٢٧ق ٢١س ١٤× ٢٠ سم

(فهرس الظاهرية ١/ ١٩٤، ١٩٥).

كما يوجد مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى ، وقد أدرج فى قسم التاريخ :

ينقص من أوله سطورا من المقدمة .

وآخره : « هذا آخر ما تيسر تحريره من نسخة الأصل وقد بقى فيها بعض تراجم لم يتيسر نقلها وضمها لأخواتها لضيق الوقت وقد ألحق المؤلف بعض تراجم الأفاضل الحلبيين بعد نسخ هذه التراجم لم أقف عليها ، وسوف إذا منَّ الله تعالى بالاجتماع به مرة ثانية نستوعب جميع ما فى الأصل . والله المسئول فى تيسير ذلك فإنه القادر عليه والمرجع فى الأمور كلها إليه ، وقد أنهيتها نسخا فى مجالس آخرها الليلة التى تسفر عن غرة يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة أربعة وخمسين وألف » .

نسخة كتبت بخط نسخى فى ١٠٨ ورقات، ومسطرتها ٢١ سطرا. وبعدها ترجمة وافية للخفاجى حوت الكثير من شعره . وتقع هذه الترجمة فى ٢٥ ورقة .

[مكتبة العباسية ـ البصرة ١٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة/ ١٥٧) .

قال صاحب كشف الظنون : وهو تأليف لطيف يدل على مهارة مؤلفه فى الأدب (كشف ١/ ٧٠٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٤، ١٩٥، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ جـ٢ ق٤ القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م/ ١٥٧ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٠) .

* **الخَبَث:**

درجه المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

خبث ـ «ع» كل خبث فهو داء يجفف تجفيفا شديدا، إلا أن خبث الحديد أشد تجفيفا، وإن سحق مع الخل الثقيف جدا، ثم طبخ صار دواء يجفف القيح الجارى من الأذن زمانا طويلا، حتى يعجب منه من لا يجربه . وهو يحلل الأورام الحارة، وينفع من خشونة الجفن، ويقوى المعدة... ويقطع نزف الحيض، وهو غاية فيه ...

وإذا خالط أدوية المعدة والكبد والطحال والأعضاء الداخلة، المحتاجة إلى التجفيف والقبض، فيجب أن يلطف قبل ذلك بسحقه مع الخل، وتجفيفه في الشمس...

وخبث الحديد، قوته شبيهة بقوة زنجار الحديد، إلا أنه أضعف، وخبث النحاس قوته شبيهة بقوة النحاس المحرق، ويغسل كما يغسل النحاس المحرق. وخبث الرصاص أشد قبضا. « ج » خبث الحديد أقوى الخبث تجفيفا، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، وهو يجفف الرطوبات، ويحلل الأورام الحارة والداحس، ويمنع الحبل، ويقطع النزف حمولا بصوفة، وينفع من اللبن المنعقد في الثدي إذا شرب، وقدر ما يؤخذ منه دانق، ويعرض لمن شربه ما يعرض لمن سقي برادة الحديد، وعلاجه كعلاجه. خبث الفضة قابض جدا، وفيه قبض وتجفيف، ينفع من الجرب والسعفة، ويدمل القروح، ويمنع النزف وخبث الرصاص قوته مثل قوة الرصاص المحرق. وهو بارد يابس، ينفع من قروح العين «ف» خبث الفضة والحديد والنحاس والرصاص مسخنة كلها مجففة، أجودها الحديد الفولاذي الصافي. الشربة: نصف درهم (المعتمد ١/ ١١٦، ١١٧).

وقال عنه داود الأنطاكي:

خبث هو الأوساخ الخارجة من المعادن وقت سبكها وطبعها كمعادنها؛ وبالجملة كلها جيدة للقروح إلا أن خبث الحديد أحسنها في ذلك بالنسبة إلى ما في البواطن يقوى المعدة... مع صفرة البيض إلى دانق وإن طبخ بزيت ثم عقد بعسل صفى الصوت وأصلح الحلق عن تجربة وخبث الفضة أعظمها للعين والذهب للأعراق الخبيثة وسنستوفي منافعها في معادنها (التذكرة ١/ ١٣٦).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٦، ١١٧، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٣٦).

*** الخبر:**

الخبر من أقسام علم المعاني، وهو إما أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

فالأولى موضوعة لإفادة الحدوث في زمن مخصوص مع الاختصار وقد تفيد الاستمرار التجددي بالقرائن إذا كان الفعل مضارعا كقول طريف.

أوكلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا إليَّ عريفهم يتوسم

والثانية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه نحو الشمس مضيئة وقد تفيد الاستمرار بالقرائن إذا لم يكن في خبرها فعل نحو العلم نافع.

والأصل في الخبر أن يلقى لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة كما في قولنا حضر الأمير، أو لإفادة أن المتكلم عالم به نحو أنت حضرت أمس، ويسمى الحكم فائدة الخبر وكون المتكلم عالما به لازم الفائدة.

وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى:

١ ـ كالاسترحام في قول موسى عليه السلام ﴿ **رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير** ﴾ [القصص: ٢٤].

٢ ـ وإظهار الضعف في قول زكريا عليه السلام ﴿ **رب إني وهن العظم مني** ﴾ [مريم: ٤].

٣ ــ وإظهار التحسر في قول امرأة عمران ﴿ **رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت** ﴾ [آل عمران: ٣٦].

أضرب الخبر

حيث كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر الحاجة حذرا من اللغو فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ألقي إليه الخبر مجردا عن التأكيد نحو أخوك قادم، وإن كان مترددا فيه طالبا لمعرفته حسن توكيده نحو إن أخاك قادم، وإن كان منكرا له وجب توكيده بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر حسب درجة الإنكار نحو إن أخاك قادم، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم.

فالخبر بالنسبة لخلوه من التوكيد واشتماله عليه ثلاثة أضرب كما رأيت ويسمى الضرب الأول ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث إنكاريا.

ويكون التوكيد بإن وأن ولام الابتداء وأحرف التنبيه والقسم

ونوني التوكيد والحروف الزائدة والتكرير وقد وأما الشرطية (قواعد اللغة العربية / ١٠٨، ١٠٩).

وجاء في التعريفات للجرجاني: الخبر لفظ مجرد من العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدمه لفظًا نحو زيد قائم، أو تقديراً نحو قائم زيد؟ وقيل الخبر ما يصح السكوت عليه والخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب.

خبر كان وأخواتها: هو المسند بعد دخول كان وأخواتها.

خبر إن وأخواتها: هو المسند بعد دخول إن وأخواتها.

خبر لا التي لنفي الجنس: هو المسند بعد دخول لا هذه.

خبر ما ولا المشبهتين بليس: هو المسند بعد دخولهما (التعريفات / ١٣٠).

(قواعد اللغة العربية - حفني بك ناصف وزملائه / ١٠٨، ١٠٩، والتعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٠).

* **الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف.

الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال: رسالة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أولها الحمد لله الذي فاوت بين خلقه في المراتب إلخ (كشف ١/ ٧٠٠)

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي تحت العنوان المختصر «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد:

الرقم ٥٢٦٨

ـ رسالة في جواب عن سؤال بعض الناس وأن بعضهم ينكرون على السادة الصوفية بأن منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا فتصدى لذلك المؤلف بهذه الرسالة مدعما ذلك بالأحاديث والأخبار والقرائن وكان تأليفها في يوم السبت ثامن محرم سنة ٨٨٣ هـ.

المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م.

أولها: الحمد لله الذي فاوت بين خلقه في المراتب وجعل في كل قرن سابقين، بهم يحيي ويميت وينزل الغمام الساكب...

آخرها: وجود شخص في مكانين في وقت واحد لأن ذلك إثبات تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية وقد قررت نظير ذلك في الروح بعد الموت في باب مقر الأرواح...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ: ١٤ ذي القعدة سنة ١١١٢ هـ

نسخة ثانية.

الرقم ١١٢٤٢

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي جميل: الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة مراجعة.

نسخة ثالثة.

الرقم ٥٤٨٥

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥/ ١٢٨، الضوء اللامع ٤/ ٦٥، النور السافر/ ٥٤، الكواكب السائرة ١/ ٢٦٦.

طبعة الكتاب: طبع ضمن كتاب الحاوي للفتاوي ٢/ ٤٥٥ على نفقة مكتبة القدسي بمصر، ثم صور حديثا.

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي من كتاب الحاوي للفتاوي طبع دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، وتقع في جزءين، وتقع الرسالة في الجزء الثاني ص٢٤١-٢٥٥.

بعض نسخ الكتاب: الأحمدية بحلب ١٨٣١/ ٨ مجاميع، ويحتفظ الأستاذ محمد رياض المالح واضع فهرس الظاهرية بنسخة مخطوطة منه (فهرس الظاهرية ١/ ٤٩٤-٤٩٦).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٧٠٠، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٤-٤٩٦)

* **الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق (تاريخ المنتفق):**

من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ

مخطوط بالمجمع العلمي العراقي وجاء بيانه كما يلي:

المؤلف: وضعه بالتركية: سليمان فائق بك (ت: ١٣١٤ هـ/ ١٨٩٦ م) نقله إلى اللغة العربية: محمد خلوصي الناصري.

أوله: «الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق:

مساكن المنتفق: أن رواد الأخبار ونقلة الآثار، قد اتفقوا على الأخبار الآتية عن أحوال عشائر المنتفق:

فمساكن هذه العشائر الجغرافية كائنة فى الجانب الغربى من مدينة البصرة ...».

آخره: «... تمت كتابة هذه الرسالة منقولة من نسخة معربة من الأصلية التركية، وكان تمامها يوم الثلاثاء من شهر رجب الفرد لاثنى عشر يوما خلت منه لسنة ستة وثلاثين وثلثمائة وألف».

يلى ذلك فهرس بالموضوعات.

نسخ مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد.

بخط مشق معتاد

٦٣ ص، ١٩ س

(٢٥ / تاريخ)

أشرف على نشره السيد عبد الرزاق الحسنى، وصدره بمقدمة (ص ٣ ـ ٥) مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦١، ٩٠ صفحة.

توجد منه نسخة خطية فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد (برقم ١١٢٢)، وانظر بشأن نسخه الخطية مقدمة الناشر (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد ١٢، ٢٥٥).

*** خبر عروة وعفراء:**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى

الرقم ٣٠١٩٧ / ٢

لم يعلم المؤلف.

الأول: (ذكروا والله أعلم وأحكم ... من أحاديث الأمم أنه كان فى قديم الزمان، وسالف الدهر، ... قبيلة من قبائل العرب يقال لها بنو عروة . .) وهو فى أخبار عروة بن خزام وعفراء، تسبقه رسالة أخرى فى خبر هند وبشر بن سعد الأزدى، والأشعار المنسوبة لهما.

نسخة جيدة، كتبها عبد الرحيم بن إسماعيل المولوى سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م فى بغداد فى آخرها قصيدة لحسن فهمى شيخ الإسلام.

٥٣ ص. ٢٢ × ١٥ سم. ١٩ س.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٦)

***الخبر عن البشر:**

الخبر عن البشر: للشيخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة وهو كبير فى أربع مجلدات ذكر فيه القبائل وأنساب النبى ﷺ وعمل له مقدمة فى مجلد.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٠)

*** الخبر فى عجائب البشر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق ((أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٥٩٧٥

لمحمد الثواتى (؟)

أوله: «الحمد لله الذى تنزه عن الجور وتكبر عن الظلم وعدل فى أحكامه وأحسن إلى عباده ... أما بعد فهذا كتاب فيه تسلية للنفس عندما يصيبها الملل فى بعض الأحوال وتنشيط واستراحة للقلب ليكون ذلك أعون لها على القراءة ...».

آخره «... ثم قالت لجواريها: اخرجنه عنى، فأخرج ومضى مسرعا إلى الوليد فقال له الوليد: ماذا كنت فيه يا أبا محمد؟ قال والله ما سكتت أم البنين حتى كان بطن الأرض أحب إلىّ من ظهرها فضحك ثم قال: إنها ابنة عبد العزيز.

وعجائب الدنيا والمخلوقات لا تحصى. وليكن هذا آخر ما قصدنا ونحن نستغفر الله تعالى من اشتغالنا بما لا يعنى والله المسئول أن يغفر لنا ...

وكان الفراغ منه ضحوة الأحد السابع والعشرين من شهر شوال عام الأربعة والعشرين بعد الألف على يد كاتبه ... محمد العربى بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمد ابن الحاج ...».

النسخة مفروطة خطها مغربى

١٣٤ ق ٣٤ س ٢١ × ٢٨ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٦، ١٩٧).

*** الخبر (فى علم الحديث):**

الخبر: ـــ ابن حجر: الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث؛ فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع.

ـ «الحديث» ما جاء عن النبى (ﷺ) و «الخبر» ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدِّث، وبالتواريخ ونحوها (أخبارى).

ـ قيل بين «الحديث» و «الخبر» عموم وخصوص مطلق؛ فكل حديث خبر لا عكس. وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع إلا بشرط التقييد.

ـ الخبر فى اصطلاح فقهاء خراسان هو المرفوع (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣).

وقد أورد العلامة ابن النفيس فى كتابه «المختصر» فصلا فى تعديد أقسام الخبر، وفصلا فى الخبر المتواتر، وهذا الفصل الأخير لا يعد تكرارا لما سبق أن أوردناه فى مادة «التواتر» (انظرها فى م ١٠/ ٥٩٣، ٥٩٤) إذ أن ما جاء بها كان قاصرا على التواتر فى القراءات. قال ابن النفيس رحمه الله عن أقسام الخبر:

إن الخبر إذا اعتبر بذاته فقط، كان لا محالة محتملا للصدق والكذب. وأما إذا اعتبر مع أمر آخر ينضاف إليه، فقد يصير معلوم الصدق، وقد يصير معلوم الكذب، وقد يظن به الصدق، وقد يظن به الكذب.

أما الخبر المعلوم الصدق؛ فقد يكون كذلك، للعلم بصدق المخبر، وقد يكون لغير ذلك. والمخبر المعلوم الصدق هو الله تعالى ونبيه ﷺ، ومجموع المسلمين، والإمام المعصوم على قول من يقول به (هم الشيعة)؛ وكذلك من أخبر أحد هؤلاء بصدقه.

وكذلك إذا قال واحد من المسلمين بحضرة النبى ـ ﷺ ـ قولا دينيا يفند شرعا عاما، وكان وقت العمل به حاضرا، وسمعه النبى ـ ﷺ ـ ولم ينكر منه شيئًا، ولا ظهر منه ما يُشعر بالإنكار فإنَّا حينئذٍ نجزم بصدق ذلك القائل.

وكذلك الخبر الذى تحتف به قرائن كثيرة تدل على صدقه، كما إذا أخبر ولد المريض بموت والده، وهو مشقوق الجيب، مرسل الشعر، والعويل يسمع من داره، والنعش موضوع على بابها، فإنها حينئذ نجزم بصدق ذلك الخبر.

وكذلك الخبر المتواتر، ولذلك نجزم بوجود خراسان، وإن كنا لم نشاهدها، وذلك لأجل تواتر الخبر بوجودها.

وأما الخبر الذى يجزم بصدقه، لا لأجل الجزم بصدق المخبر؛ فقد يكون كذلك لموافقته الخبر المعلوم الصدق. كما لو أخبر واحد بما يوافق خبر الله، أو خبر رسوله، أو بما اتفق المسلمون عليه، وكذلك إذا أخبر بما يلزم ذلك، كما لو قال قائل: بعض الميتة حرام. فإن هذا لازم لقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣].

وقد يكون كذلك لأجل الجزم بمطابقة ما أخبر به للواقع، والعلم بذلك قد يكون بديهيا، كما لو قال قائل: الاثنان نصف الأربعة والكل أعظم من الجزء. وقد يكون غير بديهى، كما لو قال قائل: إن لنا صانعا، وإن العالم محدَث.

وأما الخبر المعلوم الكذب، فقد يكون كذلك لأجل العلم بصدق خبر آخر ينافيه، إما يضاده أو يناقضه، كما لو أخبر واحد بما ينافى قول الله، أو قول رسوله ﷺ أو قول مجموع المسلمين. وقد يكون كذلك، لأجل العلم بمخالفة ما أخبر به الواقع. والعلم بذلك قد يكون نظريا كالأخبار التى يوردها المبتدعون، نصا فى التشبيه؛ فإن هذه نجزم بأنها لم ترد كذلك، لجزمنا بأن التشبيه محال. وقد يكون بديهيا، كما لو قال أحد: إن البعض أعظم من الكل! وقد يكون الخبر معلوم الكذب لأجل احتفاف القرائن به ـ الدالة على كذبه ـ كما لو قال واحد إنه نبى، ولم يأت بمعجز، فإنا حينئذ نجزم بكذبه.. هذا قبل بعثة نبينا ـ ﷺ ـ وأما بعد ذلك، فإنا نكذبه ولو أتى بما يظن به أنه معجز، لعلمنا أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين.

وكذلك لو أخبر واحد بنزول مطر كثير فى بقعة، فوجدناها عقب ذلك جافة، فإنا حينئذ نجزم بكذبه. وكذلك لو أخبرنا بمهم، نعلم أنه لو كان صادقا لاشتهر الإخبار به، فلما يخبر

به سوى واحد، فإنا حينئذ نجزم بكذبه . . كما لو قال قائل: إن النبي ﷺ نسخ صلاة الجمعة! فإن هذا نجزم بكذبه، لأن هذ النسخ مهم عظيم في الدين، فمحال أن يتفرد بنقله واحد، وكذلك لو قال قائل: إن الملك أمر الجند بهدم السور مثلا، وبعد مدة لم ينقل ذلك غيره، ولم يظهر له أثر، فإنا حينئذ نجزم بكذبه.

وقد يكون الخبر مقطوعا بكذبه لغير ذلك، كما لو قال قائل: إن جميع كلامى كذب! فإنا حينئذ نجزم بكذبه، لأن هذا لو كان صادقا، لزم أن يكون كاذبا لأنه من جملة كلامه.

وأما المظنون الصدق، فكما إذا أخبر العدل الثقة، عن وجود شيء وجوده أكثرى وأما الخبر المظنون الكذب، فكما إذا قال واحد: إن كذا كان كذا بحضور هؤلاء الجماعة فكذبوه فى الحال. وكذلك إذا أخبر المعتاد الكذب عن وجود شيء نادر الوجود جدا، أو تفرد بخبر تتوفر الدواعى على نقله.

ثم ينتقل ابن النفيس إلى الكلام على الخبر المقطوع بصدقه فيتناوله فى فصلين: الأول منهما فى تحقيق الكلام فى الخبر المتواتر يقول فيه:

التواتر فى اللغة هو التتابع، وهو ورود شيء بعد آخر ... وأما فى الاصطلاح الواقع بين العلماء، فإن الخبر المتواتر هو: خبر أقوام بلغوا فى الكثرة إلى حد يمنع العقل من توافقهم فى ذلك على الكذب، فلذلك هو يفيد القطع. وقالت السمنية والبراهمة: إنه يفيد الظن الغالب دون العلم. وقيل: إنه يفيد العلم فى الموجودات ـ كوجود خراسان ـ وأما الأمور الماضية كوجود الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى زمانه ـ فإنما يفيد الظن. وقال الكعبى وأبو الحسن البصرى: إنه يفيد العلم، ولكن ذلك العلم ثابت بالنظر.

والحق، وهو رأى الجمهور، أنه يفيد العلم مطلقا. وأن ذلك العلم ضرورى، ولذلك فإنا لسنا نشك ولا نرتاب بوجود أصبهان وامرؤ القيس الشاعر، وإن كنا لم نشاهد ذلك، بل إنما استفدنا العلم به من كثرة المخبرين عنه، حتى علمنا أن مثل هؤلاء لا يمكن توافقهم على الكذب، ولولا أن هذا العلم ضرورى، لتوقف حصوله على النظر، فكان إنما يحصل لأهل النظر والاستدلال، وليس كذلك.

و إنما يكون الخبر متواترا، حتى يفيد العلم بشروط:

أحدها: أن يكون السامع له من أهل العلم؛ إذ يستحيل حصول العلم فى غير متأهل له، فلذلك لا يكون مجنونا ولا غافلا، ولا مفرط السكر، ولا طفلا غير مميز.

وثانيا: أن يكون السامع ليس عنده علم ضروري بثبوت المخبر عنه، وإلا لم يكن مستفيدا للعلم بذلك من الخبر، وقال الشريف المرتضى:

«يشترط أن لا يكون عند السامع شبهة، تشككه فى صدق الخبر». فلذلك عند الشيعة: إنما لم نجزم نحن (يقصد أهل السنة) بصحة النص الوارد فى إمامة على رضى الله عنه لأجل ما عندنا من الشُّبه المانعة لنا عن ذلك . . وهذا فاسد، فإن الشُّبه لا تقوى على دفع العلوم الضرورية.

وثالثها: أن يكون المخبر عنه ممكنا؛ فلو أخبر أهل العالم أن الاثنين فرد، لم يلتفت إلى ذلك.

ورابعها: أن يكون المخبرون جازمين بما أخبروا به، فلو كانوا ظانين ذلك؛ لم يكن ذلك مفيدا لقطع السامع.

وخامسها: أن يكون إخبارهم عن مشاهدة، أو عن مشاهدين؛ فلو أخبر أهل العالم بأن العالم محدث لم يكن لإخبارهم أثر فى إفادة علم أو ظن بذلك.

وسادسها: أن تكون مشاهدة المشاهدين للمخبر عنه، حقيقة وصحيحة، فلا تكون على سبيل غلط الحس؛ فلذلك لا نلتفت إلى إخبار النصارى بصلب المسيح ـ عليه السلام ـ فإن ذلك شُبه لهم.

وسابعها: أن يكونوا بصفة يوثق معها بقولهم، فلو أخبروا متلاعنين أو مكرهين على ذلك الخبر، لم تلتفت إلى ذلك.

وثامنها: أن يبلغ المخبرون فى الكثرة إلى حد يمنع العقل توافقهم على الكذب. واختلف الناس فى هذه الكثرة، فقيل: أقلها خمسة، إذ مادون ذلك ببينة شرعية، إنما تفيد الظن، وتُعل تزكية الشهود. وقال القاضى أبو بكر: إنى أقطع أن الأربعة لا تكفى، وأتردد فى الخمسة، وقيل: بل أقل ذلك عشرة بعدد النقباء، إذا الغرض منهم حصول العلم بقولهم. وقيل: أقل ذلك عشرون، لقوله تعالى: ﴿إن يكن منكم

عشرون ﴾ [الأنفال: ٦٥] وقيل أربعون؛ لأن ذلك أقل عدد ينعقد به للجمعة. وقيل: سبعون، لأن موسى عليه السلام اختار هذا العدد من قومه. وقيل: لا بد من كثرة لا يحصرها عدد، ولا يحوى المخبرين بلد.

(جاء فى هامش المحقق التعليق التالى على ما ذكره ابن النفيس عن عدد النقباء:

النقباء: كلمة قرآنية؛ والمفروض أن عددهم اثنا عشر نقيبا وليس كما يرد هنا.. انظر قوله تعالى: ﴿وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا﴾ فالنقيب هنا: الأمين والكفيل. وكان النبى ـ ﷺ ـ قد جعل ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا كلهم من الأنصار يعلمون قومهم الإسلام (لسان العرب ٣/ ٦٩٩).

والنقباء: لفظة صوفية تشير إلى جماعة معينة من الأولياء (راجع المعنى الصوفى لهذا اللفظ فى: تعريفات الجرجانى ص ٢٦٦، اصطلاحات القاشانى ص ٩٦) ولهم أيضا فى التصوف، العدد ١٢، وهو عدد النقباء فى القرآن الكريم)

وأما الحق، فهو أن هذه الكثرة لا تنضبط بعدد مخصوص، إذ تختلف الحال فى ذلك باختلاف الوقائع وأحوال المخبرين والسامعين؛ فإخبار القضاة والأمراء عن ركوب السلطان، ليس كإخبار الرعاع بمروق بلدة فى صحراء خراسان؛ فلذلك: حصول القطع بصدق الخبر دليل على تحقق الكثرة المشروطة، لا عكس ذلك.

وتاسعها: أن تستوى الأطراف والوسائط جميعها فى أن كل واحد منها يفيد القطع بكثرة المخبرين. والعلم بذلك عسير؛ فلذلك يعتمد على حصول المشروط، وهو العلم اليقين فمهما تحقق ذلك جزم بأن شروط هذا الخبر تحققت؛ وإن لم نكن عالمين بحال واسطة من طبقات الرواة ونحو ذلك.

ولو تحققت الأشياء التى نعتقد أنها هى الشروط، ولم يحصل لنا العلم بصدق الخبر، نعلم قطعا أنه قد فات بعض الشروط المعسرة فى نفس الأمر، فإن هذه الشروط مهما تكاملت لزمها بالضرورة حصول العلم بصدق الخبر.

وقال القاضى: إنه مهما حصل هذا العلم لشخص فلا بد من حصوله لجميع الأشخاص؛ لتحقق الموجب للعلم عند كل واحد منهم.. وهذا لا يصح! إذ لا بد مع المخبرين من قرائن تدل على صدقهم واستحالة اتفاقهم على الكذب. وهذه القرائن يختلف ظهورها للأشخاص، وقد يتحقق التواتر عن شىء لم يصرح بالخبر عنه، وإنما لزم لعدة إخبارات، لو كانت عن شىء واحد، لصح فيه التواتر. وهذا كالأخبار الدالة على شجاعة على رضى الله عنه وكالدالة على سخاوة حاتم؛ وذلك بأن يروى واحد أن حاتما وهب مائة من الإبل، ويروى آخر أنه أعتق جماعة من العبيد، ويروى آخر أنه تصدق بمال جزيل ونحو ذلك. فتدل هذه الأخبار جميعها بالالتزام على سخاوته.. ويسمى هذا التواتر، تواترا بالمعنى.

وعاشرها: قد شرط بعضهم فى خبر التواتر، اختلاف أنساب المخبرين وأديانهم ومساكنهم وشرط بعضهم عدالة المخبرين، وشرط الروافض أن يكون منهم الإمام المعصوم.. والكال باطل! فإنا نجزم بوجود بغداد، وإن كنا لم نعتبر فى المخبرين بها شيئا من ذلك.

ثم ينتقل ابن النفيس إلى الفصل الثانى وهو فى تحقيق الكلام فى بقية الأخبار المفيدة للعلم، وقد جاء فيه ما يلى:

أما خبر الله ـ عز وجل فجميع من تعرَّف بالصانع وبكلامه لا يشك فى استحالة الكذب عليه، والعلم بذلك قريب من أن يكون أوليا.

وأما خبر رسول الله ـ ﷺ ـ فلو لم يكن الكذب عليه محالا، لم يكن لبعثته فائدة؛ وذلك لأن فائدة الرسول ـ عليه السلام ـ تعريفنا بالله تعالى، وبالمعاد إليه، وبنعيم الآخرة وعذاب جهنم، ونحو ذلك. وإنما يتم ذلك بأن يكون كلامه صادقا، فلو جاز أن يكذب، لجاز أن يكون ما يخبر به من ذلك كله كاذبا، وذلك ينافى الرسالة.

وأما خبر مجموع المسلمين، فقد علمنا وجوب صدقه من قول الله تعالى، وقول رسوله على ما بيناه فى كتبنا الأصولية.

وأما الخبر الذى يسمعه النبى ـ ﷺ ـ فلا ينكره، فقد قال بعضهم: إن ذلك الخبر يجزم بصدقه مطلقا.. والحق؛ أن هذا الخبر قد يكون عن أمر دينى، وقد يكون عن أمر دنيوى. فإذا كان عن أمر دينى، فإنما نجزم بصدقه بشروط:

أحدها: أن يكون وقت العمل بذلـك الأمر قد حضر، فإنه لو لم يكن كـذلك، لجاز أن يكون ترك النبى ـ ﷺ ـ الإنكار؛ لأنه يجوز له تأخير البيان إلى وقت الحاجة.

وثانيها: أن لا يكون النبى ـ ﷺ ـ قد تقدم فبين حكم تلك الواقعة، فإنه لا يجب عليه تكرير بيان كل وقت، فلعله حينئذ إنما ترك الإنكار لاعتماده على ما قدمه من البيان.

وثالثها: أن يكـون ما أخبر به ممـا لا يمكن أن يشرع، فلو قال قائل: إن الله تعالى قـد أوجب على الناس الطيران أو ترك التنفس، لجـاز أن يكـون سكوت النبـى ـ ﷺ ـ عن الإنكـار لعلمه أن مثل هذا القول مما لا يصغَى إليه.

وإذا كان هذا الخبـر عن أمر دنيوى، فقد قيـل: إنه يجزم بصدقـه إذا علم أن النبى ﷺ عالـم بـالواقعة؛ وكـذلك إذا قال المخبـر: « وهذا النبى ﷺ يعلـم صحة مـا أقـوله . . » وهـذا ضعيف، فإن النبى ﷺ ليس يلـزمه تبيين الأمـور الدنيـوية ولا يلزمه الإنكار على الكاذب إذا لم يحلف.

وأما الخبر الـذى تحتف به القرائن، فقد منع جمـاعة من الأولين إفادته للعلم؛ لأجـل تغليط بعض القرائن . . وهذا لا يصح، فإن من قطعت يده بسكين حاد، وهو يستغيث ويتغير لونـه، فأخبر أحـد بأنه متألم؛ لا يشك أحـد فى صدق ذلك الخبر. لكن هذه القرائن مما لا ينضبط.

وإذ أخبار رسول الله ﷺ جميعها صادقة، فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فمن شافهه رسول الله ﷺ بأمر، كـان ذلك الأمر معلـوم الصـدق قطعا، وكـذلك من نقل إليـه كلامه على وجه يفيد القطع، كالخبر المتواتر؛ ونحوه.

وأما الأخبار التى بأيدينا الآن، فإنما نتبع فيها غالب الظن، لا العلم المحقق، خـلافا لقوم وقـال قوم: إن جميع مـا اتفق عليه مسلم والبخارى، فهو مقطوع به، لأن العلماء اتفقوا على صحة هـذين الكتابين . . والحق أنه ليس كـذلك! إذ الاتفاق إنما وقع على جواز العمل بما فيهما، وذلك لا ينافى أن يكون ما فيهما مظنونا بصحته، فإن الله تعالى لم يكلفنا الوقوف عند العلم، ولذلك يجب الحكم بموجب البينة؛ وإن كانت إنما أفـادت الظن، فتصح الصلاة فى الثوب الـذى لم يغسل فى الحـال، مع جواز تنجسـه، ومـا ذاك إلا لأنـا نظن طهارتـه، وأمثال ذلك فى الشرعيات كثير. (المختصر فى علم أصول الحديث ٩٩/ ١١٥).

ومن المفيد أن ننقل هنا ما أورده الجـرجانى عن الخبر فى تعريفاته، قال رحمه الله:

الخبر على ثلاثة أقسام: خبر متواتر، وخبر مشهور، وخبر واحد.

أمـا الخبر المتـواتـر فهـو كلام يسمعـه من رسـول الله ﷺ جماعة، ومنها جماعة أخرى إلى أن ينتهى إلى المتمسك.

وأما الخبـر المشهور، فهو كلام يسمعـه من رسول الله ﷺ واحد، ويسمعه من الواحد جماعة، ومن تلك الجماعة أيضا جماعة إلى أن ينتهى إلى المتمسك.

وأمـا خبر الـواحـد (انظـر مادة «الآحـاد» فى م ١/ ١٧٣ ـ ١٨١) فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ واحد، ويسمعه من ذلك الواحد واحد آخر، ومن الـواحد الآخر آخر إلى أن ينتهى إلى المتمسك.

والفرق هو أن جاحد الخبر المتواتـر يكون كافرا بالاتفاق، وجـاحـد الخبـر المشهـور مختلف فيـه والأصح أنـه يكفَّـر، وجاحد خبر الواحد لا يكون كافرا بالاتفاق.

والخبر نـوعان . . مرسل ومسند، فـالمرسل منه مـا أرسله الراوى إرسـالا من غير إسنـاد إلى راو آخر، وهـو حجة عنـدنا (أى فى المـذهب الحنفى) كالمسنـد، خـلافا للشـافعى فى إرسال الصحابى وسعيـد بن المسيب (أحـد فقهـاء المدينـة السبعـة ونـورده فى مـوضعـه إن شـاء الله تعـالى)، والمسنـد ماأسنده الراوى إلى راو آخر إلى أن يصل إلى النبى ﷺ.

ثم السند أنواع: متواتر، ومشهور، وآحاد. فالمتواتر منه ما نقله قـوم عن قوم لا يتصور تـواطؤهم على الكذب فيـه، وهو الخبـر المتصل إلـى رسـول الله ﷺ، وحكمـه يـوجب العلم والعمل قطعا حتى يكفر جـاحده، فالمشهور منه هـو ما كان من الآحاد فى العصـر الأول، ثم اشتهـر فى العصر الثانى حتى رواه جماعة لا يتصور تواطـؤهم على الكذب، وتلقته العلماء بالقبـول، وهو أحـد قسمى التواتـر، وحكمه يوجـب طمأنينة

القلب لا علم يقين حتى يضل جاحده ولا يكفر وهو الصحيح، وخبر الآحاد: هو ما نقله واحد عن واحد، وهو الذى لم يدخل فى حد الاشتهار، وحكمه يوجب العمل دون العلم، ولهذا لا يكون حجة فى المسائل الاعتقادية.

وخبر الكاذب: هو ما تقاصر عن التواتر (التعريفات / ١٣٠، ١٣١)

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ــ د. على زوين / ٣٣، والمختصر فى علم أصول الحديث لابن النفيس ــ دارسة وتحقيق د. يوسف زيدان / ٩٩ ـ ١٥٥، والتعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٠، ١٣١)

انظر مادة «الآحاد» فى م ١/ ١٧٣ ـ ١٨١، ومادة «التواتر» فى م ١٠/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤، ومادة «الحديث (علم ـ) فى م ١٣/ ٢٤٦ ـ ٢٦٠.

***خبر قس بن ساعدة الإيادى:**

خبر قس بن ساعدة الإيادى: لأبى محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى المتوفى سنة ٣٤٧ سبع وأربعين وثلثمائة (كشف الظنون ١/ ٧٠٠)

*** خبر قس بن ساعدة وغير ذلك:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٣٧٥٤ مجاميع ١٧.

رواية أبى محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ عن شيوخه المتوفى سنة ٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م (ترجمته فى الأعلام ٢/ ٢١٣ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٨٠).

أوله: «أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال قراءة عليه فى رجب سنة [ ] وثلاثين وأربع مائة قال: حدثنا عمر بن أحمد بن [ ] إملاء، ثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندى، نا عثمان بن أبى شيبة، نا جرير عن الأعمش عن ... ».

آخره ناقص ينتهى بقوله «... أما بعد فقد بلغنى كتابك يذكر أن الناس سألوا أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم فإذا جاءك كتابى هذا فانظر ما أجلب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال».

نسخة قديمة عليها سماعات

(٣٢ـ٣٦) ٥ ق ١٧س ١٣ × ١٨,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٧، ١٩٨/)

*** خبر كان وأخواتها:**

قال ابن الحاجب:

هو المسند بعد دخولها، مثل: كان زيد قائما، وأمره كأمر خبر المبتدإ، ويتقدم على اسمها معرفة، وقد يحذف عامله فى مثل: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر»، ويجوز فى مثلها أربعة أوجه، ويجب الحذف فى مثل: أما أنت منطلقا انطلقت: أى لأن كنت (الكافية/ ٣٩٦)

وجاء فى منظومة الدرة اليتيمة للشيخ ابن نبهان:

** وما أتى لنحو كان من خبر **

أى لكان ونحوها من خبر. ويشرح هذا الشطر الأول من البيت الشيخ محمد على بن حسين المالكى فيقول:

أما خبر كان وأخواتها فأنواعه ثلاثة. أحدها مفرد وهو ما ليس جملة ولا شبيها بها وهو قسمان: جامد ومشتق.

وثانيها جملة وهى نوعان فعلية واسمية. ويشترط فى الجملة الواقعة هنا خبرا ما اشترط فيها إذا وقعت خبر المبتدأ بلا فرق.

وثالثها شبه الجملة وهو نوعان أيضا ظرف وجار ومجرور والظرف زمانى ومكانى وشرطه كشرطه المتقدم إذا وقع خبرا للمبتدأ.

وحكم خبر كان وأخواتها وجوب نصبه وعدم جواز حذفه وإن له بملاحظته مع الاسم والفعل الناقص ستة أحوال: أحدها وجوب التأخر عن الاسم وذلك فى محلين: الأول إذا التبس مع الاسم نحو كان صاحبى عدوى فلا يجوز تقديم عدوى على أنه خبر لأن لا يعلم ذلك لعدم ظهور الإعراب، والثانى إذا كان الخبر محصورا فيه نحو ﴿**وما كان صلاتهم**

عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ [الأنفال: ٣٥] أي تصفيرا بالفاء وتصفيقا.

وثانيها وجوب توسطه بين الفعل والاسم وذلك إذا دخلت أن المصدرية على الفعل واتصل الاسم بضمير عائد لبعض الخبر نحو يعجبني أن يكون في الدار صاحبها فيمتنع تأخير في الدار لمكان الضمير ويمتنع تقديمه على الفعل لئلا يفصل بين أن وصلتها وعلى أن لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول.

وثالثها وجوب تقديمه على الفعل وذلك إذا كان اسم استفهام نحو أين كان زيد أو اسم شرط نحو أينما كان زيد أجلس.

ورابعها وجوب تأخيره أو توسطه وذلك إذا ولي الفعل حرف استفهام كهل كان زيد قائما فيمتنع تقديمه على هل لأن لها الصدر وعلى كان لئلا يفصل بينهما.

وخامسها وجوب توسطه أو تقدمه وذلك في محلين: الأول أن يتصل الاسم بضمير يعود لبعض الخبر نحو كان في الدار صاحبها وكان غلام هند بعلها بنصب غلام، والثاني أن يكون الاسم محصورا فيه نحو ما كان قائما إلا زيد لجواز تقديم الخبر على كان لا على ما لأن لها الصدر.

وسادسها جواز الثلاثة التقدم والتأخر والتوسط وذلك إذا فقد ما يقتضي وجوب أي واحد منها نحو كان زيد قائما وكان غلام هند مبغضها بنصب مبغض فيجوز تقديمه لتقدم مرجع الضمير رتبة وإن تأخر لفظا وأنه يمتنع تقديمه حيث كان خبر الغلام على ما المصدرية المتصلة بها اتفاق لامتناع تقديم معمول الصلة على الموصول وأنه يمتنع عند غير الكوفيين تقديمه على ما النافية حيث كان فعله الناقص منفيا بها ولو كان النفي شرطا في عمله خلافا لابن كيسان والنحاس في إجازتهما نحو قائما مازال زيد نظرا لكون نفي زال وأخواتها إيجابا فكأنه لم يكن نفي وأنه يمتنع أن يلي معموله عامله حيث كان معموله غير ظرف ولا جار ومجرور كما في نحو كان زيد آكلا طعامك ولهذا المثال أربعة ألفاظ ولكل لفظ منها ست صور فجملة صوره أربع وعشرون الممتنع منها ثلاث لما فيها من الفصل بين العامل والمعمول بمعمول غيره وهو ممتنع وإن كان ذلك الغير معمولا لذلك العامل والجائز ما بقي (فرائد النحو الوسيمة/ ٨٣، ٨٤)

(الكافية لابن الحاجب المطبوع في كتاب مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابي الحلبي/ ٣٩٦، وفرائد النحو الوسيمة شرح الدرة اليتيمة» للشيخ محمد علي بن حسين المالكي، وبهامشه «الدرة اليتيمة» لناظم عقدها الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي. ط مصطفى البابي الحلبي. ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ/ ٨٣، ٨٤).

انظر: الخبر (في علم الحديث).

*** خبر ما ولا المشبهتين بليس:**

هو المسند بعد دخولهما، وهي لغة أهل الحجاز، وإذا زيدت إن مع ما أو انتقض النفي بإلا، أو تقدم الخبر بطل العمل، وإذا عطف عليه بموجب فالرفع.

(الكافية لابن الحاجب المطبوع في «مجموع مهمات المتون»/ ٣٩٧ - ٣٩٨).

*** الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغر المغرب:**

سماه بروكلمان (١/ ٥٠٩) «القصص المغرب عن الخبر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب» من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، وجاء بيانه كما يلي:

لمحمد أبي راس بن أحمد بن عبد القادر الناصري، المتوفى ١٢٣٨ هـ.

وهو كتاب في ذكر ما جرى للمسلمين مع الكفار في العدوة والأندلس أوله: «حمدا للفاعل في خلقه ما يريد، وبالنصر والخذلان فريد».

وآخره: «ومعنى لبي: أجاب. ومعنى: «لم يَتَّس»: لم يقتد بمن قبله». نسخة كتبت بخط حديث ١٣٠٠ هـ. وهي في ١٤٢ ورقة، ومسطرتها ٢٤ سطرا [نسخة في حيازة السيد حسن القادري] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م/ ١٥٨).

انظر: الخبر (فى علم الحديث)

* **الخبر والإنشاء:**

كل كلام فهو إما خبر أو إنشاء والخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب كسافر محمد، وعلى مقيم. والإنشاء ما لا يصح أن يقال لقائله ذلك كسافرْ يامحمد، وأقم ياعلى والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع وبكذبه عدم مطابقته له فجملة على مقيم إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقة لما فى الخارج فصدق وإلا فكذب. ولكل جملة ركنان محكوم عليه ومحكوم به ويسمى الأول مسندا إليه كالفاعل ونائبه والمبتدإ الذى له خبر، ويسمى الثانى مسندا كالفعل والمبتدإ المكتفى بمرفوعه، وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصلة فهو قيد.

(قواعد اللغة العربية - حفنى بك ناصف وزملائه / ١٠٧).

* **الخبر والإنشاء (علم):**

أدرجه الحافظ السيوطى تحت النوع السابع والخمسين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه:

اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث. وادعى قوم أن أقسام الكلام عشرة: نداء، مسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. وقيل تسعة بإسقاط الاستفهام لدخوله فى المسألة. وقيل سبعة بإسقاط الشك لأنه من قسم الخبر. وقال الأخفش: هى ستة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهى، ونداء، وتمن. وقال بعضهم خمسة: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء. وقال قوم: أربعة: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء. وقال كثيرون: ثلاثة: خبر، وطلب، وإنشاء. قالوا لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا.

الأول الخبر.

والثانى إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب فى الإنشاء وأن معنى اضرب مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه. وقد اختلف الناس فى حد الخبر فقيل: لا يحد لعسره، وقيل لأنه ضرورى لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة، ورجحه الإمام فى المحصول والأكثر على حده فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة: الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب، فأورد عليه خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صدقا. فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة. وقيل الذى يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الإيراد المذكور. وقال أبو الحسن البصرى: كلام يفيد بنفسه نسبة فأورد عليه «قم» فإنه يدخل فى الحد لأن القيام منسوب والطلب منسوب. وقيل الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيا أو إثباتا. وقيل القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى أو الإثبات. وقال بعض المتأخرين. الإنشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام والخبر خلافه. وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة: الكلام إن أفاد بالوضع طلبا فلا يخلو إما أن يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكف عنها، والأول الاستفهام، والثانى الأمر، والثالث النهى وإن لم يفد طلبا بالوضع، فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمى تنبيها وإنشاء لأنك نبهت به عن مقصودك وأنشأته: أى ابتكرته من غير أن يكون موجودا فى الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمنى والترجى والنداء والقسم أم لا كأنت طالق وإن احتملهما من حيث هو فهو خبر.

فصل: القصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر نحو ﴿ **والوالدات يرضعن** ﴾ ﴿ **والمطلقات يتربصن** ﴾ وبمعنى النهى نحو ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ وبمعنى الدعاء نحو ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ أى أعنا، ومنه ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب** ﴾ فإنه دعاء عليه، وكذا ﴿ **قاتلهم الله** ﴾ ﴿ **غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ وجعل منه قوم ﴿ **حصرت صدورهم** ﴾ قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد. ونازع ابن العربى فى قولهم إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى. قال فى قوله تعالى ﴿ **فلا رفث** ﴾ وليس نفيا بوجود الرفث بل نفى لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره وإنما يرجع النفى إلى

وجوده مشروعا إلى وجوده محسوسا كقوله ﴿ **والمطلقات يتربصن** ﴾ ومعناه مشروعا لا محسوسا فإنا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفي إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي، وكذا ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون**﴾ أي لا يمسه أحد منهم شرعا، فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع.
وقال: وهذه الدفينة التي فاتت العلماء فقالوا : إن الخبر يكون بمعنى النهي، وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فإنهما مختلفان حقيقة و يتباينان وضعا انتهى.

فرع : من أقسامه على الأصح التعجب. قال ابن فارس: وهو تفضيل شيء على أضراب. وقال ابن الصائغ : استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره. وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. وقال الرماني: المطلوب في التعجب الإبهام ، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن. قال: وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا مجازا. قال : ومن أجل الإبهام لم تعمل نعم إلا في الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر، ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهي ما أفعل وأفعل به، وصيغا من غير لفظه نحو « كَبُرَ» كقوله ﴿ **كبرتْ كلمة تخرج من أفواههم** ﴾ ﴿ **كبر مقتا عند الله** ﴾ .

قاعدة : قال المحققون : إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله تعالى ﴿ **فما أصبرهم على النار** ﴾ أي هؤلاء يجب أن يتعجب منهم ، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجيب بدله : أي أنه تعجيب من الله للمخاطبين، ونظير هذا مجيء الدعاء والترجي منه تعالى إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب: أي هؤلاء مما يجب أن يقال لهم عندكم هذا ، ولذلك قال سيبويه في قوله تعالى ﴿**لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ المعنى : اذهبا على رجائكما وطمعكما، وفي قوله تعالى ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ ﴿**ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ لا تقل هذا دعاء لأن الكلام بذلك قبيح ، ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون ، فكأنه قيل لهم ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة، فقيل هؤلاء ممن دخل في الهلكة .

فرع : من أقسام الخبر الوعد والوعيد نحو ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق** ﴾ ﴿**وسيعلم الذين ظلموا** ﴾ وفي كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء.

فرع : من أقسام الخبر النفي، بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد أن النافي إن كان صادقا سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحدا ، وإن كان كاذبا سمي جحدا ونفيا أيضا، فكل جحد نفي وليس كل نفي جحدا وذكره أبو جعفر النحاس وابن الشجري وغيرهما . مثال النفي ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم** ﴾ ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى، قال تعالى ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾ [النمل : ١٣ ، ١٤] وأدوات النفي « لا ولات وليس وما وإن ولم ولما » ونورد هنا فائدة قال الحوبي : أصل أدوات النفي «لا وما » لأن النفي إما في الماضي وإما في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبدا «ولا » أخف من «ما» فوضعوا الأخف للأكثر، ثم إن النفي في الماضي إما أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة، وكذلك النفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات « ما ولم ولن ولا » وأما «إن ولما » فليسا بأصلين، فما ولا في الماضي والمستقبل متقابلان، ولم كأنه مأخوذ من ولا وما ، لأن لم نفي للاستقبال لفظا والمضي معنى، فأخذ اللام من لا التي هي نفي المستقبل والميم من ما التي هي لنفي الماضي : وجمع بينهما إشارة إلى أن في «لم » إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن «لا» هي أصل النفي، ولهذا ينفى بها في أثناء الكلام فيقال : لم يفعل زيد ولا عمرو. وأما «لما» فتركيب بعد تركيب كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد «لما » الاستمرار.

تنبيهات : الأول : زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن

الشيء صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشيء وهو مردود بقوله تعالى ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون﴾ ، ﴿ وما كان ربك نسيا﴾ ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ ونظائره، والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه .

الثاني : نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيا للذات أيضا . من الأول ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ أى بل هم جسد يأكلونه . ومن الثاني ﴿لا يسئلون الناس إلحافا﴾ أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم إلحاف، ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ أى لا شفيع لهم أصلا ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل ﴿ فما لنا من شافعين﴾ ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشيء بإيجابه. وعبارة ابن رشيق فى تفسيره: أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفى ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن. وعبارة غيره: أن ينفى الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفى وتأكيدا له، ومنه ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به﴾ فإن إله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ﴿رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ فإنها لا عمد لهن أصلا .

الثالث : قد يرد به نفي الشيء رأسا لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله تعالى فى صفة أهل النار ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة. ولا نافعة ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ فإن المعتزلة احتجوا بها على نفى الرؤية، فإن النظر فى قوله تعالى ﴿إلى ربها ناظرة﴾ لا يستلزم الإبصار. ورد بأن المعنى أنها تنظر إليها بإقبالها عليه وليست تبصر شيئا ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانو يعلمون﴾[البقرة: ١٠٢] فإنه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه آخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم، قاله السكاكى .

الرابع : قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة، وأشكل على ذلك ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فإن المنفى فيه الحقيقة. وأجيب بأن المراد بالرمى هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفى هنا مجاز لا حقيقة، والتقدير: وما رميت خلقا إذ رميت كسبا، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء .

الخامس : نفى الاستطاعة قد يراد به نفى القدرة والإمكان، وقد يراد نفى الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة من الأول ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ ، ﴿فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ ومن الثاني ﴿هل يستطيع ربك﴾ على القراءتين: أى هل يفعل، أو هل تجيبنا إلى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال. ومن الثالث ﴿إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ .

قاعدة: نفى العام يدل على نفى الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام، ونفيه لا يدل على نفيه، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام، فالأول كقوله تعالى: ﴿فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ لم يقل بضوئهم بعد قوله أضاءت، لأن النور أعم من الضوء، إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ ففى الضوء دلالة على النور فهو أخص منه، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس، والقصد إزالة النور عنهم أصلا ولذا قال عقبه ﴿وتركهم فى ظلمات﴾ ومنه ﴿ليس بى ضلالة﴾ ولم يقل ضلال، كما قالوا ﴿إنا لنراك فى ضلال﴾ لأنها أعم منه فكان أبلغ فى نفى الضلال، وعبر عن هذا بأن نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس ألبتة، وبأن نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى. والثاني كقوله تعالى ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ ولم يقل طولهن لأن العرض أخص، إذ كل ما له عرض فله طول ولا ينعكس، ونظير هذه القاعدة أن نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل، وقد أشكل على هذا آيتان: قوله

تعالى ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وقوله ﴿وما كان ربك نسيا﴾ وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة. أحدها: إن ظلاما وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة، ويرشحه أنه تعالى قال ﴿علام الغيوب﴾ فقابل صيغة فعال الجمع، وقال في آية أخرى ﴿عالم الغيب﴾ فقال: بل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد.

الثاني: أنه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة، لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى.

الثالث: أنه على النسبة: أي بذي ظلم، حكاه ابن مالك عن المحققين.

الرابع: أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه.

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال: زلة العالم كبيرة.

السادس: أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم، تأكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلّام.

السابع: أنه ورد جوابا لمن قال ظلام، والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم.

الثامن: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات، فجرى النفي على ذلك.

التاسع: أنه قصد التعريض بأن ثَمَّ ظلاما للعبيد من ولاة الجور. ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة وبعاشر وهو مناسبة رؤوس الآي.

فائدة: قال صاحب الياقوتة: قال ثعلب والمبرد: العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخبارا نحو ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ والمعنى: إنما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام. وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جحدا حقيقيا نحو: ما زيد بخارج. وإذا كان في أول الكلام جحدان كان أحدهما زائدا، وعليه ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ في أحد الأقوال.

فصل: من أقسام الإنشاء الاستفهام: وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار. وقيل الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما، حكاه ابن فارس في فقه اللغة وأدواته «الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان» قال ابن مالك في المصباح: وما عدا الهمزة نائب عنها، ولكونه طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن لزم أن لا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام. قال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حصل. وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازا، وألف في ذلك العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه روض الأفهام في أقسام الاستفهام قال فيه: قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني، ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة خلافا للصفار. الأول: الإنكار، والمعنى فيه على النفي، وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا كقوله ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾ وعطف عليه المنفي في قوله ﴿فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾ أي لايهدي. ومنه، ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أي لا نؤمن ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾، ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ أي لا يكون هذا ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي ما شهدوا ذلك، وكثيرا ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى لم يكن، وفي المستقبل بمعنى لا يكون نحو ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ ـ الآية: أي لم يفعل ذلك ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ أي لا يكون هذا الإلزام.

الثاني: التوبيخ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفى، فالنفي هنا غير قصدي والإثبات قصدي عكس ماتقدم، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضا نحو ﴿أفعصيت أمري﴾، ﴿أتعبدون ماتنحتون﴾، ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾ وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت

ووبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع كقوله تعالى ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ ، ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ .

الثالث : التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده . قال ابن جنى : ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام . وقال الكندى : ذهب كثير من العلماء فى قوله ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم﴾ [الشعراء : ٧٢ ، ٧٣] إلى أن هل تشارك الهمزة فى معنى التقرير أو التوبيخ إلا أنى رأيت أبا على أبىٰ ذلك ، وهو معذور فإن ذلك من قبيل الإنكار. ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل ، إنما يستعمل فيه الهمزة. ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتى تقريرا كما فى قوله تعالى ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر ﴾ والكلام من التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب . فالأول كقوله تعالى ﴿ ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك ﴾ ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ﴾ ﴿ ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل﴾ والثانى نحو ﴿ أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما﴾ على ما قرره الجرجانى من جعلها مثل ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفى وقد دخل على النفى، ونفى النفى إثبات ، ومن أمثلته ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ ﴿ ألست بربكم ﴾ وجعل منه الزمخشرى ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾ .

الرابع : التعجب أو التعجيب نحو ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ ﴿ ما لى لا أرى الهدهد ﴾ وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه فى قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ قال الزمخشرى : الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم ، ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقى ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ .

الخامس : العتاب كقوله تعالى ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلا أربع سنين . أخرجه الحاكم . ومن ألطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ ولم يتأدب الزمخشرى بأدب الله فى هذه الآية على عادته فى سوء الأدب .

السادس : التذكير، وفيه نوع اختصار كقوله تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ ﴿ ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض﴾ ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ .

السابع : الافتخار نحو ﴿ أليس لى ملك مصر ﴾ .

الثامن : التفخيم نحو ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ .

التاسع : التهويل والتخويف نحو ﴿ الحاقة * ما الحاقة﴾ ﴿ القارعة * ما القارعة ﴾ .

العاشر : عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا ﴾ .

الحادى عشر : التهديد والوعيد نحو ﴿ ألم نهلك الأولين﴾ .

الثانى عشر : التكثير نحو ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ .

الثالث عشر : التسوية؛ وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ .

الرابع عشر : الأمر نحو ﴿ أأسلمتم ﴾ أى أسلموا ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ أى انتهوا ﴿ أتصبرون ﴾ أى اصبروا .

الخامس عشر : التنبيه ، وهو من أقسام الأمر نحو ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ أى انظر ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾ ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه، ولذلك رفع الفعل فى جوابه وجعل منه قوله ﴿فأين تذهبون ﴾ للتنبيه على الضلال ، وكذا ، ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ .

السادس عشر : الترغيب نحو ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾ .

السابع عشر : النهى نحو ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ﴾ بدليل﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ أى لا تغتر.

الثامن عشر : الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى نحو ﴿ **أتهلكنا بما فعل السفهاء** ﴾ أي لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد نحو ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ .

العشرون : التمني نحو ﴿ **فهل لنا من شفعاء** ﴾ .

الحادى والعشرون : الاستبطاء نحو ﴿ **متى نصر الله** ﴾ .

الثاني والعشرون : العَرْض ﴿ **ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ .

الثالث والعشرون : التحضيض نحو ﴿ **ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم** ﴾ .

الرابع والعشرون : التجاهل نحو ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا** ﴾ .

الخامس والعشرون : التعظيم نحو ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ .

السادس والعشرون : التحقير نحو ﴿ **أهذا الذى يذكر آلهتكم** ﴾ ﴿ **أهذا الذى بعث الله رسولا** ﴾ ويحتمله وما قبله قراءة من فرعون .

والسابع والعشرون : الاكتفاء نحو ﴿ **أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين** ﴾ .

الثامن والعشرون : الاستبعاد نحو ﴿ **أنّى لهم الذكرى** ﴾ .

التاسع والعشرون : الإيناس نحو ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى** ﴾ .

الثلاثون : التهكم والاستهزاء نحو ﴿ **أصلواتك تأمرك** ﴾ ، ﴿ **ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون** ﴾ [الصافات : ٩١، ٩٢] .

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله تعالى ﴿ **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار** ﴾ [الزمر : ١٩] قال الموفق عبد اللطيف البغدادى : أى من حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه، فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة فى أفأنت دخلت معادة لطول الكلام . وهذا نوع من أنواعها . وقال الزمخشرى : الهمزة الثانية هى الأولى، كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .

والثاني والثلاثون : الإخبار نحو ﴿ **أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا** ﴾ ﴿ **هل أتى على الإنسان** ﴾ .

تنبيهان . الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود وانضم إليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية ؟ قال فى عروس الأفراح : محل نظر . قال : والذى يظهر الأول . وقال : ويساعده قول التنوخي فى الأقصى القريب إن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجى، قال : ومما يرجحه أن الاستبطاء في قولك كم أدعوك معناه : أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فأنا أطلب أن أعلم عدده، والعادة تقضي بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعمله، وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء . وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر، فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول : أى شيء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدهد؟ وقد صرح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية . وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى، لأن معنى أين تذهب : أخبرنى إلى أى مكان تذهب؟ فإنى لا أعرف ذلك ، وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهى، وأما التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع ، أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب : أى يطلب منه أن يكون مقرًّا به . وفى كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين، والثانى أظهر . وفى الإيضاح تصريح به، ولا بدع فى صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لأنه طلب الفهم ، أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان، وبهذا تنحل إشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام ، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصا .

الثانى : القاعدة أن المنكر يجب أن يلى الهمزة، وأشكل عليها قوله تعالى ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين** ﴾ فإن الذى يليها هنا الإصفاء بالبنين وليس هو المنكر إنما المنكر قولهم - إنه اتخذ من الملائكة إناثا - وأجيب بأن لفظ الإصفاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأن المراد مجموع الجملتين، وينحل

منهما كلام واحد. والتقدير: أجمع بين الإصفاء بالبنين واتخاذ البنات ، وأشكل منه قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ ووجه الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط ،كما تقتضيه القاعدة المذكورة ، لأن أمر البر ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له، ولا مجموع الأمرين لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر لأن النسيان منكر مطلقا، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر، لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة ، لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب ، وإن كان الإنسان ناسيا لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف بمعصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر؟ قال فى عروس الأفراح : ويجاب بأن فعل المعصية مع النهى عنها أفحش، لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض ، ويجعل القول كالمخالف للفعل، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل. قال: ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة .

فصل : من أقسام الإنشاء الأمر، وهو طلب فعل غير كف، وصيغته أفعل ولتفعل، وهى حقيقة فى الإيجاب نحو ﴿أقيموا الصلاة ﴾ ﴿فليصلوا معك ﴾ وترد مجازا لمعان أخر: منها الندب نحو ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ والإباحة نحو ﴿ فكاتبوهم ﴾ نص الشافعى على أن الأمر فيه للإباحة. ومنه ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ والدعاء من السافل للعالى نحو ﴿ رب اغفر لى ﴾ والتهديد نحو ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا . والإهانة نحو ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ والتسخير : أى التذليل نحو ﴿ كونوا قردة ﴾ عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم فهو أخص من الإهانة . والتعجيز نحو ﴿ فائتوا بسورة من مثله﴾ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم . والامتنان نحو ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ والعجب نحو ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ والتسوية نحو ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ والاحتقار نحو ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ والإنذار نحو ﴿ قل تمتعوا ﴾ والإكرام نحو ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ والتكوين وهو أعم من التسخير نحو ﴿ كن فيكون ﴾ والإنعام : أى تذكير النعمة نحو ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ والتكذيب نحو ﴿ قل فائتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ والمشورة نحو ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ والاعتبار نحو ﴿ انظروا إلى ثمره ﴾ والتعجب نحو ﴿ أسمع بهم وأبصر﴾ ذكره السكاكى فى استعمال الإنشاء بمعنى الخبر .

فصل : ومن أقسامه النهى وهو طلب الكف على فعل، وصيغته لا تفعل وهى حقيقة فى التحريم، وترد مجازا لمعان منها الكراهة نحو ﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا ﴾ والدعاء نحو ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ والتسوية نحو ﴿ اصبروا أو لا تصبروا ﴾ والاحتقار والتقليل نحو ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ الآية : أى فهو قليل حقير. وبيان العاقبة نحو ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾ أى عاقبة الجهاد الحياة لا الموت. واليأس نحو ﴿لا تعتذروا ﴾ والإهانة نحو ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

فصل : ومن أقسامه التمنى : وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة ، ولا يشترط إن مكان المتمنى بخلاف المترجى، لكن نوزع فى تسمية تمنى الحال طلبا بأن ما لا يتوقع كيف يطلب . قال فى عروس الأفراح : فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء والقسم ليس فيه طلب بل هو تنبيه ، ولا بدع فى تسميته إنشاء اهـ. وقد بالغ قوم فجعلوا التمنى من قسم الخبر، وأن معناه النفى، والزمخشرى ممن جزم بخلافه . ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله ﴿ يا ليتنا نرد ولا نكذب ﴾ إلى قوله ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام : ٢٧، ٢٨] وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب . وقال غيره : التمنى لا يصح فيه الكذب، وإنما الكذب فى المتمنى الذى يترجح عند صاحبه وقوعه فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذى هو ظن، وهو خبر صحيح قال: وليس المعنى فى قوله تعالى ﴿ وإنهم لكاذبون﴾ أن ما تمنوا ليس بواقع، لأنه ورد فى معرض الذم لهم وليس فى ذلك المتمنى ذم، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون. وحرف

التمنى الموضوع له ليت نحو ﴿ياليتنا نرد﴾، ﴿ياليت قومى يعلمون﴾، ﴿ياليتنى كنت معهم فأفوز﴾ وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقده نحو ﴿ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ وبلو نحو ﴿فلو أن لنا كرة فنكون﴾ ولذا نصب الفعل فى جوابها، وقد يتمنى بلعل فى البعيد فتعطى حكم ليت فى نصب الجواب نحو ﴿لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع﴾[غافر: ٣٦، ٣٧].

فصل: ومن أقسامه الترجى نقل القرافى فى الفروق الإجماع على أنه إنشاء، وفرق بينه وبين التمنى بأنه فى الممكن والتمنى فيه وفى المستحيل، وبأن الترجى فى القريب والتمنى فى البعيد، وبأن الترجى فى المتوقع والتمنى فى غيره، وبأن التمنى فى المشوق للنفس والترجى فى غيره. وسمعت شيخنا العلامة الكافيجى يقول: الفرق بين التمنى وبين العرض هو الفرق بينه وبين الترجى، وحرف الترجى لعل وعسى، وقد ترد مجازا لتوقع محذور ويسمى الإشفاق نحو ﴿لعل الساعة قريب﴾

فصل: ومن أقسامه النداء وهو طلب إقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب أدعو، ويصحب فى الأكثر الأمر والنهى والغالب تقدمه نحو ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾، ﴿ياعباد فاتقون﴾، ﴿ياأيها المزمل * قم الليل﴾، ﴿ياقوم استغفروا ربكم﴾، ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا﴾ وقد يتأخر نحو ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾، ﴿ياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها﴾ وقد لا يعقبها نحو ﴿ ياعباد لاخوف عليكم اليوم﴾ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾، ﴿ ياأبت هذا تأويل رؤياى﴾ وقد تصحبه ما الاستفهامية نحو ﴿يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر﴾، ﴿يا أيها النبى لم تحرم﴾ ﴿ياقوم مالى أدعوكم﴾ وقد ترد صورة النداء لغيره مجازا كالإغراء والتحذير وقد اجتمعا فى قوله تعالى ﴿ناقة الله وسقياها﴾ والاختصاص كقوله تعالى ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ والتنبيه كقوله ﴿ألا يسجدوا﴾ والتعجب كقوله ﴿يا حسرة على العباد﴾ والتحسر كقوله ﴿ياليتنى كنت ترابا﴾.

قاعدة: أصل النداء بيا أن تكون للبعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادى بها القريب لنكت. منها إظهار الحرص فى وقوعه على إقبال المدعو نحو ﴿يا موسى أقبل﴾ ومنها: كون الخطاب المتلو معتنى به نحو ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ ومنها: قصد تعظيم شأن المدعو نحو ﴿ياربِ﴾ وقد قال تعالى ﴿إنى قريب﴾ ومنها: قصد انحطاطه كقول فرعون ﴿وإنى لأظنك ياموسى مسحورا﴾.

فائدة: قال الزمخشرى وغيره: كثر فى القرآن النداء بيا أيها دون غيره، لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة منها ما فى يا من التأكيد والتنبيه وما فى ها من التنبيه وما فى التدرج من الإبهام فى أىّ إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعانٍ، واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

فصل: ومن أقسامه القسم نقل القرافى الإجماع على أنه إنشاء، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع، وسيأتى بسط الكلام فيه فى النوع السابع والستين.

فصل ومن أقسامه الشرط (الإتقان ٢/ ٩٧ ـ ١٠٧)

ويذكر الزمخشرى من روعة النظم القرآنى وقوع الإنشاء موقع الخبر، ووقوع الخبر موقع الإنشاء أما عن وقوع الإنشاء موقع الخبر فمنه قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾ [التوبة: ٥٣]

يقول الزمخشرى: أنفقوا أمر فى معنى الخبر، كقوله تعالى: ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ [مريم: ٧٥] ومعناه: لن يتقبل منكم، أنفقتم طوعا أو كرها، ونحوه قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة: ٨٠] أى لن يغفر الله لهم، استغفرت لهم، أم لم تستغفر لهم، وقوله:

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة
لدينا ولا مقلية إن تقلت

أى لا ولا نلومك أسأت إلينا أم أحسنت.

ويجوز نحو هذا إذ دل الكلام عليه، كما جاز عكسه فى قولك: رحم الله زيدا وغفرو النكتة فيه أن «كثيرًا» كأنه يقول لعزة:

امتحنى لطف محلك عندى، وقوة محبتى لكِ، وعاملينى بالإساءة والإحسان، وانظرى : هل يتفاوت حالى معك، مسيئة كنت أو محسنة؟

وفى معناه قول القائل :

أخــوك الــذى إن قمت بـالسيف عـامـدا

لتضــربـــه لم يستغشك فى الــــود

وكذلك المعنى : أنفقوا، وانظروا : هل يتقبل منكم؟ واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم، وانظر: هل ترى اختلاف بين حال الاستغفار وتركه ... ؟

ومن وضع الإنشاء موضع الخبر أيضًا قوله تعالى : **﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾** : أى مد له الرحمن مدا، يعنى وأمهله، وأملى له فى العمر. فأخرج على لفظ إيذانا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لامحالة، كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضلالة، ويقال له يوم القيامة : **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**؟ أو كقوله تعالى : **﴿إنما نملى لهم ليزدادوا إثما﴾**

ومن وضع الإنشاء موضع الخبر كذلك ما فى قوله تعالى : **﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾** [البقرة : ٢٤٣]

يقول الزمخشرى : معنى قوله : فقال لهم الله موتوا : أماتهم. وإنما جىء على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته. وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشىء، فامتثلوه من غير إباء ولا توقف، كقوله تعالى : **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾** وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بد، ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون فى سبيل الله.

وأما عن وقوع الخبر موقع الإنشاء فمنه قوله تعالى : **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾** [البقرة : ٢٢٨]

يقول الزمخشرى : يتربص : خبر فى معنى الأمر. وأصل الكلام : وليتربص المطلقات. وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودًا.

ونحوه قولهم فى الدعاء : رحمك الله : أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة، فهو يخبر عنها ...

ومن وضع الخبر موضع الإنشاء أيضا ما فى قوله تعالى : **﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله﴾** [الصف : ١٠، ١١].

يقول الزمخشرى : تؤمنون ... استئناف، كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال : تؤمنون، وهو خبر فى معنى الأمر، ولهذا أجيب بقوله : يغفر لكم، وتدل عليه قراءة ابن مسعود : آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ...

وجىء به على لفظ الخبر اللإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

ومنه قوله تعالى : **﴿وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾** [البقرة : ٨٣]

يقول الزمخشرى : فى **﴿لا تعبدون﴾** إخبار فى معنى النهى، كما تقول : تذهب إلى فلان، تقول له كذا ـ تريد الأمر.

والنهى لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه. وتنصره قراءة عبد الله وأبى « لاتعبدوا » (النظم القرآنى / ١٣٢ـ١٣٤)

(الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢/ ٩٧ ــ ١٠٦، والنظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ــ د. درويش الجندى / ١٣٢ ـ ١٣٤. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢٥/ ٤٤٦ـ٤٥٤)

* خبرة الفقهاء:

خبرة الفقهاء : مختصر لأشرف الدين أحمد بن أسد الفرغانى الحنفى وهى بكسر الخاء المعجمة كالاختيار بمعنى الامتحان أوله : الحمد لله رب العالمين ... إلخ ذكر فيه أن الملك فخر الدين أرسلان أقبل على الفقهاء وأن بعض أكابر الدولة سأله أن يترجم له كتابا جمعه الفقيه أبو يوسف يعقوب ابن يوسف بن طلحة فى أيام إبراهيم بن ناصر الدين سبكتكين بالفارسية فجعله عربيا وسماه بستان الأسئلة وهو مشتمل على مسائل وكانت عادة الملوك تجربة العلماء بالمسائل اختبارًا عن علمهم. وهى على ثلاثة أضرب : الأول ان تكون المسألة

مشتملة على وجوه وتفصيل والثانى: أن تكون مسألتان متشابهتان ظاهرًا وبينهما فرق فى الحكم والمعنى، والثالث مسائل تبعد عن الفهم وتحتاج فى استخراجها إلى زيادة تأمل.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٠).

* **الخبز:**

جاء فى اللسان: الخبزة: الطُّلمة، وهى عجين يوضع فى الملة حتى ينضج، والملة: الرماد والتراب الذى أوقد فيه النار. والخبز: الذى يؤكل. والخبز: بالفتح: المصدر، خبزه يخبزه خبزًا واختبزه: عمله. والخباز: الذى مهنته ذلك، وحرفته الخبازة. والاختباز: اتخاذ الخبز (حكاه سيبويه).

التهذيب: اختبز فلان إذا عالج دقيقًا بعجنه ثم خبزه فى ملَّة، أو تنور. وخبز القوم يخبزهم خبزا: أطعمهم (اللسان ١٢/ ١٠٩٢).

قالت المؤلفة: من أنواع الخبز التى تدور أسماؤها فى المراجع: الحوارى: وهو الخبز المصنوع من الدقيق النقى، وخبز الملة وهو ما يخبز فى التراب الحار والرماد (المعجم الوجيز/ ١٧٧، ١٩٦) والخشكار، ويأتى شرحه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأورد المظفر الرسولى الخبز فى المعتمد نقلا عن مصدرين رمز إليهما بالحرفين التاليين:

ع: عبد الله البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

قال المظفر الرسولى:

خبز ـ «ع» الضماد المتخذ من خبز الحنطة نفسها، فهو يجذب ويحلل. والخبز المتخذ من سميذ الحنطة التى وصفنا أكثر من غذاء الخشكار. وأما الخبز المعمول من دقيق الحنطة، فإنه أخف وأسرع نفوذا، والخبز اليابس العتيق يعقل البطن المسهل إن كان وحده، أو خلط بأشياء أخر. والخبز اللين إذا بل بماء وملح وتضمد به أبرأ من القوابى الزمنة، والكثير النخالة سريع الخروج من البطن، وبالضد القليل النخالة يبطىء ويكثر غذاؤه. والخبز الخشكار يلين البطن، والحُوَّارَى يعقله، والمختمر يلين، والفطير يعقل، والرغيف الكبير أحب من الصغير وأكثر غذاء، والخبز الحار يسخن ويجفف، والبارد لا يفعل ذلك، والخبز الذى من الحنطة الحديثة يُسْمِن، وأحمد أوقات أكله فى آخر اليوم الذى يخبز فيه، ومن غد ذلك اليوم، وقبل أن يصلب ويجف. وخبز الملة أيبس الخبز، وأبطأ هضما، والخبز الحار فيه حرارة عرضية وبخارية تُعطِّش وتشبع دفعة، والخبز البارد لايفعل ذلك «ج» ينبغى أن يكون الخبز نقيًّا مملوحا، قد أحكم تخميره، جيد النضج فى التنور. والخبز الذى يكون من الحنطة فغذاؤه بحسب الحنطة المتخذ منها، إن كان من حنطة كثيفة فغذؤاه أكثر مما يتخذ من حنطة رخوة، والخبز الرقيق يعقل البطن أكثر من الثخين، والثخين يغذو أكثر من الرقيق.

والخبز المغسول: وهو أن يؤخذ لباب الخبز اليابس فينقع فى الماء الحار، ثم يصب عنه، ويجدد عليه الماء حتى تذهب قوة الخمير، ويبلغ غاية انتفاخه، وهو مبرد قليل الغذاء، طاف على المعدة، صالح للمحرورين، ولا يولد سددا ولا يسخن. والخبز السميذ أغذى من غيره من الأخباز، والخبز الحوارى متوسط بين السميذ والخشكار، والخبز الفطير غليظ يعقل البطن، وينفع أصحاب الكد، والأبدان المتخلخلة، لكثرة غذائه، ولأصحاب المعدة القوية الحرارة، وهو بطىء الهضم، ويولد الرياح والنفخ والحصى والسدد، وقد يقع من يداومه فى أمراض خطرة لايكاد يخلص منها. والخبز الخشكار أجوده القليل النخالة، وهو حار سريع النفوذ، يضمد به الأورام الحارة، ويبل بماء ويطلى على القوابى، وهو يلين الطبع، وينفع أصحاب القولنج، وهو قليل الغذاء، أردأ من جميع الأخباز المتخذة من الحنطة، ويولد جربا وحكة، ويصلحه الأُدْم الدهنية.

وجاء فى هامش (١) مايلى عن السميذ:

الخبز المعمول من الحنطة من ذلك السميذ أكثر غذاء، وأبطأ نزولا، منفعته لأصحاب الأبدان الصحيحة، ولأهل

التعب والرياضة. ضرره: يولد الرياح الغليظة، . والسدد فى الكبد والطحال، ويضر بأصحاب أوجاع المفاصل، والشيوخ الذين قد ضعف هضمهم. دفع ضرره: ألا يكثر الشبع منه، ولا يؤكل معه شيء من الفواكه الرطبه كالإجاص والمشمش والبطيخ. ولا يؤكل معه لبن ولا سمك، وأن يكثر ملحه وخميرته، ويجعل إدامه المطجّنات، وما عمل بالتوابل الحارة، والله اعلم.

كما جاء فى هامش (٢) ما يلى عن الخبز الخشكار والخبز الفطير:

الخبز الخشكار: هو الحثيث، أقل غذاء، يولد دما مائلا إلى السواد، منفعته: سرعة انحداره عن المعدة. مضرته: إدمان أكله يسرع الهرم، ويولد الحكة والجرب. دفع ضرره: أن يؤكل بالأطعمة الدسمة والزيت والألبان الحلوة، ولا يؤتد عليه بحامض أصلا. والله أعلم.

والخبز الفطير: هو القمط، أقل أنواع الخبز غذاء، وأعسر انهضاما، منفعته لأصحاب الكد والتعب الشديد. مضرته: يولد السدد فى الكلى والحصى، وأوجاع المفاصل والقولنج والرياح. دفع ضرره: أن يؤكل بالأمراق الدسمة، وأن يؤخذ بعده الزنجبيل المربى ا. هـ (المعتمد ١/ ١٧١ ـ ١١٩).

قال صاحب قاموس الأطباء: الخشار والخشارة بضمهما: الرديء من كل شيء، والخشكار: الدقيق الذى لم ينتزع لبه ولا نخالته ولم أر من ذكر بهذا اللفظ من أئمة اللغة وإنما ذكره الأطباء (قاموس الأطباء ١/ ١٦٣).

وقال عن الخبز داود الأنطاكى: الخبز هو فى الغالب قوام الأبدان وعين ما أحكمته الصناعة من الحبوب المقيتة ولكنه مختلف باعتبار العوارض من الطحن والنخل والغسل والخبز ومقابلة النار وما يخبز عليه إلى غير ذلك وأجود الحبوب للخبز الحنطة فالشعير فالحمص فالأرز وما عدا ذلك رديء جدًّا لا يعمل إلا فى المجاعات الشديدة كالدخن والفول والجاورس وخبز الحنطة حافظ للصحة مسمن مقو للأرواح مولد للدم الجيد وأجود ما عمل لذلك مغسولا غير مستقصى فى نخله بالغ فى التخمير إذا وضع فى الماء لم يغطس والراسب قليل الخمير رديء جدا فإذا خمر رقق وخبز على خزف لا يقرب النار فإذا نضج رفع حتى يبرد وإن أكل من الغد كان أجود والبرازقى المعروف بالبرازق يقرب من الجسد وهو فارسى معناه الممزوج بحراقة الريش ويستعمل غالبا فى أحوال مخصوصة وما كان بنخالته جيد لضعف المعدة والمشايخ وأصحاب الراحة ومن لم يرتض ومن طال مرضه وعكسه الحوارى وهو المحكم النخل الشديد البياض ومنه الكعك المعمول بمصر فى العيد يولد السدد ويضعف المعدة ويجلب التخم، والخشكار هو الذى عمل بلا غسل ولا نخل يولد السدد ويحرق الأخلاط ويدرن البدن والمغسول قليل السدد جيد معتدل الغذاء وكلما نضج الخبز وبعد عن الرماد ورق كان أجود.

وأما اختلافه باختلاف ما يخبز عليه فظاهر لأن المخبوز على الحديد حار فى الثانية يابس فى الثالثة ومثله المحروق كالبقسماط وهذه تقطع البلغم والماء والخام وتمنع الاستسقاء فى مباديه لكنها تهزل وتولد السدد المؤدية إلى القولنج وتصلح بالأدهان والحلو والمخبوز على الحصى إن أكل جميعه ففى غاية العدل والجودة والصحة وما يلى الحصى منه كالكعك والقراقيش والجهة الأخرى تسمن جدا وتمنع العفونات والأخلاط الفجة وتروق الدم وتعدله لذهاب مائيها وبقاء نفعها والمعروف بالبيسانى الرقيق إن كان فطيرا فجل الأطباء يلحقه بالسموم وأحكامها وإن كان خميرا فمن أحسن أنواع الخبز لحفظ الصحة وما يصنع فى البادية ويسمى الملة والقرص وهو أن يمد غليظا ويوضع فى الرماد فينضج بعضه ويفج الآخر وتختلف أجزاؤه وهذا رديء جدا يولد الأخلاط الفاسدة ولايقدر عليه إلا أصحاب الكد والرياضة وأردأ منه الخبز الغليظ المستدير المعروف بالماوى فى غالب البلاد ومنه ما تفعله الترك ويقطع طولا لاختلاف أجزائه فى الاستواء والمعمول بالسمن واللبن إن انهضم فجيد وإلا فرديء والغالب عليه إفساد البدن وتوليد التخم وخبز الشعير جيد صيفا مبرد قاطع للعطش قامع الأخلاط الصفراوية، وخبز الذرة والدخن يذهبان الشحم من البدن ويحرقان الأخلاط ويولدان السوداء والحكة وقد تمزج الحبوب بحسب الحاجات والفصول والزمان ومزج المصطكى مع الخبز يقوى المعدة

ويمنع الخفقان ويصلح الكبد والكلى وبالمحلب يخرج الرياح الغليظة والسدد والشونيز مثله والأنيسون يصلح الكبد والكرفس القلب والطحال؛ وبالجملة فالقانون في عمله ما تقدم وينبغي أن لا يؤكل كثيرا إلا مع اللحم والمرق والدهن والحلو وأن يقلل مع غير ذلك وأن يبادر إلى شرب الماء فوق اليابس منه كالكعك والعكس في الطري وأن يقلل منه من به ضعف الكبد والمعدة ويأخذ ما يفتح السدد (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٣٦، ١٣٧).

وقد أورده ابن رشد في كلياته تحت عنوان «القول في أشخاص الأغذية» فقال:

أجمع الأطباء أنه أم الأغذية النباتية للناس الطبيعيين وهم في الأكثر سكان الاقليم الخامس، والرابع هو البر، لكن إذا دخلته الصنعة، وهو يستعمل على وجوه إما خبزا وذلك إما فطيرا، وإما مختمرا، ويستعمل عصيدا ويستعمل هريسا، ويستعمل دقيقه حسوا، ويستعمل حبه مقلوا، وربما جرش بعد القلى والإنقاع، ويسمى سويقا، وقد يستعمل مطبوخا من غير تجريش، والحب الذى يتخذ منه هذه المطاعم أصناف فأفضله الرزين المتكاثف الجرم، وأفضل الأشياء المصنوعة منه هو الخبز، إذا اتخذ دقيقه من القمح الذى بهذه الصفة، وكان دقيقه لا متقصي القشر، وهو المسمى درمكا، ولا كثير القشر وهو المسمى خشكارا، والذى بهذه الصفة هو المسمى عندنا مدهونا، وذلك أن هذا الخبز يوجد قد انحط عن غلظ الدرمك وبطء هضمه، إن كان الدرمك أغذى، وقد ارتفع عن تيبس الخشكار، وانقلابه إلى طبيعة السوداء وذلك إن القشر من كل نبات أرضي بارد يابس، وإن كان هذا الخبز يوجد أسرع خروجا عن الأعضاء لا أسرع انهضاما للجلاء الذى في قشره، ثم عجن بعد بملح معتدل، وماء كثير، حتى يعود في صفة اسفنج البحر في التخلخل، ثم يخمر تخميرا معتدلا، ثم يطبخ في التنور.

وأما الخبز الفطير فغليظ لزج، كما أن الزائد التخمير مستحيل إلى أخلاط عفونية لمكان الحرارة الغريبة التى فيه، ويتلو الخبز في الجودة الحسا المتخذ من فتاته، إلا أنه لموضع الماء الذى فيه يميل إلى البرودة والرطوبة، وفتات الخبز إذا سلق بالماء الحار مرات تولد عنه غذاء في غاية الخفة، وسرعة الهضم، وهو أخص شيء بالمرضى الذين أمراضهم حادة، وسويق القمح أيضا نعم الغذاء إذا شرب بالماء الكثير برد، وذلك أن الإنقاع والقلى يخلخل جوهره ويلطفه، وإذا عجن بالعسل كان غذاء مسخنا كثير التغذية، وأما العصائد والهريسة فكلها غليظة لزجة مسددة، والقمح المطبوخ بالماء أكثر من ذلك بكثير حتى أنه أبطأ الأشياء انهضاما، كذلك الحريرة المتخذة من الدقيق أيضا غليظة، وأما المتخذة من الخمير نفسه ففي غاية اللطافة، وهى مبردة لموضع الحمضة لكن لا آمن أن تكون مستحيلة، ولذلك قد ينبغي أن تتجنب في الأمراض العفونية.

أما الخبز المتخذ من الشعير على الصفة التى تتخذ من خبز القمح فهو تال لخبز القمح في الجودة ولكنه مائل إلى البرودة وسويق الشعير أكثر شيء سرعة في الاستحالة، وهو مبرد وبخاصة إذا شرب بالماء، وبرده كأنه في الدرجة الأولى، وأما ماء الشعير فهو في الأدوية أدخل منه في الأغذية، وهو من الجهد في الأمراض الحادة اليابسة بحيث لايخفى على أحد ممن نظر في هذه الصناعة أدنى نظر أنه مبرد، مرطب، معدل، ذو جلاء، حسن الكيموس، ليس بمنفخ، ولا بطيء الانحدار، وهذه خصال معروفة في البارد الرطب، شهدت التجربة له بهذا، وصنعته أن ينقع الحب صحيحا في الماء، يوضع للجزء الواحد منه عشرون جزءا من ماء، مقدار أربع ساعات ويطبخ حتى يحمر الماء، فإن بهذه الحيلة أمكن أن لا يكون منفخا، وتجريشه خطأ، فإنه لا يقبل الإنقاع، لأن الحبوب إنما تجذب الماء بالقوة الجاذبة التى فيها، والقوة الجاذبة إنما تكون موجودة في الحب مادام الحب يزرع فينبت، وهو إذا جرش وزرع لم ينبت، وهذا قد نبه عليه أبو مروان بن زهر، في كتابه الملقب بالتيسير، وذكر غلط الأطباء في تجريشهم إياه.

وأما الأخباز المتخذة من سائر الحبوب فقوتها قوة تلك الحبوب (الكليات/ ٢٤٧ـ ٢٤٩)

وجاء عن الخبز فى الطب النبوى للحافظ الذهبى ما يلى:

قال الله تعالى:

﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف﴾ [الكهف: ١٩]

قال الأطباء: أفضله التنورى النضيج النقى، ومزاجه حار، فيه يبس، ولا ينبغى أن يؤكل حتى يبرد، فإن الحار منه معطش. وأحمد أوقات أكله يوم خبزه، واليابس والفطير يعقلان البطن ويتلوه الغربى، وما عدا ذلك فردئ، ومهما قلّت نخالته أبطأ هضمه لكنه أكثر تغذية، واللّين منه أغذى وأهضم، والمتخذ فتيتا نفّاخ بطىء الهضم، وخبز القطائف يولد خلطا غليظا، والمعمول باللبن مسدد كثير الغذاء بطىء الانحدار، وخبز الشعير مبرد منفخ، وخبز الحمص بطىء الهضم فينبغى أن يكثر ملحه.

ويروى عن عائشة مرفوعا:

«أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والأرض».

وإذا كان فى دقيق الخبز تراب ولد لآكله الحصى فى المثانة والكلى (الطب النبوى / ٨٤ـ٨٥)

أما عن الطب النبوى لابن القيم فقد ورد فيه عن الخبز ما يلى:

ثبت فى الصحيح، عن النبى ﷺ، أنه قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده نُزلا لأهل الجنة».

وروى أبو داود فى سننه ـ من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال: «كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز، والثريد من الحيس».

وروى أبو دواد فى سننه أيضا ـ من حديث ابن عمر رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أن عندى خبزة بيضاء، من برة سمراء: ملبقة بسمن ولبن. فقام رجل من القوم، فاتخذه فجاء به. فقال: فى أى شىء كان هذا السمن؟ فقال: فى عكة ضب. فقال: ارفعه».

وذكر البيهقى ـ من حديث عائشة رضى الله عنها، ترفعه ـ: «أكرموا الخبز. ومن كرامته: أن لا ينتظر به الأدم». والموقوف أشبه. فلا يثبت رفعه، ولا رفع ماقبله.

وأما حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين، فباطل: لا أصل له عن رسول الله ﷺ. وإنما المروى: النهى عن قطع اللحم بالسكين. ولا يصح أيضا. قال مهنا: «سألت أحمد عن حديث أبى معشر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ: لاتقطعوا اللحم بالسكين؛ فإن ذلك من فعل الأعاجم. فقال: ليس بصحيح، ولا يعرف هذا؛ وحديث عمرو بن أمية خلاف هذا، وحديث المغيرة». يعنى بحديث عمرو بن أمية: «كان النبى ﷺ يحتز من لحم الشاة». وبحديث المغيرة: «أنه لما أضافه: أمر بجنب فَشُوىَ، ثم أخذ الشفرة فجعل يحز».

وأحمد أنواع الخبز: أجودها اختمارا، وعجينا. ثم خبز التنور أجود أصنافه، وبعده خبز الفرن. ثم خبز الملة فى المرتبة الثالثة، وأجوده: ما اتخذ من الحنطة الحديثة ـ.

وأكثر أنواعه تغذية: خبز السميذ، و هو أبطؤها هضما لقلة نخالته. ويتلوه خبز الحوارى، ثم الخشكار.

وأحمد أوقات أكله: فى آخر اليوم الذى خبز فيه. واللين منه أكثر تليينا وغذاء وترطيبا، وأسرع انحدارا. واليابس بخلافه.

ومزاج الخبز من البر حار فى وسط الدرجة الثانية، وقريب من الاعتدال فى الرطوبة واليبوسة. واليبس يغلب على ماجففته النار منه، والرطوبة على ضده.

وفى خبز الحنطة خاصية، وهو: أنه يُسمِّن سريعا. وخبز القطائف يولد خلطا غليظا، والفتيت نفاخ بطىء الهضم. والمعمول باللبن مسدد، كثير الغذاء، بطىء الانحدار.

وخبز الشعير بارد يابس فى الأولى. وهو أقل غذاء من خبز الحنطة (الطب النبوى / ٢٣٤ـ٢٣٥).

ويفصل أبو بكر الرازى مضار أنواع الخبز المختلفة، فيبدأ ببيان دفع المضار المتولدة من الخبز السميذ والحوارى فيقول:

إن الخبز مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دائبا، وجرى العادة بالاغتذاء منه، له مضار ينبغى أن تميز وتفصل.

فمن الخبز السميذ والحوارى والخشكار على مرتبته فى ذلك من قلة النخالة وكثرتها، والفطير والمختمر والكثير الملح والبورق، والعديم لذلك، وخبز التنور، وخبز الفرن، وخبز الملة، وخبز الطابق.

فمن مضار الخبز السميد والحوارى أنه أعسر خروجا من البطن من الخشكار، وأنه أكثر نفخا وتوليدا للرياح، ويولد السدد فى الكبد والحصى فى الكلى فى المستعدين لذلك. ولذلك ينبغى أن يميل عنه إلى الخشكار من تعتريه الرياح الغليظة ويبس البطن والسدد فى الكبد والغلظ فى الطحال والحصى فى المثانة المستعدة لذلك ويسرع إليه الامتلاء وتصيبه أوجاع المفاصل ويعتريه التحجر فيها.

ومما يدفع به هذه المضار أن يكثر فيه من الخمير والبورق، ويتعهد الآكل له السكنجبين البزورى ويأخذ بزر البطيخ وبزر الكرفس مع السكر الطبرزد متى أحس بثقل تحت الأضلاع من الجانب الأيمن. فأما متى أحس بثقل فى البطن والقطن وعسر فى خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياما قبل الطعام بثلاث ساعات.

سفوف قوى: وصفته أن يؤخذ من بزر البطيخ المنقى وزن عشرة دراهم، ومن حب القلت واللوز المر والدوقو من كل واحد وزن درهمين، فيستف منه وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليها ماء حارا قد أغلى فيه برشاوشان إلى أن يفقد ذلك العارض.

ويكثر من أحس بهذا العارض من البطيخ فى إبانه، ويتحسى أيضا من ماء الباقلى. فإن هذا التدبير يمنع من أن يتولد وأن يتم تولد الحصى فى كلاه والتحجر فى مفاصله.

فأما من يعتريه غلبة الرياح الغليظة فليجتنب أكل الفواكه الرطبة قبله وعليه، ولا سيما الحامضة ... ويأخذ قدر جوزة من الجوارشن الكمونى، ويؤمر أن يكثر فى طبيخه من الأفاويه، ويصيب فى بقله من السذاب والصعتر ومن الثوم، ولا سيما فى الأوقات والبلدان الباردة.

ويكون أكثر أكله لهذا الخبز بالاسفيذباجات وأمراق المطجنات، ويحذر أكله مع الماست والرائب والكشكية والمضيرة والمصلية والحصرمية والبوارد المعمولة بماء الحصرم والرمان، ونحو ذلك من الحوامض والقوابض، ويقل شرب ماء الثلج، ويصرف شرابه ويقلله ويقويه. وإن اضطر إلى أكله يوما ببعض ما وصفت من الأمراق الغليظة القابضة والباردة، تناول الكمونى أو الفلافلى، أو صرف الشراب وتجوع من بعده وتعرق فى الحمام من غد.

ويؤمر أن يكثر فى هذه الأمراق من الثوم، وخاصة فى الكشكية والمضيرة، فإن الثوم أكسر الأغذية للرياح، وله مع ذلك أن لا يعطش كإعطاش الأفاويه الحارة، فبهذا التدبير يمكن أن يسلم من يعتريه القولنج وأوجاع الجنب وتزممها بالرياح الغليظة من مضرة إدمان الخبز السميذ والحوارى.

وأما من يعسر خروج النجو منه ويعتريه يبس فى البطن دائما فليقدم من طعامه ما عمل بالمرى، ويأخذ زيتونات من زيتون الماء، وينتعل بالفانيد السجزى، ويتحسى قبل الطعام أمراق الاسفيذباجات، وخاصة من ماء الكرنب والاسفاناخ والسلق ولتكن مالحة قليلا، ويستعمل أيضا قبل طعامه إما فى الصيف أو فى أوقات حمى بدنه أكل الإجاص منقوعا فى جلاب.

قالت المؤلفة: يطلق اسم الإجاص فى بعض البلدان على الكمثرى وفى بعضها الآخر على البرقوق أو الخوخ وقد أفردنا له مادة خاصة فى م ٢/ ٤٠٣، ٤٠٤ فانظرها فى موضعها.

ويصف الرازى بعد ذلك كيفية نقع الإجاص فى الجلاب، ثم ينتقل إلى الكلام على دفع مضار الخبز الخشكار فيقول:

إن هذا الخبز يتولد منه دم مائل إلى السوداء، ويكون ذلك منه بمقدار رداءته وقلة نقائه، فإنه كلما كان أقل نقاء وأميل إلى السواد كان الدم الذى يتولد منه أقل مقدارًا فى نفسه وأغلظ وأميل إلى السوداء، فيتولد عن إدمانه الأمراض السوداوية، ويسرع بالهرم، ويضعف عليه البدن، ويقل الدم، ويكون منه الحكة والجرب والبواسير ونحو ذلك.

وإن أكل من الخبز الخشكار بمقدار ما يتولد منه من الدم المقدار الذى يحتاج إليه البدن، احتاج أن يكون كميته أكثر من كمية الخبز الحوارى كثيرا، فيثقل لذلك فى المعدة ويربو

وينتفخ، ولا سيما إذا شرب عليه الماء. ويتولد من ذلك فنون من النفخ .

وإن قصر عن هذا المقدار لم يتولد عنه من الدم قدر الوفاء بحاجة البدن، ويقل عليه الدم، ويصلب، وتذهب نضارته وحسن لونه ورطوبته .

والذى يدفع المضار منه أن يتأدم عليه بالأدهان والحلاوات ، والألبان، ويدمن ذلك . ويحذر التأدم عليه بالملوحات والحرافات والكواميخ ونحوها ، فإن ذلك يزيد فى شرته وقلة إغذائه وسرعة خروجه من البطن قبل استيفاء ما فيه من الغذاء، ويزيد فى رداءة الدم المتولد منه حتى تتولد منه الأمراض التى ذكرنا، ويسرع أيضا بالهرم والذبول، ولا سيما إن قل شرب الماء عليه، وإن كان البلد مع ذلك يابسا أو حارا، أو كان مهنة الآكل متعبة .

فلذلك ينبغى أن يدفع هذه المضار منه باللبن الحليب، والسمن ، وسائر الأدهان التى لا كيفية لها حارة كدهن السمسم ونحوه .

فأما الزيت فغير موافق وبعقيد العنب والسكر والتمر . فأما العسل فإنه أيضا غير موافق، لأنه يسرع بإخراجه، إلا أن يقع مع دسم كثير ومع لبوب دسمة تكسر منه وتسكنه .

وكذلك عقيد العنب والكمثرى أوفق الحلاوات فى هذا الموضع. والزبد والسمن أوفق الدسومات .

واللبن الحليب الذى لا حموضة فيه بتة أوفق ما يثرد فيه ، ثم الاسفيذباجات الدسمة .

فأما كل طبيخ من حامض أو مالح أو حريف فردىء فى هذا الوجه ، لأن هذا الخبز قليل الغذاء سريع الخروج، فالحلاوات تزيد فى إغذائه، والدسومات تزيد أيضا ، وتمنع قشفه ويبسه وجلاءه وجرده للمعدة والأمعاء بكثرة نخالته وسرعة خروجه منها .

الخبز الفطير .

وأما الخبز الفطير فردىء فى توليد الرياح وإبطاء الخروج، فهو لذلك يضر لمن يعتريه القولنج جدًا .

وهو أيضا أسرع فى توليد السدد والحصى من المختمر من الخبز الحوارى، فلذلك ينبغى أن يجتنب، فإن اضطر إليه دفع ما يتولد عنه من هذه المضار بما ذكرنا عند ذكرنا ما يدفع به المضار المتولدة من الخبز الحوارى .

إلا أنه ينبغى أن تدمن تلك العلاجات وتقوى بحسب فضل قوة الخبز الفطير على المختمر وتوليده هذه المضار .

وأضر ما يكون بمن لا يتعب. فأما من يتعب ويكد نفسه كدا شديدًا فكثيرا ما يسلم منه .

فأما الخبز المختمر فيسلم من هذه الخلال، إلا أنه أقل وأضعف إغذاء، فمن كان شديد الكد، وكان متخلخل البدن، ضعف على إدمانه .

ومما يدفع به ذلك التأدم عليه بالآدام المغلظة واللزجة ، كلحوم الحملان والعجاجيل والهرائس والعصائد، وترك التعب أو تقليله، وكذلك ترك الحَمَّام والتعرق والأغذية الحريفة والملطفة، كالتوابل الحارة والبقول الحريفة، والملح والمرى والكواميخ، والشراب العتيق جدًا .

فأما الحلو الغليظ منه فنافع فى هذه الوجوه منه. وأما الكثير الملح منه والبورق فقليل الغذاء، سريع الخروج، وبالضد .

وقد بان كيف يدفع الضرر المتولد من إدمانها بما تقدم من كلامنا، والله أعلم .

خبز التنور والفرن :

قالت المؤلفة : التنور : الكانون يخبز فيه . والكانون : الموقد يطبخ عليه (الأصل والبيان / ٧، والمعجم الوجيز / ٥٤٣) .

وأما خبز التنور فأصلح من خبز الفرن فى سرعة الهضم والخروج ، وقلة تولد النفخ والسدد والغلظ واللزوجات. لكن خبز الفرن أوفق منه فى كثرة الإغذاء، ولذلك هو أصلح لمن يكد ويتعب ويحتاج إلى غذاء متين قوى .

خبز الملة :

وأما خبز الملة فأغلظ فجاجة ونهوة، وأقل نضجا من خبز الفرن، وأعسر خروجًا، وأكثر غذاء إذا انهضم. وليس يخفى ما مضاده، وبما تدفع، على من فهم ما تقدم من كلامنا .

خبز الطابق :

وأما خبز الطابق فأخف من خبز التنور، ولا سيما متى رقق، فهو لذلك أعسر خروجا ، وليس بأكثر غذاء من خبز التنور .

وتبين مما ذكرنا أن أحوال صنوف الخبز فى منافعها ومضارها تختلف بحسب الأبدان وأحوالها ومهنها وبلدانها، إلا أن الأبدان القوية الهضم، أو الكثيرة التخلخل، أو الكثيرة التعب، تحتاج إلى الأكثر والأغلظ غذاء والأبطأ نزولا وتحليلا . وأما الأبدان المستحصفة والمخصبة والعديمة للتعب فتحتاج إلى الألطف غذاء والأسرع خروجا وتحللاً .

أوفق صنوف الخبز :

أوفق صنوف الخبز فى أكثر الأحوال الحوارى المعتدل الملح والبورق والتخمير المختبز فى التنور المعتدل فى غلظه ورقته ، لأن هذا خبز معتدل فى كثرة الإغذاء وقلته وسرعة خروج سفله وبطئه، والأبدان المعتدلة والقريبة من الاعتدال أكثر من التى فى الإفراط . وكذلك الحال فى المهن والبلدان، فإن الناس المعتدلى التعب أكثر من المفرطى التعب والبطالين . وكذلك ساكنو البلدان المعتدلة والقريبة من الاعتدال أكثر من ساكنى الواغلة فى الشمال والجنوب ...

اختلاف الحنطة فى الخبز:

وفيما ذكرنا من أمر الخبز المعمول من الحنطة كفاية على أن الحنطة تختلف فيختلف الخبز بحسب اختلافها . فيكون المتخذ من الحنطة الحمراء الرزينة العذبة واللزجة لزجًا علكًا، ويكون أكثر غذاء، وأبطأ انحدارا، وأحوج إلى تكثير الملح والخمير والبورق . والأولى أن يتعهد آكلوه أنفسهم بالرياضة والحركة، وبما يفتح السدد ويمنع من تولد الحصى .

فى الخبز من البيضاء :

والمتخذ من الخبز من الحنطة البيضاء الهشة الخفيفة المسفنة أقل حاجة إلى ذلك . وجملة منفعة الحنطة أنها تغذو البدن وتولد دما يتولد منه اللحم وجوهر جميع الأعضاء، فيكون خلفا مما تحلل .

جملة منفعة الحنطة ومضارها .

وجملة مضار الحنطة ما قد ذكرنا، ويدفع بما قد وصفنا .

والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز ، وأشدها ملاءمة لبدن الإنسان المعتدل . وإذا كانت نيئة فربما تولد منها حب القرع، ويدفع ذلك بأن يتحسى بعقبه المرى النبطى والخل الثقيف .

وإدمان أكل المقلو منها يعقل البطن، فلذلك ينبغى أن يتلاحق بما يسهله إسهالا معتدلا، كالفانيد السجزى، والتين العلك، وما أشبه ذلك .

وأما الحنطة المطبوخة والفريك فينفخان جدًّا، ولذلك ينبغى أن يؤخذ بعدهما جوارشن الملوكى والفلافلى، ويحذر شرب الماء الكثير عليهما ، فإن ذلك يورث القولنج النفخى (منافع الأغذية ودفع مضارها / ٢٠ـ٣٥) .

وقد أورده صاحب الأرجوزة الشقرونية فى الأطعمة المركبة، مما ننقله لك فيما يلى، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص . قال الناظم :

١٠٣ - *الخبز حافظ لصحة البدن*
مسمن مولد دما حسن

١٠٤ - *أفضله ما عمه الخمير*
وشره المحروق والفطير

١٠٥ - *فاختر من الخبز كثير العرك*
حتى يُرَى عجينه كالعلك

١٠٦ - *من خالص الحنطة جيد العمل*
يسرى من الصحة غاية الأمل

١٠٧ - *أما الذى يصنع من شعير*
فيطفى اللهيب من محرور

١٠٨ - *وخبز غير القمح والشعير*
جم السقام عادم التدبير

١٠٩ - *لا تقربنه واحذرن شروره*
إلا إذا دعت له الضروره

(الطب العربى / ٨٧) .

قالت المؤلفة : نحن نعلم أن الشعر ديوان العرب، كانوا

يسجلون فيه مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومساكنهم وطريقة حياتهم وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم ... إلخ ومن ثم فإننا نجد الخبز وأنواعه يدور فى أشعارهم، ونسوق هنا أمثلة منه من مجموعتى التى كنت أعدها لتكون أساسا لبحثى فى هذا المجال.

فقد جاء ذكر الخبز «النقى» ـ ولعله الحوارى الذى سبق الكلام عنه ـ باعتباره طعام الأثرياء، ومن ثم كان إطعام الناس إياه مدعاة للفخر، فنسمع الشاعر يقول:

يُطعِمُ الناس إذا أمْحلوا
من نَقِيٍّ فوقه أُدُمُهْ

والخبز مع اللحم مع الكثير من السمن فى الطعام شىء محبب، فيقول الشاعر:

مَنْ سَغْبَلَ اليومَ لنا فقد غَلَبْ
خُبْزًا ولحْمًا فهو عند الناس حَبْ

فالسغبلة أن يثرد اللحم مع الشحم فيكثر دسمه. كذلك فإن وجود الخبز واللحم يدل على الثراء، وهو أمر يُتباهى به، كقول الشاعر:

الخبزُ واللحْمُ لهم راهنٌ
وقهوةٌ راووقها ساكبُ

وعلى العكس من ذلك، فإن العَسْم، والجمع عسوم، وهى كسر الخبز اليابس القاحل، هو طعام المحرومين، ومن ثم فهو ليس من طعام أهل الجنة، كما قال أمية بن أبى الصلت فى صفة أهل الجنة:

ولا يتنازعون عَنَانَ شِرْكٍ
ولا أقواتُ أهْلِهِمُ العُسُومُ

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٩٢، والمعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م/ ١٧٧، ١٩٦، ٥٩١، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٧ ـ ١١٩، وقاموس الأطبا وناموس الألبا لمدين بن عبد الرحمن القوصونى المصرى ١/ ١٦٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٦، ١٣٧، والكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبى ٢٤٧ ـ ٢٤٩، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٤، ٨٥، والطب النبوى للإمام ابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق، وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٢٣٤، ٢٣٥، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبى بكر محمد ابن زكريا الرازى ـ راجعه وقدم له د. عاصم عيتانى / ٢٠ ـ ٣٥، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ٨٧).

*** خبز رسول الله ﷺ:**

جاء فى زهر الخمائل للإمام السيوطى:

١ ـ «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويًا هو وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير».

طاويا: أى خالى البطن جائعا.

الحديث حسن صحيح عن ابن عباس

٢ ـ «أكل رسول الله ﷺ النَّقِى يعنى «الحُوَّارَى». النقى هو الخبز الحُوارى. والحُوارى: هو الذى نخل مرة بعد مرة. والمقصود به الدقيق الأبيض. وكما جاء فى المعجم الوسيط هو «لُباب الدقيق» أخرجه المؤلف فى الزهد. رواه أبو حازم عن سهل بن سعد أنه قيل له: وهو حديث حسن صحيح.

٣ ـ «ما أكل النبى على خوان، ولا فى سُكُرُّجَة ولا خُبِزَ له مُرقّق».

سكُرُّجَه (بضم السين والكاف والراء المشددة) إناء صغير يؤكل فيه الشىء من الأُدم. وهى فارسية، أكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها. ولا خُبِزَ له مرقّق: قال فى النهاية: هو الأرغفة الواسعة الرقيقة

(زهر الخمائل على الشمائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٨٩، ٩٠ وهوامش المحقق).

*** الخبزة (مسجد):**

من المساجد الأولى فى الإسلام، ويقع هذا المسجد فى الطائف عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم أطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزة. ويذكر أن النبى ﷺ جلس تحتها حين أتاه عدّاس بطبق العنب. ويعلق

العجمى على تاريخ المرجانى فيقول «وفيه نظر، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبى ﷺ عمد إلى ظل حبلة من عنب فأتاه عداس بالطبق، لكنه يحتمل أنه جلس فى ظلها ثم تحول إلى السدرة المذكورة.

ويضيف العجمى على ذلك فيقول: وخبر السدرة هذا إن صح دليل على أن البستان الذى عندها هو حائط ابن ربيعة الذى دخله ﷺ. على أن هذه السدرة لم أجد (أى العجمى) من يعلمها، ولعلها السدرة الموجودة بالمثناه عند العين، فقد قيل إنها من عهده ﷺ وأن المسجد الذى عندها هو الذى جلس فيه النبى ﷺ حين أتاه عداس».

ويقع المسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) فى بساتين فى وج عند أقدام (أم خبز) وهو مربع الشكل تقريبا يبلغ طول ضلعه (١٢) مترا. ويحيط بالمسجد من جهتين فقط صحن مكشوف الجهة الشرقية والجنوبيه ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار. ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول ضلعه تسعة أمتار. ويوجد المحراب فى الضلع الشمالى للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجى بمقدار متر تقريبًا.

وهو مسجد جامع إذ يحتوى على منبر على يمين المحراب، كما يحتوى على مئذنة تقع فى الركن الجنوبى الشرقى للجامع على يمين المدخل الرئيسى للجامع. وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهى بطاقية، فهى بذلك تشبه طراز المآذن التى بنيت فى مصر واليمن فى القرن السابع الهجرى، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر الأيوبى أو أوائل العصر المملوكى.

ويقع المدخل الرئيسى للجامع فى الضلع الجنوبى قريبًا من الركن الشرقى للجامع، ويعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص. ويعلو عتبه كتابة محصورة فى (بحر عريض) زالت الآن.

(مساجد فى السيرة النبوية، د. سعاد ماهر الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٧ / ٢١، ٢٢).

*** الخَبْل:**

فى علم العروض والقافية، الخَبْل:

زحاف مزدوج. وهو سقوط الثانى والرابع الساكنين، كسقوط السين والفاء من مستفعلن مُتَعِلُنْ (ب ب ب –) فهو خبن وطىٌّ. وأصل الخَبْل فساد الأعضاء نحو ذهاب اليد والرجل.

فالخبل فى مستفعلن يُشَبَّه بذهاب أحد الأعضاء، فكأنَّ السَّاكن يد السبب، فإذا حذف الساكنان صار الجزء كأنَّه قطعت يداه فبقى مضطربا. ويقع الخبل فى البسيط والرجز والسريع والمنسرح ولا يجوز الخبل فى مستفعلن الواقعة بعد مفعولات فى المنسرح لأن قبله حركة الوتد المفروق فيجتمع خمس حركات على نسق، ولا يجرى الخبل فى المقتضب.

ومن أمثلة الخبل فى البسيط:

وَزَعَمُوا أَنَّهم لَقِيَهُمْ رَجُلٌ
فَأَخَذُوا مَالَهُ وضَرَبُوا عُنُقَه
مُتَعِلُنْ فَاعِلُنْ مُتَعِلُنْ فَعِلُن
مُتَعِلُن فَاعِلُنْ مُتَعِلُنْ فَعِلُن

ومن الرجز:

وَثِقَلٍ مَنَعَ خَيْرَ طَلَب
وَطَلَب مَنَعَ خَيْرَ تُؤَدَه

ويجوز أن ينقل مُتَعِلُنْ إلى «فَعَلَتُنْ». ويسمى الجزء الذى يصيبه هذا الزحاف «مَخْبُولا».

(معجم مصطلحات العروض والقافية ـ د. محمد على الشوابكة و د. أنور سويلم. دار البشير. عمان. الأردن ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م / ٩٨، ٩٩ انظر أيضا التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣١)

*** الخَبْن:**

فى علم العروض والقافية الخَبْن:

خَبَنَ الثَّوبَ إذا رَفَعَهُ إلى صَدره. وهو إسقاط الثَّانى الساكن، وفى العين «المخبون من أجزاء الشعر ما قبض من حروف مشوه مما يجوز فى الزحاف فيلزم قبضه كقولك فى «فاعلن» «فعلن» فى القافية، أو فى النصف فيلزم ذلك القبض، وذلك الشعر مخبون والجزء مخبون» ويجرى الخبن فى كل فاعلن فى المديد إلا فى الواقع ضربا وعروضا

(فى العروض الثانية والضرب الثانى)، وفى كل فاعلاتن فى المديد إلا فى الضرب الأول، كما يجوز خبن فاعلات فى المديد. ويجرى فى البسيط خبن مستفعلن ومستفعلان وفى كل فاعلن ومستفعلن فيه. وفى كل مستفعلن ومستفعل فى الرجز. وكل فاعلاتن وفاعلن وفاعلان وفاعلاتان فى الرمل، وفى كل مستفعلن ومفعولات فى المنسرح، وكل فاعلاتن ومس تفع لن فى الخفيف وكل مستفعلن وفاع لاتن فى المجتث.

(معجم مصطلحات العروض والقافية ـــ د. محمد على الشوابكة، و د. أنور سويلم / ٩٩، ١٠٠).

*** خبيب بن عدى:**

انظر: الرجيع (يوم ـ)

*** الخبير جل جلاله:**

الاسم الثانى والثلاثون من أسماء الله الحسنى. قال فى تفسيره حجة الإسلام الغزالى:

هو الذى لاتعزب عنه الأخبار الباطنة؛ ولا يجرى فى الملك والملكوت شىء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن ـ إلا ويكون عنده خبره.

وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمى خبرة، وسمى صاحبها خبيرا.

[تنبيه]: حظ العبد من ذلك أن يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه.. وعالمه: قلبه، وبدنه. والخفايا التى يتصف القلب بها من: الغش، والخيانة، والتطواف حول العاجلة، وإضمار الشر، وإظهار الخير، والتجميل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس عنه ــ لا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة، قد خبر نفسه ومارسها، وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها، فحاذرها وتشمر لمعاداتها، وأخذ الحذر منها. فذلك من العبيد جدير بأن يسمى خبيرا. (المقصد الأسنى / ٩٣، ٩٤).

وقال الإمام الفخر الرازى:

قال تعالى **﴿وهو اللطيف الخبير﴾** [الملك: ١٤] وقال: **﴿والله بما تعملون خبير﴾** [البقرة: ٢٢٤] وقال **﴿فاسأل به خبيرا﴾** [الفرقان: ٥٩] وله تفسيران.

الأول: هو العالم بكنه الشىء، المطلع على حقيقته، وهو المراد بقوله **﴿فاسأل به خبيرا﴾** يقال: فلان خبير بهذا الأمر وله به خبرة، وهو أخبر به من فلان، أى أعلم، إلا أن الخبير فى صفة المخلوقين إنما يستعمل فى العلم الذى يتوصل إليه بالاختبار والامتحان، والله منزه عنه.

والثانى: ما ذكره الشيخ عبد الملك الطبرى، وهو: أن الخبير بمعنى المخبر، فهو فعيل بمعنى مفعل، وهو كثير فى كلام العرب، كالسميع بمعنى المسمع والبديع بمعنى المبدع، فيكون الخبير هو المخبر، وهو عبارة عن كلامه.

أما حظ العبد منه فهو: أن يكون شديد البحث والفحص عن محاسن الأخلاق ومقابحها، وعن أن ما معه من الصفات والأخلاق من أى القسمين، وأن لا يغتر فى هذا الباب بأنواع تلبيس إبليس.

قول المشايخ فى هذا الاسم: وأما المشايخ فقالوا: من عرف أنه خبير كان بزمام التقوى مشدودا، وعن طريق المنى مصدودا، قال على بن الحسين من أراد عزا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا فقر؛ فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة، قال تعالى: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾** [النحل: ٦١] (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٨، ٢٤٩).

الخبير جل و جلاله معناه: لا تعزب عنه الأخبار ظاهرها وباطنها، لا فى السموات ولا فى الأرض، وهو معكم أينما كنتم لا تخفى عليه خافية.

وقال الله جل جلاله: **﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾** [الرعد: ١٠].

وقال الله تعالى: **﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾** [الأنعام: ٧٣].

وقال الله سبحانه: **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** [الملك: ١٤].

وقال الله سبحانه: **﴿وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنىَ العليم الخبير﴾** [التحريم: ٣].

ومن صفات الخبير أن يكون سميعًا بصيرًا عالمًا بكل شيء.

وإنك إذا تدبرت قول الله تعالى:

﴿والله بما تعملون خبير﴾ [البقرة: ٢٣٤]

﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور: ٣٠]

﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ [النمل: ٨٨]

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ [الشورى: ٢٨]

علمت أن الله خبير بكل شيء لا تخفى عليه منكم خافية.

وحظ العبد من اسم ربه (الخبير جل جلاله): أن يكون خبيرا في عوالم نفسه، في قلبه وفي نفسه فيزدجر عما نهى الله عنه لأنه سوف يسأل عما قال أو فعل.

وقالوا: من ذكره سبعة أيام أتته روحانية من عند (الخبير: جل جلاله) فتخبره بكل خبر يريد. والله أعلم.

وقد ورد اسم الخبير (جل جلاله) في القرآن الكريم ست مرات: في الأنعام مرتين، وفي سبأ مرة، وفي الملك مرتين، وفي التحريم مرة، مقترنا ثلاث مرات باسمه الحكيم، ومرتين باسمه اللطيف، ومرة باسمه العليم. (ولله الأسماء الحسنى ٩٠/ ٩١)

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٩٣، ٩٤، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٤٨، ٢٤٩، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدي محمود على / ٩٠، ٩١)

*** الخبيص:**

الخبيص: الحلواء المخبوصة، والخبيصة أخص منه (اللسان ١٢/ ١٠٩٣) نوع من الحلوى يعمل من دقيق الحنطة مع دهن اللوز والشيرج، وبعد انطباخ الدقيق في الدهن يجعل عليه شيء من السكر أو العسل. قال الإمام ابن الجوزي: أصلح للدماغ من الفالوذج، لكنه يضر الكبد الغليظة. دفع ضرره بالخيار الغض (مختصر لقط المنافع / ٦٧، ٦٨).

وقال الإمام أبو بكر الرازي: أقل لزوجة من الفالوذج، وأجود للمعدة. وإذا كانت خبيصة جيدة نضيجة لم يكن لها كثير وخامة ووقوف في المعدة. ويصلح إسخانها للمحرورين بلقم من الخيار بالخل من بعدها والرمان الحامض (منافع الأغذية / ٢٣٨)

(لسان العرب ١٢/ ١٠٩٣) ومختصر لقط المنافع للإمام أبي الفرج ابن الجوزي - تحقيق أحمد يوسف الدقاق/ ٦٧، ٦٨ وهامش ٣ للمحقق، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي - راجعه وقدم له د. عاصم عيتاني / ٢٣٨).

*** الخبيصي (- نحو ١٠٥٠ هـ / نحو ١٦٤٠ م):**

عبيد الله بن فضل الله، فخر الدين الخبيصي، متكلم منطقي له كتب، منها «التذهيب في شرح التهذيب» في المنطق، و «التجريد الشافي» منطق أيضا، و «شرح منظومة اليافعي في التوحيد» مخطوط بدار الكتب.

(الأعلام للزركلي ٤/ ١٩٦)

قالت المؤلفة: عندي كتاب للخبيصي بعنوان شرح الخبيصي على متن تهذيب المنطق للعلامة الشيخ عبيد الله ابن فضل الخبيصي على تهذيب المنطق والكلام للسعد التفتازاني. ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده. الطبعة الرابعة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦.

*** الختم:**

ختم: الختم والطبع يقال على وجهين مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع والثاني الأثر الحاصل عن النقش ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة: ٧] ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ [الجاثية: ٢٣] وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتبارا بالنقش الحاصل، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره فقوله:

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ وقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم﴾ [الأنعام: ٤٦] إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه وعلى ذلك: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ [النحل: ١٠٨] وعلى هذا النحو استعارة الإغفال في قوله عز وجل ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ [الكهف: ٢٨] واستعارة الكن في قوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ [الأنعام: ٢٥] و [الإسراء: ٤٦] واستعارة القساوة في قوله تعالى: ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ [المائدة: ١٣] قال الجبائي يجعل الله ختما على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم، وليس ذلك بشيء فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها أصحاب التشريح، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال. وقال بعضهم: ختمه شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن، وقوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ [يس: ٦٥] أي نمنعهم من الكلام ﴿وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] لأنه ختم النبوة أي تممها بمجيئه. وقوله عز وجل: ﴿ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٦] قيل ما يختم به أي يطبع، وإنما معناه منقطعه، وخاتمة شربه: أي سؤرر في الطيب مسك، وقول من قال يختم بالمسك أي يطبع فليس بشيء لأن الشراب يجب أن يُطيَّب في نفسه فأما ختمه بالطيب فليس مما يفيده ولا ينفعه طيب خاتمه ما لم يطب في نفسه.

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٤٢، ١٤٣)

* **ختم الأحاديث النبوية:**

يتحدث الشيخ محمد بن الخوجة عن تقليد جليل كان متبعا في تونس.

قالت المؤلفة: أقول «كان» متبعا بالفعل الماضي لأنه ليس لدى من المراجع مايثبت أن هذا التقليد الجليل لا يزال متبعا في زماننا هذا، مع ملاحظة أن ابن الخوجة يذكر في ختام كتابه أنه فرغ من تأليفه سنة ١٣٥٨.

وهذا التقليد الذى يصفه الشيخ محمد بن الخوجة هو ختم الأحاديث النبوية في تونس في شهر رمضان. ويبدأ بمقدمة عن العناية بالأحاديث النبوية ثم ينتقل إلى الكلام على الختم، مما ننقله لك فيما يلي. قال الشيخ محمد بن الخوجة رحمه الله؛ مع ملاحظة تخفيف الهمزة في ألفاظ مثل «الأئمة» إذ يكتبونها في المغرب العربي «الأيمة»:

اعلم أن العناية بالأحاديث النبوية قديمة في الإسلام، لأنها تعلِّم المخلوق كيفية معاملته لخالقه، واعتقاده الحق في ذاته وصفاته تعالى، وكتبه، ورسله، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وسيرهم الحميدة، وقصصهم، كما تعلم مصالح الدنيا، وكيفية معاشرة الخلق على الوجه الحسن، وكيفية تعامل الناس بين بعضهم على الوجه الأجمل، وعلم الحديث تتعلق به علوم، منها، تفسيره، ومنها علم المصطلح، وهو علم يعرف به قوة سنده الذى به وصل إلينا، وتراجم الرجال الناقلين له، كما يعلم به الأحاديث الموضوعة التي تنسب لصاحب الشريعة ولم يقلها ﷺ، وقد برع في هذا العلم كثير من أقطاب الملة، وانتهت صحة الرواية فيه إلى الرواة الستة أصحاب المسانيد المعروفة بكافة بلاد الإسلام، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ (٨٦٩) (يوافق وفاته لفظ «نور» بحساب الجُمَّل)، والإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ (٨٧٤) والإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ (٨٨٦) والإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ (٨٨٨) والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ (٨٩٢) والإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ (٩١٥) فهؤلاء الأيمة اتفق أهل الحديث على صحة كتبهم، كما أجمعوا على أن صحيح الإمام البخاري هو أفضلها على المذهب المختار، وأنه أول كتاب بعد القرآن كلام الله القديم، وأول كتاب صنف في الحديث كتاب ابن جريج، وقيل موطأ مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

واعلم أن أختام الحديث التى تقع بتونس كل عام فى أيام معلومة من شهر رمضان، مستمدة من صحيح الإمام البخارى، إلا ما شذ منها كما سترى خبره. ولما كان الحديث هو الركن الثانى الذى أقيم عليه هيكل الشريعة الإسلامية بعد الركن الأول الذى هو كتاب الله تعالى، وجه إليه العلماء شرقا وغربا كامل عنايتهم تلاوة وفهما وتفهيما، قاصدين بذلك تدعيم أصول الدين، وتوثيق عرى حبله المتين، حتى ينتفع الخاصة بفهم أسراره، ويتيمن العامة ببركة أنواره، وعلى هذه القاعدة درج أيمة السلف، واقتدى بهم علماء الخلف، فكانوا السابقين اللاحقين للكرع من مناهل رياضه، والارتواء من سلسبيل حياضه، وهى سُنة متبعة بكافة الأقطار، بين أهل الأعصار، وكما أنها لم تزل بفضل الله قائمة بهذه الديار، كذلك كان شأنها بغيرها من الأمصار، فقد نقل الشيخ محمد بيرم الثانى حديث ختم للحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية فى التاريخ، قام به فى دمشق الشام سنة ٧٦٥ (١٣٥٥) وعلى هذا المنوال جرى عمل علماء تونس منذ قرون، يشهد بذلك اعتناء أهل البر والمعروف منذ عهود بعيدة بتأسيس الأوقاف الخيرية الجارية أريباعها لهذا الزمان بعنوان رواية الحديث فى كثير من الجوامع والمساجد والمدارس التونسية، وكان لم يزل لأهل تونس عظيم اعتناء بشأن ختم الحديث، فقد نقل المؤرخ ابن أبى دينار: أن لأهل تونس اهتماما عظيما بمجالس الأختام واحتفالا كبيرا بها، حتى إنهم يشتغلون بها عن كل ما سواها. قال: ويغلقون حوانيتهم، وينادى المنادى فيهم ألا إن الختم لجامع البخارى غدا صباحا أو عشية فى موضع كذا، فيفزع الناس، ويتسارعون شيوخا وكهولا، ذكورا وإناثا، وربما دام الختم عندهم من طلوع الشمس إلى قرب الزوال. ا هـ. قلت: ولم تكن رواية الحديث عندهم خاصة بشهر رمضان، بل كان منها ما يبتدئ فى كل عام من شهر رجب، ومنها ما يكون فى سائر أيام العام، بشرط انتهاء الرواية فى يوم معلوم من شهر رمضان، اصطلحوا على تسميته بيوم الختم، وربما كان من شروط الواقفين رواية الصحيح كله فى مدة الحول أو فى الأشهر الثلاثة، رجب، وشعبان، ورمضان، قال المؤرخ حسين خوجة فى كتاب بشائر أهل الإيمان: إن القاضى الشيخ حمودة الريكلى، من فقهاء دولة على باشا، كان يروى الحديث على دور العام بزاوية سيدى معاوية، وقد عرفنا من شيوخ الجيل الماضى من كان قائما بمثل ذلك على الوجه الأتم، كالمرحوم أبى النخبة الشيخ مصطفى البارودى الإمام الأول بجامع باردو، فكان يقوم برواية الصحيح كله فى مسجد الطراز كل عام، إلى أن أدركه أجله فى سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) وكان بعض أهل العلم يتولى رواية الحديث بطريقة دورية فى سائر أيام الجمعات مدى العام كله، ومن هذا القبيل كان صنيع العلامة الشيخ سالم بوحاجب، كبير أهل الشورى المالكية، أثناء مباشرته للإمامة والخطبة والرواية بجامع سبحان الله، وكتب فى ذلك شرحا جامعا لجملة من أبواب صحيح الإمام البخارى، سمعت ذلك من بعض الشيوخ بمناسبة حديث دار فى مجلسه عن الشرح الذى كتبه الشيخ الشنقيطى على الصحيح المشار إليه.

هذا وقد رأيت بكناش لبعض الأفاضل، أن أول ختم للحديث بتونس أسسه أحد سلاطين بنى أبى حفص بجامع أبى محمد خارج باب السويقة، ويظهر من كلام المؤرخين أن رواة الحديث بتونس، كانوا كثيرين فى الدولة المرادية، ولكن الأختام كانت بالرواية المجردة، وشذ منها ما كان دراية. قال فى المؤنس: ولم يكن بالديار التونسية من يوم حل بها العسكر العثمانى من تعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العالم العلم الربانى أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثمانى (يتصل نسبه بالخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه) سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان، وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أَجَلِّ المجالس، وتحضره الأجلاء من أهل العلم، وتدور بينهم المباحث الجميلة فى العلوم الجليلة، ولا يخلو مجلسه من فوائد فى الثلاثة أشهر: رجب، وشعبان، ورمضان، إلى يوم الختم، وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ا هـ.

ثم قال: وتلاه ولده العلم الشهير، والعالم النحرير، الشيخ أبو بكر، فسار بسيرة والده، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام، وشهد له بالدراية علماء الإسلام، فكان فى هذا

الفن نسيج وحده، وحصل له سر أبيه وبركة جده، إلى أن سار إلى رحمة ربه فى سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير اهـ. قلت: وهكذا استرسل الأمر من حصر أختام الحديث فى الرواية المجردة بنية التبرك وحسب فى كامل القرن الثانى عشر، ودام العمل كذلك إلى أواخر دولة المرحوم الباى حمودة باشا الحسينى. ففى سنة ١٢٢٦ (١٨١١) تصدى العلامة قاضى الجماعة لعهده أبو العباس الشيخ أحمد بن الخوجة الأول لإحياء الأختام دراية على معنى الجمع بين فضيلتى الجهة التعبدية، والغاية العلميَّة العملية الكفيلة بسعادة الدارين، فكان ختمه رحمه الله فى باب التهجد من صحيح البخارى مبدأ لنفائس التحقيقات، وبدائع التحريرات، نسج على منواله من بعده علماء الديار التونسية جيلا بعد جيل.

قالت المؤلفة: جاء فى هامش التحقيق التعليق التالى:

كان هذا الختم هو أول أختام الحديث دراية بتونس فى الدولة الحسينية قرضه رئيس علماء زمانه الشيخ محمد بن قاسم المحجوب الملقب بمالك الصغير بأبيات ننقلها هنا عن أحد الكناشات الخوجية إتماما للفائدة ونصها:

لله هذا الذى قد راق وابتهجا ... ومنهج الحق والتحقيق قد نهجا

محكم النسج لا يخشى معارضة ... لأنه بيد الإتقان قد نسجا

نزهت فكرى فى أفنان ما غرست ... يد الذكاء به متنشقا أرجا

لم لا وواضعه فرد الزمان ومن ... يعدله منصب الأحكام قد لهجا

قاضى القضاة وفخر العصر منصبه ... من التقدم معروف لكل حجا

أوضحت فيه أبا العباس مجتهدا ... وجه التهجد حتى قام مبتهجا

لا أغمد الله سيفا أنت مصلته ... من العلوم وفى صدر الحسود شجا

ولا برحت كذا فى كل قابلة ... تقلد الختم من أنظاركم حججا

يقول ابن الخوجة رحمه الله:

وكان لملوك تونس فى الماضى كما فى الحاضر عناية بأختام الحديث، يحضرونها مع وزرائهم، وأهل بلاطهم فى مواكب حافلة لم يزالوا محافظين عليها إلى هذا الزمان، وفى هذا العصر وسع مولانا المؤيد بالله ولى النعم سيدنا أحمد باشا باى الثانى خلد الله ملكه فى برنامج مواكبه المتعلقة بأختام الحديث فى شهر رمضان، حيث قرر حضوره بالذات فى ثمانية من تلك الأختام، زيادة على ختم جامعه بالمرسى. وتلك الأختام الثمانية هى: ختم جامع أبى محمد، وختم جامع حرمل، وختم جامع الحلق، وختم جامع حمودة باشا، وختم جامع صاحب الطابع، وختم جامع يوسف داى، وختم جامع الزيتونة، وختم جامع سبحان الله. وجميع الأختام بوجه عام تنعقد فى تونس هذا الزمان بعد صلاة العصر، وكانت فى القديم تنعقد فى الصباح وفى المساء على حد سواء وبعضها يبلغ مجلسه لدرجة الازدحام كأختام الشيخ أحمد بن الخوجة الثانى، وأختام الشيخ سالم بو حاجب رحمهما الله. قال فى المجلة الزيتونية: وربما وقع اختيار بعض أهل العلم من رجال هذه الدروس، يعنى الأختام، على بعض النوازل الحادثة، فيتناولها بحثا وتحقيقا ويبين ما يراه فيها على قواعد العلم. ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت، ومثال التحقيق وسعة النظر، الشيخ أحمد بن الخوجة، شيخ الإسلام المتوفى فى ذى الحجة ١٣١٣ (١٨٩٥). فقد كان تناول مسألة العمل بخبر البرق (التلغراف) فى الصوم فى مجلس ختمه بجامع محمد باى المرادى سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣) لورود خبر الصوم ببرقية فى هذا الشهر، وجاء فى الموضوع بتحقيق بديع اهـ. ثم قال: وكان العلامة الواسع الاطلاع، الشيخ محمد النجار، المفتى المالكى، المتوفى فى رمضان عام ١٣٣١ (١٩١٢) يتناول فى مجالس أختامه مسائل الوسيلة، والاجتهاد، والكسب، وغيرها، مما صار موضوع أخذ ورد بين الكاتبين منذ أربعين عاما اهـ.

وقد ذكرنا فيما تقدم، أن أغلب الأختام بتونس تقع من الجامع الصحيح للإمام البخاري، وقل أن تكون من صحيح الإمام مسلم. وممن كان يختم منه العلامة أبو الفلاح الشيخ صالح النيفر، كبير أهل الشورى المالكية، وكان العلامة أبو النجاة الشيخ سالم بو حاجب يختم من موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهو أول من كتب على أبوابه في مجالس الأختام. واتفق لبعض الشيوخ الختم من كتاب الشفاء للقاضي عياض. ومن ذلك الأختام التي كان يقوم بها أبو العباس الشيخ أحمد جمال الدين، بجامع المرسى، بحضور أمير عصره المولى علي باي الثالث رحمه الله. هذا ولو تصدى أحد لجمع أختام علماء تونس، لتكوّن لديه عدة مجلدات في مسائل شتى من الكتاب والسنة، صالحة لكل زمان ومكان. وقد كنت سعيت لجمع أختام الحديث الواقعة في سنة ١٣٢٠ وطبعتها فجاءت في سفر جليل استغرق أكثر من ٢٦٠ صفحة في القالب النصفي أهديت منها نسخا لأصحاب هاتيك الأختام ولبعض الذوات الكرام، بنية استنهاض همم أهل العلم للنسج على ذلك المنوال والتمادي على ذلك المشروع ويلوح أنهم اكتفوا اكتفاء القنوع بما هو مطبوع.

هذا وقد جرت العادة بتونس أن صاحب الرواية يقوم في آخر الختم بتلاوة دعاء للمولى الأمير ولعامة المسلمين يقرأه على رؤوس الأشهاد، والحاضرون يؤمنون على دعائه. وهي سنة قديمة درج عليها السلف قبل الخلف. لكن هذه الأدعية كانت في الزمن الماضي خالصة لله تعالى، مجردة عن التلميح لأعراض الدنيا، خالية عن التلويح، لغايات في النفس. ولننقل لك على سبيل الذكرى التي تنفع نموذجا من أدعية بعض من سلف من الشيوخ من أيمة القرن الماضي. فمن ذلك دعاء ختم به الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحي ختمه بجامع الزيتونة ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) بحضور أمير العصر.

وهنا يورد الشيخ ابن الخوجة نص الدعاء المشار إليه، ويعقبة بنص دعاء آخر ختم به جده أبو عبد الله الشيخ محمد ابن الخوجة بجامع محمد باي المرادي في ٢٢ رمضان من سنة ١٢٦٠ المذكورة بحضور الأمير المشير، وكان موضوع الختم قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم. ونص الدعاء بعد مقدمة جامعة في الابتهال والتوجه إليه تعالى بحرمة رسول الله ﷺ. ثم يقول رحمه الله:

هذا ويلتحق بأختام الحديث الشريف بحاضرة تونس ختم جامع باردو دار الإمارة وختم جامع جبل المنار وختم جامع المرسى. فالختمان الأولان سنهما المرحوم المولى حسين بن علي مؤسس جامعيهما. وأما ختم جامع المرسى الذي هو من مآثر الدولة الحفصية فإنه من حسنات المقدس المولى علي باي الثالث، والد سيدنا ومولانا الملك الموجود، متع الله ببقائه الوجود. ولم نقف بالتاريخ على وجود ختم للحديث بجامع حلق الوادي الذي كان دار ملك في القرن الماضي، ينزل بها الأمير في زمن المصيف، والسبب في ذلك والله أعلم، هو أن جامع حلق الوادي بناه المشير أحمد باي في سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢) مع قصر الإمارة القريب منه، وتم بناء هذا القصر في سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) وسكنه الباي أثناء مرضه. إلا أن المنية عاجلته، فختم به أنفاسه في رمضان سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) هذا وقد كان المشير محمد الصادق باي من أكثر الملوك الحسينيين عناية بختم الحديث الشريف. قال في المجلة الزيتونية. كان تعجبه المباحثات العلمية والأخذ والرد فيها. وكان من المسارعين في البحث بها يومئذ من أهل العلم العلامة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد كريم رحمه الله. ولشدة عناية هذا الأمير بحضور مجالس الأختام، كان يجمع أحيانا في المساء الواحد بين الختمين اهـ. قلت إن المشير محمد الصادق باي كان شديد المحافظة على التقاليد والسنن المتبعة في بيت الملك. من ذلك كان يقيم ببيته مجلسا لقراءة دعاء عاشوراء، يقوم بتلاوته الشيخ باش كاتب وزير القلم، واتفق لهذا الوزير في بعض السنين حصول انحراف بمزاجه منعه عن إتمام ذلك، فاستناب الشيخ الوالد للقيام مقامه، فقرأ الدعاء بين يديه بالقصر السعيد بينما كان سموه مكشوف الرأس، باسطا أكف الضراعة لملك الملوك جل جلاله. هكذا سمعت من والدي رحمه الله. وأما المشير محمد باي فلم يؤثر عنه إلا الحضور بختم الجامع الأعظم. وكان ابن عمه المشير الأول أحمد باي لا يتخلف عن أختام معلومة،

منها ختم جامع الزيتونة وختم الشيخ الجد بجامع سيدي محرز وختم الشيخ محمد بن سلامة وختم الشيخ محمد بيرم الرابع بالمدرسة العنقية. وكان والده المولى مصطفى باي يحضر بضعة أختام، منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار وختم المفتي الشيخ محمد بن سلامة وختم جامع الزيتونة، واتقف له حضور ختم المدرسة الباشية، خلافا لجميع من تقدمه من آل بيته، لأنها من مآثر الباشا علي باي الأول خصيم جدهم المقدس المبرور الباي حسين بن علي تركي. واعتمادا على هذه السابقة جاز لابنه المشير أحمد باي زيارة ضريح علي باي المذكور، فيما حكاه عنه الشيخ أحمد بن أبي الضيف في تاريخه.

ومن مشاهير أختام العصر الحسيني في القرن الماضي ختما الفحلين النيرين بهجتي الأوان، اللذين اتفق على فضلهما القلم واللسان، الشيخ محمد بن عاشور والشيخ الطاهر بن عاشور. وكذلك أختام العلامة القدوة الشيخ أحمد ابن حسين القمار، والعلامة الفهامة الشيخ محمد بن حمزة الشاهد، والعلامة الدراكة الشيخ محمد النيفر. وهذه الأختام لم تزل مشهورة في نوادي أهل العلم يرجع إليها أهل التحقيق والفهم.

وفي الأزمنة المتأخرة كان المولى محمد الهادي باي كثير الاهتمام بأختام الحديث، حتى إنه قام بحضور مجالسها كلها في عام ١٣٢٠ (١٩٠٢) وكان ابن عمه المولى محمد الناصر باي يحضر ختم المفتي الشيخ محمد النجار بجامع حرمل وختم شيخ الإسلام الشيخ محمد بن الخوجة بجامع صاحب الطابع، وختم جامع الزيتونة، ثم صار يحضر في ٢٦ رمضان ختم الشيخ أحمد بيرم بجامع يوسف داي مع ختم جامع الزيتونة وتخلف عن الجميع في سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) قبيل وفاته. وكان ابن عمه المولى محمد الحبيب باي يحضر في مبادئ مدته سبعة أختام، ثم اقتصر في آخر مدته على حضور ختم جامع يوسف داي من الجوامع الحنفية وختم جامع الزيتونة من الجوامع المالكية. وأما ولي النعم سيدنا ومولانا أحمد باشا باي الثاني خلد الله ملكه، فقد ذكرنا عنايته بمجالس الحديث فيما تقدم من الكلام وهو مسك الختام.

وإليك الآن برنامج جميع أختام الحديث التي تقام بتونس في هذا الزمان، وهي التي عليها أوقاف جارية للرواية من صنيع أهل الخير. ومنه تفهم أن الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التي لا يقام بها ختم الحديث، ليس عليها أوقاف خاصة لرواية الصحيح، أو كان لها ذلك في الزمن الماضي وتناولها التلاشي والاضمحلال. والأيام التي نذكرها لبيان انعقاد تلك الأختام بعضها موافق لما عينه الواقفون وبعضها تناوله التغيير كما سبقت الإشارة لذلك في الأبواب المتقدمة. وإنما هي في الجملة كلها موافقة لمواعيد الأختام المصطلح عليها في هذا الزمان.

محل الختم	تاريخ انعقاد الختم	تنبيهات
جامع أبي محمد	يوم ٨ من رمضان	يحضره المولى الأمير
جامع حرمل	يوم ١١ منه	يحضره المولى الأمير
جامع الحلق	يوم ١٤ منه	يحضره المولى الأمير
مسجد سيدي بو حديد	مثله	
ضريح سيدي معاوية	مثله	
المدرسة الجديدة	يوم ١٦ منه	
جامع حمودة باشا	يوم ١٧ منه	يحضره المولى الأمير
جامع السبخاء	مثله	
تربة الباي	مثله	
مسجد الطراز	يوم ١٨ منه	
المدرسة المرادية	مثله	
المدرسة المنتصرية	يوم ١٩ منه	
جامع صاحب الطابع	يوم ٢٠ منه	يحضره المولى الأمير
مدرسة بئر الحجار	مثله	
جامع سيدي محرز	يوم ٢٢ منه	
ضريح سيدي منصور	مثله	
المدرسة المرجانية	مثله	
جامع يوسف داي	يوم ٢٣ منه	يحضره المولى الأمير
الجامع الجديد	يوم ٢٣ منه	

جامع باب الجزيرة البرانى	يوم ٢٣ منه	
مدرسة حوانيت عاشور	مثله	
جامع القصر	يوم ٢٤ منه	
مدرسة النخلة	مثله	
المدرسة الباشية	يوم ٢٥ منه	
المدرسة العنقية	مثله	
المدرسة السليمانية	مثله	
جامع الزيتونة	يوم ٢٦ رمضان	يحضر المولى الأمير
جامع باب البحر	يوم ٢٧ منه	
جامع القصبة	مثله	
جامع الهواء	يوم ٢٨ منه	
جامع سبحان الله	يوم ٢٩ منه	يحضر المولى الأمير
زاوية سيدى أحمد بن عروس	مثله	
جامع المرسى	مثله	يحضر المولى الأمير
جامع باردو	مثله	
جامع جبل المنار	مثله	

تلك جملة الأختام التى لا يتخلف انعقادها فى هذا العهد بتونس وأحوازها، لها أوقاف جارية لرواية الحديث بالجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التى ينتظم بها سلك تلك الأختام، وواسطة عقدها كعبة العلم جامع الزيتونة عمَّره الله بدوام ذكره.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم وفى الجديد لمحمد بن الخوجة - تحقيق وتقديم الجيلانى بن الحاج يحيى وحمادى الساحلى / ٣٣٧-٣٤٩).

*** ختم الأنبياء:**

ختم الأنبياء : للشيخ أبى عبد الله محمد بن على المعروف بالحكيم الترمذى المتوفى سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين وهو مختصر أوله الحمد لله رب العالمين إلخ.

(كشف الظنون١ / ٧٠٠)

*** ختم الأولياء:**

كتاب ختم الأولياء : للشيخ أبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى المتوفى سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين.

(كشف الظنون ٢/ ١٤١٥).

*** ختم القرآن:**

عن ختم القرآن يقول الإمام النووى :

كان السلف رضى الله عنهم لهم عادات مختلفة فى قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبى داود عن بعض السلف رضى الله عنهم أنهم كانوا يختمون فى كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم فى كل شهر ختمة، وعن بعضهم فى كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم فى كل ثمان ليال، وعن الأكثرين فى كل سبع ليال، وعن بعضهم فى كل ست، وعن بعضهم فى كل خمس، وعن بعضهم فى كل أربع، وعن كثيرين فى كل ثلاث، وعن بعضهم فى كل ليلتين، وختم بعضهم فى كل يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم فى كل يوم وليلة ختمتين، ومنهم من كان يختم ثلاثا، وختم بعضهم ثمان ختمات أربعا بالليل وأربعا بالنهار، فمن الذين كانوا يختمون ختمة فى الليل واليوم عثمان بن عفان رضى الله عنه وتميم الدارى وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعى وآخرون، ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم بن عمر رضى الله عنه قاضى مصر فى خلافة معاوية رضى الله عنه. وروى أبو بكر بن أبى داود أنه كان يختم فى الليل أربع ختمات. وروى أبو عمر الكندى فى كتابه فى قضاة مصر أنه كان يختم فى الليلة أربع ختمات. قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه : سمعت الشيخ أبا عثمان المغربى يقول : كان ابن الكاتب رضى الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات، وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة. وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زاذان من عباد التابعين رضى الله عنه أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء فى رمضان ختمتين، وكانوا يؤخرون العشاء فى رمضان الى أن يمضى ربع الليل. وروى أبو داود وبإسناده الصحيح أن مجاهدا كان

يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء. وعن منصور قال: كان على الأزدى يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان. وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبى يحتبى فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

وأما الذى يختم فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم، فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير رضى الله عنهم ختمة فى كل ركعة فى الكعبة.

وأما الذين ختموا فى الأسبوع مرة فكثيرون نقل عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبى بن كعب رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم رحمهم الله، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرُصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم فى يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث» رواه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم. قال الترمذى حديث حسن صحيح والله أعلم.

وأما وقت الإبتداء والختم لمن يختم فى الأسبوع، فقد روى أبو داود أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس. وقال الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى الإحياء: الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهار، ويجعل ختمة النهار يوم الإثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره. وروى ابن أبى داود عن عمر بن مرة التابعى: قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل أو من أول النهار، وعن طلحة بن مصرف التابعى الجليل قال: من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح. وعن مجاهد مثله. وروى الدارمى فى مسنده بإسناده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: «إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يُصبح، وإذا وافق ختمه آخر الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يمسى». قال الدارمى: هذا حسن من سعد، وعن حبيب بن أبى ثابت التابعى: أنه كان يختم قبل الركوع. قال ابن أبى داود: وكذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

ثم يعقد الإمام النووى فصلا فى آداب الختم وما يتعلق به جاء فيه ما يلى:

فيه مسائل: الأولى فى وقته: قد تقدم أن الختم للقارئ وحده يستحب أن يكون فى ركعتى سنة الفجر وركعتى سنة المغرب، وفى ركعتى الفجر أفضل، وأنه يستحب أن يختم ختمة فى أول النهار فى دور، ويختم ختمة أخرى فى آخر النهار فى دور آخر، وأما من يختم فى غير الصلاة والجماعة الذين يختمون مجتمعين، فيستحب أن تكون ختمتهم أول النهار أو فى أول الليل، وأول النهار أفضل عند بعض العلماء.

المسألة الثانية: يستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه، وقد روى ابن أبى داود بإسناده الصحيح: أن طلحة بن مطرف وحبيب بن أبى ثابت والمسيب ابن رافع التابعيين الكوفيين رضى الله عنهم أجمعين كانوا يصبحون فى اليوم الذى يختمون فيه القرآن صياما.

المسألة الثالثة: يستحب حضور مجلس ختم القرآن استحبابا متأكدا، فقد ثبت فى الصحيحين «أن رسول الله ﷺ أمر الحيَّض بالخروج يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين» وروى الدارمى وابن أبى داود بإسنادهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ القرآن. فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك، وروى ابن أبى داود بإسنادين صحيحين عن قتادة التابعى الجليل صاحب أنس رضى الله عنه. قال: كان أنس بن مالك رضى الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا، وروى بأسانيده

الصحيحة عن الحكم بن عيينة التابعي الجليل. قال: أرسل إلى مجاهد وعتبة بن لبابة فقالا إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن. وفي بعض الروايات الصحيحة وأنه كان يقال: إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن. وروى بإسناده الصحيح عن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون تنزل الرحمة.

المسألة الرابعة: الدعاء مستحب عقب الختم استحبابا متأكدا لما ذكرناه في المسألة التي قبلها. وروى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك، وينبغي أن يلح في الدعاء، وأن يدعو بالأمور المهمة، وأن يكثر في ذلك في صلاح المسلمين وصلاح سلطانهم وسائر ولاة أمورهم، وقد روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري بإسناده أن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن كان أكثر دعائة للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات، وقد قال نحو ذلك غيره فيختار الداعي الدعوات الجامعة كقوله: اللهم أصلح قلوبنا، وأزل عيوبنا وتولنا بالحسنى، وزينا بالتقوى، واجمع لنا خير الآخرة والأولى، وارزقنا طاعتك ما أبقينا. اللهم يسرنا لليسرى، وجنبنا العسرى؛ وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأعذنا من عذاب النار وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال اللهم انا نسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى، اللهم انا نستودعك أدياننا وأبداننا وخواتيم أعمالنا وأنفسنا وأهلينا وأحبابنا وسائر المسلمين وجميع ما أنعمت علينا وعليهم من أمور الآخرة والدنيا. اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، واجمع بيننا وبين أحبابنا في دار كرامتك بفضلك ورحمتك. اللهم أصلح ولاة المسلمين، ووفقهم للعدل في رعاياهم والإحسان إليهم والشفقة عليهم والرفق بهم والاعتناء بمصالحهم، وحببهم إلى الرعية، وحبب الرعية اليهم، ووفقهم لصراطك المستقيم، والعمل بوظائف دينك القويم، اللهم الطف بعبدك سلطاننا، ووفقه لمصالح الدنيا والآخرة، وحببه إلى رعيته، وحبب الرعية إليه، ويقول باقي الدعوات المذكورة في جملة الولاة ويزيد، اللهم ارحم نفسه وبلاده، وصن أتباعه وأجناده، وانصره على أعداء الدين وسائر المخالفين، ووفقه لإزلة المنكرات وإظهار المحاسن وأنواع الخيرات، وزد الإسلام، بسببه ظهورا، وأعزه ورعيته إعزازا باهرا، اللهم أصلح أحوال المسلمين وأرخص أسعارهم، وأمنهم في أوطانهم، واقض ديونهم، وعاف مرضاهم، وانصر جيوشهم، وسلم غيابهم، وفك أسراهم، واشف صدورهم، وأذهب غيظ قلوبهم، وألِّف بينهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة رسولك ﷺ، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم، إله الحق، واجعلنا منهم. اللهم اجعلهم آمرين بالمعروف فاعلين به، ناهين عن المنكر مجتنبين له، محافظين على حدودك، قائمين على طاعتك متناصفين متناصحيين. اللهم صنهم في أقوالهم وأفعالهم، وبارك لهم في جميع أحوالهم، ويفتح دعاءه ويختمه بقوله: الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

المسألة الخامسة: يستحب إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختمة فقد استحبه السلف، واحتجوا فيه بحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «خير الأعمال الحل والرحلة. قيل وما هما؟. قال: افتتاح القرآن وختمه» (التبيان/ ٣٨-٤٢، ١١٣-١١٨)

قالت المؤلفة: لخص الإمام السياطي في الإتقان هذا الذي أوردناه للإمام النووي، وتجد هذا الملخص في مادة «آداب تلاوة القرآن الكريم» في م ١/ ٢٣٥، ٢٤٤.

وعن التكبير عند ختم القرآن في قراءة ابن كثير يقول الإمام الداني صاحب التيسير:

اعلم أيدك الله أن البزي روى عن ابن كثير بإسناده أنه كان يكبر من آخر والضحى مع فراغه من كل سورة إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ويصل التكبير بآخر السورة وإن شاء القارئ قطع عليه وابتدأ بالتسمية موصولة بأول السورة التي بعدها وإن

شاء وصل التكبير بالتسمية ووصل التمسية بأول السورة. ولا يجوز القطع على التسمية إذا وصلت بالتكبير. وقد كان بعض أهل الأداء يقطع على أواخر السور ثم يبتدئ بالتكبير موصولا بالتسمية، وكذلك روى النقاش عن أبي ربيعة عن البزى، وبذلك قرأت على الفارسي عنه، والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة على ما ابتدءنا به لأن فيها «مع» وهي تدل على الصحبة والاجتماع، فإذا كبر في آخر سورة الناس قرأ فاتحة الكتاب وخمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفيين إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بدعاء الختمة وهذا يسمى الحال المرتحل وفي جميع ماقدمناه أحاديث مشهورة يرويها العلماء يؤيد بعضها بعضا تدل على صحة ما فعله ابن كثير ولها موضع غير هذا قد ذكرناها فيه.

واختلف أهل الأداء في لفظ التكبير فكان بعضهم يقول «الله أكبر» لا غير، ودليلهم على صحة ذلك جميع الأحاديث الواردة بذلك من غير زيادة كما حدثنا أبو الفتح شيخنا قال حدثنا أبو الحسن المقرى قال حدثنا أحمد بن سلم قال حدثنا الحسن بن مخلد قال حدثنا البزى قال قرأت على عكرمة بن سليمان قال قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وأخبرني ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد انه قرأ على عبد الله بن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبي أنه قرأ على رسول ﷺ فأمره بذلك. وكان آخرون يقولون «لا إله إلا الله والله أكبر» فيهللون قبل التكبير واستدلوا على صحة ذلك بما حدثناه فارس بن أحمد المقرى قال حدثنا عبد الباقي بن الحسن قال حدثنا أحمد بن سلم الخُتَّلي وأحمد بن صالح قالا حدثنا الحسن بن الحباب قال سألت البزى عن التكبير كيف هو فقال لي: «لا إله إلا الله والله أكبر» قال أبو عمرو وابن الحباب هذا من الإتقان والضبط وصدق اللهجة بمكان لا يجهله أحد من علماء هذه الصنعة وبهذا قرأت على أبي الفتح وقرأت على غيره بما تقدم.

فصل: واعلم أن القارئ إذا وصل إلى التكبير بآخر السورة فإن كان آخرها ساكنا كسره للساكنين نحو [الضحى: ١١] ﴿فحدث﴾ الله أكبر، [والشرح: ٨] ﴿فارغب﴾ الله أكبر، وإن كان منونا كسره أيضا كذلك وسواء كان الحرف المنون مفتوحا أو مضموما أو مكسورا نحو كما في [النصر: ٣] ﴿توابا﴾ الله أكبر، و [العاديات: ١١] ﴿الخبير﴾ الله أكبر، و [المسد: ٥] ﴿من مسد﴾ الله أكبر، وشبهه، وإن كان آخر السورة مفتوحا فتحه، وإن كان مكسورا كسره، وإن كان مضموما ضمه نحو قوله في [الفلق: ٥] ﴿إذا حسدَ﴾ الله أكبر وفي [الناس: ٦] ﴿الناس﴾ الله أكبر، وفي [الكوثر: ٣] ﴿الأبترُ﴾ الله أكبر، وشبهه، وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو [البينة: ٨] ﴿ربه﴾ الله أكبر، و [الزلزلة: ٨] ﴿شرا يره﴾ الله أكبر. وأسقطت ألف الوصل التي في أول اسم الله عز وجل في جميع ذلك استغناء عنها فاعلم ذلك موفقا لطريق الحق ومنهاج الصواب وبالله التوفيق. اهـ (التيسير / ٢٢٦ـ٢٢٨).

وقد ذكر الإمام الشاطبي التكبير عن ختم القرآن فقال في منظومته الشهيرة الموسومة بحرز الأماني (الشاطبية)، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص:

١١٢١ ـ *روى القلب ذكر الله فاستسق مقبلا*
ولا تعد روض الذاكرين فتمحلا

١١٢٢ ـ *وآثر عن الآثار مثراة عذبه*
وما مثله للعبد حصنا وموئلا

١١٢٣ ـ *ولا عمل أنجى له من عذابه*
غداة الجزا من ذكره متقبلا

١١٢٤ ـ *ومن شغل القرءان عنه لسانه*
ينل خير أجر الذاكرين مكملا

١١٢٥ ـ *وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه*
مع الختم حلاً وارتحالا موصَّلا

١١٢٦ ـ *وفيه عن المكين تكبيرهم مع الـ*
خواتيم قرب الختم يروى مسلسلا

١١٢٧ ـ *إذا كبروا في آخر الناس أردفوا*
مع الحمد حتى المفلحون توسُّلا

١١٢٨ ـ وقال به البزى من آخر الضحى
وبعض له من آخر الليل وصلا

١١٢٩ ـ فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو
صل الكل دون القطع معه مبسملا

١١٣٠ ـ وما قبله من ساكن أو منون
فللساكنين اكسره فى الوصل مرسلا

١١٣١ ـ وأدرج على إعرابه ما سواهما
ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا

١١٣٢ ـ وقل لفظه الله أكبر وقبله
لأحمد زاد ابن الحباب فهيللا

١١٣٣ ـ وقيل بهذا عن أبى الفتح فارس
وعن قنبل بعض بتكبيره تلا

(متن حرز الأمانى / ١٩٥ـ١٩٧)

ونوافيك بشرح الإمام أبى شامة صاحب «إبراز المعانى» لهذه الأبيات، وهو شرح ملئ بالفوائد اللغوية والحديثية إذ يسوق الشارح الحديث النبوى تلو الحديث لتوضيح ما يقول، مما جعلنا نؤثره على غيره من الشروح. انظر هذه الشروح فى مادة «حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع» فى م ١٣ / ٣٦٠ـ٣٦٢

قال الإمام أبو شامة فى باب التكبير:

إنما أخر ذكر هذا الباب لأن حكمه متعلق بالسور الأخيرة، ومن المصنفين من لم يذكره أصلا كابن مجاهد وقدم النظم قبل بيان حكمه عند القراء أبياتا فى فضل الذكر مطلقا من تكبير وغيره فقال:

روى القلب ذكر الله فاستسق مقبلا
ولا تعد روض الذاكرين فتمحلا

هذا البيت مقفى مثل أول القصيدة وأول سورة الرعد والأنبياء وغيرها وهو حسن كما نبهنا عليه فى شرح الذى فى أول الرعد، وروى القلب ريه يقال روى الماء يروى على وزن رضى يرضى ويقال فى مصدره أيضا رَيا وريا بفتح الراء وكسرها نص عليه الجوهرى ولما جعل ذكر الله تعالى ريا للقلب أمر بالازدياد من الرى فاتبع ذلك اللفظ المجاز ما يناسبه فقال فاستسق أى اطلب السقى مقبلا على ذلك أى أكثر من الذكر والتمس محله ومواضعه ولا تعد أى ولا تتجاوز رياضه والروض جمع روضة فتمحلا أى فتصادف محلا فلا يحصل رى ولا شرب وأشار بذلك وما يأتى بعده إلى أحاديث كثيرة جاءت عن النبى ﷺ فى فضل ذكر الله تعالى والحث عليه، وهى مفرقة فى الصحيحين وغيرهما.

وقد جمع جعفر الغريانى الحافظ فيه مصنفا حسنا، وما أحسن ماقال بلال بن سعيد وهو من تابعى أهل الشام: «الذكر ذكران: ذكر الله باللسان حسن جميل، وذكر الله عندما أحل وحرم أفضل، وكيف لا يكون ذكر الله تعالى روى للقلب، وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله تعالى «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه» أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه كان يقول:

«إن لكل شىء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله تعالى» أخرجه الحافظ البيهقى فى كتاب الدعوات، وأما تعبيره عن مجالس الذكر بالروض فلما جاء فى حديث جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:

«يا أيها الناس إن لله تعالى سرايا من الملائكة تقف وتحل على مجالس الذكر فارتعوا فى رياض الجنة، قلنا أين رياض الجنة يارسول الله؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا فى ذكر الله، واذكروه بأنفسكم. من كان يحب أن يعلم كيف منزلته من الله عز وجل فلينتظر منزلة الله عنده، فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد حيث أنزله من نفسه» أخرجه البيهقى فى كتاب الدعوات وشعب الإيمان.

وأخرجه الغريانى وأخرج أيضا فى معناه أحاديث كثيرة منها عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر من ذكر الله عز وجل».

١١٢٢ ـ وآثر عن الآثار مثراة عذبه
وما مثله للعبد حصنا وموئلا

آثر من الإيثار أى قدم مثراة عذب الذكر على كل شيء والمثراة قولهم هذا مثراة للمال أى مكثرة له أى قدم مكتسب عذبه ومكثرته ولمثراة أيضا مصدر ثرى المكان يثرى ثرى ومثراة إذا كثر نداه فبلله أى قدم ندى عذبه على كل شيء وذلك مما يستعار للوصلة والذكر وصلة بين العبد وبين ربه عز وجل ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «بلوا أرحامكم ولو بالسلام» أى صلوها، وتقول العرب بينى وبين فلان مثرى أى وصلة لم تنقطع، وهو مثل كأنه قال لم ييبس ما بينى وبينه ومنه قول جرير:

فلا توبسوا بينى وبينكم الثرى
فإن الذى بينى وبينكم مثرى

وقوله عن الآثار أى آخذا بذلك الإيثار عن الآثار والأخبار الواردة عن النبى عليه الصلاة والسلام أى مستمدا أدلة الإيثار من الآثار نحو ما فى صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ:

قال: «ماجلس قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فى من عنده» وفى جامع الترمذى عن عبد الله بن بشر أن رجلا قال يا رسول الله:

«إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبث به قال: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى» قال هذا حديث حسن غريب، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ.

«إن لله ملائكة سيارة فضلاء يلتمسون مجالس الذكر، فإذا أتوا على قوم يذكرون الله تعالى جلسوا فأظلوهم بأجنحتهم ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا قاموا عرجوا إلى ربهم فيقول تبارك وتعالى وهو أعلم: من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويحمدونك ويهللونك ويكبرونك ويستجيرونك من عذابك ويسألونك جنتك فيقول الله تعالى، وهل رأوا جنتى ونارى فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوهما فقد أجرتهم مما استجاروا وأعطيتهم ما سألوا فيقال إن فيهم رجلا مر بهم فقعد معهم فيقول وله فقد غفرت إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وعن الحارث الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن: أن لا يشركوا بالله شيئا، وإذا قمتم إلى الصلاة، فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام والصدقة وضرب لكل واحدة مثلا، ثم قال: وأمركم بذكر الله تعالى كثيرا، ومثل ذلك كمثل رجل طلب العدو سراعا من أثره حتى أتى حصنا حصينا، فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل».

وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها من درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم: قالوا وما ذاك يارسول الله قال: ذكر الله عز وجل» أخرجه البيهقى فى كتاب الدعوات، ففى ذلك تفسير قوله وما مثله للعبد حصنا وموئلا. أى وما للعبد مثل الذكر نافعا له هذه المنفعة المشار إليها فى الحديث، ونصب حصنا وموئلا على التمييز أى ما للعبد حصن وموئل مثل الذكر ويجوز نصبهما على الحال أى مشبها حصنا وموئلا هنا اسم مكان موضعا يؤول إليه، أى يرجع ويأوى فيه، وكل ذلك استعارات حسنة، وقد سبق فى أول القصيدة تفسير الموئل بالمرجع، وهو بهذا المعنى فكل ماتستند إليه فهو موئل لك ولا يجوز نصب حصنا على أنه خبر ما النافية على لغة أهل الحجاز لاختلاف المعنى حينئذ لأنه كان يفيد ضد المقصود من هذا الكلام.

ولا عمل أنجى له من عذابه
غداة الجزا من ذكره متقبلا

أى للعبد والهاء فى عذابه وذكره لله تعالى وغداة الجزاء يعنى يوم القيامة ـ لأن النجاة المعتبرة هى المطلوبة ذلك اليوم فنصب غداة على الظرف وقصر الجزاء ضرورة ومتقبلا حال من الذكر فإنه إن لم يكن متقبلا لم يفد الذكر شيئا وضمن هذا البيت حديثا روى مرفوعا وموقوفا.

أما المرفوع فعن ابن عمر فى الحديث الذى سبق فى أوله :

«صقالة القلوب ذكر الله تعالى» قال بعد ذلك «وما شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله تعالى، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع» وأما الموقوف ففى آخر الحديث الذى سبق أوله « ألا أنبئكم بخير أعمالكم» .

قال :

وقال معاذ بن جبل «ما عمل آدمى من عمل أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى» أخرجهما البيهقى من كتاب الشعب والدعوات الكبير وأخرجه الفريابى فى كتابه عن معاذ، وزاد، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل قال: لا ولو ضرب بسيفه، زاد فى رواية «حتى ينقطع» ثلاثا قال الله تعالى - ولذكر الله أكبر - والله أعلم :

١١٢٤ ـ ومن شغل القرآن عنه لسانه

ينل خير أجر الذاكرين مكملا

جعل الشيخ رحمه الله تفسير هذا البيت الحديث الذى أخرجه الترمذى عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ يقول الرب عز وجل :

«من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» قال هذا حديث حسن غريب وقد ذكر طريق هذا الحديث وتكلم عليه الحافظ المقرئ أبو العلا الهمذانى فى أول كتابه فى الوقف والابتداء، وقال «من شغله قراءة القرآن» وفى آخره أفضل ثواب السائلين وفى رواية «من شغله القرآن فى أن يتعلمه أو يعلمه عن دعائى ومسألتى» وذكره أبو بكر بن الأنبارى فى أول كتاب الوقف أيضا وأخرجه البيهقى أيضا وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» .

قال البيهقى وكذا رواه البخارى فى التاريخ :

قلت: فبان من مجموع هذه الروايات أن الاشتغال بالذكر يقوم مقام الدعاء وأن قراءة القرآن من جملة الاشتغال بالذكر، بل هو أفضل وإليه أشار الناظم بقوله خير أجر الذاكرين ومكملا حال إما من خير وإما من أجر، وقد نص الإمام الشافعى رضى الله عنه على ذلك فقال أستحب أن يقرأ القرآن يعنى فى الطواف لأنه موضع ذكر، والقرآن من أعظم الذكر والهاء فى قوله عنه يجوز أن تعود على الذكر يعنى ومع ما ذكرنا من فضيلة الذكر فمن اشتغل عنه بالقرآن فهو أفضل ويجوز أن تعود على من، أى من كف لسانه عنه أى أذاه لأن أكثر كلام الإنسان عليه لا له فإذا اشتغل بالقرآن أو الذكر انكف عما يتوقع منه الضرر فصح معنى عنه بهذا التفسير.

وفى الحديث عن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت قال رسول ﷺ :

«كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكر الله، وفى الكتاب المذكور للحافظ أبى العلا عن أبى هريرة مرفوعا «أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن» وفيه عن أنس مرفوعا «أفضل العبادة قراءة القرآن وتلاوة القرآن أحب إلى» قال أبو يحيى الحمامى سألت سفيان الثورى عن الرجل يقرأ القرآن أحب إليك أم يغزو قال يقرأ فإن النبى ﷺ قال :

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

قلت هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وقد جمع الحافظ أبو العلا طرقه فى أول كتاب الوقف المذكور قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبى يقول: رأيت رب العزة فى المنام فقلت يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال كلامى يا أحمد فقلت يا رب بفهم أو بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم .

قلت فكل هذا مما يوضح لنا أن تلاوة القرآن من أعظم الذكر كما قال الشافعى رضى الله عنه لأنه يجمع الذكر باللسان وملاحظة القلب أنه يتلو كلام الله عز وجل ويؤجر عليه بكل حرف عشر حسنات على ما ثبت فى أحاديث أخر .

١١٢٥ ـ وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه

مع الختم حلا وارتحالا موصلا

أى افتتاح القرآن مع ختمه أى حالة ختمه للقرآن يشرع فى

أوله فقوله موصلا حال من الضمير في افتتاحه العائد على القرآن أي في حال وصل أوله بآخره وقوله حلا وارتحالا من باب المصدر المؤكد لنفسه لأن الحل والارتحال المراد بهما افتتاحه مع الختم فهو نحو له على ألف درهم عرفا وأشار بذلك إلى حديث روى من وجوه عن صالح عن قتادة عن زرارة ابن أبي أوفى عن ابن عباس قال: «قال رجل يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل قال الحال المرتحل» أخرجه أبو عيسى الترمذى في أبواب القراءة في أواخر كتابه. فقال: حدثنا نصر بن على الجهضمى قال حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنى صالح المرى فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صالح المرى عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن ابن عباس قال: وهذا عندى أصح، يعنى أنه من حديث زرارة، وليس له صحة إلا من حديث ابن عباس وكيف ما كان الأمر فمدار الحديث على صالح المرى، وهو وإن كان عبدا صالحا فهو ضعيف عند أهل الحديث، قال البخارى في تاريخه: هو منكر الحديث وقال النسائى: صالح المرى متروك الحديث.

ثم على تقدير صحته فقد اختلف في تفسيره فقيل المراد به ما ذكره القراء على ما يأتى بيانه، وقيل بل هو إشارة إلى تتابع الغزو وترك الإعراض عنه، فلا يزال في حل وارتحال وهذا ظاهر اللفظ إذ هو حقيقة في ذلك وعلى ما أوله به القراء يكون مجازا وقد رووا التفسير فيه مدرجا في الحديث ولعله من بعض رواته.

قال أبو محمد بن قتيبة في آخر غريب الحديث، له في ترجمة أحاديث لا تعرف أصحابها: جاء في الحديث «أي الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل؟ قيل ما الحال المرتحل: قال الخاتم والمفتتح».

قال ابن قتيبة: الحال هو الخاتم للقرآن، شبه برجل سافر فسار حتى إذا بلغ المنزل حل به، كذلك تالي القرآن يتلوه حتى إذا بلغ آخره وقف عنده، والمرتحل المفتتح للقرآن شبه برجل أراد سفرا فافتتحه بالمسير، قال: وقد يكون الخاتم المفتتح أيضا في الجهاد، وهو أن يغزو ويعقب، وكذلك الحال المرتحل يريد أنه يصل ذلك بهذا.

قلت: هذا هو الظاهر من تفسير هذا اللفظ لوجهين:

أحدهما حمل اللفظ على حقيقته، فيكون التفسير الأول الذي ذكره ابن قتيبة في الحديث من كلام بعض الرواة، وهو مفصول من الحديث، ولهذا لم يكن في كتاب الترمذى إلا قوله الحال المرتحل من غير تفسير، وكان السائل عن التفسير بعض الرواة لبعض، فأجابه المسئول بما وقع له وتقدير الحديث عمل الحال المرتحل، وحذف المضاف لدلالة السؤال عليه.

الوجه الثاني أن المحفوظ في الأحاديث الصحيحة غير ذلك، فإنه سئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: إيمان بالله، ثم جهاد في سبيله، ثم حج مبرور».

وفي حديث آخر «الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله».

وقال لأبي أمامة: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفي حديث آخر: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة».

وإذا فسر الحال المرتحل بمتابعة الغزو وافق قوله ثم جهاد في سبيله، أي أنه من أفضل الأعمال كنظائر لذلك يعبر عن الشيء لأنه الأفضل، أي هو من جملة الأفضل، أي المجموع في الطبقة العليا التي لا طبقة أعلى منها، وهذا المعنى قد قررناه في مواضع من كتبنا.

١١٢٦ ـــ *وفيه عن المكين تكبيرهم مع الـ*
ـخواتم قرب الختم يروى مسلسلا

أي وفي القرآن أو في ذلك العمل الذي عبر عنه بالحل والارتحال، وهو وصل آخر كل ختمة بأول أخرى على ما سيأتي بيانه في عرف القراء، وقوله «عن المكين» جمع مك كما قال في مواضع كثيرة ومك ومراد مكي بياء النسب، ولكنه حذفها ضرورة عند العلم بها تخفيفا، وقد قرأ في الشواذ ـ هو الذي بعث في الأمين ـ كأنه جمع أم، قال الزمخشري في تفسيره: وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب قلت ومثل قول عقبة الأسدي:

* *وأنت امرؤ في الأشعرين مقاتل*

وقول لقيط الإيادي:

* *زيد الفنا حين لا في الحارثين معا*

كأنهما جمع أشعر وحارث، وإنما هما جمع أشعري وحارثي:

وقد ذكرت هذين البيتين في ترجمة عامر بن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري وترجمة المهلب بن أبي صفرة في مختصري لتاريخ دمشق؛ وقوله: تكبيرهم أي تكبير المكيين أي وفي القرآن تكبير المكيين مع الخواتم جمع خاتمة، يعني خواتم السور إذا قرب ختم القرآن في قراءة للقارىء، على ماسيبين في موضعه، قال مكي في التبصرة: والتكبير سنة كانت بمكة ولا يعتبر في التكبير قراء مكة ابن كثير ولا غيره، كانوا لا يتركون التكبير في كل القراءات من خاتمة والضحى قال: ولكن عادة القراء الأخذ بالتكبير لابن كثير في رواية البزي خاصة؛ ومن المصنفين من حكى التكبير لجميع القراء في جميع سورة القرآن، ذكره أبو القاسم الهذلي في كتابه «الكامل» وذكره أيضا الحافظ أبو العلاء، وقوله يروى مسلسلا أي يروى التكبير رواية مسلسلة على ماهو المسلسل في اصطلاح المحدثين: أنبأنا القاضي أبو القاسم الأنصاري أنبأنا عبد الله الفراوي أنبأنا أبو بكر البيهقي سماعا وإجازة أنبأنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو يحيى محمد بن عبد الله ابن محمدبن عبد الله بن يزيد المقرىء الإمام بمكة في المسجد الحرام أنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ أنبأنا أحمد بن القاسم عن أبي بزة قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال لي: كبر عند خاتمة كل سورة، وإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحى قال: كبر حتى تختم، وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد وأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك، قال الحاكم في كتابه «المستدرك على الصحيحين» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت وأنبأنا به أعلى من هذا: أبو اليمن الكندي أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله سبط أبي منصور الخياط أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله ابن النقور أنبأنا أبو طاهر المخلص أنبأنا يحيى بن محمد بن صاعد أنبأنا البزي فذكره.

قال الحافظ أبو العلاء الهمداني: لم يرفع التكبير أحد من القراء إلا البزي، فإن الروايات قد تطارقت عنه برفعه إلى النبي ﷺ، ومدار الجميع على رواية البزي كما ذكرناه، ثم أسند عن البزي قال: دخلت على الشافعي رضي الله عنه إبراهيم بن محمد، وكنت قد وقفت عن هذا الحديث يعني حديث التكبير، فقال له بعض من عنده إن أبا الحسن لا يحدثنا بهذا الحديث، فقال لي يا أبا الحسن: والله لئن تركته لتركت سُنة نبيك قال: وجاءني رجل من أهل بغداد ومعه رجل عباسي، وسألني عن هذا الحديث فأبيت أن أحدثه إياه، فقال: والله لقد سمعناه من أحمد بن حنبل عن أبي بكر الأعين عنك، فلو كان منكرا ما رواه، وكان يجتنب المنكرات، ثم أسند الحافظ أبو العلاء الروايات الموقوفة فأسند عن حنظلة بن أبي سفيان قال: قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي فلما بلغت والضحى قال لي: هيها.

قلت: وما تريد بهيها؟ قال: كبر فإن رأيت مشايخنا ممن قرأ على ابن عباس، فأمرهم ابن عباس أن يكبروا إذا بلغوا والضحى، وأسند عن إبراهيم بن يحيى بن أبي حية التميمي قال: قرأت على حميد الأعرج، فلم بلغت والضحى قال لي: كبر إذا ختمت كل سورة، حتى تختم، فإني قرأت على مجاهد فأمرني بذلك، وقال: قرأت على ابن عباس رضي الله عنه، فأمرني بذلك. وفي رواية أنبأنا حميد الأعرج قال: قرأت على مجاهد القرآن فلما بلغت - ألم نشرح لك صدرك - قال لي: كبر إذا فرغت من السورة، فلم أزل أكبر حتى ختمت القرآن، ثم قال مجاهد: قرأت على ابن عباس فلما بلغت هذا الموضع أمرني بالتكبير، فلم أزل أكبر حتى ختمت، وقال أيضا: حدثني حميد الأعرج عن مجاهد قال ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة فكلها يأمرني فيها أن أكبر من سورة ألم نشرح ثم أسند الحافظ أبو العلا عن شبل بن عباد قال

رأيت محمد بن عبد الله بن محيصن وعبد الله بن كثير الداري إذا بلغا ألم نشرح كبرا حتى يختما ويقولان رأينا مجاهدا فعل ذلك وذكر مجاهد أن ابن عباس كان يأمره بذلك ثم أسند عن قنبل حديث النبال حدثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد أنه كان يكبر من أول والضحى إلى الحمد قال ابن جريج وأرى أن يفعله الرجل إماما كان أو غير إمام قال: أبو يحيى بن أبي ميسرة ما رفعه أحد إلى النبي ﷺ غير ابن أبي بزة ولو كان أحد رفعه غيره لكان الواجب اتباعه إذا كان أمرا من النبي ﷺ قال الحافظ أبو العلا فأما الرواية والإجماع في ذلك فعن عبد الله بن عباس ومجاهد، وقد روى عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول إذا قرأت القرآن فبلغت بين المفصل فاحمد الله وكبر بين كل سورتين وفي رواية فتابع بين المفصل في السور القصار واحمد الله وكبر بين كل سورتين ثم ذكر الحافظ أبو العلا عن البزي بإسناده أن الأصل في التكبير أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي وقد اختلف في سبب ذلك وفي قدر مدة انقطاعه فقال المشركون قلى محمدا ربه فنزلت سورة والضحى فقال النبي ﷺ الله أكبر، وأمر النبي ﷺ أن يكبر إذا بلغ والضحى مع خاتمة كل سورة حتى يختم قال أبو الحسن بن غلبون فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر حتى ختم شكرا لله تعالى لما كذب المشركون فيما زعموه وقال الشيخ في شرحه قال رسول الله ﷺ الله أكبر تصديقا لما أنا عليه وتكذيبا للكفار وذكر عن أبي عمرو الداني بسنده إلى البزي قال قال لي محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن رسول الله ﷺ وقال وروى بعض علمائنا عن الحسن بن محمد بن عبد الله بن يزيد القرشي قال صليت بالناس خلف المقام بالمسجد الحرام في التراويح في شهر رمضان، فلما كان ليلة الختمة كبرت من خاتمة والضحى إلى آخر القرآن في الصلاة فلما سلمت التفت وإذا أنا بأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قد صلى ورائي فلما بصرني قال لي أحسنت أصبت السنة قال أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين وهي سنة بمكة لايتركونها ألبتة ولا يعتبرون رواية البزي ولا غيره قال ومن عادة القراء في غير مكة أن لا يأخذوا بها إلا في رواية البزي وحدها:

١١٢٧ ــ *إذا كبروا في آخر الناس أردفوا*
مع الحمد حتى المفلحون توسلا

الضمير في كبروا للمكيين، بين في هذا البيت آخر مواضع التكبير وكان قد أجمل ذلك في قوله مع الخواتم قرب الختم وفي البيت الآتي يبين أول ذلك ومفعولا أردفوا محذوفان أي أردفوا التكبير مع قراءة سورة الحمد قراءة أول سورة البقرة حتى يصلوا إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ وهذا يعبر عنه بعض المصنفين بأنه أربع آيات ويعبر عنه آخرون بأنه خمس آيات ووجه ذلك الاختلاف في لفظ ﴿الٓمٓ﴾ فعدها الكوفي آية ولم يعدها غيره وحكى الناظم لفظ القرآن بقوله حتى المفلحون وتوسلا مفعول من أجله أي تقربا إلى الله تعالى بطاعته وذكره ولا تكبير بين الحمد والبقرة قال مكي يكبر في أول كل سورة من ــ ألم نشرح ـ إلى أول الحمد ثم يقرأ الحمد فإذا تم لم يكبر وابتدأ بالبقرة من غير تكبير فقرأ منها خمس آيات قال وروى أن أهل مكة كانوا يكبرون في آخر كل ختمة من خاتمة والضحى لكل القراء لابن كثير وغيره سنَّة نقلوها عن شيوخهم لكن الذي عليه العمل عند القراء أن يكبروا في قراءة البزي عن ابن كثير خاصة وبذلك قرأت قال وحجته في التكبير أنها رواية نقلها عن شيوخه من أهل مكة في الختم يجعلون ذلك زيادة في تعظيم الله عز وجل مع التلاوة لكتابه والتبرك بختم وحيه وتنزيله والتنزيه له من السوء لقوله ﴿وربك فكبر﴾ ﴿ولتكبروا الله﴾ ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال وحجته في الابتداء في آخر ختمه بخمس آيات من البقرة أنه اعتمد في ذلك على حديث صحيح مروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سئل أي الأعمال أفضل فقال الحال المرتحل يعني الذي ارتحل من ختمة أتمها ويحل في ختمة أخرى أي يفرغ من ختمة ويبتدئ بأخرى وعلى ذلك أدرك أهل بلدة مكة قلت قد سبق الكلام على هذا الخبر وبيان ضعفه فلا يغتر بقول مكي إنه صحيح وأحسن من عبارته عبارة أبي الحسن بن غلبون قال فإذا قرأ قل أعوذ برب الناس كبر ثم قرأ فاتحة الكتاب وخمسا من سورة

البقـرة لأنـه يقـال إن النبى ﷺ سمى من فعل ذلك الحـال المرتحل كما حدثنى أبى رحمه الله وساق الحديث عن صالح المـزى عن قتـادة عن زرارة عن ابن عبـاس أن رجـلا قـام إلى رسول الله ﷺ فقال يارسـول الله أى الأعمال أحب إلى الله فقال الحال المرتحل فقال يارسول الله وما الحال المرتحل؟ قال فتح القرآن وختمه صـاحب القرآن يضـرب من أوله إلى آخـره ومن آخره إلى أولـه كلمـا حل ارتحل قال فقيـل إنه عليـه الصـلاة والسلام يعنـى بذلك أنـه يختم القرآن ثم يقـرأ فاتحـة الكتاب وشيئـا من البقرة فى وقت واحـد قلت أصل الحـديث ضعيف كمـا سبق ثم زاد بعضهم فيـه التفسير غيـر منسـوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام فحملنـاه على أن بعض رواته المذكورين فى سنده فسره على ما وقع له فى معناه.

وهذا الحديث قد بين فيـه أن المفسر له هو النبى ﷺ وهو زيادة غير معروفة فقد روى الأهوازى هذا التفسير بعينه ولم يقل فى الحديث يـارسول الله ثم ولـو صح هذا الحـديث والتفسير لكان معناه الحث على الإكثار من قراءة القرآن والمواظبة عليه فكلمـا فرغ من ختمـة شرع فى أخرى، أى إنه لا يضـرب عن القراءة بعـد ختمة يفرغ منها بل تكـون قراءة القرآن دأبه وديـدنه وفى رواية أخرى أخرجها الأهوازى فى كتـاب الإيضاح الحال المـرتحل الـذى إذا ختم القـرآن رجـع فيـه ثم هـذا الفعل من التكبير وقـراءة الحمد إلى المفلحون مروى عن ابن كثيـر نفسه مأخوذ بـه عن طريق البـزى وقنبل على ما سنـوضحه قـال أبو الطيب ابن غلبون ولـم يفعل هذا قنبل ولا غيره من القراء أعنى التكبيـر، وهذه الـزيادة من أول سـورة البقـرة فى قراءة الختمـة سوى البزى وحـده قال أبو الفتح فارس بـن أحمد ولا نقول إن هـذا سنة ولا أنـه لا بد لمـن ختم أن يفعله فمن فعلـه فحسن جميل ومن تـرك فلا حـرج قال صـاحب التيسير وهـذا يسمى الحال المرتحل وفى جميع مـاقدمناه أحاديث مشهـورة يرويها العلماء يؤيد بعضها بعضا تـدل على صحة ما فعله ابن كثير.

قلت لم يثبت شيء من ذلك وأكثر ما فى الأمر أن ابن كثير كان يقبله والحـديث المسند فى ذلك هـو فى بيان سنـد قراءة ابن كثير أى أخذ ابن كثيـر عن درباس عن ابن عبـاس عن أبى عن النبى ﷺ وفيه وقرأ النبى عليه الصلاة والسلام على أبى فالسند المذكور إنما هو لبيان لك ثم قرأ فى آخر الحديث وأنه كان إذا قـرأ قل أعوذ بـرب النـاس افتتح من الحمـد ثم قرأ البقـرة إلى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بـدعاء الختم ثم قـال يعنى بذلك ابن كثير والله أعلم. وقد قـال أبو طالب صـاحب أحمد ابن حنبل سألـت أحمـد إذا قرأ قـل أعوذ بـرب الناس يقـرأ من البقرة شيئا قال لايقرأ فلم يستحب أن يصل ختمه بقراءة شيء ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصيـر إليه ذكره شيخنا أبو محمد بن قدامـة فى كتابه المغنى وذكر أبـو الحسن بن غلبون وغيـره رواية عن الأعمش عن إبـراهيم قال كـانوا يستحبـون إذا ختموا القرآن أن يقرءوا من أوله آيات. قلت ولكل من المذهبين وجه ظاهر.

١١٢٨ ــ *وقـال بـه البـزى من آخـر الضحى*
وبعـض لـــه مـن آخـــر الليل وصَّـــلا

اتبع فى ذلك مافى كتاب التيسير من نسبة ذلك إلى البزى وحده على ما حكاه أبـو الطيب بن غلبون وابنه أبو الحسن ولا يختص ذلك بالبزى عند جماعة من مصنفى كتب القراءات بل هو مـروى عن قنبل كما هو مـروى عن البزى لكن شهـرته عن البزى أكثر وعنه انتشرت الآثار فى ذلك على ماسبق بيانه وقوله به أى بالتكبير بين بهذا البيت أول مواضع التكبير التى أجملها فى قـولـه قـرب الختم فأكثر أهل الأداء على أنـه من آخـر والضحى وهو الصحيح لأن الآثار فى ذلك ألفـاظها كما سبق مصرحـة فى بعض الروايـات بألم نشرح وذلك آخـر والضحى وفى بعضهـا إطلاق لفظ والضحى وهو يحتمل الأول والآخر فيحمل هذا المطلق على ذلك التقييد ويتعين الآخر لذلك قال أبو الحسن بن غلبون: اعلم أن القراء أجمعوا على ترك التكبير من سورة والضحى إلا البـزى وحده فإنه روى عن ابن كثيـر أنه يكبـر من خـاتمـة والضحى إلى آخـر القـرآن ثم روى عن أبى الحسن اللغوى أجـازة قال أخبرنا ابـن مجاهد حدثنـا عبد الله ابن سليمان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا عبد الحميد حدثنا سفيان حدثنا إبراهيم بن أبى حيـة أنبأنا حميد عن مجاهد قال ختمت على ابن عباس بضعـا وعشرين ختمة كلهـا يأمرنى أن أكبر من ألم نشرح وبه عن سفيان قال رأيت حميد الأعرج يقرأ

والناس حوله فإذا بلغ والضحى كبر إذا ختم كل سورة حتى يختم ولم يذكر صاحب التيسير الكبير إلا من آخر والضحى فقول الناظم «وبعض له» أي للبزى وصل التكبير من آخر سورة والليل يعنى من أول والضحى فهذا الوجه من زيادة هذه القصيدة وهو قول صاحب الروضة قال روى البزى التكبير من أول سورة والضحى إلى خاتمة الناس ولفظه الله أكبر تابعه الزينبى عن قنبل فى لفظ التكبير وخالفه فى الابتداء به فكبر من أول سورة ألم نشرح قال ولم يختلفوا أنه منقطع مع خاتمة الناس. وحكى ابن الفحام وجها عن السوسى أنه يكبر من أول ألم نشرح إلى خاتمة الناس والله أعلم وقال الحافظ أبو العلا كبر البزى وابن فليح وابن مجاهد وابن الصلت عن قنبل من فاتحة والضحى وفواتح ما بعدها من السور إلى سورة الناس وكبر الباقون من فاتحة ألم نشرح إلى سورة الناس قال وأجمعوا على ترك التكبير بين خاتمة الناس وبين الفاتحة إلا ما رواه فلان عن قنبل زاد بعضهم قراءة أربع آيات من أول البقرة.

قلت: وهكذا حكى الهذلى أن التكبير إلى أول قل أعوذ برب الناس وقال بعضهم إلى خاتمتها فقول الناظم إذا كبروا فى آخر الناس اتبع فيه قول صاحب التيسير وهو يوهم أنه متفق عليه عند كل من يردف ذلك بقراءة الفاتحة وشىء من أول البقرة، بل فيه الاختلاف كما ترى.

١١٢٩ ـــ *فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو*

صل الكل دون القطع معه مبسملا

ذكر فى هذا البيت حكم التكبير فى اتصاله بالسورة الماضية أو بالبسملة التى من السورة الآتية فنقل ثلاثة أوجه كلها متجهة وهى مذكورة فى التيسير وغيره أحدها أنه يقطع آخر السورة من التكبير أى لا يصل التكبير بآخر السورة، فهذا معنى قوله فاقطع دونه أى دون التكبير وهذا اختيار صاحب الروضة والحافظ أبى العلاء، وهو الذى أختاره لما فيه من الفصل بين القرآن وغيره وقال صاحب الروضة اتفق أصحاب ابن كثير على أن التكبير منفصل من القرآن لا يخلط به وقال أبو العلاء الحافظ أجمعوا غير المطوعى والفحام على الوقف فى آخر كل سورة ثم الابتداء بالتكبير متصلا بالتسمية فأما المطوعى والفحام فإنهما خيرا بين الوقف على آخر السورة ثم الابتداء بالتكبير وبين وصل آخر السورة بالتكبير، قال والفصل أولى.

قلت لما ذكرته وينبنى على ذلك أن يختار فصل التكبير أيضا من التسمية على المذهب الأصح وهو أن البسملة فى أوائل السور من القرآن على ما قررنا فى كتاب البسملة ووجه ذلك ما ذكره صاحب الروضة من أن التكبير منفصل من القرآن لا يخلط به ولا يكون وصل التكبير بالبسملة أولى إلا على رأى من لا يراها من القرآن فى أوائل السور فيكون حكمها وحكم التكبير واحدا كلاهما ذكر الله تعالى مأمور به فاتصاله أولى من قطعه، الوجه الثانى أنه يصل التكبير بآخر السورة ويقف عليه ثم يبتدئ بالبسملة وهذا معنى قوله أو عليه يعنى أو تقطع على التكبير ومأخذ هذا الوجه أن التكبير إنما شرع فى أواخر السور فهو من توابع السورة الماضية لأن النبى ﷺ إنما كبر لما تليت عليه سورة والضحى فرأى صاحب هذا الوجه أن وصله بآخر السورة والقطع عليه أولى لتبين الغرض بذلك وهذا لا يتجه إلا تعريفا على القول بأن أول مواضع التكبير آخر الضحى فإن قلنا هو مشروع من أولها فهو للسورة الآتية فيتجه القول الأول، واختار صاحب التيسير هذا الوجه وبدأ به فيه وهو وصل التكبير بآخر السورة لكنه خير بين الوقوف عليه ووصله بالبسملة، قال والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة عليه لأن فيها مع وهى تدل عن الصحبة والاجتماع وقال فى غير التيسير على مانقله الشيخ فى شرحه: الحذاق من أهل الأداء يستحبون فى مذهب البزى أن يوصل التكبير بآخر السورة من غير قطع ولا سكت على آخرها دونه ويقطع عليه ثم يقرأ بعد ذلك بسم الله الرحمن الرحيم موصلا بالسورة الثانية إلى آخر القرآن ومنع مكى من هذا الوجه فقال فى التبصرة ولا يجوز أن تقف على التكبير دون أن تصل بالبسملة وقال فى الكشف ليس لك أن تصل التكبير بآخر السورة وتقف عليه، الوجه الثالث أن يوصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وهذا هو المراد من قوله أوصل الكل واختار هذا الوجه أبو الطيب بن غلبون وابنه أبو الحسن ومكى مع تجويز غيره قال أبو الطيب وهو المشهور من هذه الوجوه وبه قرأت وبه آخذ، وقال ابنه أبو الحسن واعلم أن القارئ إذا أراد التكبير فإنه يكبر مع فراغه من آخر السورة من غير قطع ولا سكت فى وصله ولكنه يصل

آخر السور بالتكبير ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وهو الأشهر الجيد إذ لم يذكر فى شىء من الحديث فصل ولا سكت، بل ذكر فى حديث ابن عباس مع، وهى تدل على الصحبة والاجتماع.

قلت: ولا ضرورة إلى هذه المضايقة فالمعية حاصلة وإن قطع آخر السورة بوقفة يسيرة فلا يراد بالمعية فى مثل ذلك إلا الاتصال المعروف فى القراءة كما أن وقوف القارىء على مواضع الوقف من أواخر الآى وغيرها لا يخرجه ذلك عن اتصال قراءته بعضها ببعض، فإذا ليس الأولى إلا الوجه الأول، وهو فصل السورة من التكبير لما ذكرناه، وفصل التكبير من البسملة مبنى أيضا على ماذكرناه من الخلاف فى البسملة قال صاحب التيسير ولا يجوز القطع على التسمية إذا وصلت بالتكبير وهذا صحيح وقد مضى شرح ذلك فى آخر باب البسملة وهو قوله ومهما تصلها مع أواخر سورة فلا تقفن فلا فرق بين وصلها بآخر السورة أو بالتكبير أما إذا لم تصلها بالتكبير بل وقفت عليه فإنه يجوز لك أن تقف على البسملة أيضا كما إذا وقفت على آخر سورة.

وقد وقع لى فى التكبير ثلاث احتمالات عليها تخرج هذا الوجوه كلها، أحدها أن التكبير من توابع السورة الماضية فعلى هذا وصله بها أولى الثانى أنه من مقدمات السورة الآتية فعلى هذا قطعه من الأولى ووصله بالثانية أولى والثالث أنه ذكر مشروع بين كل سورتين من هذه السور فعلى هذا يجوز وصله بهما وقطعه عنهما فمن كبر من أول والضحى لحظ الوجه الثانى، ومن كبر من آخرها لحظ الأول وعلى هذا يبين الخلاف فى انتهاء التكبير إلى أول الناس أو آخرها.

فإن قلت: فما وجه من كبر من أول الضحى وكبر آخر الناس؟

قلت: كأنه أعطى لسورة الناس حكم ما قبلها من السور إذ كل سورة منها بين التكبيرتين وليس التكبير فى آخر الناس لأجل أول الفاتحة لأن الختمة قد انقضت ولو كان للفاتحة لشرع التكبير بين الفاتحة والبقرة ولم يفعله هؤلاء لأن التكبير للختم لا لافتتاح أول القرآن والله أعلم.

وقوله معه مبسملا أى مبسملا مع التكبير فنصب مبسملا على الحال من فاعل صل الكل:

وما قبله من ساكن أو منوَّن

فللساكنين اكسره فى الوصل مرسلا

المذكور فى هذا البيت مفرع على قولنا إن التكبير يوصل بآخر السورة وهو معنى قوله فى الوصل ومعنى مرسلا مطلقا أى الحكم فى الكسر مطلقا فى النوعين أما إذا قلنا لا يوصل وهو الوجه المختار كما سبق فلا حاجة إلى ما فى هذا البيت والذى بعده، فإن الكسر يبتدىء بفتح همزته وكذا إن قلنا إن التهليل يشرع قبل التكبير ووصلناه بآخر السورة فلا يتغير أمر مما يتعلق بأواخر السور لأن أول التهليل حرف متحرك وأول التكبير همز وصل قبل ساكن، فهمزة الوصل تسقط فى الدرج فيبقى الساكن فينظر فى أواخر السور وهى على أربعة أقسام إما آخره متحرك أو هاء ضمير وهذان القسمان يأتى ذكرهما فى البيت الآتى وذكر فى هذا البيت قسمين ما آخره ساكن وما آخره تنوين فالذى آخره ساكن الضحى ألم نشرح اقرأ والذى آخره تنوين العاديات القارعة الهمزة الفيل قريش النصر تبت الإخلاص، فحكم هذين القسمين كسر ماقبل التكبير لالتقاء الساكنين، وهذان القسمان كقسم واحد لاتحاد حكمهما ولأن سكون التنوين كسكون غيره وإنما أراد أن ينص على ساكن مرسوم حرفا فى الخط وساكن يثبت لفظا لا خطا وهو التنوين ونزل تغيير أواخر هذه السورة لأجل ساكن أول التكبير منزلة تغييره إذا وصل آخر سورة بأول أخرى على قراءة حمزة فإن تنوين آخر والعاديات يكسر وكذا ورش إذا وصل ويفتح آخر الضحى ويكسر آخر اقرأ بإلقاء حركة همزة ما بعدهما عليهما والله أعلم.

وأدرج على إعرابه ما سواهما

ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا

يعنى ماسوى الساكن والمنون وهو المحرز أنزله على إعرابه أى وصله على حركته سواء كانت فتحة كآخر التين والماعون والفلق أو كسرة كآخر القدر والتكاثر والعصر والكافرين والناس أو ضمة كآخر الكوثر ولم يكن والزلزلة ولكن هاتان السورتان آخرهما هاء الضمير فلا يصلها لأجل الساكن بعدهما على ما تمهد فى شرح قوله ولم يصلوها

مضمر قبل ساكن فإذا لم تصلها وصلت ولم تقطع لأن ذلك يدل على علمك وفضلك وإن وصلتها قطعت لدلالة ذلك على الجهل فما أحلى ما وافقه ولا تصلن لتوصلا والنون في ولا تصلن للتأكيد قوله وأدرج من قولهم أدرجت الكتاب أي طويته وأدرجت الدلو إدراجا إذا متحتها ومتح من باب نفع يقال متحت الدلو إذا استخرجتها برفق فكأن القارئ إذا قرأ كلمة وتعداها إلى غيرها قد أدرجها وطواها وقوله على إعرابه أي على حركة إعرابه وفي حركات أواخر السور المذكورة ما هو حركة إعراب كآخر القدر والتكاثر والعصر والماعون والكوثر والناس وباقيها حركة بناء كالتين ولم يكن والزلزلة والكافرين والفلق فلم يرد بقوله إعرابه إلا مجرد الحركة، وكان يغنيه عن ذلك أن يقول وأدرج على تحريكه ما سواهما .

١١٣٢ ـــ *وقُل لفظه الله أكبر وقبله*
لأحمد زاد ابن الحباب فهيللا

أي لفظ التكبير وسكن الراء من أكبر حكاية للفظ المكبر لأنه واقف عليه فهذا هو المختار في لفظة التكبير قال ابن غلبون والتكبير اليوم بمكة الله أكبر لا غير كما ذكرنا في الأحاديث التي تقدمت وهو مشهور في رواية البزي وحده وقال مكي الذي قرأت وهو المأخوذ به في الأمصار الله أكبر لا غير وقوله وقبله يعني قبل التكبير لأحمد يعني البزي زاد ابن الحباب وهو أبو علي الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق قرأ على البزي وروى عنه التهليل قبل التكبير وقوله فهيللا أي فقال لا إله إلا الله والأصل أن يقال فهللا وأنما الياء بدل من أحد حرفي التضعيف نحو قولهم تظنيت يقال قد أكثرت من الهيللة أبدلت الياء من عين الكلمة لتكرير اللامات حكى أبو عمرو الداني في كتاب التيسير عن الحسن بن الحباب قال سألت البزي عن التكبير كيف هو فقال لي لا إله إلا الله والله أكبر قال الداني وابن الحباب هذا من الإتقان والضبط وصدق اللهجة بمكان لا يجهله أحد من علماء هذه الصنعة وبهذا قرأت على أبي الفتح وقرأت على غيره بما تقدم وحكى عن ابن الحباب أيضا أبو طاهر بن أبي هاشم، ذكره الحافظ أبو العلاء فقال: لا إله إلا الله والله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم :

١١٣٣ ـــ *وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس*
وعن قنبل بعض بتكبيره تلا

أي بما نقله ابن الحباب وهو معنى قول الداني وبهذا قرأت على أبي الفتح وقال في غير التيسير حدثنا أبو الفتح شيخنا حدثنا عبد الباقي بن الحسن حدثنا أحمد بن صالح عن ابن الحباب عنهم يعني بالتهليل قال أبو عمرو وبذلك قرأت على فارس أعني بالتهليل والتكبير وأبو الفتح هذا هو فارس بن أحمد بن موسى بن عمران الضرير الحمصي سكن مصر قال الداني في تاريخ القراء أخذ القراءة عرضا وسماعا عن غير واحد من أصحاب ابن مجاهد وابن شنبوذ وغيرهم ثم قال لم يلق مثله في حفظه وضبطه وحسن تأديته وفهمه بعلم صناعته واتساع روايته مع ظهور نسكه وفضله وصدق لهجته وسمعته يقول ولدت بحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وتوفي رحمه الله بمصر في ما بلغني سنة إحدى وأربع مائة وقد ذكره أبو عمرو الداني أيضا في أرجوزته التي نظمها في علم القراءة فقال :

ممن أخذت عنهم ففارس
وهو الضرير الحاذق الممارس
أضبط من لقيت للحروف
وللصحيح السائر المعروف

وجميع ما ذكرناه مأخوذ به في رواية البزي وأما قنبل فلم يذكر له صاحب التيسير تكبيرا وقال في غيره وقد قرأت أيضا لقنبل بالتكبير وحده من غير طريق ابن مجاهد قال وبغير تكبير آخذ في مذهبه فقول الشاطبي .

* *وعن قنبل بعض بتكبيره* *

من زيادات هذه القصيدة على ما في التيسير والهاء في تكبيره عائدة على البزي أي وبعض الشيوخ تلا عن قنبل بمثل تكبير البزي ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على قنبل أو على بعض ولكن قوة المعنى على ما ذكرناه أولا وقد حكى صاحب الروضة التهليل أيضا عن قنبل فقال وروى قنبل في غير رواية الزينبي عنه التهليل والتكبير من أول سورة ألم نشرح إلى خاتمة الناس ولفظه لا إله إلا الله والله أكبر وكذلك حكى الحافظ أبو العلاء التهليل والتكبير للبزي ولقنبل وحكى الهذلي صاحب الكامل رواية عن قنبل في تقديم التسمية على التكبير وهذا مما يقوى أن التكبير للسورة الآتية لا للسابقة وإن كان وجها بعيدا والله أعلم (إبراز المعاني / ٧٣٠ ـ ٧٤٢)

ذلك كان ما أورده الإمام الشاطبي في الشاطبية عن ختم القرآن. أما ما أورده الإمام ابن الجزري في طيبة النشر فهي هذه الأبيات يختتم بها منظومته. قال الناظم:

وسنة التكبير عند الختم
صحت عن المكيين أهل العلم
في كل حال ولدى الصلاة
سلسل عن أئمة ثقات
من أول انشراح أو من الضحى
من آخر أو أول قد صححا
للناس هكذا وقيل إن ترد
هلل وبعض بعد لله حمد
والكل للبزي رووا وقنبلا
من دون حمد ولسوس نقلا
تكبيره من انشراح وروى
عن كلهم أول كل يستوى
وامنع على الرحيم وقفا إن تصل
كلا وغير ذا أجز ما يحتمل
ثم اقرإ الحمد وخمس البقرة
إن شئت حالاً وارتحالا ذكره
وادع وأنت موقن الإجابه
دعوة من يختم مستجابه
وليعتني بأدب الدعاء
ولترفع الأيدي إلى السماء
وليمسح الوجه بها والحمد
مع الصلاة قبله وبعد

(طيبة النشر/ ١١٨، ١١٩)

وقد شرحها الشيخ محمد الصادق قمحاوي في كتابه «الكوكب الدرى» ص ٥٩٣ - ٦٠١ فارجع إليه إن شئت. انظر ثبت المراجع.

يقول الدكتور سعيد إعراب عن الختم في القرآن:

قلما يخلو كتاب من حديث الختم في القرآن وكيفية ذلك، وما ورد فيه من أخبار...

* وقد تقصى آثاره واستوعب مسائله أبو القاسم بن علي السبتي - في كتاب له سماه (التحفة)، ينقل عنه السفاقسي في (غيث النفع) كثيرا؛ وأورد له عدة صيغ في دعاء الختم، منها:

(... اللهم إني أسألك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين؛ ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقيقة الإيمان؛ اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما تنفعنا به؛ اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك؛ والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم؛ والفوز بالجنة، والنجاة من النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وورد على أحمد بن المبارك السجلماسي - سؤال في حكم قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات عند ختم القرآن: هل له أصل في السنة أم لا؟

فأجاب عن ذلك بجواب مطول (القراء والقراءات بالمغرب / ٦٨).

ومن فتاوى الإمام الشاطبي فتوى بشأن مسألة تتصل بالبدع وجاء نص المسألة كما يلي:

تعيين الختم لليلة معينة من العشر الأواخر من رمضان والدعاء بعده وقراءة القرآن كله في تلك الليلة، وزيادة الوقد على سائر الأيام، هل كان ذلك في فعل السلف؟

فأجاب الإمام الشاطبي رحمه الله قائلا:

إن ختم القرآن في رمضان ليس بمطلوب في الشرع قال في المدونة: وليس ختم القرآن سنة لقيام رمضان (هذا المعنى في المدونة ١/ ٢٢٣، وفي الحوادث والبدع / ٢٥٨).

وقال ربيعة ويعرف بربيعة الرأي من شيوخ الإمام مالك: ولو أمهم رجل بسورة حتى ينقضي الشهر لأجزأ قال: والأمر في رمضان الصلاة وليس بالقصص بالدعاء.

قال الطرطوشي: فتأملوا - رحمكم الله - فقد نهى مالك أن يقص أحد في رمضان بالدعاء. وحكى أن الأمر المعمول به إنما هو الصلاة من غير قصص ولا دعاء.

وسئل مالك عن الذى يقرأ القرآن ثم يختمه ويدعو؟ فقال: ما سمعت أنه يُدعى عند ختم القرآن، وما هو من عمل الناس.

وأما تعيين ليلة الختم وقراءة القرآن كله والدعاء، فقد تضمن حكمه ما ذكر آنفا إلا زيادة الإيقاد، فإن ذلك أيضا لم يكن بعمل من تقدم، فإن تعظيم الليلة أو الشهر بإيقاد النيران فيه تعظيم للنار، مع زيادة السرف واجتماع الغوغاء وظهور المنكرات باجتماع الرجال والنساء وغير ذلك مما لا يحل.

يقول الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحاج الفاسى: «لا يزاد فى ليلة الختم شيء زائد على ما فُعل فى أول الشهر لأنه لم يكن من فعل من مضى، بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع، لما فيه من إضاعة المال والسرف والخيلاء. سيما إذا انضاف إلى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه، فإن كان فيه شيء من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة إليه، وإن كان بغيرهما فهو إضاعة مال وسرف وخيلاء» (المدخل ٢/ ٣١١) (فتاوى الإمام الشاطبى/ ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨).

ويعد الشيخ عثمان بن فودى من البدع اجتماع الناس لختم القرآن فى ليلة سبع وعشرين من رمضان فيقول رحمه الله: وهو بدعة محرمة إجماعا على ما يعتاده الناس فى ذلك فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء والتطريب المتفاحش فى القراءة والمنازعة فيها على وجه المباهاة، وأما إن خلا اجتماعهم عن كل هذه المنكرات فهو بدعة مكروهة أو جائزة.

وفى شرح المفيدة: فليحذر مما يفعله بعضهم فى ليلة سبع وعشرين، وهو أن يصلى بداره والنساء خلفه: المحارم وغيرهن، ويسرع حتى يقطع كلمات القرآن ومتى ختم لج النساء خلفه بالزغاريد، ويتنافس مع جاره الذى يفعل كفعله ليختم القرآن قبله ويسبقه ثم لا يراعى إلا الختم، ومهما ختم بتلك السرعة والقلق الذى لا يحضر معه فكر زغردت النساء وذهب.

وهذا الفعل ــ والعياذ بالله ـ حرام من وجوه كثيرة: انظر كيف حرم نفسه من الأجر العظيم الذى تلتمس ليلة القدر لأجله، التى هى خير من ألف شهر، وجعل فى موضع ذلك الخير العظيم الذنوب والآثام، ونعوذ بالله من الجهل المهلك لصاحبه.

ولو نام هذا الجاهل تلك الليلة لكان أسلم وأحسن له من هذه المحرمات، ولو وفقه الله، لصلى منفردا بوقار وخشوع، وإن عطلت المساجد فيها، ويعلم النساء اللاتى أضلهن بضلاله وحرمهن بحرمانه، فيقول لهن: تصلى كل واحدة بالحمد والسورة فى الليلة المذكورة فإن ذلك يكفى.

وفى المدخل: وينبغى له أن يجتنب ما أحدثوه من البدع فى قواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا، وفلان فى ليلة كذا، ويعرض ذلك بعضهم على بعض فيكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان إلى آخر الشهر، فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنها، إذ أنه لم يكن من فعل من مضى ـ أعنى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان.

وأما إن كان إنسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة، لأن الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم ـ فذلك جائز. اهـ (المدخل/ ٣٠٦).

فإن قلت: هل يدعى بعد ختم القرآن جهرا والناس يسمعون، أو لا؟ قلت: قال الشيخ الجليل أبو الوليد أبو بكر المشهور بالطرطوشى رحمه الله: فالجواب أن يقال: إن كان ذلك على وجه السلامة من اللغط، ولم يكن إلا الرجال أو الرجال والنساء متفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء، فهذه البدعة التى كره مالك رحمة الله.

وأما إن كان على الوجه الذى يجرى فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء وأمثال ذلك من الفسوق واللغط فما هو من عمل الناس.

وفى المدخل (ص ٢٩٩): قال مالك: لا بأس أن يجتمع القوم فى القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم

فيما يقرأ، قال: ويكره الدعاء بعد فراغهم، ثم قال بعد كلام: فإذا تقرر هذا من مذهب الإمام رحمه الله تعالى فاعلم أن الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة، وأما الدعاء فى السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال، وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم.

***

ومن ذلك: إحضار أوانى الماء فى المسجد حين الختم، وهو بدعة مكروهة.

وفى المدخل (ص ٣٠٤) وينبغى له أن يجتنب فى نفسه وينهى غيره مما أحدثه بعضهم من إحضارهم الكيزان وغيرها من أوانى الماء فى المسجد حين الختم، فإذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء ويرجعون به إلى بيوتهم فيسقونه لأهلهم ومن شاءوا على سبيل التبرك، وهذه بدعة لم تنقل عن أحد من السلف رضى الله عنهم وهذا الذى لا يختص بليلة الختم، بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها. اهـ مدخل (إحياء السنة وإخماد البدعة / ١٩٩ ـ ٢٠١).

(التبيان فى آداب حملة القرآن لأبى زكريا يحيى بن شرف الدين النووى / ٣٨ ـ ٤٢، ١١٣ ـ ١١٨، والتيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ـ عنى بتصحيحه أو توبريزل / ٢٢٦ ـ ٢٢٨، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى للشاطبى ط مصطفى البابى الحلبى / ١٩٥ ـ ١٩٧، وإبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة/ ٧٣٠ ـ ٧٤٢، وطيبة النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ط مصطفى البابى الحلبى/ ١١٨، ١١٩، والقراء والقراءات بالمغرب ـ سعيد إعراب/ ٦٨، وفتاوى الإمام الشاطبى لأبى إسحق إبراهيم بن موسى الأندلسى ـ حققها وقدم لها محمد أبو الأجفان/ ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وإحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فودى ـ تحقيق وتعليق أحمد عبد الله باجور. انظر أيضا الكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى. مختصر شرح الطيبة للنويرى ـ محمد الصادق قمحاوى / ٥٩٣ ـ ٦٠١، وسراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى للإمام ابن القاصح العذرى/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥، وهداية المستفيد فى أحكام التجويد ـ الشيخ محمد المحمود المشهور بأبى ريمة ـ صححه وراجعه وضبطه أحمد محمد شاكر/ ٣٤، ٣٥).

*** الختمات والتهاليل:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ١٠٣٩٤

ـ رسالة فى الذكر والختمات لعلها من جمع بعض تلامذة المؤلف.

المؤلف: مصطفى بن محمد الكردى؟

أولها: الحمد لله الذى جعل سيف الحق ظاهرا مشهورا وقلده أئمة أعلاما ... وبعد فيقول سيدى وأستاذى ... مصطفى بن محمد الكردى ... هذه تحريرات جلية واضحة ونقول لما أغلق من باب عمل الختمات والتهاليل ...

آخرها: فحينئذ ينفذ الحاكم له الوصية ولكن أضر الموصى لهم بنقص حقهم بسبب الرشوة وأضر الحاكم بأخذ تلك الرشوة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

الخط نسخ دقيق معتاد، الحبر: أسود.

اسم الناسخ: حسن بن إبراهيم البيطار.

تاريخ النسخ: سنة ١٢٣٧ هـ.

ملاحظات: نسخة حسنة.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٦، ٤٩٧).

*** الختمة:**

انظر: ختم القرآن

*** الختنية (الزاوية ـ):**

انظر: الختنية (المدرسة ـ)

*** الختنية (المدرسة ـ) ٥٨٧:**

من مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. وتقع جنوب الأقصى. قال عنها الدكتور العسلى:

الختنية مدرسة وزاوية، ويمكن أن تندرج تحت المدارس أو الزوايا، تماما مثل الزاوية النصرية، للشبه القائم بين المدارس والزوايا. وقد آثرنا ذكرها مع المدارس لما كان لها من أهمية بين سائر الزوايا فى ميدان التدريس.

تحقيق اسم المدرسة :

سماها مجير الدين في الأنس الجليل (٢/ ٣٤) الزاوية الخثنية، وكذلك سماها عارف العارف وكثيرون ممن أخذوا عن مجير الدين . غير أن الاسم الصحيح للمدرسة إنما هو الختنية نسبة إلى الشيخ الختنى الذى كان شيخا لهذه الزاوية فى القرن الثامن. وقد أشار العمرى إلى هذه الزاوية عند زيارته للمسجد الأقصى سنة ٧٤٣ فقال: «قال الصاحب تاج الدين: هذا المسجد (ويقصد اصطبل سليمان) بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذى أعلاه. وله من داخل الخانقاه الصلاحية (يعنى المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الآن شيخ يعرف بالختنى، وبه تعرف الآن) سلمان». ويضيف العمرى فى الصفحة التالية: «قلت ولقد دخلت إلى بعض هذه الأماكن. ورأيت من عجائب الأبنية ما يملأ العين. وكان دخولى إليها من الزاوية المعروفة بسكن الختنى، ثم أفضت منها إلى الكروم وظاهر المسجد» (أخذ العمرى معظم وصفه للمسجد الأقصى عن الصاحب أحمد بن أمين الدين فى كتابه «سلسلة العسجد فى صفة الأقصى والمسجد».

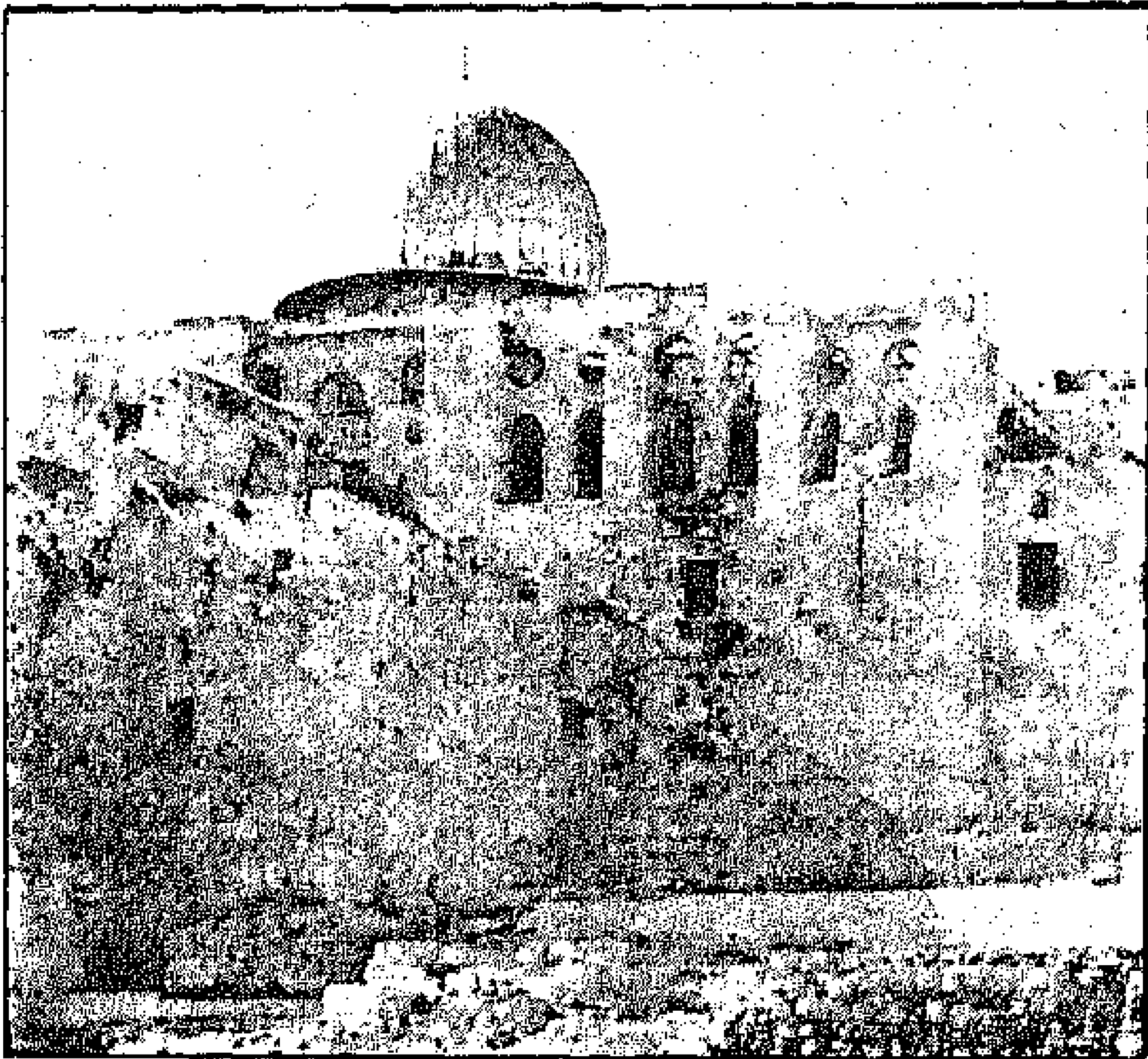
ويؤكد هذه التسمية ـ الختنية ـ سجلات المحكمة الشرعية بالقدس التى أوردته كذلك، كما تؤكده سجلات الأراضى المحفوظة برئاسة الوزراء فى استانبول. وهذا يقطع بأن الاسم الصحيح للمدرسة هو الختنية، لا الخثنية. وورد اسم الختنية كذلك فى الكواكب السائرة، وفى «المعاهد المصرية فى بيت المقدس» للخالدى وفى «بلادنا فلسطين» للدباغ. كما أن مجير الدين نفسه يسميها الختنية فى مواضع أخرى من كتابه.

وقف هذه المدرسة/ الزاوية السلطان صلاح الدين الأيوبى على رجل من أهل الصلاح هو الشيخ العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشى المجاور فى بيت المقدس ثم من بعده على من يحذو حذوه. وتاريخ الوقف ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧. ومما كان موقوفا على المدرسة فى القرن العاشر دار بخط باب القطانين.

تقع الزاوية خارج السور الجنوبى للمسجد الأقصى خلف منبر نور الدين بالضبط. ولها باب بجوار المنبر. وبناؤها قديم من زمن الروم، كما يقول مجير الدين. وقد طرأت عليه تغييرات وإضافات كثيرة، كان من بينهما غرف مستجدة وأخيرا دورة مياه. وقد تبين أن المدرسة احتفظت ببعض بقاياها من عقود وشبابيك حتى الآن، ويعتقد الأستاذ حسن عبد الوهاب، العالم الأثرى، أن المدرسة الختنية بنيت فوق باب قديم من أبواب الحرم، وهو الباب المعروف باسم باب النبى. ولذلك فإن المدرسة حجبت هذا الباب وشوهته لأنها قائمة فى وجهه.

ممن زار الختنية فى القرن الثامن الرحالة المغربى الكبير محمد بن بطوطة. فقد ذكر ابن بطوطة الشيخ الختنى فى زيارته الثانية للقدس سنة ٧٤٩ وسمى زاويته زاوية المسجد الأقصى، وهو يقول فى ذلك «وجدت من كنت أعهده من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله، فلم يبق منهم إلا القليل مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى ومثل الصالح شرف الدين الخشنى شيخ زاوية المسجد الأقصى (هو الختنى والأمر لا يعدو أن يكون تصحيفا من النساخ).

تولى مشيخة الختنية، إلى جانب الشيخين الشاشى والختنى، المشار إليهما أعلاه، كثير من الشيوخ الأعلام منهم



المدرسة الختنية جنوب الأقصى

شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن حسن ... بن على بن أرسلان الرملى الشافعى (٧٧٥ ـ ٨٤٤). وقد قدم القدس من الرملة وانقطع بالزاوية الختنية وتوفى بها ودفن بماميلا. والشيخ أرسلان يرجع بنسبه إلى قبيلة كنانة. وكان له جامع بمدينة الرملة وولى تدريس الخاصكية بها مدة طويلة، كما أنه عمر برجا على شاطىء يافا. وقد كان من كبار الأئمة وأخذ عنه كثير من العلماء. وله كتب فى الفقه والنحو والتفسير وعلم القراءات والحديث. وجمع طبقات الفقهاء الشافعية (الأنس الجليل ٢/ ١٧٤، ١٧٥).

ومن شيوخها أيضا شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق ابن زين الدين الأنصارى الخليلى الشافعى. درس الفقه فى الزاوية الختنية. وعرض عليه مجير الدين الحنبلى قطعة من كتاب المقنع سنة ٨٧٣. وبقى مقيما فى الزاوية حتى سنة ٨٧٩، حين طلب إلى القاهرة وتوفى فى الخليل سنة ٨٩٣. وتلاه فى المشيخة بعد رحيله إلى القاهرة ابنه: شهاب الدين أبو العباس أحمد. وقد ولد سنة ٨٤٦ وكان ما يزال فى المشيخة سنة ٩٠٠. وقد نسخ الشيخ أحمد مخطوطة «الفتح القسى فى الفتح القدسى» للعماد الأصفهانى بمنزله فى الختنية سنة ٨٧٤ (وهذا المخطوط محفوظ الآن فى مجموعة جاريت بمكتبة جامعة برنستون الأمريكية تحت رقم ٥٨٧).

وممن تولى مشيخة الختنية فى أوائل القرن الثانى عشر الشيخ أحمد العلمى وكان يسكن فى المدرسة.

كان بناء الزاوية فى المدة الأخيرة يستعمل سكنا لموظفى المسجد الأقصى وتشير التقارير إلى أن مبنى الختنية بات معرضا للانهيار من جراء الحفريات التى قامت بها السلطات الإسرائيلية تحت السور الجنوبى للحرم، مما يهدد السور كله وقد امتدت الحفريات إلى أسفل المدرسة التى حفر تحتها نفق طويل.

(معاهد العلم فى بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلى / ١٠٠ ـ ١٠٣).

*** الخجندى:**

قال السمعانى:

الخجندى: بضم الخاء وفتح الجيم وسكون النون وفى آخرها الدال، هذه النسبة إلى خجند، وهى بلدة كبيرة كثيرة الخير على طرف سيحون من بلاد المشرق ويقال لها بزيادة التاء خجندة أيضا، فتحت سنة ثلاث ومائة فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، خرج منها جماعة من أهل العلم فى كل فن، منهم أبو عمران موسى بن عبد الله المؤدب الخجندى، كان أديبا فاضلا صاحب حكم وأمثال، حدث عن أبى النضر بن أحمد بن الحكم البزاز السمرقندى بكتاب التفسير للكلبى، ذكره أبو سعد الإدريسى فى كتاب تاريخ سمرقند وقال: أبو عمران المؤدب الخجندى، كنت فى مكتبه بسمرقند، وكان حكيما ـ كتب عنه من حكمته شىء غير قليل، ودون عنه كتب كثيرة، لم أسمعه يذكر من حكمه ولم أعلقها عنه فلما مات سمعت جملة من حكمه من محمد بن عبد الكريم بن على الطبرى، أظنه مات بها ـ يعنى بسمرقند ـ قبل الستين والثلاثمائة.

وأبو زكريا يحيى بن المفضل الوراق الخجندى، كان من كبار الناس، ممن جمع الآثار وجمع وخرج الكثير ورحل، وصنف كتابا فى الصحابة وجوَّد، يروى عن هارون بن سعيد القرشى وسعيد بن هاشم الكاغذى وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى وغيرهم، (وفى الرحلة) من قتيبة بن سعيد وصالح بن مسمار الكشميهنى وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبى عرابة الشاشيان، روى عنه محمد بن حمدويه الشاشى وأبو سلمة أحمد بن حامد السمرقندى.

وأبو حفص عمر بن هارون بن طالب الخجندى، شيخ صالح، مليح الشيبة، حسن السيرة، من مشايخ الصوفية، من أهل خجند سكن حلب بالشام، سمع ببغشور القاضى أبا سعيد محمد بن على بن أبى صالح الدباس، وببغداد أبا سعد عبد الجليل بن محمد بن الحسن الساوى. وبمكة أبا محمد عبد الملك (بن الحسن) بن بتة الأنصارى، وغيرهم، ولم يكن له أصل بما سمع ـ على ما جرت به عادة الصوفية ـ رأيته أولا ببغداد، ثم بحلب فى سنة خمس وثلاثين، وكتبت عنه أبياتا من الشعر.

وأبو عبد الله سلمان بن إسرائيل بن جابر بن قطن بن حبيب بن أبى حبيب الخجندى سمع عبد بن حميد الكشى وفتح بن عمرو الوراق وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى

وإبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذاني وغيرهم، قدم بغداد وحدث بها فروى عنه على بن عمر السكرى، وحدث بنيسابور أيضا، وروى عنه من أهلها أبو الحسن أحمد بن الخضر الشافعى، فأما على بن بندار الزاهد فإنه كتب عنه بخجند، قال الحاكم: وحدثنا عنه بعجائب من الحكايات والأخبار.

وأبو الفضل أحمد بن يعقوب بن عفير بن الجنيد بن موسى التميمي الخجندى، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ وقال: أبو الفضل الخجندى، شيخ هرم كبير السن، كان يذكر أنه جاور بمكة حرسها الله سنة سبع وخمسين ومائتين، وسمع حديث ابن أبى مسرة وعلى بن عبد العزيز وأن كتبه ذهبت فسألناه الحديث فى المسجد الجامع، فأملى علينا من حفظه وذكر حديث: «الحياء والإيمان فى قرن واحد» بروايته عن أبى سعيد بن على البصرى عن خراش عن أنس رضى الله عنه، ثم قال حدثنا بهذا الحديث فى شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وذكر أن عنده عن يوسف القاضى وأقرانه.

والقاضى أبو المنور بدر بن زياد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد الخجندى، أقام بسمرقند مدة، وحدث بها عن أبى حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ، روى عنه عمر بن محمد النسفى، ومات فى شعبان سنة أربع عشرة وخمسمائة ـ وقد قارب ثمانين سنة.

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٣٢٧، ٣٢٨: انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١/ ٤٩٥).

*** الخجندى (إبراهيم بن أحمد) (٧٧٩ ـ ٨٥١ هـ / ١٣٧٧ ـ ١٤٤٧ م):**

إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ـ ثلاث محمدين ـ الخجندى، بضم الخاء وفتح الجيم، ثم المدنى، برهان الدين، أبو محمد، ابن العلامة جلال الدين أبو الطاهر أحد الأفاضل الأعيان، الذين سار بذكرهم الركبان.

ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة. وسمع ابن صديق، والمراغي، وأجاز له التنوخي، وابن الذهبى. ودرس، وصنف «شرحا» على «الأربعين النووية». وله نظم، ونثر، وترسُّل. مات فى رجب، سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، بالمدينة النبوية، وقد جاوز السبعين.

كذا عده الحافظ جلال الدين السيوطى فى «أعيان الأعيان».

وذكره السخاوى فى «الضوء اللامع» بأبسط من ذلك، فقال: إنه ولد بالمدينة الشريفة فى التاريخ المذكور، ونشأ بها، فحفظ القرآن العظيم و «الكنز»، و «الألفية»، و «الكافية» وتلا بالسبع على يحيى التلمسانى الضرير، وغيره، وأخذ النحو عنه أيضا، وعن والده الجلال، وأخذ الفقه عن أبيه، وغيره، وانتفع بأخيه، وسمع جماعة كثيرة، منهم البلقينى، وغيره.

وحج غير مرة.

وبرع فى العربية، وتعانى الأدب، وجمع لنفسه «ديوانا»، وأنشأ عدة رسائل، بحيث انفرد فى بلده بذلك.

وكان يترسل مع سميه البرهان الباعونى، وكان يكتب الخط الجيد. وقد درَّس، وحدَّث بالبخارى، وغيره.

وقرأ عليه ولده، وسمع منه الطلبة، ولقيه البقاعى، فكتب عنه وزعم أن جيد شعره قليل، ينتقل من بحر إلى بحر، ومن لجة إلى قفر. قال: وهو بالعربية غير واف، وكثير منه سفساف، وربما انتقل من الحضيض إلى السها، كأنه ليس له.

قال السخاوى: إنما هو فى مدح الناس، وإذا قال فى الغرام أجاد وذكر أنه رأى له فى بعض الاستدعاءات مكتوبا قوله:

أجزت لهم أبقاهم الله كلما
رويت عن الأشياخ فى سالف الدهر
ومالى من نثر ونظم بشرطه
على رأى من يروى الحديث ومن يقرى
وأسأل إحسان من القوم دعوة
تحقق لى الآمال والأمن فى الحشر

ثم قال: وكان فاضلا، بارعا، ناظما، ناثرا، بليغا، كيّسا، حسن المجالسة، محبا للفائدة، لطيف المحاضرة، كثير النوادر والملح، ذا كرم زائد، وآداب وغرائب.

ومات فى ثانى رجب، من التاريخ المذكور، ودفن من يومه بالبقيع، بعد الصلاة عليه بالروضة. رحمه الله تعالى.

وأورد من شعره المقريزى فى «عقوده» (يعنى «درر العقود الفريدة») قوله:

كُنْ جَوَابِى إذا قَرأتَ كتابى
لاَ تَرُدَّنَّ للجواب كتابَا
أَعْفِنِى مِن نَعَمْ وَسَوْفَ ولى شُغْـ
ـلٌ وكُنْ خَيْرَ مَن دُعى فأجَابَا

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين الغزى ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥. انظر أيضا الأعلام للزركلى ١/ ٢٩)

* **الخجندى (إبراهيم بن محمد) (٨٥٢ ـ ٨٩٨ هـ):**

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن العلامة جلال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، البرهان، أبو إسحاق الخجندى، المدنى. ولد يوم الجمعة، عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بطيبة، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم و «الكنز»، وأخذ فى الفقه ببلده عن أخيه الشهاب أحمد، والفخر عثمان الطرابلسى، وفى العربية، وعلم الكلام عن الشهاب ابن يونس المغربى، وكذا أخذ فى «شرح العقائد» عن السيد السمهودى، وسمع على أبيه، وأبى الفرج المراغى، وقرأ بمكة فى مِنًى على النجم بن فهد «الثلاثيات»، ودخل القاهرة مرارا، أولها فى سنة أربع وسبعين، وسمع بها على الشاوى (فى الضوء اللامع «النشاوى») والديمى، وأجاز له جماعة، وأخذ بها عن الزين قاسم، والعضد السيرامى الفقه (فى الضوء اللامع «والعضدى السيرامى»)، وغيره، وعن النّظام الفقه والأصول، والعربية، وعن الجوجرى العربية، وكذا قرأ فيها على الزينى زكريا شرحه لشذور الذهب، ولازم الأمين الأقصرائى فى فنون عديدة.

قال السخاوى: وأكثر أيضا من ملازمتى رواية ودراية، ثم كان ممن لازمنى حين إقامتى بطيبة، وقرأ على جميع «ألفية العراقى»، بحثا وحمل عنى كثيرا من «شرحها» للناظم سماعا، وقراءة، وغير ذلك من تآليفى ومروياتى، وأذنت له على الوجه الذى أثبته فى ترجمته، من «تاريخ المدينة». وقد ولى إمامة الحنفية بالمدينة الشريفة بعد أخيه. إلى أن قال: ونعم الرجل فضلا، وعقلا، وتواضعا، وسكونا، وأصلا. انتهى.

مات فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة. رحمه الله تعالى.

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين العزى تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٥١، ٢٥٢.

انظر أيضا الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى ١/ ١١٩، ١٢٠).

* **الخجندى (حامد) (ـ ٣٩٠ هـ/ ـ ١٠٠٠ م):**

أبو محمود حامد بن الخضر من علماء الرياضيات المسلمين قال عنه قدرى حافظ طوقان رحمه الله:

جاء فى كتاب «آثار باقية»: أن «أبا محمود» لم يعرف إلا من كتاب «المبادىء والغايات فى علم الميقات، لأبى الحسن على المراكشى»، من تعريف الآلة المسماة «سدس التحرى»، التى استعملها صاحب الترجمة.

ويذكر بركلمان نقلا عن سوتر: أنه توفى سنة ٣٩٠ هـ ـ ١٠٠٠ م.

و «الخجندى» من الرياضيين الذين ظهروا فى القرن الرابع للهجرة (حوالى سنة ١٠٠٠ م)، ومن كبار علماء الهيئة. وهو أيضا من الذين قالوا: بأن مجموع مكعبين لا يكون مكعبا، وقد برهن عليها، ولكن برهانه غير تام.

ويقول «كاجورى»: إن برهانه لم يعثر عليه، وقد يكون غير صحيح (تاريخ الرياضيات/ ١٠٦).

واشتغل بالمثلثات الكروية. جاء فى «كتاب شكل القطاع لنصير الدين الطوسى» ما يلى: وقد لقب أبو محمود الخجندى «هذا الشكل بقانون الهيئة»، وسبب تسمية هذا

الشكل بذلك، هو كثرة استعماله فى علم الهيئة. «وقد حسب دائرة البروج ٢١ ٣٢ ٢٣ بربع أحد أضلاعه مقسوم ثوانى ...».

(يعنى بهذا الشكل مايلى: «... نسبة جيوب الأضلاع (فى المثلثات الحاد الزوايا والمنفرج الزاوية) بعضها إلى بعض، كنسبة جيوب الزوايا المؤثرة بتلك الأضلاع بعضها إلى بعض ...»)

وللخجندى «كتاب الآلة الشاملة فى الفلك».

«رسالة فى تصحيح الميل وعرض البلد».

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان/ ٢٧٣).

* **الخجندى (محمد) (٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م):**

محمد بن عبد اللطيف بن محمد المهلبى الأزدى الأصفهانى، أبو بكر صدر الدين الخجندى الشافعى، صدر العراق فى زمانه علما ومهابة. كان السلاطين يصدرون عن رأيه. ورد بغداد وتولى تدريس النظامية ووعظ بها وبجامع القصر. وكان أشبه بالوزراء منه بالعلماء، يمشى أو يجلس للدرس والسيوف حوله مشهورة. خرج من بغداد إلى أصبهان فنزل بقرية بين همذان والكرخ فنام وهو فى عافية وأصبح ميتا، فحمل إلى أصبهان ودفن بسيلان. من تصنيفه «التلويح» مخطوط فى النجف، اختصر به قانون ابن سينا وزاد فيه فوائد.

(الأعلام للزركلى ٦/ ٢١٧)

قالت المؤلفة: له أيضا كتاب «تشريح الأبدان» وقد أفردنا له مادة خاصة تحت عنوانه فى م ٩/ ٣٨١ ـ ٣٨٣ مع صورة للمخطوط ص ٣٨٢ فانظرها فى موضعها.

* **الخُدابَاذى:**

قال السمعانى:

الخداباذى: بضم الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة والباء المنقوطة بواحدة بين الألفين وفى آخرها الذال، هذه النسبة إلى خداباذ وهى قرية من قرى بخارا على خمسة فراسخ منها على طرف البرية، وهى من أمهات القرى، خرج منها جماعة من العلماء، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة بن بنكى ابن محمد بن على الخداباذى، كان إماما فاضلا صالحا ورعا عاملا بعلمه، خرج إلى الحجاز فى حدود سنة خمسمائة وركب البادية من طريق البصرة وقُطع عليهم الطريق وحصلوا بمكة وجاور هو وابنه أبو المكارم حمزة بن إبراهيم وخرج إلى المدينة وتوفى بها فى سنة إحدى وخمسمائة؛ وانصرف ابنه أبو المكارم حمزة بن إبراهيم الخداباذى إلى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر ورجع إلى خراسان وتفقه على شيخنا الإمام إبراهيم بن أحمد المروروذى، وكان حسن السيرة متعبدا دائم التلاوة، سمع ببخارى أبا القاسم على بن أحمد بن إسماعيل الكلاباذى وأبا بكر محمد بن الحسن بن حفصويه السوسقانى وأبا على طاهر ابن أحمد الإسماعيلى، وبمرو أبا الفضل محمد بن أحمد بن حفص الماهيانى وأبا يعقوب يوسف بن أيوب الهمذانى، وبمكة أبا محمد عبد الملك بن بتنة الأنصارى وغيرهم، سمعت منه أحاديث يسيرة ببخارى، وكانت ولادته فى سنة ست وثمانين وأربعمائة ببخارى.

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٣٢٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١/ ٤٩٥).

* **أبو خداش الشرعبى:**

قال عنه ابن عبد البر:

أبو خداش الشرعبى حبان بن زيد، شامى. لا تصح له صحبة، ذكره بعضهم فى الصحابة لحديث رواه عن ابن محيريز، عن أبى خداش السلمى. رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: غزوت مع النبى ﷺ فسمعته يقول: الناس شركاء فى أسفارهم فى ثلاث: الماء، والكلأ، والنار. هذا الحديث رواه معاذ بن معاذ العنبرى، ويزيد بن هارون، وثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبى خداش. وسماه بعضهم حبان ابن زيد الشرعبى، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: غزوت مع النبى ﷺ غزوات فسمعته يقول: المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار. وهذا هو الصحيح قول من قال: أبو خداش، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، لا

قول من قال: عن أبى خداش رجل من أصحاب ﷺ. وقد روى أبو خداش هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقال أبو حفص عمرو بن على الفلاس: سألت يحيى بن سعيد عن حديث ثور بن يزيد، عن حريز (فى أسد الغابة: جرير)، عن أبى خداش، فقال: قال لى معاذ: سمعته من حريز فسألته عنه، فلم أدعه حتى حدثنى به، فقال: حدثنا ثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبى خداش، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات أو ثلاث غزوات، فسمعته يقول: المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار.

قال أبو حفص: وسألت عنه معاذ ـ يعنى ابن معاذ العنبرى ـ فحدثنى به، قال: حدثنى حريز بن عثمان، قال: حدثنا حبان بن زيد الشرعبى، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: غزوت. قال أبو حفص: ثم قدم علينا يزيد بن هارون، فحدثنا به. قال: حدثنا حبان بن زيد الشرعبى. وهذا الحديث أخبرناه خلف بن القاسم، قال: حدثنا ابن أبى العقب. قال: أخبرنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيدى، عن ثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبى خداش، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣٤، ١٦٣٥).

*** الخدامى:**

قال السمعانى:

الخدامى: بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة، وهذه النسبة إلى جده خدام، والمشهور بهذه النسبة بيت كبير بسرخس، منهم أبو نصر زهير بن الحسن بن على بن محمد ابن يحيى بن خدام بن غالب الخدامى السرخسى، كان فقيها فاضلا، يروى عن أبى طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره، روى عنه جماعة، ووفاته فى سنة نيف وخمسين وأربعمائة. وحفيده أبو نصر زهير بن على بن زهير الخدامى، حدث بكتاب «تحفة العالم وفرحة المتعلم» للسيد أبى المعالى محمد بن زيد البغدادى عن مصنفه، قرأت عليه جميعه بميهنة وكان يسكنها، وتوفى سنة نيف وثلاثين وخمسمائة. وجماعة إلى الساعة بسرخس يتسبون بهذه النسبة، وببخارى أبو الحسن على بن محمد بن الحسين بن خدام الخدامى، ينسب إلى جده، وسمعت أنه من هذا البيت أيضا، حدث عن جده لأمه أبى على الحسين بن الخضر النسفى وأبى الفضل الكاغذى وغيرهما وتوفى (فى) سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وروى لى عنه صاعد بن مسلم الخيزرانى بسارية وأبو جعفر الخلمى ببلخ وأبو المعالى بن أبى اليسر القاضى بمرو وأبو عابت البزدوى بسمرقند وأبو العباس السقنائى ببخارى ـ فى جماعة كثيرة سواهم. وبهذه النسبة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الفقيه من سكة خدام ـ كذا قال ابن ماكولا، وسكة خدام بنيسابور بمحلة باب عزرة، وهو يعرف بالخدامى من أعيان فقهاء أهل الرأى أبو بشر الخدامى أخوه، سمع بالعراق والشام وخراسان الكثير عن أحمد بن نصر اللباد وأبى بكر بن ياسين وأبى يحيى البزاز وموسى بن هارون وعمر بن سنان المنبجى وغيرهم، روى عنه أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شعيب بن هارون الشعيبى. وأبو إسحاق الخدامى من أجلة فقهاء أصحاب الرأى ومن أزهدهم، ومات فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

قالت المؤلفة: له ترجمة فى الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين الغزى ١ / ٢٥٥، ٢٥٦، والأعلام للزركلى ١/ ٦٠

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٢٩، ٢٣٠ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٩٥، ٤٩٦).

*** الخدر:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب.

الخَدَر من أمراض الرأس عند صاحب النزهة المبهجة.

قال عنه:

الخدر نقصان حس الأعضاء أو بعضها لسدة تحبس الروح غير تام وكأنها مبادئ السكتة وقد يكون لالتواء عضو أو انضغاط عصب أو خطأ فى نحو فصد وقطع يصيب العصب وأسبابه أسباب السكتة لكن إذا كانت ضعيفة وعلامات كل معلومة. (العلاج) ما كان منه عن إيذاء عصب فلا علاج له وإلا لازم على أكل الزنجبيل والشبت واستعمال الفلفل الأسود بالزيت مطلقا وما ذكر فى الرعشة وترياق الذهب مجرب وكذا شرب مرارة البقر مع وزنهاشيرج اهـ.

(النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود بن عمر الأنطاكي. بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ١٢٥، ١٢٦).

*** خدم رسول الله ﷺ:**

قال الإمام النووى عن خدم رسول الله ﷺ:

منهم أنس بن مالك وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان. وربيعة بن كعب الأسلمي وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه إذا قام ألبسه إياهما وإذا جلس حطهما وجعلهما فى ذراعيه حتى يقوم. وكان عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته ﷺ يقود به فى الأسفار. وبلال المؤذن، وسعد مولى أبى بكر الصديق، وذو مخمر ويقال مخبر بالباء الموحدة ابن أخي النجاشي ويقال ابن أخته، وبكير بن سراح الليثى ويقال بكر، وأبو ذر الغفارى، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر مولى أم سلمة، وأبو السجع رضى الله عنهم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٩ ونور الأبصار / ٨٥).

وقد صاغها نظما الحافظ العراقى فى ألفيته فى باب ذكر خدامه من الرجال والنساء مما ننقله لك فيما يلى مشفوعا بشرح الإمام عبد الرزاق المناوى:

فأنس ألزمهم للخدمة
أسماء هند ولدا حارثة
كذا بلال عقبة بن عامر
سعد فتى الصديق مع ذى مخمر
ربيعة مع ابن مسعود أبو
ذر بكير وليث نسبوا
ابن شريك أسلع فأربد
كذا ابن مالك والاسم الأسود
وابن أخيه الجدرجان جزر
له بخدام النبى ذكر
وسابق وسالم قد ذكرا
وقيل سلمى واعدد المهاجرا
قيس بن سعد أيمن ثعلبة
كذا نعيم بن ربيعة
كذا أبو السمح أبو الحمراء
أبو عبيد ومن النساء

الشرح: فأول خدامه أنس بن مالك الأنصارى وكان ألزمهم لخدمته وأسماء، وهند ابنا حارثة الأسلميان.

وبلال بن رباح المؤذن، وعقبة بن عامر الجهنى كان صاحب بغلته يقود به فى الأسفار.

وسعد مولى أبى بكر الصديق؛ وذو مخمر ابن أخي النجاشي أو ابن أخته؛ وربيعة بن كعب الأسلمي، وعبد الله ابن مسعود وكان صاحب نعله ووسادته، وأبو ذر الغفارى، وبكير بن شريح الليثى ويقال بكر، وأسلع بن شريك كان صاحب راحلته؛ وأربد قيل هو ابن حمير وقيل غيره، والأسود ابن مالك الأسدى، وابن أخيه الجدرجان بن مالك وقيل إنما هو أخوه، وجزر بن الجدرجان ذكره ابن منده فى خدام النبى عليه السلام، وسلام على ماذكره ابن عبد البر؛ وقيل لا يصح سابق فى الصحابة وذكر بعضهم أن من خدامه سلمى وقيل هو سالم المذكور وقيل هو أبو سلمى وقيل أبو سلام، ومهاجر مولى أبى سلمى، وقيس بن سعد بن عبادة كان من المصطفى بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان، وأيمن ابن أم أيمن، وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى، ونعيم بن ربيعة بن كعب،

وأبو السمح قيل واسمه إياد، وأبو الحمراء هلال بن الحُرث أو هلال بن ظفر، وأبو عبيد قاله ابن عبد البر قيل خادمه وقيل مولاه ولم أقف على اسمه، وقول الناظم من النساء يأتي شرحه.

مـاريـة اثنتـان مع رزينـه
وأمـة الله لهـذه ابنـه
صفيـة وخـولـة وخضـره
سلمى وأم أيمن بـركـه
وأم عبـاس كـذا ميمـونـه
وفي المـوالي ذكـرت ذي الخمسه

الشرح: وخدامه من النساء مارية، وهما اثنتان مارية جدة المثنى بن صالح لها حديث في الكوفيين رواه أبو بكر بن عياش عن المثنى بن صالح عن جدته مارية قالت صافحت رسول الله ﷺ لم أر كفا ألين من كفه ﷺ، ومارية أم الرباب، لها حديث في البصريين ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ثم قال: لا أدرى أهي الأولى قبلها أم لا؟ وذكرهما ابن عبد البر وغيره وقيل هما واحدة. ورزينة لها حديث في عاشوراء عند أهل البصرة وبنتها أمة الله، وصفية روت عنها أمة الله حديث في الكسوف ذكره ابن عبد البر، وخولة، وحضرة، وسلمى، وأم أيمن واسمها بركة وهي حاضنته، وأم عياش، ميمونة، بعين مهملة ثم تحتية ثم شين معجمة كما اقتصر عليه في التبصير والنور. زاد الشامي: وقيل بموحدة ومهملة كما في شرح المواهب.

وقد ذكرت هذه الخمسة في مواليه ﷺ (العجالة السنية / ٢٥٧، ٢٥٨)

وقد ورد ذكر خدام رسول الله ﷺ في منظومة سيرة سيد ولد آدم. قال الناظم السيد عبد الحميد الخطيب:

وكـذلك كـان لكل من حـول الـرسـو
ل المصطفى نـوع من الخـدمـات
فـالأخـذ إذن منـه للـزوار كـان
(ربـاح) مع (أنس) لـدى الخلـوات
وكـذلك (آنسـة) كـذاك (ومـالك
والأشعـري) في نـادر الأوقـات
و (ربيعـة) قـد كـان يلـزم بـابـه
لقضـاء مـا يحتـاج من طلبـات
ولـه يـرافق حـاضرا ومسـافـرا
في كـافـة الغـدوات والـروحـات
و (بـريـرة) خصت لتقـديم السـوا
ك إليـه عنـد الصحـو من غفـلات
وكـذاك (كـركـوة) على أثقـالـه
إن مـا أراد السيـر للـرحـلات
ويقـود راحلـة النبي بكـل إخـ
لاص بحـال الحـرب في الحـومـات
وهـو الـذى قـد قيل عنـه بأنـه
في (خيبـر) قـد غـل من شمـلات
وكـذاك (كلثـوم بن هـدم وابن عـو
ف أسلع) خـدمـا لـه النـاقـات
وكـذاك (عقبـة بن عـامـر) كـان يخـ
دم مـالـه أهـدى من البغـلات
ويقـود بغلتـه ويمشي تحتـه
ولـه يـؤدي واجب الخـدمـات
وكـذاك سـائق بـدنـه هم (خـالـد
حسـان نـاجيـة) بـلا ريبـات
وكـذاك في رعي اللقـاح (عُـرَيْبُ
مع ذر الغفـاري) في ربى الفلـوات

(سيرة سيد ولد آدم/ ٩٢، ٩٣).

(تهذيب اللغات والأسماء للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ /

٢٩، ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي ط دار الغد العربي / ٨٥ والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للزيني العراقي، للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوي - قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري / ٢٥٧، ٢٥٨، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٩٢، ٩٣).

* **خدم مسجد رسول الله ﷺ:**

ذكرهم السيد عبد الحميد في منظومته المستفيضة فقال :

وكـذاك كـان يضيء مسجـده (سـرا ج أبـو البـراد) بسـاعة الظلمـات

مـولى تميم من دعـا طـه لـه بـالنـور في الـدنيـا وفي الميقـات

وكـذاك كـانت أم محجن تنقل الأ قـذار في بعض من الأوقـات

من مسجـد المختـار حتى أنـه قـد خصهـا في القبـر بـالصلـوات

(سيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٩٥).

* **خديجة أم المؤمنين (٦٨ - ٣ ق هـ/ ٥٥٦ - ٦٢٠):**

خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي أم أولاده كلهم رضي الله عنهم إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من مارية القبطية ولم يتزوج رسول الله ﷺ قبل خديجة غيرها ولا تزوج في حياتها غيرها وبقيت معه ﷺ أربعا وعشرين سنة وأشهرا ثم توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس وقيل بأربع والصحيح الأول وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام روى البخاري في صحيحه في باب مناقب خديجة رضي الله عنها عن عروة عن عائشة قالت تزوجني رسول الله ﷺ بعد خديجة بثلاث سنين. وروى البخاري أيضا في باب مناقب عائشة عن عروة قال توفيت خديجة قبل مخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك فنكح عائشة وهي بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع سنين : وذكر الزهري وخلائق من العلماء أنها أول من أسلم وآمن بالنبي عليه السلام. ونقل الثعلبي الإجماع عليه وقيل أبو بكر وقيل غير ذلك.

ولخديجة مناقب كثيرة في الصحيح معروفة منها عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أتى جبريل النبي عليه السلام فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام طعام أو شراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربي ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» رواه البخاري. وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان النبي ﷺ يكثر ذكر خديجة» وفي مسند أبي يعلى الموصلي بإسناد حسن عن ابن عباس قال «قال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون. وفي تاريخ دمشق عن ابن عباس وعائشة أن كنية خديجة أم هند كنيت بولدها من أبي هالة. ورويناً في تاريخ دمشق أن خديجة كانت تسمى في الجاهلية الطاهرة قالوا وكانت قبل النبي ﷺ زوجة لعتيق بن عائذ المخزومي فمات عنها وله منها ولد ثم تزوجها أبو هالة مالك وقيل هند بن زرارة وقيل تزوجها أبو هالة قبل عتيق ثم تزوجها رسول الله ﷺ ولها يومئذ خمس وأربعون سنة وقيل ثمان وعشرون وقيل أربعون وفي تاريخ دمشق أنها توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة وهي بنت خمس وستين سنة ودفنت بالحجون ونزل النبي ﷺ في حفرتها وذلك بعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير.

(تهذيب الأسماء واللغات ٤/ ٣٤١، ٣٤٢)

لقد قضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحدا مثل حبه لها، وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه فلما انصرفت سألته

عائشة عنها لتعلم سبب إكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وقد صح عن عائشة أنها غارت منها وهى لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له: هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها؟ - تعنى نفسها وكانت تدل بحداثة سنها وجمالها وكونه ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها وبكونها بنت صديقه الأكبر أبى بكر رضى الله عنه وعنها - قالت فغضب وقال «لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها: آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء» قالت: فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسيئة أبدا رواه ابن عبد البر والدولابى.

وروى الشيخان عنها أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة (أى صديقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول «إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد» زاد فى رواية: قالت وتزوجنى بعدها بثلاث سنين، وفى صحيح مسلم عنها: كان إذا ذبح الشاة قال «أرسلوها إلى أصدقاء خديجة» فذكرت له يوما فقال «إنى لأحب حبيبها» وكانت خديجة أعقل العقائل، وفضلى الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهى أول من آمن بالنبى ﷺ (نداء للجنس اللطيف/ ٥٦، ٥٧)

وعن إسلام السيدة خديجة رضى الله عنها يقول الإمام محب الدين الطبرى:

عن الزهيرى قال كانت خديجة رضى الله عنها أول من آمنت برسول الله ﷺ من النساء والرجال خرجه الدولابى أيضا. وعن أبى رافع رضى الله عنه قال ﷺ يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين. وعن ابن عباس رضى الله عنهما مثله. قال ابن اسحاق كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدق بمحمد ﷺ فيما جاء به وآزرته على أمره ذكر كله أبو عمر، وعن الحكم بن عتيبة قال خديجة أول من صدق وعلى أول من صلى إلى القبلة خرجه الحافظ السلفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال بعث الله عز وجل محمدا على رأس خمس وستين من بنيان الكعبة فكان أول شىء أراه الله تعالى من النبوة الرؤيا فى المنام فشق ذلك عليه والحق ثقيل والإنسان ضعيف فذكر ذلك رسول الله ﷺ لزوجه خديجة بنت خويلد فعصمها الله عن التكذيب فقالت أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا. قال ابن عباس رضى الله عنه ثم استعلن أى ظهر له جبريل وهو بأعلى مكة من قبل حر (جبل بمكة) فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه وقال له لا تخف وأجلسه معه على مجلس كريم جميل معجب. وكان ﷺ يقول أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك (ستر له خمل) فيه من الياقوت واللؤلؤ وبشره برسالة الله حتى اطمأن النبى الله ﷺ ثم قال له اقرأ قال كيف أقرأ قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾ [العلق: ١ - ٣] فقبل الرسول رسالات ربه واتبع الذى جاء به جبريل من عند رب العرش العظيم فلما قضى الله الذى أمر به انصرف رسول الله ﷺ منقلبا إلى أهله لا يأتى على حجر ولا شجر إلا وسلم عليه سلام عليك يارسول الله ورجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزا عظيما فلما دخل على خديجة رضى الله عنها قال ياخديجة أرأيت ماكنت أراه فى المنام وأحدثك به أستعلن وأنه جبريل عليه السلام أرسله ربه وأخبرها بالذى رأى وسمع فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا وأنا أقبل الذى أتاك من الله تعالى فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقا.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال ماجاءنا أبو حنيفة رضى الله عنه بشىء أعجب إلينا من هذا قال إن أول من آمن من النساء خديجة رضى الله عنها وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأول من أسلم من الغلمان على رضى الله عنه.

ثم يقول عن تسكينها النبى ﷺ وتثبيته حين مجىء الوحى:

عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء

فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها ففجأه الحق وهى فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أن بقارئ. قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضى الله عنها فقال زملونى زملونى حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالى فأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسى فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها وكان امرأ تنصّر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى ويكتب من الإنجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة بن نوفل يابن أخى ماذا ترى وأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا (أى ياليتنى أكون عند ظهور نبوته) ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال أو مخرجى هم؟ قال ورقة لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عُودِى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى قال محمد بن إسحاق كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة رضى الله عنها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضى الله عنها. وعن عبد الرحمن بن زيد قال: قال آدم عليه السلام إنى لسيد البشر يوم القيامة إلا رجلا من ذريتى نبيا من الأنبياء يقال له أحمد فضل على باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت زوجتى علىَّ عونا وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطانى خرجه الدولابى.

(السمط الثمين / ١٥-١٧، ١٩)

يقول الزينى العراقى فى ألفيته عن وفاة أبى طالب وخديجة بنت خويلد فى عام واحد:

بعد خروجهم بثلثى عام
وثلثى شهر ويوم طامى
سيق أبو طالب للحمام
ثم تلا ثلاثة الأيام
موت خديجة الرضى فلم يهن
على الرسول فقد ذين وحزن

(العجالة السنية / ٦٠)

ويقول السيد عبد الحميد الخطيب فى منظومته المستفيضة عند الكلام على نساء رسول الله ﷺ:

ونساؤه كثر وأولاهن من
بالنفس واسته وبالثروات
قبل الرسالة وهى أول من به
قد آمنت وفدته بالمهجات
أعنى (خديجة) من لها قد أرسل المو
لى السلام فنالت العزات
ووفى لها وقدَّر نبلها
واختصها بالحب والنظرات
إذ لم يفكر فى الزواج بغيرها
حتى زوت فى الترب بعد ممات
مع أنه قد كان فى شرخ الشبا
ب وكان ثمة وافر القنوات
وغدت محبتها تجيش بقلبه
فتغار منها أصغر الزوجات

(سيرة سيد ولد آدم / ٣٨)

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢/ ٣٤١، ٣٤٢، ونداء للجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٥٦، ٥٧، والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين

أحمد بن عبد الله الطبرى/ ١٥ ـ ١٧، ١٩، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للزين العراقى، للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوى ــ قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ٦٠، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٣٨.

انظر أيضا الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى م٤ حـ ٨ / ٦٠ ــ ٦٢، والأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٢، ونور الأبصار للشيخ الشبلنجى ط دار الغد العربى / ٧٥، و «مناقب السيدة خديجة أولى أمهات المؤمنين» ـ الأستاذ عبد المنعم محمد عمر. مجلة الأزهر. الجزء الأول، السنة الخامسة والستون، المحرم ١٤١٣ هـ ـ يولية ١٩٩٢ م / ٤٧ ـ ٥١).

*** خديجة (مدرسة الست ـ):**

ذكرها على مبارك فى المدارس فقال:

هى بسوق الزلط على يمنة المار على جامع الزاهد إلى باب البحر. أنشأتها الست خديجة بنت درهم ونصف فى سنة ست وعشرين وتسعمائة، وهى عامرة إلى اليوم، وتعرف بجامع شهاب الدين وقد ذكرناه فى الجوامع.

(الخطط التوفيقية الجديدة ٦ / ١٥)

ونحن نذكرها تحت عنوان « شهاب الدين (جامع ـ)» إن شاء الله تعالى.

*** الخُدَيْمَنكنى:**

قال السمعانى:

الخُدَيْمَنكنى: بضم الخاء المنقوطة وكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون النون وفتح الكاف وفى آخرها نون أخرى، هذه النسبة إلى خديمنكن، وهى إحدى قرى كرمينية، على فرسخين منها، تختص بأصحاب الحديث، وبها الجامع والمنبر، رأيت رجلا صالحا من هذه القرية دخل على سمرقند مسلما وقال لى أنا من قرية تتعلق بأصحابكم، وذكر لى حال هذه القرية، والمشهور بالانتساب إليها جماعة، منهم الخطيب أبو نصر أحمد بن أبى بكر محمد يعرف بنيارك بن أبى عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم الخديمنكنى، ذكره عبد العزيز بن محمد النخشبى الحافظ فى معجم شيوخه وقال: سمع أبا أحمد أحمد بن محمد بن أحمد بن محفوظ الورقودى عن الفربرى صحيح البخارى، وسمع أباه، سمعنا منه بخديمنكن، وانتخبت عليه شيئا من سماعه من أبيه من كتاب الرقاق لمحمد بن إسماعيل، رأيت عنده كتب جده عن أصحاب البخارى، ثم دخلت كرمينية فى شهر رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة وإذا هو يقرأ عليه الصحيح للبخارى بسماعه عن الورقودى فى سنة ثمان أو ست أو سبع وسبعين، وكنت لم أعلم قديما أن عنده الورقودى. وأبو عمر سليم بن مجاهد بن يعيش الخديمنكنى، جالس محمد بن إسماعيل البخارى، يروى عن صالح بن محمد بن مرزوق البصرى ومحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وسويد بن سعيد الحدثانى وغيرهم، روى عنه ابنه صهيب بن سليم الخديمنكنى أبو حسان وغيره. وحفيده أبو سعيد يحيى بن معن بن سلتم بن مجاهد الخديمنكنى، يروى عن محمد بن نصر المروزى ونصر بن سيار السمرقندى وغيرهما، حدث بخشوفغن سغد، روى عنه أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن محمد البجيرى. وأبو هشام عروة بن أحمد بن إبراهيم ابن على الخديمنكنى الكرمينى، يروى عن محمد بن الضوء ومحمد بن نصر المروزى، روى عنه ابنه أبو عبيد أحمد بن عروة، وتوفى فى المحرم سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٢، ٣٣٣. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٤٩٨).

*** الخذلان والتخلية:**

من الأغراض البلاغية التى ذكرها الزمخشرى لأسلوب الأمر الخذلان والتخلية.

ومنه قوله تعالى: ﴿**قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار**﴾ [الزمر: ٨] وقوله تعالى: ﴿**قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار**﴾ [إبراهيم: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿**ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾ [النحل: ٥٥].

يقول الزمخشرى (الكشاف/ ٣٨٩) بصدد تفسيره للآية الأولى: وقوله ﴿**تمتع بكفرك**﴾ من باب الخذلان والتخلية، كأنه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة

فمن حقك إلا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه ــ مبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه، لأن لا مبالغة فى الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به، ونظيره فى المعنى قوله: ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم﴾ [آل عمران: ١٩٧].

ومن الأمر لهذا الغرض أيضا قوله تعالى: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ [الزمر: ١٥].

يقول الزمخشرى: المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية (الزمخشرى ٤ / ٣٩٢).

(النظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ـ د. درويش الجندى / ٦٩)

***الخرابى:**

قال السمعانى:

الخرابى: بفتح الخاء المعجمة والراء وفى آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذه النسبة إلى موضع ببغداد يعرف بخراب المعتصم، والمشهور بالانتساب إليه بكر محمد بن الفرج المقرئ الخرابى البغدادى، حدث عن محمد بن الفرج الرقيقى ومحمد بن إسحاق المسيبى، حدث عنه ابن مجاهد وأبو الحسين المنادى قاله ابن ماكولا.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٣٥ واللباب لابن الأثير، ١/ ٤٩٩).

***الخراج:**

الخراج لفظة عرفت منذ الأيام الأولى للإسلام وتعنى الضريبة السنوية المفروضة على الأراضى التى تزرع حبوبا ونخيلا وفاكهة، يدفعها المزارع للمقطع صاحب الأرض الإقطاعية ليؤديها بدوره إلى خزانة الدولة بعد استقطاع مختلف المصروفات (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٦)

قال ياقوت:

وأما الخراج: فإن الخَرَاج والخَرْج بمعنى واحد، وهو أن يؤدى العبد إليك خراجه أى غلته. والرعية تؤدى الخراج إلى الولاة، وأصله من قوله تعالى ﴿أم تسألهم خرجا﴾ [المؤمنون: ٧٢] وقرىء خراجا (قراءة حمزة والكسائى، كتاب السبعة / ٤٤٧)، معناه أم تسألهم أجرا على ما جئت به، فأجر ربك وثوابه خير. وأما الخراج الذى وظفه عمر بن الخطاب. رضى الله عنه، على السواد، فأراضى الفيء، فإن معناه الغلة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «الخراج بالضمان» (مسند أبى داود، كتاب البيوع / ٧١، الترمذى: بيوع / ٥٣ ــ ٦٥ النسائى: بيوع / ١٥، ابن ماجه: تجارات / ٤٣) قالوا: هو غلة العبد يشتريه الرجل فيستغله زمانا، ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع (أى كتمه وأخفاه) ولم يطلعه عليه، فله رد العبد على البائع والرجوع عليه بجميع الثمن. والغلة التى استغلها المشترى من العبد طيبة له، لأنه كان فى ضمانه ولو هلك هلك من ماله، وكان عمر رضى الله عنه، أمر بمسح السواد ودفعه إلى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة، ولذلك سمى خراجا، ثم بعد ذلك قيل للبلاد التى فتحت صلحا ووظف ما صولحوا عليه على أرضهم، خراجية، لأن تلك الوظيفة أشبهت الخراج الذى لزم الفلاحين، وهو الغلة، لأن جملة معنى الخراج الغلة، وفى الحديث « أن أبا طيبة لم حجم النبىﷺ، أمر له بصاعين من طعام وكلم أهله، فوضعوا عنه من خراجه أى من غلته» (معجم البلدان ١ / ٤٠، ومن كتاب معجم البلدان ١ / ١٣٦، ١٣٧).

قال ياقوت: السواد يراد به رستاق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار (معجم البلدان ٣ / ٢٧٢) ونفرد له مادة خاصة فى حرف السين إن شاء الله تعالى.

وقد أفرد الإمام الماوردى الباب الثالث عشر من «الأحكام السلطانية لوضع الجزية والخراج، وبين الأوجه التى يفترقان فيها فقال:

وأما الأوجه التى يفترقان فيها: فأحدها أن الجزية نص وأن الخراج اجتهاد والثانى أن أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد، والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد. والثالث أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام. فأما الجزية فهى موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا. والأصل فيها قوله تعالى:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة: ٢٩]

وبعد الكلام على الجزية يتكلم الإمام الماوردى على الخراج فيقول:

وأما الخراج، فهو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها وفيه من نص الكتاب بينة خالفت نص الجزية فلذلك كان موقوفا على اجتهاد الأئمة قال الله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير﴾ [المؤمنون: ٧٢].

وفى قولهم أم تسألهم خرجا وجهان: أحدهما أجرا، والثانى نفعا. وفى قوله ﴿فخراج ربك خير﴾ وجهان: أحدهما فرزق ربك فى الدنيا خير منه وهذا قول الكلبى. والثانى فأجر ربك فى الآخرة خير منه، وهذا قول الكلبى أيضا. وقوله فأجر ربك فى الآخرة خير منه، وهذا قول الحسن أيضا. قال أبو عمرو بن العلاء: والفرق بين الخرج والخراج أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض. والخراج فى لغة العرب اسم للكراء والغلة ومنه قول النبى ﷺ: «الخراج بالضمان».

وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر فى الملك والحكم.

والأرضون كلها تنقسم أربعة أقسام: أحدها ما استأنف المسلمون إحياءه فهو أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج، والكلام فيها يذكر فى إحياء الموات من كتابنا هذا قالت المؤلفة: أوردنا مادة «إحياء الموات» فى م ٣ / ١٨ - ٢٢ فانظرها فى موضعها. والقسم الثانى ما أسلم عليه أربابه فهم أحق به، فتكون على مذهب الشافعى رحمه الله أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج. وقال أبو حنيفة الإمام مخير بين أن يجعلها خراجا أو عشرا، فإن جعلها خراجا لم يجز أن تنقل إلى العشر، وإن جعلها عشرا جاز أن تنقل إلى الخراج. والقسم الثالث ما ملك من المشركين عنوة وقهرا، فيكون على مذهب الشافعى رحمه الله غنيمة تقسم بين الغانمين وتكون أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج، وجعلها مالك وقفا على المسلمين بخراج يوضع عليها. وقال أبو حنيفة يكون الإمام مخيرا بين الأمرين. والقسم الرابع ماصولح عليه المشركون من أرضهم فهى الأرض المخصصة بوضع الخراج عليها وهى على ضربين.

أحدهما ما خلا عنه أهله حصلت للمسلمين بغير قتال فتصير وقفا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة تقر على الأبد وإن لم يقدر بمدة لما فيها من عموم المصلحة ولا يتغير بإسلام ولا ذمة، ولا يجوز بيع رقابها اعتبارا لحكم الوقوف.

والضرب الثانى ما أقام فيه أهله وصولحوا على إقراره فى أيديهم بخراج يضرب عليهم فهذا على ضربين:

أحدهما أن ينزلوا عن ملكها لنا عند صلحنا فتصير هذه الأرض وقفا على المسلمين كالذى انجلى عنه أهله، ويكون الخراج المضروب عليهم أجرة لا تسقط بإسلامهم ولا يجوز لهم بيع رقابهم، ويكونون أحق ما أقاموا على صلحهم ولا تنتزع من أيديهم سواء أقاموا على شركهم أم أسلموا كما لا تنتزع الأرض المستأجرة من يد مستأجرها، ولا يسقط عنهم بهذا الخراج جزية رقابهم إن صاروا أهل ذمة مستوطنين وإن لم ينتقلوا إلى الذمة وأقاموا على حكم العهد لم يجز أن يقروا فيها سنة وجاز إقرارهم فيها دونها بغير جزية.

والضرب الثانى أن يستبقوها على أملاكهم ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما أقاموا على شركهم وتسقط عنهم بإسلامهم ويجوز أن لا يؤخذ منهم جزية رقابهم، ويجوز لهم بيع هذه الأرض على من شاءوا منهم أو من المسلمين أو من أهل الذمة، فإن تبايعوها فيما بينهم كانت على حكمها فى الخراج وإن بيعت على مسلم سقط عنه خراجها: وإن بيعت على ذمى احتمل أن لا يسقط عنه خراجها لبقاء كفره، واحتمل أن يسقط عنه خراجها بخروجه بالذمة عن عقدة من صولح عليها، ثم ينظر فى هذا الخراج الموضوع عليها فإن وضع على مسائح الجربان بأن يؤخذ من كل جريب قدر من ورق أوجب، فإن سقط عن بعضها بإسلام أهله كان ما بقى على حكمه ولا يضم إليه خراج ماسقط بالإسلام، وإن كان الخراج الموضوع عليها صلحا على مال مقدر لم يسقط على مساحة

الجربان، فمذهب الشافعي أنه يحط عنهم من مال الصلح ما سقط منه بإسلام أهله وقال أبو حنيفة يكون مال الصلح باقيا بكماله ولا يسقط عن هذا المسلم ما خصه بإسلامه. فأما قدر الخراج المضروب فيعتبر بما تحتمله الأرض، فإن عمر رضى الله عنه حين وضع الخراج على سواد العراق فى بعض نواحيه على كل جريب قفيزا ودرهما وجرى فى ذلك على ما استوفقه من رأى كسرى بن قباذ، فإنه أول من مسح السواد ووضع الخراج وحدد الحدود ووضع الدواوين. وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك ولا إجحاف بزارع وأخذ من كل جريب قفيزا ودرهما وكان القفيز وزنه ثمانية أرطال ثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثقال، لانتشار ذلك بما ظهر فى جاهلية العرب قال زهير بن أبى سلمى (من الطويل):

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها

قرى بالعراق من قفيز ودرهم

(الجريب: مكيال قدر أربعة أقفزة. المعجم الوجيز / ٩٨).

وضرب عمر رضى الله عنه على ناحية أخرى غيرها غير هذا القدر، فاستعمل عثمان بن حنيف عليه وأمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الأرض من خراجها، فمسح ووضع كل جريب من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم، ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب السكر ستة دراهم. ومن الرطبة خمسة دراهم، ومن البر أربعة دراهم، ومن الشعير درهمين وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمضاه وعمل فى نواحى الشام على غير هذا فعلم أنه راعى فى كل أرض ما تحتمله. وكذلك يجب أن يكون واضع الخراج بعده يراعى فى كل أرض ما تحتمله، فإنها تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل منها فى زيادة الخراج ونقصانه: أحدها يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها أو رداءة يقل بها ريعها. الثانى ما يختص بالزرع مع اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه، ومنها ما يقل ثمنه، فيكون الخراج بحسبه، والثالث ما يختص بالسقى والشرب، لأن ما التزم المؤنة فى سقيه النواضح والدوالى لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقى السيوح والأمطار.

وشرب الزرع والأشجار ينقسم أربعة أقسام: أحدها ما سقاه الآدميون بغير آلة كالسيوح من العيون والأنهار يساق إليها فيسيح عليها عند الحاجة ويمنع منها عند الاستغناء وهذا أوفر المياه منفعة وأقلها كلفة. والقسم الثانى ما سقاه الآدميون بآلة من نواضح ودواليب أو دوالى وهذا أكثر المياه مؤنة وأشقها عملا. والقسم الثالث ما سقته السماء بمطر أو ثلج أو طل ويسمى العذى. والقسم الرابع ماسقته الأرض بنداوتها وما استكمن من الماء فى قرارها فيشرب زرعها وشجرها بعرقه ويسمى البعل. فأما الغيل وهو ماشرب بالقناة فإن ساح فهو القسم الأول: وان لم يسح فهو من القسم الثانى. وأما الكظائم فهو ما شرب من الآبار، فإن نضح منها بالغروب فهو من القسم الثانى، وإن استخرج من القناة فهو غيل يلحق بالقسم الأول. وإذا استقر ما ذكرنا فلا بد لواضع الخراج من اعتبار ما وصفناه من الأوجه الثلاثة، من اختلاف الأرضين واختلاف الزروع واختلاف السقى ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين الفيء من غير زيادة تجحف بأهل الخراج ولا نقصان يضر بأهل الفيء نظرا للفريقين، ومن الناس من اعتبر شرطا رابعا وهو قربها من البلدان والأسواق وبعدها لزيادة أثمانها ونقصانها، وهذا انما يعتبر فيما يكون خراجه ورقا ولا يعتبر فيما يكون خراجه حبا وتلك الشروط الثلاثة تعتبر فى الحب والورق وإذا كان الخراج معتبرا بما وصفنا فكذلك ما اختلف قدره وجاز أن يكون خراج كل ناحية مخالفا لخراج غيرها، ولا يستقصى فى وضع الخراج غاية ما يحتمله، وليجعل فيه لأرباب الأرض بقية يجبرون بها النوائب والجوائح.

حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى أخذ الفضل من أموال السواد فمنعه من ذلك وكتب اليه: لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما.

فإذا تقرر الخراج بما احتملته الأرض من الوجوه التى قدمناها راعى فيها أصلح الأمور من ثلاثة أوجه: أحدها أن يضعه على مسائح الأرض. والثانى أن يضعه على مسائح الزرع. والثالث أن يجعلها مقاسمة، فإن وضعه على مسائح الأرض كان معتبرا بالنسبة الهلالية وإن وضعه على مسائح

الزرع كان معتبرا بالسنة الشمسية، وإن جعله مقاسمة كان معتبرا بكمال الزرع وتصفيته، فإذا استقر على أخذها مقدرا بالشروط المعتبرة فيه صار ذلك مؤبدا لا يجوز أن يزاد فيه ولا ينقص منه ما كانت الأرضون على أحوالها فى سقيها ومصالحها. فإن تغير سقيها ومصالحها إلى الزيادة أو النقصان فذلك ضربان: أحدهما أن يكون حدوث الزيادة والنقصان بسبب من جهتهم كزيادة حدثت بشق أنهار أو استنباط مياه أو نقصان حدث لتقصير فى عمارته، أو عدل عن حقوق ومصلحة، فيكون الخراج عليهم بحاله لا يزاد عليهم فيه لزيادة عمارتهم فيه ولا ينقص منه لنقصانها، ويأخذون العمارة لئلا يستديم خرابها فتعطل: والضرب الثانى أن يكون حدوث ذلك من غير جهتهم، فيكون النقصان لشق انشق أو نهر تعطل، فإن كان سده وعمله ممكنا وجب على الإمام أن يعمله من بيت المال من سهم المصالح، والخراج ساقط عنهم ما لم يعمل، وإن لم يكن عمله فخراج تلك الأرض ساقط عن أهلها إذا عدم الانتفاع بها، فإن أمكن الانتفاع بها فى غير الزراعة كمصائد أو مراع جاز أن يستأنف وضع خراج عليها بحسب ما يحتمله الصيد المرعى وليست كالأرض الموات التى لا يجوز أن يوضع على مصائدها ومراعيها خراج، لأن هذه الأرض مملوكة وأرض الموات مباحة.

أما الزيادة التى أحدثها الله تعالى كأنهار حضرها السيل وصارت الأرض بها سائحة بعد أن كانت تسقى بآلة، فإن كان هذا عارضا لا يوثق بدوامه لم يجز أن يزاد فى الخراج وأن وثق بدوام راعى الإمام فيه المصلحة لأرباب الضياع وأهل الفيء وعمل فى الزيادة أو المتاركة بما يكون عدلا بين الفريقين.

وخراج الأرض إذا أمكن زرعها مأخوذ منها وان لم تزرع. وقال مالك لا خراج عليها سواء تركها مختارا أو معذورا. وقال أبو حنيفة يؤخذ منها إن كان مختارا ويسقط عنها إن كان معذورا. وإذا كان خراج ما أخل بزرعه يختلف باختلاف الزروع أخذ منه فيما أخل بزرعه عن أقل ما يزرع فيها لأنه لو اقتصر على زرعه لم يعارض فيه.

وإذ كانت أرض الخراج لا يمكن زرعها فى كل عام حتى تُراح فى عام وتُزرع فى عام آخر روعى حالها فى ابتداء وضع الخراج عليها واعتبر أصلح الأمور لأرباب الضياع وأهل الفيء فى خصلة من ثلاث: إما أن يجعل خراجها على الشطر من خراج ما يزرع كل عام فيؤخذ من المزروع والمتروك. وإما أن يمسح كل جريبين منها بجريب فيكون أحدهما للمزروع والآخر للمتروك وإما أن يضعه بكماله على مساحة المزروع والمتروك ويستوفى من أربابه الشطر من زراعة أرضهم.

وإذا كان خراج الزروع والثمار مختلفا باختلاف الأنواع فزرع أو غرس ما لم ينص عليه اعتبر خراجه بأقرب المنصوصات به شبها ونفعا.

وإذا زرعت أرض الخراج بما يوجب العشر لم يسقط عشر الزرع بخراج الأرض وجمع فيها بين الحقين على مذهب الشافعى رحمه الله. وقال أبو حنيفة «لا أجمع بينهما واقتصر على أخذ الخراج وإسقاط العشر» ولا يجوز أن تنقل أرض الخراج إلى العشر ولا أرض العشر إلى الخراج، وجوزه أبو حنيفة. وإذا سقى بماء الخراج أرض عشر كان المأخوذ منها عشرا. وإذا سقى بماء العشر أرض خراج كان المأخوذ منها خراجا اعتبارا بالأرض دون الماء. وقال أبو حنيفة «يعتبر حكم الماء فيؤخذبماء الخراج من أرض العشر الخراج ويؤخذ بماء العشر من أرض الخراج اعتبارا بالماء دون الإرض واعتبار الارض أولى من اعتبار الماء لأن الخراج مأخوذ عن الأرض والعشر مأخوذ عن الزرع» وليس على الماء خراج ولا عشر فلم يعتبر فى واحد منهما وعلى هذا الاختلاف منع أبو حنيفة صاحب الخراج أن يسقى بماء العشر ومنع صاحب العشر أن يسقى بماء الخراج، ولم يمنع الشافعى رحمه الله واحدا منهما أن يسقى بأى الماءين شاء.

وإن بنى فى أرض الخراج أبنية من دور أو حوانيت كان خراج الأرض مستحقا لأن لرب الأرض أن ينتفع بها كيف شاء، وأسقطه أبو حنيفة إلا أن تزرع أو تغرس والذى أراه أن ما لا يستغنى عن بنيانه من مقامه فى أرض الخراج لزراعتها عفو يسقط عنه خراجه، لأنه لا يستقر إلا بمسكن يستوطنه. وما جاوز قدر الحاجة مأخوذ بخراجه.

وإذا أجّرت أرض الخراج أو أعيرت فخراجها على المالك دون المستأجر والمستعير وقال أبو حنيفة خراجها في الإجارة على المالك وفي العارية على المستعير.

وإذا اختلف العامل ورب الأرض في حكمها فادعى العامل أنها أرض خراج وادعى ربها أنها أرض عشر وقولهما ممكن فالقول قول المالك دون العامل، فإن اتهم أحلف استظهارا ويجوز أن يعمل في مثل هذا الاختلاف على شواهد الدواوين السلطانية إذا علم صحتها ووثق بكتابها وقلما يشكل ذلك إلا في الحدود. وإذا ادعى رب الأرض دفع الخراج لم يقبل منه قوله. ولو ادعى دفع العشر قبل قوله، ويجوز أن يعمل في دفع الخراج على الدواوين السلطانية إذا عرف صحتها اعتبارا بالعرف المعتاد فيها ومن أعسر بخراجه أنظر به إلى يساره وقال أبو حنيفة يجب بإيساره ويسقط بالإعسار وإذا مطل بالخراج مع إيسار حبس به إلا أن يوجد له مال فيباع عليه في خراجه كالمديون. فإن لم يوجد له غير أرض الخراج فإن كان السلطان يرى جواز بيعها باع منها عليه بقدر خراجها، وإن كان لا يرى ذلك أجرها عليه واستوفى الخراج من مستأجرها، فإن زادت الأجرة كانت له زيادتها، وإن نقصت كان عليه نقصانها. وإذا عجز رب الأرض عن عمارتها قيل له إما أن تؤجرها أو ترفع يدك عنها لتدفع إلى من يقوم بعمارتها ولم يترك على خرابها وإن دفع خراجها لئلا تصير بالخراب مواتا.

وعامل الخراج يعتبر في صحة ولايته الحرية والأمانة والكفاية، ثم يختلف حاله باختلاف ولايته فإن تولى وضع الخراج اعتبر فيه أن يكون فقيها من أهل الاجتهاد وإن ولي جباية الخراج صحت ولايته وإن لم يكن فقيها مجتهدا. ورزق عامل الخراج في مال الخراج، كما أن رزق عامل الصدقة من سهم العاملين وكذلك أجور المساح. وأما أجرة القسام فقد اختلف الفقهاء فيها، فذهب الشافعي رحمه الله إلى أجور قسام العشر والخراج معا في حق الذي استوفاه السلطان منهما. وقال أبو حنيفة: أجور من يقسم غلة العشر وغلة الخراج وسط من أصل الكيل.

وقال سفيان الثوري: أجور الخراج على السلطان وأجور العشر على أهل الأرض. وقال مالك: أجور العشر على صاحب الأرض وأجور الخراج على الوسط.

فصل: والخراج حق معلوم على مساحة معلومة فاعتبر في العلم بها ثلاثة مقادير تنفي الجهالة عنها: أحدها مقدار الجريب الذراع الممسوح به والثاني مقدار الدرهم المأخوذ به. والثالث مقدار الكيل المستوفى به.

فإما الجريب فهو عشر قصبات في عشر قصبات، والقفيز عشر قصبات في قصبة والعشير قصبة والقصبة ستة أذرع فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة، والقفيز ثلاثمائة وستون ذراعا مكسرة وهو عشر الجريب، والعشير ستة وثلاثون ذراعا وهو عشر القفيز وأما الذراع فالأذرع سبع أقصرها القاضية ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الصغرى وهي البلالية ثم الهاشمية الكبرى وهي الزيادية ثم العمرية ثم الميزانية.

فأما القاضية وتسمى ذراع الدور فهي أقل من ذراع السوداء بأصبع وثلثي أصبع، وأول من وضعها ابن أبي ليلى القاضي وبها يتعامل أهل كلواذى.

وأما اليوسفية وهي التي تذرع بها القضاة الدور بمدينة السلام فهي أقل من السوداء بثلثي أصبع وأول من وضعها أبو يوسف القاضي.

وأما الذراع السوداء فهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثي أصبع، وأول من وضعها الرشيد رحمه الله تعالى قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه وهي التي يتعامل بها الناس في ذراع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر.

وأما الذراع الهاشمية الصغرى وهي البلالية فهي أطول من الذراع السوداء بأصبعين وثلثي أصبع، وأول من أحدثها بلال ابن أبي بردة وذكر أنها ذراع جده أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهي أنقص من الزيادية بثلاثة أرباع عشر وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة.

وأما الهاشمية الكبرى وهي ذراع الملك وأول من نقلها إلى الهاشمية المنصور رحمه الله تعالى فهي أطول من الذراع السوداء بخمس أصابع وثلثي أصبع فتكون ذراعا وثمنا وعشرا

بالسوداء، وتنقص عنها الهاشمية الصغرى بثلاث أرباع عشر، وسميت زيادية لأن زيادا مسح بها أرض السواد وهى التى يذرع بها أهل الأهواز.

وأما الذراع العمرية فهى ذراع عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى مسح بها أرض السواد وقال موسى بن طلحة: رأيت ذراع عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى مسح بها أرض السواد وهى ذراع وقبضة وإبهام قائمة. قال الحكم بن عيينة إن عمر رضى الله عنه عمد إلى أطولها ذراعا وأقصرها وأوسطها فجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها وزاد عليه قبضة وإبهاما قائمة ثم ختم فى طرفيه بالرصاص وبعث بذلك إلى حذيفة وعثمان بن حنيف حتى مسحا بها السواد وكان أول من مسح بها بعده عمر بن هبيرة.

أما الذراع الميزانية فتكون بالذراع السوداء ذراعين وثلثى ذراع وثلثى أصبع وأول من وضعها المأمون رضى الله عنه، وهى التى يتعامل الناس فيها فى ذراع البرائد والمساكن والأسواق وكراء الأنهار والحفائر.

وأما الدرهم فيحتاج فيه إلى معرفة وزنه ونقده، فأما وزنه فقد استقر الأمر فى الإسلام على أن وزن الدرهم ستة دوانيق ووزن كل عشر دراهم سبعة مثاقيل.

واختلف فى سبب استقراره على هذا الوزن، فذكر قوم أن الدراهم كانت فى أيام الفرس مضروبة على ثلاثة أوزان منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطا ودرهم وزنه اثنا عشر قيراطا ودرهم وزنه عشرة قراريط فلما احتيج فى الإسلام إلى تقديره فى الزكاة أخذ الوسط من جميع الأوزان الثلاثة وهو اثنان وأربعون قيراطا فكان أربعة عشر قيراطا من قراريط المثقال فلما ضربت الدراهم الإسلامية على الوسط من هذه الأوزان الثلاثة قيل فى عشيرتها وزن سبعة مثاقيل، لأنها كذلك. وذكر آخرون أن السبب فى ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم وأن منها البغلى وهو ثمانيه دوانق، ومنها الطبرى وهو أربعة دوانق، ومنها المغربى وهو ثلاثة دوانق، ومنها اليمنى وهو دانق قال انظروا الأغلب مما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها فكان الدرهم البغلى والدرهم الطبرى فجمع بينهما فكان اثنى عشر دانقا فأخذ نصفها فكان ستة دوانق فجعل الدرهم الإسلامى فى ستة دوانيق إذا زدت عليه ثلاثة أسباعه كان مثقالا ومتى نقصت من المثقال ثلاثة أعشارها كان درهما فكان عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكل عشرة مثاقيل أربعة عشر درهما وسبعان فأما النقص فمن خالص الفضة وليس لمغشوشه مدخل فى حكمه وقد كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم فجاء الإسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة إلا أنها كانت تقوم فى المعاملات مقام الخالصة وكان غشها عفوا لعدم تأثيره بينهم إلى أن ضربت الدراهم الإسلامية فتميز المغشوش من الخالص، واختلف فى أول من ضربها فى الإسلام، فقال سعيد بن المسيب إن أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان وكانت الدنانير ترد رومية والدراهم ترد كسروية وحميرية (نسبة إلى الحميريين فى اليمن) قليلة. قال أبو الزناد فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج أن يضرب الدراهم بالعراق فضربها سنة أربع وسبعين. وقال المدائنى بل ضربها الحجاج فى آخر سنة خمس وسبعين ثم أمر بضربها فى النواحى سنة ست وسبعين، وقيل إن الحجاج خلصها تخليصا لم يستقصه وكتب عليها. ﴿الله أحد * الله الصمد﴾.

وسميت مكروهة. واختلف فى تسميتها بذلك، فقال قوم لأن الفقهاء كرهوها لما عليها من القرآن وقد يحملها الجنب والمحدث. وقال الآخرون لأن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهة ثم ولى بعد الحجاج عمر بن هبيرة فى أيام يزيد بن عبد الملك فضربها أجود مما كانت ثم ولى بعده خالد بن عبد الله القسرى فشدد فى تجويدها، وضرب بعده يوسف بن عمر فأفرط فى التشديد فيها والتجويد فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية، وكان المنصور رضى الله عنه لا يأخذ فى الخراج من نقودهم غيرها.

وحكى يحيى بن النعمان الغفارى عن أبيه أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة وعليها بركة فى جانب والله فى الجانب الآخر ثم غيرها الحجاج بعد سنة وكتب عليها بسم الله فى جانب والحجاج فى جانب. وإذا خلص العين والورق من غش كان هو المعبر فى النقود المستحقة والمطبوع

منها بـالسكة السلطـانية المـوثوق بسـلامة طبعه المـأمون من تبـديلـه وتلبيسـه هـو المستحق دون نقـار الفضـة وسبـائك الـذهب، لأنه لا يـوثق بهمـا إلا بـالسك والتصفية والمطبـوع مـوثوق بـه ولذلك كـان هو الثـابت في الذمم فيمـا يطلق من أثمان البيعات وقيـم المتلفات، ولو كانت المطبـوعة مختلفة القيمة مع اتفـاقها في الجـودة فطالب عـامل الخراج بأعـلاها قيمة نُظِر، فإن كان من ضرب سلطان الـوقت أجيب إليه لأن في العدول عن ضربه مباينة لـه في الطاعة وإن كان من ضرب غيره نظر، فإن كان هو المأخوذ في خراج من تقدمه أجيب إليه استصحابـا لما تقدم، وإن لم يكن مـأخوذا فيما تقـدم كانت المطالبة به غبنا وحيفا.

وأما مكسـور الدراهم والـدنانيـر فلا يلـزم أخذه لالتبـاسه وجـواز اختـلاطـه ولـذلك نقصت قيمتهـا عـن المضـروب الصحيح. واختلاف الفقهاء في كراهية كسرها، فذهب مالك وأكثر فقهـاء المدينة إلى أنـه مكروه لأنه من جملـة الفساد في الأرض وينكـر على فاعلـه. وروى عن النبي ﷺ أنـه نهى عن كسر سكة المسلمين الجارية بينهم.

والسكـة هي الحـديدة التي يطبـع عليها الـدراهم لـذلك سميت الدراهم المضروبة سكة، وقد كان ينكر ذلك ولاة بني أمية حتى أسـرفوا فيه، فحكى أن مروان بن الحكم أخـذ رجلا قطع درهمـا من دراهم فارس فقطع يـده وهذا عـدوان محض وليس له في التأويل مساغ.

وحكى الـواقـدي أن أبـان بن عثمـان كـان على المـدينـة فعاقب من قطع الدراهم وضربه ثـلاثين سوطا وطاف به. قال الواقدي وهذا عندنا فيمن قطعها ودس فيها المفرغة والزيوف، فإن كان الأمـر على ما قالـه الواقـدي فما فعله أبـان بن عثمان ليس بعدوان لأنـه ما خـرج به عن حد التعـزير والتعـزير على التدليس مستحق. وأما فعل مروان فظلم وعدوان. وذهب أبو حنيفة وفقهـاء العراق إلـى أن كسرها غيـر مكروه. وقـد حكى صـالح بن جعفر عن أبي بن كعب في قـوله تعـالى: ﴿أو أن نفعل في أموالنـا ما نشاء﴾ [هود: ٨٧] قـال كسر الـدراهم. ومذهب الشافعي رحمه الله أنه قـال إن كسرها لحاجة لم يكره له وإن كسرها لغير حاجة كره له لأنه إدخال النقص على المال من غير حاجة سفه. وقال أحمد بن حنبل: إن كان عليها اسم الله عز وجل كره كسرها وإن لم يكن عليها اسمه لم يكره، وأما الخبر المروي في النهي عن كسر السكـة فكان محمد بن عبد الله الأنصـاري قاضي البصـرة يحملـه على النهي عن كسرهـا ليتخذ منها أواني أو خزف. وحمله آخرون على النهي عن أخذ أطـرافها قـرضـا بالمقـاريض لأنهم كـانـوا في صدر الإسـلام يتعاملـون بها عددا فصـار أخذ أطـرافها بخسا وتطفيفـا. وأما الكيل فإن كان مقاسمة فبأي قفيز كيل تعدلت فيه القسمة وإن كان خراجـا مقدرا، فقد حكي القاسم أن القفيـز الذي وضعه عثمـان بن حنيف على أرض السـواد فأمضـاه عمر عنه كـان مكيلا لهم يعرف بالشابرقان. وقال يحيى بن آدم وهو المختوم الحجـاجي. وقيل وزنـه ثـلاثـون رطـلا، فإن استـؤنف وضع الخـراج كيلا مقـدرا على مبتـدئه روعي فيـه من المكاييل مـا استقـر مع أهلهـا من مشهـور القفزان بتلك النـاحيـة (الأحكام السلطانية/ ١٢٧ـ١٣٥).

وعن أحكام أراضي الخراج يقول البلاذري:

قال بشـر بن غياث، قال أبـو يوسف: إيّمـا أرض أخذت عنوة مثل السـواد والشام وغيرهما، فإن قسمهـا الإمام بين من غلب عليها، فهـي أرض عشر وأهلها رقيق، وإن لـم يقسمها الإمام وردهـا للمسلمين عامة كمـا فعل عمر بـالسواد، فعلى رقاب أهلها الجزية وعلى الأرض الخـراج، وليسوا برقيق، وهو قول أبي حنيفة. وحكى الواقدي عن سفيان الثوري مثل ذلك، وقـال الواقـدي: قـال مـالك بن أنس وابن أبي ذئب إذا أسلم كافر من أهل العنوة أقرت أرضه في يده يعمرها ويؤدي الخراج عنهـا، ولا اختـلاف في ذلك، وقـال مـالك وابن أبي ذئب وسفيـان الثـوري وابن أبي ليلى عن الـرجـل، يسلم من أهل العنوة الخـراج في الأرض، والزكاة مـن الزرع بعد الخـراج وهو قول الأوزاعي.

وقال أبو حنيفة وأصحابـه، لا يجتمع الخراج والزكاة على رجل، وقال مـالك وابن أبي ذئب وسفيان وأبـو حنيفة إذا زرع الرجل أرضه الخراجية مرات في السنة، لم يؤخذ منه إلا خراج

واحد، وقال ابن أبى ليلى يؤخذ منه الخراج كلما أدركت له غلة، وهو قول ابن أبى سبرة وأبى شمر، وقال أبو الزناد ومالك وأبو حنيفة وسفيان ويعقوب وابن أبى ليلى وابن أبى سبرة وزفر ومحمد بن الحسن وبشر بن غياث إذا عطل رجل أرضه، قيل له ازرعها وأدِّ خراجها، وإلا فادفعها إلى غيرك يزرعها، فأما أرض العشر فإنه لا يقال له فيها شىء إن زرع أخذت منه الصدقة وإن أبى فهو أعلم.

وقالوا: إذا عطل رجل أرضه سنتين ثم عمرها، أدى خراجا واحدا، وقال أبو شمر يؤدى الخراج للسنتين، قال أبو حنيفة وسفيان ومالك وابن أبى ذئب وأبو عمر والأوزاعى، إذا أصابت الغلات آفة أو غرق، سقط الخراج عن صاحبها، وإذا كانت أرض من أراضى الخراج لعبد أو مكاتب او مرأة، فإن أبا حنيفة قال عليها الخراج فقط، وقال سفيان وابن أبى ذئب وملك، عليها الخراج، وفيما بقى من الغلة العشر.

وقال أبو حنيفة والثورى فى أرض الخراج، بنى مسلم أو ذمى فيها بناء من حوانيت أو غيرها، أنه لا شىء عليه، فإن جعلها بستانا ألزم الخراج، وقال ملك وابن أبى ذئب نرى إلزامه الخراج، لأن انتفاعه بالبناء كانتفاعه بالزرع، فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فيها، وقال أبو يوسف فى أرض موات من أرض العنوة يحييها المسلم أنها له، وهى أرض خراج إن كانت تشرب من ماء الخراج، فإن استنبط لها عينا أو سقاها من ماء السماء، فهى أرض عشر، وقال بشر هى أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غيره، وقال أبو حنيفة والثورى وأصحابهما، ومالك وابن أبى ذئب والليث بن سعد، فى أرض الخراج التى لا تنسب إلى أحد، يقعد المسلمون فيها فيتبايعون ويجعلونها سوقا، إنه لا خراج عليهم فيها، وقال أبو يوسف: إذا كانت فى البلاد سنة أعجمية قديمة لم يغيرها الإسلام ولم يبطلها، فشكاها قوم إلى الإمام لما ينالهم من مضرتها، فليس له أن يغيرها، وقال مالك والشافعى يغيرها وإن قدمت لأن عليه نفى كل سُنة جائرة سنها أحد من المسلمين فضلا عما سن أهل الكفر (فتوح البلدان/ ٦٢٧ - ٦٢٩).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشية - محمد قنديل البقلى / ١١٦، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤٠، ومن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١ / ١٣٦ - ١٣٧، ومعجم البلدان ٣ / ٢٧٢، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لعلى بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ١٢٤، ١٢٧ - ١٣٥، وفتوح البلدان للبلاذرى - حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع / ٦٢٧ - ٦٢٩. انظر أيضا فقه السنة - الشيخ السيد سابق م ٣ حـ ١١ / ٢٧١، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبى بكر بن قيم الجوزية - تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ١ / ٥١٦ - ٥١٨، ومنهاج المسلم - أبو بكر الجزائرى / ٣٦٠)

*** الخراج (كتاب -):**

قال حاجى خليفة عن الكتب المؤلفة بهذا العنوان:

كتاب الخراج - للإمام أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفى المتوفى سنة ١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة ولأبى العباس أحمد بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٢٧٠ سبعين ومائتين ولأبى الفرج قدامة بن جعفر ولنصر بن موسى الرازى الحنفى ولحسن بن زياد (كشف ٢ / ١٤١٥)

أما عن كتاب القاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفى الذى وضعه للرشيد فيقول عنه الأستاذ الدكتور على أوزاك بأنه يتميز عن كتب الخراج الأخرى بخصائص عددها كما يلى:

أولا: أنه يشمل توصيات إصلاحية للخليفة.

ثانيا: يتناول كثيرا من المشاكل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية ويداوى كل هذه المشاكل بما يناسبها من الأحكام الشرعية والاجتهادات العقلية.

ثالثا: أنه سلك طريقا جديدا ذا أهمية بالغة هو أنه حينما أراد أن يبنى حكما جديدا حاول أن يحصل على عمل حكمه من سيدنا رسول الله ﷺ أو من سيدنا عمر رضى الله عنه. وطبق هذه القاعدة فى كل مشكلة واجهها، فإن لم يحصل على شىء من السنة أو من تطبيقات عمر، اعتمد على آراء أبى حنيفة وابن أبى ليلى، ثم يجتهد رأيه. من أجل ذلك كان كتاب الخراج لأبى يوسف منبعا عظيما ومصدرا غزيرا فى إنشاء الدولة: إداريا وماليا.

ثم يقول سيادته :

وفى إمكاننا الآن أن نقول إن منهج أبى يوسف واحد من المناهج التى تصلح فى الجوانب الشرعية والإدارية والمالية فى زماننا هذا ، فإنه منهج ناجح فى إدارة شئون الدولة الإسلامية . تلك الدولة التى من حقها أن تكون مثالا للناس أجمع كما حصل فى التاريخ ، ويتخلص المسلمون من هذه النظم الغربية المخالفة للإسلام فى أكثر موادها .

العمل على كتاب الخراج :

لا شك فى أن كتاب الخراج حاز قبولا عند العلماء منذ تأليفه ، ولقد أدى الأستاذ إحسان عباس خدمة عظيمة بإخراجه لهذا الكتاب ، لأنه حققه وعلق عليه وذكر المخطوطات الموجودة منه فى مكتبات استانبول . وأضاف للكتاب مقدمة قيمة جدا مع فهارس مفيدة . وهذا العمل فى (خراج أبى يوسف) يسهل فهم الكتاب وفهم ما يقصده مؤلفه وفقه الله .

ونحن نضيف إلى ما عمله الأستاذ إحسان عباس ما يأتى :

إن كتاب الخراج ترجم إلى اللغة التركية ثلاث مرات فى أيام الدولة العثمانية .

الأولى : ترجمة لكتاب الخراج . لا يعلم مترجمها . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٢٧١ .

الثانية : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . أعدها (رودوسلى زاده محمد أفندى) سنة ١١١٣ هـ . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة أسعد أفندى تحت رقم ٥٧١ ـ ٥٧٢ .

الثالثة : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . للأستاذ محمد عطاء الله . وهذه الترجمة جيدة جدا . وكان (حسين جميل باشا) والى حلب قد طلب من محمد عطاء الله ترجمة الكتاب ثم قدم هذه الترجمة إلى السلطان عبد الحميد الثانى من آل عثمان . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٤٦٥٢ .

وثمة ترجمة رابعة للكتاب وهى مطبوعة قد ترجمتها سنة ١٩٧٣ م . حينما كنت باحثا فى كلية الاقتصاد بجامعة استانبول . ونشرت هذه الترجمة فى كلية الاقتصاد ١٩٧٣ ولقيت اهتماما وأعيد طبعها مرات ، وقد أضفت مقدمة للترجمة كتبت فيها حياة أبى يوسف ومنهجه فى كتابه باللغة التركية .

وقد ترجم كتاب الخراج لأبى يوسف إلى اللغة الفرنسية أيضا وطبع سنة ١٩٢١ ترجمه E. Fagnan دكتور الإلهيات بجامعة مرمرا ، استانبول ـ تركيا («كتاب : الخراج» / ١٧٧ ، ١٧٨)

قالت المؤلفة : يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الخراج

الرقم ٨٢٠٠

تأليف أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى المتوفى سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ألفه بأمر أمير المؤمنين هرون الرشيد وبعث به إليه .

أوله : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له الإعزاز فى تمام من النعمة ، ودوام من الكرامة ...

آخره : أثابك الله على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من أهل دينك وبارك لنا فى الموت ، وجعله خير غائب ننتظره ، عليك بالصبر فيما نزل بك من المصائب .

نسخة جيدة مصححة .

الخط نسخ معتاد بعض الكلمات بالحمرة كتب سنة ١٢٨٦ هـ .

نسخة ثانية

الرقم ٨٢٦٣

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

نسخة جيدة ، جميع صفحاتها مجدولة بالحمرة .

الخط نسخ جيد . بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة . كتبه رسلان بن عبد القادر العطار سنة ١٢٩٦ هـ .

نسخة ثالثة .

الرقم : ٩٠٨٠

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

نسخة جيدة وقديمة .

الخط نسخ معتاد ، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة .

المراجع : معجم المؤلفين ١٣ / ٢٤٠ ، حسن التقاضى فى سيرة الإمام أبى يوسف تأليف الشيخ محمد زاهد الكوثرى فهرس الخديوية ٣ / ١٠٢ .

مخطوطات الموصل لداود جلبى ٣٧ و ٦٢ ، الكشاف ٢٣٤ ، فهرس المتحف البريطانى الملحق ١ / ١٧٨

طبعات الكتاب : ١ ــ فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ . الجامع الصغير الإمام محمد بن الحسن الشيبانى .

٢ ــ ترجمه إلى الفرنسية فانيان وطبع فى باريس سنة ١٢١ .

٣ ـ طبع فى القاهرة فى المطبعة السلفية سنة ١٩٢٧ م .

٤ ـ طبع فى القاهرة فى المطبعة السلفية سنة ١٩٣٢ م .

(فهرس الظاهرية ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٣)

وقد أورد كتاب المنتخب فقرة من كتاب الخراج لأبى يوسف كنموذج للنثر العلمى نتقلها لك فيما يلى :

قال فى كتاب «الخراج» :

وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمل وما عملوا به فى البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وظّف على أهل الخراج واستقر؛ فإذا ثبت ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجبة والنكال ، حتى لا يتعدوا ما أمروا به ، وما عهد إليهم فيه ، فإن كل ما عمل به والى الخراج من الظلم والعسف فإنما يحمل على أنه قد أمر به ، وقد أمر بغيره ، وإن أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف ، وإن لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجترءوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لا يجب عليهم ، وإذا صح عندك من العامل والوالى تعد بظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك واحتجان شىء من الفىء ، أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك أو تشركه فى شىء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له . وإياك ودعوة المظلوم فإن دعوته مجابة (المنتخب ٢ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

أما كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» لأبى الفرج قدامة بن جعفر فيقول عنه الأستاذ عباس هانى الجراخ فى بحث له :

و «الخراج وصناعة الكتابة» يقسم إلى ثمانى منازل ، إلا أنه للأسف الشديد أن المنازل الأربع الأولى مفقودة ، ولم يعثر عليها كاملة الآن . أما موضوعاتها ، وما طرحه قدامة فيها ، فنحن نتفق مع الدكتور بدوى طبانة فى قوله : «وأما المنزلتان الأولى والثانية فليس لدينا أى دليل على ما عالج فيها ، وإن كنا نظن أنه ذكر فيهما فن الكتابة ومنزلتها بين فنون الأدب ، وذكر فيهما بعض النابهين من الكتّاب فى دواوين الدولة ، منذ أن أنشأت تلك الدواوين .

أما المنزلتان الثالثة والرابعة . فقد تحدث فى الثالثة عن البلاغة ووجه تعلمها ، أما الرابعة فهى خاصة بديوان الإنشاء ، والدليل على ذلك ما قاله أبو الفرج «قد ذكرنا فى المنزلة الثالثة من أمر البلاغة ووجه تعلمها ، وتعريف الوجوه المحمودة فيها ، والوجوه المذمومة منها وما إذا كان الكاتب واقفا على ما يحتاج إليه ، وبينا فى المنزلة الرابعة عند ذكر مجلس الإنشاء وجوها من المكاتبات فى الأمور الخراجية ينتفع بها ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبة فى معناها» .

أما المنازل الأربع الأخيرة التى وصلتنا فقد ذكر فى الخامسة بعض المعلومات التاريخية عن الفتوح الإسلامية زمن الرسول الأعظم ﷺ ، وفى العصور التالية ، وقد كانت المنازل «السادسة والسابعة والثامنة . وألوان المعرفة التى بسطها قدامة فى هذه المنازل الينبوع الذى استقى منه العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه الذى أجمع العلماء على أنها من الأسس العظيمة لدراسة علم الاجتماع ، الذى استقل واحتل منزلته بين العلوم فى العصر الحديث ، فإن كلام ابن خلدون فى المقدمة الثانية عن قسط العمران من الأرض ، والإشارة إلى بعض ما فيه من الاشجار والأقاليم ، وتقسيمها إلى المناطق السبع كل ذلك مذكور فى المنزلة السادسة بتفصيل كاف» .

وكان قدامة قد عرض كتابه هذا على الوزير علي بن عيسى، سنة ست وعشرين وثلاث مائة فأعجب به كثيرا، وخصوصا المنزلة الثالثة منه المخصصة للبلاغة والبلغاء.

وبعد هذا يمكننا أن نؤكد أن كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» مقسم إلى قسمين كبيرين:

الأول: هى المنازل الأربع الأولى المفقودة الخاصة بالأدب وتشمل الشعر والبلاغة والكتاب والإنشاء.

أما القسم الثانى: فيتضمن علم الاجتماع بما فيه من التاريخ والخراج وسياسة الملوك والوزراء. وعلى هذا فإن (الخراج) فى هذا الكتاب ذو نسبة قليلة فيه، قياسا إلى الموضوعات الأخرى فيه!!

الكتاب مطبوعا

طبع المستشرق دى غويه فى ليدن عام ١٨٨٩ م، عدة فصول من كتاب «الخراج وصناعة الكتابة»، وأسمى جمعه هذا: «نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر» ملحق بكتاب «المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ).

قالت المؤلفة: هذه النسخة هى التى عندى وننقل لك منها نبذة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم طبعت المنازل الأربعة الأخيرة من الكتاب فى بغداد بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدى عام ١٩٨١ م.

وقد أحصينا طبعات الكتاب فكانت كما يلى:

١ ــ طبعة ضمن كتاب (الشهاب فى الشيب والشباب) للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ـ ط ــ الجوائب ــ ١٣٠٢ هـ.

٢ ـ طبعة بتحقيق الأستاذ كمال مصطفى عام ١٣٦٧ هـ، ١٩٤٨ م.

٣ ـ طبعة بتحقيق الأستاذ محمد عيسى منون ـ القاهرة ١٩٣٤ م ـ ١٣٥٥ هـ.

٤ ـ طبعة المستشرق س. ا. بونيباكر ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٩٥٦ م.

٥ ــ طبعة بتحقيق عيسى ميخائيل سابا ــ المطبعة البوليسية ـ حريصا ـ ١٩٥٨ م.

٦ ــ طبعة بتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ــ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (د. ت).

إضافة إلى مصورات أخرى لهذه الطبعات ونشرات أخرى للمحقق نفسه، إذ أصدر كمال مصطفى طبعة ثانية لتحقيقه عام ١٩٦٣ م، وثالثة عام ١٩٧٩ م، وهى أجود الطبعات (مجلة الفيصل/ ١٠٣، ١٠٤)

قالت المؤلفة: ذكر الدكتور عبد الحميد الشلقانى نسخة مصورة إعداد المطبعة السلفية بمصر.

وننقل لك فيما يلى ـ كما وعدنا ـ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامه بن جعفر مأخوذة من النبذ الملحقة بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة طبعه ليدن سنة ١٨٨٩ م كما سبق أن أشرنا وهذه النبذة هى الباب الحادى عشر بعنوان رد فى ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحى المشرق والمغرب:

قال أبو الفرج: يحتاج فى البريد إلى ديوان يكون مفردا به ويكون الكتب المنفذة من جميع النواحى مقصودا بها صاحبه ليكون هو المنفذ لكل شىء منها إلى الموضع المرسوم بالنفوذ إليه ويتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبار فى جميع النواحى على الخليفة أو عمل جوامع لها ويكون إليه النظر فى أمر الفروانقيين والموقعين والمرتبين فى السكك وتنجز أرزاقهم وتقليد أصحاب الخرائط فى سائر الأمصار والذى يحتاج إليه فى صاحب هذا الديوان هو أن يكون ثقة إما فى نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر فى وقته، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافى المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ. والرسوم التى يحتاج إليها من أمر الديوان هو ما يقارب الرسوم التى بيناها فى غيره مما يضبط به أعماله وأحواله. فأما غير ذلك من أمر الطرق ومواضع السكك والمسالك إلى جميع النواحى فإنا لم نذكره ولا غنى بصاحب هذا الديوان أن يكون معه منه ما لا يحتاج فى الرجوع فيه إلى غيره وما إن سأله عنه الخليفة وقت للحاجة إلى شخوصه

وإنقاذ جيش يهمه أمره وغير ذلك مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه وجد عتيدا عنده ومضبوطا قبله ولم يحتج إلى تكلف عمله والمسألة عنه فينبغى أن نكون الآن نأخذ فى ذكر ذلك وتعديده بأسماء المواضع وذكر عدد الأميال والفراسخ وغيره من وصف حال المنزل فى مائه وخشونته وسهولته أو عمارته أو ما سوى ذلك من حاله . ونبدأ بالطريق المأخوذ فيه من مدينة السلام إلى مكة وهو المنسك الأعظم وبيت الله الأقدم ونأخذ بعد البلوغ إليه بذكر ما بعده من الطريق إلى اليمن ثم فى سائر الجهات المقاربة له وتسميته إن شاء الله .

فمن مدينة السلام إلى جسر كوثى على نهر الملك سبعة فراسخ، ومن جسر كوثى إلى قصر أبى عبيرة خمسة فراسخ، ومن قصر ابن هبيرة إلى سوق أسد سبعة فراسخ، ومن سوق أسد إلى ساهى خمسة فراسخ، ومن ساهى إلى مدينة الكوفة خمسة فراسخ، ومن الكوفة إلى القادسية خمسة عشر ميلا، ومن القادسية إلى العُذيب ستة أميال. العذيب كانت مسلحة بين العرب وفارس فى حد البرية وبها حائطان متصلان من القادسية إلى العذيب ومن الجانبين كليهما نخل، وإذا خرج منه الخارج دخل المفازة ومن العذيب إلى المغيثة وفيها برك أربعة عشر ميلا ومن المغيثة إلى القرعاء وهى منزل وفيه آبار اثنان وثلاثون ميلا، ومن القرعاء إلى واقصة وفيها برك وآبار أربعة وعشرون ميلا، ومن واقصة إلى العقبة وفيها آبار ومنزل تسعة وعشرون ميلا، ومن العقبة إلى القاع أربعة وعشرون ميلا، ومن القاع إلى زبالة وهى عامرة كثيرة الأهل أربعة وعشرون ميلا، ومن زباله إلى الشقوق وفيها برك ثمانية عشر ميلا، ومن الشقوق إلى قبر العبادى وفيها برك تسعة وعشرون ميلا، ومن قبر العبادى إلى الثعلبية تسعة وعشرون ميلا، ومن الثعلبية إلى الخزيمية وبها ضيق فى الماء ثلاثة وثلاثون ميلا، والخزيمية مدينة عليها سور وبها منبر وحمّام وبرك وسميت الخزيمية لأن خزيمة صيَّر فيها سوانى وكانت تسمى زرود ورملها أحمر ومن الخزيمية إلى الأجفر أربعة وعشرون ميلا، ومن الأجفر إلى فيد وهى منزل العامل وفيها قناة وزروع ومنبر ستة وثلاثون ميلا، ومن فيد إلى توز وفيها برك وآبار وحصن بناه أبو دلف ثلاثة وثلاثون ميلا، ومن توز إلى سميراء وفيها برك ستة عشر ميلا، ومن سميراء إلى الحاجر وفيها برك وآبار ثلاثة وعشرون ميلا، ومن الحاجر إلى معدن النقرة وفيها آبار وبرك سبعة وعشرون ميلا، ومن النقرة إلى مغيثة الماوان سبعة وعشرون ميلا ومن مغيثة إلى الربذة وماؤها كثير وفيها منبر أربعة وعشرون ميلا، ومن الربذة إلى معدن بنى سليم وفيها آبار وبرك تسعة عشر ميلا، ومن معدن بنى سليم إلى العمق ستة وعشرون ميلا، ومن العمق إلى أفاعية وهى قليلة الماء اثنان وثلاثون ميلا، ومن أفاعية إلى المسلح وهى كثيرة الماء أربعة وثلاثون ميلا، ومن المسلح إلى الغمرة وهى كثيرة الماء ومنها يعدل إلى اليمن ثمانية عشر ميلا، ومن الغمرة إلى ذات عرق وهى كثيرة الماء ومنها يقع الإحرام ستة وعشرون ميلا، فإن رجعنا إلى النقرة إلى العسيلة وهى ضيقة الماء ستة وأربعون ميلا، ومن العسيلة إلى بطن النخل وهى كثيرة الماء والنخل ستة وثلاثون ميلا، ومن بطن النخل إلى الطرف اثنان وعشرون ميلا، ومن الطرف إلى المدينة خمسة وثلاثون ميلا .

وأما الطريق من المدينة إلى مكة فمن المدينة إلى الشجرة وفيها آبار وبرك وليست بمنزل ولكنها منها يقع الإحرام ستة أميال، ومن الشجرة إلى ملل وبها آبار اثنا عشر ميلا، ومن ملل إلى السيالة وبها ماء وتباع بها الشواهين والصقور تسعة عشر ميلا، ومن السيالة إلى الرويثة وبها إحساء أربعة وثلاثون ميلا، ومن الرويثة إلى السقيا وبها شجر وماء جار ستة وثلاثون ميلا، ومن السقيا إلى الأبواء وفيها آبار ومزارع تسعة وعشرون ميلا، ومن الأبواء إلى الجحفة وبها آبار وهى فرضة البحر سبعة وعشرون ميلا، ومن الجحفة إلى قديد وبها آبار لماء السيل ستة وعشرون ميلا، ومن قديد إلى عسفان وبها آبار أربعة وعشرون ميلا، ومن عسفان إلى بطن مر وبها نخل وزرع وبركة يجرى فيها الماء ستة عشر ميلا، وبطن مر قرية عظيمة كثيرة الأهل والمنازل وعلى أربعة أميال منها قبر ميمونة زوجة النبى ﷺ، وعلى ستة أميال من ذلك مسجد عائشة، ثم إلى مكة ستة أميال ومنها يحرم أهل مكة وهو حد الحرم فمن بطن مر إلى مكة ستة عشر ميلا، ومن مكة طريق الطائف ثلاث مراحل من مكة إلى بئر ابن المرتفع ومن بئر ابن المرتفع إلى قرن المنازل قرية منها يحرم أهل اليمن يعدل منها إلى الطائف

يمنة، ومن يخرج من مكة يريد الطائف، يأتى عرفات ثم يجوز منها إلى بطن نعمان جبلا يقال له نعمان السحاب لأن السحاب أبدا عليه ثم يصعد منه عقبة فإذا استوى عليها الصاعد أشرف على الطائف ثم ينحدر ويصعد أيضا عقبة خفيفة تسمى تنعيم الطائف، ومن الغمرة تعدل إلى اليمن فمن الغمرة إلى الجدد اثنا عشر ميلا، وهو موضع البريد ومنقسم القوافل وليس فيه إلا بئر واحد ونخل وزرع يستقى لها بالإبل وهى موضع «يسر» مولى عثمان بن عفان، ومن الجدد إلى الفتق، ومن الفتق إلى تربة، وهى قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع وهى قرية «خالصة» مولاة المهدى، ومن تربة إلى صفر وهى منزل فيه داران لصاحب البريد فى الصحراء وفيه ماء عذب من بئرين، ومن صفر إلى كرا منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلا منزل صاحب البريد ومنزل القوافل وهى فى بطن واد كثير النخل. ومن كرا إلى رنية منزل فى صحراء ونخل كبير وعين عظيمة عذبة والعمران حولها على دعوة، ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تبالة إلى بيشة قرية عظيمة كثيرة الأهل فى بطن الوادى ظاهرة الماء من عيون وآبار مضرية قيسية، ومن بيشة إلى جسداء منزل أعراب من قيس ومن جسداء إلى بنات حرم قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة. ومن بنات حرم إلى يبمبم منزل فى صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل، وحوله أعراب من خثعم، وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلا ومنه إلى كثبة قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار فى صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال. ومن كثبة إلى الثجة موضع البريد وفيه بئر ماء ينزله [تنزله] القوافل وهو فى بلاد زبيد وحوله أعرابهم ومن الثجة إلى شروم راح وهى قرية عظيمة فى صحراء فيها عيون كثيرة الكروم فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ومن شروم راح إلى المهجرة وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حدُّ ما بين اليمن والحجاز، وهى شجرة تشبه شجر الغرب إلا أنها أعظم وكان النبى ﷺ حجز بها بين اليمن ومكة ومن المهجرة إلى عرفة منزل فى جبل فيه أعراب من خولان والماء فيه بما قل وربما كثر وهى أول عمل اليمن، وهى إلى عمل صعدة. ومن عرقة إلى صعدة وهى قرية عظيمة فيها منبر ومسجد وتجار كثير وبها يعمل دباغ اليمن من الأدم والنعال وأكثر تجارهم من أهل البصرة، وطريق منها للبصريين يرجع إلى الركيبة ثم إلى صعدة ولصعدة مخاليف وهى كثيرة القرى. ومن صعدة إلى الأعمشية منزل فى جبل ليس فيه أهل وماؤهم من عين صغيرة تحت شجرة وحوله حى من همدان. ومن الأعمشية إلى خيوان قرية عظيمة فيها جامع ومنبر وأهل كثير وفيها كروما توصف بكبر العناقيد جبلية والماء من السماء وأهلها من بكيل ومن خيوان إلى أثافت وهى قرية عظيمة فيها منبر وأهلها جشميون وسوقها يقوم يوم الجمعة وفيها زروع وكرم وماء الشرب من بركة. ومن أثافت إلى ريدة قرية عظيمة فيها منبر وهى كثيرة الأهل والكروم والزروع والعيون والكلأ فى بطن واد وعملها فيه مخاليف. ومن ريدة إلى صنعاء قصبة اليمن وهذا الطريق هو الذى عليه الأميال وهو طريق العوامل والعمال وإن رحل من يريد مكة إلى بئر الحذا منزل ليس فيه إلا بئر واحدة، ومن بئر الحذا إلى قرية عظيمة عامرة وهى التى يحرم منها أهل اليمن وماؤها واد جرار وهى قرشية تسمى قرن، ثم من قرن صعدا قصد الطريق.

وقد كتبنا الطريق من الكوفة إلى مكة. فأما من البصرة إلى مكة فمن البصرة إلى الحفير ثم إلى ماوية، ثم إلى ذات العشر ثم إلى الينسوعة، ثم إلى السمينة، ثم إلى النباج ثم إلى العوسجة، ثم إلى القريتين، ثم إلى رامة. ومن النباج طريق إلى النقرة، ومن رامة إلى امرة، ثم إلى ضرية ثم إلى جديلة، ثم إلى فلجة، ثم إلى الدفينة، ثم إلى قبا، ثم إلى مران، ثم إلى وجرة، ثم إلى أوطاس، ثم إلى ذات عرق ثم إلى بستان ابن عامر ثم إلى مكة.

فأما من مصر إلى مكة فمنازلها على التوالى على ما نصفه الفسطاط، الجب، البويب، بيدمه، منزل ابن مرو، عجرود، الربيبة، الكرسى، الحسن منزل أيلة، شرف البعل، مدين الإغراء، منزل الكلابة، شغب، بدا السرحتين البيضاء وادى القرى، الرحيبة، ذو المروة السويداء، خشب المدينة، فأما من أخذ على طريق الساحل فإذا صار إلى شرف البعل صار

إلى الصلا ثم إلى النبك ثم إلى ظُبَة ثم إلى عونيد ثم إلى الوجه ثم إلى منحوس ثم إلى البحرة ثم إلى الإحساء ثم إلى ينبع ثم إلى مسئولان ثم إلى الجار ومن الجار إلى المدينة مسيرة يومين. فأما من دمشق إلى مكة فالمنازل منها إلى ذات المنازل ثم سرع ثم تبوك ثم الحدثة ثم الأقرع ثم الجنينة ثم الحجر ثم وادى القرى ثم المدينة.

وأما الطريق من اليمامة إلى مكة فمنها إلى العرض وإلى حديقة وإلى السيح وإلى الثنية العقاء وإلى سقيراء وإلى السد وإلى مرارة وإلى سويقة، وإلى القريتين من طريق البصرة، ومن اليمامة طريق آخر إلى مانص باحة الزلف منزل مصاه أهل الجون ماوية من طريق البصرة (المسالك والممالك / ١٨٤ ـ ١٩/).

هذا وقد ذكر الدكتور عبد الحميد الشلقانى من كتب الخراج كتاب ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى المتوفى سنة ٢٠٣ هـ طبع ليدن سنة ١٨٩٦ م (الأعراب الرواة / ٣٣١)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٤١٥، و «كتاب الخراج لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ـ أ. د. على أوزاك. مجلة الأزهر. الجزء الثانى، السنة الحادية والستون صفر ١٤٠٦ هـ ـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٨٨ م / ١٧٧، ١٧٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضعه محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٩١ ـ ٢٩٣، والمنتخب من أدب العرب ـ طه حسين وزملائه ٢ / ٢٩٦، ٢٩٧، و «نصوص مفقودة من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر» ـ عباس هانى الجراخ. مجلة الفيصل: العدد (١٦٩) رجب ١٤١١ هـ ـ يناير ـ فبراير ١٩٩١. السنة الخامسة عشرة / ١٠٣، ١٠٤، ونبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى المطبوع فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة / ١٨٤ ـ ١٩١، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣١)

*** الخراج وصناعة الكتابة (كتاب ـ):**

انظر: الخراج (كتاب ـ)

*** الخراز:**

قال السمعانى:

الخراز: بفتح الخاء المنقوطة والراء المهملة المشددة وفى آخرها زاى معجمة، هذه النسبة إلى خرز الأشياء من الجلود كالقرب والسطائح والسيور وغيرها، المشهور بهذه النسبة مقاتل بن دوال روز الخراز وهو مقاتل بن حيان.

ومنهم أبو يزيد خالد بن حيان الخراز الرقي وهو جبر أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان المقرئ الذى كان بمصر.

ومنهم الشيخ العارف أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز الصوفى، يقال له قمر الصوفية، له تصانيف فى علم القوم ومجاهدات ورياضات، وقال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا. قال على بن عمر الدينورى قلت لإبراهيم بن شيبان راوى الحكاية عن الجنيد: وأيش كان حاله؟ فقال: أقام كذا وكذا سنة يخرز ما فاته الحق بين الخرزتين. قيل إنه مات سنة سبع وأربعين ومائتين، أو سنة سبع وسبعين ومائتين وقيل إنه مات سنة ست وثمانين ومائتين. ومنهم محمد بن خالد الخراز الرازى، وأبو مالك عبيد الله بن الأخنس البصرى الخراز مولى الأزد، قيده أبو الوليد بن الفرضى يروى عن ابن أبى مليكة، روى عنه يحيى القطان. وأبو يزيد خالد بن حيان الخراز الرقى، من أهل الرقة، سمع جعفر بن برقان وفرات بن سلمان وسليمان بن عبد الله بن الزبرقان وبدر بن راشد وكلثوم بن جوشن وغيرهم، روى عنه عبد الله بن محمد النفيلى ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلى، وروى عنه من أهل بغداد أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والحسن بن عرفة، وكان بعض الناس يحمدونه ويوثقونه، وبعضهم يضعفونه، وقيل إنه مات سنة إحدى وتسعين ومائة.

وأبو جعفر محمد بن إسحاق بن أسد الخراز يعرف بزريق، وهو هروى الأصل، حدث عن محمد بن معاوية النيسابورى وداود بن رشيد الخوارزمى وعبد الله بن عبد الوهاب البرجمى، روى عنه محمد بن مخلد الدورى وأبو مزاحم الخاقانى وأحمد بن عثمان بن يحيى الأدمى، قال الخطيب: وما علمت من حاله إلا خيرا؛ قال: وتوفى فى شوال سنة أربع وثمانين ومائتين.

وأبو العباس محمد بن أحمد بن عباد الخراز من أهل

بغداد، سمع أبا هشام الرفاعي والحسن بن عرفة العبدى وغيرهما، وحدث بمكة، روى عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن المقرئ الأصبهانى وذكر أنه سمع منه بمكة.

وأبو محمد عبد الله بن عون الهلالى الخراز، من أهل بغداد، سمع مالك بن أنس وشريك بن عبد الله وعبد الرحمن ابن عبد الله العمرى وإبراهيم بن سعد وإسماعيل بن عياش وعبدة بن سليمان وخلف بن خليفة؛ روى عنه الحارث بن أبى أسامة وعباس بن محمد الدورى وموسى بن هارون وأبو بكر ابن أبى الدنيا وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوى وأبو يعلى الموصلى، وكان ثقة، وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال: ما به بأس، أعرفه قديما، وجعل يقول فيه خيرا؛ وقال صالح بن محمد جزرة الحافظ: عبد الله بن عون الخراز ثقة مأمون، وكان يقال إنه من الأبدال؛ وكان أبو القاسم البغوى يقول ثنا عبد الله بن عون الخراز وكان من خيار عباد الله ومات فى شهر رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائتين.

وعبد الرحمن بن خالد الخراز من أهل أصبهان، سمع من النعمان بن عبد السلام، لا نعلم أنه حدث إلا ما ذكر عنه ابنه موسى بن عبد الرحمن وجودا فى كتابه.

وأحمد بن الحارث الخراز، يروى عن أبى الحسن المدائنى تصانيف.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٥٥ واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ١٥ / ٤٩٩)

* **الخراز (ـ ٧١٨ هـ / ١٣١٨م):**

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشريشى الشهير بالخراز أصله من شريش مدينة بالعدوة الأندلسية وكانت سكناه بمدينة فاس إلى أن توفى به بعد سنة ٧١١ هـ ودفن بمكان يعرف الآن بباب الحمراء وكان إماما فى مقرأ نافع مقدما فيه كما كان إماما فى الضبط عارفا بعلله وأصوله قرأ على أئمة أجلة فى فنون القراءات والضبط والعربية وغيرها وعمدته فى ذلك هو الشيخ المحقق أبو عبد الله بن القصاب ـ وله رحمه الله تآليف أجلها مورد الظمآن وله نظم آخر قبله سماه عمدة البيان وفيه يقول:

سميته بعمدة البيان
فى رسم ما قد خط فى القرآن

وفيه يقول عند الكلام على وجوب اتباع مرسوم القرآن:

فواجب على ذوى الأذهان
أن يتبعوا المرسوم فى القرآن
ويقتدوا بما رآه نظرا
إذ جعلوه للأيام وزرا
وكيف لا يجب الاقتداء
لما أتى نصا به الشفاء
إلى عياض أنه من غيرا
حرفا من القرآن عمدا كفرا
زيادة أو نقصا أو إن أبدلا
شيئا من الرسم الذى تأصلا

وقد ذيل كتاب العمدة بنظم فن الضبط المتصل اليوم بمورد الظمآن ـ وله تأليف آخر فى الرسم كمورد الظمآن منثور غير منظوم وله شرح على منظمة ابن برى المسماة بالدرر اللوامع فى أصل مقرأ الإمام نافع وله شرح على الحصرية فى القراءات وقيل إن له شرحا على العقيلة للإمام الشاطبى وعلى الجملة فهو ممن فتح عليه فى التأليف وسهل عليه فيه النظم والنثر وكان يعلم الصبيان بمدينة فاس ـ ولم يعرف على وجه التحديد سنة ولادته ولا وفاته غير أنه أدرك آخر القرن السابع وأول الثامن رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا به (لطائف البيان ١ / ٤).

ترجم له الدكتور سعيد إعراب فقال فى حديثه عن فن رسم القرآن وضبطه؛ وقد بسط الكلام على منظومة» مورد الظمآن إليها آنفا:

أما الجانب الآخر ـ وهو فن الرسم والضبط ـ فقد ألف فيه كثيرون، سواء منهم القدامى أو المحدثون؛ ومن الذين اختصوا بالتأليف من أئمة هذا العصر، وبرعوا فيه براعة شديدة، وفاقوا من سواهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأموى الشريشى المعروف

بالخراز، ينتهى نسبه إلى أمويى الأندلس؛ وأصله من شريش ـ عمل أشبيلية على مقربة من وادي لكة ـ حيث كانت المعركة الفاصلة بين قوى الإسلام والنصرانية على يد طارق بن زياد البطل المغربى الشهير.

وقد سقطت شريش فى يد الأسبان (٦٦١هـ ـ ١٢٦٤م)، وحاول أبو يوسف المرينى استرجاعها ـ ولكن بدون جدوى؛ فهاجر أكثر أهلها إلى المغرب، واستوطنوا عدة جهات منه؛ وكان سكنى أبى عبد الله الشريشى بفاس، ولعله انتقل إليها ـ وهو صغير؛ فاشتغل أولا بحرفة الخرازة، ولذا يلقب بالخراز؛ ثم أقبل على طلب العلم، وتلمذ لكثير من مشيخة فاس؛ وكان عمدته فى علوم القرآن ـ أبو عبد الله بن القصاب، ولقى ابن أجروم فأخذ عنه.

وكان أبو عبد الله الخراز إماما فى مقرأ نافع، مقدما فيه غير منازع؛ بارعا فى الرسم والضبط، عارفا بعلله وأصوله، قال فيه ابن الجزرى: إمام كامل، ومقرئ متأخر؛ كرس حياته لتعليم كتاب الله العزيز، وتخرج على يديه كثير؛ ومن أبرز تلاميذه: أبو محمد بن آجطا الصنهاجى المعروف بالشارح، لأنه أول من شرح مورد الظمآن ـ على ما سنذكره بعد. توفى أبو عبد الله الخراز بفاس الجديد ـ سنة ثمان عشرة وسبعمائة (٧١٨هـ)، ودفن بالجيارين (باب الحمراء)؛ وكان قبره معروفا.. أبو الحسن التروالى: وكان الأستاذ أبو إسحاق يريه للناس، ثم انطمست معالمه، وخفيت آثاره ـ والأمر لله.

خلف الإمام الخراز عدة مؤلفات فى حرف نافع ـ قراءة ورسما، منها:

ـ عمدة البيان فى رسم القرآن (رجز).

ـ تأليف آخر له فى الرسم منثور، قال ابن آجطا: رأيته وطالعته.

ـ شرح الحصرية.

ـ شرح العقيلة.

ـ شرح الدرر اللوامع.

ـ رجز فى الضبط، جعله أولا ذيلا لعمدة البيان.

ـ ونسب له بعضهم كتاب (اختلاف القراء فى الوقف).

ـ «مورد الظمآن فى رسم أحرف القرآن»، ألحق به رجزه فى الضبط الآنف الذكر؛ ولا بد لنا من وقفة مع كتابه هذا «مورد الظمآن» فشهرة الخراز ترجع إلى هذا الكتاب أكثر من غيره؛ وقد جمع فيه زبدة ما ألف فى فن الرسم والضبط وزيادات أغفلها المتقدمون، أو اختلف فيها المتأخرون.

ويرى ابن خلدون أن الإمام الخراز لما كان آخر مدرسة بالمغرب فى هذا الفن، فقد هجر الناس كتب الأقدمين واقتصروا عليه، وذاعت شهرته فى الآفاق.

قال فى هذا الصدد: «... وانتهت بالمغرب ـ يعنى دراسة هذا الفن ـ إلى أبى عمرو الدانى، فكتب فيها كتبا، من أشهرها: كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه؛ ونظمه الشاطبى فى قصيدته الرائية المشهورة، وولع الناس بحفظها؛ ثم كثر الخلاف فى الرسم فى كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى ابن مجاهد ـ فى كتبه، ثم نقل بعده خلاف آخر، فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا، وعزاه لناقليه؛ واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها، وهجروا بها كتب أبى داود، وأبى عمرو، والشاطبى ـ فى الرسم ...».

وأرجوزة مورد الظمآن تقع فى أربعمائة وأربعة وخمسين بيتا، ثم ألحق بها رجزا له فى الضبط ـ وهو فى مائة وأربعة وخمسين بيتا؛ فيكون مجموع أبيات المورد والذيل: (٦٠٨) ـ ثمانية وستمائة بيت، ووجد فى نسخة المؤلف ما صورته:

يقول ناظمه: «لما انتهى نظم هذا الرجز، بل أربعمائة وسبعة وثلاثين بيتا؛ ثم انتسخ وانتشر، ورواه بذلك أناس شتى؛ ثم عثرت فيه على مواضع كنت وهمت فيها فأصلحتها، فبلغ أربعة وخمسين بيتا مع أربعمائة، فصار الآن نيفا على ما سبق منه سبعة عشر بيتا؛ فمن قيد من هذه النسخة، فليثبت هذا بآخرها، ليوقف على صحتها، والله تعالى ولى التوفيق بمنه».

وقد ضمنه مقدمة وعشرة أبواب، وتحت كل باب فصول.

تحدث أبو عبد الله الخراز فى مقدمة «مورد الظمآن».

ـ أولا عن بعض مبادئ هذا الفن ، فذكر أن واضع الرسم القرآنى ، هم الصحابة الكرام ، وأن اتباعه أمر محتم :

وبعـــد فـــاعلم أن أصل الـــرسم
ثبــت عـــن ذوى النهـــى والعلـــم
جمعــــــه فـى الصحف الصـــديق
كمــــا أشــــار عمـــر الفـــاروق
وبعــــــده جـــــرده الإمـــــام
فـى مصحـف ليقتـــــرى الأنـــــام
ولا يكـــــون بعـــــده اضطـــــراب
وكــــان فيمــــا قـــد رأى صــواب
فينبغــــى لأجـــــل ذا أن نقتفـــــى
مــرســـوم مـــا أصلــه فـى المصحف
وجــــاء آثـــــار فـى الاقتـــــداء
بصحبــــــه الغـــر ذوى العـــلاء

وقد اقتبس منه أبو عبد الله الخراز نحو اثنتى عشرة مسألة ، اشتهر أمرها فى عهده ؛ ورواه المرادى عن شيخه ابن لب القيسى ، عن أبى عبد الله المغامى ـ تلميذ الإمام الدانى .

هـذا وأضاف الخراز بعض أحكام إلى الغازى بن قيس القرطبى وغيره .

ثـالثـا ـ مصطلحـات ضمنهـا كتـابـه المورد ـ اختصـارا للطريق ، وتقريبا للغرض المقصود :

وفـى الـــذى كــــرر منـــــه اكتفـى
بـــذكـــر مـــا جـــا أولا من أحـــرف
منـــوعــــا يكــــون أو متحـــدا
وغيــــر ذا جئت بــــه مقيــــدا
وكـل مـــا قــــد ذكــروه أذكــــر
مـن اتفـــاق أو خــــلاف أثــــروا
والحكم مطلقــــا بــــه إليهم
أشيــر فـى أحكــام مــا قــد رسمــوا
وكـل مـــا جـــاء بلفظ عنهمـــا
فـــابـن نجـــاح مـع دان رسمـــا
وأذكـــــر التى بهـن انفـــــردا
لـــدى العقيلـــة علـى مـــا وردا
وكـل مـــا لـــواحـــد نسبت
فغيــــره سكـت ـــ إن سكـــت
وإن أتـى بعكســــه ذكـــرتــــه
علـى الـــذى مـن نصــه وجـــدتـه

إلى آخر ما أورده فى المقدمة من مصطلحات و إشارات .

خصص المؤلف الأبـواب الثلاثة ـ لحـذف حروف العلة : الألف ، والـواو ، والياء ؛ والحـذف أنـواع : إشارة ، واختصـار واقتصار ـ وهو أوسع باب استغرق نحو ثلثى الكتاب .

وتحـدث فى البـاب الـرابع عـن حـذف إحـدى الـلامين المتصلتين نحو اليل والـذى والتى ، وما إلى ذلك . وتكلم فى الباب الخـامس عن الهمز وكيفية تصـويره وأقسامه وأنـواعه ، وضمنه أربعة فصول :

أ ـ فى الهمزة المبتدأة .

ب ـ فى المتحركة المسبوقة بساكن .

جـ ـ فى الساكنة المتوسطة والمتطرفة .

د ـ فى المتحركة المتوسطة .

وذكر فى البـاب السادس الأحرف الـزوائد فى المصاحف من واو أو ياء أو ألف .

وبين فى الباب السابع أحكام الإبدال ، وهو إما إبدال واو من ألف ، أو ياء منها كذلك .

وتحـدث فى البـاب الثامن عن الفصـل ، وذكر الحـروف المقطوعة ـ وهى أحد عشر حرفا ـ ضمنها ستة فصول وأوضح فى الباب التـاسع أحكام الوصـل ، وبين الكلمات الموصـولة وهو يحتوى على أربعة فصول .

وتكلم فى الباب العاشـر ـ وهو آخر أبـواب الكتـاب ـ عن رسم هاء التأنيث تاء إذا أضيفت إلى ظاهر ، وجعل الكلام فيها ينحصـر فى أربعـة فصـول ؛ ويمكـن القـول بأن المصـاحـف العثمانية التى رسمت هاء التأنيث تاء تارة وهاء أخرى ـ أرادت أن تجمع بين لغتين مشهـورتين عند العـرب ، استعملتهما فى كلامها ، ونطقت بهما فى أشعارها .

ويذكر المؤلف في نهاية الأرجوزة - أن نظمه لها، أو على الأصح تحريره إياها - كان سنة (٧١١ هـ) .

قد انتهى والحمد لله على
ما منّ من إنعامه وأكملا
في صفر سنة إحدى عشرة
من بعد سبعمائة للهجرة

وأشرت سابقا - إلى أن المؤلف ألحق برجزه «مورد الظمآن» - رجزا آخر له في الضبط، ليكون - كما قال - جامعا مفيدا :

هذا تمام نظم رسم الخط
وها أنا أتبعه بالضبط
حتى يكون جامعا مفيدا
على الذي ألفيته معهودا

ثم يقول الدكتور سعيد اعراب يذكر شروح منظومة «مورد الظمآن» ويترجم لشارحيها :

ولنذكر بعض الذي كتبوا عن مورد الظمآن، أو اختصوا رجزه في «الضبط» - بالشرح والتعليق؛ وقد ذكرت آنفا أن المؤلف كرس حياته لتعليم كتاب الله، وتدريس علومه؛ ومن تلاميذه الذين لازموه طويلا، وأخذوا عنه جل مؤلفاته، وكان من السباقين إلى شرح أرجوزته : «مورد الظمآن»، بل يعتبر أول شارح لنا .

* هو أبو محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بن آجطا، ولعله من صنهاجة أعمال صفرو؛ تعلم بفاس، وبها توفي سنة (٧٥٠ هـ) وضريحه بالباب الحمراء، وهو الآن غير معروف .

جلس أبو محمد آجطا على كرسي الإقراء بفاس، وتتلمذ له كثير؛ من بينهم : أبو عبد الله محمد بن آجروم المعروف بمنديل، وأبو الحسن علي بن يخلف المديوني الشهير بابن جزو، من شيوخ السراج، ذكره في فهرسته .

ويحمل شرحه هذا عنوان (التبيان في شرح مورد الظمآن)، وهو شرح مطول، يقع في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير؛ وصدره بخطبة مسجوعة طويلة يقول فيها : (... ولما رأيته محسنا، في نظمه متقنا ... واعتنى الناس بحفظه في البلدان، وتردد ذكره بين الشيوخ والولدان؛ أردت أن أشرحه، وأذكر مشكله وموضحه؛ وكنت ابتدأت هذا الشرح في حياة ناظمه؛ وكانت لي في ذلك عزيمة ونية، وانتهيت به إلى الأسماء الأعجمية؛ يعني قوله في باب الحذف :

والأعجمية كنحو لقمان
ونحو إسحاق ونحو عمران

ثم عزفت نيتي، وانحلت عزيمتي لأعذار أوجبت ذلك؛ منها الاشتغال بتعليم الصبيان، لاستغراقهم جميع الزمان؛ وتغير الأحوال، ومكابدة العيال؛ وأمور كثيرة حالت بيني وبين إتمامه ...

ثم يذكر أنه في سنة (٧٤٤ هـ) قدم عليه بعض طلبة تلمسان وسألوه إقراء هذا الرجز، وألحوا عليه في الطلب؛ فلبى رغبتهم، وكان ذلك من دواعي إتمام هذا الشرح، « . . فأخذت في إتمامه على المنهاج الذي بدأته أولا كما ذكرت؛ على أني أيضا لم أر أحدا من أهل عصرنا تعرض لشرحه، والاعتناء به؛ إذ كان ناظمه - رحمه الله - قد أجازني فيه، وسمعته منه وقرأته عليه قراءة تفقه وبحث ... »

وقد عاد ابن آجطا إلى الأصول التي اعتمدها الخراز، وأورد نصوصها، وقارن بينها؛ وناقش المؤلف في استنباطاته منها، وربما شافهه في بعض ذلك؛ فتراه مثلا يقول في مسألة نسب أبو عبد الله الخراز الحكم فيها إلى أبي داود في تنزيله : « ... وقد طالعت نسخا من التنزيل، فلم أجد أبا داود ذكر ذلك؛ ففاوضت الناظم في هذا مدة سكناه بالبلد الجديد، فواعدني البحث عليه، فلم أره بعد ذلك رحمه الله ... » .

ورجع ابن آجطا كذلك إلى عشرات المصادر في هذا الفن، ونخلها وعرف كيف يستفيد منها؛ وعلى الجملة، فهو في غاية التحرير والإتقان، وكل الشروح عالة عليه؛ وقد كتب أبو عبد الله القصار - إلى تلميذه أبي العباس الشريف العلمي يقول : « ... وأعجبني إقراؤك الخراز، واعتمد على ابن آجطا، فإن نقله صحيح، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف ... » .

وهنـاك نسخ مختصـرة من هـذا الشـرح تحمل نفس العنوان : (التبيان) ـ منسوبة إلى المؤلف، ولعل ذلك مما قيده بعض تلاميذه أيام إقرائه لهم.

المجـاصي ـ وهـو أبو عبـد الله محمد بن شعيب بن عبـد الواحد بن الحجاج المجاصي اليصليتني، ذكر نه تعلم برباط تازة على أبي الحسن بن بـري، وهناك أخذ عنه كتـابه «الدرر اللوامع».

ويذكـر المجاصي من شيوخـه بتازة ـ أبا عبـد الله المالقي نزيل تازة، وأبا عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن أبي بكر التسولي اللنتي.

وأخـذ بفـاس عن أبي الحسن علي بن سليمـان القـرطبي مقـرىء فـاس، وأبي العبـاس بن عبـد الـرحمـن بن تميم المجـاصي الشهير بـالمكنـاسي، وأبي الحسن علي بن عبـد الرحمن بن محمد بن بادي الغابري، وسواهم.

وأورد سنـده المتصل في مقـرأ نـافع إلى الـرسول ــ عليـه الصلاة والسلام ــ لم يمكن لي إيراده لطوله، علـى ما فيه من فوائد جلي.

وكـان المجـاصي معلم الصبيـان ــ بجـامع ابن أصنـاج بمدينة تازة، وتتلمذ له الكثير من أبناء هذا البلد وغيره؛ ويذكر السراج فـي فهرستـه ـ أن من تـلاميذه ـ أبـا عبد الله بـن آجروم المعـروف بـالمنديل، قـرأ عليـه فـاتحـة الكتاب بـالقـراءات السبع، وبعض الشـاطبيـة، وبعض الـدرر اللوامع؛ ونـاولـه شـرحه عليـه ... توفي أبـو عبـد الله المجاصي أواسط القـرن الثامن الهجري، وخلف مؤلفات في علوم القرآن، منها :

ـ شرحه على مورد الظمآن، وعندي نسخة فيها بتر كبير لم أستطع أن أستفيد منها كثيرا، ذكر أنه فرغ منه ٧٤٣ هـ.

ـ شرح ضبط الخراز.

ـ شـرح الدرر اللوامع وقفت عليـه آخيرا وهو شـرح موسع ذكر أنه كتبه سنة ٧٢٣ هـ، وهو مهم جدا.

ـ منظومة في غريب القرآن، جاء في مقدمتها :

وبعـــد حمــد الــواسع المجيب
فلنبتــديْ فـي القــول في الغــريب
مختصــرا مــوجــزا فـي اللفظ
لــراغب فـي درســه والحفـظ
عـن الــذي قــد صح عنــدي فيــه
مـن كتـب الإيضــاح والتنبيــه

وتختلف نسخهـا اختـلافا بينـا، ولعل المـؤلف زاد فيهـا ونقص، فرواها الناس كذلك.

ومن أهم الشروح : «تنبيه العطشان، على مورد الظمآن» ـ لأبي علي الحسين بن علي بن طلحـة الرجراجي الشـوشاوي (ت ٩٠٠ هـ) دفين أولاد برحيل بقبيلة المنابهة.

له مؤلفـات، منها : «حلية الأعيان، علـى عمدة البيان»، وشرحه «تنبيه العطشان» من أوسع شروح مورد الظمآن، اعتمد فيه كثيـرا على ابن آجطا (الشـارح)، ونـاقشـه في بعض آرائه؛ وقد انتقد الخراز في مواضع من هذا الكتاب، وأغلبها مسبوق بها؛ وأورد في باب الحذف فقط ـ اثنى عشر اعتراضا، أجاب عن جلّها وقال في الباقي : إنها اعتراضات لازمة.

وطـريقته : أن يـورد في كل موضـوع عدة أسئلـة ثم يجيب عنها واحدا واحدا، وينتهي من كل بيت بإعراب ما يحتاج إلى إعرابه في إيضاح المعنى.

ولـه إصـلاحات وتكميـلات لبعض الأبيـات، ووجـد في بعض النسخ أنه فرغ من عام (٨٤٢ هـ) (كذا)؟

«فتح المنان، المـروي بمورد الظمآن» ـ لأبي محمـد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشـر الأنصاري، هاجر أسلافه من الأندلس إلى عدوة المغرب، واستوطنوا مدينة فاس، وبها ولد في حدود ٩٩٠ هـ، ونشأ على كـريم الأخلاق، وتربى في بيت يغمره الفضل والصلاح.

حفظ القـرآن وجـوده على أبـي العبـاس اللمطي، وأخـذ القراءات السبع عن أبي العباس الكفيف، ثم عن أبي عبد الله الشريف المـريني التلمساني؛ وتتلمذ للشيخ القـاصار، وأبي القاسم بن القاضي، وأبي عبد الله بن الجنان، وسواهم.

كان رحمه الله عـالما متبحرا في علوم القـرآن، مشاركا في سائر الفنون؛ نـاسكا، ورعا زاهدا؛ مثـابرا على التعليم، كثير الإنصاف في مباحثاته، انفـرد في عصره بعلم الرسم؛ وتخرج

على يديه كثير، منهم: الشيخ ميارة، والحافظ المقرئ أبو زيد بن القاضي؛ ـ رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهناك نظم أرجوزته: «المرشد المعين»، وكان ينكر على الناس قراءة القرآن في جنائزهم، ويرى أن اصطناع الحزّابين في ذلك من البدع التي تجب محاربتها.

وعلى الجملة، فقد كان مثال العالم العامل، اعتكف وجاهد، ونصح العباد، توفى سنة ١٠٤٠هـ؛ وخلف آثارا علمية قيمة، منها:

ـ «المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين»، شرح مختصر خليل ـ لم يكمله، عمل الربع المجيب «رجز في التوقيت»، تعليق على كبرى السنوسي.

ـ «الإعلان، بتكميل مورد الظمآن» ـ في رسم غير نافع من بقية السبعة، وله عليه شرح.

وشرحه «فتح المنان» يدل على تبحر في علوم القرآن، وتضلع شامل في فنون اللسان؛ ووضع أبو زيد المنجرة حواشي عليه (القراء والقراءات / ٣٤ـ٤٧).

قالت المؤلفة: يوجد مخطوط «فتح المنان» هذا في خزانة القرويين وجاء بيانه كما يلي:

أول النظم المشروح: الحمد لله العظيم المنن. ومرسل الرسل بأهدى سنن.

جزء متوسط بخط مغربي كتب فيه المتن بالأحمر في كاغد متين أصابه خرق السوس ضمن مجموع من ١ / ب إلى ١٣٩ / ١.

من تحبيس عمة السلطان سيدي محمد عام ١٣٥٣.

كتبه عبد الرحمن بن إبراهيم اجرف به عرف عام ١٠٨٠.

أوراقه ١٣٩ / ٣٢/ ٣٠/ ٢١ (فهرس خزانة القرويين ٥٢٦/٢).

ـ ولأبي إسحاق الدرعي تذييل على مورد الظمآن.

«منهاج رسم القرآن، في شرح مورد الظمآن» ـ لأبي الفضل مسعود بن محمد بن مجموع السجلماسي، أخذ تعليمه الأولي ببلده سجلماسة، ثم ارتحل إلى فاس، وبها أنهى دراسته.

أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وولده أبي عبد الله (محمد)، وأخذ علوم القرآن عن أبي زيد بن القاضي.

كان عالما بالحديث والسير، والفقه والتصوف، والنحو والبيان، والتفسير واللغة، خيرًا دينًا فاضلاً، لا يرى إلا مدرسا أو كاتبا، أو ناسخا، أو باحثا.

انتقل في أخريات حياته إلى سلا، ونزل بزاوية أبي العباس حجي؛ ودرس بها البخاري، والشفا، والشمائل توفي عام ١١١٩هـ.

له مؤلفات في القراءة والرسم، منها: هذا الشرح الذي أبان فيه عن اطلاع واسع، وفهم دقيق لمسائل هذا الفن؛ وقد استقى كثيرًا من مكتبة شيخه ابن القاضي، وله تذييل على الخراز فيما أغفله من مسائل الرسم، واستدرك كثيرًا على إعلان ابن عاشر ـ ونظم ذلك في رجز.

وهناك شروح أخرى مختصرة نجمل الكلام عنها فيما يلي:

«الدرر الحسان، في اختصار التبيان» ـ لأبي عبد الله محمد بن خليفة بن صالح الصنهاجي، كتب جله في رحلاته إلى أفريقية سنة ٨٣٦هـ.

طرر لأبي الحسن التروالي المعروف بالزرهوني، وهي مهمة جدًا؛ جمعها بعض تلاميذه وزاد عليها زيادات، وأسماها «مجموع البيان، في شرح مورد الظمآن».

تعليق: لأبي عبد الله شقرون الوهراني (ت ٩٢٩ هـ).

غربلة مورد الظمآن ـ لسعيد بن سعيد الكرامي الجزولي، من أهل القرن التاسع.

شرح في نحو مائة صفحة من القطع الصغير، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب الجزولي، كتبه سنة (١٠٨٥هـ).

تقييد على مورد الظمآن لمحمد بن مجبر.

ـ (الخلاف والتشهير والاستحسان، فيما أغفله مورد الظمآن)، لأبي زيد بن القاضي (ت١٠٨٢ هـ)، وذيله برجز يقول فيه:

وهـــاك مـــا حـــذف فـى التنـــزيـل
وليس فـى المـــورد خـــــــ تفصيلى

ـــ ومن إحـدث الشـروح : «دليل الحيـران، على مـورد الظمآن» ـ لأبي إسحاق إبراهيم المارغني، (ت ١٣٤١ هـ) .

ـ ولـه شرح على إعلان ابن عـاشر سماه « تنبيـه الخلان، على الإعلان بتكميل مورد الظمآن » ـ .

ـ طبع كل من الشرحين بتونس (القراء والقراءات / ٣٤ ـ ٤١، ٤٣ ـ ٤٩) .

(لطـائف البيان فى رسم القرآن شـرح مورد الظمـآن ـ الشيخ أحمـد محمـد أبى زيتحـار ١ / ٤، والقـراء والقـراءات بـالمغـرب ـ د . سعيـد اعراب/ ٣٤ ـ ٤١، ٤٣ ـ ٤٩، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢ / ٥٢٦ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٧/ ٣٣) .

انظر : رسم القرآن ، ضبط القرآن .

*** الخراز (أبو سعيد) :**

أدرجه الإمـام أبو عبـد الرحمن السلمـى فى الطبقة الثـانية للصوفية وقال عنه :

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، وهو من أهل بغداد .

صحب ذا النون المصرى، وأبا عبد الله النباجى، وأبا عبيد البسرى، وصحب أيضـا سريا السقطى، وبشـر بن الحارث، وغيرهم .

وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء. ومـات سنة تسع وسبعين ومائتين (فى الأعلام ١/ ١٩١ وفاته سنة ٢٨٦هـ) .

ومن كلامه :

ـ إن الله تعالى عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجـل لأبدانهم النعمة بما نالـوه من مصالحهم ، وأجـزل نصيبهـم من كل كـــائن... فعيش أبـــدانهـم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان :

لسـان فى الباطـن، يعرفهم صنع الصـانع فى المصنـوع، ولسان فى الظـاهر يعلمهم علم المخلـوقين، فلسان الظـاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجى أرواحهم .

ـــ وسئل عن الأنس، مـا هـو ؟ فقال : استبشـار القلـوب بقرب الله تعـالى، وسرورهـا به، وهدوؤهـا فى سكونهـا إليه، وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه، حتى يكـون هو المشير، لأنها نـاعمة به ولا تحمل جفاء غيره .

ـ وكان نائما فانتبـه وقال : اكتبوا ما وقع لى فى هذا النوم . إن الله تعـالى جعل العلم دليـلا عليه ليعـرف وجعل الحكمـة رحمة منه عليهم ليؤلف، فـالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبـالعلم تنـال المعلـومـات، وبـالمعـرفـة تنـال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعـريف الحق، والعلم يـدرك بتعـريف الخلق، ثم تجـرى الفوائد بعد ذلك .

ـ مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف، فإن حركته ظهر ما تحته من الحماة، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة، ومن لم يعرف ما فى نفسه كيف يعرف ربه ؟

ـــ وقـال فى معنى قـول النبى ﷺ : « جبلت القلـوب على حب من أحسن إليهـا » : واعجبا ممن لم يـر محسنا غيـر الله كيف لا يميل بكليته إليه !

ـ كل باطن يخالف ظاهرًا فهو باطل .

ـ إذا كانت العين واحدة فمن أى حال تلونت عليك فاجر فيها، فإن التغيير من جهتك، لأن عين الحق لا تتقلب .

ـ للعـارفين خزائن أو دعوهـا علومـا غريبة وأنبـاء عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية .

ـ لـولا أن الله عز وجل أدخل موسى عليه السـلام فى كنفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل .

(طبقـات الصـوفية لأبى عبـد الرحمن السلمى ـــ يسره ورتبـه أحمـد الشـرباصى / ٥٣، ٥٤ . انظر أيضا الموسـوعة الصوفية ـــ د. عبد المنعم الحفنى / ١٣٧ ـ ١٤٠، وتأريخ متصـوفة بغداد ـــ جميل إبراهيم حبيب / ٣٦ ـــ ٣٨، والرسـالـة القشيـرية لأبى القـاسم القشيـرى / ٣٨، والأعـلام للزركلى ١/ ١٩١ وفيه وفاته سنة ٨٦هـ/ ٨٩٩م) .

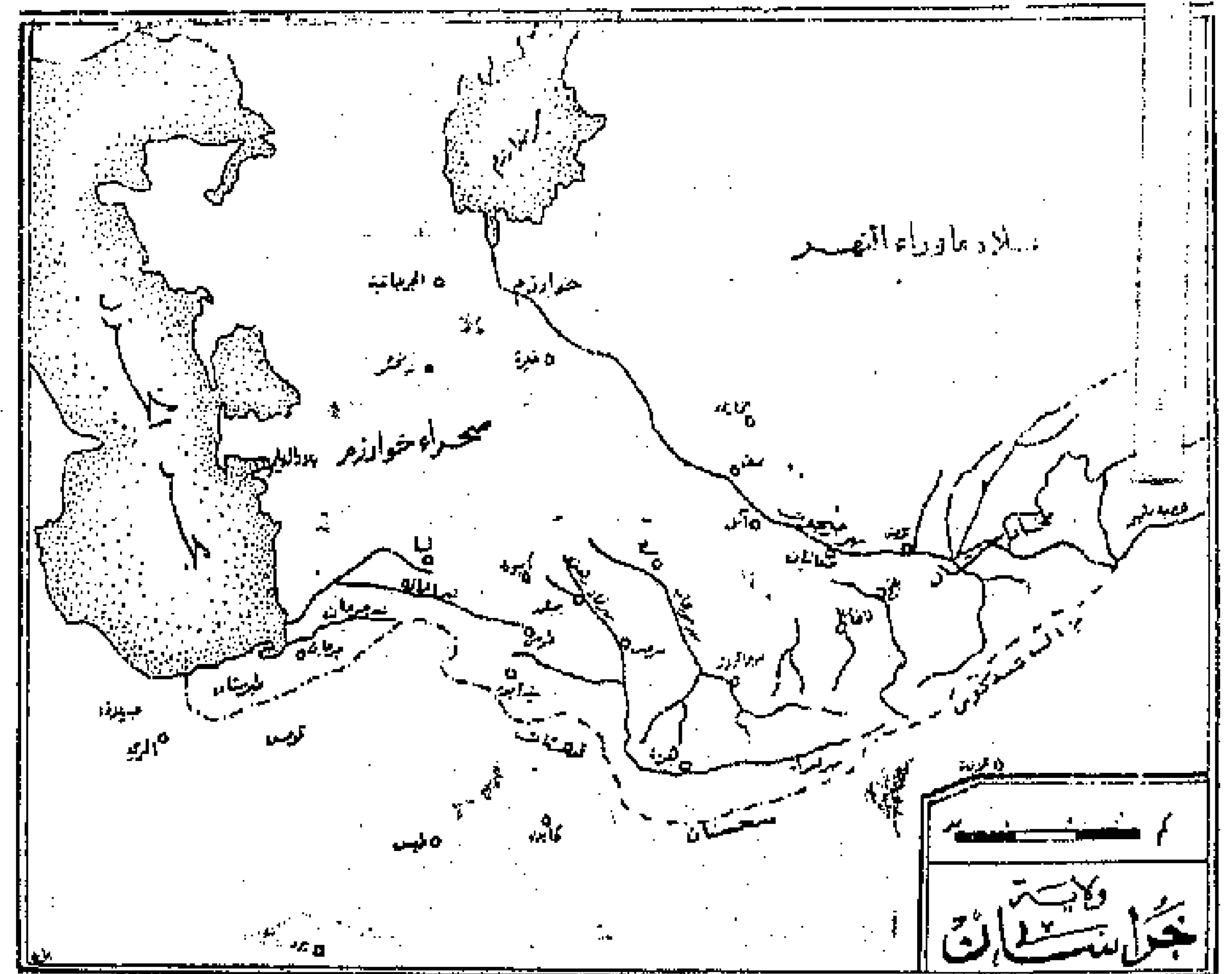
*** خراسان :**

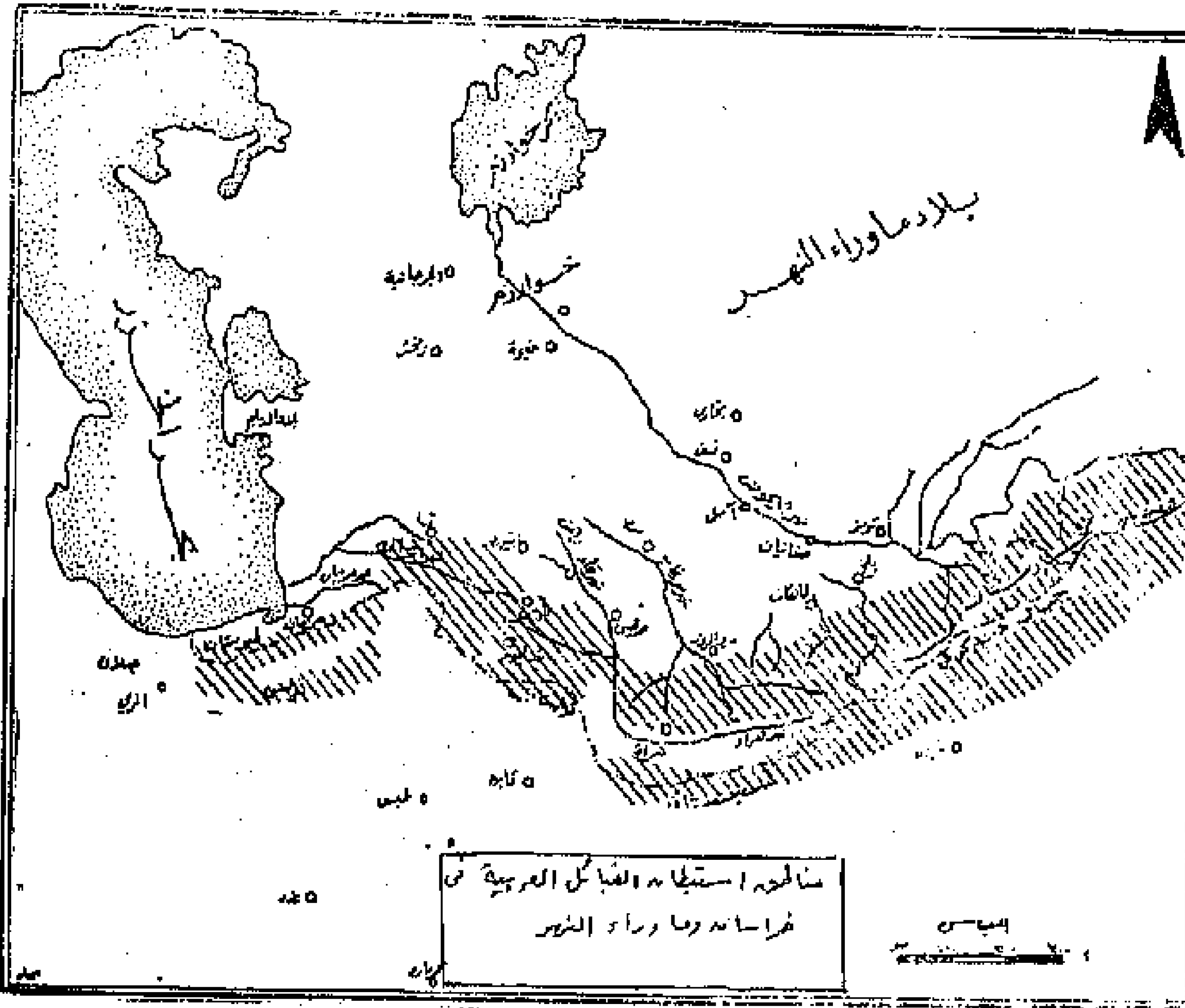
بلاد قديمـة فى آسيا بين نهر اموداريا شمالا وشـرقا وجبال هندوكوش جنوبا، ومناطق فارس غربًا امتدت أحيانا إلى بلاد

صُغد، ما وراء النهر، إلى سجستان جنوبا. تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (اشتهر منها نيسابور) وأفغانستان الشمالية (اشتهر منها هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيا السوفيتية (اشتهر منها مرو) غزاها الضحاك سنة ٦٥٦. وحشد فيها أبو مسلم الخراسانى ودعاة العباسيين سنة ٧٤٨ الجيوش التى قضت على الخلافة الأموية فى الشرق. وكلمة خراسان مركبة من «خور» أى شمس، و «اسان» أى مشرق (المنجد/ ١٧٤).

قال عنها ابن عبد ربه:

أول مدنها الرى، وهى آخر الجبال من خراسان، وإليها ينسب من الرجال الرازى؛ ومن خراسان مرو، وهى دار خلافة المأمون، ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة، ومن ينسب إليها من الرجال، يقال له مروزى، ومن الثياب مروى؛ ومدينة يقال لها قومس، وإليها تنسب الطبقات القومسية؛ ومدينة يقال لها سابور، بها ملك بنى طاهر؛ ومدينة يقال لها هراة، إليها ينسب الهروى من الرجال والمتاع؛ ومدينة يقال لها بلخ، وإليها ينسب البلخى، وبها معادن البجادى العتيق، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادى؛ ومدينة يقال لها خوارزم، وإليها ينسب الخوارزمى، وهى على شط البحر المحيط؛ وبلخ على شط النهر العظيم، الذى يقال له جيحون بخراسان، ثم جرجان، وهى مدينة عظيمة على شط



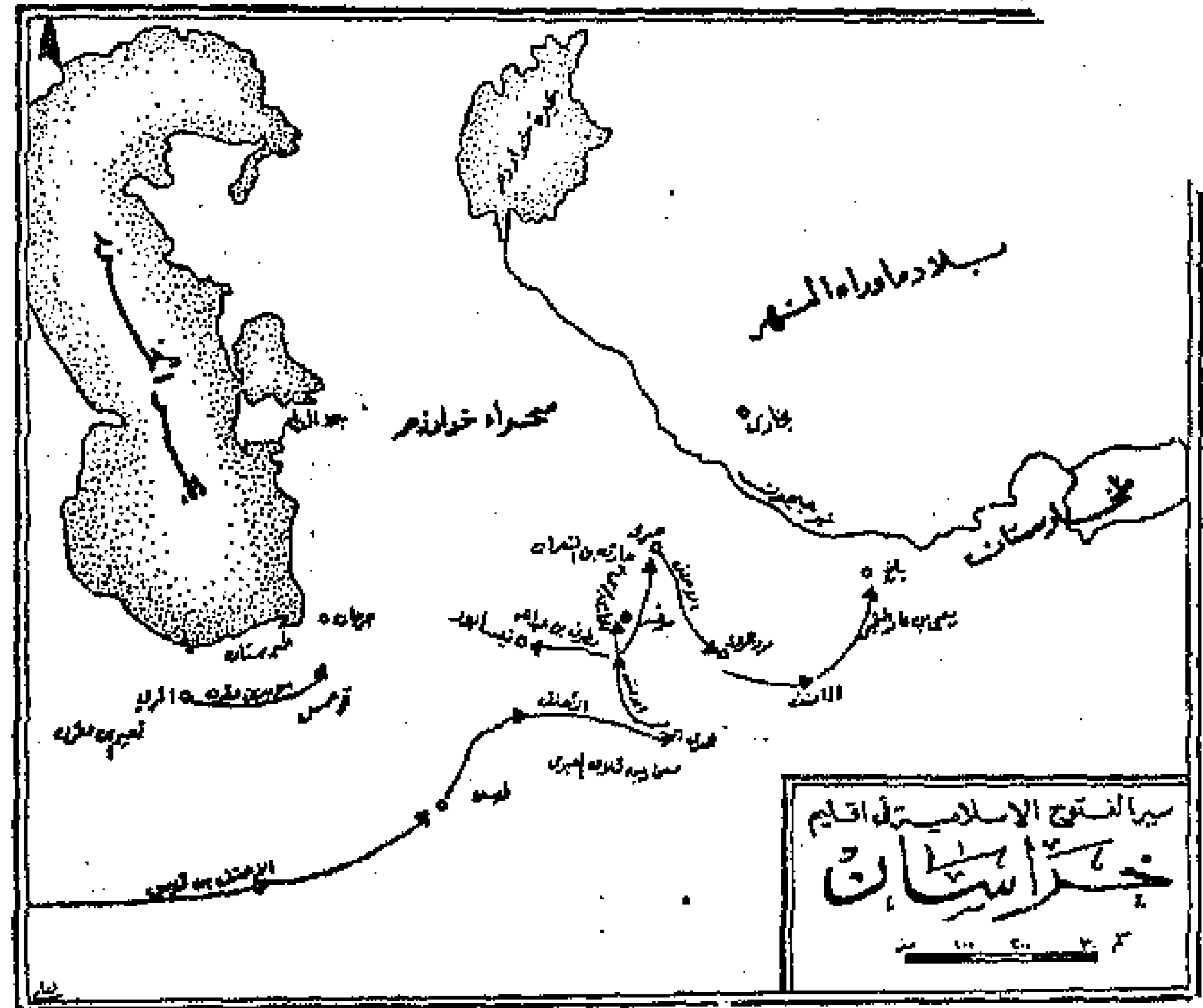


البحر المحيط، وإليها ينسب الوشى الجرجانى والمتاع؛ ثم قوهى، وهى مدينة عظيمة إليها ينسب القوهى من الثياب: ثم كابل، وهى مدينة يؤتى منها بالهليلج الكابلى؛ ثم سمرقند، وهى مدينة عظيمة، إليها ينسب السمرقندى من الثياب، وبين بغداد وبينها مسيرة ستة أشهر، وهى مما يلى كرمان، وهى على بطائح السند. وبلاد السند من آخر خراسان، ما بين المغرب والمشرق من جهة القبلة؛ وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تبت، وهى من أرض الترك وبها مجمع المسك؛ ومدينة يقال لها فرغانة، وأهلها جنس من العجم يقال لهم الصغد، وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن إذا مات لهم كبير.

ومن المدن التى فى صدر خراسان على الجبال، مدينة يقال لها قرميسين، ثم الدينور، وإليها ينسب الدينورى؛ ومدينة همذان، مدينة عظيمة؛ وطبرستان، مدينة عظيمة، فيها تعمل الأكسية الطبرية؛ ثم قم، وهى مدينة عظيمة، منها يؤتى بالزعفران؛ ثم أصبهان، وهى مدينة عظيمة؛ ثم طوس، وهى من ثغور الجبال (العقد الفريد ٧/ ٢٨٦، ٢٨٧).

وخراسان أحد جانبى المشرق وفقا لتقسيم المقدسى الذى يقول عن جانب خراسان:

اعلم أن لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب،



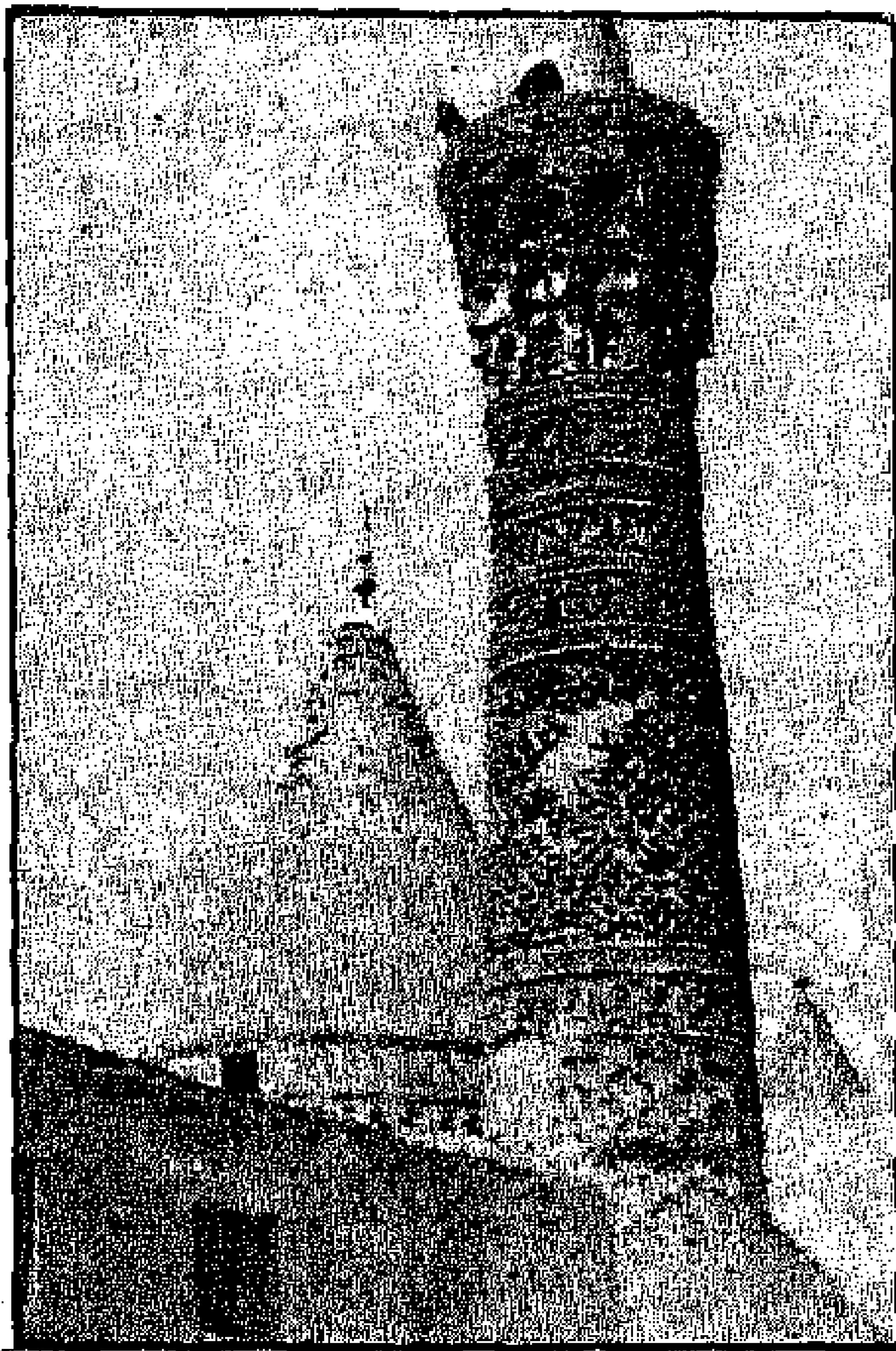
ويشركه فى أكثرها جانب هيطل، إلا أن هذا لما كان أقدم فى الاختطاط والفتح فى الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب. خص بالذكر وعرف عند النسبة .

يحكى عن ابن قتيبة (تأتى ترجمته فى موضعها إن شاء الله تعالى) أنه قال : خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة . لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة، وأشدهم إليه مسارعة منا، منَّ الله عليهم، أسلموا طوعا، ودخلوا فيه أفواجا، وصالحوا عن بلادهم صلحا، فخف خراجهم، وقلَّت نوائبهم، ولم يجب عليهم سبى، ولم يسفك فيما بينهم دم، مع قدرتهم على القتال، وكثرة العدد وشدة البأس ...

وقد جعلنا خراسان تسع كور وثمانى نواح، ورتبناهن فى هذا الفصل على المقادير وعند الوصف على التخوم . فأولها من قبل جيحون بلخ وفى المقادير نيسابور. وأما النواحى فأجلها قدرا بوشنج ثم باذغيس ثم غرجستان ثم مرو الروذ ثم طخارستان ثم باميان ثم كنج رستاق ثم أسفزار. وقد جعلنا طوس وأختيها خزائن لنيسابور، وجعلنا سرخس من المنفردات عن الكور لأنها تشكل (أحسن التقاسيم / ٢٣٤، ٢٣٥) .

وقد بسط ياقوت الكلام على خراسان فقال عنها :

خراسان : بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان، وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التى دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، ونذكر ما يعرف من ذلك فى مواضعها، وذلك فى سنة ٣١ فى أيام عثمان، رضى الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز؛ وقد اختلف فى تسميتها بذلك فقال دغفل النسابة : خرج خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبلبلت الألسن ببابل فنزل كل واحد منهما فى البلد المنسوب إليه، يريد أن هيطل نزل فى البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسان فى هذه البلاد التى ذكرناها دون النهر فسميت كل بقعة بالذى نزلها، وقيل : خر اسم للشمس بالفارسية الدرية وأسان كأنه أصل الشىء ومكانه، وقيل : معناه كل سهلا لأن معنى خر كل وأسان سهل، والله أعلم؛ وأما النسبة إليها ففيها لغات، فى كتاب العين : الخرسى منسوب إلى خراسان، ومثله الخراسى والخراسانى ويجمع على الخراسين بتخفيف ياء النسبة كقولك الأشعرين؛ وأنشد :



صورة ٥٧ - إيران - خراسان : بسطام : مشهد معروف باسم بايزيد
(حوالى ٧٠٠ - ١٣ هـ / ١٣٠٠ - ١٣م).

لا تكرمن من بعدها خرسيا

ويقال: هم خُرْسان كما يقال سودان وبيضان؛ ومنه قول بشار في البيت:

من خُرْسان لا تُعاب

يعني بناته، وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول إيران شهر وهي نيسابور وقهستان والطبسان وهراة وبوشنج وباذغيس وطوس واسمها طابران، والربع الثاني مرو الشاهجان وسرخس ونسا وأبيورد ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون، والربع الثالث، وهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، الفارياب والجوزجان وطخارستان العليا وخست واندرابة والباميان وبغلان ووالج، وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبذخشان، وهو مدخل الناس إلى تُبَّت، ومن اندرابة مدخل الناس إلى كابل، والترمذ، وهو في شرقي بلخ، والصغانيان وطخارستان السفلى وخلم وسمنجان، والربع الرابع ما وراء النهر بخارى والشاش والطاربند والصُّغد، وهوكس، ونسف والروبستان وأشروسنة وسنام، قلعة المقنع، وفرغانة وسمرقند، قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولا وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات تخيل، لا عمل بينها وبين خراسان؛ وقد روى عن شريك بن عبد الله أنه قال: خراسان كنانة الله إذا غضب على قوم رماهم بهم، وفي حديث آخر: ما خرجت من خراسان راية في جاهلية وإسلام فردت حتى تبلغ منتهاها؛ وقال ابن قتيبة: أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة ولم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون إلى أحد إتاوة ولا خراجا، وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ حتى نزلوا بابل ثم نزل أردشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة، وهم الذي قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس، وكان غزاهم فكادوه بمكيدة في طريقه حتى سلك سبيلا معطشة يعني مهلكة، ثم خرجوا إليه فأسروه وأكثر أصحابه معه، فسألهم أن يمنوا عليه وعلى من أسر معه من أصحابه وأعطاهم موثقا من الله وعهدا مؤكدا لا يغزوهم أبدا ولا يجوز حدودهم، ونصب حجرا بينه وبينهم صيره الحد الذي حلف عليه وأشهد الله عز وجل على ذلك ومن حضره من أهله وخاصة أساورته، فمنوا عليه وأطلقوه ومن أراد ممن أسر معه، فلما عاد إلى مملكته دخلته الأنفة والحمية مما أصابه وعاد لغزوهم ناكثا لأيمانه غادرا بذمته وجعل الحجر الذي كان نصبه وجعله الحد الذي حلف أنه لا يجوزه محمولا أمامه في مسيره يتأول به أنه لا يتقدمه ولا يجوزه، فلما صار إلى بلدهم ناشدوه الله وأذكروه به فأبى إلا لجاجا ونكثا فواقعوه وقتلوه وحُماته وكُماته واستباحوا أكثرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد، وهم قتلوا كسرى بن قباذ، ثم أتى الإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدهم إليه مسارعة مَنًّا من الله عليهم وتفضلا لهم فأسلموا طوعا ودخلوا فيه سلما وصالحوا عن بلادهم صلحا، فخف خراجهم وقلّت نوائبهم ولم يجر عليهم سباء ولم تسفك فيما بينهم دماء، وبقوا على ذلك طول أيام بني أمية إلى أن أساءوا السيرة واشتغلوا باللذات عن الواجبات، فانبعث عليهم جنود من أهل خراسان مع أبي مسلم الخراساني ونزع عن قلوبهم الرحمة وباعد عنهم الرأفة حتى أزالوا ملكهم عن آخرهم رأيا وأحنكهم سنا وأطولهم باعا فسلموه إلى بني العباس، وأنفذ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الأحنف بن قيس في سنة ١٨ فدخلها وتملك مدنها فبدأ بالطبسين ثم هراة ومرو الشاهجان ونيسابور في مدة يسيرة، وهرب منه يزدجرد بن شهريار ملك الفرس إلى خاقان ملك الترك بما وراء النهر، فقال ربعي بن عامر في ذلك:

ونحن وردنا، من هراة، مناهلا
رواء من المروين، إن كنت جاهلا
وبلخ ونيسابور قد سقيت بنا،
وطوس ومرو قد أزرنا القنابلا
أنخنا عليها، كورة بعد كورة،
نفضُّهم حتى احتوينا المناهلا
فلله عينا من رأى مثلنا معا،
غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا

وبقى المسلمون على ذلك إلى أن مات عمر، رضى الله عنه، وولى عثمان، فلما كان لسنتين من ولايته ثرا بنو كنازا، وهم أخوال كسرى، بنيسابور وألجؤوا عبد الرحمن بن سمرة وعماله إلى مرو الروذ وثنى أهل مرو الشاهجان وثلث نيزك التركى فاستولى على بلخ وألجأ من بها من المسلمين إلى مرو الروذ وعليها عبد الرحمن بن سمرة، فكتب ابن سمرة إلى عثمان بخلع أهل خراسان؛ فقال أسيد بن المتشمس المرى:

ألا أبلغا عثمان عنى رسالة،
فقد لقيت عنا خراسان بالغدر
فأذك، هداك الله، حربا مقيمة
بمروى خراسان العريضة فى الدهر
ولا تفترز عنا، فإن عدونا
لآل كنازاء الممدّين بالجسر

فأرسل إلى ابن عامر عبد الله بن بشر فى جند أهل البصرة، فخرج ابن عامر فى الجنود حتى تولج خراسان من جهة يزد والطبسين وبث الجنود فى كورها وساروا نحو هراة فافتتح البلاد فى مدة يسيرة وأعاد عمال المسلمين عليها؛ وقال أسيد ابن المتشمس بعد استرداد خراسان:

ألا أبلغا عثمان عنى رسالة،
لقد لقيت منا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيل من كل جانب،
فولوا سراعا واستقادوا النوائحا
غداة رأوا خيل العراب مغيرة،
تقرّب منهم أسدهن الكوالحا
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا،
وعادوا كلابا فى الديار نوابحا

وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعاته حين أراد توجيههم إلى الأمصار: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة عليّ وولده والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى، وأما الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان، وطاعة بنى مروان عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فغلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة؛ فلما بلغ الله إرادته من بنى أمية وبنى العباس أقام أهل خراسان مع خلفائهم على أحسن حال وهم أشد طاعة وأكثر تعظيما للسلطان وهو أحمد سيرة فى رعيته يتزين عندهم بالجميل ويستتر منهم بالقبيح إلى أن كان ما كان من قضاء الله ورأى الخلفاء الراشدين فى الاستبدال بهم وتصيير التدبير لغيرهم فاختلت الدولة وكان من أمرها ما هو مشهور من قِبل الخلفاء فى زمن المتوكل وهلّم جرا ما جرى من أمر الديلم والسلجوقية وغير ذلك؛ وقال قحطبة بن شبيب لأهل خراسان: قال لى محمد بن على بن عبد الله أبى الله أن تكون شيعتنا إلا أهل خراسان لا ننصر إلا بهم ولا ينصرون إلا بنا، إنه يخرج من خراسان سبعون ألف سيف مشهور، قلوبهم كزُبر الحديد، أسماؤهم الكنى وأنسابهم القرى، يطيلون شعورهم كالغيلان، جعابهم تضرب كعابهم، يطوون ملك بنى أمية طيا ويزفّون الملك إلينا زفا؛ وأنشد لعصابة الجرجانى:

الدار داران: إيوان وغمدان،
والملك ملكان: ساسان وقحطان
والناس فارس والإقليم بابل وال
إسلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العُلندان، اللذا خشُنا
منها، بخارى وبلخ الشاه داران
قد ميز الناس أفواجا ورتبهم
فمرزبان وبطريق ودهقان

وقال العباس بن الأحنف:

قال خراسان أدنى ما يراد بكم
ثم القفول، فها جئنا خراسانا

مـــا أقــــدر الله أن يـــدنى على شحط
سكـــان دجلـــة مـن سكـــان سيحـــانـــا
عين الـــزمـــان أصـــابتنـــا ، فـــلا نظـــرت ،
وعـــذبت بفنـــون الهجـــر ألـــوانـــا

وقال مالك بن الريب بعدما ذكرناه فى ابر شهر:

لعمـــرى لئن غـــالت خـــراســـان هـــامتى ،
لقـــد كنت عن بـــابـى خـــراســـان نـــائيـــا
ألا ليـت شعـــــــرى! هـل أبيتـن ليلـــــة
بجنب الغضـــا أزجى القـــلاص النـــواجيـــا؟
فليت الغضـــا لـم يقطـع الـــركـب عـــرضـــه ،
وليت الغضـــا مـــاشى الـــركـــاب ليـــاليـــا
ألـم تـــرنى بعت الضـــلالـــة بـــالهـــدى ،
وأصبحت فـى جيش ابن عفـــان غـــازيـــا؟

وما بعد هذه الأبيات فى الطبسين قال عكرمة وقد خرج من خراسـان : الحمد لله الذى أخرجنا منها ليطوى خراسان طى الأديم حتى يقـوّم الحمـار الـذى كـان فيهـا بخمسة دراهم بخمسين بل بخمسمائة .

وروى عن النبى ﷺ ، أنـه قـال : إن الـدجـال يخـرج من المشرق من أرض يقـال لها خراسـان يتبعه قـوم كأن وجوههم المجان المطرقة ؛ وقد طعن قوم فى أهل خراسان وزعموا أنهم بخـلاء ، وهـو بهت لهـم ومن أين لغيرهـم مثل البـرامكـة والقحاطبة والطاهرية والسـامانية وعلى بن هشام وغيرهم ممن لا نظير لهم فى جميع الأمم ، وقد نـذكر عنهم شيئا مما ادعى عليهم والرد فى ترجمة مرو الشـاهجان إن شاء الله ـ فأما العلم فهم فرسانـه وساداته وأعيانه ، ومن أيـن لغيرهم مثل محمد بن إسمـاعيل البخـارى ومثل مسلم بن الحجـاج القشيـرى وأبى عيسى التـرمذى وإسحـاق بن راهـويه وأحمـد بن حنبل وأبى حامـد الغزالى والجوينى إمـام الحرمين والحـاكم أبى عبد الله النيسابـورى وغيرهم من أهل الحديث والفقـه ، ومثل الأزهرى والجوهرى وعبـد الله بن المبارك ، وكان يعد من أجـواد الزهاد والأدباء ، والفارابى صاحب ديوان الأدب والهروى وعبد القاهر الجـرجـانى وأبى القاسـم الزمخشـرى ، هـؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عدهم .

وممن ينسب إلى خراسـان عطاء الخراسانى ، وهـو عطاء ابن أبى مسلم ، واسم أبى مسلم ميسـرة ، ويقـال عبـد الله بن أيـوب أبو ذؤيـب ، ويقال أبـو عثمـان ، ويقـال أبو محمـد ، ويقال أبو صالح من أهل سمـرقند ، ويقال من أهل بلخ مولى المهلب بن أبى صفـرة الأزدى ، سكن الشـام ، وروى عن ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن مسعود وكعب بن عجرة ومعاذ بن جبل مرسـلا ، وروى عن أنس وسعيد بن المسيـب وسعيد بن جبيـر وأبى مسلم الخـولانى وعكرمـة مـولى ابن عبـاس وأبى إدريس الخولانى ونافع مولى ابن عمـر وعروة بن الزبير وسعيد العقبرى ونعيم بن سلامـة الفلسطينى وعطاء بن أبى رباح وأبى نصرة المنذر بـن مالك العبدى وجماعة يطـول ذكرهم ، وروى عنه ابنه عثمان والضحاك بن مزاحم الهلالى وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر والأوزاعى ومـالك بن أنس ومعمر وشعبة وحماد ابن سلمة وسفيان الثورى والوضين وكثير غير هؤلاء ، وقال ابنه عثمان : ولد أبى سنة خمسين من التـاريخ ، قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم : لما مات العبادلة : عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبيـر وعبد الله بن عمرو بن العاص[وعبـد الله بن عمر] صـار الفقه فى جميع البلـدان إلى المـوالى ، فصار فقيـه أهل مكة عطـاء بن أبى رباح وفقيـه أهل اليمن طاوس وفقيـه أهل اليمامـة يحيى بن أبى كثير وفقيه أهل البصـرة الحسن البصرى وفقيه أهل الكوفة النخعى وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل خراسـان عطاء الخـراسانى إلا المـدينة فإن الله تعـالى خصها بقـرشى ، فكـان فقيـه أهل المـدينـة غيـر مـدافع سعيـد بن المسيب ، وقال أحمد ابن حنبل : عطاء الخراسانى ثقة ، وقال يعقوب بن شيبـة : عطاء الخراسانى مشهـور ، له فضل وعلم ، معـروف بالفتـوى والجهاد ، روى عنـه مالك بن أنس ، وكـان مـالك ممن ينتقى الرجـال ، وابـن جـريج وحمـاد بن سلمـة والمشيخة ، وهو ثقة ثبت (معجم البلدان ٣٥٠ ـ ٣٥٤)

ويذكر الـدكتور خالد جـاسم الجنابى خراسان مـن نـاحية تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى فيقول :

ولما كانت خراسان قاعدة متقدمة للقوات العربية الإسلامية فى المشرق، فقد أراد الأمويون أن يجعلوا منها مركزا لانطلاق الفتوح إلى المناطق المتاخمة لها، ففى سنة ٥١ هـ / ٦٧٠ م نقل زياد بن أبيه خمسين ألفا من المقاتلة العرب مع عيالاتهم من البصرة والكوفة وأسكنهم فى خراسان، فأصبحت خراسان دار هجرة أخرى للعرب، وبما أنها تابعة من الناحية الإدارية إلى البصرة فقد اتبع فيها نظام الأخماس كما كان الأمر متبعا فى البصرة، وتألفت هذه الأخماس من خمس قبائل هى بكر بن وائل، تميم، أهل العالية، الأزد، وعبد القيس، وقد أشار الطبرى إلى أعداد المقاتلين من هذه القبائل فى حدود سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م فبين أنه كان بخراسان من قبائل البصرة تسعة آلاف من أهل العالية وسبعة آلاف من بكر بن وائل وعشرة آلاف من تميم وأربعة آلاف من عبد القيس وعشرة آلاف من الأزد ومن أهل الكوفة سبعة آلاف. (تاريخ الطبرى ٦ / ٥١٢).

وضمت خراسان أيضا قوات عربية من أهل الشام ساهمت فى أحداثها وكانت موضع اعتماد القواد والولاة الأمويين ويبدو أن أهل الشام كانوا يشكلون فى خراسان وحدة قائمة بذاتها إلا أنهم ينقسمون إلى أقسام كالتى فى الشام منهم من أهل فلسطين وحمص وقنسرين ودمشق. (تاريخ الطبرى ٧ / ١٢٢).

وبعد فتح بلاد ما وراء النهر اتخذ العرب مدينة سمرقند قاعدة مهمة للحركات العسكرية منذ عهد قتيبة بن مسلم. وكانت عناصر القوات العربية فى نواحى سمرقند تضم أعدادا من قبائل طى وبنى نهشل وغطفان وبنى شيبان.

واستوطن المقاتلة العرب مدينة بلخ التى فتحت فى ولاية عبد الله بن عامر، وبقيت قاعدة ثابتة للقوات العربية التى كانت تقوم بفتح أقاليم ما وراء النهر، وقد سكن العرب فى بداية فتحهم لبلخ فى منطقة البروقان وهى تبعد فرسخين عن بلخ التى كانت فى ذلك الوقت خرابا إلى أن نقل أسد بن عبد الله القسرى فى سنة ١٠٧ هـ كان من المقاتلة العرب إلى بلخ وبنى لهم مساكن على قدر مساكنهم ومن لم يكن له مسكنا أقطعه مسكنا ولم يتبع فى إسكانهم نظام الأخماس المتبع فى البصرة، فقد خلط بين أفراد القبائل فى السكن خوفا من تعصبهم.

وفى ولاية أسد بن عبد الله القسرى الثانية على خراسان سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦م وكان فى بلخ ألفان وخمسمائة من مقاتلة أهل الشام إلى جانب المقاتلة الآخرين من قبائل العراق. وخرسان وكان هؤلاء الشاميون موضع اعتماد الوالى لموقفهم المؤيد للأمويين.

وفى بلاد أرمينية اتخذ القائد الأموى مسلمة بن عبد الملك مدينة باب الأبواب قاعدة عسكرية فقام بترميمها وأعاد بناء صهريج الماء وأنشأ فيها مخازن للطعام والشعير وخزانة للسلاح وأسكن فيها قوة كبيرة تقدر بأربعة وعشرين ألفا من مقاتلة أهل الشام. وتبعا لنظام الأجناد السائد فى بلاد الشام فقد أمر مسلمة بمدينة الباب فقسمت أربعة أرباع جعل ربعا لأهل دمشق وربعا لأهل حمص وربعا لأهل فلسطين وربعا لسائر أهل الشام والجزيرة (تنظيمات الجيش العربى الإسلامى/ ٣١-٣٣).

ويعدد الشيخ أبو حاتم محمد بن حبان البستى الصحابة والتابعين وأتباع التابعين الذين استوطنوا خراسان، بادئا بنبذة عن خراسان يقول فيها:

أما خراسان فهو اسم يقع على بلدان العجم جملة وإن كان كل ناحية منها لها اسم منفصل تعرف به لأن كل بلد الغالب على أهله الرطانة فهو داخل فى جملة خراسان كما أن كل بلد الغالب على أهله العربية فهو داخل فى جملة بلدان العرب، فكما لا يخرج تباين اللغات بين القبائل وبلدان العرب بعضها عن الاسم الواقع عليها كذلك لا يخرج سائر اللغات فى الفارسية من أهل البلدان التى يسكنها العجم عن الاسم المشتمل عليها وإن كانت خراسان ما بين الجبال إلى النهر فى الحقيقة كما أن حقيقة ديار العرب وسط الإقليم الأول والثانى.

ثم يحصى الإمام ابن حبان أسماء الصحابة الذين سكنوا خراسان وماتوا بها بعد أن استوطنوها مما ننقل لك بعضه فيما يلى، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية لتراجمهم التى وردت فى النص:

١ - الصحابة .

٤١٤ - بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمى، من المهاجرين الأولين ممن هاجر إلى النبى ﷺ قبل قدومه المدينة ولحق به، فلما أراد النبى ﷺ دخول المدينة قال بريدة: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء؛ ثم حمل عمامته وشدها فى رمح ومشى بين يدى النبى ﷺ يوم قدومه المدينة، كنيته أبو سهل وقد قيل أبو ساسان، انتقل إلى البصرة وأقام بها زمانا، ثم خرج إلى سجستان فبقى بها مدة، ثم خرج منها إلى مرو فاستوطنها فى إمارة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان إلى أن مات، وبها عقبه وقبره بمرو مشهور يعرف.

٤١٥ - الحكم بن عمرو بن مجدَّع الغفارى، له صحبة، خرج إلى خراسان غازيا، وله قصة طويلة ليس غرض الكتاب يحتملها حتى أمر معاوية بقيده فقيد بمرو فبقى فى قيده حتى مات سنة خمسين فى ولاية معاوية، وأوصى أن يدفن بقيده ليخاصم أبا عبد الرحمن فى القيامة فدفن بقيده بمرو وقبره بجنب بريدة الأسلمى.

٤١٦ - قريط بن أبى رمثة، كان ممن هاجر مع أبيه إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ لأبى رمثة: ابنك هذا؟ قال: نعم، قال: أما إنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه، ثم خرج أبو رمثة بابنه قريط إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمى فى حياة رسول الله ﷺ فأقام بها إلى أن خرج غازيا فى أيام عمر، وقريط هو الذى فتح الأبلة، ثم غزا خراسان مع الأحنف بن قيس ونزل مرو واستوطنها إلى أن مات وبها عقبة.

٤١٧ - قثم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، له صحبة، خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان فى ولاية معاوية بن أبى سفيان غازيا إلى خراسان، وقد ذكرناه فى صحابة أهل المدينة.

٤١٨ - قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى أبو القاسم، خدم النبى ﷺ عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قبضه الله إلى جنته، وكان على مقدمة على بن أبى طالب يوم صفين، فلما ولى معاوية أغضى عنه سنين ثم طلبه سنة ثمان وخمسين فهرب منه وسكن تفليس منجحرا غير أن ينتشر فلما علم انجحاره سكت عنه فلم يزل فى بيته منجحرًا إلى أن مات بها سنة خمس وثمانين فى ولاية عبد الملك بن مروان ...

٢ - التابعون :

من مشاهير التابعين الذين ذكرهم ابن حبان :

٩٨٣ - عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى، كان مولده لثلاث سنين مضين من خلافة عمر بن الخطاب، كان هو وسليمان توأمين، ولى يزيد بن المهلب عبد الله القضاء بمرو، ومات بها سنة خمس عشرة ومائة وقبره بجاورسة قرية من قرى مرو.

٩٨٤ - الربيع بن زياد، كان عامل معاوية بن أبى سفيان على خراسان، سمع أُبى بن كعب وغيره من الصحابة.

٩٨٥ - علباء بن أحمر اليشكرى، ممن صحب أبا زيد الأنصارى واسمه عمرو بن أخطب وهو جده، سكن مرو وبها مات.

٩٨٦ - سليمان بن بريدة الأسلمى، مات بمرو سنة خمس ومائة وقبره بغير قرية من قرى مرو.

٩٨٧ - الربيع بن أنس بن زياد البكرى، سكن مرو، سمع أنس بن مالك وكان راوية لأبى العالية، وكل ما فى أخباره من المناكير إنما هى من جهة أبى جعفر الرازى.

٩٨٨ - همام بن خناس العبدى، وقد قيل العدوى، من أهل البصرة، سكن مرو، كان ممن صحب عبد الله بن عمر ابن الخطاب وسمع منه.

٩٨٩ - عطاء بن السائب الكنانى الليثى، من أهل المدينة، مسح على بن أبى طالب رأسه وقال: بارك الله عليك وعلى ذريتك من بعدك، سكن مرو وولد له بها ابن فسماه محمدا ولمحمد ابن يقال له السائب وللسائب ابن يقال له عطاء عدادهم كلهم فى أهل مرو.

٩٩٠ - يحيى بن يعمر، من بنى عوف بن بكر، كنيته أبو سليمان وقد قيل أبو سعيد، من أهل البصرة، سكن مرو ولاه قتيبة بن مسلم القضاء بها، وكان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علما باللغة مع الفضل والورع.

٩٩١ - يحيى بن عقيل الحذاء، من أهل البصرة، سكن

مرو، سمع ابن أبي أوفى يقول: كان رسـول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشى معه المسكين والأرملة فيقضى له حاجته، وأكثر رواية يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر وأقرانه.

٩٩٢ ـ الزبير بن عدى الهمدانى أبو عدى، مولده بالكوفة، سكن الرى. سمع أنس بن مالك وكان من العباد والمتقنين من الزهاد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكل ما فى أخباره من المناكير فهى من جهة بشر بن الحسين الأصبهانى.

٣ ـ أتباع التابعين:

أما مشاهير أتباع التابعين بخراسان الذين سكنوها من الثقات والأثبات فى الروايات فهم كما أحصاهم الشيخ الإمام أبو حاتم:

١٥٦٢ ـ الضحاك بن مزاحم الهلالى أبو القاسم، وقد قيل أبو محمد، مولده ببلخ، وكان يقيم بمرو مدة وببلخ زمانا وربما أقام ببخارا وبسمرقند حينا، وهم إخوة ثلاثة مسلم ومحمد والضحاك، فأما الضحاك فإن أمه كانت حاملا به سنتين وولد وله بسنان اثنتان، وكان ممن عنى بعلم القرآن عناية شديدة مع لزوم الورع، وكان معلم كتاب يعلم الصبيان فلا يأخذ منهم شيئا إنما يحتسب فى تعليمهم، مات سنة خمس ومائة، لم يسمع من ابن عباس ولا من أحد من الصحابة شيئا، ورواية أبى إسحاق السبيعى عن الضحاك قال قلت لابن عباس وَهْمٌ وهم فيه شريك كيف يقول لابن عباس ولم يره، وإنما لقى سعيد بن جبير بالرى فأخذ عنه التفسير.

١٥٦٣ ـ أصبغ بن علقمة بن على بن علقمة بن شريك الحنظلى اليربوعى أبو المقدام، من أهل مرو، من خيار مشايخهم، ممن جالس سعيد بن المسيب وعكرمة.

١٥٦٤ ـ عبد الله بن المبارك، مولى بنى حنظلة، من أهل مرو، أبو عبد الرحمن، كان مولده سنة ثمانى عشرة ومائة، وكان أحد الأئمة فقها وورعا وعلما وفضلا وشجاعة ونجدة، ممن رحل وجمع وصنف وحدث وحفظ وذاكر ولزم الورع الخفى والصلابة فى الدين والعبادة الدائمة مع حسن العشرة واستعمال الأدب إلى أن مات منصرفا من طرسوس فى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة وقبره بهيت مدينة على الفرات مشهور يزار.

١٥٦٥ ـ إبراهيم بن ميمون الصائغ أبو إسحاق، من أهل مرو، من الآمرين بالمعروف والمواظبين على الورع الموصوف مع الفقه فى الدين والعبادة الدائمة، قتله أبو مسلم سنة إحدى وثلاثين ومائة.

١٥٦٦ ـ مقاتل بن حيان النبطى أبو بسطام، مولى لبكر بن وائل، لا يصح له عن صحابى لقى إنما تلك أخبار مدلَّسة، كان يسكن مرو مدة وبلخ زمانا وله بمرو خطة، وكان ممن عنى بعلم القرآن وواظب على الورع فى السر والإعلان، وهم إخوة أربعة مقاتل والحسن ويزيد ومصعب بنو حيان، ومات مقاتل بكابل، كان قد هرب من أبى مسلم إليها.

١٥٦٧ ـ يعقوب بن القعقاع بن الأعلم الأزدى أبو الحسن، من أهل البصرة، قدم مرو فولاه أبو مسلم القضاء بها فاستوطنها.

١٥٦٨ ـ عبد الله بن كيسان أبو مجاهد، من أهل مرو، من أصحاب عكرمة، بها مات.

١٥٦٩ ـ بشير الكوسج أبو نصر. من أهل مرو، لا يصح لقيه ابن عمر وقد رأى عكرمة والحسن وجماعة من التابعين.

١٥٧٠ ـ جبلة بن أبى رواد العتكى، مولى عتيك، أخو عبد العزيز بن أبى رواد، كنيته أبو مروان، من أهل مرو، قتله أبو مسلم بنيسابور سنة إحدى وثلاثين ومائة.

١٥٧١ ـ حسين بن واقد، مولى عبد الله بن عامر بن كريز القرشى، كنيته أبو على. كان على قضاء مرو، وكان إذا قام من مجلس الحكم اشترى اللحم لعياله وعلّقه من إصبعه وحمله إلى أهله، مات بمرو سنة تسع وخمسين ومائة.

١٥٧٢ ـ سليمان بن عامر بن عامر بن عمير الكندى البرزى، من أهل مرو، وهو الذى قال: سمعت الربيع بن أنس يقول من استطاع منكم أن يكون له فى مدينة مرو دار فيها بئر طحانة فليفعل.

١٥٧٣ ـ عبد المؤمن بن خالد الحنفى أبو خالد. من

أهل مرو، ومن أصحاب عبد الله بن بريدة. كان متقنا ثبتا.

١٥٧٤ ـ أبو المنازل عثمان بن عبيد الله، كان على قضاء خراسان، سكن مرو، وروى عنه جلة أهل الكوفة مثل الشيباني والحجاج بن أرطاة وذويهما.

١٥٧٥ ـ عثمان بن جبلة بن أبي رواد، والد عبد العزيز بن عثمان. من خيار أهل مرو.

١٥٧٦ ـ أبو عثمان الأنصاري عمر بن سالم، أصله من المدينة، انتقل إلى خراسان وسكن مرو وكان على القضاء بها، من أصحاب القاسم بن محمد، روى عنه المراوزة وأهل العراق.

١٥٧٧ ـ عَزْرة بن ثابت بن أبي زيد الأنصاري، من أهل مرو، وهم أخوة ثلاثة عزرة وعلى ومحمد. أما عزرة وعلى فمتيقنان ومأمونان، وأما محمد فقد تبرأنا من عهدته في «كتاب المجروحين».

١٥٧٨ ـ محمد بن زيد العبدي. من أهل البصرة، سكن مرو وكان على القضاء بها، من أصحاب سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وروى عنه المصريون والمراوزة.

١٥٧٩ ـ محمد بن يسار، الذي يقال له الخراساني، أصله من البصرة. سكن مرو، كانت كنيته أبو العيوق (؟) ثم يكنى بعبد الله. وهم إخوة ثلاثة محمد، وسلمة، وعبد الله.

١٥٨٠ ـ الفضل بن عطية المروزي، مولى بني عبس، ممن صحب عطاء وسالم بن عبد الله وذويهما، وهو والد محمد بن الفضل.

١٥٨٣ ـ أبو حمزة السكري محمد بن ميمون، من أهل مرو، من جلة المحدثين بها، مات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة.

١٥٨٢ ـ أبو غانم يونس بن نافع، من أهل مرو، مات سنة تسع وخمسين ومائة، وكان يهم في الأحايين.

١٥٨٣ ـ صخر بن عبد الله بن بريدة الأسلمي، صحب أبا جعفر محمد بن علي وعكرمة، عداده في أهل مرو وروى عنه أهلها.

١٥٨٤ ـ عبد الكبير بن دينار الصائغ، من أهل مرو. أبو عبد الرحيم، من أصحاب أبي إسحاق السبيعي، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

١٥٨٥ ـ النضر بن محمد المروزي، من جلة أهل مرو، ممن كان يتفقه على مذهب الكوفيين، مات بمرو يوم النحر سنة ثلاث وثمانين ومائة.

١٥٨٦ ـ الفضل بن موسى السيناني، مولى بني قطيعة، كنيته أبو عبد الله، من جلة أهل مرو ومتقني المحدثين بها، كان مولده سنة خمس عشرة ومائة، ومات سنة إحدى أو اثنتين وتسعين ومائة.

١٥٨٧ ـ خُلَيْد بن حسان الهجري العصري، من أهل البصرة، من أصحاب الحسن، كنيته أبو حسان، سكن بخارا وبها حدث.

١٥٨٨ ـ كثير بن زياد السلمي البرساني الأزدي أبو سهل، من أهل البصرة، من أصحاب الحسن، دخل خراسان فكان يقيم ببلخ مدة وبسمرقند زمانا وربما حدث ببخارا، ومات بما وراء النهر.

١٨٥٩ ـ منصور بن النعمان اليشكري الربعي أبو حفص، من أهل البصرة، سكن مرو مدة ثم تحول إلى بخارا وسكنها، ممن صحب أبا مجلز وعكرمة وذويهما من التابعين.

١٥٩٠ ـ خالد بن زياد بن جزء، سكن ترمذ وكان على القضاء بها، يروي عن نافع وقتادة أحاديث مستقيمة، ومات بترمذ وهو ابن مائة سنة وسنة ثم ولي ابنه عبد العزيز بن خالد قضاء ترمذ بعده.

١٥٩١ ـ النضر بن زرارة الذهلي أبو الحسن، من أهل الكوفة، سكن بلخ، هو ابن أخت سماك بن الوليد الحنفي، ممن صحب إسماعيل بن أبي خالد وذويه مستقيم الأمر في الحديث.

١٥٩٢ ـ الوسيم بن جميل بن طريف الثقفي، مولى حجاج بن يوسف، عم قتيبة بن سعيد، كنيته أبو محمد، من ساكني بلخ، مات سنة ستة وثمانين ومائة، وكان متعبدا فاضلا، وكان ابن المبارك يتمنى لقيه لما يذكر من فضله.

١٥٩٣ ـ خالد بن أبي نوف، من أهل سجستان، دخل خراسان وأقام بها مدة، فكتب عنه أهلها وأهل العراق معا عن خالد بن أبي نوف عن عطاء بن أبي رباح قال: أدركت مائتين

من أصحاب رسول الله ﷺ فى هذا المسجد يعنى مسجد الحرام إذا قال الإمام ولا الضالين رفعوا أصواتهم بآمين .

ـ ١٥٩٤ أبو حريز عبد الله بن الحسين ، من أهل البصرة ، ولى القضاء بسجستان . وبها مات ، كتب عنه البصريون الفضيل بن سليمان وأقرانه وأهل زرنج .

ـ ١٥٩٥ عيسى بن يزيد الأزرق أبو معاذ ، من أهل مرو ، ولى القضاء بسرخس وكان من العُبَّاد ، وبها مات ، وكان ابن المبارك يزور قبره إذا دخل سرخس .

ـ ١٥٩٦ عمرو بن مصعب ، أخو خارجة بن مصعب ، أول مولود بسرخس فى الإسلام ، من الثقات المأمونين ، وأخوه خارجة فيه نظر ، وكان أبوهما مصعب من أصحاب على بن أبى طالب .

ـ ١٥٩٧ جوَّاب بن عبيد الله التيمى الأعور ، من أهل الكوفة ، سكن جرجان روى عنه أهلها والشيبانى ومسعر وذووهما من أهل العراق .

ـ ١٥٩٨ كرز بن وبر الحارثى ، من أهل الكوفة ، سكن جرجان ، من المتجزدين للعبادة والمتقشفين فى الزهادة .

ـ ١٥٩٩ أبو طيبة عيسى بن سليمان بن دينار الدارمى ، من أهل جرجان ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وكان يهم فى الأحايين .

ـ ١٦٠٠ عمرو بن أبى قيس الرازى ، من جلة أهل الرى ومتقنيهم .

ـ ١٦٠١ عنبسة بن الأزهر الشيبانى أبو يحيى ، من أهل جرجان ، وكان قاضيا عليهم ، يهم كثيرا .

ـ ١٦٠٢ إبراهيم بن طهمان أبو عمرو ، من أهل نيسابور ، وكان أبوه ... (مشاهير علماء الأمصار / ٥٩ ـ ٦١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٩٤ ـ ١٩٩) .

(المنجد/ ١٧٤ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ـ بتحقيق محمد سعيد العريان ٧/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤ ، وتنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى ـ د . خالد جاسم الجنابى/ ٣١ ـ ٣٣ ، ومشاهير علماء الأمصار للشيخ الإمام أبى حاتم محمد بن حبان البستى/ ٥٩ ـ ٦١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٩٤ ـ ١٩٩ . انظر أيضا دراسات فى تاريخ خراسان فى العصر الأموى ـ د . راضى عبد الله عبد الحليم ، الأندلس للإعلام والنشر . مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٨٧ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ـ حققه وشرحه وعلق حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع)

ملاحظة : الخرائط المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب دراسات فى تاريخ خراسان المبين فى ثبت المراجع . أما صورة المشهد فقد أخذت من كتاب «القباب فى العمارة الإسلامية» للدكتور صالح لمعى مصطفى .

* الخراسانى:

قال السمعانى :

الخراسانى : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء والسين المهملتين وفى آخرها النون ، هذه النسبة إلى خراسان وهى بلاد كبيرة ، فأهل العراق يظنون أن من الرى إلى مطلع الشمس خراسان ، وبعضهم يقولون : إذا جاوزت حد سواد العراق وهو جبل حلوان فهو أول حد خراسان إلى مطلع الشمس ؛ وهو اسم مركب بالعجمية ومعناه بالعربية موضع طلوع الشمس لأن خور بالعجمية الدارية اسم الشمس وأسان موضع الشىء ومكانه ؛ وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى يقول إن خراسان أصل هذه الكلمة خورآسان ـ يعنى كل بالرفاهية ، والصحيح هو الأول ، والعلماء فى كل فن منها بحيث لا يدخل تحت الحصر ، وقد صنف التواريخ فى ذلك غير أن جماعة عرفوا بالانتساب إليها ، فمنهم أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراسانى مولى للأزد ، أصله من بلخ ، وانتقل إلى البصرة ، وبها مات بعد قدوم الهاشمية ، وكان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم ؛ وكان مُشَبِّهًا يُشَبِّه الرب بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث ؛ وكان أبو يوسف القاضى يقول قال أبو حنيفة رحمه الله : يا أبا يوسف ! احذر صنفين من خراسان : الجهمية والمقاتلية .

وأبو أيوب ـ وقيل أبو مسعود ـ عطاء بن أبى مسلم الخراسانى ، واسم أبيه عبد الله ، وقيل ميسرة ؛ يروى عن

سعيد بن المسيب والزهرى، روى عنه مالك ومعمر، أصله من بلخ، مولى المهلب بن أبى صفرة، عداده فى البصريين، وإنما قيل له الخراسانى لأنه دخل خراسان فأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى العراق فنسب إلى خراسان لطول مكثه بها، وكان مولده سنة خمسين، ومات سنة خمس وثلاثين ومائة بأريحا فحمل ودفن ببيت المقدس، وكان من خيار عباد الله غير أنه كان ردىء الحفظ كثير الوهم يخطىء ولا يعلم فحمل عنه فلما كثر ذلك فى روايته بطل الاحتجاج به.

وأصرم بن حوشب الهمدانى، الخراسانى، يروى عن زياد ابن سعد وغيره، روى عنه الحسن بن أبى الربيع، كان يضع الحديث على الثقات، والدارمى يقول قلت ليحى بن معين وأصرم بن حوشب: تعرفه؟ فقال: كذاب خبيث.

وأبو أيوب سليمان بن بشار الخراسانى، شيخ كان يدور بالشام ومصر، يروى عن الثقات مثل ابن عيينة وغيره ما لم يحدثوا به، ويضع على الأثبات ما لا يحصى كثرة، ليس يعرفه كل إنسان من أصحاب الحديث لا يحل الاحتجاج به بحال، روى عنه أبو عبد الله النقال بالرملة.

والشاه بن شيرباميان الخراسانى، قال أبو حاتم بن حبان: حدث ببغداد، يروى عن قتيبة بن سعيد يضع الحديث، لا يحل ذكره فى الكتب، وإنما ذكرته وإن لم يشتهر عند أصحابنا ذكره ليعرف فيجانب حديثه؛ روى عنه أبو حاتم محمد بن حبان البستى.

وأبو شيخ عبد الله بن مروان الخراسانى يروى عن ابن أبى ذئب، روى عنه سليمان بن عبد الرحمن، يلزق المتون الصحاح التى لا تعرف لها إلا طريق واحد بطريق آخر يشتبه على من الحديث صناعته، لا يحل الاحتجاج به.

وأبو عبد الله نهشل بن سعيد بن وردان الخراسانى من أهل نيسابور، كان أصله من البصرة، يروى عن داود بن أبى هند والضحاك بن مزاحم، روى عنه محمد بن معاوية النيسابورى كان ممن يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة العجب، كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يرميه بالكذب.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٩٩، ٥٠٠).

* **الخراشى (١٠١٠ - ١١٠١ هـ):**

أول شيوخ الأزهر الشريف الإمام الأكبر محمد بن عبد الله الخراشى ولد ببلدة (أبو خراش) من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة سنة ١٠١٠ هـ تلقى تعليمه على يد نخبة من العلماء ودرس علوم الدين واللغة والمنطق وكانوا يهتمون فى الأزهر بدراسة (علوم التفسير والحديث والفقة واللغة والفلسفة والمنطق) واستوعب معارف عصره وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره ومن تلاميذه (الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى) وقد تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك وكان بمثابة معيد للشيخ الخراشى يلخص ما قاله الشيخ ويوضح ما غمض (كما هو دور المعيد بالنسبة للأستاذ فى الجامعة الآن).

وكان جم الحياء متواضعا يذهب إلى السوق ويشترى حاجياته ويحملها بنفسه وتمسك بالسنة وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالجامع الأزهر ووفد عليه الطلاب من كل قطر وذاعت شهرته ووصفه الجبرتى بأنه «الإمام العلامة والحبر الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين وارث علم سيد المرسلين) وكانت النذور تأتيه من كل الجهات فلا يحتفظ بشىء بل يتركها لمعارفه يتصرفون فيها وكانت له كرامات اشتهرت فى عصره وظل فى كفاحه العلمى حتى جاوز التسعين ولحق بربه فى ٢٧ من ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ.

مؤلفاته

كان رحمه الله واسع الثقافة وخاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الإمام مالك ... ويمكن إجمال مصنفاته فيما يلى:

١ - رسالة فى البسملة فى نحو أربعين كراسا.

٢ - الشرح الكبير لمختصر خليل فى ثمانية مجلدات.

٣ - منتهى الرغبة فى حل ألفاظ النخبة (وهو شرح لكتاب نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى).

٤ - الفرائد السنية فى حل ألفاظ السنوسية.

٥ ــ الأنوار القدسية في الفوائد الخراشية (وهو شرح للعقيدة السنوسية).

٦ ــ حاشية على شرح الشيخ على إيساغوجى فى (المنطق) وهو كتاب شهير.

٧ ــ إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ على الشبراملسى (ليستحق بها ما يشبه العالمية).

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر/ ١٤).

*** الخراط:**

قال السمعانى:

الخراط: بفتح الخاء وتشديد الراء وفى آخرها الطاء المهملة، هو الذى يخرط الخشب ويعمل منه الأشياء المخروطة، والمشهور بالنسبة إليه أبو صخر حميد بن زياد الخراط، وهو حميد بن أبى المخارق القتبى، من أهل المدينة، مولى بنى هاشم، يروى عن نافع ومحمد بن كعب وابن قسيط وعمار الذهنى؛ وروى عنه المفضل بن فضالة وحاتم بن إسماعيل وابن لهيعة وصفوان بن عيسى وحيوة بن شريح وابن وهب، وقال أحمد بن حنبل: أبو صخر ليس به بأس؛ وقال يحيى بن معين: هو ضعيف.

وأبو يوسف يعقوب بن معبد بن صالح بن عبد الله الخراط، ولد ببمجكث ونشأ بالبصرة، وروى عن أبى نعيم ومكى بن إبراهيم ومسدد بن مسرهد وابن أخى جويرية وحجاج بن منهال ومطرف بن عبد الله وعبيد الله بن موسى وقبيصة وغيرهم، وكان ثقة، روى عنه أبو عبد الله محمد بن حمدان وأبو حفص أحمد بن حاتم بن حماد، وتوفى سنة إحدى وستين ومائتين.

وأبو على الحسن بن علان الخراط، من أهل بغداد، أملى فى الكرخ حديثا منكرا من حفظه عن محمد بن عبد الملك الدقيقى ولا يدرى الحمل فيه عليه أو الراوى عنه أبو القاسم ابن الثلاج؟.

ومن المتأخرين الإمام أبو الحسن على بن عثمان الخراط من أهل سمرقند، كان إماما فاضلا ورعا يأكل من كد يده وكسبه وكان يعمل الخشبة التى تصلح للحلاجين التى يقال لها مشته، وكان لا يعمل أحد من الخراطين هذه الخشبة بسمرقند إلا هذا الإمام، وكان إذا طلب من الخراطين أن يعملوها امتنعوا وقالوا: الإمام يعملها ــ كرامة له. سمع الحديث من أبى الحسن على بن أحمد بن الربيع السنكباثى وغيره، وأملى، وحضر الأئمة مجالس إملائه، وكتبت عن قريب من عشرين نفسا من أصحابه بسمرقند ...

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩. انظر أيضا اللباب ١/ ٥٠٠).

*** ابن الخراط (٥١٠ـ٥٨٢ هـ):**

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى: وفى هذه السنة (يعنى سنة ٥٨٢) توفى الشيخ الفقيه الخطيب القاضى المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدى الأشبيلى المشهور بابن الخراط ببجاية، وله الأحكام فى الحديث، والعاقبة فى الوعظ والتذكير، وغير ذلك ا. هـ.

وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدى الأشبيلى، المعروف بابن الخراط. من كبار علماء الأندلس. كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله، موصوفا بالخير والصلاح، والزهد والورع، والتقلل من الدنيا، مشاركا فى الأدب وقول الشعر. ولد سنة ٥١٠ هـ وروى عن شريح بن محمد وأبى الحكم بن برجان وغيرهما، وأجاز له ابن عساكر. رحل إلى بجاية بعد سنة ٥٥٠ فبث بها علمه وصنف التصانيف، وولى الخطبة والصلاة بها. توفى بعد محنة نالته من قبل الولاية، وكانت وفاته فى أواخر ربيع الثانى سنة ٥٨٢ هـ. قال الغبرينى: «وكان تاريخ وفاته مكتوبا فى رخامة عند قبره». له «الأحكام الشرعية الكبرى» ٦ مجلدات و «الأحكام الصغرى» و «الأحكام الوسطى» و «الجامع الكبير» نحو عشرين مجلدا، و «الزهد» و «العاقبة وذكر الموت» و «الواعى» وهو نحو ٢٥ سفرا و «الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك (كتاب الوفيات/ ٢٩٣، ٢٩٤).

وجاء فى هامش ١ فى تهذيب الأسماء واللغات فى ترجمة ابن الخراط فائدة ننقلها فيما يلى: له تصانيف كثيرة غير ما ذكر فى الحديث والغريب والعلل والأنساب والنظم الحسن

فى الزهد وغيره منها كتابه الأوسط فى الأحكام المنتقى من حديث النبى ﷺ، وهو الملقب أيضا بأحكام الأحاديث الكبرى، مجلدات، ومختصره الأحكام الصغرى فى الصحيح، والكتاب الجامع الكبير فى نحو عشرين مجلدا جمع فيه ما وقع إليه من حديث النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا الواهى والمتروك، وكتاب جمع فيه ما وقع إليه من الأحاديث المعتلة وبين عللها فى نحو ست مجلدات، وكتاب المستصفى من حديث المصطفى ﷺ، وكتاب التهجد وقيام الليل، وكتاب التوبة، وكتاب العاقبة وذكر الموت، وكتاب تلقين الوليد، وكتاب فى الرقائق أدخلها فى تأليفه، وكتاب اختصر فيه كتاب اقتباس الأنوار فى معرفة أنساب الصحابة ورواة الآثار تأليف محمد الرشتاكى، وكتاب شرح فيه ما ورد فى القرآن والحديث من غريب اللغة ضاهى به كتاب غريبى القرآن والحديث لأبى عبيدة الهروى وهو كتاب كبير. ا . هـ والله أعلم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٩٢).

له ترجمة فى فوات الوفيات ١ / ٥١٨ وفيه وفاته سنة ٥٨١ هـ، ومثله فى شذرات الذهب ٤ / ٢٧١، وعنوان الدراية بتحقيق عادل نويهض/ ٤١ ـ ٤٤، وعصر المرابطين والموحدين ٢ / ١٥٠ والتكملة/ ٦٤٧ (كتاب الوفيات/ ٢٩٤).

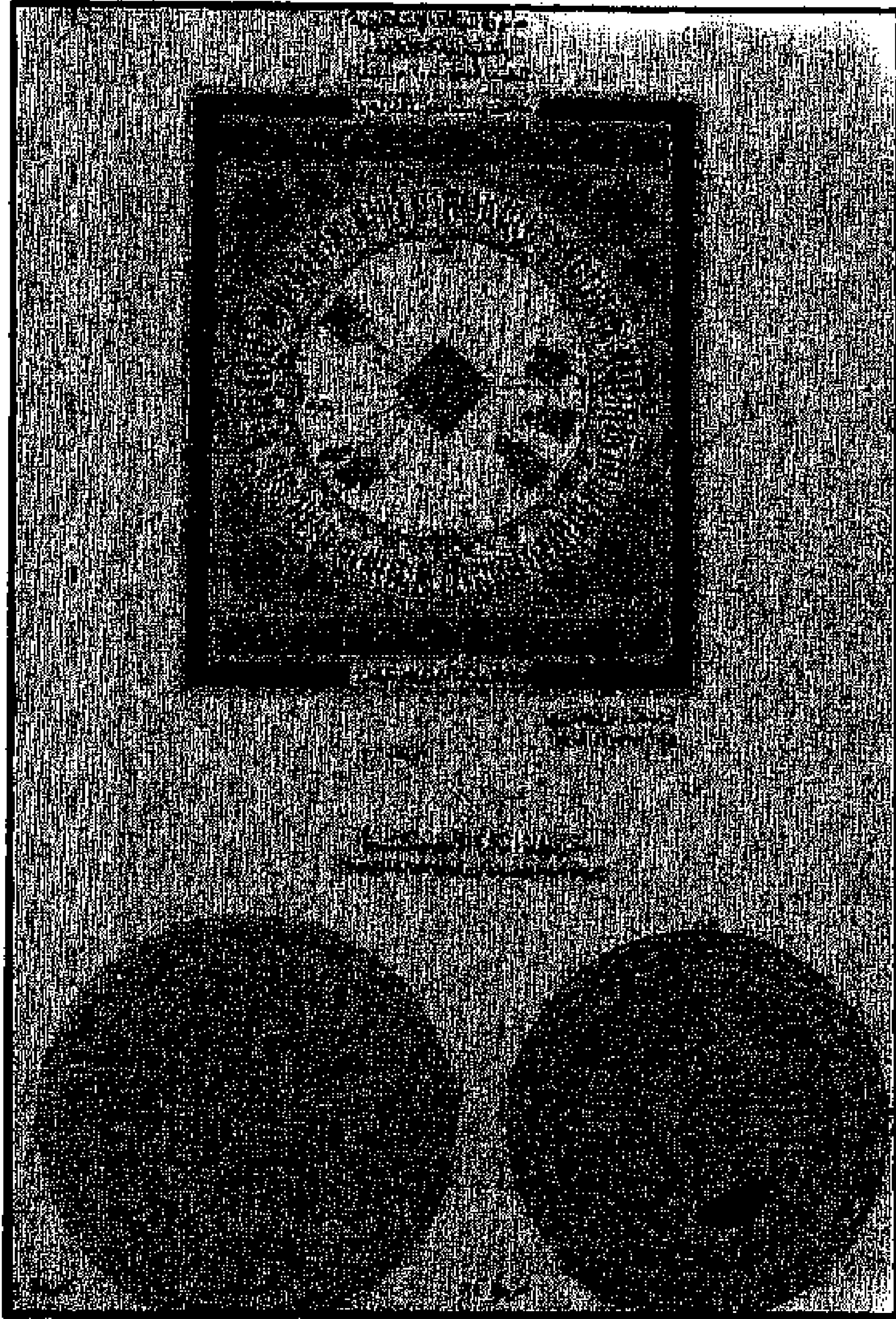
(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض/ ٢٩٣، ٢٩٤ وهامش٣ للمحقق، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ٢٩٢ وهامش ١) انظر مادة «تجريد كتب الأحاديث» فى م٨/ ٥١٧).

***الخرائط:**

جاء اهتمام العرب قبل الإسلام بالجغرافيا نتيجة ترحالهم وتنقلهم لكنه كان مقتصرا على معرفة الطرق والمعالم. ومع اتساع رقعة العالم الإسلامى بعد الفتوحات ازداد هذا الاهتمام فقام الخوارزمى (٣ هـ/ ٩م) بتأليف كتاب عن صورة الأرض استخرجه من كتاب بطليموس وضمنه عددا من الخرائط. وتركز اتجاه المؤلفين فى هذا الحقل على الجغرافية الوصفية والإنسانية. غير أن مؤلف الإدريسى (ق هـ/ ١٢ م) كان من أشهرها، لاتسامه بالشمولية ولدقة خرائطه التى بلغت درجة عالية من الصحة. ومن المؤلفات التى تناولت الملاحة واتصفت بالاختصاص وبالبراعة العملية مؤلف أحمد بن ماجد السعدى النجدى (٩ هـ/ ١٥م) الذى تناول وصف شواطىء ومراسى وجزر بحر العرب والمحيط الهندى. وكذلك مؤلفات أمير البحر العثمانى بيرى رئيس بن حاجى جقر (القرن ١٠ هـ/ القرن ١٦ م) خاصة مؤلفه الذى تضمن خرائط ووصفا وشرحا لموانىء سواحل البحر الأبيض المتوسط.. (كما هو مبين فى الصورة) (العلوم عند المسلمين/ ٣٨) سيأتى الكلام على «بيرى ريس» فيما بعد إن شاء الله تعالى:

وترك الجغرافيون والفلكيون العرب مجموعة كبيرة من الخرائط تربو على ثلثمائة وأربعين خارطة، تصور العالم الإسلامى والمسيحى وبلاد الزنج والهنود والصينيين.

وواصل العرب النهوض بفن رسم الخرائط، فكانت الخريطة فى المدارس العربية وسيلة معروفة من وسائل الإيضاح فى دروس الجغرافية.



وأحسن نموذج من الخرائط التى وضعها الجغرافيون العرب خارطة الشريف الإدريسى ففى هذه الخارطة تقسيم لخط نصف النهار وخط الاستواء وضبط درجات أطوال البلدان وعروضها، وقد صنع كرة من الفضة ضخمة الحجم، تمثل الأرض بما عليها، وهو ما نعرفه اليوم بالخارطة المجسمة وقد رسم فيها جميع أقاليم وأقطار المعمورة المعروفة فى ذلك الزمن رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء، وقال إنها تضمنت صور الأقاليم لبلادها وأقطارها وسيفها وريفها وخلجانها ومجارى مياهها ومواقع أنهارها وعامرها وغامرها والطرقات والأميال والمسافات والمشاهد، ثم وضع الكتاب المفصل فى وصف كرته الفضية هذه رتبه على الأقاليم السبعة وأورد فيه أوصاف البلاد والممالك ومسافاتها وسماه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق. وجعل الإدريسى لكتابه ٦٩ رسما نقلها عن كرته المذكورة فوسعها وأضاف إليها أسماء جديدة لكثير من المدن والمواضع الأخرى. وظلت خرائط الإدريسى مقبولة ومعتمدا عليها عدة قرون.

وظل البحارة الأوربيون والجغرافيون يتناولونها حتى القرن السادس عشر الميلادى، وقد امتازت خرائط الإدريسى على



خريطة موانئ البحر الأبيض المتوسط من صنع «بيري ريس»

غيرها من خرائط الجغرافيين العرب، فقد كانت أغزر مادة فيما يتصل بوصف البلاد الأوربية.

وكان الإدريسى رسام خرائط ممتاز، فقد ابتكر طريقة لمساقط خرائط السماء والأرض وقبة سماوية وكرة أرضية من الفضة بين عليها أقاليمه المناخية السبعة وكذلك صنع خريطة للعالم على شكل طبق من الفضة وقد أتم ذلك كله فى بلاط روجر ملك صقلية (التاريخ والجغرافية / ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧).

وخريطة الإدريسى تبين لنا تطور العلوم الإسلامية عن عصر المسعودى.. فالخريطة فقد رسمت على أساس أن الأرض كروية.. وجاءت خطوط العرض على شكل أقواس. وظهرت جزر المحيط الهندى واتصاله بالمحيط الهادى حول إفريقيا، وظهرت جزر المحيط الهادى والأطلسى.. وهناك تفاصيل جديدة عن كل من أفريقيا وآسيا وأوروبا حتى بحر الشمال.. وكذلك تفاصيل لنهر النيل إلى مصبه والبحيرات الثلاثة (العلوم الإسلامية ٢ / ٧٥).

يقول الأستاذ الدكتور حسين مؤنس: وخرائط الإدريسى خرائط حقيقية تعطى الناظر إليها فكرة واضحة وصحيحة عن المواضع التى تصورها. ونحن نرى خرائط الإدريسى اليوم فى صورها التى رسمها النساخون الذين كتبوا نسخ «نزهة المشتاق» الموجودة بين أيدينا، والنساخ ليس رساما أو صانع خرائط، ومن ثم فإننا ينبغى ألا نتصور قط أن هذه هى خرائط الإدريسى التى رسمها بنفسه، فإذا ذكرنا ذلك تصورنا أن خرائط الإدريسى كانت أدق وأضبط لأنها من عمل جغرافى خرائطى موهوب، وهنا يزداد تقديرنا لعمل الإدريسى كله نصا وخرائط، ويزداد تقديرنا لمدرسة المسالكيين المسلمين الذين يعتبر الإدريسى القمة التى وصلت إليها أعمالهم «مكان المسلمين فى التاريخ العام لعلم الجغرافية ٢٢ / ٢٣٩)

يقول الأستاذ عمر رضا كحالة:

وذهب العرب مذهب الإغريق فى تقسيم العالم إلى خمس مناطق حرارية وهى المنطقة الحارة بين المدارين والمنطقتان المعتدلتان وتقعان بين منطقتى الحرارة والبرودة فى نصف الكرة.

كان محمد بن موسى الخوارزمي من أسبق من عرف أن أهمية الخريطة كوسيلة لتوضيح المعلومات الجغرافية، فقد أضاف مجموعة من الخرائط إلى كتابه صورة الأرض.

ووضع البلخي أول أطلس عربي ألحقه بكتابه صور الأقاليم الذي لم يصل إلينا نصه الأصلي. ويشتمل هذا الأطلس في تسلسل منتظم خرائط للعالم وللجزيرة العربية ولبحر فارس والمحيط الهندي، والمغرب ومصر والشام وبحر الروم والبحر المتوسط، ونحو اثنتي عشرة خريطة أخرى للجهات الوسطى والشرقية من العالم الإسلامي.

ولم يبق في المكتبة الجغرافية من مصورات مدرسة البلخي إلا مصور العالم في كتابي القزويني وابن الوردي، كما تظهر هذه المصورات بشكل أقل وضوحا في مصورات العالم المستديرة الواردة في كتاب الإدريسي.

ثم يقول الأستاذ عمر رضا كحالة:

ورسم المقدسي خرائط مستقلة، لكل قسم من الأقسام الأربعة عشر التي قسم إليها العالم الإسلامي، واستخدم في تلك الخرائط طرق لتمثيل الظاهرات الجغرافية المختلفة، حتى يمكن للجميع أن يفهمها فهما صحيحا، فرسم الطرق المعروفة بالحمرة والرمال الذهبية بالصفرة والبحار المالحة بالخضرة والأنهار بالزرقة والجبال المشهورة بالغبرة.

ويظهر أن المسعودي قد درس بتعمق المؤلفات الجغرافية التي كانت موجودة في عصره، ومن ثم كان في استطاعته أن يشير إلى مراجع كثيرة لم تصل إلينا، وقد دعم دراساته برحلاته الطويلة التي وصل فيها إلى بحر الصين وإلى سواحل إفريقية الشرقية.

ومع أن المسعودي من أصحاب الجغرافية الوصفية إلا أن كتاباته لم تخل من شرح وتفسير لكثير من ظاهرات الجغرافية الطبيعية، فهو يعتقد بكروية الأرض وبالغلاف الغازي المحيط بها، ويصف الرياح الموسمية في المحيط الهندي والبحر العربي، ويذكر المواقيت الصالحة للملاحة في تلك المياه معتمدة على الرياح الموسمية، ويستطرد فيذكر أن البحارة المسلمين في استطاعتهم بعلامات خاصة اكتسبوها بالمران أن يعينوا هبوب الرياح وطبيعتها.



أول خريطة عرفها الناس عن أمريكا من صنع « بيري ريس »

وشرح المسعودي حركتي المد والجزر، وناقش موضع نشأة البحار وامتدادها وملوحتها، كما حلل دورة التعرية النهرية، ولم يغفل الإشارة إلى التبخر والتكاثف والإشعاع وغير ذلك من موضوعات الجغرافية الطبيعية (التاريخ والجغرافية / ٢٢٥_٢٢٧).

وخريطة المسعودي في كتابه صورة الأرض تبين لنا الهوة الكبيرة بين حضارة الإسلام وحضارة أوربا في نفس المرحلة «القرن العاشر الميلادي» الخريطة في مخطوطات من الورق الأصفر وهي ملونة وتشمل على معلومات عن آسيا وإفريقيا وأوروبا أدق مما جاء في خرائط هيرودوت وأكثر تفصيلا. وقد أورد مع نفس المخطوطة خرائط مفصلة لحوض البحر الأبيض ولحوض النيل ومنبعه وبحيراته. كما أن هناك تفصيلا أكثر عن شرق آسيا (العلوم الإسلامية ٢ / ٧٥).

ويلاحظ أن الجغرافيين العرب قد اعتادوا رسم الخرائط بحيث جعلوا الشمال بدل الجنوب والشرق مكان الغرب، إلا أن ذلك لا يضيع من اتجاه الحدود الحقيقي للبلاد (التاريخ والجغرافية / ٢٢٥).

وعن ذلك يقول الدكتور محمد محمود محمدين: وقد

حار الباحثون في تعليل ذلك، ويرى مؤلف هذا الكتاب (يعني نفسه) أن لوضع الجنوب في أعلى الخريطة مغزى دينيا. ذلك أن جميع العواصم الإسلامية كانت شمالي مكة (المدينة ـ الكوفة ـ دمشق ـ بغداد ـ القاهرة) ويعني ذلك أن الخليفة، كان يتجه في صلاته صوب الجنوب صوب الكعبة. لذلك كان لا بد أن يوضع الاتجاه الجنوبي في أعلى الخريطة لأن الاتجاه الجنوبي يعني الاتجاه صوب القبلة وهي أشرف بقعة يتجه إليها المسلمون. كما وأن وضع الجنوب أعلى الخريطة مخالفة لغير المسلمين (التراث الجغرافي الإسلامي/ ٢٣٤، ٢٣٦).

أما عن الخرائط البحرية فيقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري إن أول خريطة لأمريكا كانت إسلامية ويوضح ذلك بقوله:

فالخريطة الأولى اكتشفت سنة ١٩٥٢ في مكتبة الأسكوريال بمدريد.. وهي من صنع الجغرافي الإسلامي ابن الزيات المتوفى ١١٩٨ م وفيها رسم لمنطقة بحر الظلمات (أي المحيط الأطلسي) ويشمل رسم الجزر المأهولة وهي أمريكا وقد اكتشف الخريطة وحققها الدكتور (خوان فرتيط) الأستاذ بجامعة برشلونة.

أما الخريطة الثانية فهي تلك التي رسمها الجغرافي التركي «بيري ريس» الذي سبق ذكره ويقول عنها: الخريطة الثانية اكتشفها المستشرق الألماني عندما عثر عليها في مكتبة (توب كابي سراي) باستنبول ونشرها على العالم سنة ١٩٢٩ م بعد تحقيق علمي دولي استمر عدة سنوات.. فقد أذهلت هذه الخريطة العالم كله وحيرت العلماء. الخريطة من تأليف جغرافي تركي مسلم هو (بيري ريس) واسمه الكامل (محيي الدين بن محمد الريس) المتوفى سنة ١٥١٣ م وكان أحد قادة البحرية في الأسطول التركي الذي كان سيد البحار. وهي في الواقع أكثر من خريطة مفردة.

والخريطة تبين المحيط الأطلسي: في الشرق يرى اسبانيا والساحل الإفريقي وفي الغرب القارة الأمريكية بسواحلها وجزرها وموانيها وحيواناتها وسكانها الهنود الحمر الذين يرسمهم عراة وهم يرعون الغنم.

ويذكر المستشرق (كراتشوفسكي) في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) تعليلا لهذه الخريطة إنها ولا بد وأن يكون الريس قد بناها على أساس خرائط كولمبو التي ربما تكون سقطت في يده عندما انتصر الأسطول التركي على أسطول البندقية سنة ١٤٩٩ م وأسر بعض سفنه.. إلا أن هذا الرأي يلقى معارضة من كثير من الباحثين لأن الخريطة فيها تفصيل لأماكن لم يعرفها كولمبوس ولم يكن استكشفها ولكن هؤلاء الباحثين لم يقدموا تعليلا بديلا يكشف سر هذه الخريطة الغامضة..

وهناك تفسير آخر لهذا الخريطة: أن الريس قد نقلها عن أبي عبد الله والذي كان آخر حكام العرب في الأندلس وعندما هزمته إيزابيلا أبقته في خدمتها ثم أمرته بقيادة حملة بحرية إلى أمريكا لاعتقال كولمبوس وإرجاعه إلى أسبانيا مقيدا بالسلاسل وبذلك يكون أبو عبد الله العربي أول من وصل إلى أمريكا بعد كولمبوس مباشرة ولا بد أنه قد عاد من هناك بخرائطه الخاصة. وغير بعيد أن يكون الريس قد ذهب إلى أمريكا بنفسه مع أبي عبد الله والمعروف أنهما كانا صديقين وأن السلطان التركي كان قد أرسل الريس لمعاونة أبي عبد الله في حربه ضد إيزابيلا سنة ١٤٩٠ م قبل سقوط عرشه.

(العلوم الإسلامية ٢ / ٦١، ٦٢)

(العلوم عند المسلمين ـ إشراف حصة الصباح. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي / ٣٨، والتاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ٢٢٤ ـ ٢٢٧، والعلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقي الفنجري ٢ / ٦١، ٦٢، ٧٥، والتراث الجغرافي الإسلامي ـ تصنيف د. محمد محمود محمدين / ٢٣٤، ٢٣٦).

ملاحظة: صور الخرائط المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الواردة في ثبت المراجع أعلاه. أما صورة خرائط الأرض فقد أخذت من أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس.

*** الخرائطي:**

قال السمعاني:

الخرائطي: بفتح الخاء المعجمة والراء والياء آخر الحروف

بعد الألف وفي آخرها الطاء المهملة ... واشتهر بهذه النسبة أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي من أهل سر من رأى، كان حسن التصانيف إخباريا جمع الملح والنوادر، وكان مكثرا منها، سمع إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد وعباد بن الوليد الغبري وحماد بن الحسن بن عنبسة والحسن بن عرفة وعمر ابن شبة وطاهر بن خالد بن نزار وعباس بن عبد الله الترقفي وغيرهم، روى عنه أبو العباس أحمد بن إبراهم بن علي الكندي وأبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان السلمي وغيرهما، ذكره الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب في تاريخ بغداد وقال: أبو بكر الخرائطي كان حسن الأخبار مليح التصانيف، سكن الشام، وحدث بها، فحصل حديثه عند أهلها، ومن مصنفاته كتاب اعتلال القلوب، كان عليٌّ وعبد الملك ابنا بشران يرويانه عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم الكندي سمعاه منه بمكة عن الخرائطي. قلت له كتاب «هواتف الجان» كان يروى بدمشق عاليا في أيامنا ولم ألحق الشيخ الذي حدث به، وهو أبو الحسن علي بن المسلم بن الشهرزوري، قال عبد العزيز الكناني: قدم الخرائطي دمشق في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ومات بعد ذلك بعسقلان. وقال أبو سليمان بن زبر: سنة سبع وعشرين - يعني وثلاثمائة - فيها توفي أبو بكر الخرائطي في شهر ربيع الأول.

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٣٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٠، ٥٠١).

*** الخَرْب:**

في علم العروض والقافية الخَرْب هو دخول الخَرْم والكف معا على أول جزء من الهزج والمضارع: فمفاعيلن تصبح في الكف مفاعيل ثم تخرم فتصبح التفعيلة فاعيل (ـــ ـــ ب) وسمعي بذلك لذهاب أوله وآخره، فكأن الخراب لحقه لذلك.

ويقول السكاكي: «خرم مفاعيلن وهو مكفوف يسمى أحز» وهذا تحريف لأخرب. ويرى ابن رشيق أن من زحافات الهزج الحزب وهو تصحيف. ويسمى الجزء الذي يجرى فيه ذلك «الأخرب». وقد يدخل الخرب الجزء الأول من الصدر، والجزء الأول من العجز، كقوله من المضارع:

قلنـــــا لهم وقـــــالـــــوا
كـل لـــــه مقـــــال
فـــــاعيل فـــــاعـــــلاتن
فـــــاعيل فـــــاعـــــلاتن

ومن أمثلته من الهزج:

لـــو كـــان أبـــو مـــوسى
أميـــرا مـــا رضينـــاه
فـــــاعيل مفـــــاعلين
مفـــــاعيلن مفـــــاعيلن

(معجم مصطلحات العروض والقافية ـ د. محمد علي الشوابكة، و د. أنور أبو سويلم / ١٠٠).

*** الخرباني:**

قال السمعاني:

الخرباني بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى خربان، وهو اسم جد أبي عبد الله أحمد بن إسحاق بن خربان البصري الخرباني، أصله من نهاوند، وكان فقيها مبرزا فاضلا، من أهل البصرة، سمع محمد بن أحمد بن عمرو الزئبقي وأبا بكر محمد بن بكر بن داسة التمار وأحمد بن الحسين المعروف بشعبة الحافظ والقاضي أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ونحوهم، روى عنه أبو بكر البرقاني وأبو الحسن علي بن محمد القالي وأبو الحسن علي بن محمد بن نصر اللبان الدينوري وغيرهم، ودرس فقه الشافعي على القاضي أبو حامد المروروذي، وكانت وفاته بالبصرة في حدود سنة عشر وأربعمائة.

وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن خربان الصفار الخرباني، من أهل بغداد، حدث عن الهيثم بن سهل التستري وأيوب بن سليمان الصغدي، روى عنه أبو زرعة أحمد بن الحسين بن علي الرازي وعبد الله بن أحمد بن طالب البغدادي ساكن مصر.

والسري بن سهل بن خربان الجنديسابوري الخرباني، يحدث عن عبد الله بن رشيد بنسخة مجاعة بن الزبير وغير ذلك، روى عنه جماعة منهم عبد الصمد بن علي المكرمي وأبو عبد الله الأبلي محمد بن علي بن إسماعيل وعبد الباقي ابن القانع.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٩، ٣٤٠. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠١).

* الخِرْبِز:

خربز: بالكسر نقل الصاغاني عن الكسائي هو البطيخ وقال: عربي صحيح أو أصله فارسي قال أبو حنيفة [الدينوري] وقد جرى في كلامهم وجاء ذكره في حديث أنس رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ يجمع بين الرطب والخربز.

(معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي / ٤٩).

* الخَرْبَق:

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات وفي علم طب الأعشاب. جاء في اللسان: الخَرْبَق نبت كالسُّم يُغشي على آكله ولا يقتله (اللسان ١٢ / ١١٢٣)

قال عنه القزويني:

الخربق: نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد. قال صاحب الفلاحة: إذا غرست في البستان قضبان الخربق مات ما فيها من البراغيث، وإذا زرعتها مع أي بذر كتان لا يقربها الطير، وإذا دخلت البيت به هربت الهرام منه ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها، وإن جعلته في العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت، وإن دققته مع الكبريت ونثرته في جحر النمل هربت، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعته للسباع اصطيدت بالسهولة، وهو سم قاتل للإنسان والسباع (عجائب المخلوقات / ١٨٦).

وقال عنه داود الأنطاكي:

الخربق: منه أبيض يوجد بالجبال والأماكن المرتفعة ساقه أجوف نحو أربعة أصابع له زهر أحمر إذا بلغ تقشر وصار متأكلا سريع التفتت يدرك بأبيب له رؤوس كثيرة عن أصل كالبصلة حار يابس في الثالثة يخرج الأخلاط الباردة واللزوجات ويسكن وجع الأسنان شربا وغرغرة وينفع الفالج واللقوة ويدر ويسقط ويفتح السدد ويفتت الحصى وأكل بزره يقتل الدجاج وهو يقتل الكلاب والخنازير والفأر وأجود ما استعمل أنْ ينقع في الماء يوماً ويشرب أو يصفى ويعقد بسكر أو عسل وأسود مثله لكن ورقه أصفر وأشد حمرة وزهره إلى البياض يخلف عناقيد حب كالقرطم وحرارة هذه ويبسه في الرابعة وهو سريع النفع من الماليخوليا والصرع والجنون وإخراج الباردين وأمراضهما ويسهل الصفراء حتى قيل إنه أجود من السقمونيا وأما قلعه الجرب والبرص والنمش والحكة فإنه مجرب لا مرية فيه ويكتحل به فيمنع البياض والظلمة والماء ويجعل في الأذن فيفتح السدد ويقوى السمع ويمنع الهوام من موضع يجعل فيه فإن طبخ ورش كان أبلغ وهو عظيم النفع قيل إن الحكماء كانت تقلعه وهم تحت ستارة بخشوع وصلاة تعظيما له ويأكلون يوم قلعه نحو الثوم والسذاب تحفظا من رائحة تخرج منه تثقل البدن وتسدر وهو يخرج ما في البطن وحيا ويسكن كل ضربان مطلقا ويصدع ويكرب ويفعل أفعالا سمية وتصلحه الكثيرا والعناب وشربته إلى نصف درهم وبدله اللازورد (التذكرة ١ / ١٣٨).

وقال عنه ابن سينا:

هو نبات له ورق أخضر شبيه بورق الدلب، إلا أنه أصغر منه، وفيه خشونة، وله ساق خشن، وزهر أبيض. فيه لون فرفير، يشبه في هيئة الورد، وفي العنقود ثمر يشبه القرطم. له عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد، كأنه رأس بصلة، وإنما يستعمل من الخربق أصله، وعروقه.

وينبت في المواضع الخشنة، والكهوف، والتلول، وأماكن صلبة، يابسة. ومن الناس من يطرحه في الماء ويرشه في البيوت وذلك لأنهم يظنون أنه طهور. ولذلك إذا أرادوا قلعه من الأرض، قاموا في قوة يحفرون حوله، ويصلون للمعبود، ويقلعونه وهم يصلون، ويحذرون في وقت احتفاره أن تمر بهم عقرب، لأنه من مذهبهم، أنه يتخوف على قالعه الموت إن رأى العقارب الخربق محفورا عنه، فينبغي لمن يحفر عنه أن يسرع الحفر، لأنه يعرض من رائحته ثقل في الرأس. وينبغي أن يحتالوا قبل ذلك بأكل الثوم، وشرب الشراب، دفعا لمضرة ذلك. ويعملون به مثل ما يعمل بالخربق الأبيض، ويسقونه مثل ما يسقى. أجوده المتوسط من العتيق والحديث، والسمين والمهزول، الرمادي اللون، السريع الانكسار، الغير

الثخين، الذى فى جوفه مثل نسيج العنكبوت، الحار الطعم، الحاذى اللسان، والجيد مما يستعمل منه أن تؤخذ العيدان الصغار التى عند أصله، ويبل بقليل من الماء، ويقشر، وتؤخذ تلك القشور، وتجفف فى الظل، ويستعمل مسحوقا منخولا، ويجب على الطبيب النظر فى إعطاء الدواء منه، فيصرف فيه بحسب السن، والعادة، والزمان، والوقت الحاضر، والسبب الموجب لذلك. هو محلل، ملطف، قوى الجلاء، حتى إنه يأكل اللحم الميت. وإذا نبت عند أصل الكرمة صار قوة شرابه مسهلة، ومن خواص الخربق إن يحيل البدن عن مزاجه ويفيده مزاجا شديدا، شبابيا. وكثير ممن يتناول الخربق الأبيض للقىء، فلم يقيئه ولم يسهله، لكنه فعل فعلا باقيا، وأسهل ... وموافقته بنيسان (إبريل)، وفى تشرين. إلا أنه يجب أن يتقدمه قبل ثلاثة أيام بالحمية عن المطاعم والمشارب الغليظة، وأن يتقيأ بعد العشاء مرتين، ثم يتناول. يطلى على الريق بالخل، وكذلك على الوضح. يطلى على الجرب، والقوابى بالخل، والتقشر، طلاء. وينفع من صلابة الناصور الصلب، يتخذ منه كالقالب، ويدخل فى الناصور، ويترك أياما، فإنه إذا أخرج منه قلعة محرقة، ينفع من الفالج، وأوجاع المفاصل، والاستفراغ به دواء لها، قوى. إذا طبخ بالخل، وقطر فى الأذن، سكن الدوى، وإذا تمضمض بذلك الخل، سكن وجع الأسنان، وإذا قطر طبيخه فى أذن الضعيف السمع قواه. وينفع من الوسواس والمالينخوليا، والصرع، والشقيقة، وأمراض الرأس جملة. يقوى البصر إذا وقع فى الأكحال ينفع من السودة، وعلته، ويسهل إسهالا من جميع البدن من غير إكراه، ويخرج الصفرة، والبلغم، ويخرج كل فضل يخالط الدم، حتى من أقصى البدن، ومن الجلد. وقد يسقى بأن ينقع بشراب حلو. أو سكنجبين، ويترك فيه مدة، ثم يطبخ ذلك الشراب بعدس، أو بماء الشعير، أو بالدجاجة، ويتحسا مرقه، وقد يطبخ فى العسل. وهو نافع جدا للأورام فى الأمعاء. والمثانة، ويدر الطمث، والبول.

وبعد ذلك أفرد ابن سينا مادة خاصة للخربق الأبيض فقال عنه:

الخربق الأبيض هو نبات له ورق مثل لسان الحمل، أو السلق البرى. منه أسود يضرب إلى الحمرة قليلا، وإذا ابتدأ جفافه ينقشر. وعروقه كثيرة، دقاق، مخرجها من رأس واحد مستطيل، شبيه ببصلة، وينبت فى أماكن جبلية، وينبغى أن يقلع فى زمان حصاد الحنطة. وأجوده ما كان منبسط السطح انبساطا معتدلا، وكان أبيض، هين التفتت، كثير اللحم، ولا يكون حاد الأطراف، شبيها بالأذخر، (نبات) وإذا فتت ظهر منه شىء شبيه بالغبار. ونسج العنكبوت فى الرقة ولا يلذع اللسان لذعا شديدا على المكان، ويجلب اللعاب، فإن هذا الصنف منه ردىء. وقد وصف الأولون الذين كانوا من الحذاقين، قوته، ومنافعه، على ما يحق وينبغى.

والقول فى وصفه طويل، لأنه أوفق فى صناعة الطب من سائر الأدوية. وبعض الناس قد يسقون منه قليلا مع السويق، ومن كان ضعيف الجسم، إذا أخذه على هذه الصفة، لم يضر شيئا.

ومن الخربق نبات له ورق طوال، وزهر أبيض، وأصل دقيق. لا ينتفع به، وبزر شبيه بالسمسم مر الطعم وله منافع كثيرة. المختار من الخربق المنبسط السطح باعتدال، الأبيض، السريع التفتت، الكثير العجم، (البزر) الرقيق لا يلذع اللسان فى الحال لذعا شديدا، ولكنه يجلب اللعاب. وأما الشديد اللذع فى الحال فخانق. الخربق الأبيض أشد مرارة، والأسود أشد حرارة، وإذا أكلته الفأرة ماتت. ويعمل ذلك ويطعم الفأر منه فى سويق وعسل. وإذا طبخ مع اللحم هدأه وأضعفه. ويجب أن يعد شاربه أشياء يداوى بها، ما يكاد ينفعه من التشنج، مثل: مرقة الدجاج، وشراب الزوفا، والفيجن، والعدس. وأدهان عطرية، كدهن السعد، والسوسن. ويجب أن يكون عند شاربه خل حاد الرائحة، وتفاح، وسفرجل، وخبز حار، ودواء معطس، وأشياء كثيرة غير ذلك إذا شم سحيقه يهيج العطاس. يحد البصر. الخربق الأبيض، يقىء بقوة، وفيه خطر. لأنه يخنق، وهو يقتل الناس إذا أفرطوا فى استعماله، وهو سم الكلاب والخنازير (القانون فى الطب/ ٣١٢-٣١٥)

كذلك أفرد المظفر الرسولى فى المعتمد مادة خاصة لكل من نوعى الخربق : الأبيض والأسود مما ننقله لك فيما يلى، وقد ذكر مصادره فرمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

ز: الزهراوى .

قال :

الخربق الأبيض :

«ع» هو نبات له ورق شبيه بورق لسان الحمل، أو ورق السلق البرى، إلا أنه أقصر وأميل إلى السواد، وزهره أحمر اللون، وله ساق نحو من أربع أصابع، مضمومة جوفاء، تتقشر إذا ابتدأت تجف، وعروق كثيرة دقاق، مخرجها من رأس واحد صغير مستطيل كالبصلة، وإذا شرب الخربق الأبيض نقى المعدة، وأخرج منها أشياء مختلفة، وإذا احتملته المرأة أدر الطمث، وقتل الجنين . وقد يخلط فى الشيافات الجالية لغشاوة البصر، وهو يهيج العطاس، وإذا خلط بالسويق وعجن بالعسل، قتل الفأر، وخاصيته إسهال الفصول اللزجة المخاطية، وربما أورث شاربه تشنجا، ويقتل الإفراط منه الناس، وهو سم للكلاب والخنازير، ورجيع شاربه يقتل الدجاج والسمانى التى ترتعيه والأجود أن يُنقع منه خمسة مثاقيل فى تسع أواق من ماء المطر ثلاثة أيام، ثم يطبخ حتى يبقى الثلث، ثم يصفى ويشرب . وأجود منه أن يؤخذ منه رطل فيقطَّع، وينقع فى قسطين من ماء المطر ثلاثة أيام، ثم يطبخ حتى يبقى الثلث، ثم يصفى ويطرح على الماء عسل فائق مصفى، قدر رطلين، ويرفع على النار حتى يصير له قوام الأشربة، وتنزع رغوته، وتؤخذ منه ملعقة كبيرة، كما هو أو مع ماء حار، وهذا سليم مأمون .

«ج» حار يابس فى وسط الدرجة الثالثة، وهو يجلب اللعاب، ويقيىء البلغم، ويخاف من شربه مسحوقا أن يُحدث معه تشنجا، وهو يقيىء بقوة، وهو خطر، فإنه ربما خنق، ولا ينبغى أن يشرب والمعدة خالية، ويداوى من سقى منه بمراق الدجاج، والأرايج الطيبة .

«ف» يشبه التربد البحرى، أجوده الأبيض السريع التفتت، وهو حار يابس فى الثالثة، يقيىء البلغم والأخلاط الباردة الرديئة . الشربة منه : خمسة قراريط . بدله : قال ابن الجزار: وزنه تربد، ونصف وزنه غاريقون، وأربعة أمثاله زبيب منزوع العجم . والله أعلم .

ثم قال عن الخربق الأسود :

الخربق الأسود: نبات له ورق أخضر، . يشبه ورق الدلب إلا أنه أصفر، وزهره أبيض، فيه شيء من لون الفرفير، وثمره يشبه حب القرطم، وله عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد، كأنه رأس بصلة، وإنما يستعمل من الخربق الأسود هذه العروق . وأجوده ما كان غير ضامر، جوفه دقيق، وهو حريف يحذو اللسان، والحريفان الأبيض والأسود حاران يابسان فى الدرجة الثالثة، وفى الطعم الأسود أشد حرافة، والأبيض أشد مرارة . والخربق الأسود إذا أخذ منه مقدار درهمين، أو مقدار ثلاثة أو ثولوسات وشرب وحده أو مخلوطا بسقمونيا أو بملح، أسهل بلغما ومرة، وقد يطبخ بالعدس والأمراق، ويستعمل للإسهال، وينفع من الصرع، والماليخوليا، والجنون، ووجع المفاصل، والفالج العارض مع استرخاء . وإذا احتملته المرأة أدر الطمث، وقتل الجنين، ويدخل إلى ثقب النواصير، ويترك ثلاثة أيام فينقيها، ويدخل فى الآذان الثقيلة السمع، ويترك يومين أو ثلاثة أيام فينتفع به، وإذا تضمد به وحده أو مع الخل أبرأ البهق والقوب والجرب المتقرح، ويسهل المرة الصفراء الغليظة جدا، أكثر مما يستفرغها بالسقمونيا، وربما أسهل السوداء، ويجب أن يعطى من أصوله مثقال واحد، خاصة فى ماء العسل على رأى القدماء؛ وأما المحدثون فيعطون منه نصف مثقال، والذى يجود أخلاطه الفوتنج والصعتر وسائر الأدوية اللطيفة الحارة النافعة للمعدة، ومن أخذه فليأتدم قبله، ويمتنع من الأغذية الغير الموافقة، وهو مع الترمس بماء عذب يذهب الكلف والنمش .

«ج» هو ملطف محلل، يأكل اللحم الميت، و إذا نبت عند أصل كرم، صارت قوة شرابه مسهلة، ويحيل البدن عن مزاجه، ويفيده مزاجا جديدا، ويوافق الرجال الأقوياء، ولا يصلح للنساء الضعيفات، ولمن بدنه رخو، وهو نافع من الوسواس، والشقيقة المزمنة، والماليخوليا؛ وينفع من السوداء، ويسهل من جميع البدن، وربما خنق، ووزن درهمين منه يحدث تشنجا. وبدله: نصف وزنه مازريون، وثلثا وزنه غاريقون.

وقال «ز» بدله: أصل الأنجرة، يابس، وقال آخر: مثل وزنه شيطرج، وإن شئت مثل وزنه غاريقون، وأربع وزنات وثلث زبيب منزوع العجم. وذكر في القانون بدله: مثله كُنْدُس، والله أعلم.

«ف» نبات خشبي الشكل، أسود اللون، يسهل السوداء والصفراء المحترقة. الشربة منه: دانقان. وهو ينفع من البهق الأسود والكلف والجذام، وكل برص سوداوي. والشربة منه: من نصف درهم إلى نصف مثقال، مع مطبوخ الأفتيمون والغاريقون والأسطوخودوس.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٨٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٣٨، والقانون في الطب لابن سينا ــ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطي / ٣١٢ ـ ٣١٥، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا/ ١٢٢ ـ ١٢٤).

*** خربة المفجر:**

من القصور الأموية، وهي من العمائر المدنية التي يعنى بها علم العمارة الإسلامية، وصفه وصفا تفصيليا الدكتور عفيف بهنسي، مما ننقله لك فيما يلي:

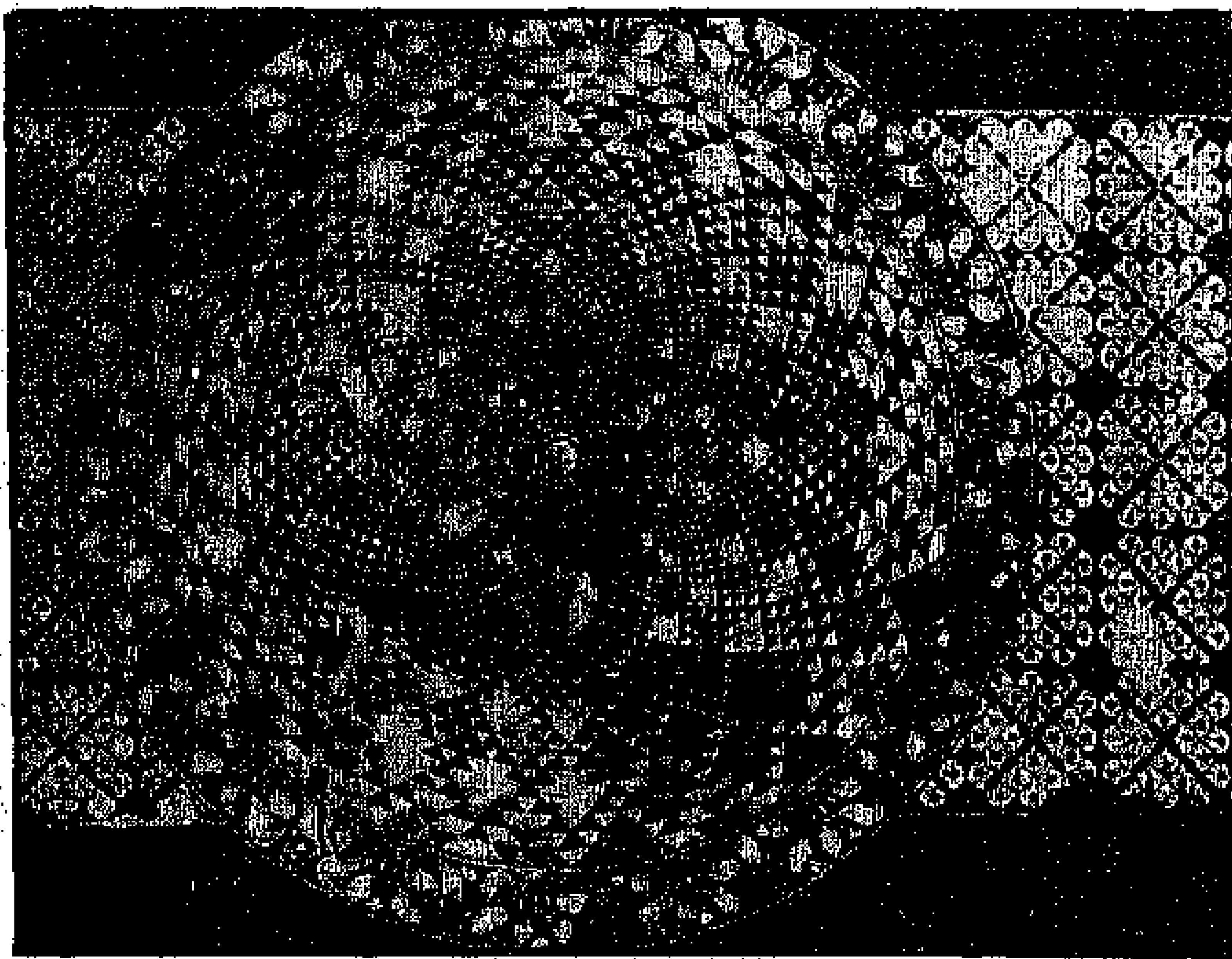
يقع قصر المفجر على مقربة من أريحا، كان قد شيده هشام بن عبد الملك لكي يكون استراحة ملكية تمتاز بوفرة الزخرفة.

ولقد قام بالكشف عنه كل من العالمين هاملتون وبرامكي في الفترة بين ١٩٣٥ ـ ١٩٤٨ م. ولقد تأكد تاريخه الأموي نتيجة العثور على رسالتين كتبتا على قطع من الرخام وهما موجهتان إلى هشام أمير المؤمنين.

وكشفت الحفريات عن قصر وجامع وحمامات وفناء أمامي ذي أعمدة وبركة مزدانة بالزخارف.

ولقد كانت هذه المنشآت محاطة بسور واسع يمتد حوالي كيلو مترين باتجاه نهر الأردن لعل الخليفة كان يمارس هوايته في الصيد ضمن نطاقه. ولقد جرت المياه إليه من ينابيع ليست بعيدة واستمر المكان مأهولا زمنا حتى دمر بتأثير زلزال عام ٧٤٧ م وبقي المكان مهجورا منذ ذلك الوقت، ويعرف باسم قصر المفجر أو خربة المفجر.

وبناء القصر هو الرئيسي في هذه المجموعة ثم أضيف إليه الجامع والحمامات. ويشبه مخطط القصر مخطط القلاع الرومانية فهو على هيئة مربع طول ضلعه ٥, ٦٤ متر أما الضلع الشرقي فهو ٢٥, ٦١ متر في أركانه الأربعة أبراج مدعمة وأمام مدخله الذي يقع في الجدار الشرقي يوجد فسحة أمامية معمدة يمتد حتى الحدود الشمالية للحمامات، والمدخل الرئيسي لهذا الفناء يقع في الجنوب يحيط به برجان. ولقد تركت معظم مساحة الفناء عارية وفي وسطها تقع البركة ذات الزخارف وهي من المنشآت الهامة إذ أنها بناء غريب يتألف من بركة مربعة عمقها متر تقريبا تعلوها قبة عظيمة ذات ثمانية أضلاع فوق أربعة أقواس ضخمة، وهي مزدانة بأجمل الزخارف. وكان بناء القصر مؤلفا من طابقين لهما شرفات في الأعلى أو رواق سفلي يحيط بجوانب هذا الفناء؛ أما البوابة



زخرفة فسيفسائية في قصر المفجر

فكانت ضمن برج كبير تعلوه أقواس متقنة تزدان واجهتها الأمامية بصف من المحاريب.

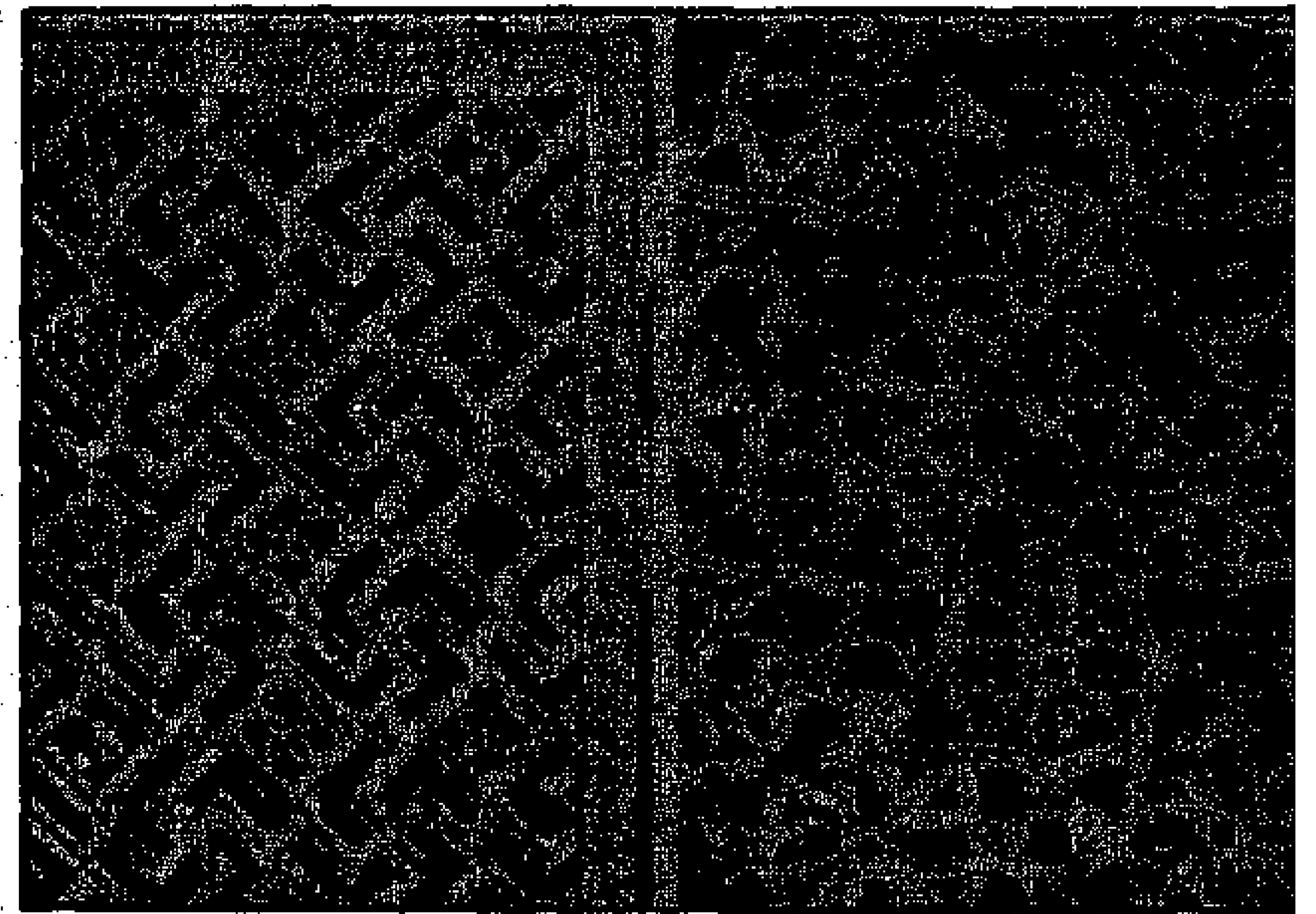
وينتهي الدهليز بالفناء الداخلي للقصر والمحاط بالغرف في طابقين، وتشكل الغرف في الجهة الغربية مجموعة متكاملة وتعتبر المقر الملكي بينما تبدو غرف الجهة الجنوبية مستقلة عن بعضها واسعة، أحدها كان بمثابة مسجد.

ويقع الجامع في الجهة الشرقية بين القصر والحمامات، ولم يبق مسقوفا سوى الصدر الجنوبي المعقود الذي يضم المحراب.

وتتألف الحمامات من رحبة أمامية ومدخل مسقوف وقاعة ضخمة طول كل ضلع من أضلاعها ٣٠م، ويحمل سقفها على ست عشرة قاعدة ضخمة هي أعمدة متداخلة تحمل أقواسا فوقها أقواس محففة، وفي الجدارن تجاويف خمسة مغطاة بقباب عالية. وقد فرشت أرض الحمام بالفسيفساء بتشكيلات خارقة.

وعدا هذه القاعة الضخمة يوجد من الناحية الشمالية غرف للحمامات الساخنة وأخرى للحمامات الباردة وغرفة بخار. وفي الزاوية الشمالية الغربية غرفة خاصة للاستراحة، وهي الغرفة التي تحفل أرضيتها بأروع الفسيفساء.

وتتألف هذه الغرفة من قسمين، قسم مربع وعلى جانبيه



مشبكات هندسية ونباتية



المفجر : لوحة فسيفساء - شجرة تفاح

دكتان مستطيلتان، وقسم مجوف ترتفع أرضيته من مستوى القسم الأمامي بشكل حنية مرتفعة.

الرسوم في قصر المفجر

واكتشف العالمان هاملتون وبرامكي في قصر المفجر ما يقرب من مائتين وخمسين قطعة مصورة وعلى عدد كبير من الفسيفساء والتي بقيت بحالة جيدة، ولقد نقلت أكثر القطع التصويرية إلى المتحف الفلسطيني بالقدس ولقد وجدت الصور في الجزء الرئيسي من القصر وفي الحمام الكبير التابع للقصر. وهي جميعها تقريبا مؤلفة من صيغ هندسية غنية التنوع، كثيفة.

ويمتاز قصر المفجر بزخارفه الفسيفسائية الهامة جدا فإذا استعيض عن هذه الألواح بصور ملونة في قصر الحير الغربي، فهي هنا فسيفساء حقيقية مؤلفة من مكعبات حجرية ملونة تشكل صورا تشبيهية أو زخرفية رائعة التصميم والتنفيذ.

ومن أهم هذه الألواح الفسيفسائية قطعة كبيرة تفرش قاعة الاستراحة بالحمام الكبير وتزين القسم المجوف المرتفع الذي يقع في نهاية القاعة. ويتصل بهذه الصورة الكبيرة عدد من

الصور مما يجعل هذه الغرفة المترفة شديدة الزينة رائعة الجمال، فأرض القسم المربع مفروشة بالفسيفساء أيضا، ولكن برسوم هندسية ملونة بنفس الشكل الذى استعملت به على الدكة المجوفة المرتفعة المحيطة بها، ويظن هاملتون أن قطعة الفسيفساء هذه تمثل بساطا لأن فيها أهدابا تشبه حاشية أنواع معينة من الأبسطة.

ومع ذلك فإن هذه الزخارف الهندسية تعتبر من أروع الآثار الإسلامية فى الفن بل تجعلها نماذج من تأثير الفن الإسلامى على الفن الحديث التجريدى والبصرى. فلقد رصفت ضمن تشكيلات منسجمة كل تشكيل مختلف عن الآخر، وهذه القطعة هى أضخم قطعة فسيفسائية عرفت حتى ذلك الوقت، وهى ماتزال بحالة جيدة كاملة حتى اليوم.

أما الصورة الأساسية التى تزين أرضية الحنية فى غرفة الاستقبال هذه فهى صورة تشبيهية رائعة التكوين مؤلفة من شجرة تفاح أو نارنج مع نباتات إضافية على طرفى الشجرة حيث تختلط هذه النباتات من اليمين بصورة أسد ينقض على غزال هلع، بينما يبدو فى الجهة اليسرى غزالان هادئان ينعمان بقضم بعض أوراق هذه النباتات، وتمتاز الشجرة بواقعيتها إذا روعى فيها اختلاف مقاييس الفروع والأغصان الطبيعى كما روعى التكوين الهندسى، فلقد ظهرت الأوراق فى الوسط صفراء شاحبة يعقبها أوراق خضراء ثم أوراق زرقاء مخضوضرة قاتمة، ومقابل هذه الألوان تبدو الثمار بلون أحمر ساطع. ولقد التفت فروع الشجر وأغصانها بشكل واقعى صرف.

وتعتبر هذه الفسيفساء هى الوحيدة ذات التصوير التشبيهى ولأنها وضعت على منصة مرتفعة مخصصة للخليفة على ما يبدو، فإنها ذات قيمة خاصة أو وظيفة خاصة كما يرى «ايتنهاوزن» (إذ أنها توضح حسب رأيه قوة الخلافة التى لا تقاوم فلقد نجح الفنان بالتأكيد على الانسجام الرمزى بين الشجرة والعالم وهو أمر مألوف حتى ذلك الوقت).

والشىء الهام فى هذه اللوحة هو الأسلوب الانتقائى الذى جمع عناصره من مختلف الفنون القديمة والسائدة كالفن الرومانى والساسانى والبيزنطى. وهذا الأسلوب يبقى إلى حد بعيد ميسم الطريقة الفنية عند الأمويين الذين كان عليهم دائما أن يقيموا النماذج الأولى للعمارة والفن الإسلامى.

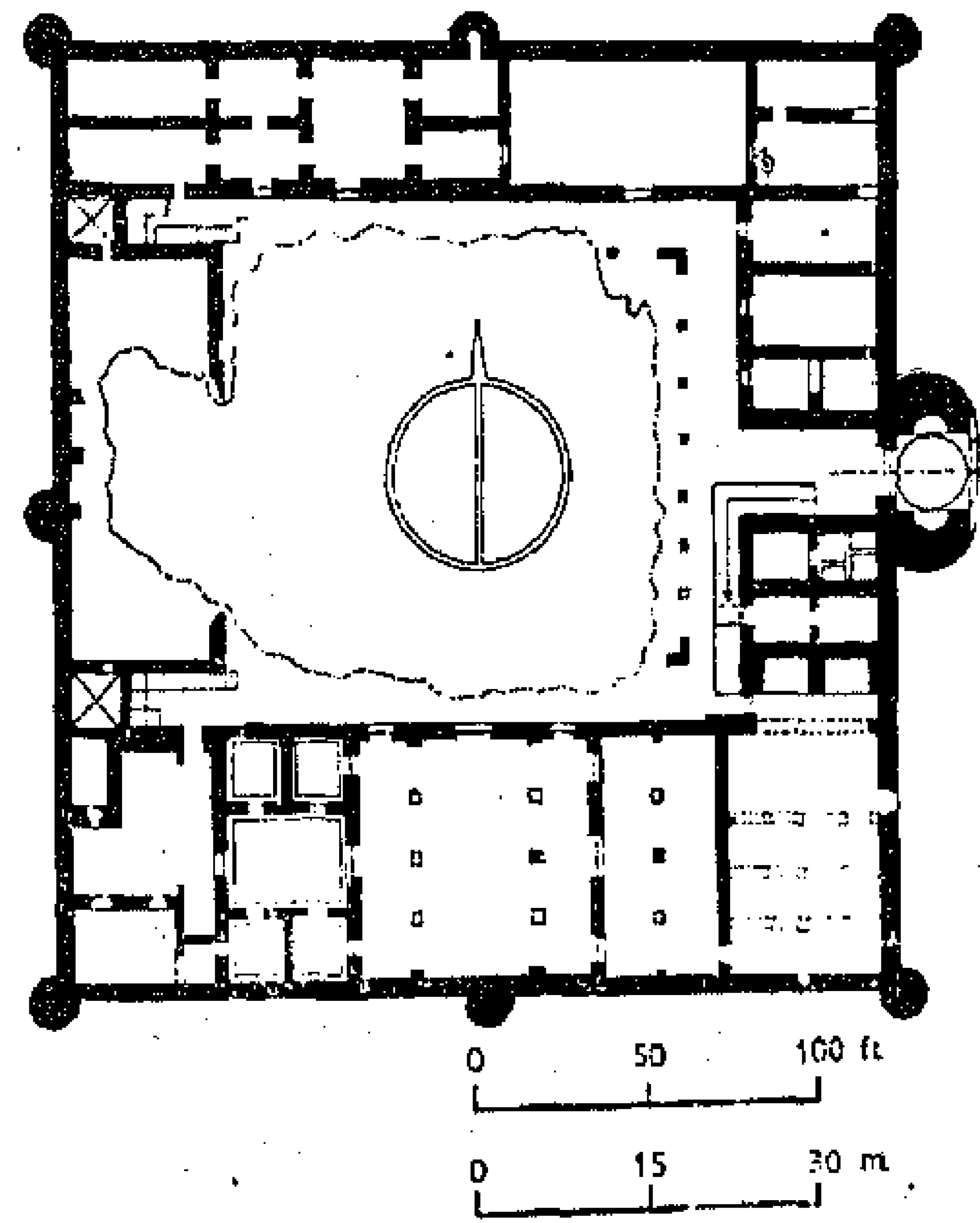
النحت فى المفجر

وأروع ما فى هذه الغرفة هو سقفها المقبب المغشى بالنحت الجصى، ثم القبة التى تعلو القسم المربع وهى قبة عالية فيها رسوم على هيئة جياد طائرة وفوقها إفريز مؤلف من صور نافرة مدهونة تمثل طيور الحجل. وفى عنق القبة نوافذ ذات زجاج معشق ملون. وتزدان القبة بمنحوتات بديعة مؤلفة من ست أوراق منها ست رؤوس لرجال ونسوة ملونة وراء أغصان الكرمة. وأكثر هذه الشواهد النحتية الجصية نقل إلى المتحف الفلسطينى فى القدس مع منحوتات حجرية من أهمها تماثيل لرجال ونساء كاملة أو نصفية كان بعضها موجودا فى المدخل المسقوف بقبة تعتمد على دعائم الأقواس الجانبية، وعلى دعائم هذه الأقواس كانت تقوم تماثيل لأشخاص ذكور يحملون رباطا من أوراق الخرشوف فوق صف من الخراف الجاثمة مع امتداد الدائرة، ويتألف عنق القبة من اثنى عشر تجويفا محرابيا يقف فى كل منها تمثال لذكر أو أنثى متتاليين، هذه التماثيل مدهونة بألوان جذابة. وتضم واجهة المدخل محرابين عشر فى أحدهما على تمثال يعتقد أنه للخليفة هشام وذلك بمقارنته مع تمثال فى قصر الحير الغربى. ولكن هذا التمثال ملون ويحمل سيفا ويقف على أسدين جاثمين.

(الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه - د. عفيف بهنسى / ١٤٨ - ١٥٥).

*** خربة المنية:**

تقع خربة المنية عند بحيرة الناصرة فى فلسطين، ولقد ذكر القزوينى فى معجمه (١٤٥ - ٢٢) أن منية هشام تقع عند منطقة الينابيع السبع. ولقد أطلق فيما بعد على بحيرة الناصرة اسم بحيرة المنية، والمنية كلمة ذات أصل يونانى التى تفيد معنى منزل (فيلا) ويرجع هذا القصر إلى عهد قبل الإسلام ولعله رمم ووسع فى عهد الوليد (٧٠٥ - ٧١٥) فلقد عثر على لوح من المرمر كتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم. ما أمر عبد الله الوليد أمير المؤمنين ... على يدى عبد الله بن..



مخطط قصر المنية ـ عن كريزويل

كما عثر على دينار مضروب عام ٩٨ هـ.

ولقد أجرى التنقيب فيها مادير ثم شنايدر ثم رينارد خلال ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨ م. وعندما احتل الإسرائيليون الموقع لم يسمح للمنقبين بمتابعة أعمالهم فى المنطقة. ولقد ذكره كريزويل بإيجاز ويتألف القصر من بناء مساحته ٧٣ × ٦٧ مترا تقوم فى زواياه أبراج مستديرة وله فى الوسط من الناحية الشرقية باب ضخم يحيط به برجان من الجانبين، ويمتاز هذا الباب الذى يبلغ عرضه ١٦,٥ م بقبته المربعة التى يقوم فى كل من جانبيها نصف برج، وكانت القبة مفتوحة من الأعلى وحولها طنف إكليلى مزخرف بغزارة والأقسام غير المنحوتة من القبة بالفسيفساء بلون أخضر وأزرق وأحمر وذهبى وفضى. وينتهى دهليز المدخل بالفناء المحاط بغرف منفتحة على بعضها وفى الجهة الجنوبية أقيم الجامع (١٩,٤٢ × ١٣,١م) ذى المحراب المتجه نحو الجنوب. ولقد أنشئ هذا الجامع متأخرا قبيل تهديم القصر ولعله لم يكن قد اكتمل بناؤه بعد. (الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه ـ د. عفيف بهنسى / ١١٣، ١١٤).

*** الخربوطلى (سبيل أحمد كتخدا) (١١٤٨ هـ/ ١٧٣٥ م) أثر ١٠٩:**

جامع الفكهانى هو المعروف قديما بجامع الظافر، وكان يقال له الجامع الأفخر، وقيل له ــ زمن على مبارك ــ جامع الفاكهيين (ويعرف الآن بجامع الفكهانى)، وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله ووقف حوانيته على سدنّته ومن يقرأ فيه وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وخمسماية، وموضعه قبل ذلك كان زريبة، وتم بناؤه فى الحادى عشر من شوال من السنة المذكورة، وبوسط صحنه صهريج، ويصعد له بسلالم وتحته حوانيت.

والسبيل يشغل الركن الشمالى للجامع، وذو شباكين للتسبيل أحدهما يطل على شارع المعز لدين الله، يغشيه مصبعات نحاسية ويعلوه عتب وعقد عاتق ونفيس به بلاطات خزفية (قاشانى). كما يعلو العقد العاتق لوحة تأسيسية من ثلاثة أسطر مضمونها:

«أنشأ هذا السبيل.. أحمد كتخدا مستحفظان سابقا الخربوطلى.. فى شهر رمضان سنة ١١٤٨».

ويستفاد من النص أن أحمد كتخدا الخربوطلى قام ببناء السبيل فى ركن الجامع أثناء تجديده له فى عام ١١٤٨ هـ، أما الشباك الثانى فيطل على حارة حوش قدم، وهو يماثل الشباك الأول، يجاور هذا الشباك مدخل السبيل والكتاب.

والسبيل عباره عن حجرة تسبيل مربعة تقريبا، يعلوها حجرة الكتاب والتى تأخذ نفس الهيئة إلا أنها مجددة حاليا لاستعمالها عيادة صحية لأهالى الحى.

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ــ د. محمد حامد الحسنى/ ٢١٤).

*** الخَرتنكى:**

قال السمعانى:

الخَرْتَنكى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وسكون النون وفى آخرها الكاف، هذه النسبة خرتنك، وهى من قرى سمرقند على ثلاثة فراسخ منها، وبها كان موت الإمام أبى محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله، خرجت إليها أربع مرات للزيارة، والمشهور إليها أبو منصور غالب بن جبريل الخرتنكى، نزل عليه محمد بن إسماعيل بخرتنك، ومات فى داره، وهو تولى أسباب دفنه،

ويقال إنه كان من أهل العلم، حكى عنه حكايات فى مناقب البخارى، ومات بعده بقليل، وأوصى أن يدفن بجنبه، وكانت وفاة البخارى ليلة الفطر من سنة ست وخمسين ومائتين.

(الأنساب للسمعانى تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٠، ٣٤١. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠١، ٥٠٢).

* **الخَرْجانى:**

قال السمعانى:

الخرجانى: بفتح الخاء المنقوطة بنقطة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم، وكسر النون، هذه النسبة إلى خرجان، وهى محلة كبيرة بأصبهان، اجتزت بها غير مرة. وأهل أصبهان يقولون لها خورجان إلى الساعة، وقال أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى الحافظ: خرجان قرية من قرى أصبهان. والمشهور بالانتساب إليها أبو حامد على بن أحمد بن محمد بن الحسين الأصبهانى، يروى عن أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس المكى وأبى أحمد محمد بن محمد بن مكى الخرجانى، يروى عنه أبو بكر محمد بن إدريس الخرجانى وأبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب على سبيل الإجازة وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبى عبد الله بن منده الحافظ وغيرهم.

وأقدم منه أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن يوسف الخرجانى، من أهل أصبهان، يروى عن أبيه، روى عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهانى.

وأبو العباس زياد بن محمد بن زياد الهيثم الخرجانى الأصبهانى من أهل أصبهان، يروى عن الحسن بن محمد الداركى ومحمد بن حمزة بن عمارة وجماعة، وتوفى بأصبهان فيما يظن حمزة بن يوسف سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

وشيخنا أبو بكر محمد بن أبى نصر شجاع بن محمد بن إبراهيم اللفتوانى الحافظ، كان يسكن محلة خرجان فيقال له الخرجانى، سمع أبا منصور بن شكرويه القاضى وسليمان بن إبراهيم الحافظ وأبا الحسين أحمد بن عبد الرحمن الذكرانى وجماعة سواهم، كتبت عنه الكثير وكان حافظا ورعا كثير الخير والعبادة، وكانت ولادته ... وستين وأربعمائة وتوفى سنة ... وثلاثين وخمسمائة بأصبهان.

وأبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين بن كوشيذ الخرجانى المعافرى، من أهل أصبهان، له رحلة وفيه لين، حدث عن عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقى عبدان وعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ومحمد بن يحيى بن زهير التسترى وغيرهم، روى عنه أبو بكر بن مردويه الحافظ.

وأبو عبد الله أحمد بن الحسين بن محمود الخرجانى، هو ابن أبى على الخرجانى المذكر، يروى عن ابن أخى أبى زرعة الحافظ وأبى الأسود وغيرهما.

وأبو سعيد جبير بن هارون بن عبد الله الخرجانى المعدل، قال أبو بكر بن مردويه الحافظ: هو من محلة خرجان، روى عن على بن محمد الطنافسى ومحمد بن حميد، روى عنه عبد الله بن محمد الأصبهانى، ومات سنة خمس وثلاثمائة.

وضرار بن أحمد بن ضرار الخرجانى، يروى عن أحمد بن يونس الضبى. روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى؛ وفى مسجد جامع أصبهان موضع يعرف بضرارإباذ، هو بناها.

وأبو محمد طاهر بن إبراهيم بن يزيد الوراق الضبى الخرجانى، يروى عن أبى حاتم محمد بن إدريس، الرازى، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم.

وأبو جعفر محمد بن يحيى بن يزيد بن مالك الضبى الخرجانى مولى بنى ضبة، ثقة، سمع محمد بن أبان البلخى المستملى، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤١، ٣٤٢. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٥٠٢).

* **الخَرْجِرْدى:**

قال السمعانى:

الخَرْجِرْدِى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الجيم وسكون الراء الأخرى وكسر الدال المهملة، هذه النسبة إلى خرجرد، وهى بلدة من بلاد فوشنج هراة، سمعت أبا نصر عبد الرحمن بن محمد الخرجردى يقول غير مرة: ذكر صاحب

كتاب المسالك والممالك فيه : مدائن فوشنج أربع : خرجرد، وفلجرد، وفوشينج ـ وذكر أخرى نسيتها . والمشهور بالنسبة إليها شيخنا الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبى القاسم عبد الواحد بن إسماعيل الخرجردى نزيل هراة، وكان من العلماء العاملين بعلمه . كثير العبادة، غزير الفضل، سمع أبا صالح المؤذن وأبا عمرو اللخمى وأبا بكر بن خلف الشيرازى وأبا القاسم الواحدى وغيرهم، سمعت منه أجزاء بمرو، وسكن هراة، وتوفى بها فى جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

وابن عمته الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن بشار الخرجردى مثل ابن خاله فى الزهد والعلم ولزوم البيت، تفقه على الفقيه الشاشى بهراة، وعلى جدى الإمام وعبد الرحمن السرخسى بمرو، وبرع فى الفقه، ولزم منزله بنيسابور فى مدرسة البيهقى، يروى عن جماعة كثيرة من هذه الطبقة الحديث . سمعت منه بنيسابور فى النوبتين جميعا فى توجهى وانصرافى من العراق، ومات فى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وأما قرابتهما فهو صاحبنا أبو نصر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الخطيبى الخرجردى، كان فقيها، تفقه على إسماعيل الخرجردى، وسمع الكثير بنيسابور، وكان كثير المحفوظ صالحا مواظبا على الجماعات، كنت قد أستأنسه فى المدرسة التميمية بمرو واحترق فى وقعة الغز بمرو فى المنارة بأسفل الماجان فى رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة والله يرحمه .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٢، ٣٤٣ ـ انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١/ ٥٠٢) .

*** الخَرجة:**

انظر: الموشح .

*** الخَرجوشى:**

قال سمعانى :

الخَرْجُوشى : بفتح الخاء وسكون الراء وضم الجيم وفى آخرها الشين المعجمة، هذه النسبة إلى خرجوش، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه وهو أبو ... محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش بن عطية بن معن بن بكر بن شيبان بن منيع الخرجوشى الشيرازى، من أهل شيراز، يروى عن أبى بكر محمد بن يحيى الفارسى، روى عنه ابنه أبو الحسين الخرجوشى، ولم يحدث عنه غير ابنه ـ هكذا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى الشيرازى الحافظ فى تاريخ فارس .

وابنه أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن جعفر ابن أحمد بن خرجوش المعدل الشيرازى الخرجوشى، رحل إلى العراق، وسمع أبا الحسن على بن عبد الله بن مبشر الواسطى وأبا عبد الله محمد بن مخلد العطار وجماعة، وتوفى فى السادس عشر من شعبان سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ثقة نبيلا .

وحافده أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش المعروف بالخرجوشى، سكن بغداد وكان دينا ثقة صدوقا، سمع أبا عبد الله بن خفيف الشيرازى وأبا العباس الحسن بن سعيد المطوعى وإسحاق بن أحمد القاينى وغيرهم، روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ البغدادى وأبو إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى، وأثنى عليه الخطيب قال : كان فاضلا صالحا دينا ثقة، كتبنا عنه بانتقاء أبى الفتح بن أبى الفوارس . مات ببغداد فى آخر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وأما أبو سعد عبد الملك بن أبى عثمان محمد بن إبراهيم الواعظ الخرجوشى من أهل نيسابور، فكان إماما زاهدا فاضلا عالما، له البر وأعمال الخير والقيام بمصالح الناس وإيصال النفع إليهم، سمع ببلده أبا عمرو بن نجيد السلمى وجماعة كثيرة سواه، ورحل إلى العراق والحجاز وديار مصر، وأدرك الشيوخ، وصنف التصانيف المفيدة، وذكره أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسى فقال : أبو سعد الخرجوشى، ويقال بالكاف بالفارسية، منسوب إلى قرية بخراسان . هكذا قال المقدسى، وأما قبر أبى سعد هذا ففى خانقاهه بسكة خركوش ولا أدرى أبو سعد هذا نسب إلى هذه السكة أو السكة نسبت إلى أبى سعد، وتوفى فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعمائة .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٣، ٣٤٤ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٣) .

* ابن خُرْداذْبَهْ (نحو ٢٠٥ ـ نحو ٢٨٠ هـ / نحو ٨٢٠ ـ نحو ٨٩٣م):

عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم، مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة... واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل وجعله من ندمائه (الأعلام ٤/ ١٩٠) إقليم الجبال جنوب غرب بحر قزوين كتابات مضيئة / ٢١) وهو ميديا القديمة أو أذربيجان وكردستان الحالية، ثم شغل وظيفة رئيس هذه المصلحة في بغداد وفي سر من رأى. غير أن مكانة أسرته جعلته مقربا من الخليفة المعتمد (ولد وتوفى) بسامراء ومن ندمائه أصحاب النفوذ. وفي الوقت نفسه سمحت له مكانته والمناصب التي شغلها بأن يحصل على الوثائق التي استمد منها المواد اللازمة لمؤلفاته البالغ عددها عشرة، والتي لا نعرف منها سوى أسمائها، ومن المقتطفات المثبتة لدى المؤلفين المتأخرين أو الإشارات إليها في المراجع المختلفة (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦).

من مصنفاته «المسالك والممالك» و «جمهرة أنساب الفرس» و «اللهو والملاهي» طبعت مختارات منه، و«الشراب» و «الندماء والجلساء» و «أدب السماع» (الأعلام ٤/ ١٩٠) وجميع هذه المؤلفات تقريبا تدور في فلك الأدب الخفيف والحياة المرحة، وقد نعثر في بعضها على بعض الاتجاهات الشعوبية كما في كتابه «جمهرة أنساب الفرس» وبعضها يرمي إلى إمتاع علية القوم مثل «كتاب الشراب» و«كتاب الطبيخ» وقد كشف النقاب مؤخرا عن مخطوطة واحدة عنوانها «الملاهي والأسمار» وذلك ضمن مجموعة أحد الهواة. وله فضلا عن ذلك مصنف في «التاريخ» يعالج تاريخ العرب قبل الإسلام، كما يذكر المسعودي، كما تحتوي قائمة مؤلفاته على «كتاب الأنواء» كما هو مألوف لدى أدباء عصره.

لكن ما يهمنا هو كتابه الجغرافي الذي أسماه «المسالك والممالك»، والذي بدأ بتأليفه حوالي عام ٢٣٢ هـ / ٨٤٦م، وتابع العمل فيه إلى أن أدركته المنية في تاريخ أعقب عام ٢٧٢ هـ / ٨٨٥م، المحتمل أن وضع هذا الكتاب جاء استجابة لطلب أحد العباسيين (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦).

ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات المبكرة جدا في الجغرافية العربية الوصفية، وقد اقتبس منه الجغرافيون اللاحقون على نطاق واسع. وقد عني الكتاب عناية خاصة بوصف طرق المواصلات بين الأقطار والمدن الإسلامية، واشتمل على معلومات عن المدن وعن الإنتاج الزراعي والخراج في الممالك الإسلامية، كذلك اشتمل على بعض المعلومات الفلكية السطحية وعلى شيء من الغرائب والطرف عن البلدان القصية كالصين وتركستان والهند (كتابات مضيئة / ٢١)

يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة:

وقد أصبح عنوان كتابه هذا شائعا جدا من بعده وينقسم إلى سبعة أقسام متفاوتة جدا في طولها. فالقسم الأول يشتمل على نظريات كوزموغرافية مستمدة على الأرجح من بطليموس، (الكوزموغرافيا: علم الحركات الفلكية للأرض والكون) بينما يضم القسم الثاني عرفية nomenclature جغرافية لإقليم بغداد، باعتباره مركز العالم حينذاك.

أما في الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس فيعطينا المؤلف، بالتتالي، معلومات إضافية عن مسالك الشرق (فارس، الهند، والصين) والغرب (بلاد الشام، مصر، المغرب، شمالي مابين النهرين، وبيزنطة) والشمال (أرمينيا ومنطقة بحر الخزر) وجزيرة العرب. ونجد أخيرا في الجزء السابع معلومات عامة عن أقسام العالم وغرائبه، ويتراءى لنا أن شطرا من هذا الجزء، على الأقل، ليس من إنتاج جهده الشخصي. وقد ضمن ابن خرداذبة كتابه إحصاء جباية الإمبراطورية العباسية، وطول المسافات بين البلاد، وقبلة أهل كل بلد، وفوائد تاريخية كثيرة.

وعند تحقيقه ونشره عام ١٨٨٩ على يد المستشرق دي خويه ألحق به قطعة من كتاب «الخراج وصنعة الكتابة» لقدامة ابن جعفر البغدادي.

ويبدو أسلوب ابن خرداذبة جافا جدا عندما يتكلم عن العرفية، مثلما يظهر عديم اللون في المقاطع الوصفية. ونميل للظن بأن المؤلف لم يهتم بتحسين أسلوبه، لأنه لم ينظر لكتابه كمصنف أدبي بل كوجيز معد لجمهور معين (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦، ١٠٧).

ولم يتبع ابن خرداذبة نظاما دقيقا في تأليفه، وربما بدا لنا هذا، لأن كتابه لم يصلنا إلا مختصرا (التاريخ والجغرافية / ٢٢٨).

وننقل لك فيما يلي نصا من كتاب «المسالك والممالك» وهو عن الأرض في الكون وأبعادها. يقول ابن خرداذبه وقد أشار إلى نفسه بأبي القاسم:

قال أبو القاسم: صفة الأرض أنها مدوّرة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمحّة في جوف البيضة. والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض لأن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد. والأرض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض، وهو أكبر خط في كرة الأرض كما أن منطقة البروج أكبر خط في الفلك. وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل إلى القطب الشمالي الذي يدور حوله بنات نعش. فاستدارة الأرض في موضع خط الاستواء ثلاث مئة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعا والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ. وبين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة اصطرلابية واستدارتها عرضا مثل ذلك، إلا أن العمارة في الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة، ثم الباقي قد غمره البحر الكبير. فنحن على الربع الشمالي من الأرض، والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه. وكل ربع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم، وذكر بطليموس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومئتي مدينة (المسالك والممالك/ ٣، ٤).

(الأعلام للزركلي ٤/ ١٩٠، وكتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي – د. شاكر خصباك / ٢١، وأعلام الجغرافيين العرب – د. عبد الرحمن حميدة ١٠٦، ١٠٧، والتاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية - عمر رضا كحالة / ٢٢٨، والمسالك والممالك لابن خرداذبه / ٣، ٤).

*** الخردل:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات وعلم طب الأعشاب وهو بقلة معروفة. أورده المظفر الرسولي نقلا عن مصادر أربعة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي.

ز: الزهراوي.

قال الخَرْدَل: «ع» أن يختار منه ما لم يكن مُفرط اليُبْس، ولا قَحْلا، ولا شديد الحمرة، وليكن كبير الحبة، وإذا دق كان داخله أصفر وفيه نداوة، فما كان على هذه الصفة فإنه جيد مستحكم. وللخردل قوة تسخين وتلطف، وتجذب وتقطع البلغم إذا مضغ، وإذا دق وقرب من المَنْخرين حرك العُطاس، وأنبه المصروعين والنساء اللاتي يعرض لهن الاختناق من وجع الأرحام، وإذا تضمد به نفع من النقرس، وقد يحلق الرأس ويضمد به للمرض الذي يقال له ليثرغس، وإذا خلط بالتين، ووضع على الجلد إلى أن يحمر، وافق عرق النسا والطحال. وبالجملة فإنه موافق لكل وجع مزمن إذا أريد جذبه من عمق البدن إلى ظاهره، وهو يسخن ويجفف في الدرجة الرابعة، ويحلل الرطوبات من الرأس والمعدة وسائر البدن، وينفع من وجع الكبد والطحال، ومن الريح والرطوبة، ويحلل البلغم، يجفف اللسان الثقيل من البلغم، وإذا سحق ووضع على مقدم الدماغ من المبرودين سخنه، ونفع من النزلات المتوالية، وإذا طليت به الأعضاء الباردة القليلة الحس سخنها وقوى حركتها، وإذا أكل مع الطعام هضمه وسخن المعدة.

«ج» الخردل البرى يسمى حرشاء، وأجوده البستانى الكبار الحديث الأحمر، وهو حار فى الدرجة الرابعة، ومن خواصه إذا ألقى فى عصير العنب منه، أن يغلى ويبقى على حاله، وهو يقطع البلغم، ويهرب من دخانه الهوام، وهو ينقى الوجه، والبرى منه ينفع من داء الثعلب، ويحلل الأورام المزمنة والخنازير، ويطلى به الجرب والقوابى، ويفتح سدد المصفاة ويستعمل فى حل الغشاوة، وينفع من اختناق الرحم، ويذيب الطحال ... وينفع من الحميات العتيقة، وقدر ما يؤخذ منه درهم. والخردل الأبيض أجوده المائل إلى الصفرة، ويدر الحيض، وقدر ما يؤخذ منه درهم.

«ف» بزر معروف أبيض وأصفر، جيده الأصفر الكبار الرزين. وهو حار يابس فى الرابعة، ينفع من الأمراض الباردة، والأخلاط البلغمية، ويقوى البدن... ويحد البصر، وينفع من الأمراض الباردة، بالخدر، وإذا أدمن المجذوم استعماله نفعه وأبرأه.

«ز» بدله: وزنه بزر: الشلجم، وبزر الحرف، والخردل الأبيض وزنه أشج (المعتمد ١ / ١٢٠، ١٢١).

وأورده الأنطاكى فى تذكرته فقال عنه: الخردل هو اللبسان وأصوله بمصر تسمى الكبر وهو من تحريفهم لما سيأتى أن الكبر هو القبارى؛ والخردل نوعان: نابت يسمى البرى ومستنبت هو البستانى وكل منهما إما أبيض يسمى سفندا سفيدا وأحمر يسمى الحرش وكله خشن الأوراق مربع الساق أصفر الزهر يخرج كثيرا مع البرسيم فيدرك ببابة وهاتور حريف حاد إذا أطلق يراد بزره وهو حار يابس فى الرابعة أو البرى فيها وغيره فى الثالثة أو الأبيض فى الثانية نافع لكل مرض بارد كالفالج والنقرس واللقوة والخدر والكزاز والحميات الباردة بماء الورد شربا وضمادا ويحلل الورم ويجذب ما فى الأغوار فلذلك تسمن به الأعضاء الضعيفة ويحمر الألوان ويجذب الدم إذا مزج بالزفت ولصق ويطبخ ويغرغر به فيسكن أوجاع الفم والأسنان ويحلل ثقل اللسان ويمنع النزلات ضمادا ويسخن الأعضاء الباردة ويسكن النافض ويحلل الرياح الغليظة واليرقان والسدد وصلابات الكبد والطحال ويفتت الحصى ويدر الفضلات ويهضم هضما لايفعله غيره. ومن خواص أهل مصر: أكله مع الشواء فى عيد الأضحى وإذا اكتحل به جلا الظلمة والبياض والكمنة خصوصا ما اعتصر من بزره طريا وجفف أو أغلى بالزيت وقطر فى الأذن فتح الصمم وأزال الدوى وأخرج الديدان ويطبخ مع السذاب فيسكن ضربان المفاصل والرعشة ضمادا ونطولا ودهنا... ويفتح سدد المصفاة سعوطا ويزيل الاختناق شربا والتخم بدليل أنه إذا طرح فى عصير لم يغل وبالعسل يزيل السعال المزمن والربو وأوجاع الصدر والبلغم الغليظ ودخانه يطرد الهوام وهو معطش مكرب يولد الحرارة ويصلحه الخل واللوز والملح الهندى وأن يأكله المحرور باللبن وأن يؤخذ مع الأطعمة الغليظة كالهريسة وللمصروع بالسلق (التذكرة ١/ ١٣٧، ١٣٨).

وقال عنه القزوينى: بزره يبقى فى عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله. قال محمد بن زكريا الرازى: إن جعلت الخردل فى كوى الحيات قتلها (عجائب المخلوقات / ١٨٦) قال ابن سينا: يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت. والبرى منه ينفع من حمى الربع، ومن داء الثعلب والقوباء ضمادا وكذلك وجع المفاصل وعرق النسا. عصارته قطورا لوجع الأذن، وإن شرب على الريق ذكى الفهم. يستعمل فى إكحال الغشاوة والخشونة. إن دق وشرب بماء العسل أذهب الخشونة المزمنة فى قصبة الرئة. يزيل الطحال ويعطشها. ينفع من اختناق الرحم... نافع من الحميات الدائرة والعتيقة (القانون فى الطب / ٣١٦).

وقال عنه محمد بن عيسى بن كنان الصالحى: هو الصناب، وعليه قول الشاعر:

تكلفنى معيشة آل زيد

فمن لى بالصلائق والصناب

الصلائق: الخبز الرقيق، والصناب: الخردل، بزره إذا دُقَّ وذُرَّ فى الخل منعه من الدودر (المواكب الإسلامية ٢ / ٢٤٦)

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٠، ١٢١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى

/ ١٨٦، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرحه ورتبه الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تحقيق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣١٦، والمواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقى ـ تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصرى وزارة الثقافة. إحياء التراث العربى (٩٣) منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية. دمشق ١٩٩٣/ ٢٤٦).

*** الخرزة:**

الخرزة: نبات وفى بعض الأصول حمضة من النجيل يرتفع قدر الذراع خيطانا من أصل واحد لا ورق له لكنه منظوم من أعلاه إلى أسفله حبا مدورا أخضر فى غير علاقة كأنه خرز منظوم فى سلك، نقله أبو حنيفة [الدينورى] فى كتاب النبات عن بعض أعراب عمان قال وهى تقتل الإبل ومنابتها منابت الحمض.

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتعليق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٠).

***الخرزى:**

قال السمعانى:

الخَرَزى: بفتح الخاء المعجمة والراء وبعدها الزاى، هذه النسبة إلى الخرز وبيعها، وهم جماعة، منهم أبو الحسن أحمد بن نصر بن محمد الزهيرى الخرزى البغدادى، من أهل بغداد، نزيل نيسابور فى المدينة الداخلة. ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال أبو الحسن الخرزى البغدادى نزيل نيسابور فى المدينة الداخلة، سمعته غير مرة يذكر سماعه من أبى عبد الله بن مخلد وأبى عبد الله المحاملى، وتوفى بنيسابور فى شهر رمضان من سنة ثمانين وثلاثمائة، ودفن فى مقبرة الحيرة.

وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزى من أهل بغداد، ولى القضاء بالجانب الشرقى بها، وكان فاضلا فقيه النفس حسن النظر جيد الكلام، ينتحل مذهب داود بن على الظاهرى، وكان أبو بكر الخوارزمى يقول ما رأيت الخرزى كلم خصما له وناظره قط فانقطع، ومات فى جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (الأنساب ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥).

ويضيف الدكتور الزحيلى قوله عن عبد العزيز بن أحمد هذا: كان نظارا قوى الحجة، جاء إلى بغداد هو والقاضى أبو بكر الباقلانى فى صحبة عضد الدولة من شيراز، وأخذ عنه فقهاء بغداد من أهل الظاهر.

عينه عضد الدولة قاضيا على الجانب الشرقى من بغداد، وكان فاضلا، حسن النظر، جيد الكلام. ذكره الذهبى فى «العبر» وقال فى لقبه «الجزرى». له كتاب «مسائل الخلاف» (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٦).

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٤، ٣٤٥، واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٤، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤٧٦ عن طبقات الفقهاء / ١٧٨، والفهرست لابن النديم/ ٣٠٧، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٦، والعبر ٣ / ٥٠).

*** خَرَشَة بن الحارث:**

قال عنه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى: خَرَشَة بفتحات ابن الحارث أو ابن الحر المحاربى. روى أحمد والبغوى والطبرانى وآخرون من طريق أبى كثير المحاربى سمعت خرشة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ستكون بعدى فتنة ...» الحديث. ووقع فى رواية الطبرانى «خرشة المحاربى» وفى رواية أحمد «خرشة بن الحر» وفى رواية الآخرين «خرشة بن الحارث» وهو الراجح. وقال ابن سعد: خرشة بن الحارث الأزدى له صحبة. نزل حمص. له حديث واحد، ثم أورد هذا. وقال أبو حاتم: خرشة شامى له صحبة، روى عنه أبو كثير المحاربى، وتعقبه ابن عبد البر وزعم أن الصواب أنه هو خرشة بن الحر... ولم يصب فى ذلك. والحق أنهما اثنان، وقد فرّق بينهما البخارى فذكر خرشة بن الحر فى التابعين وذكر هذا فى الصحابة، وكذلك صنع ابن حبان. وذكر الحاكم أبو أحمد فى ترجمة أبو كثير قول من قال عن أبى كثير عن خرشة بن الحر ووهّاه، وصوَّب أنه خرشة بن الحارث (الإصابة ١ / ١٠٨).

قال ابن السكن: له صحبة، نزل مصر. وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة وذكره ابن الربيع، وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد. وقال فى التجريد: له وفادة، وشهد

فتح مصر. وقال الحسينى فى رجال السند، خرشة بن الحارث أبو الحارث المرادى، نزل مصر. له صحبة ورواية عند ابن أبى حبيب(المحدثون فى مصر والأزهر / ٣١، ٣٢).

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ١ / ١٠٨، والمحدثون فى مصر والأزهر - أ. د. الحسينى هاشم، و أ. د. أحمد عمر هاشم / ٣١، ٣٢).

***الخرشوف:**

ذكره الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته المعروفة بالشقرونية، فقال يعدد منافعه ومضاره، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

٤٠٨ - *الخرشف الغضُّ على أنواعه*
يفضى لنفع بين فراعه

٤٠٩ - *فى طبعه الحر من اللطافه*
مع الطعام خذه لا مخافه

٤١٠ - *يخرج أخلاطا وريحا فاسده*
وفيه للأدران خير فائده

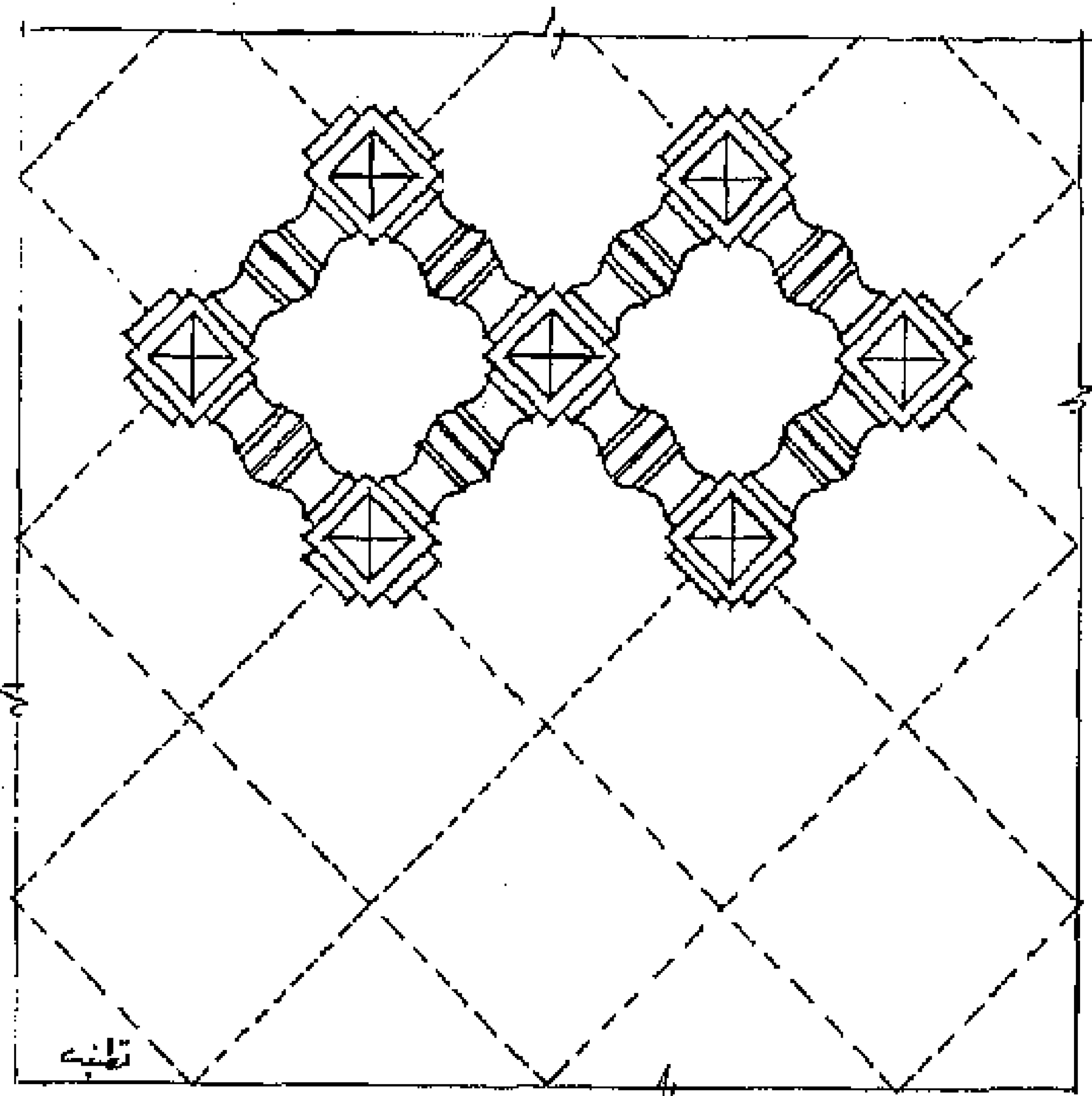
٤١١ - *ينفى الصنان ويطيب البدن*
ويذهب الخلط الردى والعفن

(الطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د. بدر التازى. تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٣٧).

***الخرط:**

قال عنه المهندس المستشار عبد السلام أحمد نظيف.

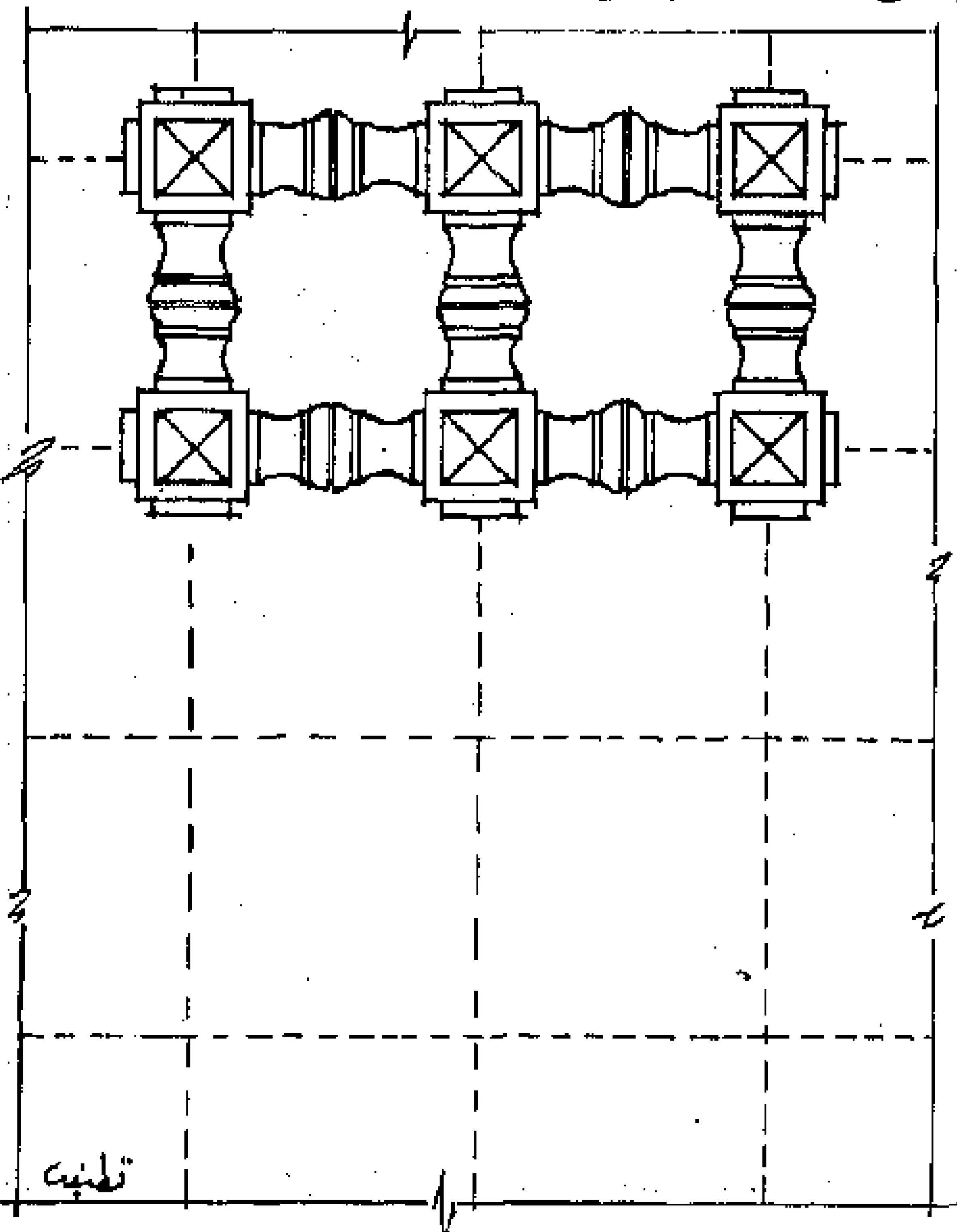
نشأ فن الخرط فى مصر مهد الحضارة من قديم الزمن - هذا الفن له متخصصون فى تصنيعه وتوارثوه أبا عن جد ولم يبق منهم الآن إلا نفر قليل وفى سن لا تسمح لهم بمزاولة هذه الحرفة، ولإحياء هذا الفن يجب تدريب الأجيال ورعايتهم الرعاية الكاملة التى تمكنهم من الاستمرار فى إنتاج هذا العمل اليدوى الدقيق خاصة وأنه يجد إقبالا كثيرا وتقديرا عظيما من معظم شعوب العالم التى تقدر العمل الفنى اليدوى وقد قامت بعض المخارط الآلية فى دول عديدة بإنتاج هذا الخرط بطريقة أوتوماتيكية.



٢ - خرط صهريجى ماثل (دمياطى)

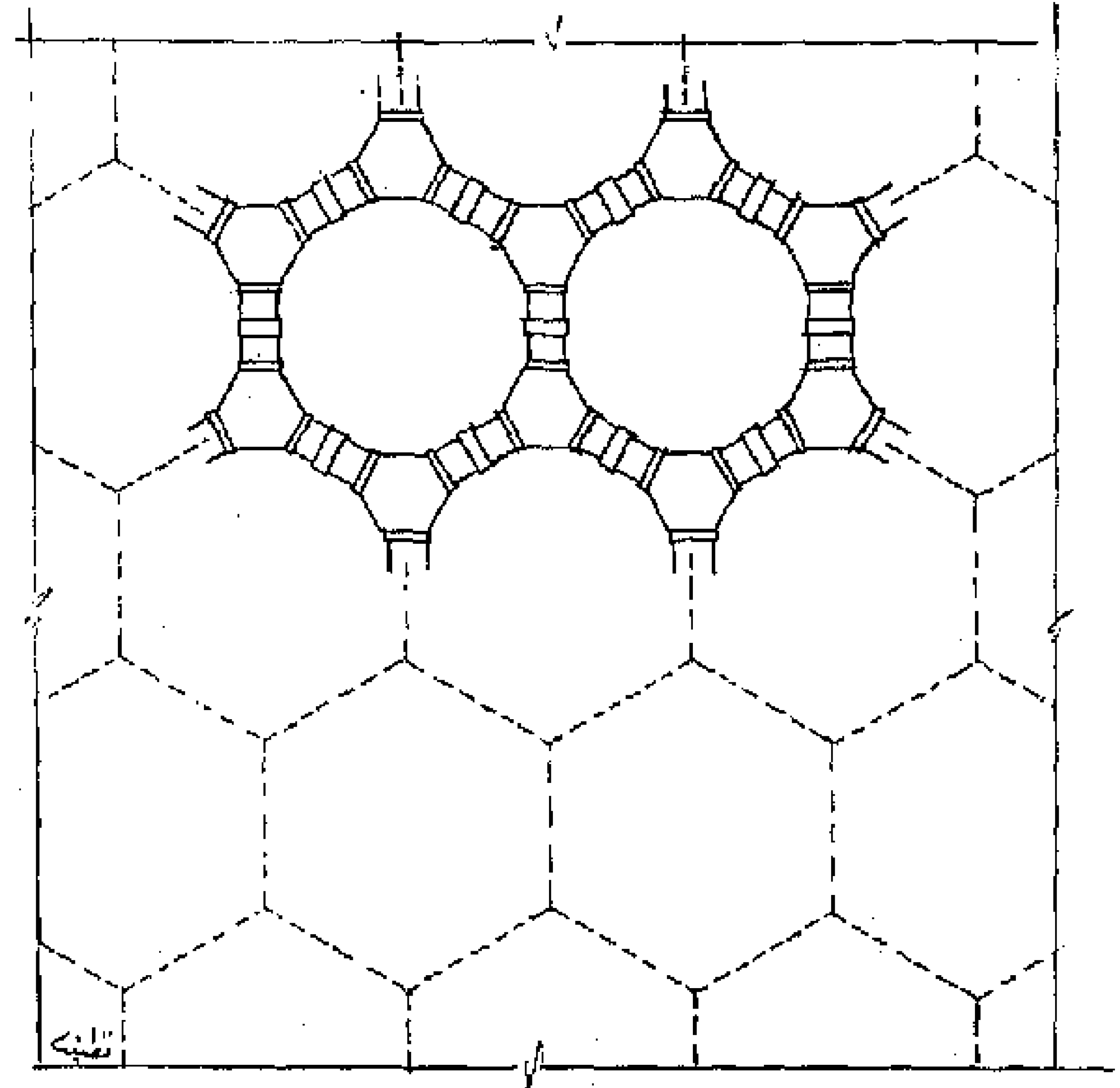
إن الخرط فيه من الإبدع ما تعجز عن تنفيذه الآلات الحديثة كالتطعيم بالصدف والعاج فى كل قطعة خرط.

وقد استعمل جميع أنواع الخرط فى المشربيات البارزة بالواجهات وفى القواطيع الداخلية سواء كانت ثابتة أو متحركة مثل (البارافان) كما استعمل فى الديكورات الداخلية فى العمارة الحديثة وكذلك فى نوافذ المساجد والقصور من الخارج وفى المنابر وكراسى السورة [المصحف].

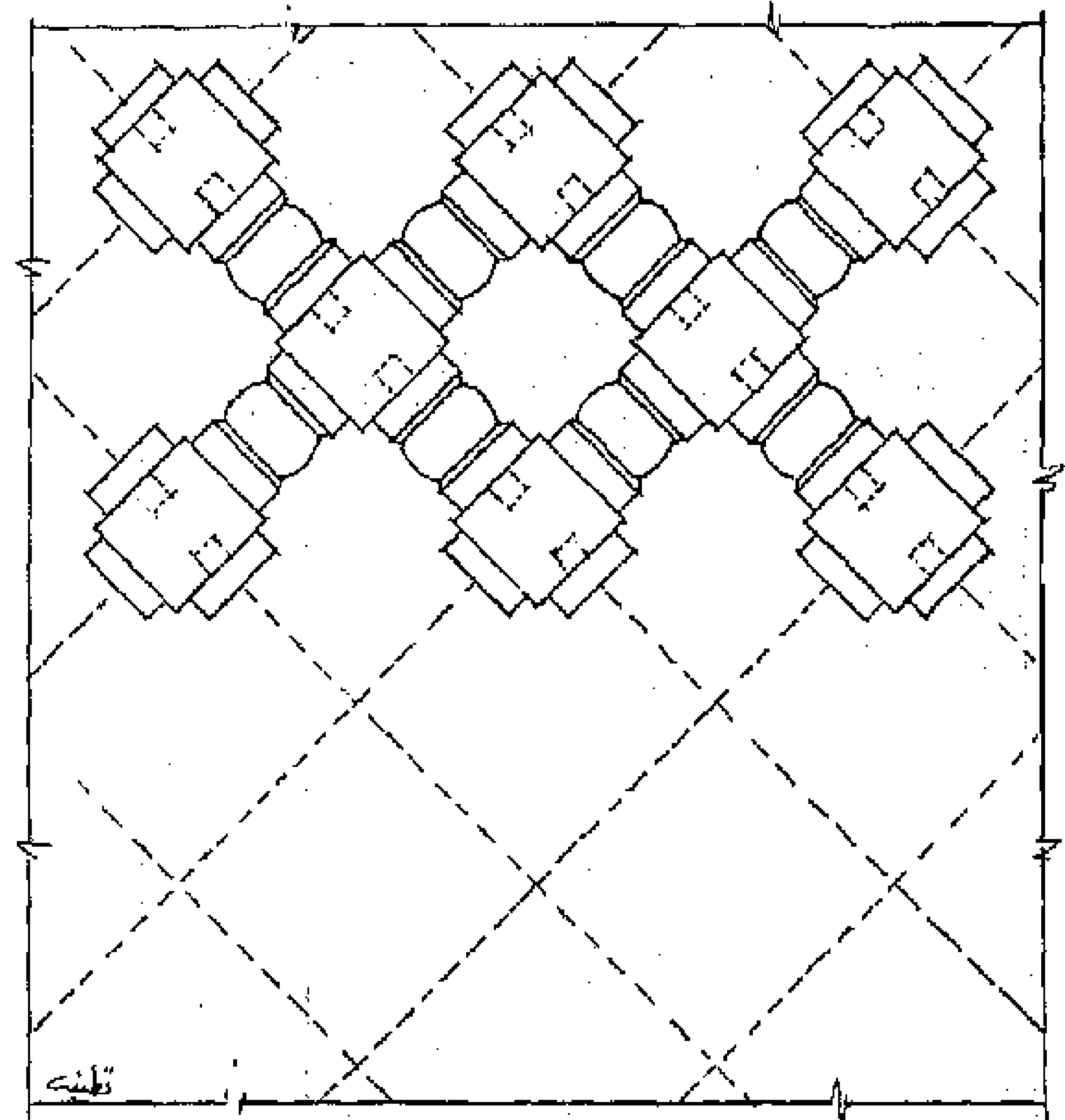


١ - خرط صهريجى

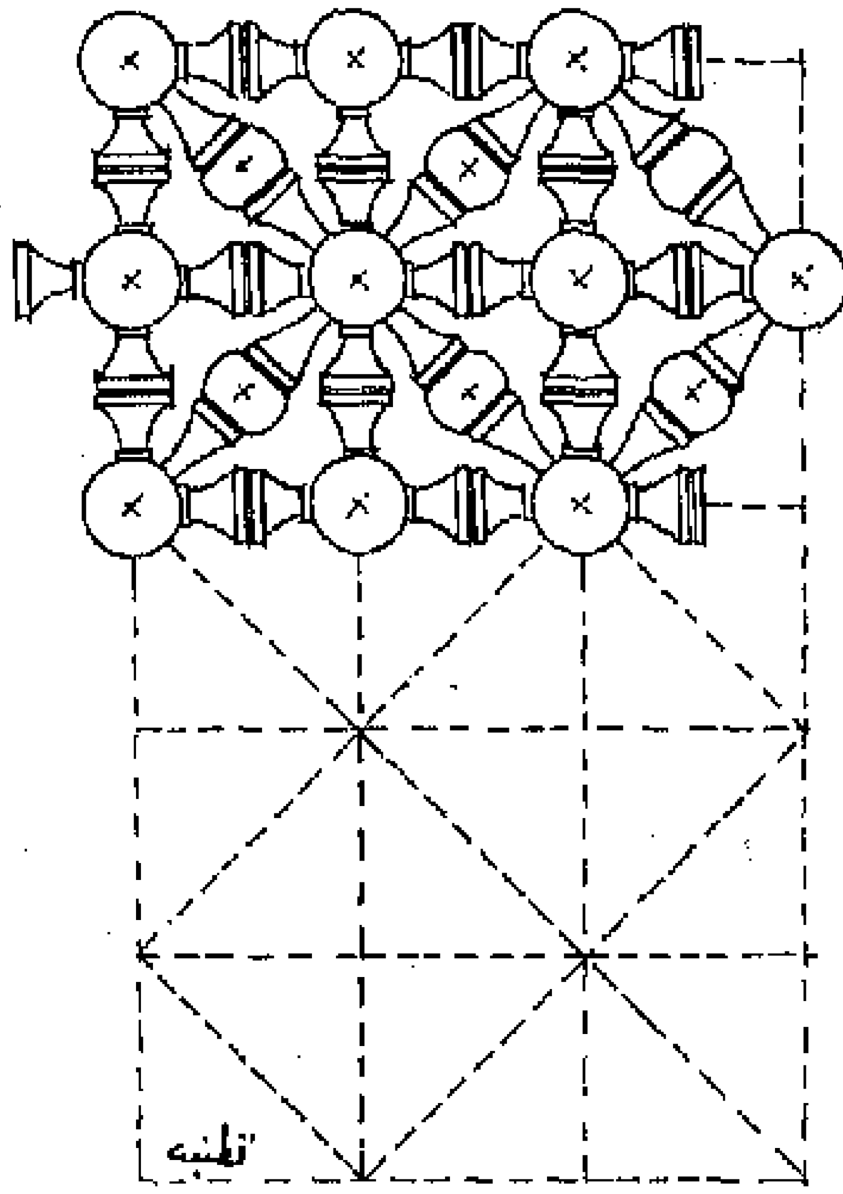
٤ - خـرط مفوق



ازدهـر الخـرط فى عصـر المـمـاليـك وخـاصـة صنـاعـة المشربيات، وهى أجزاء متشابكة من وحدات خشبية متشابهة فى الشكل والحجم ولـذلك أطلق عليهـا قـديما «شبكيـات» وهذه الأجزاء الخشبية عبارة عن قطع طولية ذات أسماك معينة سميت بالمصبعـات وتركب مع بعضهـا بطريقة أفقيـة ورأسية بطـريقـة التعشيق. ومع تقـدم العرب فـى العمارة الإسـلامية وفنونها أدخلـوا عليها الأساليب الفنية من تهـذيب هذه القطع



٢- نوع آخـر من الخـرط الصهريجي



٣- خـرط ميموني

وصقلها فخرجت منها أشكالا جميلة أسطوانية ومكعبة ومثمنة ومخروطية ومتقاطعة مع بعضها كما أضيف إلى هذه الأشكال الأسطوانية تخليق حلقات فى هـذه الاستدارة إما حلقات بارزة أو مجوفة فجاء الخرط غاية فى الجمال والإبداع وللخرط أنواع خمسة وهى الخرط الصهريجى، الخرط الصهريجى المائل، الخرط الميمونى، الخرط المفوق، البرامق الخشبية.

ثم يورد المهندس المستشار نظيف نماذج من هذه الأنواع الخمسة، وهى كما يلى موضحة بالصور:

نموذج (١) (الخرط الصهريجى)

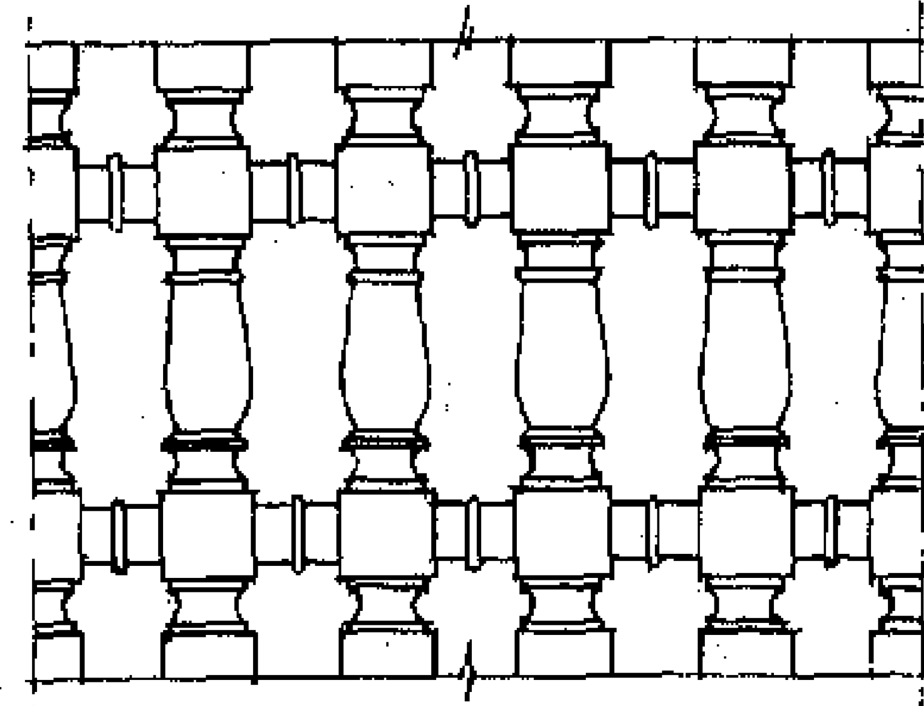
هو اصطلاح فى العمارة الإسلاميـة، وهذا النوع عبارة عن قطع من المكعبـات الخشبية متصلـة بقطع خشبية أسطـوانية الشكل وتركب فى اتجاهات رأسية وأفقية بطريقة التعشيق.

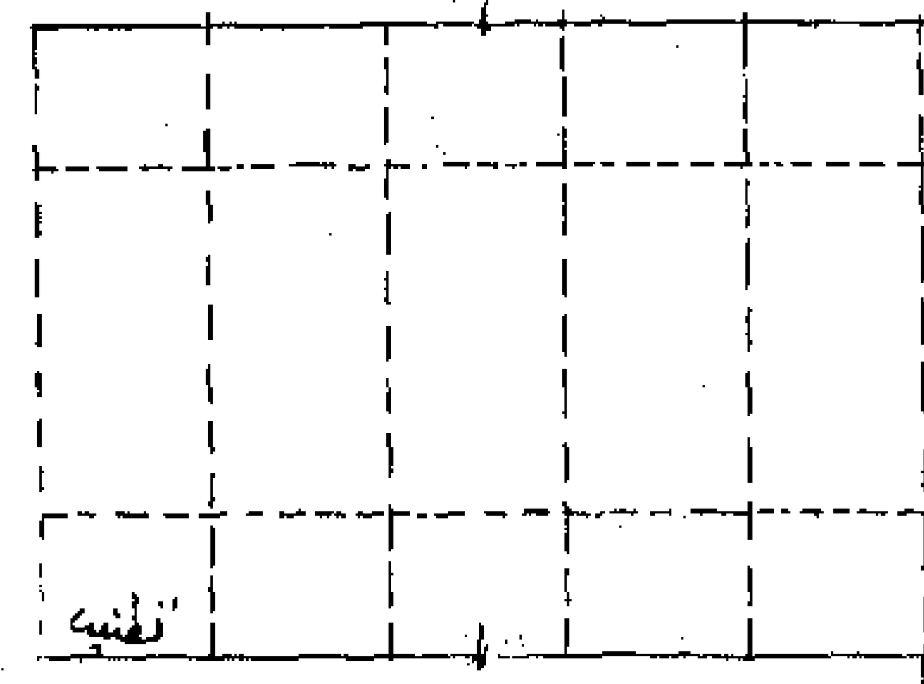
نموذج (٢) (الخرط الصهريجى المائل)

هـو نفس الخـرط السابق ولكـن وضعه يكـون مـائلا على زاوية مقدارها ٤٥ درجة كما يسمى أحيانا هذا النوع من الخرط بالدمياطى.

نموذج (٢) (الخرط الصهريجى المائل) «دمياطى»

مثال آخـر من الخرط الصهريجى المائل ويـلاحظ هنا أن المكعبات التـى بينها الخرط الـدائرى الجزء الأوسط مـن هذه المكعبات هرمية الشكل.





٥- خرط براامق رأسية

نموذج (٣) (الخرط الميموني)

هي قطع خشبية مخروطية الشكل مركزها كرة خشبية تأخذ هذه القطع ثمانية اتجاهات بادئة من المركز الذي هو الكرة الخشبية وبمعنى أوضح أربعة خطوط متقاطعة ومتعامدة تعطي هذه الاتجاهات الثمانية.

نموذج (٤) (الخرط المفوق)

عبارة عن وحدة هندسية مكررة تعطي تماما شكل خلية النحل ومحاورها توضح أن الخطين الرأسيين مع تقابلهما للأربعة خطوط المائلة على درجة ٣٠° من الجهتين تعطي شكل وحدة الخلية.

نموذج (٥) (البرامق الخشبية)

هي وحدات خرط طولية ورأسية بأطوال متساوية وتثبت بخطوط من الخرط الأفقية المتوازية في المكعب العلوي والمكعب السفلي لوحدة البرامق.

جميع أشكال الخرط التي لا تخرج عن هذه الأنواع استعملها العرب في المشربيات البارزة في الواجهات وفي القواطيع الداخلية التي تفصل بين جزء وآخر وتعبر عنصرا هاما في الطراز واستعملت أيضا كديكورات داخلية في العمارات الحديثة حيث إنها مكملة للشكل المعماري، واستعملت بالمساجد في النوافذ العليا من الخارج وفي المنابر وكراسي السورة [المصحف] وفي البرافانات، والخرط هذا من الدقة في التنفيذ وجمال نسبه مما حدى بالغربيين إلى استعماله في مساكنهم من الداخل كقواطيع تجميلية وكذلك استعمل في الأبواب المنخفضة الارتفاع في القاعات التي تتسم بهذا الطراز.

(دراسات في العمارة الإسلامية ــ إعداد ووضع المهندس الاستشاري عبد السلام أحمد نظيف / ٢٥٦ ـ ٢٦٩).

* **الخرططي:**

قال السمعاني:

الخَرْطَطي: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة الأولى وكسر الأخرى، هذه النسبة إلى خرطط، وهي إحدى قرى مرو، قريبة من شاوان في الرمل، على ستة فراسخ منها، ويقول الناس لها: خرطة، ومنها حبيب بن أبي حبيب الخرططي، من أهل مرو، يروي عن أبي حمزة محمد بن ميمون السكري وإبراهيم بن ميمون الصائغ وعبد الله بن المبارك، روى عنه أهل مرو، وكان يضع الحديث على الثقات، لا يحل [كتابة] حديثه ولا الرواية عنه إلا على سبيل القدح فيه. هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستي.

ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن بشر الخرططي، يروي عن أبي عبد الرحمن محمد بن إبراهيم الكرابيسي، روى عن محمد بن عيسى بن موسى السرخسي وغيره.

والقاسم بن جعفر الخرططي، سمع علي بن خشرم هكذا ذكره أبو زرعة السنجي.

(الأنساب للسمعاني ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٤٦. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠١)

* **الخرعوني:**

قال السمعاني:

الخَرْعُوني: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم العين المهملة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى خرعون، وهي قرية من قرى سمرقند من ناحية أبغر، ومن هذه القرية الأخوان

أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعونى، يروى عن على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وأبى رجاء قتيبة بن سعيد البغلانى والجارود بن معاذ الترمذى وسويد بن نصر الطوسانى وغيرهم، روى عنه أعين بن جعفر بن الأشعث ـ وحافده إسماعيل بن عمرو بن محمد بن حامد بن الخرعونى، تكلموا فيه وفى رواياته، ومات سنة إحدى وثلاثمائة.

وأخوه أحمد بن حامد الخرعونى، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبى الحسين على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى السمرقندى، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب ـ يعنى التفسير ـ والمشافهات مع أخى أحمد بن حامد من على بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا فى ثلاث سنين، وتوفى على بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا.

وأبو عمران موسى بن الحارث الخرعونى، ذكره أبو العباس المستغفرى فى تاريخ نسف، وقال: دخل نسف مرارا فى صغره وكبره، وكان يختلف معى فى كتاب الأدب إلى أبى على المؤدب، وكان يتعلم منى الأدب، رحل إلى بلخ، وسمع من أبى نصر بن أبى شداد وغيره، يروى عنه اليوم أبو بكر محمد ابن عبد الله النجار خطيب سمرقند، شاب.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٦، ٣٤٧. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١ / ٥٠٦).

*الخُرفُع:

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات.

خُرْفُعٌ: كقنفذ قال الليث هو القطن الفاسد فى براعيمه وهى الأكمة قبل أن تتفتق وقال غيره هو القطن عامة وقال أبو عمرو الخرفع ما يكون فى جراء العشر وهو حرّاق الإعراب وقال ابن جزلة هو ثمر العشر وله جلدة رقيقة إذا انشقت عنه ظهر منه مثل القطن وقال الدينورى الخرفع جنى العشر قال وقال أبو زياد: يخرج للعشر نفاخ كأنه شقاشق الجمال التى تهدر فيها ويخرج فى جوف ذلك النفاخ حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشونه المخاد والوسائد وقال أبو نصر ثمر العشر الخرفع حشوه زغب مثل القطن يحشى به ويقال هو القطن المندوف نقله الأزهرى وهو قول أبى عمرو الخرفع كزبرج كما زعم بعض الرواة وقال أبو مسحل القطن يقال له الخرفع بالكسر ومما يستدرك عليه الخرفع بكسر الخاء وضم الفاء لغة فى الخرفع. والخرفع كقنفذ وزبرج نقله صاحب اللسان عن ابن جنى.

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٠).

*الخَرَقانى:

قال السمعانى:

الخَرَقانى: بفتح الخاء المعجمة والراء والقاف المفتوحات وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى خرقان، وهى قرية فى جبال بسطام كبيرة كثيرة الخير على طريق أستراباذ إن شاء الله، منها شيخ عصره وفريد وقته أبو الحسن على بن أحمد الخرقانى، له الكرامات الظاهرة والأحوال السنية، كان قد راض نفسه وأجهدها، وكان ابتداء أمره أنه كان خربنده جا يكْرى الحمار ويحمل الأثقال عليه، وكان يقول وجدت الله فى صحبة حمار يعنى كنت خربنده جا لما فتح لى هذا الأمر وسلك لى فى هذا الطريق. قصده السلطان محمود وجرت بينه وبينه حكايات عجيبة، وهو أنه لما أراد أن يدخل عليه مسجده قدم بعض أقربائه ليتقدم إلى الشيخ وهل يعرف الشيخ أنه محمود أم لا؟ فلما رآه الشيخ أبو الحسن نادى: يامحمود! قدم من قدمه الله ـ قال بالعجمية آنراكه خداى فرابيش كرده است بكويدت كه فرابيش آيد. ثم جلس محمود بين يديه ووعظه ونصحه، وكان على باب المسجد غلام هندى ينظر إلى الشيخ فقال الشيخ له: تقدم ياغلام! فتقدم، فقال: يامحمود؟ تعرف هذا الغلام؟ فقال: لا؛ ثم قال: كم يكون فى عسكرك مثل هذا الأسود؟ قال: لعل يبلغ عددهم عشرة آلاف؛ فقال: ليس فيهم من الله تعالى نظر إلى قلبه إلا هذا، فقام محمود وعانقه وقال: آخ بينى وبينه، ثم قدم إليه صررا من الدنانير فما قبلها، فقال محمود: فرقها على أصحابك؛ فقال: ما لشكر را بيستكانى داده ايم وتو اين بلشكرخويش ده ـ يعنى أرزاق عسكرنا

وأصحابنا أعدت لهم ووصلت إليهم، فأعد أنت هذا لعسكرك. مات الشيخ أبو الحسن الخرقاني فى يوم الثلاثاء وهو يوم عاشوراء من سنة خمس وعشرين وأربعمائة وكان له يوم وفاته ثلاث وسبعون سنة.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٧، ٣٤٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، — ١ / ٥٠٦).

*** الخرقاني:**

قال السمعاني:

الخَرْقَاني: بفتح الخاء المعجمة والراء الساكنة والقاف المفتوحة بعدها الألف ثم النون، هذه النسبة إلى خرقان، وهي من قرى سمرقند، وبها رباط معروف يقال له رباط خرقان، منها القاضي أحمد بن الحسين بن يوسف الخرقاني يعرف بماه اندرجبه، كان واعظا، سمع الحديث من السيد أبى الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسينى العلوى، روى عنه عمر بن محمد النسفى إن شاء الله، وتوفى بالفارياب من نواحى جوزجانان فى أواخر شهر رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

وبكر بن عبد الله بن عبد الرحيم الخرقاني أحد الأئمة، ذكره عمر النسفي في كتاب القند وقال: توفى فى عصر يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ودفن بمقبرة جاكرديزة، قال: وأنا صليت عليه ولى منه أحاديث.

والحسين بن أبى شهاب بن أحمد بن حمزة بن الحسين ابن القاسم بن حمزة بن الحسن بن على بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب العلوى الخرقاني، أبوه أبو شهاب أخو السيد أبى شجاع، يروى عن الخطيب أبى القاسم محمود بن أحمد الزهرى، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى الحافظ، وتوفى بسمرقند فى رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة وهو ابن ست وسبعين سنة ودفن قبالة جامع سمرقند.

وأبو على الحسين بن يوسف بن أبى يعقوب الخرقاني الإمام الخطيب كان فقيها فاضلا وكان يدرس بسمرقند فى مدرسة رأس سكة عمور، يروى عن الإمام الخطيب أبى القاسم محمود بن أحمد الزهرى الخرقاني، سمع منه عمر بن محمد النسفي، وتوفى بسمرقند يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسمائه، ودفن بجاكرديزة، وكانت ولادته فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

وأبو بكر محمد بن جبريل بن يحيى بن جبريل بن صالح ابن يوسف الخرقاني الخطيب، يروى عن أبى القاسم محمود ابن أحمد الزهرى الخرقاني الخطيب، روى عنه عمر بن محمد النسفي، وتوفى فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ودفن بجاكرديزة، وكانت ولادته سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

وأبو محمد مسعود بن محمود بن أحمد الخرقاني الزهرى، كان عالمًا فاضلا، وكان خطيب خرقان بعد أبيه، وأراد قاضى القضاة أحمد بن سليمان فى زمن أحمد خان أن يكون نائبه فى القضاء بخرقان فأبى فقصده فهرب إلى كاشغر ومات بها وقد اكتهل.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٨، ٣٤٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٦).

*** الخرقة الصوفية:**

من المسائل التى لها صلة وثيقة بالصوفية هى إلباس الخرقة الصوفية، وهذه الخرقة من أركان الطريق الأربعة التى يقول عنها الدكتور توفيق الطويل: قالوا إن العصر العثمانى قد أقبل وللطريق فى مصر أركان أربعة لا يستقيم بغيرها، ولا يتولى المشيخة واحد من أهله إلا إذا توفرت فيه خصائص هذه الأركان - التى تهيأت لأرباب الطريق قبل العصر العثمانى فى عرف الداعين إليها - وهذه الأركان هى: تلقين الذكر، إدخال الخلوة، إرخاء العذبة، وهى الزيادة المدلاة من العمامة - وإلباس الخرقة: وهى عرقية وجبة ورداء، أو طاقية من القطن، أو هى الأثر قميصا أو رداء أو جبة أو عمامة !! (التصوف فى مصر / ٦٩، ٧٠).

وقد ألف الإمام السيوطى رسالة ردا على ابن تيمية، ويروى التاريخ أن السيوطى ألبس الشعرانى خرقة الصوفية. وقد قال

ابن الربيع الشيباني الزبيدي في كتابه «تمييز الطيب والخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث»:

«لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من عليّ قال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، وكل مايروى في ذلك صريحا فباطل.

ثم قال: إن من الكذب المفترى قول من قال إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة.

وهنا يأتي رأي السيوطي الدال على تحمسه للصوفية والدفاع عنهم. قال في رسالة له بعنوان «أتحاف الفرقة برفو الخرقة».

مسألة ــ أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب، وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقة وأثبته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه. وقد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة، فإنه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي وقيل لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في أطراف المختارة.

الوجه الأول ــ أن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم.

الثاني ـ أن الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر باتفاق وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر فدعا له «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسننه.

ثم قال: ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قتل عثمان وعلي إذا ذاك بالمدينة، فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة.

وزيادة على ذلك أن عليا كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها هو وأمه.

الوجه الثالث ــ أنه ورد الحسن ما يدل على سماعه منه أورد المزي في التهذيب من طريق أبي نعيم قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس عن يونس بن عبيد قال: سألت الحسن قلت يا أبا سعيد! إنك تقول: قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدركه؟.

قال يا ابن أخي: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ولولا منزلتك مني ما أخبرتك إني في زمان كما ترى ـ وكان في عمل الحجاج ـ كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا.

ثم أورد السيوطي أحاديث وردت في السنن الصحيحة فيها رواية الحسن عن علي. من ذلك ما رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن الحسن عن علي قال «سمعت رسول الله ﷺيقول: رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المصاب حتى يكشف عنه».

وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي عند الكلام على هذا الحديث: قال علي بن المديني: الحسن رأى عليًّا بالمدينة وهو غلام. وقال أبو زرعة: كان الحسن البصري يوم بويع لعلي ابن أربع عشرة سنة، رأى عليًّا بالمدينة ثم خرج إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك. وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع عليًّا. انتهى. ثم قال السيوطي: قلت وفي هذا القدر كفاية. ويحمل قول النافي على ما بعد خروج علي من المدينة.

ولم يكتف الجلال السيوطي بذلك، بل تناول الموضوع في كتابه «تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية»:

قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين بن الصلاح إمام

الشافعية والمحدثين فى عصره : لبس الخرقة من القرب، وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلا من سنة النبى ﷺ، وهو حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أن رسول الله ﷺ أتى بكسوة فيها خميصة فقال : من ترون أحق بهذه؟ فسكت القوم. فقال : ائتونى بأم خالد فأتى بها فألبسها إياها ثم قال : أبلى وأخلقى مرتين. رواه البخارى.

قال ابن الصلاح ولى فى لبس الخرقة إسناد عال جدا، وقد أخذها الحسن البصرى من على بن أبى طالب، وهو أخذها من النبى ﷺ. قال ابن الصلاح : وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلا إلى منتهاه على شرط أصحاب الأحاديث فى الأسانيد، فإن المراد ما تحصل البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادة الصالحين (صفحات من تاريخ مصر / ٢٨ ـ ٣٢).

(التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ـ د. توفيق الطويل. تاريخ المصريين (٢١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ / ٧١، وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة/ ٢٨ ـ ٣٢. انظر أيضا «إتحاف الفرقة برفو الخرقة» للحفظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المطبوع فى الحاوى للفتاوى ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٤).

*** الخرقة ونسبها :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٧١٥٩.

ـ رسالة فى لبس الخرقة الصوفية ومن لقى المؤلف من المشايخ والأولياء وبعض تراجمهم.

المؤلف : أبو بكر محمد بن أبى العباس أحمد التوزرى القسطلانى المتوفى سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م.

أولها : الحمد لله الذى نشر ألوية العارفين لطى نزعات الخطرات النفسانية، وستر ظاهر الموقنين بما كشف لظواهرها من طرقات اللحظات... أما بعد فقد سأل بعض السادة الأعيان من خُلَّص الإخوان... أن أعين من ألبسنى الخرقة...

آخرها : ورأيت الشيخ أبا السعود الواسطى وانتفعت به ومن تركنا أضعاف من ذكرنا غير أن هذا لذوى الألباب... فهو لما يؤمل من فضله أهل وهو بكل شىء عليم.

الخط نسخ معتاد، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر

مصادر عن الرسالة : الكشف ١/ ٦٢ وجاء اسمها : ارتفاع الرتبة باللباس والصحبة.

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٨/ ٢٩٩، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٧.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٧، ٤٩٨).

انظر : رسالة فى إلباس الخرقة، رسالة فى الخرقة القادرية، رسالة فى لبس الخرقة الشريفة لأهل الطريقة، سلسلة النسبة المتواترة بين المريدين فى لبس الخرقة وأخذ العهد والتلقين، سند لبس الخرقة والتلقين والصحبة، نسب الخرقة.

*** الخَرَقى :**

قال السمعانى :

الخرقى : بفتح الخاء المعجمة والراء وفى آخرها القاف، هذه النسبة إلى خرق، وهى قرية على ثلاثة فراسخ من مرو، بها سوق قائمة وجامع كبير حسن، والمشهور بالنسبة إليها أبو قابوس محمد بن موسى الخرقى، يروى عن المقرئ وغيره، لا بأس به.

وعبد الرحمن بن بشير الخرقى يعرف بمردانه، يروى عن حدير وغيره، وكان فاضلا، روى عنه أحمد بن سيار الإمام، أثنى عليه أبو زرعة السنجى، وقال : عبد الرحمن بن بشير الرجل الصالح يعرف بمردانه، من قرية خرق، سمع جريرا وابن عيينة.

وأبو مذعور محمد بن عبيد الله الخرقى المروزى، حدث عن إسحاق بن منصور وعلى بن حجر وعلى بن خشرم وغيرهم.

وإسحاق بن الليث الجدى الخرقى سكن قرية خرق، حدث عنه ابنه.

والحسن بن رشيد الخرقى، من القدماء، يروى عن

عبد الله بن جريج، روى عنه جماعة ذكره أبو زرعة السنجي.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن قطن الخرقى، كان عالما بالعربية ومسائل مالك، من قرية خرق - هكذا ذكره أبو زرعة السنجي.

وجماعة كثيرة من أهل هذه القرية سمعت منهم ؤهم أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى بشر الخرقى، فقيه فاضل متكلم يعرف الأصول، أقام بنيسابور مدة، سمع أبا بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى وأبا الحسن على بن أحمد بن محمد المدينى، سمعت منه بقرية خرق، وتوفى سنة نيف وثلاثين وخمسمائة.

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الخرقى قاضى خرق، من أولاد العلماء، سمع أباه وجدى الإمام أبا المظفر السمعانى، كتبت عنه بقريته، وتوفى فى حدود سنة أربعين وخمسمائة.

(الأنساب للسمعانى - تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٧).

* **الخِرَقى:**

قال السمعانى:

الخِرَقى: بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وفى آخرها القاف، هذه النسبة إلى «بيع الثياب والخرق» منهم جماعة ببغداد وأصبهان، وأبو على الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى الحنبلى، والد عمر بن الحسين صاحب المختصر الفقيه على مذهب أحمد بن حنبل، حدث عن أبى عمر الدورى المقرئ وعمرو بن على البصرى والمنذر بن الوليد الجارودى ومحمد بن مرداس الأنصارى وغيرهم، روى عنه أبو بكر الشافعى وأبو على بن الصواف وعبد العزيز بن جعفر الحنبلى.

وأبو طاهر عمر بن عمر بن محمد بن على بن عمر بن يوسف بن محمد بن عمرو بن زاده الدلال الخرقى، من أهل أصبهان، سمع أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المقرى، وروى عنه نسخة جويرية بن أسماء ونسخة ورقاء، روى لنا عنه الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال، ولم يحدثنا عنه سواه، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، وكان أميًّا.

وأبو العباس أحمد بن بن محمد بن أحمد بن محمد الخرقى، من أهل أصبهان، حدث عن أبى على الحسن بن عمر بن يونس الحافظ الأصبهانى، سمعت منه بأصبهان، وقرأت عليه الأربعين التى جمعها أبو عبد الرحمن السلمى بروايته عن ابن يونس عنه.

وأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد بن عبد الحميد الخرقى، المعروف بابن حمدى، من أهل بغداد سمع القاسم بن زكريا المطرز ومحمد بن طاهر بن أبى الدميك وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى وعلى بن إسحاق ابن زاطيا والهيثم بن خلف الدورى وعمر بن الحسن الحلبى وبشر بن أنس الموصلى وشعيب بن محمد الذارع وأحمد بن خالد البرتى وعبد الله بن يزيد الدقيقى ومحمد بن الحسن الخواتيمى ومحمد بن هارون الحضرمى، روى عنه أبو الحسن الدارقطنى وأبو بكر أحمد بن محمد البرقانى ومحمد بن الفرج البزاز وعلى بن أحمد بن عبد السلام المقرى وأبو الحسن العتيقى وأبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهرى فى آخرين، وكان ثقة أمينا وتوفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

وأبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى، من أهل بغداد، صاحب الكتاب المختصر فى الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان فقيها صالحا سديدا شديد الورع، قال القاضى أبو يعلى بن الفراء: كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة وأودع كتبه، قال فحكى لى عن أبى الحسن التميمى أنه قال: كانت كتبه مودعة فى درب سليمان، واحترقت الدار التى كانت فيها، واحترقت الكتب أيضا، ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد، ومات الخرقى بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (الأنساب ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠).

وكتابه «المختصر» فى الفقه يعرف بمختصر الخرقى، وهو

أهم متن فى الفقه الحنبلى، شرحه كثيرون وأشهرها شرح ابن قدامة فى «المغنى» وتخرج على الخرقى جماعة من شيوخ المذهب (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٤٢) وشرحه أيضا الشيخ الإمام أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء الحنبلى.

قال صاحب كشف الظنون: والناس يتبركون بقراءته فى أيام الوباء (كشف الظنون ٢ / ١٤١٥، ١٤١٦)

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤٤٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٤١٥، ١٤١٦. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٧).

*** الخَرْكُوشى:**

قال السمعانى:

الخَرْكُوشى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الكاف وفى آخرها الشين، هذه النسبة إلى خركوش وهى سكة نيسابور كبيرة، كان بها جماعة من المشاهير مثل أبى سعد عبد الملك بن أبى عثمان محمد بن إبراهيم الخركوشى الزاهد الواعظ أحد المشهورين بأعمال البر والخير، وكان عالما زاهدا فاضلا، رحل إلى العراق والحجاز وديار مصر، وأدرك العلماء والشيوخ، وصنف التصانيف المفيدة، سمع القاضى أبا محمد يحيى بن منصور بن عبد الملك وأبا عمرو إسماعيل ابن نجيد السلمى وأبا على حامد بن محمد بن عبد الله الرفاء وأبا سهل بشر بن أحمد الإسفراييني وعلى بن بندار الصوفى وأبا أحمد محمد بن محمد بن الحسين الشيبانى وأقرانهم، روى عنه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال والحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو القاسم الأزهرى وعبد العزيز بن على الأزجى وأبو القاسم التنوخى وجماعة سواهم آخرهم أبو بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى، تفقه فى حداثة السن وتزهد وجالس الزهاد المجردين إلى أن جعله الله خلفا لجماعة من تقدمه من العباد المجتهدين والزهاد القانعين، وتفقه للشافعى على أبى الحسن الماسرجسى، وسمع بالعراق بعد السبعين والثلاثمائة، ثم خرج إلى الحجاز وجاور حرم الله وأمنه مكة صحب بها العباد الصالحين، وسمع الحديث من أهلها والواردين، وانصرف إلى نيسابور ولزم منزله وبذل النفس والمال للمستورين من الغرباء والفقراء المنقطعين بهم وبنى دارا للمرضى بعد أن خربت الدور القديمة لهم بنيسابور، وقام جماعة من أصحابه المستورين بتمريضهم وحمل مياههم إلى الأطباء وشراء الأدوية، وصنف فى علوم الشريعة ودلائل النبوة وفى سير العباد والزهاد، كتب نسخها جماعة من أهل الحديث وسمعوها منه، وصارت تلك المصنفات فى بلاد المسلمين تاريخا لنيسابور وعلمائها الماضين منهم والباقين. وكانت وفاته فى سنة ست وأربعمائة بنيسابور، وزرت قبره غير مرة.

وأبو الفتوح عبد الله على بن سهل بن العباس الخركوشى من أهل هذه السكة شيخ صائن عفيف، مليح الشيبة، ثقة صدوق، سمع أبا القاسم إسماعيل بن زاهر النوقانى وأبا عمرو عثمان بن محمد بن عبد الله المحمسى وأبا بكر أحمد بن على ابن خلف الشيرازى وأبا الفضل محمد بن عبيد الله الصرام وغيرهم، كتبت عنه بنيسابور فى النوبة الأولى، ورحلت بابنى إلى نيسابور فى الكرة الثالثة وأكثر عنه، وقرأت عليه أكثر التاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوى، وكانت ولادته فى شعبان سنة ست وستين وأربعمائة ووفاته فى شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة بنيسابور.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٥٠، ٣٥١. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٧، ٥٠٨).

*** الخَرْم:**

فى علم العروض والقافية: هو حذف الميم من مفاعيلن ليبقى فاعلين فينقل إلى مفعولن، ويسمى أخرم (التعريفات / ١٣٢).

وأصل الخَرْم فى اللغة ذهاب بعض الشىء، ومنه الخَرْم فى الأنف «والأخرم من الشعر» عند الخليل «ما كان فى صدره وتد مجموع الحركتين فخرم أحدهما وطرح، كقوله:

إنَّ امْرَءًا قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً
إلى مثلها يرجو الخُلُود لجاهلُ

قال الخليل: تمامه: وإنَّ امرءا»

فالخَرْم هو حذف أول متحرك من الوتد المجموع فى أول البيت، يكون فى فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن. وإذا كان الجزء أوله سبب وزوحف فصار أوله وتدا، فإن بعضهم يجيز فيه الخرم تشبيها بما أوله وتد أول. وبعضهم لا يجيز الخرم فيه لأن الأصل أن أوله كان سببا. ومن يجيز الخرم فى فعولن فى الجزء الذى يقع فى أول النصف الثانى من البيت يشبهه بالجزء الذى يقع فى أول البيت، كقوله:

وَعَيْنٌ لهـا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مـآقيهمـا من أُخَرْ

ومن أمثلة حدوثه فى أول الجزء الأول من النصف الثانى من البيت قول الأعشى:

موتوا كراما بأسيافكم
فالموت يجشمه من جشم

وقد يقع الخرم فى الطويل والمتقارب والهزج والوافر والمضارع والكامل، ومن أمثلته فى الكامل:

غير أن كُثْر الأسود وأهلكت
صرف المنون أكابر الأقوام

فاعلن.

أصلها متفاعلن فحذف حرفان. وهنا جاء الخرم بعد الوقص والأخرم لقب لكل ما أصابه الخرم. وإن اختص أحيانا بأول الهزج، ويقابله فى الوافر الأقصم، وإن اجتمع مع الخرم زحاف تغير المصطلح كالأثلم، والأخرب، والأثرم، والأعقص ... إلخ. (معجم مصطلحات العروض والقافية / ١٠١، ١٠٢).

قال صاحب العمدة:

وقد يأتون بالخرم كثيرا ــ وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت ـ وأكثر ما يقع فى البيت الأول، وقد يقع قليلا فى أول عجز البيت، ولا يكون أبدا إلا فى وتد، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه، وأجازه الناس، أنشده الجوهرى:

قدمت رجلا فإن لم تزع
قدمت الأخرى فنلت القرار

وأنشد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى لامرئ القيس:

لقد أنكرتنى بعلبكُّ وأهلها
وابن جريح كان فى حمص أنكرا

هكذا روايته، ورواه غيره * ولَابْنُ جريح * بغير خرم. فإذا اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرم، وهو قبيح. وهذان عيبان تدلك التسمية فيهما على قبحهما؛ لأن الخرم فى الأنف، والثرم فى الفم، إنما كانت العرب تأتى به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر، ثم يرى فيه رأيا فيصرفه إلى جهة الشعر؛ فمن ههنا احتمل لهم وقبح على غيرهم. ألا ترى أن بعض كُتَّاب عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبى تمام فى قوله:

** هُن عوادى يوسف وصواحبه **

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب (العمدة ١ / ١٤٠، ١٤١).

(التعريفات للشريف الجرجانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٢، ومعجم مصطلحات العروض والقافية ــ د. محمد على الشوابكة، و د. أنور أبو سويلم / ١٠١، ١٠٢، والعمدة فى محاسن الشعر ونقده لابن رشيق ـ حققه وفصّله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ١٤٠، ١٤١).

*** الخُزَم:**

وهو عند المغاربة السوسن الأزرق. قال ابن وحشية: هو نبات ينبت فى البساتين، ذو أوراق قليلة العرض يحمل زهرا متفرق الورق، لونه بنفسجى، بل هو أحسن من البنفسج، وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمونه ويتبركون به لأن شمه والنظر إليه يحدث سرورا فى النفس ويفرحها ويزيل غمها المعترض لها بلا سبب، وإذا أمسك إنسان ورقة فى كفه، حبب إلى كل من ينظر إليه، ولم يذكر أحد كيفية إفلاحه لكونه مما ينبت لنفسه زمن الربيع والله أعلم.

الوصف والتشبيه:

قال بعض الأندلسيين (الخفيف)

بز ثوب البهاء والـلألاء
زهر الروض خُرَّم الصحراء

عـــاف لـــون البيـــاض ثـــوب أخيـــه
وتبـــــدى فـى حلـــــة زرقـــــاء
لـــو حـــواهـــا الطـــاووس أصبح
لاشـك منهـــا يملك طيـــر الهـــواء
عـــزة فـى طبـــاعــــه وعلـــو
قـــد أنـــافـــا بـــه على العليـــاء

يريد بأخيه السوسن الأبيض.

(مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقي العمد / ٢٧٣).

*** الخرنوب (أو الخروب):**

الخرنـوب هـو الخروب، وقـد ورد بـالاسمين فى معجم النباتات كما يلى:

خـروب: كتنـور نبت معـروف والخرنـوب بـالضم على الأفصح وقد تفتح هذه الأخيرة واحدته خرنوبة وخرنوبة، أبدلوا النـون من إحدى الـراءين كـراهية التضعيف وقـال أبو حنيفـة [الدينورى] هو شجر برى وشامى بريه يسمى الينبوتة شوك أى ذو شوك وهو الذى يستوقد به يرتفع قدر الذراع ذو أفنان وحمل أجم خفيف كالتفاح هكـذا فى النسخ والصحيح النفاخ بضم النون وتشديـد الفاء وآخره خاء معجمـة لكنه بشع لا يؤكل إلا فى الجهد وفيه حب صلب زلال وشاميه وهو النوع الثانى حلو يؤكل ولـه حب كحب الينبوت إلا أنـه أكبر ذو حمل كـالخيار شنبر إلا أنه عـريض وله رب وسويق. وفى التهذيب الخـرنوبة والخروبة شجـر الينبوت وقيل الينبوت الخشخـاش قال وبلغنا فى حديث سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أنه كـان ينبت فى مصلاه كـل يوم شجـرة فيسألهـا ما أنت فتقـول شجرة كـذا أنبت فى أرض كذا أنـا دواء من داء كذا فيؤمـر بها فتقطع ثم تصـر ويكتب على الصـرة اسمها ودواؤهـا حتى إذا كان فى آخـر ذلك نبتت الينبوتـة فقال لهـا ما أنت فقـالت أنا الخـروبة وسكتت فقـال سليمان الآن أعلم أن الله قـد أذن فى خراب هـذا المسجد وذهـاب هذا الملك فلم يلبـث أن مات كـذا فى لسـان العـرب.

والخروب والخـرنوب شجر ينبت فى جبال الشـام له حب كحب الينبوت يسميـه صبيان أهل العراق القثاء الشـامى وهو يابس أسود (معجم النباتات / ٥١).

قال عنه داود الأنطاكى:

خرنوب: وقـد تحذف النون، نوعـان شامى يسمى القريط وهو شجر أعظم من شجر الجـوز جبلى لا يوجد إلا فى البلاد الـزائد عرضهـا على الميل وينمـو فى الجبال الشـامخة ورقـه مستدير إلى الغليظ وزهـره إلى الذهبية وحمله قـرون نحو شبر وأقل، وقد حشى حبا مفرطحا يوزن به الذهب. وأجوده الغليظ الشحم الصـادق الحلاوة الـرقيق القشر الـذى لم يجاوز سنـة وغيره ردىء ويقطف ببابـه (أكتوبر) وهو بـارد فى الأولى يابس فى الثـانية فإذا اشتـدت حلاوتـه ونضـج صار حـارا فى الأولى يخصب البدن ويولـد خلطا جيدا إذا انهضم وينفع من الفتق إذا أكل ببزره ويـدر البول بالـدبس وتدلك به الثـآليل فيقطعها وقبل بلـوغـه يروِّب اللبن إذا طـرح فيـه فيصير لذيـذا يقـارب القـريشة ويفتح الشهـوة ويسمن بـالتجربـة ويـزيل السعـال المزمن ويعصر منه دبس يسمـى الرب تستعمله أهل مصر فى إسهال الخلط المحترق وغلبـة الحر لبرد فيه بـالنسبة إلى باقى الحلاوات. وكثيرا مايشـربونه باللبن فيصلح لكنه يـولد الرياح الغليظة المـزمنة وهـو جيد لأوجاع الصـدر مقو للمعـدة وبزر الخـرنـوب إذا دق وطبخ وضمـد بـه حلل الأورام ومنع بـروز المقعدة وقطع النزف ونوع نبطى ويقـال برى ويسمى البطريون وهو شـوك بين أوراق دقيقة ينبت بالقطن والبطيخ كثيرا يطول نحو ذراع بفروع زاهية وحمله كالكلية الصغيرة ولا يختص بزمن لكن فى الأغلب يدرك بآب (أغسطس)...

وهذا بارد يابس فى الثـانية عفص قابض يرض وينقع وتبل فيـه الثيـاب المصبـوغـة فيقطمهـا عن نفض الصبغ مجـرب ويسهل بالعصـر كالسفرجل ويقطع الـدم حيث كان ويحبس الإسهـال المـزمن ويثبت الأسنـان وقشـره يقلعها بـلا حـديـد ويسقط الثآليل وإذا عجن مع الحناء وخضب بـه الشعر طوّله وشده وحسنـه وإن لوزم منع الشيب وإن خضب بـه البدن منع الإعياء وقوى الأعضاء وماؤه مع ماء الآس ينقى الأجساد ويثبت

الصاعد وهو يؤكل فى المجاعة خبزا كذا فى الفلاحة والخرنوب بأسره ردئ للمعدة بطئ الغذاء يولد السوداء ويصلحه الحلو (التذكرة / ١٣٧).

وأورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

خرنوب ــ «ع» هو الخرنوب الشامى، وقوته قوة مجففة، فى ثمرته شىء من الحلاوة، وهى ما دامت غضة بإطلاق البطن أحرى، وإذا جففت حبست البطن من طريق أن رطوبتها تنحل، وهو يولد دما رديئا وفيه خشبية، وهو عسر الانهضام، ولا ينحدر ولا يخرج عن البطن سريعا وإن دلك الثآليل بالخرنوب الفج دلكا شديدا أذهبها البتة، والخرنوب الشامى ثلاثة أنواع، وهو حار فى الدرجة الأولى، يابس فى آخر الثانية، وهو حار حابس للبطن، قاطع لدم الطمث إذا جرى فى غير وقته، وهو ردىء للصدر والرئة، مقو للمعدة، وأفضل أنواعه الصندلانى، فهو ألين من النوعين الآخرين، وأقوى حلاوة من جميعها، وأكثرها خشبية، وهو المأكول، والنوع الآخر يقاربه فى حلاوته، غير أنه أخشن جسما وأقوى، وهو شديد القبض، ظاهر اليبس، ومنه يتخذ فى الشام رب الخرنوب. ومن أعجب مافيه من قوة القبض: أنه إذا أكل على الريق حبس البطن، بالذى فيه من قوة القبض، وإذ طحن ونقع فى الماء واعتصر، واتخذ من مائه الرب المسمى برب الخرنوب، كان مطلقا للبطن، مائلا إلى البرودة والرطوبة، محركا للمرار الأصفر، بسرعة استحالته إلى جوهرها إذا وافاها فى المعدة. وأما الخرنوب البرى فإنه نحيف القرون دقيقها ضئيل لا حلاوة له ولا طعم، وليس ينتفع بثمرته بشىء، وإنما ترتعيه المعز. والخرنوب الهندى هو الخيار شنبر، والخرنوب النبطى هو خرنوب الشوك، وخرنوب المعزى، وهو الينبوت بالعربية، وخرنوب مصرى، وخرنوب قبطى، هو خرنوب شجر السنط، ومن هذا الخرنوب يعتصر الأقاقيا بالديار المصرية فى حين غضاضته، ويقال لعصيره: رب القرظ.

«ج» الخرنوب الشامى: المجفف منه أصلح من الرطب، وهو قابض بارد يابس، يبسه فى الدرجة الثانية، وقيل إنه حار فى الدرجة الأولى، وهو يعقل البطن مع جلاوته ولا يلذع، والرطب يطلق، واليابس ينفع من الخلفة، والفج إذا دلكت به الثآليل أذهبها. والخرنوب النبطى يقال له خروب، بغير نون، وهو خروب الشوك ويسمى قضم قريش وهو بارد قوى القبض، يابس فى الدرجة الثالثة، يذهب الثآليل إذا دلكت به دلكا شديدا، والمضمضة بطبيخه تقوى الأسنان والجلوس فى طبيخه يقوى السفل، وهو نافع من سيلان الدم المفرط أكلا واحتمالا، وينفع من المغص والإسهال، وخلطه ردىء القتل، خاصة إذا أكل رطبا.

«ف» هو ثلاثة أصناف: نبطى، وشامى، وبرى. أجودها الشامى المجفف، بارد يابس فى الثانية، يعقل الطبع. والنبطى ينفع من بروز الرحم والبواسير. والشربة: خمسة دراهم (المعتمد ١ / ١١٩، ١٢٠).

وقد أورده تحت اسم «خروب» الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته المعروفة بالشقرونية فى بيتين نسوقهما هنا مع الاحتفاظ بالأرقام التى وردت فى النص. قال الناظم :

٣٣٥ ـــ *والحر ثم اليبس فى الخروب*

وهو عسير الهضم ذو خطوب

٣٦٣ ـــ *يصير خلطا جيدا إذا انهضم*

ويعقل البطن إذا حل السقم

(الطب العربى / ١٢٥)

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى / ١ / ١٣٧، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١١٩، ١٢٠).

والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٢٥ . انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣١٩).

*** الخروب:**

انظر: الخرنوب

*** الخروب الهندى:**

انظر الخيار شنبر

*** الخروبى (٥٢٢ هـ):**

أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى الوادى آشى، أبو العباس - وقيل أبو عبد الله - الخروبى، من أهل وادى آش، قال ابن الزبير: كان فقيها جليلا، نحويا لغويا أديبا. روى عن أبى الوليد بن رشد، وأبى القاسم بن الحصار المقرئ، وأبى عبد الله بن أبى العافية، وأبى عبد الله المازرى (بغية الوعاة ١ / ٣٨٢، وطبقات المفسرين للداودى ١ / ٨٥)

وعن أبى بحر سفيان بن العاصى، وأبى بكر بن غالب بن عطية، وأبى الحسين شريح، وأبى على الصدفى، وأبى الحسن بن الباذش، وابن خيرة، وعبد الحق بن غالب بن عطية، وأجازه المازرى.

وروى عنه أبو الخطاب بن واجب، وعبد المنعم بن الفرس، وأبو ذر الخشنى وأبو عبد الله الأندرشى وجماعة أجلاء فضلاء.

وكان فقيها عارفا متقنا للقراءات وأصول الفقه وعلم الكلام، حسن القيام على تفسير القرآن العظيم. محدثا راوية مكثرا، حسن المشاركة فى كثير من فنون العلم، يغلب عليه حفظ اللغة والآداب، مقدما فى كل ما ينتحله، موفور الحظ من علم العربية، يقرض يسيرا من الشعر، واستقضى ببلده فشكر.

توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة (طبقات المفسرين للداودى ١/ ٨٥، ٨٦)

(بغية الوعاة للحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٣٨٢، وطبقات المفسرين للداودى - بتحقيق على محمد عمر ١ / ٨٥، ٨٦. انظر أيضا طبقات المفسرين للسيوطى - بتحقيق على محمد عمر / ٣٣).

*** الخرُّوبية (مدرسة -):**

عدد على مبارك نقلا عن المقريزى ثلاث مدارس بهذا الاسم جاء بيانها كما يلى:

المدرسة الخروبية

قال المقريزى: هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر. أنشأها كبير الخرُّاربية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها، ثم واو ساكنة بعدها ياء موحدة ثم ياء آخر الحروف - التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة، وأنشأ أيضا ربعين بخط دار النحاس من مصر على شاطىء النيل، وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته، ومات بدر الدين هذا سنة اثنتين وستين وسبعمائة أنتهى.

وهذه المدرسة: هى المعروفة الآن بجامع القبوة بمصر القديمة.

المدرسة الخروبية

قال المقريزى: هذه المدرسة بخط الشون قبلى دار النحاس من ظاهر مدينة مصر. أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى، وهى أكبر من مدرسة عمه بدر الدين إلا أنه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس ولا طلبة، ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة، ونشأ فى دنيا عريضة رحمه الله تعالى انتهى.

أقول: والذى يغلب على الظن أن الباقى من هذه المدرسة هو الضريح المعروف اليوم بضريح سيدى شاهين المغربى، الكائن على يسرة السالك فى طريق مصر القديمة بقرب بيت الست البارودية من الجهة القبلية، وهذا الضريح داخل مزار صغير وعليه قبة مرتفعة، ومغروس أمامه من الجهة

الغربية بعض أشجار، وهناك بئر ماء معينة بناؤها قديم.

المدرسة الخروبية

قال المقريزى: هذه المدرسة على شاطىء النيل من مدينة مصر. أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل أخيه عز الدين قبلية على شاطىء النيل، وجعل فيه هذه المدرسة، وهى ألطف من مدرسة أخيه، وبجوارها مكتب وسبيل، ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرس حديث فقط، ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمسة وثمانين وسبعمائة أنتهى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٥، ١٦).

*** الخروج:**

فى علم العروض والقافية:

الخروج بثلاثة أحرف وهى الألف والواو والياء يتبعن هاء الضمير إذا كانت وصلا. وإنما سمى خروجا لبروزه وتجاوزه للوصل التابع للروى. ومن أمثلة الخروج: الألف كقوله:

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أجمالها

فاللام روى والهاء وصل والألف خروج.

والياء كقوله:

تَجرَّدُ المجنون من كسائهى (كسائه)

فالهمزة روى، والهاء وصل، والياء خروج.

والواو فى قوله:

وبَلَد عَامِيَةٌ أعماؤهو (أعماؤه)

فالهمزة روى، والهاء وصل، والواو خروج.

(معجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد على الشوابكة، و د. أنور أبو سويلم / ١٠٢، ١٠٣).

*** الخروج عن الأموال و التجرد منها:**

بسط القول فيه الإمام ابن الجوزى، وهو يشير إلى نفسه بعبارة «قال المصنف» وننقله لك فيما يلى، وقد ورد تحت عنوان «ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد منها»:

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم، فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤونة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيرا وضياعا والحديث بإسناد عن محمد بن الحسن السليمى قال: سمعت أبا نصر الطوسى قال: سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون: ورث أبو عبد الله المقرئ من أبيه من خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء.

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به. فأما إذا خرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما فى أيدى الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه، ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة عليهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع. وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاما طويلا وشيده أبو حامد الغزالى ونصره، والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه. فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال: أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه، فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمدا ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة. ود ابن عوف فى القيامة أن لم يؤت من الدنيا إلا قوتا. قال: ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا، فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى بعير

فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر. فقال له أبو ذر: هيه ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا، ثم قال: يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك، فلم يرد عليه حرفا حتى خرج.

قال الحارث المحاسبي: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا. وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثما. وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة. وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل. ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه، ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب دنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال: بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحدث ثعلبة فإنه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى آن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات. إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل، قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال.

فصل فى رد هذا الكلام: أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواما للآدمى الشريف فهو شريف، فقال تعالى ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما**﴾ [النساء: ٥] ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال ﴿**فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم**﴾ [النساء: ٦] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد: «لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس» وقال: «ما نفعنى مال كمال أبى بكر. والحديث بإسناد مرفوع عن عمرو بن العاص، قال: «وبعث إلىَّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى، فأتيته فقال: إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة، فقلت يارسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام، فقال ياعمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح». والحديث بإسناد عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير، وكان آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له، وبإسناد عن الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته، قال: فقلت يا رسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك.

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل، ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقا كثيرا اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهه يعز سلامة القلب من الافتتان به ويبعد إشغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة ولهذا خيف فتنته. فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمن لا بد منه. وأما

من قصد جمعه، والاستكثار منه الحلال نظرنا فى مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات، وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرضوا عليه وسألوا زيادته، وبإسناد عن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر (الحضر بضم المعجمة عَدْو الفرس) فرسه بأرض يقال لها ثرثر، فأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سوطه فقال: أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول: اللهم وسِّع علىَّ.

وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه: «ونزداد كيل بعير» مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم. وأن شعيبا طمع فى زيادة ما يناله فقال «فإن أتممت عشرا فمن عندك» وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جرادا من ذهب (هو الكثير) فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له أما شبعت فقال: يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فإذا قصد به الخير كان خيرا محضا.

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله: إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال. فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير ما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم. وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت، وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل منى. أذر خلفى ست أواق، أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا؟ ثلاث مرات قال نعم.

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه، قال يحيى لا يحتج بحديثه، والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتين وثلاثين، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين، ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع، ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم، إنا نخاف على عبد الرحمن، أو ليس الإجماع منعقدا على إباحة جمع المال من حله، فما وجه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسر سير الصحابة، فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة، فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أو كان هذا مناما وليس فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة، أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى، ثم الحديث يرويه عمارة بن ذازان، وقال البخارى: وربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدارقطنى: ضعيف؛ أخبرنا ابن الحصين مرفوعا إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة، فقالت: ما هذا؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت؛ فقالت عائشة رضى الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال إن استطعت لأدخلنها قائما، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل.

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه، ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند

العلمـاء . والحديـث الذى ذكـره عن رسـول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته إلخ محال : مـا قاله رسول الله ﷺ قط ، وقوله : هل تجد فى دهرك حلالا، فيقال له : وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقـول : «الحـلال بيّن والحـرام بيّن» . أترى يـريـد بـالحلال وجـود حبة مـذ خـرجت من المعدن مـا تقلبت فى شبهة ، هذا يبعد وما طولبنا بـه . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك . هذا مـذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول إن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيـرات، ولو ادعى الإجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فتواه ، وعن المروزى قال سمعت رجـلا يقول لأبى عبـد الله إنى فى كفـايـة فقال : الـزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله ، وقد بينا أنه إن كان حراما أو فيـه شبهة أو أن يقنع هو باليسير أو بـالكسب جاز له أن يخـرج منه . وإلا فـلا وجه لـذلك ، . وأما ثعلبـة فما ضـره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الأنبيـاء فقد كان لإبـراهيم عليه الصـلاة والسلام زرع ومـال ولشعيب ولغيره وكـان سعيد بن المسيب رضى الله عنـه يقول لا خيـر فيمن لا يطلب المال يقضى بـه دينه ويصـون به عرضه ويصل بـه رحمه فإن مات تركه ميـراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة ، وقد خلف سفيان الثـورى رضى الله عنه مائتين وكان يقـول : المال فى هـذا الـزمـان سـلاح ومـا زال السلف يمـدحـون المـال ويجمعونـه للنوائب وإعـانة الفقراء . وإنمـا تجافـاه قوم منهم إيثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعـوا باليسير ولو قال هذا القائل إن التقلل منه أولى قرب الأمر .

فصل : وأعلم أن الفقـر مرض فمـن ابتلى به فصبـر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبـرهـم على البلاء ، والمال نعمة ولكنـه زاحم به مرتبة الإثم .

والنعمـة تحتـاج إلى شكـر ، والغنى وإن تعب وخـاطـر كالمفتى والمجاهد ، والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمـى فى كتاب سنن الصوفية بـاب كراهية أن يخلف الفقير شيئا ، فذكر حـديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين فقال رسوله الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقيـر كـان يزاحم الفقـراء فى أخـذ الصـدقة وحبس مـامعـه فلذلك قال . كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسـول الله ﷺ لسعد : إنك إن تـذر ورثتك أغنياء خيـر من أن تذرهـم عالـة يتكففون الناس ، ولمـا كان أحـد من الصحـابة يخلف شيئا . وقد قال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسـول الله ﷺ على الصـدقة فجئـت بنصـف مالــى ، فقـــال رسـول الله ﷺ : ومـا ألقيت لأهلك؟ فقـالـت مثلـه ، فلم ينكـر عليه رسـول الله ﷺ قال ابن جريـر الطبرى وفى هـذا الحديث دليل على بطلان مـا يقوله جهلـة المتصوفة أن ليس لـلإنسان ادخار شيء فى يومه لغده ، وإن فعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جـرير ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام «اتخذوا الغنم فإنها بـركة» فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصـوفة أنه لا يصح لعبد التـوكل على ربه إلا بأن يصبح لا شـيء عنـده مـن عين ولا عــرض ويمسى كذلك ، ألا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة .

فصل : وقـد خـرج أقـوام من أمـوالهم الطيبـة ثم عـادوا يتعـرضـون للأوسـاخ ويطلبـون وهـذا لأن حـاجـة الإنسـان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عنـد بدايـة تزهـدهم مثل من روى فى طريق مكـة فبدد المـاء الذى معـه . والحديث بإسناد عن جـابر بن عبد الله قـال قدم أبو الحصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه . فلما أكثر عليه أخذها من يديـه فحذفـه بها لـو أصابتـه لعقرتــه ، ثـم أقبــل علـى رسـول الله ﷺ . فقال «يعمـد أحدكم إلى ماله فيتصـدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» وقـد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمـود بن لبيد عن جابر بن عبد الله ، قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل

بمثل البيضة من ذهب فقال: يارسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: «يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى». وفى رواية أخرى: «خذ عنا مالك لا حاجة لنا به» وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثيابا فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: خذ ثوبك.

قال المصنف: ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل، قال: قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم، فرد الرسول يا أبا بكر، أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول: ارجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك وأطلب الحق من الحق. فبعث إليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: إن كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه.

فصل: وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها. وقال: ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال.

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا. فقال: ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجىء إلىَّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم تنقطع عنه فسألته عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى. فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندى شىء.

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج صور المال ما قال هؤلاء هذا الكلام. ولكن قلّ فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم. وقد روينا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة فمن أين أطعم عيالى؟ وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرنى. وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال: حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقال لى كُلْ فقلت لا آكله فإنه يضرنى فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت: اللهم إنك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين، فسمعت هاتفا يهتف بى ويقول: ولا يوم اللبن؟

قال المصنف: وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها ـ واعلم أن من يقول هذا يضرنى لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «مانفعنى مال كمال أبى بكر» وقوله: ما نفعنى مقابل لقول القائل: ماضرنى: وصح عنه أنه قال: ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطع أبهرى» (الأبهر عرق فى الظهر، فإذا انقطع لم تبق معه حياة: وتعادنى بالدال المشددة تأتينى المرة بعد المرة).

قالت المؤلفة: هذا الحديث أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ «مازالت أكله خيبر تعتادنى كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى» من رواية ابن السنى، وأبى نعيم فى الطب، عن أبى هريرة وقال عنه: حديث حسن.

وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى المطعم فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا.

فصل: قال المصنف: وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها. وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا

وجمع المال من أي وجه كان إيثارا للراحة وحبا للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب. ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة (المرة بكسر الميم: القوة) سَوِي ولا يبالون من بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه. وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لا بد أن يصل إلينا، ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه، وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه. فإن النبي ﷺ قال: الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكل الشبهة. وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن في ماله شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافا وتنزها وعن أبي بكر المروزي قال ذكرت لأبي عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أي رجل كان لولا خلة واحدة. ثم سكت ثم قال: ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سُنة؟ فقال: لعمري لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالي ممن أخذ... إلخ.

(نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي / ١٧٠ - ١٧٩، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطي ٢ / ١٥٢).

*** الخروج عن مقتضى الظاهر:**

من أقسام علم المعاني، بسط القول فيه الإمام السيوطي في منظومته على تلخيص مفتاح العلوم وأورده تحت عنوان «مسألة» بعد أن انتهى من الكلام على الحذف والذكر والتقديم والتأخير فقال:

[قد يخرج الكلام عما ذكرا
من ذلك المضمر عما أظهرا
كنعم عبدا وضمير الشان
ليثبت التاليه في الأذهان
وعكسه إشارة لاعتنا
بكونه مميزا إذ ضمنا
حكما بديعا وادعاء الشهرة
أو النداء على كمال الفطنة
لسامع والضد والتهكم
به كمثل ما إذا كان عمي
وغيرها زيادة التمكين قد
مثله بقوله الله الصمد
أو ليقوى داعي المأمور
أو يدخل الروع على الضمير
أو المهابة والاستعطاف
قلت كذا الوصلة للأوصاف
وعظم الأمر وتنبيه على
علته وعود معناه على]

جميع ماتقدم في هذا الباب من الحذف والذكر وما بعدهما هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه لنكتة فمن ذلك وضع المضمر موضع الظاهر كنعم عبدا مكان نعم العبد إذ المقام يقتضي الإظهار لعدم تقدم المسند إليه فأضمر معادا إلى متعقل في الذهن والتزم تفسيره بنكرة ليعلم جنس المتعقل وكذا ضمير الشأن والقصة نحو ﴿هو الله أحد﴾ و ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ والسر في ذلك في الموضعين قصد أن يتمكن في ذهن السامع ما يتلو الضمير: أي يجيء بعده لأنه بالضمير يتهيأ له ويتشوق فيتمكن بعد وروده فضل تمكن لأن المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب ومنه عكسه وهو وضع الظاهر موضع المضمر فإن كان الظاهر اسم إشارة ففائدته كمال العناية بتمييزه لتضمنه حكما بديعا كقول ابن الراوندي:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

فإن أصله هو: أي ماتقدم من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى

السامعين أن هذا المعنى المتميز هو الذى له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا. وقد يكون لادعاء شهرته وأنه كامل الظهور فلا يخفى ومنه من غير باب المسند إليه قوله:

تعاللت كى أشجى ومابك علة

تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

والأصل به أو للنداء على كمال فطنة السامع بأن الأشياء عنده كالمحسوسة فيشار له أو ضد ذلك: أى النداء على كمال بلادته بأنه لا يدرك غير المحسوس أو التهكم والاستهزاء بالسامع بأن يكون أعمى أولا مشار إليه موجود أصلا فيشار إليه موضع الإضمار تهكما به وإن كان غير إشارة فله نكت: منها زيادة التمكين عند السامع نحو ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ أى الذى يصمد إليه ويقصد فى الحوائج لم يقل هو الصمد لزيادة التمكين.

ومنها تقوية داعي المأمور وإدخال الروع: أى الفزع أو المهابة: أى الإجلال على قلب السامع كقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا مكان أنا آمرك ومنها الاستعطاف كقوله:

إلهى عبدك العاصى أتاكا

مقرا بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لذاك أهل

وإن تطرد فمن يرجى سواكا

الأصل أنا أتيتك فعدل عنه لما فى لفظ عبدك من التخضع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة.

ومنها وهو وما بعده من زيادتى أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف نحو: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى﴾ [الأعراف: ١٥٨] بعد قوله إنى رسول الله.

ومنها تعظيم الأمر نحو: ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠] إلخ.

ومنها التنبيه على العلية أى كونه علة للحكم المنسوب إليه كقوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ [البقرة: ٥٩] ثم نبهت من زيادتى على أن وضع الظاهر موضع المضمر إذا كان بمعنى الأول لا بلفظه أحسن كقوله تعالى ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض﴾ ثم قال تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ [الأنعام: ١]:

[وقال فى المفتاح كل ما ذكر

ليس بمختص بذا الذى قدر

بل غيبة وأخواها قد نقل

كل لآخر التفات مستقل

ورد فالأشهر أنه أخص

لأنه التعبير عن معنى ينص

من الثلاث بعد ذكر بسواه

منها ليرفل الكلام فى حلاه

لأن نقل القول فى المهايع

أنشط للإصغاء فى المسامع

وقد يخص كل موضع نكت

كمثل ما أم الكتاب قد حوت

فالعبد إذ يحمد من يحق له

ثم يجىء بالسمى المبجله

فكلها محرك الإقبال

لمالك الأمور فى المآل

فيوجب الاقبال والخطابا

بغاية الخضوع والطلابا

للعون فى كل مهم يقصد

وقس عليه كل ما قد يرد

ولم يكن فى جملة كما فى

عروس الأفراح وفى الكشاف]

قال السكاكى: هذا المذكور من نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة ليس مختصا بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل كل من الغيبة والخطاب والتكلم ينقل إلى آخر فى المسند إليه وغيره

ويسمى التفاتا والمشهور أن الالتفات التعبير عن معنى بواحد من الثلاثة بعد التعبير عنه بغيره منها وهذا أخص من قول السكاكى لأن قول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا التفات على رأيه لأنه منقول عن أنا لا على الثانى لعدم تقدم خلافه.
ثم أقسام الالتفات ستة كما عرفت: الأول من التكلم إلى الخطاب نحو ﴿ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون﴾ [يس: ٢٢] والأصل وإليه أرجع. الثانى منه إلى الغيبة نحو: ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر﴾ الثالث من الخطاب إلى التكلم نحو:

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط وليها
وعادت عواد بيننا وخطوبُ

فالتفت فى قوله تكلفنى من قوله بك. الرابع منه إلى الغيبة نحو: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢]والأصل بكم. الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو. ﴿مالك يوم الدين * إياك نعبد﴾ السادس منها إلى التكلم نحو: ﴿الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ [فاطر: ٩] ثم النكتة فى الالتفات أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن وأشهى للقلب وألذ للسمع وأكثر إصغاء لما فيه من التنقل لما جبلت عليه النفوس من الضجر وربما اختص كل موقع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحمده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه تعالى مالك الأمر كله فى يوم الجزاء فحينئذ يوجب الإقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات ثم نبهت من زيادتى على أن الالتفات لا يكون فى جملة بل فى جملتين صرح به الزمخشرى فى الكشاف وابن السبكى فى شرحه المسمى عروس الأفراح قال ولا يلزم عليه أن يكون فى نحو أنت صديقى الالتفات وليس كذلك:

[ومن خلاف المقتضى إن جاوبا
مخاطبا بغير ما ترقبا
بحمله على خلاف قصده
لأنه أولى به من ضده
أو سائلا بغير ما قد سأله
لأنه الأولى أو المهم له]

من خلاف المقتضى بالفتح أى مقتضى الظاهر مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب وسماه عبد القاهر المغالطة والسكاكى الأسلوب الحكيم وذلك بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد كقول القبعثرى وقد قال له الحجاج متوعدا «لأحملنك على الأدهم» مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب أراد الحجاج أن يقيده فتلقاه القبعثرى بغير ما ترقبه من فهمه التوعد بألطف وجه مشيرا إلى أن من كان مثله فى السلطنة والسعة إنما يناسبه أن يجود بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل لا أن يقيد فقال له الحجاج: إنه حديد فقال: «لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا» (انظر البيت السادس من أبيات الأخضرى التالية) ومنه إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنه الأولى أو الأهم قالوا كقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ [البقرة: ١٨٩].

سألوا عن الهلال لِمَ يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدأ فأى فائدة تحت ذلك؟ فأجيبوا بيان حكمة ذلك وهى أنه معرفة المواقيت والحلول والآجال وجاز بعضهم فى العبارة حتى تعدى إلى أن قال لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة (جاء وفى شرح الجوهر المكنون / ٦٩ أن القائل هو «السعد») وهذه قلة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد كانوا أدق نظرا وأذكى فطنة من ألوف من أضرابه فظن أنه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك ويصعب على مثل أولئك. أما شعر من السائل عن ذلك هو معاذ بن جبل أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة النبى ﷺ وهل ذلك بأدق من دقائق الفقه والفرائض التى اشتهر عنهم بعضها بالتوقيف وبعضها بالاستنباط مما لم يصل المذكور ولا غيره من أهل هذه الفنون إلى فهم عشر معشارها ثم هل اعتقد أن علم الهيئة مما يعتبر أو يلتفت إليه؛

كلا بل هو هذيان بقول لا دليل عليه وليس إلى التوصل إلى تصحيحه من سبيل وقد قالوا زعما منهم إن الأرض كرة لاسطح فنزل القرآن بأنها سطح قال تعالى ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية : ٢٠] وقالوا لاتكسف الشمس إلا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين للمقابلة التى يزعمونها قابلهم الله عليها فكسفت يوم موت إبراهيم ابن النبى ﷺ كما فى الصحيحين وكان عشر ربيع الأول كما رواه الزبير بن بكار وكسفت يوم قتل الحسين رضى الله عنه كما هو مشهور فى التواريخ وغيرها وكان يوم عاشوراء وقد روى ما يقتضى أنهم لم يسئلوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه بل عن سبب خلقه فروى أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية قالوا بلغنا أنهم قالوا يارسول الله لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله تعالى : ﴿يسئلونك عن الأهلة﴾ الآية وإنما أطنبت فى هذا المقام تنفيرا للناس عن هذا الكلام الشنيع وخوف أن يتلقفه من لم يرسخ فى قلبه تقوى فيتداولوه على ألسنتهم ومن لم يتأدب مع الصحابة وسلف الأمة ويترك شغب أهل الفلسفة لم يلتفت إليه كائنا من كان :

[ومنه ماض عن مضارع وضع
لكونه محققا نحو فزع
قلت وللإشراف أو إبراز كنا
فى معرض الحاصل غير ذلكنا
ومنه قلب كعرضت الإبلا
على الحياض ثم هل ذا قبلا
ثالثها الأصح إن لم يقتضى
معنى لطيفا لا وإلا فارتضى
كَمَهْمَه مُغْبَرَّة أرجاؤُه
كأنَّ لونَ أرْضِه سماؤُهُ]

من خلاف المقتضى وضع الماضى موضع المستقبل تنبيها على تحقق وقوعه نحو: ﴿ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض﴾ [النمل : ٨٧] والآية الأخرى ﴿فصعق﴾ [الزمر: ٦٨] ﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾[الأعراف: ٤٨] وهو كثير. وإما للإشراف أى مشارفة وقوعه أى مقاربته نحو: ﴿وليخش الذى لو تركوا﴾ [النساء: ٩] الآية أى لو شارفوا أن يتركوا ومثله الطيبى بنحو قولك: مت، أو لإبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشترى اشتريت حال انعقاد أسبابه ذكره الطيبى وليس منه التعبير بلفظ اسم الفاعل والمفعول عن المضارع نحو: ﴿وإن الدين لواقع﴾ [الذاريات: ٦] ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ [هود: ١٠٣] خلافا لصاحب التلخيص لأنهما صالحان للمستقبل حقيقة.

ومنه القلب وهو تقديم المؤخر وعكسه كعرضت الإبل على الحوض والأصل عرضت الحوض على الإبل وأدخلت القلنسوة فى رأسى والأصل أدخلت رأسى فيها. واختلف فى قبوله على أقوال قيل والتزم قائله وهو السكاكى أنه يورث الكلام ملاحة ورده غيره مطلقا لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود وهذان القولان مطويان فى النظم والحق كما قال صاحب التلخيص أنه إن تضمن معنى لطيفا قُبِل وإلا فلا فمن الأول قوله تعالى: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار﴾ [الأحقاف: ٢٠] وهو من باب عرضت الإبل على الحوض والنكتة الإشارة إلى أنهم مقهورون ومجبورون فكأنهم لا اختيار لهم والنار متصرفة فيهم وهم كالمتاع الذى يتصرف فيه من يعرض عليه وكقول الشاعر :

* ومهمه مغبرة أرجاؤه *

البيت والمهمه المفازة والمغبرة المملوءة غبارا والأرجاء النواحى جمع رجا بالقصر والأصل كأن لون سمائه لغبرتها أرضه أى كلونها والنكتة فيها المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل فيه ونظيره فى القرآن ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] والأصل إنما الربا مثل البيع فقلب مبالغة إلا أن هذا من باب قلب التشبيه وهو متفق عليه إنما الخلاف فى غيره ومن المردود قوله :

فلما أن جرى سمن عليها
كما طينت بالفدن السياعا

يصف ناقته بالسمن والفدن القصر والسياع الطين بالسين المهملة والأصل كما طينت بالسيع الفدن وليس فى هذا القلب اعتبار لطيف.

[ومنـــــــه ذكـــــــر جمع أو مثنى
أو مفـــــردا عـن آخــــر قـــــد عنـــا
والانتقـــــال من خطـــــاب بعض ذي
إلى خطـــاب آخــر نـــوع شـــذي]

هذان البيتان من زيادتي وفيهما مسألتان مهمتان لهما شبه بالالتفات وليستا منه. الأولى التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسألة الآتية فإنهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشى:

فـــرجِّي الخيـــر وانتظـــري إيـــابي
إذا مـــا القـــارظ العنـــزى آبـــا

وإنما هما القارظان لأن المثل حتى يئوب القارظان. ومنه في غير المسند إليه ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] أي يرضوهما ومثال المفرد عن الجمع.

وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

أي النعال وقال تعالى ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤] ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج: ١٩] أي الأناسي بدليل ﴿إلا المصلين﴾ ومثال المثنى عن المفرد ﴿ألقيا في جهنم﴾ [ق: ٢٤] أي ألق * قفا نبك * أي قف وعن الجمع لبيك وحنانيك وقوله تعالى ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ [الملك: ٤] إذ المراد التكثير لا مرتان. ومثال الجمع عن المفرد ﴿رب ارجعون﴾ [المؤمنون: ٩٩] أي ارجعني. وشابت مفارقه وليس له غير مفرق. وعن المثنى ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] والأصل قلباكما. الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلى آخر منها. مثاله من خطاب الواحد إلى الاثنين ﴿لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء﴾ [يونس: ٧٨] وإلى الجمع: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١] ومثاله من الاثنين إلى الواحد: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ [طه: ٤٩] وإلى الجمع: ﴿أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ [يونس: ٨٧] ومثاله من الجمع إلى الواحد: ﴿وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ [يونس: ٨٧] وإلى الاثنين ﴿يامعشر الجن والإنس﴾ إلى قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ٣٣، ٣٤] والنكتة في هذه المسئلة كالنكتة في الالتفات.

(شرح عقود الجمان/ ٢٦ ـ ٣١)

وقد وردت الأبيات التالية عن الخروج عن مقتضى الظاهر في منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضري الموسومة بالجوهر المكنون. وقد شرحها الشيخ أحمد الدمنهوري شرحا يقارب شرح السيوطي السابق وروده آنفا، ومن ثم فإننا نستغني عنه تجنبا للتكرار. قال الأخضري.

١ ــ وخرجوا عن مقتضى الظواهر
كوضع مضمر مكان الظاهر
٢ ــ لنكتة كبعث أو كمال
تمييز أو سخرية اجهال

(في حلية اللب المصون / ٦٨: أو إجهال)

٣ ــ أو عكس أو دعوى الظهور والمدد
لنكتة التمكين كالله الصمد
٤ ــ وقصد الاستعطاف والإرهاب
نحو الأمير واقف بالباب
٥ ــ ومن خلاف المقتضى صرف المراد
ذي نطق أو سؤل لغير ما أراد
٦ ــ لكونه أولى به وأجدرا
كقصة الحجاج والقبعثرا
٧ ــ والالتفات وهو الانتقال من
بعض الأساليب إلى بعض قمن
٨ ــ والوجه الاستجلاب بالخطاب
ونكتة تخص بعض الباب
٩ ــ وصيغة الماضي لآت أوردوا
وقلبوا لنكتة وأنشدوا
١٠ ــ ومهمه مغبرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه

(متن الجوهر المكنون/ ٧، ٨).

والخروج عن مقتضى الظاهر لغرض بلاغى من عوامل روعة النظم القرآنى عند الزمخشرى، ومن صوره

١ ـ وضع الظاهر موضع المضمر، وبالعكس:

ويكثر وضع الظاهر موضع المضمر فى القرآن الكريم فى مقام ذكر الكفار والظالمين ومجترحى السيئات إظهارا للغضب عليهم، والتنويه بذمهم، وتهجين أحوالهم.

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾** [الفرقان: ٧]، **﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾** [الفرقان: ٨].

يقول الزمخشرى: أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم، ووضع الظاهر موضع المضمر، ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا.

ومنه قوله تعالى: **﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾** [ص: ٤].

يقول الزمخشرى: لم يقل: وقالوا ــ إظهارا للغضب عليهم، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر، المنهمكون فى الغى، الذين قال فيهم: **﴿أولئك هم الكافرون حقا﴾** [النساء: ١٥١].

وقوله تعالى: **﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾** [مريم: ٣٨].

يقول الزمخشرى: أوقع الظاهر «أعنى الظالمين» موقع المضمر إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم، حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم.

وقوله تعالى: **﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا﴾** [سبأ: ٣٣] أى فى أعناقهم، فجاء التصريح للتنويه بذمهم، والدلالة على ما استحقوا به الأغلال.

وقوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾** [القصص: ٨٤].

يقول الزمخشرى: وضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير، لأن فى إسناد عمل السيئات إليهم مكررا أفضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين.

وقوله تعالى: **﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾** [البقرة: ٩٨]

يقول الزمخشرى: أراد عدوًّا لهم. فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر. وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف؟ [كذا].

وقوله تعالى: **﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء﴾**[البقرة: ٥٩]

يقول الزمخشرى: وفى تكرير: الذين ظلموا: زيادة تقبيح فى أمرهم، وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم. وقد جاء فى سورة الأعراف: **﴿فأرسلنا عليهم﴾** على الإضمار.

وقوله تعالى: **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾** [المائدة: ٧٣].

يقول الزمخشرى: لم يقل: ليمسنهم، لأن فى إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة، وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله: **﴿لقد كفر الذين قالوا﴾**.

وقوله تعالى: **﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾** [النبأ: ٤].

يقول الزمخشرى: والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم.

وضع المضمر موضع الظاهر: منه قوله تعالى: **﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾**. [البقرة: ٩٧].

يقول الزمخشرى: الضمير فى نزله للقرآن. ونحو هذا الإضمار ــ أعنى إضمار ما لم يسبق ذكره ــ فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته.

وقوله تعالى: **﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾** [العنكبوت: ٢٠].

يقول الزمخشرى: كان القياس أن يقال: كيف بدأ الله الخلق ثم ينشىء النشأة الآخرة، ولكن الكلام معهم كان واقعا فى الإعادة، وفيها كانت تصطك الركب. فلما قررهم فى

الإبـداء، بأنـه من الله احتج عليهـم بأن الإعـادة إنشـاء مثل الإبداء، فكأنه قال: ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشىء النشأة الآخرة، فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أظهر المسمى وأوقعه مبتدأ.

٢ ـ الالتفات

أفردنا مـادة للالتفات فى م ٥ / ٥٩٤ ـ ٦٠٠ فـانظرها فى موضعها.

٣ ـ وضع المضارع موضع الماضى، بقصد حكاية الحال الماضية واستحضـار صـورتها ــ للـدلالة على أهميتهـا. أو غرابتها.

ومن ذلك قـوله تعـالى: ﴿**والله الذى أرسـل الريـاح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**﴾ [فاطر: ٩].

يقول الزمخشرى: جاء «فتثير» على المضارعة دون ما قبله وما بعده، ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصـورة البديعة الدالـة على القدرة الربانية. وهكذا يفعلون بفعل فيـه نوع تمييز وخصوصيـة بحال تستغرب أو تهم المخاطب، وغير ذلك.

قال تأبط شرا:

بـأنى قـد لقيت الغـول تهـوى
بسهم كـالصحيفـة صحصحـان
فـأضـربهـا بـلا دهـش فخـرت
صـريعـا لليـديـن وللجـران

لأنه قصد أن يصـور لقومه الحالة التى تشجع فيهـا بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها، ويطلعهم على كنهها مشاهـدة للتعجب من جرأته علـى كل حول، وثباتـه عند كل شدة...

ومنه قوله تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ [آل عمران: ٥٩]

يقول الزمخشرى: فيكون: حكاية حال ماضية.

وقول تعالي: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**﴾ [البقرة: ٨٧].

ويقـول الـزمخشـرى: لم يقل: وفـريقـا قتلتم: لإرادة استحضار الحال الماضية، لأن الأمر فظيع، فأريد استحضاره فى النفوس، وتصويره فى القلوب.

وقوله تعالى: ﴿**وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**﴾ [سبأ: ٥٣]

يقول الزمخشرى: ويقذفون: معطوف على: كفروا: على حكاية الحال الماضية يعنى: وكانوا يتكلمون بالغيب؛ ويأتون به مـن مكان بعيد، وهـو قولهـم فى رسول الله (ﷺ): شـاعر ساحر كذاب. وهـذا تكلم بالغيب، والأمر الخفى، لأنهم لم يشهدوا منه سحرا، ولا شعرا، ولا كـذبا. وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيـدة من حالـه، لأن أبعد شىء ممـا جاء بـه الشعر والسحر، وأبعـد شىء من عادتـه التى عرفت بينهم وجُـرِّبت ـ الكذب والزور.

ومنه قولـه تعالى: ﴿**ألم تـر أن الله أنـزل من السمـاء مـاء فتصبح الأرض مخضرة**﴾ [الحج: ٦٣].

يقـول الـزمخشـرى: لم يقل: فأصبحت، بل جـاء بلفظ المضارع لنكتـة، وهى إفادة بقاء أثـر المطر زمانا بعـد زمان، كما تقول: أنعم علىَّ فلان عام كـذا، فأروح وأغدو شاكرا له. ولو قلت: فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وقد يكون وضع المضـارع موضع المـاضى للدلالـة على الرغبة فى استمـرار الفعل أو الـدلالة على التعـود عليه، ومن ذلك قـوله تعـالى: ﴿**واعلمـوا أن فيكم رسـول الله لـو يطيعكم فى كثير من الأمـر لعنتم**﴾ [الحجرات: ٧].

يقـول الـزمخشـرى: قـال ﴿**يطيعكم**﴾ دون «أطـاعكم» للـدلالـة على أنـه كـان فـى إرادتهم استمـرار عملـه علي مـا يستصوبونه، وأنه كلما عَنَّ لهم رأى فى أمر كان معمولاً عليه، بدليل قـوله: ﴿**فى كثيـر مـن الأمـر**﴾، كقولك: فـلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ـ تريد: مما اعتاده.

ومنه قوله تعالى: ﴿**كـذلك يـوحى إليك وإلى الـذين من قبلك**﴾ [الشورى: ٢]

يقول الزمخشرى: لم يقل: أوحى إليك، ولكن على لفظ المضارع، ليدل على أن إيجاد مثله من عادته.

٤ ـ وضع الماضى موضع المضارع لغرض بلاغى هو تنزيل المتوقع الذى لا بد من وقوعه منزلة الواقع :

ومنه قوله تعالى : ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس ...﴾ [الأعراف : ٧١].

يقول الزمخشرى : أى حق عليكم ووجب، أو قد نزل عليكم. جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع. ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب : قد كان ذلك. وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور، وهو طفل، فجاء يبكى، فقال له : يابنى مالك؟ قال : لسعنى طوير، كأنه ملتف فى بردى حبرة، فضمه إلى صدره، وقال له : يابنى، قد قلت الشعر.

ومنه قوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض﴾ [النمل : ٨٧].

يقول الزمخشرى : قيل «ففزع» دون «يفزع» لنكتة هى الإشعار بتحقق الفزع وثبوته، وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السموات والأرض، لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعا به. والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون.

ومنه قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [الفتح : ١]

يقول الزمخشرى : هو فتح مكة، وجيء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره، لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى.

وقوله تعالى : ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود : ٩٨].

يقول الزمخشرى : هلا قيل يقدم قومه فيوردهم؟ ولم جيء بلفظ الماضى ويجيب : لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل : يقدمهم، فيوردهم النار لا محالة.

وقوله تعالى : ﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ [التوبة : ٨٤].

يقول الزمخشرى : مات صفة، وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى، والمعنى على الاستقبال ـ على تقدير الكون والوجود، لأنه كائن موجود لا محالة.

٥ ـ الرجوع من المثنى إلى الواحد :

ومنه قوله تعالى : ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾ [طه : ٤٩]

يقول الزمخشرى : خاطب الاثنين، ووجه النداء إلى أحدهما، وهو موسى، لأنه الأصل فى النبوة، وهرون وزيره وتابعه.

ويقول فى إفراد الجنة فى قوله تعالى : ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ [الكهف : ٣٥] بعد تثنيتها فى قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾ :

أفرد الجنة بعد التثنية على معنى : ودخل ما هو جنته، ما له جنة غيرها، يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون، فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ـ ولم يقصد الجنتين، ولا واحدة منهما.

٦ ـ الرجوع من الواحد إلى الجمع :

ومنه قوله تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه﴾ [الروم : ٣٠، ٣١].

يقول الزمخشرى : خوطب رسول الله (ﷺ) وخطاب الرسول خطاب لأمته، مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص.

٧ ـ الرجوع من المثنى إلى الجمع ثم من الجمع إلى الواحد :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ [يونس : ٨٧].

يقول الزمخشرى : خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا، ويختاراها للعبادة، وذلك مما يفرض على الأنبياء، ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم

خص موسى عليه السلام بالبشارة التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها.

٨ ـ وقوع الإنشاء موقع الخبر.

٩ ـ وقوع الخبر موقع الإنشاء.

أوردناهما فى مادة الخبر والإنشاء (علم ــ) فانظر كلا منهما فى موضعه.

١٠ ـ التغليب (أوردنا مادة بهذا العنوان فى م ١٠/ ٦٦ ـ ٧١ فارجع إليها فى موضعها):

ومنه تغليب الكثرة على القلة كما فى قوله تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس**﴾ [البقرة: ٣٤].

يقول الزمخشرى: «إلا إبليس» استثناء متصل، لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم، فغلبوا عليه فى قوله ﴿**فسجدوا**﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم...

وتغليب الخطاب على الغيبة كما فى قوله تعالى ﴿**بل أنتم قوم تجهلون**﴾ [النمل: ٥٥].

يقول الزمخشرى: فإن قلت: «تجهلون» صفة لقوم، والموصوف لفظه لفظ الغائب، فهلا طابقت الصفة الموصوف، فقرئ بالياء دون التاء، وكذلك: بل أنتم قوم تفتنون»؟

ويجيب: اجتمعت الغيبة والمخاطبة، فغلبت المخاطبة، لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة.

وتغليب الموجود على ما لم يوجد، ومنه قوله تعالى: ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾[البقرة: ٤]

يقول الزمخشرى: قوله: ﴿**بما أنزل إليك**﴾ إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها ــ فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم، فكيف قيل: أنزل: بلفظ الماضى؟

وإن أريد المقدار الذى سبق إنزاله وقت إيمانهم، فهو إيمان ببعض المنزل، واشتمال الإيمان على الجميع: سالفه ومترقبه ـ واجب.

ويجيب: المراد المنزل كله، وإنما عبر عنه بلفظ الماضى ـ وإن كان بعضه مرتقبا ـ تغليبا للموجود على ما لم يوجد، كما يغلب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب، فيقال: أنا وأنت فعلنا، وأنت وزيد تفعلان. ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأنه كله قد نزل، وانتهى نزوله. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى**﴾ [الأحقاف: ٣٠] ولم يسمعوا جميع الكتاب، ولا كان كله منزلا، ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا.

ونظيره قوله: كل ما خطب به فلان فهو فصيح، وما تكلم بشىء إلا وهو نادر. ولا تريد بهذا الماضى منه فحسب، دون الآتى، لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه.

ويتكلم الزمخشرى ثانية على الخروج عن مقتضى الظاهر فى مجال تعداد عوامل روعة النظم القرآنى خارج دائرة الجملة فيقول:

الخروج عن مقتضى الظاهر فى ترتيب عناصر الموضوع الواحد لغرض بلاغى:

ويبدو ذلك فى قوله تعالى: ﴿**وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى**﴾ [البقرة: ٦٧، ٦٨] ﴿**وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣]

يقول الزمخشرى: فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل، والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذ قتلتم نفسا، فادارأتم فيها، فقلنا اذبحوا بقرة، واضربوه ببعضها؟ ويجيب: كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام. وهاتان قصتان، كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع، وإن كانتا متصلتين متحدتين: فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء، وترك المسارعة إلى الامتثال، وما يتبع ذلك، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة، وما يتبعه من الآية

العظيمة، وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل، لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض من تثنية التقريع.

ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنف الثانية استئناف قصة برأسها: أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما ـ بضمير البقرة، لا باسمها الصريح فى قوله ﴿اضربوه ببعضها﴾ حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها؛ وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.

(النظم القرآنى / ١١٩ ـ ١٣١، ٢١٩، ٢٢٠).

(شرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٢٦ ـ ٣١، ومتن الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون لعبد الرحمن الأخضرى / ٧، ٨، والنظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ـ د. درويش الجندى / ١١٩ ـ ١٣١، ٢١٩، ٢٢٠. انظر أيضا شرح الجوهر المكنون ـ الشيخ أحمد الدمنهورى / ٦٧ ـ ٧٣، والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٤٨٢ ـ ٥٠٢).

*** الخروج فى سبيل الله تعالى:**

فى ابتداء الخروج فى سبيل الله تعالى والتخلى عن الانفراد فى السفر يقول صاحب مستند الأجناد:

عن كعب بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ خرج يوم الخميس إلى غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس (البخارى ٤ / ٦ وأبو داود ـ / ٤٠٦) وعن ابن مسعود أن النبى ﷺ كان يعقد الألوية يوم الخميس، ويبعث السرايا يوم الخميس، ويسافر يوم الخميس (البخارى ٤ / ٦ وعيون الأخبار ١ / ١٢٢) وعن الزهرى أن النبى ﷺ كان يخرج يوم الخميس، ويرجع يوم السبت، وعن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها» (أبو داود ١ / ٤٠٦) وفى رواية: كان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار (المعجم الصغير للطبرانى ١ / ٣٠) وعنه ﷺ «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» (أبو داود ١ / ٤٠٢، ومجمع الزوائد ٥ / ٢٥٧). والدلجة: سير الليل وعن النبى ﷺ «لو علم من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بالليل وحده» (البخارى ٤ / ١٧، والترمذى ٧ / ١٦٩ ... ١٧٠) وعن ابن عباس عن النبى ﷺ «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة إذا صبروا وصدقوا» (أبو داود ١ / ٤٠٦ والترمذى ٧ / ٤٥) وعنه ﷺ أنه قال: (الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب) (أبو داود ١ / ٤٠٧ والترمذى ٧ / ١٧٠) وعنه ﷺ «إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم» (الجامع الصغير ١ / ٢٤ وسنن أبى داود ١ / ٤٠٧).

(مستند الأجناد / ٧٩، ٨٠)

وعن الخروج للغزو ومشروعية الدعوة قبل القتال يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى منظومته الموسومة بالسبل السوية:

ثم الخروج فى الخميس يستحب
وأول النهار للبعث أحب
والحلف فى ابتدائه فى الحرم
كذاك أيضا فى الشهور الحرم
فالبعض قال النهى عنه محكم
وفرقة بنسخه قد حكموا
وجائز لامرأة أن تغزو
يسقين أو يصلحن للجرحى الدوا
ولا استعانة بمشرك لنا
حيث امتناع كان من نبينا
ويشرع التشييع للغزاة فى
خروجهم ثم بخير فاخلف
وإن أراد غزوة يورى
بغيرها من أجل كتم السر
وصح فى النص جواز الكذب
فى الحرب للفتك بأهل الخرب
والحرب خدعة وأن يستطلعا
الأخبار مع بعث العيون شرعا
والسرايا والجيوش رتب
واتخذ الرايات ذا فعل النبى

والـــذكـــر فى المسيـــر منـــه أكثـــر
سبح هبـــوطـــا وصعـــودا كبـــر
وللعـــدو ابـــدأ دعـــاء أولا
إلى الهـــدى من قبل أن تقـــاتـــلا
وذمـــة الأميـــر فى الحصـــار
يبـــذل وليحـــذر ذمـــام البـــارى
كـــذاك جـــائز نـــزولهم على
حكم امـــرىء منـــا لنص نقـــلا

(مجموع/ ٥٦، ٥٧).

(مستند الأجياد فى آلات الجهاد لابن حجة الحموى ــ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى/ ٧٩، ٨٠، ومجموع: «السبل السوية لفقه السنن المروية» ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى/ ٥٦، ٥٧).

* **الخروج من بلد وقع فيها الوباء:**

عَنْونه الإمام النووى بلفظ «كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فرارا منه، وكراهة القدوم عليه» وقال: قال الله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨] وقال تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسُرْغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال لى عمر ادع لى المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا عنى ثم قال ادع لى الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عنى ثم قال ادع لى من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر رضى الله عنه فى الناس إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أفرارا من قدر الله فقال عمر رضى الله عنه لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال إن عندى من هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» فحمد الله تعالى عمر رضى الله عنه وانصرف. (العدوة جانب الوادى) وروى الشيخان عن أسامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها»

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووى ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى/ ٨٩ـ٩١)

* **الخروج (يوم ـ):**

من أسماء يوم القيامة. قال تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لا خروج ولا دخول.

(التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى ــ حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر/ ٢٥٩).

* **الخِرْوَع:**

خِرْوَعٌ: كدرهم نبت معروف لا يرعى قال الجوهرى ولم يجئ على هذا الوزن إلا حرفان خروع وعتود وهو اسم واد. قلت وزِيد زرود اسم جبل وعتور اسم واد وليس بتصحيف عتود. قيل سمى الخروع لرخاوته وهى شجرة تحمل حبا كأنه بيض العصافير يسمى السمسم الهندى مشتق من الخرع

(معجم أسماء النباتات/ ٥١).

قال عنه داود الأنطاكى: الخروع نبات يعظم قرب المياه ويطول أكثر من ذراعين وأصله قصب فارغ وورقه أملس عريض وحبه كالقراد مرقش كثير الدهن يدرك بتموز وآب (يوليه وأغسطس) يقيم أكثر من سنة وهو حار فى الثالثة يابس فيها أو فى الثانية أو رطب فى الأولى يحلل الرياح والأخلاط

الباردة وإذا طبخ فى زيت حتى يتهرى أزال الصداع والفالج واللقوة والنقرس وعرق النسا دهنا وسعوطا وإذا أكل أخرج البلغم والأخلاط اللزجة برفق وأدر الحيض وأخرج المشيمة ودهنه يلين كل صلب حتى المعادن اليابسة عن تجربة خصوصا مع ماء الفجل ويغسل به مع الخردل أوساخ الجسد فينقيه. وفيه خواص كثيرة؛ وهو يكرب ويسقط الشهوة ويصلحه أن يقشر ويستعمل مع الكثيرا وشربته إلى عشر حبات وضعفها مسكر وخمسون تقتل ودهنه بماء الكراث يقلع البواسير شربا ودهنا وإذا غلى مع سلخ الحية والخردل ودهن به داء الثعلب والقوابى والحزاز والكلف أبرأها (التذكرة ١ / ١٣٨)

وقد أورده المظفر الرسولى، كما أفرد مادة بعنوان «دهن الخروع»، وذكر مصادره التى رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

خروع ـ «ع» شجرة تكون فى مقدار شجرة التين صغيرة، ولها ورق شبيه بورق الدلب، وثمرة خشنة إذا قشرت كانت شبيهة بالقراد، ومنها يعتصر دهن الخروع، وهذا الدهن لا يستعمل فى الطعام بل فى السرج، وفى أخلاط بعض المراهم، وحب الخروع يسهل، وفيه مع هذا شىء يجلو وكذلك الحال فى ورقه، إلا أن الورق أضعف حرا، ودهنه أحد وألطف من الزيت الساذج، فهو يحلل أكثر منه، وإذا دق حب الخروع وتضمد به نفع الثآليل والكلف، وورقه إذا دق وخلط بسويق سكن الأورام البلغمية، والأورام الحارة العارضة للعين، وإذا تضمد به وحده أو مع الخل، سكن أورام الثدى الوارمة فى النفاس والحمرة، وهو مسخن فى الدرجة الثالثة، محلل ملين للعصب، مسهل للبطن، منق للعرق، نافع من الخام والإبردة، وكذلك دهنه، وهو أبلغ الملينات لكل صلابة شربا وضمادا، وحبه جيد للقولنج والفالج، وخاصة الترقيق والتلطيف، وورقه الغض إذا تضمد به مطبوخا ونيئا نفع من النقرس البارد ووجع المفاصل، وكذلك إن ركب على ورقه دهن نفع من ذلك، وحبه نافع من اللقوة ووجع المفاصل، إذا أُسهل به، ويورث البدن صحة، وهو يسهل البلغم إسهالا ضعيفا. ويجب أن يقشر ويعطى منه إحدى عشرة حبة إلى سبع عشرة حبة، وورق الخروع إذا سحق فى خل ثقيف حتى يحمى وتضمدت به الأورام الكائنة فى الحلق، المسماة نغانغ، ويعاود ذلك أسبوعا ثلاث مرات بالليل، وثلاثا بالنهار، حلله وأذهبه، مجرب.

«ج» أجوده البحرى. وهو حار يابس فى الدرجة الثانية، وقيل رطب يحدر الحيض. وقدر ما يؤخذ منه إلى مثقال، وهو ينفع الصلابة، ويلين العصب، وخاصة البلغم، وينفع من القولنج والفالج واللقوة، وشربته لذلك إلى عشر حبات مقشورة.

«ف» مثله. والشربة إلى خمسة عشر حبة.

ثم يقول عن دهن الخروع :

دهن الخروع ـ «ج» هو أشبه شىء بالزيت العتيق. ولذا يستعمل بدله، وهو أكثر تحليلا من الزيت الحديث وألطف، هو أحد من الزيت الساذج، وهو يصلح للجرب، والقروح الرطبة التى تكون فى الرأس، وللأورام الحارة فى المقعدة، ولانضمام فم الرحم، ولانقلابه، ولآثار السحج إذا اندملت، ولوجع الأذن، وإذا خلط ببعض المراهم قوى فعلها، وإذا شرب أخرج الدود الذى فى البطن وأسهل، ويقوى العصب من اللزوجات وصنعته : يؤخذ من حب الخروع المستحكم على شجره، ويشمس، فإذا تشقق قشره وتساقط عنه، فاجمع ما فى داخله، ودقه فى هاون دقا ناعما، ثم اطرحه فى قِدر مرصَّصة برصاص قلعى فيها ماء، واغله، فإذا خرج دهنه، فانزل القدر عن النار، وخذ الدهن بصوفة، واخزنه؛ وإن كان كبيرا وأمكن عصره بلولب فاعصره.

«ج» وله فى المنهاج (هو منهاج البيان تأليف ابن جزلة) صفة غير هذه، لمن يريده مفوى بالأفاويه والعقاقير. وهو

حار يابس فى الدرجة الثانية، ومنافعه كما ذكرها عبد الله (هو عبد الله بن البيطار). وبدله: دهن الفجل، أو دهن بزر الكتان.

«ف» حار رطب فى الأولى، يخرج البلغم وحب القرع، وينقى الأعصاب، ويستعمل بقدر الكفاية (المعتمد ١ / ١٢١، ١٢٢، ١٦٩)

وقال عنه القزوينى:

الخروع: إذا جف حبه فى أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الغصن فربما وقعت على أكثر من قاب رمح حبها ينفع من القولنج والفالج واللقوة وقدر ما يؤكل منه عشر حبات مقشورة: وذكر بليناس فى كتاب الخواص: أن دهن الخروع إذا مسحت به رأس الديك لايصيح ألبتة (عجائب المخلوقات / ١٦٦).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٨، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢١، ١٢٢، ١٦٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٦٦. انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو إبراهيم، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى/ ٣٢٦).

*** ابن خروف (٥٢٤ ـ ٦١٠ هـ):**

هو أبو الحسن على بن محمد بن على الحضرمى الإشبيلى، ولد فى إشبيلية، وأخذ عن ابن طاهر ولد سنة ٥٢٤ هـ، برز فى العربية، ومن مصنفاته النحوية شرح كتاب سيبويه أهداه إلى صاحب المغرب فمنحه ألف دينار، وشرح الجمل للزجاجى. ومع طول باع المترجم فى النحو، وذيوع صيته فى التدقيق، وغزارة مؤلفاته، كان فى خلقه شراسة، فلا عجب أن يندفع إلى منازلة السهيلى فى المسائل المنوه عنها فى ترجمته، وأن يعدو على ابن مضاء فى مناقضته لكتابه المذكور فى ترجمته.

ومما هو جدير بالملاحظة أن ابن خروف النحوى غير ابن خروف الشاعر المشهور، وإن اتفقا اسما وكنية ولقبا وأبا، فقد اختلفا جدا ونسبا ووطنا ووفاة ومدفنا، فإن ابن خروف الشاعر هو أبو الحسن على بن محمد بن يوسف القيسى القرطبى، وهو الذى أرسل قصيدة للقاضى فى حلب يوسف بهاء الدين المعروف بابن شداد يستجديه فرد خروف، وتوفى متردیا فى جب بحلب سنة ٦٠٤ هـ. ولعل الاشتباه بين النحوى والشاعر هو الذى تسرب منه الخطأ فى نسبة شعر للنحوى، ولم يتنبه لهذا أحد ممن ترجم النحوى قبل ابن خلكان وبعده، فإنه وحده الذى حقق هذا الفرق فى وفيات الأعيان ترجمة القاضى يوسف المذكور، وهذا التحقيق من ابن خلكان جدير بالتقدير والاعتبار، توفى ابن خروف النحوى بأشبيلية سنة ٦١٠هـ (نشأة النحو / ٢٣٢، ٢٣٣).

قال الرعينى: «له تواليف، منها كتابه الكبير الذى سماه «تنقيح الألباب فى شرح غوامض الكتاب» أودعه طرر بن طاهر وبسطها وأضاف إليها شرح الأبيات، ومنها «شرحه» لكتاب الجمل، ومفردات السبع، والمقنع فى الفرائض، ومجموعات كثيرة فى «الرد على الناس، كرده على السهيلى، وعلى ابن الطراوة، وعلى جماعة من معاصريه، وله رد على برهان أبى العالى». وقد خلط بعض المؤرخين بينه وبين ابن خروف الشاعر على بن محمد بن يوسف القرطبى المتوفى سنة ٦٠٤ هـ.

له ترجمة فى: «التكملة» لابن الأبار الترجمة ١٤٨٤، و «وفيات الأعيان» ٣ / ٢٣، و «برنامج شيوخ الرعينى» / ٨١، و «بغية الوعاة» ٢ / ٢٠٣ ت ١٧٩٣، و «الأعلام» ٥ / ١٥١ (كتاب الوفيات / ٣٠٤، ٣٠٥)

(نشأة النحو ــ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٣٢، ٢٣٣، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٠٤، ٣٠٥، وهامش ٢ للمحقق).

*** خريدة الأمثال:**

خريدة الأمثال: «لأبى الحسن على بن المبارك المعروف بابن الزاهد المتوفى سنة ٥٩٤.

(كشف الظنون ١/ ٧٠١).

*** الخريدة البهية فى العقائد التوحيدية:**

من المنظومات التعليمية فى علم التوحيد للإمام العارف بالله أبى البركات الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى حامد العدوى المالكى الخلوتى المشهور بالدردير المولود

سنة ١١٢٧ هـ والمتوفى سنة ١٢٠١ هـ (فهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية / ١٨٨)

ونقل لك فيما يلى هذه المنظومة النفيسة بتمامها

يبدأ الإمام الدردير رحمه الله منظومته بهذه المقدمة :

يقول راجي رحمة القدير
أي أحمد المشهور بالدردير
الحمد لله العلى الواحد
العالم الفرد الغنى الماجد
وأفضل الصلاة والتسليم
على النبي المصطفى الكريم
وآله وصحبه الأطهار
لاسيما رفيقه فى الغار
وهذه عقيدة سنيه
سميتها الخريدة البهيه
لطيفة صغيرة فى الحجم
لكنها كبيرة فى العلم
يكفيك علما إن تُرد أن تكتفى
لأنها بزبدة الفن تفى
والله أرجو فى قبول العمل
والنفع منها ثم غفر الزلل

ثم يتكلم على القسم الأول من أقسام علم التوحيد وهو الإلهيات (انظر «الإلهيات (علم ـ)» فى م ١٦/ ٢١) فيذكر أقسام الحكم العقلى وهى الوجوب والاستحالة والجواز» ثم يتكلم على العالم. قال رحمه الله :

أقسام حكم العقل لامحاله
هى الوجوب ثم الاستحاله
ثم الجواز ثالث الأقسام
فافهم منحت لذة الأفهام
فالواجب العقلى ما لم يقبل
الانتفا فى ذاته فابتهل
والمستحيل كل ما لم يقبل
فى ذاته الثبوت ضد الأول
وكل أمر قابل للانتفا
وللثبوت جائز بلا خفا
ثم اعلمن بأن هذا العالما
أى ما سوى الله العلى العالما
من غير شك حادث مفتقر
لأنه قام به التغير
حدوثه وجوده بعد العدم
وضده هو المسمى بالقدم

ثم يتحدث عن الوجود، وهو الصفة النفسية لله تعالى فيقول :

فاعلم بأن الوصف بالوجود
من واجبات الواحد المعبود
إذ ظاهر بأن كل أثر
يهدى إلى مؤثر فاعتبر
وذى تسمى صفة نفسيه
ثم تليها خمسة سلبية

ويعدد بعد ذلك الصفات السلبية الخمس لله تعالى، وهى: القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية فيقول :

وهى القدم بالذات فاعلم والبقا
قيامه بنفسه نلت التقى
مخالف للغير وحدانيه
فى الذات أو صفاته العليه

ثم يتحدث عن التأثير فيقول :

والفعل فى التأثير ليس إلا
للواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعله
فذاك كفر عند أهل الملة

ومن يقل بالقوة المودعة
فذاك بدعي فلا تلتفت
لو لم يكن متصفا بها لزم
حدوثه وهو محال فاستقم
لأنه يفضي إلى التسلسل
والدور وهو المستحيل المنجلي
فهو الجليل والجميل والولي
والظاهر القدوس والرب العلي
منزه عن الحلول والجهه
والاتصال والانفصال والسفه

(يلاحظ أن اللفظ الأخير في البيت الأخير ورد «الصفة» بالصاد في متن الخريدة البهية، و «السفه» في شرح الخريدة)

ثم يتكلم الناظم على صفات المعاني السبع وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فيقول:

ثم المعاني سبعة للرائي
أي علمه المحيط بالأشياء
حياته وقدرة إراده
وكل شيء كائن أراده
وإن يكن بضده قد أمرا
فالقصد غير الأمر فاطرح المرا
فقد علمت أربعا أقساما
في الكائنات فاحفظ المقاما
كلامه والسمع والأبصار
فهو الإله الفاعل المختار
وواجب تعليق ذي الصفات
حتما دواما ما عدا الحياة
فالعلم جزما والكلام السامي
تعلقا بسائر الأقسام
وقدرة إرادة تعلقا
بالممكنات كلها أخا التقى
واجزم بأن سمعه والبصرا
تعلقا بكل موجود يرى
وكلها قديمة بالذات
لأنها ليست بغير الذات
ثم الكلام ليس بالحروف
وليس بالترتيب كالمألوف

ثم يبين الإمام أحمد الدردير رحمه الله أن أضداد صفات المعنى هذه وهي العجز، والكراهية بمعنى القهر وعدم الاختيار والجهل والموت والصمم والعمى والبكم. مستحيلة عليه تعالى. يدل على استحالتها على الله تعالى أنه قد وجب اتصافه بصفات المعاني فتستحيل عليه أضدادها. يقول الناظم رحمه الله:

ويستحيل ضد ما تقدما
من الصفات الشامخات فاعلما
لأنه لو لم يكن موصوفا
بها لكان بالسوى معروفا
وكل من قام به سواها
فهو الذي في الفقر قد تناهى
والواحد المعبود لا يفتقر
لغيره جل الغني المقتدر

ثم يتكلم على الجائز في حقه تعالى فيقول:

وجائز في حقه الإيجاد
والترك والإشقاء والإسعاد
ومن يقل فعل الصلاح وجبا
على الإله قد أساء الأدبا

وبعد ذلك يتكلم على رؤية الله تعالى وأنها حق فيقول:

واجزم أخي برؤية الإله
في جنة الخلد بلا تناهي
إذ الوقوع جائز بالعقل
وقد أتى فيه دليل النقل

ثم ينتقل الناظم إلى القسم الثانى من أقسام علم التوحيد وهو النبوات فيعدد مايجب للرسل والمستحيل عليهم، والجائز فى حقهم فيقول:

وصف جميع الرسل بالأمانه
والصدق والتبليغ والفطانه
ويستحيل ضدها عليهم
وجائز كالأكل فى حقهم
إرسالهم تفضل ورحمه
للعالمين جل مولى النعمه

وبعد ذلك ينتقل الناظم إلى القسم الثالث من أقسام علم التوحيد وهو السمعيات، وهى الأمور التى لا تؤخذ إلا بالسماع من الصادق، ولا يستقل العقل بإدراكها، وطريق ثبوتها الكتاب والسُّنة، فيقول رحمه الله:

ويلزم الإيمان بالحساب
والحشر والعقاب والثواب
والنشر والصراط والميزان
والحوض والنيران والجنان
والجن والأملاك ثم الأنبيا
والحور والولدان ثم الأوليا
وكل ما جاء من البشير
من كل حكم صار كالضرورى

ثم يختتم الإمام أحمد الدردير رحمه الله خريدته ببيان كيف أن كلمة الإسلام تتضمن جميع الأحكام التى جاءت فى أقسام التوحيد الثلاثة: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات فيقول متحدثا عن «السير» إلى الله تعالى، وعن أصول الطريق المستقيم العشرة وهى: التوبة، وشكر النعم، والصبر، والرضا، واتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك، والجوع، والعزلة عن الناس، والصمت، والسهر، والتفكر، والذكر:

وينطوى فى كلمة الإسلام
ما قد مضى من سائر الأحكام
فأكثرن من ذكرها بالأدب
ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب
وغلِّب الخوف على الرجاء
وسر لمولاك بلا تناء
وجدد التوبة للأوزار
لا تيأسن من رحمة الغفار
وكن على آلائه شكورا
وكن على بلائه صبورا
وكل أمر بالقضاء والقدر
وكل مقدور فما عنه مفر
فكن له مسلما كى تسلما
واتبع سبيل الناسكين العلما
وخلِّص القلب من الأغيار
بالجد والقيام فى الأسحار
والفكر والذكر على الدوام
مجتنبا لسائر الآثام
مراقبا لله فى الأحوال
لترتقى معالم الكمال
وقل بذل رب لا تقطعنى
عنك بقاطع ولا تحرمنى
من سرك الأبهى المزيل للعمى
واختم بخير يارحيم الرحما
والحمد لله على الإتمام
وأفضل الصلاة والسلام
على النبى الهاشمى الخاتم
وآله وصحبه الأكارم

(متن الخريدة البهية / ١ ـ ٥).

يوجد مخطوطه بالمكتبة الأزهرية برقم [١١٨] ٢٢١٢

(متن الخريدة البهية فى العقائد التوحيدية لأبى البركات سيدى أحمد الدردير. ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده / ١ ـ ٥ والخريدة البهية المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢٣ ـ ٢٦، وفهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية / ١٨٨).

* **خريدة العجائب وفريدة الغرائب:**

قال حاجى خليفة وقد حمل على الكتاب ومصنفه :

خريدة العجائب وفريدة الغرائب : لزين الدين عمر بن المظفر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة وهو مجلد نصف أوله [النصف الأول منه] فى ذكر الأقاليم والبلدان والباقى فى بعض أحوال المعدن والنبات والحيوان لكنه أورد فى أوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم والبحار زعما منه أنه كذلك فى نفس الأمر وهو الضلال البعيد عن الحق المطابق للواقع فإن الرجل ليس من أهل فن جغرافيا وتصويره لا يقاس على سائر النقوش والتصاوير ومع ذلك أورد فيه أخبارا واهية وأمورا مستحيلة كما هو دأب أهل العربية والأدباء الغافلين عن العلوم العقلية ثم إن هذا الكتاب متداول بين أصحاب العقول القاصرة كأمثاله أوله الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب ... إلخ ولعل المصنف أشار إلى أن هذا التأليف وأمثاله من الذنوب . وترجمته بالتركية لرجل من الأروام نقله بالتماس من عثمان بن إسكندر باشا .

(كشف ١ / ٧٠١) .

قالت المؤلفة : الترجمة التركية التى أشار إليها حاجى خليفة أعلاه يوجد مخطوطها بدار الكتب القومية وقد أدرج فى الفهرس تحت عنوان «الجريدة الجديدة» وجاء بيانه كما يلى ، وقد احتفظنا بأرقام النسخ كما وردت فى الفهرس :

١٢٦٨ ـ الجريدة الجديدة :

وهو ترجمة خريدة العجائب وفريدة الغرائب .

تأليف زين الدين عمر بن المظهر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

ترجمة محمود الخطيب من علماء القرن العاشر الهجرى

شرع فيها سنة ٩٧٠ هـ ، بإشارة والتماس بعض إخوانه وقدمها إلى عثمان باشا بن إسكندر باشا . أولها : الحمد لله غافر الذنب ، قابل التوب ... أما بعد قد أشار إلى العبد الفقير ... بلكل كه بورسالهٔ لطيفه ومجموعهٔ شريفة ... الخ .

نسخه مخطوطه فى مجلد ، بقلم فارسى ، تمت كتابتها فى ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ بخط محمد ، فى ... ورقة ، مسطرتها ١٩ سطرا ، فى ٢٠ × ١٥ سم . (٩٨ ـ م تاريخ تركى) .



١٢٦٩ ـ نسخة أخرى :

ناقصة الأول وأول الموجود منها : بلكل كه بورساله ... مجموعه شريفدر .

ـ مخطوطه فى مجلد ، الصفحة الأولى مجدلة بالمداد الأحمر ، بقلم نسخ معتاد تمت كتابتها فى ١٨ رمضان سنة ١٠٣٠ هـ فى قلعة عاد الجواز ، بخط محمد بن أحمد العاد الجوازى ، فى ٢٢١ ورقة ، مسطرتها ١٧ سطرا ، فى ١٨,٥ × ١٢,٥ سم .

ناقصه بعض الأوراق من الوسط .

ذكر الخطاط فى آخر النسخه إحصاء عن المصاحف والكتب التى نسخها والرحلة التى قام بها واستغرقت أربع سنين وثلاثة أشهر .

(١٣ معارف عامة تركى طلعت)

١٢٧٠ ـ نسخة أخرى أولها كالسبقة مخطوطة فى مجلد مجدولة بالمداد الأحمر بقلم عادى تمت كتابتها يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢١٣ هـ ، بخط محمد ابن الحاج محمد بن محمد ، فى ٣٤٥ ص ، مسطرتها ٢٣ سطرا ، فى ٢٩,٥ × ٢٠,٥ سم .

بها ثلاث صور بالألوان: صورة للأرض، صورة مقياس النيل، دائرة بها صورة الكعبة الشريفة.

(١٥٩ البلدان التيمورية)

١٢٧١ ـ نسخة أخرى أولها كالسابقة مخطوطة في مجلد، بقلم تعليق، بدون تاريخ، في ١٥٤ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرا، في ١٩,٥ × ١٣ سم.

بعض أوراقها ناقصة من آخرها.

(٤٢٩٢ س)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ٣٢٦، ٣٢٧)

ويوجد مخطوط خريدة العجائب في الخزانة العامة بالرباط وجاء بيانه كما يلي:

٥٨٠ د ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ تأليف أبي حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر المعروف بابن الوردي الشافعي، المولود بمعرة النعمان سنة ٦٨٩، والمتوفى سنة ٧٤٩ هـ.

١٠٨٨ د ـ نسخة أخرى منه ـ

بها ورقات ١٣٣، مسطرتها ٢٠، مقياسها ٢٧٠ / ١٨٠.

فرغ منها عام ١٢٩٠، خطوط مغربية مختلفة.

أوله: قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، الحمد لله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، عالم الغيب، كاشف الريب، مذلل الصعاب.

ذكر فيه الأقاليم والبلدان، وما فيها من العادات والنبات والحيوانات. بأوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم.

به ورقات ١٨٠، مسطرته ٢١، مقياسه ٣١٠ / ٢٠٠.

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد في سلخ شهر شعبان المعظم سنة ١١١٣، على يد إسماعيل بن محمد، خط مشرقي جيد.

تكلم عنه بروكلمان في ملحقه ج ٢ ص ١٦٣، وسركيس في معجمه ص ٢٨٤.

طبع موسوما بذكر البلدان والأقطار من خريدة العجائب، باعتناء هيلاندر (A. Hylander) ومعه ترجمة لاتينية في لوند (أسوج) سنة ١٢٨٤، كما طبعت الخمسة أقسام الأولى منه في جزءين ضمن ترجمة لاتينية بعناية ترنبورغ.

وذلك في أوبسلا ١٨٣٥ ـ ١٨٣٩ م (مجموعة مختارة ق ١ / ٧٣).

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي طبع مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون. الطبعة الأخيرة. بدون تاريخ وتقع في ٢٨٠ صفحة من القطع الصغير.

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٠١، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية عام ١٩٨٠ م، ١ / ٣٢٦، ٣٢٧، ومجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٧٣).

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين الدائرة التي بأول كتاب خريدة العجائب والمشتملة على صور الأقاليم كما سبق ذكر ذلك في مخطوط الخزانة العامة بالرباط المبين أعلاه، وتقع في نسختي صفحة ٤.

*** الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية:**

من مصنفات التراث الإسلام في الأدب

مخطوط في المتحف العراقي

الرقم ٣١٣٨٥ / ٢

لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ـ ١٨٥٤ م.

الأول: (يا عليُّ أنت المخصوص بالحمد سرا وجهرا، والمقصور عليه بديع المدح نظما ونثرا ...)

وهي شرح على القصيدة العينية لعبد الباقي العمري المتوفى سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م، فرغ منها الشارح سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م.

نسخة جيدة، كتبت سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م.

٢٢٠ ص. ٢٠×١٥ سم. ١٧ س.

معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٥ معجم ٤، الأعلام ٧ / ١٧٦ طبعت على الحجر.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٦، ١٥٧).

*** خريدة الفوائد وجريدة الفرائد:**

خريدة الفوائد وجريدة الفرائد: لمحمد بن أحمد الدمشقي خطيب العادلية بحلب وهو مختصر أوله: الحمد لله محمود الفعال ... إلخ ذكر فيه أنه ألفه لمحمود باشا ورتب على أربعة أبواب الأول في نصيحة الحكام، والثاني فيما

يتعلق باسمه من علم الحرف، والثالث فيما يناسبه من الأوفاق والخواتيم والأدعية، والرابع فيما يلزمه من تعظيم العلم والعلماء.

(كشف الظنون ١ / ٧٠١).

*** خريدة القصر وجريدة أهل العصر:**

قال حاجي خليفة:

خريدة القصر وجريدة أهل العصر: مجلدات لعماد الدين (الوزير العلامة) أبي عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني المتوفى سنة ٥٥٧ سبع وخمسين وخمسمائة (٥٩٧) أوله: الحمد لله مودع أرواح المعاني أشباح الألفاظ... إلخ ذكر أنه جعله ذيلا على كتاب زينة الدهر للخطيري وهو ذيل دمية القصر للباخرزي وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي وهو ذيل البارع لهارون المنجم وذكر أنه أيضا أورد الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٩٢ اثنتين وتسعين وخمسمائة من أهل العراق والشام ومصر والجزيرة والمغرب وهو في نحو عشر مجلدات.. ومختصره المسمى بعود الشباب ويسميه الشهاب بطرد الذباب في مجلد لمولانا علي بن محمد المعروف برضايي الرومي المتوفى قاضيا بمصر سنة ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف أوله: الحمد لله الذي حمده عنوان كل جريدة (كشف ١/ ٧٠٢).

توجد صورة من مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانها كما يلي:

لعماد الدين الكاتب الأصفهاني أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.

(بروكلمان ١/ ٣١٥ وملحق ١/ ٥٤٨ سماه بروكلمان القصص المغرب عن الخبر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب جزء من قسم الشام، ويشتمل أيضا على القسم الرابع في ذكر محاسن فضلاء مصر وبلاد المغرب.

يبدأ بترجمة الأديب أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي.

وينتهي أثناء ترجمة الصالح طلائع بن رزيك.

نسخة كتبت بخط نسخي جيد مشكول، في القرن الثامن، وهي في ٢١٤ ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرا.

[مكتبة جامع الباشا بالموصل ٢٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ٢ ق٤ / ١٥٨، ١٥٩)

كما توجد قطعة من مخطوط في دار الكتب القطرية. نسخة بخط لا بأس به، ١٣٣ ورقة، ٢٨ × ١٨ سم، مسطرتها ٢٢ سطرا (مخطوطات دار الكتب القطرية ق ٣/ ١٠١)

طبعت الكتاب لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس (الأعراب الرواة/ ٣٣١).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٧٠٢، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م/ ١٥٨، ١٥٩، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ١٠١، والأعراب الرواة - د. عبد الحميد الشلقاني / ٣٣١).

*** الخريدة والدرة الفريدة فيما ورد عن الحفاظ من مثلث الألفاظ:**

(ورد عنوانها أيضا «الخريدة والدرة النضيدة» وكذلك «مثلثات» في اللغة).

المؤلف: إبراهيم بن محمد سعيد بن مبارك فتة، المكي (ت ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م).

قاض فاضل، من أهل مكة. ولي القضاء بمكة سنة ١٢٨٣ هـ، واستمر إلى أن توفي. صنف جملة كتب. أخباره في: «الأعلام» ١ / ٦٧، وقد رجع بشأنه إلى «نظم الدرر» مخطوط، «معجم المؤلفين» ١/ ٩٥).

أولها: «البسملة...

حمداً لباريْ النسم

وذي البقاء والقدم

وقال: «وهذه أرجوزة (في ٢٣ بيتا)، من درة منظومة في جمعها، شبيهة مثلثات قطرب».

آخرها: «تمت هذه المثلثات والحمد لله والصلوات على سيد الكائنات، يوم الجمعة يوم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة ضمن مجموع [الرقم ٧ ـ ١٣٧١٦ مجاميع] فى مكتبة الأوقاف العامة ـ ببغداد («فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد» ٣: ٢٢٢ـ٢٢٣، تسلسل ٥١٤٥).

وهى بخط التعليق «فارسى» ١٧ ق، ٢٣س.

(٢٠ / لغة)

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد، ١/ ١٥٢، ١٥٣).

*** الخريف:**

قال القزوينى عن هذا الفصل من فصول السنة:

وأما الخريف فهو وقت نزول الشمس فى أول الميزان فعند ذاك استواء الليل والنهار مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة، والربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأشجار، فبالخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها، فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويبست أنواع النباتات، وماتت الهوام وانحجرت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة، وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس، وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٦٣، ٦٤).

*** خُرَيْم بن فاتك الأسدى:**

هو من «بنى أسد». صحب النبى ـ ﷺ ـ فروى عنه... وابنه: أيمن بن خُريم، الشاعر.

وكان أبرص. وكان مع «بنى مَروان» يُسامرهم ويؤاكلهم.

حدثنى سهل بن محمد، قال حدثنا الأصمعى، قال: حدثنا زكريا الحبطى، عن أبيه، قال:

قال «عبد الملك بن مروان»، لـ «أيمن بن خريم الأسدى»: إن أباك كانت له صُحبة ولعَمِّك، فخذ هذا المال وانطلق فقاتل «ابن الزُّبير». فأَبَى، وقال:

[وافر]

ولستُ بقاتلٍ رجلاً يُصلِّى
على سُلطان آخر من قُريش
له سلطانُه وعلىَّ وِزْرى
معاذَ الله من سَفَهٍ وطَيش
أأقتلُ مؤمنًا وأعيش حَيًّا
ولستُ بنافع ما عشتُ عَيْشى

(المعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٤٠).

*** الخز:**

جاء فى اللسان: الخَز: معروف من الثياب مشتق منه، عربى صحيح، وهو من الجواهر الموصوف بها؛ حكى سيبويه: مررتُ بَسرْجٍ خَزٍّ صفته.. والجمع خزوز. ومنه قول بعضهم: فإذا أعرابى يرفُل فى الخزوز، وبائعه خَزَّاز. وفى حديث على كرم الله وجهه: نهى عن ركوب الخَز والجلوس عليه. قال ابن الأثير. الخز: المعروف أولا ثياب تُنسج من صوف وإبْريسم (انظر هذه المادة فى م٢/ ١٧٨، ١٧٩) وهى مباحة. قال: وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهى عنها لأجل التشبه بالعجم وزى المترفين. قال: وإن أُريد بالخَز النوع الآخر، وهو المعروف الآن، فهو حرام، لأنه كله معمول من الإبريسم. قال: وعليه يُحمل الحديث الآخر: «قوم يستحلون الخَز والحرير» (اللسان ١٢/ ١١٤٩).

وقد أدرج داود الأنطاكى فى تذكرته مادة بعنوان «خز» فقال: ليس هو الحرير كما ذكر بعضهم بل هو دابة بحرية ذات قوائم أربع فى حجم السنانير لونها إلى الخضرة، يعمل من جلدها ملابس نفيسة تتداولها ملوك الصين، حارة يابسة فى الثانية، تنفع من النِّقرس والفالج وضعف المعدة والأمراض البلغمية، ووبرها يلحم الجراح ويقطع الدم وضعًا، ويسد الفتوق أكلاً، ولبسها يبرئ الجذام والحكة (التذكرة ١/ ١٣٩).

(لسان العرب لابن منظور ٨٢ ١١٤٩ ١، وتذكره أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٩).

* **خزاعة:**

أفرد التقى الفاسى الباب الحادى والثلاثين للكلام على خبر خزاعة ولاة مكة فى الجاهلية ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة ننقل بعضا مما جاء فيه فيما يلى:

ذكر نسبهم:

أما نسبهم فاختلف فيه فقيل: إنهم من عدنان، ومن ولد قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. واسم قمعة عمير ورجح ذلك ابن حزم فى الجمهرة، واحتج له بأحاديث تقوم بها الحجة، وقيل: من ولد الصلت بن النضر ابن كنانة، ذكر هذا القول ابن قتيبة فيما نقله عنه القطب الحلبى. ونص كلامه: قال ابن قتيبة: وأما النضر بن مالك، فهو أبو مالك، والصلت. وأما الصلت فصار إلى اليمن ويقول قوم: إنه أبو خزاعة. ورجعت قريش إلى مالك بن النضر فهو أبوها كلها. اهـ. وليس كل خزاعة على هذه المقالة من ولد الصلت وإنما بعضهم من ولده لأن ابن إسحاق قال فى السيرة: والذين يعزون إلى الصلت بن النضر ابن خزاعة فبنو مليح بن عمرو، رهط كثير عزة. وأنشد ابن إسحاق فى ذلك شعرا، وقيل: إنهم من قحطان. والقول الأول نسب لنساب مضر لأن ابن إسحاق قال فى سيرته: وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن يحيى بن قمعة بن إلياس. اهـ. ونقل ابن عبد البر عن ابن إسحاق قال: وخزاعة بن ربيعة حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث، وخندف أمنا وإنما سميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمر الظهران (هو وادي فاطمة كما يسميه الحجازيون اليوم) فأقاموا بها اهـ.

وما ذكر أن خزاعة من قحطان، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، لأنه قال فيما نقله عنه الزبير بن بكار: فلما لم تتناه جرهم عن بغيهم وتفوق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر، فأوطنوا تمة. وسميق خزاعة خزاعة كعب، وفتح وسعد وعوف وعدى بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وأسلم وملكان ابن قصى ابن حارثة بن عمرو بن عامر اهـ. وقال ابن الكلبى: عمرو بن لُحَي هو أبو خزاعة كلها منه تفرقت وذكر أن لُحيًّا هو ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن، بن الأزد، بن الغوث بن نبت، بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقال ابن الكلبى: قوله عمرو بن ربيعة يعنى عمرو بن لحى كعبا بطن وملحا بطن. وعديا بطن، وعوفا وسعدا وكل من ولد ربيعة بن حارثة فهم خزاعة. وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر تخلفوا عنهم وفارقوهم، وكذلك يقال أيضا: لبنى أفصى بن حارثة لأنهم تخزعوا من ولد مازن بن الأزد فى إقبالهم من اليمن. ثم تفرقوا فى البلدان وفى خزاعة بطون كثيرة.

وقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة: افترقت خزاعة على أربعة شعوب، فالشعب الأول ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر، الأسن بن ربيعة، وهم بنو جفنة. ويقال جفينة الذين بالشام من غسان، والشعب الثانى: أسلم بن أفصى. والشعب الثالث: ملكان. والشعب الرابع مالك بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر. وقال: وإنما قيل لهم خزاعة لأنها تخزعت عن عظم الأزد والانخزاع التقاعس والتخلف، فأقامت بمر الظهران؛ بجنبات الحرم وولوا حجابة البيت دهرا، وما نقلناه عن أبى عبيدة وابن الكلبى نقله عنهما ابن عبد البر فى كتاب له فى الأنساب وقد ظهر بذلك وفيما ذكرناه عن أبى عبيدة وابن هشام أن خزاعة على القول بأنهم من قحطان من ولد حارثة بن عمرو بن عامر وذلك يرد ما ذكره السهيلى فى الروض الأنف، لأنه ذكر فى غير موضع من كتابه هذا ما يقتضى أن خزاعة من ولد حارثة بن ثعلبة بن عامر، لأنه قال: وأسلم إخوة خزاعة، وهم بنو حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر، ذكر ذلك لما تكلم على الحديث الذى احتج به على أن قحطان من عدنان. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: « ارموا يابنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا» حين

قال ذلك لقوم من أسلم بن أفصى رآهم النبى ﷺ يرمون . وقاله السهيلى أيضا : لما تكلم على حديث عمرو بن لحى ، وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة ا هـ . وقد وافق السهيلى على ماذكره فى خزاعة صاحب الاكتفا الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى ، وقد ذكر ابن حزم فى الجمهرة (هو جمهرة أنساب العرب) ما يخالف ما ذكره السهيلى فى ثعلبة لأنه قال : لما ذكر أولاد عمرو بن عامر ، وثعلبة الصيصاء بن عمرو من ولده الأوس والخزرج ا هـ . وابن حزم أقعد من السهيلى بالأنساب لأنه ممن يعول عليه فيها ، كيف وفى كلام غيره من أئمة النسب ما يقتضى أن جد خزاعة على القول بأنهم من قحطان حارثة بن عمرو لا ثعلبة بن عمرو ، وذكر السهيلى وجها فى الجمع بين قول من قال : إن خزاعة من مضر وبين قول من قال : إنهم من قحطان لأنه قال : وقول النبى ﷺ ارموا يا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا» وهو معارض بحديث أكثم بن أبى الجون فى الظاهر إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لُحَى كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن تأيمت من قمعة ولحى صغير ، ولُحَى هو ربيعة فتبناه حارثة وانتسب إليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا إلى حارثة بالتبنى وإلى قمعة بالولادة ، وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة فإنه أخو خزاعة ، والقول فيه كالقول فى خزاعة ، وقيل فى أسلم بن أفصى بن حارثة أنه من بنى أبى حارثة بن عامر أو من بنى حارثة ا هـ . وهذا الجمع يتجه أنه كان المتزوج لأم لحى حارثة بن عمرو بن عامر . لا حارثة بن ثعلبة بن عمرو لما سبق فى ذلك .

وقد بين ابن حزم نسب خزاعة على القول بأنهم من مضر وبيَّن الحجة على ذلك فنذكر ما ذكره لما فى ذلك من الفائدة . فأما ما احتج به ابن حزم على أن خزاعة من مضر فهو حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى ﷺ : «رأيت عمرو بن عامر بن لحى ، يجر قصبه فى النار» . وكان أول من سيب السوائب ، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبو خزاعة» قال ابن حزم : ليس هذا مخالفا لما قبله إذ قد ينسب الولد إلى جده نسبه إضافية ، كما قال النبى ﷺ : «أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» وحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ورأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبا بنى كعب هؤلاء يجر قصبه فى النار» ، وحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول ﷺ : «عرضت علىَّ النار ، فرأيت فيها عمرو بن لُحَى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار . وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وأشبه من رأيت به أكثم بن أبى الجون فقال أكثم : أيضرنى شبهه يارسول الله؟ قال : لا ، لأنه كافر وأنت مسلم» وحديث سلمة بن الأكوع ، قال : خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق . فقال : «ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا» . وهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين . وأخرج ابن حزم منها الأول والثانى والخامس من صحيح البخارى ، وأخرج الثالث من صحيح مسلم بسنده ، وأخرج الرابع من طريق الدارقطنى عن المحاملى ، وقال ابن حزم : وأما الحديث الأول ، والثالث ، والرابع ، ففى غاية الصحة والثبات . وأما الثانى ففيه ما فيه ولكن فى الأحاديث حجة قاطعة ، وكفاية . ولا يجوز تعدى القول بما فيها ، فخزاعة من ولد قمعة بن مضر بلا شك وليس لأحد مع هذا الكلام وأسلم أخو خزاعة بلا شك عند أحد من النسابين . وقال : فولد قمعة بن إلياس عامر بن قمعة ، وولد عامر بن قمعة قصى ربيعة ، وهو لحى بن عامر ابن قمعة ، وولد لحى بن عامر بن قمعة عامر بن لحى ، وولد عامر بن لحى عمرو بن عامر بن لحى . وهو عمرو بن لحى نسب إلى جده . وهو أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، وولد عمرو بن عامر بن لحى كعبا بطن ، وسليحا بطن . وعوفا بطن . أمهم أسدية . وعديا بطن أمه أيضا أسدية ، وسعد أمه خارجة . ا هـ . وإذا تقرر أن خزاعة من مضر فلا يظهر تسميتها لخزاعة معنى ، وإذا كانوا من قحطان فذلك لانخزاعهم عن قومهم بمكة . والانخزاع هو المفارقة ، وفى ذلك يقول عوف بن أيوب الأنصارى الخزرجى :

فلمّـــا هَبَطْنـــا بطـن مُـــر تَخَــزَّعـتْ
خـــزاعــةُ منّـــا فى حُلُـــول كـــراكـــر
حمتْ كل واد مـن تهـــــامـــــةَ واحْتَمتْ
بصُمّ القَنـــا والمـــرهفـــات البـــواتـــر

هكـذا ذكر ابن هشـام فى السيـرة هذين البيتين لعـوف بن ايـوب الأنصـارى، وقـال: هـذان البيتـان لـه فى قصيـدة، وأنشدهما الأزرقى لحسان بن ثابت الأنصارى، وذلك فى خبر طويل رواه عن أبى صالـح ذكر فيه خبر جرهم وخـزاعة، وفيه قـال حسان بن ثـابت الأنصارى يـذكـر انخزاع خـزاعة بمكـة ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة، وغسان إلى الشام:

فلمـــا هبطنـــا بطـن مـــر تخـــزعـت
خـــزاعـــة منـــا فى حلـــول كـــراكـــر
حمـــوا كل واد فـى تهـــامـــة واحتمـــوا
بصُم القنـــا والمـــرهفـــات البـــواتـــر
فكـــان لهـــا المـــربـــاع فـى كل غـــارة
بنجـــد وفى كـل الفجـــاج الغـــوابـــر
ونحـن ظللنـــا فـى اجتهـــاد وهجـــرة
وانصـــارنـــا جنـــد النبى المهـــاجـــر

وذكـر بقيتهـا وهى تسعـة أبيـات تتضمن مـدح الأنصار وغسان.

ذكر سبب ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قـد سبق فى أخبـار جـرهم ابتـداء ولاية خـزاعـة لمكـة؛ واختلاف ما ذكره ابن إسحاق والكلبى فى سبب ولايتهم لمكة فأغنى ذلك عن إعادتـه ونذكـر ههنا غير مـا سبق مما يقتضى ذلك. قـال الفاكهى، بعـد أن روى فى هذا المعنى أخبـارا: قال ابن أبى سلمة، وابن إسحاق فى حديثهما: فلم يزل الأمر بجـرهم، وغبشـان وبكر حتـى اقتتلوا فغلبتهم بكـر وغبشـان وظهروا عليهم، ووطئـوهم، ونفوهم من مكـة إلى ما حـولها، وولوا عليهم البيت وما كانوا يلون بمكة من الحكم وغيره اهـ. وذكـر الزبيـر وغيره من أهل الأخبـار ما يقتضى أن سبب ولايـة خـزاعة للبيت غيـر ما ذكـره ابن إسحاق، وذلك أن امـرأة من خزاعة يقال لها قدامة كانت متزوجة فى بنى إياد بن نزار نظرت إلى بنى إياد لمـا دفنوا الحجر الأسود حين خرجـوا إلى العراق بعـد أن تعـذر عليهم حملـه فإنهم لم يحملـوه على شىء إلا عجز. ففقـدت مضر الركن. فعظم ذلك فى نفـوسها، ورأت المرأة الخـزاعية عظم مشقـة ذلك. فأمـرت قومها أن يـأخذوا على مضر أن يولـوهم حجابة البيت وتدلهم المـرأة على الركن ففعلوا ذلك، ووافقتهم عليه مضر، ودلتهم المرأة على الحجر الأسود، فـابتحثوه من تحت الشجرة وأعيد إلى مكـانه ووليت خزاعة بعد ذلك. ولم يبـرح فى أيديهم حتى قدم قصى؛ هذا معنى ما ذكـره الزبير والكلبى فى هـذا الخبر وقد سبق قـريبا، وبـان بـذلك أن سبب ولايـة خزاعـة للبيت غيـر مـا ذكـره ابن إسحاق. والله أعلم بالصواب.

ذكر مدة ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: قال: حدثنى جدى، قال: حـدثنا سعد بن سالم. عن عثمـان بن ساج عن ابن جريج، وعن أبى إسحاق يزيد أحدهما على الآخر. قال: قـامت خزاعـة على ما كـانت عليه من ولايـة البيت، والحكم بمكة ثـلاثمائة سنـة، وكان بعـض التبابعـة قد سـار إليه وأراد هدمه وتخريبه، فقامت دونه خـزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع، ثم آخر كذلك. وقال الأزرقى أيضا فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: حدثنى جدى، قـال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمـان بن سـاج عن الكلبى عن أبى صـالح فـذكر خبـرا طويلا فى خبر جرهم وخزاعة، قال فيه: فكان عمرو بن لحى على البيت وولده من بعده خمسمـائة سنة، حتى كان آخرهم جليل ابن حبشية ابن سلول بن كعب فـزوج إليه قصى ابنته من ابنه جليل وكـانوا هم حجـابه وخـزانه والقـوام به وولاة الحكم بمكة وهو عامر ولم يخرب فيـه خراب ولم تبن خزاعة فيه شيئا بعد جرهم ولم يسرق منه شىء علمنـاه ولا سمعنا به، وترادفوا على تعظيمه والذب عنه، وقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغبشانى:

نحن ولينـــاه فلـم نغشــــه
وابـن مضـــاض قـــائم يهشـــه
يأخــذ مـــا يهـــدى لـــه يعشـــه
نتـــرك مـــال الله مـــا نمســـه

ذكر من ولى البيت من خزاعة وغير ذلك من خبر جرهم.

اختلف فى أول ملوك خزاعة بمكة، فقيل: عمرو بن لُحَى هو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر على القول بأنهم من قحطان. ويدل لذلك خبر رواه الزبير بن بكار عن أبى عبيدة فيه ذكر شىء من خبر جرهم وخزاعة، لأن فيه: فاجتمعت خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وأمه فهيرة بنت عمرو بنت الحرث بن مضاض الجرهمى، وليس بابن مضاض الأكبر فاقتتلوا ثم قال فيه بعد ذكره لخروج من بقى من جرهم إلى جشم من أرض جهينة: وولى البيت عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر اهـ. وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن عمرو بن لحى أول ملوك خزاعة وفيه ذكر شىء من خبره، وخبر جرهم. لأنه قال: ويقال فى رواية أبى عمرو الشيبانى: إن حجابة البيت صارت إلى خزاعة، لأن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن تزوج فهيرة بنت الحرث بن مضاض الجرهمى، فولدت له عمرو بن ربيعة فلما شب عمرو وساد وشرف طلب حجابة البيت، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم وبين جرهم. وذكروا: أن عمرو بن ربيعة عاش ثلاثمائة وخمسا وأربعين سنة وبلغ ولده فى حياته ألف مقاتل من ولد كعب وعدى وسعد ومليح وعوف بن عمرو، وكانت بينهم حروب طويلة وقتال شديد، ثم إن خزاعة غلبوا جرهمًا على البيت وخرجت جرهم حتى نزلت وادى إضم (واد فى الشمال الغربى من مكة يصب فى البحر) فهلكوا فيه وكان عمرو بن ربيعة أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام وأنه خرج إلى الشام فاستخلف على البيت رجلا من بنى عبد بن ضخم يقال له: آكل المروة [المرار] وعمرو يومئذ وأهل مكة على دين إبراهيم عليه السلام. فلما قدم الشام نزل البلقاء (الأردن الآن) فوجد قوما يعبدون أوثانا فقال: ما هذه الأنصاب التى أراكم تعبدون؟ فقالوا: أربابا نتخذها نستنصر بها على عدونا فننصر، ونستشفى بها من المرض فنشفى، فوقع قولهم فى نفسه. فقال: هبوا لى منها واحدا نتخذه ببلدى، فإنى صاحب بيت الله الحرام وإلىَّ وفد العرب من كل صوب، فأعطوه صنما يقول له: هُبَل، فحمله حتى نصبه للناس بمكة، فتابعته العرب على ذلك، وذكر بقية الخبر، وذكر الأزرقى شيئا من خبر عمرو بن لحى وأبان فيه غير ما سبق لأنه روى خبرا طويلا فى ولاية خزاعة بعد جرهم. وفى الخبر: فتزوج لحى وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحرث بن مضاض بن عمرو الجرهمى؛ فولدت له عَمرا وهو عمرو بن لحى، وبلغ - بمكة وفى العرب - من الشرف ما لم يبلغ عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية. وهو الذى قسم بين العرب فى حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة. وقد كان عوَّر عشرين فحلا، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله، فكان قد فقأ عشرين فحلا، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل ولحمها على الثريد، وعم فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، وكان قد ذهب شرفه فى العرب كل مذهب، فكانه قوله فيهم دينا متبعا، لا يخالف وهو الذى بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، وسيب السوائب، ونصب الأصنام حول الكعبة. وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه فى بطن الكعبة؛ فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام. وهو أول من غيَّر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، وكان أمره بمكة فى العرب مطاعا لا يعصى، وكان بمكة رجل من جرهم (هو الحارث بن مضاض) على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكان شاعرا؛ فقال لعمرو بن لُحَى حين غير دينه الحنيفية:

يـــا عمـــرو لا تظلـم بمــــ
ـــكة إنهـــا بلـــد حـــرام
ســـائل بعـــاد أيـن هـم
وكـــذلك تختـــرم الأنـــام
ومـن العمـــاليق الـــذيــ
ـــن لهم بهـــا كـــان الســـوام

فزعموا أن عمرو بن لحى أخرج ذلك الجرهمى من مكة فنزل بإضم من أعراض مدينة النبى ﷺ فقال الجرهمى وتشوق إلى مكة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
وأهلى معا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفخ فى الشرى
لها بمنى والمأزمين زميل
منازل كنا أهلها لم يحل بنا
زمان بها فيها أراه يحول
مضى أولونا قانعين بشأنهم
جميعا وغالتنا بمكة غول

(العيس : الإبل . الزميل : صوت الإبل فى حدائها) وقيل : إن أول ملوك مكة من خزاعة ، لحى : وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر والد عمرو بن لحى السابق ذكره ، وهذا القول ذكره الأزرقى لأنه روى بسنده خبرا طويلا فى خروج جرهم من مكة . وولاية خزاعة لهم بعدهم ، وفيه بعد أن ذكر تفرق أولاد عمرو بن عامر فى البلاد : وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى أمر مكة وحجابة البيت انتهى . وقيل : إن أول ملوك خزاعة بمكة عمرو ابن الحارث الغبشانى ، ويدل لهذا القول ماذكره الزبير بن بكار عن أبى عبيدة ، لأن فى الخبر الذى ذكره فى إخراج خزاعة لجرهم من مكة بعد قوله : وولى البيت عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر . وقال أبو قصى : بل وليه عمرو ابن الحارث بن عمرو أحد بنى غبشان بن سليم بن بنى ملكان ابن قصى وولى البيت وهو الذى يقول :

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم
لنعمره من كل باغ وملحد

وقال أيضا :

واد حرام طيره ووحشه
ونحن ولاته فلا نغشه

ويرى :

نحن وليناه فلا نغشه

وزاد غير أبى عبيدة :

وابن مضاض قائم يهشه

ونقل الفاكهى ما يقتضى : أن عمرو بن الحارث أول من ولى البيت لأنه قال : قال الواقدى (صاحب كتاب فتوح الشام ت نحو ٢١٦ هـ) : وحدثنى حزام بن هشام عن أبيه قال : أول من وليه من غبشان من خزاعة ، وكان الذى وليه منهم عمرو ابن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قصى ، نصب هبل صنما بمكة . فقال الحارث بن مضاض وهو يعظ عمرا :

يا عمرو لا تفجر بمكة
إنها بلد حرام

فتحصل من هذه الأخبار ثلاثة أقوال فى أول من ولى مكة من خزاعة هل هو عمرو بن لحى كما ذكر أبو عبيدة والفاكهى؟ أو أبوه لحى كما ذكر الأزرقى؟ أو ابن الحارث الغبشانى ، كما ذكر أبو عبيدة وابن الكلبى؟ والله أعلم .

وتحصل من هذا فيمن نصب هُبَل قولان : أحدهما أنه عمرو بن لحى ، وهو القول المشهور . والآخر عمرو بن الحارث الغبشانى كما نقل الواقدى عن ابن الكلبى .

ورأيت فى «المورد العذب الهنى ، فى شرح سيرة عبد الغنى» للحافظ قطب الدين الحلبى فى ذلك قولا ثالثا ، لأنه قال : لما ذكر خزيمة جد النبى ﷺ : وخزيمة هو الذى نصب هبل على الكعبة وكان يقال : هبل خزيمة هكذا ذكر ابن الأثير اهـ.

وذكر ابن إسحاق ما يقتضى أن غبشان من خزاعة انفردت بالكعبة دون بكر بن عبد مناة بن كنانة لأنه قال بعد أن ذكر إخراج بنى بكر وغبشان لجرهم من مكة : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشانى ، وقريش إذ ذاك حلول وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل ابن حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى اهـ.

وذكر الفاكهى عن ابن إسحاق ما يقتضى أن بنى بكر لم

تل مع غبشان البيت ، وإنما كانت بكر عضدا لغبشان ، وأفاد في ذلك غير ما سبق فاقتضى ذكر ما ذكره ونص كلامه : حدثنا عبد الله بن عمران المخزومي قال : حدثنا سعيد بن سالم ، قال : قال عثمان يعني ابن ساج : أخبرني محمد بن إسحاق ، وحدثني عبد الملك بن محمد ، عن زياد بن عبد الله ، عن ابن إسحاق ، يزيد أحدهما على صاحبه في اللفظ ، قال : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت من بعد جرهم دون بكر بن كنانة فكانت بكر لهم عضدا وناصرا ممن بغى عليهم . وقد حاربتهم ، وقريش إذا ذاك حلول وأصرام وهم بيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة . وكان الذي يلي البيت من غبشان عمرو بن الحارث بن لؤي بن ملكان بن قصي وهو الذي يقول :

نحن وليناه فلم نغشه
وابن مضاض قائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يغشه
نترك مال الله لا نمسه

وقال أيضا :

نحن ولينا البيت من بعد جرهم
لنمنعه من كل باغ وظالم
ونمنعه من كل باغ يريده
فيرجع منا عنده غير سالم
ونحفظ حق الله فيه وعهدنا
ونمنعه من كل باغ وآثم
ونترك ما يهدى له لا نمسه
نخاف عقاب الله عند المحارم
وكيف نريد الظلم فيه وربنا
بصير بأمر الظلم من كل غاشم
فوالله لا ينفك يحفظ أمره
ويعمره ما حج أهل المواسم
ونحن نفينا جرهما عن بلادها
إلى بلدة فيها صنوف المآثم

قال : فوليت خزاعة البيت زمانا طويلا ، وهم أخرجوا أسافا ونائلة من الكعبة فوضعوهما على زمزم (انظر مادة «أساف ونائلة» في م ٤/ ١٤١ ، ١٤٢) وذكر الفاكهي خبرا يقتضي بأن قيس بن غيلان أرادوا إخراج خزاعة من مكة فلم يتم لهم أمر لأنه قال بعد أن ذكر شيئا عن الواقدي : فلما مات عمرو بن لحي ولي البيت من بعده كعب بن عمرو فاجتمعت قيس على عامر بن الظرب العدواني ، فسار بهم إلى مكة ليخرج خزاعة ، فقاتلتهم خزاعة فانهزمت قيس ووليت خزاعة البيت لا ينازعهم أحد . ا هـ . واستفدنا من هذا الخبر ولاية كعب بن عمرو بن لحي للبيت بعد أبيه عمرو .

وذكر الفاكهي لبعض عدوان شعرا نال فيه من خزاعة لأن بعض خزاعة قال شعرا تعرض فيه لعدوان فيما يظهر والله أعلم . ونص ما ذكره الفاكهي وقال حليل :

نحن بنو عمرو ولاة المشعر
نذب بالمعروف أهل المنكر
حَسا ولسنا بهذا المحصر

وقال : وأجابه نصر بن الأحت العدواني :

إن الخنا منكم وقول المنكر
جئناكمو بالزحف في المنور
بكل ماض في اللقاء مسعر

وذكر الفاكهي : عن حليل ابن حبشية هذا شعرا آخر ، لأنه قال : وقال حليل ابن حبشية :

واد حرام طيره ووحشه
وابن مضاض قائم يهشه

وقد سبق فيما ذكره الفاكهي عن ابن إسحاق أن عمرو بن الحرث الغبشاني هو الذي يقول :

نحن وليناه فلم نغشه
وابن مضاض قائم يهشه

ولعل حليلا قال ذلك استشهادا فينتفي التعارض والله أعلم . وحليل هذا آخر من ولي البيت وأمر مكة من خزاعة

على ماذكره الفاكهي فيما رواه بسنده عن عائشة وابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار.

وذكر الفاكهي خبرا يقتضي أن أبا غبشان الخزاعي كان شريك حليل في الكعبة، وأبو غبشان هو على ما ذكره الزبير عن الأبرم عن أبي عبيدة: سليم بن عمرو بن لؤي بن ملكان ابن أفصى (مضى ذكره على أن اسمه قصي) بن حارثة ابن عمرو بن عامر، ونص الخبر الذي ذكره الفاكهي قال الواقدي: وسمعت ابن جريج يقول: كان حليل يفتح البيت، فإذا اعتل أعطى ابنته المفتاح حتى تفتحه، فإذا اعتلت أعطت زوجها قصيا يفتحه. وكان قصي يعمل في أخذ البيت وحيازته إليه. وذكر قطع خزاعة منه وكان شريك حليل فيه أبو غبشان وكان حليل يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان. وذكر الفاكهي خبرا يقتضي أن حليلا أوصى بولاية البيت لأبي غبشان لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين الأزدي قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال عيسى بن بكر الكناني المدني قال: قال ابن الكلبي أو غيره: يقال: إن قصيا دعا أبا غبشان الملكاني فقال: هل لك أن تدع الأمر الذي أوصى به إلى حبى وعبد المدان فتخلي بينهما وبينه وتصيب عرضا من الدنيا فطابت نفس أبي غبشان وأجابهم إلى ذلك فأعطاهم قصي أثوابا وأبعرة ولم يكن أبو غبشان وارثا لحليل ولا وليا إنما كان وصيًّا فجاز وصيته وصيرت حبي إلى ابنها حجابة البيت ودفعت المفاتيح إليه اهـ.

وذكر الزبير بن بكار خبرا يقتضي أن حليل بن حبشية جعل لأبي غبشان فتح البيت وإغلاقه، وأن قصيا اشترى ولاية البيت من أبي غبشان بزق خمر وقعود. وهذا الخبر نقله الزبير عن الأشرم عن أبي عبيدة. وقال الزبير: قال محمد بن الضحاك: اشترى قصي مفتاح بيت الله الحرام من أبي غبشان الخزاعي بكبش وزق خمر. فقال الناس: أخسر من صفقة أبي غبشان فذهبت مثلا. اهـ.

فتحصل من هذه الأخبار، فيما اشترى به قصي من أبي غبشان ما كان له في الكعبة، ثلاثة أقوال: هل ذلك أثواب وأبعرة؟ أو هو زق خمر وقعود؟ أوهو كبش وزق خمر؟.

وفي ذلك قول آخر رابع، وهو زق خمر فقط. وذكر الزبير أن أبا غبشان كان يلي البيت وأفاد الفاكهي سببا في بيع أبي غبشان ما كان له في البيت لأن في الخبر الذي نقله الفاكهي عن الواقدي عن ابن جريج بعد قوله «وكان يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان»: وكانت البحائر تنحر عند البيت عند أساف ونائلة، فكان أبو غبشان له من كل بحيرة رأسها والعنق ثم أنه استقل ذلك أن يرضى بذلك فقال: يزيدون الأكتاف. ففعلوا، ثم أدب لهم: فقال: يزيدون العجز، فأبى الناس ذلك عليه. فأتى رجل من بني عقيل يقال له: مرة بن كثير أو كبير ببدنة له وكانت سمينة فنحرها وأبو غبشان قائم. فقال: ابدأ بالعنق، والرأس، والكتف، والعجز. فقال العقيلي: فما بقي إذا لمن سيقت إليه؟ قال: الأكارع، قال: فرفده الناس ومن حضر من قريش وغيرهم وقالوا: عبث، كنت أولا تقول: الرأس والعنق. فكان هذا أخف من غيره، ثم تعديت إلى «الأكارع فقال: لا أقيم في هذا البلد أبدا إلا على ذلك. فلما أبوا عليه. قال: من يشتري نصيبي من البيت بأداوة تبلغني إلى اليمن أو بزق خمر. فاشترى نصيبه في ذلك قصي وارتحل أبو غبشان إلى اليمن. فقال الناس: أخسر من صفقة أبي غبشان.

قال الواقدي: وقد رأيت مشيخة خزاعة تنكر هذا. ونقل الفاكهي عن الزبير بن بكار ما يقتضي أن قصيا اشترى مفتاح البيت من أبي غبشان بالطائف، وهذا يخالف ما في الخبر الذي قبله، فإنه يقتضي أن شراء قصي لذلك كان بمكة.

وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب له في الأنساب شيئا من فضل خزاعة يحسن ذكره هنا، وذلك أنه قال بعد أن ذكر نسبهم نزول خزاعة الحرم ومجاورتهم قريشا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيين: كعب بن لؤي وكعب بن عمرو بن لُحَي، وذلك أن دارهم كانت واحدة، ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وسلم لأنهم حلفاء بني هاشم وقد أدخلهم رسول الله ﷺ في كتاب القضية عام الحديبية حين قاضى مشركي مكة معه وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة بن كنانة معهم، فوقعت حرب بين خزاعة

وبين بنى بكر فأعان مشركو قريش حلفاءهم بنى بكر ونقضوا بذلك العهد. فكان ذلك سبب فتح مكة لنصر رسول الله ﷺ خزاعة حلفاءه (جاء فى هامش (١): وقد أنشد عمرو بن سالم الخزاعى فى ذلك قصيدة طويلة أمام رسول الله ﷺ، ذكرناها فى غير هذا الموضع. فلما سمعها الرسول وعرف منها غدر قريش أقسم قائلا: «والله لأغزون قريشا») وروى عنه ﷺ قال يومئذ لسحابة رآها: واها هذه السحابة تستهل بنصر ابن كعب، وأعطاهم النبى ﷺ منزلة لم يعطها أحدًا من الناس، أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتابا. اهـ. ووقع فيما ذكرناه من خبر عمرو بن لحى ذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، من غير بيان لذلك، وقد بين ذلك ابن إسحاق، أما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة: الناقة إذا تابعت من بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما أنتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهى البحيرة بنت السائبة؛ والوصيلة: الشاة إذا أنتجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الإناث إلى أن يموت منها شىء فيشركون فى أكله ذكورهم وإناثهم. قال ابن هشام: ويروى ما كان ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم. قال ابن إسحاق: والحام: الفحل إذا أنتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلى فى إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك. قال ابن هشام: هذا عند العرب على غير هذا إلا الحام فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق: فالبحيرة عنده الناقة تشق أذنها فلا تركب ظهرها ولا يُجَز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق بها ويهمل لآلهتهم. والسائبة التى ينذر الرجل أن يسيبها إذا برأ من مرضه، أو أصاب أمرا يطلبه، فإذا كان كذلك ساب من إبله ناقة أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فصارت لا ينتفع بها؛ والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطنها فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخاها معها فلا ينتفع به، حدثنى به يونس وغيره، وروى بعض من لم ير بعض.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله رسوله محمدا ﷺ أنزل عليه **﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾** [المائدة: ١٠٣] وأنزل عليه **﴿وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم﴾** [الأنعام: ١٣٩] وأنزل عليه **﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾** [يونس: ٥٩] وأنزل عليه **﴿ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم، إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾** [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤] اهـ. وقال السهيلى: فصل، وذكر البحيرة والسائبة، وفسر ذلك وفسره ابن هشام بتفسير آخر، وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال، منها ما يقرب ومنها ما يبعد عن قولهما، وحسبك منها ماوقع فى الكتاب لأنها أمور كانت جاهلية والله أعلم.

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين الفاسى ٢/ ٤٤-٥٦)

انظر خبر عمرو بن لحى فى مادة «الأصنام» فى م ٥/ ٢١٠، ٢١١. ونوافيك بخبر عمرو بن عامر الذى تنسب إليه خزاعة فى موضعه فى حرف العين إن شاء الله تعالى.

* **أبو خزامة:**

قال ابن عبد البر:

أبو خُزَامة. اسمه رفاعة بن عرابة. ويقال: ابن عرادة العذرى من بنى عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. ويقال فيه الجهنى، وهو بالجهنى أشهر وجهينة أخو عذرة، كان يسكن الحباب، وهى أرض عذرة، له صحبة، عداده فى أهل الحجاز. روى عنه عطاء بن يسار. وقد ذكر بعضهم فى الصحابة آخر أبا خزامة بحديث أخطأ فيه رواية عن ابن شهاب. والصواب ما رواه

يونس بن يـزيد، وابن عيينة، وعبد الـرحمن بن إسحاق. عن الزهري، عن أبي خزامة، أحد بني الحارث بن سعد، عن أبيه ـ أنـه قال: يارسـول الله، أرأيت رقًى نسترقيهـا، وتقًى نتقيها، وأدوية نتداوى بها، أترد من قدر الله؟ فقال رسول الله ﷺ: هي من قدر الله. وقال غيرهم فيه، عن الزهري، عن أبي خزامة بن يعمر، عن أبيه، عن النبي ﷺ. وأبو خزامة هذا من التابعين لا من الصحابة، على أن حديثه هذا مختلف فيه جدا.

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاوي ٤/ ١٦٣٩، ١٦٤٨).

* **الخُزامى:**

أدرجه المظفر الرسولي تحت عنوان «خَزَم وخُزَامى» نقلا عن كتاب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» لعبد الله بن البيطار الذي رمز إليه بالحرف «ع» قال:

خـزَمَ وخُـزَامى ـ «ع» الخـزَم والخُـزامى: نبـات ينبت في البساتين، ذو أوراق قليلة العرض، يحمل زهرا متفرق الورق، لـونـه بنفسجي، بل هـو أحسن من لـون البنفسج، لـه رائحـة حسنة، وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمـونه ويتبركون به، لأن شمه والنظر إليه يحـدث سرورا، ويفرح النفس، ويزيل الغم المعتـرض بـلا سبب، وإذا أمسك إنسان ورقـه في كفـه حُبب إلى كل من ينظر إليه. والخزامى: هي خيرى البر، وهي طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمـراء الزهر، طيبة الرائحة، ليس في الزهر أطيب نفحة منها، تشاكل رائحة فاغية الحناء، وهـو حـار ملطف، مسخن للـدمـاغ البـارد إذا حمل عليـه، ويشرب لسـوء مزاج الكبد والطحال، وإذا بخـر به أذهب كل رائحة منتنة، ويسخن الـرحم، ويجفف رطوباته السـائلة منها سيلانـا مزمنا، ويحسن حـاله، ويعين على الحبل إذا احتمل في فرزجة مجرب.

(المعتمد ١/ ١٢٥)

وقـال عنه داود الأنطـاكي، وقد كتب «خـزاما» بـالألف: خزامـا نبتةٌ لطيفة تقـارب البنفسج حتى إن بصلتها إذا عكست أو شقت صليبا كانت بنفسجا كذا في الفلاحة وهو يبدو بأذار (مارس) ويـدرك بحزيـران (يونيـة) وموضعـه الجبال وبطـون الأوديـة وليس هو بـرى الخيرى بل مستقبـل يزهـر إلى الزرقـة واللازورديـة يخلف بزرا إلى سـواد ذكي الرائحـة يفوق الفـاغية ويقارب النسـرين حار في الثـانية أو بـارد في الأولى رطب في أول الثانية أو يـابس يفتح سدد الدماغ ويقـوى ويجلب زكامًا كثيرا ورطـوبات من الأنف ويحلل الـرياح الغليظـة والصداع البارد ويقوى الكبد والقلب والطحال والكلى ويدر الفضلات وينقى الأرحام ويعين على الحمل شـربا وحمولا وإذا مـزج به البدن طيـب رائحته ومنع نتـونة العـرق وشد الأعصاب ودهنه المستخرج منه يقوم مقام النفط في أفعاله وهو يصدع المحرور ويصلحه الآس وشـربته إلى ثلاثـة وبدله البـابونج (التذكرة ١/ ١٣٩).

وجاء في مفتاح الفلاحة مايلي:

الخزامى (الخيرى أو المنثور)

ضـرب من الريـاحين، وهـو خيـرى البر، ويسمى بمصـر المنثور وهـو خيرى أصفـر والبعض يسميـه البابـونة، طـويلة العيدان، صغيرة الـورق، حمراء الزهر، طيبة الـريح، كرائحة فاغية الحناء، ومنابتها الرمل والرياض (مفتاح الراحة / ٣٢٧).

وقال عنه الشيخ عبد الغني النابلسي:

يزرع بـزره في تشرين الأول (أكتـوبر) والثاني وكـانون الأول والثاني (ديسمبر ويناير) وهو لا يحب الماء ولا الزبل، وينقل في شباط وآذار، ويؤخذ بزره في آب ويحفظ، وهو أنواع، نوع طيب الـريح، وهو المـرماحـوز، ونـوع أقل ريحًا منـه يسمى سموما، ونوع يقال له الأبيض ويقـال له الثور، ونوع بارد، ونوع حـار يسمى مرمـاهونس. والأبيض معتـدل فيه قـوة مفرحـة، والنـوع الحار يـزيل الانتفاخ وينقي البلغم، ويفتح الانسـداد وينفع من الصـداع البـارد ووجـع المعـدة ويقـويهـا ويقـوى الأمعـاء، وبـزره ينفع من الإسهـال والـدوسنطـاريـة إذا قلي. والمرمـاخوز برى وبستـاني، وأجوده البستاني الأخضـر، وهو حـار يـابس في الثـانيـة، وقيل في الثـالثـة، وقيل يـابس في الـرابعة، وقيل حـرارته في الأولى، وهـو لطيف محلل مسكن للأريـاح ويفتح الانسدادات البلغمية حيث كانت، وينشف رطوبة المعـدة ويقويها، وقدر ما يؤخـذ منه درهم، وهو يمنع

القيء، ويعين على الاستمراء، وشمه يجلب الصداع لكن ترياقه الرياحين الباردة (علم الملاحة / ١٦٢).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٢٥، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٣٩، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي العمد / ٣٢٧، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي / ١٦٢. انظر أيضا المواكب الإسلامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحي ـ تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري / ٢٤٧).

*** خزانات ماء الشرب بالمدينة المنورة:**

قال تقي الدين الفاسي:

كان أهل المدينة المنورة في الجاهلية، وصدر الإسلام، يستقون من آبارها الشهيرة بعذوبة مائها: كبئر «بضاعة»، وبئر «اريس» وبئر «بيرحاء»، وبئر «غرس»، وبئر «رومة»، وبئر «البصة»، وبئر «السقيا» وبئر «ذروان»، وبئر «عروة» وبئر «أبي أيوب».

وما زال هذا شأن أهل المدينة المنورة، حتى انتقلت الخلافة من الكوفة إلى دمشق، وأصبح معاوية بن أبي سفيان هو الخليفة. فأحب أن يتخذ يدا عند أهل المدينة المنورة، فبعث إلى واليه فيها «مروان بن الحكم» وكان ذلك في طليعة النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وأمره بإجراء الماء من الضواحي إلى البلدة كما رأى ذلك في دمشق، وأمده من أجل ذلك بكل ما يحتاجه من أموال ورجال وآلات وسوى ذلك.

وبعد أن استقر رأي الخبراء على أن يكون مأتى الماء من ضاحية قباء لعذوبة مياهها وغزارتها. طفقوا يحفرون الأنفاق للديل وقد فرح أهل المدينة بذلك. وسموا عين الماء التي جرت إليهم بالعين الزرقاء نسبة إلى مروان الذي كانت عيناه زرقاوين (الديل: هو جدول الماء، والجمع ديول، وهو اللفظ المطلق لدى أهل المدينة حتى اليوم).

وقد ظل مصدر العين الزرقاء من بئر الأزرق الواقعة غربي مسجد قباء، مدة من الزمن، ثم ضوعف ماؤها من آبار كثيرة، وينابيع شتى، في عصور مختلفة على جملة من الأيدي البارة المحسنة.

وقد وافت عين الزرقاء المدينة المنورة وهي منخفضة، لذلك شيدت لها جملة مناهل ذات دركات يهبط منها إليها كمنهل الزكي، ومنهل درب الجنائز، ومنهل درب السلام، ومنهل حارة الأغوات ومنهل مسجد المصلى، ومن المناهل ماجعل كآبار يجذب الماء من «الديل» بواسطة، الدلاء كمنهل أبي جيدة السواقع قريبا من الجسر. ومنهل الباب المصري، ومنهل باب بصري. ومنهل الباب الشامي.

ولم يفت جلالة الملك سعود حين زار المدينة، أن يمد يده ويساهم في إصلاح العين الزرقاء مساهمة جليلة، حيث أصدر أمره، بإنشاء خزانات حديثة بالأسمنت المسلح، لتحفظ فيها المياه من منابعها صافية نقية، ثم توصل إلى المدينة المنورة في الأنابيب الحديدية الخفية في جوف الأرض وتوزع فيها على محلاتها.

والذي يدلنا على اهتمام جلالة الملك بمشروع خزانات العين الزرقاء، وضعه الحجر الأساسي بيده. وقد دس فيه جملة من النقود الذهبية والفضية وبعض الوثائق التاريخية والخرائط، وجملة من أعداد جريدة المدينة المنورة. وبالله التوفيق اهـ.

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي ٤٣٠، ٤٣١).

*** خزانة الأدب وغاية الأرب:**

من مخطوطات الأدب بخزانة المدرسة الأحمدية (في محلة الجلوم ـ البهراقية) بحلب، وهي الآن تحت رعاية الأوقاف ـ وجاء بيان المخطوط كما يلي:

١٠ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ـ أو شرح بديعية ابن حجة الحموي.

ـ تأليف: أبي بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ٧٦٧ ـ ٨٣٧ هـ ـ ١٣٦٦ ـ ١٤٣٤م.

ـ شرح فيه قصيدته البديعة التي أسماها «تقديم أبي بكر» وعدد أبياتها مائة وثلاثة وأربعون بيتا وهي مشتملة على مائة وستة وثلاثين نوعا، وهذا الشرح من أجل كتب المجاميع

الأدبية لما اشتمل عليه من الشواهد والنوادر. وقد أتم تأليفه سنة ٨٢٦ هـ.

ـ أوله بعد البسملة: قال الشيخ ... أبو المحاسن تقى الدين ... أبو بكر بن حجة ... الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعه ... ».

ـ آخره: «... ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة والسلام. قال المصنف رحمه الله وكان الفراغ من هذا التصنيف المبارك فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة والحمد لله وحده».

ـ النسخة جيدة قريبة من عهد مؤلفها، تمت نساختها سنة ٨٨٤ هـ. خطها تعليق معتاد، وأبيات المتن بالحمرة، ولم نقف على اسم الناسخ.

(٢٣٢) ق ـ المسطرة (٣٥) س ـ الأحمدية ـ الأدب (١٠٥٣)

الكشف ١ / ١٩١ ـ بروكلمان ٢/ ١٦ ـ بروكلمان ـ الذيل ٢ / ٩.

كما يوجد مخطوط بخزانة القرويين وجاء بيانه كما يلى:

شرح على قصيدته البديعية فى مدح النبى ﷺ. سفر ضخم بخط مشرقى واضح جيد فى أوراق ملونة أحيانا ومداد أسود مرصع بالألوان المختلفة جزئ إلى جزءين فى سفر واحد، من تحبيس السلطان مولاى عبد الله بتاريخ شوال عام ١١٦٩.

فرغ منه مؤلفه سنة ٨٢٦ وبأول ورقة منها ما صورته: كتاب شرح البديعيات لإمام العصر وعلامة الزمان ملك النحاة وسلطان المتأدبين وقدرة الدين أبو بكر ابن حجة الحموى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بجاه سيدنا محمد وآله وصحابته، وعقبه التعريف بابن حجة المذكور نقلا عن شهاب الدين ابن حجر فى كتابه إنباه الغمر بأبناء العمر وملخصه أن أبا بكر بن على ابن حجة الحموى شاعر الشام تقى الدين الأزرارى كان يعقد الأزرار ومهر فى الأزجال قال: ولما شاع أمره نظم قصيدة بديعة على طريقة شيخه العز الموصلى وشرحها فى ثلاث مجلدات ومات ببلده فى الخامس والعشرين من شعبان سنة ٨٣٧ قال ابن حجر: سمعت من نظمه كثيرا وسمعت عليه معظم شرحه على البديعية وجملة من إنشائه ولقيته بحماة سنة ٣٦ ونعم الرجل كان رحمه الله تعالى اهـ باختصار.

وأول القصيدة البديعية المشروحة:

لى فى ابتداء مدحكم ياعرب ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

وأول شرحه: الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعه وأولانا جميل الصنيع.. على نمط بديعية شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الأندلسى الشهيرة ببديعية العميان، وبديعية صفى الدين الحلى، وقد تعرض المؤلف فى أول شرحه للمقارنة بين بديعيته وبديعيات من ذكر وأطنب فى ذلك كما نقل خطبة كتابه المسمى بمجرى السوابق فى وصف الخيول المسومة، وشرح البديعية هذا مملوء أدبا ورقة وعلما وقد أكثر فيه من ذكر صلاح الدين الصفدى وجمال الدين ابن نباتة وأطنب فى باب التورية من نقل كلام العصابة التى انتهجت طريقة القاضى الفاضل كما ورد ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى وأتى بكثير من بدائعه وبيَّن أن الشيخ جمال الدين ابن نباتة أغار على الوداعى فى كثير من غرائبه كما أغار الصفدى على ابن نباتة وشرح ذلك واستشهد عليه فى هذا الباب (التورية)، وقد أورد المؤلف نص استجازة الشيخ الصفدى من ابن نباتة محمد بن محمد. وأورد نص الإجازة المذكورة مؤرخة بمستهل شعبان سنة ٧٢٩ وذكر ابن نباتة فى إجازته له أن مولده بمصر فى ربيع الأول سنة ٦٨٦ وعدد شيوخه وبعض إنشاداتهم له كما ذكر موضوعاته ومؤلفاته ثم نقل عن شهاب الدين ابن حجر بعض مقاطيع والده أبى الحسن وقال عنه: كان والدى رحمه الله معدودا فى طبقات ابن الصاحب وبينهما مجارة كثيرة عند أهل مصر مشتهرة لكننى لم أظفر بديوانه الكبير وإنما وقفت له على مقاطيع يسيرة وعلى مدائحه النبوية التى سماها ديوان الحرم.. ونقل عدة من ذلك كما نقل المؤلف ما خيره من نظم الشيخ شهاب

الـدين بن أبى حجلة وتكـرر قولـه فيه: إنـه كان يـرضى لأجل الكثرة بالرخيص كما نقل كثيرا من لطائف علامة العصر الشيخ بدر الـدين محمد بـن الدماميني المخزومي المالكي. وقال أيضا مرة عند ذكر ابن حجر: ومما اختاره سيدنا الشيخ الإمام الحـافظ أبـو العبـاس ابن حجـر العسقـلانـى الشـافعى من مقطعـات نظمه لنفسـه الكريمـة حرسهـا الله تعالى فى بـاب التوريـة. فرأيت أن يكون وسيطة لهـذا العقد فكتبت ذلك من خطه الكريم من كراسة كان أتحف بها العبد فنظمتها فى عقد هذه الأسـلاك.. ثم ذكر من نظم الشيخ بـدر الدين البيتيكى فسح الله فى أجلـه ونقل عن كتـابـه المسمى بـرفع شـان العميـان.. وبالجملـة فقد أطنب المـؤلف فى بـاب التوريـة وأكثر فى ذلك ممـا أخذ نحو ٧٩ ورقـة حتى قال أثناء كـلامه مرة: وقد عَنَّ لى إذ أفرغت من هذا الشرح أن أفرد باب التورية والاستخدام ثم تكلم المؤلف على اللغز عند قوله وكلما ألغزوه حلة لسن ... وأتى بعدة الغاز لعـدة أفراد من الأدباء ولما تكلم على السجع أتى بعدة من نثره البديع ... ابتدأ قصيدتـه ببراعة المطلع وختم بحسن الخاتمة فى قوله:

حسن ابتـدائي بـه أرجـو التخلص من نـار الجحيم وهـذا حسن مختتم ويسمى أيضـا حسـن المقطع، قـال المـؤلف: وكان الفراغ من هذا التصنيف المبارك فى شهر ذى القعدة سنة ست وعشرين وثمان مائة، قال نـاسخه وكان الفراغ من كتابته يـوم السبـت المبـارك سـادس شهـر رجب الفـرد سنـة أربع وخمسين وثمان مائة وأورد الناسخ عقب ذلك تقريظ الكتاب لشهـاب الـديـن أحمـد بن أبى الحسن نـور الـدين على بن حجرالعسقلاني، ومن جملـة قوله فيه أشهد أن أبـا بكر مقدم على أنصاره فلا أعدل في هذه الشهادة من أحمد وأجزم برفعه قدره على كل من انتصب لهذا الفن ولا أبلغ من حاكم يشهد.

قلت: وإنما أطلت في نقل بعض ما تضمنـه هذا الكتاب من الغـرائب والنـوادر لأجل تنبيه الكثير من النـاس على مـا تضمنته بعض هـذه الكتب التى أهملت إهمـالا من القـراء، وربما يجـد فيها الباحث والأديب مـا لا يجده فى غيرهـا وقد طبع الشرح المذكـور عدة مرات بمصر كمـا طبع كتابه كشف اللثام الذى وعد بتأليفه، ببيروت.

أوراقه ٣٠٧ مسطرته ٢٧ مقياسه ٢٧ / ١٨

(فهرس القرويين ٢ / ١٢١ـ٢٢٣)

(المنتخب من المخطوطـات العربيـة فى حلب. مركـز الخدمـات والأبحـاث الثقـافيـة ق ٤ / ٢٤٤، ٢٤٥، وفهـرس مخطـوطـات خـزانـة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢ / ١٢١ـ١٢٣).

قالت المؤلفـة: أوردنا بديعية ابن حجة الحمـوى بتمامها فى مـادة «ابن حجـة الحمـوى» فى م ١٣ / ٢١٦ ــ ٢٢٠ فانظرها فى موضعها.

*** خزانة الآدب ولب لباب لسان العرب:**

كتاب من تأليف عبد القـادر البغدادى، الذى نشأ ببغداد وتردد على القاهرة (توفى سنة ١٠٩٣) وهو أشهر كتبه شرح فيه شـواهد شـرح الكـافيـة للرضى، واستطـرد فى الأدب واللغـة وتاريخ العرب. وهـذا الكتاب فى اتساع مباحثـه واستقصائها جدير بأن يوضع فى مرتبة الكتب التى ألفت فى عصور ازدهار التأليف، وهو كتـاب جليل القيمة جـدا يدل على علم واسع ودقة وتمحيص (المجمل / ١٦٥، والمفصل ٢/ ٢٨٤).

وقد جاء فى فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية أن منه نسخة تامة فى جزأين ذكرا فى فهرس مخطوطات النحو صفحة ١٧٧ ولم يرد اسم الناسخ أو تاريخ النسخ وبيانها كما يلى:

الجـزء الأول: الـرقم ١٦٨٣ ٤٨٦ ق ٣٥ س ٢٩ × ١٩,٥ سم.

الجـز الثانى: الـرقم ١٦٨٤ ٦٠١ ق ٣٥ س ٢٩ × ١٩,٥ سم.

(فهرس الظاهرية ٢ / ٤٠٠، ٤٠١)

أما عن طبعات الكتاب فهنـاك طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ وطبعة السلفية سنة ١٣٤٧ هـ، وظهر فى سلسلة تراثنا بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٦٧ م (الأعراب الرواة / ٣٣١).

أما الطبعة التى عندى فقد عنيت بنشرها المطبعة السلفية ومكتبتها، وإدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ. طبعت على نسخة العلامة الشنقيطى (رقم ١ نحو ش بدار الكتب المصرية) وهى منقولة من نسخة المؤلف وحليت بتصحيحات العلامة الجليل تيمور باشا، وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص إتماما للفائدة. ومن هذه النسخة ننقل لك فيما يلى مقدمة المؤلف بتمامها رغم طولها لفوائدها اللغوية، ولما تزخر به من معلومات عن المصادر التى اعتمد عليها المؤلف. وقد قسم المقدمة إلى «أمور» ثلاثة: الأمر الأول فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف، الأمر الثانى فى ذكر المواد التى اعتمد عليها وانتقى منها، وهما ما نكتفى بذكرهما هنا. وأما الأمر الثالث فيتعلق بترجمة الشارح الإمام محمد بن الحسن الشهير بالرضى الأستراباذى، ونوردها فى موضعها فى حرف الراء إن شاء الله تعالى.

قال عبد القادر البغدادى بعد البسملة والحمدلة:

أما بعد فيقول المفتقر الى معونة ربه الهادى، عبد القادر ابن عمر البغدادى: هذا شرح شواهد شرح الكافية لنجم الأئمة، وفاضل هذه الأمة، المحقق محمد بن الحسن الشهير بالرضى الأسترباذى عفا الله عنه ورحمه؛ وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء، ودقق النظر فيه أماثل الفضلاء، وكفاه من الشرف والمجد، ما اعترف به السيد والسعد(السيد هو على بن محمد بن على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ صاحب التعريفات. قال كاتب جلبى: له حاشية على شرح الرضى للكافية. وله شرح الكافية بالفارسية. وأما السعد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ) لما فيه من أبحاث أنيقة، وأنظار دقيقة؛ وتقريرات رائقة، وتوجيهات رائقة، وتوجيهات فائقة؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة أو كالأمة الممسوخة؛ الا أن أبياته التى استشهد بها ـ وهى زهاء ألف بيت ـ كانت محلولة العقال ظاهرة الأشكال، لغموض معناها وخفاء مغزاها؛ وقد انضم اليها التحريف، وبان عليها أثر التصحيف؛ وكنت ممن مرن فى علم الأدب، حتى صار يلبيه من كثب؛ وأفرغ فى تحصيله جهده، وبذل فيه وكده وجمع دواوينه، وعرف قوانينه، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار؛ فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، وشرعت فى شرحها على وفق المنى والمراد، فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد، فائقا على جميع شروح الشواهد، فهو جدير بأن يسمى «خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب» وقد عرضت فيه بضاعتى للامتحان، وعنده يكرم المرء أو يهان.

على أننى راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علىّ ولا ليا

وقد جعلته هدية لسُدَّة هى مقبل شفاه الأقيال، ومخيم سرادق المجد والإقبال ... إلخ ألا وهو السلطان ابن السلطان، السلطان الغازى (محمد خان) ابن السلطان (ابراهيم خان)، نخبة آل عثمان ... إلخ.

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود فنقول بعون الله المعبود:

الأمر الأول

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف.

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر «علوم الأدب ستة: اللغة والصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين، لأنها راجعة إلى المعانى ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قُبِل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى وأبى تمام وأبى الطيب وهلم جرا».

(الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى المتوفى ٧٧٩. وابن جابر هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الهوارى (٦٩٨ ـ ٧٨٠ هـ) كلاهما نحوى. وكان أولهما معروفًا بالبصير وأما الثانى فقد كان ضريرا. وبديعيته تعرف ببديعية العميان، واسمها: الحلة

السيرا في مدح خير الورى (وقد طبعتها المطبعة السلفية وكانا يترافقان في التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق حيث طوفا زمنا طويلا في ربوع مصر والشام. قال ابن حجر في الدرر الكامنة: فكان ابن جابر ينظم والغرناطي يكتب، ثم نبغ الغرناطي في النظم أيضا، لكن المكثر هو ابن جابر).

وأقول: الكلام الذي يستشهد به نوعان: شعر وغيره: فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع: (الطبقة الأولى) الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرىء القيس والأعشى، (والثانية) المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان، (والثالثة) المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق (والرابعة) المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس. فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعا، وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها؛ وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق والحسن البصري وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم، كما سيأتي النقل عنهم في هذا الشرح إن شاء الله في عدة أبيات أخذت عليهم ظاهرا؛ وكانوا يعدونهم من المولدين لأنهم كانوا في عصرهم والمعاصرة حجاب؛ قال ابن رشيق في العمدة (الجزء الأول: باب في القدماء والمحدثين) «كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو يقول: لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا بروايته. يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ـــ فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين؛ قال الأصمعي: جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي». وأما (الرابعة) فالصحيح إنه لا يستشهد بكلامها مطلقا؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري وتبعه الشارح المحقق فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع من هذا الشرح؛ واستشهد الزمخشري أيضا في تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره، وقال: «وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه» اهـ واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها؛ ومن البين أن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية خاصة فهي كنقل الحديث بالمعنى وقال المحقق التفتازاني في القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى: «ليس بسديد بل هو بعمل الراوي أشبه وهو لا يوجب السماع إلا ما كان من علماء العربية الموثوق بهم فالظاهر أنه لا يخالف مقتضاها، فإن استؤنس به ولم يجعل دليلا لم يرد عليه ما ذكر ولا ماقيل من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما وقع في كلام علماء المحدثين كالحريري وأضرابه، والحجة فيما رووه لا فيما رأوه، وقد خطأوا المتنبي وأبا تمام والبحتري في أشياء كثيرة كما هو مسطور في شروح تلك الدواوين؛ وفي الاقتراح للجلال السيوطي «أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية، وفي الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها، فإنه استشهد على مسألة بقول أبي تمام الطائي: وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا إليه لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره، ذكره المرزباني وغيره، ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج» اهـ (الاقتراح للسيوطي كتاب في أصول علم النحو وجدله طبع في حيدرآباد الدكن وهو قيم ممتع، قال في مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعيف خصائص ابن جني ما يتعلق بهذا الفن، وأنه أول مقيم لذلك العلم)وكذا عد ابن رشيق في العمدة طبقات الشعراء أربعا، قال: هم جاهلي قديم ومخضرم وإسلامي ومحدث. قال: ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا. وجعل الطبقات بعضهم ستا، وقال: الرابعة المولدون وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر، والخامسة المحدثون وهم من بعدهم كأبي تمام والبحتري، والسادسة المتأخرون وهم من بعدهم كأبي الطيب المتنبي. والجيد هو الأول، إذ ما بعد

المتقدمين لايجوز الاستدلال لكلامهم فهم طبقة واحدة ولا فائدة فى تقسيمهم .

وأما قائل الثانى (أى النوع الثانى وهو ماكان غير شعر) فهو إما ربنا تبارك وتعالى فكلامه - عز اسمه - أفصح كلام وأبلغه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه ، كما بينه ابن جنى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه ؛ وإما بعض أحد الطبقات الثلاث الأُول من طبقات الشعراء التى قدمناها .

وأما الاستدلال بحديث النبى ﷺ فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم ، وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان وسندهما أمران : أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى ﷺ وإنما رويت بالمعنى (النقل بالمعنى شىء ليس بمقصور على الأحاديث فحسب ، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل . والقول بان منشأه تعدد لغات القبائل ليس مما يتمشى فى كل موضع . أن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خرط القتاد . زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق من مثل ابن دأب وابن الأحمر والكلبى وأضرابهم ، ورواة الشعر أيضا فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم . على أن المسلمين فى القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته ، وقد قيض الله لأحاديث رسوله من الجهابذه النقاد من نفى عنه ما كان فيه شبهة الوضع والانتحال ، وهذا حرم الشعر مثله) ، وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصرَين لم يحتجوا بشىء منه . ورد الأول - على تقدير تسليمه - بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق ، على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف . ورد الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه ، ويلحق به ماروى عن الصحابة وأهل البيت كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ماقيل فى المنع والجواز ، فاستمع لما ألقيه بإطناب دون إيجاز :

قال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل «تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة - كسيبويه وغيره - الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة كلام النبى ﷺ لأنه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى» اهـ .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل (نقل السيوطى فى الاقتراح قول أبى حيان هذا) : قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب . وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره ؛ على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب - كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين - لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس . وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم فى إثبات القواعد الكلية ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت فى زمانه ﷺ لم تقل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روى من قوله ﷺ «زوجتكها بما معك من القرآن» «ملكتكها بما معك من القرآن» «خذها بما معك من القرآن» وغيرذلك من الألفاظ الواردة ، فنعلم يقينا أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ غيرها فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما مع تقادم السماع ، وعدم ضبطها بالكتابة ، والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى وأما من ضبط اللفظ فبعيد

جدا لا سيما فى الأحاديث الطوال ؛ وقد قال سفيان الثورى : «إن قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى إنما هو المعنى» ومن نظر فى الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم يروون بالمعنى . الأمر الثانى : أنه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث، لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون، ودخل فى كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب . ونعلم قطعا من غير شك أن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم ذلك له من غير معلم . والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد فى الأثر متعقبا بزعمه على النحويين وما أمعن النظر فى ذلك ولا صحب من له التمييز. وقد قال لنا قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ـ وكان ممن أخذ عن ابن مالك ـ قلت له : يا سيدى هذا الحديث رواية الأعاجم ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول؛ فلم يجب بشىء . قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدىء ما بال النحويين يستدلون بقول العرب ، وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول كالبخارى ومسلم وأضرابهما؟! فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذى لأجله لم يستدل النحاة بالحديث» اهـ.

وتوسط الشاطبى فجوز الاحتجاج بالأحاديث التى اعتنى بنقل ألفاظها . قال فى شرح الألفية « لم نجد أحدًا من النحويين استشهد بحديث رسول الله ﷺ وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم ، وأشعارهم التى فيها الفحش والخنا ، ويتركون الأحاديث الصحيحة ، لأنها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم فإن رواته اعتنوا بألفاظها لما ينبنى عليه من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ؛ كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته ﷺ، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية ؛ فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية . وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضرورى الذى لا بد منه ، وبنى الكلام على الحديث مطلقا ؛ ولا أعرف له سلفا إلا ابن خروف فإنه أتى بأحاديث فى بعض المسائل حتى قال ابن الضائع لا أعرف هل يأتى بها مستدلا بها أم هى لمجرد التمثيل؟ والحق أن ابن مالك غير مصيب فى هذا ، فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف» اهـ.

وقد تبعه السيوطى فى الاقتراح . قال فيه : «وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما أثبت أنه قاله على اللفظ المروى؛ وذلك نادر جدا ، إنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة أيضا ، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة فى الحديث» ثم نقل كلام ابن الضائع وأبى حيان وقال «ومما يدل على صحة ما ذهبا إليه أن ابن مالك استشهد على لغة أكلونى البراغيث بحديث الصحيحين (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وأكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون ، وقد استشهد به السهيلى ، ثم قال : لكنى أنا أقول : إن الواو فيه علامة إضمار، لأنه حديث مختصر، رواه البزار مطولا. فقال فيه «إن الله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وقال ابن الأنبارى ـ فى الإنصاف ـ فى منع «أن» فى خبر كاد . وأما حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا» فإنه من تغيير الرواة لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد» اهـ وقد رد هذا المذهب الذى ذهبوا إليه البدر الدمامينى فى شرح التسهيل ، ولله دره! فإنه قد أجاد فى الرد، قال «قد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنع أبو حيان عليه وقال : إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له ، لتطرق احتمال الرواية بالمعنى ، فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه

عليه الصلاة والسلام حتى تقوم بـه الحجة. وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأى ابن مالك فيما فعلـه، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هـذا الباب وإنما المطلـوب غلبة الظن الذى هو منـاط الأحكام الشرعية، وكذا مـا يتوقف عليه من نقل مفـردات الألفاظ وقـوانين الإعراب، فـالظن فى ذلك كلـه كاف، ولا يخفى أنـه يغلب على الظن أن ذلك المنقـول المحتج بــه لم يبـدل لأن الأصل عـدم التبـديـل، لا سيمـا والتشديد فى الضبط، والتحرى فى نقل الأحاديث، شائع بين النقلة والمحدثين؛ ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هـو عنـده بمعنى التجـويـز العقلى الـذى لا ينافى نقيضـه، فلـذلك تـراهم يتحـرون فـى الضبط ويتشـددون، مع قـولهـم بجواز النقل بالمعنى؛ فيغلب على الظن من هـذا كله أنها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح فى صحة الاستدلال بها. ثـم إن الخـلاف فى جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يـدوّن ولا كتب، وأما ما دون وحصـل فى بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم، قال ابن الصلاح بعـد أن ذكر اختـلافهم فى نقل الحديث بـالمعنى إن هذا الخلاف لانـراه جاريا ولا أجراه الناس ـ فيمـا نعلم ـ فيما تضمنته بطون الكتب فليس لأحد أن يغير لفظ شىء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظـا آخر ا هـ وتدوين الأحـاديث والأخبار بل وكثير من المـرويات وقع فى الصدر الأول قبل فسـاد اللغة العربية، حين كـان كلام أولئك المبدلين على تقـدير تبديلهم يسوغ الاحتجـاج به، وغـايته يـومئذ تبـديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، فلا فـرق بين الجميع فى صحة الاستدلال؛ ثم دون ذلك المبدل ـ على تقدير التبـديل ـ ومنع من تغييره ونقله بالمعنى كما قـال ابن صلاح، فبقى حجةً فى بـابه، ولا يضر تـوهم ذلك السـابق فى شىء من استـدلالهم المتأخـر، والله أعلم الصواب» ا هـ كلام الدماميني.

وعلم مما ذكرنا ــ من تبيين الطبقات التى يصح الاحتجاج بكلامها ــ أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعـرف قائله، صـرَّح ذلك ابن الأنبـارى فـى كتـاب الإنصـاف فى مسـائل الخلاف؛ وعلة ذلك مخافة أن يكـون ذلك الكلام مصنوعا أو لمـولد أو لمن لا يـوثق بكلامـه؛ ولهذا اجتهـدنا فى تخـريج أبيات الشـرح، وفحصنا عن قـائليها حتى عزونـا كل بيت إلى قائله ــ إن أمكننا ذلك ـ ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلتـه، وميزنا الإسلامى عن الجاهلى، والصحابى عن التابعى، وهلم جرا، وضممنا إلى البيت مـا يتوقف عليه معناه؛ وإن كـان من قطعة نـادرة أو قصيدة عـزيـزة أوردنـاها كـاملـة، وشـرحنا غـريبهـا ومشكلهــا، وأوردنـا سببهــا ومنشأهــا؛ كل ذلك بــالضبط والتقييـد، ليعم النفع ويؤمن التحـريف والتصحيف، وليـوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه. قال ابن النحاس فى التعليقة «أجاز الكوفيون إظهار «أن» بعد «كى» واستشهدوا بقول الشاعر:

أردت لكيمـــــا أن تطيـــــــر بقـــــربتى
فتتــــــركهــــا شنــــا ببيـــــداء بلقــع

قال: والجـواب أن هذا البيـت لا يعرف قـائله ولـو عرف لجاز أن يكون من ضرورة الشعر. وقـال أيضا: ذهب الكوفيون إلـى جــواز دخـول الــلام فـى خـــبر لـكــن واحتجــوا بقـوله:

ولكننى من حبها لعميدُ

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائلـه ولا أوله، ولم يذكر منه إلا هذا، ولم ينشده أحد ممن وثق فى اللغة، ولا عزى إلى مشهـور بالضبط والإتقـان» ا هـ ويـؤخذ من هـذا أن الشاهـد المجهول قائله وتتمته إن صـدر من ثقة يعتمد عليه قُبل، وإلا فلا. ولهذا كانت أبيات سيبويـه أصح الشواهد، اعتمد عليها خلف بعد سلف، مع أن فيها أبياتا عديدة جهل قائلوها، وما عيب بها نـاقلوها. وقـد خرج كتـابه إلى الناس والعلمـاء كثير العناية بالعلم وتهذيبه وكيدة، ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر. وقد روى فى كتابه قطعـة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغـة جميع ما فيها ولا ردوا حرفا منها. قال الجرمى «نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتـا، فأما الألف فقد عرفت أسمـاء قائليها فأثبتهـا، وأما الخمسـون فلم أعرف أسمـاء قائليهـا» فاعتـرف بعجزه ولم يطعن عليه بشىء.

(كتب الأستاذ أحمد تيمـور باشا على هامش الخـزانة فى هذا الموضع ما يأتى:

«ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه الحماسة السنية أن واحدا منها عرف اسم قائله وهو:

«أفبعد كندة تمدحن قبيلا»

قال: وصدره «قالت فطيمة جل شعرك مدحه»

وهو لامرىء القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتا نادرة الوجود، أوردها كلها في الحماسة المذكورة» انتهى) ولم يطعن عليه بشيء. وقد روى هذا الكلام لأبي عثمان المازني أيضا، ولكون أبياته أصح الشواهد التزمنا في هذا الشرح أن ننص على ما وجد فيه منها بيتا بيتا، ونميزها عن غيرها ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها، وربما روى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ربما لا يكون موضع الشاهد في بعضها أو جميعها، ولا ضير في ذلك لأن العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التي فطره الله عليه وبسببه تكثر الروايات في بعض الأبيات فلا يوجب ذلك قدحا فيها ولا غضا منه، فإذا وقع في هذا الشرح من ذلك شيء نبهنا عليه.

والتزمنا في شرح هذه الشواهد عدها واحدا بعد واحد ليسهل موضع الحوالة فيه، ويزول التعب عن متعاطيه.

الأمر الثاني:

في ذكر المواد التي اعتمدنا عليها وانتقينا منها، وهي «ضروب وأجناس» فمنها ما يرجع إلى «علم النحو» وهو كتاب س (أي كتاب سيبويه) والأصول لابن السراج، ومعاني القرآن للفراء. ومعاني القرآن للزجاج. وتآليف أبي علي الفارسي: كالتذكرة القصرية، والمسائل البغدادية، والمسائل العسكرية، والمسائل البصرية، والمسائل المنثورة، ونقض الهاذور على ابن خالويه، وكتاب الشعر. وتآليف تلميذه ابن جني: كالخصائص، والمحتسب، وشرح تصريف المازني، وسر الصناعة، وإعراب الحماسة، والمبهج في شرح أسمائها، وشرح ديوان المتنبي. والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري. وتذكرة أبي حيان، وارتشاف الضرب له أيضا. والضرائر الشعرية لابن عصفور. والأمالي لابن الحاجب. والأمالي لابن الشجري. وشروح الكافية وشروح التسهيل. ومغني اللبيب، وشروحه. وغير ذلك من المتداول.

ومنها ما يرجع إلى «شروح الشواهد» وهو شرح أبيات الكتاب: لأبي جعفر النحاس، وللأعلم الشنتمري، ولابن خلف، ولأبي محمد الأعرابي المسمى فرحة الأديب. وشرح أبيات الجمل لابن السيد البطليوسي، ولابن هشام اللخمي، ولغيرهما. وشرح أبيات المفصل لابن المستوفي الإربلي، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخمير. وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعيني، وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصاري، ولم يكمل. وشرح أبيات الكشاف للحموي. وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلي (يوجد منه نسخة بحيدر آباد وأخرى ببانكي بور واسمه «الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف» وخضر هذا ترجم له الخفاجي في الريحانة ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ).

وشرح أبيات الإيضاح والمفتاح في علم المعاني. وشرح أبيات التلخيص للعباسي. وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوسف بن السيرافي. وشرح أبيات الغريب المصنف له أيضا. وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقي، ولابن السيد البطليوسي، وللبلي (أحمد بن يوسف بن علي) وشرح أبيات الآداب. المسمى بالعباب وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى «تفسير أبيات المعاني المشكلة» وهو أبيات المعاني للأخفش المجاشعي؛ وأبيات المعاني للاشنانداني بخط ابن جني وعليها إجازة أبي علي له. وأبيات المعاني لابن السكيت. وأبيات المعاني لابن قتيبة في مجلدين ضخمين. وأبيات المعاني لابن السيد البطليوسي وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى «دفاتر أشعار العرب» وهو قسمان: دواوين ومجاميع (فالأول) ديوان امرىء القيس الكندي، وديوان الأعشى ميمون، وديوان علقمة الفحل، وديوان ابن حلِّزة، وديوان أبي دواد الإيادي، وديوان طرفة بن العبد، وديوان عمرو بن قميئة، وديوان طفيل الغنوي، وديوان عامر بن

الطفيل، وديوان بشر بن أبي خازم، وديوان أوس بن حجر، وديوان أعشى باهلة، وديوان عوف بن عطية بن الخرع، وديوان مطير بن الاشيم، وديوان الحادرة، وديوان المثقب العبدى، وديوان لقيط بن يعمر الإيادى، وديوان نابغة بنى شيبان، وديوان النابغة الذبيانى، وديوان زهير بن أبى سلمى، وديوان أبى طالب عم النبى ﷺ.

«ومن شعر الصحابة» ديوان حسان بن ثابت، وديوان لبيد ابن ربيعة العامرى، وديوان كعب بن زهير، وديوان حميد بن ثور، وديوان أبى محجن الثقفى، وديوان النمر بن تولب، وديوان عمرو بن معد يكرب، وديوان خفاف بن ندبة، وديوان الخنساء أخت صخر وغير ذلك.

ومن «شعر الإسلاميين» ديوان رافع بن هريم اليربوعى، وديوان القطامى، وديوان جران العود، وديوان محمد بن بشير الخارجى (الخارجى من خارجة عدوان) وديوان ابن همام السلولى، وديوان الشماخ، وديوان عدى بن الرقاع، وديوان عروة بن حزام العذرى، وديوان عبيد الله الهذلى، وديوان أبى دهبل الجمحى، وديوان الحطيئة، وديوان عمرو بن الأهتم المنقرى، وديوان ابن قيس الرقيات، وديوان الفرزدق، وديوان جرير، وديوان الأخطل النصرانى، وديوان ذى الرمة، وديوان جميل العذرى، وديوان المغيرة بن حبناء، وديوان رجز رؤبة ابن العجاج، وديوان رجز الزفيان السعدى، وديوان رجز الأخزر الحمانى وغير ذلك.

«ومن ديوان المولدين والمحدثين» ديوان مسلم بن الوليد، وديوان ابن الوكيع، وديوان العباس بن الأحنف وديوان على بن جبلة الطوسى، وديوان أبى نواس، وديوان ابن المعتز، وديوان ابن الرومى، وديوان أبى تمام الطائى، وديوان البحترى، وديوان الشريف الرضى، وديوان المتنبى، وديوان أبى فراس الحمدانى. وغير ذلك «والمجاميع» منها أشعار بنى محارب للشيبانى، والمفضليات للمفضل الضبى، وأشعار الهذليين للسكرى، وشرحها له وللإمام المرزوقى، وأشعار لصوص العرب للسكرى أيضا، والنقائض لأبى حبيب، ومختار شعر الشعراء الستة: امرىء القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة، وشرحها للأعلم الشنتمرى، وأشعار تغلب لأبى عمرو الشيبانى، ومختار شعراء القبائل لأبى تمام، والحماسة له أيضا وشرحها للنمرى وأبى محمد الأعرابى وللإمام المرزوقى، وللخطيب التبريزى، ولأبى الفضل الطبرسى، والحماسة البصرية، وحماسة الشريف الحسينى (هو ابن الشجرى، وطبعت بحيدر آباد)، وحماسة الأعلم الشنتمرى، وأشعار النساء للمرزبانى، وشروح المعلقات لابن النحاس، وللزوزنى، وللخطيب التبريزى، وجمهرة أشعار العرب، ومنتهى الطلب من أشعار العرب: فيه أكثر من ألف قصيدة، واليتيمة للثعالبى، وكتاب المغربين، وكتاب النساء الفوارك، وكتاب النساء النواشز؛ والثلاثة للمدائنى، والمجتنى لابن دريد، وشروح لامية العرب للخطيب التبريزى، وللزمخشرى، ولغيرهما، وشرح بانت سعاد لابن الأنبارى، ولأبى العباس الأحول، ولابن خالويه، ولابن هشام الأنصارى، ولابن كتيلة البغدادى، وشرح البردة (هى بانت سعاد) للمرزوقى وغير ذلك «ومن المجاميع» النوادر والأمالى: أما النوادر فهى نوادر أبى زيد الأنصارى، وشرحها لأبى الحسن الأخفش ولغيره. ونوادر ابن الأعرابى، وشرحها لأبى محمد الأعرابى. ونوادر أبى على القالى (اشتبه على البغدادى أمر الأمالى والنوادر. والأعجب أنه عد شرح الأمالى أيضا للبكرى مع أنه شىء واحد. فإن كل ما نقله عنه فى اللآلى شرح أمالى القالى سواء نقله بلفظ شرح الأمالى أو شرح النوادر).

وشرحها لأبى عبيد البكرى (كان هذا الكتاب من النوادر المظنون أنها فقدت فعثرنا فى مكة على نسخة منه نقلناها بالتصوير الشمسى. وقد تولى العلامة الكبير الأستاذ عبد العزيز الراجكوتى تصحيح هذا الشرح وتحقيقه). وأما الأمالى فهى أمالى ثعلب، وأمالى الزجاجى الصغرى والكبرى، وأمالى أبى على القالى، وشرحها لأبى عبيد البكرى، وذيل أمالى القالى للقالى أيضا، وصلة ذيل الأمالى له أيضا؛ وأمالى الصولى، وأمالى السيد المرتضى المسماة بالغرر والدرر فى مجلدين ضخمين. وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهى: البيان للجاحظ، والمحاسن والأضداد له أيضا، وكتاب الشعر والشعراء له أيضا. والكامل للمبرد، وشرحه لابن السيد البطليوسى؛

ولأبى الوليد الوقشى، ولغيرهما. والعقد الفريد لابن عبد ربه. وزهر الآداب للحصرى، وجواهر النكت والملح له أيضا. وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى. والأغانى للأصفهانى فى عشرين مجلدا. والعمدة لابن رشيق، فى مجلدين. والمثل السائر لابن الأثير. وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع ومساوى الخمر لابن الحباب السعدى. والأوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين. ومدرج البلاغة لابن فضالة [ابن فضال] المجاشعى. ونقد الشعراء لقدامة الكاتب، وشرحه لعبد اللطيف البغدادى. وسفر السعادة للسخاوى.

ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو: سيرة ابن هشام، وشرحه: الروض الأنف للسهيلى، وسيرة الكلاعى، وسيرة ابن سيد الناس، وسيرة الشامى، والاستيعاب لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر، وجمهرة الأنساب لابن الكلبى، ومختصرها لياقوت الحموى، وأنساب قريش للزبير بن بكار، ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البر، والمعارف لابن قتيبة، وتنكيس الأصنام لابن الكلبى.

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو: كتاب الشعراء لابن قتيبة، والمؤتلف والمختلف للآمدى، والموشح لأبى عبد الله المرزبانى (صوابه لأبى عبيد الله. والمرشح ظنه البغدادى فى طبقات الشعراء، وللمرزبانى كتب فى هذا المعنى. إلا أن الموشح فى ما أخذوه على الشعراء ليس إلا) وكتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى، وكتاب المقتولين غيلة لابن حبيب، وكتاب من نُسب إلى أمه من الشعراء له أيضا، وكتاب المنسوبين إلى أمهاتهم للحلوانى بخطه، وطبقات النحويين للتاريخى، وطبقاتهم أيضا لأبى عبد الله اليمنى، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى، فى عدة مجلدات.

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو: الجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهرى، والعباب للصاغانى (نسبة إلى صغانيان والصغانى نسبة أخرى إليها وبها ينعت صاحب العباب أحيانا) والقاموس لمجد الدين، واليواقيت لأبى عمرو الطرزى (الصواب لأبى عمر المطرز، وهو الزاهد غلام ثعلب وقد ترجمنا له وأوعينا فى أول كتاب المداخل له، وجعلناه أطروحتنا على انتقائنا عضوا بالمجمع العلمى بدمشق فى سنة ١٩٢٩ ـ وهذا الغلط يكثر فى هذا الكتاب وغيره أيضا. وكانت صناعة أبى عمر تطريز الثياب) وكتاب ليس لابن خالويه، والنهاية لابن الأثير، والزاهر لابن الأنبارى، والمصباح لخطيب الدهشة (هو أحمد بن محمد بن على الفيومى وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة، توفى سنة ٧٧٠ هـ)، والتقريب فى علم الغريب لولده (واسمه محمود)، وكتاب النبات فى مجلدات كبار ستة لأبى حنيفة الدينورى، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وشرحه لِلَّبلى، ومختصره للخطيب التبريزى، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وشرحه للجواليقى، ولابن السيد البطليوسى، وللزجاجى، وللبلى، ولابن برى، والفصيح لثعلب، وشروحه لابن درستويه، وللهروى، وللمرزوقى، وللبلى، ولابن هشام اللخمى، ولغيرهم، وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادى، وكتاب الأضداد لابن السكيت، ولعبد الواحد اللغوى، ولغيره، وكتاب الفروق لأبى هلال العسكرى، وكتاب البيضة والدرع لأبى عبيدة، وخلق الإنسان للزجاج، والمعربات للجواليقى، والمثلثات لابن السيد البطليوسى، وكتاب التفسح فى اللغة لأبى الحسين النحوى، والمرصع لابن الأثير، والمزهر للجلال السيوطى، وكتاب القلب والإدغام لابن السكيت (الصواب: القلب والإبدال، والكتاب مطبوع) وكتاب المذكر والمؤنث له أيضا ولغيره، وكتاب الأيام والليالى للفراء، وكتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لأبى عمرو المطرزى، وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج، والأنواء لأبى العلاء المعرى (هذا الكتاب لم أر من ذكره فى عداد تآليف المعرى) وغيره، والمقصور والممدود لابن الأنبارى. وللقالى، ولابن ولاد، ولغيرهم، وغير ذلك.

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو: التنبيهات على أغلاط الرواة (المعروف اسمه «على أغاليط الرواة) لعلى بن حمزة البصرى وفيه: أغلاط نوادر أبى زياد الكلابى، وأغلاط نوادر أبى عمرو الشيبانى، وأغلاط النبات لأبى حنيفة الدينورى، وأغلاط الغريب المصنف لأبى عبيد، وأغلاط

إصلاح المنطق لابن السكيت، وأغلاط الجمهرة لابن دريد. وأغلاط المجاز لأبى عبيد، وأغلاط الفصيح لثعلب، وأغلاط الكامل للمبرد، وغير ذلك، وكتاب التصحيف للحسن العسكرى، وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهانى، (منه فى الخزانة التيمورية نسخة فتوغرافية) ولحن العامة للجواليقى، ولأبى بكر الزبيدى، وحاشية ابن برى على صحاح الجوهرى، وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى، ودرة الغواص للحريرى، وشرحها لابن برى ولابن الحنبلى، ولشيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنها كتب الأمثال وهى: أمثال أبى عبيد القاسم بن سلام، وشرحها لتلميذه، وأمثال أبى فيد: مؤرج السدوسى، والفخر للمفضل الضبى (هذا وهم، والصواب أن الفاخر لأبى طالب المفضل بن سلمة. والمفضل بن محمد الضبى صاحب المفضليات أقدم منه) والأمثال التى على «أفعل» لحمزة الأصفهانى، ومجمع الأمثال للميدانى، ومستقصى الأمثال للزمخشرى. وغير ذلك.

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهى: المعجم فيما استعجم لأبى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار. ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار وغير ذلك مما لو سردته لطال، وأورث السأم والملال (خزانة الأدب ١/ ١٨ـ٣٧).

(المجمل فى تاريخ الأدب العربى ـ طه حسين وزملائه / ١٦٥، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢/ ٢٨٤، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد، وياسين محمد السواس ٢/ ٤٠٠، ٤٠١، والأعراب الرواة د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣١، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى. عنى بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها، وإدارة الطباعة المنيرية ـ تصحيحات العلامة الجليل تيمور باشا، وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ١/ ١٨ـ٣٧)

انظر طبعات الكتاب فى مادة «البغدادى» (عبد القادر) فى م ٧/ ٢٤٣، ٢٤٤، وترجمة المؤلف/ ٢٤١ـ٢٤٥.

*** خزانة الأكمل:**

قال حاجى خليفة

خزانة الأكمل فى الفروع: ست مجلدات لأبى يعقوب يوسف بن على بن محمد الجرجانى الحنفى ذكر فيه أن هذا الكتاب محيط بجل مصنفات الأصحاب بدأ بكافى الحاكم ثم بالجامعين ثم بالزيادات ثم بمجرد ابن زياد والمنتقى والكرخى وشرح الطحاوى وعيون المسائل وغير ذلك واتفق بدايته يوم الأضحى (يوم عيد الأضحى) سنة ٥٢٢ اثنتين وعشرين وخمسمائة (كشف ١/ ٧٠٢).

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى: الرقم ٩٤١٦

الجزء الثالث:

يبتدىء بكتاب الصرف وينتهى بكتاب الذبائح.

أوله: كتاب الصرف، قال الله سبحانه وتعالى﴿ يا أيها **الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين**﴾.

آخره: فقال رسول الله ﷺ إن لها أوابد كأوابد الوحش، فإن فعل شيئا من ذلك فافعلوا بها كما فعلتم بهذا ثم كلوه.

نسخة جيدة ومقابلة وقديمة.

الخط نسخ معتاد. كتبه عمر بن بلال بن إبراهيم الحنفى النصيبى ٦٣٥ هـ.

المراجع: معجم المؤلفين ١٣/ ٣١٩، فهرس الخديوية ٣/ ٤٣ (فهرس الظاهرية ـ١/ ٢٩٤، ٢٩٥)

(كشف الظنون ١/ ٧٠٢ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٤، ٢٩٥).

*** خزانة البنود:**

كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوك وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وبها مدرسة لتعليم مماليك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة. ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع سنة ٤٦١ هـ وجعلت بعد هذا الحريق حبسا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية. وقد اتخذها ملوك بنى أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه

الأمـراء والممـاليك ثم جعلـوها منـازل لـلأسـرى من الفـرنج المأسـورين من البلاد الشـامية ، واستمـرت مخصصة لـذلك الغـرض زمن دولـة الممـاليك حتى عهد النـاصـر محمـد بن قلاون .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٧ عن صبح الأعـــشى للقلقشـــندى ٣/ ٣٥٤، وخطط المقريـــزى ١/ ٤٢٣).

* **خزانة التجميل:**

من عهـد الفاطميين وهى خـزانة فيهـا أنواع من السـلاح ، وتحتـوى كذلـك على الآلات الثمينة التى ربمـا تستخـدم فى المنـاسبـات الـرسمية على الخصـوص ففيهـا عـدة صنـاديق مملـوءة بالفصـوص والجواهـر وأوان من ذهب وفضة وسـروج ذهب وكنابيش مطـرزة وملابس مطرزة وحوائص وأمتعـة حسنة من كل نوع . وكان يشرف عليها ناظر .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٧ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٧٤، ٥٠٠، وزبـدة كشف الممالك لابن شاهين / ١١٥).

* **الخزانة التيمورية:**

أوردناها فى مادة «تيمـور باشا (أحمد) فى م ١١/ ٢٠٠، ٢٠١ فانظرها فى موضعها .

* **خزانة جامع القرويين:**

تعد خزانة جامع القرويين أغنى المكتبات العامة وأعظمها وأقدمها فى المغرب . وقد ضمت نوادر من المخطوطات التى لا توجد فى مكان ، وكثير منها نسخ قديمة جدا .

والقرويين ، مسجد وجامعة وخـزانة . فأما المسجد قامت ببنائه فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبد الله الفهرى فى القرن الثالث الهجرى ، وأمـا الجامعة فقد أخذت تعقـد فى فترة جد قريبة من تاريخ البناء .

وأمـا الخزانـة فقد بنيت فى أواسط القـرن الثامن الهجـرى وهذه الخزانة ضمت نوادر غريبـة جدا . وقد أدرجت مجموعة من مخطوطـاتها فى كتـاب مجموعـة مختارة من ص ٩٥ إلى ٢١٤ .

(مجمـوعة مختـارة لمخطوطـات عربيـة نادرة من مكتبـات عامـة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١/ ٩٥).

* **خزانة الحكمة:**

انظر: دار الحكمة .

* **خزانة الخاص:**

وتسمى أيضـا «ديـوان الخاص» أنشأهـا السلطـان الملك الناصر محمد بن قلاون ، وكان يشرف على هذه الخزانة «ناظر الخـاص» . وكان عملـه الإشـراف على مـا هـو خاص بمـال السلطـان وكان يتبعـه مستوفى الخـاص وشاد الخـاص وحتى شاد القصر .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٥٢).

* **خزانة الخواص:**

خزانة الخواص : لعبد الفتاح اللارندوى وهو مختصر على سبعة أبواب وخاتمة أولـه حمدا لملك ملكوت الملك حكما إلخ وترتيب أبـوابه هكذا الأول فى خواص الأدعيـة والثانى فى الأوراد والدعـوات والثالث فى خـواص الفاتحة وسـائر السور والرابع فى خـواص الأسماء والحروف والخـامس فى دفع كيد العـدو والســادس فى تسهيل المـآرب والسـابـع فى الطهـارة والخاتمة فى المهمات .

(كشف الظنون ١/ ٧٠٢).

* **خزانة داود الجلبى:**

هـو الـدكتور داود بن محمـد سليم بن أحمـد بن محمـد الجلبى (تُلفظ الجيم شينـا مفخمـة) (١٢٩٧ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٨٧٩ ـ ١٩٦٠ م) وقـد أفـردنا لـه مـادة تحت عنـوان» داود الجلبى» فانظرها فى موضعها .

ولما كـانت خزائن الكتب من معـالم الحضارة الإسـلامية سـواء كـانت عـامة كمـا فى الجـوامع والمـدارس ودور العلم بأنـواعها والـربط ، أو كـانت خاصـة كمـا فى قصور الملـوك والأمراء والوزراء والعلماء وغيرهم من صنوف الناس . ومن بين هذه الخزائن الخاصـة وجدنا نموذجًا جيدا هو خـزانة الدكتور داود الجلبى التى يقول عنها الدكتـور فيصل دبدوب : للدكتور داود الجلبى خزانـة كتب تضم ١٨١٤ مجموعة وكتابـا ورسالة

معظمها مطبوع، وقد وقفها وقفا خاصا وقامت أسرته مؤخرا بإنشاء بناية خاصة لكتب الخزانة بأجمعها وستدعى مكتبة المرحوم الدكتور داود الجلبي الموصلي» وحينذاك يسمح لرجال العلم بالتزود من كنوزها العلمية الثمينة (ملاحظة: بحث الدكتور فيصل دبدوب هذا نشر في مجلة المخطوطات عام ١٩٦٧).

وقد أحصى الدكتور فيصل دبدوب ما تضمه خزانة الدكتور داود الجلبي من مخطوطات رأينا أن ننقل بيانها لتكون بين أيدي رجال العلم والدارسين والباحثين والمؤلفين — يقول الدكتور فيصل:

تضم خزانته ١٦٠ مجلدة خطية تحتوي على ٢٧٥ كتابا ورسالة. وقد صنفتها حسب موضوعاتها وإليك بيانها:

القرآن وما يتعلق به:

١ ـ مجموعة فيها:

(١) حرز الأماني ووجه التهاني «الشاطبية في القراآت» للشاطبي بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٢) عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٣) رسالة في جمع الأوجه السبعة، في أربع صحائف، لم يذكر اسم مؤلفها، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٤) القول المكين في تكبير سنة المكيين، لم يذكر اسم مؤلفها، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٥) ذكر الأحرف التي أدغمها الإمام أبو شعيب السوسي في المتقاربين والمتماثلين (الإدغام الكبير) للناسخ عينه.

(٦) العقود المجوهرة واللآلئ المبتكرة «شرح البقرية في القراآت» (١٢٦٩ هـ) الناسخ عينه.

(٧) رسالة في أوقاف القرآن.

الفقه:

١ ــ كنز الدقائق للنسفي. بخط رسول بن بري بن طوسون (٩٤٠ هـ).

٢ ــ كتاب القدوري. بخط حسين ابن الشيخ مصطفى الزيباري (١١٢٤ هـ) في آخر رسالة العقائد للغزالي.

٣ ــ الفتاوى الخيرية، لخير الدين الرملي. بخط الحاج حسين ابن الحاج محمد الغلامي (١١٨٧ هـ).

٤ ــ الربع من ابن حجر. بخط ملاً ياسين بن ملا شريف وآخرين (١١٨٨ هـ).

٥ ــ تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب. المتن والشرح للقاضي زكريا.

٦ ـ الأعلام بقواطع الإسلام، لابن حجر الهيتمي. بخط السيد سليمان بن هلال المشهداني (١٢٥٥ هـ).

٧ ــ مختصر على المقدمة الرحبية، لمحمد بن سبط المارديني، بخط أحمد جلبي بن محمد جلبي (١٢٦٨ هـ).

٨ ـ (١) ترجيح البينات لملا كاظم البغدادي. أوله الحمد لله الذي أظهر قواطع الحجج والبينات.

(٢) كتاب في ترجيح البينات أيضا، للسيد عبد الرحمن ابن سليمان الشهير بخصال. أوله: الحمد لله عظيم البرهان.

(٣) ترجيح البينات الأسيرية. يليه حل ألغاز لمحمد صالح بن طه الموصلي وحل عويصات له ولغيره.

(٤) رد لداود بن السيد سليمان البغدادي، يرد به ترجيح بهاء الدين العاملي لمسح الرِّجْلَين في الوضوء عام ١٢٨٢.

٩ ـ مسائل كالأغاليط في الفرائض، لملاً حسين الشيفكي. بخط محمد (١٢٩٢ هـ) كتب الشبلي غلطا.

١٠ ــ جدول في الفرائض، للدكتور داود الجلبي وبخطه ١٣٤٥ هـ.

١١ ـ أرجوزة في الفقه خط، قسم منها فقط.

١٢ ـ يزيديان حقارندة فتواي شريفة، لأبي سعيد العمادي بخط الدكتور داود الجلبي (١٩٣٧ م) (باللغة التركية).

١٣ ـ صورة وقفية جامع نبي الله شيت، من قبل أحمد باشا الجليلي.

العقائد الإسلامية :

١ ـ مجموعة فيها (١) الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج، لنجم الدين الفيظي (٩٧٩ هـ).

(٢) الآية الكبرى في قصة الإسراء. لجلال الدين السيوطي (١٢١٨ هـ).

٢ ـ مجموعة فيها (١) أسئلة وأجوبة في العقائد والإيمان، للشيخ عطية القهوقي. بخط أحمد بن الشيخ حسن الأمليطي (١٠٨٤ هـ).

(٢) شرح صغرى الصغرى، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسيني، بخط أحمد ابن الشيخ حسن الأمليطي.

٣ ـ حاشية الخيالي على شرح سعد الدين التفتازاني لرسالة العقائد النسفية (١٠٨٩ هـ).

٤ ـ كشف الشبهات في رد أهل الضلالات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بخط يوسف (١٢٦٣ هـ).

المواعظ والخطب والأدعية والعبادات :

١ ـ بداية الهداية للغزالي.

٢ ـ مجموعة فيها (١) رسالة في فضل عاشوراء، الشيخ علي الأمهوري (١٠٨٢ هـ).

(٢) رسالة في فضل ليلة النصف من شعبان للشيخ علي الأمهوري أيضا (١٠٨٢ هـ).

التصوف :

١ ـ بلغة الغواص إلى معدن الإخلاص، للشيخ محيي الدين ابن عربي. فيه نقص في عدة أماكن.

٢ ـ فصل في ذكر الطريقة النقشبندية، بخط محمد جلبي الجد الأكبر للدكتور داود الجلبي.

(٢) النفحات الأنسية في تبرئة عقائد الصوفية، لمحمد سعيد النقشبندي البغدادي، بخط إبراهيم (١٣٠٤ هـ).

٣ ـ إجازة من السيد إبراهيم القادري ابن السيد مصطفى، بخط إسماعيل بن محمد سعيد (١٣١٨ هـ) أعطيت لدرويش هندي.

٤ ـ البهجة، للحسين بن منصور الحلاج. كتبت للدكتور داود الجلبي عام (١٩٣١ م).

الأديان والمذاهب والجدال فيها :

١ ـ رسالة في الرد على النصارى، لسليمان بك بن مراد بك الجليلي، بخط الدكتور داود الجلبي عام (١٩٢٥ م).

٢ ـ الفريدة السنية في كشف عقائد اليزيدية، لمحمد أفندي ابن أحمد أفندي الخياط بخط الدكتور داود الجلبي عام (١٩٤٠م).

٣ ـ الجلوة ومصحف ورش، بخط أحمد بن طاهر أفندي الموصلي (١٩٤١ م).

٤ ـ مجموعة فيها (١) الرسالة المحمدية في الرموز الخفية، للشيخ محمد الكلازي الأنطاكي في مذهب النصيرية، بخط عبد الله ابن الشيخ نجم الدين (١٣٢٩ هـ).

(٢) الرساله الشافية في الحقائق المخفية للشيخ محمد الكلازي الأنطاكي في مذهب النصيرية، بخط عبد الله ابن الشيخ نجم الدين (١٣٢٩ هـ).

(٣) اللؤلؤة السنية بحل رموز الطلسمات الخفية، للشيخ درويش محمد. في مذهب النصيرية، بخط يوسف ابن الشيخ نجم الدين (١٣٣٥ هـ).

(٤) درياق العليل في مسائل الخليل. للشيخ حسين أحمد في مذهب النصيرية.

٦ ـ رساله الملا سعيد الجوادي إلى مطران اليعاقبة بالموصل موسى بن اللثيي بخط الدكتور داود الجلبي (١٩٤٧ م).

٧ ـ سلم المسيح، للقس يوحنا الحكيم الموصلي ابن القس عبد الأحد الصباغ. بخط صليبا شمعون البرطلي عام (١٩٥٢ م).

العلوم الإلية :

١ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي، بخط المؤلف (٩٢١ هـ).

٢ ـ مجموعة فيها (١) حواشي الزيباري على شرح عصام لرسالة الاستعارات لأبي القاسم الليثي السمرقندي، بخط عبد الله.

(٢) شرح عاصم الدين الإسفراييني لرسالة الاستعارات لأبي القاسم السمرقندي. أتم نقصها عام ١٢٦٧ هـ.

(٣) ميزان الأدب المعروف بالحنفية، وهو شرح محمد الحنفي التبريزي للرسالة العضدية في أدب البحث، بخط عبد الوهاب عام ١١٥٢ هـ.

٣ ـ شرح عروض الأندلس لعبد المحسن القيصري. بخط عثمان بن الملا على السوسني عام ١١٥٥ هـ.

٤ ـ مجموعة فيها (١) تلخيص الحساب لبهاء الدين العاملي، بخط محمد حسن الأيرواني ولد مشهدي على أولوخابلو عام (١٢٤٢ هـ).

(٢) تلخيص المفتاح في الحساب لجمشيد بن مسعود الملقب بغياث، بخط محمد حسن الايرواني أيضا عام (١٢٤٢ هـ).

(٣) كتاب الأمداد والأرطال لمحمد باقر ابن محمد تقي، بخط محمد حسن الأيرواني عام (١٢٤٢ هـ).

٥ ـ مجموعة فيها (١) الرسالة العضدية في علم الوضع لعضد الدين بن عبد الرحمن الإيجي الشيرازي.

(٢) شرح الرسالة العضدية في علم الوضع لعصام الدين الإسفرائيني عام (١١٦٥ هـ).

٦ ـ حقائق الدقائق في شرح رسالة علامة الحقائق. مبتور الطرفين. والكتاب في النحو.

٧ ـ الروضة المزهرة في شرح نظمنا المسمى بالميسرة، لعلي ابن الحاج يونس بن عبد الجليل، وهو نظم قواعد الإعراب لابن هشام وشرحه.

٨ ـ الرشيدية وهي شرح عبد الرشيد الجونفوري لرسالة السيد الشريف الجرجاني في المناظرة، بخط أحمد الرمضاني عام (١٣٢٤ هـ).

٩ ـ حواشي علي بن عبد الله محضر باشي الموصلي على شرح خواجه على السمرقندي لرسالة الوضع.

١٠ ـ حاشية عبد الغفور علي الجامي في النحو (٩٤٥ هـ).

الهيئة والتقويم :

١ ـ الروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر، لمحمد بن علي بن زريق، نقله الجد الأكبر للدكتور داود الجلبي ـ محمد جلبي ـ من طول دمشق إلى طول الموصل.

٢ ـ مجموع فيها (١) مقاصد الغوالي بقلائد اللآلي في علم التوقيت، لمحمد بن سليمان المغرى الرواني بخط عبد الفتاح السيد حسن.

(٢) سراج الاستخراج من استخراج التقاويم لفريد بخومي دهلوي. (فارسي).

٣ ـ رسالة في قواعد الاسطرلاب، لحيدر بن السيد عبد الرحمن الحسيني الجزري (١٣٢٨ هـ).

٤ ـ كشف غمرة اللبس في كسف الزهرة للشمس، لدرويش محمد بن أحمد الطالوي، بخط الدكتور داود الجلبي.

الجغرافيا :

١ ـ كتاب جغرافيا عربي قديم مبتور الأول والآخر، يظن أنه لساهي زاده.

٢ ـ تقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماة. بخط محمد جلبي ١٢٤٩ هـ ـ الجد الأعلى للدكتور داود الجلبي ـ وقد زاد محمد جلبي هذا الكتاب الكثير من الفوائد.

الرحلات:

١ ـ سياحة الخوري إيلياس ابن القسيس حنا الموصلي، تاريخها ١٧٨٦، عن نسخة حررها الكوالير اندراوس (١٦٩٩ م).

٢ ـ رحلة أوليفي. القسم المختص منها بالموصل. ترجمة الدكتور داود الجلبي عام ١٩٥٣ م.

التاريخ:

١ ـ محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر للشيخ علي دَدَه. بخط علي بن الحاج أيوب العمري (١٠٩٢ هـ) تنقصه ورقتان.

٢ ـ كتاب تاريخ للأنبياء (مجهول) مبتور الأول والآخر.

٣ ـ شجرات أنساب للأنبياء والملوك. ناقصة.

٤ ـ صفحات من كتاب عثمان بن حبيب بن حجر القارصي المسمى بوقائع قارص وإيران، نقلها الدكتور داود الجلبي، تركية العبارة.

٥ ـ مجموعة تحتوي على:

(١) صفحات من تاريخ الموصل من كتاب ألفه الأب لنزا، مترجم من الفرنسية من قبل الدكتور داود الجلبي عام (١٩٤٨ م).

(٢) ثلاث كتابات تاريخية وجدت في كنيسة في قرة قوش، بخط ناظم أفندي العمري.

(٣) كتابة تاريخية وجدت في أحد الكتب السريانية في كنيسة بحزاني، بخط ناظم أفندي العمري.

(٤) صورة كتاب من محمد أمين بك إلى خاله عبد الله أفندي فخري زاده يصور فيه وقعة عبد الفتاح بك الجليلي التي حدثت في الموصل عام (١١٧٥ هـ).

(٥) زبدة الآثار الجلية استخرجها الدكتور داود الجلبي من الآثار الجلية لياسين العمري، بخط الدكتور داود الجلبي.

التراجم:

١ ـ ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للخفاجي شهاب الدين أحمد.

٢ ـ إتحاف الأنام بأخبار سيدنا جرجيس عليه السلام لأبي الفتوح علي بن مصطفى الدباغ. بخط المؤلف عام (١١٤٥ هـ).

٣ ـ مجموعة فيها (١) صورة الكتاب الوارد من ملا باشي علي أكبر إلى السيد يحيى أفندي بأمر نادر شاه وجواب المكتوب بخط الدكتور داود الجلبي.

(٢) قصيدة هجوم في حق حمام العليل للملا جرجيس الموصلي وقصيدة مدح لها ردا على الملا جرجيس، بخط الدكتور داود الجلبي.

(٣) منهل الأولياء ومورد الأصفياء في سادات الموصل الحدباء، لمحمد أمين بن خير الله العمري، بخط الدكتور داود الجلبي (١٩٢٤ م).

الأدب:

١ ـ مجموعة فيها (١) شرح المعلقات السبع للزوزني، بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ).

(٢) قصائد وأشعار لشعراء جاهليين بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ) أغلبها مشروح ومشكل.

(٣) القصيدة الحرباوية لعثمان بن عيسى البلطي بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ).

(٤) شرح مقصورة ابن دريد، بخط عبد الله ابن عبد الله (٦٠٠ هـ).

(٥) لامية العجم للطغرائي، بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ).

٢ ـ تخميس الوترية في مدح خير البرية لمجد الدين أبي عبد الله محمد البغدادي خط (٩٤٤ هـ) الأصل على حروف الهجاء.

٣ ـ بستان الحكماء وسراج العلماء للقمان الحكيم؟ خط عام ٩٩٨ هـ قد سقطت منه أوراق في سبعة مواضع.

٤ ـ شرح سروري لكلستان الشيخ سعدي بالعربية، بخط خواجة خليل ابن الشيخ محمود (١٠٢٣ هـ).

٥ ـ رسالة صغيرة في الحكميات. مجهولة تبدأ بقال أبو العيناء لصاعد. مبتورة الأول والآخر.

٦ ـ مجموعة فيها (١) كلزار إبراهيم. (فارسي) خط في غاية الجودة.

(٢) نثر نصيراني همذاني وديباجات ورقع مختلفة لغيره. فارسي بالخط عينه عام (١٠٣٢ هـ).

(٣) إنشاء ملا ظهوري. فارسي بالخط عينه.

(٤) إنشاء ملا ظهوري. فارسي ـ غير الأول ـ وبالخط عينه.

٧ ـ الفريدة السنية في الحكم العربية لمحمد أمين خير الله الخطيب العمري الموصلي بخطه (١١٨٤ هـ).

٨ ـ مجموعة تحتوي على:

(١) مجموعة خطوط مختلفة فيها قصائد وأشعار لمحمد أمين بك ياسين أفندي زاده وموسى الحدادي وغيرها على بعضها مكتوب عام (١١٤٩ هـ).

٩ ـ ألفية العراقي بخط حمو الكردي النفيس (١١٨٤ هـ) فيها نقص كبير في الوسط.

١٠ ـ المنح المكية في شرح الهمزية لابن المكي الهيتمي بخط أحمد بن الحاج حسين أفندي الغلامي عام (١٢٠٤ هـ).

١١ ـ مجموعة فيها (١) تخميس الهمزية لعلي الجفعتري خط عام (١٢٣٢ هـ).

(٢) تشاطير وتخميس لسليمان أفندي.

١٢ ـ ديوان الشيخ الحاج أبي بكر بن جميل خليفة مصطفى (١٢٣٢ هـ).

١٣ ـ مجموعة فيها أشعار قاسم بن يحيى أفندي بن يونس أفندي ديوان أفنديسي وأشعار أخيه صالح وأشعار موصليين آخرين.

١٤ ـ قصائد محبوكة الطرفين لمحمد الغلامي بن حسن بن علي بن مصطفى الغلامي مفتي الشافعية في مدح أحمد باشا الجليلي.

١٥ ـ مجموعة (ديوان) محمد أفندي ابن الحاج إسماعيل أفندي قاضي زاده. في آخرها قصيدة في الدفاع عن الأولياء والطعن بابن تيمية.

١٦ ـ مجموعة تبدأ بزهرة البستان في تجربة الخلان لفتح الله الموصلي يتلوها قصائد وأشعار لشعراء موصليين وغيرهم.

١٧ ـ مجموعة التواريخ في مدح الوزراء من بني عبد الجليل.

١٨ ـ مجموعة تحتوي على:

(١) ديوان صفي الدين الحلي مبتور الآخر.

(٢) قصائد محبوكة الطرفين لمحمد بن مصطفى الغلامي الموصلي في مدح فتاح باشا الجليلي.

(٣) قصيدة للسيد فتح الله القادري الموصلي في حصار نادر شاه طهماسب قولي للموصل.

١٩ ـ مجموعة فيها (١) المعشرات. نظم. تحت كل كلمة ترجمتها بالفرنسية بين السطور.

(٢) المخمسات. نظم. تحت كل كلمة ترجمتها بالفارسية بين السطور.

(٣) ترجمة لامية العجم إلى الفارسية.

(٤) شرح القصيدة الحرباوية التي هي لتاج الدين عثمان بن عيسى البلخي.

(٥) النجديات، لأبي المظفر محمد ابن أبي العباس أحمد بن إسحاق الأبيوردي.

(٦) آيات وأحاديث وحكم وأشعار شتى. لعل جميع ما احتوته هذه المجموعة هو للأبيوردي المذكور.

٢٠ ـ مجموعة من الأقوال والأشعار الحكمية، لعبد الله جلبي ابن أحمد جلبي. بخطه ـ عم الدكتور داود الجلبي.

٢١ ـ مجموعة أشعار من جمع الدكتور داود الجلبي . بخطه .
٢٢ ـ رسالة الطيف لبهاء الدين علي بن عيسى الأربلي ، بخط الدكتور داود الجلبي .
٢٣ ـ مجموعة فيها (١) تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم لأبي المظفر فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ قدر الدين محمد بن حمويه . بخط الدكتور داود الجلبي (١٩٣٩ م) .
(٢) مقامة له ألفها عند سفر الملك الكامل إلى ثغر الإسكندرية . بخط الدكتور داود الجلبي الموصلي (١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م) .
٢٤ ـ ديوان مرتب على حروف المعجم لبعض شعراء العجم من بحر الدوبيت كتب للدكتور داود الجلبي (١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) .

الفنون الجميلة :

١ ـ مجموعة قصائد وعتابات وزهيريات منسوبة إلى نعمان أفندي العمري وغيره .

المنطقه والفلسفة :

١ ـ مجموعة فيها (١) شرح إيساغوجي ، لحسام الدين حسن كاتي ، بخط أحمد الدرويش العمري عام (١٢٠٠ هـ) .
(٢) حاشية على شرح حسام كاتي لمحيي الدين التالجي ، بخط أحمد الدرويش العمري عام (١٢٠٠ هـ)
٢ ـ مجموعة فيها (١) شرح الرسالة القياسية لمحمد بن مصطفى الأرض زوض عام (١٢٥٤ م) .
(٢) متن الرسالة القياسية لموسى الكليم البهلواني عام (١٢٥٤ م) في آخر المجلدة .
٣ ـ مجموعة فيها (١) شرح محمد بن شريف الحسيني لقسمي الطبيعي والإلهي من هداية الحكمة لأثير الدين الأبسمدي ، بخط يوسف ابن مولانا عبد اللطيف .
(٢) شرح ما سوى المنطق من هداية الحكمة ، لملا زاده ، بخط يوسف بن مولانا عبد اللطيف عام (٨٨٧ هـ) .

الحيوان :

١ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري . الجزء الأول . بخط علي ابن أحمد بن علي بن عمر المقري اليمني . المعروف بالشواطبي عام (٨٥٨ هـ) .

النبات :

١ ـ كتاب نبات مصور قديم مخطوط .
٢ ـ سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبي ، بخط الدكتور داود الجلبي (١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) .

الكيمياء :

١ ـ مجموعة تحتوي على :
(١) رسالة لمحمد بن عمر المحمدي في الحجر الأعظم .
(٢) رسالة في الكيمياء نسبت لخالد بن يزيد .
٢ ـ مجموعة في علم الكاف (الكيمياء القديمة) .
٣ ـ مجموعة فيها (١) الطب الجديد الكيمياوي لبراكلسوس ، بخط محمد جلبي جد الدكتور داود الجلبي عام (١٢٣٦ هـ) .
(٢) الكيمياء الملكية في صناعة الطب الكيميائي لفروليوس ، بخط محمد جلبي جد الدكتور داود الجلبي عام (١٢٣٦ هـ) .

الطب :

١ ـ دفع مضار الأغذية لمحمد بن زكريا الرازي ، بخط محمد ابن الحسين بن زيد تاريخها (٤٠٣ هـ) . لا يوجد أقدم من هذ المخطوط في الموصل .

قالت المؤلفة : الكتاب الذي عندي بعنوان «منافع الأغذية

ودفع مضارها ــ راجعه وقدم له د. عـاصم عيثاني. دار إحياء العلوم بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هــ ١٩٨٥ م.

٢ ــ انتخـاب الاقتضاب المشتمل على سؤال وجـواب وهـو المـدخل للمبتـدئ فى علم صنـاعـة الطب تصنيف أبى النصر سعيد بن أبى الخير المسيحى بن عيسى ـ المطبب ـ يليه نهـاية القصد فى صناعة الفصـد لمحمد بن إبراهيم صاعد الأنصارى.

٣ ـ بحر الجواهر لمحمـد بن يوسف الطيب الهروى. قال إنه ألفه بـأمر الوزيـر محمد المشتهـر بأمير بيـك، وهو دائرة معـارف للطب القـديم لم يـذكر فى كشف الظنـون. قـد سقطت ورقة من أوله وأخرى عند حرف الجيم عند الكلام على الجدرى.

٤ ـ برء الساعة لمحمد بن زكريا الرازى (١٢٨١ هـ).

٥ ـ جـداول الحاوى نقلها الدكتـور داود الجلبى من مجلد من أجـزاء الحـاوى وجـده فى مـدرسـة جـامع البـلـث بالمـوصل.

٦ ـ رسالة فى النبض، فى ٢٤ صفحة من جمع محمد جلبى ـ يليها فصل فى النبض أيضا مقتبس من نور البيان وآخر من كامل الصناعة.

٧ ـ شـرح الموجز لنفيس بن عوض. المتن لعـلاء الدين على ابن أبى الحزم القرشى.

٨ ـ شفاء السقيم. كتاب صغير لم يذكر اسم مؤلفه. قد جمع فيه صفات للأمراض المختلفة منقولة من التحفة الجامعة لمفـردات الطب للشيخ يحيى بن أبى بكـر بن محمـد بن يحيى ومن غـايـة البيـان لصالح أفنـدى ومن يـادكـار بن شريف ومن رسالة نصرة أفندى الإسلامبولى ومفردات ملا قـاسم المـولوى المـوصلى بخط مصطفى الحـافظ عـام (١٢٤١ هـ).

٩ ـ العيسـوى فى صناعـة الطب، لأبى سهل عيسى بن يحيى المسيحى وقـد يسمى كتـاب المائة لأنـه مقسم إلى مـائة كتاب.

١٠ ــ غايـة الإتقـان فى تدبيـر بـدن الإنسـان لصالح أفنـدى الحلبى. أدرك هذا الرجل أوائل الحركة الطبية عند الإفرنج واقتبس من مؤلفاتهم. النسخة تامة وخطها جيد.

١١ ــ مجـربـات أحمـد جلبى بن محمـد جلبى المتـوفى فى جمادى الآخرة عام (١٢٨٢ هـ) فى الطب ٢٥ ورقة بخطه والمؤلف هو جد الدكتور داود الجلبى.

١٢ ـ مجلد فيه رسالتان فى العلة المراقية.

(١) تبدأ الأولى بقوله (الحمد لله رب العـالمين. أما بعد فهذه رسالـة ألفها مصطفى أفندى فيضى حكيم بـاشى سلطان محمد الفاتح بن سلطان إبراهيم (كذا. ويقتضى أن يكون الصواب محمـد الرابع لا الفـاتح) أشار بتأليفهـا فصنفها برسمـه فى بيان معالجـة العلة المـراقية السوداويـة والعلة المراقية غير السوداوية.

(٢) الرسـالة الثـانية: جاء فيهـا بعد أسطـر من البدء مـا نصه (اعلم أن العلة المراقية السوداوية والعلة المراقية المحضة كل منهما علة مستقلـة كما بينا فى الرسـالة الأولى) فيفهم أن مؤلف الـرسالتين واحد فى أسفل الصفحة الأخيـرة قال الناسخ «كتـب بخط الفقير قس عبد الأحـد الطيب وذلك قد كتبه لنفسه» ثم إنـه محا اسم (قس عبد الأحد الطيب) وكتب فوقه بخطه أيضـا (محمد الطيب المهتدى) إذن قد استنسخ هذا الكتاب قبل اهتـدائه [للإسلام] عام (١١٣٦ هـ) ومحمد المهتدى هو محمد جلبى الطيب ـ الموصلى الجد الأعلى للدكتور داود الجلبى.

وإليك هذا الفهرست للمخطوطات.

فهرست مخطوطات خزانة الدكتور داود الجلبى
ويشتمل على (الموضوعات وعـدد المجـلدات وعـدد الكتـب والرسائل)

الموضوع	عدد المجلدات	عدد الكتب والرسائل
القرآن وما يتعلق به	١	٧
الفقه	١٣	١٦
العقائد الإسلامية	٤	٦
المواعظ والخطب	٢	٣
التصوف	٤	٤

الأديان والمذاهب والجدال فيها	٦	٩
العلوم الآلية	١٠	١٥
الهيئة والتقويم	٤	٤
الجغرافيا	٢	٢
الرحلات	٢	٢
التاريخ	٥	٨
التراجم	٣	٥
الأدب	٢٤	٤٠
الفنون الجميلة	١	١
المنطق والفلسفة	٣	٦
الحيوان	١	١
النبات	٢	٢
الكيمياء	٣	٥
الطب	٣٤	٤٢
الصيدلة	٥	٥
التربية والتدريس	٢	٢
العلوم غير المثبتة	٧	١٣
كتب شتى	٢	٤
المجاميع	٢٠	٧٣
المجموع	(١٦٠)	(٢٧٥)

ونكتفى بهذا القدر ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصدر ص ٢٥ ـ ٣٩.

(«الدكتور داود الجلبى: حياته ومخطوطات خزانته» ـ د. فيصل دبدوب. مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية. المجلد الثالث عشر. الجزء الأول. ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧م / ٧ ـ ٢٤، ٤٠).

انظر: خزائن الكتب، داود الجلبى.

*** خزانة الروايات:**

خزانة الروايات فى الفروع: القاضى جكن الحنفى الهندى الساكن بقصبة كن من الكجرات وهو مجلد أوله: الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ... إلخ ذكر فيه أنه أفنى عمره فى جمع المسائل وغريب الروايات وابتدأ بكتاب العلم لأنه أشرف العبادات.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٢)

*** خزانة سابور:**

انظر: دار العلوم ببغداد

*** خزانة السلاح:**

ما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الفنون الحربية والفروسية مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى: خزانة السلاح

لم يعلم مؤلفه.

وهى مختارات فى وصف السلاح.

أوله: الحمد لله الذى أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وجعل الجنة تحت ظلال السيوف تأتى من الخير بأنواع وأجناس ... وبعد، فهذه رسالة كتبتها على وفق الاقتراح، وسميتها خزانة السلاح، تطعن صدور المعاندين برماح ألفاتها، وترمى مقاتل الأغراض بقسى نوناتها ... وذلك أنى لما تشرفت بالمثول فى الحضرة الشريفة الإمامية العالمية العاملية العادلية السلطانية الناصرية، حضرة مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأرفع الأكرم ... أبى الفتح أحمد شاه بن سلطان محمد شاه بن السلطان مظفر شاه ... إلخ.

وآخره: فدونكها رسالة قد حلت من حرمة المنيع بأعز الأوطان، وآثرت الاختصاص بخدمته الشريفة، ومن أحق بخزانة السلاح من السلطان، وأنا أعتذر بما أجده من تشتت الخاطر الكليل، واسأل إقامة العذر بما أنا بصدده من العزم على الرحيل ... إلخ.

ـ نسخة كتبت بخط نسخ جميل، جاء بآخرها أنها تمت كتابة سنة ٨٤٠ فى ٤١ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا.

[دار الكتب المصرية رقم ٢٧٩٦ أدب]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م، جـ٤/ ١٥).

*** خزانة الشراب:**

هى الصيدلية الملحقة بالبيمارستان، وقد عرفها

أبو العباس القلقشندي على الشكل الآتي : «هي الخزانة المعبر عنها في زماننا (أي زمن القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ / ١٤١١) بالشرابخانة، وكان فيها من أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية، والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصيني من الزبادي والبراني والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك». وكان للشرابخانة رئيس يسمى رئيس صيدلاني البيمارستان.

كانت الصيدلية في بادئ الأمر تابعة لعلم الطب، غير مستقلة عنه إذ كان الطبيب في الوقت نفسه صيدلانيا، وكان له أعوان يساعدونه في عمله، فيجمعون له الأعشاب الطبيعية. وكان ثمة تجار يتعاطون تجارة العقاقير والمواد الطبية، كما كانوا يتعاطون تجارة البخور والتوابل وغير ذلك، وكان الطبيب على رأس هذه الشبكة، يتولى صنع الدواء وتركيبه في دكانه، ثم يقدمه للمريض ويقبض ثمنه.

(الطب عند العرب - د. حنيفة الخطيب / ٢٢١).

انظر مادة «البيمارستان» في م ٨ / ٢٣٧ - ٢٤٤.

*** خزانة شمايل:**

اسم السجن الذي كان يقع مكان جامع المؤيد بالقاهرة. وشمايل هذا من مماليك الكامل الأيوبي، أظهر شجاعة وبراعة خلال الحملة الصليبية التي استولت على دمياط فكان يسبح في النيل ليلا ويتسقط أخبار الصليبيين، فكافأه الكامل بتعيينه واليا على القاهرة عقب الانتصار وإجلاء الحملة، فبنى سجنا في هذا الموضع بالقرب من باب زويلة ونسب هذا السجن إليه. وكان المؤيد شيخ من سُجن فيه خلال استبداد منطاش بالأمور، ويذكر المؤيد شيخ أنه قاسى في هذا السجن الشدائد، فنذر لله تعالى: إن أوتي ملك مصر ليجعلن هذه البقعة مسجدا لله تعالى ومدرسة لأهل العلم.

(صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي - عبد الوهاب حمودة / ٩٣، ٩٤).

*** خزانة الطعم:**

كانت في عصر الفاطميين وعرفت في عصر المماليك «بالحوائج خاناه»، وكانت تحتوي على عدة أصناف من جميع أصناف القلويات من الفستق وغيره والسكر والقند (القند عسل قصب السكر إذا جمد، معرب كند وهو قصب السكر) والأعسال على أصنافها والزيت والشمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصا وعاما وما ينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات في كل شهر ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١١٨ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣/ ٤٧٢، ٤٧٣).

*** الخزانة الظاهرة:**

عرفت في العصر الفاطمي وهي جزء من خزانة الكسوة، وعرفت في عصر المماليك بخزانة الخاص وكان فيها من الحواصل من الديباج الملون على اختلاف أنواعه والشرب الخاص الدبيقي والسقلاطون وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عظم المملكة وإليها يحمل ما يعمل بدار الطراز بتنيس ودمياط والإسكندرية من مستعملات الخاص وفيها يفصل ما يؤمر به من لباس الخليفة وما يحتاج إليه من الخلع والتشاريف وغير ذلك.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١٨٨ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣/ ٤٧٢).

*** الخزانة العالية:**

يعبر عن الخزانة في دمشق بالخزانة العالية ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشية ويكون متحدثا في أمر التشاريف والخلع وما معها، وهي وظيفة جليلة يوليها النائب بتوقيع كريم.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلي / ١١٨ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٤ / ١٩١).

*** خزانة الفتاوى:**

لأحمد بن محمد

قال حاجي خليفة :

خزانة الفتاوى : لأحمد بن محمد بن أبي بكر الحنفي صاحب مجمع الفتاوى وهو مجلد أوله : أحمد الله حمدًا

بعدد ما أظهر من معدن الإنسان ... إلخ ذكر فيه أنه جمعه من الفتاوى وأورد فيها غرائب المسائل (كشف ١/ ٧٠٣) .

من مخطوطات الفقه الحنفى فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وجاء بيانه كما يلى :

تأليف أحمد بن محمد بن أبى بكر الحنفى المتوفى سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨هـ

جمع فيه من كتب العلماء العظام أولها الفتاوى الكبرى والصغرى للصدر، وفتاوى أبى بكر محمد بن الفضل البخارى وفتاوى الشيخ محمد بن الوليد السمرقندى ، وفتاوى أبى الحسن الرستغفنى وفتاوى عطاء بن حمزة والناطفى وغريب الرواة والمنتقى والشرح المنتسب بالجصاص، وملتقط أبى القاسم وتحفة الفقهاء والعلائى وبديع الدين وجامع ظهير الدين .

وبجمعه هذا ألف كتاب مجمع الفتاوى، ثم اختصره وجمع غرائب المسائل فى خزانة الفتاوى .

أوله : أحمد الله حمدا بعدد ما أظهر من معدن الإنسان يواقيت ودررا .

آخره :

وقد ضمنته سحرًا حلالا
وقد نظمته سمط الكفايه
ولا أدرى لسانا قد تبدى
لأدنى حسنه أقصى النهايه

نسخة جيدة قديمة عليها بعض التعليقات .

الخط نسخ جيد كتب سنة ٩١٦هـ

٢٢٠ق ١٦س ١٨ × ١٢,٥ سم .

المراجع : معجم المؤلفين ٢/ ٨٥ (فهرس الظاهرية ١/ ٢٩٥, ٢٩٦).

(كشف الظنون ١/ ٧٠٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٥, ٢٩٦) .

*** خزانة الفتاوى:**

لطاهر بن أحمد.

خزانة الفتاوى : للشيخ الإمام طاهر بن أحمد البخارى الحنفى السرخسى المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة صاحب الخلاصة وهو كتاب معتبر قليل الوجود .

(كشف الظنون ١/ ٧٠٢, ٧٠٣).

*** خزانة الفقه:**

خزانة الفقه للإمام أبى الليث نصر بن محمد الفقيه السمرقندى الحنفى المتوفى سنة ٣٨٣ ثلاث وثمانين وثلثمائة وهو مختصر أوله : الحمد لله رب العالمين جمع فيه مسائل الفقه معدودة الأجناس مجموعة النظائر ورتب ترتيب الكنز ثم نسج صاحب النتف على منواله (كشف ١/ ٧٠٣).

من مخطوطات الفقة الحنفى بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى : الرقم ٦٠١٠

تأليف أبي الليث إمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ وفى رواية سنة ٣٧٣، أو ٣٨٣)/ ١٠٠٣م .

جمع فيه مسائل الفقه معدودة الأجناس مجموعة النظائر تسهيلا للحفظ، ورتبه ترتيب الكنز.

أوله : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين الطيبين ، قال الشيخ الإمام الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله : اعلم أن الفقه علم حسن .

آخره : لرجل جراكرد حلال نكرديدى، فقال : من حرام يايم حلال راجه كنم: معناه: أن يقول لرجل لم لا تدور حول الحلال قال : ما دام أجد الحرام ليس أعمل بالحلال يكفر. والله أعلم .

نسخة جيدة . مشكولة .

الخط نسخ معتاد . بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه على المصرى الأزهرى سنة ١٠٦٠هـ .

١٩٩ق ١٥س ١٩,٥ × ١٣,٥سم .

وتوجد خمس نسخ أخرى أرقامها على التوالى هى : ٦٨٥٣، ٥٢٧٩، ٨١٢٩، ١١١٥٧، ٨٢٧٤ (فهرس الظاهرية ١/ ٢٩٦-٢٩٨) .

كما يـوجد مخطـوط فى مكتبة متحف «مـولانا» فى قـونيا وجاء بيانه كما يلى :

لأبي الليث نصـر بن محمـد السمـرقـندى المتـوفى سنـة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م.

انظـر ترجمة المـؤلف في معجم المؤلفين ١٣/ ٩١، وقد طبعت ببغداد سنـة ١٩٦٥، بتحقيق الـدكتـور صلاح الـدين الناهي.

خط السلجوقى، الأبواب بالذهب .

في الورقة الأولى فهرست ناقص وعليها ثلاثة قيود للتملك ومكان الاسم فيها ممسوح وفي نفس الورقـة قيد بمطالعته سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩ ـ ١٥٤٠م. قام أحدهم بالكتابة على الورقةِ الأخيرة لإتمامه.

أولـه : بسم ... اعلم أن الفقـه علم حسن وهـو أجل من سائر العلوم .

آخره: وقـال لرجل ... والله أعلم بالصـواب ... تم الكتاب بعون الملك الوهاب.

مقياس المجلد : ١٨,٥ × ١٣ .

مقياس الكتابة: ١٥×٩,٥ .

عدد الأوراق: ١٤١ .

عدد الأسطر.

رقمه في الخزانة : ٥٥١٧ .

رقم المجلد : ٩٨٢ (المخطوطات العربية ق٥/ ١٣٠) .

كما يوجد مخطوط فى دار الكتب القطرية وقد ورد فيه وفاة المؤلف سنة ٣٧٣هـ وجاء بيانه كما يلى:

أوله : الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله . تملكها الخطيب بالجامع الكبير.

نسخـة كتبت سنـة ٩٢٠هـ بخط فـارسي جميل ودقيق، عليها أختام عـديدة، وتملكات كثيرة منهـا تملك باسم: هبة الله بن محمد بن هبة الله الحنفى الخطيب، بالجامع الكبير .

٦٧ ورقـة، ٢٤ × ١٥ سم، مسطـرتهـا ٢١ سطـرا (مخطوطات القطرية/ ٦١، ٦٢).

وتوجد فى المجمع العلمى العراقى خمس نسخ من كتاب خزانة الفقه نورد بيان كل منها فيما يلى. ونبدأ أولا بما جاء فى هامش (١) لواضع الفهرس الأستاذ ميخائيل عواد الذى يقول: نهض الدكتـور صلاح الدين الناهـي، لدراسة طائفـة من آثار أبي الليث السمـرقـندى، وعني بتحقيقهـا ونشـرهـا، بعنـوان «المصنفات الفقهيـة لإمام الهـدى الفقيه أبي الليث نصـر بن محمد بن أحمـد بن إبراهيم السمـرقندى: من فقهـاء الحنفية بما وراء النهـر في القرن الرابع للهجرة» فظهر منهـا. المجلد الأول ويتنـاول «خـزانـة الفقـه وعيـون المســائل»: (بغـداد ١٩٦٥)، والمجلـد الثـاني: «عيـون المسـائل»: (بغـداد ١٩٦٧).

قـال في مقدمتـه التي صـدر بها المجلـد الأول (ص٧): «... وثمة كتـاب ثالث لهـذا المؤلف، هو بمثـابة المقـدمة، وأعني به: خـزانة الفقه. لأن هـذا الكتاب عبـارة عن مختصر للفقه، أراد به تقريب الفقه لأذهان الجميع من عالم وجاهل، أي بيان ما لا يستغنى عنه كل مسلم من أحكام الفقه».

كما جاء فـى هامش (٢) هذه الترجمة مختصـرة للمؤلف أبى الليث: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث، الملقب بإمام الهـدى: علامة، من أئمة الحنفية، مـن الزهاد المتصـوفين. لـه تصانيف نفيسـة. تـرجمته وذكـر آثـاره في: «الأعلام» ٨/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، «معجم المؤلفين» ١٣/ ١٩، وما ذكراه من مراجع بشأنه .

وقـد استوفى تـرجمته: د. صـلاح الدين النـاهي، ضمن مقدمته التى صدر بها «خزانة الفقه»: (ص ٧ ـ ٦٧) .

وكان عبد الحميد العلوجى، كتب بحثًا مستفيضا، بعنوان «مؤلفات أبى الليث السمرقندى»: (مجلة «الأقلام» ٣ [بغداد ـ مارس ١٩٧٦] ج٩، ص٤٤ ـ ٥٢)؛ تناول فيه تـرجمة أبى الليث، ومصنفاته، ونسخها الخطية، ومواطن وجودها .

وإليك بيان نسخ المخطوطات :

المؤلف : أبو الليث السمرقندى (ت: ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣م، وقيل ٣٧٥ و ٣٨٣ و ٣٩٣هـ) .

أوله : «البسملـة ...، الحمدلة ...، قـال الشيخ الإمام

أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى. اعلم أن الفقه علم حسن وهو أجل من سائر العلوم، وهو علم الدين والشريعة، وقوام الشرائع به، ... ».

آخره : «... قد وقع الفراغ من تنميق هذا السفر الشريف والدفتر اللطيف على يد ... سمت [؟] بن حاجي القرمانى، فى يوم الأحد، وهو اثنا شر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة بعد العصر بمحمية قسطنطينية».

يلى ذلك :

«تم كتاب خزانة الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه وأرضاه. تأليف الشيخ الإمام العالم... أبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى، تغمده الله ... ».

يلى ذلك كلمة فى ترجمة أبى حنيفة.

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب ينى جامع باستانبول (برقم ٦٧٧) بخط نستعليق.

على حواشى النسخة تعليقات كثيرة مكتوبة بخط التعليق، دقيق للغاية. صفحة العنوان ساقطة، وكتب فى صفحة أخرى : «هذا فهرس ما فيه».

٦١ق، ٢٧س (٣/ فقه - فرائض - قضاء)

خزانة الفقه :

المؤلف : أبو الليث السمرقندى.

نسخة أخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب السليمانية باستانبول (برقم ٤١٦) وعلى حواشيها تعليقات مختلفة.

آخرها : «تمت الكتاب [كذا] بعون الله الملك الوهاب. قد وقع الفراغ من هذه النسخة الشريفة فى يوم (الثلاثاء) شنبه من ربيع الآخر سنة ١٠٤٦ قصبة إيزنجه بخط تعليق.

١١٥ق، ١٩س

(٤/ فقه - فرائض - قضاء)

خزانة الفقه :

المؤلف : أبو الليث السمرقندى

نسخة أخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط - المغرب (برقم D 1666)

أولها : «البسملة ... ، الحمدلة ... ، اعلم أن الفقه علم حسن، وهو أجل العلوم، وهو علم الدين والشريعة ... ».

آخرها : « ... تمت الكتاب [كذا] بعناية الله المرشد بالصواب، وهو المسمى بخزانة الفقه، تأليف الشيخ الفقيه العالم الزاهر المحقق أبو [كذا] الليث السمرقندى، رحمة الله عليه رحمة واسعة ».

يلى ذلك :

« قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب فى الدمشق [كذا] المحروسة حرسها الله تعالى من جميع الآفة [كذا] والبلايا فى يوم الأحد الأول من شهر شوال المعظم فى تاريخ سنة ست وسبعين وتسعمائة عن يد العبد الحقير الفقير محمود بن محمد المتوفى، غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه واستكتب ... ».

يلى ذلك فى ورقة أخرى :

« هذا مما وقفه الفقير إلى الله تعالى محمود بن محمد متوفى فى حال حيوته من ثلث ماله هبة لله وطلبا لرضاه على نفسه، وبعد نفسه إلى أولاده، وإلى أولاد أولاده إلى انقراض الأولاد. وبعد انقراض الأولاد على أهله من أصلح المؤمنين فى المدون وقفا مؤبدا حبسا تاما صحيحا شرعيا، وشرط أن لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يعار لغير أهله، ولا يعطى لأحد إلا برهن يحرز القيمة مثلين، ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ١٨١] وكان فى أوائل شوال المعظم من سنة ست وسبعين وتسعمائة»

يلى ذلك أسماء شهود الحال مع ذكر السنوات.

وفى أخير الورقة ٩٤ : «وتم كتابته فى ضحوة يوم الثلاثاء ستة عشر من رجب ... فى شهور سنة سبع وسبعين وتسعمائة بمدينة السلام، تمام وقت التوجه إلى بيت الله الحرام، وأنا الفقير محمود المتوفى ... ».

وفى هامش الورقة نفسها : « وقع الفراغ من تأليف هذه الأوراق وجمعها، ضحوة يوم الخميس الثانى والعشرين من

شعبان المعظم فى شهور سنة سبع وسبعين وثمانمائة بمدينة السلام بغداد، وقت التوجه إلى بيت الله الحرام، وأنا الفقير عبد الرحمن أحمد الجامى، وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه. تم بحمد الله وتوفيقه بمكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا».

١٤٢ق، ٢١ س

(٥/ فقه ـ فرائض ـ قضاء).

خزانة الفقه (فى الورقة الأولى فهرست موضوعات الكتاب. وفى أعلاها، بقلم مغاير، كتب: «عيون المسائل». والصواب« خزانة الفقه» كما جاء فى مقدمة الكتاب».

المؤلف: أبو الليث السمرقندى.

أوله: «البسملة ... ، الحمدلة ... ، قال الشيخ الإمام أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى. اعلم إن الفقه علم حسن ... ، وقد استجمع فى هذا التأليف من مسائل الفقه معدودة الأجناس ... وسمى خزانة الفقه، فوائده أكثر من أن تحصى وتعد. وابتدأت فى مسائل الطهارات والوضوء ...».

آخره: «... قد وقع الفراغ من تنميق هذا السفر الشريف والدفتر اللطيف على يد أضعف عباد الله العائذ برب الناس من شر الوسواس الخناس ضير [خير؟] الدين بن إلياس، يوم السبت وقت الظهر وهو الثالث والعشرون من شهر شعبان الشريف المنخرط فى سلك شهور سنة تسع وخمسين وتسعمائة باستانبول المحمية فى إحدى الثمان وهى الثالثة من الجانب الأيمن المحاذية بالحرم فى الزاوية الصغرى. تم».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب حميدية باستانبول (برقم ٤٨٠).

بخط النسخ. وعلى حواشى النسخة تعليقات مختلفة.

١١٧ ق، ١٩س

(٦/ فقه ـ فرائض ـ قضاء).

«كتاب» خزانة الفقه على مذهب الإمام الأعظم:

المؤلف: أبو الليث السمرقندى:

أوله: «البسملة ... ، النون النوازل للفقيه أبى الليث، والعين عيون المسائل، والواو واقعات الناطفى، والباء فتاوى الإمام أبى بكر الفضل ...».

آخره: «... تم فتاوى فى قعود الأجناس بعون تعالى».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب حميدية باستانبول بخط النسخ.

الورقة الأولى فيها العنوان، وعليها أيضا تعليقات مختلفة، وأختام. وتملكها بعضهم.

٧٣ق، ١٧ س

(٧/ فقه ـ فرائض ـ قضاء).

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١/ ٥٣ـ٥٧).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ١٣٠، والمنتخب من دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٣/ ٦١، ٦٢، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى. دراسة وفهرسة ـ ميخائيل عواد ١/ ٥٣ ـ ٥٧).

*** الخزانة الكبرى:**

كان يطلق عليها الخزانة السلطانية وأيضا بيت المال، وكانت فى أول أمرها مستودع أموال المملكة وكان ناظر الخاص يشرف على جميع أموال الدولة. وعندما أنشئت وظيفة الخاص قل شأن الخزانة الكبرى وأصبحت لا تستعمل إلا فى تخزين الفائض والاحتياطى أو حفظ ما يخصص للموظفين من أرزاق. وكان يعمل بها ناظر وشهود وصيارفة وكاتب.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ١١٨، ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٣٠، وخطط المقريزى ٣/ ٣٦٩).

*** خزانة الكتب:**

انظر: خزائن الكتب.

* **خزانة الكعبة :**

كانت الكعبة فى الجاهلية تكسى بكساوى كثيرة ومتعددة، كانت البدن تجلل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن، وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة فإذا بلى منها شىء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شىء .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤ / ٢٧٣) .

* **خزانة اللباس :**

انظر : الطشت خاناه .

* **خزانة المفتين :**

قال حاجى خليفة :

خزانه المفتين فى الفروع : للشيخ الإمام حسين بن محمد السميقانى [السمنقانى] الحنفى صاحب الشافى فى شرح الوافى وهو مجلد ضخم أوله : الحمد لله حمد الشاكرين ... إلخ ذكر فيه أنه صنفه بإشارة حكيم الدين محمد بن على الناموسنى فأورد ما هو مروى عن المتقدمين ومختار عند المتأخرين وطوى ذكر الاختلاف واكتفى بالعلامات من الهداية والنهاية وقاضيخان والخلاصة والظهيرية وشرح الطحاوى وغير ذلك من المعتبرات وفرغ فى محرم سنة ٧٤٠ أربعين وسبعمائة (كشف ١ / ٧٠٣) .

يوجد مخطوطه بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم - البهراقية) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف، وجاء بيانه كما يلى، وقد ورد اسم المؤلف فيه « السمعانى » :

خزانة المفتين - الجزء الأول :

تأليف : حسين بن محمد السمعانى كان حيا سنة ٧٤٠هـ، ١٣٣٩م .

كتاب فى فروع الفقه الحنفى، ذكر مصنفه فى خطبته دواعى تأليفه هذا الكتاب والكتب التى أخذ عنها وأورد فيه المعول عليه فى الذات وطوى ذكر الإضافات، واكتفى بجميع ما أورد فيه من الكتب بالعلامات والرموز وبين كيفية الأخذ بالمذاهب. ويبدأ بكتاب الطهارة، وينتهى بباب دعوى الوقف والشهادة وفرغ من تأليفه سنة ٧٤٠ هـ .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الموقنين ... » .

آخره : « ... وأقام البينة بوقف جميع الدار تقبل تم النصف الأول من خزانة المفتين والحمد لله رب العالمين » .

النسخة ملفقة إذ كتبت خطبة الكتاب بخط النسخ الجيد، وأما الكتاب نفسه فكتب بخط فارسى مستعجل وعلى هوامشه تعليقات كثيرة وكتبت الأبواب والفصول والكتب والرموز بالحمرة نسخها محمد ابن الحاج نعيم المعضنلى سنة ٩٧١هـ .

(٣٥٣) ق المسطرة (٢٤) س الأحمدية (٥٦٥ / ١) الفقه .

الجزء الثانى منه :

يبدأ هذا الجزء بكتاب البيع وينتهى بكتاب الفرائض، وفى أوله فهرس ضم الكتب الواردة فيه مع أرقام صفحاتها .

أوله بعد البسملة «كتاب البيع وهو فى اللغة عبارة عن تمليك المال ... » .

آخره وختمته : « ... قال مؤلف هذا الكتاب : هذا آخر خزانة المفتين وقد أثبت به على ... من تلك القواعد واجتهدت فى التوفيق بين المسائل واخترت فيه ما هو المقول فى الباب، وذكرت ما هو الأصح فى المذاهب فى الكتاب، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله الطيبين الطاهرين » .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الجيد. لصفحاتها أطر، وعلى هوامشها بعض التعليقات، كتبها محمد ذارى بن نسيماتى الحنفى سنة ٩٧٣هـ .

(٤٥٢) ق المسطرة (٢٧) س الأحمدية (٥٦٥ / ٢) الفقه .

بروكلمان : ٢ / ١٦٣ ذيل بروكلمان : ٢ / ٢٠٤

(كشف الظنون ١ / ٧٠٣، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٧٨، ١٧٩) .

*** خزانة الواقعات :**

خزانة الواقعات : للشيخ الإمام افتخار الدين طاهر بن أحمد البخارى الحنفى المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة لخص منه ومن النصاب الخلاصة كما ذكر فى ديباجته .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٣) .

*** خزانة الواقعات فى الفروع :**

خزانة الواقعات فى الفروع : للشيخ الإمام أحمد بن محمد ابن عمر الناطفى الحنفى المتوفى سنة ٤٤٢ اثنتين وأربعين وأربعمائة وهو مختصر مشهور بالواقعات .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٣) .

*** خزائن الأسرار وبدائع الأفكار شرح تنوير الأبصار :**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) : وجاء بيانه كما يلى :

الرقم : ١٠١٠٤

تنوير الأبصار وجامع البحار تأليف شمس الدين محمد ابن عبد الله بن محمد التمرتاشى الغزى المتوفى سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م .

خزائن الأسرار تأليف علاء الدين محمد بن على بن محمد الحصكفى المتوفى سنة ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م

وهذا شرح آخر غير الدر المختار، وقد ألفه المؤلف ووصل فيه إلى باب الوتر والنوافل ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى .

أوله : حمدًا لك يا من شرحت صدورنا بأنواع الهداية سابقا، ونورت بصائرنا بتنوير الأبصار لاحقا ...

آخره : وهذا يقتضى أن المذهب خلاف ما فى الخانية، وأنه ترجيح متنه لا اختيار فى المذهب وأقره فى النهر والله أعلم .

نسخة جيدة . كتبها تلميذ المؤلف .

الخط نسخ معتاد والمتن مكتوب بالحمرة . كتبه محمد ابن عمر الميدانى سنة ١١٢٨هـ .

١٣٠ق . ٢٧س ٢٢×١٦سم

المراجع : معجم المؤلفين ١٠/ ١٩٦ ١١/ ٥٦، هدية العارفين ٢/ ٢٦٢، ٢٩٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٣، ٢٩٤) .

*** خزائن الجواهر ومخازن الزواهر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨١١١

المؤلف : أبو سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان المفتى الخادمى الحنفى المتوفى ١١٧٦ .

أوله : بسم الذى جعل البسملة شريفة للافتتاح، الرحمن الذى جعلها لوصول كل بركة المفتاح، وجناحا إلى حل رموز الخطاب ...

وبعد فيقول أبو سعيد محمد الخادمى ... هذه خزائن الجواهر ومخازن الزواهر رقية عجائب أسرارها ، رقيقة غرائب أزهارها، حاوية لفرائد العقليات جامعة لفرائد النقليات، لم يأت بمثلها الأعصار ولم يسمح إلى الآن الأدهار.

آخره : وهى مفتاح للكلام القديم ومظهر بجميع أسرار القرآن العظيم، فالمطلب فى غاية العزة والبضاعة فى نهاية القلة مع كون ذلك ثمرة قريحة جامدة ونتيجة فطنة خامدة مع صدور عند تلاطم الأشعار وتكاثر عوائق الأحوال فالمرجو من الإخوان فالمتحابين فى الله سلام الله عليهم أجمعين وأوصلهم إلى عز بيعتهم إلى أن يصلوا إلى مرتبة حق اليقين ... هذا آخر ما أبدع حكمة الحكيم من بيان بسم الله الرحمن الرحيم فى وسط شهر رجب سنة ١١٥٩ .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخطين فارسيين مختلفين، على الهوامش بعض الشروح والتعليقات . الأبواب ورؤوس الفقر وبعض العناوين على الهوامش . أصيب المخطوط بالرطوبة دون أن تتأثر الكتابة بذلك، على الورقة الأولى قيد وقف باسم نقيب السادة الأشراف محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية .

٢٩ (١ ق _ ٢٩) ٢١م × ١٥ ٢٧س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمي ٢/ ١١٠، ١١١).

* **خزائن الحكمة:**

كانت خزائن الحكمة بجانب دور الحكمة، تسهل نشر العلوم والمعارف، أودع بها بعض محبي العلم ما اجتمع لديهم من هذه الكتب الجليلة . ومنها : - خزانة الحكمة للفتح ابن خاقان (٢٣٢ _ ٢٤٧هـ) جمع فيها الكتب التى حصل عليها والتى ألفت له . أو نقلت باسمه ، وحوت نفائس المخطوطات فى العلوم والحكمة .

- خزانة الحكمة لآل المنجم التى أنشأها أبو الحسن على ابن يحيى المنجم المتوفى سنة ٢٧٥هـ بكركر من نواحى القفص، وكانت خزانة كتب عظيمة يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون بها ، والكتب لهم مبذولة من كل علم .

وأسس منصور بن نوح بن نصر الله السامانى (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) خزانة كتب حكمة فى بخارى، وممن تولاها الرئيس أبو على بن سينا الطبيب المشهور، واستفاد من كتبها ، كما استفاد منها كثيرون غيره ممن كانوا يرتادونها .

(التربية والتعليم فى الإسلام - سعيد الديوه جى ، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى فى الجمهورية العراقية ١٩٨٢ (مقدمة المؤلف) / ٦٤) .

* **خزائن الخليفة:**

هى التى يحتفظ فيها بدواة الخليفة المحلاة بالذهب وفيها الشمع الذى يحمل إليه موقدا عند ركوبه فى ليالى الوقود الأربع ويكون فى كل جانب ثلاثون شمعة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى/ ١٢٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٨٦، ٤٨٧) .

* **الخزائن السلطانية :**

هى التى تحفظ فيها الأموال والنقد ويحمل إليها معدن النفط المستخرج من ساحل بحر القلزم فهو يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا وينزل إلى أسفله فيجمع فى أوان قد وضعت لذلك منذ أزمان بعيدة وتأتى العرب فتحمله إلى الخزائن السلطانية ويدخل هذه الخزانة أيضا ما يحمل إليها من البلاد الخارجية ويدخلها كذلك ما يتحصل من الثغور وتحمل إليها كذلك المعادن كمعدن الزمرد ومعدن الشب .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٢٨٤، ٤٥٥ و ٥/ ٤٦٢ و ١١/ ٤٢١) .

* **خزائن القصر الكبير :**

القصر الكبير بالقاهرة . كان فى الجهة الشرقية ، ولذلك يقال له القصر الشرقى الكبير، ويسمى القصر المُعِزِّى . قال المقريزى :

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضى إلى موضع من هذه الخزائن فى كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فرّاش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١/ ٤٠٨) .

وقد تناول المقريزى بالتفصيل كلا من هذه الخزائن على حدة فارجع إليه إن شئت .

* **خزائن الكتب:**

من المعالم الحضارية فى ديار الإسلام، وهى إما عامة وإما خاصة .

فالعامة منها قائمة فى المعاهد الدينية وفى بعض المساجد الكبيرة، على أنها لم تكن من التنظيم والتبويب بحيث يسلس للمستعير تناول ما شاء منها . وخاصة فى نوادر الكتب، وفى غير الدائر من العلوم .

وهناك الخزائن الخاصة فى قصور الأمراء ومن إليهم، وفى دور متقدمى العلماء . كما كان هناك جماعات الوراقين يبيعون صنوف الكتب فى حواضر البلاد . ولا يذهب عنك،

فى الغاية ، أن هذه الكتب مخطوطة كلها ، فهى فى الجملة ، نادرة . وتناولها ليس بالسهل اليسير على كل إنسان (المفصل ٢/ ٣٠٠، ٣٠١) .

وكان بكثير من المدارس فى مصر خزائن كتب حافلة بالكتب الثمينة النادرة النافعة فى شتى العلوم والفنون ، فكان بالمدرسة الفاضلية فى صدر هذه الدولة خزانة بها نحو مائة ألف مجلد . وكان بالمدرسة الصاحبية البهائية خزانة كتب جليلة . وحوت المدرسة الظاهرية التى أسسها بيبرس خزانة كتب كانت تشتمل على كثير من أمهات الكتب فى سائر العلوم . وعمل بالمدرسة المحمودية التى أنشئت سنة (٧٩٧هـ) خزانة كتب .

قال المقريزى فى شأنها : « ولا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها ، وهى باقية إلى اليوم ، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن» .

وكانت بمدرسة الأمير جمال الدين التى أنشئت سنة (٨١٠هـ) . خزانة حافلة بالمصاحف الثمينة والكتب النفيسة .

وقد ضم مسجد المؤيد خزانة كتب حافلة بمختلف العلوم الدينية منها ما نقل من القلعة ، ومنها خمسمائة (٥٠٠) مجلد قدمها ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر ، تقربا وزلفى إلى السلطان ، وفى نظير هذه الهدية القيمة عينه السلطان خطيبا للمسجد وخازنا لمكتبته وناظرًا له (صفحات من تاريخ مصر / ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٩٤، ٩٥) .

وقد كانت خزانة الكتب فى عهد الفاطميين من أجل الخزائن وأعظمها شأنا وكان مقرها القلعة وكانت تتكون من أربعين حجرة وفيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة مجموعة متعددة ، وفيها ما يزيد على مائة ألف مجلد فى فنون متنوعة وقد يكون من الكتاب الواحد عشر نسخ ، وكان بها نسخ خطية من خطوط ابن مقلة وابن البواب وغيرهما . ولكن هذه المكتبة احترقت فى عام ٦٩١هـ / ١٢٩٢م فتلف ما بها من كتب الفقه والحديث والتاريخ وبعد ذلك نهبت .

وقد أهمل المماليك إعادة إنشاء خزانة الكتب لأنهم انشغلوا بالحروب والدفاع عن بلاد الإسلام ضد أعدائه الذين تكالبوا عليه ؛ فلم يستكينوا فترات طويلة فى بلاطهم لكى يهتموا بالكتب والمكتبات (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٩) .

ويصف المقريزى خزانة الكتب بالقصر الكبير فى عهد الفاطميين فيقول : قال المسبحى وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل ابن أحمد وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها .

وقال فى كتاب الذخائر عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعاته بخطوط منسوبة زائدة الحُسْن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وإن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما .

قال وكنت بمصر فى العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة إلى دار الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر المغربى فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق فى الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجبليين وأن حصة الوزير أبى الفرج منها قوّمت عليه من جارى مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لى من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة

ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترق بالإسكندرية ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب ، وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار إليه بالابتياع والغصب في بحر النيل إلى الإسكندرية في سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم ، سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب .

وقال ابن الطوير: خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فإن عنَّ له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده .

وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره .

وتولى بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج إلى غيرها .

وقال ابن أبي طي بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري إلى غير ذلك ويقال إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة انتهى .

ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد (المواعظ والاعتبار ١/ ٤٠٨، ٤٠٩) .

موظفو خزانة الكتب في العصرين الأيوبي والمملوكي :

أما موظفو خزانة الكتب فأهمهم الخازن وكان يشترط في خازن الكتب أن يكون عالما فقيها وفي وثيقة للسلطان برسباي يذكر على من يتولى خزانة الكتب أن يكون رجلا من أهل الدين والخير والإمامة وكان يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عونا للطلبة والباحثين ويمكنه إرشادهم للمراجع وحددت وثائق الوقف مهمة الأمين في العصر المملوكي فكان الناظر يسلم الكتب إلى الخازن ويقوم بمراجعتها ونفض الغبار وترميمها وكان أحيانا يختار من بين الطلبة المترددين على المدرسة ، وكان يتسلم الخزانة بحضور الشهود ويعتبر مسئولا عنها ولقد حددت بعض الوثائق المملوكية مدة العطلة التي يحصل عليها مثل الحج أو زيارة الأهل فكان يسمح له بثلاثة أشهر لا غير، ومن غاب عن وظيفته شهرا بغير عذر استبدل بآخر .

وكان الخازن لا يستطيع التنازل عن عمله إلا بإشهار شرعى على يد القاضى وكان الخازن يحصل على أجر من الوقف وكان بعضهم من الواقفين كخوند الحجازية يفرق كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك وفى عيد الأضحى اللحوم وفى شهر رمضان يطبخ لهم الطعام .

وكانت المدرسة الناصرية تفرق على سائر أرباب الوظائف سكرا كل شهر ولحوم الأضاحى كل سنة ، وذكر المقريزى أن خازن مكتبة القصر الفاطمى يحصل على أربعين دينارا أما فى العصر المملوكى فيتراوح أجره بين عشرة إلى أربعين درهما فى الشهر فخازن قلاوون كان يحصل على أربعين درهما وخازن مكتبة الأمير جمال الدين عشرة دراهم ، وكان الناظر يتم اختياره بناء على رغبة الواقف وأحيانا يليها أحد أقربائه أو أبنائه أو أحد العلماء أو الفقهاء (مكتبات المدارس — ٢١٩ ـ ٢٢١) .

ويمدنا الأستاذ كوركيس عواد بمادة مستفيضة عن خزائن الكتب القديمة فى العراق ، وهو فى إحصائه لها يقسمها إلى خمسة أقسام ، وننقل فيما يلى ملخصه :

١ ـ خزائن كتب الخلفاء ببغداد وهى : خزانة المنصور ، وخزانة الحكمة ببغداد (خزانة الرشيد والمأمون) ، وخزانة المعتضد ، وخزانة المكتفي ، خزانة الراضى بالله ، خزانة القائم بأمر الله ، خزانة المقتدى بأمر الله ، خزانة الناصر لدين الله ، خزانة المستنصر بالله ، خزانة المستعصم بالله .

٢ ـ خزائن كتب الملوك والسلاطين وهى : خزانة عضد الدولة البويهى ، وخزانة الملك العادل نور الدين إرسلاه شاه بالموصل ، وخزانة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

٣ ـ خزائن الكتب العامة : خزائن المساجد والمدارس والربط ودور العلم وغيرها : الخزانة الحيدرية بالنجف ، دار العلم بالموصل ، خزانة الوقف بالبصرة ، دار كتب بالبصرة ، دار العلم ببغداد (خزانة سابور) خزانة المدرسة النظامية ببغداد ، خزانة الكتب فى مشهد أبى حنيفة ، خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدى ، خزانة الرباط الخاتونى السلجوقى ، خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهرى ببغداد ، دار الكتب التى برباط المأمونية ببغداد ، خزانة مشهد عبيد الله بن على فى المدار ، خزانة جامع قمرية ببغداد ، خزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ، خزانة رباط باتكين فى البصرة ، خزانة المدرسة البشيرية ببغداد ، خزانة المدرسة المجاهدية ببغداد ، خزانة مدرسة سيدى خان العباسى ، خزانة مدرسة قاسم العبادى فى العمادية ، خزانة مدرسة قبهان فى العمادية ، خزانة مدرسة العقر ، خزانة مدرسة قباذ العباسى ، خزانة مدرسة مرادخان فى العمادية .

٤ ـ خزائن كتب الوزراء فى العراق : خزانة يحيى البرمكى ، خزانة كتب الوزير ابن شاه مراذان بالبصرة ، خزانة محمد بن عبد الملك الزيات بسر من رأى ، خزانة الفتح بن خاقان ، خزانة الوزير القاسم بن عبيد الله ، خزانة الوزير سابور بن اردشير (نوردها تحت عنوان «دار العلم ببغداد» إن شاء الله تعالى) ، خزانة الوزير ابن هبيرة ، خزانة الوزير مؤيد الدين ابن القصاب ، خزانة الكندرى ، خزانة ابن العلقمى ، خزانة علاء الدين عطا ملك الجوينى .

٥ ـ خزائن الكتب الخاصة بالعراق منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة :

(أ) خزائن المائة الثانية للهجرة :

خزانة أبى عمرو بن العلاء ، خزانة سفيان الثورى .

(ب) خزائن المائة الثالثة للهجرة :

خزانة الواقدى ، خزانة الأصمعى ، خزانة إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، خزانة كتب أحمد بن حنبل ، خزانة كتب أبى حسان الزيادى ، خزانة أبى كريب بالكوفة ، الخزانة الكندية ، خزانة الجاحظ ، خزانة أبى حاتم السجستانى ، خزانة إسحاق بن سليمان الهاشمى ، خزانة العصفرى ، خزانة على بن يحيى المنجم (خزانة الحكمة) ، خزانة إسماعيل بن إسحاق الأزدى ، خزانة إبراهيم بن إسحاق الحربى ، خزانة بنى موسى بن شاكر المنجم ، خزانة ثعلب النحوى ، وخزانة ابن سعدان ، وخزانة محمد بن الحسين فى الحديثة ، خزانة الحسن بن موسى النوبختى .

(حـ) خزائن المائة الرابعة للهجرة :

خزانة جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى ، وخزانة ابن دريد ، وخزانة أبى بكر بن الأنبارى ، وخزانة ابن عقدة فى

الكوفة، وخزانة كتب الصولي، وخزانة هرون بن المقتدر بالله، وخزانة علي بن أحمد العمراني بالموصل، وخزانة ابن الكوفي، وخزانة ابن الجعابي، وخزانة كتب الحبشي بن معز الدين البويهي، وخزانة أحمد بن محمد الجراح، خزانة محمد بن العباس بن الفرات، خزانة ابن طاذاذ، خزانة ابن حاجب النعمان، خزانة ابن النديم، خزانة أبي خليفة في البصرة، خزانة أبي سليمان.

(د) خزائن المائة الخامسة للهجرة:

خزانة الشريف الرضي، خزانة ابن الخفاف، خزانة الشريف المرتضى، خزانة أبي حسن الفالي (بالفاء)، خزانة الخطيب البغدادي، خزانة مسعود بن ناصر الشجري، خزانة غرس النعمة الصابيء، خزانة عبد السلام بن بندار القزويني، خزانة الحميدي، خزانة ابن جزلة، وخزانة القاضي أبي الفرج ابن أبي البقاء.

(هـ) خزائن المائة السادسة للهجرة:

خزانة أبي سعيد بن المعوّج، خزانة ثابت بن منصور بن المبارك الكيلي، خزانة عبد الوهاب الأنماطي، خزانة سعد الخير الأندلسي، خزانة عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله، خزانة محمد بن ناصر البغدادي، خزانة ابن المرخم القاضي، خزانة ابن الخشاب البغدادي، خزانة ابن الدهان النحوي، خزانة كتب الزيدي، خزانة سبط بن التعاويذي، خزانة كتب صبيح بن عبد الله الحبشي، وخزانة الحازمي، وخزانة ابن الجوزي، خزانة ابن المارستانية.

(و) خزائن المائة السابعة للهجرة:

خزانة مبارك شاه بن الحسين المروروذي، خزانة أبي المعالي أحمد بن هبة الله، خزانة الحربوي، خزانة قثم بن طلحة الزينبي، خزانة الحسن بن حمدون، خزانة عبد السلام الجيلي، خزانة ابن البرفطي، خزانة علي بن البوري، خزانة ابن النجار، خزانة رضي الدين بن طاوس، خزينة غياث الدين ابن طاوس، خزانة عز الدين الفاروثي.

(ز) خزائن المائة الثامنة للهجرة:

خزانة معاوية الموصلي البغدادي، خزانة علي بن أحمد بن يوسف بن الخضر الآمدي الحنبلي، خزانة ابن الفوطي، خزانة قوام الدين الشيباني، خزانة ابن عبد الحق، خزانة ابن الثردة (خزائن الكتب القديمة / ١٠١ ـ ٢٧٦) وسيأتي ذكر هذه الخزائن عند أدراج بعض تراجم أصحابها أو بلادهم في مواضعها إن شاء الله تعالى.

(المفصل في تاريخ الأدب العربي ـ أحمد الإسكندري وزملائه ٢ / ٣٠٠، ٣٠١ وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ـ عبد الوهاب حمودة / ١٠٢، ١٠٣، ٩٤، ٩٥، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلي / ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٧١، ٤٧٢، وخطط المقريزي ٣ / ٢٥٣ ـ ٢٥٥، ٣٤٥، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي) لتقي الدين المقريزي ١ / ٤٠٨، ٤٠٩، و «مكتبات المدارس (خزانة الكتب) في العصرين الأيوبي والمملوكي» أ. د. زبيدة محمد عطا تاريخ المدارس في مصر الإسلامية. تاريخ المصريين (٥١) / ٢٢٠، ٢٢١، وخزائن الكتب القديمة في العراق ـ كوركيس عواد / ١٠١ ـ ٢٧٦. انظر أيضا «المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي» ـ د. أيمن فؤاد سيد، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية. تاريخ المصريين (٥١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ / ١٠٩، ١١٠).

*** خزائن الكسوات:**

أفاض المقريزي في وصف «خزانة الكسوات» التي كانت بالقصر الكبير، ونحن إذ ننقل وصفه هذا بتمامه فإنما نفعل ذلك لأنه يعكس ثراء الدولة الفاطمية، كما أنه يمدنا بمعلومات هامة عن نظام الإنعام بالخلع في المناسبات المختلفة مثل العيدين، والجمعة، وفتح الخليج وغيرها.

يقول المقريزي تحت عنوان «خزانة الكسوات» معددا أسماء المنعم عليهم بالكسوات ووظائفهم، قال ابن أبي طي وعمل يعني المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لأولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه في الأعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم أنهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدامهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم

من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة إلى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجمع ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول إنه حضر كسا القصر التى تخرج فى الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعهم على الأمراء الثياب الديبقى والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق والإسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر.

وقال ابن المأمون وجلس الأجلُّ يعنى الوزير المأمون فى مجلس الوزارة لتنفيذ الأمور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبى الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان أمر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الأصناف أربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وإن أكثر ما أنفق عن مثل ذلك الأيام الأفضلية فى طول مدتها لسنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به فى منفق سنة ست عشرة ، خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة .

ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الأيام الأفضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة فأحضر الأمير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين إحدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال أجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقى ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فإن كان الذهب نظير المصرى كان الذى يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا ، ثوب ديبقى حريرى وسلطانى السلف اثنا عشر دينارا ، غلالة ديبقى حريرى السلف عشرون دينارا ، منديل كم أول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا ، منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير ، حجرة السلف أربعة دنانير ، عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا ، عرضى لفافة للتخت دينار واحد ونصف ، بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع ، السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ، منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا ، شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار، شقة ديبقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا ، شقة ديبقى غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريرى خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم فى أيام الأفضل لأنه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فإنه كان قد نقل ما يعمل فى القصور من الأسمطة والدواوين إلى داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الأجلِّ أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الآمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا

عراقيا شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى ديبقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستماثة وستون قصبة، سداسى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة، معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرّف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف، رداء حريرى أول السلف عشرة دنانير ونصف، رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير، دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا، ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة، شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقى بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة، منديل كم أول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة، منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة، منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضىْ ديبقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة، جهة عنبر مثل ذلك، السيدة جهة ظل مثل ذلك، جهة منجب مثل ذلك، الأمير أبو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة، الأمير داود مثله، السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الأعمام وهم أبو الميمون بن عبد المجيد والأمير أبو اليسر ابن الأمير محسن، والأمير أبو على ابن الأمير جعفر، والأمير حيدرة ابن الأمير عبد المجيد، والأمير موسى ابن الأمير عبد الله والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود لكل منهم بدلة مذهبة.

البنون والبنات من بنى الأعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى، ست سيدات لكل منهن حلة حريرى، جهة المولى أبى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهبة، جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى، ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك، المعلّمة مقدمة المائدة كذلك، رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك، المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات، وممن انضاف إليهن منْ الأفضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم، المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الأمراء الأستاذون المحنكون الأمير الثقة زمام القصور بدلة مذهبة، الأمير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك، الأمير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك، الأمير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الأمير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفى الدولة إسعاف متولى المائدة مثله، الأمير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة المختصة بالأمير الثقة.

ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة. مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة أستاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الأمير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى تاج الملك أمين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله، فنون متولى خدمة التربة مثله، مرشد الخاصى مثله النواب عن الأمير الثقة فى زمام القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى. العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المداب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة، نائب الستر مثل ذلك، الأستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة إسكندرانى وفوطة.

الأستاذون الشدادون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ماحمل برسم السيد الأجل المأمون يعنى الوزير بدلة خاصة

مذهبة كبيرة موكبية عدتها إحدى عشرة وما هو برسم أولاده الأجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم أولاد الأفضل بن أمير الجيوش وهم حسن وحسين وأحمد الأجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمة العساكر وزم الأزمة وبرسم الجهة المختصة به، وركن الدولة عز الملوك أبو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات.

وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم، وعرضى الأمير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجبية الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى، الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة الأمير الشريف أبو على أحمد بن عقيل نقيب الأشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة، الشريف أنس الدولة متولى ديوان الإنشاء بدلة كذلك، ديوان المكاتبات الشيخ أبو الرضى ابن الشيخ الأجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم، أبو المكارم هبة الله أخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة، أبو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم أبو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة، الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومزنر، أبو سعيد الكاتب بدلة حريرى، أبو الفضل الكاتب كذلك، الحاج موسى المعين فى الالصاق كذلك.

وأما الكتاب بديوان الإنشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه أسماؤهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك. الشيخ ولى الدولة أبو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى، ولامرأته حلة مذهبة، الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبى الليث متولى الدفتر وما جمع إليه بدلة، أبو المجد ولده بدلة حريرى، أبو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون إلى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدمو الركاب، عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة، القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك، أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى، الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى، الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى، الأطباء الشديد أبو الحسن على بن أبى الشديد بدلة حريرى، أبو الفضل النسطورى بدلة حريرى، وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى، والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة، المستخدمون فى المواكب الأمير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى، حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة. وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة، متولى بغل المركب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى، متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء المركب لكل منهم منديل وشقة وفوطة، حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى، المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى، الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالإيوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فإنها لا تشد إلا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان إسكندرانى المستخدمون برسم حل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف

خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها أعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد إليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية، مشارف خزائن السروج بدلة حريرى مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريرى، بركات الآدمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على أبواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقربين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين أكثر من صبيان الركاب وذلك أنهم يتولون الأسمطة ويقفون فى تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بمالهم من المتحصل فى المخلفات فى العيدين وهو مامبلغه ستة آلاف دينار ما لأحد معهم فيها نصيب.

وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الإنشاء فمهما كتب به من إنشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة: ولم يزل أمير المؤمنين منعما بالرغائب، موليا إحسانه كل حاضر من أوليائه وغائب، مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه، موصلا إليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه، وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه، وأحراهم باستنشاق نسيمه، وأخلقهم بالجزء الأوفى منه عند فضه وتقسيمه، إذ كنت فى سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا وممن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا، وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا. ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم، ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم، ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخدمه فيه، وفى المواسم التى تجاريه، بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال، ولا يبقى بعدها مطمع للآمال، وكنت من أخص الأمراء المقدمين.

قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكبية حريرى مكملة منديلها وطيلسانها بياض، وبرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى، وما هو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات، وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية، وبرسم الجمعتين بدلتان حريرى ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شيء فيذكر ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضى والأخرى حريرى برسم العود وكذلك ما يختصى بإخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت عدة بدلات.

وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفترق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى، وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر، وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندرانى والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها وأسماء المستمرين لقبضها.

وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قوّمنا ما أخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة أيام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدى وبحضرتى أكثر من ألف قطعة وحدثنى أبو الفضل يحيى بن إبراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى أبو سعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة

دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسرواني وحدثني عميد الملك أبو الحسن علي بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة أرسل يطالب المستنصر بما بقي لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شيء إلا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت إليه.

وقال ابن الطوير الخدمة في خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة في المباشرات وهما خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشي الخليفة إما أستاذ أو غيره وفيهامن الحواصل ما يدل على إسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الدبيقي الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون وإليها بحمل ما يستعمل في دار الطراز بتنيس ودمياط وإسكندرية من خاص المستعمل. وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولأصحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه ثم ينقل إلى خزانة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه إلا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب أصلا ولا يلبس إلا من هذه الخزانة وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطيء الخليج يغني أبدا فيه النسرين والياسمين فيحمل في كل يوم منه شيء في الصيف والشتاء لا ينقطع ألبتة برسم الثياب، والصناديق فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون إلى السوسي والإسكندراني على مقدار الفصول من الزمان ما يقرب من مائتي شدة، فالخواص في العراضي الدبيقي، ودونهم في أوطية حرير ودونهم في فوط إسكندرية. ويدخل في ذلك كُتّاب ديواني الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكُتّاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجواري في الشهر المطلقات.

وقال القاضي الفضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد، وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل إن الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف، بهاء الدين قراقوش.

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي ١/ ٤٠٩ـ٤١٣).

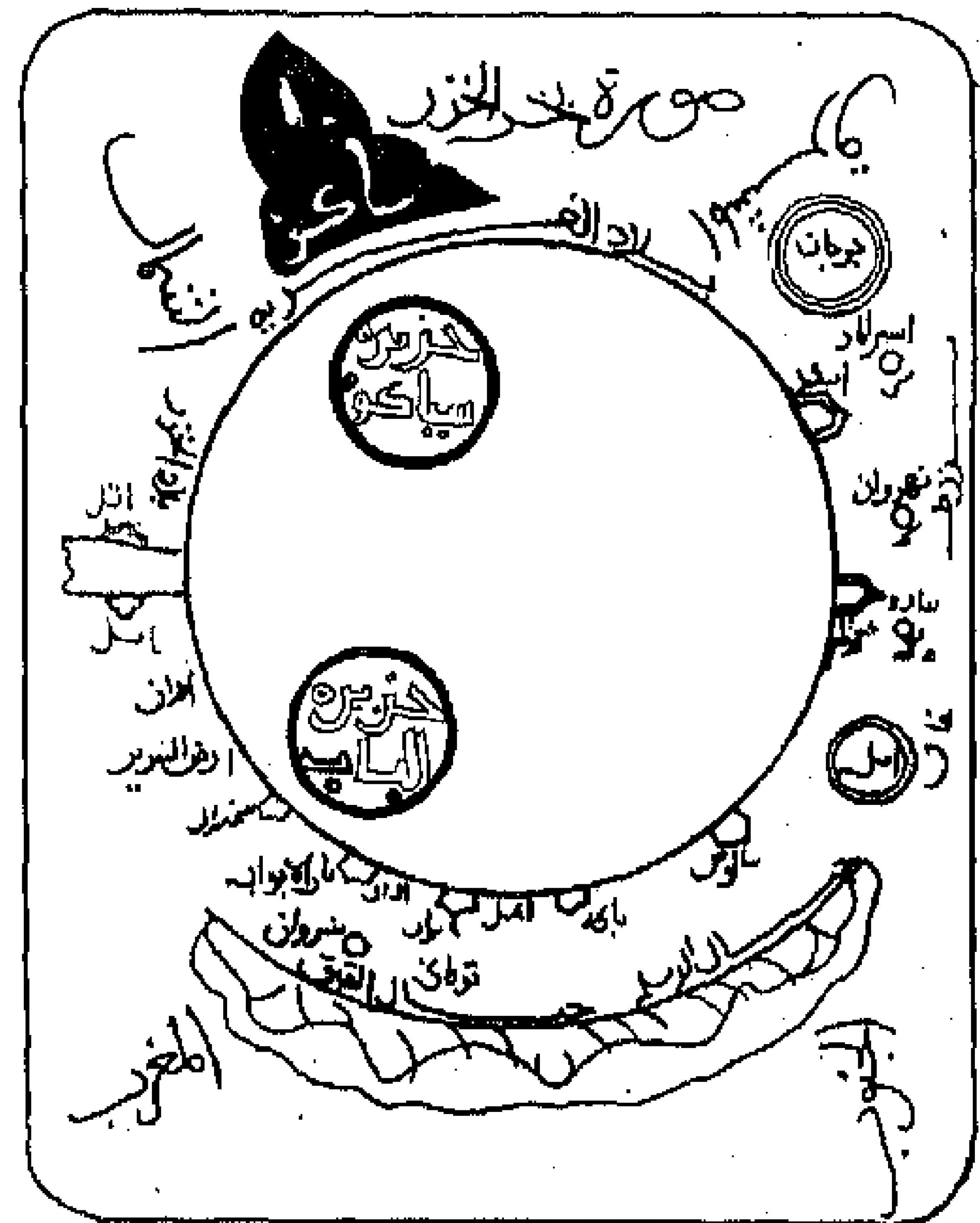
* **الخزر (بحر ـ):**

اسمه أيضا بحر قزوين. ولكنه يرد في مصنفات التراث الإسلامي الجغرافية باسم بحر الخزر فأما الوصف الحديث له فهو كما يلي: بحيرة ساحة (٤٢٤ ٤٢٤ كم^{٢}) في ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي و إيران، بين أوربا وآسيا، تنخفض ٢٨ م عن سطح البحر. أكبر بحر داخلي في العالم، ترتفع من ساحله الجنوبي (الإيراني) جبال البورز، ومن ساحله الجنوبي الغربي جبال القوقاز. تصب فيه أنهار فولجا وأورال وكورا وترك. معدل التبخر مرتفع، وبه رواسب ملحية ضخمة. مصايده المصدر الأول للكافيار. أهم موانيه باكو، وإستراخان (الموسوعة الثقافية / ٧٥٩).

أما في مصنفات التراث الإسلامي الجغرافي فلدينا نموذجان. الأول وصف القزويني الذي يقول عنه:

بحر الخزر هو البحر الذي في جهة الشمال على شرقيه جرجان وطبرستان وفي شمال بلاد الخزر وفي غربيه جبال العقيق وفي جنوبيه الجبل والديلم، وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشيء من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلا طاف حوله رجع إلى مكانه الذي ابتدأ منه، وهو بحر صعب المسلك سريع المهلك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شيء من اللآلي والجواهر، وجزائره غير مسكونة ولكن في جزائره غياض مياه وأشجار وليس فيها أنيس، قالوا: إن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل، وهو مدور الشكل (عجائب المخلوقات / ٩٥، ٩٦).

والنموذج الثاني نص مأخوذ من كتاب «مسالك الممالك»

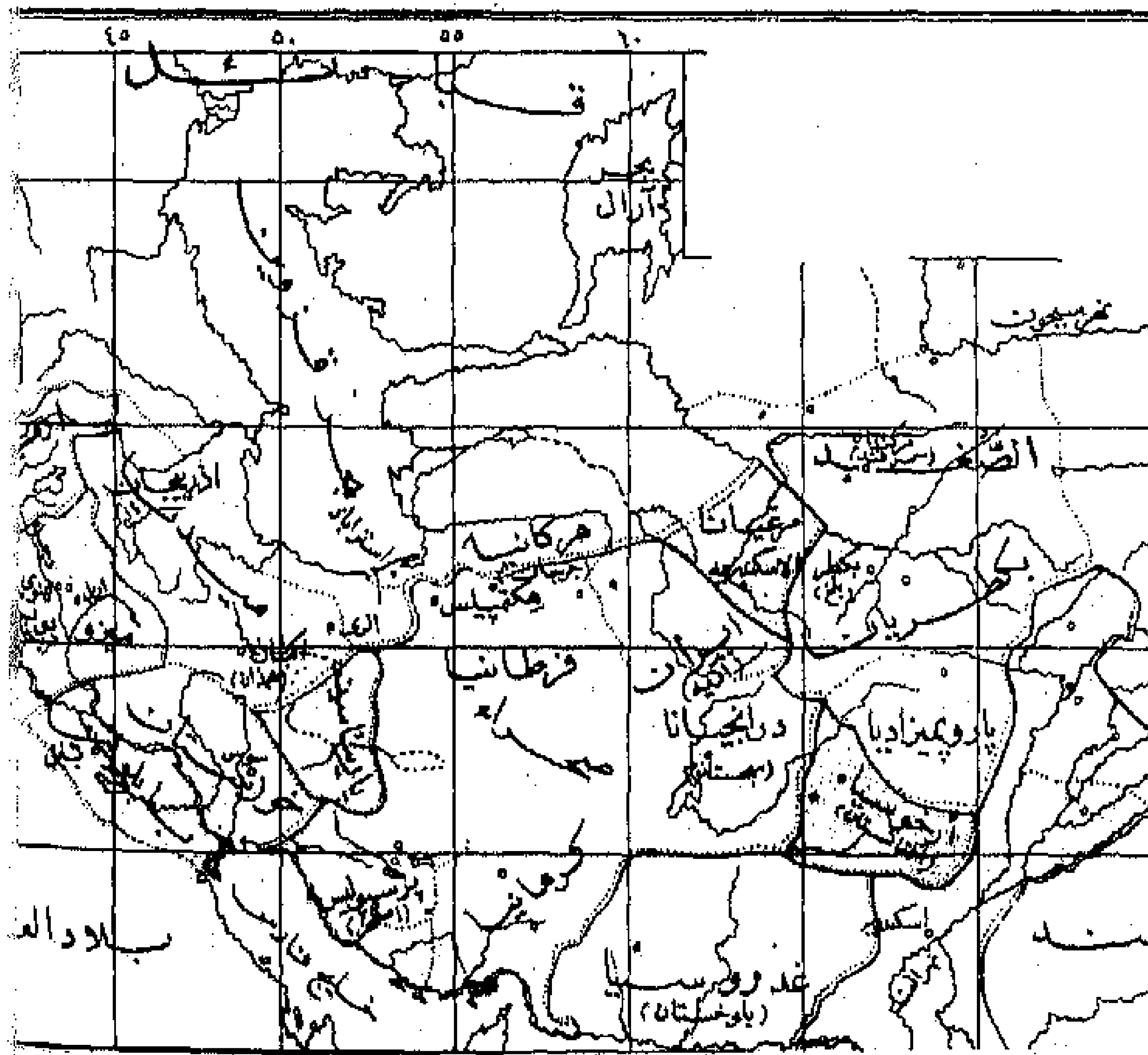

خريطة بحر قزوين والمناطق المجاورة (للإصطخري) في القرن العاشر

للإصطخرى عن بحر الخزر والأقطار المحيطة به. قال الإصطخرى:

«وأما بحر الخزر فإن شرقيه بعض الديلم وطبرستان وجرجان وبعض المفازة التى بين جرجان وخوارزم، وغربيه أرّان وحدود السرير وبلاد الخزر وبعض مفازة الغزية، وشماليه مفازة الغزية بناحية سياكوه، وجنوبيه الجيل والديلم.

وهذا البحر ليس له اتصال بشىء من البحار على وجه الأرض، فلو أن رجلا طاف بهذا البحر لرجع إلى مكانه الذى ابتدأ منه لا يمنعه مانع إلا نهر عذب يقع فيه، وهو بحر مالح ولا مد له ولا جزر وهو بحر مظلم، قعره طين بخلاف بحر القلزم وسائر بحر فارس، فإن فى بعض المواضع من بحر فارس ربما يرى عمقه لصفاء ما تحته من الحجارة البيض، ولا يرتفع من هذا البحر شىء من الجواهر من لؤلؤ أو مرجان أو غيره، مما يرتفع من البحار، ولا ينتفع بشىء مما يخرج منه سوى السموك، ويركب فيه التجار من أراضى المسلمين إلى أرض الخزر، وما بين الران والجيل وطبرستان وجرجان، وليس فى هذا البحر جزيرة مسكونة فيها عمارة كما ذكرنا فى بحرى فارس والروم، إلا أن فيها جزائر، فيها غياض ومياه وأشجار، وليس بها أنيس، ومنها جزيرة سياكوه، وهى جزيرة كبيرة، بها عيون وأشجار وغياض وبها دواب وحش، ومنها جزيرة بحذاء الكر، وهى كبيرة، بها غياض وأشجار. ومياه ويرتفع منها الفوة، ويخرج إليها من نواحى بردعة، فيحملون منها الفوة ويحملون فى السفن إليها دواب من نواحى برذعة وسائر المواضع فتسرح فيها حتى تسمن.

وليس من آبسكون إلى الخزر عن اليمين على شط البحر قرية ولا مدينة سوى موضع من آبسكون على نحو خمسين فرسخا يسمى دهستان، وهى داخلة فى البحر تستتر فيها السفن فى هيجان البحر. ويقصد هذا الموضع خلق كثير من النواحى ويقيمون بها للصيد وبها مياه، ولا أعلم غير هذا المكان مكانا يقيم به أحد إلا أن يكون سياكوه فإنه تقيم به طائفة من الأتراك، وهم قريبو العهد بالمقام به لاختلاف وقع بين الغزية وبينهم، فانقطعوا عنهم واتخذوه مأوى ومرعى لهم، ولهم عيون ومراع، وهذا ما عن يمين هذا البحر من آبسكون، ومن آبسكون عن يسارها إلى الخزر فى عمارة متصلة إلا شيئا بين باب الأبواب والخزر، وذلك أنك إذا أخذت من آبسكون مضيت على حدود جرجان وطبرستان والديلم والجيل، ثم تدخل فى حدود الران، وإذا جزت موقان إلى



باب الأبواب على يومين فهو بلد شروان شاه، ثم تتجاوز إلى سمندر أربعة أيام، ومن سمندر إلى أثل سبعة أيام مفاوز. ولهذا البحر بناحية سياكوه زنقة يخاف على السفن الداخلة بها الريح أن تنكسر، وإذا انكسرت السفن هناك لم يتهيأ جمع شيء منها من الأتراك فإنهم يستولون على ذلك.

وأما الخزر فإنه اسم الإقليم وقصبته تسمى أثل، وأثل اسم النهر الذى يجرى إليه من الروس وبلغار، وأثل قطعتان قطعة على غربى هذا النهر المسمى أثل، وهى أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن فى الغربى منهما. ويسمى الملك بلسانهم بك ويسمى أيضا باك. وهذه القطعة مقدارها فى الطول نحو فرسخ، ويحيط بها سور إلى أنه مفترش البناء، وأبنيتهم خركاهات لبود إلا شيئا يسيرا بنى من طين. ولهم أسواق وحمامات، وفيها خلق من المسلمين يقال: إنهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجدًا. وقصر الملك بعيد من شط النهر، وقصره من آجر وليس لأحد بناء من آجر غيره، ولا يسوغ الملك لأحد أن يبنى بالآجر. ولهذا السور أبواب أربعة؛ منها إلى ما يلى النهر، ومنها إلى ما يلى الصحراء على ظهر المدينة. وملكهم يهودى يقال: إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق اليهود، وأكثرهم المسلمون والنصارى. إلا أن الملك وخاصته يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم وأحكام خصوا بهاعلى رسوم قديمة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى. وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل، وإذا مات منهم رجل أقيم آخر مكانه. وليست لهم جراية دارّة إلى [إلا] شيء نزر يسير يصل إليهم فى المدة الطويلة إذا كان لهم حرب أو حزبهم أمر يجتمعون له، وأبواب مال هذا الملك من الأرصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر، ولهم وظائف على أهل المحال والنواحى من كل صنف مما يحتاج إليه من طعام وشراب وغير ذلك. وللملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان إذا عرض للناس حكومة قضى منها هؤلاء، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه، وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء وبين الملك سفير يراسلونه فيما يجرى من الأمر وينتهون إليه، فيرد عليهم أمره ويمضونه، وليس لهذه المدينة قرى إلا أن مزارعهم مفترشة، يخرجون، فى الصيف، فى الزروع نحو عشرين فرسخا ليزرعوا ويجمعوا بعضه على النهر، وبعضه على الصحارى، فينقلون غلاتهم بالعجل وفى النهر، والغالب على قوتهم الأرز والسمك وهذا الذى يحمل منهم من العسل والشمع إنما يحمل إليهم من ناحية الروس وبلغار، وكذلك هذه الجلود الخز إلى الآفاق لا تكون إلا فى تلك الأنهار التى بناحية بلغار والروس وكويابة، ولا تكون فى شيء من الأقاليم فيما علمته، والنصف الشرقى من الخزر فيه معظم التجار والمسلمين والمتاجر، والغربى خالصة للملك وجنده والخزر الخلص.

ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية، ولا يشاركه لسان فريق من الأمم.

وإنما [وأما] نهر أثل فإنه فيما بلغنى يخرج من قرب خرخيز فيجرى فيما بين الكيماكيةوالغزية وهو الحد بين الكيماكية والغزية، ثم يذهب غربا على ظهر بلغار ويعود راجعا إلى ما يلى المشرق حتى يجوز على الروس، ثم يمر على بلغار ثم على برطاس حتى يقع فى بحر الخزر، ويقال: إنه يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا، ويبقى عمود النهر يجرى على الخزر حتى يقع فى البحر. ويقال إن هذه المياه إذا كانت مجموعة فى نهر واحد أعلاه يزيد على جيحون، وبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهى إلى البحر فتجرى فى البحر داخلا مسيرة يومين، وتغلب على ماء البحر حتى يجمد فى الشتاء لعذوبته وحلاوته، ويبين فى البحر لونه من لون ماء البحر.

وللخزر مدينة تسمى سمندر فيما بينها وبين باب الأبواب لها بساتين كثيرة، ويقال: إنها تشتمل على نحو من أربعة آلاف كرم إلى حد السرير، والغالب على ثمارها الأعناب، وفيها خلق من المسلمين، ولهم بها مساجد، وأبنيتهم من خشب قد نسجت، وسطوحهم مسنمة، وملكهم من اليهود

قرابة ملك الخزر، وبينهم وبين حد السرير فرسخان، وبينهم وبين صاحب السرير هدنة.

والسرير هم نصارى، ويقال: إن هذا السرير هو لبعض ملوك الفرس من ذهب، فلما زال ملكهم حمل إلى السرير وحمله بعض ملوك الفرس، بلغنى أنه من أولاد بهرام جوبين. والملك إلى يومنا هذا فيهم، ويقال: إن هذا السرير عمل لبعض الأكاسرة فى سنين كثيرة، وبين السرير وبين المسلمين هدنة. ولا أعلم فى عمل الخزر مجمع ناس سوى سمندر.

وبرطاس هم أمة متاخمون للخزر ليس بينهم وبين الخزر أمة أخرى، وهم قوم مفترشون على وادى أثل، وبرطاس اسم الناحية، وكذلك الروس والخزر، والسرير اسم للملكة لا للمدينة ولا للناس.

والخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان صنف يسمون قراخزر. وهم سمر يضربون لشدة السمرة إلى السواد، كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهرو الحسن والجمال، والذى يقع من رقيق الخزر هم أهل الأوثان الذين يستجيزون بيع أولادهم واسترقاق بعضهم بعضا. فأما اليهود منهم والنصارى فإنها تدين بتحريم استرقاق بعضهم بعضا مثل المسلمين.

وبلد الخزر لا يرتفع شىء منه يحمل إلى الآفاق غير الغرى. وأما الزيبق والعسل والشمع والخز والأوبار فمجلوب إليها.

ولباس الخزر وما حواليها القراطف والأقبية وليس يكون عندهم شىء من الملبوس وإنما يحمل إليهم من نواحى جرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان والروم.

وأما سياستهم وأمر المملكة بهم فإن عظيمهم يسمى خاقان خزر (انظر مادة «الخاقان») وهو أجل من ملك الخزر إلا أن ملك الخزر هو الذى يقيمه، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاؤوا به فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا: كم تشتهى مدة الملك؟ فيقول كذا وكذا سنة، فإن مات دونها وإلا قتل إذا بلغ تلك السنة. ولا تصلح الخاقانية عندهم إلا فى أهل بيت معروفين، وليس له من الأمر والنهى شىء، إلا أنه يعظم ويسجد له إذا دخل إليه، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومن فى طبقته، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة، فإذا دخل عليه تمرغ فى التراب وسجد وقام من بعد حتى يأذن له بالتقرب، وإذا حزبهم حزب عظيم أخرج فيه خاقان، فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيما له، وإذا مات ودفن لم يمر بقبره أحد إلا ترجل وسجد، ولا يركب ما لم يغب عن قبره، ويبلغ من طاعتهم لملكهم أن أحدهم ربما يجب عليه القتل، ويكون من كبرائهم، فلا يحب الملك أن يقتله ظاهرا فيأمره أن يقتل نفسه، فينصرف إلى منزله ويقتل نفسه، والخاقانية فى قوم معروفين ليس لهم مملكة ويسار، فإذا انتهت الرياسة إلى أحدهم عقدوا له، ولم ينظروا إلى ما عليه من حال، ولقد أخبرنى من أثق به أنه رأى فى بعض أسواقهم شابا يبيع الخبز كانوا يقولون: إن خاقانهم إذا مات فليس أحد أحق منه بالخاقانية إلا أنه كان مسلما ولا تعقد الخاقانية إلا لمن يدين باليهودية، والسرير والقبة الذهب التى لهم لا تضرب إلا لخاقان ومضاربه إذا برزوا فوق مضارب الملك ومسكنه فى البلد أرفع من منزل مسكن الملك.

وبرطاس اسم للناحية، وهم أصحاب بيوت خشب وهم مفترشون، وبسجرت هم صنفان: صنف من آخر الغزية على ظهر بلغار، ويقال: إن مبلغهم نحو ألف رجل، ممتنعون فى مشاجر لا يقدر عليهم، وهم فى طاعة بلغار وبسجرت آخرهم متاخمون لبجناك، وهم وبجناك أتراك وهم متاخمون للروم، ولسان بلغار مثل لسان الخزر، ولبرطاس لسان آخر، وكذلك لسان الروس غير لسان الخزر وبرطاس.

وبلغار اسم المدينة، وهم مسلمون، وفيها مسجد جامع، وبقرب مدينة أخرى تسمى سوار، فيها أيضا مسجد جامع، وأخبرنى من كان يخطب بها أن مقدار عدد الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل، ولهم أبنية خشب يأوونها فى الشتاء، وفى الصيف يفترشون فى الخركاهات، وأخبرنى الخاطب بها أن الليل عندهم لا يتهيأ أن يسير فيه الإنسان أكثر من فرسخ فى الصيف، وفى الشتاء يقصر النهار ويطول الليل حتى يكون نهار الشتاء مثل ليالى الصيف.

والروس هم ثلاثة أصناف: فصنف هم أقرب إلى بلغار، وملكهم يقيم بمدينة تسمى كويابة، وهم أكبر من بلغار. وصنف أبعد منهم يسمونه الصلاوية. وصنف يسمونه الأرثانية وملكهم مقيم بأرثا. والناس يبلغون فى التجارة إلى كويابة. فأما أرثا فإنه لا يذكر أن أحدا دخلها من الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغرباء، وإنما ينحدرون فى الماء يتجرون فلا يخبرون بشىء من أمورهم ومتاجرهم ولا يتركون أحدا يصحبهم ولا يدخل بلادهم. ويحمل من أرثا السمور الأسود والرصاص. والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا، وتحرق مع مياسيرهم الجوارى بطيبة من أنفسهن، وبعضهم يحلق اللحى وبعضهم يفتله مثل الذوائب، ولباسهم القراطق القصار، ولباس الخزر وبلغار وبجناك القراطق التامة.

وهؤلاء الروس يتجرون إلى الخزر ويتجزون إلى الروم وبلغار الأعظم، وهم متاخمون للروم فى شماليها، وهم عدد كثير يبلغ من قوتهم أنهم ضربوا خراجا على ما يلى بلادهم من الروم، وبلغار الداخل هم نصارى.

المسافات بين بلاد الخزر ونواحيها من آبسكون إلى بلاد الخزر عن اليمين نحو ثلاثمئة فرسخ، ومن آبسكون عن يسار السائر إلى الخزر نحو ثلاثمئة فرسخ، ومن آبسكون إلى دهستان مراحل، ويقطع هذا البحر إذا طابت الريح عرضا من طبرستان إلى باب الأبواب فى أسبوع. وأما من آبسكون إلى بلاد الخزر فإنه زائد على العرض لأنه مزوى، ومن أثل إلى سمندر أيام، ومن سمندر إلى باب الأبواب ستة أيام، وبين مملكة السرير وباب الأبواب ثلاثة أيام، ومن أثل إلى أول حد برطاس مسيرة عشرين يوما، ومن أول برطاس إلى آخره نحو خمسة عشر يوما، ومن برطاس إلى بجناك نحو عشر مراحل، ومن أثل إلى بجناك مسيرة شهر، ومن أثل إلى بلغار على طريق المفازة نحو شهر، وفى الماء نحو شهرين فى الصعود، وفى الحدور نحو عشرين يوما، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشر مراحل، ومن بلغار إلى كويابة نحو عشرين مرحلة، ومن بجناك إلى بسجرت الداخل عشرة أيام، ومن بسجرت الداخل إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة (أعلام الجغرافيين العرب / ٢٠١ـ٢٠٨).

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٧٥٩ وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٩٥، ٩٦، وأعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة/ ٢٠١ـ٢٠٨).

* **الخزرج:**

انظر مادة «الأوس والخزرج» فى م ٦ / ٢٣٦، ٢٣٧).

* **الخزرجي:**

قال السمعانى: الخزرجى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاى وفتح الراء وفى آخرها الجيم، هذه النسبة إلى الخزرج وهو بطن من الأنصار، وهو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان. وفى اللغة: الخزرج: الريح الباردة، قال ابن فارس: وبها سمى الرجل. قال الفراء: خزرج: الجنوب، غير مجرى بوسيد الخزرج لأبو [لأبى] ثابت، وقيل أبو قيس، وقيل أبو الحباب سعد بن عبادة بن دليم بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى، شهد بدرا والعقبة، وكان نقيبا ومات لسنتين ونصف من خلافة عمر رضى الله عنه بحوران من أرض الشام، وهو الذى يقال له سعد الخزرج.

وأبو الحسن على بن أحمد بن على بن الحسن بن عيسى الأنصارى الخزرجى من ولد سعد بن عمرو بن حرام بن زيد ابن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، من أهل بغداد سكن مصر، وحدث بها عن حامد بن محمد بن شعيب البلخى وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى، روى عنه أبو محمد بن النحاس المصرى، وكانت ولادته بحربية بغداد فى المحرم من سنة ثمانين ومائتين، وتوفى بمصر فى شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. قال أبو الفتح بن مسرور: ما علمت من أمره إلا خيرا.

وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عمار بن يحيى بن العباس بن عبد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى ثم الأنصارى، من أشرف بيت للأنصار، ومن أوجه

مشايخ نيسابور فى الثروة والعدالة والورع والقبول والإتقان فى الرواية، وأكثرهم طلبا للحديث بالفهم والمعرفة، سمع بنيسابور محمد بن رافع وإسحاق بن منصور وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وبالعراق عمر بن شبة النميرى والحسن بن محمد بن الصباح ومحمد بن إسماعيل الأحمسى وأحمد بن سنان القطان، وبالحجاز بحر بن نصر الخولانى، وبالرى أبا زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم ابن عبدوس ومحمد بن شريك الإسفراينى وأبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريا بن حرب، ومات فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وثلاثمائة بنيسابور.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٥٩، ٣٦٠ : انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٣).

* **الخزرجى (عبد الله بن محمد) (ـ ٦٢٦ هـ/ ـ ١٢٢٩م):**

عبد الله بن محمد الخزرجى، ضياء الدين، أبو محمد، عروضى أندلسى نزل بالإسكندرية وتوفى قتيلا. له «الرامزة فى علمى العروض والقافية» مطبوع قصيدة تعرف بالخزرجية نسبة إليه (انظرها فى موضعها)، و «علل الأعاريض» مخطوط.

(الأعلام للزركلى ٤ / ١٢٤).

* **الخزرجى (على بن الحسن) (ـ ٨١٢ هـ/ ١٤١٠ م):**

على بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن وهّاس الخزرجى الزبيدى، أبو الحسن موفق الدين، مؤرخ، بحاثة، من أهل زبيد فى اليمن. عاش نيفا وسبعين سنة. من كتبه «الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من الإسلام»، و «طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن»، و «العسجد المسبوك فى تاريخ الإسلام وطبقات الملوك» مخطوط مجلد واحد منه، و «العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية» مطبوع. جزءان، و «العقد الفاخر الحسن فى طبقات أكابر اليمن»، و «مرآة الزمن فى تاريخ زبيد وعدن»، و «ديوان شعره».

(الأعلام للزركلى ٤ / ٢٧٤ ومصادره بهامش ١).

* **الخزرجى (على بن محمد):**

من شيوخ الرحالة ابن رُشيد الذين التقى بهم فى الإسكندرية، وهو الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد الخزرجى الساعدى أندلسى المولد والمنشأ، شيخ صالح ثبت حاضر الذهن عالم، له ديوان المواجد الخزرجية. سمع جعفر الهمذانى وابنى دحية، وقبل سفره إلى المشرق أبا محمد بن حوط الله، ولقى أبا الحجاج المنصفى، وقرأ على الفزازى شعره.

وذكر له ابن رشيد قطعا من النظم عارض بها الحريرى وكعب بن زهير، وقصيدة رائية دعا فيها إلى سلوك سبيل المتقين الصالحين.

وإليك ما قاله عنه ابن رشيد. وقد أبقينا على أرقام هوامش المحقق فى مواضعها، ونورد ماجاء بها فى نهاية المادة إن شاء الله تعالى لما بها من فوائد. قال ابن رشيد:

وممن لقيناه أيضا بثغر الإسكندرية المحروس: الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى، من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجى.

مولده ببيغو (١٦٧)، رحل عن الأندلس قديما واستقر أخيرا بالإسكندرية. لقيته بها غير مرة. وأجاز لى ولابنى محمد ولأختيه عائشة وأمة الله ولأخواتى عائشة وفاطمة ورحمة جميع ما جوز له روايته وما له من نظم ونثر. وكتب عنه ـ بإذنه وبمحضره ومحضرى ـ زين الدين أبو بكر بن منصور شيخنا، وذلك فى الثامن من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة، لتعذر بصر الشيخ.

سألت الشيخ ضياء الدين فى هذه السنة عن مولده فقال: سنى خمس وتسعون سنة. فعلى هذا يكون فى حدود التسعين وخمس المائة.

وضياء الدين هذا شيخ صالح فاضل ثبت حاضر الذهن، يتصرف فى حوائجه بنفسه، عدل بالديار المصرية، أديب ناظم مطيل مطيب. وقد وصف لنا بالعالم العامل. وجمع بعض شعره فى ديوان سماه المواجد الخزرجية

سمع جعفر الهمدانى، وقرأ عليه ملخص القابسى، وكتاب كفاية المتحفظ فى اللغة (١٦٨) تصنيف إبراهيم بن

إسماعيل الأجدابي (١٦٩) وسمع أيضا على أبي الخطاب بن دحية ملخص القابسي. وسمع الموطأ رواية يحيى (١٧٠) على أخيه أبي عمرو بن دحية (١٧١) وأجازوا له ثلاثتهم.

وسمع، قبل رحلته، القاضي أبا محمد بن حوط الله (١٧٢) قال: وأول حديث سمعت منه الحديث المسلسل (١٧٣):

« الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (١٧٤).

قلت: وقد أسمعني المتن من لفظه. وهو أول حديث سمعته منه.

قال: وسمعت عليه صحيح مسلم سنة سبع وستمائة.

قال: ولقيت أبا الحجاج المنصفي (١٧٥) سنة ست وستمائة بمالقة ولم أسمع منه.

قال: ورأيت ابن أبي يحيى الذي قتله شابا وقيحا.

ولقي أبا زيد الفازازي، وقرأ عليه من معشراته الحبية إلى حرف العين، وأجاز له جميع ما قاله من نظم ونثر.

أنشدنا شيخنا ضياء الدين هذا قصائد من قيله، وأمر أن يكتب لنا بعض شعره. ودفعه إلينا.

فمما قرئ لي عليه وأنا أسمع قصيده المسمط (١٧٦) الذي عارض به قصيدة أبي محمد القاسم بن علي الحريري التي أولها:

[مجزوء الرجز]

خل ادكار الأربع (١٧٧)

وهذا القصيد الذي صنعه شيخنا ضياء الدين الخزرجي - نفع الله به - مطلعه:

هـوّن بأهل البدع
والهُجر والتصنع
ودن بترك الطمع
ولُذ بأهل الورع
وعد عن كل بلد
لم يكترث بالنبد
والهج بسر جهبذ
وعالم متضع
واندب زمانا قد سلف
ولم تجد منه خلف
وابعث بأنفاس الأسف
رسائل التضرع

وهي طويلة، عددها أحد وأربعون بيتا، تقيدت بجملتها في غير هذا الموضع.

ومما قرئ لي عليه من قيله وأنا أسمع:

[البسيط]

بأمر دنياك لا تحفل وكن حذرا ... *فقد أبانت لأرباب النهى عبرا*
فأي عيش بها ما شابه غير؟ ... *وأي صفو تناهى لم يصر كدرا؟*
كم سالم أسلمته للردى فقضى ... *حتفا، لم يقض من لذاتها وطرا!!*
ومترف قلبت ظهر المجنّ له ... *فعاد بعد علو القدر محتقرا!!*
فعدّ عنها ولا تلهج بزخرفها، ... *وغض طرفك عنه، قل أو كثرا.*
فكل عيش تراه العين من حسن ... *كرُّ الأهلة لا يبقى له أثرا*
طوبى لمن جال فيها فكرُهُ فنأى ... *عما تغيب يوما منه أو حضرا*
وقام في حندس الظلماء مجتهدا ... *يردد الذكر والآيات والسورا*
ذاك الذي سرحت في العلو همته ... *فخالف النوم لما حالف السهرا*
حتى إذا الليل ولى منه أكثره ... *وراقب الوقت لما قارب السحرا*

أهـدت لـه نسمـات اللطف سـاعـة هل
من سـائل فـدعـا مـولاه واعتـذرا
ولم يـزل واقفـا بـالبـاب مبتهـلا
يـرجـو الإجـابـة ممن جل واقتـدرا
حـلا لـه المـورد الأصفى فتـاق إلى
ورد أبـان لـه مـا عنـه قـد صـدرا
سمـا بمـدحـة سيمـاهم فـلاح لـه
عنـد السجود هـلال القـرب فـابتـدرا
فبـات يبـذر في أرض الـرضـا حسنـا
وإنمـا يحصـد الإنسـان مـا بـذرا
مشى على منهج التقـوى، ودام على
حفظ الأوامـر، فـاحتـاجت لـه الأمـرا
تـالله، مـا الملك إلا ملك من مُنحت
لـه القنـاعـة فـاستغنى ومـا افتقـرا
تـاقت إلى رؤيـة السـادات همتـه
في روضـة الأنس فـاستـاقـوا لـه زمـرا
هـم الأخـلاء يـوم الملتقى، وهـم
حـزب الإلـه على مـن نـد أو بطـرا
أنـوارهم، يـوم جُـز، تطفي وتخمـد مـا
قـد لاح مـن لفحـات النـار واستعـرا
تيقنـوا أنهم في كـل معضلـة
بعين محبـوبهم فـاستعـذبـوا الصبـرا
مـانـوا ومنـوا ومـا منـوا فمنيتهم
أمن وجبـر لمن قـد جـاء منكسـرا
لهم جنـوب تجـافى عن مضـاجعهـا
وأعين أقسمت أن لا تـذوق كـرى
يـا نـائمـا وعيون القـوم سـاهـرة،
ولا يبـالي أطـال الليل أم قصـرا
قم للتجهـد يـا نـومـان مجتهـدا
فللجـديـدين سيف ينسف العمـر
هـذا الظـلام قـد اشمطت ذوايبـه
وكَلَّ ركب الـدجى واستصحب الخـزرا
واعتـاضت الـزهـر بعد الـزهـو إذ جنحت
إلى الغـوارب من إشـراقهـا غيـرا
وغـادر الطل زهـر الـروض حين سـرت
رويحـة الفجـر غضـا نـاعمـا نضـرا
وبشّـر الفجـر بـاليـوم الجـديـد، فقم
ونـاد من لـم يـزل في الملك مقتـدرا
يـا عـالـم السـر لا تفضح سـريـرة من
وافـاك، يـافـالق الإصبـاح، مفتقـرا
وجُـد على خـزرجي قـد ألمَّ بـه
ضيم، فـأضعف منـه السمع والبصـرا،
وقـد دعـاك قـريح القلب منكسـرا
وأنت تعلـم مـا أبـدى ومـا سـترا
فهب لـه تـوبـة. وارحم تضـرعـه
إليك، واغفـر لـه يـا خيـر مـن غفـرا
وصل وصـل وواصل كـل آونـة
على النبي سـلامـا طيبـا عطـرا
وصحبـه ومـن استهـدى بهـديهم
فهم أئمـة من صلى ومـن ذكـرا

ومما أمر بكتبه إليَّ. وأنشدني بعضه إن لم يكن كله، وأذن لي: قصيده الطويل الذي عارض به قصيد كعب بن زهير:

[البسيط]

بـانت سعـاد فقلبي اليـوم متبـول
متيم إثـرهـا لـم يفـد مكبـول

ومطلع قصيده:

مـا في سعـاد لنـا قصـد ولا سـول
فـإن قلبيَ عنهـا اليـوم مشغـول
ومـا سعـاد ومـا مقـدار منصبهـا
حتى أبيت وقلبي منـه مبتـول

سيَّان عندي إن بانت وإن وصلت
فوصلها بنصال الصد مفصول
ما أن يدوم لها عهد، وإن غدرت
فهو الوفاء، وعهد الغيد ممطول
فاعجب لمن بالغواني قد غدا كلفا،
وعقدهن وإن آلين محلول
وذر أغن غضيض الطرف ذا كحل
ولا تغرنك العيس المراقيل،
وعد عن نسبة الوجناء إن نسبت
وسيرها، فهو أمر فيه تطويل
إن كان أعرب كعب عن فصاحته
فإن كعبا على الإعراب مجبول
فهو الذي فاز بالفضل العميم، ومن
رام امتداحا سواه فهو مفضول
أوْلاه خير الورى أمنا، وشرفه
عند القدوم ببرد فيه تجميل
فمن تكلف ما أبدت بديهته
وإن أصاب فما في ذاك محصول
الأمر أعجل من هذا فكن حذرا
بغت المنون فإن الوقت مجهول
وأطنب المدح فيمن قد أعدَّ له
في حضرة القدس ترحيب وتبجيل:
خير البرية من عرب ومن عجم
ومن عليه لنا في الحشر تعويل،
أولاه موجده مجدا، وتوجه
تاج الرسالة، والتبليغ إكليل

ثم تمادى في مدح النبي ﷺ مطيبا، ودعا الإحسان فلباه مجيبا، وأتى بأعلام من معجزاته ﷺ متبعا الطيب بالطيب، وجائدا بعد الجود بالصيِّب، ناسجا على منوال الإحسان، واسجا في ميدان البيان، إلى أن نيَّف على مائتين وثلاثين بيتا، تعلى قدره حيا وتحيي ذكره ميتا. يقول في خاتمتها.

يا من له في حديث المصطفى سند
عال، ويسمعه والنقل معلول
خذ هذه، فهي للناسين تذكرة،
ونظمها فيها تقريب وتسهيل
بمسلم، والبخاري والموطإ قد
صحَّت، وبالترمذي فيها، الأقاويل
وما رواه ابن إسحاق الذي نُقلت
عنه المغازي، وهذا القول منقول
علو الرواية في الأخبار تكملة
تشفي الغليل، ولكن ثم تعليل
إن كان ممن له علم ومعرفة
وحُسن لفظ، وإلا فيه تأويل.
فاحفظ وصحح وقيد ما استطعت فللـ
ـمحدث اليقظان الدهر تبجيل
يا سامعيها، سلوا عن كل واقعة
منها، فرب سؤال فيه تحصيل
وأخلصوا دعوة منكم لناظمها
فعزمه بحلول الشيب محلول
وحين عاين شمس العمر قد جنحت
إلى الغروب شدا والقلب متبول
يا عالم السر لا تفضح سريرة من
له على عفوك المرجو تعويل
وقد دعاك قريح القلب منكسرا
وما له في حماك اليوم تحويل
فهب له توبة قبل الممات، فقد
آن الرحيل، ووقتي فيه تعجيل
وصلِ صلاة على خير الورى، فله
بين النبيين تخصيص وتفضيل

وصحبـــــه، ومـن استهـــدى بهـــديهم

فأنـت يــا ســا مع الأصـوات مســؤول

نجزت، وتمامها مكتوب في غير هذا الموضع.

وإليك تعليقـات المحقق الفـاضل التي جـاءت في الهوامش:

(١٦٧) مدينـة بالأندلس من عمـل غرناطـة وإليها ينسب أبو محمد يعيش بن محمد بن سعيد الأنصاري البيغي. راجع الحميري / ٦٠، الحموي ٢ / ٣٣٩.

(١٦٨) مصنف مختصـر فيمـا يحتـاج إليـه مـن غـريب الكلام. وليس هـو كفاية المحتفظ لابن الخـوبي التي نظمها ابن جابر الأعمى والبعلي. الكشف.

(١٦٩) هو أبو إسحاق اللـوائي الطرابلسي الأجدابي ٦٥٠ / ١٢٥٢، لغوي بـاحث، له الكفاية، والعـروض، ومختصر في علم الأنساب. وآخر في الأنواء. الزركلي: ١ / ٢٥.

(١٧٠) هـو أبـو محمـد يحيى بن يحيى بـن أبي عيسى الليثي١٥٢/ ٧٦٩ـ ٢٣٤ / بقـرطبة ٨٤٩ عـالم الأندلس في عصـره. قـرأ بقـرطبـة ورحل إلى الشـرق. وسمع المـوطأ من مالك. ونشر مذهبه بالأندلس. الزركلي: ٩/ ٢٣.

(١٧١) تقـدم ذكر ابني دحيـة في أول تـرجمة ابن منصـور الهمداني. وأبو عمرو هذا هو عثمان بن الحسن أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحيـة وفدا على القاهرة من الأنـدلس. وكان أبو عمـرو أسن من أخيه. بـالقاهـرة. وهو لغـوي رتبه الملك الكـامل مكان أخيـه على دار الحديث الكـاملية. المقـري. النفح ٢ / ٩٤، ٩٥، ٥١.

(١٧٢) هو الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حـوط الله الأنصاري الحـارثي الأنـدلسي ٥٤٦ / ١١٥٤ بأنده ٦١٢ / ١٢١٥ بغرناطة. محدث مقرئ كاتب، شاعر، نحوي. كحالة ٦ / ٦١

(١٧٣) التسلسل من نعوت الأسانيد. وهو عبارة عن تتابع رجال الأسناد وتواردهم فيه واحدا بعد واحدا على صفة أو حالة واحدة. وينقسم إلى ما يكون صفة للرواية والتحمل، وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم. ابن الصلاح٢٣٦، ٢٣٧ وفي ترجمـة المراغي من هذا الجزء ذكـر لصلة الناسك في معـرفة المناسك. قال ابن رشيد: وهـو جزء نبيل نبيه تكلم فيه على حديث الرحمة المسلسل وطرقه وفوائده. وهو جزء مملوء فوائد بغـرائب من النفع عـوائد. وقـد دخل لنـا حـديث الـرحمة المسلسل مصرحا به في ما أجازنا به المغفور له شيخنا محمد الفاضل بن عاشور.

(١٧٤) ورد الحديث في آخر باب ما جاء في رحمة الناس وعقب عليه بقولـه هـذا حـديث حسن صحيح وورد عن ابن عمرو بلفظ «الراحمـون يرحمهم الرحمن تبارك وتعـالى ارحموا من في الأرض يـرحمكم من في السمـاء». حم، د، ت، ك، (لأحمد في مسنـده، وأبي داود، والترمـذي، والحاكم، وزاد الثـلاثـة دون أبي داود: والـرحم: الشجنـة من الـرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله». النبهاني: وقد ضمن جماعـة من الحفاظ هـذا الحديث فـي أبيات نظمـوهـا. فمن ذلك أما نشده أبو الحسن علي بن حسن بن عساكر:

بـــادر إلى الخيـــر يـــا ذا اللب مغتنمــا

ولا تكـن عن قليـل الخيـــر منحـــرمــا

واشكـــر لمـــولاك مـــا أولاك من نعـم

فـالشكـــر يستـوجب الأفضـال والكـــرمــا

وارحـــم بقلبـــك خلـــق الله وارعهـــم

فإنمـــا يــــرحم الــــرحمن من رحمــا

ومنه ما قاله ابن حجر العسقلاني:

إن مـن يـــــرحـم مـن فـي الأرض قـــــد

جــاءنـــا يـــرحمـــه من في السمــا

فـــارحـم الخلق جميعـــا إنمـــا

يــــرحم الــــرحمن من رحمـــا

ومن هذا النحو قول العراقي:

إن كنت لا تـــرحم المسكين إن عـــدمـــا

ولا الفقيـــر إذا يشكـــو لـك العـــدمـــا

فكيف تـــرجـــو من الـــرحمن رحمتـــه

فإنمـــا يـــرحم الـــرحمن من رحمـــا

انظر الفادانى : ١٧٧

(١٧٥) هو أبو الحجاج يوسف المنصف نسبة إليى قرية المنصف من قرى بلنسية . زاهد مشهور سكن سبتة . المقرى . النفح :٣/ ٥٩٥ ابن سعيد. المغرب ٢ / ٣٥٤، ٥٧٠ ولا نعلم شيئا عن ابن أبى يحيى الشاب الوقح . وورد هذا الوصف بالأصل على زنة فعيل ولعله خطأ من الناسخ .

(١٧٦) هو الذى تكون أبياته مقسمة إلى أجزاء عروضية مقفاة على غير روى القافية .

(١٧٧) بالأصل قصيد فاتنا اللفظ للتطابق مع ما بعده . وتمام البيت والطالع :

خل ادكار الأربع والمعهد المرتبع
والظاعن المودع وعد عنه ودع

راجع المقامة الخمسين البصرية للحريرى

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣ / ٣٤، ٣٥، ٤٣ ـ ٤٩) .

*** الخزرجية :**

منظومة فى العروض والقافية اشتملت على نيف وسبعين بيتاًلضياء الدين الخزرجي الأندلسى المتوفى سنة ٦٢٦هـ . ويذكر البقاعى أن القلصادى بحث مع القرباقى شرحه للخزرجية فى العروض (رحلة القلصادى / ٨٨) وجاء فى ترجمة تقى الدين الشمنى أنه قرأ على الشيخ ناصر الدين البارنبارى الخزرجية فى العروض (المنهل الصافى ٢/ ١٠٢) .

يوجد مخطوط الخزرجية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وجاء بيانه كما يلى :

رقم الحفظ : ٦١ ف .

الفن : عروض .

عنوان المخطوطة : الخزرجية فى العروض .

عنوان المخطوط الفرعى : الرامزة .

اسم المؤلف : عبد الله بن محمد بن عثمان ، الخزرجى ، ضياء الدين

اسم الشهرة : الخزرجى .

تاريخ وفاته : ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م القرن ٦ هـ .

قالت المؤلفة : وفاته فى الأعلام ٤/ ١٢٤ هى سنه ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م .

بداية المخطوطة :

وللشعر ميزان يسمى عروضه بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

نهاية المخطوطة :

ويسأل عبد الله والخزرجى من مطالعها إتحافه منه بالدُّعا

نوع الخط : نسخى واضح .

تاريخ النسخ : القرن ٩هـ/ ١٥م .

عدد الأسطر : ٢٨س .

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة .

مكان الحفظ : رئيس الكتاب، برقم ١١٨٩/ ٥ (فهرس المصورات/ ٥٩) .

(رحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى ــ دراسة وتحقيق محمد أبى الأجفان / ٨٨ هامش ٤٠ للمحقق، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢/ ١٠٢ هامش ٤ للمحقق، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثانى، السنة الثانيه ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ٥٩) .

*** الخزرى:**

الخزرى : بفتح الخاء والزاى المعجمتين وكسر الراء المهملة، هذه النسبة إلى الجد لبعضهم، ولبعضهم إلى موضع من الثغور عند السد لذى القرنين يقال له دربند خزران، ونسب الخزر إلى خزر بن يافث بن نوح وقيل الخزر (وجلان وموقان وجماعة بنو كاشح بن يافث بن نوح وقيل الخزر) والصقالبة ولد ثوبان بن يافث . فأما المنسوب إلى الجد فهو أبو بكر محمد بن خزر الصوفى الخزرى العالم بهمذان، كان

يروى تفسير السدى عاليا، وكانت له رقة فى بعض الأوقات إذا قرئ عليه شيء يتغير عليه، روى عنه أبو جعفر بن محمد بن الحسين الأبهرى وأبو سعد أحمد بن محمد المالينى وأبو نصر الحسن بن عبد الواحد الشيرازى وغيرهم، وروى عن إبراهيم ابن محمد بن فيرة الطيان عن الحسين بن محمد الزاهد عن إسماعيل بن أبى زياد كتاب التفسير، كتبه عنه ببغداد أبو حفص بن شاهين، وسمع منه أيضا ببغداد عبد الله بن عثمان الصفار وأبو القاسم بن الثلاج فيما زعم، وروى عنه محمد بن أبى الفوارس الحافظ وكان سماعه منه بهمذان.

والمشهور بالانتساب إليها - يعنى إلى دربند عبد الله بن عيسى الخزرى - حدث عن عفان بن مسلم، روى عنه الطستى، كانوا يضعفونه.

وأحمد بن موسى البغدادى يعرف بأخى خزرى، حدث عن على بن حرب، روى عنه أبو بكر الشافعى، وعياش بن الحسن بن عياش أبو القاسم البغدادى، يعرف بالخزرى، حدث عن النيسابورى أبى بكر بن زياد والقاضى المحاملى وابن مخلد وابن الأنبارى، حدث عنه الدارقطنى وجماعة من مشايخنا.

وأبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن بن على بن محمد المؤدب الحربى، يعرف بابن الخزرى، سمع أبا بكر بن مالك القطيعى والحسين بن أحمد الشماخى الهروى.

(الأنساب للسمعانى ١/ ٣٦٠، ٣٦١. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١/٥١٣، ٥١٤).

* **الخُزَرى:**

قال السمعانى:

الخُزَرى: بضم الخاء المعجمة والزايين بعدها أولاهما مفتوحة، هو لوالد محمد بن خزر الطبرانى الخزرى، من أهل طبرية، قال أبو الحسن الدارقطنى: محمد بن خزز له تاريخ كبير كتبته بطبرية.

(الأنساب ٢/ ٣٦١. انظر أيضا اللباب ١/ ٥١٤، ٥١٥).

* **الخزف:**

الخزف: هو الفخار، قال الشاعر:

بنى غــــدانـــــة مــــا إن أنتم ذهب
ولا صــــريف ولكن أنتم الخــــزف

(المعتمد ١/ ١٢٥).

ذكره المظفر الرسولى نقلاً عن مصدرين رمز إلى أحدهما بالحرف «ع» وإلى الآخر بالحرف «ج»:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

قال: الخزف - «ع» قوة الخزف تجلو وتجفف، وخاصة خزف التنور، لأنه قد ناله من السجر يبس كثير، ولهذا يكون المرهم الذى يقع فيه دواء نافعا جدا فى ختم الجراحات وإدمالها، وله قوة تكوى، فإذا خلط بالخل وتلطخ به نفع من الحكة والبثور، وقد ينفع من النقرس، ويجفف من غير لذع، فينفع من القروح المترهلة، ومن انسلاخ الجلد، ويجلو الأسنان.

«ج» ألطف الأخزاف خزف السرطان البحرى المجفف، يجلو الكلف والنمش. والمرهم المتخذ من الخزف قوى



ابريق من الخزف بزخارف بارزة تحت طلاء زجاجى فيروزى اللون، إيران - القرن ٧ هـ (١٣ م).

الاندمال، وينفع من القروح، ويجلو الجرب. وخزف التنور يطلى على النقرس والجرب والحكة والقوباء والسعفة والحصف، مع الخل، فينفع. وخزف الأجاجين الخضر يجلو العين، ويقويها. وخزف الغضار الصيني ينفع من القروح والجرب والنقرس الشربة منه: درهمان (المعتمد ١/ ١٢٥، ١٢٦).

وقال داود الأنطاكي: الخزف هو الفخار إذا شوي بحيث يبلغ الحرق وهو قسمان مدهون بالمرداسنج وغيره كالزبادي المشهورة وهذا إما شريف الصناعة كالصيني وسيأتي أو ما يقاربه كالمعمول بأذنيك ومالقة وأنطاكية غير مدهون كالقدور والشقف ومنه الآجر والكل حار يابس في الثالثة إذا بولغ في سحقه وعجن بنحو الخل كان ضمادا جيدا للاستسقاء والترهل وتحليل الأورام والنقرس والمدهون بلحم الجراح ويقطع الدم ويجلو الآثار ونحو الحكة. (التذكرة ١/ ١٣٩).

ذاك كان على المستوى الطبي. أما على المستوى الفني فيعرف الخزف السيراميك بأنه طين تصنع منه أوعية وأقنية وبلاطات، يطلى بمواد مزججة وأصباغ ومعادن ومشتقاتها، أو يعجن مع بعضها قبل إدخاله الفرن مرة واحدة، كالفخار، فهو منه وله خصائصه، ولكن غالبا ما يشوى، قبل المعالجة بتلك التراكيب وبعدها.

وقد أخذ الخزف تسميات متعددة، حسب نوعه أو البلد



صحن من الخزف ذي البريق المعدني، مصر، القرن ٥ هـ (١١ م) [رقم السجل ١٤٩٢٣]



بلاطات من الخزف. آسيا الصغرى، القرن ١٠ هـ (١٦ م) [رقم السجل ٦٣٢١]

الذي صنع فيه، وأهمها: زليج، كما في إسبانيا وشمال إفريقية، وزليزلي: كما عرف في شمال مصره وفرفوري: نسبة إلى بلاد الفرفور، أي اليابان، وقاشاني نسبة إلى قاشان، المدينة الفارسية التي كانت لها سمعتها العالية في هذا المجال، وقاشي وكاشي كما يسمى في العراق حاليا، وغيري: وهو خزف فارسي مزخرف متين، نادر وثمين (موسوعة العمارة الإسلامية/ ١٥٩، ١٦٠).

يقول الأستاذ أنور الرفاعي:

إن مجموعة الخزف هي أكبر ما وصلنا من تحف الفن الإسلامي فهي كثيرة العدد جدا، متنوعة المواضع. نجدها في كل بلد إسلامي. كما تتشابه أساليبها الفنية بكل مكان. ويبدو من تطور الفنون الخزفية أن منبع الابتكار فيها كان في فارس والعراق وهي استمرار وتطوير لصناعة الآجر المزجج الذي استخدمه بكثرة العرب القدماء في بلاد ما بين النهرين ومنها كانت تنتقل الأساليب بسرعة غريبة إلى غرب «مملكة الإسلام».

وقد استعمل المسلمون الخزف في صناعة البلاطات الزخرفية الجميلة لكسوة الجدران في البيوت والمساجد والمدارس وغيرها من المباني. كما استعملوه في عمل الأواني من أكواب وصحون وسلطانيات وأباريق ودوارق وقدور وأزيار وشماعد ومسارج ومباخر وزهريات وتماثيل صغيرة ولعب، وأنواع أخرى من التحف الفنية.

وقد بدأ صنع الخزف الإسلامي أول الأمر كتتمة لصناعة الخزف الساساني والبيزنطي، ثم استقل بأسلوب إسلامي خالص وتنوعت أساليب الزخرفة بالرسم تحت الطلاء الزجاجي الشفاف بالألوان، أو بالبريق المعدني، أو



١٤٢ - مشكاة من الخزف : مصر فى عصر المماليك (القرن ١٤)

بالتذهيب فوق طلاء زجاجى شفاف أو غير شفاف، وبالنحت والحز والتخريم، وبالصب فوق القالب، والمينا، كما تعددت أنواع العناصر الزخرفية، من زخارف عربية، وهندسية ونباتية، سواء الطبيعى منها كالأشجار والثمار والزهور أو المقتبس والمعدل بشكل فنى زخرفى تزيينى، ورسوم مبان ومراكب تمخر مياه البحر، وصور حيوانات وطيور وأسماك، وأشخاص فى مناظر الحياة اليومية .

واختص الفن الإسلامى، سواء فى الخزف، أو فى غيره، دون سائر الفنون العالمية بالكتابة العربية الزخرفية، وهنا فى الخزف استخدم الخزافون المسلمون الكتابة بالخط الكوفى بمختلف أشكاله أو النسخى كوسيلة للربط بين العناصر الزخرفية الأخرى، أو لملء شريط زخرفى بكلمات ذات صيغة دعائية لصاحب التحفة، أو حكمة عربية، أو آية من القرآن الكريم أو حديث من أحاديث الرسول عليه السلام .

وجميع مخلفات العصور الإسلامية من الخزف تدل على أنها تنتمى إلى وحدة فنية تجمع بينها، رغم ما فيها من تنوع فى الأساليب الزخرفية التى ازدهرت فى شتى بلاد العالم الإسلامى، فلكل بلد أسلوب زخرفى خاص به، يميزه عن غيره، ولكن ضمن وحدة الزخرفة الإسلامية كإطار عام يختلف عن الأساليب الأخرى الصينية أو الهندية أو الأوروبية مثلا .

ومما يثير إعجاب ودهشة الناقدين الفنيين لصناعة الخزف الإسلامى، الإتقان الزائد فى استغلال تأثير النور والظل، ونجاح الخزافين المسلمين فى ذلك نجاحا بز جميع زملائهم من خارج العالم الإسلامى .

ـ وكما يقول د. محمد مصطفى: نجد فى الخزف الإسلامى الألوان دافئة، مريحة للنظر، ونجد الزخارف البارزة المنحوتة أو المصبوبة فى القالب، يختلف عليها النور والظل، ويكسبانها رونقا، ويعطيانها نوعا من الحياة . ويتخلل النور الزخارف المخرمة فى جدران الأوانى، والمكسوة بطلاء زجاجى شفاف، يبعث الحياة فيما يوجد داخل الإناء، كما تلمع الزخارف المدهونة بالبريق المعدنى وتبهر الأبصار، بينما تظهر الصور المرسومة باللون الأسود تحت طلاء زجاجى شفاف فيروزى اللون وكأنها أشباح فى ليلة مقمرة .

وكان الخزافون المسلمون هم أول من اخترع البريق المعدنى فى زخرفة الخزف . ويعتقد أن ابتكاره تم فى العراق، ولكنه نضج وأصبح لونه ذهبيا منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وانتشر استعماله فى مصر والعراق وإيران ثم فى الشام والأندلس . وكانت الزخارف ترسم فوق الطلاء الزجاجى بأكاسيد بعض المعادن ، أو تحجز على أرضية مدهونة بهذه الأكاسيد، تثبت فى أفران خاصة، فيظهر لها لمعان معدنى واضح ، يختلف بين اللون الذهبى والأحمر النحاسى والبنى والزيتونى .

وكان الفنانون من الخزافين ينتقلون فى البلدان الإسلامية ويصنعون بنفس أساليبهم ، عددًا من التحف، فى البلدان التى يحلون فيها، لذلك نجد أوانى خزفية متشابهة فى أشكالها وفى أساليبها الزخرفية، مصنوعة فى مصر أو العراق أو إيران فى نفس العصر، مع اختلاف بتاريخ الصناعة متقارب .

ومن المراكز التى اشتهرت بصنع الخزف «قاشان» وإليها تنسب صناعة تربيعات (بلاط) القاشانى ذى البريق الملون ويسمى بالمغرب الزليج (يأتى الكلام على البلاطات الخزفية فيما بعد عند وصف البلاطات العثمانية) واشتهرت به سوريا (الرقة) فى العهد السلجوقى، كما عُرفت مصر بالصناعة

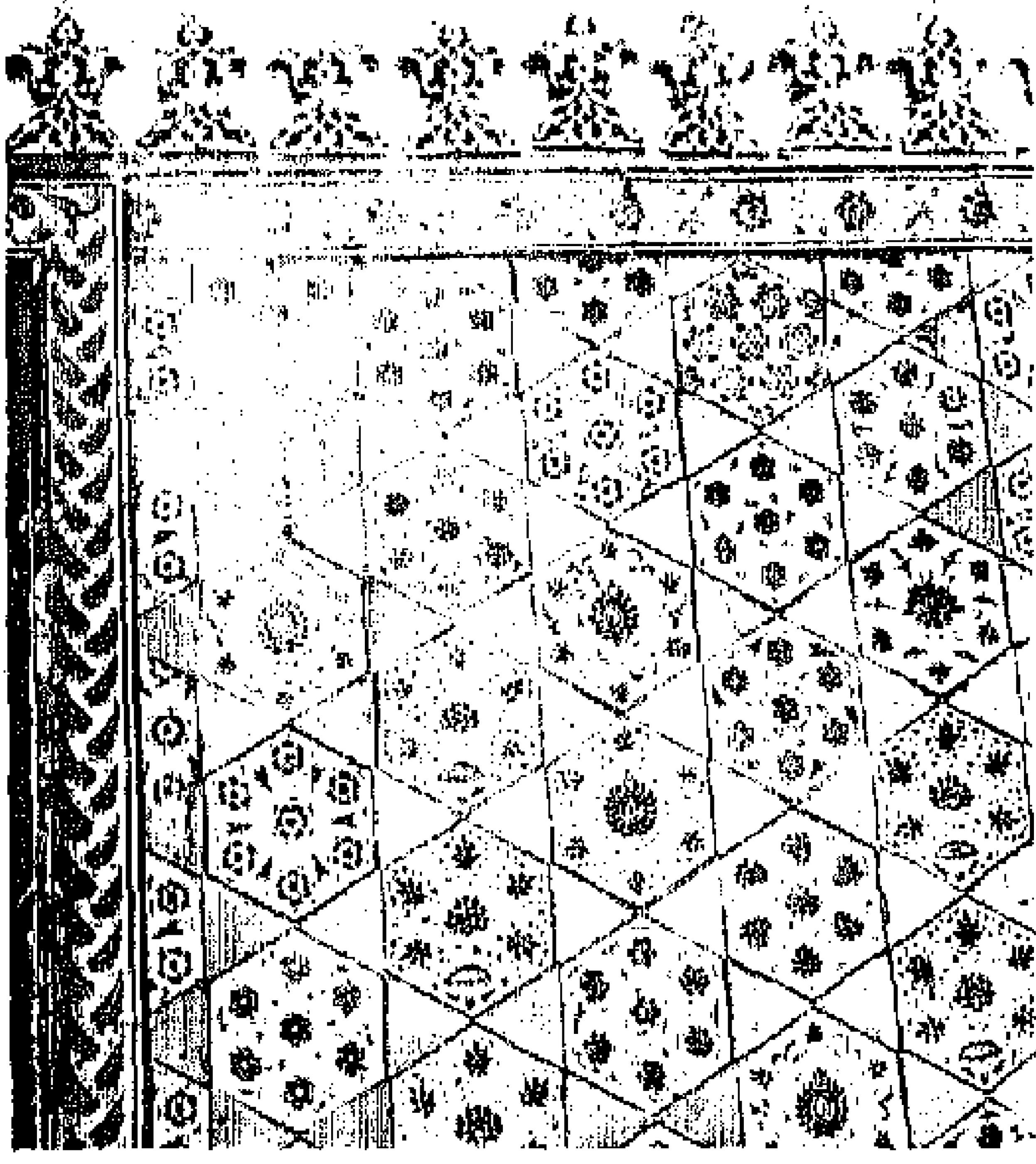
الخزفية الراقية زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك وأما في المغرب والأندلس فذاعت شهرة ملقة وغرناطة وبلنسية . وأما في العهد العثماني فاشتهرت «بروسة» في آسيا الصغرى ودمشق بالبلاط القاشاني (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٥٤ ـ١٥٩) .

ويتابع الدكتور محسن محمد عطية تطور أساليب صناعة الخزفيات عبر العصور الإسلامية المختلفة فيقول:

تعددت أساليب صناعة الخزف في عصور الإسلام المختلفة، وتحققت من خلالها القيم الفنية المتميزة، حتى أن وصلت إلى حد من الفخامة والإبداع، أصبحت معه بعض الأواني من النوع ذي البريق المعدني تنافس المنتجات المصنوعة من ذهب أو فضة . أما الطريقة التي اشتملت بعض مراحلها على رسم بألوان تحت طلاء شفاف، بالإضافة إلى أسلوب الحفر أو التخريم على سطح الآنية فقد كانت على مستوى فني غاية في الإتقان .

وفي عصر الخلافة العباسية كانت مصر مركزًا لإنتاج نوعية من الأواني الفخارية، من التي ترسم بنقوش بارزة وتدهن بطلاءات زجاجية رصاصية، خضراء أو صفراء، وقد يضاف إليها الطلاء اللماع . ونوعية أخرى لونت بألوان حمراء، أو صفراء، أو برتقالية، أضيفت إليها زخارف مزججة في أجزاء بطريقة القاشاني، بحيث تغطي الآنية ببطانة، وينقش عليها رسم محزوز بخدش طبقة الصلصال بإبرة دقيقة . ثم تغلف الآنية بأكملها بطبقة زجاجية رقيقة، وبحرق الآنية تكتسب الأجزاء المكشوفة منها درجة ظلية أكثر عتامة . وفي هذه المرحلة كانت تضاف بقع من الألوان المزججة، أغلبها الأخضر المنجنيزي أو الأصفر.

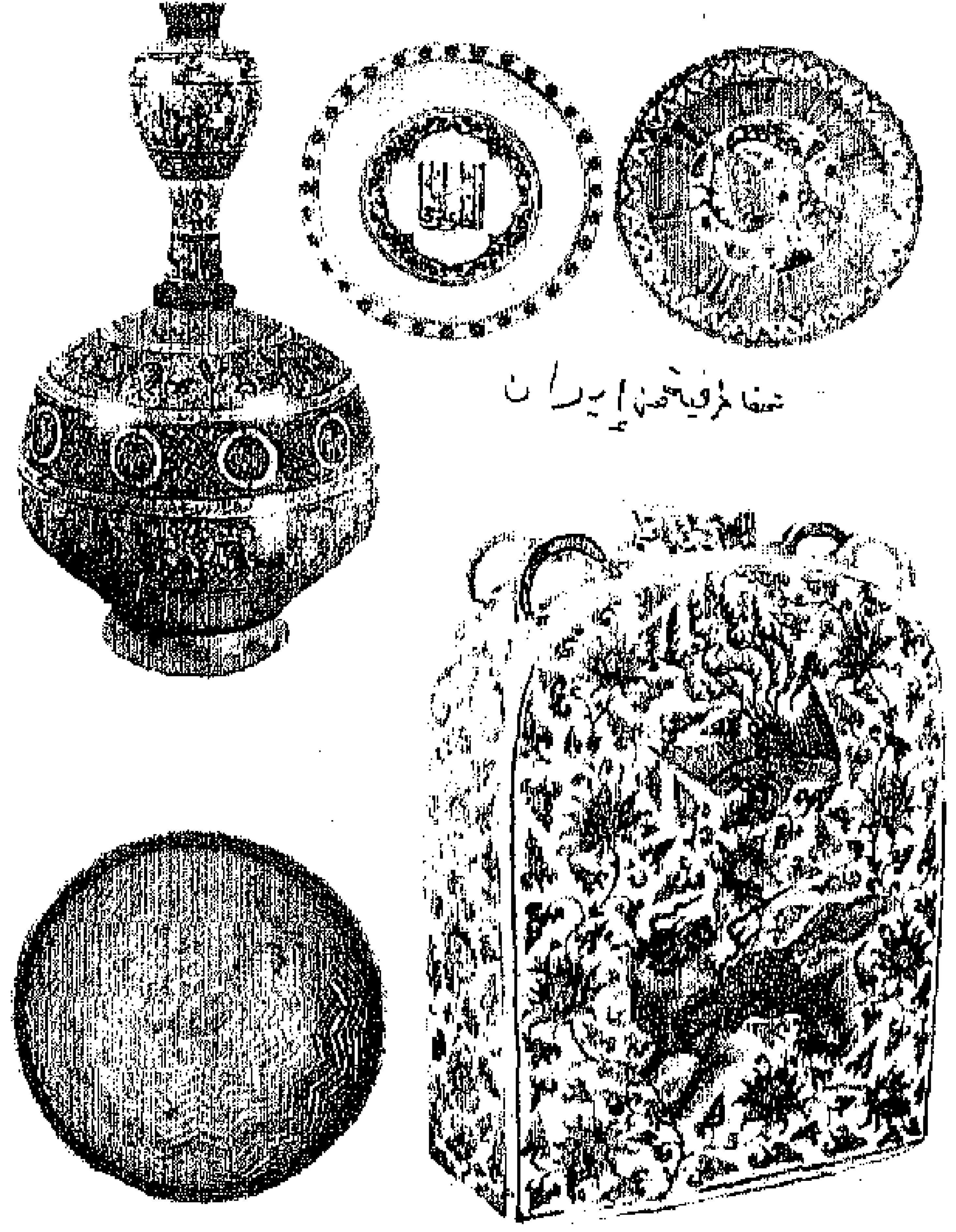
وقد عثر في سامراء على أوانٍ تميزت بسمات الفن الإسلامي الأصيل، استخدمت في تلوينها الطلاءات اللماعة للمرة الأولى، وقد غلب على ألوانها العديدة، الياقوتي الصارخ وإليه يضاف قليل من ظلال صفراء أو بنية . أما النوعية التي لونت أرضيتها بالأبيض الناعم فكانت تغطي بطبقة زجاجية شفافة، بعد تسخينها تطلى أجزاء التصميم المرسوم



شكل ١٥١ – ادرنة، مسجد المرادية، تفاصيل للبلاطات السداسية الزرقاء والبيضاء.

بمزججات معدنية، وبتعريض الآنية للتسخين مرة أخرى، في تنور خامد ودرجة حرارة منخفضة، ينتج فوق التصميم سطح رقيق لماع .

نمت الأساليب المستحدثة في مجال صناعة الخزف في مصر في العصر الفاطمي، إلى الحد الذي أصبحت نماذج الأوعية ذات الهياكل البيضاء بزخارفها الملونة بالمزججات القلوية تستخدم في الحاجات اليومية . أما الطراز اللماع الذي كان قد تطور في تاريخ مبكر فيتميز بالجودة، وعوضت تصميماته الماهرة المتنوعة عن ضعف مستوى الصقل في هياكله . ومن أكثر التصميمات التي استخدمت في تزيين مثل هذه الطرز نجدها رسوم الأسماك والأشكال الآدمية، ومن أساليب التلوين طريقتان: الأولى أحادية، والثانية متعددة الألوان . وفي المتحف الإسلامي بالقاهرة العديد من النماذج الرائعة من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني، وعليها توقيع «سعد» أو «مسلم» (يأتي بيان محتويات المتحف إن شاء الله تعالى) وتتميز هذه النماذج بالدقة والإتقان في رسوم الأشخاص والحيوانات، المنقوشة فوق أرضيات من التفريعات النباتية، وبالمتحف أيضا يحفظ صحن ينسب إلى ذلك العصر ومرسوم عليه ديك .



لقد انتشرت فى إيران فى القرن الثانى عشر صناعة البلاطات الحائطية، والتى تميزت بثراء زخارفها التى اشتملت عناصرها على رسوم الحيوانات والطيور والتفريعات النباتية، بالإضافة إلى النصوص الكتابية، واستخدمت مثل هذه البلاطات ذات البريق المعدنى فى تكسية المحاريب. وغالبًا ما كانت الموضوعات الزخرفية ترسم وسط أرضية بطلاءات البريق المعدنى. والسلطانية المزينة برسم «البُراق» على أرضية من التفريعات النباتية تعد من أبدع نماذج الخزف ذى البريق المعدنى، من النوعية التى انتجت برسوم حيوانية، أو بطيور على أرضية نباتية.

وخلال الحكم الفاطمى ظل يتطور طراز صناعة أباريق الماء الفخارية، غير المزججة بشكل راق، تدل عليه النماذج التى اشتملت على مرشحات مثقبة فى أعناقها، ونقشت عليها زخارف تتمتع بمنتهى الزينة. ونمت الأساليب الحديثة فى هذا المجال، وبلغ انتشارها أن أصبحت نماذج الأوعية ذات الهياكل البيضاء منها، بزخارفها الملونة وبمزججات قلوية تستخدم فى أغراض الحياة اليومية.

والأوانى المشهورة باسم «الباربوتانية» ترجع فى الأصل إلى نوع من المنتجات الخزفية، التى صنعت فى مدينة الزهراء الأسبانية. ومعظمها أباريق مزخرفة وملونة بطلاءات خضراء وبنية على أرضية صفراء. وربما نلاحظ فى مثل هذه النوعية من الأوانى بعض التأثيرات، مأخوذة عن أساليب بلاد النهرين. غير أنه لا يمكن إغفال السمات المحلية الواضحة. أما الخزف الذى يعرف بالذهب «الطليطلى» فهو نوعية متقنة الصنع من تلك الأوانى الباربوتانية، بل على مستوى فنى متميز.

تطورت صناعة الخزفيات فى عهد الأيوبيين (١١٧١ ـ ١٢٥٠م) وشملت أنواعا من القاشانى وأوانى مطلية ولماعة، ذات لون متميز بدرجة بنية خاصة، على أرضية زرقاء. أما التطور الأكبر فقد تحقق برعاية المماليك (١٢٥٠ ـ ١٣٨٢م) فازدهرت الفنون بكل أشكالها واتصفت الصناعات الخزفية بالإتقان والرقة.

وتمتاز المنتجات من الخزف التى عثر عليها فى مدينة «الفسطاط» بصغر حجمها وبدقة صناعتها، وبالأسلوب المتقن لطلائها اللماع، وغالبا ما وجدنا زخارفها قد احتوت طيورًا أو تفريعات نباتية. وفى الفسطاط أيضا انتشر نوع الأوعية الخزفية التى استخدمت فى زخرفتها القاشانى، وتطلى بتزججات تحت درجة حريق عالية فتكتسب لونا بنيا قاتما. ومثل هذه الأوعية نجدها قد تميزت بقواعدها العالية وهياكلها السميكة الثقيلة، وسادت فى زخرفتها أشكال الطيور والحيوانات.

أما فى دمشق فقد اقترن بها نمط خزفى معظمه أوانٍ فيما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر، وجرار مزخرفة بطريقة الطلاء اللماع بألوانه الزرقاء والسوداء. واتخذت وحدات زخارفها من التفريعات النباتية وأشكال الأسماك والطيور، بالإضافة إلى الأشكال الآدمية. وبمتحف «المتربوليتان» إناء خزفى على شكل مشكاة، وعليه كتابات بخط كبير على أرضية من الزخارف النباتية وتزهيرات باللون الأزرق والأبيض على أرضية سوداء. وهو نموذج للخزف المملوكى المصنوع فى مدينة الفسطاط (موضوعات فى الفنون الإسلامية / ٩٤ ـ ١٠٠).

ويقدم الدكتور ربيع حامد خليفة دراسة عن الإنتاج اليمني المحلي من الفخار والخزف، ويرجعه إلى أنواع من الخزف كان اليمن يستوردها في الفترات الإسلامية المختلفة، وهذه الأنواع هي كما يتضح فيما يلي: الخزف العراقي، والصيني، والمصري، والإيراني، ثم يعدد أنواع الخزف اليمني المحلي وهي:

١ ـ الخزف المطلي باللون الأزرق (خزف تهامة الأزرق).

٢ ـ خزف تهامة الأخضر والأزرق.

٣ ـ الخزف المحزوز تحت الطلاء.

٤ ـ الخزف المحفور بطريقة السجرافيتو.

٥ ـ خزف مدينة حيس (الفنون الزخرفية اليمنية / ٢٠٥ ـ ٢١٠).

وعن فن الخزف في الأندلس يقول الدكتور عبد الرحمن زكي:

كانت الصدارة للأندلس في إنتاج الخزف في غرب العالم الإسلامي وكانت بلاد المغرب تستورد منها الأصناف البديعة ـ ومن أنواع المنتجات الخزفية في الأندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجري (١١ ـ ١٣م) أباريق كبيرة وقدور لاستخراج المياه من الآبار. وقد ذاعت شهرة ملقة وغرناطة خلال القرنين الثامن والتاسع بعد الهجرة (١٤ ـ ١٥م) في إنتاج صحون وقدور وبلاطات من الخزف ذي البريق المعدني ذي اللون الذهبي أو اللونين الأزرق والذهبي. ومن أبدع هذه التحف الخزفية القدور التي عرفت باسم «قدور قصر الحمراء» وتنسب إلى القرن الثامن. ويلاحظ فيها كتابات كوفية ونسخية وفروعا نباتية، كما أننا نجد بها أحيانا شارات ملوك غرناطة، فضلا عن رسوم حيوانات محورة عن الطبيعة. ومن المراكز الخزفية التي شهرت في إنتاج الخزف ذي البريق المعدني «منيشة» من أعمال بلنسية، وقد ازدهرت فيها هذه الصناعة بين القرنين الثامن والعاشر الهجري (١٤ ـ ١٦م)، وظلت تتطور وتجدد في الزخارف التي تستعملها إلى القرن ١١ الهجري (١٧م). ولما سقطت بلنسية في يد النصارى عام ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) ظلت صناعة الخزف في يد المسلمين مدة طويلة.

(الفن الإسلامي / ٢٩١ ـ ٢٩٢).

يقول الدكتور أمين فكري: وقد استمرت صناعة هذا النوع من الخزف قائمة في إسبانيا بعد العصور الإسلامية، واشتهرت مدينة بلنسية بهذه الصناعة، شهرة جعلت كبار الأمراء في إيطاليا وفرنسا يرسلون إلى هذه المدينة بصنع أوان خاصة بهم تحمل أسماءهم وشعاراتهم، ومن ذلك صحن مطلي بالبريق المعدني الأصفر والأزرق صنع لأمير من أسرة (أنجلي) من فلورنسا، وهو محفوظ حاليا بمتحف فكتوريا وألبرت في لندن. ومن إسبانيا اقتبس الإيطاليون أسلوب الخزف المعدني البراق، ونشأت في مدينة (جوبيو) مصانع اشتهرت بالبريق المعدني الذهبي والأحمر.

وكذلك قلد الخزافون الإيطاليون صناعة الخزف الإسلامي المعروف بطريقة الرسم بالحفر وكانت هذه بداية لاشتقاقات أخرى من أساليب صناعة الخزف عند المسلمين، عاونت معاونة كبيرة على ازدهار هذه الصناعة في عصر النهضة الأوربي فنشأت مثلا الصناعة المعروفة باسم (البارلو) وربما اشتق هذا الاسم من الكلمة العربية (البرنية) وهي التي كانت تطلق على الآنية المخصصة لحفظ الأدوية. وازدهرت صناعة هذه الأواني في مدينة إيطالية كذلك هي (فاينزا) في منتصف القرن الخامس عشر («في العمارة والتحف الفنية» / ٤٠٥، ٤٠٦).

أما عن البلاطات الخزفية واستخدامها في تزيين العمائر الإسلامية فلدينا نموذج رائع هو البلاطات العثمانية، التي يبسط الكلام عليها أوقطان آصلان آبا في كتابه النفيس مما ننقله لك فيما يلي، يقول المؤلف: كان التقاء فن القسيفساء الخزفية السلجوقي، مع أساليب صناعة الطلاء المتعدد الألوان، هو الأساس الذي استند إليه فن صناعة البلاطات الخزفية عند العثمانيين.

ومع أن مئذنة الجامع الأخضر بأزنيق جاءت أقرب للتقاليد الفنية السلجوقية، إلا أنها كانت أول عمل تظهر فيه الألوان: الفيروزي، والأزرق، والأخضر بدرجات متفاوتة، مع الأبيض والأصفر الفاتح، ومما يؤسف له أن هذه المئذنة تهدمت حديثا وأعيد بناؤها ببلاطات جديدة.

بدأت التقاليد العثمانية الرائعة فى صناعة الخزف ببلاطات الجامع الأخضر والتربة الملحقة به فى بورسة. وتجمع هذه البلاطات فى الواقع بين أساليب صناعية مختلفة. فنرى أمثلة من الفسيفساء الخزفية ذات المستوى الرفيع والصناعة الجيدة، إلى جوار أمثلة من الخزف العثمانى المتعدد الألوان والبعيد عن التقاليد السلجوقية. وما الأشكال الرقيقة من الفسيفساء التى تزين باطن أسقف الجناح الملكى، وحنيات النوافذ من الداخل، وباطن عقد الشرفة الملكية، وأسفل حنيات الأبواب، والنوافذ الموجودة بالضريح، ما هذه كلها إلا فيض من الأعمال الخزفية التى استخدمت فيها الألوان المتعددة. وتجمع البلاطات هنا بين اللونين السائدين عند السلاجقة، وهما الفيروزى والأرجوانى. ثم زادت بهجة البلاطات بإضافة ألوان أخرى أخاذة، هى الأصفر والأخضر والأبيض. وثمة تجديد آخر، هو استخدام مادة حمراء داكنة أو مغبرة أضيفت إلى الطَّفْل لتقسيته، لملء ما بين التصميمات من فراغات، وزيد فى زخرفة البلاطات الصفراء بالتذهيب. وإذا كانت قد حدثت طفرة ثراء فى التصميمات، فقد حدث مثلها فى غنى الألوان، وأصبحت زخارف التوريق الكبيرة ذات المسحة الصينية (خطاى) هى التعبير المميز لأعمال القرن الخامس عشر (انظر مادة «التوريق» فى م١١/ ٦٦ - ٧٢) وتخللت تلك الرسوم أغصان ممتدة فيروزية اللون، وتوريقات كبيرة ذات طابع أناضولى (رومى)ثم، زيادة فى البهجة، استخدمت بلاطات صفراء جذابة، وطَفلة حمراء داكنة بالأركان، لوضع نهايات للأشكال المرسومة. وهكذا، كانت البلاطات المكسوة بالكامل بالتعبيرات المورقة ذات التفاصيل الرقيقة، والفواصل أو التحديدات الدقيقة، من بين الابتكارات التى فرقت بين الخزف العثمانى والخزف السلجوقى.

أما الحشوات الخزفية ذات البلاطات المتعددة الألوان داخل مناطقها المحددة بالخطوط الفاصلة؛ فإنها تعلن عن ظهور أسلوب فنى جديد، يختلف تماما عن أسلوب السلاجقة. ونشاهد أرق أمثلة أسلوب هذه البلاطات فى الجامع الأخضر، والمقبرة الملحقة به، فى بورسة. فهناك، نرى بوضوح خطوطا باللونين الأحمر والأسود، تحدد وتفصل ما بين ألوان الطلاء المختلفة. وتمهد خطوط التحديد هذه بدورها إلى ابتكارات أخرى فى استخدام أشكال الزهور الطبيعية، والتوريق الصينى الطابع، والورود وعود الصليب (الفاونيا) إلى جانب التعبيرات النباتية المستخدمة فى الفسيفساء الخزفية السلجوقية، مع المحاولة فى بلوغ مستواها الرفيع.

والمثل الذى يبشرنا بقدوم أسلوب جديد فى محاكاة الطبيعة، نراه فى الأزهار التى تخرج من زهرية بمحراب تربة الجامع الأخضر؛ كما نرى سيادة الألوان: الأصفر والأخضر والأبيض والأرجوانى. وإن نظرة إلى محراب التربة وبلاطات الناووس الموجود بها، لتوضح لنا ما هناك من درجات متعددة من اللونين الأزرق والأرجوانى، وكيف أنهما استخدما بمهارة فائقة، من غير استعانة بخطوط التحديد الفاصلة.

كان تعدد الألوان إذن، هو أول ابتكار قدمه العثمانيون لفن الخزف، وكانت هذه البلاطات تصنع فى بورسة؛ ولم تثبت الحفريات التى أجريت فى أزنيق، أن بلاطة واحدة من هذا النمط قد اكتشفت هناك. وقد تعطى النظرة الأولى، لمحة من التشابه بين هذه البلاطات العثمانية، وبين البلاطات التى استخدمها التيموريون فى عمائرهم أوائل القرن الخامس عشر؛ إلا أن البلاطات السمرقندية ضعيفة المستوى، سيئة الطلاء لكثرة تشققها. وتجىء السيادة للطلاء الفيروزى، لكن درجة اللون وتكوين الطَّفلة (أو العجينة) يختلفان. على أن خطوط تحديد سوداء وحمراء، قد ظهرت لتفصل بين الطلاء المتعدد الألوان فى بلاطات جامع بيبى هانم (١٣٩٩ - ١٤٠٤) ومدرسة أولوغ بك (١٤٢٠) فى سمرقند، وقد نفِّذت بعناية، وكشفت عن تقدم فى أسلوب الصنعة.

واستخدمت بمسجد المرادية فى بورسة، بلاطات فسيفسائية، سادها اللون الأصفر الغامق، وذلك فى فتحات النوافذ وفى خصرى عقد مدخل الصفة.

ومن الابتكارات التى ظهرت أوائل العصر العثمانى فى مجال البلاطات، النوع المرسوم تحت الطلاء باللونين الأبيض والأزرق. ونرى هذا النوع ضمن أشرطة تزين حافات فى

مقبرتين بجامع المرادية فى بورسة ومن أجمل أمثلة هذا النوع، ٣٧ بلاطة سداسية الشكل، تضم كل منها أشكالا زخرفية مختلفة عن الأخرى، تغطى الجدران فى مسجد المرادية بادرنة (انظر الصورة) وأهم ما يلفت النظر فى هذا المسجد، محرابه الرائع، المصنوع من بلاطات متعددة الطلاء، على مساحة يبلغ قدرها ٣,٦ × ٨,٥ مترا مربعا؛ وهى أكبر بلاطات المحاريب مساحة، بعد بلاطات محراب الجامع الأخضر فى بورسة، حيث يوجد تشابه كبير بينهما. ولا يُرى أثر للون الأحمر فى التحديدات، وكل ما نلاحظه أن حنية المحراب بها تصميمات من نوع أدق وأرق من تلك التى عرفناها فى بلاطات بورسة. ومن العناصر الموجودة بمرادية أدرنة أيضا، استخدام الخطوط الفاصلة فى البلاطات، إلى جانب استخدام البلاطات الزرقاء، والبيضاء.

ويدخل ضمن هذه المجموعة، محراب رابع، يرجع إلى دار للمرق أسسها إبراهيم بك (١٤٣٢) فى قره مان. وتوجد فى هذا المحراب تحديدات باللون الأحمر، تفصل بين مختلف ألوان الطلاء. وهذا المحراب موجود الآن فى كوشك الخزف (جينلى كوشك) باستانبول.

وإيوان المدخل فى كوشك الخزف (١٤٧٢)، الذى بناه السلطان محمد الفاتح فى استانبول؛ يعتبر قمة الروائع فى صناعة البلاطات الفسيفسائية. ومع أن أسلوب هذا العمل، من حيث مستوى الصناعة والتأثير العام، يتفق وتقاليد الفسيفساء السلجوقية، إلا أن توزيعاته وأزهاره المحاكية للطبيعة وألوانه الفيروزية الأخاذة، تعيد إلى الأذهان أسلوب بلاطات مدينة بورسة.

وأول أمثلة البلاطات ذات الطلاء المتعدد الألوان، موجود فى استانبول بمسجد وتربة السلطان سليم (١٥٢٢)؛ لكن أبدع الأمثلة هى ما يوجد فى تربة شهزادة محمد (١٥٤٨) وتتفوق هذه البلاطات كثيرا على بلاطات بورسة من حيث دقة الصنعة وروعة اللون وثراء التصميم. والواقع أن ذلك كله، أحال التربة من الداخل، إلى عالم من عوالم الخيال.

وعندما بطل استخدام خطوط التحديد الفاصلة منذ منتصف القرن السادس عشر؛ بدأت تحل محله عملية أخرى هى الرسم تحت الطلاء. وبهذا يكون الخزف العثمانى قد انتقل إلى مرحلة ثانية وعظيمة لهذه الصناعة وما علينا إلا أن نشاهد أسلوب هذه المرحلة الجديدة، فى البلاطات التى تزين جامع السليمانية (١٥٥٧)، وبالذات على جانبى المحراب، وعلى الأجزاء العليا من الجدران. ونشاهد مثلا آخر، أكثر من حيث البهجة والتنوع، فى ضريح خرم سلطان ثم تتوالى التجديدات، الواحد فى إثر الآخر، ويشمل ذلك الألوان والتصميمات معا. ويكفينا هنا للتدليل على ذلك، أن ثمة ٤١ نوعا من أزهار الخزامى (التوليب)، نراها فى بلاطات مسجد رستم باشا، الذى يرجع لعام ١٥٦١ وفى ضريح سليمان القانونى (١٥٦٦) أما البلاطات الموجودة فى مسجد صوقوللى محمد باشا، الموجود إلى جوار السلطان أحمد (١٥٧٢) وفى مسجد بيالة باشا بمنطقة قاسم باشا باستانبول (١٥٧٤)؛ فإنها تكشف عن قفزة متطورة فى ألوانها ومستوى صناعتها. ويظهر من بلاطات هذه الأماكن، استمرار ظهور خط عقيقى اللون، على مدى أربعين عاما، إلى أن اختفى فجأة. ويبدو أن هذه الطفرة الفنية العظيمة كانت من ابتكارات مصانع أزنيق. والواقع أن إنتاج عدة ألوان مختلفة، هى الفيروزى والأزرق والأخضر الغامق الجذاب والأزرق الفاتح والأبيض والأسود أحيانا، واستخدامها فى زخرفة الخزف تحت الطلاء قد خلق أسلوبا صناعيا لا نظير له فى العالم كله. وتتكون التصميمات فى معظمها من الأزهار الطبيعية كالخزامى والسنبل البرى والقرنفل وزهر الرمان والفاونيا. إلى جانب أفرع يانعة من شجر الإجاص ومن براعم الكرز وملئت المسافات التى بين الأزهار بأوراق كبيرة خضراء تشبه الخناجر المقوسة. ولم يحل النصف الثانى من القرن السادس عشر إلا وقد سادت أشكال الأزهار الطبيعية كل أعمال الفنون الزخرفية التركية. ويضم طوب قابى سراى مجموعة من أبدع البلاطات التى لم يستخدم فيها اللون الأحمر العقيقى إطلاقا.

وتبدو ألوان وتصميمات بلاطات الحشوات الكبيرة، التى تزين جدران جانبى محراب مسجد السليمية فى أدرنة عام ١٥٧٤ أكثر تناسقا وانسجاما. أما تلك التى تزين الجناح

السلطاني فتمتاز بثراء أكثر في ألوانها ... [illegible] ومن العناصر الجديدة التي نراها ... [illegible] الأزرق ... وبراعم شجر التفاح ونشاهد نوعية بلاطات ... [illegible] ذات الخطوط العضوية الحمراء الزاهية في مسجد السليمانية القديم في أسكدار (١٥٨٢)، وفي مسجد تكية إبراهيم أغا خارج أسوار طوبقبو (١٥٩١)، وفي كل العمائر الهامة حتى نهاية القرن السادس عشر، ويصل هذا النمط إلى نهايته بقصر ... [illegible] السلطان مراد الثالث عام ١٦٠٠.

وأحسن ما نصادفه من بلاطات خزفية فيما يلي بلاطات طوبقبو سراي، هي بلاطات مسجد السلطان أحمد، حيث تجد ٢٠٠ تصميما مختلفا يضمها ... [illegible] و٢٠٤١٣ بلاطة منفصلة أو متفرقة، ويبدو أن الطاقة الإبداعية وحيوية الابتكار والقدرة على الخلق ... [illegible] المجهد بعد عام ١٦٠٠. ومع أن التصميمات ... [illegible] بكثير من البراعة، إلا أنها نفذت بطريقة محدودة، كما كانت نادرة استخدام اللون الأحمر ... [illegible] لانعدام البهجة والقوة.

ثم بدأت بعد ذلك مرحلة زاد فيها التطور والانحلال، ونلاحظ أن جدران قاعة احتفالات الختان (سنت أوداسي) التي بناها السلطان إبراهيم في طوبقبو سراي عام ١٦٤٠، قد كسيت ببلاطات تمثل مراحل فنية مختلفة فهناك مشكاوات عليها وعول (٤٨ × ١٢٦ سم) ومشكاوات عليها زهريات (٣٤ × ١٢٣ سم)، وكلها مصنوعة من بلاطة واحدة كبيرة الحجم، ولا جدال في أن مثل هذه البلاطات الكبيرة المساحة ملفتة للنظر؛ وقد سادها اللون الأزرق الفاتح والأزرق الغامق والأرضية البيضاء الناصعة ولا شك أن هذه المشكاوات بقية باقية من أزهى عصور الخزف التركي ازدهارا في القرن ١٦. وفي كوشك بغداد (١٦٣٩) أعمال مطابقة تماما لمشكاوتي الوعول والزهريات ولكن كل مشكاة اشتملت على سبع بلاطات، وضعت الواحدة منها فوق الأخرى، ويظهر اللون الأحمر في هذه البلاطات عن طريق وضع ... [illegible] حمراء في مناقير الطيور.

ويأخذ التدهور الذي أشرنا إليه في الوضوح ... [illegible] مثلا في البلاطات الموجودة في بني جامع والتربة الملحقة به (١٦٦٩)؛ سواء من حيث الألوان أو من حيث مستوى

الصناعة ... [illegible] عام ١٧٢٥، أقيم مصنع ... [illegible] البلاطات الخزفية في ... [illegible] الصناع في تكية ... [illegible] السلطان ... [illegible] ... [illegible] على ... [illegible] والواقع أن ... [illegible] إلى ... [illegible] ... [illegible] والأحمر الزاهي ... [illegible] العثمانيون ... [illegible] الأزرق ذات اللون الأزرق ... [illegible] وهذا الإنتاج ... [illegible] الذي ... [illegible].

ولا بد أن نشير إلى البلاطات ... [illegible] التي استخدمت في ... [illegible] (الجامع الأخضر) في ... [illegible] الآثار. ... [illegible] في القرن السادس عشر ... [illegible] قابي سراي بإسطنبول، كما كانت ... [illegible] هذه الصناعة في ... [illegible] واحدة. ... [illegible] بينما كان ضوء شعلة هذه ... [illegible] ويكاد ينطفئ في أزنيق، كانت مصانع كوتاهية ... [illegible] تزال إلى اليوم ... [illegible] ... [illegible] بقوة (فريد الشافعي وآخرون / ٢٥٤ – ٢٥٦).

وهناك نموذج آخر هو البلاطات ... [illegible] الاطلاع على ما جاء بها في كتاب الفنون الزخرفية ... [illegible] في العصر الإسلامي للدكتور ... [illegible] ص ٢١١، ٢١٢.

ويزخر المتحف الإسلامي بالقاهرة بأنواع التحف الخزفية المختلفة، ويمدنا دليل المتحف بمعلومات قيمة عنها ننقلها ... [illegible] فيما يلي:

كشفت أعمال التنقيب عن الآثار في المدن الإسلامية في مصر والعراق وإيران والشام وشمال إفريقية والأندلس وتركيا، عن كميات وافرة من الخزف، ترجع إلى كل العصور والطرز الإسلامية، أكثر مما كشفت عنه من أي نوع من أنواع المنتجات الفنية الأخرى.

ولذلك يعتبر الخزف في طليعة المراجع التي يمكن منها الاستدلال على مدى ما كانت عليه الحياة الفنية في الأقطار

الإسلامية منذ أوائل القرن الثاني الهجري (٨م) على الأواني والتي يمكن منها دراسة تطور العناصر الزخرفية في الطرز المختلفة ودراسة أشكال الأواني [illegible] صناعتها.

ولاحظنا أنه قد عثر في هذه الحفريات إلى جانب منتجات الخزف المحلية على أنواع أخرى كانت تستورد من البلاد الأجنبية ولا سيما من بلاد الصين، وكان لهذه الأنواع الأجنبية تأثير يذكر في صناعة الخزف وأشكال الآنية وطرق زخرفتها في البلاد الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري (٨ م)، وهذا يفسر وجود بعض الأنواع التي تشترك في الأشكال والأساليب الفنية نتيجة لتقليد كل من هذه البلاد نوع من أنواع الخزف الأجنبية كان يستورد إلى كل منها رأسا وفي نفس الوقت. وفيما يلي نستعرض أهم أنواع الخزف الإسلامي المعروضة في المتحف الإسلامي بالقاهرة الذي يقع في ميدان باب الخلق.

في فجر الإسلام حتى القرن ٤ هـ (١٠ م).

في مصر والعراق وإيران.

الخزف ذو الزخارف البارزة المضغوطة بالقالب.

من بين أنواع الخزف المصري في العصر الروماني نوع ذو زخارف بارزة مضغوطة على سطح الإناء بالقالب ويكسوها طلاء زجاجي شفاف ملون. واستمرت هذه الصناعة في مصر حتى العصر العباسي، فكانت تصنع بهذه الطريقة صحون صغيرة ومسارج وأكواب تتألف زخارفها البارزة من صور حيوانات وطيور وأشرطة زخرفية نباتية وكتابات كوفية وكانت تطلى بطلاء زجاجي شفاف ملون باللون الأخضر أو الأصفر أو البني.

وقد عرف هذا النوع في العراق وفي إيران في أوائل القرن الثالث بعد الهجرة (٩ م)، ولكن غلبت هناك العناصر الزخرفية الهندسية وفروع نباتية محورة عن الطبيعة وقد عرض المتحف بالقاعة ٢ (خزانة ١) ثلاث مسارج من النوع المصري وصحنا (رقم السجل ١٥٩٩٧) عليه زخارف هندسية تحت طلاء أصفر ذهبي يؤرخ بالقرن ٣ هـ (٩ م).

الخزف ذو البريق المعدني

طريقة رسم الزخارف على الخزف بأكاسيد معينة تجعلها ذات بريق معدني هي طريقة اخترعها [illegible] في القرن الثالث الهجري (٩ م) [illegible] مؤرخي الفنون من خلاف في تحديد الموطن الأول لصناعة الخزف ذي البريق المعدني وهل هو مصر أو العراق أو إيران [illegible] البريق المعدني في كل من هذه البلاد.

وزخارف هذا النوع من الخزف في العراق [illegible] في القاعة ٢ بالخزانة ١.

ومن أمثلة الخزف ذو البريق المعدني [illegible] مصر وإيران من هذا العصر [illegible] القاعة ٢٢ بالخزانة ١٢ صحن من الخزف ذي البريق المعدني الإيراني من [illegible] رقم السجل ١٦١٠٢ عليه رسم شخص يجلس القرفصاء [illegible] وهو يعزف على قيثارة وفي القاعة ٢٢ بالخزانة ١ [illegible] رقم السجل ١٦٢٣٥ وعليه رسم [illegible].

الخزف الأبيض ذو اللونين الأزرق والأخضر فوق الطلاء:

وجد من هذا النوع في العراق وفي إيران، وأشكال الأواني منه تشبه أشكال الأواني من الخزف ذي البريق المعدني المعاصر له، ونرى على هذا الخزف رسوما نباتية وأشجارا وزخارف هندسية، وعلى بعض الصحون توقيع الصانع مثل «[illegible]» على الصحنين رقمي السجل ١٣٦١٨ و ١٦٠٠٥، وتوقيع «[illegible]» على الصحن رقم السجل ١٦٠٠٤ وهي معروضة بالخزانة ١ في القاعة ٢٢ حيث توجد تحف أخرى من هذا النوع، وكذلك في الخزانة ١ بالقاعة ٣.

خزف بلاد ما وراء النهر

ازدهرت صناعة الخزف في بلاد ما وراء النهر ولا سيما في سمرقند ونيسابور فيما بين القرنين ٢ و٦ هـ (٨ و ١٢ م) وتأثرت

العناصر الزخرفية بالأصول الساسانية وهى تظهر لذلك فى وضوح وقوة تعبير .

وترسم الزخارف بالبطانة الملونة تحت طلاء زجاجى شفاف سمنى اللون ، أو ترسم بالألوان فوق الطلاء الزجاجى . والألوان التى استعملت هى الأسود والبنى والمنجنيز والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق، وتتألف الزخارف من كتابات كوفية جميلة ومن رسوم حيوانات وطيور ونباتات وعناصر هندسية .

ويوجد من هذا النوع تحف فى الخزانة ١ بالقاعة ١٦ وفى الخزانة ١ بالقاعة ٢٢ .

خزف بخطوط أو نقط من ألوان متعددة

ويعرف فى مصر باسم خزف الفيوم

عثر على تحف من هذا النوع فى العراق وإيران ومصر، وهى مصنوعة من الفخار الأحمر وعليها خطوط أو نقط أو رسوم بسيطة بالألوان الأحمر والأخضر والأصفر والمنجنيز على أرضية بيضاء أو لونها سمنى وتشبه هذه التحف فى مظهرها الخارجى الأوانى الصينية المرشوشة أو المنقوطة بالألوان المتعددة .

ويوجد من هذا النوع بالمتحف صحن (رقم السجل ١٦٠١١) فى الخزانة ١ بالقاعة ٢٢ وبهذا الصحن زخارف أخرى محزوزة بخطوط رفيعة وتتألف من مراوح نخيلية ودوائر صغيرة، وهو من صناعة إيران فى القرن الرابع الهجرى (١٠ م) وفى القاعة ١٣ بالخزانة ٦ مجموعة من الخزف المصرى من هذا النوع وهو المعروف باسم «خزف الفيوم» ويؤرخ فيما بين القرنين ٣ و ٦ هـ (٩ و ١٢ م) .

الخزف بعد منتصف القرن الرابع الهجرى (١٠ م) .

أولا ـ فى مصر .

١ ـ الخزف ذو البريق المعدنى

تطورت صناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى مصر تطورا طبيعيا حتى بلغت أوج ارتفاعها فى العصر الفاطمى . ويمتاز هذا النوع بما وصل إليه الخزافون الفاطميون من دقة التعبير فى الرسوم الآدمية والإتقان فى الزخارف النباتية والكتابية . وقد وصلت إلينا إمضاءات طائفة من الخزافين الفاطميين على تحف من الخزف ذى البريق المعدنى، وعلى رأسهم «مسلم ابن الدهان» و «سعد» وكان لكل منهما مدرسة فى صناعة الخزف لها ذاتيتها ومميزاتها . والراجح أن مسلما عاش فى بداية العصر الفاطمى فإن العناصر الزخرفية فى منتجاته متأثرة بالطراز الطولونى وعليها طابع البساطة والحرية والقوة فى الزخرفة ، أما سعد فنلاحظ فى طرازه شيئا من الدقة والرشاقة والتناسق، والراجح أنه عاش فى أواخر القرن الخامس أو القرن السادس الهجرى (١١ ـ ١٢م) .

٢ ـ الخزف ذو الزخارف البارزة بالحفر أو المحزوزة تحت طلاء زجاجى من لون واحد

تأثر هذا الخزف فى طريقة تنفيذ زخارفه بالسيلادون المصنوع فى بلاد الصين فى عصر أسرة سونج . وقوام زخارفه رسوم آدمية وصور حيوانات وطيور وزخارف نباتية بارزة بالحفر أو محددة بخطوط محزوزة تحت طلاء زجاجى من لون واحد، أزرق أو سمنى أو أخضر أو بنى أو منجنيز، ويؤرخ بالقرنين ٦ ـ ٧ هـ (١٢ ـ ١٣م) . ويوجد من هذا النوع فى الخزانة ٦ بالقاعة ١٣ وكذلك نماذج كثيرة فى قاعة دراسة الخزف .

٣ ـ خزف دقيق الصنع

يمتاز هذا النوع من الخزف بالدقة فى رسم العناصر الزخرفية ، وبأن رسوم الحيوانات والطيور فيه كثيرا ما تكون محورة عن الطبيعة تحويرا يجعلها فى بعض الأحيان ذات طابع زخرفى أنيق . ويوجد من هذا النوع فى الخزانة ٦ بالقاعة ١٣ كما توجد منه نماذج كثيرة فى قاعة دراسة الخزف . ويؤرخ هذا النوع بالقرن ٧ هـ (١٣ م) .

٤ ـ الخزف المملوكى

أقبل الخزافون المصريون فى عصر المماليك على تقليد الخزف من نوعى البورسيلان والسيلادون المصنوع فى بلاد الصين سواء فى ألوانه أو فيما يمتاز به من صور الحيوانات والطيور والنباتات القريبة من الطبيعة فى شكلها وما فيها من حركة والمرسومة باللونين الأزرق والأخضر على أرضية بيضاء تحت طلاء زجاجى شفاف كما نراها على البورسيلان، أو

البارزة والمرسومة بخطوط محزوزة تحت طلاء من لون واحد كما نراها على السيلادون.

وإلى جانب هذا الأسلوب الصينى نجد أسلوبا آخر احتفظ بالتقاليد الفنية المتوطنة فى مصر منذ العصر الفاطمى من زخارف عربية ورسوم هندسية.

ولقد وصلت إلينا أسماء بعض الخزافين الذين أنتجوا فى هذا العصر ومنهم: غيبى وغزال والهومزى ودهين وابن الملك والعجيل والشاعر والرزاز وأبو العز. وقد عرض المتحف قطعا عليها توقيعات بعضهم فى الخزانة ٩ بالقاعة ١٣ كما توجد بالقاعة ٥ فى الخزانة ٢ زهرية من الخزف رقم السجل ٤٥٧٧ عليها توقيع الصانع «أبو العز».

وامتاز عصر المماليك بنوع خاص من الفخار المطلى بالمينا عليه زخارف عربية ورسوم هندسية وكتابات نسخية تظهر بارزة بالمينا ذات اللون البنى تحت طلاء زجاجى شفاف ملون باللون الأصفر. ومن أشهر الخزافين الذين وصلتنا أسماؤهم: شرف الأبوانى وعمر وغازى وأحمد الأسيوطى.

واضمحلت صناعة الخزف فى مصر بعد الفتح العثمانى فأخذ القوم يجلبون الخزف من آسيا الصغرى، ولكن هذه الصناعة لم تندثر تماما فى مصر، بل كانت لها نهضة متواضعة فى القرن الثانى عشر الهجرى (١٨ م) على يد خزاف اسمه «عبد الكريم الزريع الفاسى»، وتوجد من آثاره بالمتحف مشكاة من الخزف رقم السجل ٧٥٩ بالقاعة ٢٣ وعليها اسمه وتاريخ سنة ١١٥٥هـ (١٧٤٢م) وفى الشباك الأيمن بالقاعة ١٣ بلاطات عليها اسمه وتاريخ صناعتها.

ثانيا - فى إيران

١ - الخزف ذو الزخارف المنحوتة أو المحزوزة

(ا) الخزف الأبيض

جدار الأوانى فى هذا النوع من الخزف ذى الزخارف المنحوتة رقيق جدا ومصنوع من عجينة بيضاء ناعمة تشبه مادة البورسيلان، وتنحت الزخارف على الجدار أو تحز فيه بخطوط غائرة ثم يغطى الجدار بطلاء زجاجى شفاف غير ملون أو بلون عاجى خفيف. والواقع أن هذا النوع من الخزف تقليد للخزف المصنوع فى بلاد الصين فى عهد أسرة سونج، ولكن الخزافين الإيرانيين جددوا فى أشكال الأوانى وزخارفها، فنرى منها الأكواب والسلطانيات والأباريق ذات الأشكال الإسلامية وعليها فروع نباتية متموّجة وأوراق وكتابات كوفية أو نسخية ورسوم طيور وحيوانات وصور أشخاص ويؤرخ هذا النوع بالقرن ٦هـ (١٢ م) ويوجد منه بالمتحف فى الخزانة ٢ بالقاعة ١٥.

(ب) الخزف ذو الزخارف المنحوتة تحت طلاء زجاجى من لون واحد:

وحوالى منتصف ٦هـ (١٢م) بدأ الخزافون بتلوين الطلاء الزجاجى لهذا النوع بلون واحد، أزرق أو أخضر أو بنى أو أصفر، ولكننا نلاحظ أن جدار الأوانى ليس فى رقة جدار الخزف الأبيض. وعرض المتحف تحفا من هذا النوع فى المكانين السابقين.

(جـ) الخزف ذو الزخارف المنحوتة تحت طلاء متعدد الألوان:

يعرف هذا النوع باسم «خزف لقبى» ويمتاز عن النوعين السابقين بتعدد ألوان الطلاء لتظهر تفاصيل الرسوم المنحوتة فيه. ونلاحظ أن الزخارف محددة بخطوط بارزة أو غائرة لتفصل بين ألوان الطلاء الزجاجى كى لا يمتزج بعضها بالبعض ويؤرخ هذا النوع الثانى من القرن ٦هـ (١٢م). ويوجد منه بالمتحف صحنان أحدهما رقم السجل ١٦٠٤٠ فى الخزانة ٢ بالقاعة ٢٢.

٢ - خزف منطقة مازنداران

(ا) متعدد الألوان

وينسب إلى مدينة سارى. وهو نوع من الخزف ريفى المظهر عليه رسوم طيور محورة ودوائر بالألوان البرتقالى والأحمر والأخضر والأسود والبنى والمنجنيز.

ويؤرخ بالقرنين ٤ - ٦هـ (١٠ - ١٢م). ويوجد منه بالمتحف بعض الصحون منها الصحن رقم السجل ١٦٠٣٧ فى الخزانة ٤ بالقاعة ٢٢.

(ب) خزف آمل

وينسب إلى منطقة آمُل صحون من الخزف بزخارف محزوزة ملونة بالأخضر على أرضية من لون سمنى، وتتألف من

أشرطة بها شبه كتابة كوفية ورسوم طيور وحيوانات في أسلوب تخطيطي بعيد عن الطبيعة أو من خطاطات [illegible]

ويؤرخ هذا النوع أيضا فيما بين القرنين ٥ـ ٦ هـ (١١ ـ ١٢ م) وتوجد منه قطعة معروضة في أسفل الخزانة [illegible].

٣ ـ الخزف [illegible].

ويطلق هذا الاسم على نوع من الخزف [illegible] الشاحبات ومنه مجموعات [illegible] مراكز مختلفة في إيران ولا سيما من مناطق [illegible].

وزخارفه بارزة بحفر ما يحيط بها من طبقة الطلاء البيضاء الرقيقة حتى يظهر جسم الإناء ذو اللون الأحمر، وتتألف موضوعات الزخارف من رسوم طيور وحيوانات ورسوم آدمية نجدها كلها محورة عن الطبيعة تحويرا قوي الظهور فضلا عن الكتابات الكوفية والرسوم النباتية. ويرجع هذا النوع إلى ما بين القرنين ٤ ـ ٧ هـ (١٠ ـ ١٣ م). ويوجد منه بالخزانة السابقة مجموعة طيبة.

٤ ـ الخزف «المينائي» متعدد الألوان

ينسب هذا النوع إلى مدينتي الري وقاشان، وزخارفه مرسومة بألوان متعددة بعضها تحت الطلاء وبعضها الآخر فوقه، ويؤرخ فيما بين القرنين ٦ ـ ٨ هـ (١٢ ـ ١٤ م). ويوجد منه بالمتحف تحف معروضة في الخزانة ٨ بالقاعة ٢٢ وكذلك في الخزانة ٢ بالقاعة ١٦.

٥ ـ خزف بزخارف بارزة وطلاء زجاجي أزرق غامق أو فيروزي.

أكثر التحف من هذا النوع مصبوبة في القوالب، وهي عبارة عن قدور وأباريق وسلطانيات وتماثيل من أنواع مختلفة لأشخاص أو طيور أو حيوانات أو غير ذلك. وطلاؤه الزجاجي الشفاف ملون بأحد اللونين الأزرق الغامق أو الأزرق الفيروزي، ويؤرخ بالقرنين ٧ ـ ٨ هـ (١٣ ـ ١٤ م). وقد عرض المتحف بعضا منه في الخزانة ٦ بالقاعة ٢٢ وفي الخزانة ٢ بالقاعة ١٦.

٦ ـ الخزف ذو الزخارف وباللونين الأزرق والأخضر تحت الطلاء.

وينسب هذا النوع إلى منطقة سلطان آباد، وتتألف زخارفه من [illegible] الطيور والحيوانات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النوع [illegible] ٨ هـ (١٣ ـ ١٤ م) [illegible] الخزانة ٧ بالقاعة ٢٢ [illegible] بالقاعة ١٤.

٧ ـ الخزف ذو [illegible]

[illegible] إيران [illegible] بين القرنين [illegible] (١٢ ـ ١٤ م) [illegible] وقاشان [illegible] [illegible] [illegible] الطبيعة [illegible] والطيور والحيوانات [illegible] (في [illegible]) ويوجد بالمتحف منه [illegible] ١٤، ١٦، ٢٢ كما [illegible] في [illegible] ١٤، ١٥، ٢٢.

وبعد فترة ركود قوية في صناعة الخزف ذي البريق المعدني في القرن ٩ هـ (١٥ م) عادت هذه الصناعة إلى الازدهار في العصر الصفوي بمدينة أصفهان وبعض البلاد الأخرى. ويمتاز هذا النوع الأخير بصبغته المعدني التي يتراوح بين الذهبي [illegible] والأحمر النحاسي، ودقة زخارفه [illegible] بدقتها ومرونة خطوطها، ويوجد منه في الخزانة ١٢ بالقاعة ٢٢.

٨ ـ خزف كوبتشي

نسبة إلى بلدة في جبال داغستان بالقوقاز، ويمتاز بعض أنواع منه برسوم المناظر الطبيعية وصور أشخاص ملونة بألوان متعددة نرى منها اللون الأحمر بارزا على سطح الإناء. ويؤرخ هذا النوع بالقرنين ١١ ـ ١٢ هـ (١٧ ـ ١٨ م) ويوجد منه في الخزانة ٧ بالقاعة ٢٢.

٩ ـ خزف تقليد البورسيلان

وفق الخزافون الإيرانيون في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (١٦ م) إلى إنتاج نوع من الخزف يكاد يشبه

البورسيلان الصينى تمام الشبه، وهو متنوع الزخارف ولكن معظمها رسوم طيور وحيوانات فى مناظر طبيعية صينية، وكلها باللونين الأزرق والأسود الرمادى على أرضية بيضاء. ويوجد منه فى الخزانة ١ بالقاعة ٤١.

ثالثا ـ فى تركيا.

١ ـ خزف إزنيق (إسنك).

كانت مدينة إزنيق فى آسيا الصغرى أعظم مراكز صناعة الخزف التركى فى القرنين ١٠ ـ ١١ هـ (١٦ ـ ١٧ م) وينسب إليها من هذا العصر نوع من الخزف يعرف فى سوق العاديات باسم «خزف رودس»؛ كما ينسب إلى آسيا الصغرى عامة نوع يعرف باسم «خزف دمشق». وكل من النوعين لا يختلف عن الآخر كثيرا، فهما سواء فى العجينة التى يصنعان منها وفى البطانة الناصعة البياض التى تكسى بها وفى معظم الرسوم التى تحدد بخطوط سوداء وترسم تحت طلاء زجاجى شفاف، ولكنهما يختلفان فى أن النوع الذى ينسب إلى رودس يمتاز بوجود اللون الأحمر الطماطمى بارزا على سطح الإناء، بينما يمتاز النوع المنسوب إلى دمشق بوجود لون بنفسجى إلى جانب الألوان المشتركة بين النوعين وهى الأزرق والأخضر والزيتونى والأسود والزخارف فى النوعين متشابهة غير أن الخزافين كانوا يقبلون فى النوع المنسوب إلى دمشق أكثر من النوع الآخر على رسوم المراوح النخيلية وشجر السرو وعلى نوع من الأوراق الطويلة المسننة يشبه سعف النخل. وإلى جانب هذا نجد فى هذين النوعين رسوم الزهور الطبيعية كالورد والقرنفل وقرن الغزال والسنبل البرى وأنواع من الثمار ورسوم السحب الصينية وقشور السمك والسفن والحيوانات والزخارف الهندسية وغير ذلك. ويوجد بالمتحف بلاطات من النوعين على جدران القاعات ١٤، ١٥، ١٦، ٢٣ كما توجد صحون وأباريق وأكواب وقماقم من النوعين فى خزانات القاعة ٢٣.

٢ ـ خزف كوتاهية

اشتهرت مدينة كوتاهية فى القرن ١١، ١٢، ١٣ هـ (١٧، ١٨، ١٩ م) بصناعة الأوانى من الخزف من أكواب وأباريق وصحون وفناجين وعلب وزهريات وزمزميات وغير ذلك، وقوام زخرفتها زهور ونباتات ورسوم حيوانات وطيور وصور آدمية وذلك بألوان متعددة منها الأزرق والأحمر والأخضر والبنفسجى فضلا عن اللون الأصفر الذى امتاز به هذا النوع. كما صنعت فى كوتاهية تحف بزخارف من لون واحد أو من خزف أبيض وزخارف زرقاء. وتوجد بالمتحف بلاطات من صناعة كوتاهية بالقاعة ١٤ كما توجد صحون وتحف أخرى بخزانات القاعة ٢٣.

٣ ـ خزف چنك قلعة

ينسب إلى هذه المدينة التى تقع على ساحل الدردنيل نوع من الخزف مصنوع من عجينة حمراء، قوام زخرفته موضوعات زخرفية بسيطة ترسم بألوان متعددة هادئة منها الأزرق والأصفر والأحمر والزيتونى. وبعض هذه الزخارف متأثر بالزخارف الأوربية. ويؤرخ هذا النوع بالقرن ١٣ هـ (١٩ م). ويوجد منه بالمتحف فى الخزانة ١ بالقاعة ٢٣.

القاعة ١٣

خصصت هذه القاعة لأنواع من الخزف المصرى فى عصور مختلفة.

وقد عرض المتحف فى خمس من خزانات هذه القاعة على جانبى المدخل وفى الوسط وعلى الجدار الأيسر أرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٥ مجموعة كبيرة من الخزف المصرى ذى البريق المعدنى تختلف تواريخ صناعة تحفها بين القرنين ٣ ـ ٦ هـ (٩ ـ ١٢ م).

وعلى الجانب الأيمن من الحائط القبلى المواجه لمدخل القاعة خزانة ٦ بأعلاها إلى اليمين تحف من الخزف ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء من القرنين ٦ ـ ٧ هـ (١٢ ـ ١٣ م) وإلى اليسار تحف من الخزف دقيق الصنع المتعدد الألوان من القرن ٧ هـ (١٣ م). وعلى الرفين الأوسط والأسفل صحون وقدور من الخزف المعروف باسم خزف الفيوم ذى الألوان المتعددة المرشوشة، وترجع هذه التحف إلى ما بين القرنين ٣ ـ ٦ هـ (٩ ـ ١٢ م).

وعلقت على الجدار فوق هذه الخزانة لوحة بها بلاطات من الخزف من النوع المعروف باسم بلاطات دمياط، وتتألف زخارفها من خطوط هندسية باللونين الأزرق والأسود على أرضية بيضاء، وهى من القرن ١٢ هـ (١٨ م).

وعلى الجانب الأيسر من هذا الجدار خزانة ٧ بها خزف من عصر المماليك، فى أعلاها خزف مرسوم بالألوان تحت الطلاء، وعلى الرفين الأوسط والأسفل توجد تحف من الفخار المطلى بالمينا كما نرى مجموعة أخرى من هذا النوع من الفخار فى الخزانة الصغيرة ٨ المجاورة لهذه.

وفى الخزانة الكبيرة ٩ التى تتوسط الجدار الأيسر، نجد أجزاء من أوانٍ من الخزف عليها توقيعات صانعيها ويرجع أغلبها إلى عصر المماليك، كما نجد فى هذه الخزانة بعض الأوانى الصغيرة من الخزف مثل أغطية الأوانى والأباريق والأكواب وغير ذلك.

وعلى جدران هذه القاعة علقت مجموعات من قطع من الخزف والفخار المطلى تمثل بعض أنواع الخزف المصرى من خزف ذى بريق معدنى أو محفور تحت الطلاء أو خزف مصرى تقليد للبورسلان أو السيلادون الصينى أو أجزاء من الفخار المطلى بالمينا عليها رنوك مختلفة الشارات.

وعلى الجدار الأيمن لهذه القاعة مجموعات من بلاطات الخزف بعضها على الجانب الأيمن باسم السلطان الأشرف الغورى.

وفى الشباك الأيمن لوحتان من بلاطات عليها توقيع الخزاف عبد الكريم الزريع إحداهما مؤرخة سنة ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) والأخرى سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م). ولهذا الخزاف أيضا مشكاة من الخزف معروضة فى الخزانة ٣ بالقاعة ٢٣ عليها اسمه وتاريخ سنة ١١٥ ١١ هـ (١٧٤٢م).

ومن أهم التحف المعروضة فى هذه القاعة:

خزانة ١ إلى يمين مدخل القاعة

رقم ١٦٣٣٥ - صحن صغير من الخزف ذى البريق المعدنى المبكر الزيتونى اللون، عليه رسم محور لأوزة تظهر وكأنها تسبح، وعلى حافة الصحن صفوف من نقط صغيرة مثلثة الشكل تشبه رؤوس السهام أو القلب، وهى عنصر زخرفى نلاحظه فى هذا الخزف ذى البريق المعدنى المبكر.

مصر - القرن ٣ هـ (٩ م)

رقم ٧٩٠٠ - صحن من الخزف ذى البريق المعدنى عليه رسم قارب ذى مجاديف وترفرف عليه الأعلام، ورسم تحت القارب ثلاث سمكات تسبح حتى يخيل للناظر إلى القارب أنه يسير فوق الماء. مصر - القرن ٤ هـ (١٠ م)

(دليل متحف الفن الإسلامى / ٧٣ - ٨٥)

وثمة بيانات عن معروضات خزفية أخرى وردت فى الدليل فى الصفحات ١٥٥، ١٥٦، ١٤٣، ١٤٧ فارجع إلى المصدر إن شئت الاستزادة.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٥، ١٢٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٩، وموسوعة العمارة الإسلامية - د. عبد الرحمن غالب / ١٥٩، ١٦٠، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعى / ١٥٤ - ١٥٩، وموضوعات فى الفنون الإسلامية - د. محسن محمد عطية / ٩٤ - ١٠٠، والفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى - د. ربيع حامد خليفة / ٢٠٥ - ٢١٢، والفن الإسلامى - د. عبد الرحمن زكى / ٩٩، ١٠٠، و «فى العمارة فى التحف الفنية» - د. أحمد فكرى. أثر العرب فى النهضة الأوربية / ٤٠٥، ٤٠٦، وفنون الترك وعمائرهم لأوقطاى آصلان آبا - ترجمة أحمد محمد عيسى / ٢٥٤ - ٢٥٧، ودليل المتحف الإسلامى. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٥٢/ ٧٣ - ٨٥. انظر أيضا الفن الإسلامى - أبو صالح الألفى / ٢٦٢ - ٢٧٥، والفنون الإسلامية - م. س. ديمان / ١٦٤ - ٢٣٩، ودراسات فى الفنون والعمارة الإسلامية - د. محمود وصفى محمد / ٥٦ - ٥٨، و «الفنون الزخرفية» - د. سعاد ماهر. دراسات فى الحضارة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥. المجلد الأول / ٢٨٢ - ٢٩٢).

انظر مادة «التوريق» فى م ١١/ ٦٦ - ٧٢. وانظر صورة التكسية بالقاشانى لجدار القبلة فى جامع آق سنقر فى م ١ / ٤٩٣.

*** الخزفى:**

قال السمعانى:

الخَزَفى: بفتح الخاء المعجمة والزاى وفى آخرها الفاء،

هذه النسبة إلى بيع الأوانى الخزفية واشتهر بهذه النسبة الإمام أبو بكر محمد بن على الراشدى الخزفى، من أهل سرخس، ولعل بعض أجداده كان يعملها ويبيعها، كان فقيها فاضلا دينا خيرا مرجوعا إليه فى الفتاوى، وكان عالما بالنحو والأدب، تفقه أولا على محمد بن أحمد السانواجردى وأدرك آخر عهده، ثم تفقه على أبى محمد الزيادى، سمع أبا الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الرواسى الحافظ، حج سنة أربع وثلاثين، وتصاحبنا فى الطريق وظنى أنى سمعت منه شيئا يسيرا، وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة سبع وأربعين وخمسمائة فى العشر الأواخر. وأما أبو الحسن محمد ابن الفضل بن على بن العباس بن الوليد بن بهراذان بن جعفر الناقد الحربى الخزفى، كان ينزل ساباط الخزف موضعا ببغداد، حدث عن عبد الله بن محمد البغوى ويحيى بن محمد بن صاعد، قال أبو بكر الخطيب: حدثنى عنه أبو القاسم الأزهرى ونسبه لى وسألته عنه فقال: ثقة. وقال أحمد ابن محمد بن الفضل الحربى مات لأربع بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة؛ قال: وكان ثقة مأمونا انتقى عليها الدارقطنى.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٦١، ٣٦٢. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٤، ٥١٥).

*** الخزل:**

قال الجرجانى:

الخزل: هو الإضمار والطى من متفاعلن، يعنى إسكان التاء منه وحذف ألفه ليبقى متفعلن. فينقل إلى مفتعلن، ويسمى أخزل (التعريفات / ١٣٢).

وجاء فى اللسان: الخَزْل والخُزْلة فى الشعر ضرب من زحاف الكامل، سقوط الألف وسكون التاء من متفاعلن، فيبقى مُتْفَعِلُنْ، وهذا البناء غير مقول فيُصرف إلى بناء مقول وهو مُفْتَعِلُنْ وبيته:

منزلةٌ صَمَّ صداها وعفت
أرسمُها إن سُئلت لم تُجِب

الليث: الخُزلة سقوط تاء متفاعلن ومفاعلتن، وبعضهم يقول: خزلة كقوله:

وأعطى قومه الأنصار فضلا
وإخوتهم من المهاجرينا

وتمامه: من المتهاجرينا. قال: ولا يكون هذا إلا فى الوافر والكامل، ومثله:

لقد بحثت من النداء
ء بجمعكم: هل من مُبارز؟

تمامه: ولقد بالواو، ويسمى هذا أخزل ومخزولا (لسان العرب ١٢ / ١١٥٢)

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٢ ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ١١٥٢).

*** الخزم:**

الخَزْم: أُخذ من خزمت البعير إذا جعلت فى أنفه خزامة. وهو زيادة فى أول البيت لا يُعتد بها فى التقطيع. ولا يكون الخَزْم إلا فيما أوله وتد وقد تكون الزيادة حرفا أو حرفين وأكثرها أربعة أحرف (معجم مصطلحات العروض والقافية / ١٠٣).

قال ابن رشيق:

ويأتون بالخزم ـ بزاى معجمة ـ وهو ضد الخرم ـ بالراء غير معجمة، الناقص منهما ناقص نقطة، والزائد زائد نقطة ـ وليس الخزم عندهم بعيب؛ لأن أحدهم إنما يأتى بالحرف زائدا فى أول الوزن، إذا سقط لم يفسد المعنى، ولا أخل به ولا بالوزن، وربما جاء بالحرفين والثلاثة، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف، أنشدوا عن على بن أبى طالب رحمه الله تعالى ورضى عنه:

أُشدد حيازيمك للموت
فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذ حل بواديكا

فزاد «أشدد» بيانا للمعنى لأنه هو المراد. قال كعب بن مالك الأنصارى يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنه:

لقـد عجبت لقـوم أسلمـوا بعـد عـزهم

إمـامهم للمنكـرات وللغـدر

فزاد «لقـد» على الوزن، هكـذا أنشدوه. وأنشد الـزجاج - وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته:

نحن قتلنـا سيـد الخـزر

ج سعـد بن عبـاده

رمينـاه بسهميـن

فلـم نُخْـطِ فـؤاده

فزاد على الوزن «نحن» وأنشد الزجاج أيضا:

** بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا **

فزاد «بل» وأنشد أيضا:

يـا مطـر بن خـارجـة بن مسلم إنني

أُجفَـى وتغلـق دونـي الأبـواب

وإنما الوزن «مطر بن خارجة» والياء والألف زائدة.. ومما جـاء فيه الخـزم في أول عجـز البيت وأول صـدره، وهو شـاذ جدا، قول طرفة:

هـل تـذكـرون إذ نقـاتلكم

إذ لا يضـر معـدمـا عـدمـه

فـزاد في أول صـدر البيت «هل» وزاد في أول العجـز «إذ» والبيت من قصيدته المشهورة:

أشجـاك الـربع أم قِـدَمُـه

أم رمـاد دارس حُممـه

وقـال جـريبـة بن الأشيم أنشـده أبـو حـاتم عن أبي زيـد الأنصاري:

لقـد طـال إيضـاعي المخـدَّم لا أرى

في النـاس مثلي من معـد يخطب

حتى تأوبت البيـوت عشيـة

فـوضعت عنـه كـوره تتثـاءب

فـاللام في «لقـد» زائدة، وصـاحب هـذا الشعر جـاهلي قديم، وقالت الخنساء:

أقـذى بعينك أم بـالعين عُـوَّار

أم أوحشت إذ خلت من أهلهـا الـدار

فزادت ألف الاستفهـام، ولو أسقطتـا لم يضر المعنى ولا الـوزن شيئا، وروى أن أبـا الحسن بن كيسان كـان ينشد قـول امرىء القيس:

كأن ثبيرا في عرانين وبله

فما بعد ذلك بالواو فيقول:

** وكأن ذرى رأس المجيمر غُدوة**

** وكأن السباع فيه غرقى عشية**

معطوفا هكذا؛ ليكون الكلام نسقا بعضه على بعض

وقال عبـد الكريم بن إبـراهيم: مذهبهم في الخـزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم علـى الاسم والفعل على الفعل والجملـة على الجملة، وأخذ الخزم من خزامـة الناقة، ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عـوضـا من الخرم الـذي يحـذفونـه من أول البيت.

وقـد قـال غيـره: إنمـا أسقطوه كأنهم يتـوهمـون أنـه في السكتة؛ فلذلـك جعلوه في الوتد المجمـوع؛ لأن المفروق لو أسقطوا حـركته الأولى لبقي أوله سـاكنا، ولا يبتدأ بـالساكن، فيسقط أيضـا، والسكتة لا تحمل عنـدهم إلا حـرفا واحـدا؛ وهذا اعتلال مليح بيِّن جدا (العمدة ١/ ١٤١، ١٤٣).

(معجم مصطلحات العروض والقافية ـ د. محمـد علي الشوابكة، و د. أنـور أبو سـويلم / ١٠٣، والعمـدة في محـاسن الشعر ونقـده لابن رشيق - حققه وفصلـه وعلق حواشيه محمد محيي الـدين عبد الحميد ١/ ٣٤١-٣٤٣).

*** الخزَم:**

انظر: الخزامى

*** ابن خُزيمة (٢٢٣-٣١١ هـ / ٨٣٨-٩٢٤ م):**

من رواة الحديث من التابعين، وهو محمد بن إسحاق بن خـزيمة بن المغيـرة السلمي بـالـولاءة النيسابـوري، أبو بكـر، المشهور بابن خزيمة، المحدث الفقيه المجتهد.

مولده ووفاته بنيسابور، سمع الحديث فيهاوالكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط.

جمع بين الفقه والحديث، وكان إمام نيسابور فى عصره، ويُعرف عند المحدثين والفقهاء بإمام الأمة، وكان أحد أعلام الأمة بحفظ الحديث والفقه والقراءة والزهد، وبلغ رتبة الاجتهاد المطلق، وكان يدرّس، ويُفتى ويناظر ويحدّث فى نيسابور (مرجع العلوم الإسلامية / ٢٥٤).

ولد فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين. ولد فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين رحل إلى الرى وبغداد والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط، وسمع الحديث من خلق كثير منهم إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازى ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما فى صغره، وحدث عن محمود بن غيلان ومحمد بن إبان المستملى وإسحاق بن موسى الخطمى وأبى قدامة السرخسى وغيرهم، وروى عنه الأئمة الكبار كالبخارى ومسلم خارج الصحيح ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم شيخه ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو على الغسانى وإسحاق بن سعد النسوى وخلائق كثير.

كان ابن خزيمة قبلة العلم والعلماء وإماما يقصده الناس من كل ناحية.

كالبحر يقذف للقريب جواهرا

كرما ويبعث للغريب سحائبا

وكان شديد التحرى للحديث حتى ليتوقف فى التصحيح لأدنى كلام يقال فى الإسناد. روى الحاكم عن أبى العباس بن سريج أنه قال فيه: «إنه يخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش» وقال الربيع بن سليمان: «استفدنا من ابن خزيمة أكثر مما استفاد منا» وقال محمد بن حبان التميمى: «ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق»، وقال الدارقطنى: «كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير». عده الحاكم من فقهاء الحديث قال: «ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء فإن فقه حديث بريرة ثلاثة أجزاء ومسألة الحج خمسة أجزاء» وله كتاب الصحيح وهو من أجل كتب الحديث يتلو صحيح مسلم بن الحجاج على ما ذكره السيوطى فى ألفيته إلا أنه قد انعدم أكثره. توفى رحمه الله سنة ٣١١ هـ (الحديث والمحدثون / ٣٤٧، ٣٤٨).

وله أيضا «كتاب التوحيد»، و «إثبات صفة الرب» (مرجع العلوم الإسلامية / ٢٥٤).

وهكذا كانت مؤلفاته وعلمه فقد بلغ رتبة الاجتهاد وإن كان يذكره المؤلفون فى طبقات الشافعية شافعيا روى عنه أنه قال:

ما قلدت أحدا منذ بلغت سنة عشر وكان يرى رأى السلف فى الصفات والقرآن وإن كان لم يسلم من تقول المفترين عليه وقد كذبهم فيما يدعون عليه (السنة النبوية وعلومها / ٣٢٦).

وقد ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب الكتب التى التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين فقال عن صحيح ابن خزيمة: منها صحيح أبى بكر محمد بن إسحاق (بن خزيمة) بن المغيرة السلمى النيسابورى الشافعى شيخ ابن حبان المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. ويعرف عند المحدثين بإمام الأئمة ا هـ (الرسالة المستطرفة / ١٦).

(مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٢٥٤، والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٣٤٧، ٣٤٨، والسنة النبوية وعلومها ـ د. أحمد عمر هاشم / ٣٢٦، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ١٦).

*** خزيمة بن ثابت:**

خزيمة بن ثابت الصحابى رضى الله عنه تكرر فى المهذب فى أول باب الإحرام بالحج وفى عشرة النساء والشهادات هو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن عمارة بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الخطمى المدنى (تهذيب ١ / ١٧٥).

ذو الشهادتين، أمه كبشة بنت أوس الساعدية (الرياض المستطابة / ٦٦)، وسمى خَطْمة لأنه ضرب رجلا على خطمه شهد خزيمة مع رسول الله ﷺ بدرا وما بعدها من المشاهد وكان خزيمة وعمير بن عدى يكسران أصنام بنى خطمة وكانت

راية بنى خطمة بيده يوم فتح مكة وشهد مع على رضى الله عنه الجمل وصفين ولم يقاتل فيهما فلما قتل ابن ياسر بصفين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتل عمارًا الفئةُ الباغية فسل سيفه وقاتل حتى قتل وكانت صفين سنة سبع وثلاثين (تهذيب ١/ ١٧٥، ١٧٦).

روى عنه ابنه عمارة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اشترى فرسا من سواء بن قيس المحاربى، فجحده سواء، فشهد عليه خزيمة، فقال له رسول الله ﷺ: ماحملك على الشهادة؟ قال: صدَّقت ُبما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقا. وروى أنه قال: نصدقك فى خبر السماء ولا نصدقك فى خبر الأرض! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه. وعنه أيضا عن أبيه (خزيمة) أنه رأى فى منامه أنه سجد على جبهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فاضطجع له النبى ﷺ وقال: صدَّق رؤياك. فسجد على جبهته. وروى عن أنس قال: تفاخرت الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا ذو الشهادتين، وغسيل الملائكة، ومن اهتز لموته عرش الرحمن وحَمِيُّ الدَّبْر. فقالت الخزرج: منا أربعة حفظوا القرآن كله فى حياة رسول الله: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، رضى الله عنهم أجمعين.

خرَّج مسلم لخزيمة حديثا واحدا مشتركا بينه وبين أسامة، وخرَّج عنه الأربعة، وعنه ابنه عمارة وابن أبى ليلى وآخرون (الرياض المستطابة / ٦٦، ٦٧).

روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثا. ومن أجلِّ مناقبه أن رسول الله ﷺ جعل شهادته كشهادة رجلين فكان يسمى ذا الشهادتين. روينا فى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ جعل شهادة خزيمة بن ثابت شهادة رجلين (تهذيب ١ / ١٧٦).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٥، ١٧٦، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر اليمنى / ٦٦، ٦٧. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١٢٦، ١٢٧، والأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٥ وما جاء بهامش (١) من مصادر.

انظر: الخُزَيْمى

* **الخُزَيمى:**

قال السمعانى:

الخُزَيمى: بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفى آخرها الميم، هذه النسبة إلى أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر النيسابورى الخزيمى (إمام الأئمة)، (انظر ترجمته تحت عنوان «ابن خزيمة» اتفق أهل عصره على تقدمه فى العلم، حدث عن إسحاق بن راهويه وعلى بن حجر وعلى بن خشرم المروزيين، ورحل إلى العراق والشام ومصر؛ وجماعة إليه ينسبون يقال لكل واحد منهم الخزيمى، وكان أدرك أصحاب الشافعى وتفقه عليهم، ومات فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ودفن فى داره ثم جعلت مقبرة.

وعلى بن محمد الخزيمى، سمع سريا السقطى، روى عنه العباس بن يوسف الشكلى.

وحفيد أبى بكر بن خزيمة هو أبو طاهر محمد بن الفضل ابن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى الخزيمى، من أهل نيسابور من أولاد الأئمة سمع جده وأبا العباس محمد بن إسحاق السراج وأبا العباس الماسرجسى وجماعة سواهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عثمان سعيد بن محمد البحيرى وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى وأبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكنجروذى وأبو بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربى، وغيرهم، وذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ فقال: أبو طاهر حفيد إمام المسلمين أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة كاتبوه للتزكية سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقد كان سمع الكثير من جده أبى بكر وأبوى العباس السراج والماسرجسى، فعقدت له المجلس للتحديث فى شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثمائة، ودخلت بيت كتب جده وأخرجت له مائتين وخمسين جزءا من سماعاته الصحيحة وحملت إلى منزلى فخرجت له الفوائد فى عشرة أجزاء؛ وقلت دع الأصول عندى صيانة لها وحدَّث

بالفوائد، فلما كان بعد سنين حمل تلك الأصول وفرقها على الناس وذهبت، ومد يده إلى كتب غيره فقرأ منها، ثم إن أبا طاهر مرض وتغير بزوال العقل فى ذى الحجة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة فإنى قصدته بعد ذلك غير مرة فوجدته لا يعقل، وكل من أخذ عنه بعد ذلك فلقلة مبالاته بالدين، وتوفى فى جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ودفن فى بيت جده بقربه.

وأبو بكر محمد بن على بن محمد بن على بن خزيمة العطار الخزيمى، من أهل نسا، كان شيخا دينا فقيها صالحا، من المشاهير، وكانت إليه التزكية، سمع جده محمد ابن على الخزيمى وأبا عامر الحسن بن محمد النسوى وغيرهما، حدث ببلده وبنيسابور، وكتب إلىَّ بالإجازة بجميع مسموعاته، وروى لى عنه أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشحامى بنيسابور وأبو الفتح سعد بن محمد بن على الخزيمى وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الخالق التميمى وأبو عمرو عثمان بن الفرج الطاهرى، بنسا وغيرهم، توفى بنسا فى رجب سنة عشر وخمسمائة.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٣٦٢ - انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٥١٥، ٥١٦).

*** خزينة العلاج:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الصيدلة.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١٠٩٩٦

لأبى القاسم حكيم سيد على المتخلص بشوق الذى كان حيا سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦ م. الأول «الحمد لله الذى خلق المواليد بتجليات قدرته وأودع فيها الخواص والتأثيرات لأشرف مخلوقاته...».

استفاد المؤلف فى وضع هذا الكتاب من كتب الطب المشهورة وانتخب منها وطابقها مثل كتاب القانون لابن سينا والأسباب والعلامات للسمرقندى وشروح الموجز وتذكرة الأنطاكى وتحفة المؤمنين والقرباذين القادرين وغيرها..

كتبه المؤلف سنة ١٢٢١ هـ/ ١٨٠٦ م، ورتبه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. المقدمة فى المبادىء التى يجب أن تتقدم. الفصل الأول فى شرح الأدوية والأغذية المفردة بأسمائها اليونانية والعربية والفارسية والهندية وقد رتبها على حروف الهجاء.

الفصل الثانى فى معالجة الأمراض لكل واحد منها مشتملة على قواعد كلية وأدويته المخصوصة.

الفصل الثالث فى إصلاح بعض الأعضاء بالأدوية

الفصل الرابع فى أحوال غير ما كان لمرض كمصنفات الصوت ومجففات اللبن فى الثدى.

الخاتمة فى فوائد متفرقة

نسخة جيدة فى صفحة العنوان طبعة ختم مؤرخة ١٢٣٥ هـ/ ١٨١٩ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٩٨، ٩٩).

*** خزينة العلماء وزينة الفقهاء:**

خزينة العلماء وزينة الفقهاء: للشيخ محمد البلغارى وهو مختصر فى الموعظة أوله: الحمد لله الذى لم يلده والد... إلخ أورد فيه من الأحاديث والآثار والحكم.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٤).

*** الخس:**

أورده المظفر الرسولى فى المعتمد نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى:

قال:

الخس: «ع» جيد للمعدة، مبرد، منوم، مدر للبول. وإذا طبخ يكون أكثر غذاء وإذا أُكل كما يقلع وافق الذين يشكون

مِعَدَهُم ... وإذا أكل دائما أحدث غشاوة على العين. والخس البرى شبيه بالخس البستانى، غير أنه أكبر منه ساقا، وأشد بياضا، وأدق وأخشن. وطعمه مر، ولبنه شبيه بلبن الخشخاش الأسود، وهو نافع لقروح قرنية العين، وينوم، ويسكن الوجع، ويدر الطمث، ويشفى لسعة العقرب، ونهشة الرتيلاء. والخس بارد رطب، وليس فى الغاية، ولولا ذلك لكان مما لا يؤكل لكن برودة الخس كبرودة مياه الغدران، وهو أجود البقول غذاء، لأنه يولد دما ليس بكثير ولا بالردىء، إلا أنه ليس فى غاية الجودة، ويبرد المعدة الحارة، ويصلح للشيوخ مسلوقا لمداومة السهر، وإذا دق وضمد به اليافوخ سكَّن الحرارة فى الرأس والهذيان، وهو سريع الهضم، وهو دواء لاختلاف المياه وتغيرها، وتغير الأرضين، ويسكن وجع الثدى، وإذا أخذ نيئا سكن الصداع المتولد عن أبخرة صفراوية، ولا يصلح لمن به قيح فى صدره، أو ربو، أو خلط يحتاج أن يرمى به، فإنه يخنق هؤلاء خنقا سريعا.

«ج» الخس بارد رطب فى الدرجة الثالثة، وقيل إن بزره فى الثانية وغير المغسول منه أقل توليدا للرياح، وإن استعمل فى وسط الشراب منع من أمراض السكر، وينفع من الأورام الحارة والحمرة طلاء، ويضمد به الوثء، وينوم، ويزيل السهر نيئا ومسلوقا، وينفع من الهذيان وإحراق الشمس الرأس، ويضمد به الورم الحاد، ولبن البرى منه يجلو آثار القرنية، ونصف درهم ربما أسهل كيموسا مائيا، ودوام أكلها يضعف العين ويظلمها.

«ف» من البقول. برى، وبستانى بارد رطب فى الثانية، ينفع من العطش وبالخل من اليرقان، ويشهى الطعام. الشربة منه: بقدر الحاجة.

وجاء فى هامش: عن ص. ق (لعلهما اختصار اسم المصحح) ما يلى:

الخس: بارد رطب، يسكن اللهب العارض فى المعدة الحارة، والدم المتولد منه أفضل من الدم المتولد من سائر البقول. منفعته: إدرار البول، ملين للطبيعة، مسكن حرارة المعدة، مطفىء حدة الدم، جالب للنوم. دفع ضرره: أن يؤكل كما يقلع، من غير أن يغسل بالماء، ويؤكل بعده الزنجبيل المربى لمن كان مزاجه باردا. والله أعلم. عن هامش ص، ق (المعتمد ١ / ١٢٦، ١٢٧).

أما الشيخ داود الأنطاكى فيقول عنه فى تذكرته:

الخس نبت من خضروات البقول ينمو ويزيد على الزفر والزبل والمياه ويخرج طبقات متراكمة على أصل صنوبرى، وهو على قسمين غليظ خشن شديد المرارة بلا ساق، وقسم سبط غض يقوم له ساق فوق شبر وكل منهما برى ينبت وبستانى يستنبت ويدرك بالخريف والربيع له زهر أبيض يخلف بزرا ليس بالمستدير وهو بارد رطب فى الثانية والبرى فى الأولى يدفع تغيرات الهواء الوبائى والماء والسعال اليابس والعطش ويكسر سورة الدم إذا أكل بعد نحو الفصد والحميات المحرقة والخلفة والسهر المزمن مفردا فى الشباب ومع الصندل فى الشيخوخة ويولد دما صالحا ليس بالكثير كما هو شأن البقول وينفع من ضرر اليابسين وأمراضهما كالبثور والحكة والجنون والجذام ومزاوره ألطف المزاور وأنفعها خصوصا فى الحميات ويفتح السدد ويدر ويفتت ويمنع الحرقة ولبنه ينفع من السموم وخصوصا العقرب والبياض والجرب طلاء وكحلا والنزلات والأورام دهنا ويسهل الأخلاط شربا وبزره يصلح الأدمغة وأوجاع الصدر ودهنه يحلل الصلابات مطلقا ويرطب جفاف الرأس وينفع من الصرع والماليخوليا عن يبس ويبطىء بالسكر ورماده يلحم القروح وذهب القلاع ومع العسل يجلو الآثار وبدهن الورد يطوّل الشعر... وهو يولد رياحا غليظة وقراقر ونسيانا يصلحه الكمون والنعنع والكرفس وأن لا يغسل. والشربة من عصارته إلى ثلاثين وبزره إلى اثنين ولبنه إلى نصف والبرى أقوى وبدله الأفيون (التذكرة ١ / ١٣٩).

وعن إفلاحه يقول القزوينى فى عجائبه:

قال صاحب الفلاحة: إذا تركت بزره فى وسط النانخواه ثم زرعته يسلم منه جميع الآفات، وإذا أخذت بعر الجمل ونقبتها وتركت فيها بزر الخس والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتسترها بالتراب وتسقيها ينبت علها هذه الأنواع الثلاثة

على ساق، وإذا قطعت أوراقه السفلانية يطيب طعم الفوقانيات، والخس يجلب النوم ويدفع العطش (عجائب المخلوقات / ١٨٦).

وقد أفرد له السيوطي مقامة من مقاماته جاء فيها ما يلي.

الخس وما أدراك ما الخس بارد رطب أشد من الهندبا ترطيبا وأوفى في التطفئة، وتسكين العطش نصيبا، مبرد للبطن منوم، مدر للبول إذا عليه دووم، وإذ طبخ فهو أكثر في الغذاء، وإذا أكل كما قلع غير مغسول وافق من يشتكى من معدته أذى، وينفع من الحمرة والورم الحار، وليكثر من أكله من معدته تولد المرار.

قال ابن البيطار: ولم أجد شيئا من البقول يُداوى به السهر غيره، والخلط المتولد منه بارد رطب لا يوازى بقل خيره، إذ ليس يعرض له رداءة الاستمرار كما يعرض لسائر البقول، والبطن معه لا هو مطلق ولا معقول، وهو يهيج للإنسان بشهوة المأكول، وينفع من اللذغ العارض في المعدة، ومن حرقة المثانة التي هي من خلط صفراوى متولد هو في السعال الذي لا نفث معه، وهو من مادة رقيقة تنجلب من الرأس الدمعة، ويغزر اللبن ويذهب اليرقان، ويسكن حرارة الرأس والهذيان، ويسكن وجع الثدى، وهو دواء لاختلاف المياه والأرضين والهواء، وإن أكل بالخل نيئا سكن المرار والصداع المتولد عن صفراوى البخار، وإذا عجن بمائه دقيق الشعير سكن الورم الحار من العين، والإكثار من أكله يضعف البصر ويكسبه الغشاوة والغيم، وبزره يسكن وجع الصدر ولدغة العقرب والهوام ...

وفيه يقول الشاعر

أتانى الغلام قبيل الطعام
وقد حم جسمى بخس نضير
كقضب اللجين بأطرافها
لمبصرها عذبان الحرير

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٦، ١٢٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٦، ومقامات السيوطى للإمام جلال الدين السيوطى تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى، ومحمد السعيد بن بسيونى زغلول / ٢٩. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقى العمد / ١٤٩، ١٥٠، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د. بدر الستازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى الستازى / ١٣٥).

*** خسرو:**

«خسرو» لفظ فارسى معناه ملك، وتعريبه كسرى

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٥).

*** خسرو إيران**

أطلق لقب «خسرو إيران» على أبى الفتح محمد بن قرا أرسلان فى نص تعمير بتاريخ سنة ٥٧٩ هـ فى باب ارفا فى ديار بكر، وكذلك على أبى الفتح موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى نقش بتاريخ سنة ٦٢٥ هـ على اسطرلاب من سوريا.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٥).

*** خسرو باشا (سبيل وكتاب) (٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) أثر ٥٢:**

قال الأستاذ محمود أحمد:

هذا السبيل أمام مارستان قلاوون ويحجب جزاء من المدرسة الصالحية. أنشأه خسرو باشا والى مصر فى دولة السلطان سليمان خان بن السلطان سليم الأول. (هو أحد ولاة مصر المعينين من قبل الدولة العثمانية، وليها سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥ م) نيابة عن سليمان باشا ويقى نائبا عنه نحو سنة وعشرة شهور إلى أن عاد إليها فى رجب سنة ٩٤٣ هـ ١٥٣٧ م).

وهو سبيل له وجهتان بهما زخارف مدقوقة فى الحجر ويعلوه كتاب منسجم الشكل متناسب الأوضاع حليت أعتاب شبابيكه بالرخام، ومكتوب عليه اسم المنشىء وألقابه وتاريخ الإنشاء.

وبه من الداخل سقف منقوش بالذهب والألوان. وأرضية من الرخام الدقيق وسلسبيل من الرخام.

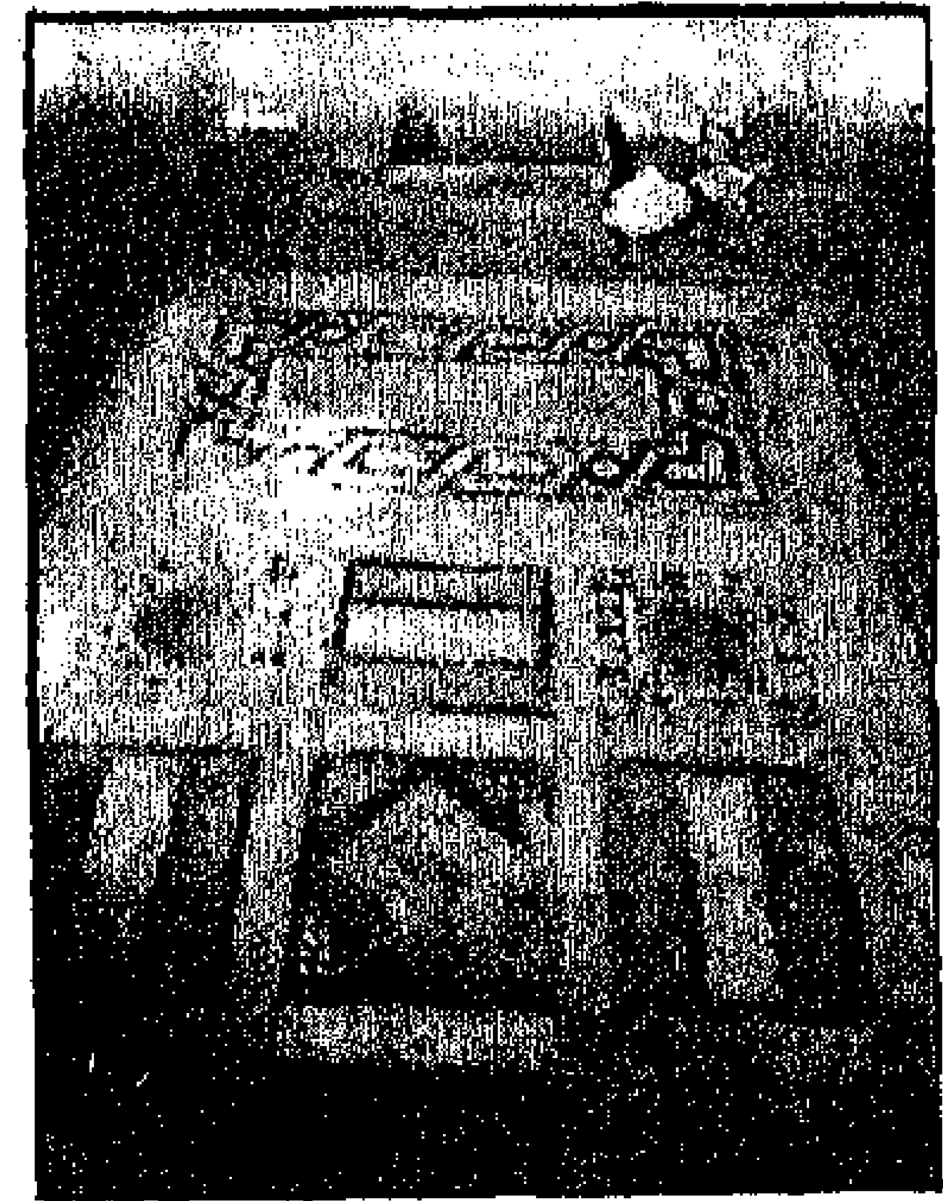
وهو ثانى سبيل وكتاب أنشىء مستقلا إذ الأول سبيل وكتاب الأشرف قايتباى بالصليبة (دليل موجز / ١٨٧).

وقد وصف الدكتور محمود حامد الحسينى هذا الأثر وصفا مفصلا ننقله لك فيما يلى يقول المؤلف :

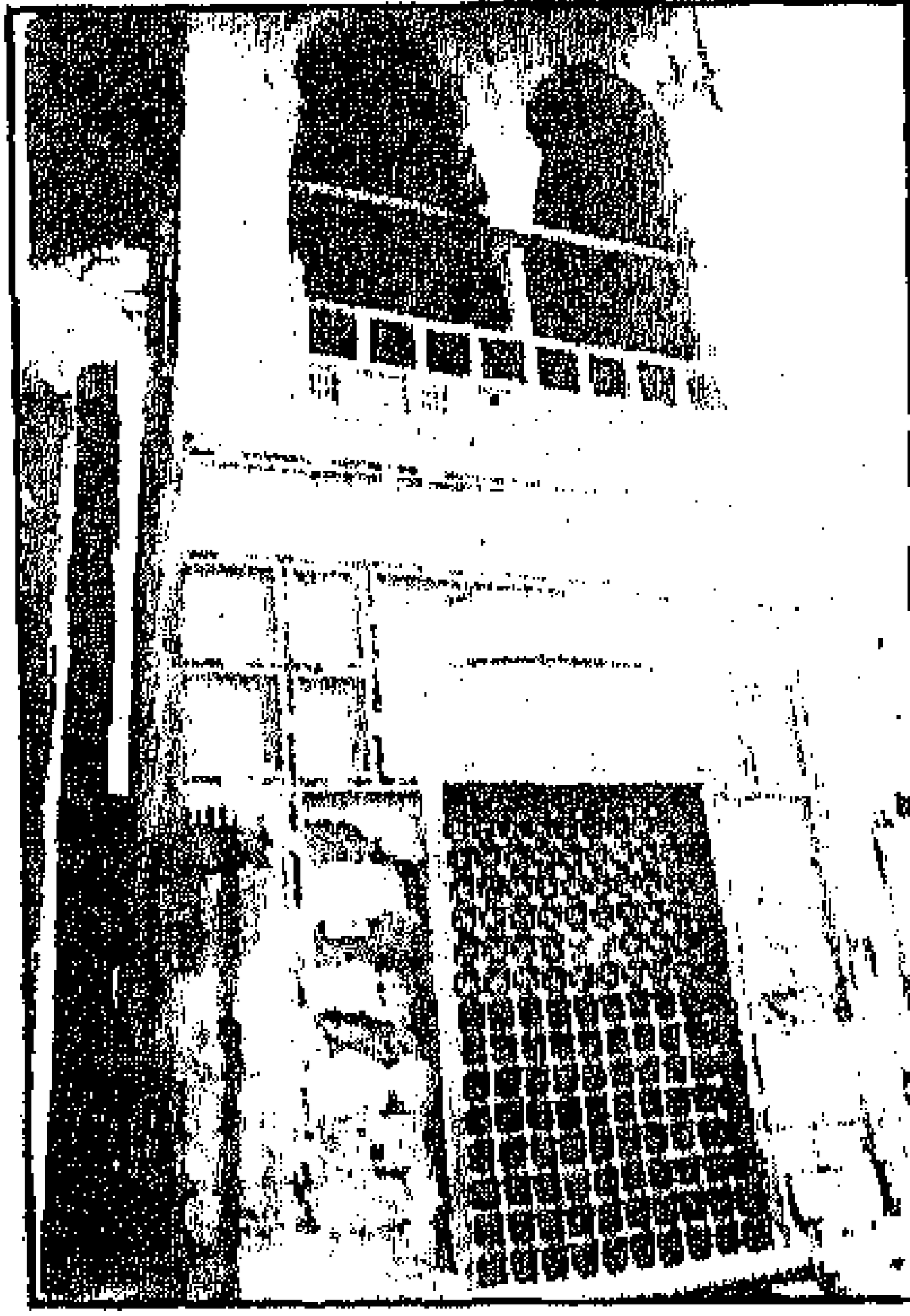
يقع بشارع النحاسين مقابلا لمجموعة قلاوون ويلاصق الناحية الجنوبية لبروز ضريح الصالح نجم الدين، ويحتوى على واجهتين حرتين على الشارع هما الواجهة الشمالية الغربية، والواجهة الشمالية الشرقية. أما الواجهة الجنوبية الغربية فملاصقة لمحلات بيع النحاس والذهب، والتى كانت تحتوى قديما على كتلة الدخول للسبيل والكُتَّاب. أما الواجهة الجنوبية الشرقية فتطل على الواجهة الخارجية للإيوان الشمالى الغربى للمدارس الصالحية.

وأنشأ هذا السبيل مع الكتاب ـ خسرو باشا والى مصر فى جمادى الثانية عام ٩٤٢، كما ورد بالنص التأسيسى على الواجهة، وهو أقدم سبيل ما زال باقيا من العصر العثمانى بالقاهرة، كما أنه مستقل غير ملحق بأبنية أخرى، وهو سبيل ناصية ذو شباكين للتسبيل ويعلوه كتاب.

واجهات السبيل : يحتوى على واجهتين متشابهتين تماما هما «الشمالية الغربية»، و «الشمالية الشرقية» ومحليتين بالزخارف، كذلك حليت أعتاب شبابيكهما بالرخام،



أرضية حجرة التسبيل بسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين. أثر ٥٢.



لوحة (١)

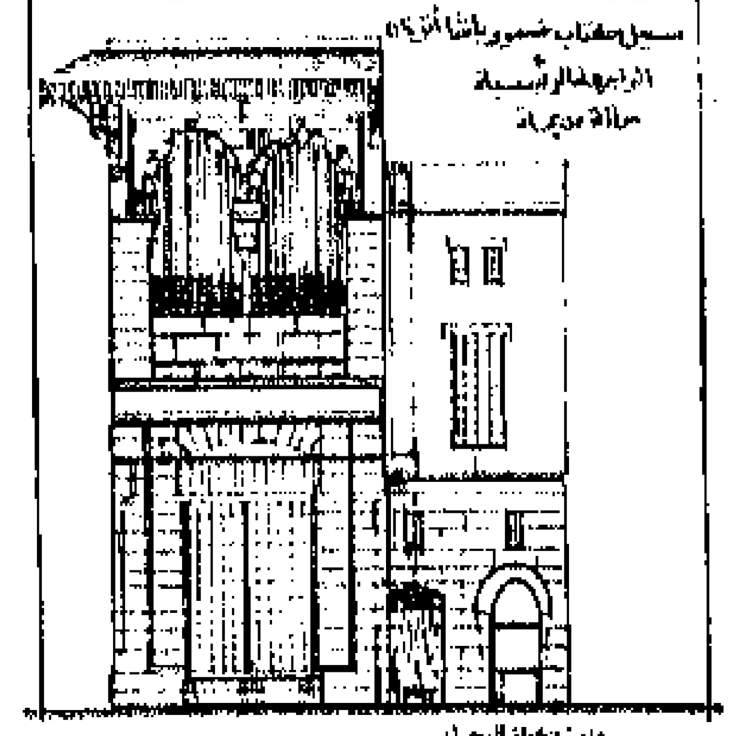
الواجهة الشمالية الغربية لسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين. أثر ٥٢».

ومكتوب عليها اسم المنشىء وألقابه وتاريخ الإنشاء.

الواجهة الشمالية الغربية : (لوحة ١) يتوسطها شباك للتسبيل مستطيل الشكل مغشى بمصبعات نحاسية، فى جزئها العلوى تشابيك هندسية تكون أشكالا غير منتظمة يتوسطها لفظ الجلالة (الله) يتقدم شباك التسبيل لوح رخامى مخصص لوضع كيزان الشرب، يرتكز على ثلاثة كوابيل حجرية بمحاذاة الأرض الآن نظرا لارتفاع الشارع، هذا ويعلو شباك التسبيل عتب مستقيم ملبس بالرخام على شكل صنجات مزررة على هيئة الورقة النباتية يعلوه عقد عاتق مكون من صنجات رخامية مزررة على هيئة ورقة نباتية فى شكل أفقى متتابع أو متقابل.

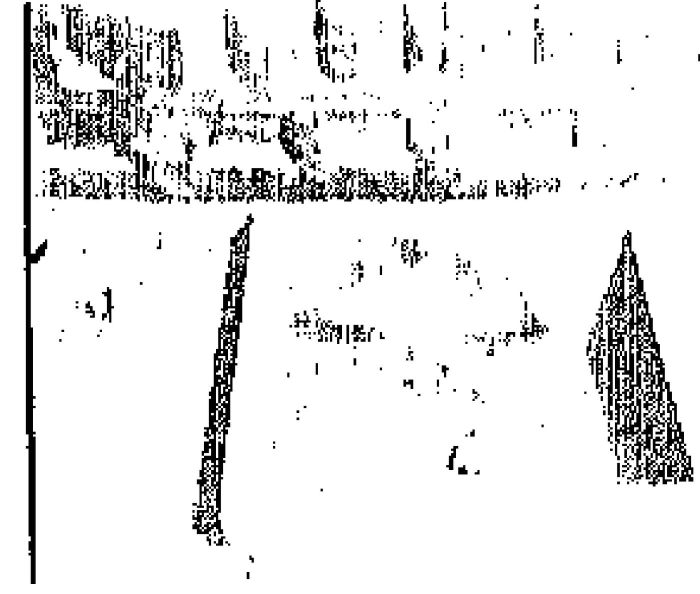
وعلى جانب العتب والعقد العاتق أربع مناطق مستطيلة ومربعة فى كل جانب بها زخارف منحوتة فى الحجر نحتا دقيقا قوامها إما زخارف هندسية عبارة عن شكل طبق نجمى أو زخارف نباتية محورة تشبه زخرفة الأرابسك ولكنها منفذة بشكل بسيط. هذا وتنتهى واجهة السبيل من أعلى بشريط ممتد ليتوج الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية ويحتوى على نص كتابى بالخط الثلث يقرأ كالآتى :

«أمر بإنشاء هذا السبيل المبرور اغتنام الثواب والأجور فى



لوحة (١١)

الواجهة الشمالية الغربية لسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين، أثر ٥٢، ويصحح لها كشف الدخول للسبيل والكتاب على الشارع (حاله قديما) عن محفوظات هيئة الآثار.



لوحة (١٠)

أيـام مولانـا الإمام الشـريف ظل الله الوريف الخنكـار الأعظم مالك رقاب الأمم ملك ملوك العرب والعجم السلطان سليمان خان ابـن السلطان سليم خـان ابن السلطان بـايزيد خـان ابن عثمان خلد الله ملكه وسلطانه وأدام أيامه، منشى هذ السبيل مولانا الباشا الأعظم والكافل المفخم مدير مصالح الأمم ناظم منـاظم العالم خسرو باشـا كافل الـديار المصـرية والأقطـار الحجازية غفر الله له ولمن دعا لـه بالمغفرة بمحمد وآله وكان الفـراغ من ذلك فى شهر جمـادى الآخرة سنة اثنـان [اثنتين] وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية ».

وقد حـددت المناطق الـزخرفيـة والكتابيـة لهذه الـواجهة بجفوت لاعبـة سداسيه الميمـة، كما يشغل ناصيتيـه عمودان مدمجان لهما تيجان مقرنصة.

الواجهـة الشمالية الغربيـة للكتاب: تمتد بامتـداد واجهة السبيل وهى عبـارة عن بـائكـة من عقـدين على شكل حـدوة الفرس مـرتكزين على عمود أوسط فى جزئهـا السفلى درابزين من الخشب الخـرط. وهذه الـواجهة بصفـة عامـة خاليـة من الزخرفة عدا الجفوت اللاعبة التى تلتف حول عقدى البائكة.

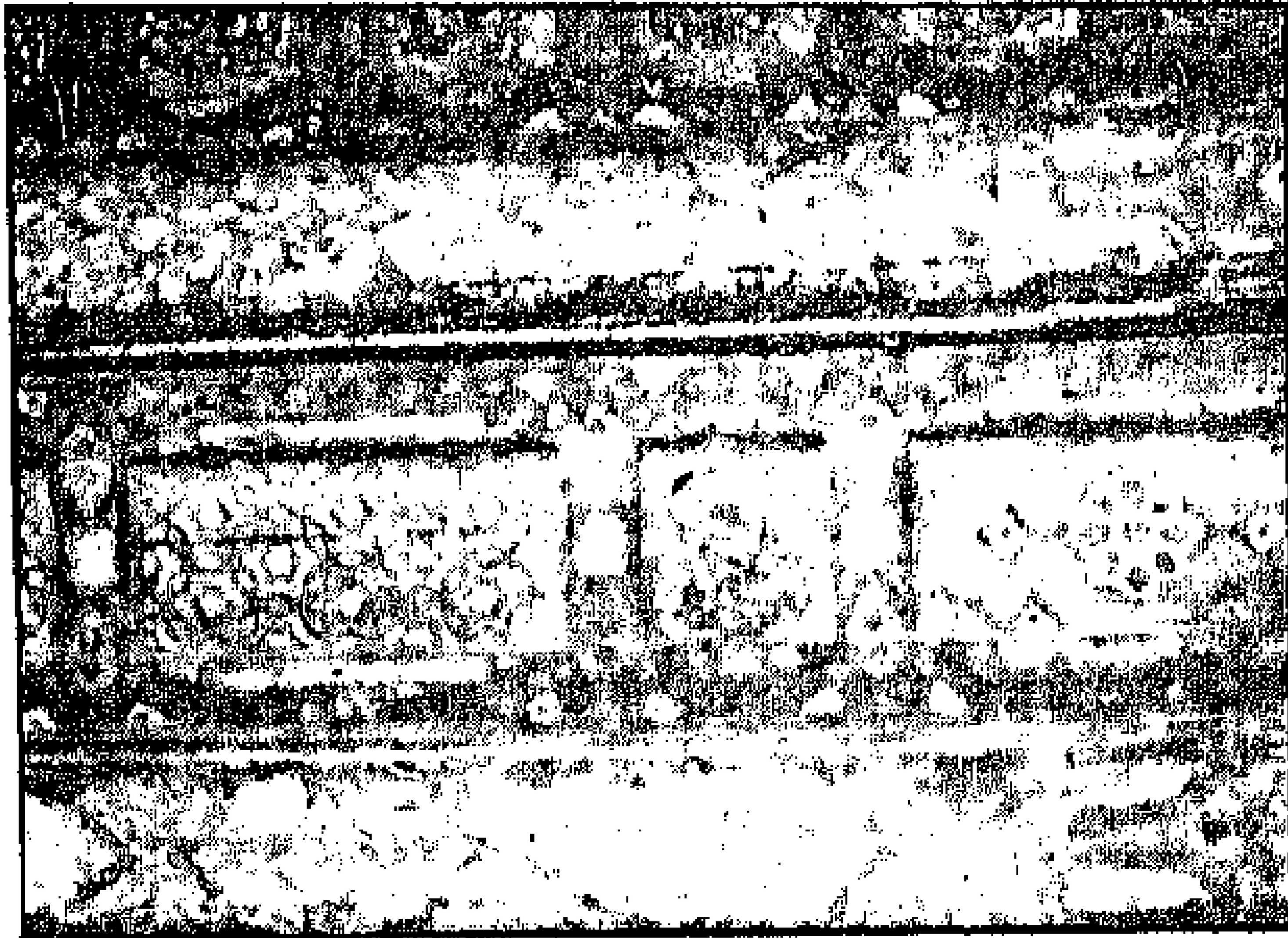
يتـوج واجهـة الكتاب رفـرف خشبى يـرتكـز على كـوابيل خشبية يتدلى منه شراريف على هيئة ورقة نباتية ثلاثية.

كيفيـة الدخـول للسبيل: يتم الـدخول من بـاب مستطيل الشكل فى الطـرف الجنـوبى مـن الضلع الجنـوبى الغـربى لحجـرة التسبيل، ويتم الوصـول لـه من ممر خلف محـلات النحاس والصاغة.

تخطيط السبيل:

يتكون من حجرة تسبيل مستطيلة الشكل مساحتها ٥٧٠ × ٣٧٠ سم بضلعهـا الشمـالى الغـربى دخلة مستطيلـة الشكل اتسـاعها ٢٠٠ سم وعمقها ٦٠ سم تطل على الخـارج بشباك للتسبيل يقابلهـا فى الضلع الجنوبى الشرقى ثـلاث دخلات، الجـانبيتان اتخـذتا كخـزانتين لحفظ أدوات المـزملاتى، أمـا الوسطى فهى المخصصـة للشاذوران والتى يبلغ اتسـاعها ٨٠ سم وعمقها ٢٠ سم، كـان يكتنفها عمـودان اندثـرا الآن. أما الضلع الشمالى الشرقى فيحتـوى على دخلة مستطيلة الشكل تفتح على الشـارع بشبـاك للتسبيل مماثلـة تمـاما للـدخلة الموجـودة بالضلع الشمـالى الغربى، إلى اليسـار منها خـزانة للمـزملاتى مستطيلة الشكل. أمـا الضلع الجنـوبى الغـربى فيحتوى على باب الدخول لحجرة التسبيل يجاوره جهة اليسار باب آخر، كان يؤدى قديما إلى كتلة دخول السبيل على شارع النحاسين.

أرضيـة حجـرة التسبيل: مغطاة بألواح رخاميـة مقسمة إلى مناطق هنـدسية من مستطيـلات، ومربعـات، ودوائر محددة



لوحة (٩)

تفاصيل من سقف حجرة التسبيل بسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين، أثر ٥٢.

بإطارات من الرخام الخردة المختلف الألوان إما على شكل معينات متقابلة الرءوس أو مثلثات دقيقة أو شكل الجفوت اللاعبة ذات الميمة السداسية (لوحة ٦).

السقف : عبارة عن سقف خشبي مسطح يرتكز على براطيم خشبية عددها ستة تحصر فيما بينها تجاويف طولية ذات مستطيلات ومربعات، مزخرفة بالتجليد والألوان المتعددة وقوام الزخرفة في المناطق المستطيلة إما صرة مفصصة في الوسط وأرباعها في الأركان بينما شغلت بقية المساحة بزخارف هندسية زجزاجية، أو مناطق سداسية متقاطعة تحصر بداخلها أشكال نجوم سداسية أيضا بداخلها زهور (لوحة ٩).

أما في المناطق المربعة فنجد أفرع متداخلة تكون في مجموعها زخارف شبيهة بالأرابيسك (لوحة ٩)، كما نجد أن الفنان لم يترك المساحات بين المستطيلات والمربعات خالية دون زخرفة فقام بملئها بالأفرع الممتدة والتي تخرج منها الأوراق النباتية.

أما البراطيم فقد حظيت أيضا بنصيب كبير من الزخارف حيث شغلها الفنان بأفرع حلزونية تكون أشكالا بيضاوية تحصر بداخلها زخارف نباتية (لوحة ٩)، هذا ويرتكز السقف على إزار خشبي عريض ذي حنايا ركنية ووسطية مقرنصة تنتهي الركنية منها بذيول هابطة ذات ورقة نباتية ثلاثية.

ينقسم الإزار إلى قسمين. العلوي يحتوي على بحور كتابية بالخط النسخ على أرضية نباتية وهذه الكتابة مضمونها كالآتي: «بسم الله الرحمن الرحيم. **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾** صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم سيدنا محمد» والسفلي عبارة عن صفين من المقرنصات المسطحة والتي تتوج جدران حجرة السبيل من أعلى.

الشاذروان: عبارة عن دخلة في الضلع الجنوبي الشرقي مستطيلة الشكل تتوجها من أعلى طاقية خشبية مقرنصة قمتها ذات قطاع على شكل عقد منكسر تمتد إلى أسفل إزار السقف مباشرة، وبصدد هذه الطاقية زخرفة حجرية محفورة من الأرابيسك، وفي الجزء السفلي، من دخلة الشاذروان نجد لوحا رخاميا مائلا (السلسبيل) قوام زخرفته ورقة نباتية ثلاثية بارزة وغائرة ويحيط بهذا اللوح إطار مستطيل يحتوي على زخرفة من أنصاف مراوح نخيلية، وكان من الطبيعي أن يعلو هذا اللوح حوض مربع أو مستطيل (هذا اللوح غير موجود حاليا) ينساب منه الماء على السطح الخارجي للسلسبيل متجمعا في حوض آخر أسفل السلسبيل حتى تسير المياه منه عن طريق المحان الرصاصية إلى أحواض الشرب.

أحواض الشرب: نجد في أرضية دخلة كل من شباك التسبيل الشمالي الشرقي، والشمالي الغربي حوضا للشرب مستطيل الشكل من الرخام (لوحة ١٣).

الكتاب: يتم الصعود إليه عن طريق سلم حديدي ركب في عام ١٩٠٩ م خلف الجدار الجنوبي الشرقي لحجرة التسبيل والذي ينتهي يسارا بباب يفتح على حجرة الكتاب حيث تأخذ نفس تخطيط حجرة التسبيل مع الاتساع قليلا نظرا لقلة سمك الجدران في الطابق العلوي عنه في الطابق السفلي.

الحالة القديمة للسبيل والكتاب:

يقول المؤلف: من حسن الحظ أنني استطعت العثور على بعض المساقط واللوحات لهذا السبيل بمركز تسجيل الآثار، ترجع إلى عام ١٩٠٣م، والتي تبين حالة السبيل والكتاب القديمة (لوحة ١٤)، ويتضح منها أنه كان للسبيل والكتاب كتلة دخول على شارع النحاسين بالجهة الغربية من الواجهة الشمالية الغربية للسبيل حيث مدخل مستقل لكل من السبيل والكتاب ـ إلا أن هذين المدخلين قد اندثرا الآن وحل محلهما دكان لبيع النحاس ـ ومما يؤكد صحة هذا القول أيضا أن الواجهة الجنوبية الغربية للكتاب مازالت تحتوي حاليا على بعض الدخلات في الجدران من الخارج.

مدخل السبيل: (لوحة ١٤)، عبارة عن باب يؤدي لدهليز

مستطيل ينتهى يسارا بباب يفتح على حجرة التسبيل، أما باب الدخول الحالى لحجرة التسبيل والذى يجاور الباب السالف الذكر فقد كان يؤدى إلى دهليز مستطيل مغلق مغطى بقبو ربما كان من ملاحق حجرة التسبيل، ويشغله الآن دورة مياه حديثة.

مدخل الكتاب: (لوحة ١٤)، يجاور كتلة الدخول للسبيل جهة اليمين مدخل معقود يؤدى إلى دهليز ينتهى بسلم صاعد للكتاب حيث يفتح في النهاية بباب على حجرة الكتاب وذلك فى الجدار الجنوبى الغربى (هذا الباب مسدود حاليا واستبدل بباب فى الجدار الجنوبى الشرقى كما سبق القول».

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرـ د. محمود حامد الحسينى / ١٢٢ـ١٢٦).

*** الخُسْرُوْجزدى:**

قال السمعانى:

الخُسْرَوْجِرْدى: بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفى آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى خسروجرد، وهى قرية من ناحية بيهق وكانت قصبتها ثم صارت القصبة سبزوار، خرج منها جماعة من الأئمة مثل أبى سليمان داود بن الحسين ابن عقيل بن سعيد الخسروجردى البيهقى كان شيخا مكثرا رحالا، سمع بنيسابور يحيى بن يحيى التميمى وإسحاق بن إبراهيم الحنظلى وعمرو بن زرارة، وبمرو على بن حجر وعلى ابن خشرم، وببلخ قتيبة بن سعيد، وبالعراق عبد الله بن معاوية الجمحى ونصر بن على الجهضمى، وبالحجاز أبا مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى ويعقوب بن حميد بن كاسب، وبمصر عيسى بن حماد التجيبى ومحمد بن رمح وحرملة بن يحيى، وبالشام أبا التقى اليزنى ومحمد بن خلف العسقلانى وغيرهم؛ روى عنه أبو حامد أحمد بن محمد بن الشرقى وأبو بكر بن على الحافظ وبشر بن أحمد الإسفراييني وعبد الله بن محمد بن سلم وغيرهم، ومات بقريته سنة ست وتسعين ومائتين، وقيل سنة ثلاث.

وأبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن الأزهر الخسروجردى البيهقى، كان قديم السماع حسن الأصول، سمع أبا سليمان داود بن الحسين الخسروجردى وأقرانه بتلك الناحية، وسمع بنيسابور جعفر بن محمد الحافظ وعبد الله بن محمد بن شيرويه، وسمع يوسف بن موسى المروروذى عند اجتيازه به، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، ذكر أنه توفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

وأبو حامد أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الخطيب الخسروجردى، سمع أبا سليمان داود بن الحسين وعبدان بن عبد الحليم الخسروجرديين بخسروجرد، وإبراهيم ابن على الذهلى بنيسابور، وأبا عبد الله محمد بن أيوب الرازى بالرى، وعيسى بن محمد بن عيسى المروزى بمرو، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وذكره فى التاريخ، فقال: أبو حامد الخسروجردى شيخ كبير السن حسن المعرفة بالأدب وقلما كان يرد البلد، إنما كان ملازما لوطنه بخسروجرد يخطب بها وهناك كتبنا عنه، وتوفى بخسروجرد فى شهر ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ــ كذلك قال أبو أحمد التميمى.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٦٤. انظر أيضا اللباب لابن الأثير تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٦).

*** الخُسرو شاهى:**

قال السمعانى:

الخسروشاهى: بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفى آخرها الهاء، هذه النسبة إلى خسروشاه، وهى قرية من قرى مرو على فرسخين مشهورة، منها سعد محمد بن أحمد بن على بن مجاهد بن على الخسروشاهى، كان شيخا صالحا عفيفا تقيا سليم القلب، سمع جدى الإمام أبا المظفر السمعانى وأبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى، كتبت عنه قبل الرحلة، وبعد رجوعى عنها، وكانت ولادته فى

المحرم سنة أثنتين وسبعين وأربعمائة، ووفاته في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (الأنساب ٢ / ٣٦٤. ٣٦٥).

وقد ذكر البدر العيني فيمن توفي من الأعيان في سنة ٦٥٢ هـ الخسروشاهي المتكلم عبد الحميد بن عيسى شمس الدين وقال عنه:

أحد مشاهير المتكلمين، وممن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن الملك المعظم وحظي عنده.

وقال أبو شامة: وكان شيخا نبيها فاضلا متواضعا حسن الظاهر.

وقال السبط: كان كيسا، محضر خير، لم ينقل عنه أنه آذى أحدا، فإن قدر على نفع وإلا سكت.

توفي رحمه الله بدمشق، ودفن بقاسيون على باب تربة المعظم اهـ.

له ترجمة في: المنهل الصافي، فوات الوفيات، ٢ / ٢٥٧ رقم ٢٤٥، مرآة الزمان ٨ / ٧٩٣، النجوم الزاهره ٧/ ٣٢، العبر ٥/ ٢١١، شذرات الذهب ٥ / ٢٥٥، البداية والنهاية ١٣ / ١٨٥، الذيل على الروضتين ١٨٨.

(الأنساب للسمعاني ـــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين محمود العيني ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١/ ٩٤ وهامش (١) للمحقق. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـــ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ١/ ٥١٦، ٥١٧).

*** الخسروية (جامع ومدرسة):**

جامع ومدرسه الخسروية (أو الخسرفية) إحدى مدارس حلب التي قمنا بزيارتها يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م، وتقع في منتهى المحلة المعروفة بالسفاحية. وفي شرقيها المدرسة السلطانية الواقعة تجاه باب القلعة. وقف عليها خسرو باشا ومصطفى باشا ابن سنان باشا. تولى الخطابة بها عدد من علماء حلب. وتعد أول عمارة أنشئت بحلب منذ الفتح العثماني، وتدعى اليوم الثانوية الشرعية (معادن الذهب/ ٢٣٥).

قال عنها خير الدين الأسدي وقد أدرجها تحت محلة السفاحية: وفيها الخسروية وهي جامع كبير ومدرسة وتكية ومطبخ، وتمنح طلابها حاليا درجة الثانوية الشرعية. أمر بعمارتها خسرو باشا عام ٩٥١ (أحياء حلب وأسواقها/ ٢١٧).

(معادن الذهب في الأعيان المشرّفة بهم حلب لأبي الوفاء بن عمر الحلبي العُرضي ـ حققه وشرحه د. محمد التونجي / ٢٣٥، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدي ـــ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جي / ٢١٧).

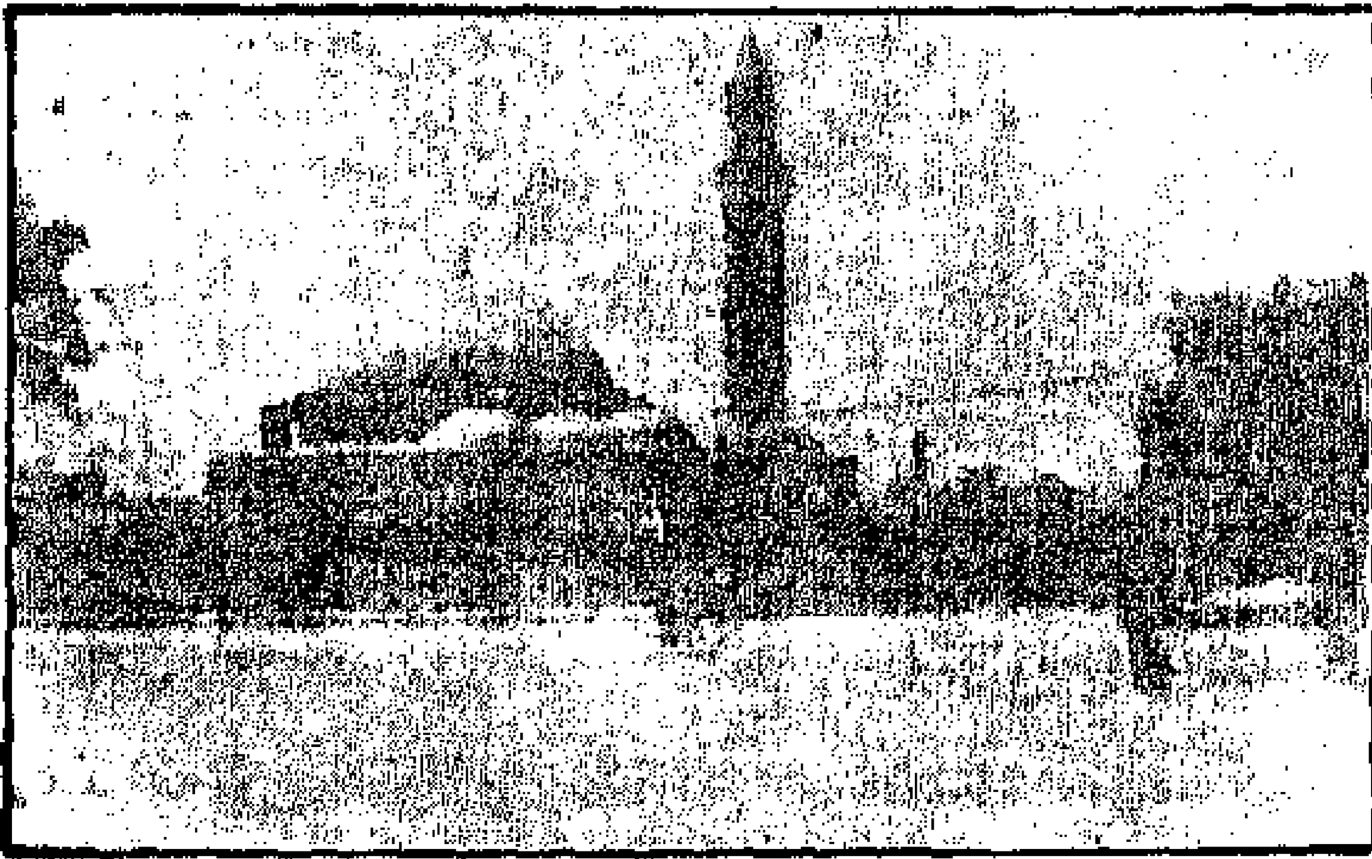
قالت المؤلفة: كانت زيارتنا لهذا الأثر الجليل في خلال العطلة الصيفية، وحين صحبنا المسئول عن المدرسة في جولة في أنحائها وجدنا أطفالا عاكفين على قراءة القرآن الكريم، وعلمنا أن الإدارة تستغل المبنى في تلك الفترة لعقد فصول لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم.

*** الخشاب:**

قال السمعاني:

الخَشاب: بفتح الخاء والشين المعجمة وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذا اسم لمن يبيع الخشب، والمشهور بهذه النسبة جماعة، منهم سليم بن مسلم الخشاب من أهل مكة، يروى عن ابن جريج وسعيد بن بشير، روى عنه محمد ابن أبان ومخلد بن مالك والناس، يروى عن الثقات الموضوعات التي يتخايل إلى المستمع لها وإن لم يكن الحديث صناعته أنها موضوعة، وكان يحيى بن معين يزعم أنه كان جهميا خبيثا ـ قاله أبو حاتم بن حبان.

وإبراهيم بن عثمان بن المثنى الأزرق الخشاب



المدرسة الخسروية

أبو إسحاق، مصرى روى عن يونس بن عبد الأعلى والحسن ابن سليمان وغيرهما، توفى فى رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأحمد بن عيسى اللخمى الخشاب، حدث عن عمرو بن أبى سلمة وغيره. توفى بتنيس سنة ثلاث وسبعين ومائتين، كان مضطرب الحديث جدا.

وسعيد بن يحيى الخشاب، أندلسى وشقى، توفى بها سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ـ قاله ابن يونس.

وأبو محمد عبد الله بن مزيد الخشاب، أصبهانى، يروى عن أحمد بن يوسف الرقام وغيره، روى عنه أبو بكر بن مردويه الحافظ وأبو بكر بن أبى على الأصبهانى.

وأبو سعيد محمد بن على بن محمد الخشاب، من أهل نيسابور، صاحب أبى عبد الرحمن السلمى وخادمه كتب الكثير من كتبه، وروى عن أبى طاهر بن خزيمة والمخلدى والخفاف وأبى نعيم الأزهرى وغيرهم، روى لنا عنه محمد بن الفضل الفراوى وهبة الله بن سهل السيدى وأبو المظفر بن القشيرى بنيسابور، وأبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامى بمرو، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد البيهقى بخسروجرد، وكان فيه لين، وتوفى سنة نيف وخمسين وأربعمائة.

وأبو الفتح محمد بن عبد الرحمن الخشاب الكاتب، ووالده أبو الفضل، كان من الكتبة الفضلاء، وأبو الفضل كان له شعر رائق وخط فائق، سمع الحديث بنيسابور من أبى القاسم القشيرى وفاطمة بنت أبى لعى الدقاق وأبى القاسم الفضل بن عبد الله بن المحب، وبأصبهان من أبى منصور محمد بن أحمد بن على بن شكرويه القاضى وغيرهم، لقيته بمرو غير مرة وكتبت عنه بأصبهان فى دار شيخنا الحسين الخلال الأديب، وتوفى بكشانية فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وحمل إلى مرو ودفن بها.

وأما الخشاب لقب أبى حامد أحمد بن محمد بن يحيى ابن بلال البزاز، قيل له الخشاب لا لبيعه الخشب، بل لأنه يسكن الخشابين بنيسابور، وكان يكره هذه النسبة، وكان من الثقات الأثبات المكثرين، سمع أبا الحسن أحمد بن يوسف السلمى وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم وطبقتهما، روى عنه أبو عبد الله بن منده الحافظ الأصبهانى وأبو على الحسين بن على الحافظ وأبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى وغيرهم، وتوفى بنيسابور يوم الأضحى سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى بن مزيد الخشاب المدينى من أهل أصبهان، ثقة مأمون، حدث عن أحمد بن مهدى وأبى بكر عبد الله بن محمد بن النعمان وأبى خالد القرشى وهشام السيرافى وغيرهم من البصريين، روى عنه أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، وتوفى فى شوال سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٧).

*** ابن الخشاب (٤٩٢ ـ ٥٦٧ هـ / ١٠٩٩ ـ ١١٧٢ م):**

الخطيب الحافظ المحدث أبو محمد عبد الله بن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ هو عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن عبد الله بن نصر، المعروف بابن الخشاب: من أئمة اللغة والنحو فى عصره. ولد ببغداد سنة ٤٩٢ هـ، وسمع منه على الربعى وابن النرسى، وأخذ العربية عنه ابن الشجرى وابن الجواليقى. قال ابن النجار: «كان أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة بالحديث واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة» وقال الذهبى: «كان إليه المنتهى فى حسن القراءة وسرعتها وفصاحتها مع الفهم والعذوبة، وانتهت إليه الإمامة فى النحو، وكان ظريفا مزاحا. وقد عُد من أعلم أهل وقته فيه، مع الحظوة الكبرى فى سائر الفنون، فذاع اسمه، وكان حسن الخط والحظ فانتفع الناس به (كتاب الوفيات / ٢٨٦) وله مصنفات فى النحو وغيره، فمن النحوية «شرح جُمل الزجاجى»، و «الرد على ابن بابشاذ» وغيرهما (نشأة النحو / ٢٠٦).

توفى ببغداد سنة ٥٦٧ هـ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريبا من بشر الحافى. له كتب منها «نقد المقامات الحريرية» و «المرتجل فى شرح الجمل»، للزجاجى، و

«شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة» فى النحو وغير ذلك (كتاب الوفيات/ ٢٨٦).

وهذا الشرح فى أربع مجلدات وله أيضا «الرد على التبريزى فى تهذيب الإصلاح» (الأعلام ٤ / ٦٧).

له ترجمة فى إنباه الرواة ٢ / ٩٩، ومعجم الأدباء ١٢ / ٤٧، وذيل طبقات الحنابلة ١ / ٣١٦، والمنتظم ١٠/ ٢٣٨، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩ ـ ٣١، والنجوم الزاهرة ٦ / ٦٥، ومرآة الجنان ٣ / ٣٨١ (فوات الوفيات ٢ / ١٥٦).

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٨٦ وهامش ١ للمحقق، ونشأة النحو ــ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٠٦، والأعلام للزركلى ٤ / ٦٧، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ٢ / ١٥٦ هامش ٢١٢ للمحقق. انظر أيضا طبقات المفسرين للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ١٠٠ هامش ٢ للمحقق).

*** الخشاب (إسماعيل) (ـ ١٢٣٠ هـ / ـ ١٨١٥م):**

ذكره على باشا مبارك فى خططه عند الكلام على جامع الكردى الذى بالحسينية، ومن دفن فيه فقال تحت عنوان «ترجمة سيدى إسماعيل الخشاب»:

وممن دفن بهذا الجامع كما فى الجبرتى نادرة الزمان السيد إسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب توفى سنة ثلاثين ومائتين وألف.

كان أبوه نجارا فتولع هو بحفظ القرآن، ثم بطلب العلم فجد فى التحصيل حتى نجب فى فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة، ونزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبرى وطالع كتب الأدب والتاريخ؛ فحفظ كثيرا من الأشعار والمراسلات والحكايات الصوفية انتهى (الخطط التوفيقية ٥ / ٢١٣، ٢١٤).

وكان قد أقبل على حفظ القرآن الكريم حتى أتمه، ثم طلب العلم فى الأزهر حتى أصبحت له مشاركة فى كثير من علومه تجرد فى قراءة كتب الأدب والتاريخ والتصوف، واستظهر كثيرا من الشعر ومحاضرات الأدباء ومراسلاتهم حتى برع فى هذا جميع لداته (المفصل ٢ / ٣٣٤).

وقال الشعر الرائق والنثر الفائق، وصحب بلطف سجاياه ودماثة أخلاقه وكرم شمائله أرباب المظاهر من الكتاب والأمراء والتجار وتنافسوا فى صحبته وارتاحوا لمنادمته، وكان الوقت إذ ذاك غاصا بالأكابر فى هنىء من العيش.

ولما رتب الفرنساوية ديوانا، لقضايا المسلمين تعين فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان؛ لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى سجلهم وتسوزيعها على الجيش، فكان يرقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو جواب أو خطأ أو صواب (الخطط ٥ / ٢١٤) وكانوا ينشرونها فى صحيفة «التنبيه» (المفصل ٢ / ٣٤).

وقرروا له كل شهر سبعة آلاف فضة مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة، وكان ديوانهم ضحوة يومين فى الجمعة، فجمع من ذلك عدة كراريس ولا أدرى ما فعل بها.

ولما رجع الشيخ حسن العطار من سياحته رافقه ووافقه ولازمه، فكانا يقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ويجولان فى فنون الأدب والتاريخ والمحاضرات وهما حينئذ فريدا عصرهما لم يعززا بثالث فى تلك الشئون التى أربت على المثانى والمثالث. (الخطط ٥ / ٢١٤).

والخشاب، بالإضافة إلى عصره، يعد من أفحل الأدباء، وأبلغ الشعراء، وأبرع الكتاب، وشعره فى الجملة يمتاز بالسهولة والرصانة وقلة التكلف، وخاصة ما يتعلق منه بألوان البديع.

وقد امتد به الزمن حتى أدرك عصر محمد على الكبير، ولكنه لم يل له عملا. وإذا كان محمد على لم يستصنعه فذلك لأن السنة التى مات فيها (١٢٣٠ هـ) لم تكن الحاجة قد دعت بعد إلى استخدام أصحاب البيان.

ولما توفى الخشاب جمع صديقه الشيخ حسن العطار أشعاره فى ديوان خاص طبع بعد فى الأستانة (المفصل ٢/ ٣٣٥).

ولم يزل على رقته ولطافته مع كرم النفس والعفة وكثرة الإنفاق وكان له صاحب يسمى أحمد العطار بباب الفتوح توفى فتزوج بزوجته وهى نصف، وكان لها ولد من المتوفى

فتبناه ورفهه بالملابس وأشفق به وزوجه وأنفق في زواجه مالا كثيرا ثم مات الولد؛ فجزع عليه جزعا شديدا وبكى وانتحب، واختارت أمه دفنه بجامع الكردى بالحسينية ثم اتخذت مسكنا ملاصقا لقبره أقامت به نحو ثلاثين سنة مع دوام عمل الثريد والكعك بالعجمية والسكر للمقرئين والزائرين، والمترجم طوع يدها في كل ما طلبته تسخيرا من الله تعالى لها ولأقاربها لا لذة له في ذلك (الخطط ٥ / ٢١٣ ـ ٢١٥).

قال الجبرتي: توفي يوم السبت ثاني شهر الحجة الحرام بمنزله الذى استأجره بدرب قرمز بين القصرين، وصلينا عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن عند ابنه المذكور بالحسينية وكثيرا ما كنت أتذكر قول القائل في ذلك:

ومن تراه بأولاد السوى فرحا
في عقله غُرّه إن شئت وانتدب
أولاد صلب الفتى قلّت منافعهم
فكيف يلمح نفع الأبعد الجنب

مع أنه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يداني انقياده لهذه المرأة وحواشيها (الجبرتي ٣ / ٥٠٠، ٥٠١).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٥ / ٢١٣ ـ ٢١٥، والمفصل في تاريخ الأدب العربي ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٣٣٤، ٣٣٥، وعجائب الآثار في التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتي ٣ / ٤٩٩ ـ ٥٠١. انظر أيضا الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ـ د. محمد كامل الفقى ٣ / ١٤١ ـ ١٦٠).

*** الخشاف:**

قال عنه الشيخ داود الأنطاكي:

خشاف عجمى هو ما يغلى من الأجسام ذات الحلاوة حتى يقارب التهرى ويؤخذ ماؤه فيشرب بالسكر وأجوده المأخوذ من الزبيب الجيد وهو حار رطب في الثانية يصفى الصوت ويصلح الصدر ويفتح السدد ويزيل اليرقان ومبادى الاستسقاء وضعف الكبد وعسر البول والمعمول من الخوخ يزيل العطش واللهيب والخلفة والأخلاط المحترقة وأوجاع الطحال ومن السفرجل ينعش الأرواح ويقوى الأعضاء الرئيسة والهضم ويزيل الصداع ويخرج الثقل والعفونات، ومن التفاح يزيل الخفقان والكرب والغشى لكنه يولد الرياح ويصلحه الأنيسون، ومن الكمثرى يحبس البخار عن الرأس ويصلح السعال وحمى العفن والخشاف بأسره جيد لتصفية الخلط وتنقية العروق وأردؤه ما عمل من المشمش وإصلاح ضرره بالمصطكى أو العسل.

(تذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٤٠، ١٤١).

*** الخشاورى:**

قال السمعاني:

الخشاورى: بفتح الخاء والشين المعجمتين والواو بعد الألف وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى خشاورة وهي سكة بنيسابور، منها أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم القارى الخشاورى من أهل نيسابور، وكان على رأس سكة خشاورة ـ ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في التاريخ فقال: إبراهيمك القارى، كان من الصالحين حدثونا أنه كان يقرأ عند أبي عمرو الحيرى والمتقدمين من مشايخنا ولا نذكره إلا شيخا هرما كان على رأس سكة خشاورة، سمع أبا زكريا يحيى والسرى بن خزيمة وأقرانهما بنيسابور، وبلغني أنه كان كتب عن علي بن الحسن الداربجردى ولم أسمع منه، ثم إنه خرج مع أبي عمرو الحيرى إلى هراة فسمع المسند الكبير من عثمان بن سعيد الدارمي وعقد عليه مجلس لقراءة المسند، وكان أبو عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر بن إسحاق يستعير سماعه من ورثة أبي عمرو الحيرى، ويقرأ عليه، وتوفي يوم الجمعة الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وصلى عليه الحاكم يحيى بن منصور ودفن في مقبرة الحسين بن معاذ، وشهدت الصلاة عليه، وتوفي وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقد احدودب.

(الإنساب للسمعاني ٢ / ٣٦٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥١٨).

*** الخشب:**

ويقال الحفر على الخشب، والتحف الخشبية

كانت صناعة التحف الخشبية من الميادين البارزة فى تاريخ الفنون الإسلامية

يقول الدكتور زكى محمد حسن عن فن الحفر فى الخشب:

كانت مصر ولا تزال فقيرة فى الخشب، فإن ما يوجد بها من الشجر لا يستخدم خشبه إلا لأعمال النجارة البسيطة، ومثل ذلك شجر السنط والجميز والزيتون والنبق والسرو.

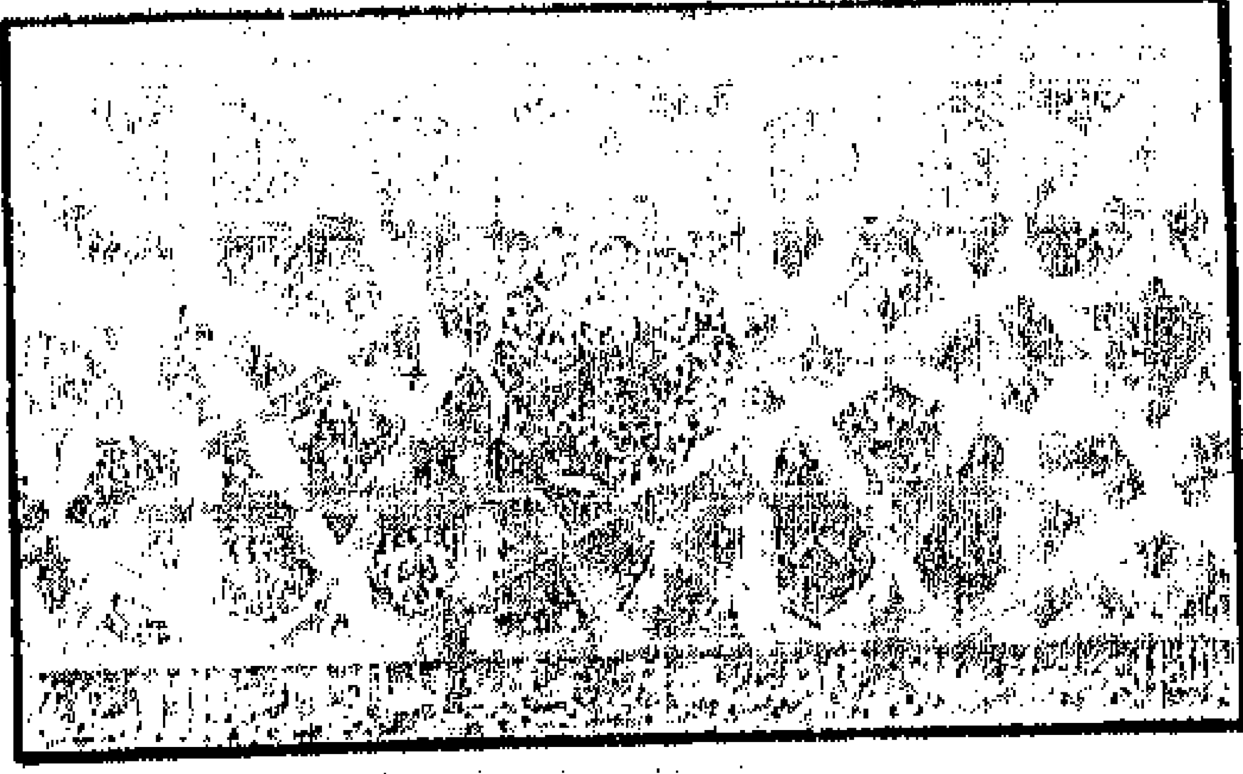
وبدأت الحكومة منذ قيام الدولة الفاطمية فى زرع الأشجار والعناية بالغابات. وإذا كان الغرض الأساسى من هذا العناية إنما كان استخراج الخشب اللازم لعمل مراكب الأسطول فإن جزءا كبيرا من الخشب المنتج استعمل فى الأبنية والأثاث.

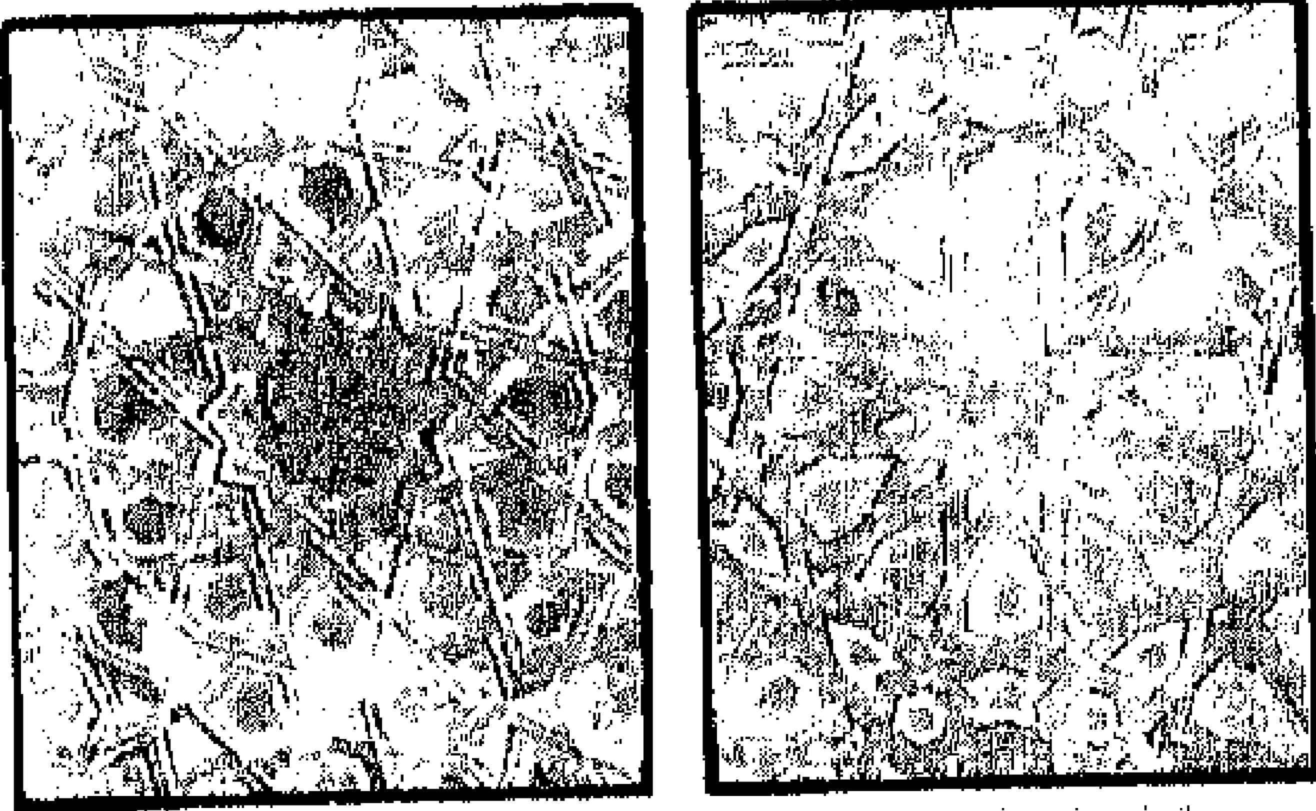
وعلى كل حال فقد كان استعمال الخشب ذائعا فى مصر الذيوع كله، ولا سيما أن جفاف الجو كان يساعد على حفظه فى حالة جيدة. ومن ثَمّ عمل التجار على استيراده من الأقطار المجاورة فكانوا يجلبون خشب الأرز والصنوبر من تركيا وسورية، والآبنوس من السودان، والتك من بلاد الهند، فضلا عن أن جنوب أوربا كان مصدرا كبيرا من المصادر التى استمدت منها مصر حاجتها من الخشب. وإذا صح ما ذكره المقريزى تبين أنه كان للخشب أسواق هامة فى الفسطاط منذ العصر الطولونى (الخطط ١ / ٢٣٢، ٢٣٣).

ولم يستعمل المسلمون الخشب فى مساجدهم بكثرة إذ لم يكونوا فى حاجة إلى مذبح أو مقاعد أو غير ذلك من أثاث الكنائس. فلم يستعملوا الخشب إلا فى السقوف والأبواب والمنابر والدكك، وفى عمل أشرطة الكتابة التاريخية أو الزخرفية، أو فى ربط القوائم والأعمدة بعضها ببعض، وفى صناعة القباب أو تقويتها.

واستعمل الخشب أحيانا فى صناعة محاريب منقولة، كالمحاريب الثلاثة المحفوظة بدار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامى الآن] والواردة إليها من مساجد الأزهر والسيدة رقية والسيدة نفيسة.

وقد وصلت إلينا قطع كثيرة من الخشب ذى الزخارف



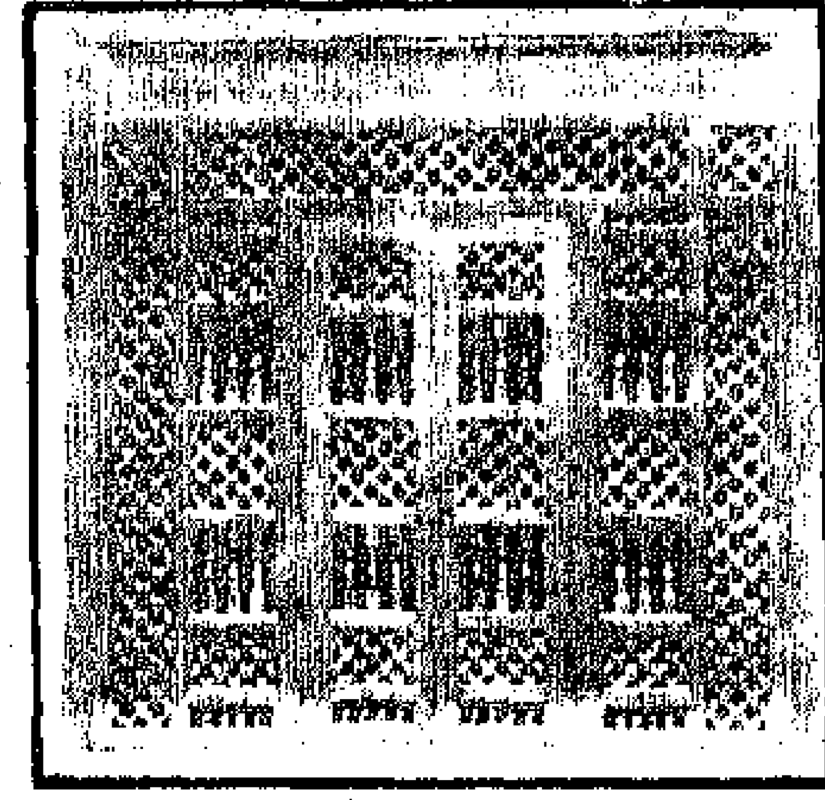


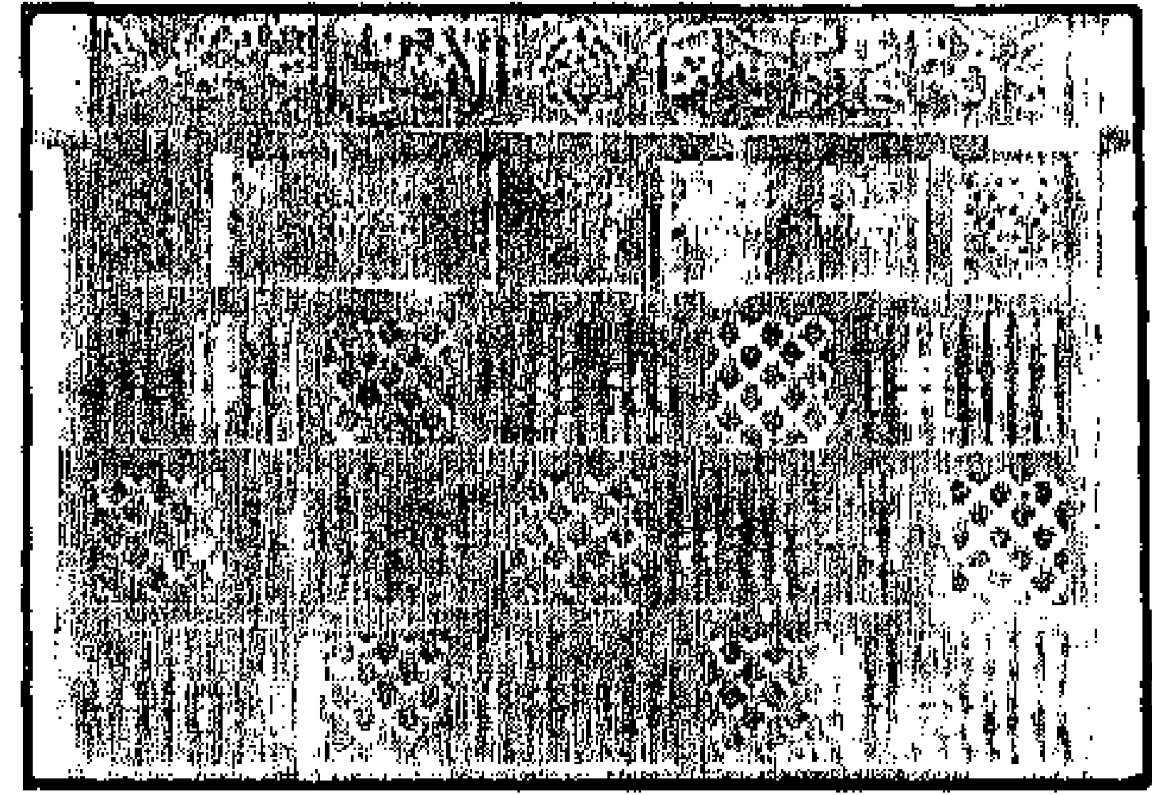
أصلها من الأبنية أو قطع الأثاث. وأقدم هذه القطع يرجع إلى القرن الثامن والتاسع الميلادى. وقد وجد فى القرافة القديمة بالفسطاط حيث كان يستعمل - بعد كسره من الأبنية والآثاث - لمنع انهيار الأتربة فى المدافن.

وتظهر الكتابة الكوفية فى عصر الانتقال (من القرن السابع إلى التاسع)، ولكن حروفها لا تصل فيه إلى ما وصلت إليه بعد ذلك من أشكال زخرفية جميلة ... وقد تأثر الطولونيون بسامرا وبالفن العراقى فى هذا الميدان، كما تأثروا بهما فى العمارة وفى زخرفة المبانى.

وتملك دار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامى] وبعض المتاحف والمجموعات الأثرية المصرية والأجنبية تربيعات من الخشب الطولونى مصدرها إما المسجد الجامع أو القصور والأبنية الطولونية. ومن السهل تمييزها لأن ما عليها من زخرفة محفورة بعمق فى الخشب تذكرنا بزخارف الطراز الأول من سامرا.

والأخشاب الطولونية تمثل طراز الحفر منحرف الجوانب، وتظهر فيها الصناعة الطولونية التى تخلق زخرفة من بضعة فروع





وخطوط حلزونية تغطى الأرضية كلها، ويتجلى فيها الإبداع والبراعة النادرة. وقد يغطى التربيعة من الخشب الطولونى رسم تخطيطى، أو آخر موضوعاته نباتية تحيط به أشرطة من أقراص صغيرة محفورة، أو فروع مستديرة، أو مربعات، أو أشكال مستطيلة.

وفى متحف اللوفر بباريس قطعة من تربيعة من الخشب يرجع عهدها إلى العصر الطولونى. وتمثل زخرفتها طائرا تقليديا، جناحاه وساقاه على شكل فروع نباتية ونقوش حلزونية الشكل، كما أن فى دار الآثار العربية قطعة تمثل زخرفتها عصفورين متقابلين.

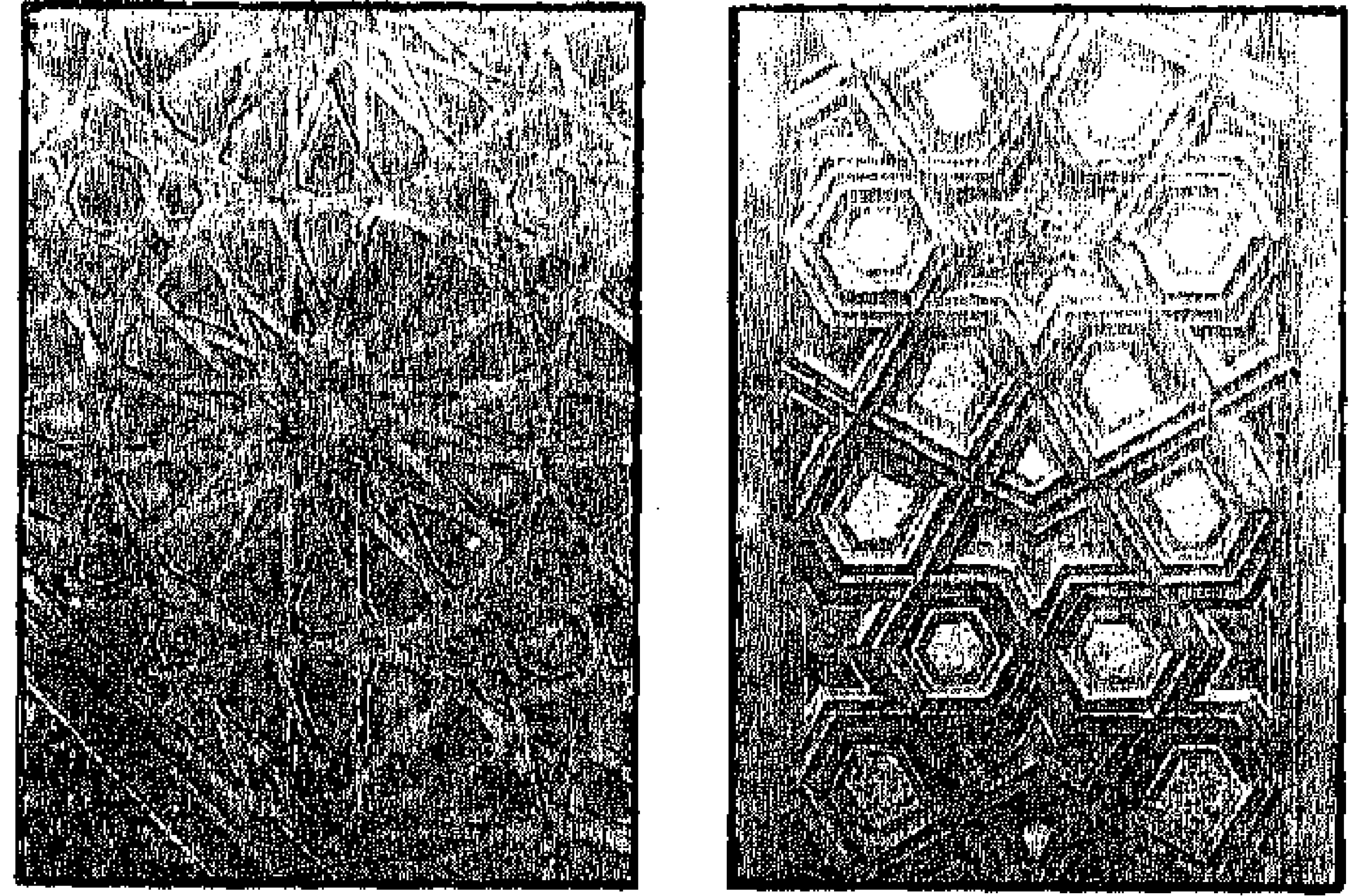
ونجد فى الأخشاب الطولونية التأثير العراقى الكبير الذى يميز هذا الفن فى خلال العصر الطولونى...

وتقودنا إلى هذه النتيجة أيضا التماثيل الخشبية التى اتخذها خمارويه، والتى لا نعرف عنها إلا ما ذكره المقريزى عن وصف «بيت الذهب» من أن خمارويه «جعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا، فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى يغنينه بأحسن تصوير وأبهج تزويق» (خطط المقريزى ١ / ٣١٦).

ولكن عبارة المقريزى لا توضح هل كانت هذه التماثيل بارزة كلها ويمكن فصلها عن الجدران، أو كانت منقوشة عليها بالبارز وتكون جزءا لا يتجزأ منها. ولكن الفرض الأول أكثر احتمالا؛ لأن المقريزى يضيف على عبارته سالفة الذكر أن خمارويه «جعل على رؤوس هذه التماثيل الأكاليل من الذهب الخالص الأبريز الرزين والكوادن المرصعة بأصناف الجواهر وفى آذانها الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة فى الحيطان ولونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب».

بقى علينا أن نشير إلى الأخشاب الطولونية ذات الكتابات؛ فإن للجامع الطولونى طرازا من الخشب تحت السقف بأعلى الجدران، عليه كتابة من آيات قرآنية حروفها من الكوفى البسيط المعاصر لبناء الجامع. وقد نقشت هذه الحروف بارزة فى الألواح الخشبية، وليست قطعا منفصلة ومسمرة فى الخشب كما ظن كوربت بك. وقد زعموا طويلا أن القرآن كله كان مكتوبا فى الإزار ولكن كوربت بك نفى احتمال ذلك مثبتا من عدد حروف القرآن وطول الإزار أن هذا لا يمكن أن يسع أكثر من $\frac{١}{١٧}$ من القرآن الكريم.

وكتابات الجامع الطولونى ليس فيها عناصر زخرفية فهى نموذج مما كان عليه الخط الكوفى قبل تطوره. والمعروف أن الحروف الكوفية لم يكن لها فى القرن التاسع الميلادى المسحة الزخرفية التى اكتسبتها فى العصور التالية؛ فإنها كانت لاتزال الحروف المربعة ذات الزوايا، بالرغم من أن الكوفى المشجر ثابت وجوده فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، كما يتبين من شاهد قبر محفوظ بدار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامى] وتاريخه ٢٤٣ هجرية (٨٥٧ م). وفضلا عن ذلك فقد لاحظ «فلورى» استعداد الحروف للتحول إلى زخرفة فى كتابة صغيرة تحيط بأحد الشبابيك الجصية المخرمة الموجودة فى الجامع الطولونى.



بقى علينا قبل أن نختم الكلام على الخشب الطولونى أن نشير إلى الأثر الذى كان لصناعته على الأخشاب الفاطمية فى القرن التالى، كما يتبين من باب جامع الحاكم، حيث أكثر التربيعات الخشبية تزينها زخارف نباتية عميقة الحفر وظاهر فيها تأثير الصناعة الطولونية (الفن الإسلامى فى مصر/ ٩١ ـ ٩٧، ٩٩).

وإليك ماجاء عن فن الحفر فى الخشب فى دليل متحف الفن الإسلامى من واقع ما يحتويه من تحف خشبية :

فى متحف الفن الإسلامى مجموعة طيبة من الأخشاب التى تنسب إلى مختلف العصور الإسلامية، عثر على عدد كبير منها فى حفائر الفسطاط وعين الصيرة ومعظمها من الأخشاب التى استعملت فى العمائر أو قطع الأثاث.

وأهم ما يلاحظ فى أخشاب العصر الأموى ٤١ ـ ١٣٢ هـ (٦٦١ ـ ٧٥٠ م) وضوح التأثيرات الساسانية والهلينستية والقبطية فيها، سواء فى طريقة الحفر العميق أو تصوير الطبيعة فى حفر العناصر الزخرفية، كعناقيد وأوراق العنب والورقة النباتية ذات الثلاثة الفصوص والفروع الملتوية التى تحصر بينها العناصر الزخرفية الموروثة عن الفن الهلينستى.

أما الأخشاب التى تنسب إلى صدر العصر العباسى (القرن ٢ ـ ٣ هـ) (القرن ٨ ـ ٩ م)، فتمتاز زخارفها بالدوائر ذوات المركز الواحد ورسوم العقود المتشابكة والمستطيلات الصغيرة المفرغة؛ ولكن التطور الفنى فى الحفر فى الخشب تأثر بقدوم ابن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) فقد أخذ يظهر فى صورة جديدة لم تكن معروفة فى مصر قبل ذلك، سواء فى تكوين العناصر الزخرفية أو فى طريقة الحفر، فالأخشاب الطولونية مزينة بزخرفة محفورة حفرا مائلا وتمثل بضعة فروع وخطوط، وقد يؤلف منها رسم تخطيطى محور عن الطبيعة لحيوان أو طائر. ويلاحظ أن هذا الأسلوب الجديد فى الحفر والزخرفة يذكرنا بأسلوب الطراز الأخير من طراز الزخرفة فى الجص العباسى فى سامرا.

أما أخشاب العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ ـ ١١٧١ م) فتوجد منها مجموعة طيبة فى حالة جيدة من الحفظ، وطبيعى أن أساليب الحفر فى الأخشاب التى تنسب إلى بداية هذا العصر، كانت لا تزال وثيقة الصلة بالأساليب التى كانت شائعة فى عصر الدولة الطولونية.

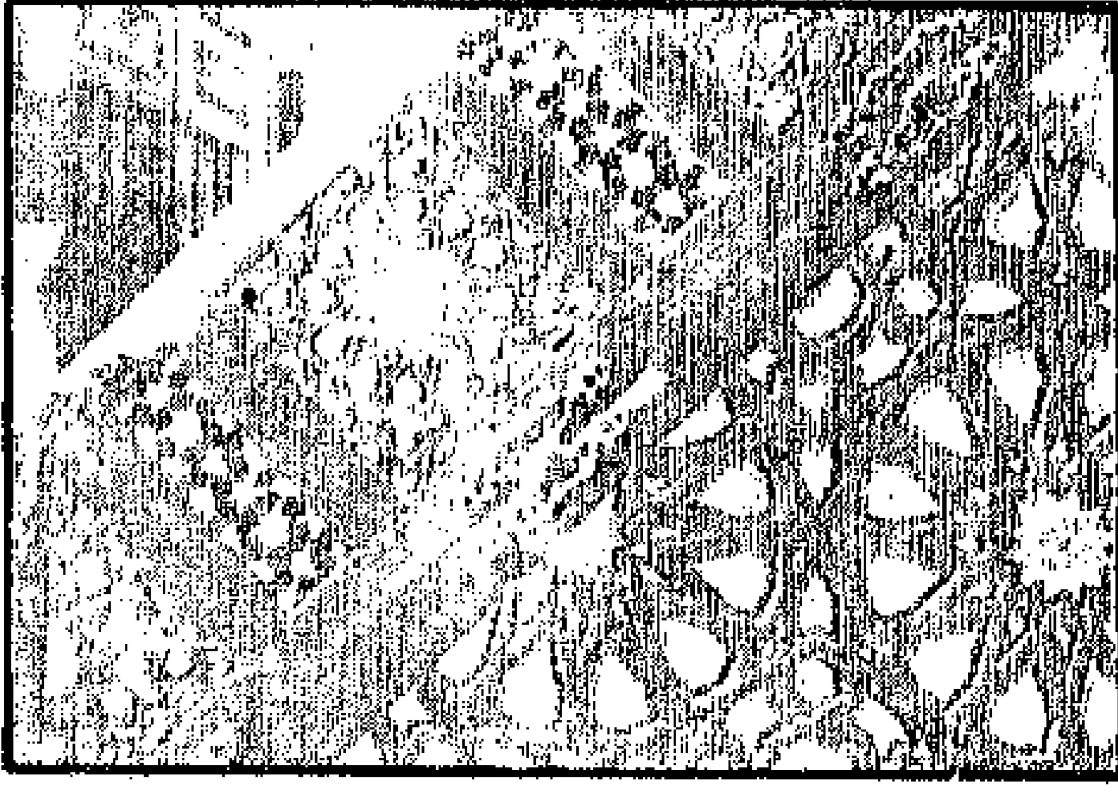
وبانتهاء عصر الخليفة الحاكم سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) تنتهى الفترة الأولى من عصر الفاطميين فى مصر وتبدأ الفترة الثانية التى تشمل حكم الخليفتين الظاهر والمستنصر والتى تطور فيها الحفر فى الخشب إلى أقصى ما بلغه فى عهد هذه الدولة. بدأت الفترة الثانية حيث أخذت الأساليب الزخرفية الطولونية تختفى تدريجيا بينما زادت الدقة فى الحفر والإتقان العظيم فى نقش الفروع النباتية والأوراق فضلا عن التوفيق العظيم فى استعمال رسوم الحيوانات والطيور عنصرا زخرفيا وتمثيل الطبيعة فى إخراج هذه الزخارف أصدق تمثيل. ومن أبرز أمثلة الحفر فى الخشب لهذه الفترة مجموعة من ألواح خشبية عثر عليها بمارستان قلاوون ولكن طراز زخارفها يشهد بأنها ترجع إلى العصر الفاطمى.

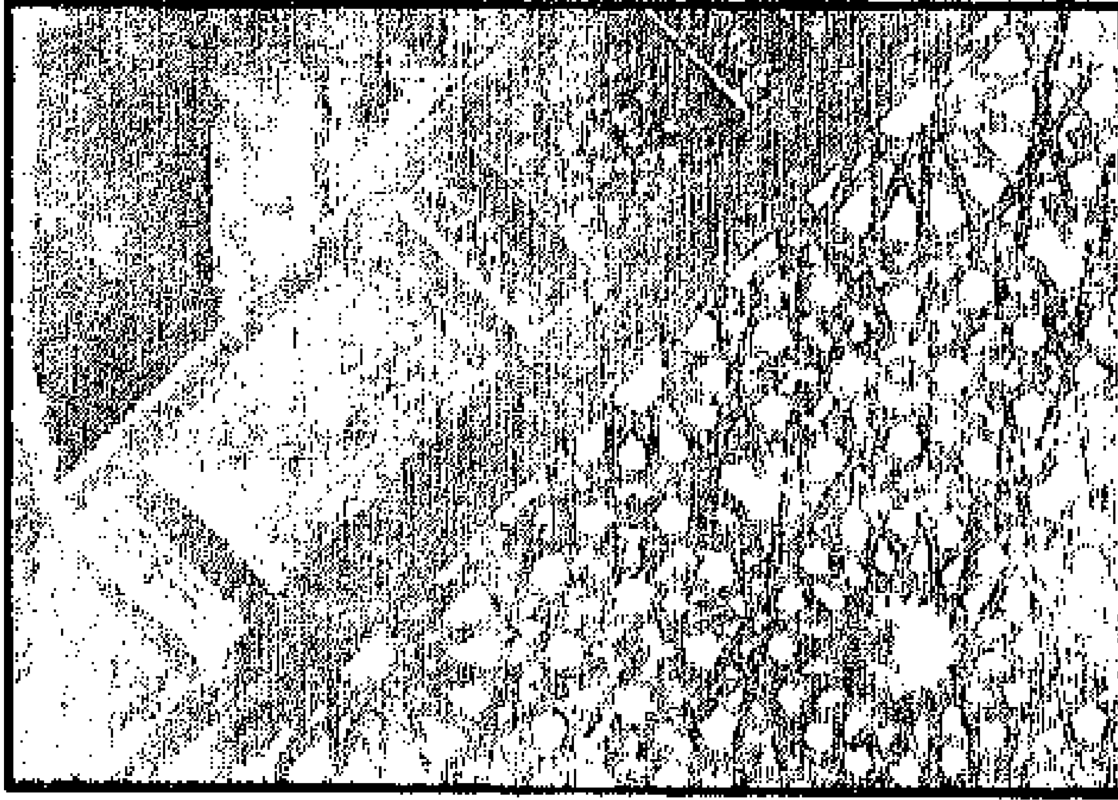
والجديد فى زخارف هذه الألواح (وهى معروضة فى القاعة ٦) أنها تضم رسوما كثيرة لأشكال آدمية فى مناظر صيد أو موسيقى أو رقص وطرب وغير ذلك من المناظر التى تصور الحياة الاجتماعية لهذا العصر، كما أن هذه الزخارف توجد داخل مناطق ذات أرضية نباتية بالنقش البارز فى مستوى أقل بروزا من مستوى الرسوم الآدمية، ومعنى ذلك أن الزخارف فى الحفر على هذه الألواح فى أكثر من مستوى واحد.

أما التحف الخشبية التى ترجع إلى الفترة الأخيرة من حكم الفاطميين ابتداء من عصر المستعلى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) فأهم ما تمتاز به أن الفنان بدأ يتجه نحو زخرفة المساحات الكبيرة من غير أن تكون الزخرفة فيها وحدة مستمرة لأن زخرفة هذه المساحات كانت عن طريق تجميع عدة حشوات صغيرة ذات أشكال نجمية أو مسدسة، وعلى كل حشوة منها زخرفة قائمة بذاتها. وفى محراب السيدة رقية المعروض فى المتحف الإسلامى (انظر الصورة) مثال واضح لهذا التطور فى زخارف أخشاب هذه الفترة. أما العناصر الزخرفية لهذه التحف فتتألف من رسوم هندسية وأخرى نباتية فى غاية الدقة وتشتمل على سيقان ووريقات بينها أوراق العنب وحباته مرسومة فى أسلوب يمثل الطبيعة أحسن تمثيل. كما أن الكتابات الكوفية أذنت بالتجويف وببداية الخط النسخ، هذا إلى جانب استمرار استخدام رسوم الطيور والحيوانات فى الزخارف غير أن هذه الرسوم كانت أقل تفاصيلا من مثيلاتها فى القرن الخامس الهجرى (١١ م).

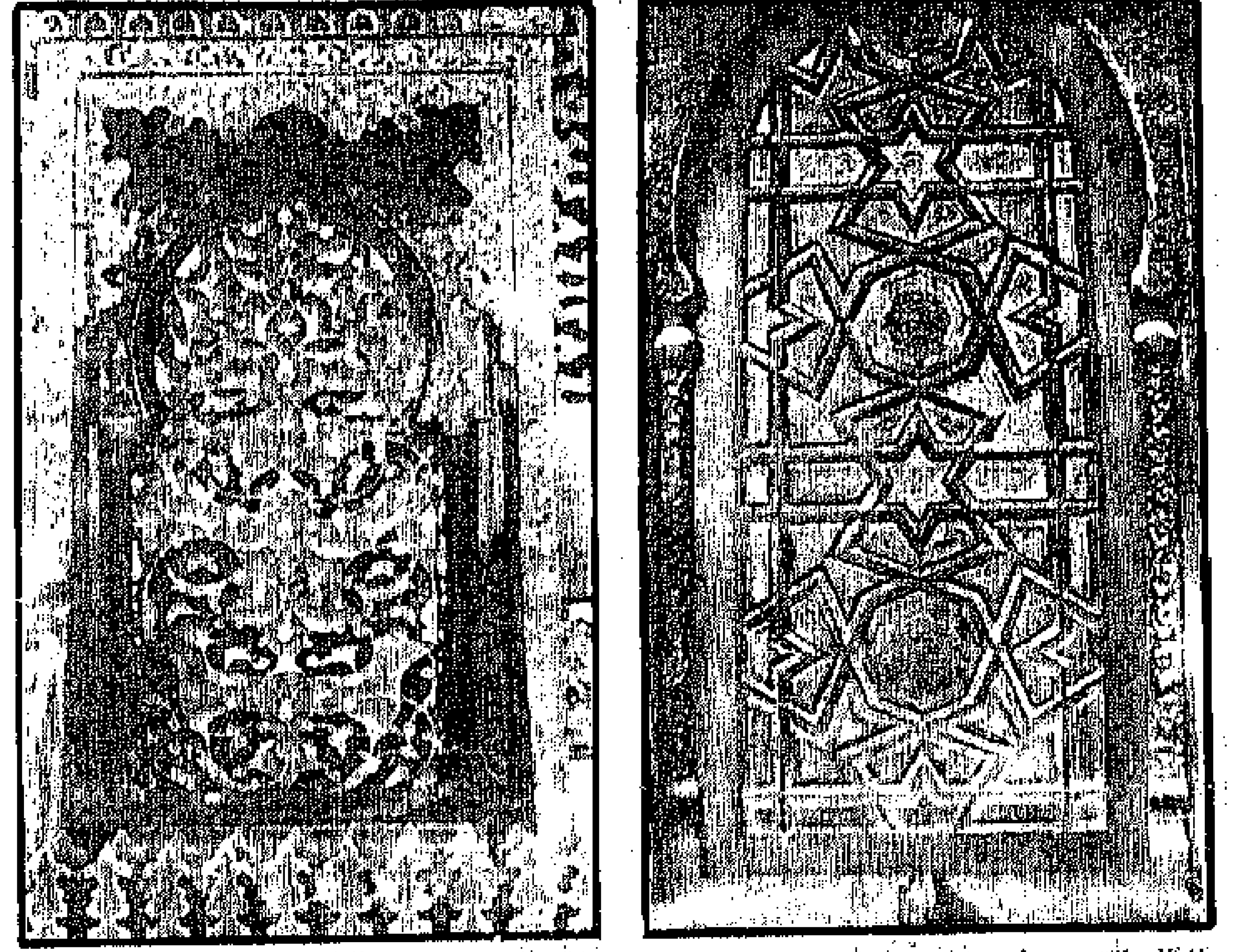
أما فى عصر الدولة الأيوبية (٥٦٤ ـ ٦٤٨ هـ) (١١٦٨ ـ ١٢٥٠ م) فقد احتفظت صناعة الحفر على الخشب فى هذا العصر بالأساليب الفنية التى كانت مستعملة فى نهاية العصر الفاطمى، ولكن الذى نلاحظه فى التحف الأيوبية أن الخط النسخ يحل محل الخط الكوفى فى معظم الحالات وأن الزخارف النباتية فى الحشوات تزداد دقة وإبداعا كما أن زخارف بعض الحشوات، وخصوصا التى ترجع إلى صدر هذه الدولة وتنسب إلى سوريا، تظهر فيها التأثيرات السلجوقية بوضوح.

أما فى عصر دولتى المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) فقد استطاع الفنان أن يبدع فى زخرفة الحشوات





بالرسوم الدقيقة وأصبح العنصر الزخرفى السائد فى ترتيب الحشوات تجميعها بحيث تؤلف أطباقا نجمية وأجزاء من أطباق. أما رسوم الحشوات فكانت تمتاز بأنواع المراوح النخيلية والفروع النباتية والوريقات وما إلى ذلك مما تبدو فيه الثروة الزخرفية جلية واضحة. وطبيعى أن استعمال هذه الحشوات المتكررة جعل زخارف الخشب المملوكى خالية من أى موضوع زخرفى رئيسى يظهر بوضوح بين تفاصيل ثانوية تحف به. وأقبل الفنان فى عصر المماليك على إنتاج التحف الدقيقة ولا سيما المنابر والخزانات والأبواب والكراسى والدكك، كما ازدهرت أساليب أخرى فى زخرفة الخشب كتطعيم الحشوات بخيوط أو أشرطة رفيعة من نوع آخر من الخشب أغلى ثمنا وأندر وجودا أو بالعاج والعظم، كما استخدم الفنان أيضا طريقة الترصيع وذلك بأن يكسو التحفة الخشبية بطبقة دقيقة من الفسيفساء تتألف فى الغالب من قطع صغيرة من الأبنوس والسن وتلصق على السطح كله، كما كانت بعض الأخشاب تزخرف بنقوش ملونة ومذهبة تتألف من زخارف نباتية أو كتابات ورنوك.



وقد ازدهرت فى هذا العصر صناعة الشبكيات من الخشب المخروط حيث استعملت فى صناعة المشربيات التى تكسو واجهات المنازل وفى مقصورات المساجد. وكانت فتحات العيون فى المشربيات تتفاوت اتساعا بأن يملأ بعضها بقطع من الخشب المخروط لتؤلف كتابات أو رسوما.

ومنذ نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥ م) كان للعوامل الاقتصادية والسياسية أثرها فى الضعف الذى تسرب إلى هذا الفن وغيره من الفنون الأخرى فقلّ ظهور الرسوم الزخرفية كما استخدم العظم بدلا من العاج فى التطعيم وكثر استعمال الحشوات البسيطة الخالية من الزخارف والمهيأة فى خشب التحفة نفسه بدلا من الحشوات ذات الزخارف المحفورة والمطعمة بالعاج التى امتاز بها العصر المملوكى الزاهر.

(دليل متحف الفن الإسلامى / ٤١ـ٤٤).

ويوجد فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ثلاثة محاريب خشبية، نقالى، تعود إلى القرن ١٢ م. أبدعها محراب السيدة نفيسة وتزين حنيته عناصر نباتية وأشرطة هندسية تكوّن أشكالا متعددة الأضلاع، وله إطار مزين بالخط الكوفى المزخرف الذى يقترب ـ بسبب طبيعته اللينة ـ من الخط النسخى. وظهر المحراب مقسم إلى حشوات مستطيلة ذات نسب مختلفة زخارفها نباتية وهندسية، ورقة وانسجام وتكامل زخارف هذا المحراب، تذكرنا بالقدرة الفائقة على جمع أسلوبين من أساليب الزخرفة فى وحدة واحدة، وهما الأسلوب الهندسى العلمى وأسلوب الأرابسك الذى يعتمد على الخط اللين يدفعه الشوق الصوفى إلى الملاذ الأعلى فى المطلق (الفن الإسلامى / ٢٨٢، ٢٨٣).

وعن فن الحفر فى الخشب عند المسلمين يقول الأستاذ أنور الرفاعى.

فأما فى الخشب فقد وصلنا من العصرين الأموى والعباسى عدة أمثلة منها حشوات فى المسجد الأقصى بالقدس. وباب أموى، فى الغالب، مملوء بالزخارف الهندسية والنباتية، ومنبر جامع عقبة فى القيروان، المتميز بالإتقان. ويبدو أن الحفر الخشبى تقدم فى مصر فى العهد الطولونى ولكنه بلغ أوجه فى العصر الفاطمى إذ دقت الزخرفة وظهر التفريغ الدقيق.

ومن أمثلة ذلك تابوت قبر سكينة (فى دمشق). وظلت هذه الصناعة محتفظة بأساليبها وانتشارها فى العهد الأيوبى والمملوكى وقد تركت لنا عددا كبيرا من المحاريب والنوافذ والحواجز والمنابر والتوابيت. (كتابوت صلاح الدين بدمشق) وقد تأثر الحفر فى العهد السلجوقى فى إيران وآسيا الصغرى بأساليب الشام ومصر وترك لنا تحفا محدودة كما تأثرها حفارو الأندلس. غير أن العصر المغولى والتيمورى أدخل على الزخارف الخشبية عناصر جديدة أكثر حياة وشبها بالطبيعة من الزخرفة الفاطمية (تاريخ الفن / ١٦٥، ١٦٧).

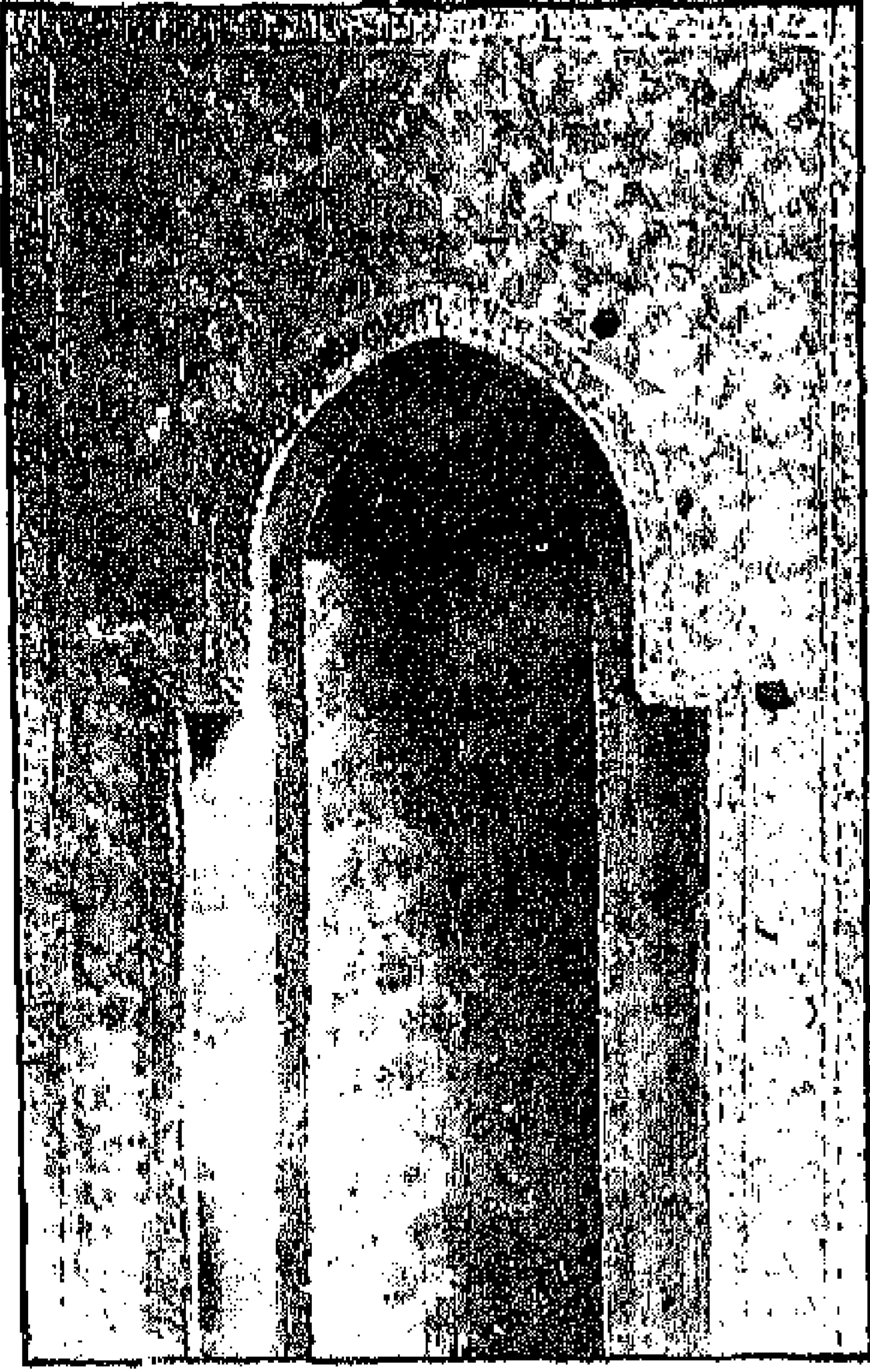
ويقول الدكتور عبد الرحمن زكى:

وتابوت الإمام الشافعى يعتبر أروع ما وصل إلينا من التحف الخشبية الأيوبية، وهو مصنوع من خشب الساج على هيئة منشور مستطيل يعلوه جزء هرمى الشكل، وجميع جوانبه

الأربعة مغطاة بحشوات منقوشة بزخارف نباتية دقيقة الصنع.

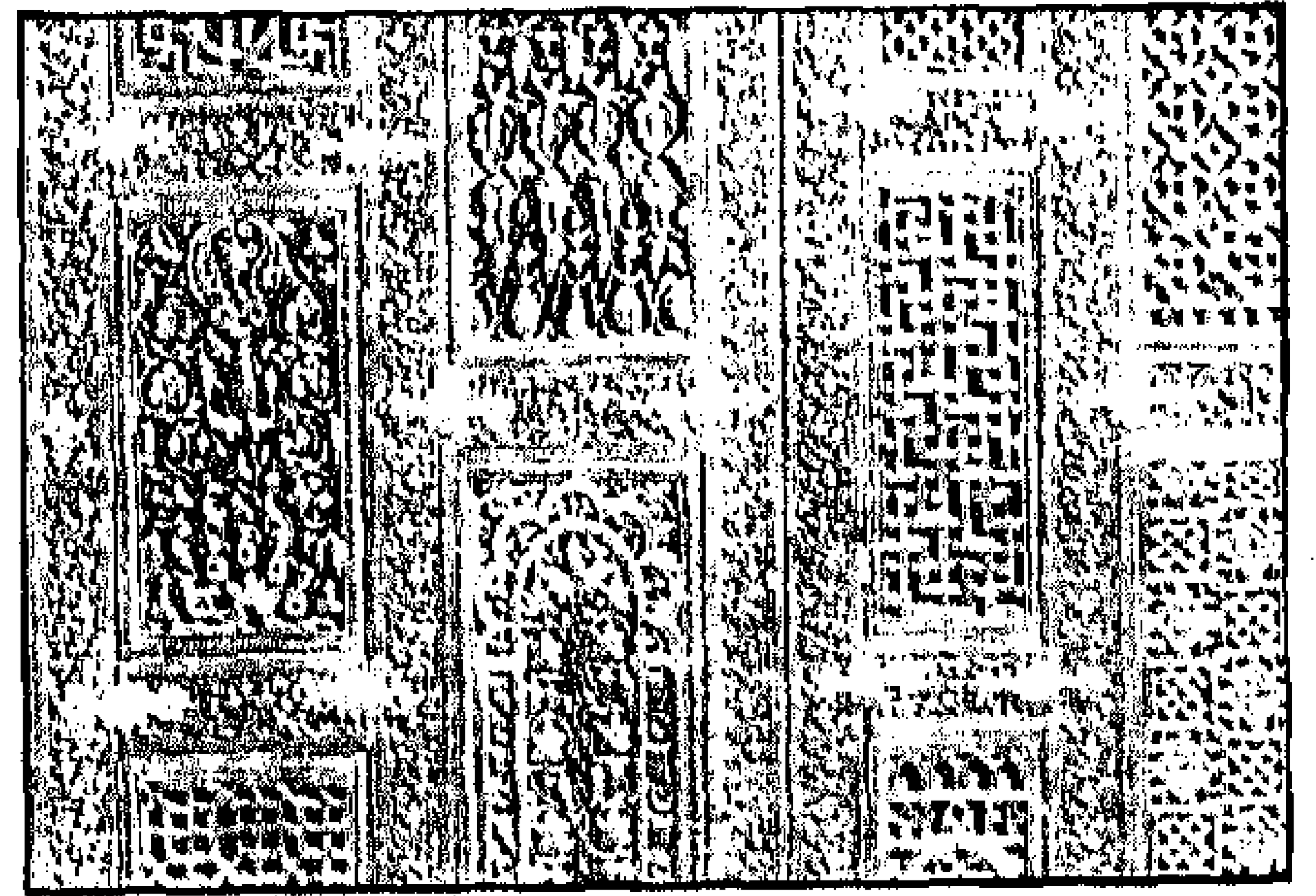
والنصوص التى نقرؤها على هذا التابوت تنقسم قسمين: قسم بالخط الكوفى مثبت على حشوة كبيرة بمقدمة التابوت، وقسم منقوش فى نهاية الجزء الهرمى الذى يعلو التابوت وهو بالخط النسخ والنص هو: «عمل هذا الضريح المبارك للإمام الفقيه أبى عبد الله بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه الله صنعت (كذا) عبيد النجار».

وإلى جوار تابوت الإمام الشافعى يوجد تابوت آخر موضوع فوق تربة زوجة الملك العادل وهو لا يقل أهمية من الناحية الفنية أو التاريخية عن تابوت الإمام الشافعى، وهو مصنوع من الخشب وتتألف جوانبه من حشوات مجمعة ذات زخارف نباتية دقيقة تؤلف فيما بينها أطباقا نجمية ويتضمن نصا تاريخيا بالخط النسخ (الفن الإسلامى/ ٤٤، ٤٥).



لوحة (٦٥) محراب من الخشب المزخرف بالحفر — من مشهد السيدة رقية — القرن ١٢ م.

وأنفس قطع الخشب المحفورة التى وصلتنا تعود إلى عهد الخليفة هارون الرشيد، وأهمها منبر جامع القيروان فى تونس (انظر الصورة)، وقد زخرف حسب الطراز العباسى، واستعملت فيه أشكال أغصان دالية العنب المتداخلة، وعليها أوراقها، ومعها أكواز الصنوبر بدلا من عناقيد العنب، ويعد منبر جامع القيروان تحفة نادرة لمدرسة بغداد فى فن الحفر على الخشب؛ وتدل الزخارف على براعة فائقة فى تنفيذ التفاصيل الدقيقة على السطوح النافرة، والتضاريس المختلفة.



١٧ - تفصيل لمنبر القيروان بتونس

وقد استمر استعمال أشكال الصنوبر الذى ظهر أول مرة فى العهد الأموى حتى العهود اللاحقة، وأصبح أحد العناصر الزخرفية الهامة فى الزخرف الإسلامى والرقش، كما استعملت اللوحات الخشبية المحفورة أو الحشوات فى تزيين السقوف والأبواب، وبعضها لوّن بألوان جميلة جذابة بالإضافة إلى تحفيرها (الأمويون. والعباسيون. الأندلسيون/ ١٢٠).

(الفن الإسلامى فى مصر - د. زكى محمد حسن. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية ١٩٩٤/ ٩١ - ٩٧، ٩٩ ودليل متحف الفن الإسلامى/ ٤١ - ٤٤، والفن الإسلامى - أبو صالح الألفى/ ٢٨٢، ٢٨٣، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعى/ ١٦٥، ١٦٧، والفن الإسلامى - د. عبد الرحمن زكى/ ٤٤، ٤٥، والأمويون. والعباسيون. الأندلسيون - وجدان على نايف/ ١٢٠. انظر أيضا «الفنون الزخرفية» - د. سعاد ماهر. دراسات فى الحضارة الإسلامية الهيئة المصرية

العامة للكتاب ١٩٨٥، المجلد الأول/ ٣١٥ ـ ٣٢١، والفنون الإسلامية ـ م. س. ديماند ــ ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم د. أحمد فكرى / ١١٥ ـ ١٣٠ والفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ـ د. ربيع حامد خليفة / ٦٣ ـ ١٥٠).

*** الخَشْخَاش:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب:

ويسمى الخشخاش فى مصر أيضا (أبو النوم). وتستعمله النساء لنوم الأطفال أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى

قال:

الخشخاش: «ع» منه بستانى، وبزره أبيض، ومنه برى، وبزره أسود، وله رءوس إلى العرض مائلة، ومنه صنف ثالث برى أصغر من هذين الصنفين، وأشد كراهة، وله رءوس مستطيلة. وجميع الخشخاش قوته قوة تبرد، والخشخاش الذى يزرع فى المناهل، بزره ينوم تنويما معتدلا قصدا، ولذلك صار الناس ينثرون منه على الخبز، ويأكلونه، ويخلطونه بالعسل. والثانى من جنس الأدوية. والدوائية عليه أغلب، ويبرد تبريدا بليغا. والثالث هو أكثر دخولا فى جنس الأدوية، ويبلغ من شدة تبريده أن يحدث خدرا وتماوتا، فلا يستعمله إلا الطبيب المجيد، ليكسر قوة تبريده، لأنها فى الدرجة الأخيرة الرابعة من درجات الأشياء المبردة. والأبيض منه إذا سحق الرأس منه كما هو بقشره، وحمل على مقدم الدماغ، سكن الصداع الحار ونوم، وإذا سحق الرأس كما هو بقشره وأضيف إلى مثله حلبة مسحوقة، وطبخ بماء أو ماء ورد، بحسب حرارة العلة، ووضع على الرمد فى ابتدائه، سكن الوجع، وردع المادة، وإذا خلط بالأدوية النافعة من السهال، بحسب استعماله مطبوخة أو ممسكة، نفع من السعال الرقيق المادة، بأن يغلظها، ومن الحارة بأن يعدلها، ومما ينصب من الدماغ، بأن يمنعه من انصباب المواد إلى الحلق.

«ج» خشخاش أبيض: هو البستانى، وهو أصلح الخشاخيش للأكل، وأجوده الحديث الرزين، وهو بارد رطب فى الدرجة الثانية، وقيل فى الثالثة، وقيل إنه يابس فى الثانية، وهو نافع من السعال البارد، ونوازل الصدر، ونفث الدم، والمواد الحارة النازلة من الرأس... وقشره أشد تقويما من بزره إذا طبخ وصب ماؤه على الرأس، والأسود هو البرى المصرى. وهو بارد يابس فى الثالثة، وقيل فى الرابعة، وقد يستعمل فى وجع العين إذا اشتد عند الضرورة إليه، على خطر فيه، وهو نافع من شدة حرارة الكبد، وقدر ما يؤخذ منه دانقان، وهو منوم مخدر، يحتمل فى فتيلة فينوم وخشخاش بحرى، ثمرته معقفة كقرن الثور ويعرف بالمقرّن، وهو مقطّع شديد الجلاء، يطلى به النقرس مع اللبن.

«ف» الخشخاش الأبيض معروف. وهو صنفان: برى وبستانى، ينفع من السعال والنوازل فى الصدر، وجرمه يحبس البطن، وماؤه يُسهل. الشربة منه: ثلاثة دراهم. والأسود برى وبستانى، وأجوده المصرى الحديث الرزين، وهو بارد يابس فى الثانية وينقى الصدر، وبالشراب للإسهال المزمن، ومنه يصنع الأفيون، أى من عصارته، وهو من الأدوية المسبتة، إذا دق وأغلى وصب ماؤه على الرأس ينفع من الصداع الحادث من إحراق الشمس، ومن الحرارة التى فى البدن، فإذا أحرق وأخذ رماده، وطلى على الجرب مع دهن الخل ودهن الورد فى الحمام، وترك حتى ينزل من تلقاء نفسه بالعرق، نفع مزمنه. والمقرّن البحرى مقطّع، شديد الجلاء، وورقه نافع من القروح الوسخة، ويأكل اللحم الزائد، ويقطع الخشكريشات، وكذلك زهره، ولا يصلح للقروح الظاهرة لفرط جلائه. (المعتمد ١/ ١٢٧، ١٢٨).

كما أورده الشيخ داود الأنطاكى فقال عنه: الخشخاش: إذا أطلق يراد به النبات المعروف فى مصر بأبى النوم وهو أبيض هو أجوده وأحمر أعدله وأسود أشده قطعا وأفعالا وزهر

كل كلونه وقد يزهر أصفر وله أوراق إلى خشونة ما ويطول إلى نحو ذراع ويخلف هـذا الزهر رؤوسا مستديرة غليظـة الوسط يجمع آخرها قمعـا يشبه الجلنار لكـن أدق تشريفـا وداخلها نقطة كان تلك النشاريف خطوط خارجة منها وداخلها هذه بزر مستدير صغير كمـا ذكرنا من الألوان وقد تكـون الحبة الواحدة ذات ألـوان كثيرة وكلـه إما بـرى مشرف الـورق مزغب كثيـرا أو بستانى ويزرع الخشخاش بأواخر طوبة إلى تمام أمشير ويدرك ببرمـودة ومنه يستخـرج الأفيون والخشخـاش بارد يـابس لكن الأسـود من البـرى فى الـرابعـة والأبيض البستـانى فى الأول وغيرهمـا فى الثالثة هـذا من حيث جملته فإذا فصل كـان بزره حـارا رطبـا فى الثانيـة على الأرجح وقشره كمـا سبق فإذا دق بجملته رطبا وقرص كـان مرقدا جـالبا للنوم مجففـا للرطـوبة محللا لـلأورام قاطعـا للسعال وأوجاع الصـدر الحارة وحـرقة البول والإسهال المـزمن والعطش شربا وطـلاء ونطولا وكذا إن طبخ بجملته بعد الإنضـاج لكن يكون أضعف ويفعل قشـره كذلك أما بـزره فنافع لخشونة الصـدر والقصبة وضعف الكبد والكلى مسمن للبدن تسمينا جيدا إذا لوزم على أكله صبـاحا ومسـاء أو خبـز مع الـدقيق ومتى أضيف إلى مثلـه من اللـوز وعمل حشـوا وشـرب سمن المهـازيل وقـوى الكلى وأذهب الحـرقة وولـد الـدم الجيـد وقشره يقطع الـزحيـر والثقل مع النيمرشت شربا ويحلل الأورام بـدقيق الشعير طلاء وإذا نقع فى مـاء الكـزبـرة وعمل طلاء علـى الجمرة والقـروح والنملـة السـاعية أذهبهـا ويصب طبيخه على الـرأس فيشفى صداعـه وأنواع الجنـون كالبـرسام والمـاليخوليا وزهـره عظيم النفع فى المراقد ويقع فى الأكحال لأجل الحرقة وقروح القرنية والإكثار منـه يسـدر ويثبت والأبيض يضـر الـرئة ويصلحـه العسل أو المصطكى والأسود الرأس ويصلحه المـرزنجوش والشربة من زهره إلى نصف درهم ومن قشره إلـى درهم ومن بزره إلى عشرة والأسود نصف ما ذكر وبدله الخس.

والخشخاش الـزبدى نبت طـويل الأوراق مزغـب الساق أبيض جـلاء حـاد مقطع والخشخـاش المقـرن نبت لـه ورق كالجرجير يشبه المنشار فى تشريفه له زهر أصفر يخلف قرونا معوجة فيهـا بزر كالحلبة حار يابس فى الثـالثة يقطع الأخلاط الغليظة اللـزجة بالقيء والإسهال وينفع من الاستسقـاء وربما اشتبه بـالجبلهنك والفـرق بينهما عـدم صفرة هـذا والمعروف بجلجلان الحبشـة هو الخشخاش البـرى لا المقرن والـزبدى خلافا لمن زعمه (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٤٠).

وقال عنه القزوينى :

الخشخاش : يـورث النعاس كـالخس وهو أبيـض وأسود وأحمر وأمـا الأبيض فنافع للسعال جدا من نـوازل الصدر ومع العسل ... وأما الأسود فمنوم جدا وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع بـه، عصارة المصرى تسمـى أفيونا، وهـو مخدر مسكن كل وجع شربا وطلاء، الشربة منه مقدار عدسة، وإذا طلى به الرأس سكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس سكن وجعه (غرائب المخلوقات/ ١٨٦).

وقد بسط ابن سينـا الكلام عليه وتناول الخصـائص الطبية لأنواعه المختلفة فقال :

الخشخاش أصناف كثيرة، منها البستانى. ويتخذ من بزره خبـز يـؤكل فى الصحة. وقـد يستعمل أيضـا مع العسل بـدل السمسم، رأس هـذا الصنف مستطيل، وبزره أبيض. ومنهـا البرى، لـه رؤوس إلى العرض، وبـزره أسود. ومن النـاس من يسميه راوس، لأنـه تسيل منه رطوبـة لينة. ومنـه صنف ثالث برى، أصغر من الصنفين، وأشد كراهة، له رؤوس مستطيلة، وقـوة الثلاثـة الأصناف مبـردة. وينبغى أن تدق الـرؤوس وهى طرية، ويعمل منها أقراص ويجفف ويخزن.

وأما صمغة الخشخاش، فإنمـا تستخرج إذا زال عنه الظل الـذى يقع على النبـات، بـأن يشق بـالسكين حـول رأس الخشخـاش شقا رقيقـا، بقدر مـا لا يثقب، ويشرط جـوانب الخشخاش شـرطا ابتداؤه من الشق الأول مارا على استقـامة، ولا يعمق الشرط. فإذا نبع لبنه وصمغه أخذ بالإصبع، ويجمع فى صدفة، وعلى هذا، كلمـا نبع مسح، وجمع فيها وقتا بعد وقت، فإنـه إذا مسح مـوضع الشـرط وتـركه قليـلا، وجـد من الصمغة شيئا قد ظهر طول النهار، ومن الغد، ينبغى أن تؤخذ هـذه الصمغـة وتسحق على صـلابـة، ويعمل منهـا أقـراص الخشخاش، ويخزن.

ومن الخشخاش صنف آخر سـواحلى. وهو نبات له ورق

عليه زغب، مسرف الطرف كسرمق المنشار، مثل ورق الخشخاش البرى. وساق شبيه بساقه، وله زهر أصفر، وثمر صغار بغلف منحن كالقرون، وفيه بزر أسود صغار، وشبيه ببزر الخشخاش الأسود. وينبت أصله على وجه الأرض. غليظ أسود. ينبت فى سواحل البحر وأماكن خشنة. ومن الناس من غلط وظن أنه يستخرج من هذا النبات.

ومن الخشخاش صنف آخر يسمى الخشخاش الزبدى. وإنما سمى بهذا الاسم لأنه يشبه بالزبد فى بياضه، له ساق طوله نحو من شبر، وورق صغار، وله ثمر وهذا النبات كله أبيض. وساقه، وورقه، وثمره، شبه الزبد. وله أصل دقيق. ويجمع ثمره متى استكمل الفطم، وذلك يكون فى الصيف. وإذا جمع جفف وخزن. أجوده وأسلمه الأبيض. يجب أن تدق رؤوس الخشخاش من كل صنف طريا، ويقرص ويخزن ويستعمل. وأجود ما يكون من صمغه شديد السريح من الطعم، حين الذوب، لينا، أملس، أبيض، ليس بخشن، ولا يجمد إذا خلط بالماء، كما يجمد الموم. وإذا وضع فى الشمس ذاب. وإذا قدم من لهيب السراج اشتعل، وإذا اطفىء كانت رائحته قوية. قيل: إنه يظلم العين، ويثقل السمع، وقال إدريوس الحكيم: إن هذا الدواء لولا أنه يغش لكان يعمى من يكتحل به. وقال آخر إنما ينتفع به من الرائحة فقط لينوِّم، وأما فى سائر الأشياء فهو ضار وقد ـ لعمرى ـ إنهم غلطوا، وخالفوا ما يتعرف بالتجارب من قوة هذا الدواء، فإن ما يظهر منه عند التجارب يدل على حقيقة ما أخبرنا من فعله.

أصناف الخشخاش مبرده، وليس فيه تغذية يتغذى بها. والأسود منه مغلظ، مجفف، والخشخاش البحرى المقرن الذى ثمرته معقفة كقرن الثور، حار، مقطع، شديدُ الجلاء، وزهره البرى منه ينقى آثار قروح عين المواشى. وَرَقُ المقرن الساحلى نافع من القروح الوسخة، ويأكل اللحم الزائد لجلائه، ويقلع الخشكريات (النتوءات). وكذلك زهره، ولا يصلح للقروح الظاهرة لفرط جلائه. والبرى يتخذ منه ضماد بالزيت على القرح فيقلعها. يطلى البحرى مع اللبن على النقرس فينفع، وإذا طبخ أصل الخشخاش البرى ليذهب النصف، وسقى، نفع من عرق النسا. منوم. وخاصة الأسود مخدر. وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع وكذلك إذا نطل بطبيخه، والزبدى منه إذا بقى شربا فى ماء القراطن انتفع به المصروعون، من جهة أنه ينقى معدهم خاصة. ودهنه مع دهن الورد صالح للصداع إذا سرغ به الرأس. على أن اجتنابه ما أمكن أولى. فقد يقطر طبيخه فى الأذن الشديدة الألم فيسكن وجعها.

يستعمل البارد فى أوجاع العين الشديدة عند الضرورة، وفيه خطر، كما قلنا فى الأفيون، إلا أن يخلط ببعض الأدوية المانعة لمضرته، فيقل ضرره. نافع من السعال الحار، والنوازل إلى الصدر، ومن نفث الدم، وقد يتخذ منه لعوق نافع لذلك جدا، وخصوصا إذا خلط بأقاقيا وعصارة لحية التيس (اسم نبات). قال ابن ماسويه: إن بزر الأسود ينقى الصدر. وأما القشر فالأظهر من حاله أنه يعسر النفس، وفى جميع بزره تنقية. نافع من رطوبات المعدة. والبحرى المقرن منه إذا طبخ أصله بالماء حتى ينتصف الماء، نفع من علل الكبد، ولمن فى بطنه، خلط غليظ. وبزر الزبدى منه ينقى. وقيل هذا فى البرى أيضا. الأبيض الأسود إذا دق ناعما وسقى بالشراب الأسود العفص قطع الإسهال المزمن، وليس يجلو طبيعته من قسوة مطلقة. ومع ذلك ينحل فى الماء، وطبيخه القوى للطبخ إذا حقن نفع الدوسنطاريا، وإذا شرب بزره بشراب قراطن لين الطبيعة، وإذا سقى من الزبدى قدر أكسوف فى ماء القراطن قيًّا ويسهل بزر الزبدى البلغم (القانون فى الطب / ٢٩٩ـ٣٠٣).

وعن زراعة الخشخاش جاء ما يلى فى مفتاح الراحة:

قال ابن وحشية: وهذا نبات مشهور فى أكثر البلدان، وهو نوعان: أبيض وأسود، أعنى بزره، وقد يطحن الأبيض منه، ويؤكل خبزه بعد أن يعجن ويخبز، فيغذو البدن، وينبغى أن يؤكل خبزه مع الحلاوات، وهو نبات شتوى يحب الأرض التى يخالط تربتها رمل، والتى فيها أدنى رطوبة ونز، والتى قد استنقعت، ويعيش بريح الشمال والغربية، ويذبل إن دامت عليه الجنوب الخالصة. وقد ينبت منه شىء لنفسه فى البرارى والقفار، ويورد وردا نصف الوردة الفوقى أسود، ونصفها الآخر أبيض، وينبغى ألا يقرب أحد هذا النبات فإنه

سم قاتل. وليس يحتاج الخشخاش البستاني إلى إصلاح ولا إلى علاج، لقلة ما يعرض له من الآفات. وهو يزرع على وجهين، نثرا على الماء، ثم يغطى إذا نصب. أو يؤخذ منه برؤوس الأصابع فيجعل في حفائر صغار، ثم يطمر بالتراب. ومن أراد أن يكثر زريعته، فليزرعه في غلفه، فإذا زرع هكذا نبت منه أصل كثير، يكون منه قضب كثيرة إلا أنه يبطيء، ويحتاج قبل زرعه أن تحرث له الأرض بشبر نصف ثم يزرع فيها.

الوصف والتشبيه: (الوافر)

وخشخاش كأنا منه نفرى
قميص زبرجد عن جسم در
كأقداح من البلور صيغت
بأغشية من الديباج خضر

(مفتاح الراحة / ١٣٢)

وقد أورد السيوطى هذين البيتين فى حسن المحاضرة (٢ / ٤٢٨) ونسبهما لابن وكيع.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٧، ١٢٨، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٠، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٦، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٢٩٩ ـ ٣٠٣، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقى العمد / ١٣٢، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٤٢٨. انظر أيضا معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع محمود مصطفى الدمياطى / ٥٢).

*** خشداش:**

معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش، أى الزميل فى الخدمة. والخشداشية أو الخجداشية أو الخواجداشية فى اصطلاح عصر المماليك بمصر: الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٠).

*** خشقدم الأحمدى:**

انظر: خشقدم اللالا.

***خشقدم الأحمدى (جامع ـ) أثر: ١٥٣**

وصفه على باشا مبارك كما كان فى زمانه فقال:

هذا المسجد بشارع درب الحصر من خط الخليفة. وله باب على الشارع وآخر داخل درب الحصر، وبه إيوانان ومنبر ودكة تبليغ من الخشب تحتها عمودان من الرخام، وبأعلاها لوح رخام منقوش فيه بليقة ذهبية: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾** وبدائره إزار خشب مكتوب فيه أسماء الله الحسنى، وتاريخ سنة سبعين وثمانمائة. وله مطهرة ومنارة، وهو الآن مقام الشعائر مع قلة أوقافه، وهو تحت نظر الديوان.

ولعل هذا الجامع هو جامع خشقدم اللالا الذى ذكره السخاوى فى الضوء اللامع اهـ.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٢).

*** خشقدم (حارة):**

حارة خشقدم أو خوشقدم ذكرها على باشا مبارك فى خططه عند الكلام على شارع العقادين وكان يعرف أيضا بشارع الشوايين (ويعرف الآن بشارع الغورية) يقول على مبارك: وآخره باب سوق المؤيد الذى فى مقابلة زاوية سالم. وعلى يسار المار بهذا الشارع باب حارة خوشقدم، وهى حارة الديلم التى ذكرها المقريزى، وكانت كبيرة جدا، فإن درب الأتراك الذى تجاه سور الجامع الأزهر القبلى أصله منها، واليوم يفصل بينهما حارة الكحكيين فما كان يعرف بحارة الديلم فى القديم صار الآن ثلاث حارات: حارة الكحكيين، ودرب الأتراك، وحارة خوشقدم.

حارة خوشقدم

وإلى الآن يوجد بحارة خوشقدم زقاق مشهور بحبس الديلم، وهو كدهليز صغير ضيق عليه باب ولا شيء فيه، واليوم فتح فيه باب منزل على يمين الداخل إليه.

جامع كافور الزمام (المدرسة الزمامية، أثر ١٠٧).

وبهذه الحارة من الآثار القديمة المدرسة التى تجاه منزل خسرو باشا، وتعرف الآن بجامع الديلمى، وهو جامع صغير

بناؤه شركسى بغير عمد وشعائره مقامة، ومنافعه تامة، وبه منبر وخطبة، وله منارة، ويعرف أيضا بالجامع الحوانى، وبجامع كافور الزمام، وهو مدرسة حارة الديلم التى ترجم لها المقريزى ولم يذكرها.

حمام الجبيلى

وحمام الجبيلى له بابان: أحدهما من الكحكيين، والآخر من زقاق فى حارة خوشقدم يعرف بزقاق المزار، وهى حمام قديمة، سماها المقريزى حمام الجوينى، عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد الجوينى والى القاهرة فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب، لأنه أنشأها بجوار داره، وتنقلت إلى أن اشتراها القاضى أوحد الدين ياسين كاتب السر الشريف فى أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر، وجعلها وقفا على مدرسته بخط بين القصرين، وهى الآن فى جملة الموقوف عليها. (انتهى ملخصا). وقال صاحب «قطف الأزهار»: هى باقية إلى اليوم، وتعرف بحمام الجبيلى (انتهى). (قلت): وهى لم تزل باقية إلى يومنا هذا يدخلها الرجال والنساء، وعليها حكر لوقف السلطان الغورى، وأظنها جددت فى عهده.

قال المقريزى: وهذه الحارة عرفت بحارة الديلم لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدين البويهى وجماعة من الأتراك فى سنة ثمان وستين وثلثمائة، فسكنوا بها، فعرفت بهم، ثم قال: وحارة الأتراك هى تجاه الجامع الأزهر، وتعرف اليوم بدرب الأتراك وكان نافذا إلى حارة الديلم. والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم، وتارة يضيفونها إليها ويجعلونها من حقوقها فيقولون حارة الديلم والأتراك وتارة يقولون حارتى الديلم والأتراك، وقيل لها حارة الأتراك لنزول جماعة من الأتراك بها، وكانت مختلطة بحارة الديلم لأنهما أهل دعوة واحدة إلا أن كل جنس على حدة لتخالفهما فى الجنسية، ثم قيل بعد ذلك درب الأتراك. (انتهى ملخصا).

وكانت حارة خوشقدم مسكنا للأمراء والأعيان كما هى الآن، ولذلك يقال لها فى حجج الأملاك حارة الأمراء، وإلى وقتنا هذا بها عدة دور من دور الأمراء والأعيان مثل دار خسرو باشا، ودار الأمير سليمان باشا أباظة (ويغلب على الظن أنها هى دار الأمير خوشقدم)، ودار الحاج محمد الطوير، والحاج سيد الخرزاتى، والسيد الحمصانى وغيرهم.

قالت المؤلفة: كما أن بها الآن بيت جمال الدين الذهبى كبير تجار مصر، وقد أفردنا مادة بعنوان «بيت جمال الدين الذهبى» فى م ٨/ ٨٥، ٨٦ فانظرها فى موضعها.

ويمضى على مبارك فى الكلام على حارة خوشقدم فيقول: وبها سبع عُطف منها أربع على يمين المار بها، وليست نافذة.

الأولى: عطفة شق العرسة (قالت المؤلفة: اسمها الآن عطفة خوشقدم): هذه العطفة يغلب على الظن أنها زقاق العريسة الذى ذكره المقريزى فى ضمن الكلام على الحريق الذى حصل فى القاهرة حيث قال: وقع الحريق بحارة الديلم فى زقاق العريسة بالقرب من دار كريم الدين ناظر الخاص فى خامس عشرى جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وكانت ليلة شديدة الريح، فسرت النار من كل ناحية، حتى وصلت إلى بيت كريم الدين، وبلغ ذلك السلطان، فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية، وجمعوا الناس لإطفائه، ووقف الأمير بكتمر الساقى، والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرب الرصاصى وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل. (انتهى). ودرب الرصاصى المذكور هو عطفة الحمام الآن.

الثانية عطفة الطاحون عرفت بذلك لأن بها طاحونا يطحن فيه بالأجرة.

الثالثة العطفة الصغيرة.

الرابعة عطفة الجامع، وبداخلها ضريحان: أحدهما لسيدى الغمرى، والآخر لسيدى الطباخ.

وثلاثة على اليسار: الأولى هى التى سماها المقريزى درب ابن المجاور، فقال: إن على يسرة من دخل من أول حارة الديلم دربا يعرف بدرب ابن المجاور بداخله دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان، مات بمكة سنة ست وثمانين وخمسمائة. (اهـ).

الثانية عطفة الحمام، وهى زقاق الحمام الذى ذكره المقريزى حيث قال: زقاق الحمام بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى، ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك، ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى، ثم عرف بزقاق المزار، ثم قال: وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب، وأنه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب، وهو كذب مختلق وإفك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق، وفى القبر الآخر إنه قبر أبى تراب النخشبى، وفى القبر الذى على يسرة من خرج من الباب الحديد ظاهر باب زويلة إنه قبر زرع النوى وإنه صحابى، وغير ذلك من أكاذيبهم. (انتهى).

الثالثة عطفة الطوير بداخلها بيت محمد بيك الطوير أحد تجار المغاربة بمصر.

وهذا وصف حارة خوشقدم قديم وحديثا. (انتهى).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢ / ١١٩ - ١٢١).

* خُشْقَدَم (الظاهر) (٧٩٥ - ٨٧٢ هـ / ١٣٩٣ - ١٤٦٧م):

خشقدم بن عبد الله الناصرى، أبو سعيد سيف الدين، السلطان، أول ملوك الروم بمصر والشام والحجاز. وكان مملوكا للخوجة ناصر الدين — وإليه نسبته — واشتراه منه «المؤيد» شيخ بن عبد الله، بمصر، وأعتقه واستخدمه. ثم عينه الظاهر جقمق «مقدم ألف» فى دمشق سنة ٨٥٠ هـ، وأيعد إلى مصر، فعينه الأشرف إينال «أمير سلاح» ثم ولاه المؤيد أحمد «أتابكية» العساكر، وهى أعلى الرتب فى الدولة. وثار المماليك على المؤيد فخلعوه، ونادوا بسلطنة «خشقدم» سنة ٨٦٥ هـ، فتلقب بالملك «الظاهر» وسجن بعض أمراء الجيش، وقتل آخرين، فقامت فتنة أتباعهم، فقمعها، وصفا له الجو. وكان داهية، فهيما، كفؤا للسلطنة، فصيحا بالعربية، قليل الأذى بالنسبة إلى من جاء بعده من ملوك الروم. وهدأت البلاد فى أيامه. واستمر إلى أن توفى ٨٧٢ هـ بالقاهرة (الأعلام ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦).

قال السخاوى: وأنشأ مدرسة بالصحراء بالقرب من قبة النصر، وتُربة، وكثرت مماليكه الذين غطُّوا ما لعله اشتمل عليه من المحاسن، وعظُم وضخُم وهابته ملوك الأقطار فمن دونهم وانقطع معاندوه، إلى أن مرض فى أوائل المحرم ولزم الفراش حتى مات بعد ظهر يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين [وثمانمائة] وقد ناهز خمسا وستين، وصلى بباب القلة (انظر: القلة (باب -) بحضرة الخليفة ممن دونه، ثم دفن بعد عصر يومه بالقبة التى أنشأها بمدرسته، وكان عاقلا مهابا عارفا صبورا بشوشا مدبرا متجملا فى شئونه كلها حشما مليحا رشقا عارفا بأنواع الملاعب كالرمح والكرة وسوق الخيل، مكرما للعلماء والفقراء، معتقدا فيمن ينسب إلى الخير، وربما كان يقرأ فى القرآن على التاج السكندرى وغيره. واستدعى بى فى مرض موته فقرأت له الشفا فى ليلة فاتحته وخاتمته بحضرته وتأدب كثيرا وأنعم بما قسمه الله، وله فهم وذوق بحيث يلم ببعض ما يتكلمه الفقهاء عنده (الضوء اللامع م٢ ج٣/ ١٧٥، ١٧٦).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٥، ٣٠٦، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٢ جـ٣/ ١٧٥، ١٧٦).

* خُشقدم اللالا (- ٨٩٤ هـ):

قال السخاوى فى الضوء اللامع: خشقدم الظاهرى جقمق الرومى اللالا، ويقال له أيضا الأحمدى لتاجره. لم ينتقل فى أيام أستاذه عن كونه لولده (اللالا لفظ تركى يوصف به من يعمل مربيا لأولاد السلاطين. انظر مادة «جوهر اللالا (مسجد ومدرسة -) فى م ١٢ / ٥٧٣) ... وقد عمل إحدى قاعاته بالقرب من درب الرملة جامعا تقام فيه الجمعة والجماعة، وجدد زاوية قطاى تحت القلعة وبنى بها بيوتا ونحوها، وحفر هناك بئرا تكلف نقرها فى الحجر، وكان أول أمره لالة ولد سيده ثم صار أحد السقاق، ثم فى أيام الأشرف فايتباى كان رأس نوبة السقاة، ونوبة الجمدارية، وشاد السواقى، ثم عمل وزيرا بمشارفه، ثم استقر خازندارا زماما فظلم وعسف وأهين مرة بعد أخرى، وتأمر على الحج، وربما كان يتلو القرآن، ويصلى بالليل، ويستعمل بعض الأوراد ويبكى، واستمر على الزمامية والخازندارية حتى غضب عليه

السلطان وأرسله مع ابن عمر شيخ هوارة ليرسله إلى سواكن، فكانت منيته بسواكن فى شوال سنة أربع وتسعين ذليلا مهانا، وقد بلغ السبعين إن لم يكن جازها، وكان يقول قبل انفصاله بنحو سنة إن له فى القلعة أربعا وخمسين سنة رحمه الله تعالى:

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٢، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م٢ حـ٣ / ١٧٦، ١٧٧).

*** خشنام البصرى:**

من كتاب المصاحف المشهورين والمجودين فى الخط الكوفى، عاش فى أيام الرشيد وعاصر مهدى الكوفى، ذكر أن خشنام البصرى كان على كل حال كبير الحجم فخما يملأ العين.

(نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٤).

*** الخُشَنى (- ٥٤٤ هـ ١١٤٩ م):**

محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود، أبو بكر الخُشَنى، ويقال له ابن أبى الرُّكب، عالم بالعربية والقراءات. أندلسى، من أهل جبسان. استوطن غرناطة وولى الخطبة بجامعها له «شرح كتاب سيبويه».

(الأعلام ٧ / ٩٦).

*** الخشوع:**

جاء فى التعريفات:

الخشوع والخضوع والتواضع: بمعنى واحد، وفى اصطلاح أهل الحقيقة الخشوع الانقياد للحق، وقيل هو الخوف الدائم فى القلب. قيل من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول.

(التعريفات / ١٣٢، ١٣٣).

وقال الراغب الأصفهانى:

خشع: الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح، قال تعالى: ﴿ويزيدهم خشوعا﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾، [الأنبياء: ٩٠] ﴿وخشعت الأصوات﴾ [طه: ١٠٨] ﴿خاشعة أبصارهم﴾، [القلم: ٤٣] ﴿أبصارهم خاشعة﴾، [النازعات: ٩] كناية عنها وتنبيها على تزعزعها كقوله تعالى: ﴿إذا رجت الأرض رجا﴾، [الواقعة: ٤] و ﴿إذا زلزلت الأرض زلزا لها﴾ [الزلزلة: ١] ﴿يوم تمور السماء * مورا وتسير الجبال سيرا﴾، [الطور: ٩، ١٠] (المفردات / ١٤٨).

وجاء فى اللسان فى مادة «خشع»: خَشَع يخشع خُشُوعا واختشع وتخشَّع: رمى ببصره نحو الأرض وغضَّه وخفض صوته. وقوم خشع: متخشعون. وخشع بصره: انكسر... واختشع إذا طأ طأ صدره وتواضع، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع فى البدن، وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع فى البدن والصوت والبصر، كقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارُهم﴾ [القلم: ٤٣]، ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ [طه: ١٠٨]... والتخشُّع: تكلف الخشوع. والتخشع لله: الإخبات والتذلل (لسان العرب ١٣ / ١١٦٥).

وينكر الإمام ابن الجوزى على المتخشعين ادعاءهم الخشوع بطأطأة رءوسهم لما فيه من رياء، ويذكر أن السلف كانوا يستنكرون ذلك، فيقول، مشيرا إلى نفسه بعبارة «قال المصنف رحمه الله»:

قال المصنف رحمه الله: إذا سكن الخوف القلب أو جب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون فى ستر ما يظهر منهم من ذلك. وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم. فقد روى عن على رضى الله عنه: إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب. ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح فى المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذمور تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحه وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه

يستنزل الإجابة . وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا ، فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لاخشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيرا مايرفع رأسه إلى السماء ، وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى ﴿فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ [ق : ٦] وقال ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ [يونس : ١٠١] وفي هذا وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء ، وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن إطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة ، فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخود منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ وسلم منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون ، أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له : ياهذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن أحمد الملطي ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثني يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميم نا أبو بكر عن عاصم أبن كليب الجرمي : قال لقي أبي عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشي وكان إذا مشى يمشي جنب الحائط متخشعا هكذا : وأمال أبو بكر عتقه شيئا فقال أبي مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط ، أما والله إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهوري الصوت .

أخبرنا محمد بن طاهرنا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله وقدرت فتيانا يقصرون في المشي ويتكلمون رويدا فقالت : ما هذا؟ قالوا نساك . قالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله : قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختياني أنه كان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله . وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من علمي . وقال لصاحب له ورآه يصلي ما أجرأك تصلي والناس يرونك قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر ابن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو عبد الله يعني السلمي ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يالها من سجدة لو كانت في بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل في مجلس الحسن بن عماره آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقرى نا أحمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول :

ودع الـــذين إذا أتـــوك تنسكـــوا
وإذا خلـــوا فهم ذئاب خفـــاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو عمر الحسن ابن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطى نا الحسين بن عبد الله الا بزارى قال سمعت إبراهيم بن سعيد يقول: كنت واقفا على رأس المأمون فقال لى يا ابراهيم: قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد إلى الله والله منها شيء. قلت ماهى يا أمير المؤمنين فقال بكاء إبراهيم على المنبر، وخشوع عبد الرحمن بن إسحاق، وتقشف ابن سماعة، وصلاة خيعويه بالليل، وصلاة عباس الضحى، وصيام ابن السندى الاثنين والخميس، وحديث أبى رجاء، وقصص الحاجى، وصدقة حفصويه وكتاب الشامى ليعلى بن قريش (فقد العلم والعلماء / ٢٨٠ ـ ٣٨٣).

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٣٢، ١٣٣، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٤٨، ولسان العرب لابن منظور ١٣ / ١١٦٥، ونقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزى / ٢٨٠ ـ ٢٨٣. انظر الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشرى / ١٥٥ ـ ١٢٠).

*** خُشَيْش بن أحْرَم (-٢٥٣ هـ / ٨٦٧)؛**

خُشَيْش بن أحرم بن الأسود النسائى، أبو عاصم، من حفاظ الحديث. له كتاب «الاستقامة» فى الرد على أهل البدع. مات بمصر (الأعلام ٢ / ٣٠٦).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى أصحاب الكتب التى تعرف بكتب السنة، وهى «الكتب الحاضة على اتباعها والعمل بها وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء» وقال عنه: «وكتاب الاستقامة فى الرد على أهل البدع لأبى عاصم خشيش بمعجمات مصغرا ابن أصرم النساب الحافظ المتوفى سنة ثلاثة وخمسين ومائتين» (الرسالة المستطرفة / ٣٠).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٦، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٢٩، ٣٠).

*** الخصاف (-٢٦١ هـ / -٨٧٥ م)؛**

من فقهاء الحنفية:

أحمد بن عمر، وقيل: عمرو، بن مهير، وقيل: مهران الشيبانى، أبو بكر، الخصاف

ذكره صاحب «الهداية» فى الوديعة، بلقبه الخصاف.

روى عن أبيه، وحدث عن أبى عاصم النبيل، وأبى داود الطيالسى ومسدد بن مسرهد، والقعنبى، ويحيى بن عبد الحميد الحمانى. وعلى بن المدينى، وعارم بن محمد أبى الفضل. وأبى نعيم الفضل بن دكين، فى خلق.

ذكره النديم، فى «فهرست العلماء»، فقال: كان فاضلا، فارضا حاسبا، عارفا بمذهب أصحابه، وكان مقدما عند المهتدى بالله، وصنف للمهتدى «كتابا فى الخراج»، فلما قتل المهتدى نُهب الخصاف، وذهبت بعض كتبه، ومن جملتها كتاب الخراج هذا، و «كتاب» عمله فى المناسك، لم يكن خرج للناس.

قال النديم: وله من المصنفات: كتاب الخيل» فى مجلدين، و «كتاب الوصايا»، وكتاب «الشروط الكبير» وكتاب «الشروط الصغير»، و «كتاب الرضاع»، و «كتاب المحاضر والسجلات»، وكتاب أدب القاضى»، و «كتاب النفقات على الأقارب»، « كتاب إقرار الورثة بعضهم لبعض»، و «كتاب أحكام الوقف» و «كتاب النفقات» و «كتاب العصير وأحكامه» و «كتاب ذرع الكعبة والمسجد الحرام والقبر».

قال ابن النجار: وذكر بعض الأئمة، أن الخصاف كان زاهدا ورعا، يأكل من كسب يده.

وقال شمس الأئمة الحلوانى: الخصاف، رجل كبير فى العلم، وهو ممن يصح الاقتداء به.

وقال شمس الأئمة الحلوانى: الخصاف، رجل كبير فى العلم، وهو ممن يصح الاقتداء به.

وروى عن بعض مشايخ بلخ، أنه قال: دخلت بغداد، وإذا على الجسر رجل ينادى ثلاثة أيام، يقول: إن القاضى أحمد بن عمرو الخصاف، استفتى فى مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلّغها صاحبها.

قلت: هكذا ينبغي أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ في دين الله، والنصيحة لعباد الله، لا كعلماء زماننا الذين ليس لهم غرض إلا التفاخر بالعلم، والتكبر به، وإظهار القوة والغلبة، فلا يبالي أحدهم إذا كان مستظهرا في البحث على خصمه، أن يكون على الحق أو على الباطل، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكانت وفاة صاحب الترجمة ببغداد، سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى.

له ترجمة في: تاج التراجم / ٧، الجواهر المضية ١ / ٨٧، ٨٨، ٢ / ٣٦٩، طبقات الفقهاء للشيرازي / ١١٨، طبقات ابن هداية الله / ٢٤، الفهرست ١ / ٢٠٦، الفوائد البهية / ٢٩، ٣٠، كشف الظنون ١ / ٢١.

(الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١ / ٤٨٤، ٤٨٥. انظر أيضا مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلي / ٣٨١).

*** الخصال:**

الخصال: لأبي الحسن علي بن مهدي الأصبهاني الطبري ثم البغدادي المتوفى في حدود سنة «٣٣٠» جمع فيه الأشعار والحكم والإمثال.

(كشف الظنون / ٧٠٥).

*** الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام:**

مجلد شرحه أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ ست وخمسين وأربعمائة وسماه الإيصال إلى فهم كتاب الخصال وهو شرح كبير أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في مسائل الفقه ودلائله.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٤، ٧٠٥).

*** خصال السلف:**

خصال السلف في آداب السلف والخلف: لمولانا حسن ابن حسين التالثي وهو مختصر أوله: الحمد لله مميت الأحياء ومحيي الأموات إلخ ... ذكر فيه أنه ألفه حين قدم من مكة المكرمة

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

*** الخصال في الفروع:**

الخصال في الفروع: لأبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي الحافظ المتوفى سنة ٤٣٤، والطرسوسي نجم الدين ابراهيم ابن علي بن أحمد الحنفي المتوفى سنة ٧٤٦، وفي فروع الشافعية لابن سريج أحمد بن عمر الشافعي المتوفى سنة ٣٠٦ ست وثلثمائة وفي فروع المالكية لأبي بكر محمد المالكي القرطبي المتوفى سنة ٣٨١ إحدى وثمانين وثلثمائة مجلد ذكر في أوله نبذة من الأصول وسماه بالأقسام والخصال ولو سماه بالبيان لكان أولى لأنه ترجم الباب بقوله البيان عن كذا.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

قالت المؤلفة: أورده حاجي خليفة تحت عنوان «الخصال في فروع الحنفية»، ولكنه كما ترى أورد فروعا أخرى هي الشافعية والمالكية، ومن ثم فقد غيرنا العنوان إلى «الخصال في الفروع» وأحلنا إليها «الخصال في فروع الحنفية».

*** الخصال في فروع الحنفية:**

انظر: الخصال في الفروع

*** الخصال المكفّرة للذنوب المقدمة والمؤخرة:**

الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة وهو مختصر أوله: الحمد لله غافر الذنب، وفي بعض النسخ أحمده والحمد له ... الخ رتب على أربعة أبواب مشتملة على الأحاديث الواردة فيه والآثار.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

*** الخصائص:**

كتاب في النحو لابن جني، واحد زمانه في التصريف

والبحث في فقه اللغة وخصائصها. أورده حاجي خليفة تحت عنوان «الخصائص في النحو» وقال عنه:

الخصائص في النحو: لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ اثنتين وتسعين وثلثمائة قال السيوطي في اقتراحه وضعه في أصول النحو وجدله لكن أكثره خارج عن هذا المعنى فلخص منه الاقتراح وضم إليه فوائد كما سبق. واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الإشبيلي المتوفى سنة ٦٥١ إحدى وخمسين وستمائة. ولموفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادي حاشية على الخصائص المذكورة (كشف ١ / ٧٠٦).

وقد طبع الجزء الأول في القاهرة سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م، وطبع بدار الكتب بتحقيق الأستاذ محمد علي النجار من سنة ١٩٥٢ م إلى سنة ١٩٥٥ م في ثلاثة أجزاء (الأعراب الرواة / ٣٣١، ٣٣٢).

وقد أورد المنتخب فقرة من كتاب الخصائص كنموذج للنثر العلمي التأليفي ننقلها لك فيما يلي:

باب القول على اللغة وما هي؟

أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. هذا حدها. وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها: أمواضعة هي، أم إلهام، وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعَلَةٌ من لَغَوتُ أي تكلمتُ. وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات، لقولهم كروْت بالكرة، وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب. وقد دللت على ذلك وغيره من نحوه في كتابي «سر الصناعة». وقالوا لها: لغات ولغون، ككرات وكرون، وقيل منها: لغي يلغي: إذا هذى. قال:

ورب أسراب حجيج كظَّم
عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ [الفرقان: ٧٢] أي بالباطل. وفي الحديث: «من قال في الجمعة صَه فقد لغا» أي تكلم. وفي هذا كاف (المنتخب ٢ / ٣٣٩).

(كشف الظنون ١ / ٧٠٦، والأعراب الرواة - د. عبد الحميد الشلقاني / ٣٣١، ٣٣٢ والمنتخب في أدب العرب - طه حسين وزملائه ٢ / ٣٣٩).

انظر ترجمة ابن جني في م ١٢/ ٣٩٧ - ٤٠١.

*** خصائص الأحجار:**

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي: خصائص الأحجار.

مجهول المؤلف.

أوله: الحمد لله العلي المجيد القوي الشديد.. وبعد فإني قد جمعت في كتابي هذا ملخص كلام المتقدمين والمتأخرين من الحكماء المعتبرين من الجواهر والأحجار، والله تعالى هو الموفق والمستعان ... إلخ

وآخره: والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ١٢٦٦. في ٥٦ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا.

١٠×٢٠ سم

[دار الكتب المصرية - ٣٦ طبيعة]

منه نسخة أخرى بعنوان «سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار»

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية حـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات - وضع فؤاد سيد. القاهر ١٩٦٣ / ٣٨، ٣٩).

*** خصائص الأقاليم:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الجغرافيا كتاب المقدسي الموسوم «بأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وقد تناول في أحد فصوله خصائص الأقاليم مما ننقله لك فيما يلي كنموذج للنثر العلمي: قال المقدسي، وقد امتدح بعض الأقاليم وذم بعضها الآخر:

أظرف الأقاليم العراق. وهو أخف على القلب، وأحد للذهن، وبها (أنث الضمير ذهابا بالعراق إلى البلاد) تكون النفس أطيب، والخاطر أدق إذا كانت كفاية. وأجلها وأوسعها فواكه، وأكثرها علما وأجلة وبردا المشرق. وأكثرها صوفا وقزا

ودخلا على قدره الديلم. وأجودها ألبانا وأعسالا وألذها أخبازا وأمكنها زعفرانا الجبال. وأكثرها ثمارا، وأرخصها أسعارا ولحوما، وأثقلها قوما الرحاب. وأسفلها قوما وأشرهم أصلا وفصلا خوزستان (الجبال والرحاب وخوزستان من أقاليم العجم). وأحلاها تمورا، وأوطؤها قوما كرمان. وأكثرها فانيذا (حلواء من السكر والدقيق) وأرزازا ومسكا وكفارا السند. وأكيسها قوما وتجارا، وأكثرها فسقا فارس. وأشدها حرا وقحطا ونخيلا جزيرة العرب. وأكثرها بركات وصالحين وزهادا ومشاهد الشام. وأكثرها عبادا وقراء وأموالا ومتجرا وخصائص وحبوبا مصر. وأخوفها سبلا، وأجودها خيلا، وأوسطها قوما أقور (هو إقليم الجزيرة وقد أوردناه تحت عنوان أقور (إقليم ـ) فى م ٥ / ٥٤٥ ـ ٥٤٧ فانظره فى موضعه) وأجفاها وأثقلها وأغشها قوما، وأكثرها مدنا، وأوسعها أرضا المغرب.

وقال عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى: دخلت على الجاحظ فقلت: أفدنى فى البلدان فائدة. قال: نعم الأمصار عشرة:

المروّة ببغداد، والفصاحة بالكوفة، والصنعة بالبصرة، والتجارة بمصر، والغدر بالرى، والجفاء بنيسابور، والبخل بمرو، والصلف ببلخ، والحرفة بسمرقند.

وقد صدق، لعمرى، إلا أن بنيسابور أيضا صناعا حذاقا، وبالبصرة تجارات، وبمكة فصاحة، وبمرو دهاة.

وصنعاء طيبة الهوا، وبيت المقدس حسنة البنا، وصغر وجرجان موضع الوبا، ودمشق كثيرة الأنهار وصغد ممتدة الأشجار، والرملة لذيذة الثمار، وطبرستان دائمة الأمطار، وفرغانة رخيصة الأسعار، والمروة والجحفة معدن الدعار، والرقة موضع الأخطار، وهمذان وتنيس مركز الأحرار، والشام إقليم الأخيار، وسمرقند فرضة (الفرضة: محط السفن) التجار، ونيسابور بلدة الكبار، والفسطاط أهل الأمصار. وطوبى لأهل الغرج بعدل الشار (جاء فى «بلدان الخلافة الشرقية» لسترنغ ٤٥٨: «الغرج ـ على ماذكر المقدسى ـ هى الجبال فى لغة أهل البلاد تلك، والشار الملك فى لغة خراسان، فتفسير «غرج الشار» جبال الملك. وصاروا يسمون هذه البلاد فى أواخر العصور الوسطى: غرجستان، وهى جبال فى خراسان وقد ورد هذا التفسير فى أحسن التقاسيم ص: ٣٠٩ وأضاف إليها المقدسى: «وثم عدل حقيقى، ونظر غريزى، وبقية من سنن العمرين، ورسوم تقر بها العين» وهو المعنى المقصود) ولإصفهان الهواء والحلل والفخار (أفردنا لها مادة خاصة فى م ٥ / ١٣٢ ـ ١٤١ فانظرها فى موضعها) ورسوم شيراز على الإسلام عار، وعدن دهليز مع صحار، وبالصغانيان الكلأ والثمار والأطيار، وبخارا جليلة لولا الماء وحريق النار، وبلخ خزانة الفقه مع الرحب واليسار، وإيليا تصلح لأهل الدين والدار، وأهل بغداد قليلو الأعمار، وصنعاء ونيسابور بالضد. وليس أكثر ولا أرذل من مذكرى نيسابور، ولا أطمع من أهل مكة، ولا أفقر من أهل يثرب، ولا أعف من أهل بيت المقدس، ولا آدب من أهل هراة وبيار، ولا أذهن من أهل الرى، ولا أنقب من أهل سجستان، ولا أبخس من أهل عمان، ولا أجهل من أهل عمان، ولا أصح موازين من أهل الكوفة وعسكر مكرم، ولا أحسن من أهل حمص وبخارا، ولا أقبح من أهل خوارزم، ولا أحسن لحى من الديلم، ولا أشرب للخمور من أهل بعلبك ومصر، ولا أفسق من أهل سيراف، ولا أعصى من أهل سجستان ودمشق، ولا أشغب من أهل سمرقند والشاش، ولا أوطأ من أهل مصر، ولا أبله من أهل البحرين، ولا أحمق من أهل حمص، ولا ألبق من أهل فسا ونابلس ثم الرى بعد بغداد، ولا أحسن لسانا من أهل بغداد، ولا أوحش من لسان صيدا وهراة، ولا أصح من لسان خراسان، ولا أحسن عجمية من أهل بلخ والشاش، ولا أعقط من أهل البطائح، ولا أسلم صدورا من أهل هيطل، ولا أخير قوما من أهل غرج الشار.

فإن سأل سائل: أى البلدان أطيب نُظر: فإن كان ممن يطلب الدارين قيل له: بيت المقدس. وإن كان مخلصا آمنا من الطمع قيل: مكة. وإن كان ممن يطلب النعمة والحيازة والرخص والفواكه قيل له: كل بلد أجزاك، وإلا فعليك بخمسة أمصار: دمشق والبصرة والرى وبخارا وبلخ. أو بخمس مدائن: قيسارية، وباعيناثا (بلدة لها نهر كبير يصب فى دجلة، تشبه بدمشق لكثرة بساتينها، وخجندة (بلدة نزهة

كثيرة الفاكهة على شاطىء سيحون) والدينور، ونوقان (إحدى قصبتى طوس والأخرى طابران). أو بخمس نواح: الصغد والصغانيان ونهاوند وجزيرة ابن عمر وسابور (كورة مدينتها النوبندجان) فاختر ما شئت منها فإنها مناره الإسلام. وأما الأندلس فيقال: إنها جنات. ومستفاض جنات الدنيا أربع: غوطة دمشق ونهر الأبلّة وروضة الصغد وشعب بوّان. ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر. وكل ما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والأدب عنه بمعزل خاصة الفقهاء، لأنى رأيت الفضل فيهم.

واعلم أن كل بلد فيه صاد فأهله حمُق إلا البصرة، فإن اجتمعت صادان مثل المصيصة وصرصر فنعوذ بالله. وكل بلد نسبت صاحبه إليه فلقيت الزاى الياء فهو داه مثل رازى مروزى سجزى. وكل بلد آخره (آن) فله خاصية أو طيبة، مثل: جرجان موقان أرجان. وكل بلد شديد البرد فأهله أسمن وأضخم وأحسن وأكبر لحى، مثل: فرغانة وخوارزم وأرمينية ... وكل بلد يحيط به أنهار، فإن فى أهله شغبا وخروجا، مثل: دمشق وسمرقند والصليق. وكل بلد رحب رخى فإن المعايش به ضيقة إلا بلخ.

واعلم أن بغداد كانت جليلة فى القديم. وقد تداعت الآن، وإن مدحناها فللتعارف. وفسطاط مصر اليوم كبغداد فى القديم. ولا أعلم فى الإسلام بلدا أجل منه. وأما إقليم المشرق فقد فشا فيه الجور، وفسد. وهو خير من غيره. وأقاليم الأعاجم فلا تطيب لأهل أسفل. ولو كان للرملة ماء جار لما استثنينا أنها أطيب بلد فى الإسلام، لأنها ظريفة خفيفة، بين قدس وثغور، وغور وبحور، معتدلة الهواء، لذيذة الثمار، سرية الأهل، غير أن فيهم جهلا، خزانة مصر ومطرح البحرين رخية.

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٤١ - ٤٣، ومن أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها غازى طليمات / ٧٨ - ٨٣ وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص).

* **خصائص رسول الله ﷺ:**

قال الجرجانى: الخاص: عبارة عن التفرد، يقال فلان خُصَّ بكذا أُفْرِد به ولا شركة للغير فيه (التعريفات / ١٣٣).

ومن ثَمّ فإننا حين نتكلم على خصائص رسول الله ﷺ فإنما نعنى ما خُصَّ به صلى الله ﷺ دون سائر البشر.

وما من مؤلف تناول السيرة النبوية العطرة إلا وحصى تلك الخصائص فى إيجاز أو فى إسهاب. وفيما يلى ما أورده الشيخ الشبلنجى رحمه الله فى فصل أفرده لخصائص رسول الله ﷺ ودلائل نبوته. قال عن خصائصه ﷺ، وننقل لك منها بعضها:

الكلام على خصائصه ﷺ منحصر فى ثمانية أنواع:

النوع الأول: ما اختص به فى ذاته فى الدنيا اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقا وبتقدم نبوته فكان نبيا وآدم منجدل فى طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وأنه أول من قال بلى يوم ﴿ألست بربكم﴾.

قالت المؤلفة: يقصد قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ [الأعراف: ١٧٢] أى أنه ﷺ أول من شهد من بنى آدم.

وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما فى الملكوت، وذكر الملائكة له فى كل ساعة، وذكر اسمه فى الأذان، والتبشير به فى الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمته وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره على قول، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان وسائر الأنبياء كان الخاتم فى يمينهم، وبأن له ألف اسم، وبأنه سُمّى من أسماء الله بنحو سبعين اسما، وبأنه سُمى أحمد ولم يُسَمَّ به أحد من قبله، وبأنه أرجح الناس عقلا، وبأنه أوتى كل الحسن، ولم يؤت يوسف إلا الشطر، وبغطّه ثلاثا عند ابتداء الوحى عَدَّها البيهقى، وبرؤيته جبريل على صورته التى خلقه الله عليها، وبانقطاع الكهانة

لمبعثه وحراسة السماء، وبإحياء أبويه له حتى آمنا به، وبوعده بالعصمة من الناس، وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والقرب إلى قاب قوسين، وبوطئه مكانا ما وطأه نبى مرسل ولا ملك مقرب، وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائكة وباطلاعه على الجنة والنار ورؤيته للبارى تعالى مرتين، وقتال الملائكة معه، وإيتائه الكتاب وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ومشتمل على ما اشتمل [اشتملت] عليه جميع الكتب وزيادة، جامع لكل شيء مستغن عن غيره ميسر للحفظ وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها.

النوع الثانى: ما اختص به أمته فى شرعه ﷺ: اختص ﷺ بإحلال الغنائم، وجعل الأرض كلها مسجداً ولم تكن الأمم تصلى إلا فى البيع والكنائس، والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمجموع الصلوات الخمس، وبالعشاء ولم يصلها أحد، وبالأذان والإقامة وافتتاح الصلوات بالتكبير والتأمين وبالركوع على ما ذكره جماعة من المفسرين وبقول اللهم ربنا ولك الحمد وباستقبال الكعبة، وبالصف فى الصلاة كصفوف الملائكة، وبالجماعة فى الصلاة، وبتحية السلام، وبالجمعة، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وشهر رمضان، وأن الشياطين تصفد فيه، وأن الجنة تُـزَيَّن فيه، وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك، وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا، وبالغفران فى آخر ليلة منه، وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان فى صدر الإسلام، وبليلة القدر كما قاله النووى فى شرح المهذب، وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته، وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى، وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة، وبالاسترجاع عند المصيبة (أى قول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وبالحوقلة (أى قول: لا حول ولاقوة إلا بالله)وباللحد ولأهل الكتاب الشق، وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة، وبالعذبة للعمامة وهى سيما الملائكة، وبالاتزار فى الأوساط، وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا. واشتق له اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع الإصر عنهم الذى كان على الأمم قبلهم، وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم، ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج، ورفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وحديث النفس وأن من هَمَّ بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فإن عملها كتبت سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرة، ووضع عنهم قتل النفس فى التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربع المال فى الزكاة، وشرع لهم نكاح أربع ...

وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وعصموا من الاجتماع على ضلالة، وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة، وكان الاختلاف من قبلهم عذابا، والطاعون لهم شهادة ورحمة، وما دَعَوْا استُجيب لهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار ووعدوا أن لا يهلكوا بجوع، ولا بعدو من غيرهم يستأصلهم، ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم وإذا شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الأمم السالفة إذا شهد منهم مائة ردت شهادتهم، وهم أقل الأمم عملا، وأكثرهم أجرا، وأقصرهم أعمارا، وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر، وفتح عليهم خزائن كل شيء حتى العلم، وأوتوا الإسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب، ولا تزال طائفة منهم على الحق حتى يأتى أمر الله، وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال، ومنهم من يصلى إماما بعيسى ابن مريم، ومنهم من يجرى مجرى الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، وعلماؤهم كأنبياء بنى إسرائيل، وتسمع الملائكة فى السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحامدون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة فعل الأمر إن شاء الله تعالى، وإذا غضبوا هللوا، وإذا تنازعوا سبحوا، ومصاحفهم فى صدورهم، وسابقهم سابق، ومقتصدهم ناج، وظالمهم مغفور له، ويلبسون ألوان

ثياب الجنة، يراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتزكية الله لهم، وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا، وافترض عليهم ما افترض على الرسل والأنبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد، وأُعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء وقال الله في غيرهم ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف: ١٥٩] ونودوا في القرآن بيا أيها الذين آمنوا ونوديت الأمم في كتبهم بيا أيها المساكين وشتان ما بين الخطابين.

النوع الثالث فيما اختص به في ذاته في الآخرة: اختص ﷺبأنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك، ويحشر على البراق، ويؤذن باسمه في الموقف... وأول شافع مشفع وبالشفاعة العظمى في فصل القضاء، وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة جوز اختصاصها النووي والتي قبلها به، وبالشفاعة فيمن خلد في النار من الكفار أن يخفف عنهم، وبالشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وأنه أول من يجوز على الصراط، وأن له في كل شعرة من رأسه ووجهه نورا وليس للأنبياء إلا نوران ... وأنه أول من يقرع أبواب الجنة، وأول من يدخلها وبعده أمته، وبالكوثر، والوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة، ومنبره على ترعة من ترع الجنة، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه، قيل إن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب والله أعلم بالصواب.

النوع الرابع: ما اختص به في أمته في الآخرة: اختص ﷺ بأن أمته أول من تشق عنهم الأرض من بين الأمم، ويأتون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء، ويكونون في الموقف على كوم عال ولهم نوران كالأنبياء وليس لغيرهم إلا نور واحد، ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وعجل الله عذابها في الدنيا وفي البرزخ لتوافي القيامة ممحصة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها، ولها ماسعت وما سعى لها وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قاله عكرمة، ويُقضى لهم قبل الخلائق، يدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب.

النوع الخامس: ما اختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات: اختص ﷺ بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد أي صلاة الليل، والسواك والأضحية والمشاورة على الأصح وركعتي الفجر لحديث في المستدرك وغيره، وغسل الجمعة ورد في حديث ضعيف، وقضاء دين من مات من المسلمين معسرا على الصحيح، وقيل كان يفعله تكرما وأن يقول إذا رأى ما يعجبه لبيك العيش عيش الآخرة في وجه حكاه في الروضة وأصلها، وأن يؤدي فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردي وغيره ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما في زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سبع.

النوع السادس: ما اختص به من المحرمات: اختص ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه، وفي صدقة التطوع قولان: كذا نقل عن مغلطاي وتحريم الزكاة على آله قيل والصدقة أيضا وعليها المالكية وعلى موالي آله في الأصح، وتحريم كون آله عُمالا على الزكاة في الأصح، وصرف النذر والكفارة إليهم، وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل ورد به حديث في المسند، والمن ليستكثر (قالت المؤلفة: يقصد قوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] ومعناه: لا تعط عطية لتعطى أكثر منها: مصحف الشروق / ٦٦٤) ومد العين إلى ما مُنع به الناس، ونكاح الكتابية، وقيل والتسري بها، ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حرا ولا يلزمه قيمته ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول، وله الزيادة على واحدة قال إمام الحرمين: ولو قدر نكاح الغرر في حقه لا يلزمه قيمة الولد. قال ابن الرفعة: وفي تصور ذلك في حقه فيه نظر.

النوع السابع: ما اختص به من المباحات: اختص ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنبا وفيها خلاف وبأنه لا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا ... وبإباحة الصلاة بعد العصر، وبإباحة النظر إلى الأجنبيات، والخلوة بهن ونكاح أكثر من

أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا ولى وبلا شهود وفى حال الإحرام ... وكان له أن يستثنى فى كلامه بعد حين ولا يكره له الفتوى والقضاء فى حال الغضب ذكره النووى فى شرح مسلم، وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلى إلا على نبى أو ملك، وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحى عن غيره إلا بإذنه، وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها. وأفتى الغزالى بكفر من عارض أولاد تميم الدارى فيما أقطعه لهم وقال إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

النوع الثامن: ما اختص به من الكرامات والفضائل: اختص ﷺ بأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويرى في الليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء، وبأن ريقه يعذب الماء الملح، ويغذى الرضيع، وإبطه أبيض غير متغير اللون لا شعر عليه، وما تثاءب قط، ولا احتلم قط، وكذلك الأنبياء فى الثلاثة، وعرقه أطيب من المسك وكان إذا مشى مع الطويل طاله، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، ولم يقع ظله على الأرض، ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر، ولا يقع ذباب على ثيابه، ولا آذاه قمل. وكانت الأرض تطوى له إذا مشى ... ولم ير له أثر قضاء حاجة بل كانت الأرض تبتلعه وكذلك الأنبياء، وكان يبيت جائعا فيصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة، ولم يضغط فى قبره وكذلك الأنبياء ولا يسلم منها لا صالح ولا غيره، ولا تأكل السباع جسده وكذلك الأنبياء، ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبى، وهو حى فى قبره يصلى فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء، ولهذا قيل لا عدة على أزواجه، وُمَوَكّل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين، وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم والمصيبة بموته عامة لأمته إلى يوم القيامة، ومن رآه فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل بصورته، ومن أمره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى أحد وجهين واستحب فى الآخرة، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها، وتثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعى مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول والفرق عظيم منصب النبوة ونورها فكان ﷺ بمجرد ما يقع بصره على الإعرابى الجلف ينطق بالحكمة. وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة، ولا يكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقى فى نكته، والمصلى بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو السنة فى سائر المساجد، ويحرم التقدم عليه، ورفع الصوت فوق صوته، والجهر له بالقول، ونداؤه من وراء الحجرات، والصياح به من بعيد، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن قذف أزواجه فلا توبة له ألبتة كما قال ابن عباس وغيره، ولم تبغ امرأة نبى قط، وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يُتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفى هذا القدر كفاية لأولى الأبصار وقد جمع بعض خصائصه ﷺ جلال الدين السيوطى فى رسالة سماها أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب (نور الأبصار / ٤٠ - ٤٥).

قالت المؤلفة: ذكر حاجى خليفة (كشف ١ / ٧٠٥) تحت عنوان «الخصائص النبوية» يأتى، أن السيوطى ذكر أنه اختصر الخصائص النبوية وسماه « أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب» كما ذكر شرحيه فانظره فى موضعه.

ويزيدنا علما بخصائص رسول الله ﷺ الإمام محيى الدين النووى فى التهذيب، وننقله لك فيما يلى إتماما للفائدة. قال رحمه الله:

قال أصحابنا خصائصه ﷺأربعة أضرب.

الأول ما اختص به ﷺ من الواجبات قالوا والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات العلى فلم يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم كما صرح به الحديث الصحيح ونقل إمام الحرمين عن بعض أصحابنا أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين درجة واستأنسوا فيه بحديث، فمن هذا الضرب صلاة الضحى، ومنه الأضحية، والوتر، والتهجد والسواك، والمشاورة. والصحيح عند أصحابنا أنها واجبات عليه وقيل ستين [درجة] والأصح عند أصحابنا أن الوتر غير التهجد والصحيح أن التهجد نسخ وجوبه فى حقه ﷺ كما نسخ فى حق الأمة وهذا هو

المنصوص للشافعي رحمه الله. قال الله تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩] وفي صحيح مسلم عن عائشة ما يدل عليه. ومنه وجوب مصابرته العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف. ومنه قضاء دين من مات وعليه دين لم يخلف وفاء. وقيل كان يقضيه تكرما لا وجوبا والأصح عند أصحابنا أنه كان واجبا وقيل يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئا يعجبه أن يقول لبيك إن العيش عيش الآخرة. ومن هذا الضرب في النكاح أنه أوجب عليه تخيير نسائه بين مفارقته واختياره. وقال بعض أصحابنا كان هذا التخيير مستحبا والصحيح وجوبه فلما خيرهن اخترنه والدار الآخرة فحرم عليه التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهن قال الله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ [الأحزاب: ٥٢] ثم نسخ لتكون المنة لرسول الله ﷺ بترك التزوج عليهن. فقال تعالى ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ [الأحزاب: ٥٠] واختلف أصحابنا هل حرم طلاقهن بعد الاختيار فالأصح أنه لم يحرم وإنما حرم التبدل وهو غير مجرد الطلاق.

الضرب الثاني: ما اختص به من المحرمات عليه ليكون الأجر في اجتنابه أكثر وهو قسمان: أحدهما في غير النكاح فمنه الشعر والخط. ومنه الزكاة وفي صدقة التطوع قولان للشافعي أصحهما أنها كانت محرمة عليه وأما الأكل متكئا وأكل الثوم والبصل والكرات فكانت مكروهة له غير محرمة في الأصح. وقال بعض أصحابنا محرمات وكان يحرم عليه إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل. وقيل كان مكروها والصحيح عند أصحابنا تحريمه وقال بعض أصحابنا تفريعا على هذا أنه كان إذا شرع في تطوع لزمه إتمامه وهذا ضعيف وكان يحرم عليه مد العين إلى ما متع به الناس من زهرة الدنيا وحرم عليه خائنة الأعين وهي الإيماء برأس أو يد أو غيرهما إلى مباح من قتل أو ضرب أو نحوها على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، وكان لا يصلي أولا على من مات وعليه دين لا وفاء له ويأذن لأصحابه في الصلاة عليه. واختلف أصحابنا هل كان يحرم عليه الصلاة أم لا ثم نسخ ذلك وكان يصلي عليه ويوفي دينه من عنده.

القسم الثاني: في النكاح فمنه إمساك من كرهت نكاحه والصحيح عند أصحابنا تحريمه وقال بعضهم كان لا يفارقها تكرما ومنه نكاح الكتابية والأصح عند أصحابنا أنه كان محرما عليه وبه قال ابن سريج وأبو سعيد الأصطخري والقاضي أبو حامد المروروذي. وقال أبو إسحاق المروذي ليس بحرام ويجري الوجهان في التسري بالأمة الكتابية ونكاح الأمة المسلمة لكن الأصح في التسري بالكتابية الحل وفي نكاح الأمة المسلمة التحريم. وأما الأمة الكتابية فقطع الجمهور بأن نكاحها كان محرما عليه وطرد الحناطي الوجهين وفرع الأصحاب هنا تفريعات لا أراها لائقة بهذا الكتاب.

الضرب الثالث: التخفيفات والمباحات وما أبيح له ﷺ دون غيره نوعان. أحدهما لا يتعلق بالنكاح فمنه الوصال في الصوم، واصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، ويقال لذلك المختار الصفي والصفية وجمعها صفايا، ومنه خُمس الخمس في الفيء والغنيمة، وأربعة أخماس الفيء، ودخول مكة بلا إحرام، وإباحة القتال فيها ساعة دخلها يوم الفتح. وله أن يقضي بعلمه وفي غيره خلاف، ويحكم لنفسه وولده، ويشهد لنفسه وولده، ويقبل شهادة من يشهد له، ويحيي الموات لنفسه، ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا. وذكر بعض أصحابنا في انتقاض وضوئه بلمس المرأة وجهين والمشهور الانتقاض. وفي إباحة مكثه في المسجد مع الجنابة وجهان لأصحابنا قال أبو العباس بن القاص في التلخيص يباح وقال القفال وغيره لا يباح وغلَّط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الإباحة وقد يحتج للإباحة بحديث عطية عن أبي سعيد قال النبي ﷺ «ياعلي لا يحل لأحد يجنب في هذ المسجد غيري وغيرك» قال الترمذي حديث حسن. وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بأن الترمذي حكم بأنه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه. وأبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكيهما المحتاج إليهما إذا احتاج هو ﷺ إليهما ويجب على صاحبهما البذل له ﷺ وصيانة مهجته ﷺ قال الله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦] واعلم أن معظم هذه المباحات لم يفعلها ﷺ وإن كانت مباحة له والله أعلم.

النوع الثاني: متعلق بالنكاح فمنه إباحة تسع نسوة والصحيح جواز الزيادة له ﷺ ومنه انعقاد نكاحه بلفظ الهبة على الأصح والأصح انحصار طلاقه في الثلاث وقيل لا ينحصر وإذا عقد نكاحه بلفظ الهبة لا يجب مهر بالعقد ولا بالدخول بخلاف غيره. ومنه انعقاد نكاحه بلا ولى ولا شهود وفي حال الإحرام على الصحيح في الجميع وإذا رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة على الصحيح ويحرم على غيره خطبتها وفي وجوب القسم بين أزواجه وإمائه وجهان، قال الإطخرى لا يجب فيكون من الخصائص. وقال آخرون يجب فليس منها. وبنى الأصحاب أكثر هذه المسائل ونظائرها على أصل عندهم وهو أن نكاحه ﷺ هل هو كالنكاح في حقنا أم كالتسرى وأعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها فقيل أعتقها وشرط أن ينكحها فلزمه الوفاء بخلاف غيره. وقيل جعل نفس العتق صداقا وصح ذلك بخلاف غيره وقيل أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا فيما بعد وهذا أصح وذكر الأصحاب في هذا النوع أشياء كثيرة جدا حذفتها.

الضرب الرابع: ما اختص به ﷺ من الفضائل والإكرام فمنه أن أزواجه اللاتي توفى عنهن محرمات على غيره أبدا وفيمن فارقها في الحياة أوجه أصحها تحريمها وهو نص الشافعي رحمه الله في أحكام القرآن وبه قال أبو على بن أبي هريرة لقوله تعالى ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] والثاني يحل والثالث يحرم التي دخل بها فقط. فإذا قلنا بالتحريم ففي أمة يفارقها بوفاة أو غيرها بعد الدخول وجهان ومنه أن أزواجه أمهات المؤمنين سواء من توفيت تحته ومن توفى عنها وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن وتحريم حقوقهن لا في النظر والخلوة وتحريم بناتهن وأخواتهن فلا يقال بناتهن أخوات المؤمنين ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين ولا إخوتهن وأخواتهن أخوال وخالات المؤمنين. وقال بعض أصحابنا يطلق اسم الأخوة على بناتهن واسم الخؤولة على إخوتهن وهذا ظاهر نص الشافعي رحمه الله في مختصر المزني. وهل كن أمهات المؤمنات فيه وجهان لأصحابنا أصحهما: لا بل هن أمهات المؤمنين دون المؤمنات وهو المنقول عن عائشة رضى الله عنها بناء على المذهب المختار لأهل الأصول أن النساء لا يدخلن في ضمير الرجال. وقال البغوى من أصحابنا ويقال للنبي ﷺ أبو المؤمنين والمؤمنات ونقل الواحدى عن بعض أصحابنا أنه لا يقال ذلك لقوله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] قال ونص الشافعي رضى الله عنه على جوازه أى أبوهم في الحرمة قال ومعنى الآية ليس أحد من رجالكم ولد صلبه. وفي الحديث الصحيح في سنن أبي داود وغيره «أن النبي ﷺ قال إنما أنا لكم مثل الوالد» قيل في الشفقة وقيل في ألا يستحيوا من سؤالى عما يحتاجون إليه من أمر العورات وغيرها. وقيل في ذلك كله وغيره وقد أوضحت ذلك كله في كتاب الاستطابة من شرح المهذب.

ومنه تفضيل نسائه ﷺ على سائر النساء وجعل ثوابهن وعقابهن ضعفين، وتحريم سؤالهن إلا من وراء حجاب ويجوز في غيرهن مشافهة. وأفضل أزواجه خديجة وعائشة. قال أبو سعد المتولى واختلف أصحابنا أيتهما أفضل.

ومنه في غير النكاح أنه ﷺ خاتم النبيين وخير الخلائق أجمعين. وأمته أفضل الأمم وأصحابه خير القرون وأمته معصومة من الاجتماع على ضلالة. وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع. وكتابه معجزة محفوظ عن التحريف والتبديل وهو حجة على الناس بعد وفاته ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت. ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت له الغنائم، وأعطى الشفاعة والمقام المحمود، وأرسل إلى الناس كافة وهو سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة، وهو أكثر الأنبياء تبعا، وأعطى جوامع الكلم، وصفوف أمته في الصلاة كصفوف الملائكة وكان لا ينام قلبه ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه ولا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ولا أن يناديه من وراء الحجرات ولا أن يناديه باسمه فيقول يامحمد بل يقول يا نبى الله يارسول الله ويخاطبه المصلى بقوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولو خاطب آدميا غيره بطلت صلاته، ويلزم المصلى إذا دعاه أن يجيبه وهو في الصلاة ولا تبطل صلاته، وكان بوله ودمه يتبرك بهما. وكان شعره طاهرا وإن حكمنا بنجاسة شعر الأمة.

واختلف أصحابنا فى طهارة دمه وبوله وسائر الفضلات. وكانت الهدية حلالا له بخلاف غيره من ولاة الأمور فلا تحل له هدية رعاياهم على تفصيل مشهور ولا يجوز الجنون على الأنبياء ويجوز عليهم الإغماء لأنه مرض بخلاف الجنون واختلفوا فى جواز الاحتلام والأشهر امتناعه. وفاته ﷺ ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر وواظب عليهما بعد العصر وفى اختصاصه بهذه الملازمة والمداومة وجهان لأصحابنا أصحهما وأشهرهما الاختصاص وقال ﷺ «لاتسموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى» وفى جواز التكنى بأبى القاسم خلاف أوضحته فى الروضة وفى كتاب الأذكار وقال ﷺ «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى» قيل معناه أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا تنسب إليهم. وقيل ينتفع يومئذ بالانتساب إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب. قال أصحابنا: ومن استهان أو زنى بحضرته كفر كذا قالوه. وفى المزنا نظر. قال ابن القاص والقفال والمروزى ومن الخصائص أنه ﷺ يؤخذ عن الدنيا عند تلقى الوحى ولا يسقط عنه الصلاة ولا غيرها ومنه أن من رآه فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل بصورته ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائى منه فى المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر فى الشرع لعدم ضبط الرائى لا للشك فى الرؤية لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه.

ومنها أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور. ومنها قوله ﷺ «إن كذب على ليس ككذب على أحد» قال أصحابنا وغيرهم فتعمد الكذب عليه من الكبائر فإن استحله المتعمد كفر وإلا فهو كسائر الكبائر لا يكفر بها. وقال الشيخ أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين يكفر بذلك والصواب الأول وبه قطع الجمهور والله أعلم.

واعلم أن هذا الضرب لا ينحصر ولكن نبهنا بما ذكرناه على ما سواه ولنختم الفصل بكلامين. أحدهما قال إمام الحرمين قال المحققون ذكر الخلاف فى مسائل الخصائص خبط لا فائدة فيه فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمس الحاجة إليه وإنما يجرى الخلاف فيما لا نجد بدا من إثبات حكم فيه فإن الأقيسة لا مجال لها والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة.

الكلام الثانى قال الصيمرى منع أبو على بن خيران الكلام فى الخصائص لأنه أمر انقضى قال وقال سائر أصحابنا لا بأس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم. هذا كلام الأصحاب والصواب الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا إن لم يمنع منه إجماع لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتا فى الصحيح فعمل به أخذا بأصل التأسى فوجب بيانها لتعرف ولا مشاركة فيها وأى فائدة أعظم من هذه. وأما ما يقع فى أثناء الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل جدا لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفه الأدلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه كما يقولون فى الفرائض ترك مائة جدة ونحو ذلك وبالله التوفيق (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٨ـ٤٤).

وقد صاغ كل هذه الخصائص شعرا، الحافظ زين الدين العراقى، والنظم ممزوج بشرح فضيلة الشيخ عبد الرزاق المناوى، ولكننا آثرنا حذفه تجنبا للتكرار. وقد بدأ الشارح بقوله عن الخصائص:

وهى كثيرة وفيها مؤلفات غزيرة شهيرة وذكرها جائز مندوب بل قيل يجب ثم هى أربعة أضرب الأول الواجبات لزيادة ثوابها على مثلها نفلا بسبعين درجة وإليها أشار الناظم بقوله.

خص النبى بوجوب عده
الوتر والسواك والأضحيه
كذا الضحى لوصح والمصابره
على العدو وكذا المشاوره
والشافعى عن الوجوب صرفه
حكاه عنه البيهقى فى المعرفه

ثم يمضى كل من الناظم والشارح فى الكلام على الضرب الثانى: وهو المحرمات، والضرب الثالث وهو المباحات له دون غيره، والضرب الرابع وهو ما اختص به من الواجبات عليه، يقول الناظم:

كذا التهجد ولكن خففا
نسخا وقيل الوتر ذا وضعّفا

كذا قضاء دين من مات ولم ... كذا له أن يحمي المواتا
يترك وفاء وقيل بل هذا كرم ... لنفسه ويأخذ الأقواتا
كذاك تخيير النساء اللاتي ... وغيرها من الطعام مهما
معه وأما في المحرمات ... احتاج والبذل فأوجب حتما
مما أبيح لسواه حرما ... من مالك إن يكن محتاجا
عليه فهو مد عينيه لما ... لكنه لفعل هذا ماجا
قد متع الناس به من زهرة ... والخلف في النقض بلمس المرأه
دنياهم كذاك من خائنة ... والمكث في المسجد مع جنابه
الأعين اعدده ونزعه لما ... وجائز نكاحه لتسعه
لبس من لأمة حرب حرما ... وفوقها وعقده بالهبه
حتى يلاقي العدا فينزعا ... فإن فلا بالعقد حتم مهره
صدقة فامنع ولو تطوعا ... ولا الدخول بخلاف غيره
والشعر والخط وقيل يمنع ... كذا بلا ولي أو شهود أو
ثوم ونحوه وأكل يقع ... في حال إحرام بخلف قد حكوا
مع أتكاء والنكاح للأمَه ... ومن يرم نكاحها لزمها
مع الكتابية غير المسلمه ... إجابة وحرمت خطبتها
كذاك إمساك التي قد كرهت ... ومن لها زوج فحقا وجبا
نكاحه والخلف في هذا ثبت ... طلاقها كما جرى لزينبا
وقد أباح ربه الوصالا ... وفي وجوب قسمه بين الإما
له وفي ساعة القتالا ... وبين زوجات له خلف نما
بمكة كذا بلا إحرام ... زوجاته كل محرمات
دخولها وليس بالمنام ... هن لذي الإيمان أمهات
مضطجعا نقض وضوئه حصل ... نكاحهن مع عقوقهنَّهْ
كذا اصطفا ماله الله أحل ... مع الوجوب لاحترامهنَّه
من قبل قسمة كذالك يقضي ... لا نظر وخلوة بهنَّه
لنفسه وولده فيمضي ... ولا بتحريم بناتهنَّه
كذا الشهادة كذاك يقبل ... من دخلت عليه أو قد فورقت
من شهدوا له كذاك يفصل ... أو مات عنها أو تكون سبقت
في حكمه بعلمه للعصمه ... وهن أفضل نساء الأمه
واختلفوا في غيره للريبه ... ضعفن في الأجر وفي العقوبه

أفضلهن مطلقا خديجه
وبعدها عائشة الصدّيقه
وأنه خاتم الأنبياء
خير الخلائق بلا مراء
أمته فى الناس أفضل الأمم
معصومة من الضلال بعصم
أصحابه خير القرون فى الملا
كتابه المحفوظ أن يُبدّلا
شرعته قد أبدت ونسخت
كل الشرائع التى قبل خلت
والأرض مسجد له طهور
والرعب شهرا نصره يسير
سيد أولاد أبينا آدما
قد حل الله له الغنائما
أرسل للناس جميعا أعطيا
مقامه المحمود حتى رضيا
وخص بالشفاعة العظمى
التى يحجم عنها كل من لها أوتى
أول من تنشق عنه الأرض
ولا ينام قلبه بل غمض
أول من يقوم للشفاعه
أول من يقرع باب الجنه
أكثر الأنبياء حقا تبعا
يرى وراءه كقُدّام معا
آتاه ربه جوامع الكلم
قرينه أسلم فهو قد سلم
صفوفه والأمة المباركه
كصف عند ربها الملائكه
ولا يحل الرفع فوق صوته
ولا ينادى باسمه بل نعته
خوطب فى الصلاة بالسلام
عليك دون سائر الأنام
ومن دعاه فى الصلاة وجبت
إجابة له وفرضه ثبت
وبوله ودمه إذ أتيا
تبركا من شارب ما نهيا
يقبل ما يُهدى له فحل
دون الولاة فهو لا يحل
فاتته ركعتان بعد الظهر
صلاهما ودام بعد العصر
وما لنا دوام ذا بل يمتنع
وما سوى سببه فمنقطع
ونسب يوم القيامة ومن
رآه نو بن أبى طالبما فهو قد رآه لن
يكون للشيطان من تمثل
بصورة النبى أو تخيل
وكذب عليه ليس ككذب
على سواه فهو أكبر الكذب

(العجالة السنية / ١٣٣ ـ ١٥٠).

وقد ألفت فى ذلك كتب منها «الخصائص الكبرى» للإمام الشيخ عبد الرحمن السيوطى، و «الخصائص الصغرى» له أيضا رحمه الله تعالى. ومنها كتاب «الخصائص» للعلامة مغلطاى التركى (محاسن الإسلام / ١٣١).

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٣، ونور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى. ط دار الغد العربى / ٤٠ ـ ٤٥، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ٣٨ ـ ٤٤، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقى ـ الشيخ عبد الرزاق المناوى / ١٣٣ ـ ١٥٠، ومحاسن الإسلام ـ الشيخ محمد سعد بن عبد الله الرباطابى العباسى / ١٣١).

*** خصائص السّواك:**

خصائص السّواك ـ للشيخ أبى الخير أحمد بن إسماعيل

القـزوينى الطـالقـانى وهـو مختصـر مشتمل على اثنى عشـر فصلا.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

*** الخصائص فى فضل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه:**

الخصائص فى فضل على بن أبى طـالب رضى الله تعالى عنـه: لـلإمـام أبى عبـد الـرحمن أحمـد بن شعيب النسـائى الحافظ المتوفى سنة ٣٠٣ ثلاث وثلثمائة ذكر أنه قيل له لم لا صنفت فى فضائل الشيخين قال دخلت إلى دمشق والمنحرف عن على بها كثير فصنفته رجاء أن يهـديهم الله سبحانه وتعالى به فأنكروا عليه وأخرجوه من المسجد ثم من دمشق إلى الرملة فمات بها.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٦).

*** خصائص القرآن:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٦٤٢٣

رسالـة فى خصائص القرآن نقل مؤلفهـا عن ابن عربى فى تفسيره الكبير الجمع والتفصيل فى أسـرار معانى التنزيل وعن أوحد الدين الكرمانى.

المؤلف:

أولهـا: اعلم أن للشيخ الأكبـر؟ محيى الـديـن بن على العربى الأنـدلسى الحاتمى الطائى قـدس سره العزيـز تفسيرا لكـلام الله تعـالى واسمـه كتـاب الجمع والتفصيل فى أسـرار معانى التنزيل وقدره ستـون وستمائة مجلد ووجد منه الآن فى مصر القاهرة إلى قوله تعالى وإذا قال موسى لفتاه...

آخرها: هـذه الآيات قطب الأقطاب والخـواص المذكورة جمعت ودونت من كتـب التفـاسيـر والأحـاديث... وشـرح خواصها خارجة من أن يدركها العقل والفهم وهذه الآيات... ياقدوس ياقائم يا قابل التوب...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

(فهرس مخطـوطات دار الكتب الظاهـرية. التصوف ـــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٨).

*** الخصائص الكبرى:**

الخصـائص الكبـرى، أو كفـايـة الطـالـب اللبيب فى خصائص الحبيب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وهـو عن خصائص رسول الله ﷺ (انظر هذه المادة تحت عنوانها).

وننقل لك فيما يلى خطبـة الكتاب، وقد وضعنـا تعليقات المحقق الدكتور هراس بين أقواس فى ثنايا النص. قال الإمام السيوطى رحمه الله بعد البسملة:

الحمد لله الذى أطلـع فى سماء النبوة سراجـا لامعا وقمرا منيرا، وأطلع من أكمـام الرسالة ثمـرا يانعا وزهرا منيـرا، تبارك اسمه، وتمت كلِمُـه، وعمَّت نعمه، وجمَّت حكمـه، وجرى بما كان وبما يكون قلمه.

(حـديث القلم وارد من طـرق عن أبى هـريـرة وعبـادة بن الصامت وابن عباس من رواية مقسم وأبى الضحى وأبى ظبيان ومجاهـد ولفظ رواية مجاهد «قيـل لابن عباس إن هاهنا قـوما يقولون فى القدر فقال: إنهم يكـذبون بكتاب الله عز وجل لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه.

(قـالت المـؤلفة: نصـاه: قبض على نـاصيتـه. المعجم الوسيط ٢ / ٩٢٧) إن الله عز وجل كـان عرسـه على الماء قبل أن يخلق شيئا ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال اكتب فكتب ما هو كـائن إلى قيام الساعة وإنمـا يجرى الناس على أمر قد فرغ منه).

أوجـد الأنام من العـدم، وجعل الضيـاء والظلم، وخلق اللوح والقلم، وقدر الآجـال والأرزاق والأعمال وقسم، أحمده وهو المحمود أزلا وأبـدا، وأشكره مستزيدا من نعمـه مسترفدا وأستهديه، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا، وأستنصره ولن تجـد من دونـه ملتحـدا، وأستكفيه ولـه الحـول، والقـوة سرمـدا، وأستعينه ونعم المولـى والنصير مؤيـدا، وأعتصم به وأستمسك بحبله فـلا انفصام لـه أبدا وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له إلها واحـدا، أحدا، فردا صمـدا لـم يتخذ صاحبـة ولا ولدا، تنزه عن سمـات المحدثـات فلا جسـم ولا

عرض ولا صوت ولا انتقال، ولا يحويه مكان ولا زمان ولا يخطر بالبال، ولا يدركه العقل ولا يحيط به الإدراك ولا للذهن إلى حقيقته مجال وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبى ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وسمع صريف الأقلام بالمستوى، وكتب الرحمن اسمه على العرش إذ استوى (أخرجه الحاكم وصححه وأفرده السبكى فى شفاء السقام والبلقينى فى فتاويه، ولكنه غير صحيح ففى سنده عمرو بن أوس وهو مجهول) وآذن باسمه فى المبتدأ فى الأرض وفى السماء، ويوم النشأة الأخرى سلّم عليه الحجر والشجر، ودر له ضرع الجذعة بالدَّرر وحن الجذع لفراقه حتى خار خوار البقر، ونبع الماء من أصابعه ومن الأرض انفجر، وانشق له وكان يناغيه فى مهده القمر، ونبع الماء من أصابعه ومن الأرض انفجر، وانشق له وكان يناغيه فى مهده القمر، وحى له الميت، وآمنت لدعوته أسكفة الباب وحوائط البيت (حنين الجذع ونبع الماء وانشقاق القمر كلها معجزات صحيحة واردة فى الصحيحين وغيرهما وأما مناغاة القمر فى المهد وإحياء الميت وإيمان الأسكفة والحيطان فهى آثار موضوعة أو واهية)، وأشار إلى السحاب بالغيث، فأجاب من غير ريث هيث ﷺ صلاة تسعد عند الممات، وتسعف عند أهوال المسألة بالثبات، وتجيز على الصراط إذا كثر الزالون والزالات، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى، وليوث العدى، وغيوث الندى، ما صاح حاد وشدا. وراح شاد وغدا، وصاب غاد وهدى، وغاب صاد وندا، وضال باد وودى، وسال واد وجدى، هذا كتاب مرقوم يشهد بفضله المقربون. وسحاب مركوم يحيى بوابله الأقصون والأقربون. كتاب نفيس جليل، محله من الكتاب محل الدرة من الإكليل، أو موضع السجدة من آى التنزيل، كتاب أمرعت قطراته، وأينعت ثمراته وعبقت زهراته، وأشرقت أنواره ونيِّراته. وصدقت أخباره آياته، كتاب بسقت فنونه، وأورقت غصونه، واتسقت أسانيده ومتونه، كتاب يؤجر قارئه ومستمعه، ويحفظ به إن شاء الله تعالى مؤلفه فيما يأتيه ويدعه، ويثبته بالقول الثابت إذا حان مصرعه ويكون له فى عرصات القيامة نورا يسعى بين يديه ويتبعه، كتاب جمع فأوعى، ما كَل عن جمعه ووهى، كل بطل شديد القوى، كتاب فاق الكتب فى نوعه جمعا وإتقانا، يشرح صدور المهتدين إيقانا، ويزداد به الذين آمنوا إيمانا، ديوان مستوف لما تناسخته السفرة الكرام البررة، مستوعب لما تناقلته أئمة الحديث بأسانيدها المعتبرة، مشتمل على ما اختص به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة، والخصائص التى أشرقت إشراق البدور السافرة، أوردت فيه كل ما ورد، ونزهته عن الأخبار الموضوعة، وما يرد وتتبعت الطرق. والشواهد، لما ضعف من حيث السند، ورتبته أقساما متناسقة، وأبوابا متلاحقة، بحيث جاء بحمد الله كاملا فى فنه؛ وابلا مطر دجنه سابغة ذيوله، سائغة نيوله، حلله ضافية، ومناهله صافية، وموارده كافية، ومصادره وافية، لا تجمع واردة إلا وهى فيه مسموعة، ولا تسمع شاردة إلا وتراها فى ديوانه مجموعة، قربت فيه ما كان بعيدا. وآنست ما كان فريدا، وأهّلت ما كان شريدا وفتحت لكل غريبة وصيدا (الوصيد: الباب) وشرحت به صدور قوم مؤمنين. وقلوب طائفة آمنين، وغظت به الجاحدين والمفسدين، والطائفة المبتدعة والملحدين والفلاسفة المتمردين، ورجوت به الحسنى ومن يهده الله فهو من المهتدين (الخصائص الكبرى ١ / ٩٠٥).

قالت المؤلفة: لم أجد فيما لدى من المراجع التى ترجمت للسيوطى أو فى ترجمته الذاتية (حسن المحاضرة ١ / ٣٣٥ - ٣٤٤) أى ذكر لكتاب بعنوان «الخصائص الكبرى» أو بالعنوان الفرعى «كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب»، وليس لدى من دليل على نسبة الكتاب للسيوطى سوى الطبعتين اللتين نقلت منهما هذه المادة، وهما طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس، وطبعة مكتبة ٣٠ تموز ببغداد أما عن الترجمة الذاتية للسيوطى، وهى المشار إليها آنفا، فقد ذكر السيوطى من بين مؤلفاته فى فن الحديث وتعلقاته كتابا بعنوان «المعجزات والخصائص النبوية» وهو الذى ذكره صاحب الأعلام (٣ / ٣٠٢) باسم «الخصائص والمعجزات النبوية»

وذكر السيوطى فى ترجمته الذاتية أيضا من بين مؤلفاته فى الأجزاء المفردة كتابا باسم «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب» ويأتى بيانه فيما بعد.

وأورد صاحب كشف الظنون كتابا للسيوطى بعنوان «الخصائص النبوية» (كشف ١ / ٧٠٥ ، ٧٠٦) وذكر أول الكتاب وهو مطابق لأول كتاب الخصائص الكبرى الذى نحن بصدده. مما قد يشجعنا على القول بأن الاسمين هما لكتاب واحد. ومما يؤيد هذا الاستنتاج أنه يوجد بمعهد المخطوطات العربية كتاب نورده فى موضعه إن شاء الله تعالى وهو بعنوان «الخصائص النبوية الكبرى»، أى أنه يجمع بين العنوانين. بقى أن نضيف أن العنوان الفرعى، وهو «كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب» لا يرد فى أى من المراجع التى بين يدى.

قال صاحب كشف الظنون تحت عنوان «الخصائص النبوية».

الخصائص النبوية :

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة وهو مجلد أوله : الحمد لله الذى اطلع فى سماء النبوة ... إلخ ذكر فيه أنه تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الألف ثم اختصره وسماه أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب روى أنه أخذه بعض معاصريه وأسنده إلى نفسه فكتب السيوطى فيه مقامة تسمى الفارق بين المصنف والسارق. واختصره أيضا الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة. وعلى الأنموذج المذكور شرحان كبير وصغير لعبد الرءوف المناوى. وصنف فيه أيضا سراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة، وجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينى المتوفى سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة، وإمام الكاملية (هو كمال الدين محمد بن محمد الشامى المتوفى سنة ٨٧٤) والقطب الخيضرى ويوسف بن موسى الجذامى (الأندلسى المعروف بابن المعدى المتوفى سنة ٦٦٣) وابن حجر العسقلانى وسماه الأنوار (كشف ١ / ٧٠٥، ٧٠٦).

كما أورد كتاب أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب كما يلى :

أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة. مختصر أوله : الحمد لله الذى أتقن بحكمته كل شيء ... إلخ ذكر فيه أنه لخصه من كتابه الكبير فى الخصائص وجعله على بابين : الأول فى التى اختص بها عليه الصلاة والسلام عن جميع الأنبياء، والثانى فى التى اختص بها عن أمته (كشف ١ / ١٨٥).

أما مخطوط معهد المخطوطات العربية الذى سبقت الإشارة إليه فقد ورد فى الفهرس (مسلسل ١٥٩٠) تحت عنوان «الخصائص النبوية الكبرى» وجاء بيانه كما يلى :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى، المتوفى سنة ٩١١ هـ (بروكلمن ٢ / ١٤٦ وملحق ٢ /١٨١).

أوله : «الحمد لله الذى أطلع فى سماء النبوة سراجا لامعا».

وآخره : «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ... والحمد لله رب العالمين. نجزت الخصائص الكبرى والمعجزات النبوية ... ووافق فراغه يوم الأربعاء ثالث وعشرين ربيع الأول عام خمسة وثلاثين وألف للهجرة ... قال ذلك كاتبه ... محمد السعيد بن عمر بن أحمد بن محمد الحسنى تاب الله عليه. نسخة كتبت بخط مغربى فى ٣١٠ ورقات، ومسطرتها ٢٦ سطرا.

[ليبيا. مكتبة الأوقاف. طرابلس الغرب ٢٣] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة جـ ٢ ق ٤ / ١٥٩، ١٦٠).

(الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ تحقيق د. محمد خليل هراس. ط دار الكتب الحديثة. القاهرة ١/ ٥ ـ ٩، و ط مكتبة ٣٠ تموز.

بغداد ١ / ٢، ٣، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠٥، ٧٠٦، ١٨٥، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٩، ١٦٠).

* **الخصائص الكبرى ـ للنبى ﷺ:**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد بن إبراهيم الرحمانى الحنفى، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى (فهرست المكتبة الأزهرية ١ / ٤٦٦).

أوله: «الحمد لله الذى أتقن بحكمته فاحتبك، وبعث حبيبه محمدا فأنار به كل حلك».

وآخره: «واجعلنا من الفائزين بقربه وجواره ولـذذ بصائرنا بالنظر إلى طلعة جمال أنواره بدار القرار يا كريم والحمد لله رب العالمين».

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ٢٦٧ ورقة، ومسطرتها ٢٣ سطرا. وقد فرغ المؤلف من تبييض كتابه يوم الأحد سابع محرم سنة ١٠٣٩ هـ

[الأزهر ٩٠٧ حديث] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م / ١٥٩).

* **خصائص المدن:**

مما عنى به الجغرافيون العرب وصف خصائص المدن، فالمدينة الإسلامية تحتل عندهم مكانة بارزة، ونحن نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى ونسوق لك فيما يلى نموذجا من ذلك الوصف هو ما أورده ابن قتيبة عن عدد كبير من المدن الإسلامية، وذلك فى كتابه «عيون الأخبار». قال رحمه الله:

قالت الحكماء: المدائن لاتبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء والكلأ والمحتطب.

قال ابن شهاب: من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عوفى من وبائها.

وقال معاوية لقوم قدموا عليه: كلوا من فحا أرضنا، فقلما أكل قوم من فحا أرض فضرهم ماؤها (الفحا: التوابل، كالفلفل والكمون وغيرهما).

حدثنى الرياشى قال: حدثنى الأصمعى قال:

قال معاوية: أغبط الناس عندى سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يتربع جُدَّة ويتقيظ الطائف ويتشتى مكة.

حدثنا الرياشى قال: حدثنا الأصمعى قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الخطر والكندر والعصب والورس. (الخطر: نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به. والكندر: اللبان. والعصب: برود يمنية يعصب غزلها أى يجمع ويشد. والورس: نبت أصفر يصبغ به).

وقال الأصمعى عن معمر قال: وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هذه القرية؟ فقالت: ويحك! أما سمعت قول الشاعر:

أحب أثافت عند القطاف

وعند عصارة أعنابها

قال الأصمعى: سواد البصرة: الأهواز ودستميسان وفارس. وسواد الكوفة: كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية. وعمل العراق: هيت إلى الصين والسند والهند، ثم كذلك إلى الرى وخراسان إلى الديلم والجبال كلها، وأصبهان صرة العراق، افتتحها أبو موسى الأشعرى. والجزيرة ما بين دجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة، ومصر لا تدخل فى عمل العراق.

حدثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقردى تسمى سوق ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين، فهى اليوم تسمى سوق ثمانين.

قال: وحران سميت بهاران بن آزر أخى إبراهيم النبى ﷺ وهو أبو لوط.

قال النبى ﷺ لبريدة: «يابريدة إنه سيبعث بعدى بعوث، فإذا بعثت فكن فى أهل بعث المشرق، ثم فى بعث خراسان، ثم فى بعث أرض يقال لها: مرو، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه

[illegible] في [illegible] في

[illegible] التي [illegible]

[illegible] بن الخليل قال: حدثني الأصمعي قال: أ[illegible] عن أبي رجاء قال:

[illegible] فرسخ [illegible] إذا [illegible] الروم [illegible] الأبلة [illegible] فرسخ [illegible] ملك [illegible] أقصى [illegible] فرسخ.

وقال أبو [illegible]: [illegible] ابن عباس فأقبل رجل فجلس، [illegible] من أي [illegible]؟ قال: من أهل خراسان. قال: من أي [illegible]؟ قال: من هراة (وهي مدينة عظيمة بخراسان) قال: [illegible] بوشنج (وهي بلدة صغيرة من نواحي [illegible]). ثم قال: ما فعل مسجدها؟ قال: [illegible]. قال ابن عباس: كان لإبراهيم (وهو إبراهيم الخليل عليه السلام) [illegible] مسجدان: المسجد الحرام ومسجد بوشنج. ثم قال: ما فعلت الشجرة التي عند المسجد؟ قال: [illegible]. قال: أخبرني العباس أنه قال (أي نام وقت القيلولة أي الظهيرة) في ظلها.

حدثني محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا يزيد بن خالد ابن عبد الله بن موهب الهمداني عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال:

لما قدم علي رضي الله عنه البصرة ارتقى على منبرها

فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح أرض يقال لها البصرة، أقوم الأرضين قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومتصدقها أعظم الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة، منها إلى قرية يقال لها الأبلة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجد جامعها أربعون ألفاً، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معي يوم بدر».

حدثنا القاسم بن الحسن قال: أبو سلمة قال: أخبرني أبو المهزم عن أبي هريرة قال: مُثّلت الدنيا على مثال طائر، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربتا وقع الأمر.

حدثني [illegible] أيضاً عن هارون بن [illegible] عن [illegible] عن ابن شوذب عن خالد بن ميمون قال:

البصرة أشد الأرض عذاباً وأخبثها تراباً وأسرعها خراباً.

قال: وقال ابن شوذب عن يزيد الرشك: قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دانق (الدانق وزن ما يساوي ٠٫٤٠٢ جم والمراد هنا إلا قليلاً).

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر: تفاخروا عند زياد بن أبيه البصرة والكوفة، فقال زياد: لو ضلت أتان بالبصرة لجعلت الكوفة لمن دلني عليها.

قال محمد بن سيرين: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة بن شعبة عزله عن البصرة واستعمله على الجزيرة. [illegible] عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد فيها الكذان الغليظ (الكذان: حجارة رخوة تميل إلى البياض) [illegible] فقال: هذه البصرة فانزلوا بسم الله.

وقال أبو وائل: اختط الناس البصرة (أي حددوها) سنة سبع عشرة هـ (٦٣٨ م).

فخر ناس من بني الحارث بن كعب (وهي قبيلة يمنية) عند أبي العباس، فقال أبو العباس لخالد بن صفوان: ألا تكلم يا خالد؟ قال: أخوال أمير المؤمنين وأهله. قال: فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته. قال خالد: ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد، دل عليهم هدهد، وغرقتهم فأرة، وملكتهم امرأة (يريد هدهد النبي سليمان، والفئران التي كانت سبب خراب سد مأرب، والمرأة: بلقيس).

سئل خالد عن الكوفة فقال: نحن منابتنا قصب، وأنهارنا عجب، وثمارنا رطب، وأرضنا ذهب، قال الأحنف نحن أبعد منكم سرية، وأعظم منكم بحرية، وأغذى منكم برية. وقال

أبو بكر الهذلى : نحن أكثر منكم ساجا (الساج : شجر عظيم طيب الرائحة ، قيل يشبه الأبنوس وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجاجا) .

وقال الخليل (وهو الخليل بن أحمد الفراهيدى ، واضع علم العروض وإمام اللغويين ، توفى سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م) . فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة :

زر وادىَ القصر نعم القصر والوادى
لا بد من زورة عن غير ميعاد
ترفا بن السفن والظلمان واقفة
والضب والنون والملاح والحادى

(ترفا : تصلح ، الظلمان : مفردها ظليم وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت) .

قال ابن أبى عيينة فى مثل ذلك :

يا جنة فاتت الجنان فما
تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنا
إن فؤادى لحبها وطن
زوج حيتانها الضباب بها
فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر فيما تطيف به
إن الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة
ومن نعام كأنها سفن

أنشد محمد بن عمر عن ابن كناسة فى ظهر الكوفة

(وهو محمد بن عبد الله (الملقب بكناسة) الأسدى ، من شعراء الدولة العباسية ومن أهل الكوفة ، وكان عالما بالعربية وأيام الناس وراوية للشاعر الكميت وغيره . توفى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣م)

وإن بها لو تعلمين أصائلا
وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

وكان يقال : إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شآمية فقد كمل .

لما اجتوى (أى كرهوا المقام بها) المسلمون المدائن (من بلاد الفرس بالعراق) بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب كتب عمر إلى سعد فى بعثة رواد يرتادون منزلا بريا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء . فسأل من قبله عن هذه الصفة فيما يليهم ، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين إلى عين بنى الحداء ، وكانت العرب تقول : أدلع البر لسانه فى الريف (أى خرجه) فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلى الظهر منه فهو النجاف ، فكتب إلى سعد يأمره به .

وقال النابغة الجعدى يمدح الشأم :

جاعلين الشأم حما لهم
ولئن هموا لنعم المنتقل
موته أجر ومحياه غنى
وإليه عن أذاه معتزل

(الحم : القصد) .

وقال أيضا :

ولكن قومى أصبحوا مثل خيبر
بها داؤها ولا تضر الأعاديا

قال الأصمعى : لم يولد بغدير خم (خم : واد بين مكه والمدينة عند الجحفة به غدير) مولود فعاش إلى أن يحتلم إلا أن يتحول عنها .

قال وحرة ليلى ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . الحرة : الأرض الغليظة ذات الحجارة النخرة السود كأنها أحرقت بالنار . وحرة ليلى يطؤها الحجاج فى طريقهم إلى المدينة المنورة وهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة) .

قال عمرو بن بحر يزعمون أن من دخل أرض تبت (وهى المعروفة بالتبت المتاخمة للصين) لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها .

ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقّد قوته وجد فيها فضلا .

ومن أقام بالأهواز حولا فتفقد عقله وجد النقصان فيه بيّنا .

والناس يقولون : حمى خيبر، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة، وطواعين الشأم .

قالوا : من أطال الصوم بالمصيصة (وهى مدينة على شاطىء نهر جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم (تركيا اليوم) تقارب طرسوس) فى الصيف خيف عليه الجنون .

وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ووباؤها وحماها يكون فى وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمى عن جميع البلدان، وكل محموم فإن حماه إذا أقلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة إلى أن يعود إلى التخليط، وإلى أن يجتمع فى جوفه الفساد إلا محموم الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علة حدثت، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها المطل عليها، والجرارات (وهى عقارب قتالة تجر ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب) فى بيوتها، ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة، وفيها أنهار تشقها مسايل كنُفهم(جمع كنيف وهو المرحاض، يريد المياه القذرة الناتجة عن المراحيض) ومياه أمطارهم، فإذا طلعت الشمس طال مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل تشبب (أى ارتفاع) الصخرية التى فيها الجرارات، فإذا امتلأت يبسا وحرا وعادت جمرة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار. فإذا التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء، وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء .

وقال إبراهيم بن العباس الكاتب (هو الصولى، كاتب العراق فى عصره، كان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل، توفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) : حدثنى مشايخ أهل الأهواز عن القوابل جمع قابلة وهى التى تقوم بالتوليد أنهن ربما قبلن الطفل فيجدنه فى تلك الساعة محموما يعرفن ذلك ويتحدثن به .

قال : وفى عهد سجستان على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه، لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار.

وقال ابن عياش لأبى بكر الهذلى يوم فاخره عند أبى العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عطارد (وهو ابن حاجب بن زرارة التميمى الدارمى، من أشراف أهل الكوفة وأجوادهم توفى نحو سنة ٨٥ هـ / ٧٠٥م) : إن الكوفة قد سفلت عن الشأم ووبائها، وارتفعت عن البصرة وعمقها فهى مريئة مربعة عذبة ثرية إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور (هو فتات الكافور) وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد ووروده وياسمينه وأترجه (انظر مادة «الأترج» فى م ٢ / ٣٠٥ ـ ٣١١)وماؤنا عذب وعيشنا خصب .

وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء، والبصرة عجوز بخراء أوتيت من كل حلى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة فى سمر يزيد بن عمر بن هبيرة، فقال يزيد : أى البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزاذ والمعقلى وكذا وكذا فقال عبد الرحمن بن بشير العجلى لست أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجل، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأى الرطب تحملون إليه؟ قال المشان . قال ليس بالبصرة منه واحدة . ثم أيه؟ قال : السابرى . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد ابن صفوان : بل عندنا بالبصرة منه شيء يسير. قال : فأى التمر تحملون إليه؟ قال : النرسيان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : ثم أيه؟ قال الهيرون أزاذ قال : ولا بالبصرة منه واحدة (وكلها أنواع جيدة من التمر) قال : فأى القسب (وهو التمر اليابس) تحملون إليه قال : قسب العنبر. ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا فشاركته فى واحدة وسلمت له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

قال خالد بن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأبلة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد (الأُبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة، انظر مادة «الأبلة» فى م ٢ / ٢٠٦) .

وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر أنس بالبصرة :

فيا حسن ذاك القصر قصرا ونزهة
بأفيح سهل غير وعر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجوارى وتربة
كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله
إلى ملك موف على منبر الملك
يدل عليها مستطيلا بحسنه
ويضحك منها وهى مطرقة تبكى

(من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة / ٢٣٠ ـ ٢٤٦) .

*** الخصائص المكية لزائرى الحبيب محمد ﷺ إلى المدينة:**

(جاء في عنوان المطبوعة كما يلي : الدرة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلى المدينة) من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٣٢٣

وهو في فصول، وفي مائة طبقة ، منها الطبقة السادسة من طبقات الزيارة والزائرين وأن لهم من الله توبة ورحمة من حضرة الله العليم مفاتحة ومكافحة بسلطان العلم القاضي في المعلومات بسلطانه . ضمنه كثيرا من مشارب الصوفية ومقابلتها مع الأسماء الإلهية والأسماء المحمدية .

المؤلف : صفي الدين أحمد بن محمد المدني الأنصاري الدجاني البدري الحسيني المتوفى سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦١ م.

أوله : بسم الله وصلى الله على سيدنا محمد الذى ألهم بالعقل الأقوم، لبروز الأمر منه إليهم بداعي (وما آتاكم الرسول **فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** وآله وصحبه الرقيب عند قول القائل : وهمة الهام فى سائر الهمم بما فاؤوا به منا...

آخره : ونقل صاحب الدر المنظم أنه ﷺ لما مات ... في أمته رحمة لهم فإنه ﷺ عز وجل أن يكون بين أمته إلى ... م القيامة وحديث «أنا أكرم على ربى أن يتركنى فى قبرى .. »

الخط نسخ مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة مصححة ومراجعة قوبلت على المطبوعة فصح أولها وآخرها ، كانت مجهولة فأثبتها بالمقابلة مع نسخة مطبوعة لدى .

مصادر عن الكتاب : الإيضاح ١ / ٤٥٧ معجم المطبوعات / ١٧٢١ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ١٧٠ .

طبعة الكتاب : مصر بمطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٦ هـ بـ ١٥٧ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ، وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٩ ، ٥٠٠)

*** الخصائص النبوية:**

انظر : الخصائص الكبرى .

*** الخصائص النبوية الكبرى:**

انظر : الخصائص الكبرى

*** الخصم:**

الخصم (بفتح الخاء) : المخاصم والمنازع يقع على المفرد وغيره والمذكر والأنثى بلفظ واحد ، فتقول : هذا خصمي ، وهذه خصمي وهم خصمي ، وهن خصمي ، وفي لغة فصيحة يطابق في التثنية ، وبها ورد قوله تعالى في سورة الحج : **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾** [الحج : ١٩] وفي سورة ص : **﴿ إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض﴾** [ص : ٢٢] ويطابق في الجمع فيقال : هؤلاء خصوم .

في المختار : الخصم معروف يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع لأنه فى الأصل مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول : خصمان ، وخصوم (الرسالة الرشادية / ٢٤).

قال الراغب الأصفهاني :

خصم : الخصم مصدر خصمته أى نازعته خصما ، يقال خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاما ، قال تعالى ﴿وهو ألد الخصام﴾ [البقرة : ٢٠٤] ﴿وهو فى الخصام غير مبين﴾ [الزخرف : ١٨] ثم سمى المخاصم خصما ، واستعمل

للواحد والجمع وربما ثُنّي، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخُصْم الآخر أي جانبه وأن يجذب كل واحد خُصْم الجوالق من جانبه، وروي: نسيته في خُصم فراشي، والجمع خصوم وأخصام وقوله تعالى: ﴿خصمان اختصموا﴾ [الحج: ١٩] أي فريقان ولذلك قال اختصموا وقال تعالى: ﴿لا تختصموا﴾ [ق: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء: ٩٦] والخصيم الكثير المخاصمة، قال: ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ [النحل: ٤] و[يس: ٧٧] والخصم المختص بالخصومة، قال: ﴿قوم خصمون﴾ [الزخرف: ٥٨].

(المفردات/ ١٤٩).

وفي منظومته التاريخية «دول العرب وعظماء الإسلام» يسجل أمير الشعراء أحمد شوقي ما شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ونذكره فيما يلي، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها. قال الناظم رحمه الله تحت عنوان «الخصمان»:

١ ـ يا فطنا بين الكبار
مفتنا بغرر الأخبار

٢ ـ وطالب الجوهر في التراجم
ملتمس التبر من المناجم

٣ ـ جئتك بالبرجاس والمريخ
خصمين بين يدي التاريخ

٤ ـ قرنت خيرها تقى وعلما
بخيرها سياسة وحلما

٥ ـ بل قرنت بينهما أيدي الغير
وافترقا على التلاقي في السير

٦ ـ أبو الشهابين وهل يخفى القمر
والثاقب الرأي اللعوب بالزمر

٧ ـ أو قيم الدين ولا أحابي
وقيم الدنيا من الصحاب

٨ ـ إن ذكر الآباء جاءا بالقمر
جدا تمناه العتيق وعمر

٩ ـ تحاربا مسخرين من خصام
ولاتيا السابقة في الأعلام

١٠ ـ قسوتي على تفاوت المنسوب
كالموم والشهد من اليعسوب

وإليك معاني بعض الألفاظ:

البيت ٣: البرجاس: المشتري، ويعني بالبرجاس والمريخ عليًا ومعاوية.

البيت ٤: صدر البيت: هو عليّ رضي الله عنه

: عجز البيت: هو معاوية رضي الله عنه

البيت ٥: الغير: يريد بالغير ما شجر بين علي ومعاوية

البيت ٦: صدر البيت: أبو الشهابين: علي رضي الله عنه، والشهابان: الحسن والحسين

: عجز البيت: معاوية

البيت ٨: القمر: هو عبد مناف وهو جدهما الذي يلتقيان فيه

العتيق: هو أبو بكر

البيت ١٠: الموم: الشمع، واليعسوب: أمير النحل (دول العرب/ ٥٢)

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معًا في العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة/ ٢٤، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني/ ١٤٩، ودول العرب وعظماء الإسلام ـ نظم أحمد شوقي/ ٥٢).

*** خصوصيات يوم الجمعة:**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٥٢٦٨

كتاب في مائة خصوصية ليوم الجمعة وما ورد فيها من الآثار والأخبار. الخصوصية الأولى أنه عيد هذه الأمة. الخصوصية المائة وواحد أن الجمعة تبعث يوم القيامة كالعروس.

المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطي الشافعي المصري المتوفى سن ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م.

أوله : الحمد لله الذي خص هذه الأمة المحمدية بما ادخر لها من الفضائل السنية ... وبعد فقد ذكر الأستاذ المصنف ...

آخره : الحادية بعد المائة أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبي موسى ... لا يطرقون تعجبا حتى يدخلوا الجنة ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثانية

الرقم ٧٦٦٤

أولها وآخرها : كالسابقة.

الخط فارسي واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصادر عن الكتاب : الدكتور صلاح الدين المنجد معجم المخطوطات المطبوعة ٢ / ٨٣ برقم ٤ فهرس الخديوية ٧ / ٢٤٧، مخطوطات جامعة الرياض ١٨ رقم ٩ نشرة خاصة بمؤلفات السيوطي.

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨.

طبعة الكتاب : ١ـ مصر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ١٨٨ باسم نور اللمعة في خصائص يوم الجمعة سنة ١٣٤٣ هـ. ٢ ـ صورت في بيروت صورها أمين دمج سنة ١٩٧٠ م ٣ ـ مصر مكتبة التوفيق بالصنادقية بـ ٣٤ ص بلا تاريخ. ٤ ـ يقول الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس : طبعته بدمشق بتحقيقي وشرحي المرة الأولى سنة ١٩٦٤ م بمطابع دار الفكر بدمشق بـ ١٤٠ ص ٥. طبعته ثانية بدمشق بمطبعة العلم سنة ١٩٦٦ م بـ ١٤٠ ص مع تنقيح وزيادات.

بعض نسخ الكتاب : أحتفظ بنسخة مخطوطة منه، دار الكتب المصرية مجموعة ١٩٤ / ١٢ عارف حكمت بالمدينة ٧٢ حديث، جامعة الرياض ١٢٧ متسلسل ٢٩ رقم ١٣٨٢ / ٨.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٢، ٥٠٣).

*** الخضاب:**

جاء في اللسان في مادة «خضب» : الخضاب : ما يخضب به من حِنَّاء وكتم ونحوه، وفي الصحاح : الخضاب ما يختضب به

واختضب بالحناء ونحوه، وخضب الشيء يخضبه خضْبا، وخضبه : غيَّر لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما. قال الأعشى :

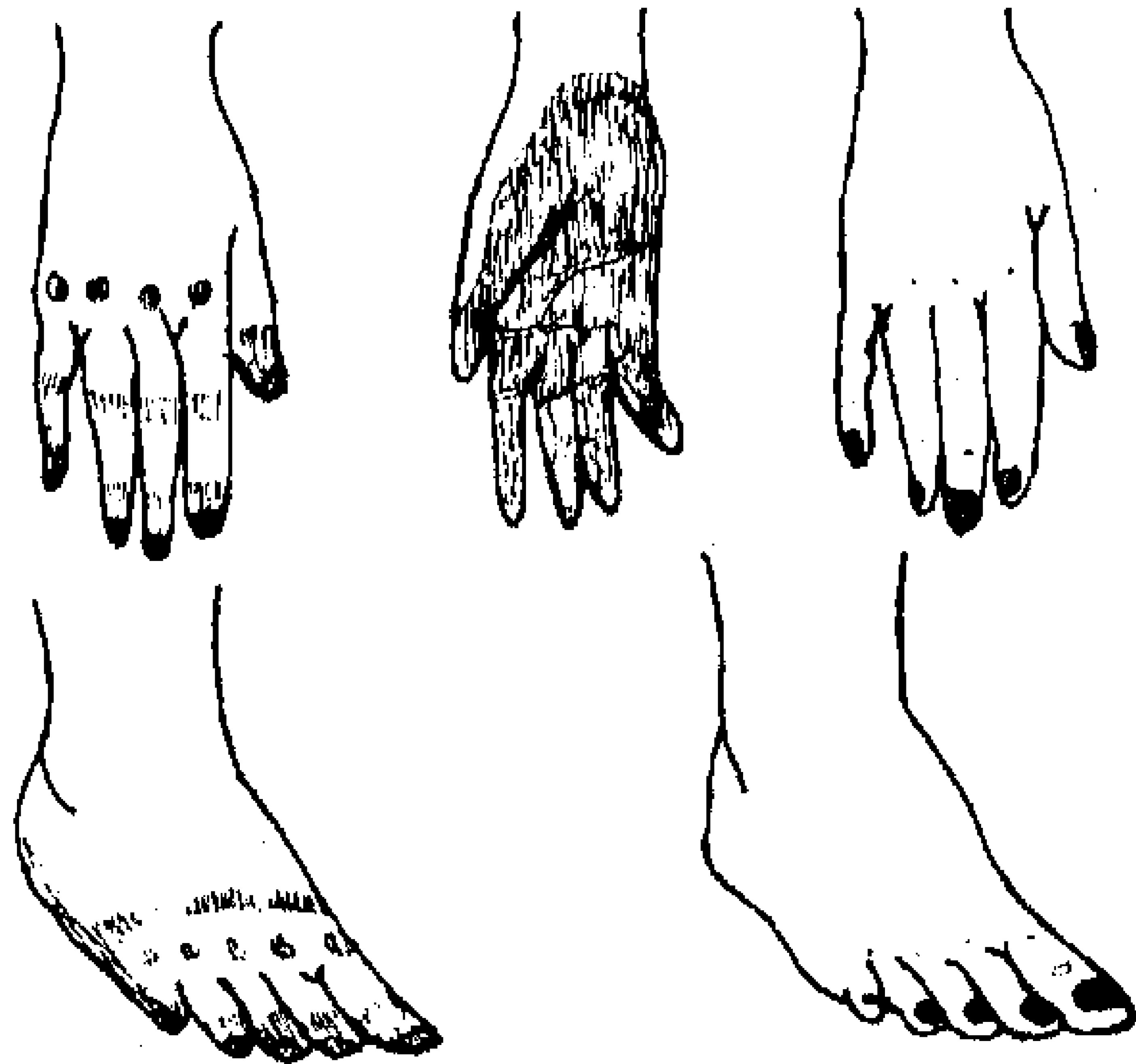
أرى رجـــلا منكم أسفـــا كـأنمـــا
يضـم إلى كشحيـــه كفـــا مخضبـــا

وخضب الرجل شيبه بالحناء يخضبه، والخضاب : الاسم : قال السهيلي : عبد المطلب أول من خضب بالسواد من العرب. ويقال : اختضب الرجل، واختضبت المرأة، من غير ذكر الشَّعر.

وكل ما غير لونه فهو مخضوب وخضيب، وكذلك الأنثى، يقال : كف خضيب، وامرأة خضيب (الأخيرة عن اللحياني)، والجمع خُضُب

التهذيب : كل لون غيَّر لونه حمرة فهو مخضوب ... وقد اختضب بالحِناء ونحوه وتخضب، واسم ما يخضب به : الخضاب (لسان العرب ١٤ / ١١٧٩).

وقد ذكره صاحب تسهيل المنافع من بين عشرة أشياء في تدبير البدن الصحيح فقال في فصل في الخضاب في الرأس



واللحية واليدين والرجلين: هو سنة مندوب إليها وهو يلين الأعضاء، ويزيد فى نور البصر قلت وما ذكره فى الخضاب بالحناء فهو جائز للرجال والنساء فى اليدين والرجلين فقال الإمام الريمى عليها ونقله البيهقى وقال هو مقتض ما فى البيان والشامل والحاوى الكبير للماوردى ونقل عن الإمام محمد بن إسماعيل والد الفقيه إسماعيل المشهور وقال ولا التفات إلى ماوقع فى شرح الوجيز للعجلى والروضة من تحريمه وله فى ذلك كلام طويل فليطلبه من أراد ذلك واختار هذا الفقيه أبو بكر العرضى رحمه الله تعالى فقال فى شرح المهذب: وأما الخضاب بالحناء فمستحب للزوجة فى يديها ورجليها تعميما لا تطريفا ويكره لغيرها ويحرم ذلك للرجل لعموم الأحاديث الصحيحة فى نهى الرجال عن التشبه بالنساء إلا لحاجة وفى الروضة وفتاوى ابن الصلاح نحوه. والمراد بالتطريف هو خضب أطراف الأصابع كما قاله فى الروضة والله أعلم. ومال صاحب كتاب الرحمة إلى ترجيح التحريم فقال ما لفظه: وأما الرجل فيحرم عليه خضاب يديه ورجليه بالحناء إلا لحاجة وقد نص على ذلك حسين والبغوى والجيلى والعجلى والنووى وغيرهم وذكر فى شرح المهذب أنه صنف فيه بعض الحكماء كتابا فى إثبات تحريمه والرد على فاعله فقد فعل ذلك من الرجال مع العلم بتحريمه ولم يصح عن النبى ﷺ فى ذلك شىء بل الوارد عنه خضاب الشعر الشائب لا غير فإنه يجوز خضاب الرأس واللحية بصفرة أو حمرة وأحسن ما غيَّر به الشيب الحناء والكتم كذا قاله النبى ﷺ ويحرم خضابه بالسواد إلا لجهاد الكفار ودليل جميع ما ذكرته من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة معروف فى كتب الحديث انتهى لفظه فحينئذ تكون المسألة مسألة خلاف وفى فتاوى الإمام محيى الدين النووى ما صورته. ما الحكم فى خضاب اللحية البيضاء؟ الجواب خضابها بصفرة أو حمرة سنة وخضابها بالسواد حرام على الصحيح وقيل مكروه وهذا فى حق الرجل والمرأة إلا الرجل المجاهد قال الماردينى لا يحرم فى حقه. وقال فى صحيح مسلم عن جابر أن النبى ﷺ حين رأى لحية أبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بيضاء قال غيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد هذا لفظه بحروفه انتهى. وفى سنن أبى داود فى الخضاب بالصفرة عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ وسلم كان يلبس النعال السبتية وهى التى لا شعر فيها أى خلقة كما قاله فى فقه اللغة وكفاية المتحفظ وغيرهما والله أعلم؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما مر على النبى ﷺ رجل وقد خضب لحيته بالحناء فقال ما أحسن هذا قال ومر رجل آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال ما أحسن هذا كله انتهى كلامه. وفى كتاب الأربعين أن جرير بن عبد الله البجلى هذا كان من كرام أصحاب رسول الله ﷺ فاق الناس كما قال فيه النبى ﷺ على وجهه مسحة ملك وكان نعله زراعا وقد أحببت أن أذكر أشياء فى خضاب الشعر والدليل على ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب اللقط.

فصل: وأما الخضاب فقد روى الزبير وعبد الرحمن بن عوف وعائشة رضى الله عنهم عن النبى ﷺأنه قال «غيِّروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى» وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام: «اختضبوا فإن الملائكة عليهم السلام يستبشرون بخضاب المؤمن» وروى الشيخ بإسناده عن عثمان بن عبد الله بن وهب قال دخلنا على أمّ سلمة فأخرجت لنا شعرا من شعر رسول الله ﷺ مخضوبا بالحناء والكتم رواه الإمام أحمد فى مسنده قال الشيخ وقد خضب بالحناء والكتم أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم فى خلق كثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين وقد روينا أن رسول الله ﷺ اختضب بالحناء أى خالصا لم يخلط بغيره والله أعلم. وروى الشيخ بإسناده عن أبى رمثة قال فى رسول الله ﷺ ورأيته قد لطخ لحيته بالحناء وقد اختضب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنس بن مالك وأبو هريرة وعبد الله بن أبى أوفى فى خلق كثير من صحابته رضى الله عنهم أجمعين. فإن قال قائل أليس قد صح فى الحديث عن أنس قال لم يختضب رسول الله ﷺ فقد أجاب عن هذا أحمد بن حنبل فقال شوهد من رسول الله ﷺ أنه خضب وقال الإمام محيى الدين النووى فى شرح مسلم المختار أنه ﷺ صَبَغَه فى وقت وتركه فى معظم الأوقات فأخبر كل بما رآه وهو صادق والله أعلم. ورأى أحمد بن حنبل رجلا قد خضب فقال إنى لأرى الرجل يحيى شيئا من السنة فأفرح به

وإني لأستحي أن أرى الشيخ قد غير شيبه إلى الشيخ وما زالوا يخضبون بالسواد... وروى أيضا في مسند الإمام أحمد. وقد صح عن الحسن والحسين عليهما السلام أنهما كانا يخضبان بالسواد وروى ابن جرير في كتاب تهذيب الآثار ذلك عنهما وعن عثمان بن عفان أيضا. وكذلك كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، وعمرو بن العاص، ومن التابعين عمرو بن عثمان بن عفان، وعلي بن عبد الله بن العباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن أبي طلحة، وإسماعيل ابن محمد بكر بن البديوي، والزهري وغيرهم. وخضب بالسواد محارب ويزيد الرقاشي والحجاج ابن أرطاة وابن جريج وابن يعقوب ومحمد بن إسحق وابن أبي ليلى وابن علاقة وغيلان بن جامع ونافع بن جبير وعمر بن علي المقدمي وأبو عبد الله القاسم بن سلام في جماعة يطول ذكرهم؛ ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وأبو جعفر المنصور وعبد الله بن المغيرة وذكرت الأطراف وأشباهها بأسانيدها في كتاب الشيب والخضاب فكرهت إعادتها ههنا.

فإن قال قائل الخضاب بكل شيء لا يلبس وإنما يلبس بالسواد وقد جاءت فيه أحاديث تدل على الكراهة. الجواب أنه متى ما قصد به التدليس كان مكروها منهيا عنه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل من يخطبها ويخضب المملوك ليباع فالغرر منهي عنه لا نفس الخضاب. والكراهة في أحاديث النهي ترجع إلى الغرور وكل هذا مبين في كتاب الشيب والخضاب. واعلم أن الشرع جاء بالأخلاق السديدة والأمور الرشيدة فما غيروا الشيب حرافا ولكن تهابه منه النفس لأن الإنسان إذا رآه استشعر الموت وكان في تغطيته أمل يعيش به وإن كانت النفس تعلم باطن الحال، والثاني أمن لزوجته فإن علمت ذلك آنست به ولم تنفر من الشيب كما قال الشاعر:

* وبين البيض والبيض الحروب *

إلى غير ذلك من الفوائد انتهى، والمفهوم من كلامه جواز الخضاب بالسواد مطلقا إذا لم يكن تدليس وغرور كما ذكره في كلامه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل ليغر من يخطبها ويخضب المملوك ليغر من يشتريه فهذا عنده غني وتظل [illegible] الخضاب بالسواد [illegible] الصبغ [illegible] إذا [illegible] هذه [illegible] بالسواد كما [illegible] والصحيح المجزوم به [illegible] تحريم الخضاب بالسواد لغير المجاهد [illegible] وهو الصحيح في الروضة وغيرها والله أعلم (انظر [illegible] / ٨٢، ٨٥).

وورد في زمن [illegible] في [illegible] خضاب رسول الله ﷺ ما يلي، وقد [illegible] الأحاديث [illegible] على الأرقام التسلسلية للأحاديث:

عن أبي هريرة:

[٢٠] «هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم»

في طبقات ابن سعد عن ابن عمر أنه قيل له: «أرأيت تغير لحيتك قال: رأيت رسول الله ﷺ يغير لحيته»

(انظر طبقات ابن سعد باب ذكر من قال: خضب رسول الله ﷺ حيث ذكر السؤال موجها إلى عبد الله بن بريدة ١/ ٤٢٧/ ٤٢٨. لم يخرج من أصحاب السنن حديثه إلا النسائي وهو الراوي عن أنس كما جاء في الفوائد البهية).

[٢١] ومن طريق نافع عن ابن عمر «أنه كان يصفر لحيته بالخلوق ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يصفر» (انظر طبقات ابن سعد، ذكر شيب رسول الله ﷺ ١/ ٤٣٥ وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير، وعزاه لابن عساكر عن محمد بن علي مرسلا، وهو حديث ضعيف ٣٤٢٠).

وعن أبي جعفر قال:

[٢٢] «شمط عارضا رسول الله ﷺ فخضبه بحناء وكتم»

(انظر طبقات ابن سعد باب ذكر من قال: خضب رسول الله ﷺ حيث ذكر السؤال موجها إلى عبد الله بن بريدة ١/ ٤٣٧، ٤٣٨.

والكتم: نبت يشبه [illegible] يصبغ به الشعر [illegible] بياضه أو حمرته إلى السواد، وإذا خلط [illegible] يقوي الشعر.

والشمط اختلاط بياض الشعر بسواده. والعارض: جانب الوجه وصفحة الخد وهما عارضان ويقال: هو خفيف العارضين: شعر العارضين.

وعن عبد الرحمن الثمالى قال:

[٢٣] «كان رسول الله ﷺ يغير لحيته بماء السِّدر، ويأمر بتغيير الشعر مخالفة للأعاجم (انظر طبقات ابن سعد. باب ذكر من قال: خضب رسول الله ﷺ ١ / ٤٣٧، ٤٣٨. (والسدر شجر النبق والواحدة سدرة).

[٢٤] «وبرأسه رَدعٌ من حناء».

الردع: ضبطوه في كتب اللغة والغريب بمهملات

هو: لطخ من زَعفَران أو وَرْس.

أو قال: «ردغ» يعنى بالغين المعجمة.

(الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب اللباس (باب) فى الخضرة، بلفظ «ذو وفرة بها ردع من حناء» ح (٤٠٦٥)، ص (٤ : ٥٢)، ويونس عن عبد الله بن إياد، عن إياد بن لقيط بقصة البردين، وقال: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن إياد». وأخرجه النسائى فى كتاب الصلاة عن بندار محمد ابن بشار به ـ مختصرا، وزاد «يخضب» وزاد فى كتاب الزينة بهذا الإسناد قصة خضابه بالحناء.

قال النووى: والمختار أنه ﷺ خضب فى وقت لما دل عليه حديث ابن عمر فى الصحيحين، ولا يمكن تركه، ولا تأويله. وتركه فى معظم الأوقات. فأخبر كل بما رأى وهو صادق. والله أعلم.

ويحتمل أن من أثبت الخضاب شاهد الشيب أبيض ثم لما واراه الدُّهن ظن أنه خضب.

ومن نفاه علم أنه لم يخضب، وإنما واراه الدهن (زهر الخمائل/ ٦١ ـ ٦٣).

وقد ذكره الحكيم الترمذى فى «المنهيات»، وننقله لك فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ محمد عثمان الخشت بين أقواس فى ثنايا النص، كما أبقينا على الرقم التسلسلى للحديث الذى ورد فى النص وهو الرقم ١٢٦:

[١٢٦] وأما قوله: «ونهى عن الخضاب بالسواد». (مسلم: كتاب اللباس، حديث ٧٩. وأبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٥. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٣. وأحمد: الثالث؛ ص ٢٤٧، ٣٣٨).

فهذا من أجل أنه غرر (أى خداع)، فإن أراد أن يتزوج ولم يبحه كان غررا ومن أجل أن الشيب وقار أكرم الله به إبراهيم عليه السلام ومن تبعه على ملته، فإذا شاب وغيَّره بالسواد فكأنه رفض تلك الكرامة وزينتها وحرم وقاره؛ لأنه يريد أن يتشبه بالحالة الأولى.

وهذا تأديب واختيار من النبى ﷺ للأمة. ومن فعله لم يقع فى النهى المأثوم، وقد كان الحسن والحسين رضى الله عنهما يخضبان بالسواد، وقد فعله كثير من الصحابة، إلا أن الخضاب على الغالب الحمرة والصفرة، فقد زجر عن ذلك فى وقته.

حدثنا أبى، حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن أبى رباح، عن مجاهد قال: أول من خضب بالسواد فرعون.

فهذا فعل الجبارين الذين يأنفون من الشيب، ويكرهون أن يكونوا فى زى الضعفاء المشيخة. فأما عبد تذلل لله عبادة وعبودة، فإن خضب بالسواد ليتزين عند أهله أو ليهيب العدو إذا خرج غازيا، فإن الشاب أنكى فى العدو من الشيخ وأهيب له، لم تلحقه سنن الفراعنة، وهو على كل مراده أمر جميل.

حدثنا قتيبة، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبى عمران، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا الشيب، ولاتقربوه السواد، ولا تشبهوا باليهود».

(الترمذى: كتاب اللباس. باب ٢٠. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٤. وأحمد: الأول ص ١٦٥. والثانى؛ ص ٢٦١، ٣٥٦، ٤٩٩. والثالث؛ ٢٤٧، ٣٣٨).

حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، حدثنا سفيان، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وحدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن أبى الزبير، عن جابر، قال: جىء بأبى قحافة يوم فتح مكة ولحيته كالثغامة بياضا، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا الشيب، وجنبوه السواد» (مسلم: كتاب اللباس، حديث ٧٩. أبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٥. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٣، حديث ٣٦٢٤).

قال: أبو عبد الله رحمه الله: فالشيب وقار، وإنما قصد رسول الله ﷺ لتغييره مخالفة أهل الكتاب.

حدثنا حميد بن الربيع اللخمي ويعقوب بن شيبة قالا: حدثنا محمد بن كناسة، عن هشام بن عروة، عن أخيه عثمان ابن عزوة، عن الزبير بن العوام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

(البخاري: كتاب الأنبياء، باب ٥٠. وكتاب اللباس، باب ٦٧. ومسلم. كتاب اللباس، حديث ٨٠. وأبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائي: كتاب الزينة؛ باب ١٤. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٢. وأحمد: الثاني؛ ص ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

حدثنا علي بن حجر، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا اللحى ولا تشبهوا بالأعاجم» (البزار. وقال الهيثمي: وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف. مجمع الزوائد: الخامس، ص ١٦٠)

وحدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق العبدي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا الأجلح، عن عبد الله بن بريدة، عن أبي الأسود الديلي، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم».

(أبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨ والترمذي: كتاب للباس، باب ٢٠. والنسائي: كتاب الزنية، باب ١٦. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٢. وأحمد: الخامس، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٩.

وحدثنا علي بن حجر السعدي ويحيى بن أحمد الطائي، قالا: حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، حدثنا سالم بن عبد الله الكلاعي، عن أبي عبد الله القرشي، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر. (رواه الطبراني. وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد: الجزء الخامس، ص ١٦٣).

حدثنا أبي رحمه الله، حدثنا جندل بن والق، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد كحواصل الطير لا يجدون رائحة الجنة».

وحدثنا محمد بن علي الشقيقي، حدثنا أبي، حدثنا أبو حمزة، حدثنا عبد الكريم، عن مجاهد: أنه ذكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد لا ينظر الله إليهم يوم القيامة». (أبو داود: كتاب الترجل، باب ٢٠. والنسائي: كتاب الزينة، باب ١٥. وأحمد: الأول، ص ٢٧٣. وابن سعد في الطبقات. والبيهقي في السنن. وجمع الجوامع: الأول، ص ١٠١٢).

قال أبو عبد الله رحمه الله: فهذا فعل أهل العتو والجبرية في آخر الزمان، وكذلك كان من قبل فعل الفراعنة. فإن المرء إذا شاخ راح، وإذا راح استحقره السفهاء، واستوقره العقلاء، وكان أهل العتو يأنفون من ذلك، ويغيرونه بالسواد، يخفون على الناظرين إليهم أحوالهم.

فهذه مثلة يريد أن يعود في هيئة الشباب، وقد قال الله تعالى في تنزيله فيما يحكي عن قول العدو: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾[النساء: ١١٩] وقال الله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم: ٣٠] فإذا أذهب المغيِّر وقاره بسواد، فهو كأنه يريد أن يعود كما كان، لحبه للشباب، وحرصه على العمر. فإنه يكره الشيب؛ لأنه علامة لإقباله على الموت... ألا ترى أن أول من خضب بالسواد فرعون، فهو السابق على العتو.

إلا أن المجوس يحفون لحاهم، ويعفون شواربهم، يريدون بذلك التعلم والتجلد للسنين، فقال ﷺ: «خالفوا المجوس؛ جزوا الشوارب، وأوفروا اللحى» (البزار. عن أنس وفيه الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف متروك. مجمع الزوائد: الخامس؛ ص ١٦٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الشرك يعفون شواربهم ويحفون لحاهم. فخالفوهم فأعفوا اللحى وحفوا الشوارب».

(الطبراني، عن أبي هريرة، بإسنادين في أحدهما عمر بن أبي سلمة، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجاله ثقات) ففي مذهب كسرى التجلد والتجبر والعتو، وأن يكون في هيئة الغلمان والشبان. وفي مذهب محمد ﷺ التواضع، والعبودية لله، والتطهير، وزينة الرجال في اللحى، وتطهرهم في قص الشارب لئلا يبق فيه وضر الطعام. (الوضر: الوسخ من الدسم أو غيره، والجمع: أوضار).

قال أبو عبد الله رحمه الله: فأما من يرخص فى خضاب السواد من السلف فلمعنى غير هذا...

وحدثنا عبد الجبار، حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة، عن عبد الصمد بن حبيب، عن أبيه عن الحكم بن عمرو الغفارى، قال: دخلت أنا وأخى رافع على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنا مخضوب بالحناء وأخى بالصفرة، فقال: أما خضابك فخضاب الإسلام، وأما خضاب أخيك فخضاب الإيمان... وسئل عن السواد، فكرهه.

وإنما قال: «الحمرة خضاب الإسلام، والصفرة خضاب الإيمان»؛ لأن الإسلام فى الحياة، والإيمان عند الموت، لأن إذا قرب الموت زالت عنه أعمال الشريعة والإسلام ما ظهر، والإيمان ما بطن. وإنما يبقى عند الموت الباطن. فقد زال الظاهر؛ ففى ذلك الوقت يصفر، حتى يقدم إلى ربه وقد غير شيبه، لئلا يشبه أهل الكتاب... ألا ترى إلى قوله عليه السلام فى دعائه على الجنازة: «اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام»، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان».

(أبو داود: كتاب الجنائز؛ باب ٥٦. والترمذى: كتاب الجنائز؛ باب ٣٨. وابن ماجه: كتاب الجنائز؛ باب ٢٣. وأحمد: الثانى؛ ص ٣٦٨. والرابع؛ ص ١٧٠. والخامس؛ ص ٢٩٩، ٣٠٨. وانظر: نيل الأوطار: الرابع؛ ص ٦٣) (المنهيات / ١٩٦ـ٢٠٣).

وقد أورد الحافظ السيوطى هذه الفتوى لمسألة وردت إليه فأجاب عنها:

مسألة ـ خضب الرجل لحيته ويديه ورجليه بالحناء هل يجوز له من غير ضرورة أم لا؟ وهل المرأة والرجل فى ذلك سواء أم لا وهل ورد فى ذلك شىء من السنة الشريفة؟.

الجواب ـ خضاب الشعر من الرأس واللحية بالحناء جائز للرجل بل سنة صرح به النووى فى شرح المهذب نقلا عن اتفاق أصحابنا لما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة، منها حديث الصحيحين عن أبى هريره «أن رسول الله ﷺ قال: إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» وروى مسلم عن جابر قال: «أتى بأبى قحافة والد أبى بكر الصديق ـ يوم فتح مكة ـ ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا واجتنبوا السواد» وأما خضاب اليدين والرجلين بالحناء فيستحب للمرأة المتزوجة وحرام على الرجال إلا لحاجة ـ هكذا قاله أيضا فى شرح المهذب، قال ومن الدليل على تحريمه للرجال ما رواه أبو داود عن أبى هريرة «أن رسول الله ﷺ أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال ما بال هذا؟ فقيل يارسول الله يتشبه بالنساء فأمر به فنفى الى البقيع» ومنها حديث الصحيحين عن أنس «أنه ﷺ نهى أن يتزعفر الرجال» قال النووى: علة النهى اللون لا الرائحة فإن ريح الطيب للرجل محبوب والحناء فى هذا كالزعفران، والأحاديث فى استحبابه للنساء المتزوجات كثيرة مشهورة (الحاوى للفتاوى ١/ ٧٤).

ومما قيل فى الشعر فى مدح الخضاب ما أورده الثعالبى وهو كما يلى:

كان يقال: الخضاب أحد الشبابين.

ويقال: الخضاب تذكرة الشباب.

ومن أحسن ما قيل فى مدحه:

الشيب موت ولكن فى إماتته
محيا ليال قليلات وأيام

وقال ابن المعتز:

وقالوا: النصول مشيب جديد
فقلت: الخضاب شباب جديد
إساءة هذا بإحسان هذا
فإن عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر:

للضيف أن يقرى ويعرف حقُّه
فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأطرف ما قيل فى الخضاب قول عبدان الأصفهانى:

فى مشيبى شماتة لعداتى
وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه
لى أنس إلى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى
ما به رمت خلة الغانيات

إنمـــــــــا رمـت أن يغيّـب عنـي
مـــا تـــرينــه كـل يـــوم مـــراتـي
وهـــــو نـــــاع إلـيّ نفسـي ومـن ذا
ســـرّه أن يـــرى وجـــوه النُّعـــاة

(اللطائف والظرائف / ٢٦٢، ٢٦٣)

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١١٧٩، وتسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق / ٨٣ ـ ٨٥، وزهر الخمائل على الشمائل. أوصاف النبي ﷺ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٦١ ـ ٦٣، والمنهيات لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٩٦ ـ ٢٠٣، والحاوي للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١ / ٧٤، واللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي / ٢٦٢، ٢٦٣).

* **خضر:**

قال الراغب الأصفهاني في مادة «خضر»:

خضر: قال تعالى: ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ [الحج: ٦٣] ﴿ثيابا خضرا﴾ [الكهف: ٣١] خضرة جمع أخضر والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب، ولهذا سمي الأسود أخضر والأخضر أسود قال الشاعر:

قـــد أعسف النـــازح المجهـــول معسفـــه
في ظل أخضـر يـــدعـــو هـــامـــه البـــوم

وقيل سواد العراق للموضع الذي يكثر فيه الخضرة، وسميت الخضرة بالدهمة في قوله سبحانه ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن: ٦٤] أي خضراوان وقوله عليه السلام «إياكم وخضراء الدمن» فقد فسره عليه السلام حيث قال «المرأة الحسناء في منبت السوء» والمخاضرة المبايعة على الخضر والثمار قبل بلوغها، والخضيرة نخلة ينتثر بسرها أخضر.

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ (تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٥٠).

الخِضر:

ومن اصطلاحات الصوفية. قال الجرجاني:

الخضر: يعبر به عن البسط فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى عالم الشهادة والغيب، وكذلك قواه الروحانية (التعريفات / ١٢٣).

وقال القاشاني: الخضر كناية عن البسط، واليأس كناية عن القبض. أما كون الخَضِر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد أو روحانيا يتمثل بصورته لمن يرشده فغير محقق عندي. بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس (اصطلاحات الصوفية/ ١٦٠)

(التعريفات للشريف الجرجاني ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٣٣، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٠).

* **خضر (زاوية الشيخ ـ):**

قال علي باشا مبارك:

هي بشارع السروجية بين رأس درب الدالي حسين ورأس حارة عبد الله بيك عن شمال الذاهب من باب زويلة إلى الصليبة.

كانت متهدمة فجددها حضرة محمد أفندي مناو، وكيل الأمير منصور باشا يكن سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، وجعلها علوية في دور ثان، وجدد تحتها الضريح الذي بها المعروف بالشيخ خضر الصحابي رضي الله عنه. ويعرف أيضا بزرع النوى.

قال السخاوي في كتاب المزارات: ثم بعد المدرسة اليونسية تقصد إلى رأس الهلالية والمنجبية وسوق الطير؛ فتجد على رأس الطريق مسجدًا يعرف القبر الذي فيه بزرع النوى الصحابي، ويقال: خضر الصحابي. وهذا لا حقيقة له فإن المخرّجين للأحاديث لم يذكروا أن في الصحابة من اسمه زرع النوى.

وقال المقريزي: كان هناك قبر فهو لأمين الأمناء أبو عبد الله الحسن بن طاهر الوزان. انتهى من كتاب المزارات، وسمى المقريزي هذا المسجد بمسجد زرع النوى، ثم ترجم أمين الأمناء بأنه كان يتولى بيت المال، ثم جعله الخليفة الحاكم بأمر الله في الوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة في سنة ثلاث وأربعمائة ثم أبطل أمره وذلك أنه ركب مع الحاكم على عادته فضرب رقبته بحارة كتامة خارج القاهرة، ودفن في هذا الموضع تخمينا أي في المسجد المعروف بزرع النوى.

وكانت مدة نظرة الوساطة والتوقيع، وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما، وكان توقيعه عن الحضرة الإمامية: الحمد لله وعليه توكلى «انتهى بتصرف» وسمعت من بعض الفضلاء أن صاحب هذا الضريح هو خضر السحابى بالسين المهملة لا بالصاد.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٢، ٧٣).

* **الخضر بن ثروان (٥٠٥ ـ ٥٨٠ هـ / ١١١١ ـ ١١٨٤ م):**

الخضر بن ثروان بن أحمد الثعلبى التوماثى الفارقى الجزرى. أبو العباس وتوماثا: قرية عند برقعيد، ولد بجزيرة ابن عمر من أرض الموصل، ونشأ بميافارقين، وقرأ بها الأدب على جماعة، ثم انحدر إلى بغداد، وقرأ الأدب على الشيخ أبى منصور بن الجواليقى، والنحو على الشريف أبى السعادات بن الشجرى ولا زمهما.

وكان ضريرا حافظا لأصول اللغة، عالما بها. وكان يحفظ «المجمل»، وشعر الهذليين وأخبار الأصمعى وشعر رؤبة بن العجاج وذى الرمة وغيرهما من المخضرمين وأهل الإسلام والجاهلية. وسار بعد ذلك إلى خراسان، وأقام بنيسابور، ودخل مرو وبلخ، وكان مولده فى المحرم سنة خمس وخمسمائة، وله شعر منه:

أنت فى غمرة النعيم تعوم ... لست تدرى بأن ذا لا يدوم
كم رأينا من الملوك قديما ... هددوا فالعظام منهم رميم
ما رأينا الزمان أبقى على شخص شقاء فهل يدوم النعيم
والغنى عند أهله مستعار ... فحميد منهم به وذميم

ومن شعره أيضا:

كتبت وقد أودى المداد بمقلتى ... وقد ذاب من شوقى إليكم سوادها
فما وردت لى نحوكم من رسالة ... وحقكم إلا وذاك مدادها

ومن شعره أيضا:

لا تعجبوا من نزول الشيب فى شعرى ... فإنه لم ينازلنى من الكبر
لكن رأى مقلتى قد شاب ناظرها ... فجاءنى ليعزينى على النظر

(إنباه الرواة ١ / ٣٥٦، ٣٥٧)

توفى فى بخارى سنة ١١١١ هـ ١١٨٤. أثنى عليه ياقوت فى معجميه وأورد شيئا من شعره (الأعلام ٢ / ٣٠٦)

قالت المؤلفة: ذكره ياقوت فى معجم البلدان (٣، ٥٩، ٦٠) فى مادة «توماثا»، ونقلناها عنه تحت عنوانها فى م ١١ / ١٣٩، ١٤٠ فانظرها فى موضعها

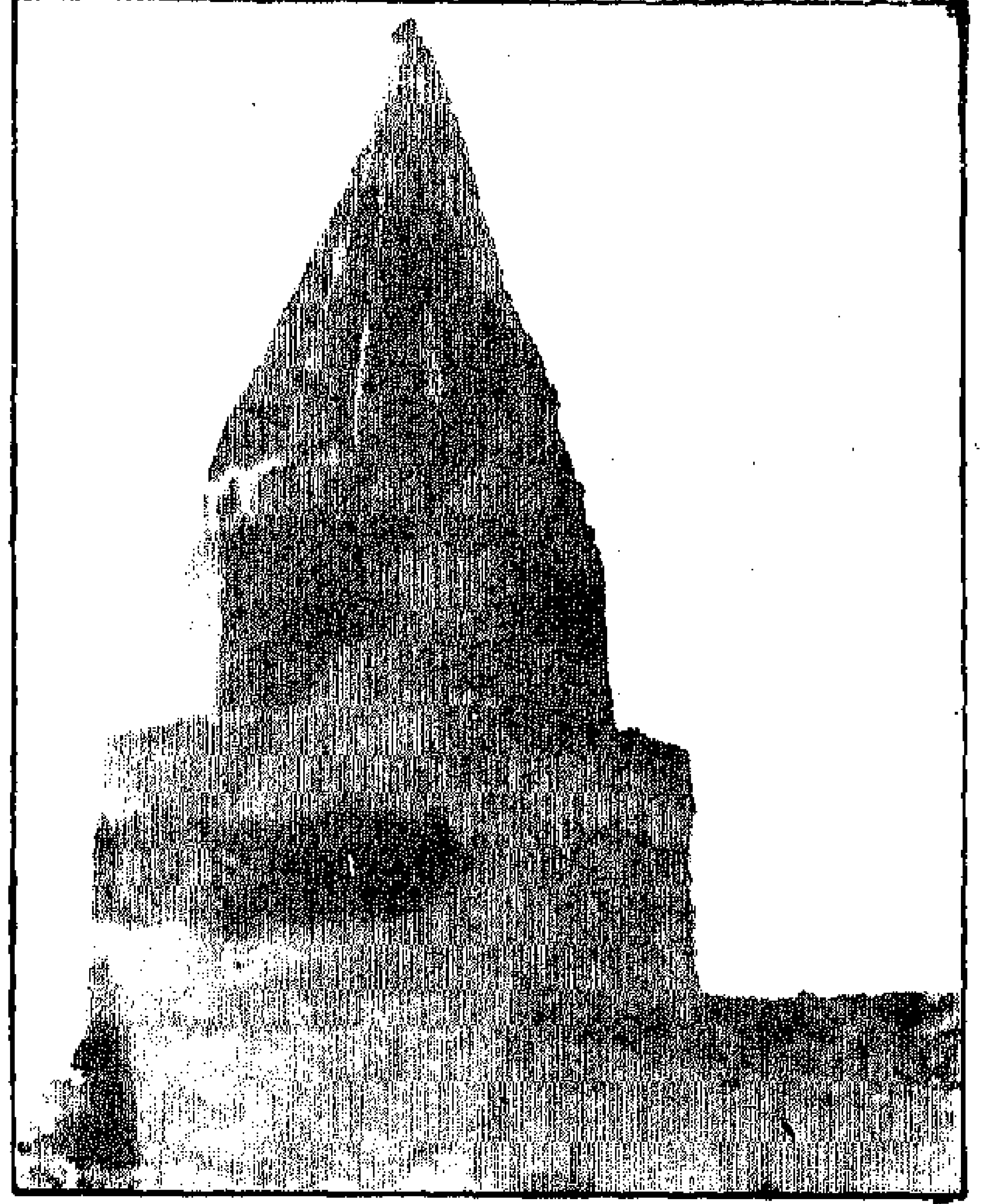
له ترجمة فى: بغية الوعاة / ٢٤١، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٨، ٦٩، وروضات الجنات / ٢٧٠، ومعجم الأدباء ١١ / ٥٩ ـ ٦١، ونكت الهميان / ١٤٩، والوافى بالوفيات جـ ٤ م ٢ / ٢٧٣) (إنباه الرواة / ٣٥٦).

(إنباه الرواة للقفطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ١ / ٣٥٦، ٣٥٧ والأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٦).

* **الخَضِر عليه السلام:**

ترد قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فى سورة الكهف فى الآيات ٦٠ ــ ٨٢. يقول الحافظ ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيات الكريمة:

حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرنى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل. قال ابن عباس: كذب عدو الله؛ حدثنا أُبَى بن كعب رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك: فقال موسى: يارب، وكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا، تجعله بمكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ: فأخذ حوتا، فجعله بمكتل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون عليهما السلام، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل، فخرج منه، فسقط فى البحر، واتخذ سبيله فى البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق. فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال



موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [٦٢] ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذى أمره الله به. قال له فتاه: ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ [٦٣] قال: فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا، فقال: ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا﴾ [٦٤] قال: فرجعا يقصان أثرهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى (أى مُغطى) بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام!، قال: أنا موسى: قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا. ﴿قال إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ [٦٧] ياموسى، إنى على علم من علم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ﴿ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾ [٦٩] قال له الخضر: ﴿فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أُحدث لك منه ذكرا﴾ [٧٠].

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهم بغير نول (أى بغير أجرة) فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها، لتغرق أهلها قال. لقد جئت شيئا إمرا. ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا * قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا﴾ [٧٢، ٧٣] قال: وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى نسيانا ـ قال: وجاء عصفور فنزل على حرف السفينة، فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر: ما علمى وعلمك فى علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه. فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ [٧٤، ٧٥] قال: وهذه أشد من الأولى ـ ﴿قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها * فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض﴾ [٧٦، ٧٧] قال: مائل. فقال الخضير بيده ﴿فأقامه﴾، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بينى وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ [٧٧، ٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما».

قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)، وكان يقرأ: (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين) (البخارى، تفسير سورة الكهف ٦/ ١١٠ ـ ١١٢).

ثم رواه البخارى عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة ... فذكر نحوه، وفيه: «فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزلا عندها ـ قال: فوضع موسى رأسه فنام ـ قال سفيان وفى حديث غير عمرو قال: وفى أصل الصخرة عين يقال لها «الحياة»، لا يصيب من مائها شىء إلا حيىَ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل، فدخل البحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه! آتنا غداءنا [٦٢] كذا قال: وساق الحديث «ودفع

عصفور على السفينة، فغمس منقاره فى البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره» (البخارى، تفسير سورة الكهف ٦/ ١١٥/ ١١٦) وذكر تمامه بنحوه،

وقال البخارى أيضا: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرنى يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير - يزيد أحدهما على صاحبه - وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس فى بيته، إذ قال: سلونى. فقلت: أى أبا عباس، جعلنى الله فداك، بالكوفة رجل قاص، يقال له «نوف»، يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل - أما عمرو فقال لى: قال: كذب عدو الله! وأما يعلى فقال لى: قال ابن عباس: حدثنى أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ موسى رسول الله، ذكّر الناس يوما، حتى إذا فاضت العيون، ورقت القلوب، ولى، فأدركه رجل فقال: أى رسول الله، هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل: بلى، قال: أى رب، وأين؟ قال: بمجمع البحرين. قال: أى رب، اجعل لى علما أعلم ذلك به - قال لى عمرو: قال: حيث يفارقك الحوت. وقال لى يعلى: خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فى الروح، فأخذ حوتا فجعله فى مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرنى حيث يفارق الحوت، قال: ما كلفت كبيرا. فذلك قوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾[٦٠] يوشع بن نون، ليست عن سعيد بن جبير - قال: فبينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان، إذ تضرب الحوت وموسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره فى حجر. قال: فقال لى عمرو: هكذا كأن أثره فى حجر، وحلق بين إبهاميه والتى تليهما - ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [٦٢] قال: «وقد قطع الله عنك النصب» ليست هذه عن سعيد - أخبره، فرجعا فوجدا خضرا: قال: قال عثمان بن أبى سلمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر (أى وسطه) قال سعيد بن جبير: مسجى بثوب، قد جعل طرفه تحت رجليه، وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرض من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا. قال: يكفيك التوراة بيدك، وأن الوحى يأتيك! : ياموسى، إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه. فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر، حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح؟ - قال: فقلنا لسعيد: خضر؟ قال: نعم - لا نحمله بأجر. فخرقها، ووتد فيها وتدا. قال موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ [٧١] قال مجاهد: منكرا ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا﴾[٧٢]، كانت الأولى نسيانا، والوسطى شرطا، والثالثة عمدا: ﴿قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله﴾ [٧٣، ٧٤] قال يعلى: قال سعيد، وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، فقال: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [٧٤] لم تعمل بالحنث: وابن عباس قرأها (زكية) (زاكية): مسلمة كقولك: غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد بيده هكذا، ورفع يده فاستقام - قال يعلى: حسبت أن سعيدا قال: فمسحه بيده فاستقام ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ [٧٧] قال سعيد: أجرا نأكله (أى نأكل به): ﴿وكان وراءهم ملك﴾ [٧٩] وكان أمامهم، قرأها ابن عباس: (أمامهم ملك)، يزعمون عن غير سعيد أنه هُدَدُ ابْن بُدَدَ، والغلام المقتول اسمه - يزعمون - جيسور ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ [٧٩]، فأردت إذا هى مرت به أن يدعها بعيبها، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول: سدوها بقارورة، ومنهم من يقول: بالقار. ﴿كان أبواه مؤمنين﴾، وكان كافرا، ﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ [٨٠] كقوله: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [٧٤] ﴿وأقرب رحما﴾ [٨١] هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر: وزعم غير سعيد بن جبير أنهما أبدلا جارية، وأما داود بن أبى عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية (البخارى، تفسير سورة الكهف ٦ / ١١٢-١١٥).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: خطب موسى عليه

السلام بنى إسرائيل فقال: ما أحد أعلم بالله وبأمره منى. فأمر أن يلقى هذا الرجل: فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان، والله أعلم(تفسير القرآن العظيم ٥ / ١٧٥).

تلك كانت قصة الخضر مع موسى عليهما السلام كما وردت فى الآيات ٦٠ ــ ٨٢من سورة الكهف فى القرآن الكريم.

أما عن الخضر نفسه فقد قال عنه الإمام النووى رحمه الله:

مذكور فى المهذب فى باب التعزية هو بفتح الخاء وكسر الضاد ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها كما فى نظائره. والخضر لقب قالوا واسمه بليا بموحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت. ابن ملكان بفتح الميم وإسكان اللام وقيل كليمان، قال ابن قتيبة فى المعارف قال وهب بن منبه اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح قالوا وكان أبوه من الملوك واختلفوا فى سبب تلقيبه بالخضر فقال الأكثرون لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفروة وجه الأرض وقيل الهشيم من النبات وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله والصواب الأول. فقد روينا فى صحيح البخارى عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هى تهتز من خلفه خضراء فهذا نص صحيح صريح. وكنية الخضر أبو العباس وهو صاحب موسى النبى عليه السلام الذى سأل السبيل إلى لقيه وقد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه بقوله تعالى ﴿**فوجدا عبدا عن عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾ فأخبر الله عنه فى باقى الآيات بتلك الأعجوبات وموسى الذى صحبه هو موسى بنى إسرائيل كليم الله تعالى كما جاء به الحديث المشهور فى صحيحى البخارى ومسلم وهو مشتمل على عجائب من أمرهما واختلفوا فى حياة الخضر ونبوته فقال الأكثرون من العلماء هو حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر. قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك قال وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. قال وهو نبى واختلفوا فى كونه مرسلا وكذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من المتقدمين. وقال أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب الأولياء لم يكن الخضر نبيا وإنما كان وليا. وقال أقضى القضاة الماوردى فى تفسيره قيل هو ولى وقيل هو نبى وقيل إنه من الملائكة وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل. وفى آخر صحيح مسلم فى أحاديث الدجال أنه يقتل رجلا ثم يحيا قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال إن ذلك الرجل هو الخضر وكذا قال معمر فى مسنده أنه يقال إنه الخضر. وذكر أبو إسحاق الثعلبى المفسر اختلافا فى أن الخضر كان فى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام أم بعده بقليل أم بعده بكثير قال والخضر على جميع الأقوال نبى معمر محجوب عن الأبصار. قال وقيل إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان عند رفع القرآن (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٦، ١٧٧).

ويحكى القزوينى فى عجائبه الحكاية التالية عن الخضر عليه السلام، ويختتم بها المقالة الأولى فى العلويات فيقول:

ولنختم هذا الفصل بحكاية عجيبة وهى ما روى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عابد، وكان الخضر عليه السلام يأتيه، فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال: إذا جاء الخضر فائتنى به وإلا قتلتك، فقال الشاب: ويحك أآتيك بالخضر؟ قال: نعم وإلا قتلتك، فرجع الشاب إلى مكانه متفكرا فى أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام، فحدثه بحديث الملك فقال: امض بى إليه، فلما دخلا على الملك قال له الملك: أنت الخضر؟ قال: نعم، قال: حدثنى بأعجب شيء رأيته، فقال الخضر عليه السلام: رأيت كثيرا من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضرنى الآن. كنت فى اجتيازى مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلا من أهلها متى بنيت هذه المدينة؟ فقال: هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثرا، ورأيت هناك رجلا يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة؟ فقال: لم تزل هذه الأرض كذلك، فقلت: أما كانت هاهنا مدينة؟ فقال: ما رأينا هاهنا مدينة ولا سمعنا عن آبائنا، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحرا، فلقيت هناك جمعا من الصيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحرا؟ فقالوا: مثلك يسأل عن هذه؟ إنها لم تزل كذلك، قلت: أما كان قبل ذلك يبسا؟ قالوا:

مارأيناه ولا سمعنا به عن آبائنا، ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصا يختلى، فقلت: متى صارت هذه الأرض يبسا؟ فقال لم تزل كذلك، فقلت له: أما كان بحر قبل هذا؟ فقال، ما رأيناه ولا سمعنا به قبل هذا، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدتها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتها أولا، فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال: إنها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا، فقال الملك إنى أريد أن أتبعك وأفارق ملكى، فقال له: إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشاب فإنه يدلك على الرشاد، والله الموفق للصواب. تمت المقالة الأولى فى العلويات والحمد لله رب العالمين.

(عجائب المخلوقات / ٦٥).

ويورد الحافظ السيوطى مسألة وردت إليه عما إذا كان الخضر قد مات أم لا يزال حيا ثم يرد على السائل، وهذه هى:

مسألة:

ما أشهر القولين يامن علمه
أربى على الأقران والنظراء
فى موت مشهور الحياة أى الخضر
وحياته يا فائزا بثناء
قولان مشهوران قالهما الرضا
شيخ الزمان وفائق العلماء
بقوام دين الله لُقّب وهو من
بغداد يشهر بين كل ملاء
وأقام برهانا على فقدانه
فاعجب لذا يا كامل الآراء
لا زلت معدودا لكل ملمة
وجزيت يوم الحشر خير جزاء

الجواب:

من بعد حمدى دائما وثنائى
ثم الصلاة لسيد النجباء
للناس خلف شاع فى خضر وهل
أودى قديما أو حيى ببقاء
ولكل قول حجة مشهورة
تسمو على الجوزاء فى العلياء
والمرتضى قول الحياة فكم له
حجج تجل الدهر عن إحصاء
خضر وإلياس بأرض مثل ما
عيسى وإدريس بقوا بسماء
هذا جواب ابن السيوطى الذى
يرجو من الرحمن خير جزاء

(الحاوى للفتاوى ٢ / ١٣٩).

ويرى الإمام ابن قيم الجوزية أن الأحاديث التى يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح فى حياته حديث واحد، ويسوق أمثلة من هذه الأحاديث كما يدحض بالأدلة قول القائلين بأن الخضر لا يزال حيا، مما ننقله فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ طه عبد الرءوف سعد بين أقواس فى ثنايا النص إتماما للفائدة، كما أبقينا على الأرقام التسلسلية التى وردت فى النص. قال ابن القيم رحمه الله.

١٢٣ ـ ومنها (أى من الأحاديث الموضوعة)، الأحاديث التى يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح فى حياته حديث واحد.

١٢٤ ـ كحديث «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان فى المسجد، فسمع كلاما من ورائه، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر». (أخرج ابن عدى من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده: «أن النبى سمع وهو فى المسجد كلاما، فقال: يا أنس، اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لى فذهب إليه فقال: قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور قال: فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» وإسناده ضعيف).

١٢٥ ـ وحديث «يلتقى الخضر وإلياس كل عام ... (روى الدارقطنى فى الأفراد من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعا: يجتمع الخضر وإلياس كل عام فى الموسم فيعلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان من هؤلاء الكلمات. باسم الله ما شاء الله ... إلخ وفى إسناده محمد بن أحمد بن زيد وهو ضعيف).

١٢٦ ـ وحديث: «يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل

والخضر. . (الحديث المفترى الطويل). (الحديث المفترى الطويل).

سئل إبراهيم الحربى عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان.

١٢٧ ـ وسئل البخارى عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» (رواه الشيخان. وممن جزم أيضا أنه غير موجود الآن واستدل بهذا الحديث إبراهيم الحربى وأبو جعفر بن المنادى وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادى وأبو بكر بن العربى وطائفة. انظر ما قيل فى الحديث فى فتح البارى بتحقيقنا)

وسئل عن ذلك كثير غيرهم من الأئمة فقالوا:

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾ [الأنبياء: ٣٤].

١٢٨ ـ وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى النبى ﷺ وآله وسلم، ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه. وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد فى الأرض»، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟!

(حديث ابن عباس أخرجه البخارى «ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه» ولو كان الخضر موجودا لجاء إليه وآمن به، ولم يصح أنه جاءه أو قاتل معه)

قال أبو الفرج بن الجوزى: والدليل على أن الخضر ليس بباق فى الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء. والمعقول.

١٢٩ ـ أما القرآن: فقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ [الأنبياء: ٣٤] فلو دام الخضر كان خالدا.

١٣٠ ـ وأما السنة: فذكر حديث: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد». متفق عليه.

١٣١ ـ وفى «صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ـ قبل موته بقليل ـ: «ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية».

١٣٢ ـ وأما إجماع المحققين من العلماء فقد ذكر عن البخارى، وعلى بن موسى الرضا: أن الخضر مات؛ وأن البخارى سئل عن حياته فقال: وكيف يكون ذلك؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد.

قال: وممن قال إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحاق الحربى، وأبو الحسين بن المنادى وهما إمامان، وكان ابن المنادى يقبح قول من يقول: إنه حى.

وحكى القاضى أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد، وذكر عن بعض أهل العلم: أنه احتج بأنه لو كان حيا لوجب عليه أن يأتى إلى النبى ﷺ.

١٣٣ ـ وقال: حدثنا أحمد حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبى، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذى نفسى بيده، لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى»، فكيف يكون حيا ولا يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة والجماعة ويجاهد معه؟ (روى أحمد بن جابر عن رسول الله ﷺ أن عمر أتاه فقال: «إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها. فقال رسول الله ﷺ: أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى»).

ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلى خلف إمام هذه الأمة، ولا يتقدم، لئلا يكون ذلك خدشا فى نبوة نبينا ﷺ.

قال أبو الفرج: وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر، وينسى ما فى طى إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة.

أما الدليل من المعقول: فمن عشرة أوجه:

الوجه الأول: أن الذى أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم لصلبه هذا فاسد (روى الدارقطنى فى الأفراد عن طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: هو ابن آدم لصلبه، وهو ضعيف منقطع).

ذلك أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة، فيما ذكر في كتاب يوحنا المؤرخ. ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

الوجه الثاني: أنه لو كان ولده لصلبه (ذكر أبو حاتم السجستاني في المعمرين أنه ابن قابيل بن آدم، رواه عن أبي عبيدة وغيره)، أو الرابع من ولد ولده ـ كما زعموا ـ وإنه كان وزير ذي القرنين، فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا، بل مفرط في الطول والعرض.

(قال الطبري في تاريخه: كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول. وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر).

١٣٤ ـ وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«خلق الله آدم طوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعد». وما ذكر أحد ممن رأى الخضر: أنه رآه على خلقة عظيمة، وهو من أقدم الناس.

الوجه الثالث: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة، ولم ينقل هذا أحد.

الوجه الرابع: أنه قد اتفق العلماء أن نوحا لما نزل من السفينة مات من كان معه، ثم مات نسلهم، ولم يبق غير نسل نوح، (روى ابن إسحاق في كتاب المبتدأ أو مبتدأ الخلق عن أصحابه أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده بالتعمير حتى يدفنه. فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر).

والدليل على هذا: قوله تعالى:

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات: ٧٧] وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

والوجه الخامس: أن هذا لو كان صحيحا أن بشرا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر، ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، وكان خبره في القرآن مذكورا في غير موضع، لأنه من أعظم آيات الربوبية. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من أحياه ألف سنة إلا خمسين عاما.

(وهو نوح عليه السلام فقد جاء في القرآن الكريم: **﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾** [العنكبوت: ١٤] وجعله آية، فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر؟ ولهذا قال بعض أهل العلم: ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.

والوجه السادس: أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم. وذلك حرام بنص القرآن.

أما المقدمة الثانية: فظاهرة. وأما الأولى: فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة. فهذا كتاب الله تعالى، فأين فيه حياة الخضر؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟ وهؤلاء علماء الأمة، هل أجمعوا على حياته!؟

الوجه السابع: أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة، يخبر بها: أنه رأى الخضر. فيالله العجب. هل الخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله: أنا الخضر. ومعلوم: أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله. فأين للرائي أن المخبر له صادق، ولا يكذب؟

(روى ابن وهب من طريق ابن المنكدر: أن عمر صلى على جنازة فسمع قائلا يقول: لا تسبقنا. وذكر أنه دعا للميت فقال عمر: خذوا الرجل. فتوارى عنهم فإذا أثر قدمه ذراع. فقال عمر: هذا والله الخضر. وفي إسناده مجهول مع انقطاعه، إلى غير ذلك من أحاديث ضعيفة واهية).

الوجه الثامن: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن، ولم يصاحبه، وقال له: **﴿هذا فراق بيني وبينك﴾** [الكهف: ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة، ولا مجلس علم، ولا يعرفون شيئا؟ وكل منهم يقول: قال الخضر.

فيا عجبا له! يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال من لا يعرف كيف يتوضأ، ولا كيف يصلي؟! (روى عمر الجمحي في فوائده والفاكهي في كتاب مكة بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأى شيخا كبيرا يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه: رده عليَّ: فطلبته فلم أقدر عليه. فقال لي أبي: ذاك الخضر).

الوجه التاسع: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر ولو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: وكذا، لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين. إلا أن يقال: إنه لم يأت إلى رسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا بايعه، أو يقول هذا الجاهل: إنه لم يرسل إليه. وفي هذا من الكفر ما فيه (حيث إنه ثبت أنه ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة، وإلى الجن)

الوجه العاشر: أنه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم: أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات. وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه، والعيب له؟؟ (المنار المنيف/ ١٢٨ ـ ١٣٦).

يقول ابن الحوراني: وفي مقبرة باب كيسان، شرقي دمشق، موضع يقال إن الخضر رؤي فيه، وهو موضع يتبرك به الناس ويزورونه (الإشارات ٢٤).

قالت المؤلفة: اثناء زيارتنا الأولى لدمشق من الأثنين/ ٢ صفر ١ أغسطس إلى ١٢ صفر / ٢٢ أغسطس، سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م، شاهدنا في باب أنطاكية ضريحا قال لنا الدليل إنه ضريح الخضر عليه السلام!

وفي العراق، يوجد أثر يعرف بقبة مقام الخضر، وهو مدرج ضمن القباب المخروطية في العراق، وجاء عنه ما يلي:

بناء منفرد يقوم على مرتفع أثري يعرف بالاسم نفسه ويقع على بعد حوالي كيلو متر واحد إلى الجنوب من ناحية كبيسة من أعمال هيت.

الضريح مبني بالحجر والجص بشكل مربع وتقوم فوقه قبة مضلعة مخروطية ذات ستة عشر ضلعا ويدخل إليه من مجاز مقبي مستطيل الشكل أبعاده ٩٠ / ٦ × ٩٠/ ٢ متر وارتفاعه ٣ أمتار ملتصق بالضلع الغربية من القبة ويمتد بموازاتها. والأرجح أن هذا المجاز متأخر عن بناء قبة الضريح.

البناء مربع، كما ذكرنا، طول ضلعه من الداخل ٥٠ / ٣ × ٥٠/ ٣ومن الخارج ٣٠/ ٥ × ٣٠/ ٥ متر يتوسط الجدار المواجه للمدخل محراب عرضه ٦٠ سم وعمقه ٨٥ سم وارتفاعه ٥٠ / ١ متر. وعلى ارتفاع ٣ أمتار من الأرضية نلاحظ ثلاثة مستطيلات تحوي في داخلها زخارف جصية اثنان منها في جدار القبلة والثالث في الجدار الغربي. عرض كل مستطيل ٧٠ سم وارتفاعه ٣٠ / ١ متر. قوام زخرفة هذه المستطيلات أشكال هندسية مركبة، إذ تتألف الوحدة الزخرفية من مربع داخله دائرة في داخلها مربعان متعاكسا الأضلاع داخلهما نجمة ذات ثمانية رؤوس.

وعلى ارتفاع أربعة أمتار من الأرضية توجد أربع نوافذ متقابلة، في كل ضلع نافذة، يعلوها إطار يبرز عن سطح الجدار بمقدار ١٠ سم يعلوه إطار آخر بارتفاع ٥٠ سم خال من الزخرفة تقوم فوقه صفان من الحنيات تكون مرحلة الانتقال من المربع إلى المثمن فالدائري.

يتكون الصف الأول من حنيات مقوسة مسطحة القاعدة تنتهي بعقود مدببة، في كل ضلع حنيات فتكون بمجموعها ثمانية حنيات يقوم فوقها صف آخر من حنيات مشابهة للأولى في كل جدار ثلاث حنيات وتكون بمجموعها اثنتي عشرة حنية وهي مرحلة الانتقال من المثمن إلى الشكل الدائري للقبة. تعلو هذه المنطقة من الحنيات منطقة تحوي أربعة صفوف من الأشكال المعينية، تتكون من شرائط متعاكسة ثم تتقارب وهكذا بصورة متتالية وتحصر بينها زخارف هندسية معينية الشكل عددها ستة عشر معينا في كل صف وتنتهي هذا الأشكال في الصف الرابع مكونة نجمة ذات ستة عشر رأسا بارزة الأضلاع والقبة نصف كروية من الداخل ومخروطية من الخارج وبين القبتين فراغ.

ويمكننا أن نلاحظ على الجدار الخارجي للقبة وعلى الصف الأول من المقرنصات فوق المدخل بقايا قطع من القرميد الأزرق.

ويرجح نسبة هذا القبة إلى العهد الأتابكي.

هذا وقع جاء عن الصورة المصاحبة لهذه المادة مايلي منظر خارجي لمقام الخضر، وهو مبني من الحجر. وتشهد فيه القبة المخروطية ذات الستة عشر ضلعا، ومنطقة الانتقال المثمنة وتبدو فيها نافذتان من أصل ست نوافذ، كما يشاهد عقد المدخل إلى المقام.

كما جاء في هامش (١) هذا التنويه: لم نعثر على اسم الشخص المدفون في هذا الضريح. أما اسم الخضر بصفة عامة فمعناه الرجل الأخضر، ثم نسي هذا اللقب على مر

الأيام. يطلق المفسرون اسم الخضر على العبد الذى صحب موسى عليه السلام فى قصة الحوت ... ويتبين أن الخضر لم يكن نبيا بل عبدا صالحا من عباد الله كان يسكن مجمع البحرين، وكان يعيش فى جزيرة أو على طنفسة خضراء على كبد البحر.

وتذكر تواريخ متفاوتة للعهد الذى وجد الخضر فيه فيقال (١) إنه معاصر لإبراهيم الذى هاجر معه من أرض بابل. (٢) فى عهد أفريدون (٣) معاصر للإسكندر وإنه عمّر إلى زمان موسى (٤) ولد فى عهد ناشية بن أموص ويرجع الخلاف فى هذه الأقوال إلى خلوده.

وإذا عد نبيا بقى الخلاف فى اعتباره من الرسل وكان إلى هذا إنسيا ملكيا أرضيا سماويا.

وهناك مثل صوفى إن لكل عصر خضره، وهو من الخالدين ويعيش فى بيت المقدس (القباب المخروطية فى العراق / ٦٧-٩٦، ١٧٤).

(تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير - تحقيق عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البنا. كتاب الشعب. دار الشعب م ٥/ ١٧٢ - ١٧٥، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧٦، ١٧٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ٦٥، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٣٩، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية - حقق أصوله وخرّج أحاديثه وكتب مقدماته وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ١٢٨ - ١٣٦ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، والإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام لعثمان بن أحمد السويدى الدمشقى المعروف بابن الحورانى - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ٢٤ والقباب المخروطية فى العراق - عطا الحديثى وهناء عبد الخالق، وزارة الإعلام مديرية الآثار العامة. بغداد ١٩٧٤ / ٦٧ - ٦٩، ١٧٤. انظر أيضا تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٣ / ٢٢٣، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف للإمام ابن قيم الجوزية - حققه وضبطه أحمد عبد الشافى / ٦٦ - ٧٤ والمعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٢).

*** الخضراء (الجزيرة -):**

وصف الحميرى الجزيرة الخضراء بقوله:

بالأندلس، وهى الجزيرة الخضراء، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهى جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان حملها معه فخلّفها هذه الجزيرة فنسبت إليها وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين مدينة قلشانة أربعة وستون ميلا، وهى على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به، وبشرقيها خندق وبغربيها أشجار تين وأنهار عذبة؛ وقصبة المدينة موفية على الخندق وهى منيعة حصينة سورها حجارة وهى فى شرق المدينة ومتصلة بها؛ وبالمدينة جامع حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف وهو فى وسط المدينة فى أعلى الربوة، وأسواقها متصلة من الجامع إلى شاطىء البحر؛ وعلى البحر بين القبلة والشرق من مدينة الجزيرة مسجد يسوّى يعرف بمسجد الرايات، ركزت فيه المجوس راياتها، فنسب إليها، وله باب من خشب سفن المجوس، وبها كانت دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل، وأتقن بناءها، وعلّى أسوارها، ثم اتخذها المنتزون بها فى الفتنة قصرا، وبقرب المدينة مدخل الوادى فى البحر، عليه بساتين كثيرة، ومهبطه من حيث تدخله السفن، ومنه شرب أهل الجزيرة، ويسمونه وادى العسل، ويمده البحر إلى قدر شطر المدينة، وهو نحو نصف ميل، وتجاهه أثر مدينة الجلندى الملك صاحب قرطاجنة إفريقية بقبلى مدينة الجزيرة، وهو اليوم خربة تزدرع، وبها حائط عريض مبنى بالحجارة داخل البحر، ومن هذا الحائط كانت تشحن المراكب، وبنى عليه محمد ابن بلال برجا.

ومدينة الجزيرة طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البر والبحر قريبة المنافع من كل وجه لأنها وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس مجازا إلى العدوة. ومنها تغلّب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد إفريقية؛ وبها ثلاث حمّامات، ولها كُور كثيرة، وكانت جبايتها ثمانى عشر ألفا وتسعمائة.

وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر (عليهما السلام) وبها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة، والجلندى هو الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا، حكى ذلك عن وكيع بن الجراح.

ومرسى الجزيرة مشتى مأمون، وهو أيسر المراسى للجواز، وأقربها من بر العدوة، ويحاذيه مرسى مدينة سبتة، ويقطع البحر بينهما فى ثلاث مجار، ويتلوه جبل طارق.

وللخضراء هذه سور حجارة مفرغ بالجيار، ولها ثلاثة

أبواب، وبها دار صناعة داخل المدينة؛ وعلى نهرها المسمى نهر العسل بساتين وجنات بضفتيه معا، وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأم حكيم المتقدمة الذكر؛ والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس فى صدر الإسلام سنة ٩٠ من الهجرة على يد موسى ابن نصير من قبل المروانيين، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتى فى قبائل البربر.

وعلى باب البحر مسجد يسمى مسجد الرايات يقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى. وكان وصولهم أيضا من جبل طارق، وإنما سمى بجبل طارق لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل. وقدر أن العرب لا ينزلونه، فأراد أن ينفى عن نفسه التهمة، فأمر بإحراق المراكب التى جاز بها فتبرأ بذلك مما اتهم به. وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال، وهو جبل منقطع مستدير، فى أسفله كهوف فيها ماء.

ولها من الأبواب الباب الكبير، يعرف بباب حمزة غربى، وباب الخوخة قبلى، وباب طرفة جوفى؛ ولها ثلاث حمّامات. وتغلب المجوس عليها فى سنة ٢٤٥، وأحرقت المسجد الجامع بها؛ وفى الشرق من مدينة الجزيرة مسجد يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال إنه أول مسجد بنى بالأندلس، ويعرف الموضع الذى هو فيه بقرطاجنة، فإذا أقحط أهل الجزيرة استسقوا فيها فسقوا بفضل الله تعالى ورحمته.

والجزيرة فى شرق شلونة، وقبلى قرطبة، ولها أقاليم عدة.

(صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى. عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ. لافى بروفنصال / ٧٣-٧٥).

** الخضراء (قصر-):**

يقول الدكتور عفيف بهنسى:

أما معاوية بن أبى سفيان فلم يعرف له من القصور إلا قصر الخضراء الذى بناه أيام ولايته على الشام كدار للإمارة يقع قبلى المسجد وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكاملها بهذا الاسم، وسكنها معاوية أربعين سنة كما يقول ابن كثير (البداية والنهاية ٩ / ١٤٣) ولعل قصر معاوية أقيم على أنقاض قصر قديم إذ يذكر ابن عساكر: «أن الخضراء التى فيها قصر معاوية من بناء أهل الجاهلية، من البناء القديم» (تاريخ دمشق تحقيق المنجد ٢ / ١٣٨).

ويقع القصر فى المكان المحاذى لجدار الجامع الأموى من الجهة الجنوبية، ولقد كان القصر يتصل بحرم الجامع من خلال باب كان يطلق عليه اسم باب الخضراء وهو فى الأصل أحد الفتحات الثلاثة لمعبد جوبيتر.

ويعتبر قصر معاوية أول قصر عربى يشاد فى بلاد الشام، ولقد أصابه الخراب بعد زوال الأمويين من الشام، ثم التهمته النار فى أواخر عهد الفاطميين كما يروى ابن كثير الذى يذكر: «ألقيت نار بدار الملك وهى الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة فاحترقت» (البداية والنهاية ١٢ / ٩٧).

ويضيف ابن كثير: «وبادت الخضراء فصارت كوما من تراب بعدما كانت فى غاية الإحكام والإتقان وطيب الغناء ونزهة المجلس، وحسن المنظر». وبقيت المنطقة التى كان فيها القصر تحمل اسم الخضراء حتى أقيم على جزء منها عما ١٧٤٩ م قصر العظم الذى ما زال حتى الآن مستعملا كمتحف للتقاليد الشعبية. وتجرى التنقيبات حاليا فى تلك المنطقة للتعرف على آثار الخضراء.

وهكذا فإننا لانعرف عن هذا القصر إلا الملامح التالية:

١ - موقعه المؤكد الذى سبق عرضه.

٢ - قبته الخضراء التى شملت تسميتها القصر والمنطقة.

٣ - قيامه المحتمل على قصر سابق للإسلام.

٤ - مادة بنائه وهى الحجارة كما ذكر ابن عساكر (انظر تاريخ دمشق ٢ / ١٣٨) فقد روى: «أن معاوية بناها بالطوب فلما فرغ منها قدم عليه رسول ملك الروم فنظر إليها فقال معاوية: كيف ترى هذا البنيان، قال: أما أعلاه فللعصافير، وأما أسفله فللنار. قال: فنقضها معاوية وبناها من الحجارة.

وعدا هذه الملامح تروى الأخبار أنه كان قصرًا تحف به حدائق غناء ويطل على السهل المخصب النضر الممتد إلى الجنوب الغربى، حتى جبل الشيخ المعمم بالثلج، ولقد سمى هذا القصر بالخضراء نسبة إلى قبة خضراء كانت تعلوه (انظر ابن جبير / ٢٦٩ والأغانى ٦ / ١٥٩).

ويتحدث صاحب الأغانى (٤ / ٨٠) فى هذا القصر عن كرسى الخلافة وهو عرش مربع الجوانب تستره الوسائد المطرزة الفخمة، وقد تربع الخليفة على عرشة فى لباسه متشحا بجبته الفضفاضة واصطف عن يمينه أهل بيته حسب أسنانهم وعن شماله أخواله ووقف أهل خاصته والشعراء وأهل الشكاوى خلفه ولعل ميسون زوجة معاوية وأكثرهن حظوة لديه، وهى عربية من بنى بجدل التى تنسب إلى قبيلة كلب التى تقيم فى بادية تدمر، كانت قد أقامت فى هذا القصر المنيف، ولكنها عبرت عن حنينها المستمر للبادية بأبيات منسوبة إليها:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلىَّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى
أحب إلىَّ من لبس الشفوف

(الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه — د. عفيف بهنسى / ٩٩، ١٠٠).

*** ابن خضرويه (ـ٢٤٠ هـ):**

ذكره الإمام أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الأولى للصوفية وقال عنه:

هو أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى، وهو من كبار مشايخ خراسان. صحب أبا تراب النخشبى، وحاتما الأصم، ورحل إلى أبى يزيد البسطامى. وهو من مذكورى مشايخ خراسان بالفتوة، ودخل نيسابور فى زيارة أبى حفص النيسابورى الذى قيل له: من أجلُّ من رأيت من هذه الطبقة؟ فقال: «ما رأيت أحدا أكبر همة، ولا أصدق حالا، من أحمد بن خضرويه».

توفى سنة أربعين ومائتين.

ومن كلامه:

ـ ولى الله لا يسم نفسه بسيماه، ولا يكون له اسم يتسمى به.

ـ القلوب جوالة: إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش (وهو موضع قضاء الحاجة كالمرحاض).

ـ فى الحرية تمام العبودية، وفى تحقيق العبودية تمام الحرية.

ـ لا تتم معاشرة متضادين فى دين أو فى دنيا.

ـ واستقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم. فقال له الرجل: ألستم أنتم الزهاد فى الدنيا؟ ما تصنع بهذه الدراهم؟ قال: أشترى بها لقمة، فأضعها فى فم مؤمن، ولا أجترىء أن أسأل ثوابه من الله تعالى قال: لم؟ قال: لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح بعوضة؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا، ما الذى تعطى بها؟ والدنيا كلها هذا القدر؟!

ـ الصبر زاد المضطرين. والرضا درجة العارفين.

ـ من صبر على صبره فهو الصابر، لا من صبر وشكا.

ـ كنت فى طريق مكة، فوقعت رجلى فى شكال (وهو شىء كالقيد يوضع فى رجل الفرس) فكنت أمشى فرسخين وهو متعلق بها، فرآنى بعض الناس فنزعه عنى، ثم دفعنى، فقدمت بسطام، فابتدأنى أبو يزيد، فقال: الحال التى وردت عليك فى طريق مكة، كيف كان حكمك مع الله فيها؟ قلت: أردت ألا يكون لى فى اختياره اختيار. فقال لى: يافضولى، قد اخترت كل شىء حيث كانت لك إرادة.

ـ من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس.

ـ الطريق واضح، والحق لائح، والداعى قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى.

ـ وقرىء بين يديه قول الله عز وجل: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٥٠] فقال: أعلمهم بهذا أنه خير مفر.

ـ حقيقة المعرفة: المحبة له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهمة عن كل شىء سواه.

ـ القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطن أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

ـ وقال له رجل: أوصنى. فقال: أمت نفسك حتى تحييها.

ـ أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خُلقا.

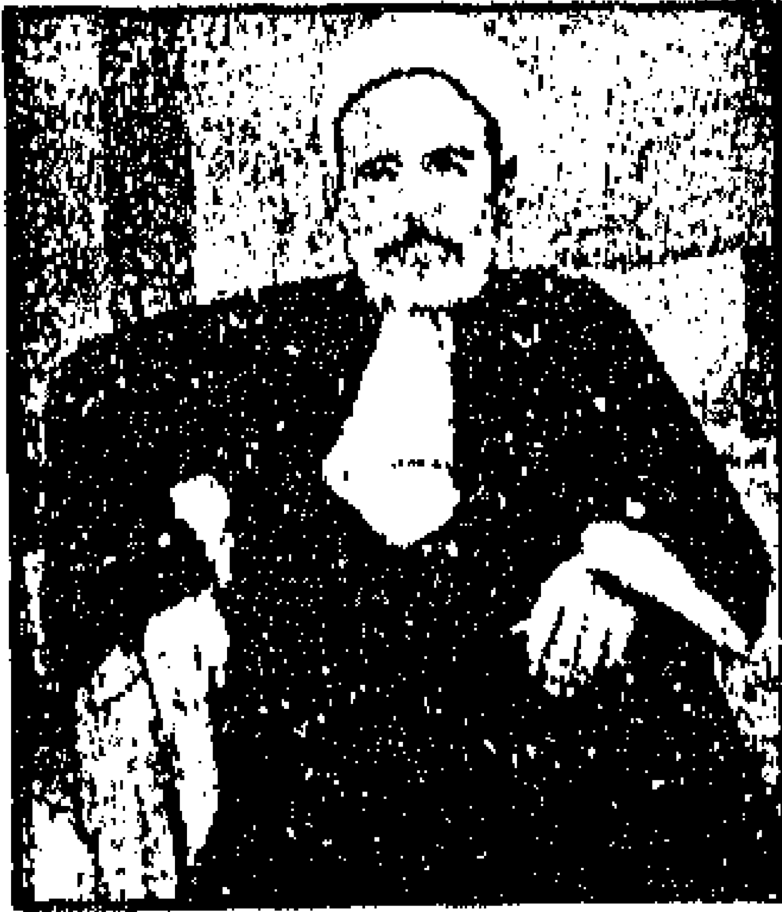
ـ بلغنى أنه استأذن بعض الأعيان على بعض الزهاد، فرآه ـ فى رمضان ـ يأكل خبزا يابسا بملح، فرجع إلى منزله وبعث إليه بألف دينار، فرده وقال: إن هذا جزاء من أفشى سره إلى مثلك.

ـ لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظهرت بك الشهوة.

ـ ليس من طالبه الحق بآلائه كمن طالبه الحق بنعمائه.

ـ وسئل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن الالتفات إلى شىء سوى الله تعالى.

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٢٥، ٢٦).



محمد بن عفيفي الخضري

* **الخُضَرى (١٢٨٩ - ١٣٤٥ هـ / ١٨٧٢ - ١٩٢٧ م):**

هو العالم المؤرخ الأديب الشيخ محمد بك الخضرى ابن الشيخ عفيفى الباجورى نسبة إلى بلدة الباجور من أعمال مديرية المنوفية. ولد بالقاهرة ونشأ فيها. تعلم فى بعض كتاتيبها مبادىء القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. ثم أدخل الأزهر فطلب العلم فيه بضع سنين، وكان رحمه الله وافر الذكاء جيد الحفظ، ثم تحول إلى دار العلوم فتخرج على كبار أساتيذها. وكان معروفا عندهم كما كان معروفا بين لداته بالجد فى طلب العلم، والحمل على النفس فى سبيل تحصيله. ولما أحرز إجازة تلك المدرسة خرج للتعليم فى مدارس الحكومة سنين عددا. ثم تولى القضاء فى السودان دهرا. ثم تحول إلى التدريس فى كلية غردون. حتى إذا أنشئت مدرسة القضاء الشرعى دعى للتدريس فيها. ثم صارت إليه وكالتها. وظل فى هذا المنصب إلى أن قبض إلى رحمة الله. وفوق عمله الأصيل فى مدرسة القضاء ندب لتدريس التاريخ الإسلامى فى الجامعة المصرية القديمة.

وكان فيه ميل شديد إلى التاريخ الإسلامى، يعالج مباحثه ما تهيأ له ذلك بالمحاضرة والكتابة والتأليف. وهو مرسل القلم، سلس العبارة، لا يتعمل ولا يتكلف بديعا، على أنه كان على حظ من الأدب غير يسير. ومن مؤلفاته: نور اليقين، فى سيرة سيد المرسلين، وإتمام الوفاء بسيرة الخلفاء (قالت المؤلفة: كتاب إتمام الوفاء هذا عندى منه نسخه طبع دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة. بدون تاريخ)، وتاريخ التشريع الإسلامى وكتاب الأصول (فى أصول الفقه)، ومهذب الأغانى (لأبى فرج الأصبهانى) تسعة أجزاء، فضلا عن محاضراته فى الجامعة فى التاريخ الإسلامى، فقد جمعها بعد ذلك. ومؤلفات كلها مطبوعة بمصر. وله مقالات كان يبعثها فى الصحف السيارة فى المسائل الدينية الأخلاقية والاجتماعية والأدبية، وفى أكثرها كان يطوى اسمه عن جمهرة القارئين (المفصل ٢ / ٤٠٧، ٤٠٨) (والأعلام ٦ / ٢٦٩).

ويضيف الزركلى إلى مؤلفات الشيخ الخضرى ما يلى: «محاضرات» فى نقد كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين، و «الغزالى وتعاليمة وآراؤه» مطبوع نشر تباعا فى المجلد ٣٤ من مجلة المقتطف، و «دروس تاريخية» مطبوع (الإعلام ٦ / ٢٦٩).

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٤٠٧، ٤٠٨، والأعلام للزركلى ٦ / ٢٦٩).

* **الخضيرى (. ٩٦٥ هـ):**

هو الذى أنشأ الجامع المعروف باسمه. قال عنه على مبارك:

والشيخ الخضيرى ـ كما فى كتاب مناقب السادة الخضيرية للشيخ عبد الرحمن جاويش ـ هو السيد سليمان أبو الربيعين الزبيرى الصديقى الحسينى ابن نور الدين على بن شهاب الدين أحمد، ينتهى نسبه إلى ثابت بن عبد الله

ابن الزبير بن العوام رضى الله عنهم، يجتمع مع النبى ﷺ فى قصى. والمراد بالربيعين علم الظاهر والباطن. وكان صاحب كرامات وزار الرحاب الحرمية مرارا، وكان لا يذكر أحدا بمنقصة ولا يسمع من أحد ذلك، ويقول: لا يذكر نقائص الناس إلا ناقص. وكان شأنه الصمت، أخذ القرآن والطريق عن الشيخ أحمد المرحومى المدفون بمصر القديمة، وأخذ عن الجلال السيوطى. ومن إخوانه فى الطريق الشيخ أبو السعود الجارحى رضى الله عنه، وكان من العلماء العاملين، وكان مسموع الكلمة عند الأمراء، وكان له نحو خمسمائة تلميذ، وتوفى تاسع شهر ذى الحجة سنة خمس وستين وتسعمائة، ودفن بزاويته فى مزاره المشهور لجده السيد محمد المزبور وصلى فى قبره ركعتين.

وكان ابنه الشيخ أحمد عارفا بالله تعالى وليا صالحا مجذوبا، مربيا للمريدين ومرشدا للسالكين، حصلت له جذبة قوية وهو صغير فى حياة والده رضى الله عنه، وكانت إقامته غالبا فى هذا الحالة بساقية مكى من بر الجيزة فوق ساقية هناك على الطريق، ثم رجع إلى الصحو وأخذ عن والده وأقام طريقته من بعده، وصار عالما هُماما، وأطعم الفقراء، وزادت تلامذته، وكان يقيم كل سنة أربعة أشهر فى ثغر الإسكندرية، ولم يزل على حالة حسنة إلى أن توفى ودفن بجوار والده. وقد نظم تاريخ موته بعض تلامذته فقال:

مات مولانا سعيداً
لا يرى فى الحشر ضيرا
قلت حقا فى تاريخ
قد جزاه الله خيرا

وترك من الأولاد ثلاثة ذكور: عليا، وصالحا، وعبد الرحمن، وأنثى واحدة، وقام مقامه ابنه الشيخ على إلى أن مات فدفن بهذه الزاوية أيضا انتهى.

يعمل للأستاذ الخضيرى مولد كل سنة فى شهر ذى القعدة وقد نقله الشيخ أحمد تاج الدين إلى شعبان، ثم حوله السيد محمد قاسم إلى ذى القعدة ثانيا، ويستمر نحو عشرة أيام.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٤٤، ٢٢٥).

انظر: الخضيرى (جامع ـ)

*** الخضيرى (جامع ـ) (١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م) أثر ٥٥٢:**

وصفه على باشا مبارك كما كان فى زمانه فقال:

هذا المسجد بشارع حدرة الحناء بالقرب من قلعة الكبش عن يمين الذاهب من الصليبة إلى جهة السيدة زينب رضى الله عنها تجاه مدرسة صرغتمش. كان أصله زاوية أنشأها العارف بالله تعالى سيدى الشيخ سليمان الخضيرى رضى الله عنه قبل وفاته، ووقف عليها أطيانا كثيرة لإقامة شعائرها، وشرط فى الوقفية أن ما فضل من الريع يكون لذريته طبقة بعد طبقة، تحجب الطبقة العليا الطبقة السفلى، الذكروالأنثى فى ذلك سواء، إلا أن أولاد الظهور مقدمون على أولاد البطون، بحيث لا يستحق أولاد البطون إلا بعد انقراض أولاد الظهور، إلى آخر ما هو موضح بحجة الوقفية. وقد رتب فيها مجلس ذكر وصلوات بعد صلاة الجمعة يستمر إلى آخر الليل، ورتب لذلك شموعا وجرايات مستمرة إلى الآن.

ثم إن ابنه الولى الصالح العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الخضيرى هدم بعضها وجددها بأحسن مما كانت عليه، وبعد وفاته دفن بها بجوار قبر والده.

ثم فى سنة ألف ومائة وثمان وثمانين جددها ناظرها سليمان أفندى بن الشيخ عبد الرحمن ابن نسل الأستاذ الخضيرى، وزاد فيها سعة من الجهة البحرية وجعلها مسجدا جامعا، وأحدث بها المنبر والدكة، ووضع فى حيطانها القيشانى مكتوبا فيه أبيات من بردة المديح، وتاريخ هذه العمارة مكتوب على واجهة باب المسجد فى بيت شعر وهو:

باب الخضيرى لما تبغى عليك به
وأرخن فهو جاه حاضر المدد

ووقف عليها رزقا من الأطيان ورتب لها علوفات مقبوضة، وكذا ابن عمه مصطفى أفندى وقف أوقافا كثيرة للصرف على شعائر المسجد والمجاورين به، وقد انضمت تلك الأطيان لجانب الديوان سوى ثلاثة أفدنة وكسور بناحية طوخ طنبشا.

ورتب له العزيـز محمد على باشا بالمروزنـامجة بدلا عن تلك الأطيـان كل شهر مـائتين وستة وثمـانين قرشـا ديوانيـا، وذلك غيـر مرتب أوقـاف سليمـان أفنـدى ومصطفى أفنـدى وغيرهما وهو كل شهر مائة وسبعة وخمسون قرشا.

ولم يكن لهـذا المسجد مطهـرة إلى أن تـولى نظره السيـد محمد قاسم الخضيرى بعد رجوعه من سفر الشام صحبة سر عسكر الـوزير إبـراهيم بـاشا والد الخـديوى إسمـاعيل بـاشا فأجـرى بـه عمـارة وأحـدث الميضـاة والمغطس والحنفيـة والأخلية على ما هى عليه الآن.

وفى سنــة تسع وسبعين ومــائتين وألف حصـل خلل بالبوائك فهدمها السيد حسن قاسم وهدم الدهليز ليجددها، وكان ناظـر الأوقاف يومئذ الأمير راتب باشـا الكبير، فمر بتلك الجهـة فـرأى ذلـك فأحضـر الحـاج محمـد صـالـح سـريـه المهنـدس المعمـارى وأمره بتكميل بنـاء هـذا المسجـد على طرفـه، فجدد على ما هو عليـه الآن. وهو مسجد عامـر مقام الشعـائر إلى الغايـة وحضـرته مستمـرة على مـا كانت عليـه، ويصعـد إليه بسلم من حجـر مدور، وبـداخل الباب دهليـز بآخـره خلوة صغيرة بهـا نصبة القهوة، وعـن يمين الداخل من الجهة الشرقية سلم بعـده درج يوصل إلى المطهرة والبئر، فإذا توضأ الشخص يصعد إلى المسجـد من سلم آخر يسمى سلم الطهارة، وعن يسـار الداخل بـالدهليز بـاب للمسجد يسمى باب الوسط، وبه عشرة أعمـدة بعضها من حجر وبعضها من رخام وعليها بـوائك من الحجر، وأرضه مفروشـة، وسقفه من الخشب المنقوش وتحت السقف كرنيش مكتوب عليه: أنشأ هذا المسجد أبو العباس أحمد الخضيرى.

وضريح الأستـاذ تجاه باب الوسط عليه قبـة ومقصورة من الخشب، وبداخل المقصورة قبر ابنه الشيخ أحمد، وقبر آخر فيه السيد حمـزة الخضيرى، وبجوارها مقصـورة أخرى صغيرة بها قبر السيـد أحمد تاج الدين، وهنـاك قطعة من إزار خشب عليهـا أبيـات شعــريــة، وتحت الإزار دواليب للـــوازم المجاورين، ودكتـه قائمة على عمـودين من أعمدتـه وتحتها إزار خشب فيه أبيات تتضمن مدح السادة الخضيرية، وتحت ذلك ألـواح من القيشانى ممتـدة من ابتداء الحـائط إلى سلم الطهارة، وتحت ذلك خزانة الكتب بجـوارها باب يسمى باب القبة يـوصل للسطح، وبأعلى المسجد شبابيك مصنـوعة من الجبس والزجاج الملون، ويكتنف القبلة شباكان من الحديد مطـلان على الشارع، وفـوقهما شبـاكـان من الزجـاج، وبين المنبر والمقام فجـوة صغيرة تسع المصلى وشباك من الخشب المخـروط، وعلى يسـار القبلـة مكتـوب: قـال الله تعـالى: ﴿**كلمـا دخل عليها زكـريا المحـراب**﴾ [آل عمـران: ٣٧] وعلى يسارها خلوة صغيرة تسمى المعبد هى مخزن للجراية.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى بـاشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٢٢ـ٢٢٤).

قالت المـؤلفة: القيشانى الذى يغطى الحـائط فى جامع الخضيرى الذى ذكـره على مبارك أعلاه قد أدرج تحـت عنوانه ذلك الجـامع فى فهرس الآثـار الإسـلامية بمـدينـة القاهـرة، والعنوان هـو «قاشانى بمسجد الخضيـرى»، ولا أدرى إن كان ذلك يعنى أنه لم يبق من ذلك الأثر سوى القيشانى إذ أننى لم أشهـد هذا الجـامع رغم أنه كمـا يقـول على مبارك يقع تجـاه مدرسة صرغتمش، وهى من المدارس التى قمت بزيارتها.

انظر: الخضيرى.

*** الخضيرى (زاوية ـ):**

قال عنها على مبارك: زاوية الخضيرى بحارة درب شغلان من شارع التبـانة، على يمين الـداخل بهذا الـدرب من شارع التبانة، وكانت قد تخربت فجددتها الآن امرأة تدعى الحاجة فاطمـة الناظـرة عليها من ريع ربع وقفـه عليها الحـاج محمد الفيومى الطحان زوج هذه المرأة، ولم تـزل هذه الزاوية ناقصة العمارة لكن شعائرهـا مقامة، ولها مطهرة وأخليـة وبها ضريح ولى يقـال لـه الشيخ علـى الخضيـرى، وقبـر آخـر يقـال إنـه لزوجته.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٣).

*** الخط:**

قال الراغب الأصفهانى:

خط: الخط كـالمـد، ويقـال لما لـه طـول، والخطـوط أضرب فيما يذكره أهل الهندسة من مسطوح ومستدير ومقوس وممال، ويعبـر عن كل بأرض فيها طـول بالخط كخط اليمن وإليه ينسب الرمح الخطى، وكل مكـان يخطه الإنسان لنفسه ويحفره يقال له خط وخطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين

أرضين ممطورتين كالخط المنحرف عنه، ويعبر عن الكتابة بالخط قال تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت: ٤٨] (المفردات/ ١٥٠).

وقال الجرجاني:

الخط: تصوير اللفظ بحروف هجائية، وعند الحكماء هو الذي يقبل الانقسام طولا لا عرضا ولا عمقا، ونهايته النقطة. اعلم أن الخط والسطح والنقطة أعراض غير مستقلة الوجود على مذهب الحكماء، لأنها نهايات وأطراف للمقادير عندهم، فإن النقطة عندهم نهاية السطح وهو نهاية الجسم التعليمي. وأما المتكلمون فقد أثبت طائفة منهم خطا وسطحا مستقلين حيث ذهبت إلى أن الجوهر الفرد يتألف في الطول فيحصل منهما خط، والخطوط تتألف في العرض فيحصل منها سطح، والسطوح تتألف في العمق فيحصل الجسم والخط والسطح على مذهب هؤلاء جوهران لا محالة، لأن المتألف من الجوهر لا يكون عرضا.

الخط: ماله طول لكن لا يكون له عرض ولا عمق (التعريفات/ ١٢٣).

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني/ ١٥٠ والتعريفات للشريف الجرجاني ـ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٢٣).

*** الخط الرومي:**

الخط الرومي: وهو أربعة وعشرون حرفا كما ذكرنا في المقدمة ولهم قلم يعرف بالساميا ولا نظير له عندنا فإن الحرف الواحد منه يدل على معان وقد ذكره جالينوس في ثبت كتبه.

(كشف ١/ ٧٠٩).

*** الخط الزنجي والحبشي:**

الخط الزنجي والحبشي: على ندرة لهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميري يبتدىء من الشمال إلى اليمين يفرقون بين كل اسم منها بثلاث فقط (كشف ١ / ٧١٠).

*** الخط السرياني:**

الخط السرياني: ثلاثة أنواع المفتوح المحقق ويسمى اسطريجالا وهو أجلها والشكل المدور ويقال له الخط الثقيل ويسمى أسكولينا وهو أحسنها، والخط الشرطا وبه يكتبون الترسل. والسرياني أصل النبطي (كشف ١ / ٧٠٩).

*** الخط الصيني:**

الخط الصيني: خط لا يمكن تعلمه في زمان قليل لأنه يتعب كاتبه الماهر فيه ولا يمكن للخفيف اليد أن يكتب به في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاثة وبه يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم. ولهم كتابة يقال له كتابة المجموع وهو أن كل كلمة تكتب بثلاثة أحرف أو أكثر في صورة واحدة ولكل كلام طويل شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة ورقة كتبوه في صفحة واحدة بهذا القلم (كشف ١ / ٧٠٩).

***الخط العبراني:**

الخط العبراني: أول من كتب به عامر بن شالح وهو مشتق من السرياني وإنما لقب بذلك حيث عبر إبراهيم الفرات يريد الشام وزعمت اليهود والنصارى لا خلاف بينهم أن الكتابة العبرانية في لوحين من حجارة وأن الله سبحانه وتعالى رفع ذلك إليه (كشف ١ / ٧٠٩).

*** الخط العربي:**

الخط العربي: قال ابن إسحاق أول خطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي. وأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وفي شكله انضجاع يسير قال الكندي لا أعلم كتابة يحتمل من تحليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات (كشف ١ / ٧٠٩).

انظر: الخط العربي (علم ـ).

*** الخط العربي (علم ـ):**

حينما نتكلم عن الخط العربي فإن ذلك يكون من وجهين الأول من حيث إنه علم فنتكلم على تعريفه وتاريخ نشأته وأطوار تطوره، وهو في هذه الحالة ما يمكن أن يسمى بالكتابة الخطية.

أما الوجهة الثانية فهو أن الخط العربي فن من الفنون الإسلامية، ، ذو عظمة وجلال، وهو ما يمكن أن نسميه بالزخرفة الخطية.

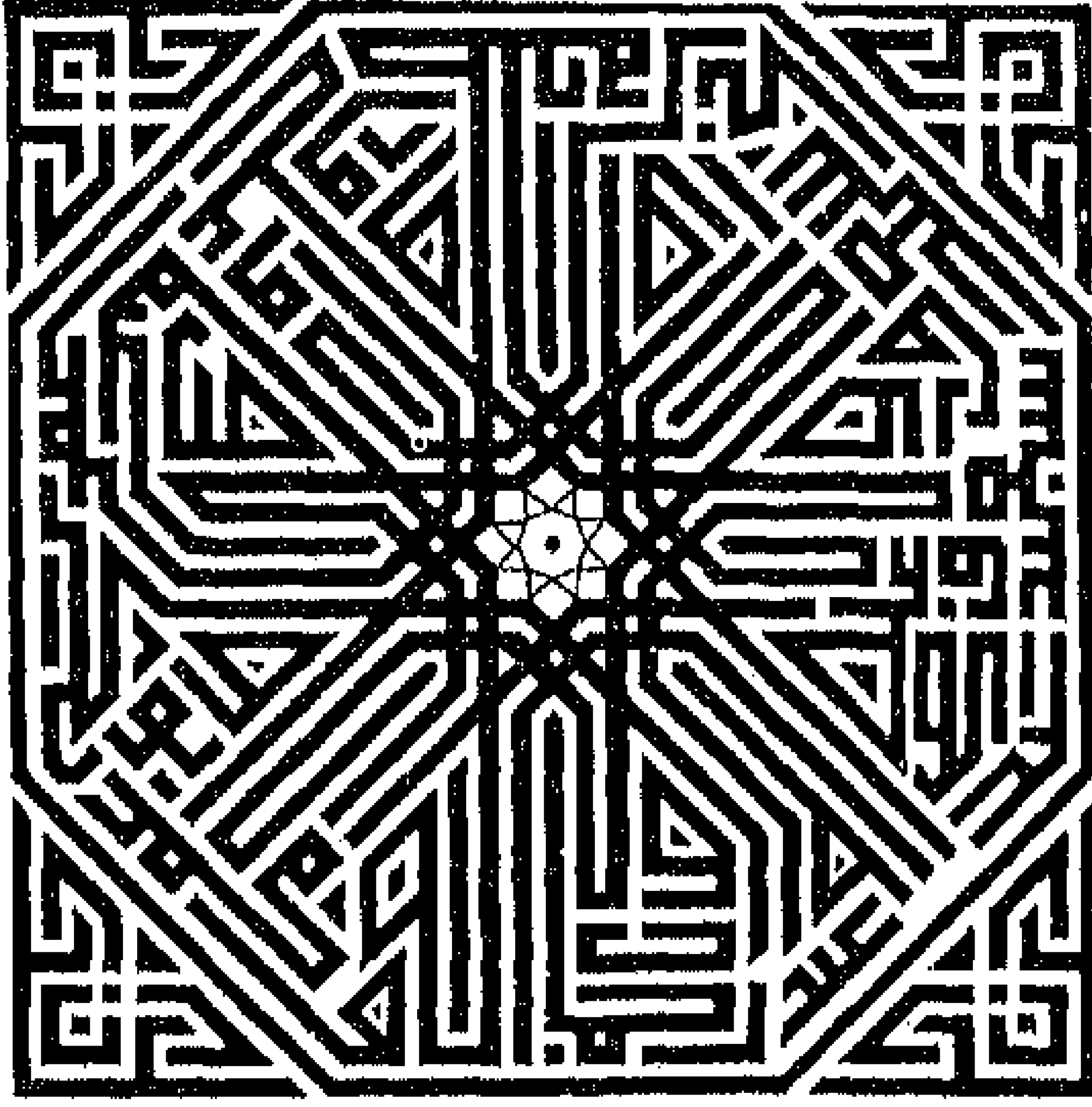
ونبدأ بالتعريف بالخط من حيث هو علم من العلوم، وذلك بما أورده ابن الحاجب في الشافية قال رحمه الله:

الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه إلا أسماء الحروف إذا قصد المسمى بها، نحو: قولك اكتب جيم عين فأرا، فإنك

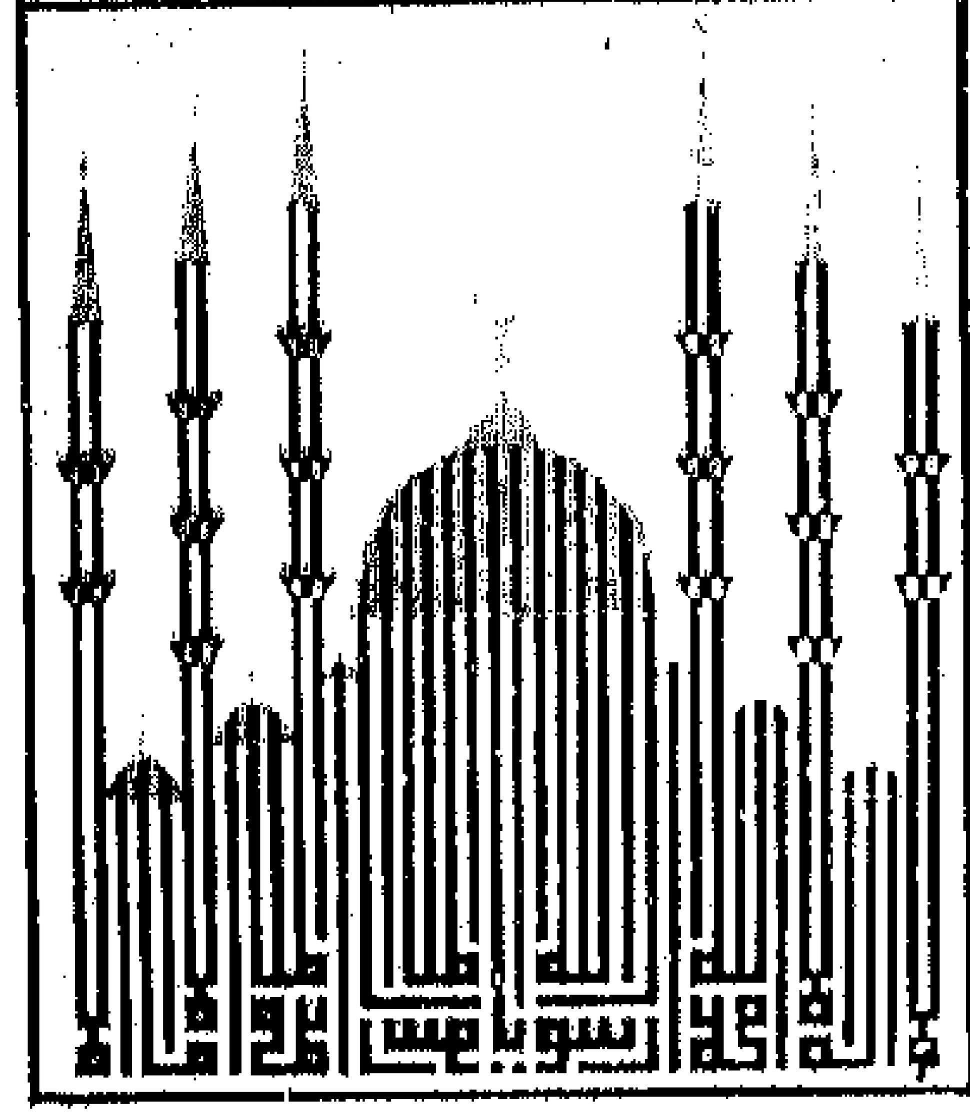
تكتب هذه الصورة جعفر لاسماها خطا ولفظا، ولذلك قال الخليل لما سألهم: كيف تنطقون بالجيم من جعفر، فقالوا: جيم، فقال: إنما نطقتم بالاسم ولم تنطقوا بالمسئول عنه، والجواب ج لأنه المسمى، فإن سمى بها مسمى آخر كتبت كغيرها، نحو: ياسين وحاميم، وفي المصحف على أصلها على الوجهين، نحو: يٓس وحٓم، والأصل في كل كلمة أن تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها، فمن ثمت كتب، نحو: دهْ زيدا، وقه زيدا بالهاء، ونحو: مه أنت، ومجيء بالهاء أيضا بخلاف الجار، نحو: حتامَ وإلام وعلام لشدة الاتصال بالحروف، ومن ثمت كتبت معها بألفات، وكتبت ممَّ، وعمَّ بغير نون، فإن قصدت إلى الهاء كتبتها، ورجعت الياء وغيرها إن شئت، ومن ثمت كتب أنا زيد بالألف، ومنه لكنا هو الله، ومن ثمت كتبت تاء التأنيث في نحو: رحمة، وقمحة هاء، وفيمن وقف بالتاء تاء بخلاف أخت، وبنات، وباب قائمات، وباب قامت هند، ومن ثمت كتب المنون المنصوب بالألف، وغيره بالحذف، وإذا بالألف على الأكثر، وضرَّبا كذلك على الأكثر، وكان قياس اضربن واضْربَن بواو وألف واضربن بياء، وهل تضربن بواو ونون، وهل تضربن بياء ونون، ولكنهم كتبوه على لفظه لعسر تبينه، أو لعدم تبين قصدها.

وقد يجرى اضربن مجراه، ومن ثمت كتب باب قاض بغير ياء، وباب القاضي بالياء على الأفصح فيهما، ومن ثمت كتب، نحو: بزيد، ولزيد، وكزيد متصلا لأنه يوقف عليه، وكتب، نحو: منك، ومنكم، وضربكم متصلا لأنه لا يبتدأ به، والنظر بعد ذلك فيما لا صورة له تخصه، وفيما خولف بوصل، أو زيادة، أو نقص، أو بدل.

فالأول الهمزة، وهو أول، ووسط، وآخر والأول ألف مطلقا، مثل: أَحَد، وأُحُد، وإبل. والوسط إما ساكن، فَيُكْتَبُ بحرف حركة ما قبله، مثل: ياكل، ويومن، وبيس، وإما متحرك قبله ساكن، فيكتب بحرف حركته، مثل: يسأل، ويلؤُم، ويسئم، ومنهم من يحذفها إن كان تخفيفها بالنقل والإدغام، نحو: مسلة، ومسِّل، ومنهم من يحذف المفتوحة فقط، والأكثر على حذف المفتوحة بعد الألف، نحو: سال، ومنهم من يحذفها في الجميع. وإما متحرك، وقبله متحرك، فيكتب على نحو: ما يسهل، فلذلك كتب، نحو: موجَّل



بالواو، ونحو: فِئَة بالياء، وكتب، نحو: سأل ولؤُم، ويئس، ومن مقرئك، ورءوف بحرف حركته، وجاء في نحو: سئل، ويقرئك القولان، والآخر إن كان ماقبله ساكنا حذف، نحو: خبءٌ، وخبئا، وخبءٍ، وإن كان متحركا كتب بحرف حركة ما قبله كيف كانت مثل: قرأ، ويقرئُ، وردؤَ، ولم يقرأ، ولم يقرىء ولم يردؤ، والطرف الذى لا يوقف عليه لاتصال غيره به كالوسط، نحو: جزأك، وجزؤُك، وجزئك، ونحو: ردءُك، وردءَك، وردئِك، ونحو: يقرؤه، ويقرئك إلا في نحو: مقروءةً وبريئة، بخلاف الأول المتصل به غيره، نحو: وردؤك ردئك بأحد ولأحد وكأحَد، بخلاف لئلا لكثرته ولكراهة صورته وكل همزة بعدها حرف مد كصورتها تحذف، نحو: خطأ في النصب، ومستهزءون، ومستهزئين، وقد تكتب بالياء بخلاف قرآ ويقرآن للبس، وبخلاف نحو: مستهزئين في المثنى لعدم المد، وبخلاف ردائى ونحوه في الأكثر لمغايرة الصورة، أو للفتح الأصلى، وبخلاف نحو: حنائى في الأكثر للمغايرة والتشديد، وبخلاف نحو: لم تقرئى للمغايرة واللبس. وأما الوصل فقد وصلوا الحروف وشبهها بما الحرفية، نحو: إنما إلهكم الله، وأينما تكن أكن، وكلما أتيتنى أكرمتك، بخلاف إن ماعندى حسن، وأين ما وعدتنى، وكل ما عندى حسن، وكذلك من ما وعن ما في الوجهين، وقد تكتبان متصلتين مطلقا لوجوب الإدغام، ولم يصلوا متى بما لما يلزم من تغيير الياء. ووصلوا أن الناصبة للفعل مع لا، بخلاف المخففة،

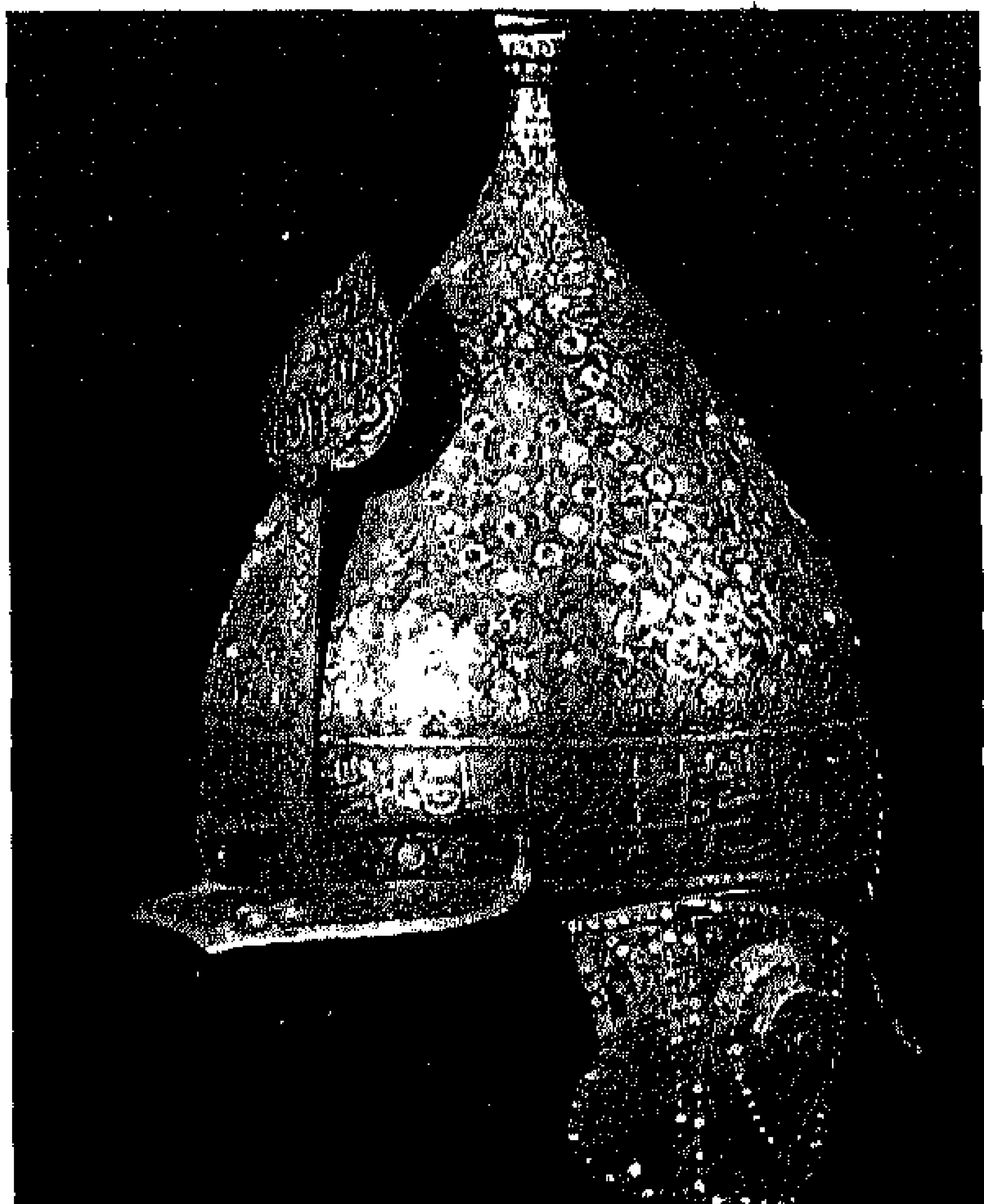


نحو: علمت أن لا يقوم، ووصلوا إن الشرطية بلا، وما، نحو: إلا تفعلوه، وإما تخافن، وحذفت النون فى الجميع لتأكيد الاتصال. ووصلوا نحو: يومئذ، وحينئذ فى مذهب البناء، فمن ثمت كتبوا الهمزة ياء، وكتبوا نحو الرجل على المذهبين متصلا لأن الهمزة كالعدم، أو اختصارا للكثرة. وأما الزيادة فإنهم زادوا بعد واو الجمع المتطرفة فى الفعل ألفا، نحو: كلوا واشربوا فرقا بينها وبين واو العطف، بخلاف نحو: يدعو، ويغزو، ومن ثمت كتب، نحو: ضربوا هم فى التأكيد بألف، وفى المفعول بغير ألف، ومنهم من يكتبها، فى نحو: شاربوا الماء، ومنهم من يحذفها فى الجميع، وزادوا فى مائة ألفا فرقا بينها وبين منه، وألحقوا المثنى بها. بخلاف الجمع، وزادوا فى عمرو واوا فرقا بينه وبين عمر مع الكثرة، ومن ثمت لم يزيدوه فى النصب، وزادوا فى أولئك واوا فرقا بينه وبين إليك، وأجرى أولاء عليه، وزادوا فى أولى مالٍ واوا فرقا بينه وبين إلى، وأجرى أولو عليه، وأما النقص فإنهم كتبوا كل مشدد من كلمة حرفا واحدا، نحو: شذ، ومد، وادّكر وأجرى، نحو: قَتَتُّ مجراه، بخلاف نحو: وعدت، وأجبهه، وبخلاف لام التعريف مطلقا، نحو: اللحم، والرجل لكونهما كلمتين ولكثرة اللبس، بخلاف الذى، والتى، والذين لكونها لا تنفصل عنها، ونحو: اللذين فى التثنية بلامين للفرق، وحمل اللتين عليه، وكذلك اللاءون وأخواته، ونحو: عم، ومم، وإما، وإلا ليس بقياس، ونقصوا من بسم الله الرحمن الرحيم، الألف لكثرته، بخلاف باسم الله، وباسم الله الرحمن ونحوه، وكذا الألف من اسم الله والرحمن مطلقا، ونقصوا من نحو: للرجل وللرجل، وللدار وللدار جرا ووبتداء الألف لئلا يلتبس بالنفى بخلاف بالرجل ونحوه، ونقصوا مع الألف اللام فيما أوله لام، نحو: للحم وللبن كراهة اجتماع ثلاث لامات، ونقصوا من نحو: أبنك بار؟ فى الاستفهام، وأصطفى البنات ألف الوصل، وجاء فى نحو: آلرجل الأمران، ونقصوا من ابن إذا وقع صفة بين علمين ألفه مثل: هذا زيدُ بن عمرو، بخلاف زيد ابن عمرو، وبخلاف المثنى، ونقصوا ألف ها للتنبيه مع الإشارة، نحو: هذا، وهذه، وهذان، وهؤلاء، بخلاف هاتا، وهاتى لقلته، فإن جاءت الكاف ردت، نحو: هاذاك، وهاذانك لاتصال الكاف، ونقصوا الألف من ذلك وأولئك، ومن الثلث والثلثين، ومن لكن ولكن، ونقص كثير الواو من داود لكراهة اجتماع الواوين، والألف من إبرٰهيم، وإسمٰعيل، وإسحٰق، وبعضهم الألف من عثمان، وسليمان، ومعاوية. وأما البدل فإنهم كتبوا كل ألف رابعة فصاعدا فى اسم أو فعل ياء إلا فيما قبلها ياء إلا فى يحيى وريَّى علما. وأما الثالثة فإن كانت عن ياء كتبت ياء، وإلا فبالألف، ومنهم من يكتب الباب كله بالألف، وعلى كتبه بالياء، فإن كان منونا، فالمختار أنه كذلك وهو قياس المبرد. وقياس المازنى بألف، وقياس سيبويه: المنصوب بألف، وما سواه بياء، ويتعرف الياء من الواو بالتثنية، نحو: فتيان وعصوان، وبالجمع نحو: الفتيات والقنوات، وبالمرة، نحو: رمية وغزوة، وبرد الفعل إلى نفسك، نحو: رميتُ وغزوت، وبالمضارع نحو: يرمى ويغزو، وبكون الفاء واوا، نحو: وعى، ويكون العين واوا، نحو: شوى إلا ماشذ، نحو: القوى والعُّوى فإن جهلت فإن أميلت فالياء نحو: متى، وإلا فالألف، وإنما كتبوا لدى بالياء، لقولهم: لديك، وكلا كتبت على الوجهين لاحتمالهما. وأما الحروف فلم يكتب منها بالياء غير بلى، وإلى وحتى، وعلى. والله أعلم بالصواب (متن الشافية/ ٥٥١ ـ ٥٥٧).

أما من حيث النظم فلدينا ما أورده الحافظ السيوطى فى خاتمة ألفيته النحوية، وهى من زياداته على ألفية ابن مالك،

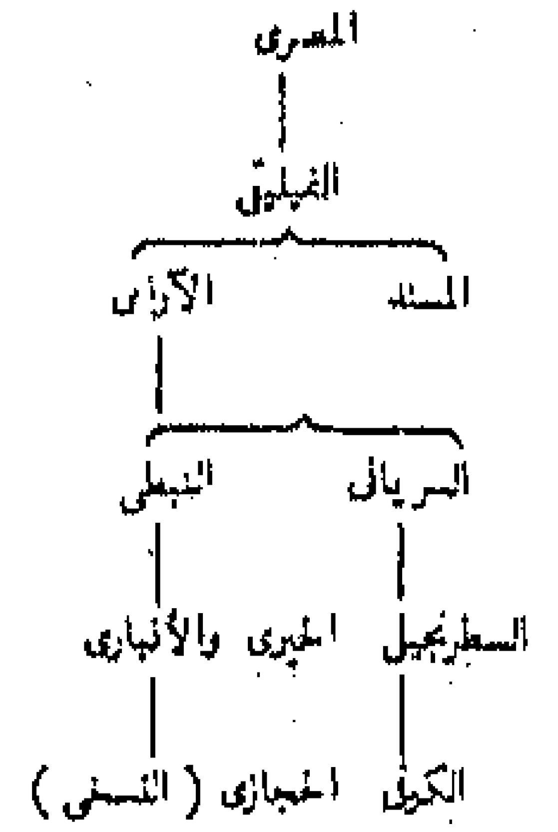
ومن ثم وضعت كلها بين قوسين. قال السيوطي رحمه الله تحت عنوان «خاتمة في الخط».

(الخط رسم لفظة بأحرف
هجائها أن تبتدى أو تقف
فسره ورحمه ومجيء مه بها
والياء فى القاضى وقاض دونها
ونحو زيدا واضربا بالالف
ومدغم بلفظه إذا يفى
من كلمة لا كلمتين واكتب
الهمز بالألف بدءا تصب
ووسطا ساكنة بحرف
حركة قبل وعكسا تلف
ابحرفها وتلو تحريك على
تسهيلها وطرفا قد خُزلا
تلو سكون أو بحرف ما تلا
واحذف من ابن علمين اتصلا
وبعد لام ال كذاك البسمله
وصل بخط كل حرف قبله
ومضمر الوصل وما تكف أو
ملغاة أو بالشرط لا متى تلوْ
وكلما ما قبلها لم يعمل
وغالبا بفى ومن إن توصل
وبهما وعن إذا ما استفهما
وصل بفى من إن أتى مستفهما
ومن وعن موصولة وأن وإن
شرطا بلا وما ونونها أبن
وألف لواو فعل جمع
زيد وواو فى أولو والفرع

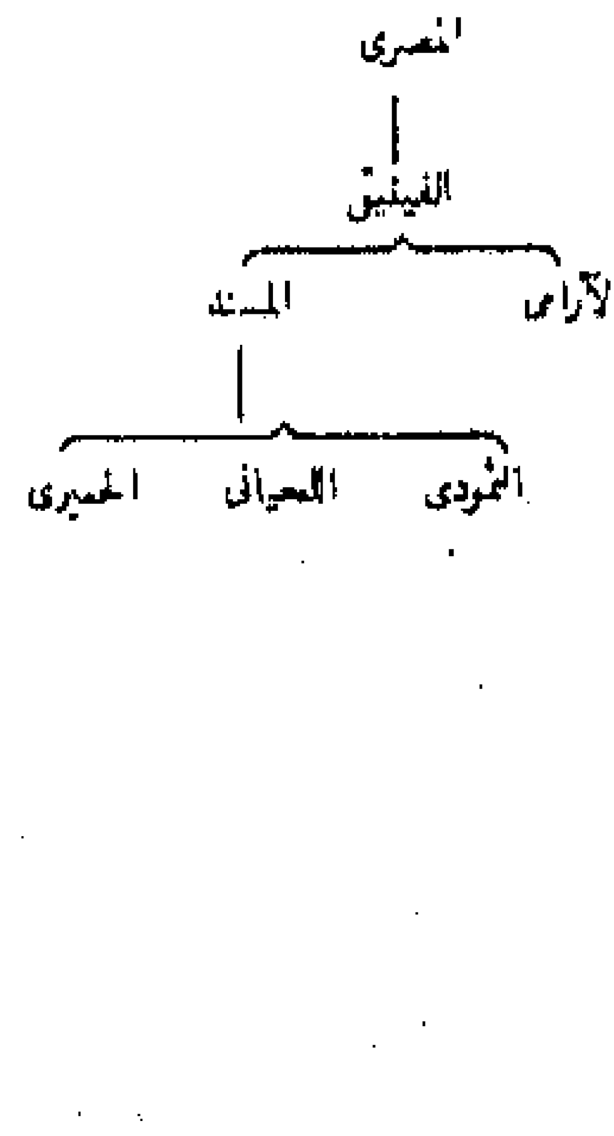


وفى أولئك ويا أخى مع
عمرو بلا نصب وتصغير يقع
ولام موصول سوى المثنى
تحذف أو فيه ثلاث عنا
وألف الرحمن والآله
سبحان ذإضافة والله
ونحو ذلك وهذا وثلاث
ولكن والأعلام أرتقت فوق الثلاث
ما لم ترى حذفا كداود ولا
كعامر بالحذف لبس حصلا
والواو من واوين ضم الأول
وياء إسرائيل واليا تجعل
فى ألف رابعة فصاعدا
أو أصلها اليا أو تمال راشدا
وكل حرف كتبوا غير بلى
حتى على بألف ثم إلى

سلسلة الخط العربي على رأي الإفرنج



سلسلة الخط العربي على رأي رواة العرب



وفـي لـــدى الخلف حكـــام النـــاس
والخـط فـي المصحف لايقـــاس
ومثل هـــذا أجـــرف القصيـــده
هـــذا تمـــام نظمي الفـــريـــده
فـــريـــدة فـي كـل عقـــد دره
فـي جبهـــة المختصـــرات غـــره
كـــافيـــة للطـــالبين وافيـــه
بقصـــد للمعضـــلات شـــافيـــه
أتيـت من التسهيـل بـــالخـــلاصـــه
فمـــا لقـــارىء بهـــا خصـــاصـــه

(ألفية السيوطى النحوية / ٧٥ـ٧٧).

ويفرد ابن خلدون فى مقدمته الفصل الثلاثين للكلام على أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، ويتكلم على تاريخ الخط وكونـه مظهرا من مظاهر الحضـارة، وأثرا من آثار الاجتماع والتجـارة، ومن ثم فإن رقيه أو تـأخره يرتبط بـرقى أو تأخـر الحضـارة فـى بلـد بعيـنه. يقـول ابـن خلـدون:

الخط هـو رسوم وأشكـال حـرفيـة تـدل على الكلمـات المسموعة الـدالة على ما فى النفس فهو ثانى رتبـة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التى يميز بهـا عن الحيوان وأيضـا فهى تطلع على ما فـى الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيـدة فتقضى الحاجات وقد دفعت مـؤنة المباشـرة لها ويطلـع بها على العلـوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبـوه من علومهم وأخبارهم فهى شـريفة بهـذه الوجـوه والمنـافع وخـروجها فى الإنسـان من القـوة إلى الفعل إنمـا يكـون بـالتعليـم وعلى قـدر الاجتمـاع والعمـران والتناغى فى الكمـالات والطلب لذلك تكـون جودة الخط فى المدينة إذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمران لهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطـه قاصرا أو قراءته غيـر نافذة ونجد تعليم الخط فى الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقـا لاستحكام الصنعة فيها كمـا يحكي لنا عن مصر لهـذا العهد وأن بهـا معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقـون على المتعلم قـوانين وأحكـامـا فى وضـع كل حـرف ويزيـدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعـه فتعتضد لديـه رتبة العلم والحس فى التعليم وتأتى ملكتـه على أتم الوجـوه وإنما أتى هـذا من كمال الصنـائع ووفورهـا بكثرة العمـران وانفساح الأعمال.

وقد كـان الخط العربى بالغـا مبالغا من الإحكـام والإتقان والجودة فى دولـة التبابعة لما بلغت من الحضـارة والترف وهو المسمى بالخط الحميرى، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دول آل المنـذر نسبـاء التبابعـة فى العصبيـة والمجـددين لملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصـور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنـائع وغيرها قاصـرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر ويقال إن الذى تعلم الكتابة من الحيرة هـو سفيان بن أميـة ويقال حـرب بن أمية وأخـذها من أسلم بن سـدرة وهو قـول ممكن وأقـرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم:

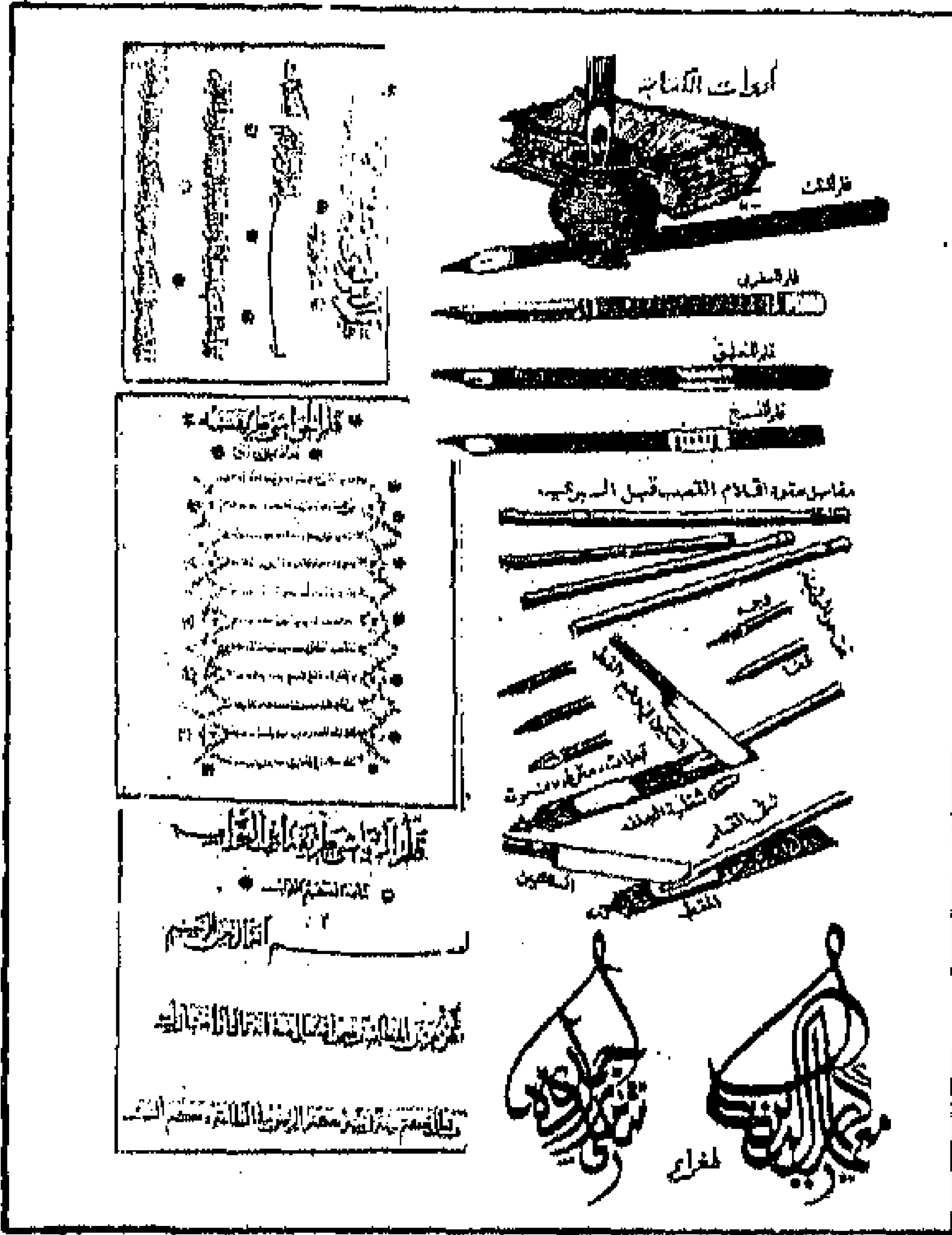
قـــوم لهـم ســـاحـــة العـــراق إذا
ســـاروا جميعـــا والخـط والقلـم

وهو قـول بعيد لأن إياد وإن نزلـوا ساحة العراق فلم يـزالوا على شأنهم من البداوة، والخط من الصنائع الحضـرية وإنما معنى قـول الشاعـر إنهم أقـرب إلى الخط والقلم من العـرب

لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنها الحيرة من التبابعة وحمير هو الأليق من الأقوال.

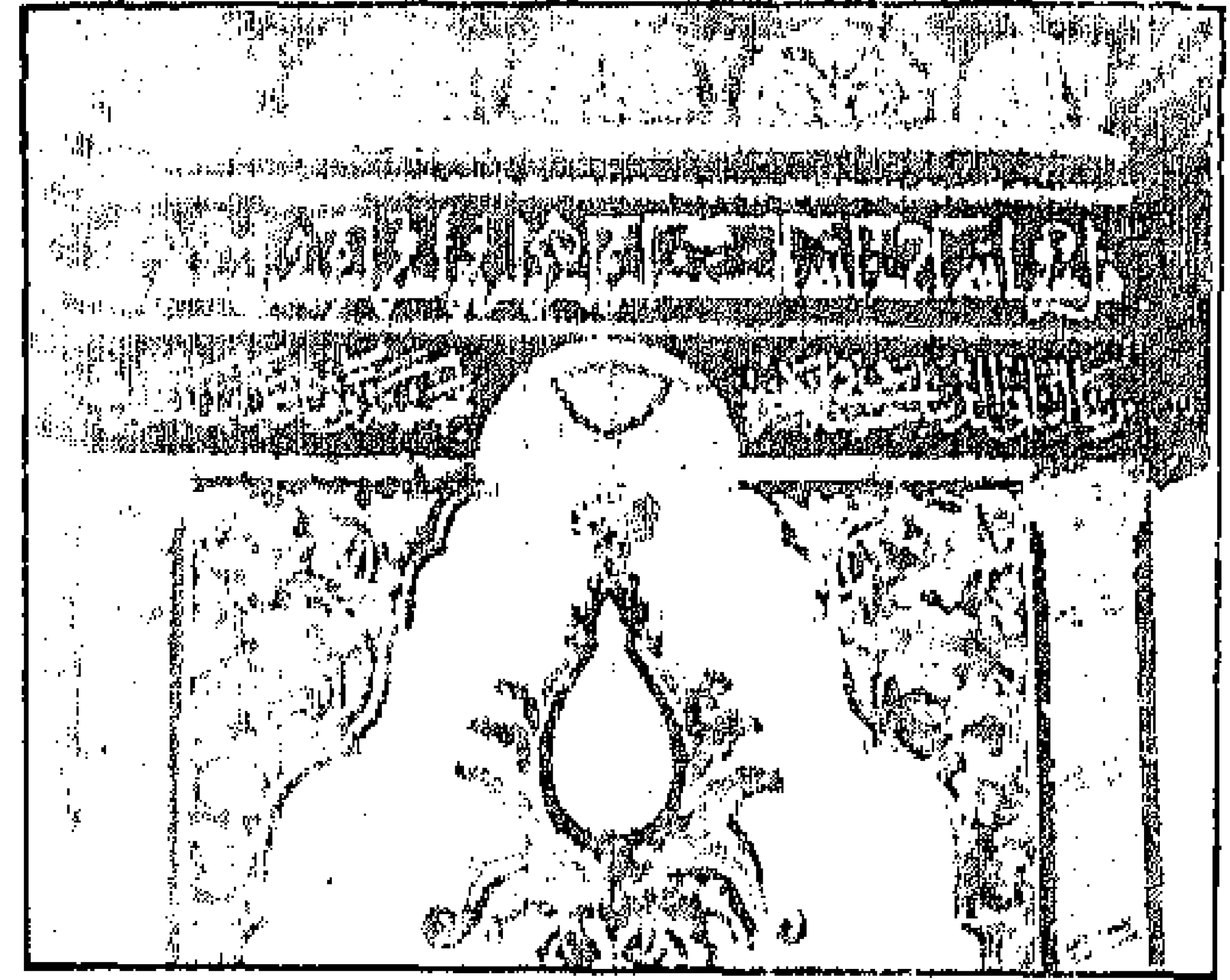
وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها فى الأكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم أو قريبا من كتابتهم لهذا العهد أو نقول إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول.

وأما مضر فكانوا أعرق فى البدو وأبعد عن الحضر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربى لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لأجل ذلك فى رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة فى الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول ﷺ وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ويتبع رسمه خطأ أو صوابا وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسما ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه يقولون فى مثل زيادة الألف فى لا أذبحنه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفى زيادة الياء فى بأييد إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح واعلم أن الخط ليس



بكمال فى حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيته فيما مر والكمال فى الصنائع إضافى بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات فى الدين ولا فى الخلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما فى النفوس. وقد كان ﷺ أميا وكان ذلك كمالا فى حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التى هى أسباب المعاش والعمران كلها وليست الأمية كمال فى حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها. حتى العلوم الاصطلاحية فإن الكمال فى حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا.

ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الإجادة فيه وأستحكم وبلغ فى الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية والخط الكوفى معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب فى الأقطار والممالك وافتتحوا أفريقية والأندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت فى العمران وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية



سورة الإخلاص كتبت بالخط الكوفي البسيط مدونة على صدر محراب من العصر التركي في تركيا ولعلها قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقنا النار

وكان الخط البغدادى معروف الرسم وتبعه الأفريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقى وتحيز ملك الأندلس بالأمويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الأندلسى كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة فى الدول الإسلامية فى كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له وتنافس أهل الأقطار فى ذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقه بها نافقة لهذا العهد وله بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين فى وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا وأخذها قوانين علمية فتجىء أحسن ما يكون.

وأما أهل الأندلس فافترقوا فى الأقطار عند تلاشى ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتألبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا فى عدوة المغرب وأفريقية من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الأفريقى وعفى عليه ونسى خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل أفريقية كلها على الرسم الأندلسى بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس وبقى منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم إنما كانوا يغدون على دار الملك بتونس فصار خط أهل أفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس.

حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشىء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الأندلسى تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل فى دولة بنى مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسى لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فارس قريبا واستعمالهم إياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط بأفريقية والمغربيين مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر ووقع فيه ما وقع فى سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم. (المقدمة / ٤١٧ - ٤٢١).

وفى فصل بعنوان «فى ذكر من وضع الخط وأصله، ووصله وفصله» يقول الزبيدى فى كتابه الموسوم بحكمة الإشراق (أفردنا له مادة فى م ١٤ / ٤٢٢، ٤٢٣ فانظره فى موضعه):

يقال: إن أول من وضع الخط والكُتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها فى طين وطبخه، فلما أضل القوم الغرق أصاب كل قوم كتابهم.

وقيل: أول من وضعه أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام.

وقيل إن نفيس (تسميه التوراة «نافيش»)، ونصر [يطور]، وتيما، وروما، بنو إسماعيل، وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا غير متفرق، موصول الحروف كلها، ثم فرقة نبت (هو «نبايوت»)، وهو بكر إسماعيل) وهميسع وقيذار، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه.

وأمـا الخط العـربى فأول مـن وضعـه وألَّف حـروفه ستة أشخاص من طسم ، كـانوا نزولا عند عدنـان بن أدد ، وكانت أسماؤهم : أبجد هوز حطى كلمـن سعفص قرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمـائهم ألحقوهـا بها ، وسمـوها الـروادف ، وهى ثخذ ضظغ .

وقيل : أول من وضع الخط العربـى مرامر بن مـرة (ويقال «ابن مروة») وقيل ، عامر بن جدرة .

وقـد ذكر كـلا منهما صـاحب القـاموس — وقيل أسلم بن سدرة ، وهم نفر من بولان رسموه أحرفا مقطعة ، ثم قاسوه على هجاء السريانية ، فوضع مـرامر صوره ، وعامر أعجمه ، وأسلم وصل وفصل .

وقال ابن خلكان (فى الـوفيات ١ / ٣٤٦ فى تـرجمة على ابن هلال ، المعروف بابن البواب) : والصحيح عند أهل العلم أن أول من خط هو مرامر بن مـرة من أهل الأنبار ، وقيل إنه من بنى مـرة ، ومن الأنبـارانتشـرت الكتـابـة فى النـاس . قـال الأصمعى : ذكـروا أن قـريشا سئلـوا : من أين لكم الكتـابـة ؛ فقالوا : من الأنبار .

وقـال هشـام بن محمد بن السـائب : تعلم بشـر بن عبـد الملك الكتابة من أهل الأنبار وخـرج إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية تعلم منه حرب ، ومنه إبنه سفيان ، ومنه ابن أخيه سيدنـا معاوية رضى الله عنه ، ثم انتشـر فى قريش ، وهو الخط الكوفى الذى استنبطت منه الأقلام التى هى الآن .

وفيه كلام فى الإعلام (هو التعريف والإعلام وننقل له دائما فى المـواد التى تختص بسـور القـرآن الكـريم) للسهيلى ، والمزهر للسيوطى ، والأوليات العسكرى ، وقد ذكرنا كلامهم فى كتابنـا «تاج العـروس لشرح جـواهر القـاموس» . فمن أراد الزيادة على ذلك فليراجعه (حكمة الإشراق / ٦٣ ، ٦٥) .

وقد أفرد الأستـاذ عبد الله الزنجانى الفصل الأول فـى كتابه «تاريخ القرآن» للكلام على حدوث الخط فى الحجاز وانتشاره فيه وعلى الخط الذى كتب به القـرآن ننقله لك فيما يلى ، وقد وضعنـا تعليقات المحقق الأستـاذ طه عبـد الرءوف سعـد بين أقـواس فـى ثنايـا النـص إتـمام للفـائـدة . يقـول المـؤلف :

أول حلقة من سلسلـة الخط العربى هـى الخط المصرى (ديموطيق) وهو خط الشعب .

وهاك جدولا يبين لك نشأة هذه الخطوط المختلفة على رأى العرب :

[illegible]	[illegible]	مسند وآرامى		[illegible]	حيرى وأنبارى	نسخ عادى
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ا
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ب
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ج
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	د
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	و
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ح
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ه
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ز
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ط
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ى
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ك
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ل
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	م
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ن
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		س
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ع
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ف
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ص
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ق
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ر
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ش
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ت

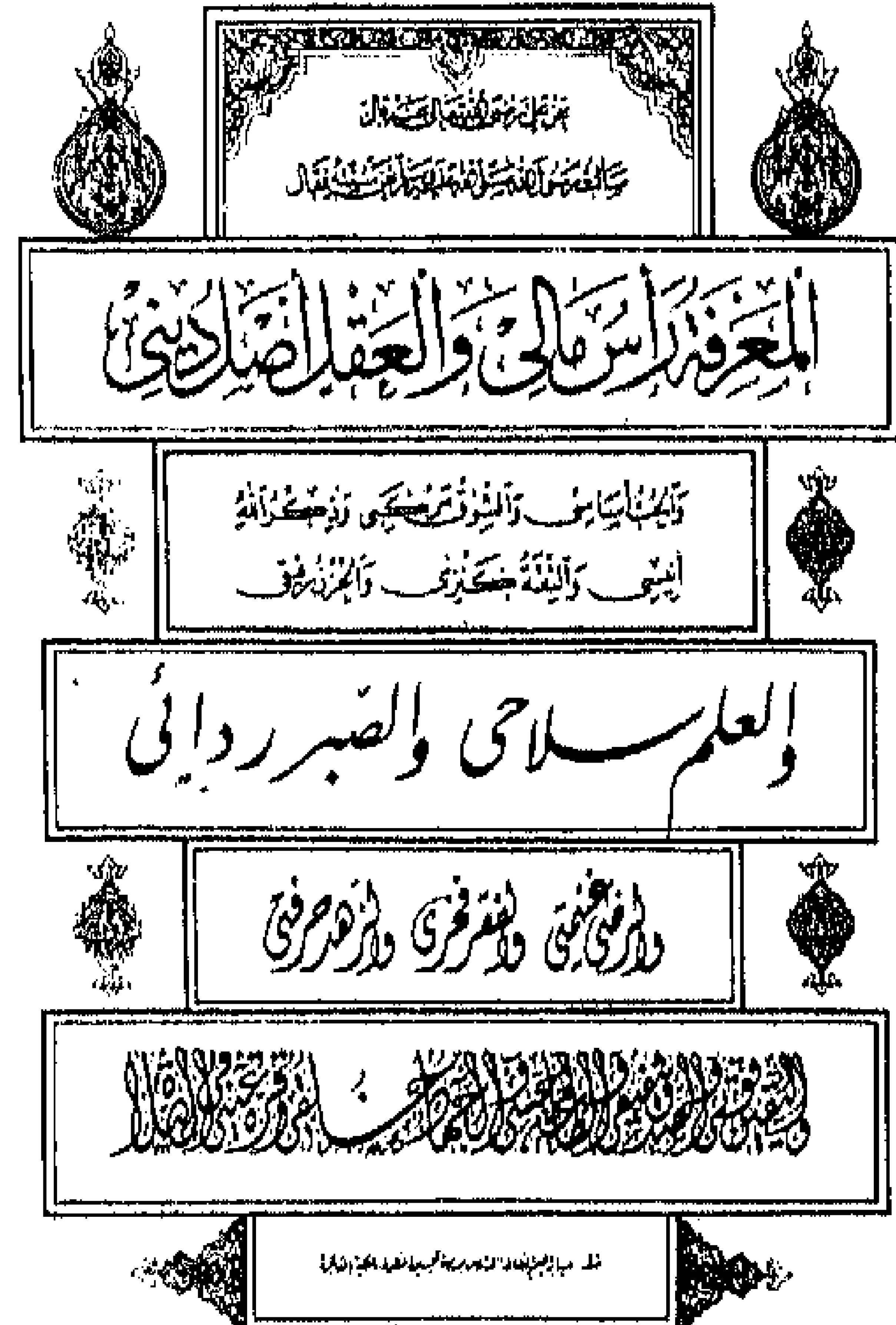
وثانى حلقة من سلسلتـه : الخط الفينيقى نسبة إلى فينيقيا بقـرب أرض نعان على سـاحل البحر الأبيض ، وتسمى اليـوم جبل لبنان . والفينيقيـون من الأمم الساميـة ، كانوا أكثـر الناس مخـالطة للمصـريين للتجـارة ولدواع أخـرى فتعلموا حـروف كتابتهم . ثم وضعوا لأنفسهم حروفـا بسيطة خالية عن التعقيد للكتابات التجارية ، وقـد أخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل قليل ـ كمـا قال الأثرى ماسبرو فى كتابه تاريخ المشـرق ـ وأضـافوا إليهـا باقى الحـروف ، ثم اشتهرت حروفهم لسهولتها فى آسيا وأوربا .

وثـالـث حلقـة من سلسلتـه : الآرامى أو المسنـد ، على خلاف بين مؤرخى أوربا والعـرب (الآرامى نسبة إلى الآرام أبناء آرام بن سام المعـروف عند العرب باسم آرم ، وهـو من أسلاف العـرب ، سكـن أبنـاؤه بـلاد العـرب فـى فلسطـين والشـام)

رأى مؤرخى أوربا :

خلاصة رأى مؤرخى أوربـا هى أن الخط الفينيقى تولد منه أربعة خطوط وهى :

(١) اليـونـانى القـديم أصـل خطـوط أوربـا كلهـا والخط القبطى .



يبين هذه اللوحة نماذج من الخط العربي ، من أعلى إلى أسفل : ١ ـ الرقاع أو الإجازة ٢ ـ الثلث ٣ ـ النسخ ٤ ـ الفارسي ٥ ـ الديواني ٦ ـ [illegible] ٧ ـ [illegible]

(٢)العبرى القديم ، ومنه الخط السامرى نسبة إلى سامرة نابلس .

(٣) المسند الحميرى ، ومنه تولد الخط الحبشى .

(٤) الخط الآرامى ، وهو أصل ستة خطوط :

(أ) الهندى بأنواعه .

(ب) الفارسى القديم : الفهلوى .

(جـ) العبرى المربع .

(د) التدمرى .

(هـ) السريانى .

(و) النبطى (مملكة الأنباط الممتدة من دمشق إلى قرب المدينة إلى خليج السويس ، وقد وجدت آثار الأنباط فى مدائن صالح وحوران ودمشق وسيناء) .

وعلى رأى الإفرنج ، الخط العربى قسمان : أحدهما كوفى ، وهو مأخوذ من نوع من السريانى يقال له اسطرنجيل وهو مأخوذ من النبطى ، فعلى هذا الرأى لا يقع الخط المسند فى سلسلة الخط العربى ، ووضعوا السريانى مع النبطى فى آخر حلقة منها .

رأى مؤرخى العرب :

ملخص رأى مؤرخى العرب قبل الإسلام وبعده أن خطهم الحجازى مأخوذ فى أهل الحيرة وأهل الأنبار ووصل الخط إلى أهل هذين البلدين من عرب كندة ، ومن النبط الناقلين عن المسند . أجمع مؤرخو العرب أن الخط دخل إلى مكة بواسطة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان قد تعلمه فى أسفاره من عدة أشخاص ، منهم : بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل ، وقد حضر بشر إلى مكة مع حرب بن أمية وتزوج الصهباء ابنته ، وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل ، وفيه يقول شاعر من كندة يمن على قريش :

ولا تجحدوا نعماء بشر عليكمو
فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو
من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وأغنيتمو من مسند القوم حمير
وما زبرت فى الكتب أقيال حميرا

وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنه أن أهل الأنبار تعلموا الخط من أهل الحيرة .

(روى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال : قلت لابن عباس : من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربى قبل أن يبعث محمد ﷺ تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق . قال : أخذناه عن حرب بن أمية . قال : فمن أخذه حرب؟ قال : عن عبد الله بن جدعان . قال : فمن أخذه ابن جدعان! قال : من أهل الأنباط قال : فمن أخذه أهل الأنبار . قال من أهل الحيرة : قال فمن أخذه أهل الحيرة . قال : من طارىء طرأ عليهم من اليمن من كندة . قال : فمن أخذه ذلك الطارىء؟ قال : من الخفلجان كاتب الوحى لهود عليه السلام) .

فالخط المسند على رأى مؤرخى العرب من حلقات سلسلة الخط العربى ، ومن أصوله .

وقد رجح بعض الباحثين من علماء العرب فى كتابه «حياة اللغة العربية» رأى مؤرخى العرب لوجوه :

الأول : أن الخط المسند عرف له أربعة أنواع ، وأقرب تلك

الأنواع إلى الفينيقى هو الصفوى، فيدل ذلك على أن الخط المسند هو خط واحد فى الأصل، قريب من أصله الفينيقى، وغير بعيد الشبه عن الآرامى، وقد وصل الخط من اليمن والآراميين إلى الحيرة والأنبار بواسطة كندة والنبط، ومن الحيرة والأنبار وصل لأهل الحجاز، وفيه أن هذا احتمال ضعيف، مؤداه أن قرب الصفوى من الخط الفينيقى يؤيد كون المسند مأخوذا من الفينيقى، وانتشر فى اليمن ووصل إلى الحيرة والأنبار، مع أن الاعتراف بوصول الخط بواسطة الآراميين يقوى كون الآرامى من أصول الخط الحجازى، لأن نشر هؤلاء الآراميين غير خطهم الخاص بعيد جدا.

الثانى: اختلاط النبط باليمانيين ومجاورتهم لهم، كاختلاطهم ببعض طوائف الآرام يقتضى أخذ النبط خطهم المسند منهم، وفيه أن المخالطة إن دلت على أخذ النبط خطهم من اليمانيين، كذلك تدل على أخذهم من الآراميين لنفس الدليل.

الثالث: إجماع مؤرخى العرب وتضافر رواياتهم، واتفاق كلمتهم، بأن الخط وصل إلى الحجاز من اليمن، وفيه أن وصول الخط من طريق اليمن لا ينافى كون أصله آراميا، لإمكان أخذ اليمانيين عن الآراميين لمخالطتهم كما سبق.

الرابع: وجود حروف الروادف، وهى (ثخذ، ضظغ) فى الخط المسند الحميرى دون الآرامى، وفيه أن المسند لو كان من أصول الخط الحجازى، لكان لتلك الحروف صور خاصة فيه، متسلسلة عن أصلها كسائر الحروف، ففقد الخط الحجازى صورة خاصة لتلك الحروف، يدل على أن الخط الآرامى الفاقد لها من أصوله، ولكن أصوات حروف الروادف الموجودة فى لسان العرب، دعاهم إلى وضع الحروف الروادف بالإعجام لتلك الأصوات ـ ويؤيده قول مؤلف كتاب حياة اللغة العربية ص ٨٨، فلا بد أن يكون واضع الحروف العربية قد أخذ لها صورة الباء والجيم والدال والصاد والطاء والعين، ووضع لها النقط للتمييز، ويدل أيضا على أن الآرامى من أصول الخط العربى، أن الحافظ شمس الدين الذهبى ذكر فى تذكرة الحفاظ فى ذيل رواية خارجة بن زيد عن أبيه، أن زيد بن ثابت رضى الله عنه بأمر النبى ﷺ تعلم كتابة اليهود وحذقها فى نصف شهر، فتعلمه فى مدة نصف شهر يدل على أنه تعلم نفس الخط السطرنجيلى أصل الخط الكوفى وأحد نوعى الخط السريانى ـ خط اليهود، ولذلك ذكر فى ترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه تعلم السريانى ومنه حدث الكوفى.

ثم إن الخط الكوفى أشبه الخطوط للخط الحيرى، والحيرى قريب الشبه من النبطى، وهو من الآرامى، وهو من الفينيقى، وهو من ديموطيق ـ خط الشعب المصرى ـ فذلك يدل على تسلسل تلك الخطوط حسب الترتيب المذكور.

الخط فى المدينة «يثرب».

أما الخط فى المدينة (يثرب) فقد قرر أهل السير أن النبى ﷺ دخلها، وكان فيها يهودى يعلم الصبيان الكتابة، وكان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفون الكتابة، منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبى بن وهب، وزيد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأوس بن خولى، والظاهر أنهم كانوا يعرفون الخط الحجازى المأخوذ من الحيرى، فلا ينافى هذا تعلم زيد كتابة اليهود بأمر النبى ﷺ بعد دخوله ﷺ المدينة.

وأول من نشر الكتابة بطريقة عامة، هو الرسول الأكرم محمد ﷺ بعد مهاجره إلى المدينة، فقد أسر فى غزوة بدر سبعين رجلا من قريش وغيرهم وفيهم كثير من الكتاب فقبل من الأميين الافتداء بالمال، وجعل فدية الكاتبين منهم أن

تراثٌ فريد .. تراثٌ تليد .. غابَ عنه أبناؤه ومُتلقّوه، وذهب عنه عشّاقه ومحبّوه، تراثٌ غاربٌ .. تراثٌ مَهيض

الخط الكوفى
خط الثلث
خط الإجازة
خط النسخ
خط التعليق

أنواع الخط العربى

يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة. ففعلوا ذلك وانتشر الخط بالتدريج من هذا الحين فى المدينة، والأمصار التى دخلت فى حوزة الإسلام، وبقيت الأمية الصرفة فى البوادى.

للخط الحجازى نوعان: أحدهما النسخى المستعمل فى المكاتبات، والثانى الكوفى نسبة إلى الكوفة بعد بنائها، لأن الخط الحجازى هذبت قواعده وصور حروفه ولذلك نسب إليها.

فقد عثر الباحثون على نفس الكتابين المرسلين من النبى الأكرم إلى المقوقس والمنذر بن ساوى، وأخذوا صورتهما بالتصوير الشمسى (فتوغراف) وطبعوهما والكتاب المرسل إلى المقوقس محفوظ فى دار الآثار النبوية فى الآستانة، وكان قد عثر عليه عالم فرنسى فى دير بمصر قرب إخميم، وسمع بحديثه السلطان عبد المجيد فاستقدم ذلك العالم وعرض النسخة على العلماء، فقرروا إنها هى بعينها كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس فاشتراها بمال عظيم، والكتاب الثانى محفوظ فى مكتبة فيينا عاصمة النمسا. (تاريخ القرآن/ ١ ـ ٦).

ومن أشهر كتاب الصحابة النفر الأربعة الذين كتبوا المصاحف لعثمان، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. ولما فتح المسلمون الممالك ومصروا الأمصار ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربى وهندسة أشكاله وتمطيط عراقاته (كاساته) حتى صار خط أهل الكوفة ممتازا بشكله من الخط الحجازى، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى) وبه كانت تكتب المصاحف المجودة الخط، وحلى القصور والمساجد، وسك النقود. وبقى الحجازى مستعملا فى المكاتبات العادية. ثم حدث فى الكوفى أنواع بعد هذا العصر نذكرها بعد.

وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أمية يكتبون بلا إعجام (أى الإعجام بالنقط لتمييز الحروف). ولا شكل إلا قليلا، اعتمادا منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ. فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن. أشفق المسلمون على تحريف كلم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلى علامات فى المصاحف بصبغ مخالف، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة أسفله، والضمة نقطة من الجهة اليسرى، وجعل التنوين نقطتين، وكان ذلك فى خلافة معاوية.

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذى كان يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبى الأسود. وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان. ثم شاع فى الناس بعد (الوسيط/ ١٢٢، ١٢٣).

وقد تفرع من الخطين الكوفى والنسخى ستة أقلام هى:

الثلث ـ النسخ ـ التعليق ـ الريحانى ـ المحقق ـ الرقاع، ثم تفرع من هذه الأقلام: القلم الديوانى والقلم الفارسى وغيرهما.

«الخط المغربى» وهو من الخطوط العربية وأقدمها عهدا وأكثرها انتشارا وهو منتشر الآن فى جميع أنحاء إفريقيا الشمالية (غير مصر) وكان مستعملا فى أسبانيا فى القرون الوسطى.

والخط المغـربى مشتق من الخط الكوفى القـديم وتكتب قاف هذا الخط كالفاء فـى الخطوط الأخرى كما تختلف أيضا كثير مـن حروفه عـن الحروف الأخرى فـى غيرها مـن الحروف العربية (معرض دار الكتب المصرية / ١١، ١٢).

تنوع فى عصـر الدولة العبـاسية (١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ) الخط الكـوفى إلى أنـواع أربت علـى خمسين نـوعـا. من أشهرهـا المحرر والمشجر والمربع والمدور والمتداخل وبقى مستعملا فى المبانى والسكـة إلى حدود الألف، ثم نسى جملـة. وقد جددت منه أنواع فى عصرنا.

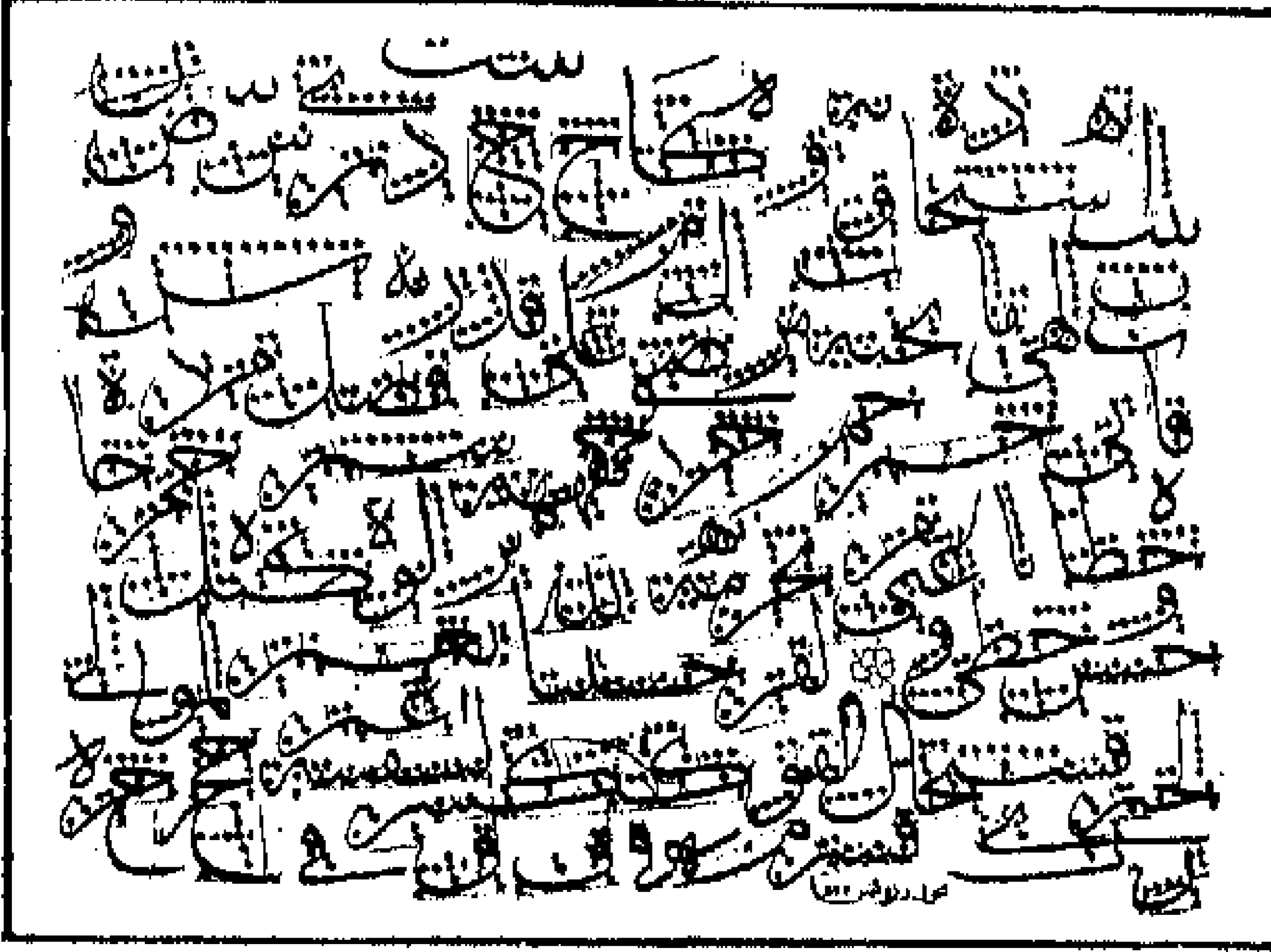
أما تـاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث فى آخر الـدولة الأموية أن استنبط قطبة المحـرر من الخط الكوفى والحجازى خطـا هـو أساس الخط الـذى يكتب بـه الآن، واختـرع القلم الجليل الـذى يكتب به علـى المبانى ونحـوهـا وقلم الطومـار (الورقة الكبيـرة) وهو أصغر أنواع الجليـل، وعرض قطته ٢٤ شعـرة من شعر ذنب البـرذون، وحسن عملـه غيره من كتـاب صـدر الدولـة العباسيـة، حتى ظهر إبـراهيم الشجرى وأخـوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثانى، فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلثين (أى ثلثـى الطومار) وعـرض قطته ١٦ شعرة، وقلم الثلث وعرض قطته ٨ شعرات. وولد يوسف من الجليل القلم الرياسى (نسبة الى الفضل ذى الـرياستين وزير المأمون) وهو قلم التوقيع.

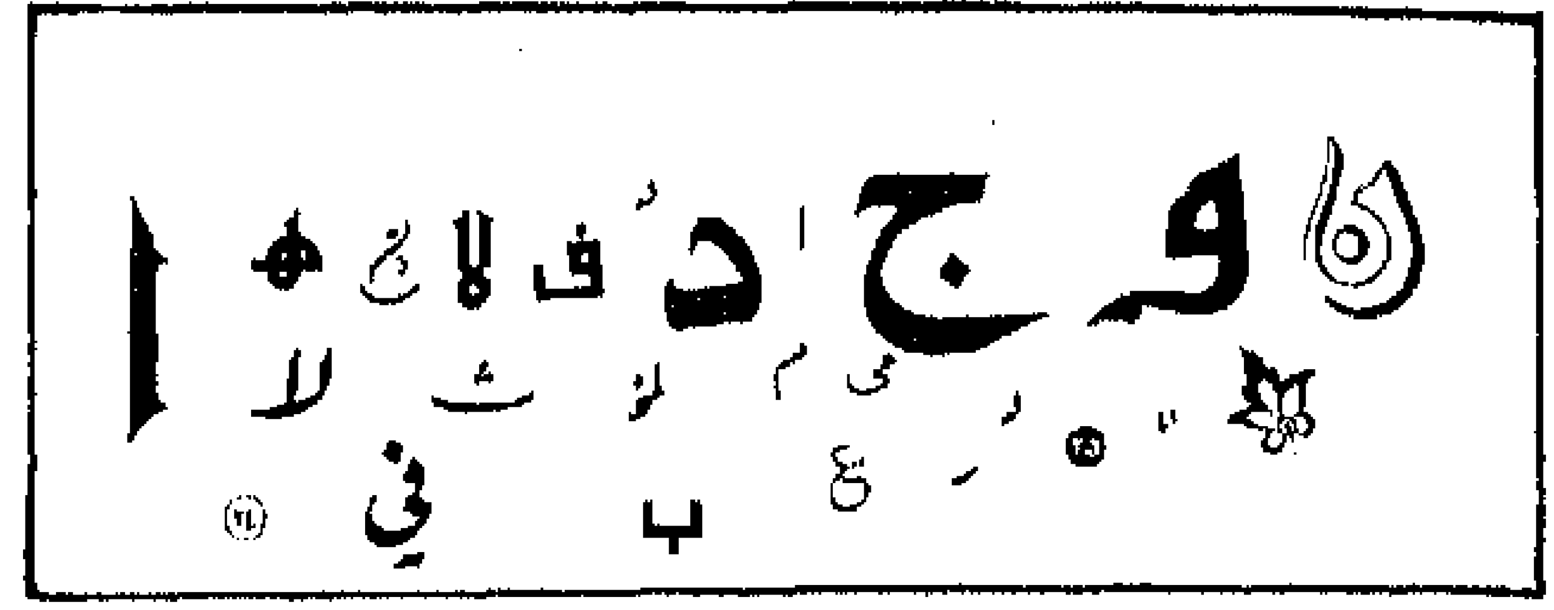
وعن إبراهيم أخـذ الأحول المحـرر (من صنائع البـرامكة) واخترع النصف وعرضه ١٢ شعرة، وخفيف الثلث والمسلسل (هو المشتبك الحروف) وغبـار الحلبة (شبه لدقته بغبار حلبة الخيل ويكتب به فى بطائق الحمام الزاجل: انظر مادة «حمام الرسائل» فى م ١٤ / ٥٢٥ ـ ٥٢٩). والرقاع وغيرها. هذه هى أشهـر الخطوط، وقد تولد منهـا نحو من ٢٠ خطا يختص كل منها بعـرض خاص. واتفقوا على أن طول الألف يعتبـر معيارا لارتفاع بقية الحروف، وأن يكون طـول الألف مربع مقدار قطة القلم.

وعن الأحول أخـذ مهندس الخط الأعظم الوزيـر أبو على محمد بن مقلـة وأخوه أبو عبد الله الحسن المتـوفى سنة ٣٣٨ هـ، وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التى نعـرفها الآن، وأتما العمل الذى بدأ به قطبة، فهندسا الحروف وقدَّرا مقاييسها وأبعادها، وضبطاها ضبطا محكما، واخترعا له القواعد، وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبـو عبد الله بن أسـد القارئ المتـوفى ٤١٠ هـ وعنـه أخذ أبـو الحسن على بن هلال البغـدادى المعروف بابن البـواب (انظر ترجمتـه فى م ٧ / ٥٨١ ــ ٥٨٦) المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهـو الـذى أكمل قواعـد الخط واختـرع عـدة أقلام، وإليـه انتهت الغايـة، وكل من جاء بعده فهـو تابع لطريقتـه، كأمين الدين يـاقوت الملكى المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقى.

أما الأندلسيـون والمغاربة فلم يعبأوا بهـذا الإصلاح وبقوا يكتبـون على طـريقـة الخط الحجـازى إلى الآن بنـوع من التعديل.

ضبط الحروف بـالشكل: قد ذكرنـا فيما تقدم طـريقة أبى الأسـود التى اتبعت فى زمـن بنى أمية وصـدر بنى العبـاس، وبقيت مستعملة فى الأنـدلس إلى أواسط القرن الـرابع. ولما استكثر الناس من إعجـام الحروف لتسهيل التعليم، اشتبهت نقط الإعجـام بنقط الشكل، مع أن هـذه كـانت تلـون بمـداد مخالف، فكـان من الصعب وضياع الزمن كتابتهـا بمدادين، فـاخترع الخليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمـة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف، والفتحة ألفا، والكسرة ياء والشدة رأس شين (مختـزلة من لفظ «تشـديـد») والسكون رأس خـاء


البرزامه قر والأط


نماذج من الخط العربى القديم والحديث

(مختزلة من لفظ «تخفيف») وهمزة القطع رأس عين (مختزلة من لفظ «قط») ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن.

أما فى العصر التركى (٦٥٦ ـ ١٢٢٠ هـ) فقد درج الخط فى الطريق التى مهدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت الملكى وياقوت المستعصى، واستعملت فيه أكثر أنواعه، إلا أنه اشتهر من بينها تسعة أنواع.

١ ـ الجليل (على قاعدة الثلث المعروفة لنا) وتشاهد نماذجه المتعددة على جدران مساجد القاهرة، ومدارسها وأربطتها، وخرائب قصور أمرائها.

٢ ـ قلم الطومار (على قاعدة الثلث أيضا) وكانت تكتب به أسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود ونحوها (راجع صبح الأعشى الجزء الثالث).

٣ ـ قلم الثلث ويشبه قلم الثلث عندنا، ومنه الثلث المبسوط الحروف المسمى الآن بالريحانى.

٤ ـ النسخ على قاعدته المعروفة إلا أن بعض حروفه معلق الأطراف إلى فوق ويقرب مما نسميه الآن خط التعليق ـ وكانت تكتب به كتب العلم والأدب.

٥ ـ التعليق ـ وكان يطلق على الثلث الخفيف عندنا مع تعليق خراطيم الحروف إلى أعلى.

٦ ـ قلم الرقاع ـ وكان وسطا بين النسخ والتوقيع، وكانت تكتب به كتب العلم والأدب والرسائل.

٧ ـ القلم المسلسل المشتبك الحروف ـ وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقف ونحوها.

٨ ـ الخط الفارسى ـ وكان استعماله عاما فى أواسط آسيا وفارس.

٩ ـ الخط الأندلسى ـ وكانت أنواعه لا تختلف إلا بالصغر أو الكبر، وربما مال الجليل منه إلى بعض قواعد الثلث فى أواخر عصورهم، كما يشاهد على جدران الحمراء بغرناطة (الوسيط / ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

ويضيف الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط فى تعداده لأنواع الخط العربى السالفة أنواعا أخرى فيقول.

من تتبعنا لتاريخ الخط العربى ظهر أن للخط أنواعا كثيرة منها ما استعمل قديما، وقد أطلق عليها أسماء كثيرة، قد استغنى عن معظمها لحلول خطوط أحسن وأجمل منها وإن تلك الخطوط: هى ١ ـ الكوفى ٢ ـ الطومار ٣ ـ الجليل ٤ ـ المجموع ٥ ـ الرياسى ٦ ـ الثلثين ٧ ـ النصف ٨ ـ الجوانحى ٩ ـ المسلسل ١٠ ـ غبار الحلية ١١ ـ المؤامرات ١٢ ـ المحدث ١٣ ـ المدمج ١٤ ـ المنشور ١٥ ـ المقترن ١٦ ـ الحواشى ١٧ ـ الأشعار ١٨ ـ اللؤلؤى ١٩ ـ المصاحف ٢٠ ـ فضاح النسخ ٢١ ـ الغبار ٢٢ ـ العهود ٢٣ ـ المعلق ٢٤ ـ المخفف ٢٥ ـ المرسل ٢٦ ـ المبسوط ٢٧ ـ المقور ٢٨ ـ الممزوج ٢٩ ـ المفتح ٣٠ ـ المعماة ٣١ ـ المؤلف ٣٢ ـ التوامان ٣٣ ـ المعجز ٣٤ ـ المخلع ٣٥ ـ الديوانى ٣٦ ـ سياقت ٣٧ ـ القرمة ٣٨ ـ السجلات ٣٩ ـ الأمانات ٤٠ ـ الديباج ٤١ ـ المديح ٤٢ ـ المرصع. ومن الخطوط العربية السائدة الآن فى البلاد العربية والإسلامية هى:

١ ـ الخطة الكوفى: وهو أصل للخطوط العربية ويستعمل فى كتابة عناوين الكتب ويستخدم فى كثير من زخارف المبانى والحفر على الخشب والزجاج والتحف المعدنية وغيرها.

٢ ـ خط الثلث: ويعبر عنه بأم الخطوط ويستعمل فى كتابة عناوين الكتب وأوائل سور القرآن الكريم وجدران المساجد والأماكن المقدسة وكارتات الأسماء.

٣ ـ خط النسخ: وهذا خاص لكتابه المصاحف الشريفة وجميع ما يطبع من الكتب والصحف والمجلات العربية.

٤ ـ الخط الفارسى: يستعمل غالبا مقام خط الثلث خاصة فى إيران والهند وأفغانستان وباكستان.

وكان النقط والشكل فى هذا العصر قليلى الاستعمال فى الرسائل الديوانية والإخوانية كثيريهما فى كتب العلم.

ومازال الخط يجرى فى مضماره حتى نبض على عنانه مكتّبو الترك العثمانيين، فحولوا بعض أنواعه وخاصة قلم الرقاع (الرقعة) إلى ما نعرفه، وارتقوا بالمسلسل إلى الغاية، وولّدوا منه خط العلامة السلطانية (الهمايونى) وأبدعوا فى بقية الأنواع بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق.

ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسى إمام الخطاطين العثمانيين (انظر ترجمة فى م ١٤ / ٥٧٧، ٥٥٨). وجلال الدين، والحافظ عثمان

ووقف الخط فى سبيل تقدمه عند الحد الذى رسمته له الطبقة الناشئة فى القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر من خطاطى الترك، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متبع طريقهم وحاذ حذوهم.

وأشهر من نبغ فى العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه وهو عصر النهضة الحديثة عبد الله الزهدى، وهو الذى خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى، وجامع الرفاعى، ومحمد مؤنس، وتخرج عليه وعلى تلميذه المرحوم محمد جعفر جميع خطاطى قطرنا المصرى. (كان مدرسا للخط بمدرسة دار العلوم وهو الذى كتب حروف المطبعة الأميرية المستعملة الآن)(الوسيط / ٢٩٤، ٣٢٧).

وفى إبريل سنة ١٩٣٩ كتب الأستاذ سيد إبراهيم الخطاط ــ الذى كان حينذاك مدرسا بمدرسة تحسين الخطوط الملكية ــ مقالا بعنوان «الخط العربى فى العصر الحديث» فى مجلة الهلال فى عددها الذهبى جاء به ما يلى: لما ولى الترك الخلافة الإسلامية ازدهر الخط العربى فى عهودهم أيما ازدهار وازداد بهجة وجمالا، فاستخلصوا من الأقلام الشائعة فى العصور الماضية: الخط الجلى الديوانى، والديوانى وخط الرقعة. وكان «إبراهيم منيف» هو الذى وضع الأصول الأولى للخط الديوانى بعد فتح القسطنطينية بنحو ربع قرن.

وفى القرن الحادى عشر انتهت براعة الخط إلى الصدر الأعظم «شهلا باشا» وقد بلغ من عنايته بهذا الفن أن رحل إلى آسيا وافريقية يدعو له ويعمل على نشره.


لوحة بخطي الثلث والنسخ، كتبها الخطاط المبدع الحاج حسن رضا سنة ١٣٠٣هـ(١٨٨٥م).

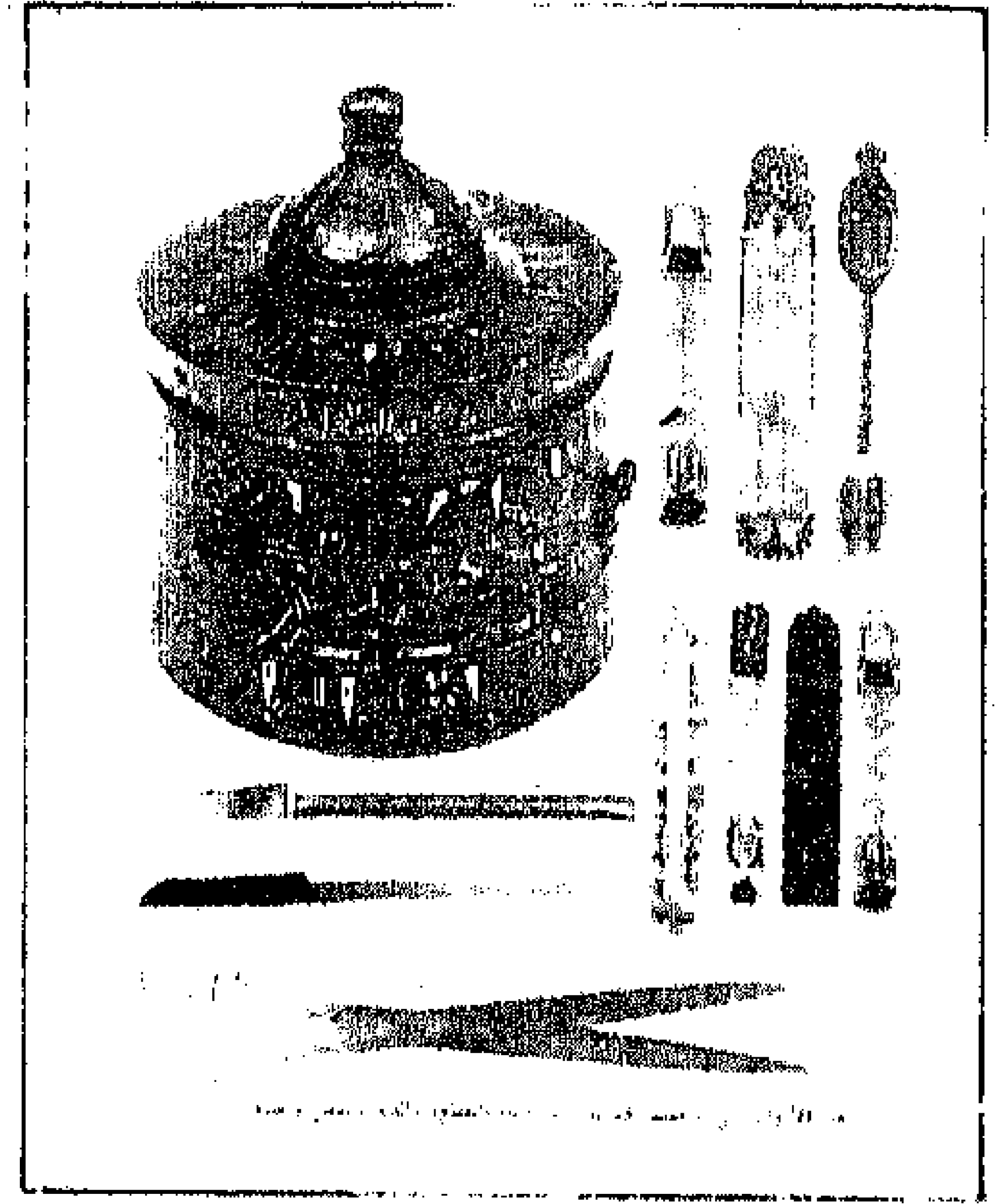
ثم ولى الخلافة السلطان محمود الثانى الخطاط النابغ الذى لا تزال آثار قلمه خالدة حتى اليوم، تحتفظ منها دار الكتب فى معرضها ببدائع نادرة.. وتداول خلفاء الترك هذا الفن بالرعاية، حتى أوفى على الغاية من الإتقان فى أواخر العصر العثمانى.

وكانت العناية بالخط العربى فى فارس لا تقل عنها فى تركيا، فهناك نهض الأستاذ «خوجه أمير على التبريزى» يمزج بين الخط النسخ والتعليق مخرجا من بينهما خط«النستعليق» المعروف الآن بالفارسى، وقد اشتهر هذا النوع حتى أصبح الخط المعتاد فى كتابة الرسائل وغيرها.

ولما دخلت مصر فى عهد المماليك، وبخاصة عهد نصير الخط «الملك قانصوه»، كان لمصر حظ موفور فى إجادة الفن والمهارة فيه، وذلك بحكم ما كان يقضى عليها مركزها من المشاركة فى الفنون الإسلامية فى المشرق، وهذه آثار المماليك فى نسخ المصاحف المعروضة بدار الكتب تنطق بفرط تفوقهم فى هذا الفن الجميل.

ثم أشرق على مصر عصر محمد على الكبير، فمضت مصر تجارى العثمانيين بحكم الصلة السياسية مقتبسة فنهم سائرة على نهج مشهورى رجال الخط الترك. وشاءت إرادة مؤسس الأسرة العلوية أن يبنى مسجده فى القلعة، فاستقدم له أحد كبار الخطاطين الفرس ليحلى جوانبه بنفائس خط «النستعليق» فكان ذلك إغراء لرجال الخط فى النزوح إلى مصر ينشرون فنهم بين أبناء وادى النيل.

وقد تابعت النهضة* الفنية خطواتها فى عهد إسماعيل،



بفضل تشجيعه لها، واستقدامه «عبد الله الزهدى بك» كاتب الحرمين. وما تزال آثاره على «سبيل أم عباس» شاهدة بعبقرية هذا الخطاط العظيم.

وانتشر الخط بعد ذلك تبعا لرقى مصر العلمى، وانتشار المدارس فيها، فنبغ كثير من أبناء مصر فى هذا الفن، وفى طليعتهم «محمد مؤنس زاده» الذى تخرج عليه طائفة من مشاهير الخطاطين، وكذلك الأستاذ «جعفر بك» الذى كانت شوارع القاهرة وما زالت تزدان بخطه الرائع.

ثم عرضت فترة تعرض فيها هذا الفن للتدهور لأسباب ليس هذ مقام بسطها، فقلت العناية به.

وألهمت عناية الله المغفور له الملك فؤاد الأول أن يتدارك هذا الفن، فأنشأ له «مدرسة تحسين الخطوط الملكية» وعين لها أساتذة من الترك والمصريين، فكانت بارقة الأمل فى إنعاش الخط بعد أن اندثر أو كاد.

(الخط العربى فى العصر الحديث/ ١٥٠).

ولأهمية الخط نجد المؤلفين يتحدثون عن فضائله، ومنهم الزبيدى الذى يقول:

جاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء﴾ [فاطر: ١]: أنه الخط الحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف: ٤] قال: الخط.

ويروى فى الخبر المأثور: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحسنه أحسن الله إليه. كذا فى منهاج الإصابة للزفتاوى.

وفى شرعة الإسلام (للإمام الواعظ محمد بن أبى بكر المعروف بإمام زاده الحنفى المتوفى سنة ٥٧٣) من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوده غفر الله له. وفى الجامع الصغير من رواية سلمة، فى الجامع الصغير أم سلمة: «الخط الحسن يزيد الحق وضحا (الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ وأشار السيوطى إلى أنه حديث ضعيف، وروى الحديث منسوبا إلى علىّ فى صبح الأعشى ٣ / ٢). وفيه أيضا: قيّدوا العلم بالكتاب الجامع الصغيروقال عنه: حديث صحيح»، قال شارحه المناوى: العلم يعقل ثم يحفظ، والنسيان كامن فى القلب، فلخوف ذهاب العلم قيد بالكتابة.

وجاء فى حديث آخر: حق الوالد على ولده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقةإلا طيبا (فى الجامع الصغير ٣٧٤ من حديث. أبو رافع، قال حديث ضعيف) وفى رواية أخرى: «حق الوالد على ولده أن يحسن اسمه، ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتاب» (فى الجامع الصغير عن أبى هريرة، وذكر أنه ضعيف). قال الشارح: يعنى القرآن، ويحتمل إرادة الخط.

وفى الحديث أيضا، قال ﷺ لزيد بن ثابت «إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه» (حديث ضعيف كما فى الجامع الصغير ٨٣٥).

وذكر صاحب الشّرعة أيضا أنه ﷺ قال لمعاوية رضى الله عنه وهو يكتب بين يديه. «ألق الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسّن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم.

وقالوا: لما كانت الكتابة شريفة كان حسن الخط فيها فضيلة.

وقال المأمون: لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفخرناها بما لنا من أنواع الخط يقرأ بكل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان.

وقال النَّظّام: الخط أصل فى الروح يظهر بآلة جسدانية.

وقال بعض الحكماء (فى صبح الأعشى أنه جعفر بن يحيى) : الخط سمط الحكمة ، بها يفصل شذورها وينتظم منثورها .

ويقال: قريش أهل الله، لأنهم كتبة حسنة .

(كذا . وفى أدب الكتاب للصولى / ٢٨ : «وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «قريش أهل الله، وهم الكتبة الحسبة» : جمع كاتب وحاسب)

وكان يقال: حسن الخط أحد اللسانين، كما قيل: قلة العيال أحد اليسارين.

وقال بعض العلماء (انظر صبح الأعشى ٣ / ٢٠ ، ٢١) الخط كالروح فى الجسد، فإذا كان الإنسان جميلا وسيما حسن الهيئة كان فى العيون أعظم، وفى النفوس أفخم، وبضد ذلك تسأمه النفوس . فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف، مليح الرصف، مفتح العيون، أملس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشت إليه النفوس واشتهته الأرواح، حتى إن الإنسان ليقرؤه ـ وإن كان فيه كلام دنىء، ومعنى ردىء مستزيدا منه ولو كثر، من غير سأم يلحقه ولا ضجر. وإن كان الخط قبيحا مجته الأفهام، ولفظته العيون والأفكار، وسئمه قارئه وإن كان فيه من الحكمة عجائبها، ومن الألفاظ غرائبها .

وقيل: إن وزن الخط مثل وزن القراءة، فأجود الخط أبينه، كما أن أجود القراءة أبينها (صبح الأعشى ٣/ ٢١).

فحرفة أصول الخط وهندسته، وكيفيته وحقيقته، أشرف من عمله تقليدا من غير تحقيق .

قيل: وصف أحمد بن إسماعيل خطا فقال: لو كان نباتا لكان زهرا، ولو كان معدنا لكان تبرا، أو مذاقا لكان حلوا، أو شرابا لكن صفوا .

وقال عمرو بن مسعدة : الخطوط رياض العلوم، وهى صورة روحها البيان، وبدنها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول، وتصنيفها كتصنيف النغم واللحون .

وقيل: إن أحمد الخطوط رسما ما اعتدلت أقسامه، وانتصبت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده وحدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وقدرت أصوله، واندمجت وصوله، وتناسب دقيقه وجليله . ولا يجمع فى سطر بين مدتين ولا ياءين مردودتين، ويراعى موضع الفصول والوصول، ولا تقطع كلمة بحرف يفرد فى غير سطره (حكمة الإشراق / ٦ـ٦٩).

أما حاجى خليفة صاحب كشف الظنون فيقول عن فضل الخط :

اعلم ان الله سبحانه وتعالى أضاف تعليم الخط إلى نفسه وامتن به على عباده فى قوله علم بالقلم وناهيك بذلك شرفا . وقال عبد الله بن عباس الخط لسان اليد قيل ما من أمر إلا والكتابة موكل به مدبر له ومعبر عنه وبه ظهرت خاصة النوع الإنسانى من القوة إلى الفعل وامتاز به عن سائر الحيوانات وقيل الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب وفضائله كثيرة معروفة .

ثم يفرد فصلا فى وجه الحاجة إلى الخط فيقول: واعلم أن فائدة التخاطب لما لم تبين إلا بالألفاظ وأحوالها وكان ضبط أحوالها مما اعتنى بها العلماء كان ضبط أحوال ما يدل على الألفاظ أيضا مما يعتنى بشأنه وهو الخطوط والنقوش الدالة على الألفاظ فبحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان وحركاتها وسكناتها ونقطها وشكلها وضوابطها من شداتها ومداتها وعن تركيبها وتسطيرها لينتقل منها الناظرون إلى الألفاظ والحروف ومنها إلى المعانى الحاصلة فى الأذهان (كشف ١ / ٧٠٧).

كذلك ذكر الماوردى فى كتابه «أدب الدنيا والدين» فضل الخط ووجه النظر إلى ما ينبغى أن يعمله من أراد حفظه، ونوه على أهمية صحته وحسنه، كما عدد الأسباب المانعة من قراءته وفهم ما تضمنه .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف: ٤] قال الخط . وعن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩] يعنى الخط والعرب تقول:

الخط أحد اللسانين وحسنه إحد الفصاحتين . وقال جعفر ابن يحيى: الخط سِمْط الحكم (السمط، بكسر السين المشددة، الخيط ما دام فيه الخرز، وقيل: خيط النظم، وقيل: القلادة) به يفصل شذورها وينظم منثورها . وقال

ابن المقفع اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم على الشاهد والغائب. وقال حكيم الروم: الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية. وقال حكيم العرب: الخط أصيل فى الروح وإن ظهر بحواس الجسد.

واختلف فى أول من كتب الخط فذكر كعب الأحبار أن أول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلثمائة سنة فى طين ثم طبخة فلما غرقت الأرض فى أيام نوح على نبينا وعليه السلام بقيت الكتابة فأصاب كل قوم كتابهم وبقى الكتاب العربى إلى أن خص الله تعالى به إسماعيل فأصابه وتعلمها، وحكى ابن قتيبة أن أول من كتب إدريس على نبينا وعليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من أجل المنافع، حتى قال عكرمة: بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف حتى أن الرجل ليفادي على أنه يعلم الخط لما هو مستقر فى نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور نفعه وأثره. وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم﴾ [العلق ٣، ٤] فوصف نفسه بأن علَّم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم وعد ذلك من نعمه العظام ومن آياته الجسام حتى أقسم به فى كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١] فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم.

واختلف فى أول من كتب العربية فذكر كعب الأحبار أن أول من كتب بها آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان إسماعيل على نبينا وعليه السلام. وحكى ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من كتب بها ووضعها إسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه، وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنه أن أول من كتب بها قوم من الأوائل أسماؤهم أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين. وحكى ابن قتيبة فى المعارف أن أول من كتب بالعربى مرامر بن مرة من أهل الأنبار (مدينة مشهورة فى غرب بغداد) ومن الأنبار انتشرت. وحكى المدائنى أن أول من كتب بها مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فمرامر وضع الصور، وأسلم فصل ووصل، وعامر وضع الإعجام.

ولما كان الخط بهذه الحال وجب على من أراد حفظ العلم أن يعنى بأمرين: أحدهما تقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها والثانى ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميزة لها ثم ما زاد على هذين من تحسين الخط وملاحة نظمه فإنما هو زيادة حذق بصنعته وليس بشرط فى صحته. وقد قال على بن عبيدة: حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير. وقال أبو العباس المبرد: رداءة الخط زمانة الأدب. وقال عبد الحميد: البيان فى اللسان [والخط فى] البنان. وأنشدنى بعض أهل العلم لأحد شعراء البصرة:

أعـذر أخـاك على رداءة خطـه
واغفـر نـذالتـه لجـودة ضبطـه
واعلـم بـأن الخـط ليس يـراد مـن
تـركيبـه إلا تبيـن سمطـه
فـإذا أبـان عـن المعـانـى لـم يكـن
تحسينـه إلا زيـادة شـرطـه

ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على الكلام المفهوم من فصاحة الألفاظ وصحة الإعراب ولذلك قالت العرب: حسن الخط إحدى الفصاحتين وكما أنه لا يعذر من أراد التقدم فى الكلام أن يطرح الفصاحة والإعراب وإن فهم وأفهم كذلك لا يعذر من أراد التقدم فى الخط أن يطرح تصحيح الحروف وتحسين الصور وإن فهم وأفهم. وربما تقدم بالخط من كان الخط أجل فضائله وأشرف خصائله حتى صار علما مشهورا وسيدا مذكورا غير أن العلماء أطرحوا صرف الهمة إلى تحسين الخط لأنه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجد خطوط العلماء فى الأغلب رديئة إلا من أسعده القضاء وقد قال الفضل بن سهل: من سعادة المرء أن يكون رديء الخط لو أن الزمان الذى يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداءة الخط هى السعادة وإنما السعادة أن لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذى الخط الحسن أن يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيدا وإن لم تكون رداءة الخط سعادة. وإذا كان ذلك كذلك فقد يعرض للخط أسباب تمنع من قراءته ومعرفته كما يعرض للكلام أسباب تمنع من فهمه وصحته.

والأسباب المانعة من قراءة الخط وفهم ما تضمنه قد تكون من ثمانية أوجه:

الوجه الأول: إسقاطه ألفاظا من أثناء الكلام يصير الباقى بها مبتورا لا يعرف استخراجه ولا يفهم معناه وهذا يكون إما من سهو الكاتب أو من فساد نقله وهذا يسهل استنباطه على من كان مرتاضا بذلك النوع فيستدل بحواشى الكلام وما سلم منه على ما سقط أو فسد لا سيما إذا قل لأن الكلمة تستدعى ما يليها ومعرفة المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه فأما من كان قليل الارتياض بذلك فإنه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما إذا كان كثيرا لأنه يحتاج فى فهم المعانى إلى الفكرة والروية فيما قد استخرجه بالكتابة فإذا هو لم يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن إدراكه وضل فكره من استنباطه.

والوجه الثانى: زيادة ألفاظ فى أثناء الكلام يشكل بها معرفة الصحيح غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا إلا أن يقصد الكاتب تعمية كلامه فيدخل فى أثنائه ما يمنع من فهمه فيصير ذلك رمزا يعرف بالمواضعة. فأما وقوعه سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره.

والوجه الثالث: إسقاط حروف من أثناء الكلمة تمنع من استخراجها على الصحة وقد يكون هذا تارة من السهو فيقل وتارة من ضعف الهجاء فيكثر والقول فيه كالقول فى الوجه الأول.

والوجه الرابع: زيادة حروف فى أثناء الكلمة يشكل بها معرفة الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل ولا يمنع من استخراج الصحيح ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب إخفاء غرضه فيكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالقول فى الوجه الثانى.

والوجه الخامس: وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة فيدعو ذلك إلى الإشكال لأن الكلمة ينبه عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من مشاركة غيرها فإن كان ذلك من سهو قل فسهل استخراجه وإن كان ذلك من قلة معرفة بالخط أو مشقا (المشق: السرعة فى الكتابة) تسبق به اليد كثُر فصعب استخراجه إلا على المرتاض به. ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: شر الكتابة المشق كما أن شر القراءة الهذرمة (الهذرمة: القراءة السريعة) وإن كان للتعميه والرمز لا يعرف إلا بالمواضعة.

والوجه السادس: تغيير الحروف عن أشكالها وإبدالها بأغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل الراء وهذا يكون فى رموز التراجم لا يوقف عليه إلا بالمواضعة إلا لمن قد زاد فيه الذكاء فيقدر على استخراج المعمى.

والوجه السابع: ضعف الخط عن تقويم الحروف على الأشكال الصحيحة وإثباتها على الأوصاف الحقيقية حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن أغيارها حتى تصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة كالحاء وهذا يكون من رداءة الخط وضعف اليد واستخراج ذلك ممكن بفضل المعاناة وشدة التأمل وإن كان ربما أضجر قارئه وأوهى معانيه. ولذلك قيل: إن الخط الحسن ليزيد الحق وضوحا.

والوجه الثامن: إغفال النقط والأشكال التى تتميز بها الحروف المشتبهة وهذا أيسر أمرا وأخف حالا لأن من كان متميزا بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تَخْفَ عليه معرفة الخط وفهم ماتضمنه مع إغفال النقط والأشكال بل قد استقبح الكتاب ذلك فى المكاتبات ورأوه من تقصير الكاتب أو سوء ظنه بفهم المكاتب وكان استقباحهم له فى مكاتبة الرؤساء أكثر. حكى قدامة بن جعفر: أن بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكا العامل منه إلى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه ووضوح شكواه فوقّع فيها عبيد الله بن سليمان هذا، هذا، فأخذها العامل وقرأها فظن أن عبيد الله أراد بهذا هذا إثباتا لصحة دعواه وصدق قوله كما يقال فى إثبات الشىء هو هو فحمل الرقعة إلى كاتب الديوان وأراه خط عبيد الله وقال له: إن عبيد الله قد صدق قولى وصحح ما ذكرت فخفى على الكاتب ذلك وأطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله فرد إليه ليسأل عن مراده فشدد عبيد الله الكلمة الثانية وكتب تحتها والله المستعان استعظاما منه لتقصيرهم فى استخراج مراده حتى احتاج إلى إبانته بالشكل فهذه حال الكتاب فى استقباحهم إعجام المكاتبات بالنقط والأشكال.

فأما غير المكاتبات من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسنوه لاسيما فى كتب الأدب التى يقصد بها معرفة صيغة

الألفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر والغريب فإن الحاجة إلى ضبطها بالشكل والإعجام أكثر وهى مما سواه من العلوم أيسر. وقد قال الثورى (هو سفيان بن سعيد، وثور اسم قبيلة من مضر، وهو من أئمة المحدثين وعلماء الكلام فى العراق، وأحد المذاهب الستة المتبوعة، وهو من تابعى التابعين، وكانوا يطلقون عليه : أمير المؤمنين فى الحديث . توفى سنة ١٦٢ هـ) : الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة. وقال بعض البلغاء : إعجام الخط يمنع من استعجامه وشكله يؤمن إشكاله : وقال بعض الأدباء : رُب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله. وكما استقبح الكتاب والإعجام فى المكاتبات وإن كان فى كتب العلوم مستحسنا فكذلك استحسنوا مشق الخط فى المكاتبات وإن كان فى العلوم مستقبحا وسبب ذلك أنهم لفرط إدلالهم بالصنعة وتقدمهم فى الكتابة يكتفون بالإشارة ويقتصرون على التلويح ويرون الحاجة إلى استيفاء شروط الإبانة تقصيرا ولقصد ما يعتقدونه من التقدم بهذا الحال رأوا ما نبه عليه من سواد المداد أثرا جميلا وعلى الفضل والتخصيص دليلا . حكى أن عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه أثر صفرة فأخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال : المداد بنا أحسن من الزعفران وأنشد :

إنما الزعفران عطر العذارى
ومدادُ الدُّوِيِّ عطر الرجال

فهذه جملة كافية فى الإبانة عن الأسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة معانيه لفظا كان أو خطًّا والله ولى التوفيق (أدب الدنيا والدين . انظر ثبت المراجع) .

وعن انتشار الخط العربى فى الأمصار يقول الدكتور أبو صالح الألفى :

أدت قوة الكتابة العربية وعظم سلطانها إلى اتخاذها لرسم لغات الكثير من الأمم التى فتحها العرب، كماحدث فى بلاد فارس حيث حلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية فى كتابة اللغة الفارسية، مع زيادة الحروف الخاصة، كما حلت الحروف العربية كذلك محل الحروف الأوردية الهندوستانية ولغة أهل كشمير، وامتدت الحروف العربية إلى المسلمين من أهل الملايو لكتابة لغتهم، كما استعملها كذلك أهل جاوة والفلبين للغرض نفسه . وامتد انتشار الكتابة العربية حتى الصين فكتبت بها النصوص الدينية الإسلامية لصالح مسلمى الصين .

كذلك، تداولت الكتابة العربية الأمم التركية والتترية التى تسكن حول بحر قزوين وشمالى البحر الأسود وجنوب جبال الأورال . على أن لغات هذه البلاد لم تدون بالحرف العربى إلا منذ القرن السابع الهجرى، وهو عصر التدوين فى محيط الأمم التترية والتركمانية، بخلاف الفرس والهنود الذين سبقوا إلى اعتناق الإسلام واتخاذ الكتابة العربية .

بل وصل الخط العربى إلى مسلمى سيبيريا بتأثير من مسلمى تركستان الروسية، واقتضى ذلك زيادة حروف معينة لتحقيق صلاحية الحروف لأداء المخارج التى ليست أصلا فى اللغة العربية . وكان الأتراك وسيلة لنقل الكتابة العربية إلى بعض دول البلقان التى انتشر فيها الإسلام كألبانيا وبلغاريا .

من الملحوظات الجديرة بالاهتمام أن تدوين القرآن الكريم وكتب الدين بين الأمم الإسلامية التى احتفظت بلغاتها الأصلية كان بالخط النسخى، لسهولة قراءته وعدم اللبس فيه . على أن الفرس استطاعوا بما لديهم من نفوذ خاص، فى الهند والصين، أن ينشروا خط التعليق (الخط الفارسى) فى هذه البلاد لكتابة الشروح والتفسيرات، أما الآيات القرآنية فكانت تكتب بالخط النسخى .

ومنذ فتح مصر على يد القائد عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب (١٨ ـ ٢٠ هـ) ثم فتح شمال أفريقيا بعد ذلك ثم إسبانيا، امتد الخط العربى فى هذه البقاع، وأصبح له فى شمال أفريقيا والأندلس خصائص مميزة .

وعندما نشر المغاربة الإسلام فى غرب أفريقيا نشروا معه الخط العربى، وكان ذلك حوالى القرن السابع الهجرى، حيث كانت النيجر مركزا للنشاط الإسلامى، وبديهى أن يكون الخط الذى استعمل فى غرب أفريقيا متفرعا من الخط المغربى، وقد سمى «الخط السودانى»، والخط المغربى السودانى كان وسطا بين الخط اللين والخط الجاف .

وعرف شرق أفريقيا الكتابة العربية فى أرتريا والصومال ومدغشقر التى ساد فيها الإسلام مبكرا بسبب كثرة وفود العرب إلى هذه الجزيرة بقصد التجارة، وهم يستخدمون الحرف

العربى لكتابة اللغات المحلية . على أن الصومال ترك استعمال الحرف العربى فى كتابة اللغة الصومالية قبل بضع عشرة سنة، والمأمول أن يعود إلى استعمال الكتابة العربية بعد أن انضم إلى جامعة الدول العربية .

وقد بلغت العلوم والمعارف العربية شأوا كبيرا، وانتقلت هذه العلوم والمعارف المدونة فى مخطوطات، إلى أوربا عبر إسبانيا الإسلامية، وظل الكثير من كتب العرب يدرس فى جامعات أوربا إلى عهود ليست بعيدة («الخط العربى أرقى الفنون الإسلامية» / ٧٧).

ومن أمثلة الخط الكوفى فى وسط آسيا :

نقش قرآنى بضريح شاه فاضل من الداخل بجمهورية قرغيزيا من القرن السادس الهجرى (١٢ م) .

ومن أمثلة الخط النسخ فى إيرانى :

مصحف بخط عبد الله بن محمد الهمدانى كتبه للسلطان الإيلخانى أولجايتو سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٣ م بالخط الثلث الريحانى .

كما وجد فى إيران والهند وباكستان وبعض المناطق الملحقة بها مصاحف بخط النستعليق ومن أمثلتها :

صفحة من مصحف بخط النستعليق كتبه شاه محمد النيسابورى سنة ٥٨٦ هـ / ١٥٦٠ م محفوظ بمكتبة جامعة استانبول .

ووصلنا من وسط آسيا كتابات قرآنية كثيرة على الآثار بالخط الثلث منها :

نقش بمحراب مسجد بلند فى بخارى يرجع إلى القرن العاشر الهجرى (١٦ م) نقش ببوابة ضريح بيان قلى خان فى بخارى يرجع إلى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م نقش فى بوابة شاه زنده بسمرقند (ضريح شيرين) سنة ٧٨٧ هـ/ نقش بالمدخل الرئيسى لمسجد بى بى خانم بسمرقند سنة ٨٠٢ ـ ٨٠٧ هـ / ١٣٩٩ ـ ١٤٠٤ م).

وبالإضافة إلى هذه الخطوط الأصلية استخدمت بعض الشعوب فى الكتابات القرآنية خطوطا ذات طابع محلى مستمدة من خطى النسخ والثلث، ومن أمثلة هذه الخطوط خط بهار الذى استخدم فى كتابة بعض المصاحف فى الهند وبكستان وأفغانستان ومناطق أخرى مرتبطة بها حضاريا .

ومن أمثلتها من الخطوط ذات الطابع المحلى : نقش من كيتاهار مؤرخ سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م) (بالبنغال) .

نقش قدم رسول مؤرخ ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م من مزار قدم رسول فى غور (بالبنغال) (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ٢ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

وفيما يلى بعض التعريفات والاصطلاحات الخطية التى أوردها الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط :

جاوة : قلم من الخشب الصلب والذى تكفى قطه لكتابة على ما لا يقل عن مائتى صفحة ولا يتغير عرضه .

الحبر العربى : وهو الحبر الذى مادته الصمغية راجعة .

الحبر الصينى : وهو الحبر الذى مادته الصمغية غير راجعة .

الخط العربى : هو فن الكتابة العربية الذى له قاعدة وزينة .

سلاية كروكى : وهى نوع من السلايات المعدنية الرفيعة جدا وتستعمل للزخرفة .

الطرمة : وهى المحبرة الموجودة فى الطقم الهندسى .

الطرة : وهى محبرة الخطاط الحاوية على خيوط الإبريسم والحبر .

عراقة : هى نهايات الحروف القابلة قسم منها للتدوير والقسم الآخر بالإرسال والمد .

الكشيدة : هى مد الحروف القابلة للمد فى الخطوط وتأتى أيضا فى بداية الألف .

ورق الترمة : وهو ورق يصنع باليد ويطلى بصفار البيض ويستغرق وقتا طويلا وهو أجود أنواع الورق للخط ويكون لونه أصفر مُسمرا يستعمل للكتابات الخطية الجيدة والحليات (الخط العربى : تاريخه وأنواعه / ١٢٧ ، ١٢٨) .

وبالإضافة إلى تعريفنا لعلم الخط العربى الذى تناولناه من الناحية التاريخية والاجتماعية يضيف الدكتور الفنجرى وجها آخر، هو ارتباط الخط بالعلوم الرياضية ، ومن ثم فإنه يعرف الخط العربى باعتباره علما وفنا فيقول :

إنه علم لأن الخطاط يعتمد على علم الهندسة وحساب المثلثات والدوائر وعلم الحساب . . وجميع اللوحات القيمة

يعمل لها رسم هندسى قبل تنفيذها على الطبيعة . . وتعمل لها مقاييس ونسب مدروسة تماما كما يفعل المهندس المعمارى قبل أن يبنى العمارة الضخمة . . ويستوى فى ذلك إذا كان الرسم ضخما يملؤ قبة كبيرة فى سقف مسجد . . أو كان دقيقا كمن يكتب القرآن كله على قشرة بيض أو يكتب سورة كاملة على حبة قمح (متحف طوب كابى اسطنبول) .

أما كون الخط العربى فنا فلأن الخطاط لا يكتب مجرد كتابة تؤدى الوظيفة والغرض . ولكنه يضع روحه وخياله وفنه فى كل حرف يخطه بيده . وإذا كان الإسلام قد كره رسم الأشخاص فقد شجع على رسم الكلمات وإحسان الخط . . ومن هنا فقد وضع الفنان المسلم كل طاقاته الفنية وعبقريته فى إظهار الكلمات بطريقة تعبر عن مشاعره . . ومن هنا أيضا نقول إن كبار الخطاطين المسلمين لا يقلون أهمية عن كبار الرسامين فى أوربا أمثال ليوناردو ـ وزوفائييل ـ وبيكاسو، ورغم أنهم أقل شهرة من هؤلاء الرسامين إلا أن فنهم أصعب من فن الرسم لأنه فن تجريدى بحت (العلوم الإسلامية ٢ / ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩).

ذاك كان الكلام على الخط كعلم . بيد أن الخط العربى يعتبر أيضا فنا قائما بذاته ، وكما يقول الدكتور أحمد شوقى الفنجرى :

لا توجد أمة فى التاريخ لعب الخط الجميل فى حياتها دورا هاما مثل الأمة العربية الإسلامية . . فأينما أدرت عينيك فى الآثار الإسلامية القديمة . . فسوف تجد الكلمات المكتوبة بخط جميل وزخرف إسلامى بديع . . تملأ القصور والمساجد والمدارس والحمامات والبيمارستانات .

فعلى الحوائط والسقوف آيات قرآنية وشعارات إسلامية مكتوبة بخط جميل تتناسب مع المكان والغرض الذى يستعمل من أجله .

وعلى المعلقات والقناديل الضوئية والأوانى الفخارية والنحاسية والبرونزية وعلى الصناديق والأبواب الخشبية والمقابض النحاسية ... وعلى العملات الذهبية وآلات الجراحة والأسلحة بأنواعها من دروع وسيوف وسهام ورماح . . بل أن المسلمين عندما استعملوا البندقية والمسدس والمدفع لأول مرة لم يستغنوا عن تزيينها بآيات من القرآن من باب التبرك والدعاء بالنصر أولا . . ثم الناحية الزخرفية والجمالية ثانيا (العلوم الإسلامية ٢/ ١٠٤، ١٠٦) .

ونحن حين نتكلم على الخط باعتباره فنا فإنما نقصد ما يمكن أن يسمى بالزخارف الكتابية أو الزخرفة بالخط .

لقد كان فن الزخارف الكتابية فى الفن الإسلامى له عظيم الأثر فى كثير من المصاحف والألواح المعروضة فى القسم الرابع بدار الكتب . لذلك رأينا أن نعرض لها بإيجاز ليستفيد المشاهد .

للكتابة الزخرفية شأن عظيم فى تاريخ الفنون الإسلامية . لأن لكل إقليم فى العالم الإسلامى أسلوبا فى الخط وزخرفته . ويستطيع ذوو الخبرة أن يدرسوا الزخارف الكتابية فينسبوا التحفة إلى العصر أو الإقليم الذى صنعت فيه .

وإن استعمال الزخارف الكتابية ازداد شيوعا فى العالم الإسلامى من القرن الرابع الهجرى وبلغ ذروة مجده فى القرنين الخامس والسادس .

وكان الخط الكوفى الذى هو عماد الزخارف فى الخطوط العربية بسيطا فى مبدأ أمره لا توريق فيه ولا تعقيد ولا ترابط بين الحروف . ومع ذلك كله فإن المتقن من هذا النوع البسيط لا يخلو من طابع زخرفى رصين هادىء .

ورأى الفنانون أن فى خطوطه العمودية والأفقية عنصرا يمكن استغلاله من الناحية الزخرفية فأقبلوا على ذلك وأبدعوا فيه وصنعوا ضروبا من الكتابة الزخرفية متعددة الجوانب والصفات ، فمنها الكوفى المورق والمشجر، يخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية دقيقة محملة بالوريقات المختلفة الأشكال، وتزخرف نهايات حروفه بما يشبه الفروع عندما تخرج من السيقان .

ومن أنواعها الأخرى كتابات كوفية تقوم على أرض من الزخارف النباتية المستقلة عنها، وقوام هذه الزخارف النباتية فروع وسيقان ووريقات لا تتصل بالكتابة بل تبدو كأنها تنحدر فى اتجاه واحد .

ولزخرفة الكتابة بالخط الكوفى ضروب كثيرة لا يسعنا أن نعرض لها كلها هنا . يجدها الباحث فى كتاب فنون الإسلام وضع الدكتور زكى حسن (قالت المؤلفة : انظر كتابه« الفن الإسلامى فى مصر / ٩٧ ـ ٩٩) .

كما للخطوط الأخرى زخارف هى ولا شك دون زخارف الخط الكوفى وأقل شأنا منه كالخط النسخى والديوانى وغيرهما يراها الناظر فى القاعة الكبرى (معرض دار الكتب / ١٢، ١٣).

ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى، عم استخدام الخط النسخى، وكان قبل ذلك لا يكاد يستعمل إلا فى المخطوطات العادية، فاستخدم فى شواهد القبور والكتابات التاريخية، وكان ذلك وسيلة من الوسائل التى لجأ إليها السنيون للقضاء على آثار الشيعة الفاطمية.

واستعملت أشرطة الكتابة على التحف المختلفة، وعلى العمائر تحت السقف لربط المستويات الرأسية بالمستويات الأفقية أو بالقبة.. كما ابتكر الخطاطون كتابة العبارات بالخط الكوفى المربع أو الكوفى المتداخل لتبدو على شكل حيوان أو طائر.

والمعروف أنه كان للخطاطين المنزلة الأولى بين الفنانين، إذ كان الخطاط هو الذى يحدد الفراغات التى يملؤها الرسام بالصور التوضيحية لتزيين الكتاب. وكان هواة الخط يتسابقون لشراء نماذج من خطوط مشاهير الخطاطين، كما يحدث الآن بالنسبة للوحات التصوير (الفن الإسلامى / ١٢٠). وبالإضافة إلى هذا كله فإن للخط جانبا آخر هاما، ألا وهو الجانب الفقهى، إذ أن الخط من أدلة إثبات الدعوى فى الفقة الإسلامى كما يتضح مما يلى:

مذهب الحنفية:

اختلف فقهاء الحنفية فى اعتبار الكتابة حجة يؤخذ بها فى إثبات الحق ويعتمد عليها فى القضاء وعدم اعتبارها كذلك، وبالرغم من اقتناع الكثيرين من عدم جواز العمل بالخط معللين ذلك بأحد أمرين:

الأول: احتمال أن الكاتب لم يقصد بما كتبه إفادة المعانى الحقيقية للكلمات والألفاظ التى كتبها وإنما قصد تجربة خطه أو مجرد اللهو والتسلية.

والثانى: احتمال التزوير فى الخط إذ الخطوط تتشابه كثيرا إلى درجة كبيرة.. وقد قسموا الكتابة إلى ثلاثة أقسام.

أولا: كتابة مرسومة، أى معنونة، ومصدرة بعنوان على ما جرى به العرف المتبع. كأن يكتب من فلان ابن فلان إلى فلان ابن فلان، أو وصلنى فلان ابن فلان، من فلان ابن فلان مبلغ كذا، أو بذمتى لفلان ابن فلان كذا، وهكذا، ومستبينة، أى ظاهرة ومقروءة.

ثانيا: كتابة مستبينة، غير مرسومة كالكتابة على غير الوجه المعتاد عرفا أو الكتابة على الحائط وأوراق الشجر.

ثالثا: كتابة غير مستبينة، كالكتابة على الماء أو فى الهواء.

وقالوا: إن ما ينبغى فيه الاحتمال الأول، وهو قصد التجربة أو اللهو مع استثناء الاحتمال الثانى، يكون حجة ويعمل به دفعا للضرر عن الناس، ولا سيما التجار، وأخذا بالعرف، وذلك كالكتابة المستبينة المرسومة مطلقا وهى التى عناها الفقهاء حين قالوا إن الإقرار بالكتابة كالإقرار باللسان، وألحقوها بالصريح من القول فى عدم توقف دلالتها على شبه أو إشهاد أو إملاء. وكالكتابة المستبينة غير المرسومة إذا وجدت نية أو كان معها إشهاد عليها أو إملاء على الغير ليكتبها مما ينفى احتمال التجربة أو اللهو. أما إذا لم يوجد معها شىء من ذلك فلا يعمل بها لقيام الاحتمال وكذلك إذا قضت العادة بأنه لا يكتب إلا على سبيل الجدية وجرى العرف باعتباره حجة كما فى دفاتر السمسار والتاجر والصراف، وما يكتبه الأمراء والكبراء ممن يتعذر الإشهاد عليهم من سندات وصكوك، ويعترفون بها أو يعدهم الناس مكابرين حين ينكرونها أو توجد بعد موتهم فإنها تكون حجة عليهم ويعمل بها.

وكذلك من توجد فى صندوقه صرة مكتوب عليها هذه أمانة فلان الفلانى يؤخذ بها لأن العادة تقضى بأن الشخص لا يكتب ذلك على ملكه.

وقالوا: إن ما ينبغى فيه الاحتمالان معا يكون حجة ويعمل به كما فى سجلات القضاة المحفوظة عند الأمناء ولو كانت حديثة العهد فإنه يؤخذ بما فيها من أقوال الخصوم وشهادة الشهود ويحكم بها ويعتمد عليها فى ثبوت وشروط ومصارف الأوقاف المنقطعة الثبوت المجهولة الشرائط والمصارف وكما فى البراءات، والقرارات السلطانية المتعلقة بالوظائف فإنها تعتبر حجة فيما تضمنته واشتملت عليه، إذ العرف جرى باعتبارها من أقوى الحجج والأدلة لبعدها عن احتمال التزوير والتجربة واللهو.

أما الكتابة غير المستبينة أصلا فهى لغو ولا أثر لها (ابن عابدين جـ ٤ ص ٤٧٨ ومابعدها، وص ٥٤٦ وما بعدها).

مذهب المالكية:

قال في الجواهر: لا يعتمد على الخط لإمكان التزوير فيه، وإذا وجد في ديوانه حكما بخطه ولم يتذكره لا يعتمد عليه لإمكان التزوير، ولو شهد به عنده شاهدان فلم يذكر.

قال القاضي أبو محمد: ينفذ الحكم بشهادتهما، أي لا يعتمد على المدون، وما وجد في ديوان القاضي من شهادات الناس لا يعتمد القاضي منه إلا ما دونه بخطه أو بخط كاتبه العدل المأمون إذا لم يستنكر فيه شيئا (التبصرة ١ / ٣٨ و ٢ / ٥٠).

ونقل ابن القيم في الطرق الحكمية أن ابن وهب روى عن مالك في الرجل يقوم فيذكر حقا قد مات شهوده ويأتي بشاهدين عدلين على خط كاتب الخط، قال: تجوز شهادتهما على كاتب الكتاب إذا كان عدلا مع يمين الطالب، وهو قول ابن القاسم، وأنه يجوز عند مالك الشهادة على الوصية المختومة (الطرق الحكمية ص ٢٤٤ وما بعدها).

مذهب الشافعية:

المشهور من مذهب الشافعي أنه لا يعتمد على الخط لا في القضاء ولا في الشهادة، لاحتمال التزوير فيها، فإن كانت محفوظة وبعد التزوير فيها وتذكرها القاضي أو الشاهد يجوز الاعتماد عليها، وإن لم يتذكرها فالصحيح عدم جواز الاعتماد. (الأشباه والنظائر للجلال السيوطي / ٢٦٢).

مذهب الحنابلة:

إذا رأى القاضي حجة فيها حكمه لإنسان وطلب منه إمضاؤه، فعن أحمد ثلاث روايات:

إحداها: أنه إذا تيقن أنه خطه نفذه، وإن لم يذكره، واختاره في الترغيب، وقدمه الشيخ مجد الدين في التحرير ومثله الشاهد إذا وجد شهادة بخطه.

الثانية: أنه لا ينفذه إلا إذا تذكره فإن لم يتذكره لم ينفذه.

الثالثة: إذا كان في حرزه وحفظه كقمطره نفذه، وإلا فلا.

وقال إسحاق بن إبراهيم: قلت لأحمد رضي الله عنه: الرجل يموت وتوجد له وصية تحت رأسه من غير أن يكون قد أشهد عليها أحدا، فهل يجوز إنفاذ مافيها؟

قال: إن كان قد عرف خطه وهو مشهور الخط، فإنه ينفذ ما فيها.

قال الزركشي: نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه واعتمده الأصحاب

وقد نص في الشهادة على أنه إذا لم يذكرها ورأى خطه لا يشهد حتى يذكرها.

وقال الإمام فيمن كتب وصيته وقال اشهدوا على بما فيها: أنهم لا يشهدون إلا أن يسمعوها منه أو تقرأ عليه فيقر بها.

فنص الإمام رضي الله عنه على الصحة وجواز التنفيذ بعد معرفة الخط في الصورة الأولى.

ونص على عدم الصحة وعدم جواز الشهادة إلا بعد السماع أو الإقرار بعد القراءة في الصورة الثانية.

وقد اختلف أصحاب أحمد في ذلك، فمنهم من خرج في كل مسألة حكم الأخرى وجعل فيها وجهين بالنقل والتخريج، فجوز عدم الصحة في الأولى أخذا من الثانية، وجعل في الثانية وجها بالصحة أخذا من الأولى، ومنهم من منع التخريج وأقر النصين، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وفرق بين الحالتين بأنه في الحالة الأولى انتفى احتمال التغيير في الوصية بالزيادة والنقص بعد موت الموصي، فلم تمنع الشهادة عليها.

وفي الثانية هذا الاحتمال قائم لوجود الموصي فمنعت الشهادة عليها ما لم يتأكد بالسمع أو الإقرار. فالروايات عن الإمام مختلفة في الأخذ بالخط واعتباره حجة. (الطرق الحكمية ص ٢٣٩ وما بعدها).

مذهب الزيدية:

وفي مذهب الشيعة الزيدية لا يحكم القاضي بما وجده في ديوانه من خطه ولو عرفه لأن الخطوط تشتبه.

جاء في البحر الزخار: (٥ / ١٣٣) ولا يحكم بما وجد في ديوانه ولو عرف خطه لقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء / ٣٦].

وقال ابن أبي ليلى وأبو يوسف يصح بمعرفة الخط، قلنا تشتبه الخطوط.

وفي باب الشهادة منه أنه لا تجوز الشهادة ولو عرف خطه أو خط غيره بإقرار بحق لاحتمال التزوير (٥ / ٢٠).

وجاء فـى شرح الأزهار: ولا يجوز للحاكم أن يحكـم بما وجد فى ديوانـه مكتوبا بخطه وختمـه سجلا أو محضرا إن لم يذكر، هذا مذهبنا، فقيده بما إذا لم يذكر.

مذهب الإمامية :

وفى مـذهب الشيعة الإمـامية : جاء فى كشف اللثام من بـاب القضاء : لا يجـوز للحـاكم أن يعتمد على خطـه إذا لم يتذكـره وكذا الشاهـد وإن شهد معه آخر ثقة لإمكان التـزوير عليه .

واكتفى الحفيد والقـاضى وأبو على بخطه مع شهـادة ثقة والصدوقان كذلك مع ثقة المدعى، وجاء فيه أنه لا يكتفى بما يجـده مكتوبـا بخطـه وإن كان محفـوظـا عنده . وعلم عـدم التزوير، وكذا ما يجده بخط مورثة كما هو الشأن فى الشهادة، لاحتمـــال اللعـــب، أو الســهو، أو الكـــذب، فــى الكـــتابة .

واعتمد الشيخ جعفر الكبير على الكتابة فى إثبات الوقف إذا كانت مضبوطة مرسومـة تظهر منها الصحةوإن لم تبلغ حد العلم وإلا ضاعت الأوقاف، لأن طريقها الكتابة وفى الجواهر من باب القضـاء : التحقيق أن الكتابة من حيث هى كتـابة لا دليل على حجيتها من إقرار أو غيره .

نعم، إذا قامت القـرينة على إرادة الكاتب بكتابتـه مدلول اللفظ المستفـاد من رسمها فـالظاهـر جواز العمل بهـا للسيرة المستمـرة فى الأعصار والأمصـار على ذلك بل يمكن دعـوى الضرورة على ذلك .

كتاب القاضى إلى القاضى

ويتصل بمـا نحن فيه كتاب القـاضى إلى القاضـى، وهو عند الحنفية إما بنقل الحكم إلى المكتوب إليه للتنفيذ أو بنقل الشهـادة إليـه للحكم بهـا ويقبل عندهـم فيما عـدا الحـدود والقصاص، ويعنونـه القاضى الكاتب من فلان إلـى فلان بما يميزه ويـدون فيه مـا قام لديـه، ويقرؤه على الشهـود ويختمه أمامهم، ولا يقبله المكتوب إليـه إلا بحضور الشهود والخصم ولا بد من تعديلهم (ابن عابدين جـ ٤ ص ٥٤٣ وما بعدها).

مذهب المالكية :

وعنـد المالكيـة، كذلك يكـون كتـاب القاضى تـارة بنقل الحكم للتنفيذ والتسليم واختلفوا فيما إذا كان الحكم على غير رأى المكتوب اليه، كما إذا كتب قـاضى حنفى لقاض مالكى بأن يمكن رجل من امـرأة زوجـت نفسهـا منـه بغيـر ولى، هل يجب عليه التنفيذ أو لا.

فعن سحنون لا ينبغي لـه تنفيـذه لأنـه خطأ عنـده، وعن أشهب يجب التنفيذ لأنـه صدر من صاحب سلطـة وتعلق به حق المحكوم له فـلا يجوز له أن يبطله، وتـارة يكون بما ثبت عند القاضي الكاتب من حق لرجل علي غريم غائب ويطلب إليه الحكم بما ثبت، وهذا لا خلاف في وجوب قبوله والعمل به وهل يلـزم أن يشهد عليـه شاهـدان يشهدان عنـد المكتوب إليه، أو يكفى أن يختمه ويقبله المكتوب إليه بعد معرفة الخط والختم؟ خلاف .

ويقبل كتاب القاضي عندهم في جميع الحقوق والأحكام (التبصرة جـ ٢ ص ٣٨ ومابعدها) .

مذهب الشافعية :

وعند الشـافعية، تـارة يكون كتـاب القاضي إلي القـاضى وجوبا بناء علي طلب المدعى بما قام لديه من دعوى وإثبات على غائب بشروطها ليحكم لـه بها أو ينهى إليه بحكم أصدره على غائب بشروطه لينفذه عليه في ماله .

وفى صورة أخرى يكون المدعي به عينا في بلد تحت ولاية المكتوب إليـه فيكتب إليه يطلب إرسال العين بكفالـة ليشهد عليهـا البينـة بالمعـاينـة . أو يتـداعى الخصمان هنـاك لـدى المكتوب إليه إذا لـم يمكنـه أو تعذر إرسال العين (حواشي تحفة المحتاج جـ ١٠ ص ١٦٣ وما بعدها) .

مذهب الحنابلة :

وعنـد الحنـابلـة يكـون الكتـاب بنقـل الحكم لتسليم المحكوم بـه أو تنفيذه في مال الغائب أو الهـارب، وتارة بنقل الشهادة المعـدلة عند الكـاتب أو عند المكتـوب إليه ليحكم بها، وكتاب القاضى إلى القاضى عندهم بمثابة الشهادة على الشهـادة، ويشتـرط أن يقـرأ الكـاتـب الكتـاب على عـدلين ويشهدهمـا عليه للتحمل . ثم يقرؤه المكتوب إليـه ويشهدان بما فيه عنده . ولا يكفي معرفة الخط والختم للاشتباه وإمكان التزوير .

ويقبل فى دعـوى العين لإرسـالهـا بكفـالــة أو مع أمين للشهادة عليها بالمعاينة كما عند الشافعية .

مذهب الزيدية :

وفى مذهب الشيعة الزيدية : للقاضى أن يكتب إلى حاكم آخر بحكمه إن كان قد حكم وينفذه المكتوب إليه ولو خالف مذهبه . وقيل ينفذه إن وافق مذهبه . ورد ببطلان فائدة الحكم ونصب الحكام . وإن كان لم يحكم وكتب إليه يعرفه أن فلانا وفلانا شهدا عندى بكذا لم ينفذه المكتوب إليه ما لم يحكم الكاتب .

وللمكتوب إليه أن يحكم بشهادتهما إن وافق مذهبه واجتهاده لكن بشروط تضمنها الفروع ، وهى أن يشهد القاضى الكاتب شاهدين على الكتاب وأن يقرأه عليهما أو يقرأ بحضرته عليهما ، ويقول أشهدكما أنى كتبت إلى فلان ابن فلان ، فإن ختمه ولم يقرأه عليهما لم يعمل به .

وقال الإمام يحيى : إذا ختمه وأشهدهما أنه كتابه فقد حصل أمان التحريف . وكذا يشترط أن يكتب اسم المكتوب إليه فى باطنه ولا يعمل به إذا مات الكاتب قبل بلوغ الكتاب إلى المكتوب إليه ، وكذا إذا فسق أو عزل ، ولو مات المكتوب إليه أو فسق أو عزل قبل بلوغه الكتاب لم يعمل به من ولى مكانه لأنه موجه إلى غيره .

ولا يعمل بالكتاب إلا ببينة كاملة أنه كتابه وقيل يعمل به من غير شهادة لعملهم بكتب رسول الله ﷺ من غير شهادة وقيل إن عرف الخط والختم عمل به وإلا فلا ورد بأن الخطوط والختوم تشتبه وعلى الرأى الأول لا بد أن يقرأ الكاتب الكتاب على الشاهدين أو يقراء الكتاب عليهما بحضرته ويقول أشهدكم أنى كتبت إلى فلان ابن فلان (البحر الزخار ٥ / ١٢٧) .

مذهب الإمامية :

وعند الشيعة الإمامية : المشهور عند علمائهم عدم جواز العمل بكتاب القاضى إلى القاضى وقال ابن الجنيد لا يجوز ذلك فى حقوق الله تعالى ، أما فى حقوق العباد وفى الأموال وما يجرى مجراها فيجوز العمل بكتاب القاضى إلى القاضى إذا كان القاضى من قبل الإمام .

وقال ابن حمزة : لا يجوز للحاكم أن يقبل كتاب حاكم آخر إلا بالبينة فإن شهدت البينة على التفصيل حكم به (مختلف الشيعة ٢ / ١٥٤ وكفاية الأحكام باب القضاء) .

وفى المختصر النافع (ص ٢٨٣) لا يحكم الحاكم بأخبار حاكم آخر ولا بقيام البينة لثبوت الحكم عند غيره ، نعم لو حكم بين الخصوم وأثبت الحكم وأشهد على نفسه فشهد شاهدان بحكمه عند آخر وجب على المشهود عنده إنفاذ ذلك الحكم .

مذهب الأباضية :

جاء فى شرح النيل(جـ ٦ ص ٥٧٣ وما بعدها) : الخطاب فى عرفهم فى الأحكام أن يكتب قاضى بلد إلى قاضى بلد آخر بما يثبت عنده من حق لشخص فى بلد الكاتب على آخر فى بلد المكتوب إليه لينفذه فى بلده وذلك واجب إن طلبه ذو الحق ويقبل كتاب القاضى فى الأحكام والحقوق بمجرد معرفة خطه بلا شهادة ولا خاتم وليس ذلك قضاء بعلمه بل لقبول بينة .

وقال بعض أصحابنا لا يحكم القاضى بكتاب القاضى إليه ، وقال بعضهم يحكم ، ويجوز كتاب القاضى فى الحقوق كلها إلا الحدود والقصاص ، وإنما يكتب فيما اختص عليه الخصمان وليس حاضرا فى بلده فيكتب الدعوى والجواب والشهادة إلى حاكم البلد الذى فيه الشىء بكتابه وكذا يكتب الدعوى والشهادة إن لم يحضر المدعى عليه إلى قاضى بلد هو فيه . (موسوعة جمال عبد الناصر ٢ / ١٧١ ـ ١٧٧) .

انظر مادة «الإثبات» فى م ٢ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

وفى مجال الأدب جاءت هذه الأقوال فى مزايا الخط :

خط القلم يقرأ فى كل مكان وفى كل زمان ، ويترجم بكل لسان . ولفظ اللسان لا يجاوز الآذان ، ولا يعم الناس بالبيان ، ولولا الكتَّاب ــ أى الفنانين الخطاطين ــ لانتفت أخبار الماضين وانقطعت أنباء الغابرين . »

والفن ينقل العواطف الكامنة فى النفس ويفصح عنها بشكل فصيح جذاب . فهو يعبر عن العالم الداخلى للإنسان المبدع . وليس فقط عن العالم الخارجى ، وعن آثار الإنسان والزمان . وقال على بن عبيدة : «القلم أصم ، ولكنه يسمع النجوى ؛ وأبكم ، ولكنه يفصح عن الفحوى ؛ وهو أعيا من باقل ، ولكنه أفصح وأبلغ من سحبان وائل ؛ يترجم عن الشاهد ، ويخبر عن الغائب» .

وقال جبل بن يزيد : «القلم لسان البصير يناجيه بما استتر من الأسماع . ويناغيه بما استثار من الطباع ، ويحدثه بما

حـدث وإن كان فى البقـاع». ويقول أبـو حيان عنـد تعريفـه للفن، «أنه مؤلف من شكل ومضمون، من فكر هو الحكمة، وإبداع هو البلاغة، وهو لرى العقـول الظامئة والنفوس التواقة للجمال».

قال عبد الحميد بن يحيى ـ كـاتب مروان ـ: «القلم شجر ثمرته اللفظ والفكر، وبحر لؤلؤه الحكمة والبلاغة، ومنهل فيه رى العقول الظامئـة، والخط حديقة زهرتها الفـوائد البالغة». (الخط العربى / ٨٧).

وقد أورد أبو منصور الثعالبى فى لطائفة بابا فى مدح الخط والقلم، وآخر فى ذمها، فقال فى مدح الخط والقلم.

يقال: القلم أحد اللسانين. ، وقال إقليدس: القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه القلب، ويصـوغ ما يسكبه اللب؛ وقال أيضا: الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية؛ وقال أفلاطون الخط عقل العقل. وقال جعفر بن محمد، رضى الله عنهما: لم أر بـاكيا أحسن تبسما من القلم (نسبه فى خاص الخاص ص ٧ ليحيى بن خالد البرمكى وفيه أحسن ضحكا)؛ وقال المأمون: لله در القلم كيف يحـوك وشى المملكة؛ وقال ثمامـة (هو ثمامة بن أشـرس النميرى المعتزلى ت ٢١٣ هـ): ما أثرته الأقلام، لا تطمع فـى دروسه الأيام؛ وقال ابن المعتز: القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، كأنه يفتح باب بستان، أو يقبل بساط سلطان؛ وقيل: الأقلام مطايـا الأوهام فـامتطوها يطـرد لكم الكلام، ويسهل بجـريها النظام.

ويقال: عقول الرجال تحت أسنة أقلامها (نسبه فى خاص الخـاص ص ٧ لأبى عبـد الله كـاتب المصـرى)؛ وعن بعض الفـلاسفـة أنـه قـال: صـورة الخط فى الأبصـار سـواد، وفى البصائر بياض.

وقال مـؤلف الكتاب: قد نـوه الله باسم الكتـابة وعظم من شأنهـا إذ أضــافهـا إلى نفسـه جل ذكـره، وإن لم تكن تلك الإضافة من النوع الذى يضاف إلى خلقه، ولا راجعة بوجه من الـوجوه إلى شبهـه، إلا أنـه دلنا بهـا على علـو رتبتها وشـرف منـزلتهـا، فقـال عـز من قـائل: ﴿وكتبنـا لـه فى الألـواح﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وقال تعالى جده: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال سبحـانه: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١]. وجعل جل جلاله من ملائكتـه كتب سفرة، وهم أرفع الخلق درجة وقال عـز ذكره: ﴿وإن عليكم لحـافظين * كـراما كـاتبين﴾[الانفطار: ١٠، ١١]، وقـال تعـالى: ﴿ورسلنـا لديهم يكتبـون﴾ [الزخـرف: ٨٠]، وقال جل ذكره: ﴿بأيدى سفرة * كرام بررة﴾ [عبس: ١٥، ١٦]، ومعلـوم أنـه لـو لم تكتب أعمـال العبـاد كـانت محفوظة لا يتخللها خلل، ولا يتداخلها نسيان ولا زلل، لكنه علم، عز اسمه، أن نسخ الكتاب أبلغ فى التحذير، وأوكد فى الإنذار، وأهيب فى الصدور، وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم، عز اسمه، بالآلة التى تتهيأ بها الكتابة، وهى القلم، فقال: ﴿ن والقلم ومـا يسطرون﴾ [القلم: ١]، كما أقسم بـالأشياء الجليلـة الأقدار، الكبيـرة الأخطار فى نفـوس عباده وعيـون بلاده، كالشمس والقمر والليل والنهـار والسماء والأرض؛ وذاكرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشدنى لنفسه:

إذا افتخـر الأبطـال يـومـا بسيفهم
وعـدوه ممـا يكسب المجـد والكـرمْ
كفى قلم الكتـاب فخـرا ورفعـة
مـدى الـدهـر أن الله أقسم بـالقلمْ

وفى رسالة، لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقـد السحـر للمجلس الرفيـع، أولها فى طـريق اللغـز وآخرها فى مدح القلم: ما أصم سميع، أخرس بليغ، ضعيف قـوى، مهين عـزيـز، دقيق الجسم جليـل الفعل، نحيل الشخص، سمين الخطب، حقيـر المنظر، شهير المخبر، صغير الجرم عظيم الجرم... إلخ؛ وقال ابن المعتز:

إذا أخـذ القـرطـاس خلت يمينـه
يفتح نـورا أو ينظِّم جـوهـرا

وقال كشاجم:

وإذا نمَّمت بنـانك خطـا
معـربـا عـن مـلاحـة وسـداد
عجب النـاس من بيـاض معـان
تجتلى من سـواد ذاك المـداد

وقال البستى:

إن هـزَّ أقـلامـه يـومـا ليعملهـا
أنسـاك كل كمى هـز عـاملـه

وإن أقــر علــى رق أنــــامـلـــه

أقــر بــالــرق كتــاب الأنــام لــه

ثم يقول الثعالبى فى باب ذم الخط والقلم:

قال ابن المعتز:

وأجــوف مشقـــوق كأن سنـــانــه

إذا استعجلتـــه الكف منقـــار لاقـط

وتـــاه بــه قـــوم فقلت رويــدكـم

فمـــا كـــاتب بـــالكف إلا كشـــارط

وقال أبو العلاء المعرى: لو كان فى الخط فضيلة لما حرمها رسول الله ﷺ؛ وقال بعض أولاد الأمراء: الخط صناعة، ولا تحسن الصناعة بالملوك؛ وقال كشاجم:

سل بى عن الأيــــام تعــــرف

أنــى ابــن دهــــــر ليس ينصف

وبــــلاغتى معــــروفـــة

سهل وأخطـــاهـــا التكلف

وسطـــور خط مـــونـق

كـــالـــروض والبـــرد المفـــوَّف

والخــط ليـس بنــــــافـع

مـــالـــم يكن فـى خط مصحـف

وقال بعض الحكماء: ماذا لقينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة؟ أما فى الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه وإقامة شرائطه، وأما فى الآخرة فإنا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا ضمائرنا؛ وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال: أخلاق حلوة وشمائل معسولة، وثياب مغسولة، وتظرف أهل الفهم، ووقار أهل العلم، فإذا صلوا بنا الامتحان والاختبار، وعرضوا على محك الاعتبار، كانوا كالزبد يذهب جفاء، أو كنبات الربيع فى الصيف تحركه هيفاء الرياح، لا يستندون إلى وثيقة، ولا يدينون بحقيقة، أخفر الخلق لأماناتهم، وأشراهم بالثمن البخس لعهودهم ودياناتهم: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال الشاعر:

وإذا أخطأ الكتــــــابـــــة حظ

عـــدمت تـــاؤهـــا فصـــارت كـــآبـــه

ومن ملح ما قيل فى ذم الكتابة لأبى عروس:

تعس الـــزمــــان لقـــد أتى بعجـــاب

ومحـــا رســـوم الظـــرف والآداب

فـأتى بكتـــاب لـــو انطلقت يـــدى

فيهـم رددتهـم إلـى الكُتَّـــــاب

وقوله أيضا:

وكـــاتب يقـــرأ القـــرآن فـى سنــد

مـن بعـــد حين وأمـــا بعـــد فى حين

لا يعـــرف الفـــرق فـى عمـــرو ولا عمـــر

جهـــلا ولا الفـــرق بين السين والشين

ولبعض أهل العصر:

وكـــاتب كُتُبــه تـــذكـــرنى القـــرآن

حتـــى أظـــل فـــى عجـــب

فـــاللفظ قـــالـــوا: قلـــوبنـــا غلف

والخــط تبت يــــدا أبى لهـب

وقيل: فلان قد صدأ فهمه، وتبلد طبعه، وتكدر خاطره؛ ويقال: خط ممجمج (خلط وأفسد)، ولفظ ملجلج (مختلط ليس بمستقيم) (اللطائف والظرائف / ٥٢ ـ ٥٦).

أما عن المخطوطات التى وردت فى الخط العربى فنسوق أمثلة منها مما هو محفوظ بالمجمع العلمى العراقى وبيانها كما يلى:

١ ـ شرح الخطبة:

المؤلف: مجهول.

أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين: «ذكر أصناف الكُتَّاب».

أصناف الكُتَّاب على ما ذكر، ابن مقلة: خمسة، كاتب خط، وكاتب لفظ، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب تدبير...».

آخره: «كمل شرح الخطبة وما تعلق بها من الزوايد بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط، برقم (D. ١٩٧٣).

بخط مغربي.

٢٤ ق، ٢٠ ص

(١ / خط وكتابة)

وقد تناول فيه مؤلفه، أو جامعه، الموضوعات الآتية: أصناف الكتاب، إصلاح الدواة بالمداد، القلم وأصناف الأقلام، الورق، السكين، الكتاب، طبع الكتاب [كذا: لعله: طي الكتاب] وختمه، العنوان، الديوان، البراءة، التوقيع، التاريخ، ذكر أول من افتتح كتابه بالبسملة، وأول من قال أما بعد، وأول من طبع الكتاب [كذا]، وأول من كتب من فلان بن فلان إلى فلان ابن فلان.

استشهد المؤلف في مواطن كثيرة بابن مقلة [أبي علي محمد بن علي بن الحسين، ت ٣٢٨ هـ ـ ٩٤٠ م]، وأخذ عنه.

٢ ـ «كتاب» الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها:

المؤلف: البغدادي (من أهل المئة الثالثة للهجرة/ المئة العاشرة للميلاد)

أوله: «البسملة ...، وبه أثق. ما يحتاج إليه الكاتب من آله الكتابة: أخبرني جعفر بن مهلهل بن صفوان، عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، قال: أول من وضع الخط نفر من طيء من بولان، وهم: ...».

آخره: «تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في مكتبة فاتح ـ باستانبول برقم ٥٣٠٦، بخط النسخ.

٢٤ ق، ١٩ س

(٢ / خط وكتابة)

نشر المستشرق الفرنسي دومينيك سورديل، قسما كبيرا منه في المجلد ١٤ من مجلة المعهد الفرنسي بدمشق، الصادر سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤، وصدره بمقدمة فرنسية، قيمة، وقد استغرق النص والمقدمة: الصفحات ١١٥ ـ ١٥٣ من المجلد المذكور.

وعني بتحقيقه: هلال ناجي، فظهر في («المورد» ٢ [بغداد ـ حزيران ١٩٧٣] ع ٢؛ ص ٤٣ ـ ٧٨).

وقد تناول بالبحث في المقدمة التي صدر بها الكتاب (ص ٤٣ ـ ٤٦): وصف المخطوط، ومؤلف الكتاب، ومحتوياته، ومناحي علمية أخرى.

والمؤلف هو عبد الله بن عبد العزيز، أبو القاسم الضرير النحوي البغدادي، المعروف بأبي موسى. كان يؤدب المهتدي بالله (محمد بن هارون الواثق) (٢١٠ ـ ٢٥٦ هـ). كان من أهل بغداد، وسكن مصر، وحدث بها عن أحمد بن جعفر الدينوري، وجعفر بن مهلهل بن صفوان الراوي، عن ابن الكلبي. صنف بعض الكتب. ترجمته في («نكت الهميان في نكت العميان» ١٨٢)، و (مقدمة المحقق ـ هلال ناجي ـ، ص ٤٤).

٣ ـ لوحات خط:

كتبت بخطوط مختلفة في بعضها زخرفة.

إحدى اللوحات فيها «البسملة» كتبها: الخطاط حامد الآمدي.

سبع لوحات، فيها أدعية، وأبيات من الشعر. كتبها حامد الآمدي سنة ١٣٨٠ هـ.

لوحة أخرى فيها من أقوال عمر بن الخطاب، وبعض أبيات من الشعر، خطت سنة ١٣٠٨ هـ.

لوحة كتبها حسني.

لوحة أخرى كتبها حسين حسني، ت ١١٨٩ هـ.

لوحة أخرى كتبها (يوسف) معلم الخط في المكاتب العمومية بالشام.

لوحة كتبها (إسماعيل البغدادي).

اللوحات مصورة بالفتستات عن نسخ خطية في المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ ببغداد.

١٦ لوحة، أحجامها مختلفة

(٣ / خط وكتابة).

٤ ـ لوحات خط:

الخطاط: هاشم محمد الخطاط، المعروف بالبغدادي.

(ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)

آيات قرآنية

٤ لوحات: الأولى. الثانية. الثالثة. الرابعة

بخط الثلث والنسخ

(٤ / خط وكتابة)

المؤلف هو أبو راقم هاشم بن محمد بن الحاج درباس القيسى البغدادى. أبصر النور فى محلة العزة ببغداد، يوم الخميس ٢٤/ ١١/ ١٩٢١. وأخذ الخط فى صباه عن الخطاط ملا عارف الشيخلى (ت ١٩٤٢ م). والحاج محمد على الملقب «صابر» (ت ١٩٤١م). وأجازه الملا على الفضلى، والسيد إبراهيم بمصر، وحامد الآمدى فى تركية.

ثم انتقل لدراسة أصول الخط، فتمهر به وأجاد.

فى سنة ١٩٦١ أخرج كتابه الموسوم بـ «قواعد الخط العربى».

أسهب فى ترجمته، وذكر ما خطه من الروائع:

إبراهيم الدروبى: («البغداديون: أخبارهم ومجالسهم» ص ٢٧٥-٢٧٦).

الخطاط وليد الأعظمى: («مجلة المجمع العلمى العراقى» ٢٣ [بغداد ١٩٧٣] ص ٣١٠-٣١٦).

الدكتور نورى حمودى: («آفاق عربية» ٢ [بغداد - تشرين الثانى / ١٩٧٦] ع ٢ -، ص ٤٦-٥٧، بعنوان «معجزة الخط العربى هاشم محمد الخطاط»).

ثابت منير: («المورد» ٥ [بغداد ١٩٧٦] ع ٣، ص ٥١-٥٣).

(جريدة «العراق». بغداد - الأحد ٢ / ٦ / ١٩٧٩، بعنوان «نبع الخط من دار السلام، وعاد اليها على يد هاشم الخطاط»).

٥ - مقدمه فى الخط:

أولها: «البسملة... الخط تصوير اللفظ بحروف هجائية...».

آخره: «... عن يد أحقر الطلاب وأعجز الكتاب حسين المعروف بجنباز ذاد، وهو حسين بن عمر بن ده ده مصطفى ابن عمر بن مصطفى، غفر الله لهم... من تلاميذ خليل الوهبى غفر الله له ولأستاذه ولوالديه...، فى يوم ثلثة فى ٢٥ سنة ١٢٦٣.

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط - المغرب، برقم ١٦٢٤، بخط النسخ غير مشكول.

٧ ق، ١٣ س

(٥ / خط وكتابة)

٦ - نماذج خطوط مشاهير الخطاطين «فى السنوات الأخيرة»:

(١) هاشم محمد الخطاط، المعروف بـ «البغدادى».

(ت: ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م)

لوحة. تاريخها ١٣٧٨ هـ

لوحة. تاريخها ١٣٨٩ هـ

(٢) الشيخ عبد العزيز الرفاعى لوحة. تاريخها ١٣٤٣ هـ

(٣) موسى عزمى المعروف بـ «حامد» الآمدى.

١١ لوحة، تواريخ بعضها:

١٣٤٨، ١٣٧١، ١٣٦٨، ١٣٧٧ هـ

(٤) الحاج السيد حسن رضا لوحة. تاريخها ١٣٢٩ هـ

(٥) الحاج محمد نظيف. لوحة. تاريخها ١٣٠٧ هـ

(٦) محمد أمين لوحة. تاريخها ١٣٣٩ هـ

(٧) الحاج مصطفى عزت «إمام الثانى لأمير المؤمنين عبد المجيد خان». لوحة. تاريخها ١٢٦٤ هـ

(٨) حقى لوحة. تاريخها: (تحريرا فى اليوم التاسع عشر من شهر شوال المكرم. يوم الجمعة سنة ١٣٣٩ هـ).

مجموع النماذج ١٩ لوحة، مصورة بالفتستات عن الأصل المحفوظ فى خزانة المرحوم هاشم محمد، الخطاط البغدادى.

(٦ / خط وكتابة)

(٢) [كذا] عبد العزيز الرفاعى: تركى الأصل، أقام بمصر، أسس معهد تحسين الخطوط بالقاهرة. كتب مصحف فؤاد.

(٣) حامد الآمدى: يكتب اسمه فى أكثر الأحيان «حامد» وفى بعضها «حامد الآمدى». يعيش اليوم فى تركيا، وقد بلغ التسعين، وهو من تلاميذ الخطاط محمد نظيف.

(٤) الحاج السيد حسن رضا: تركى. توفى. وهو من

كتّـاب المصاحف ، ولـه مصحف طبعته وزارة الأوقـاف العراقية .

(٥) الحـاج محمـد نظيف : تـركى . تـوفى . لـه مصحف بخطه .

(٦) محمـد أمين : تـركى . لـه مصحف الأوقـاف الكبيـر بخطه . وله «دلائل الخيرات» فى الأدعية .

(٧) الحـاج مصطفى عـزت : من مشـاهيـر الخطـاطين العثمانيين . له «كراسة عزت» .

(٨) حقى : من مشاهير الخطاطين العثمانيين .

٧ـ مجموع فيه :

خصائص الخط العربى :

المؤلف : الحاج وليد الأعظمى (الخطاط) .

أولهـا : «أول مـا كتب القلم : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وأتباعهم إلى يـوم الدين . أما بعد : فهذه رسـالة شيقة منيفة ، وضعتهـا فى خصائص الخط العربى ، تتضمن الكشف عن أصول التشكيل ، وفنون التركيب والتوليـد ، وأبعاد الحروف واتجاهـاتها ، بعبارة واضحـة لطيفة بعيدة عن التعقيد ، مع نماذج توضح الكلام ... » .

آخـرها : « ... وبعـد : فقد تمت هـذه الـرسالـة المباركـة «خصـائص الخط العـربى» ، وهى مقـدمـة لكتابى (تـراجم خطاطى بغداد المعـاصرين) . واعتبرت هذه الرسـالة وقفا فى سبيل الله . . وأهديتهـا إلى مكتبة الأوقاف العامـة ببغداد ، ... وقد فرغت من كتابتها فى حـرم جامع الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت ... يوم الإثنين الثانى والعشرين من شهر ذى الحجـة الحـرام سنة ألف وثلثمـائة وإحـدى وتسعين لهجـرة المصطفى عليـه الصلاة والسلام ، المـوافق لليوم السـابع من شباط سنـة ألف وتسعمائة واثنتيـن وسبعين ميلاديـة ... ، وأنا الفقير إليه أبو خالد الحاج وليد بن الحاج عبد الكريم ابن ملا إبراهيم كاكا بن مهـدى بن صالح بن صـافى بن عزو الأعظمى العبيدى الحنفى ، ... » .

هـذه الرسـالـة تبحث فى أصـول التشكيل وفنون التـركيب والتـوليد وأبعـاد الحـروف ، مع نماذج جيـدة من فنـون الخط العربى . لم تطبع .

والمـؤلف ولد فى سنـة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ، فى محلـة الشيوخ بالأعظمية .

فى سنة ١٩٥٩ طبعت مجموعتـه الشعرية الأولى ، بعنوان «الشعاع» .

له جملة آثار فنية كتبها بالكاشانى .

لـه جملـة تـآليف ، بينهـا دواوين شعـر ، ودراسـات فى التراجم ، ونحوها .

راجع بشأنـه : («شعـراء العراق فى القـرن العشـرين» ١ / ٤١٣ ـ ٤٢٤) ، («معجم المؤلفين العراقيين ٣ / ٤٥٨) .

طبع فى بيروت ، سنة ١٩٧٧ .

المتن بخط النسخ . والنماذج متنوعة الخطوط

١ / ٨٢ ص .

(٨/ خط وكتابة)

قالت المؤلفة : عندى للمؤلف الشيخ وليد الأعظمى كتاب من جزءين بعنوان جمهرة الخطاطين البغداديين يتضمن ستين وأربعمائة ترجمة نشرته دار الشئون الثقافية العامة ببغداد طبعة أولى سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ وجاء على الغلاف أن المؤلف خطاط بالمجمع العلمى العراقى .

٨ ـ مجموعة خطوط :

كتبها

هاشم محمد الخطاط (ت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م)

حامد الآمدى

آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة

(٨) أوراق ، تضم (١٠) لـوحـات مـزخـرفـة ، وبخطـوط مختلفة .

ثمان لوحـات : كتبها هاشم الخطـاط ، خلال السنوات : ١٣٧٣ ـ ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ هـ .

لوحتان : كتبهما الخطاط حامد .

(٩ / خط وكتابة)

٩ ـ مجموعة من خطوط :

الخطاط ماجد الزهدى التركى (ت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)

مجموعها (٣٦) لوحة . كتبها فى تواريخ مختلفة ، منها : السنـوات : ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ م .

المجموعة مصورة بالفتستات. وخطوطها مختلفة.

(١٠ / خط وكتابة)

المؤلف ماجد زهدى إيرال: من مشاهير الخطاطين فى استانبول. راجع: (مجلة «سومر» ٣٢ [بغداد ١٩٧٦] ج ١ و ٢ ص ٤١٤، ٤١٦: ضمن مقال «الخط العربى فى تركية» بقلم المرحوم عباس العزاوى المحامى.

توفى باستانبول يوم ١ شوال ١٣٨١ هـ/ ٢٧ آذار ١٩٦١ م

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١/ ٢١٢ - ٢٢٠).

أما عن النظم فننقل إليك أولا أبياتا مستقلة ساقها الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط وهذه هى:

تعلم قوام الخط يا ذا التأدب
فما الخط إلا زينة المتأدب
فإن كنت ذا مال فخطك زينة
وإن كنت محتاجا فأفضل مكسب

(منسوب للإمام على رضى الله عنه)

خط حسن جمال مرء
إن كان لعالم فأحسن
كالدر مع البنات أحلى
والدر مع البنات أزين
إذا افتخر الأصناف يوما بفاخر
فنحن بإقلام وطرس نفاخر
فهن رماح الماجدين ولعبهم
كما ورثت عن كابرين الأكابر
مما نبا يتباهى الفضل والأدب
بمثلنا اليوم يزهو العجم والعرب
نحن الذين إذا اهتزت قريحتهم
تهتز من وجدها الأشعار والخطب
للمستريب وإن لسنا نجده كفى
هذي الرسائل والأوراق والكتب
ويبقى الخط فى القرطاس دهرا
وكاتبه رميم فى التراب
ولى خط وللأيام خط
وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض
وتكتبه بياضا فى سواد
كتبت فلولا أن هذا محلل
وذاك حرام قست خطك بالسحر
أرونى مرشدا فى الخط مثلى
ومن أحيا الكتابة فى البلاد
فلا فى الشرق لى ضد يضاهى
ولا فى الغرب من تبع اجتهادى
وقد أبدعت خطا لم تنله
سراة بنى الفرات ولا ابن مقله
فإن كانت خطوط الناس عينا
فخطى فى عيون الخط مقله
أنا الذى شهدت بالمعجزات له
أقلامه وحروف الخط والنقط
أخذت من كل فن من عجائبه
حتى تعجب منى الفن والنمط
زاد خطى وقل حظى فمن لى
نقل نقط من فوق خاء لطاء

(الخط العربى: تاريخه وأنواعه / ١٣٠، ١٣١).

وقد ذكر الزركلى (الأعلام ٨ / ١٧٥) فى ترجمة «ابن هبيرة» أن له أرجوزة فى علم الخط.

ولدينا نص أرجوزة بعنوان «نظم لآلى السمط، فى حسن تقويم بديع الخط» لأحمد بن محمد بن محمد بن قاسم الرفاعى الحسنى الرباطى ننقلها بتمامها لفوائدها التعليمية. والناظم فى هذه الأرجوزة يمتدح الخط الحسن، وينعى على الناس إهمالهم لهذا الفن، مما دعاه إلى نظم هذه الأرجوزة فى حسن تقويم الخط، يوجهها إلى الولدان، وإلى المؤدبين كى ينتفعوا بها. يقول الناظم:

قال الرفاعى الفقير أحمد
الله جل وتعالى أحمد

مصليا على الرسول الهادى
المصطفى سيد كل هاد
وآله صفوة خلق الله
وصحبه ذوى العلى والجاه
(وبعد) فاعلم أن حسن الخط
أجل مقتنى وخير أعطى
فكم سما إلى العلا من رامه
ونال منه العز والكرامه
وحسبه أثنى عليه الله
فى الذكر بالحكمة واجتباه
بقوله يزيد ما يشاء
فى خلقه ويوتى من يشاء
وهو ما اختص به الإنسان
كالعقل يشهد به العيان
وإننى لما رأيت الناسا
قد شربوا من الونى أكواسا
وقصرت هممهم وما اعتنا
بالخط منهم أحد وما اقتنى
وهجروا سره دون عذر
ونبذوه من وراء ظهر
وأعرضوا كل الإعراض عنه
وما رووا مما رويت منه
حتى غدا بغربنا مفقودا
وكاد لم يكن به موجودا
قمت لذا نظمت فيه أرجوزه
قريبة ألفاظها وموجزه
(سميتها) نظم لئالى السمط
فى حسن تقويم بديع الخط
قلدتها الجيد من الولدان
زيادة فى الحسن والمعانى
وللمؤدبين تاجا قد علا
رؤوسهم فخيرهم قد كملا
نظمتها على ما بى من عيب
مبتغيا بها رضاء الرب
والله أرجو أن تكون نافعه
لى ولهم وكل خير جامعه

تقويم السطور وتسويتها :

السطر فى اصطلاحهم خط وصل
ما بين نقطتين من ذاك حصل
وكونه خطا رقيقا صافيا
مستحسن ولا يكون خافيا
بحيث يرشد البنان لالتئام
وضع الحروف فى اتساق وانتظام
كسلك عقد من لئالى الدر
فى جيد لبات ذوات الخدر
فإن أضفته وصار اثنين
فاجعلهما إذا موازيين
وإن جمعت فكذاك والتزم
تساوى كلهم وعدل واحتكم

تقويم القلم وكيفية قبضه :

من قصب يكون فهو خير
من ذهب وذاك فيه سر
وانح برأسه أعالى القصبه
مصطفيا له أجل أنبه
كالرمح فى التقويم حاد الرأس
سليل صدر لا ترى من بأس
ذا فضلة من لحمه وقشرته
بذاك تعجب إذا من جريته
وسوِّفى الفرى جريدتيه
من غير ميل نحو حافتيه
وإن أردت أمنه من كسر
وقت الكتابة يمينا أجر

وبعضهم إلى اليســـــار ينحـــــرف
لحكمـــــة زائدة بهـــا عـــــرف
وقبضـــــة القلم شيء معتمـــــد
فـــاعن بهـــا فإنهـــا أمـــر أكـــد
فصفـف الأربـع مـن بنــــــانـك
منعطفـــــا بهـــــا إلى جنــــابك
واقــرن إبهــامك بـــرأس الشــاهــد
كحلقـــة واجعلـــه خيـــر راشــد
بينهمـــا معتمـــدا على الـــوسط
لكـن على رأســـه والشـــد وسط

الدواة وما يتعلق بها :

يقـــال للـــدواة نـــون والـــرقيم
كـــذاك ألفى بـــدفتـــر قـــديم
جمع دواة دوايـــــات نـــــادوا
وهـي التي يلقى بهـــا المـــداد
وإن أليقت فهي نـــــون مليقـــه
وصـــوفـــة المـــداد هي الليقـــه

تقويم الحروف القائمة :

أجل مـــا انتصب واستقـــامـــا
وخيـــر خط في اعتـــدال قـــامـــا
الألـف الحــــــائز قصب السبـق
بسجـــدة سجـــدهـــا للحق
يشهـــدنـــا بأن الله واحـــد
مـــا إن لـــه من ولـــد ووالـــد
والـــلام مثلـــه بـــلا تنـــاه
وارسم كـــذاك بـــاء بسم الله
واتبعـن في الـــوصف هـــاء واقفـــه
وهـي لأسفل اليســـار عـــاطفـــه
كـالهـــا من الحيـــاة في الـــوقف ولا
تجعل أنبـــوبـــا فحسن عمـــلا
ودون ذي الحـــروف في القيـــام بـــا
وتـــا وثـــا واليـــا ونـــون نسبـــا

والسين والشين كـــذا ولهمـــا
ثـــلاث أسنـــان لكل منهمـــا
واظهـــر السين كمـــا في الخبـــر
واتبع الشين لهـــا في الأثـــر
واستحسنـــوا التـــواء رأس الـــلام
ورأس أولى السين خـــد نظـــام

تقويم الحروف المفتوحة :

الميم دائرة تـــامـــة بـــدت
صغيـــرة على بيـــاض احتـــوت
فـــإن تكن صـــادرا بنصف دائره
وتـــرهـــا السطـــر ووسطى دائره
لكن ذي فـــوق وتحت جـــاءيـــه
والسطـــر قطـــرهـــا وحتى التـــاليـــه
ومثل ميم أول السطـــر تـــرى
واو وبـــاليمين قـــوســـه جـــرى
والفـــاء مثل الميم أيضـــا جـــاءت
لكن لهـــا ســـاق عليـــه قـــامت
قـــد وصلت بـــالسطـــر، والقـــاف الـــوسط
كـــذا وإن أخـــرت دع النقط
والســـاق منهمـــا كقـــوس ظهـــرت
من يمنـــة الـــوتـــر للسطـــر جـــرت
وهـــاء يـــائهـــا قـل دائرتين
صغـــرى بـــوسط كبـــرى متصلتين
وأيـــه الســـاحـــر كـــالمثلث
حـــدت زوايـــاه فكن ذا بعث
وهكـــذا الهـــاء من اسم الجـــلالـــه
فـــاعن بفتحهـــا تحـــز جـــلالـــه
وخـــذ من الـــدائرة العظيمـــه
ثلثهـــا لصـــاد مستقيمـــه
والضـــاد والظـــاء كـــذا والطـــاء
وذان خط لهمـــا وفـــاء

والسطر هو وتر للكل
إياك أن تحيد عن ذا الأصل
والعين إن تك بوسط الكلمه
مثلث الزوايا ليست قائمه
ساقاه بالجنب وأعلى قاعده
وصله بالسطر وصن ذا لفائده
كذاك إن تكن أخيرة ورد
تعريقها نحو اليسار فلتمد

تقويم الحروف المشقوقة :

الدال شكلها كقوس فاعلما
وقطرها إلى اليسار يمما
حتى إذا جاز محيط قوسه
ثنا بزائد لنحو عكسه
وبعضهم يجعلها كطائره
لها جناحان وصدر طائره
والذال مثلها يزيد نقطه
بوسط القوس ترى منحطه
واليا من الذى كذاك لكن
معكوسة بدون نقط كائن
وقد يرى دال كراء رفعا
رأس له ما إن تراه منعا
كدال مهد ومحمد وما
أشبهه والذى خيرا قدما
والكاف فوق السطر خط ائتلف
بلا مواز له طوله ألف
متصلا بقوس ربع الدائره
تحيط لليسرى وقيت الدائره
وابدأه من أعلاه غير قاسم
له وثغره الزهى باسم
والعين قوس ينتحى للكبرى
محيطها محدب لليسرى

طرفها الأسفل بالسطر اتصل
ومنه خط لليسار قد وصل
وذا إذا كانت فى الخط صدرا
كعين عبلى وكعين عذرا
وغين غيب وبنقطة جلا
كذلك كوكبه الأوج علا
وشطر سن حربنة للرايه
جيم بهذا حقق له درايه
والحاء والخاء كذلك الحقن
مفرقا لرأسها أو ألصقن
واختر من الوجهين أولهما
فهو الذى تجده أفضلهما

تقويم الحروف المعرقة :

الراء قوس وهى ربع دائره
رأسها بالسطر وتحت سائره
واحكم كذا للزاى واجعل نقطته
ظاهرة فوق وعدل صورته
والنون فى التعريق نصف دائره
ليس لها قرن لأعلى ظاهره
وامنع أخيرها ليلا يتصل
بالسطر واجعله قريبا منفصل
واللام والقاف كذا والياء
ما بين سطريها لها انتهاء
بحيث إن وقع تحتها ألف
لم يختلط معها وذا حكم ألف
وارفع قرين الياء كالمثلث
واعطف وعرق وعن الشيخ ابحث
والسين والشين إن كانا طرفا
كالياء فى الرفع ودع ما انعطفا
والصاد والضاد كنون مسحا
واردد عنان قلم إن جمحا

ونون إن قاربت منها أخرى
أو شبهها فتاك أم الأخرى
ولا تقاطع أو تطابق حرفا
لآخر فذاك شين يلفى
والحاء والجيم والخا إن عرقت
فثلث قوس لليسار رجعت
ومثلها عين وغين وقعا
في طرف من غير خلف فاسمعا

تقويم لام الألف :

خطان رأساهما قد تفوقا
واقتطعا من أسفل واعتنقا
واجتمعا فأعجب لقاطعين
مجتمعين متعانقين
وإن لسويت رأس كل منهما
أو واحد أحسن من تركهما

تقويم حروف التركيب :

وأحرف التركيب عند الكتبه
جيم وحا وخا كخاء الخشبه
وكمحمد وكالجنات
ما قبلها فوق السطور ياتي
متصلا بغير رفع يبدو
لرأسها فذاك فيه قيد
كذاك إن حرفان قبل سبقا
كحاء سبّح واعطف وعرقا
وبعضهم السين في السطر يضع
كالشيخ مروان والياء قد رفع
ويجري ذا في حاء مصبحين
والصلحات وكمصلحين
وحاء حمرا قد ترى سركبه
على تلك الميم رواه الكتبه
وراءها ركب وأعل الطرفا
منها وذاك حسن قد وصفا
والسلام من علي وصلي وبلي
فوق قرين الياء سره اجتلا
وحاز هذا السر بين الناس
أندلس ولم يكن بفاس
وفاء جر إن تكن مقطوعه
محمولة وقد ترى موضوعه
كفاء في الأرض وفي الجنات
(محمد) مع آله الثقات
وياء يرتضي اجعلن في السطر
وفوقها ما قبلها فلتدر

اتساق الحروف وانتظامها :

قد مثلوا الحروف بالجواهر
والسطر بالسمط وهذا ظاهر
بل للحروف عندهم أسرار
أودعها من الورى المختار
فإن كتبت فاجعل الحروف
في وسط السطر ولا تحيفا
وسو ما بين الحروف في النظام
من غير زيد يبدو أو نقص يرام
سيان ما قد كان منها متصل
بغيره أو كان عنه منفصل
وذا المسمى عندهم في الأصل
بالنظم إلا أن يكن كالفصل
وقائم الحروف سو قامته
مع أخيه واحذرن تفاوته
بحيث لو أتت عليه مسطره
مرت برأسهم غير مسفره
والزم أخي حروف ربع الدائره
ما بين سطريك اجعلنه آخره

كــذاك فـي التعـريق ميم تـاليـه
فهي من أقطـاب الحـروف العـاليـه
إن التـزمت ذا بخطك تـسـرى
سـرا وهـو معنى قصـر (مـزورا)
وقـد يـزيـد الخط حسنـا حـرف
إذا التـوى يحـار فيـه الـوصف
كطـاء سلطـان سطـا ولطفـا
خطـه واصطفى وطـاء لطفـا
وهـاء هـاد وبهـاء حسَّنـوا
التـواءهـا ومـذهبي قـد أحسنـوا
لكن في التـوائهـا تفصيـلا
فـاشـرب إذا مـا شئت سلسبيـلا
كمـا لـوى الشيخ الـوزيـر الكـاتب
كـاف هنـالك للـه كـاتب

***

والخط أنـواعـه لا تنحصـر
أفـرادهـا يقصـر عنهـا الخبـر
لكن خيـره الـذى انتمـا [انتمى] إلى
أنـدلس فسـرُّه قـد اجتـلا
واقتبسـوا من نـورهم أهل سـلا
فخطهم قـدمـا ووقتـا قـد عـلا
كـابن الفقيـه المـرتضى الجـريـرى
وكـالسـوسي ذى البهـا المنيـر
فضل هـذا مـولانـا الإمـام
عن غيـره (سليمـان) الهمـام
واشتهـرت بـه ربـاط الفتح
عنـد أنـاس منحـوا بفتح
وأرجـو ربي أن أكـون منهم
فينظمـوا جـوهـرى في سلكهم
والسـر في الشيخ لا بـد منـه
فبـه تسمـو فـابحثن عنـه

***

(وهـذه) نبـذة فيـه كـافيـه
طـالبهـا يجنى بهـا أمـانيـه
نظمتهـا غـرة (شكـر) لامعـه
مع (أربع) من السنين واقعـه
أبيـاتهـا (قـوم) قـد احتـوا على
سـر وأدركـه من تبتـلا
(وهـاهنـا) قـد تم مـا قصـدت
من صنعـة الخط كمـا أردت
وذاك مع جهلى الـذى اتسمت
بـه وفـرقتى لمن أحببت
وأسئل (الـرحمـان) جمع الشمل
بـالأهل والمنشـا وكل أمل
والختم بـالحسنى مع الـزيـاده
بجـاه (طـه) صـاحب السيـاده
صلى عليـه ربنـا وسلمـا
وآلـه مـا سح سحب وهمـا
وصحبـه ذوى العـلا ومن تـلا
فنـال من حسن الختـام أمـلا

(تاريخ الوراقة المغربية / ٢١٥ - ٢٢٠)

انظر منظومة ابن البواب في م ٧ / ٥٨٢ ، ٥٨٤

ويرتبط بمـا جاء في هذه الأرجوزة ما أورده الـدكتور عفيف البهنسي عن شروط الخط الجميل، وعن الميزان في الخط.

أما عن شروط الخط الجميل فيقول :

يضع أبو حيـان شروطا للخط الجميل فيقـول : «والكتاب يحتاج إلى سبعـة معان : الخط المجـرد بالتحقيق، والمحلى بـالتحديق، والمجمل بـالتحـويـق، والمـزين بـالتخـريق، والمحسن بالتشقيق والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق.

أمـا المجـرد بـالتحقيق فإبـانـة الحروف كلهـا، منثـورهـا ومنظـومهـا، مفصلهـا وموصلهـا، بمـداتهـا وقصـراتهـا، وتفريجـاتها وتعـويجاتها، حتى نـراها كأنهـا تبتسم عن ثغور مفلجة، أو تضحك عن رياض مدبجة.

وأما المـراد بالتحـديق، فإقامـة الحاء والخـاء والجيم وما

أشبهها على تبييض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها، سواء أكانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة.

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة.

وأما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها، كيفما وقعت أفرادا وأزواجا، بما يدل الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها.

وأما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها، مما يقع في أعجاز الكلمة مثل عن وفي، ومتى وإلى وعلى بما يكون كالمنسوج على منوال واحد.

وأما المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوى. فإن الشكل يصح ومعها يحلو، والخط في الجملة كما قيل هندسة روحانية بآلة جسمانية.

وأما المراد بالتنسيق، فتعميم الحروف كلها، مفصولها وموصولها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت في التأدية، ونفض العناية عليها بالتسوية.

وأما المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقا لا خلافا.

وأما المراد بالتدقيق، فتحديد أذناب الحروف بإرسال اليد، واعتمال سن القلم، وإدارته مرة بصدره، ومرة بسنيه، ومرة بالاتكاء ومرة بالإرخاء، بما يضيف إليهما بهجة ونورا ورونقا وشذورا.

وأما المرد بالتفريق، فحفظ الحروف مزاحمة بعضها لبعض، وملابسة أول منها الآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن، جامعا بالشكل الأحسن».

ويختم أبو حيان شروط الخط الجميل، بشرط أساسي جامع فيقول «فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتيا، وفعله مواطئا وقريحته عذبة وطينته وطئة» (أبوحيان: الرسائل / ٤٢).

وأما عن الميزان في الخط فيقول (انظر الصورة):

الخط فن بمعنى أنه يستقيم مع الإبداع وينمو بازدهار الحرية فيه، ولكننا مع ذلك إذا دققنا في الخط العربي، فإننا نرى أن ثمة مقاييس يمكن استخلاصها لتحقيق سلامة الخط. الأصل إذن أن يقوم الفنان الخطاط، وليكن ابن مقلة أو ابن البواب بإبداع هذا الخط الذى يصبح أسلوبا راسخا يعزز قاعدة، ثم يأتي تلاميذ هؤلاء لكي يطبقوا هذه الخطوط، ويكون مقياسهم في ذلك قاعدة أو مقياسا.

صحيح أن تطبيق المقياس في الخط قد يجعل منه عملا تطبيقيا، ولكن هذا التطبيق نفسه يتطلب تفوقا ومهارة، ويفسح المجال إلى إبداع جديد. فالطيبى كان تلميذا للبواب، قلد خطه بدقة، في مخطوط (جامع محاسن كتابة الكتاب) وكان في ذلك أعجوبة عصره، ثم إنه - أي الطيبى - قدم أنماطا من الخط جديدة لم يكن أستاذه قد قدمها مثل الخط اللؤلئي.

إن أول من استخلص المقياس في الخط لإحكام حسنه ولإحكام نسخه كان ابن مقلة. والألف عند الخطاطين العرب هي الحرف الذى أصبح مقياس التناسب لباقي الحروف الجميلة في جميع أنماط الخطوط، وأما أسباب اختيار الألف لكي تكون مقياسا فهي أولا شكل الألف الممتد، وقيمة هذا الحرف القدسية الذى يشير إلى معنى (الله) لأنه الحرف الذى يبتدىء به اسم الجلالة، ولأنه الحرف الذى يشابه الرقم واحد الأحد، وطول الألف مختلف عليه بين الخطاطين وهو يقاس عادة بنقاط معينة، أي بنقطة القصبة التي تكون قطتها نفس قطة الألف. والقطة ذات عرض فني، ولكن في بعض الخطوط كالطومار، وهو خط رسمي يكتب به السلطان اسمه وتوقيعه، تكون قطة القلم فيه ثابتة، وعرضها، كما يقول القلقشندي، أربعة وعشرون شعرة. أما في باقي الخطوط فإن لكل خطاط أن يقط قلمه حسب ما اعتاد عليه، وحسبما جرت العادة عليه بين أهل صنعته وحسب نوع النص الذى يريد أن يكتبه.

وهكذا فإن أسلوب الكتابة يخضع في الواقع إلى نوع القلم وعرض قطته، ففي الخط الثلث نرى أن عرض قطة القلم يعادل ثلث عرض قطة الطومار، كذلك عرض النقطة.

إن ارتفاع الألف يختلف من ثلاث نقاط إلى اثنى عشر نقطة، وعرض الألف يبقى بعرض النقطة في جميع الحالات. واختيار ارتفاع الألف في نص من النصوص يقيد الخطاط في تحديد مقاييس الألف في النص كله.

وتستعمل الألف أيضا كقطر لدائرة موهومة، نستطيع فيها أن نكتب جميع الأحرف. وهكذا فإن الخطاط عندما يرسم أحرفه، يقيسها فى الواقع بواسطة ثلاثة مقاييس؛ هى عرض الحرف، وقطة القلم، وقطر الدائرة. وهذه المقاييس الثلاثة تختار من قبله وتكون أساسا لتناسب خطه (الخط العربى / ٧٦، ٧٧، ٨٩، ٩٠).

وكما نعى شاعرنا هذا فى أرجوزته انصراف الناس عن الخط وعلومه، وإهمالهم لبدائعه وفنونه نجد الخطاط الفنان محمد حداد يعبر عن ذلك بما كتبه بخطه وأوردنا صورته مع ذلك المادة وهو قوله عن الخط: تراث فريد.. تراث تليد.. غاب عنه أبناؤه ومتلقوه، وذهب عنه عشاقه ومحبوه، تراث غارب.. تراث مهيض (الموسوعة الجامعة للخط العربى / ٢١٤).

ولا نملك بعد هذه هذه الرحلة الطويلة مع الخط العربى وتاريخه وتطوره وقواعده وخصائصه ومزاياه ومحاسنه وبدائعه وفنونه إلا أن ندعو الله أن يعيد إليه سابق عهده من الانتشار والازدهار.

ولقد حاولنا فى هذه الموسوعة أن نسجل روائع هذا الفن الإسلامى الفريد فى نوعه، وذلك بإدراج كل ما يتصل به فى موضعه من مواد الموسوعة، مع الحرص على تزويد كل مادة بالصور التى تنقل إلينا إبداع الخطاط المسلم فى التعبير عن الحرف فى أبهى حلله.

ومما يدعو إلى الغبطة أن نعلم أن جامعة سلجوق فى قونية بتركيا قد منحت شهادة الدكتوراه الفخرية فى فن الخط إلى الخطاط التركى حسين وكسوز المعروف بلقب «القنوى» تقديرا لدور فن الخط العربى (مجلة الوعى الإسلامى / ٣٩).

(الشافية فى الصرف لابن الحاجب، المطبوعة فى مجموع مهمات المتون / ٥٥١ ـ ٥٥٧، وألفية السيوطى النحوية للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٧٥ ـ ٧٧، ومقدمة ابن خلدون / ٤١٧ ـ ٤٢١، وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق لمحمد مرتضى الحسينى الزبيدى، المطبوع فى كتاب نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام هارون / ٦٤ ـ ٦٩، وتاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجانى ـ حققه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ١ ـ ٦، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ـ الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٢٧، والخط العربى: تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٥٣، ١٥٤) ومعرض دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م). ١٢، ١٣ و «الخط العربى أرقى الفنون الإسلامية» ـ د. أبو صالح أحمد الألفى مجلة الفيصل ـ العدد (٢٠٩) ذو القعدة ١٤١٤ هـ ـ إبريل ـ مايو ١٩٩٤م / ٧٧، و «الخط العربى فى العصر الحديث» ـ سيد إبراهيم الخطاط. مجلة الهلال ـ العدد الذهبى، إبريل ١٩٣٩ / ١٥٠، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠٧، وأدب الدنيا والدين للماوردى. طبعة وزارة المعارف العمومية، الطبعة ١٦ / ٤٤ ـ ٤٩، وطبعة الدار المصرية اللبنانية بتحقيق محمد فتحى أبى بكر / ٨٢ ـ ٨٩، والمسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز ـ إعداد مصطفى كسبة. هدية مجلة الأزهر رجب ١٤١٤ هـ / ٢٠٧، ٢٠٨، والعلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٢ / ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، والفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ١٢٠، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٢ / ١٧١ ـ ١٧٧، والخط العربى: أصوله، نهضته، انتشاره ـ د. عفيف البهنسى / ٧٦، ٧٧، ٨٧، ٨٩، ٩٠، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ٥٢ ـ ٥٦، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد، ١/ ٢١٢ ـ ٢٢٠، وتاريخ الوراقة المغربية ـ محمد المنونى / ٢١٥ ـ ٢٢٠، والموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد / ٢١٤، «الخط العربى تراث إسلامى أصيل» ـ محمود بيومى. الوعى الإسلامى ـ العدد ٣٤٢، السنة الحادية والثلاثون. صفر ١٤١٥ هـ ـ يوليو ـ تموز ١٩٩٤ م / ٣٦ ـ ٣٩.

انظر أيضا كيف نعلم الخط العربى ـ معروف زريق / ٢٢، ٢٣، والخط العربى وأدوات الكتابة ـ د. مجاهد توفيق الجندى، وتراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة ـ د. على الخطيب / ٣٦، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٧٩ ـ ٨٤، ومدخل إلى الآثار الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧ ـ ٣٣٢، والحضارة العربية الإسلامية ـ د. رشيد الجميلى / ٢٠٥، ٢٠٦، و «رحلة مع الخط العربى» ـ محمد عباس محب الدين. المجلة العربية. العدد (١٠) السنة الخامسة. ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ يناير ١٩٨٢ م / ١٠٢ ـ ١٠٤، ومدخل إلى علم الجمال الإسلامى ـ عبد الفتاح رواس قلعه جى. دار قتيبة. بيروت. دمشق. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م / ٨٢ ـ ٩٠، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٧٧، ٧٨، والخط العربى ـ زكى صالح / ١٦٨ ـ ١٧٧، وكشاف اصطلاحات الفنون التهانوى ١/ ٤٣٥ والعلوم والفنون عند العرب ـ د. سيد رضوان على / ١٣٤ ـ ١٣٦، والأمويون ـ العباسيون ـ الأندلسيون ـ وجدان على بن نايف / ٧٠ ـ ٧٢، ١٣٦ ـ ١٤٠، ٢٢٧ ـ ٢٣٠، وانتشار الخط العربى فى العالم

الشرقي والعالم الغربي ـ عبد الفتاح عبادة الطبعة الثانية، وموسوعة الخطوط العربية وزخارفها ـ معروف زريق، ودراسات في التراث العربي ـ د. محمد عبد القادر أحمد / ٧٥ ـ ٩٧، والمزهر في علوم اللغة وآدابها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ـ شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٣٤١ ـ ٣٥٢، و «الخط العربي بالتنوع والتأريخ ـ إعداد عبد الغني محمد عبد الله الوعي الإسلامي العدد ٣١١ ـ ذو القعدة ١٤١٠ هـ ـ يونية ١٩٩٠ م / ٩٠ ـ ٩٧، ودراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ـ د. محمود وصفي محمد / ٨٦ ـ ١٠٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٣ حيث أورد المؤلف كتابا بعنوان «أرجوزة في الخط لعون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد الوزير المتوفى سنة ستين وخمسمائة، وموضوعات في الفنون الإسلامية ـ د. محسن محمد عطية / ٨٦ ـ ٩٣، ومفاتيح العلوم للخوارزمي / ١١٨ ـ ١٢٠).

*** خط العروض (علم ـ):**

قال عنه صاحب مفتاح السعادة:

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى. إذا المعتد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ لأنهم يريدون عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركا وساكنا فيكتبون التنوين نونا ساكنة. ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ويحذفون اللام مما يدغم فيه في الحرف الذي بعده، كالرحمن، والذاهب، والضارب. ويعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء. كما في قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فيكتبونه على هذه الصورة:

ستبدي لكل أييا مما كن تجاهلن

ويأتي كبل أخبار منلم تزودي

قال في «الكشاف»: وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان، لاستقامة اللفظ وبقاء الخط. وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف.

قال عبد الله بن درستويه في كتابه «المترجم بكتاب الكتاب المتمم»: في الخط والهجاء خطان لا يقاسان، خط المصحف: لأنه سنة، وخط العروض: لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ. ويسقط عنه ما أسقطه.

واعلم: أن خط العروض وإن كان من أنواع علم الخط، لكن لما كان من فروع علم العروض أيضا أخرنا تفصيله، وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك. والمسؤول من الله تعالى الوصول إلى هذا السؤال. إنه أكرم مسؤول ومعطي كل مأمول.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٩٣، ٩٤. انظر أيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٧١٢، ٧١٣)

انظر: العروض (علم ـ).

***الخط (علوم):**

قال حاجي خليفة عند الكلام على الخط:

وأما المولى أبو الخير فأورد في الشعبة الأولى من مفتاح السعادة علوما متعلقة بكيفية الصناعة الخطية فنذكرها إجمالا في فصل.

فما ذكره أولا علم أدوات الخط من القلم وطريق تريها وأحوال الشق والقط ومن الدواة والمداد والكاغد. فأقول هذه الأمور من أحوال علم الخط فلا وجه لإفرازه ولو كان مثل ذلك علما لكان الأمر عسيرا وذكر أن ابن البواب نظم فيه قصيدة رائية بليغة استقصى فيها أدوات الكتابة ولياقوت رسالة فيه أيضا.

ومنها علم قوانين الكتابة أي كيفية نقش صور الحروف البسائط وما ذلك إلا علم الخط.

ومنها علم تحسين الحروف وهو أيضا من قبل تكثير السواد قال ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة بحسب الألف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص و شخص وغير ذلك مما يؤثر في استحسان الصور واستقباحها ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم وقوم ولهذا لايكاد يوجد خطان متماثلان من كل الوجوه. أقول ما ذكره في الاستحسان مسلم لكن تنوعه ليس بمتفرع عليه وعدم وجدان الخطين المتماثلين لا يترتب على الاستحسان بل هو أمر عادي قريب إلى الجبلي كسائر أخلاق الكاتب وشمائله وفيه سر إلهي لا يطلع عليه إلا الأفراد.

ومنها علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها بالاختصار والزيادة والتغيير وهو أيضا من هذا القبيل . ومنها علم ترتيب حروف التهجي بهذا الترتيب المعهود وإزالة التباسها بالنقط . ولابن جني والجنزي رسالة في هذا الباب . أما ترتيب الحروف فهو من أحوال علم الحروف وإعجامها من أحوال علم الخط .

ذكر النقط والإعجام في الإسلام ـ اعلم أن الصدر الأول أخذ القرآن والحديث من أفواه الرجال بالتلقين ثم لما كثر أهل الإسلام اضطروا إلى وضع النقط والإعجام فقيل إن أول من وضع النقط مرار [مرامر] والإعجام عامر وقيل الحجاج وقيل أبو الأسود الدؤلي بتلقين علي رضي الله تعالى عنه إلا أن الظاهر أنهما موضوعان مع الحروف إذ يبعد أن الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف وقد روى أن الصحابة جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط ولو لم يوجد في زمانهم لما يصح [لما صح] التجريد منه . وذكر ابن خلكان في ترجمة الحجاج أنه حكى أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف أن الناس مكثوا يقرءون في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال إن نصر بن عاصم وقيل يحيى بن يعمر قام بذلك فوضع النقط وكان مع ذلك أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام انتهى . واعلم أن النقط والإعجام في زماننا واجبان في المصحف وأما في غير المصحف فعند خوف اللبس واجبان البتة لأنهما ما وضعا إلا لإزالته وأما مع أمن اللبس فتركه [فتركهما] أولى سيما إذا كان المكتوب إليه أهلا . وقد حكى أنه عرض علي عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب فقال ما أحسنه لولا أكثر شونيزه ويقال كثرة النقط في الكتاب سوء الظن بالمكتوب إليه وقد يقع بالنقط ضرر... إلا في حروف لا يحتمل غيرها كصورة الياء والنون والقاف والفاء المفردات وفيها أيضا مخير.

ثم أورد في الشعبة الثانية علوما متعلقة بإملاء الحروف المفردة وهي أيضا كالأولى فمنها علم تركيب أشكال بسائط الحروف من حيث حسنها فكما أن للحروف حسنا حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب الشكل ومباديها أمور استحسانية ترجع إلى رعاية النسبة الطبيعية في الأشكال وله استمداد من الهندسيات وذلك الحسن نوعان حسن التشكيل في الحروف يكون بخمسة أولها التوفية ، وهي أن يوفى كل حرف من الحروف حظه من التقوس والانحناء والانبطاح ، والثاني الإتمام وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار في الطول والقصر والدقة والغلظة ، والثالث الانكباب والاستلقاء ، والرابع الإشباع ، والخامس الإرسال ، وهو أن يرسل يده بسرعة وحسن الوضع في الكلمات وهي ستة : الترصيف وهو وصل حرف إلى حرف ، والتأليف وهو جمع حرف غير متصل ، والتسطير وهو إضافة كلمة إلى كلمة ، والتفصيل وهو مواقع المدات المستحسنة ومراعاة فواصل الكلام وحسن التدبير في قطع كلمة واحدة بوقوعها في آخر السطر وفصل الكلمة التامة ووصلها بأن يكتب بعضها في آخر السطر.

(كالفصل بين المضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف والاسم والصفة والاسمين المركبين)وبعضها في أوله .

ومنها علم إملاء الخط العربي أي الأحوال العارضة لنقوش الخطوط العربية لا من حيث حسنها بل من حيث دلالتها على الألفاظ وهو أيضا من قبيل تكثير السواد .

ومنها علم خط المصحف على ما اصطلح عليه الصحابة عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ويسمى الاصطلاح السلفي أيضا وفيه العقيلة الرائية للشاطبي .

(كشف الظنون ١/ ٧١١ـ٧١٣) .

*** الخط المانوي:**

مستخرج من الفارسي والسرياني استخرجه «ماني» كما أن مذهبه مركب من المجوسية والنصرانية وحروفه زائدة على حروف العربية وهذا القلم يكتب به قدماء أهل ما وراء النهر كتب شرائعهم وللمرقونية قلم يختصون به . (كشف الظنون ١ / ٧١٠).

*** خط المصحف (علم ـ):**

قال عنه صاحب مفتاح السعادة : على ما اصطلح عليه الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين، عند كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت، رضي

الله عنه ويسمى: الاصطلاح السلفى، أيضا. وهذا العلم، وإن كان من فروع علم الخط ـ من حيث كونه باحثا عن نوع من الخط ـ لكنا نبحث عنه فى علوم تتعلق بالقرآن الكريم.

[وهى رسم المصحف]

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاد ١٥ / ٩٣).

انظر: رسم المصحف

*** الخط الهندى والسندى:**

وهو أقلام عدة يقال إن لهم نحو مائتى قلم بعضهم يكتب بالأرقام التسعة على معنى أبجد وينقطون تحته نقطتين وثلاثا.

(كشف الظنون ١/ ٧١٠).

*** الخطأ:**

قال الجرجانى:

الخطأ: هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة فى العقوبة حتى لا يؤثم الخاطىء، ولايؤاخذ بحد ولا قصاص، ولم يجعل عذرا فى حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان، ووجب به الدية كما إذا رمى شخصا ظنه صيدا أو حربيًّا، فإذا هو مسلم، أو غرضا فأصاب آدميًّا وما جرى مجراه كنائم ثم انقلب على رَجُلٍ فقتله. (التعريفات/ ١٣٣).

وقال التهانوى:

الخطأ: بفتحتين نقيض الصواب وقد يمد وقرىء بالقصر والمد قوله تعالى **﴿ومن قتل مؤمنا خطأ﴾** [النساء: ٩٢] وبالكسر الإثم قال تعالى **﴿إن قتلهم كان خطئًا كبيرا﴾** [الإسراء: ٣١] إى إثما كذا فى الصراح والمنتخب وفى المهذب الخطأ بالفتح خلاف الصواب والمفهوم من الفتح المبين شرح الأربعين أن الخطأ يطلق على ثلاثة معان: الإثم، وضد العمد، وضد الصواب قال المراد بالخطأ فى قوله عليه السلام «إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ» ضد العمد وهو أن يقصد بفعله شيئا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب خالفا لمن زعمه لأن تعمد المعصية يسمى خطأ بالمعنى الثانى وهو غير ممكن الإرادة ههنا.

ولفظة يمد ويقصر ويطلق على الذنب أيضا من خطأ وأخطأ بمعنى على ماقاله أبو عبيدة. وقال غيرة المخطىء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخاطىء من تعمد إلى غيره انتهى كلامه، ومن قال الخطأ فعل يصدر بلا قصد إليه عند مباشرة أمر مقصود سواه فقد أراد ماهو به ضد العمد ثم الخطأ بهذا المعنى يجوز المؤاخذة به لكن عفى عنه المؤاخذة تفضلا خلافا للمعتزلة فإنهم قالوا لا يؤاخذ به لأن المؤاخذة إنما هى على الجناية وهى بالقصد والجواب أن ترك التثبت منه جناية وقصد وبهذا الاعتبار جعل الأصوليون الخطأ من العوارض المكتسبة وفى الحمادية الخطأ والصواب يستعملان فى المجتهدات(كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٠١، ٤٠٢).

وقال الراغب الأصفهانى:

الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب، أحدها: أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان، يقال خطئ يخطأ خطأ وخطأة قال تعالى **﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾** [الإسراء: ٣١] وقال: **﴿وإن كنا لخاطئين﴾** [يوسف: ٩١] والثانى أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال أخطأ إخطاء فهو مخطئ، وهذا قد أصاب فى الإرادة وأخطأ فى الفعل وهذا المعنى بقوله عليه السلام: «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان». وبقوله «من اجتهد فأخطأ فله أجر» **﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبه﴾** [النساء: ٩٢] والثالث أن يريد مالا يحسن فعله ويتفق منه خلافه، فهذا مخطئ فى الإرادة ومصيب فى الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله، وهذا المعنى هو الذى أراده فى قوله:

أردت مساءتى فأجرت مسرتى
وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدرى

وجملة الأمر أن من أراد شيئا فاتفق منه غيره يقال أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب، وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لاتجمل إنه أخطأ ولهذا يقال أصاب الخطأ وأخطأ الصواب، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ، هذه اللفظة مشتركة كما ترى مترددة بين معان يجب لمن يتحرى الحقائق أن يتأملها. وقوله تعالى **﴿وأحاطت به خطيئته﴾** [البقرة: ٨١] والخطيئة والسيئة يتقاربان لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا إليه فى نفسه بل يكون القصد سببا لتولد ذلك الفعل منه كمن يرمى صيدا فأصاب إنسانا أو شرب مسكرا فجنى جناية فى سكره. والسبب سببان: سبب محظور فعله كشرب المسكر وما يتولد عنه من الخطأ غير متجاف عنه، وسبب غير محظور كرمى الصيد، قال تعالى **﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم﴾** [الأحزاب: ٥] وقال تعالى: **﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما﴾** [النساء: ١١٢] فالخطيئة ههنا هى التى لاتكون

عن قصد إلى فعله، قال تعالى ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا * مما خطيئاتهم﴾ [نوح : ٢٤، ٢٥] ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ [الشعراء : ٥١] ﴿ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ [العنكبوت ١٢] وقال تعالى : ﴿والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ [الشعراء : ٨٢] والجمع الخطيئات والخطايا وقوله تعالى : ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة : ٥٨] فهى المقصود إليها والخاطئ هو القاصد للذنب، وعلى ذلك قوله ﴿ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون﴾ [الحاقة : ٣٦، ٣٧] وقد يسمى الذنب خاطئة فى قوله تعالى : ﴿والمؤتفكات بالخاطئة﴾ [الحاقة : ٩] أى الذنب العظيم وذلك نحو قولهم شعر شاعر. فأما مالم يكن مقصودا فقد ذكر عليه السلام أنه متجاف عنه، وقوله تعالى : ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة : ٨٥]، فالمعنى ماتقدم (المفردات / ١٥١، ١٥٢).

(التعريفات للشريف الجرجانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٤، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠١، ٤٠٢، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥١، ١٥٢٢).

*** خطأ المجتهدين من المفتين والحكام :**

أفرد الإمام ابن عبد البر فى كتابه «جامع بيان العلم فضله» بابا بهذا العنوان جاءفيه يلى . قال رحمه الله :

حدثنا عبيد الله بن محمد ومحمد بن عبد الملك قالا : حدثنا عبد الله بن مسرور قال : حدثنا عبيد بن مسكين قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن سنجر قال حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا شريك عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بغير الحق وهو يعلم فذلك فى النار وقاض قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك فى النار وقاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة».

(رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه . وقد جمع طرقه الحافظ ابن حجر العسقلانى فى جزء مفرد. قال فى مختصر شرح السنة إنه لا يجوز لغير المجتهد أن يتقلد القضاء ولا يجوز للإمام توليته . قال والمجتهد من جمع خمسه علوم علم كتاب الله وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقاويل علماء السلف من إجماعهم واختلافهم، وعلم اللغة، وعلم القياس وهو طريق استنباط الحكم من الكتاب أو السنة إذا لم يجده صريحا فى نص كتاب أو سنة أو إجماع فيجب أن يعلم من علم الكتاب الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والخاص والعام والمحكم والمتشابه والكراهة والتحريم والإباحة والندب. ويعرف من السنة هذه الأشياء ويعرف منها الصحيح والضعيف والمسند والمرسل ويعرف ترتيب السنة على الكتاب وبالعكس حتى إذا وجد حديثا لا يوافق ظاهره الكتاب اهتدى إلى وجه محمله فإن السنة بيان للكتاب فلا تخالفه وإنما تجب معرفة ما ورد فيهما من أحكام الشرع دون ما عداها من القصص والأخبار والمواعظ وكذا يجب أن يعرف من علم اللغة ما أتى فى الكتاب والسنة فى أمور الأحكام دون الإحاطة بجميع لغات العرب ويعرف أقاويل الصحابة والتابعين فى الأحكام ومعظم فتاوى فقهاء الأمة حتى لا يقع حكمه مخالفا لأقوالهم فيأمن فيه خرق الإجماع . فإذا عرف كل نوع من هذه الأنواع فهو مجتهد وإذا لم يعرفها فسبيله التقليد، والله أعلم).

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قالا حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أبو بكر محمد بن أبى العوام البغدادى قال سمعت أبى يقول حدثنا خلف بن خليفة قال قال أبو هاشم الرمانى لولا حديث ابن بريدة لقلت إن القاضى إذا اجتهد فليس عليه سبيل ولكن قال ابن بريدة عن أبيه قال النبى ﷺ «القضاة ثلاثة قاض فى الجنة واثنان فى النار قاض عرف الحق فقضى به فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجهل فذلك فى النار وقاض عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار» وحدثنا عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا ابن وضاح قال حدثنا يوسف بن عدى قال حدثنا عبد الله بن بكير الغنوى عن حكيم بن جبير عن أبى بريدة قال أراد يزيد بن المهلب أن يستعمله على قضاء خراسان فقال ابن بريدة لقد حدثنى أبى عن النبى ﷺ فى القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة قاض علم الحق فقضى به فهو من أهل الجنة وقاض علم الحق فجار متعمدا فهو من أهل النار وقاض قضى بغير الحق واستحيا أن يقول لا أعلم فهو فى النار ».

حدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى قال حدثنا على بن الجعد قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أبا العالية قال قال على : القضاة ثلاثة قاضيان فى

النار وقاض في الجنة فأما اللذان في النار فرجل جار متعمدا فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار وأما الذى في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحق فهو إلى الجنة قال قتادة فقلت لأبى العالية ماذنب هذا الذى اجتهد فأخطأ قال ذنبه ألا يكون قاضيا إذا لم يعلم.

وروى المعتمر بن سليمان عن عبد الملك بن أبى جميلة أنه سمعه يحدث عن عبد الله بن موهب أن عثمان بن عفان قال لابن عمر اذهب فافت بين الناس قال أو تعافيني يأمير المؤمنين قال فما تكره من ذلك وكان أبوك يقضى قال إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان قاضيا فقضى بالعدل فبالحرا أن ينقلب منه كفافا فما أرجو بعد ذلك».

قرأت على أحمد بن عبد الله أن الحسن بن إسماعيل حدثهم بمصر قال حدثنا عبد الملك بن بحر قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا سنيد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن بسطام بن مسلم عن عامر الأحول عن الحسن بن أبى الحسن قال والله لولا ما ذكره الله من أمر هذين الرجلين يعني داود وسليمان لرأيت أن القضاة قد هلكوا فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده.

حدثني عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير وحدثني عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا المطلب بن شعيب قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا الليث بن سعد عن أبى الهادى عن محمد بن إبراهيم عن بشر بن سعيد عن أبى قيس مولى عمرو بن العاصى عن عمرو بن العاصى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول« إذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وإن حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والإمام أحمد بن حنبل. وقوله إذا حكم أى أراد الحكم لأن الحكم متأخر عن الاجتهاد. وقوله وأصاب معناه صادف ما في نفس الأمر من حكم الله. وقوله ثم أخطأ أى ظن أن الحق في جهته صادف أن الذى في نفس الأمر بخلاف ذلك والله أعلم) فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبى هريرة. ورواه الدراوردى عن يزيد بن عبد الله بن الهادى فحدثت هذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو سلمة عن أبى هريرة فجعل مكان أبى بكر بن عبد الرحمن أبا سلمة والقول قول الليث والله أعلم ذكره الشافعي وأبو المصعب وغيرهما عن الدراوردى. وروى عبد الرزاق عن معمر عن سفيان الثورى عن يحيى بن سعيد عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر».

قال البخارى لم يرو هذا الحديث عن معمر غير عبد الرزاق وأخشى أن يكون وهم فيه يعنى في إسناده قال أبو عمر اختلف الفقهاء في تأويل هذا الحديث فقال قوم لا يؤجر من أخطأ لأن الخطأ لا يؤجر أحد عليه وحسبه أن يرفع عنه المأثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة المذكور في هذا الباب وبقوله «تجاوز الله لأمتى عن خطائها ونسيانها» وبقول الله ﴿ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ [الأحزاب: ٥] ونحو هذا. وقال آخرون يؤجر في الخطأ أجرًا واحدًا على ظاهر حديث عمرو بن العاصى لأن رسول الله ﷺقد فرق بين أجر المخطىء والمصيب فدل أن المخطىء يؤجر وهذا نص ليس لأحد أن يرده.

وقال الشافعي ومن قال بقوله يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد وإنما يؤجر لإرادته الحق الذى أخطأه. قال المزنى فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطىء أحدث في الدين مالم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر في نيته لا في خطئه قال أبو عمر لم نجد لمالك في هذا الباب شيئا منصوصا إلا أن ابن وهب ذكر عنه في كتاب العلم من جامعه قال سمعت مالكا يقول: من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطىء وفي هذا دليل أن المخطىء عنده وإن اجتهد فليس بمرضى الحال والله أعلم.

وذكر إسماعيل القاضى في المبسوط قال قال محمد بن مسلمة إنما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأى فإذا أحتهد وأراد الصواب يجهد نفسه فقد أدى ما عليه أخطأ أو أصاب قال وليس أجد في رأى على حقيقته أنه الحق وإنما حقيقته الاجتهاد فإن اجتهد وأخطأ في عقوبة إنسان فمات لم يكن عليه كفارة ولا دية لأنه قد عمل بالذى أمر به قال وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة ولا ما مضى عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفا للقرآن والسنة والأمر المجمع عليه.

هذا كله قول محمد بن مسلمة على ما ذكره عنه إسماعيل القاضى وذكر عبيد الله بن عمر بن أحمد الشافعى البغدادى فى كتابه فى القياس جملا مما ذكر الشافعى رحمه الله فى كتابه فى الرسالة البغدادية وفى الرسالة المصرية وفى كتاب جماع العلم وفى كتاب اختلاف الحديث فى القياس وفى الاجتهاد وقال فى هذا من قول الشافعى دليل على ترك تخطئة المجتهدين بعضهم لبعض إذ كل واحد منهم قد أدى ما كلف باجتهاده إذا كان ممن اجتمعت فيه آلة القياس وكان ممن له أن يجتهد ويقيس قال وقد اختلف أصحابنا فى ذلك فذكر مذهب المزنى قال وقد خالفه غيره من أصحابنا قال ولا أعلم خلافا بين الحذاق من شيوخ المالكيين ونظارهم من البغداديين مثل إسماعيل بن إسحاق القاضى وابن بكير وأبى العباس الطيالسى ومن دونهم مثل شيخنا عمرو بن محمد أبى الفرج المالكى وأبى الطيب محمد بن محمد بن إسحاق بن راهويه وأبى الحسن بن المنتاب وغيرهم من الشيوخ البغداديين والمصريين المالكيين كل يحكى أن مذهب مالك رحمه الله فى اجتهاد المجتهدين والقائسين إذا اختلفوا فيما يجوز فيه التأويل من نوازل الأحكام أن الحق من ذلك عند الله واحد من أقوالهم واختلافهم إلا أن كل مجتهد إذا اجتهد كما أمر وبالغ ولم يأل وكان من أهل الصناعة ومعه آلة الاجتهاد فقد أدى ما عليه وليس عليه غير ذلك وهو مأجور على قصده الصواب وإن كان الحق عند الله من ذلك واحدا قال وهذا القول هو الذى عليه عمل أكثر أصحاب الشافعى . قال وهو المشهور من قول أبى حنيفة فيما حكاه محمد بن الحسن وأبو يوسف وفيما حكاه الحذاق من أصحابهم مثل عيسى بن أبان ومحمد بن شجاع البلخى ومن تأخر عنهم مثل أبى سعيد البرذعى ويحيى بن سعيد الجرجانى وشيخنا أبى الحسن الكرخى وأبى بكر البخارى المعروف بحد الجسم وغيرهم ممن رأينا وشاهدنا .

وحدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا الخشنى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه عن مسعود بن الحكم قال أتى عمر فى زوج وأم وإخوة لأم وإخوة لأب وأم فأعطى الزوج النصف وأعطى الأم السدس وأعطى الثلث الباقى للإخوة للأم دون بنى الأب والأم فلما كان من قابل أتى فيها فأعطى الزوج النصف والأم السدس وشرك بين بنى الأم وبنى الأب والأم فى الثلث وقال إن لم يزدهم الأب قربا لم يزدهم بعدا فقام إليه رجل فقال ياأمير المومنين شهدتك عام الأول قضيت فيها بكذا وكذا فقال عمر تلك على ما قضينا وهذه على ما قضينا .

(جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ٦٩ ـ ٧٤) .

*** الخطأ والصواب فى أمور الحرب:**

عن ذلك يقول الهرثمى فى الباب الثلاثين من كتابه :

ليعلم صاحب الحرب أن الخطأ والصواب فى أمور الحرب كل واحد منهما ، قد يكون من جهة التدبير، وقد يكون بالاتفاق (أى بالصدفة) وليعلم أن الخطأ والصواب كل واحد منهما قد يكون ظاهرا يعرفه بديهة كل ذى رأى من الناس ، وقد يكون ظاهرا يعرفه أهل المعرفة بالحرب ، وقد يكون باطنا لا يعرفه إلا المدبر له الذى هو فيه .

وليعلم أنه قد يكون على الصواب ، فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الخطأ، وأنه قد يكون على الخطأ فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الصواب ، وكذلك قد يكون عدوه .

وليعلم أن عدوه قد يكون على الصواب فلا يعرف هو ذلك من عدوه أو يشك فيه أو يظنه على الصواب ، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه .

وليعلم أنه قد يكون على الصواب الذى يرجو ولا يشك أن فيه ظفره بعدوه ويكون فيه الظفر من عدوه به ، وأنه قد يكون على الخطأ الذى يخاف أو لا يشك أن فيه الظفر من عدوه به ، فيكون فيه ظفره بعدوه وكذلك قد يكون عدوه .

وليعلم أن عدوه قد يكون على الصواب الذى يخاف هو أو لا يشك فى ظفر عدوه به . فيكون ظفره بعدوه ، وأن عدوه قد يكون على الخطأ الذى يرجو هو أو لا يشك فى ظفره بعدوه ، فيكون ظفر عدوه به ، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه . وليعلم أنه قد يعرض فى أمور الحرب وأعمالها وفيما ليس من الحرب أيضا فى شىء أعاريض كثيرة عجيبة يكون فيها الظفر وتكون الهزيمة منه أو من عدوه .

وليس على صاحب الحرب إلا الاجتهاد فى اجتناب الخطأ الذى يقع منه الذم كيف كانت عاقبته ، والتعمد للصواب الذى يقع منه الحمد كيف كانت عاقبته ، وأن يلجأ فى ذلك كله وفى جميع أموره إلى الله والتوكل عليه ، ومسألته

التوفيق والتسديد، والنصر والتأييد بمنه وقدرته.

(مختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٦٨، ٦٩).

*** الخطأ والنسيان:**

الحديث التاسع والثلاثون من الأربعين النووية وهو: ما لا إثم فيه:

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه» حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما.

المقدمة:

هذا الحديث حديث عظيم عام النفع، لقد اشتمل على فوائد وأمور مهمة فهو يحوى حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه بأنه لا إثم على ذلك.

الشرح:

شرحه الإمام النووى بقوله:

قوله ﷺ: «إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، أى تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وأما حكم النسيان والمكره عليه فغير مرفوع، فلو أتلف شيئا خطأ أو ضاعت منه الوديعة نسيانا ضمن. ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنا والقتل، فلا يباحان بالإكراه، ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه، فإنه يأثم بفعله لتقصيره، وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة جمعت مصنفا لا يحتمله هذا الكتاب ا. هـ.

أفكار الحديث:

١ ـ أن الله لا يعاقب الناسى.

٢ ـ أن الله لا يعاقب المخطىء الناسى.

٣ ـ أن الله لا يعاقب المكره.

ما يستنبط من الحديث:

١ ـ أن الله لا يؤاخذ إلا عن عمد وتصميم

٢ ـ هذا الحكم خاص للأمة المحمدية.

٣ ـ إذا ضاق الأمر اتسع.

(شرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ١٢٩، ١٣٠).

*** الخطاب:**

الخطاب بالكسر وتخفيف الطاء المهملة على ما فى المنتخب وهو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب قال فى الأحكام الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيىء لفهمه، فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، وبالمتواضع عليه عن الأقوال المهملة، وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا وبقوله لمن هو متهيىء لفهمه عن الخطاب لمن لا يفهم كالنائم والظاهر عدم اعتبار القيد الأخير، ولهذا يلام الشخص على خطابه من لا يفهم.

والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس فالخطاب إما الكلام اللفظى أو الكلام النفسى الموجه به نحو الغير للإفهام، والمتبادر من عبارة الأحكام الكلام اللفظى، والمراد بالخطاب فى تفسير الحكم هو الكلام النفسى كما سبق.

ثم الخطاب قسمان تكليفى ووضعى اعلم أنه قد جرى الخلاف فى تسمية كلام الله تعالى خطابا فى الأزل قبل وجود المخاطبين تنزيلا لما سيوجد منزلة الموجود أولا. وهو مبنى على تفسير الخطاب، فإن قلنا إنه الكلام الذى علم إنه يفهم كان خطابا وإنما اعتبر العلم ولم يقل من شأنه لفائدتين إحداهما أن المتبادر منه الإفهام بالقوة فيخرج عنه المخطاب المفهم بالفعل، وثانيتهما أن المعتبر فيه العلم بكونه مفهما فى الجملة فما لا يفهم فى الحال ولم يعلم إفهامه فى المآل لا يكون خطابا، بل إن كان مما يخاطب يكون لغوا بحسب الظاهر على ذلك التقدير، وليس المراد من صيغة يفهم معنى الحال أو الاستقبال بل مطلق الإنصاف بالإفهام الشامل لحال الكلام وما بعده.

وإن قلنا إنه الكلام الذى أفهم لم يكن خطابا، والمراد

بالإفهام هنا الإفهام الواقع بالفعل أعم من الماضى والحال ويبتنى عليه أن الكلام حكم فى الأزل أو يصير حكما فيما لا يزال هذا كله خلاصة ما فى العضدى وحاشيته للسيد الشريف والحاصل أن من قال الخطاب هو الكلام الذى يقصد به الإفهام سمى الكلام فى الأزل خطابا لأنه يقصد به الإفهام فى الجملة، ومن قال هو الكلام الذى يقصد به إفهام من هو أهل للفهم على ما هو الأصل لايسميه فى الأزل خطابا. والأكثر ممن أثبت لله تعالى الكلام النفسى من أهل السنة على أنه كان فى الأزل أمر ونهى وخبر واستخبار ونداء والأشعرية على أنه تعالى تكلم بكلام واحد وهو الخبر ويرجع الجميع إليه لينتظم له القول بالوحدة. وليس كذلك إذ مدلول اللفظ ما وضع له اللفظ لا ما يقتضى مدلوله أو يؤول إليه أو يأول به وإلا لجاز اعتباره فى الخبر أيضا فحينئذ يرتفع الوثوق عن الوعد والوعيد لاحتمال معنى آخر من البشارة والإنذار وغيرهما ومن يريد أن يأمر أو ينهى أو يخبر أو يستخبر أو ينادى يجد فى نفسه قبل التلفظ معناها ثم يعبر عنه بلفظ أو كتابة أو إشارة وذلك المعنى هو الكلام النفسى وما يعبر به هو الكلام اللفظى.

وقد يسمى الكلام الحسى ومغايرتهما بينة إذ المعبر به قد يختلف دون المعنى والفرق بين الكلام النفسى والعلم هو أن ما خاطب به مع نفسه أو مع غيره فهو كلام وإلا فهو علم. ونسبة علمه تعالى إلى جميع الأزمنة على السوية فيكون جميع الأزمنة من الأزل إلى الأبد بالقياس إليه تعالى كالحاضر فى زمان واحد فيخاطب بالكلام النفسى مع المخاطب النفسى ولا يجب فيه حضور المخاطب الحسى فيخاطب الله تعالى كل قوم بحسب زمانه وتقدمه وتأخره مثلا إذا أرسلت زيدا إلى عمرو تكتب فى مكتوبك إليه إنى أرسلت إليك زيدا مع أنه حين ماتكتبه لم يتحقق الإرسال فتلاحظ حال المخاطب وكما تقدر فى نفسك مخاطبا فتقول له تفعل الآن كذا وستفعل بعد كذا ولا شك ان هذا المضى والحضور والاستقبال إنما هو بالنسبة إلى زمان الوجود المقدر لهذا المخاطب لا بالنسبة إلى زمان المتكلم. ومن أراد أن يفهم هذا المعنى فليجرد نفسه عن الزمان يجد هذا المعنى معاينة. وهذا سر هذا الموضع والله الموفق هكذا فى كليات أبى البقاء.

ودليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب عندهم هو مفهوم الموافقة والبعض فرق بينهما.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠٣، ٤٠٤).

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد الخامس عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد السادس عشر

وأوله مادة:

الخطاب فى القرآن الكريم

أعان الله على إتمامه

تجليـــــد



دار الغد العربى



الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلوم الإسلامية

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش . العباسية
ت : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد السادس عشر

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت: ٤٨٢٤٣٢٩٠ القاهرة

للناشر



للطباعة والنشر والتوزيع

٣ شارع دانش ـ العباسية ـ عبده باشا ـ القاهرة

الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢/ ٤٨٢٤٣٢٩/ ٢٨٤٣١١٥

فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

جمهورية مصر العربية

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الخاء

*** الخطاب فى القرآن الكريم:**

النوع الثاني والأربعون من علوم القرآن عند الإمام الزركشي هو وجوه المخاطبات والخطاب فى القرآن الكريم . قال البدر الزركشي : يأتي على نحو من أربعين وجها :

الأول :

خطاب العام المراد به العموم .

كقول تعالى : ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ [المجادلة : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ [يونس : ٤٤]

وقوله تعالى : ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف : ٤٩]

وقوله تعالى : ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [الروم : ٤٠]﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة﴾ [غافر: ٦٧] ﴿الله الذى جعل لكم الأرض قرارا﴾ [غافر: ٦٤] . وهو كثير فى القرآن .

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار: ٦]

الثاني :

خطاب الخاص والمراد به الخصوص .

من قوله تعالى : ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ [التوبة : ٣٥]

﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان : ٤٩]

﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة : ٦٧]

﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا﴾ [الأحزاب : ٣٧]؛ وغير ذلك .

الثالث :

خطاب الخاص والمراد به العموم .

كقوله تعالى : ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق : ١] ، فافتتح الخطاب بالنبى صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق .

ومنه قوله تعالى : ﴿يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقال أبو بكر الصيرفي : كان ابتداء الخطاب له فلما قال في الموهوبة : ﴿خالصة لك﴾ علم أن ما قبلها له ولغيره صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ [النساء : ١٠٢] وجرى أبو يوسف على الظاهر فقال : إن صلاة الخوف من خصائص النبى ﷺ .

وأجاب الجمهور بأنه لم يذكر ﴿فيهم﴾ على أنه شرط ، بل على أنه صفة حال والأصل فى الخطاب أن يكون لمعين .

وقد يخرج على غير معين ليفيد العموم؛ كقوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات﴾ [البقرة : ٢٥]وفائدته الإيذان بأنه خليق بأن يؤمر به كل أحد ليحصل مقصوده الجميل .

وكقوله : ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ [سبأ : ٥١] ، أخرج فى صورة الخطاب لما أريد العموم ، للقصد إلى تفظيع حالهم ، وأنها تناهت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا نخص بها رؤية راء ، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿وإذارأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ [الإنسان : ٢٠] ، لم يرد به مخاطب معين، بل عبر بالخطاب ليحصل لكل أحد فيه مدخل ، مبالغة فيما قصد الله

من وصف ما فى ذلك المكان من النعيم والملك، ولبناء الكلام فى الموضعين على العموم لم يجعل لـ: «ترى» ولا لـ: «رأيت» «رأيتم» مفعولا ظاهرا ولا مقدرا ليشيع ويعم.

وأما قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم﴾ [السجدة: ١٢] فقيل إنه من هذا الباب، ومنعه قوم وقال: الخطاب للنبى ﷺ، ولو للتمنى لرسول الله ﷺ كالترجى فى: ﴿لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء: ٣١]، لأنه تجرع من عداوتهم الغصص، فجعله الله كأنه تمنى أن يراهم على تلك الحالة الفظيعة، من نكس الرؤوس صما عميا ليشمت بهم.

ويجوز أن تكون: «لو» «امتناعية»، وجوابها محذوف؛ أى لرأيت أسوأ حال يرى.

الرابع:

خطاب العام والمراد الخصوص.

وقد اختلف العلماء فى وقوع ذلك فى القرآن، فأنكره بعضهم؛ لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة، كقوله تعالى: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ [العنكبوت: ١٤]، والصحيح أنه واقع.

وكقوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران: ١٧٣] وعمومه يقتضى دخول جميع الناس فى اللفظين جميعا؛ والمراد بعضهم، لأن القائلين غير المقول لهم، والمراد بالأول نعيم بن سعيد الثقفى، والثانى أبو سفيان وأصحابه. قال الفارسى: ومما يقوى أن المراد بالناس فى قوله تعالى: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ واحد قوله: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فوقعت الإشارة بقوله: ﴿ذلكم﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به جمعا لكان «إنما الشياطين الشياطين» فهذه دلالة ظاهرة فى اللفظ وقيل بل وضع فيه «الذين» موضع «الذى».

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة: ١٣] يعنى عبد الله بن سلام.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ [الحجرات: ٤] قال الضحاك: وهو الأقرع بن حابس.

وقوله تعالى: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم﴾ [النساء: ١] و [الحج: ١] و [لقمان: ٣٣] لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

ثم التخصيص يجىء تارة فى آخر الآية، كقوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ [النساء: ٤]، فهذا عام فى البالغة والصغيرة عاقلة أو مجنونة، ثم خص فى آخرها بقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا ...﴾ [النساء: ٤] الآية، فخصها بالعاقلة البالغة، لأن من عداها عبارتها ملغاة فى العفو.

ونظيره قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنه عام فى البائنة والرجعية ثم خصها بالرجعية بقوله: ﴿وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك﴾ [البقرة: ٢٢٨]، لأن البائنة لا تراجع.

وتارة فى أولها، كقوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فإن هذا خاص فى الذى أعطاها الزوج. ثم قال بعد: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فهذا عام فيما أعطاها الزوج أو غيره إذا كان ملكا لها.

وقد يأخذ التخصيص من آية أخرى كقوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره ...﴾ [الأنفال: ١٦] الآية، فهذا عام فى المقاتل كثيرا أو قليلا، ثم قال: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون ...﴾ الآية.

ونظيره قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣]، وهذا عام فى جميع الميتات، ثم خصه بقوله: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ [المائدة: ٤]، فأباح الصيد الذى يموت فى فم الجارح المُعَلَّم.

وخصص أيضا عمومه فى آية أخرى قال: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم﴾ [المائدة: ٩٦] تقديره: «وإن كانت ميتة» فخص بهذه الآية عموم تلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم﴾ [النور: ٢٩].

ونظيره قوله: ﴿والدم﴾ [البقرة: ١٧٣] وقال فى آية أخرى: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا﴾ [الأنعام: ١٤٥] يعنى إلا الكبد والطحال؛ فهو حلال.

ثم هذه الآية خاصة فى سورة الأنعام وهى مكية، والآية

العامة فى سورة المائدة وهى مدنية، وقد تقدم الخاص على العام فى هذا الموضع، كما تقدم فى النزول آية الوضوء؛ على أنه التيمم، وهذا ماش على مذهب الشافعى فى أن العبرة بالخاص سواء تقدم أم تأخر.

ومثله قوله تعالى: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا...﴾ [النساء: ٢٠]؛ وهذا عام سواء رضيت المرأة أم لا، ثم خصها بقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه﴾ [النساء: ٤] وخصها بقوله: ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومثله قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن...﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فهذا عام فى المدخول بها وغيرها، ثم خصها فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن...﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فخص الآيسة والصغيرة والحامل؛ فالآيسة الصغيرة بالأشهر، والحامل بالوضع.

ونظيره قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم...﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية، وهذا عام فى الحامل والحائل، ثم خص بقوله: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ [الطلاق: ٤].

ونظيره قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء...﴾ [النساء: ٢٠] وهذا عام فى ذوات المحارم والأجنبيات، ثم خص بقوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم...﴾ [النساء: ٢٣]،

وقوله: ﴿الزانية والزانى﴾ [النور: ٢]، عام فى الحرائر والإماء، ثم خصه بقوله: ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ [النساء: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ [البقرة: ٢٥٤] فإن الخلة عامة، ثم خصها بقوله: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا شفاعة﴾ [البقرة: ٢٥٤] بشفاعة النبى ﷺ.

فائدة:

[فى العموم والخصوص].

قد يكون الكلامان متصلين، وقد يكون أحدهما خاصا والآخر عاما؛ وذلك نحو قولهم لمن أعطى زيدا درهما: أعط عَمْرًا، فإن لم تفعل فما أعطيت؛ يريد: إن لم تعط عمرا فأنت لم تعط زيدا أيضا، وذاك غير محسوب لك.

ذكره ابن فارس (فى الصاحبى/ ١٧٨) وخرج عليه قوله تعالى: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧] قال: فهذا خاص به، يريد هذا الأمر المحدد بلغه ﴿فإن لم تفعل﴾ ولم تبلّغ هذا ﴿فما بلغت رسالته﴾، يريد جميع ما أرسلت به.

قلت وهو وجه حسن؛ وفى الآية وجوه أُخر:

أحدها: أن المعنى أنك إن تركت منها شيئا كنت كمن لا يبلغ شيئا منها فيكون ترك البعض محبطا للباقى. قال الراغب: وكذلك أن حكم الأنبياء عليهم السلام فى تكليفاتهم أشد؛ وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يتجاوز عنهم إذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا؛ وروى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

والثانى قال الإمام فخر الدين إنه من باب قوله:

** أنا أبو النجم وشعرى شعرى**

معناه: أن شعرى قد بلغ فى المتانة والفصاحة إلى حد شيء قيل فى نظم إنه شعرى فقد انتهى مدحه إلى الغاية فيفيد تكرير المبالغة التامة فى المدح من هذا الوجه، وكذا جواب الشرط هاهنا، يعنى به أنه لا يمكن أن يوصف ترك بعض المبلَّغ تهديدا أعظم من أنه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيها على غاية التهديد والوعيد، وضعف الوجه الذى قبله بأن من أتى بالبعض وترك البعض، لو قيل إنه ترك الكل كان كذبا، ولو قيل: إن الخلل فى ترك البعض، كالخلل فى ترك الكل، فإنه أيضا محال.

وفى هذا التضعيف الذى ذكره الإمام نظر؛ لأنه إذا كان متى أتى به غير معتد به فوجوده كالعدم، كقول الشاعر:

سئلت فلم تمنع ولم تعط نائلا

فسيان لا ذم عليك ولا حمد

أى، ولم تعط ما يعد نائلا؛ وإلا يتكاذب البيت.

الثالث: أنه لتعظيم حرمة كتمان البعض جعله ككتمان الكل، كما فى قوله تعالى: ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ [المائدة: ٣٢].

الرابع: أنه وضع السبب موضع المسبب، ومعناه: إن لم

تفعل ذلك فلك مما يوجبه كتمان الوحى كله من العذاب.

ذكر هذا والذى قبله صاحب الكشاف (٢ / ٢٦٦).

تنبيه: قال الإمام أبو بكر الرازى: وفى هذه الآية دلالة على أن كل ما كان من الأحكام للناس إليه حاجة عامة أن النبى ﷺ قد بلغه الكافة، وإنما وروده ينبغى أن يكون من طريق التواتر؛ نحو الوضوء مما مست النار ونحوها، لعموم البلوى بها، فإذا لم نجد ما كان فيها بهذه المنزلة واردا من طريق التواتر، علمنا أن الخبر غير ثابت فى الأصل. انتهى.

وهذه الدلالة ممنوعة، لأن التبليغ مطلق غير مقيد بصورة التواتر فيما تعم به البلوى، فلا تثبت زيادة ذلك إلا بدليل. ومن المعلوم أن الله سبحانه لم يكلف رسوله ﷺ إشاعة شىء إلى جمع يتحصل بهم القطع غير القرآن لأن المعجز الأكبر، وطريق معرفته القطع، فأما باقى الأحكام فقد كان النبى ﷺ يرسل بها إلى الآحاد والقبائل، وهى مشتملة على ما تعم به البلوى قطعا.

الخامس:

خطاب الجنس.

نحو ﴿يأيها الناس﴾، فإن المراد جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب، وهذا يغلب فى الخطاب أهل مكة، ورجح الأصوليون دخول النبى ﷺ فى الخطاب بـ «يأيها الناس». وفى القرآن سورتان، أولهما ﴿يأيها الناس﴾، إحداهما فى النصف الأول، وهى السورة الرابعة منه، وهى سورة النساء، والثانية فى النصف الثانى منه، وهى سورة الحج. والأولى تشتمل على شرح المبدأ، والثانية تشتمل على شرح المعاد، فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه فى البلاغة!

قال الراغب: «و الناس» قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم «الناس» تجوزا، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية، وهو وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة به، فإن كل شىء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه، كاليد، فإنها إذا عدمت فعلها الخاص بها، فإطلاق اليد عليها كإطلاقه على يد السرير، ومثله بقوله تعالى: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة: ١٣] أى، كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية، ولم يقصد بالإنسان عينا وحدا، بل قصد المعنى، وكذلك قوله: ﴿أم يحسدون الناس﴾ [النساء: ٥٤] أى من وجد فيهم معنى الإنسانية، أى إنسان كان».

قال: «وربما قصد به النوع من حيث هو، كقوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾» [البقرة: ٢٥١] (المفردات فى غريب القرآن / ٥٢٩).

السادس:

خطاب النوع.

نحو: ﴿يابنى إسرائيل﴾ [البقرة: ٤٠] والمراد «بنو يعقوب»، وإنما صرح به للطيفة سبقت فى النوع السادس وهو علم المبهمات (الجزء الأول من البرهان/ ١٥٥).

السابع:

خطاب العين.

نحو ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿يانوح اهبط بسلام﴾ [هود: ٤٨].

﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات: ١٠٥].

﴿ياموسى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿ياعيسى﴾ [آل عمران: ٥٥]

ولم يقع فى القرآن النداء بـ «يا محمد» بل بـ «يأيها النبى»، و «يأيها الرسول» تعظيما له وتبجيلا، وتخصيصا بذلك عن سواه.

الثامن:

خطاب المدح.

نحو: ﴿يأيها الذين آمنوا﴾، وهذا وقع خطابا لأهل المدينة الذين آمنوا، تمييزا لهم عن أهل مكة، وقد سبق أن كل آية فيها: ﴿يأيها الناس﴾ لأهل مكة، وحكمة ذلك أنه يأتى بعد ﴿يأيها الناس﴾ الأمر بأصل الإيمان، ويأتى بعد ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ الأمر بتفاصيل الشريعة، وإن جاء بعدها الأمر بالإيمان كان من قبيل الأمر بالاستصحاب.

وقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون﴾ [النور: ٣١]، قيل: يرد الخطاب بذلك باعتبار الظاهر عند المخاطب؛ وهم المنافقون، فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان، كما قال سبحانه: ﴿قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١]

وقد جوز الزمخشرى (الكشاف ٢ / ٤٤٢) فى تفسير سورة المجادلة فى قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾ [المجادلة: ١٢] أن يكون خطابا للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم، وأن يكون للمؤمنين.

ومن هذا النوع الخطاب بـ «يأيها النبى» «يأيها الرسول» ولهذا تجد الخطاب بالنبى فى محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه، كقوله فى مقام الأمر بالتشريع العام: ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]، وفى مقام الخاص: ﴿يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك﴾ [التحريم: ١]، ومثله: ﴿إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وتأمل قوله تعالى: ﴿لاتقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١] فى مقام الاقتداء بالكتاب والسنة، ثم قال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ [الحجرات: ٢] فكأنه جمع له المقامين معنى النبوة والرسالة؛ تعديدا للنعم فى الحالين.

وقريب منه فى المضاف إلى الخاص: ﴿يا نساء النبى لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب: ٣٢]ولم يقل: «يانساء الرسول» لما قصد اختصاصهن عن بقية الأمة.

وقد يعبر بالنبى فى مقام التشريع العام، لكن مع قرينة إرادة التعميم، كقوله تعالى: ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١]، ولم يقل: «طلقت».

التاسع:

خطاب الذم.

نحو: ﴿يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] ﴿قل يأيها الكافرون﴾ [الكافرون: ١]

ولتضمنه الإهانة لم يقع فى القرآن فى غير هذين الموضعين.

وكثر الخطاب بـ «يأيها الذين آمنوا» على المواجهة، وفى جانب الكفار على الغيبة، إعراضا عنهم، كقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ [الأنفال: ٣٨]، ثم قال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [الأنفال: ٣٩]، فواجه بالخطاب المؤمنين، وأعرض بالخطاب عن الكافرين؛ ولهذا كان ﷺ إذا عتب على قوم قال: «ما بال رجال يفعلون كذا!» فكنى عنهم تكرما، وعبر عنهم بلفظ الغيبة إعراضا.

العاشر:

خطاب الكرامة.

نحو: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [الأعراف: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿أدخلوها بسلام آمنين﴾ [الحجر: ٤٦]

الحادى عشر:

خطاب الإهانة

نحو قوله تعالى لإبليس: ﴿فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ [الإسراء: ٦٤].

قالوا: ليس هذا إباحة لإبليس، وإنما معناه أن ما يكون منك لا يضر عبادى، كقوله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ [الإسراء: ٦٥].

الثانى عشر:

خطاب التهكم.

وهو الاستهزاء بالمخاطب، مأخوذ من «تهكمت البئر» إذا تهدمت؛ كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٥٠]، وهو خطاب لأبى جهل؛ لأنه قال: «ما بين جبليها ـ يعنى مكة ـ أعز ولا أكرم».

(الخبر كما فى تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٦: «لقى رسول الله ﷺ أبا جهل، لعنه الله فقال: «إن الله تعالى أمرنى أن أقول لك: أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى!»، فنزع ثوبه من يده وقال: ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء، ولقد علمت أنى أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله بكلمته وأنزل: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾).

وقال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة: ٣٤]، وجعل العذاب مبشَّرا به.

وقوله: ﴿هذا نُزُلُهُم يوم الدين﴾ [الواقعة: ٥٦]

وقوله: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم﴾ [الواقعة: ٩٢ ـ ٩٤]، والنزل لغة: هو الذى يقدم للنازل تكرمة له قبل حضور الضيافة.

وقوله تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد: ١٠، ١١] على تفسير «المعقبات» بالحرس حول السلطان، يحفظونه ـ على زعمه ـ من أمر الله، وهو تهكم، فإنه لا يحفظه من أمر الله شيء إذا جاءه.

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إليها﴾ [الأحزاب: ١٨]، وهو تعالى يعلمهم حقيقتهم، و ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ [هود: ٥]، لا تخفى عليه خافية!

وقوله تعالى: ﴿وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

ذلك لأن الظل من شأنه الاسترواح واللطافة، فنفى هنا، وذلك أنهم لا يستأهلون الظل الكريم.

الثالث عشر:

خطاب الجمع بلفظ الواحد.

كقوله تعالى: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح﴾ [الانشقاق: ٦]

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار: ٦]

والمراد الجميع بدليل قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا﴾ [العصر: ٢، ٣]

وكان الحجاج يقول فى خطبته: «يأيها الإنسان، وكلكم ذلك الإنسان».

وكثيرا ما يجيء ذلك فى الخبر، كقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء ضيفى﴾ [الحجر: ٦٨]، ولم يقل: «ضيوفى»، لأنه مصدر.

وقوله تعالى: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ [المنافقون: ٤] ولم يقل الأعداء.

وقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء: ٦٩] أى رفقاء.

وقوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٧].

وفى الوصف كقوله تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ [المائدة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤]

وقوله تعالى: ﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا﴾ [يوسف: ٨٠]، وجمعه أنجية، من المناجاة.

وقوله تعالى: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ [النور: ٣١]، فأوقع الطفل جنسا.

قال ابن جنى: وهذا باب يغلب عليه الاسم لا الصفة، نحو الشاة والبعير والإنسان والملك، قال تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ [الحاقة: ١٧] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ [العصر: ٢]. ومن مجيئه فى الصفة قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ [الفرقان: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ [الرعد: ٤٢].

وقال: وكل واحدة من هذه الصفات لا توقع هذا الموقع إلا بعد أن تجرى مجرى الاسم الصريح.

الرابع عشر:

خطاب الواحد بلفظ الجمع.

كقوله تعالى: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ [المؤمنون: ٥١] إلى قوله: ﴿فذرهم فى غمرتهم حتى حين﴾ [المؤمنون: ٥٤] فهذا خطاب النبى ﷺ وحده، إذ لا نبى معه قبله ولا بعده.

وقوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦]، خاطب به النبى ﷺ، بدليل قوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ...﴾ [النحل: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ...﴾ [النور: ٢٢]؛ خاطب بذلك أبا بكر الصديق لما حرم مسطحا رِفده حين تكلم فى حديث الإفك.

وقوله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا﴾ [هود: ١٤]، والمخاطب النبى ﷺ أيضا، لقوله تعالى: ﴿قل فأتوا﴾ [هود: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ [الشعراء: ٢١].

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿قال رب ارجعون﴾ [المؤمنون : ٩٩] أى «ارجعنى»؛ وإنما خاطب الواحد المعظم بذلك؛ لأنه يقول: نحن فعلنا، فعلى هذا الابتداء خوطبوا بما فى الجواب. وقيل: ﴿رب﴾ استغاثة، و ﴿ارجعون﴾ خطاب للملائكة، فيكون إلفاتا أو جمعا لتكرار القول؛ كما قال: «قفا نبك».

(من قول امرئ القيس فى أول معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وقال السهيلى : هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب، فاختلط ولا يدرى ما يقول من الشطط، وقد اعتاد أمرا يقوله فى الحياة، من رد الأمر إلى المخلوقين.

ومنه قوله تعالى : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ...﴾ [الزخرف : ٣٢] وهذا مما لا تشريك فيه.

وقال المبرد فى «الكامل» : لا ينبغى أن يستعمل ضمير الجمع فى واحد من المخلوقين على حكم الاستلزام، لأن ذلك كبر وهو، مختص به سبحانه.

ومن هذا ما حكاه الحريرى فى شرح «الملحة» (ملحة الإعراب للحريرى ط بولاق / ١٣)عن بعضهم أنه منع من إطلاق لفظة «نحن» على غير الله تعالى من المخلوقين، لما فيها من التعظيم، وهو غريب. وحكى بعضهم خلافا فى نون الجمع الواردة فى كلامه سبحانه وتعالى، فقيل: جاءت للعظمة يوصف بها سبحانه، وليس لمخلوق أن ينازعه فيها؛ فعلى هذا القول يكره للملوك استعمالها فى قولهم: «نحن نفعل كذا».
وقيل فى علتها: إنها لما كانت تصاريف أقضيته تجرى على أيدى خلقه تنزلت أفعالهم منزلة فعله، فلذلك ورد الكلام مورد الجمع، فعلى هذا القول يجوز مباشرة النون لكل من لا يباشر العمل بنفسه.

فأما قول العالم: «نحن نبين» و «نحن نشرح» فمسموح له فيه؛ لأنه يخبر بنون الجمع عن نفسه وأهل مقالته.

وقوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والمراد الإنس؛ لأن الرسل لا تكون إلا من بنى آدم. وحكى بعضهم فيه الإجماع، لكن عن الضحاك (الضحاك بن مخلد، ويكنى أبا عاصم النبيل) أن من الجن رسولا اسمه يوسف، لقوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤] واحتج الجمهور بقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾[الأنعام: ٩] ليحصل الاستئناس، وذلك مفقود فى الجن، وبقوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا ...﴾ [آل عمران: ٣٣]، وأجمعوا أن المراد بالاصطفاء النبوة.

وأجيب عن تمسك الضحاك بالآية بأن البعضية صادقة بكون الرسل من بنى آدم، ولا يلزم إثبات رسل من الجن بطريق إثبات نفر من الجن، يستمعون القرآن من رسل الإنس، ويبلغونه إلى قومهم، وينذرونهم، ويصدق على أولئك النفر ـ من حيث إنهم رسل ـ الرسل. وقد سمى الله رسل عيسى بذلك حيث قال: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ [يس: ١٤].

وفى تفسير القرآن لقوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الحورى قال قوم من الجن رسل، للآية.

وقال الأكثرون: الرسل من الإنس، ويجىء من الجن، كقوله فى قصة بلقيس: ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ [النمل: ٣٥]، والمراد به واحد، بدليل قوله تعالى: ﴿ارجع إليهم﴾ [النمل: ٣٧]. وفيه نظر، من جهة أنه يحتمل أن يكون الخطاب لرئيسهم؛ فإن العادة جارية لاسيما من الملوك ألا يرسلوا واحدا وقرأ ابن مسعود: «ارجعوا إليهم»، أراد الرسول ومن معه.

وقوله تعالى: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ [النور: ٢٦]ـ يعنى عائشة وصفوان (انظر تفسير القرطبى ١٢/ ٢١١).

وقوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء : ١٠٥] والمراد بالمرسلين نوح، كقولك: فلان يركب الدواب ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد. قاله الزمخشرى (الكشاف ٢ / ١٢٧).

وقوله تعالى: ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ [التوبة : ٦٦] قال قتادة: هذا رجل كان لا يمالئهم على ما كانوا يقولون فى النبى ﷺ، فسماه الله سبحانه طائفة. وقال البخارى: ويسمى الرجل طائفة.

وقوله تعالى: ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾ [إبراهيم: ٣١]

والمراد «خلة»، بدليل الآية الأخرى، [البقرة: ٢٥٤] والموجب للجمع مناسبة رءوس الآى.

فائدة

وأما قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان: ٧٤] فجوز الفارسى (هو أبو على الفارسى صاحب كتاب الحجة فى القراءات فيه تقديرين).

أحدهما: أن «إمام» هنا جمع، لأنه المفعول الثانى لجعل، والمفعول الأول جمع، والثانى هو الأول، فوجب أن يكون جمعا، وواحده «آم» لأنه قد سمع هذا فى واحده، قال تعالى: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ [المائدة: ٢] فهذا جمع «آم» مسلَّما وقياسه على حد قيام وقائم، فأما أئمة فجمع «إمام» الذى هو مقدر، على حد عنان وأعنة، وسنان وأسنة، . والأصل أيمة، فقلبت الفاء.

والثانى: أنه جمع لإمام، لأن المعنى «أئمة» فيكون «إمام» على هذا واحدا، وجمعه أئمة وإمام.

وقال ابن الضائع (أحد أئمة العربية بالإندلس وشارح كتاب سيبويه ت ٦٨٠ هـ): قيدت عن شيخنا الشلوبين (إمام العربية فى عصرة. ت ٦٤٥ هـ) فيه احتمالين غير هذين: أن يكون مصدرا كالإمام، وأن يكون من الصفات المجراة مجرى المصادر فى ترك التثنية والجمع كحسب. ويحتمل أن يكون محمولا على المعنى، كقولهم: دخلنا على الأمير وكسانا حلة؛ والمراد: كل واحد منا حلة، وكذلك هو «واجعل كل واحد منا إماما».

الخامس عشر:

خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين.

كقوله تعالى: ﴿ألقيا فى جهنم﴾ [قٓ: ٢٤]، والمراد: مالك، خازن النار.

وقال الفراء: الخطاب لخزنة النار والزبانية؛ وأصل ذلك أن الرفقة أدنى ما تكون من ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه. ويجوز أن يكون الخطاب للملكين الموكلين، من قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [قٓ: ٢١].

وقال أبو عثمان (المازنى شيخ نحاة البصرة وصاحب كتاب المصنف): لما ثنى الضمير استغنى عن أن يقول: ألق ألق، يشير إلى إرادة التأكيد اللفظى.

وجعل المهدوى (المقرىء النحوى المفسر ت ٤٤٠ هـ) منه قوله تعالى: ﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾ [يونس: ٨٩] قال: الخطاب لموسى وحده لأنه الداعى، وقيل: لهما ـ وكان هارون قد أمَّن على دعائه، والمؤمِّن أحد الداعيين.

السادس عشر:

خطاب الاثنين بلفظ الواحد

كقوله تعالى: ﴿فمن ربكما ياموسى﴾ [طه: ٤٩]، أى «وياهارون»، وفيه وجهان: أحدهما: أنه أفرد موسى عليه السلام بالنداء بمعنى التخصيص والتوقف؛ إذ كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات. ذكره ابن عطية.

والثانى: لما كان هارون أفصح لسانا منه على ما نطق به القرآن ثبت عن جواب الخصم الألد. ذكره صاحب الكشاف (٢/ ٢٦) وانظر إلى الفرق بين الجوابين.

ومثله: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [طه: ١٦]، قال ابن عطية: إنما أفرده بالشقاء من حيث كان المخاطب أولا والمقصود فى الكلام. وقيل بل ذلك لأن الله جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى حيز الرجال، ويحتمل الإغضاء عن ذكر المرأة، ولهذا قيل: من الكرم ستر الحرم.

وقوله: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦].

ونحوه وصف الاثنين بالجمع قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] وقال: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾ [الحج: ١٩]، ولم يقل: «اختصما».

وقال: ﴿فتاب عليه﴾ [البقرة: ٣٧]، ولم يقل: «عليهما» اكتفاء بالخبر عن أحدهما بالدلالة عليه.

السابع عشر:

خطاب الجمع بعد الواحد.

كقوله تعالى: ﴿وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا...﴾ [يونس: ٦١]، فجمع ثالثها، والخطاب للنبى ﷺ. قال ابن الأنبارى: إنما جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبى ﷺ وحده، وإنما جمع تفخيما له وتعظيما، كما فى قوله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ [البقرة: ٧٥].

وكذلك قوله : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ فثنى فى الأول، ثم جمع، ثم أفرد، لأنه خوطب أولا موسى وهارون، لأنهما المتبوعان، ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ؛ لأنه واجب عليهم، ثم خص موسى بالبشارة تعظيما له.

الثامن عشر:

خطاب عين والمراد غيره.

كقوله تعالى: ﴿يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب: ١]، الخطاب له والمراد المؤمنون؛ لأنه ﷺ كان تقيا، وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين! والدليل على ذلك قوله فى سياق الآية : ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [الأحزاب: ٢].

وقوله تعالى : ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ [يونس: ٩٤]، بدليل قوله تعالى فى صدر الآية بعدها : ﴿قل يأيها الناس إن كنتم فى شك من دينى﴾ [يونس: ١٠٤]

ومنهم من أجراه على حقيقته وأوله، قال أبو عمر الزاهد فى «الياقوتة» : سمعت الإمامين ثعلب والمبرد يقولان : معنى ﴿فإن كنت فى شك﴾ أى قل يامحمد: إن كنت فى شك من القرآن فاسأل من أسلم من اليهود؛ إنهم أعلم به من أجل أنهم أصحاب كتاب.

وقوله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة: ٤٣] قال ابن فورك: معناه وسع الله عنك! على وجه الدعاء، و ﴿لم أذنت لهم﴾ تغليظ على المنافقين وهو فى الحقيقة عتاب راجع إليهم؛ وإن كان فى الظاهر للنبى ﷺ، كقوله: ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾.

وقوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾ [عبس: ١]، قيل إنه أمية (أمية بن خلف)؛ وهو الذى تولى دون النبى ﷺ، ألا ترى أنه لم يقل: «عبست»!

وقوله تعالى: ﴿ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ [البقرة: ١٤٥]

وبهذا يزول الإشكال المشهور فى أنه: كيف يصح خطابه ﷺ مع ثبوت عصمته عن ذلك كله؟ ويجاب أيضا بأن ذلك على سبيل الفرض، والمحال يصح فرضه لغرض.

والتحقيق أن هذا ونحوه من باب خطاب العام من غير قصد شخص معين؛ والمعنى اتفاق جميع الشرائع على ذلك. ويستراح حينئذ من إيراد هذا السؤال من أصله.

وعكس هذا أن يكون المراد عاما، والمراد الرسول قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ...﴾ [الأنبياء: ١٠] بدليل قوله فى سياقها: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩].

وأما قوله فى سورة الأنعام: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ [الأنعام: ٣٥] فليس من هذا الباب.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون التقدير: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ فى ألا تعلم أن الله لو شاء لجمعهم. ويحتمل أن يهتم بوجود كفرهم الذى قدره الله وأراده.

ثم قال: ويظهر تباين ما بين قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ [وبين قوله عز وجل لنوح عليه السلام: ﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: ٤٦]، وقد تقرر أن محمدا ﷺ أفضل الأنبياء.

وقال مكى والمهدوى: الخطاب بقوله: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ للنبى ﷺ، والمراد أمته، وهذا ضعيف ولا يقتضيه اللفظ.

وقال قوم: وقر نوح عليه السلام لسنه وشيبه.

وقال قوم: جاء الحمل على النبى ﷺ لقربه من الله ومكانته، كما يحمل العاتب على قريبه أكثر من حمله على الأجانب.

قال: والوجه القوى عندى فى الآية هو أن ذلك لم يجىء بحسب النبيين، وإنما جاء بحسب الأمر من الله، ووقع النبى عنهما والعقاب فيهما.

التاسع عشر

خطاب الاعتبار

كقوله تعالى حاكيا عن صالح لما هلك قومه: ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن

لا تحبون الناصحين﴾ [الأعراف: ٧٩]، خاطبهم بعد هلاكهم؛ إما لأنهم يسمعون ذلك كما فعل النبى ﷺ بأهل بدر وقال: «والله ما أنتم بأسمع منهم»، وإما للاعتبار كقوله تعاله: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ [الأنعام: ٩٩].

العشرون:

خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره

كقوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾[هود: ١٤]، الخطاب للنبى ﷺ، ثم قال للكفار: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾، بديل قوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ [هود: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ [النساء: ٣].

قاله ابن خالويه: فى كتاب «المبتدأ».

الحادى والعشرون:

خطاب التلوين.

وسماه الثعلبى المتلون (الثعلبى المقرىء صاحب التفسير الكبير، والعرائس) كقوله تعالى: ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١].

﴿فمن ربكما ياموسى﴾ [طه: ٤٩] ويسميه أهل المعانى الالتفات(انظره فى هذه الموسوعة فى م ٥/ ٥٩٤ـ ٦٠٠).

الثانى والعشرون:

خطاب الجمادات خطاب من يعقل

كقوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾[فصلت: ١١]. تقديره «طائعة».

وقيل: لما كانت ممن يقول، وهى حالة عقل، جرى الضمير فى ﴿طائعين﴾ عليه، كقولهم: ﴿رأيتهم لى ساجدين﴾ [يوسف: ٤].

وقد اختلف ـ أن هذه المقالة حقيقة، بأن جعل لها حياة وإدراكا يقتضى نطقها، أو مجازا، بمعنى ظهر فيها من اختيار الطاعة والخضوع بمنزلة هذا القول ـ على قولين:

قال ابن عطية: والأول أحسن، لأنه لا شىء يدفعه، والعبرة فيه أتم، والقدرة فيه أظهر.

ومنه قوله تعالى: ﴿يا جبال أوبى معه﴾ [سبأ: ١٠]، فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر.

الثالث والعشرون:

خطاب التهييج

كقوله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣]، ولا يدل على أن من لم يتوكل ينتفى عنهم الإيمان، بل حث لهم على التوكل.

وقوله تعالى: ﴿فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ [التوبة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فإنه سبحانه وصفهم بالإيمان عند الخطاب ثم قال: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، فقصد حثهم على ترك الربا، وأن المؤمنين حقهم أن يفعلوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ [الأنفال: ١]

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[يونس: ٨٤]

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ [الأنفال: ٤١].

وهذا أحسن من قول من قال: «إن» هاهنا بمعنى: «إذ».

الرابع والعشرون:

خطاب الإغضاب.

كقوله تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ [الكهف: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله﴾ [النساء: ٨٩].

الخامس والعشرون:

خطاب التشجيع والتحريض.

وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة، كقوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم

بنيان مرصوص﴾ [الصف : ٤]، وكفى بِحَثِّ الله سبحانه تشجيعا على منازلة الأقران، ومباشرة الطعان!

وقوله تعالى : ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ [آل عمران : ١٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ [الأنفال : ١٦] وكيف لا يكون للقوم صبر والملك الحق جل جلاله قد وعدهم بالمدد الكريم فقال : ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [آل عمران : ١٢٦] وقوله تعالى : ﴿فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء : ١٠٤].

وقد جاء فى مقابلة هذا القسم ما يراد منه الأخذ بالحزم والتأنى بالحرب والاستظهار عليها بالعدة، كقوله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة : ١٩٥]، وقوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال : ٦٠].

ونحو ذلك فى الترغيب والترهيب ماجاء فى قصص الأشقياء تحذيرا لما نزل من العذاب، وإخبارا للسعداء فيما صاروا إليه من الثواب.

السادس والعشرون :

خطاب التنفير.

كقوله تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات : ١٢] فقد جمعت هذه الآية أوصافا وتصويرا لما يناله المغتاب من عرض من يغتابه على أفظع وجه؛ وفى ذلك محاسن كالاستفهام الذى معناه التقريع والتوبيخ، وجعل ما هو الغاية فى الكراهة موصولا بالمحبة، وإسناد الفعل إلى ﴿أحدكم﴾. وفيه إشعار بأن أحدا لا يحب ذلك، ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله «أخا»، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله «ميتا» وهذه مبالغات عظيمة، ومنها أن المغتاب غائب وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت.

السابع والعشرون :

خطاب التحنن والاستعطاف.

كقوله تعالى : ﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر : ٥٣].

الثامن والعشرون :

خطاب التحبيب.

نحو : ﴿ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر﴾ [مريم : ٤٢].

﴿يابنى إنها إن تك مثقال حبة﴾ [لقمان : ١١٦].

﴿يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى﴾ [طه : ٩٤].

ومنه قوله ﷺ : «ياعباس ياعم رسول الله».

التاسع والعشرون :

خطاب التعجيز.

نحو : ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة : ٢٣].

﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ [الطور : ٣٤].

﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ [هود : ١٣].

﴿فادرءوا عن أنفسكم الموت﴾ [آل عمران : ١٦٨].

وجعل منه بعضهم : ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا﴾ [الإسراء : ٥٠]، ورده ابن عطية بأن التعجيز يكون حيث يقتضى بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب؛ وإنما معنى الآية : كونوا بالتوهم والتقدير كذا.

الثلاثون :

التحسير والتلهف.

كقوله تعالى : ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ [آل عمران : ١١٩].

الحادى والثلاثون :

التكذيب.

نحو قوله تعالى : ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران : ٩٣] ﴿قال هلم شهداءكم الذين يشهدون﴾ [الأنعام : ١٥٠].

الثانى والثلاثون :

خطاب التشريف.

وهو كل ما فى القرآن العزيز مخاطبه بقل، كالقلاقل (هى السور الثلاث الأخيرة من القرآن : الإخلاص، والمعوذتان، وهى التى تبدأ بـ «قُلْ») وكقوله : ﴿قل آمنا﴾ [آل عمران : ٨٤]، وهو تشريف منه سبحانه لهذه الأمة؛ بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة؛ إذ ليس من الفصيح أن يقول

الرسول للمرسل إليه: قال لى المرسل: «قل كذا وكذا»؛ ولأنه لا يمكن إسقاطها؛ فدل على أن المراد بقاؤها، ولا بد لها من فائدة، فتكون أمرا من المتكلِّم للمتكلَّم بما يتكلم به أمره شفاها بلا واسطة؛ كقولك لمن تخاطبه: افعل كذا.

الثالث والثلاثون:

خطاب المعدوم.

ويصح ذلك تبعا لموجود، كقوله تعالى: ﴿**يابنى آدم**﴾ [الأعراف: ٢٦]، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان، ولكل من بعدهم، وهو على نحو مايجرى من الوصايا فى خطاب الإنسان لولده وولد ولده ما تناسلوا بتقوى الله وإتيان طاعته.

قال الرمانى فى تفسيره: وإنما جاز خطاب المعدوم لأن الخطاب يكون بالإرادة للمخاطب دون غيره، وأما قوله تعالى: ﴿**كن فيكون**﴾ [النحل: ٤٠] فعند الأشاعرة أن وجود العالم حصل بخطاب «كن».

وقالت: الحنفية: التكوين أزلى قائم بذات البارى سبحانه، وهو تكوين لكل جزء من أجزاء العالم عند وجوده، لا أنه يوجد عند «كاف ونون».

وذهب فخر الإسلام شمس الأئمة (هو الإمام السرخسى صاحب كتاب المبسوط) منهم إلى أن خطاب «كن» موجود عند إيجاد كل شيء، فالحاصل عندهم فى إيجاد الشيء شيئان: الإيجاد وخطاب «كن».

واحتج الأشاعرة بظاهر قوله تعالى: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ [النحل: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ [يسٓ: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿**بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**﴾ [البقرة: ١١٧] ولو حصل وجود العالم بالتكوين لم يكن فى خطاب «كن» فائدة عند الإيجاد.

وأجاب الحنفية بأنا نقول لموجبها ولا تستقل بالفائدة؛ كالمتشابه، فيقول بوجود خطاب «كن» عند الإيجاد فى غير تشبيه ولا تعطيل.

ملاحظة: ذكر الإمام الزركشى فى صدر هذا النوع من أنواع علوم القرآن» أنه يأتى على أربعين وجها»، ولكنه لم يذكر سوى ثلاثة وثلاثين وجها.

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ــ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٢١٧ ــ ٢٥٣، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** أبو الخطاب الكَلْوَذانى (٤٣٢-٥١٠ هـ / ١٠٤١-١١١٦م):**

محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد، الكلوذانى، أبو الخطاب، البغدادى، الفقيه، الحنبلى، الأصولى.

أصله من كلواذى من ضواحى بغداد، ومولده ووفاته ببغداد، وكان أحد أئمة المذهب الحنبلى وأعيانه فى عصره.

وكان فقيها أصوليا، فرضيا، شاعرا، عدلا، ثقة، وكان بارعا فى المذهب وعلم الخلاف والفرائض، وتولى التدريس والإفتاء، وكان حسن الأخلاق، طريفا، محمود السيرة، مرضى الفعال، وله اشتغال بالأدب، ونظم.

صنف كتبا حسانا منها «التمهيد» فى أصول الفقه، سلك فيه سلك المتقدمين، وأكثر من ذكر الدليل والتعليل، وطبع حديثا، و «الهداية» فى الفقه، و «الانتصار فى المسائل الكبار» ويسمى الخلاف الكبير، و «رؤوس المسائل» ويسمى الخلاف الصغير، و «التهذيب» فى الفرائض، و «عقيدة أهل الأثر» منظومة فى مائة وخمسين بيتا، و «العبادات الخمس» و «مناسك الحج».

(مرجع العلوم الإسلامية ــ د. محمد الزحيلى / ٤٤٦، انظر أيضا الأعلام للزركلى ٥ / ٢٩١ وقد أدرجه تحت عنوان «الكلوذانى»).

*** الخطابة:**

قال الجرجانى:

الخطابة: هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ (التعريفات / ١٢٣).

وقال التهانوى:

الخطابة بالفتح وعند المنطقيين والحكماء هو القياس المؤلف من المظنونات أو منها ومن المقبولات ويسمى قياسا خطابيا أيضا ويسمى أمارة عند المتكلمين صرح بذلك السيد الشريف فى حاشية شرح الطوالع وصاحب هذا القياس يسمى خطيبا والغرض منه ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ.

اعلم أنهم خصوا الجدل والخطابة بالقياس لأنهم لا يبحثون إلا عنه وإلا فهما قد يكونان استقراء وتمثيلا هكذا فى شرح الشمسية وحواشيه. وفى المحاكمات الإقناعى يطلق على الخطابى وهو الدليل المركب من المشهورات والمظنونات انتهى. وقول العلماء هذا مقام خطابى أى مقام يكتفى فيه بمجرد الظن كما وقع فى المطول (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٠٤، ٤٠٥).

ويذكر قدامة بن جعفر تعريفا للخطابة وتعدادا لأوصافها فيقول أولا عن الخطب: فالخطب تستعمل فى إصلاح ذات البين، وإطفاء نائرة الحرب (أى شرها وهيجها)، وحمالة الدماء (أى دياتها)، والتسديد للملك، والتأكيد للعهد فى عقد الأملاك، وفى الدعاء لله عز وجل، وفى الإشادة بالمناقب (المفاخر، واحدتها منقبة)، ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته فى الناس.

ثم يعرف الخطابة بقوله:

الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة، كما يقال: كتبت أكتب كتابة. واشتق ذلك من «الخطب» وهو الأمر الجليل، لأنه إنما يقام بالخطب فى الأمور التى تجل وتعظم، والاسم منها خاطب مثل راحم؛ وإذا جعل وصفا لازما قيل خطيب، كما قيل فى راحم رحيم. وجعل رحيم أبلغ فى الوصف وأبين فى الرحمة؛ وكذلك لا يسمى خطيبا إلا من غلب ذلك عليها وعلى وصفه وصار صناعة له، والخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيام، والضربة من الضرب. وإذا جمعتها قلت خُطب مثل جمعة وجمع والخِطبة اسم المخطوب به وجمعها خِطَب مثل كسرة وكسر. فأما المخاطبة فيقال منها: خاطبت أخاطب مخاطبة، والاسم الخطاب، مثل قاتلته أقاتله مقاتلة، والاسم القتال.

ثم يتكلم على أوصاف الخطابة فيقول:

فمن أوصاف الخطابة: أن تفتح الخطبة بالتحميد والتمجيد، وتوشح (أى تحلى) بالقرآن وبالسائر من الأمثال، فإن ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها. ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله فى أولها البتراء، وكل خطبة لا توشح بالقرآن والأمثال الشوهاء. ولا يتمثل فى الخطب الطوال التى يقام بها فى المحافل بشىء من الشعر. فإن أحب أن يستعمل ذلك فى الخطب القصار والمواعظ والرسائل فليفعل، إلا أن تكون الرسالة إلى خليفة فإن محله يرتفع عن التمثيل بالشعر فى كتاب إليه، ولا بأس بذلك فى غيرها من الرسائل. وأن يكون الخطيب أو المترسل عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز فى موضع الإطالة فيقصّر عن بلوغ الإرادة، وألا يستعمل الإطالة فى موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة، إلى الإضجار والملالة، وألا يستعمل ألفاظ الخاصة فى مخاطبة العامة ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يعطى كل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم، فقد قيل: «لكل مقام مقال». وإذا رأى من القوم إقبالا عليه وإنصاتا لقوله فأحبوا أن يزيدهم، زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم. وإذا تبين منهم إعراضا عنه وتثاقلا عن استماع قوله خفف عنهم فقد قيل: «من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك» وليس يكون الخطيب موصوفا بالبلاغة ولا منعوتا بالبلاغة والخطابة إلا بوضع هذه الأشياء مواضعها، وأن يكون على الإيجاز إذا شرع فيه قادرا، وبالإطالة إذا احتاج إليها ماهرا. وقد وصف بعضهم البلاغة بما قلناه فقال وقد سئل عنها: «هى الاكتفاء فى مقامات الإيجاز بالإشارة، والاقتدار فى مواطن الإطالة على الغزارة». وقال الشاعر فى هذا المعنى:

يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحى الملاحظ خيفة الرقباء

وقال جعفر بن يحيى: «إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار هذرا»؛ فبيِّن ما يحمد من الإيجاز، وما يحتاج إليه من الإكثار. فأما المواضع التى ينبغى أن يستعمل كل واحد منها فيه فإن الإيجاز ينبغى أن يستعمل فى مخاطبة الخاصة وذوى الأفهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره، وبجمله عن تفسيره، وفى المواعظ والسنن والوصايا التى يراد حفظها ونقلها، ولذلك لا ترى فى الحديث عن الرسول عليه السلام والأئمة شيئا يطول، وإنما يأتى على غاية الاقتصار والاختصار، وفى الجوامع التى تعرض على الرؤساء فيقفون على معانيها ولا يشغلون بالإكثار فيها. وأما الإطالة: ففى مخاطبة العوام ومن ليس من ذوى

الأفهام ومن لا يكتفى من القول بيسيره، ولا ينفتق ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره، ولهذا استعمل الله عز وجل فى مواضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من بعد فهمه ويعلم من قصر علمه. واستعمل فى موضع آخر الإيجاز والاختصار، لذوى العقول والأبصار. فمما روى من الخطب القصيرة والرسائل الموجزة، والألفاظ المختصرة ما نحن ذاكروه أو بعضه ليدل على سائره. فمن ذلك خطبة للنبى ﷺ، وهى أن قال بعد حمد الله والثناء عليه: «أيها الناس، كأن الموت فى الدنيا على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذين تشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلدون بعدهم. قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، ورحم أهل الذل، وخالط أهل الفقه والحكمة. طوبى لمن أذل نفسه، وحسنت خليقته، وصحت سريرته، وعزل عن الناس شره، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم يعدها إلى البدعة» ثم يسوق قدامة بن جعفر خطبة أخرى لرسول الله ﷺ يأتى ذكرها فيما بعد عند الكلام على الخطابة فى عصر صدر الإسلام.

ثم ينتقل قدامة إلى خطبة قس بن ساعدة التى رواها رسول الله ﷺ وهو من قبيلة إياد، كان خطيب العرب وحكيمها فى الجاهلية ويظن أنه توفى عام ٦٠٠ ميلادية. وهذه خطبته:

ذكر النبى ﷺ أنه رآه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول: «أيها الناس اجتمعوا، ثم اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. يا معشر إياد! أين ثمود وعاد! وأين الآباء والأجداد! وأين المعروف الذى لم يشكر! وأين الظلم الذى لم ينكر! أقسم قس قسما حقا، إن لله لدينا هو أرضى عنده من دينكم»؟ ثم أنشد شعرا، فهل من يحفظه؟ فقال بعضهم: أنا أحفظه. فقال: هاته، فأنشد:

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

(نقد النثر/ ٩٤-٩٩)

وقد درج كتابنا فى تقسيم تاريخ الأدب العربى إلى خمسة أعصر على حسب ما نال الأمم العربية والإسلامية من التقلبات السياسية والاجتماعية وهى كما يلى:

(١) العصر الجاهلى، ويبتدىء باستقلال العدنانيين عن اليمنيين فى منتصف القرن الخامس للميلاد، وينتهى بظهور الإسلام سنة ٦٢٢ م.

(٢) عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ويبتدىء مع الإسلام وينتهى بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ.

(٣) العصر العباسى، ومبدؤه قيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ.

(٤) العصر التركى، ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهى عند النهضة الحديثة سنة ١٢٢٠ هـ

(٥) العصر الحديث، ويبتدىء باستيلاء محمد علىّ على مصر ولا يزال.

(تاريخ الأدب العربى/ ٥).

(١) العصر الجاهلى: من منتصف القرن الخامس للميلاد حتى ظهور الإسلام سنة ٦٢٢ م: عن الخطابة فى ذلك العصر يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات فى أسلوب بليغ نفتقده اليوم فى كُتّابنا:

الخطابة كالشعر لحُمْتها الخيال وسداها البلاغة وهى مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سبل التأثير والإقناع. تحتاج إلى ذلاقة اللسان ونصاعة البيان، وأناقة اللهجة، وطلاقة البديهة. والعرب ذوو نفوس حساسة وإباء، وأولو غيرة ونجدة. فكان لهم فيها القدم السابقة والقِدْح المعلَّى. وقد دعاهم إليها ما دعا الأمم البدوية من الفخر بحسبها ونجارها، والذود عن شرفها وذمارها، وإصلاح ذات

البين بين الحيين، والسفارة بين رءوس القبائل وأقيالهم، أو بين الملوك وعمالهم. وكانوا يدربون فتيانهم عليها منذ الحداثة، ويحرصون على أن يكون لكل قبيلة خطيب يشد أزرها، وشاعر يرفع ذكرها. وربما اجتمع الصنفتان في واحد.

أما أسلوبها فكان رائع اللفظ، خلاب العبارة، واضح المنهج، قصير السجع، كثير الأمثال. وهم إلى قصارها أميل لتكون أعلق بالصدور وأذيع.

(تاريخ الأدب العربى / ١٩).

ويتناول صاحبا كتاب الوسيط كل ما يتعلق بالخطابة فى هذا العصر، وهو كما يلى:

الخطابة ضرب من التكلم، وهى ـ إذا تهيأت داعيتها، ووفرت أداتها، وقلت كفاية الكتابة أو ثقلت مئونتها ـ سبيل الإقناع، وعدة التأثير، لما فيها من حضور المتكلم بشخصه، ودفاعه عن رأيه بنفسه، وإفاضته فى كل ما يؤيد مذهبه. ومن طبيعة القبائل المتبدية (المقيمة بالبادية) التى تعمها الأمية، ولا يربطها قانون عام، ولا تضبطها حكومة منظمة، ولا تضمها راية سلطان واحد ـ كما كانت الأمة العربية فى جاهليتها ـ أن تكون الخطابة لها ضرورية، وفطرية.

فمن الدواعى الطبعية للخطابة فى الجاهلية:

(١) غلبة الأمية على العرب غلبة ألجأتها إلى الاستعانة باللسان أداة القول بدل القلم أداة الكتاب.

(٢) تملكهم زمام الفصاحة، وانقيادهم لسلطان البلاغة، واستجابة خاصتهم وعامتهم لدعاء سادتهم وكبرائهم وأولى النجدة فيهم عند الأمر الحافز، والخطب الداهم، لما بين الداعى والمدعو من وحدة الجنس واللسان، وتوافر أسباب التفاهم والبيان.

(٣) تفرقهم قبائل مستقلة، وعشائر صغيرة، وفئات مقاتلة، بحيث يتيسر لكل جمهور منهم الاجتماع فى صعيد واحد، والاستماع إلى خطيب فرد.

(٤) تعذر طرق التواصل المنظمة بينهم: كبريد يحمل رسائل ضافية، وكتبا مطولة، أو برق يوصل أخبارا هامة، أو صحف تنشر حوادث عامة، فكانت الداعية شديدة إلى رسول موفد نابه الشأن، فصيح اللسان، قوى الحجة.

(٥) شن الغارات لأوهى الأسباب، وإفضاء ذلك إلى الدفاع عن النفس والعرض والمال، ثم إلى الانتقام، لفراغ أكثرهم مما يشغل الخواطر والجوارح: من صناعة وزراعة وتجارة، وللخطابة فى ذلك المثل الأعلى والقدح المعلى (سابع سهام الميسر وهو أكبرها حظًّا).

ومن أغراض الخطابة والمقامات التى يخطب فيها ما يأتى:

(١) التحريض على القتال، والحض على الأخذ بالثأر، وما إلى ذلك من تهوين لشأن العدو، أو تنبيه على غرة منه، أو تهيئة تعبئة لملاقاته.

(٢) إصلاح ذات البين عند نشوب القتال، فيخطب رؤساء القبيلتين فى تعظيم رزايا الحرب، وتعديد مصائبها، والتنفير منها، أو فى إمكان تحمله دماء القتلى، ومفاداة الأسرى، ونحو ذلك.

(٣) المفاخرة والمنافرة، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجار، وشرف الخصال وعظم الفعال، ترهيبا للطامعين، وتهديدا للمعادين.

(٤) توضيح المقاصد، وتربية التواصل بالسفارات مابين سادات قبائلهم وأقيالهم، وبينهم وبين الملوك المجاورة لهم فى تأمين سبيل، أو خفارة درب، أو إجازة تجارة، أو استنجاد، أو تعزية.

(٥) خطبة الإملاك (الزواج) بترغيب القبيل المخطوب إليه فى قبيل المخطوب له، وعد فضائله وذكر ما يسوقه من المهر ونحو ذلك.

(٦) التوصية بفعل الرغائب، واقتناء المحامد، والتبصر فى العواقب، والتروى عند الحوادث، ويكثر ذلك من حكمائهم وكهانهم لعامتهم، أو من الآباء لأبنائهم وخاصة عند دنو آجالهم.

وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل، وشىء من خطبهم كما كان ذلك فى الشعر؛ لحفلهم قديما بالشعر دون الخطابة، ولصعوبة حفظ النثر.

وما عنى الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ماحلت الخطابة بعدُ منزلة أسمى من الشعر: لابتذاله بتعاطى السفهاء والعامة له، وتلوثهم بالتكسب به والتعرض للحرم فنبه بذلك شأن الخطابة، واشتهر بها الأشراف. وكان لكل قبيلة خطيب، كما كان لكل قبيلة شاعر.

وإذا كان جل القصد من الخطابة إثارة الشعور، وإيقاظ الوجدان كما هو الشأن في الشعر، كان جلا لاعتماد فيها على الأدلة المؤثرة في النفوس، المهيجة للعواطف، ممثلة في صور العبارات الرائعة؛ وكثرت فيها الفواصل والأسجاع لحسن وقعها، على ما فيها: من استرواح الخطيب، وسهولة تدارك المعاني.

وخطب العرب منها الطوال ومنها القصار، ولكل مكان يليق به، وهم إلى القصار أميل: لانطباعهم على الإيجاز، ولأنها إلى الحفظ أسرع، وفي الأصقاع أشيع، وكانوا يعنون في خطبهم ولا سيما القصار منها بسرد كثير من الحكم والأمثال والنصائح، على أنه قلما رويت لنا خطبة بنصها وفصها:

(النص تعيين الشيء والفص مفصل الشيء. والمعنى أتت معينة مفصلة كما قالها صاحبها)لفشو الأمية في الجاهلية، ولعجز الرواة عن استظهار جميعها، وإنما يحفظون ما كان أشد قرعا للسمع، ووقعا في النفس، بعبارة تتفق في أصل المعنى، وتفترق في بعض اللفظ.

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك (التزويج) أن يخطب قائما، أو على نشز من الأرض (مرتفع من الأرض)، أو على راحلته، لإبعاد مدى الصوت، وللتأثيربشخصه وإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه، ولا غنى له عن لوث (عصب) العمامة، والاعتماد على مخصرة (المخصرة: السوط ونحوه وما يأخذه الملك ليشير به أو الخطيب إذا خطب)، أو عصا، أو قناة (رمح)، أو قوس، وربما أشار بإحداها أو بيده.

وقد كانوا يستحسنون من الخطيب أن يكون رابط الجأش، قليل اللحظ (اللحظ النظر بمؤخر العين وهو أشد من الشزر، والمراد قليل التلفت والنظرات)، جهير الصوت، ومتخير اللفظ، قوي الحجة، نظيف البزة (الهيئة والثياب) كريم الأصل، عاملا بما يقول.

وخطباء العرب كثيرون من أقدمهم كعب بن لؤي(هو الجد السابع للنبي ﷺ)، وكان يخطب العرب عامة، ويحض على البر كنانة خاصة، ولما مات أكبروا موته وأرخوا به حتى كان عام الفيل، وذو الإصبع العدواني وهو حرثان بن محرث، سمي كذلك لأن حية نهشت إبهام رجله فقطعها.

ومن أشهرهم قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء، وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار، وقس بن ساعدة الإيادي خطيب عكاظ (نقلنا خطبته كما ذكرها قدامة بن جعفر في بداية هذه المادة) وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان ـ فيما يقال ـ على كسرى وهم: أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميان، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريان، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريون، وعمرو ابن الشريد السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث ابن ظالم المري.

ونسوق نموذجين من الخطابة في ذلك العصر:

قال هاني بن قبيصة الشيباني لقومه في يوم ذي قار وهو يحرضهم:

يامعشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، إستقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر (جمع ثغرة وهي نقره النحر بين الترقوتين) النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور؛ يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بد.

وخطب أبو طالب حين تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح (فاق) عليه برا وفضلا، وكرما وعقلا، ومجدا ونبلا، وإن كان في المال قُلٌّ (قلة) فإنما المال ظل زائل، وعارية (ما تداوله الناس بينهم) مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق (المهر) فعلي.

٢ ـ العصر الثاني: عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ويبتدىء مع الإسلام وينتهي بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ:

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة: إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها، وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضهم والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة

الجماعات وأصحاب النجدات فى الحفل والمنتديات، والحج والمواسم والأسواق، ومواطن الزحف ومقدم الوفود ونحو ذلك كان ظهور الإسلام بالأمر الجلل والشأن الخطير والدعوة العظمى التى لم يعهد لها من قبل فى العالم مثيل من أهم الحوادث التى أنشطت الألسن من عُقلها، وأثارت الخطابة من مكمنها، وأغرت العقول بإحكامها والافتنان فيها، واختلاب النفوس بسحر بيانها. فوق ما كانت عليه فى جاهليتها فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد ﷺ بادىء أمره ـ غير تبليغ القرآن ـ واردا من طريق الخطابة. ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل إمام فى حفل دينى أو سياسى كالجمعة والعيدين وموسم الحج الأكبر، ويوم الصف وكل أمر جامع لنشر فضيلة أو نهى عن رذيلة، أو إعلان نصر، أو تأكيد وصية، إلى غير ذلك من الأمور ذوات البال، ولذلك كان دعاة النبى ﷺ ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاول (الخطيب المصقع هو البليغ أو العالى الصوت أو من لا يرتج عليه كلامه ولا يتعتع، ولُسنا جمع لسان: هو المتكلم عن القوم، ومثله مقاول جمع مقول).

أعانهم على ذلك أنهم كانوا يخطبون عربا مثلهم، للفصاحة عندهم هزة فى النفس وروعة فى الفؤاد، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذى لا ينهض بأعباء الخطابة، ولا سيما الدينية، لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية، وترغيبها فى الثوب وترهيبها من العقاب، ولخلوها عن قيود الوزن والقافية، ولأنها تقال بعبارات تفهمها الخاصة والعامة: من الجندى الصغير إلى القائد الكبير، وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مدد أيما مدد. ولما حدثت الفتنة بين المسلمين (أو الحرب الأهلية كما يقولون) بعد مقتل عثمان، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة على، وشاميين بزعامة معاوية، ولكل منهم دعوة يؤيدها، ورغبية يناضل عنها فى تلك الحرب الشعواء التى لم ينكب الإسلام بمثلها، ظهر فى كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ولا يشق غبارهم، وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء وفحل البلغاء على بن أبى طالب، وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبى سفيان. وما انتهت هذه الحرب حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والنحل، وتفرق المسلمون إلى شيعة وخوارج وجماعية وتفرع من هؤلاء الطوائف فروع شتى، كل يبذل وسعه فى نشر مذهبه، ويدفع عنه بقائم سيفه، ولم تعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة فى الخطابة والفصاحة والبيان.

وتمتاز الخطابة فى صدر الإسلام منها فى الجاهلية بأشياء:

الأول ـ سلوكها طريقا دينيا فى مثل خطب الجمع والعيدين والحج والإرشاد ونحو ذلك مما يستدعيه نشر الدعوة الدينية.

والثانى ـ اتباعها خطة سياسية فى مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتأثيل الملك والسلطان، وما وقع للعرب فى الجاهلية من هذا القبيل فى بعض منازعاتهم فليس بذى شأن كثير، إذا قيس بنظيره فى الإسلام.

الثالث ـ قوة تأثيرها ووصولها إلى قرارة النفوس وامتلاكها للوجدان والشعور بوعظها الزاجر، ونصحها البالغ، مما رقق القلوب القاسية، وأسال الأعين الجامدة.

٤ ـ صفاء ألفاظها، وسهولة عبارتها، ومتانة أساليبها، وتجنبها سجع الكهان وقلة القصد فيها إلى سرد الحكم القصيرة الدقيقة بمناسبة وغير مناسبة، كما كانت تفعل خطباء الجاهلية.

٥ ـ بداءتها بحمد الله والثناء عليه.

٦ ـ محاكاتها أسلوب القرآن فى الإقناع، واستمدادها من آياته، حتى اشترط بعض أئمة المسلمين وجوب اشتمال خطبة الجمعة على شىء منه.

٧ ـ تنوعها بين الإيجاز والإسهاب حتى حكى أن منها ما استغرق نصف نهار كخطبة سحبان بن وائل التى خطبها بحضرة معاوية يوم أن حضر وفد خراسان) ومنها مالم يزد علي فقرات معدودات (مثل خطبة خطيب الأزد حين بعث الحجاج خطباء من الأحماس إلى عبد الملك وهى: قد علمت العرب أنا حى فعال ولسنا بحى مقال، وأنا نجزى بفعلنا عند أحسن قولهم، إن السيوف لتعرف أكفنا، وإن الموت ليستعذب أرواحنا. وقد علمت الحرب الزبون أنا نقرع جماحها، ونحلب ضرارها) وقصارى الكلام أن الخطابة وصلت فى هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه فى اللسان العربى حتى ممن يعد

عليهم اللحن . ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القوم ورؤساؤهم عربا خلصا، يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

عادات العرب فى الخطابة :

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم ؛ من اعتبار العمامة (لف العمامة دون التنحى) والاشتمال بالرداء (اشتمل بالثوب أداره على جسده كله) واختصار المخصرة (ما يتوكأ عليها، وما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب، أو الخطيب إذا خطب، واختصر المخصرة أخذها) والخطبة من قيام، إلا ماروى عن الوليد بن عبد الملك : من أنه كان يخطب جالسا، وربما كان له عذر من طبيعته، أو أنه كان يرى أن الغرض من الوقوف هو الإشراف على السامعين، وذلك قد حصل بتعلية بنى أمية درجات المنابر، وتبعه فى ذلك بعض خلفاء بنى أمية وعمالهم.

ولدينا العديد من نماذج الخطب فى هذا العصر نكتفى منها بخطبة من خطب رسول الله ﷺ، أما بقية النماذج فنذكرها إن شاء الله تعالى مع تراجم الخطباء :

خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

قالت المؤلفة : أصدرت دار الاعتصام بالقاهرة فى سنة ١٩٨٣ كتابا بعنوان «خطب المصطفى ﷺ» - جمعها وشرحها محمد خليل الخطيب، يقع فى ٣٦٦ صفحة، وهو عندى .

أما عن الخطباء فليس فى عصور أهل اللغة عصر أحفل بالخطباء المعروفين نسبا وقولا وعملا من هذا العصر، إذ كانت الخطابة فيه سلسة القياد على خلفائه وزعمائه لفطرتهم العربية ومحلهم من الفصاحة والبيان، وانطباعهم على أساليب القرآن، واتساع مداركهم، ويشمل الخطباء فى هذا العصر الخلفاء الراشدين، وولاة المسلمين، وفصحاء الناس، لأن الخطابة إذ ذاك كانت من أعظم أعمال الإمامة والولاية . ومن الخطب التى تضرب كمثل : خطبة الوداع لرسول الله ﷺ وخطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يوم السقيفة، وخطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولى الخلافة، وخطبة عثمان رضى الله عنه بعد أن بويع، وخطبة سحبان وائل، وخطبة زياد بن أبيه حين ولى البصرة، وخطبة الحجاج لما قدم أميرا على العراق، ونورد هذه الخطب مع ترجمة كل منهم فى موضعه إن شاء الله تعالى : (ذكرنا مطلع خطبة الحجاج فى مادة « الحجاج الثقفى» فى م ١٣ / ١٤٧) .

أما عن الخطابة في الأندلس فنحن نعلم أن أهل الأندلس أصحاب بداهة، وعارضة ونباهة، وحفظ رواية، وفكر ودراية، إن نثروا بهروا، وإن نظموا سحروا، وإن خطبوا أعجبوا، وإن كتبوا أطربوا، يدهشك ارتجالهم، كما يبهرك إعدادهم، وقد ساعدهم على الافتنان فى القول وامتلاك أزمة الفصاحة (ولا سيما الخطابة) ما اجتمع لديهم من الأسباب التى ساعدت على نهوضها، وعملت على رقيها، واتساع أغراضها، وازدياد النابغين فيها .

فقد كان الولاة الفاتحون للبلاد من العرب الفصحاء، البلغاء الأبيناء، وأكثر جنودهم ممن يؤثر فيهم الكلام الجزل، والقول الفصل، وكان خصمهم الألد داخل البلاد، واقفا لهم بالمرصاد، يصاولهم فى كل بلد وواد، فلذلك كانوا أحوج إلى الخطابة من المعصم للكف، والفارس للسيف، إذ هى المحضاء الذى يلهب نار الحمية فى قلوبهم، ويذكى جمرة الغيرة فى نفوسهم، ويبعث فيهم روح الأمل، ويقطع عنهم غائلة اليأس، ويحببهم فى بذل المهج، ويغريهم بنيل الشهادة، فيستميتون فى الذود عن حياضهم، والدفاع عن أعراضهم .

وقد كانت عباراتها فى أثناء هذه المدة سهلة التراكيب، واضحة المعانى قليلة الاستعارات، تتجافى عن تعمقات الفلاسفة . وتخيلات الشعراء، يقلُّ فيها السجع، ويكثر الترسل، وتكاد تنحصر أغراضها فى الدفاع عن الدين، والحض على الجهاد، والصبر على منازلة الحوادث وملاقاة الكوارث، ومقارعة الخطوب . ولما حدثت الفتنة آخر مدة

الولاة بين المضرية واليمنية كان التناصر للعصبية والتعصب للقبيلة من أكبر وأهم مقاصدها .

وفى دولة بنى أمية وملوك الطوائف كثرت العلوم والفنون، وعنى الناس بدرسها والمناظرة فيها، وزخرت بحور الحضارة وكثرت مناحيها، وتنوعت ألوانها، فتعددت أغراض الخطابة تبعا لتعدد أغراضها وكثرة دواعيها، حتى قيلت فى كل غرض قيلت فيه فى المشرق، ولا سيما حين استحكام حلقات النزاع بين أهل البلاد وتفرقهم شيعا كل يناضل عن كيانه ويدافع عن حياته .

ومما زادها إحكاما وأهلها إقبالا، تولى العظماء والأمراء، والمبالغة فى إكرام من يجيدها، حتى أضافوا القضاء إلى الخطابة، وجعلوا لفظ الخطيب من ألقاب التعظيم والتشريف، فنبه بذلك شأنها، وكثر مرتجلها، وأغرى الناس بالحفاوة بها، والعلماء بالنبوغ فيها، ولا غرابة، فمنه تنقاد له اللغة الفصيحة فى المحادثة والشعر الرقيق على البداهة، فهو على ارتجال الخطابة أقدر، وهى له أطوع، ولا سيما عندما شعر أهل البلاد بالبلاء الذى أحدق بها والخطر الذى دهمهم، خطر العدو الذى سال سيله الجارف، فلم يقف أمامه قوة ولا حول، ولا طول ولا صول .

وقد كانت عباراتها فى هذه المدة يغلب عليها السجع الخالى من التكلف، وتكثر فيها الاستعارات الرقيقة ويوجد فيها كثير من خصائص الكتابة، وكانت ملكتها تامة عند كثير من الأدباء والعلماء والملوك والأمراء، حتى عدت من ألزم أوصافهم وأعظم مناقبهم .

وبعد هذه المدة ضعف شأنها، وانحط قدرها، لغلبة العجمة على أهل البلاد، بل على الملوك والأمراء، فظهرت فيها الصنعة، وغلب عليها التكلف، والتزم فيها السجع الممل، وذهبت ملكة الارتجال من أهلها، فصارت لا تقال إلا بعد تبييت وإعداد، وفى جمعة أو إملاك .

وكثيرًا ما كانوا يستعيضونها بالرسومات التى يرسلون بها إلى الناس فى مواقف الخطابة، كما ترى ذلك واضحا فى كتابات لسان الدين بن الخطيب .

وإن القارىء فى مؤلفات الأندلس كالقلائد والمعجب والمطمح والنفح والإحاطة يرى كثيرًا من الخطباء الذين وصفهم هؤلاء المؤلفون بكل ما ينبغى أن يوصف به الخطيب البارع : من جودة العبارة، وشدة تأثيرها، والقدرة على ارتجالها، مع ثبات الجأش، وقوة القلب . ثم إذا بحثت بعد عن خطب لأولئك لم تجد فى هذه الكتب إلا نتفًا يسيرة جاءت منثورة فى أثناء كلامهم، لا تشفى غلة الباحث، ولا يمكنك أن تستدل بها تمامًا على حال الخطابة . ولعل السر فى هذا أن أولئك المؤلفين أرادوا التفاخر بأهل بلادهم فاختاروا من الكلام ما كان لفظه عذبًا رشيقًا، وخياله بارعًا أنيقًا، وهذا لا يجتمع على الوجه الذى ينبغى إلا فى الرسائل والشعر، فأكثروا من ذكرهما وبالغوا فى سردهما .

أما الخطب فلما كان الغرض منها أن تصل إلى القلب بدون معاناة فهم، ولا معالجة بعقل، وكانت لا تقال إلا فى المجامع العامة، والأندية العظيمة، ومثل هذه تجمع بين الطبقات المختلفة فى الفصاحة والبلاغة، كان من المحتم على الخطيب أن ينتحى فيها جانب السهولة، ويترك طريق التعمل والتأنق، حتى يملك أسماع الحاضرين ويستولى على نفوسهم، وبدهى أن الخطابة الارتجالية إلى السهولة أقرب، وعن الصنعة أبعد، أو أنهم رأوا أن الخطابة قد جمع كثير منها فى دواوين خاصة، وأشهر أمرها بين الناس، فاستغنوا بجمعها عن ذكرها فى كتبهم .

أو أن هؤلاء الخطباء كانوا شعراء وكتابا أيضا كما ترى ذلك فى تراجمهم، فاختار المترجمون أن يثبتوا لهم من الشعر والرسائل ما يكون مقياسًا لنبوغهم، ومعيارًا لرقيهم، ويتركوا الخطب .

أما عدم وصول شىء منها إلينا، فلعل سببه إبادة تلك الدواوين فيما أباده الأسبان وأحرقوه من كتب العلم والدين والأدب، أيام إغارتهم على المسلمين، تلك الإغارة التى كانت نتيجتها مهاجرة أهل البلاد وإمحاء سلطانهم منها .

على أن ندرة الخطب لا تصلح دليلاً لفقد الخطابة أو ضعفها، فهذا قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب بلا مدافع، لم نجد له إلا خطبة واحدة كان الرسول الأمين هو السبب فى بقائها، وهذا سحبان بن وائل الذى خطب مرتجلاً من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ وهو الذى قال له معاوية : أنت

أخطب العرب، فلم يقبل، وقال: والعجم والجن والإنس، لم نجد له إلا بعض سطور ينازعه فيما بعض الأعراب.

٣ ـ العصر الثالث: عصر الدولة العباسية ومبدؤه قيام دولتهم، ومنتهاه سقوط بغداد فى أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ:

لما كان قيام الدولة العباسية فى المشرق والإدريسية فى المغرب الأقصى (أسسها إدريس بن عبد الله سنة ١٧٢ هـ وبقيت إلى سنة ٣١٩ هـ وقد أفردنا لها مادة فى م ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ فانظرها فى موضعها)

والأموية الثانية فى الأندلس (أسسها عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٩ هـ وبقيت إلى سنة ٤٢٧ هـ. انظر مادة «الأندلس» فى م ٦ / ١٤٢)، من الأمور التى ينشأ منها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية وكان ذلك يستدعى تأليف العصابات، ودعوة الناس إلى التشيع لزعماء الأحزاب، وكان التفاهم بالعربية الفصيحة والانجذاب بالبلاغة لا يزال مستحكما صدر هذا العصر ـ بقيت دواعى الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها وولاتها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع وبلغاء فطاحل ثم لم فترت هذه الدواعى باستقرار الدول، واشتداد اختلاط العرب بالأعاجم وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ـ ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها وقلة المستجيبين لها لتناقص العناصر العربية فى الجند وأهل النجدة. فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدولة حتى بطل شأن الخطابة السياسية المذهبية، إلا قليلاً فى المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود، وبقيت الخطابة مقصورة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك، وقل فيها الارتجال أو عدم جملة، وحل محل الخطابة فى الأمور السياسية نشر المنشورات، وفى الأمور الدينية مجالس الوعظ والتزهيد والتدريس فى المساجد والمدارس.

ومن نماذج خطب ذلك العهد خطبة المأمون بمرو (بلدة بفارس وهى قاعدة بلاد خراسان وقد ورد عليه كتاب الأمين يعزيه بالرشيد ويحثه على أخذ البيعة له فقال: إن ثمرة الصبر الأجر، وثمرة الجزع الوزر، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة، وتجارة مربحة، فالموت حوض مورود، وكأس مشروب. وقد أتى على خليفتكم ما أتى على نبيكم ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون. فما كان إلا عبدا دعى فأجاب، وأمر فأطاع. وقد سد أمير المؤمنين ثلمة، وقام مقامه، وفى أعناقكم من العهد ما قد عرفتم، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضى، واغتبطوا بالنعماء والوفاء فى خليفتكم الباقى، يا أهل الدنيا الموت نازل والأجل طالب، وأمس واعظ، واليوم مغتنم وغدا منتظر، ثم نزل.

الخطباء: وقد اشتهر فى صدر الدولة العباسية جملة من الخطباء جلهم من بنى هاشم عباسيين وعلويين، ثم من الخوارج، ومن بعض خطباء الأمصار من بنى منقر وآل الرقاشى وآل خاقان بالبصرة وبعض زعماء بنى أمية وفقهائهم بالأندلس وآل الأغلب فى إفريقية. ومن أشهرهم داود بن على، وشبيب بن شيبة.

٤ ـ العصر التركى، . ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهى عند النهضة الحديثة سنة ١٢٢٠ هـ.

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصرها على خطب الجمع والأعياد، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات، إلا قليلا من الخطب السياسية كان يعدها ملوك المغرب قبل إلقائها.

وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها أو مع الترجمة إلى الأعجمية فى الممالك التى استعجم لسانها، لمكان العربية من الدين، ولم يبق من أمرها أواخر هذا العصر، إلا ما كان يقرأ مكتوبا فى الكتب، بل قل حفظها واستظهارها فى غير القاهرة، وانتقل وعظها من حسن الذكرى فى أمر الدين والدنيا إلى التخويف من القبر ووحشته، ووصف الجنة ونعيمها وجهنم وأهوالها.

٥ ـ العصر الحديث، ويبتدىء باستيلاء محمد على باشا على مصر، كان المصريون والسوريون أوائل هذا العصر لايستعملون الخطابة فى غير الأغراض الدينية، ثم اتسعت دائرة الأفكار فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، وصادف ذلك مجىء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر، والتف حوله كثير من الأزهريين ولفيف من أدباء المصريين والسوريين، فأدخلهم فى عداد جمعيته وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها فى الأمور الدينية والأخلاق، ثم تعدت ذلك إلى الأمور السياسية.

وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشت وولدت رجال الثورة العرابية.

ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم، وكان لا يجارى فى سرعة البديهة وشدة التأثير فى سامعيه، ويحسن الخطابة بالفصيحة والعامية، والشيخ محمد عبده وغيرهما.

ولما أسست الجمعيات والأندية الأدبية بمصر، شغلت موضعًا فسيحًا فى عالم الخطابة وبلغت فى هذا العصر بسبب حالة مصر السياسية مبلغًا عظيمًا، وأصبحت فى حال زاهرة لاتقل كثيرًا عما كانت عليه فى عصور الدول الإسلامية الغابرة.

(الوسيط / ٢٣ ـ ٢٩، ١٠٥ ـ ١٠٩، ٣٧٥ ـ ٣٧٨، ١٨٩ ـ ١٩١، ٢٩٢، ٣٢٦، ٣٢٧).

وما كان لنا أن ننهى هذه المادة دون أن نذكر دور الأزهر المجيد فى هذا المجال يقول الدكتور محمد كامل الفقى:

للأزهر بحكم زعامته أو رسالته لواء معقود، ومقام محمود فى جميع الأزمان والعهود، له فى الدفاع عن الدين والوطن فضل ظاهر، وأثر ملموس، وله فى توجيه الحياة مكانة لا تجحد، وهو فى كل هذه المعانى مبرز، بما تواتى له من قوة الملكة، وفصاحة الأسلوب، وحسن البيان، والهيمنة على السامعين فى كل مجتمع وناد، وقد كان الأزهر ولايزال عكاظ الأمة العربية، وميدان فرسان البلاغة.

وقد تهيأ لكثير من الأزهريين، من طول المراس، واعتياد القول، ومعاطاة الحوار والوعظ والجدل: رصانة فى الأسلوب، ودقة فى التعبير، وسمو فى البيان، وطلاقة فى اللسان، وفيض فى الخواطر، وتدفق فى المشاعر، واقتدار على المباغتة والمفاجأة، وإنك لتسمع إلى خطبائهم البارعين فيخيل إليك أنك تسمع فى البادية عربها الفصحاء، ومقاويلها البلغاء، ويفتنك من هؤلاء مطاوعة اللغة لهم، ومساعفة البيان لتصرفهم، وجرى التعبير على أسلافهم.

يخطبون فيتسابقون، ويرتجلون فيتنافسون، والخطيب الخطيب منهم هو الذى تنعقد له الزعامة، ويرفع له لواؤها، لأنه الحرى بتمثيلهم، القمين بشرف نيابتهم، ولو واتت المواهب مجتمعة واحدا منهم، ثم كان غير مبدع فى البيان، أو متمكن من القول، لا يبهر إذا خطب، ولا يقهر إذا جادل، ولا يملك زمام الأسماع إذا ارتجل أو أعد، لو واتت المواهب أحدهم ثم مسه من العى شىء، لاستعصت عليه الزعامة، وتأبى عليه ما يطمع فيه من تقدم وقيادة.

يقف الخطيب منهم فتجده أغلب ما تجده لا يتلكأ ولا يتلعثم ولا يعيد قولا أو يكرر جملة، رصين الأداء، بليغ الحجة، سليم العبارة، محكم الدليل، يزين خطابه در من كتاب مبين، ويشرق فى حديثه أدب نبوى رقيع، ويلمع فى جنباته روائع من أدب العرب وشعرهم، من طول ما أخذ به من التروى وما ذخرت به ذاكرته من الآثار.

وإنك لتستطيع تمييز الأزهرى من غيره إذا خطب دون أن يميزه زى أو إعلان، بما يتوافر له من التجويد وطول الاقتدار.

وهؤلاء هم اللسن المقاويل، وتلك مكانتهم من الفصاحة، وفى هذه البيئة تخرجت طائفة رفعت لواء الخطابة، والسياسة والخطابة السياسية الدينية والاجتماعية، والخطابة القضائية.

وقد أجدى نظام التخصص فى تعليم الأزهر فى تبريز فريق من الأزهريين واقتدارهم على الخطابة، وإنك لتجد من أبناء كلية اللغة العربية والمتخصصين فى اللغة وآدابها شبابًا تحمد طلاقة ألسنتهم، وفصاحة تعبيرهم، وتدفقهم فى كل موقف ومناسبة، كما يطالعك من المتخصصين فى الدعوة والإرشاد أفذاذ من الطلاب، جودوا الخطابة الدينية، وتوفروا على إتقانها، والتمهر فيها، وإن كنت لاتعدم فى فروع الأزهر الأخرى من هم مثل هؤلاء فصاحة بيان، وفيض أسلوب، إلا أن اشتغالهم بالعلوم البعيدة الصلة عن العربية وآدابها، جعلهم دون إخوانهم الآخرين عددًا وعدة.

وبالإضافة إلى الخطابة السياسية للأزهر أيام الثورة العرابية، وأيام الاحتلال الفرنسى لمصر، فقد استأثر الأزهر بالخطابة الدينية، لأنه الذى يحمل رسالة الدين، ويذود عنه، وينشر فضائله، ويرد عواديه وغوائله، وأبناء الأزهر هم الذين يقومون على المنابر فى مساجد القرى والمدن، فيهزون أعوادها، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويحضون على الفضائل، وينكبون عن الرذائل، بأسلوب بارع، ولغة مهذبة، وبيان فصيح، وقصص رائع، يتخلل ذلك آيات من كتاب الله، وأدب نبيه الكريم ﷺ.

وإنك تجد الخطيب الديني يحتفل بأسلوبه وأدائه، كي يتسنى له التأثير في النفوس والهيمنة عليها، وقد كانت الخطابة من قبل مسجوعة متكلفة تتلى في ديوان، ولا تمت إلى المناسبة ولا إلى مقتضيات الأحوال بصلة، وكانت إلى عهد قريب تدور حول معان واحدة أو متقاربة، يمل السامع ترديدها، ولا تكاد تصل إلى قلبه بتكرارها، فهي تزهيد في الدنيا، وترغيب في الآخرة، وتشويق إلى الجنة، وتخويف من النار، وتهويل في المعاصي، والعقاب عليها في الحياة الثانية، وكان ينقصها أيضا وحدة الموضوع، فقد كان الخطيب ينتقل من الحديث عن الصدق إلى الحديث عن الخمر، إلى النهي عن الغيبة، إلى الحض على الإنفاق في سبيل الله، فلا يتجه السامع إلى موضوع مستقل يؤمن به.

أما الخطب الآن فإنها نماذج رفيعة في أسلوبها ووضعها، مساوقة للغرض الذي يتطلبها، يلقيها الخطيب مرتجلة يشافه بها الناس، وقلما يعتمد في إلقائها على ورقة، الخطابة المنبرية اليوم إنما هي معالجة للأحداث، وتناول لمختلف الشئون، وتعليق على ما يشغل المجتمع ويهمه على ضوء الدين والخلق الكريم، وقد تسوق الصحف في صباح الجمعة خبراً ذا بال، أو قصة، أو مأساة، أو مثلا كريما، فينهض الخطيب بعرضها وتصويرها، والتعليق عليها بأروع أسلوب، وأوفى بيان، وأحسن تجلية.

ومما ساعد على ترقية الخطابة الدينية أن أصبح الذين ينهضون بها شبابا أفذاذا، معترفا بقدرتهم، مشهودا بكفايتهم ولباقتهم، يرتجلون فلا يتعثرون، ويتدفقون فلا يتلعثمون.

وفي كلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر (قسم تخصص الوعظ والإرشاد) يخرج هداة مرشدين اختصوا في هذا الغرض، فجاد أسلوبهم، وفاض بيانهم، وامتازوا بحسن المنطق وبلاغة التأثير، وأصبح لهم في الحياة الاجتماعية مقام ملحوظ، فهم ينشرون فضائل الدين بأسلوب عذب، وبيان عليه طلاوة، ويهدون إلى مكارم الأخلاق بطريقة أخاذة مشوقة، ويعتمد عليهم أولو الأمر في إصلاح ذات البين، وفض المنازعات والتعاون، والسير والأخذ بأسباب الإصلاح الاجتماعي. هذا وقد اتخذت الخطابة الدينية مظهرا آخر كريماً، أعلى شأنها، ورفع لواءها، فإن العلماء والأدباء الذين عذب أسلوبهم، وفصحت عباراتهم، وسلس بيانهم، يقومون في الجمعيات الدينية والاجتماعية، وفي المساجد ودار الإذاعة، فيلقون مواعظ وأحاديث دينية واجتماعية، تعتمد على الأدب الرفيع في أسلوبها وتصويرها، فتصل إلى شغاف القلوب من روعة العظة وسحر البيان.

وقد كان المغفور له الشيخ محمد عبده آية الآيات، فقد كانت خطبه وأحاديثه الدينية والاجتماعية أبلغ الأمثال في جمال العبارة، وحسن الصوغ، وقوة السبك وكان يمزج أسلوبه الديني المتحلي بأدب القرآن وأدب الرسول ﷺ بأدب العرب، وما زخر به من بلاغتهم، وما توفر له من الأدب الغربي الحديث.

ومما نشط هذا النوع في أيامنا هذه، وأزكى غرسه، وأنمى عوده: حضور الحكام وعظماء الأمة وقادتها دروسه، واستماعهم إلى الخطباء المجودين فيه، فتتسامى القرائح، وتتسابق المواهب، ويأخذ هذا الأدب في السمو والتفصح والتجويد، حتى يبلغ ما شاء الله من الرفعة والكمال.

وقد سما بهذا النوع من الخطب حضرة صاحب الفضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ «محمد مصطفى المراغي»، فقد كان يلقي بين يدي الملك السابق أروع ما تسمو إليه الخطب والدروس، بأسلوب أدبي مطبوع، وبيان طلي مهذب، جارى به الإمام «محمد عبده»، وكان يمزج في هذه الأحاديث بين الأدب الحي، والعلم الحديث، ومجاراة الحياة العامة، وشكها بالنقد والنصح، والتوجيه والهداية والإرشاد.

وقد يذكر في هذا الصدد بالإحسان والتجويد المرحوم الشيخ عبد الله عفيفي بك المحرر العربي للديوان الملكي، فقد كانت أحاديثه وخطبه في المواسم والمناسبات شعرًا منثورًا وبيانا منورًا (الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ١ / ٢٠١-٢٠٣، ٢١٢-٢١٥).

(التعريفات للشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٢٣، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٤٠٤، ٤٠٥، ونقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر - حققه وعلق حواشيه الدكتور طه حسين بك وعبد الحميد العبادي / ٩٥ - ٩٨، وتاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات/ ٥ - ١٩، والوسيط - الشيخ أحمد الإسكندري،

والشيخ مصطفى عنانى/ ٢٣ ـ ٢٩، ١٠٥ ـ ١٠٩، ٣٧٥ ـ ٣٧٨، ١٨٩ ـ ١٩١، ١٩٢، ٣٢٦، ٣٢٧، والأزهر وأثره فى النهضة الأوربية الحديثة ـ د. محمد كامل الفقى ١ / ٢٠١ ـ ٢٠٣، ٢١٢ ـ ٢١٥).

*** الخطابى (٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ / ٩١٣ ـ ٩٩٨ م):**

الخطابى صاحب كتاب «إصلاح غلط المحدثين» ترجم له محقق الكتاب د. محمد على عبد الكريم الردينى ترجمة وافية ننقلها لك فيما يلى وقد ضمنها أيضا تراجم قصيرة لشيوخ وتلاميذ الخطابى. قال:

هو الإمام العلامة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى، الشافعى، من ولد زيد بن الخطاب ـ أخى عمر بن الخطاب، ولد بمدينة بست من بلاد كابل عاصمة الدولة الأفغانية سنة ٣١٩هـ.

(فى هدية العارفين ١ / ٦٧: أحمد. وجاء فى الوفيات ٢ / ٢١٤ قال الحاكم: أبو عبد الله بن محمد بن البيع: سألت أبا القاسم المظفر بن طاهر بن محمد البستى الفقية عن اسم أبى سليمان أحمد، أو حمد؟ فإن بعض الناس يقول: أحمد، قال: سمعته يقول: اسمى الذى سميت به حمد ولكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه).

قالت المؤلفة: أوردنا مادة «بست» فى م ٧ / ٦٨، ومادة «البستى» فى م ٧ / ٨٧، ٨٨ فانظر كلاً فى موضعها.

أقام الخطابى مدة بنيسابور يصنف، فعمل غريب الحديث، ومعالم السنن، والعزلة، والغنية عن الكلام وأهله.

وقال السمعانى: ذكره الحاكم أبو عبد الله فى التاريخ فقال: أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدث بها. وكثرت الفوائد من علومه.

وقال ياقوت: رحل إلى العراق والحجاز، وجال فى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وتفقه بالقفال الشاشى وغيره، وأخذ الأدب عن أبى عمر الزاهد وإسماعيل الصفار، وألف فى فنون وروى عنه أبو عبد الله الحاكم.

وقال السبكى: سمع الحديث من أبى سعيد بن الأعرابى بمكة، وأبى بكر بن داسة بالبصرة، وإسماعيل بن الصفار ببغداد، وأبى العباس الأصم بنيسابور وطبقتهم.

أشهر شيوخه:

تلقى الخطابى العلم على مجموعة من شيوخ عصره فى النحو واللغة وعلوم القرآن والحديث والفقه والشعر:

١ ـ أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس. أبو بكر النجاد البغدادى الحنبلى، الفقيه. روى عن يحيى بن أبى طالب، والحسن بن مكرم البزاز، وأبى دواد السجستانى.

وروى عنه أبو بكر القطيعى والدارقطنى. كان فقيهًا عارفًا له: كتاب الخلاف وسنن فى الحديث والفوائد فى الحديث، وقلادة النحر (ت ٣٤٨ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٤ / ١٨٩، وطبقات الحنابلة ٢ / ٧، وطبقات الحفاظ ٣٥٥، وهدية العارفين ٥ / ٦٣، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٦.

٢ ـ ابن الأعرابى: وهو الإمام الزاهد، شيخ الحرم، أبو سعيد، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر، صاحب التصانيف، سمع الحسن بن محمد الزعفرانى، ومحمد بن عبد الملك الدقيقى، وأبا داود السجستانى وغيرهم. وعنه ابن المقرىء، وابن منده، وعبد الله بن يوسف الأصبهانى وغيرهم.

كان ثقة، ثبتًا، عارفًا، عابدًا ربانيًا كبير القدر، بعيد الصيت، صنف معجمًا لشيوخه، وتاريخًا كبيرًا للبصرة (ت ٣٤٠ هـ).

ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٣ / ٦٦، ولسان الميزان ١ / ٣٠٨، والأعلام ١ / ١٩٩.

٣ ـ أبو على الصفار: إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح.

سمع الحسن بن عرفة وزكريا بن يحيى المروزى، وعباس ابن محمد الدورى وغيرهم.

وروى عنه محمد بن المظفر والدارقطنى ومحمد بن أحمد ابن رزقويه وغيرهم.

علامة بالنحو واللغة، ثقة أمين، صحب المبرد صحبة اشتهر بها، وروى الكثير وأدركه الدارقطنى وقال: هو ثقة منقب للسنة. (ت ٣٤١ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٦ / ٣٠٢، ونزهة الألبا: ٣٥٤، وإنباه الرواة ١ / ٢١١، ومعجم البلدان ٧ / ٣٣، والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٦، وشذرات الذهب ٢ / ٣٥٨.

٤ ـ الخُلْـدى : جعفر بن محمـد بن نصير بـن القاسـم ، أبو الخواص المعروف ، بالخلدى الزاهد ، شيخ الصوفية ، قال ابن طاهـر : الخلد لقب لجعفر بن نصير وليس نسبـة إلى هذا الموضع .

روى عن الحارث بن أبى أسامة وبشر بن مـوسى الأسدى وعلى بن عبد العـزيز البغوى ، ومحمـد بن حفص السدوسى وغيرهم .

وعنه الحسين بـن الحسن المخزومى وابن رزقـويه ، وعلى ابن أحمد الرزاز كـان ثقة ، صادقاً ، فـاضلاً ، سمع الكثير من مشـايخ الصـوفية والمحـدثين وحج ستين حجـة ، (ت ٣٤٨ هـ) .

ترجمته فى تاريخ بغداد ٧ / ٢٣١ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٣٤ ، ومعجم البلدان ٢ / ٣٨٢ .

٥ ـ ابن أبى هـريـرة : الحسن بن الحسن بن أبى هـريـرة البغـدادى ، أبو على الشـافعى ، فقيه من أصحـاب الوجـوه ، انتهت إليه إمامة الشافعية فى العراق كان عظيم القدر مهيبًا .

أخذ الفقه عن أبى العباس بن سريج ، وصاحب أبى حامد المروزى . درس بالبصرة وعنه أخذ فقهاؤها .

له المسائل فى الفروع ، وشرح مختصر المزنى فى الفروع . (ت ٣٤٥ هـ) .

ترجمتـه فى تاريخ بغداد ٧ / ٢٩٨ . ووفيات الأعيان ٢ / ٧٥ ، وهـدية العارفين ٥ / ٢٦٩ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٠ والأعلام ١ / ١٣٠ .

٦ ـ أبو عمرو السماك ، عثمان بن أحمد البغدادى .

روى عن الحسن بن مكرم ، ويحيى بن أبـى طالـب ، وأبى قلابة الرقاشى وغيرهم . كان ثقة ثبتًا .

كتب المصنفات الكثيرة بخطه (ت ٣٤٤ هـ) .

ترجمته فى تاريخ بغداد ١١ / ٣٠٢ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٩ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٦٦ .

٧ ـ ابن داسـة : الشيخ الثقة العالم الثقة العـالم محمد بن بكر بن عبـد الرزاق أبو بكر بن داسـة التمار روى عن أبى داود السجستـانى ، وأبى جعفـر محمـد بن الحسن بن يـونس الشيرازى ، وإبراهيم بن فهد الساجى وغيرهم وعنه أبو سليمان الخطابى ، وأبـو بكر المقرى . وعبـد المؤمن القرطبـى شيـخ ابن عبد البر وغيرهم (ت ٣٤٦ هـ) .

تـرجمته فى سير أعـلام النبلاء ١٠ / ٢ / ٢٦٦ ، والنجوم الـزاهـرة ٣ / ٣١٨ ، وشـذرات الـذهب ٢ / ٣٧١ ، وصحيح سنن المصطفى ١ / ٥ .

٨ ـ محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم ، أبو عمر البغوى الزاهد المطرز اللغوى غـلام ثعلب . أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف ، صحب ثعلبًا النحوى زمانا .

روى عن أحمد بن عبيـد النرسى ، وأبى العبـاس الكديمى وبشر بن موسى الأسدى وغيرهم .

وعنه على بن أحمد الرزاز ، وأبو قاسم بن المنذر وأبو على ابن شاذان له تصانيف : شرح الفصيح ، غريب أحمد . فائت العين والمداخل وغير ذلك (ت ٣٤٥ هـ) .

ترجمتـه فى تاريـخ بغداد ٢ / ٣٥٦ ، ولسـان الميزان ٥ / ٢٦٨ ، ووفيـات الأعيـان ٤ / ٣٢٩ ، وإنبـاه الـرواة ٣ / ١٧١ ، وطبقات الحنـابلة ٣٢٦ ، وتذكـرة الحفاظ ٣ / ٨٦ ، والبـداية والنهاية ١١ / ٢٣٠ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٠ .

٩ ـ الشاشـى : محمد بـن علـى بـــن إسماعـيل الإمـام ، أبو بكر الشاشى الفقيه المعروف بالقفال الكبير .

سمع من أبى خزيمة وابن جرير ، وأبـى القاسـم البغـوى ، وأبـى عروبـة الحرانـى ، وعـنه أبـو عبـد الله الحاكـم ، وأبـــو عبد الرحمن السلمى وابن منده .

وهـو أول من صنف الجـدل الحسـن من الفقهـاء . وعنـه انتشر مـذهب الشافعـى فى بلاده ، كـان إمام عصـره بما وراء النهر ، فقيهًا ، محـدثًا ، مفسرًا أصوليًّـا ، لغويًّا شاعـرًا ، وقال الشيخ أبو إسحـاق له مصنفات كثيرة ليس لأحـد مثلها ، (ت ٣٦٥ هـ) .

ترجمته فى وفيات الأعيان ١ / ٤٥٨ ، وطبقات السبكى ٢ / ١٧٦ ، وتهـذيـب الأسمـاء واللغـات ٢ / ٢٨٢ ، ومفتـاح السعادة ١ / ٢٥٢ ، وطبقـات المفسريـن للداودى ٢ / ٢٩٦ واللباب ٢ / ٢٧٥ ، وهدية العارفين ١ / ٤٨ .

١٠ ـ أبـو العباس الأصم : محمد بن يعقـوب بن يوسف ، أبو العباس الأصم النيسابورى .

روى عن أحمد بن يوسف، وأحمد بن الأزهر، وبكار بن قتيبة وغيرهم وعنه أبو عبد الرحمن السلمى، وأبو بكر الحيرى، وأبو سعد الصيرفى كان يحدث من حفظه، حدث فى الإسلام نيفًا وسبعين سنة بمسجده ورحل إليه خلق كثير (ت ٣٤٦ هـ).

ترجمته فى التذكرة ٣ / ٨٠٦، والعبر ٢ / ٢٧٣، واللباب ٣ / ١٥٩، وطبقات الحفاظ: ٣٥٤، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٣.

١١ ـ مكرم بن أحمد القاضى، أبو بكر البغدادى البزاز، سمع يحيى بن أبى طالب، وأحمد بن عبد الله النرسى، وأحمد بن يوسف التغلبى وغيرهم كان ثقة (ت ٣٤٥ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢١.

أشهر تلاميذه:

١ ـ أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، أبو حامد، من أعلام الشافعية، ولد سنة ٣٤٤ هـ، فى إسفرايين بالقرب من نيسابور، ورحل إلى بغداد، فتفقه بها وعظمت مكانته، وانتهت إليه الرياسة.

قال السبكى: حافظ المذهب وإمامه. جبل من جبال العلم منيع، وحَبْر من أحبار الأمة رفيع. جمع نحو ثلثمائة متفقه.

له من الكتب: أصول الفقه، ومختصر فى الفقه سماه الرونق والبستان (ت ٤٠٦ هـ). ببغداد.

ترجمته تاريخ بغداد ٤ / ٣٦٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢، وطبقات الشافعية ٣ / ٢٤، وابن خلكان ١ / ١٩، وتهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٧٨، والمنتظم ٧ / ٢٧٧، والعبر ٣ / ٩٢، وطبقات الشافعية للشيرازى: ١٠٣ وهو فيه أحمد بن طاهر.

٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشانى، صاحب الغريبين، أبو عبيد الهروى.

قال ياقوت: قرأ على أبى سلمان الخطابى، وأبى منصور الأزهرى، وروى عنه عبد الواحد المليحى وأبو بكر الأزدستانى (ت ٤٠١ هـ).

ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٢ / ١٠١٩، وبغية الوعاة / ١٦١.

٣ ـ عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله غفير، أبو ذر الأنصارى الهروى المالكى الحافظ، كان يعرف فى بلده بابن السماك، من فقهاء المالكية، أصله من هراة، نزل مكة، سمع الحديث ورحل إلى البلاد. وكان إمامًا فاضلاً سخيًا صوفيًا.

قال القاضى عياض: ولأبى ذر كتاب كبير مخرج على الصحيحين وكتاب السنة والصفات (ت ٤٣١ هـ) وقيل (ت ٤٣٤ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ١١ / ١٤١، وطبقات الحفاظ / ٤٢٥، والتذكرة ١٣ / ١١٠٣ والنجوم الزاهرة ٥ / ٣٦، وكشف الظنون / ١٤٤١، وهدية العارفين ٥ / ٤٣٧ وشذرات الذهب ٣ / ٢٥٤.

٤ ـ الحاكم النيسابورى: محمد بن عبد الله بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبى الطهمانى النيسابورى الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيع.

أخذ عن نحو ألف شيخ، وولى قضاء نيسابور، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه.

قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة فى أيدى الناس ما يبلغ ألف وخمسمائة جزء منها تاريخ نيسابور مخطوط.

قال السبكى: وهو عندى من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة. (ت ٤٠٥ هـ).

ترجمته فى طبقات السبكى ٣ / ٦٤، الوفيات ١ / ٤٨٤، ونهاية ٢ / ١٨٤، ميزان الاعتدال ٣ / ٨٥. ولسان الميزان ٥ / ٢٣٢، وتاريخ بغداد ٥ / ٤٧٣، والوافى ٣ / ٣٢٠.

ومن تلاميذه أيضا:

أبو نصر محمد بن أحمد البلخى، وأبو مسعود الحسين ابن أحمد الكرابيسى، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الرزجاهى، وجعفر بن محمد بن على المروزى المحاور، وأبو بكر بن محمد الحسين الغزنوى المقرى، وعلى بن الحسين السجزى، ومحمد بن على بن عبد الملك الفارسى الفسوى.

وفاته :

تكاد المصادر كلها تقريبا تذكر سنة ٣٨٨ هـ تاريخًا لوفاة الخطابى البستى. إلا أن ابن الجوزى فى المنتظم (٦ / ٣٩٧) قد ذكر أن وفاته سنة تسع وأربعين.

وقال السمعانى (الأنساب ٥ / ١٥٧ ـ ١٥٩) أن وفاته يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة ست وثمانين.

وفى إرشاد الأريب لياقوت: توفى الإمام أبو سليمان الخطابى ببست فى رباط على شاطىء هند منذ يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورثاه صديقه وتلميذه أبو منصور الثعالبى فقال :

انظروا كيف تخمد الأنوار
انظروا كيف تسقط الأقمار
انظروا هكذا تزول الرواسى
هكذا فى الثرى تغيض البحار

آراء العلماء فيه :

قال الثعالبى : كان يشبه فى عصرنا بأبى عبيد القاسم بن سلام فى عصره علمًا وأدبًا، وزهدًا، وورعًا، وتدريسًا، وتأليفًا. إلا أنه كان يقول شعرًا حسنًا، وكان أبو عبيد مفحمًا (يتيمة الدهر ٤ / ٣٣٤).

وقال السمعانى: «إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة ونقل عن الحاكم أنه قال عنه: الفقيه الأديب، البستى، أبو سليمان الخطابى، أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدث بها، وكثرت الفوائد من علومه» (الأنساب ٥ / ١٥٧ـ١٥٩).

ويحدث عنه ياقوت الحموى (معجم الأدباء ١٠ / ٢٦٨)، فيقول: رحل إلى العراق والحجاز، وجال فى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وتفقه بالقفال الشاشى وغيره.

وقال أيضا : وكان من الأئمة الأعيان.

وقال السمعانى أيضا: وكان يكسب قوته من التجارة وفى أخريات حياته مال إلى الصوفية فدخل خلوتهم.

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢ / ٢١٤): كان فقيها، أديبًا، مُحدِّثًا، له التصانيف البديعة، منها: غريب الحديث، ومعالم السنن، أعلام السنن، كتاب الشجاج، شأن الدعاء، إصلاح غلط المحدثين.

ونقل الذهبى (سير أعلام النبلاء ١١ / ١ ـ ٨ مخطوط) عن أبى طاهر السلفى (ت ٥٧٦ هـ) قوله: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبى داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته واطلع على بديع تصرفاته فى مؤلفاته تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان قد رحل فى الحديث وقراءة العلوم، وطوف. ثم ألف فى فنون من العلم وصنف، وفى شيوخه كثرة، وكذلك فى تصانيفه.

ويصفه السبكى (طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٢، ٢٨٣) فيقول: كان إمامًا فى الفقه والحديث واللغة، وذكره الإمام أبو المظفر السمعانى فى كتاب: «القواطع فى أصول الفقه» عند الكلام على العلة، والسبب، والشرط، وقال: قد كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام من أئمة السنة، صالح للاقتداء به والإصدار عنه.

وهو فى نظر ابن كثير (البداية والنهاية ١١ / ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٢٤): أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين المكثرين، سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان، وله فهم مليح، وعلم غزير، ومعرفة باللغة والمعانى والفقه.

وقال عنه طاش كبرى زاده (مفتاح السعادة ٢ / ١٤٦) بأنه: الإمام المشار إليه فى عصره، والعلامة فريد دهره فى الفقه والحديث والأدب، ومعرفة العرب. له التصانيف المشهورة، والتأليفات العجيبة.

وفيه قال ابن العماد (شذرات الذهب ٣ / ١٢٧): كان أحد أوعية العلم فى زمانه، حافظًا، فقيهًا مبرزًا على أقرانه.

شعره :

قال الثعالبى عن الخطابى: «أنه كان يقول شعرًا حسنًا» (يتيمة الدهر ٤ / ٣٨٣) ولذا فقد اتسم شعره بطابع الزهد والحِكَم الاجتماعية التى تنم عن صفاء نفسه، وسمو منزلته العالية فى مداراة الناس وإسداء النصيحة لهم.

ونعرض بعضًا مما قاله :

وما غُمة الإنسان فى شقة النوى
ولكنها والله فى عدم الشكل
وإنى غريب بين بُسْت وأهلها
وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى

وقال :

شر السباع العوادى دونه وَزَرٌ
والناس شرهم ما دونه وَزَرُ
كم معشر سلموا لم يؤذهم سَبُعٌ
وما نرى بشرًا لم يؤذه بشرُ

وقال :

ما دمت حيًّا فدارِ الناس كلهم
فإنما أنتَ فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى
عما قليلٍ نديمًا للندامات

وقال :

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا
عليها غير ريح مستعاره
وما للريح دائمة هبوب
ولكن تارة تجرى وتاره

وقال :

وقائل ورأى من حجتى عجبًا
كما ذا التوارى وأنت الدهر محجوب
فقلت: حلت نجوم العمر مذ بدا
نجم المشيب ودين الله مطلوب
فلذت من رجل بالاستتار عن الـ
أبصار إنَّ غريم الموت مرعوب

وقال :

تغنم سكون الحادثات فإنها
وإن سكنت عما قليل تَحَرَّكُ
وبادر بأيام السلامة إنها
رُهونٌ، وهل للرهن عندك مَتْرك

وقال :

تسامح ولا تستوف حقك كله
وأبعد فلم يستقص قط كريم
ولا تغل فى شىء من الأمر واقتصد
كلا طرفى قصد الأمور ذميم

وقال :

قد أولع الناس بالتلاقى
والمرء صب إلى هواه
وإنما منهم صديقى
من لا يرانى ولا أراه

وقال :

إذا خلوت صفا ذهنى وعارضنى
خواطر كطراز البرق فى الظلم
وإن توالى صياح الناعقين على
أذنى عرتنى منه حكلة العجم

(يتيمة الدهر ٤ / ٣٨٣ ـ ٣٨٥ . والحكلة : كالعجمة لا يبين صاحبها الكلام باللسان) .

مؤلفاته :

ترك الخطابى وراءه ثروة كبيرة من المؤلفات فى علوم اللغة والنحو والقرآن والحديث والفرائض . وفيما يلى قائمة بمؤلفاته :

١ ـ إصلاح غلط المحدثين .

قالت المؤلفة : هو الكتاب الذى نقلنا منه هذه الترجمة للخطابى، وقد أفردنا له مادة فى م ٥ / ١٨٨ ـ ١٩٠ فانظرها فى موضعها .

٢ ـ أعلام السنن فى شرح صحيح البخارى .

٣ ـ كتاب الجهاد : مخطوط .

٤ ـ رسالة فى إعجاز القرآن . قالت المؤلفة : اسمها «بيان إعجاز القرآن» طبعت فى القاهرة مع رسالتين أخريين، الأولى لابن الرمانى، والثانية لعبد القاهر الجرجانى فى دار المعارف، بتحقيق وتعليق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، ١٩٧٦ وذلك فى كتابة بعنوان «ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن» ذخائر العرب (١٦) . وقد لخصنا ما جاء بالرسالة فى مادة «إعجاز القرآن» فى م ٥ / ٣٠١، ٣٠٢ فانظرها فى موضعها .

٥ ـ الرسالة الناصحة .

٦ ـ كتاب الشجاج (وقع اسمه فى ابن خلكان ٢ / ٢١٤ «الشحاح» بالحاء المهملة فى الحرفين) .

٧ ـ شرح أسماء الله .

٨ ـ شعار الدين فى أصول الدين .

٩ ـ شأن الدعاء (طبع الكتاب فى دار المأمون للتراث ـ دمشق ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م) .

١٠ ـ عجالة العالم بين كتاب المعالم فى اختصار معالم السنن .

١١ ـ كتاب الاعتصام بالعزلة (طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ بالمطبعة المنيرية باسم «العزلة») .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبع دار الكتب العلمية . بيروت . بدون تاريخ ، وهى بتحقيق د . عبد الغفار سليمان البندارى .

١٢ ـ علم الحديث : مخطوط (ذكره بروكلمان / ٨٤ وسزكين / ٣٥) .

١٣ ـ غريب الحديث (طبع فى جامعة أم القرى . مكة . سنة ١٤٠٢ هـ بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوى) .

١٤ ـ الغنية عن الكلام وأهله : مخطوط (الرسائل الكبرى ١ / ٤٣٩) .

١٥ ـ معالم السنن فى شرح كتاب السنن لأبى داود (طبع فى حلب سنة ١٩٢٠ ، ١٩٣٤ وطبع فى القاهر بتحقيق أحمد محمد شاكر وحامد الفقى .

١٦ ـ معرفة السنن والآثار .

١٧ ـ كتاب النجاح .

١٨ ـ كتاب العروس (كذا ذكره ياقوت ضمن مؤلفات الخطابى) .

له ترجمة فى :

(١) يتيمة الدهر ، الثعالبى ٤ / ٣٣٤ .

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية ، للعبادى : ٩٤ .

(٣) الأنساب ، للسمعانى ٥ / ١٥٨ .

(٤) الفهرست ، لابن خير : ٢٠١ .

(٥) المنتظم ، لابن الجوزى ٦ / ٣٩٧ .

(٦) معجم البلدان ، لياقوت الحموى . لندن ٢ / ٨١ ـ ٨٧ ، القاهرة ٤ / ٢٤٦ ـ ٢٦٠ ، ١٠ / ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .

(٧) معجم البلدان ، لياقوت الحموى ١ / ٤١٥) .

(٨) إنباه الرواة ، للقفطى ١ / ١٢٥ .

(٩) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ٢ / ٢١٤ .

(١٠) سير أعلام النبلاء ، للذهبى ، مخطوط ١١ / ١ / ٧ ـ ٩ .

(١١) ـ تذكرة الحفاظ ، للذهبى ٣ / ١٠١٩ .

(١٢) طبقات الشافعية ، للسبكى ٣ / ٢٨٢ .

(١٣) اللباب ، لابن الأثير ١ / ٤٥٢ .

(١٤) البداية والنهاية ، لابن كثير ١١ / ٢٣٦ / ٣٢٤ .

(١٥) النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ٤ / ١١٩ .

(١٦) بغية الوعاة ، للسيوطى ١ / ٥٤٦ .

(١٧) مفتاح السعادة . لطاش كبرى زاده ٢ / ١٤٦ .

(١٨) كشف الظنون ، لحاجى خليفة ١ / ١٠٨ .

(١٩) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣ / ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢٠) خزانة الأدب ، للبغدادى ٢ / ١٠٦ .

(٢١) معجم المؤلفين ، لرضا كحالة ٢ / ٦١ ، ٤ / ٧٤ ، ١٣ / ٣٦٦ .

(٢٢) تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ٣ / ٥١٢ .

(٢٣) الأعلام ، للزركلى ٢ / ٣٠٤ .

(٢٤) بروكلمان ١ / ١٦٥ رقم ١٢ .

(٢٥) سزكين ١ / ٤٢٨ الرياض .

(إصلاح غلط المحدثين / ٩ ـ ٢٣) .

وقد ذكره القفطى فى إنباه الرواة (١ / ١٢٥) فى باب الأحمدين تبعًا للثعالبى وأبى عبيد الهروى ، وتابعهما ياقوت فى معجم الأدباء ومعجم البلدان ، والصحيح أن اسمه «حَمْد» كما سبق أن ذكرنا فى بداية هذه المادة .

(إصلاح غلط المحدثين للخطابى البستى ــ دراسة وتحقيق د . محمد على عبد الكريم الرديني . مقدمة المحقق / ٩ ـ ٢٣ . انظر أيضا الأعلام ٢٣ / ٢٧٣ ، وقد أدرجه تحت اسم «حَمْد الخطابى» ، وإنباه الرواة للقفطى ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٢٥ ، و «الخطابى

وإعجاز القرآن» ـ أ. د. محمد محمد أبو موسى. الوعى الإسلامى ـ العدد ٢٩١. ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ـ أكتوبر ١٩٨٨ م / ١١ ـ ١٥).

*** الخطاطات:**

لقد شاركت المرأة الرجل فى الخط كما شاركته فى كثير من الأمور الحياتية. ويحصى الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط عددًا من النساء اللاتى اشتهرن بالخط منذ صدر الإسلام وإلى عهد قريب، ومن هؤلاء:

أسماء عبرت بنت أحمد آغا: خطاطة من خطاطات القسطنطينية اشتهرت بخطها الجميل الجيد كتبت حلية جميلة.

أسماء بنت أحمد: شوهد لها قطعة خطية كتبتها سنة ١٢٧٧ هـ فى غاية الجودة.

بنت خدا وردى: يأتى الكلام عليها فيما بعد

الشفا بنت عبد الله العدوية: هى بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية تعلمت الكتابة، وأسلمت قبل الهجرة روت اثنى عشر حديثًا. قيل إن اسمها ليلى والشفا لقبها.

بادشاه خاتون بنت محمد بن حميد تابنكو: شاعرة ذات خط ياقوتى خطت به المصاحف، وذكرت فى تذكرة الخطاطين لمستقيم زاده ووردت أشعارها فى نخبة التواريخ.

بزم عالم: أخبر عنها أنها والدة السلطان عبد المجيد خان وأنها كتبت بيدها نسخة من دلائل الخيرات.

ثناء جارية بن فيوما: كانت كاتبة فاضلة أخذت الخط عن إسحق بن حياد الذى كان فى زمن المنصور والمهدى.

جارية أبى عبد الله الكنانى: عالمة فاضلة وأديبة كبيرة لم ير فى زمانها أجود كتابة وخطًا ولا أبدع أدبًا توفيت فى القرن الخامس للهجرة.

جهان بنت قاسم سليمان القاجارى: أديبة فارسية، ناثرة، ناظمة، ذات عقل وافر وماهرة فى الخط والنقش والتطريز توفيت فى ٦ ربيع الثانى ١٢٩٠ هـ.

حافظة بنت محمد سعيد: خطاطة فاضلة، أجادت خطى النسخ والثلث وحدثت عن أبيها، توفيت ببغداد سنة ١٣٤٦ هـ ومن آثارها الخطية بعض اللوحات من آى القرآن الكريم.

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أخذت الكتابة عن الشفا بنت عبد الله العدوية وهى التى قال عنها النبى ﷺ «علِّمى حفصة رقية النمل كما علمتيها الكتابة».

حليمة بنت محمد صادق: خطاطة من الأستانة أتقنت الخط سنة ١١٦٩ هـ وأجازها الخطاط محمد راسم.

خديجة بنت عثمان بن محمد الهورى: يقال لها ضوء الصباح: محدثة كانت جيدة الخط والإنشاء تكتب بخطها الإجازات توفيت سنة ٧٣٤ هـ.

خديجة بنت محمد بن أحمد: أصلها من خراسان كان والدها قاضى نيسابور وهو المعروف بالجرجانى، كانت تكتب الخط الجيد، وكانت من الصالحات توفيت سنة ٣٧٢ هـ.

خديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادى: (أمة العزيز)، عالمة كاتبة روت الكثير عن ابن الكبتى ومكرم، قرأت النحو وجودت الخط على جماعة، توفيت عن نيف وسبعين سنة.

خديجة بنت محمود المفتى: عالمة فاضلة روت عن ابن الزبيدى وغيره، قرأت النحو وجودت الخط على جماعة، توفيت فى رجب سنة ٦٩٩ هـ.

درة هانم: أخبر عنها أنها والدة السلطان محمود خان كانت ذات خط جميل وأنها كتبت مصحفًا شريفًا سنة ١١٧٢ هـ.

رشدية هانم: كانت تكتب الخط الجيد نسخت كتابا فى التاريخ بخطها حوالى سنة ١١٩٢ هـ.

زينب الملقبة بشهدة الدينورية: هى بنت أبى نصر بن الفرج بن عمر الأبرى الكاتبة الدينورية الأصل، بغدادية المولد والوفاة، كانت عالمة فاضلة محدثة كاتبة تكتب الخط الجيد، وأخذ عنها الخط كثيرون منهم ياقوت الملكى (وهو غير ياقوت المستعصمى) كاتب السلطان ملكشاه توفيت سنة ٥٧٤ هـ.

زاهدة هانم كريمة عالى باشا: أصلها من الأستانة أخذت الخط عن مصطفى عزت وأجازها، فكانت تكتب الخط الحسن لها ألواح معلقة على بعض المساجد والتكايا بالأستانة كانت موجودة سنة ١٢٩٠ هـ.

زوجة السردار عبد القدوس خان معتمد الدولة الأفغانية: هى من فضيلات نساء كابل، ماهرة أديبة، كانت تكتب الخط

الجيد الحسن. خطها يضاهى أشهر الخطاطين لم يعرف اسمها للعادة الجارية فى غالب البلاد الإسلامية، كانت موجودة عام ٩٣٩ هـ.

ست الرضا بنت نصر الله بن مسعود: (بنت الأستاذ): كاتبة تكتب خطًّا مليحًا على طريقة ابن البواب كانت حيَّة حوالى ٥٦٧ هـ.

ست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم: أصلها من دمشق، كانت تكتب الخط الحسن، وكانت موجودة فى سنة ٧٣٧ هـ.

سعدونة أم سعد بنت عصام الحميرى القرطبية: راوية روت عن أبيها وجدها وغيرهما، وأنشدت فى تمثال نعل النبى ﷺ:

سألثم التمثال إذ لم أجد ... للثم نعل المصطفى من سبيل

لعلنى أحظى بتقبيله ... فى جنة الفردوس أسنى مقيل

فى ظل طوبى ساكنًا آمنًا ... أسقى بأكواس من السلسبيل

وأمسح القلب به علـه ... يسكن ما جاش به من غليل

فطالما استشفى بأطلال من ... يهواه أهل الحب فى كل جيل

سلمى بنت محمد بن محمد الجزرى: (أم الخير): قارئة مجودة، شاعرة كانت حيَّة سنة ٨٣١ هـ حفظت القرآن وقرأت بالقراءات العشر، وكتبت الخط الجيد.

سيدة بنت عبد الغنى بن على العبدرى: وتكنى أم علاء. عالمة فاضلة ولدت بتونس فى أوائل القرن السابع للهجرة، حفظت القرآن الكريم، جودت الخط ونسخت بخطها مرارا إحياء علوم الدين للغزالى وغيرها من المؤلفات توفيت فى تونس يوم الثلاثاء لخمس خلون من محرم الحرام سنة ٦٤٧ هـ.

شجرة الدر أم خليل الصالحية: من شهيرات الملكات فى الإسلام ذات إدارة وحزم وعقل ودهاء وبر وإحسان، كانت تكتب خطًّا يشبه خط زوجها الملك الصالح فتعلم التواقيع.

صارة الحلبية: شاعرة أديبة، وطبيبة ماهرة كانت تتعاطى كثيرًا من الصناعات وتكتب الخط الجيد، وتحل الذهب بمعرفة وخبرة فتكتب به.

صفية بنت عبد الله الربيُّ: أديبة، شاعرة، موصوفة بحسن الخط توفيت فى آخر سنة ٤١٧ هـ وهى دون الثلاثين.

عائدة بنت محمد الجهنية: شاعرة فاضلة وخطاطة ماهرة، وهى زوجة الوزير عمر بن شيرز.

عائشة بنت أحمد القرطبية: أديبة شاعرة ذات فصاحة وبلاغة، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف.

عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور: شاعرة وناثرة ولدت بالقاهرة سنة ١٢٥٦ هـ أخذت القرآن الكريم والخط والفقه عن إبراهيم مؤنس. توفيت بالقاهرة سنة ١٩٠٢ م.

قالت المؤلفة: تعرف بعائشة التيمورية، ونفرد لها ترجمة فى موضعها إن شاء الله تعالى:

عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسينى: شاعرة من شواعر المغرب فى القرن السادس الهجرى، كانت تجود الخط فقد كتبت يتيمة الدهر للثعالبى.

عزيزة بنت قاسم بن قطلوبغا الحنفى: من فواضل نساء عصرها كانت ذات صلاح ودين تعلمت الخط وقرأت ما تيسر من القرآن الكريم.

عَلَم المدينة: أندلسية الأصل تعلمت الغناء وكانت حسنة الخط راوية للشعر.

فاطمة آنى شهرى: أصلها من الأستانة مشهورة بحسن الخط خاصة خط النسخ، وكانت فاضلة شاعرة، كانت موجودة ١١٢٢ هـ.

فاطمة بنت إبراهيم: أصلها من الأستانة أخذت الخط من زوجها توقاتى محمود أفندى وأجازها فكانت تجيد خط النسخ والثلث والجلى ديوانى.

فاطمة البغدادية: هى جارية المعتصم، كان خطها فى غاية الحسن حتى شبه بخط ابن هلال، وكانت ماهرة فى الغناء وضَرْب العود توفيت سنة ٢٧٤ هـ.

فاطمة بنت أحمد بن علي البغدادية : أخذت الفقه والخط عن والدها وكان خطها جيدًا، وقد كتبت مجمع البحرين كانت موجودة سنة ٧٠٣ هـ.

فاطمة بنت الحسن بن علي الأقرع : كاتبة من أحسن الناس خطًا على طريقة ابن البواب فقد قال السمعاني : «كان لها خط مليح حسن»، وهي التي أهلت لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيز ورحلت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري وكتب الناس على خطها توفيت سنة ٤٨٠ هـ.

فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الشبلاري : كاتبة جزلة، كانت تجيد الخط فكتبت الكتب الطوال توفيت سنة ٤٢٧ هـ.

فاطمة بنت عبد القادر بن محمد بن عثمان : اشتهرت بجيد خطها وعبارتها الفصيحة وعفتها وتقشفها وملازمتها للصلاة حتى في مرضها، نسخت كتبًا كثيرةً توفيت سنة ٩٦٦ هـ.

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي : عالمة فاضلة محدثة ذات خط جميل وكانت الفتوى لايخرج فيها [إلا] خطها وخط أبيها وزوجها الكاساني الذي توفي بعدها سنة ٥٧٨ هـ توفيت بحلب.

فطنت بنت أحمد باشا : شاعرة أديبة ولدت في طربزونة كان والدها وإلى طربزون أحضر لها معلمين علموها الخط وباقي العلوم.

كلثوم بنت عمر بن صالح النابلسية : محدثة ذات دين وصلاح وعقل ولدت بالقاهرة، وقرأت القرآن الكريم بكامله وكتبت الخط الحسن توفيت في رمضان سنة ٨٥٦ هـ.

كوهر شاد بنت مير عماد : كانت مشهورة بجودة الخط كان خطها في غاية الحسن والجمال كانت موجودة سنة ١٠٢٨ هـ.

لبنى كاتبة المستنصر بالله العباسي : هي بنت عبد المولى قيل إنها كانت جارية المستنصر تكتب الخط الحسن، وكانت كاتبة شاعرة عالمة بالنحو بصيرة بالحساب والعروض، لم يكن في قصر الخليفة أنبل منها، وتوفيت سنة ٥٩٤ هـ.

مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله : كانت حاذقة من أخط النساء توفيت سنة ٣٥٨ هـ.

ورقاء بنت نيتاب : شاعرة أديبة صالحة حافظة للقرآن بارعة في الخط.

بنت خداوردي : ومعنى ذلك (البنت التي أعطاها الله لنا). لها قصة طريفة، وهي أنها كانت تكتب برجلها. فقد جاء في كتاب أخبار الأول للإسحاقي ما نصه :

«في زمن الملك الكامل في شهر شوال سنة ٦٢٤ هـ أحضرت من الإسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفي موضع ثدييها مثل الحلمتين فجيء بها بين يدي الوزير رضوان فعرفته أنها تعمل برجليها ماتعمله النساء بأيديهن من خط ورقم وغير ذلك فأحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلمًا فلما ترض شيئًا من الأقلام المبرية التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما يكتبه الكتاب بيمينهم وناولت الرقعة للوزير فإذا فيها السؤال بالزيادة في راتبها فزادها وأعادها إلى بلدها.

(الخط العربي : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسي الخطاط / ١٠٩ـ١١٩، ١٢٣، ١٢٤).

* الخطاطون :

لعل من أهم المشتغلين بالفنون الجميلة عند المسلمين الخطاطون وذلك لاشتغالهم بكتابة المصاحف ونسخ كتب الأدب والشعر، ولأن رجال الدين كانوا راضين عنهم ومن ثم فقد تقدم في تحسين الخط وأقبل الأمراء ورجال الدولة على شراء المخطوطات الكاملة أو النماذج من كتابة الخطاطين المشهورين. وكان الخطاط يُذَيِّل كتابته بإمضائه معتزًا بخطه ولأنه لم يكن يخشى نقمة الفقهاء كزميله المصور. ولذا كانت أسماء الخطاطين معروفة، وقد حظي الكثيرون منهم دون غيرهم من الفنانين المسلمين بأن ألفت عنهم الكتب والبحوث التي تتحدث عن تراجمهم وعن مدارسهم وأسلوبهم في تجويد الخط العربي. وقد وصل بعض الخطاطين إلى درجة عالية في فنهم استوجبت الدهشة والإعجاب فقد كتبت سور من القرآن الكريم على حبة أرز أو حبة قمح وغير ذلك من العجايب (كرد علي : خطط الشام جـ ٤). وقد حظي متحف العظم بدمشق بالكثير من هذه التحف الفنية النادرة.

ولقد كان الخطاط أقرب أرباب الصناعات إلى الفن

والفكر عند المسلمين ولذلك كان فى مقدمة أهل الفنون الجميلة، كما زاول الكثير من كبار رجال الدولة والمفكرين تجويد الخط واعتبروا ذلك شرفًا كبيرًا لهم .

وكان بعض الخطاطين يجمعون بين فن تجويد الخط وبين فنون الكتاب الأخرى مثل التصوير والتذهيب والتجليد. فالمعروف أن الخطاط كان يتم كتابة المخطوط تاركًا فيها الفراغ الذى يطلب منه فى بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال المذهبة، أو تنقش فيه صور لتوضيح متن الخطوط. فقد وصلت إلينا بعض مخطوطات لم تتم بها الرسوم فى الفراغ الذى تركه الخطاط، فقد كان المخطوط، يسلم بعد أن ينتهى الخطاط من كتابته إلى فنان متخصص فى رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف، فإذا ما انتهى سلمه إلى المذهّب الذى يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى والأخيرة وبداية فصوله وعناوينه (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٠٣).

ويقول الشيخ وليد الأعظمى فى مقدمة كتابه «جمهرة الخطاطين البغداديين»:

انتشرت الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام، وبخاصة فى المدن والحواضر العلمية.

وفى أواخر العهد الأموى كانت مدينة الكوفة على رأس تلك الحواضر، إذ صارت مهوى أفئدة العلماء والأدباء والفقهاء، تزخر مساجدها بالحلقات الفقهية والمجالس اللغوية والأدبية، واشتهر فيها جماعة من النساخ المجيدين. وأخذت خطوط النساخ تتقارب فى أوضاعها ورسومها، حتى نسب هذا النسق من الخط إلى الكوفة، وسمى بـ (الخط الكوفى).

وبهذا تكون الكوفة أول حاضرة عربية ينسب إليها الخط، قبل أن ينسب إلى أية مدينة أخرى.

والخط الكوفى يابس، حاد، مستقيم الحروف، ذو زوايا، بطىء عند الكتابة، وقد نبغ من بين الكتاب طائفة، تخصصوا بهذا الخط، وتفننوا به، وصار خطهم يلفت أنظار الآخرين، فاقتدوا به واتخذوه منهجًا فنيًا.

ومن أولئك النابغين بحسن الخط خالد بن أبى الهياج، وقطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، فى أواخر العهد الأموى، وأوائل العهد العباسى، ثم إسحاق بن حماد، والأحول المحرر، وغيرهم.



وعلى أيدى هؤلاء المبدعين، بدأ (الخط الكوفى اليابس) يميل إلى الليونة والتقوير، وتعددت أنواع الخطوط، حتى قال الخليفة المأمون: «لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط لشرفه».

قال ابن خلدون:

«واختط بنو العباس بغداد، وترفت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت فى العمران، وكانت دار الإسلام، ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد، أوضاعه فى الكوفة، فى الميل إلى إجادة الرسوم، وجمال الرونق، وحسن الرواء، واستحكمت هذه المخالفة فى الأعصار، إلى أن رفع رايتها ببغداد: أبو على بن مقلة الوزير، ثم تلاه فى ذلك على ابن هلال، الشهير بابن البواب ... وبعدت رسوم الخط البغدادى، وأوضاعه عن الكوفة، حتى انتهت إلى المباينة» (المقدمة / ٣٧٩).

وانتقل العلماء والأدباء والفنانون إلى بغداد، وتنوعت فيها العلوم والمعارف، وازدهرت الفنون ومعالم الحضارة.

ومضت بغداد تنافس الكوفة فى ريادة الخط العربى وتطوره، وظهرت عليها، وانتشرت القاعدة البغدادية السهلة الجميلة.

قال الأستاذ الأثرى:

«ومن بغداد انتشرت شرقًا وغربًا أصول الخط البديع المنسوب».

ولا نجد فى حواضر العالم الإسلامى مدينة أنجبت من الخطاطين البارعين الكبار كمدينة بغداد، فتاريخها حافل

بالأمجاد الفنية، والأعلام البارزين فى الخط العربى. ولا يخفى أن الخط العربى، إلى جانب كونه فنا جميلا، فقد كان من متممات شخصية العالم، والأديب والفقيه، والقاضى، والقائد والوزير، والأمير.

وكان كثير من العلماء والنساخ والخطاطين، يتفرغون لنسخ الكتب بأسماء الخلفاء أو الأمراء أو الوزراء، كما اشتغل كثير منهم فى خزانات الكتب الكبرى، والتدريس فى المدارس العلمية العالية.

وكان الخلفاء يختارون كبار الخطاطين لتعليم أولادهم حسن الخط وضبطه، لأنه يعتبر من المقومات للشخصية المؤثرة عندهم.

وكان الخلفاء يجيدون قواعد الخط، واشتهر بعضهم بحسن الخط حتى كانوا من الطبقة العليا من الخطاطين. لذلك كان العلماء والأدباء يتنافسون بحسن الخط، وهذا الأديب العالم الخطاط عبد القاهر بن أبى جرادة، يفتخر بحسن خطه ويقول:

ما اخترت إلا أشرف الرتب
خطاً أخلد منه فى الكتب
والخط كالمرآة تنظرها
فترى محاسن صورة الأدب
هو وحده حسب يطال به
إن لم يكن إلاه من حسب
مازلت أنفق فيه من ذهب
حتى جرى، فكتبت بالذهب

وبقيت بغداد تتصدر حواضر العالم الإسلامى فى العلوم والآداب والفنون، حتى كانت النكبة، ووقعت الواقعة على أيدى التتر المتوحشين، الذين عاثوا فسادا فى بغداد، وقتلوا الآلاف من علمائها وأدبائها وتجارها وأعيانها، وقد استشهد جماعة من الخطاطين فى واقعة بغداد، وهرب بعضهم إلى الشام ومصر والحجاز.

قال ابن خلدون:

«ثم لم انحل نظام الدولة الإسلامية، وتناقصت معالم بغداد، ودرست بدروس الخلافة، فانتقل شأنها من الخط والكتابة، بل والعلم إلى مصر».

وكان التتر، ومن بعدهم المغول، قد نقلوا كثيرا من الخطاطين والمذهبين والصناع البغداديين إلى بلادهم فى خراسان وما وراء النهر، وازدهرت هناك فنون عديدة، وعلى رأسها الخط العربى وانتشرت القاعدة البغدادية فيها وفى الحواضر الإسلامية الأخرى لما حل فيها الخطاطون البغداديون بعد النكبة، وقامت نهضة فنية فى مصر والشام والحجاز وتركية والهند وما وراء النهر.

وعادت بغداد تتراجع فى ميادين العلوم والآداب والفنون، وخيم عليها ظلام دامس، حتى إننا لم نجد فيها خلال القرن التاسع الهجرى إلا أربعة من الخطاطين، وفى القرن العاشر اثنين فقط. بعد أن كانت موئل الخط العربى. ثم أخذت تتحدى هذه الصدمة، وبدأ نجمها يرتفع وبخاصة فى فن الخط العربى، حتى اجتلت مكانتها من جديد على يد العبقرى الفذ المرحوم هاشم محمد الخطاط البغدادى، الذى أعاد إلى بغداد مجدها العظيم.

فمن حق بغداد على أبنائها أن يبروها، ويبرزوا دورها الحضارى الرائد فى العلوم والآداب والفنون، وبخاصة فى فن الخط العربى، فهى التى أنجبت الأئمة الأربعة المجتهدين فى الخط العربى، الذى طوروه وهذبوه، ووضعوا قواعده وأصوله، وبلغوا فيه منزلة رفيعة بين معاصريهم، حتى صاروا مضرب المثل بحسن الخط والضبط وجمال التركيب. وكانوقدوة لغيرهم من الخطاطين. وهم الوزير أبو على بن مقلة المتوفى ٣٢٨ هـ، والخطاط العظيم على بن هلال الشهير بابن البواب المتوفى ٤٢٣ هـ وقبلة الكتاب ياقوت المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ، ومفخرة الخط العربى هاشم محمد البغدادى المتوفى ١٣٩٣ هـ.

لقد كتب العلماء عشرات الكتب عن علماء بغداد، ومحدثيها وفقهائها، وقضاتها وشعرائها وأدبائها، وخططها، ومدارسها، ولم أجد من تصدى للكتابة عن خطاطيها، وإنما وجدت أخبارهم منتشرة فى ثنايا الكتب.

وكنت فى سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م قد فرغت من كتابى (تراجم خطاطى بغداد المعاصرين) (طبع فى بيروت سنة

١٩٧٧م) ثم بدأت أجمع أخبار الخطاطين البغداديين، منذ تأسيس بغداد حتى نهاية القرن الرابع عشر ١٤٠٠ هـ. وقضيت فيه أكثر من عشر سنوات، وقد أفدت من مكتبة المجمع العلمي العراقي الغنية بالمصادر، بحكم عملي فيها وفي مطبعة المجمع، حتى اجتمعت لدى هذه المادة الوفيرة من أخبار الخطاطين البغداديين وتراجمهم، فسميته «جمهرة الخطاطين البغداديين» وهو يضم ستين وأربعمئة ترجمة. رتبتهم حسب تواريخ وفياتهم، ومن لم أعثر على تاريخ وفاته منهم وضعته في آخر القرن الذي عاش فيه ا. هـ (جمهرة الخطاطين البغداديين ١ / ٧ ـ ١١).

هذا وقد جاء في كتاب معرض دار الكتب المصرية ما يلي عن مشاهير الخطاطين:

تحتوي القاعة الكبرى التي هي القسم الرابع من هذا المعرض على أسماء لامعة لمشاهير الخطاطين كياقوت المستعصمي الخطاط الأشهر، ومصطفى راقم، وعبد الله الهروي، ومبارك شاه، ومحمد وصفي، والسيد عثمان المشهور بحافظ القرآن، وأحمد المعروف بحافظ القرآن، ومحمد الحافظ المعروف بالإمام، ومحمد هادي بن علي الأصفهاني، ومصطفى عزت، وروح الله اللاهوري، وأحمد المعروف بنائلي، والسيد حسن العاشقي، وعبد الرحمن بن الصائغ، وعبد الله الزهدي وغيرهما كثيرون (معرض دار الكتب المصرية/ ١٢).

ويمدنا مرتضى الزبيدي بمعلومات قيمة عن الخطاطين الذين أسماهم «الكتبة الكرام» في فصل من كتابه النفيس «حكمة الإشراق» ننقله لك فيما يلي، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ عبد السلام هارون بين أقواس في ثنايا النص.

قال الزبيدي:

من لدن زمن النبي ﷺ إلى زماننا هذا، على نسق الترتيب وحسن التهذيب.

فمن كتب له ﷺ وتشرَّف بخدمته بالكتابة الخلفاء الأربعة، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبي بن كعب، وثابت بن قيس بن شمَّاس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع الأسيدي، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وغير هؤلاء كما هو مسطور في المواهب وكتب السيرة، رضي الله عنهم أجمعين.

وكان ألزمهم بذلك وأخصهم به زيد بن ثابت، ومعاوية ابن أبي سفيان.

ثم انتهت جوده الخط وضرب جليله إلى الضحاك (هو الضحاك بن عجلان، وكان في أول خلافة بني العباس)، وإسحاق بن حماد. فأخذ إبراهيم السجزي عن إسحاق ضرب الجليل، فاخترع منه أخف حركات وأحسن مزاوجات، فسماه قلم الثلثين. ثم اخترع من هذا القلم ما هو أخف منه وأجرى فسماه قلم الثلث.

قال الشيخ عماد الدين محمد بن العفيف: بهذا القلم وقلم النسخ يعرف اقتدار الكاتب على صناعته.

ثم أخذ عن إسحاق يوسفُ واخترع قلما هزيلا تاما مفرط التمام مفتحا، فأعجب ذا الرياستين الفضل بن سهل، فأمر بتحرير الكتب السلطانية به، وسمى القلم الرياسي (قال بعض المتأخرين: وأظنه قلم التوقيعات).

وكان وجه النعجة مقدما في قلم الجليل، وأبو زرجان (في صبح الأعشى «وكان محمد بن معدان، يعني المعروف بأبي ذرجان» مقدما في قلم النصف. وكان أحمد بن حفص (في صبح الأعشى: أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف) أحلى الكتَّاب خطًّا في قلم الثلث.

قال الوزير (أبو علي محمد بن مقلة. وزر للمقتدر، ثم للقاهر بالله، ثم للراضي بالله):

معنى قول الكتَّاب قلم النصف والثلث والثلثين، إنما هو راجع إلى الأصل. وذلك أن للخط جنسين من الأربعة عشر طريقة التي هي الأصول، هي له كالحاشيتين أحدهما قلم الطومار، وهو قلم مبسوط كله، ليس فيه شيء مستدير، وكثيرا ما كتب به المصاحف المدنية القدم، وقلم آخر يسمى غبار الحلبة، وهو قلم مستدير كله ليس فيه شيء مستقيم. فالأقلام كلها تؤخذ من المستقيمة والمستديرة نِسبا مختلفة. فما كان فيه من الخطوط المستقيمة ما يوازي ما فيه من الخطوط المستديرة سمي قلم النصف. فإن كان الذي فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمي قلم الثلث، وإن كان فيه من

الخطوط المستقيمة الثلثان سمى قلم الثلثين. فعلى هذا تتركب هذه الأقلام.

وقد برع فيه حيون بن عمرو أخو الأحول، وكان أخط من أخيه.

ثم انتهت جودة الخط وحسنه وتحريره فى رأس الثلاثمائة إلى الأستاذ فى هذا الفن الوزير أبى على محمد بن الحسن بن مقلة الكاتب، وفاته فى سنة ٣٢٨، ثم إلى تلميذيه محمد بن أسد الغافقى ومحمد السمسانى، وعنهما أخذ الأستاذ الكبير أبو الحسن على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب، وعنه أخذ محمد بن منصور بن عبد الملك، وعنه الشيخة الكاتبة المحدثة زينب ـ ويقال أيضا فاطمة ـ وهى ابنة الشيخ أبى الفرج، وتعرف بشهدة بنت الأبرى (فى وفيات الأعيان بكسر الهمزة وفتح الباء)، وقد ترجمها الحافظ الذهبى فى تاريخه.

وممن جوّد عليها الشيخ أبو الدر أمين الدين ياقوت بن عبد الله الموصلى الكاتب ويعرف أيضا بالنورى، وبالملكى (نسبة إلى السلطان «ملكشاه أبى الفتح بن ملجوق»)، وبالشرفى، انتشر خطه فى الآفاق، ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه فى حسن الخط ولا من يؤدى طريقة ابن البواب فى النسخ مثله، مع فضل غزير. وكان مغرى بنقل صحاح الجوهرى فكتب منها نسخا كثيرة، كل واحدة فى مجلد تباع كل نسخة بمائة دينار وقد رأيت نسخة منها بمصر. ووفاته سنة ٦١٨ بالموصل.

وأما ياقوت الرومى ويعرف أيضا بالحموى فإن وفاته سنة ٦٢٦ بحلب عن اثنين[اثنتين] وخمسين سنة.

وممن كتب على ياقوت المذكور، أبو الحسن على بن زنكى المعروف بـ «الولى العجمى». ووجدت فى تاريخ الحافظ السخاوى أن الولى العجمى أخذ عن شهدة الكاتبة من غير واسطة ياقوت.

ثم انتهت جودة الخط إلى الشيخ «عفيف الدين محمد الحلبى»، ويعرف أيضا بالشيرازى. وعنه أخذ ولده «عماد الدين محمد»، وهو إمام النحاة والكتاب فى زمانه.

وممن كتب عليه الإمام العلامة شمس الدين «محمد بن على بن أبى رقبة».

(فى صبح الأعشى ٣ / ١٤ «شمس الدين بن أبى رقيبة محتسب الفسطاط، وهو ممن عاصرناه»).

وعنه الإمام العلامة «أبو على محمد بن أحمد بن الزفتاوى» المكتِّب، ولد سنة ٧٥٠ وسمع الحديث على الخليل بن طرنطاى، وصنف فى علم الخط «منهاج الإصابة» وانتفع به أهل مصر. وقد كتب عليه الحافظ ابن حجر وكفى به شرفا. مات سنة ٨٠٦، وكان رفيقه فى الكتابة على شيوخه الإمام شهاب الدين غازى.

(قال القلقشندى فى شأنه وشأن تلميذه: «وصنف مختصرا فى قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه فى صنعة الكتابة، أحسن فيه الصنيع، وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثارى محتسب مصر. ونظم فى صنعة الخط ألفية وسمها بالعناية الربانية فى الطريقة الشعبانية، لم يسبق إلى مثلها. ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهند، ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ».

وإلى هنا تنتهى سلسلة الخطاطين عند القلقشندى. وما سيأتى امتداد لهذه السلسلة التى لم يدركها).

وعنه تلميذه الإمام نور الدين الوسيمى، وعليه كتب الإمام زين الدين عبد الرحمن بن يوسف القاهرى، المعروف «بابن الصايغ» شيخ هذا الفن على الإطلاق، ولد بمصر سنة ٧٦٩ ولازم شيخه المذكور فى إتقان قلم النسخ حتى فاق عليه، وأحب طريقة ابن العفيف فسلكها واستفاد فيها من أبى على الزفتاوى المصرى، وصارت للزين طريقة منتزعة من طريقتى ابن العفيف وغازى، كما وقع لغازى شيخ شيخه، فإنه كتب أولا على ابن أبى رقبة شيخ الزفتاوى المذكور وتلميذ ابن العفيف ثم تحول غازى عن طريقة ابن العفيف شيخ شيخه إلى طريقة ولّدها بينها وبين طريقة الولى العجمى، ففاق أهل زمانه فى حسن الخط. وانتفع الناس بابن الصايغ طبقة بعد طبقة؛ ونسخ عدة مصاحف وغيرها من الكتب والعقائد، وصار شيخ الكتاب فى زمانه، وشهد له الحافظ ابن حجر بمهارته، وأثنى عليه فى تاريخه. وقد سمع الحديث على الجمال الحلاوى. وفاته سنة ٨٤٥.

ثم انتهت جودة الخط وحسنه بعد ابن الصايغ وطبقته إلى قبلة الكتاب، وشيخ هذا الفن المستطاب، من سجدت

لجلالته الأقلام، واتفق على تفضيله الخاص والعام، الإمام الأوحد، والهمام المفرد، مولانا شيخ المشايخ الشيخ حمد الله ابن الشيخ مصطفى الأماسى، المعروف «بابن الشيخ» تغمده الله برحمته. ولد تقريبا فى سنة ٨٤٧ بعد وفاة ابن الصايغ بسنتين أو ثلاثة، وهو الذى استنبط هذه السُّموت (جمع سمت، وهو الطريقة) المعروفة فى زمانا من خطوط المتقدمين كما وقع لغيره ممن سبق ممن اخترع الطريقة بين الطريقتين، حتى برع كتاب زمانه، وفاق أهل عصره وأوانه. وكان والده رجلا صالحا مُجازا فى طريقة المشايخ السهروردية، وقد حل نظره على ولده المذكور حتى فاق بالرتب العلية، وكفاه فخرا أنه ليس على الأرض الآن سند يعتمد عليه إلا من طريقه، ولا طريقة يرغب إليها بين أهل الفن إلا من تحقيقه وتدقيقه (الأماسى نسبة إلى «أماسية» من ولاية سيواس بتركيا وقد أوردنا ترجمته فى م ١٤ / ٥٥٧، ٥٥٨ فانظرها فى موضعها).

كان ممن عاصره من كبار الكتبة فى زمانهما، وهما «يحيى الرومى» و «على بن يحيى». وفاة الأخير فى سنة ٨٦٦.

ويقال إن الشيخ كتب على «خير الدين المرعشى» ووفاته فى سنة ٨٩٦. وهو على «عبد الله الصيرفى»، وهو على «أحمد بن على» المعروف بطيب شاه السهروردى، وهو على «محمد البدشى العجمى»، وهو على «الولى العجمى».

ويقال إن الشيخ رحمه الله تعالى كتب بيده الشريفة أربعا وأربعين مصحفا ونسخة من كتاب المصابيح للبغوى، وكتاب المشارق للصغانى، كلاهما فى جلد الغزال، وكلا من سورة الأنعام والكهف والأدعية والأوراد مقدار ألف نسخة. وجملة من الأدراج والطومار، وكان قد عرضت له وهو فى الثامن والثمانين من عمره حادثة الرعشة فى رأسه. وأما يده وقت الكتابة فلم ترتعش قط، حتى كان خطه فى آخر عمره يضاهى خطه فى شبابه. وقد خدمته الملوك ومسكوا له الدواة بين يديه، وأعطى من القبول والشهرة مالم يعط أحد من قبله ولا من بعده. وكراماته شهيرة. وتوفى تقريبا سنة ٩٥٧ عن مائة وعشرة سنة [كذا] ودفن بإسكدار فى صفة مقابلة للتكية المعروفة بقراجا أحمد، وذلك فى زمن السلطان أبى الفتح سليمان خان بن سليمان خان، رحمه الله تعالى.

(كتب المصنف بخطه على هامش النسخة ما نصه: «جلوس سلطان محمد خان غازى فى سنة ٨٥٥ كان عمر الشيخ إذ ذاك تسع سنوات. جلوس سلطان بايزيد ولى فى سنة ٨٨٦ كان عمر الشيخ إذ ذاك أربعين سنة. جلوس سلطان سليم غازى فى سنة ٩١٨ كان عمر الشيخ إذ ذاك اثنتين وسبعين سنة. جلوس سلطان سليمان بن سليم فى سنة ٩٢٦ ووفاته فى ٢٢ . . سنة ٩٧٤).

ثم انتهت جودة الخط وحسنه إلى تلامذته، وهم «محيى الدين جلال زاده» عاش مائة سنة وكتب سبعة وتسعين مصحفا، و «جمال الدين الأماسى» وأخوه «عبد الله» عاش كل منهما ثمانين سنة. غير أن قواعد هؤلاء الثلاثة أكثر ميلا إلى قواعد ياقوت المستعصمى.

ومن خواص تلامذة الشيخ رحمه الله «حسام الدين خليفة» كان ماهرا فى الأقلام الستة والنسخ السادة. قلد طريقة شيخه حتى غلط كثير من المميزين والمشخصين فى التمييز بين خطيهما. عاش سبعا وستين سنة، وكتب تسعة وثمانين مصحفا.

ومنهم «شكر الله خليفة» كان ماهرا فى الأقلام الستة والنسخ السادة وكتب عدة مصاحف وأوراد.

ومنهم «رجب خليفة» كان ماهرا فى الأقلام الستة والنسخ السادة، وكتب ثلاثة وتسعين مصحفا وجملة من سورة الأنعام والأوراد.

وكان فى آخر عصر الشيخ من الماهرين فى الخط رجل يسمى «أحمد افندى قراحصارى» يقال إنه أجازه الشيخ بالكتبة، ولكنه فى آخره مال على طريقة ياقوت وجمع بين الطريقتين، وكتب جملة من المصاحف والأوراد. توفى سنة ٩٦٣.

ومن خواص تلامذته «حسين چلبى خليفة»، أحيا طريقة شيخه وكتب عدة من المصاحف.

ثم جاء من بعده «دلى يوسف أفندى» فأجاد، لأنه جمع بين طريقة شيخة والطريقة الحمدية فصار مقبولا إلى الغاية، وكتب عدة مصاحف على هذه الطريقة.

ثم جاء من بعده «قره على أفندى» ثم من بعده «تكنه جى حسن چلبى» ولم يشتهر بعده فى هذه السلسلة أحد.

وكان من الممتازين فى عصر هؤلاء ولد الشيخ لصلبه الإمام الماهر الضابط «مصطفى دده» المعروف كأبيه بابن الشيخ، سماه أبوه باسم والده تبركا. وكان قد برع فى حياة والده فى حسن الخط وشهد له الأفاضل، وقد أجازه والده بالكتبة وكان ماهرا فى الأقلام الستة كأبيه، كتب عدة من المصاحف والأوراد والأدعية. مات عن أربعين سنة، ودفن عند والده بإسكدار.

وممن كان في عصره من كبار تلامذة والده الإمام الماهر محمود أفندي الشهير بـ «طنجانلي» كان مشهورا بحسن التقليد للشيخ، كتب عدة من المصاحف الشريفة والأنعام والأذكار.

وكان في عصره «عبد الكريم خليفة» المعروف بوقايه زاده، و «شكر الله خليفة» و «أحمد جلبي». وممن اشتهر في زمانهم «عبد الله أفندي القريمي» كتب على طريقة الشيخ مسارقة من خطوطه، لأنه يقال: إنه طلب التعليم والإجازة من الشيخ فلم يرض، واجتهد حتى صار متقنا في الفن، وكتب عدة مصاحف وانتزع لنفسه طريقة منتزعة بين طريقة الشيخ وطريقة أحمد طيب شاه واخترع منهما نوعا من الثلث، ولكن سقط مقامه بين الكتاب والبهاء، وصار من قبيل مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وكان ممن أحيا طريقته من بعده رجل اسمه «أمر الله أفندي» فإنه قلده في طريقته المنتزعة مع ميله إلى الطريقة الحمدية كثيرا، بدقة طبعه ولطافة فكره، فحسن الثناء عليه والقبول. وكتب بذلك عدة من المصاحف والأنعام والأذكار.

ثم انتهت جودة الخط بعد هؤلاء إلى الإمام الماهر «پر أفندي» وهو حفيد الشيخ، أجازه والده الدرويش محمد بالكتبة، وأحيا طريقة جدوده، مع ملازمة حدوده، وكتب عدة من المصاحف والأنعام.

وكان ممن كتب عليه معاصره الإمام الماهر «حسن أفندي» المعروف «بإسكداري حسن چلبي»، تولى مشيخة السراي بعد شيخه، وكتب عِـدَّةً من المصاحف والأنعام والأذكار.

وعنه أخذ الإمام المجود والضابط «خالد أفندي» المعروف بالعزيز، أجاز له بالكتبة شيخه الإسكداري، وكتب عدة من المصاحف والأذكار، وسورة الأنعام.

وكان في عصره من الماهرين «قره حسين أفندي» تولى مشيخة مكتب الأغا، وكتب عدة من المصاحف والأذكار، وكان موصوفا بالجمال المفرط، وشهد له بعض تلامذته بالكرامة.

ثم انتهت جودة الخط إلى الإمام الماهر الضابط المرحوم «درويش على أفندي» الملقب بالشيخ الثاني، كتب أولا على قره حسين أفندي المذكور، وبعد وفاته حصل التكميل والإجازة على يدي خالد العزيز. وكتب ثمانية وثمانين مصحفا وجملة من سورة الأنعام والأوراد والأذكار. وخطه هو العمدة عليه في زماننا هذا. توفي سنة ١٠٨٦ عن سبعة وثمانين سنة. ومن كراماته أنه رفع إصبعه السبابة بعد موته عند قول المغسل بالشهادتين، وغُسّل بماء أغلى ببراية أقلامه.

(مثله ما روى في أخبار أبي الفرج بن الجوزي، أنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها). قالت المؤلفة. أوردنا لابن الجوزي ترجمة مستفيضة في ١٢ / ٥٠٥ ـ ٥١٤ فانظرها في موضعها).

وكان ممن عاصره من الخطاطين رمضان بن إسماعيل، يقال إنه كتب ثلاثمائة وستين مصحفا، وجملة من سورة الأنعام والأذكار. وفاته في سنة ١٠٩٧.

ومن المعاصرين أيضا على أفندي نفسي زاده، وعمر بيك نصوح باشا زاده، ومحمد أفندي الإمام، وعلى أفندي قاشقجي زاده، وأحمد أفندي قزقابان زاده، ومحمد أفندي نقاش زاده، وخليل أفندي الملقب بالحافظ، ومحمد أفندي عرب زاده المتوفى سنة ١١٢٢، ومحمد أفندي خواجه زاده. ويقال إن هذين الأخيرين أجاز لهما الدرويش على.

ومنهم إسماعيل أفندي ترك، توفي غريقا في البحر سنة ١٠٨٥. ويوسف أفندي المتوفى في سنة ١١١٩ وهذان الاثنان كانا بمصر.

ثم انتهت جودة الخط إلى تلامذة درويش على، منهم مصطفى أفندي الأيوبي المعروف بسيولجي زاده، وفاته في سنة ١٠٩٩.

ومنهم إسماعيل أفندي خليفة المعروف بابن على، كتب أربعة وأربعين مصحفا، وكمّل مصحف شيخه الثامن والثمانين، وهو آخر المصاحف التي مات وخلاه إلى سورة الأنعام، فكمله بخطه.

ومنهم أحمد أفندي قزانجي زاده كان مشهورا بحسن التقليد لخط الشيخ، كتب تسعة عشر مصحفا وعدة من سورة الأنعام والأذكار، توفي سنة ١١١٦.

ومنهم الإمام الماهر الضابط عثمان أفندي المعروف بالحافظ، الملقب بالشيخ الثالث، كتب جملة من المصاحف والأنعام والأوراد والأذكار، توفي سنة ١١١٢.

قالت المؤلفة : نورد ترجمة الحافظ عثمان فى هذه المادة فيما بعد إن شاء الله تعالى حيث فاتنا إدراجها فى حرف الحاء

ومنهم أحمد أفندى المعروف بشيخ زاده، كتب سبعة عشر مصحفا وجملة من سورة الأنعام والأذكار ودلائل الخيرات.

ومنهم فضل الله أفندى، وفاته فى سنة ١١٠٧، كتب عدة من المصاحف والأوراد والأذكار.

ومنهم عنبر مصطفى آغا، كان متين اليد إلى الغاية، كتب عدة من المصاحف والأنعام، توفى سنة ١١١٧.

ومنهم الإمام الماهر عمر أفندى كاتب السراى. ومنهم جابى زاده محمد أفندى، وهما من جملة خلفائه.

ومن معاصرى هذه الطبقة كوجك درويش على أفندى، وكوجك عرب زاده محمد أفندى، وأحمد أفندى الدرويش، وعبد الله أفندى الوفائى، وإبراهيم أفندى ابن رمضان، وعلى أفندى إمام أمير آخور.

ومن خواص خلفاء الدرويش على الإمام الماهر المجوّد الضابط، مجدد الرسوم الحمدية، فى الديار المصرية، مولاه ومعتقه حسين أفندى الجزائرى، لازم خدمة أستاذه حتى برع وفاق، كتب ربعة شريفة فى ثلاثين جزءا، ومصحفين شريفين أحدهما فى الشام والثانى بمصر، وشرع فى الثالث فبلغ إلى النصف منه ومات، فكمله فيما بعد المرحوم حسن الضيائى.

وممن كتب على فضل الله أفندى محمد أفندى الشهرى المعروف بالبستانجى.

وممن كتب على عمر أفندى كاتب السراى صالح أفندى، المعروف بحمامجى زاده.

ومن كتب على أحمد أفندى شيخ زاده ولده الماهر الضابط إبراهيم أفندى شيخ زاده.

ثم انتهت جودة الخط إلى تلامذة الجزائرى، منهم الإمام الماهر الضابط المجود سليمان أفندى الملقب بالشاكرى.

ومنهم الإمام الماهر الضابط المجود السيد محمد بن إبراهيم المقدسى. الملقب بالنورى.

ومنهم مصطفى أفندى خليفة، وقاسم أفندى، وغير هؤلاء.

وقد جود الشاكرى أيضا فى مبادىء أمره على محمد خواجه زاده، ومحمد الشهرى البستانجى، وحافظ عثمان فالبستانجى كتب على فضل الله أفندى وحافظ عثمان كلاهما على الدرويش على.

فمن كتب على الشاكرى الإمام الضابط المعمر حسن بن حسن المعروف بالضيائى، ولد سنة ١٠٩٨، وكتب فى مبدإ أمره على والده ثم على شيخه السيد على، وعلى صالح أفندى المعروف بحمامجى زاده، وأدرك الجزايرى أيضا بعد وفاة والده باثنى عشر سنة [باثنتى عشرة]، وكتب عليه من غير واسطة، وقد أجازه بالكتبة الشاكرى، وحمامجى زاده، الأخير عن عمر أفندى كاتب السراى عن الدرويش على. كان رحمه الله كثير الإتقان شديد الاحتراز، على نهج السلف الصالح فى التحرى والضبط فى سائر ما يكتبه، كما هو مشاهد فى خطوطه. توفى سنة ١١٨٢عن أربع وثمانين سنة.

وممن كتب على الشاكرى الأستاذ الفاضل الماهر الضابط المجود الشيخ شهاب الدين أحمد الأفقم المكنى بأبى الإرشاد، وقد برع فى الفن واجتهد حتى نال الشهرة والقبول، وكتب عدة نسخ من الدلائل والأوراد والأذكار وغيرها.

وفى الموجودين من تلامذته الآن مولانا السيد إبراهيم الرويدى الحسينى، المكنى بأبى الفتح الحمامى الوفائى، والشيخ أحمد المكنى بأبى العز، بارك الله فى مدتهما، ونفع بهما المسلمين.

وممن كتب على السيد محمد النورى رحمه الله تعالى خلق كثير على اختلاف الطبقات. وأجاز بالكتبة من لا يحصى.

فمن أشهر تلامذته الإمام الماهر الضابط المرحوم عبد الله أفندى المولوى، الملقب بالأنيس رحمه الله تعالى، وقد جود أولا على الشاكرى وغيره، وكان تكميله و إجازته على يد السيد محمد النورى.

ومنهم الجناب المكرم الأمير إسماعيل أفندى الملقب بالوهبى، والجناب المكرم الأمير أحمد أفندى الملقب بالشكرى، بارك الله فى مدتهما ونفع بهما المسلمين.

فمن كتب على الأنيس من طرزت هذا النبذة باسمه الشريف الضابط، الجناب المكرم، والملاذ المفخم، الأمير

حسن أفنـدى تـابع المرحـوم الحـاج على آغـا، وكيل دار السعادة، والملقب بالرشدى، أرشده الله لكل خير، وبارك فى مدتـه وحياتـه، ودفع عنـه كل ضير، فهـو الذى أحيـا هـذه الطريقة، وجدد رسومها فى الحقيقة، وأثنت عليه الألسن من كل جانب، وأعطى القبول والحب ونال أعلى المراتب، فالله تعالى يحرسه بعين عنايته، ويحمى فضلـه من عين الحسود ونكايته.

وينهى الزبيدى رسالـة «حكمة الإشـراق» بخـاتمة فيهـا فصلان. الأول: فى بيان أدب التلميذ مع الشيخ، وقد أوردناه تحت عنوان «التلميـذ وأدبه مع الشيخ» م ١٠ / ٤١٠ فـانظره فى موضعه. والثانى: نصيحـة لسائر الخطاطين وجاءت كما يلى:

قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [آل عمران: ٨٥]وقد ذكـر العارفون بهذا الفن أن من أكبر مـوجبات التكميل للطالب فى هذا الفن تـرك الغرور فى نفسـه، وترك التـرفع على أبناء جنسـه، فإنـه ربما اجتهـد فى الكتابة كثيرا فيـأتيه الشيطان فيوسوس له بالغـرور، ويوقعه فى الشرور، ومتى سلم من هـذا يرجى له القبول، والـرقى لمراتب الـوصـول. ومتى تسـاهل فى أمـر نفسـه، وتكبـر على أبنـاء جنسه، عوقب بـالحرمان والوسـواس، وسقط عن مرتبته التى كان فيها عند الله وعند الناس (حكمة الإشراق / ٨٤ـ٩٨).

انظر مـادة «حكمة الإشـراق إلى كتاب الآفـاق» فى م ١٤ / ٤٢٢، ٤٢٣.

كذلك يمدنا م. س. ديماند بمعلومات قيمة عن خطاطى القرن الخامس عشر، وعن أعمالهم وأماكن حفظها فيقول.....

وبلغت فنـون الكتاب أوج عظمتهـا، فى القرن الخـامس عشـر زمن الأسـرة التيمـوريـة؛ وارتقى الخط إلى مـرتبـة الفن الـرفيع، وليس أدل على ذلك ممـا تشهد بـه أعمـال مشاهيـر الخطاطين أنفسهم فى القرن الخـامس عشر. ويعتبر مير على التبريزى من أعظم أساتـذة الخط فى ذلك القرن، وإليه يرجع الفضل فى ابتكـار خط «النستعليق» وهو نـوع أكثر رشاقـة من غيره مـن أنواع الخطوط الليـنـة. ويحتفظ هذا الخـط بصفات خط النسخ والتعليق معـا، وأصبح شائع الاستعمـال فى القرن الخامس عشر. ومن أبدع أعمال ميـر على وأقدمها نسخة من قصـة غـرام همای وهمـايـون لخـواجـه كرمـانى المحفـوظـة بـالمتحف البريطانى والتى يرجع تاريخهـا إلى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٧٩).

ومن أعظم مشاهيـر الخطاطين فى القرن الخـامس عشر، سلطان على المشهدى، الذى كـان يعمل ببلاط حسين ميرزا فى هراة. ويملك متحف المتـروبوليتان نسخة من ديـوان مير على شيرنوائى ـ من عمل سلطـان على المشهدى ـ ترجع إلى سنه ٩٠٥ هـ (١٤٩٩ ـ ١٥٠٠). ومن مشاهيرهم أيضا جعفر البيسنقـرى التبريـزى، وعبـد الكريم الخـوارزمى، وإبـراهيم سلطان بن شـاه رخ (ابن تيمور جورجان). ولعبد الكـريم أثر محفوظ فى متحف المتـروبوليتان عبارة عن نسخـة من ديوان جامى، وعبـد الكريم هذا أحـد ولدى الخطاط عبـد الرحمن الخـوارزمى. وقد عمل الأب وولـداه فى تبريـز، واشتهروا بمـا أدخلـوه من تحسينـات على خـط النستعليق. وكـان إبـراهيم سلطان من أبـرع اللاعبين بالحـروف وعرفت عنه مقـدرته على الكتابة بستـة أساليب خطية مختلفة. وفى ضـريح الإمام رضا بمشهد مصحف بديع بخط إبراهيم سلطـان، تاريخه فى سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤) ولـه بمتحف المتروبـوليتان مصحـف آخر تاريخه ٤ رمضان سنة ٨٣٠ هـ (٢٩ يونيه سنة ١٤٢٧).

وقد أفسح الأستاذ يحيى سلوم العباسى الحافظ مكانا فى كتابه (الخط العربى) لسرد أسماء الخطاطين الذين اتخذوا من الخط مهنة فارجع إليه إن شئت (ص ١٣١ ـ ١٣٧).

كـذلك نجـد نمـاذج لأعمـال عـدد من الخطـاطين المعـاصريـن فى كتاب «نمـاذج من الخطـوط العـربية لعبد الرحمن صادق عبوش ونماذج لعدد من أعماله».

كما أن الخطـاط حسن قاسم حبش أورد فى خاتمة كتـابه «نفائس الخط العـربى» تراجم عدد من مشاهيـر الخطاطين. وتحفل المـؤلفـات الأخرى فى علـم الخط بأسمـاء وتـراجم الخطاطين من كافة أنحاء العـالم الإسلامى، وندرج ما يمكن إدراجه منها فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

ولا ننسى كتـاب الشيخ وليـد الأعظمى الموسـوم بجمهـرة الخطاطين البغـداديين، إذا جمع فى جزءيـن ستين وأربعمائة ترجمة، منذ تأسيس بغداد حتى نهاية القرن الرابع الهجرى.

وكذلك يحصى الـدكتور محمد عبد القـادر أحمد أسماء

مشاهير الخطاطين الأتراك فيقول: ومن أشهر الخطاطين الأتراك الذين برزوا فى مجال الخط العربى السلطان مصطفى آل عثمان ١٢٢١ هـ، ومحمود جلال الدين ١٢١٧ هـ، وشوقى ١٢٧٨ هـ وعبد العزيز الرفاعى ١٢٤٣ هـ، وسيد يحيى ١١٨١ هـ، وعبد الجواد ١١٣١ هـ والشيخ حمد الله الأماسى إمام الخطاطين العثمانيين، وعلى الوصفى ١١٧٥ هـ، وعمر كاتب السراى السلطان ١١١٧هـ، ومحمد طاهر ١٢٩٠ هـ، ومحمد الشهير بشكر زاده عام ١٢٩٠ هـ، ومحمد شفيق ١٢٩٤ هـ، وإسماعيل الزهيدى ١١٤٠ هـ، ودرويش على ١١٧٤ هـ، والسيد عبد الله المعروف بالإمام.

وأشهر الخطاطين الأتراك قاطبة الحافظ عثمان، (١٠٥٢ - ١١١٠ هـ) المعروف بحافظ كلام الله. فقد برع فى كتابة مصاحف القرآن الكريم (دراسات فى التراث العربى / ٨٩).

ولما كان قد فاتنا إدراج هذا الخطاط العظيم فى حرف الحاء، ومثله لا ينبغى أن يُغفل ذكره، فإننا نورد ترجمته هنا. وما لا يُدرك كله لا يُترك كله.

هو الحافظ عثمان بن على أحد نبغاء المجودين من خطاطى الترك العثمانيين والبارعين فى كتابة مصاحف القرآن المبين.

ولد رحمه الله بالآستانة ونشأ بها وتعلم بمدارسها، وحفظ القرآن الكريم فلقب لذلك بالحافظ، واتصل بالوزير مصطفى باشا الشهير بكبريلى زاده فأظله برعايته زمنا، وحبب إليه من صغره تجويد الخط، فكان يختلف لذلك إلى أشهر الخطاطين فى عصره، كالأستاذ درويش على وغيره، حتى حصل على إجازة تعليم الخط، ولم تعد سنه ثمانى عشرة سنة، ولم يكتف بفوقه قرناءه فى الإجادة، حتى خطر له أن يصحح محاكاته لأسلوب الأستاذ المولى حمد الله الأماسى، فانقطع إلى من يجيد هذه الطريقة كالمولى إسماعيل فأجادها، وأصبح بذلك نابغة عصره، وبذ الخطاطين جميعا، حتى قال فيه إسماعيل أفندى المعروف بأغا قبولى أحد الخطاطين المشهورين: إننا رغم تجويدنا هذه الصناعة، لا نرى من يستحق لقب خطاط على الإطلاق غير مولانا عثمان.

(الوسيط / ٢٩٤، ٢٩٥).

كما حصل على إجازة الخط المقررة فى سن مبكرة أى فى سنة ١٠٧٠ هـ ولقب بالشيخ الثالث (نفائس الخط العربى / ٢٧٠).

ولما ذاع صيته اختير معلم خط للسلطان مصطفى خان الثانى، والسلطان أحمد خان الثانى سنة ١١٠٦ هـ. فنال بذلك حظوة رفيعة سنية، لم يقابلها بغير القناعة والزهد والتواضع والإخلاص لتعليم تلاميذه، ولو على قارعة الطريق.

وكان يخص يوم الأحد بتعليم الخط للفقراء مجانا، ويوم الأربعاء لتعليم الأغنياء. وللحافظ عثمان جليل الفضل على الخط العربى، بما كتبه من نسخ المصاحف التى بلغت خمسة وعشرين مصحفا، عدا مقدارا عظيما جدا من الرقاع والألواح وأجزاء القرآن ودلائل الخيرات، إذ قد نقل بعض هذه بالتصوير الشمسى فذاع فى الأقطار الإسلامية وطبع منه مئات الألوف، وحاكاه بها من لا يحصى من المعلمين والمكتبين.

ومن هذه المصاحف مصحف حفظ بجامع أيا صوفيا وبخزانة جامع نور عثمانية. وبخزانة المرحوم المفضال نور الدين بك مصطفى بشارع درب الجماميز بالقاهرة جملة رقاع من خطه (الوسيط / ٢٩٥).

وبذلك اتقن خط النسخ وسهل كتابته أيضا. وقد أطلق على خطه النسخى «النسخى المتألق» ولم تقف براعته عند إجادة الخط المحقق بل لقد أتقن كذلك الثلث والريحانى والديوانى (نفائس الخط العربى / ٢٧٠).

وأصيب رحمه الله فى آخر عمره بالفالج، وشفى منه وعاد إلى خدمة الصناعة، ولكنه لم يطل عمره بعد أكثر من ثلاث سنوات، فتوفى رحمه الله سنة ١١١٠ هـ. ودفن برباط (قوجة مصطفى باشا) بعد أن غبر نحو أربعين سنة يعلم الخط (الوسيط / ٢٩٥).

كذلك فاتنا فى مادة «الحسن البصرى» (٢١ / ١١٠ هـ / ٦٤٢ - ٧٢٨ م) التى أوردناها فى م ١٤ / ١٤ - ١٨ أن نذكر صلته بالخط، وأنه كان من كتاب المصاحف. يقول الخطاط حسن قاسم حبش: له مصحف مكتوب بقلم كوفى على الرق، وفى غير شكل ولا نقط، ويشتمل على بداية سورة النساء، وفى آخره العبارة التالية: «كتب بخط أبى سعيد الحسن البصرى سنة ٧٧ هـ - ٦٩٦ م» وهو مجلد بقطع

خشب الصنوبر، وفي أوائل سوره وبعض آياته حليات ونقوش ذهبية، وهو محفوظ بمعرض دار الكتب المصرية (نفائس الخط العربي / ٢٧٢).

ويقول الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندي: ومن كتاب المصاحف، والذي اشتهر بتجويد الخط وتحسينه قبل أن يكون للخط شأن يذكر هو «الحسن البصري»، وقيل إنه هو الذي قلب القلم الكوفي إلى النسخ والثلث حتى سهل على أبي الفرج بن الجوزي أن يفرد له كتابا في نحو عشرين جزءا (صفة الصفوة ٣ / ١٥٥ ـ ١٥٩). هذا علاوة على أنه كان فقيها وقاضيا وقصّاصا.

وقيل إن ابن مقلة ليس هو الناقل الأول، وإنما الناقل الأول هو الحسن البصري الذي أخذ الخط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا غير صحيح حيث إن الحسن البصري عندما أخذ الخط عن علي رضي الله عنه جوده وأتقنه، بينما ابن مقلة ضبط الخطوط المشتقة من الخط الكوفي بقواعد وقوانين خاصة حتى أصبحت حروفه موزونة (الخط العربي وأدوات الكتابة / ٥٤، ٥٥).

هذا ويوجد في مكتبة المتحف العراقي مخطوط لمصطفى السباعي برقم ٩٨٢٨ وعنوانه «رسالة اليقين في معرفة أنواع الخطوط وذكر الخطاطين» ونورده في حرف الراء إن شاء الله تعالى (مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ٢١٢).

وثمة أمور تتعلق بالخطاطين وأصول مهنتهم. منها معرفة ما يلي مما أورده الأستاذ يحيى سلوم العباسي الخطاط.

(أ) أركان تجويد الخط:

١ ـ القرطاس: كلما كان القرطاس (الورق) جيدا صقيلا ساعد على جودة الخط وقال الشيخ محمد بن حسن السنجاري في ذلك:

وخذ من الأوراق ما قد جاده
في صقله تظفر بالإجاده

٢ ـ القلم: هو الآلة التي يكتب بها الخطاط وأنه مدار جودة الخط فهو يحتاج إلى إصلاح قطه وسنه جيدا.

وقال فيه الشيخ السنجاري:

تنتخب الصلابة القويمه
ذات الصلاب الرطب السليمه

واجعل الإبهام والسبابه
والأصبع الوسطى لذا الكتابه
واجعل الوسطى لها كالفرس
تجري بذي اليراع مثل النفس

٣ ـ المداد (الحبر): سمي بالمداد لأنه يمد القلم بالحبر، وكلما كان الحبر أسود قاتما ظهر فيه جمال الخط أجمل وقال فيه الشاعر:

ولي خط وللأيام خط
وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا في بياض
وتكتبه بياض [بياضا] في سواد

وقال آخر:

ربع الكتابة في سواد مدادها
والربع حسن صناعة الكتاب

(ب) ميزات الخطاط الجيد:

لما كان الخط من الفنون الجميلة صار لزاما أن يكون الخطاط ذا صفات حميدة كرقة النفس، ودقة النظر، كريما هينا لينا جامعا للأخلاق الفاضلة، وكلما كان الخطاط طاهر القلب صار خطه في غاية الحسن والجمال فصفاء خطه وبهاء حروفه دليل على صفاء قلبه، وأن يجعل أدواته الخطية كاملة وقد قال الشاعر:

قالا جميعا من شروط الكاتب
ذا حرص وفهم ثاقب
ويبذل الأموال في تطلابها
فمهرها يغلو على خُطَّابها

ومن صفات الخطاط الجيد:

١ ـ أن يكون مهيمنا على الحروف.

٢ ـ أن يستعمل أنواع الورق والحبر.

٣ ـ أن يكون إنتاجه الفني قمة معرفته بالكتابة.

٤ ـ أن يكون ذا نفس طويل في الكتابة.

٥ ـ أن يكون ذا ثقة في إنجاز اللوحات الصعبة.

٦ ـ يجيد تصليح الكتابة

٧ ـ يجيد الخط الناعم (الدقيق) والعريض .

٨ ـ أن يكون قليل التأشير بقلم الرصاص .

٩ ـ يمتلك أصابع قوية جدا فى الكتابة .

١٠ ــ أن يميل إلى الطرق التقليدية . بهذه الميزات والصفات يصبح الخطاط خطاطا يشار له بالبنان .

(جـ) مسك القلم : من عوامل إجادة الخط مسك القلم حيث يقول الدكتور على أرسلان ـ وهو خطاط وأستاذ بجامعة استانبول : «يعتبر فن الخط أصعب الفنون الإسلامية . ذلك أن الفنان فيه لا يملك فى يده غير القلم البسيط ، وهذا القلم مسطرة الخطاط وبِرْجَلُه ، وهو قسطاسه الذى يعين به أحجام الحروف . هذا القلم يقوم بأداء كل وظائف الآلات الأخرى التى يمتلكها الفنانون فى سائر الفنون الأخرى» . لذا يكون مسك القلم بحيث تكون الأصابع الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام متساوية مبسوطة غير مقبوضة ، وبعيدة من موضع المداد ليسهل على الكاتب تدوير القلم ولا يضغط على القلم ضغطا شديدا ولا يمسكه مسكا ضعيفا وقد قيل فى القلم ـ لغز:

وذى عفاف راكع ساجد
أخى صلاح دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها
مجتهد فى طاعة البارى

(الخط العربى : تاريخه وأنواعه / ١٤٩ ـ ١٥٢) .

هذا ونورد صور أعمال مشاهير الخطاطين مع تراجمهم فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

(المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٠٣ ، وجمهرة الخطاطين البغداديين ـ وليد الأعظمى ١ / ٧ ــ ١١ ، ومعرض دار الكتب المصرية / ١٢ ، وحكمة الإشراق فى كتاب الآفاق للسيد مرتضى الزبيدى ، المطبوع فى نوادر المخطوطات ــ بتحقيق عبد السلام هارون ٥ / ٨٤ ـ ٩٨ ، والفنون الإسلامية ـ م . س . ديماند ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم د . أحمد فكرى / ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، والخط العربى : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١٣٨ ـ ١٥٢ ، ودراسات فى الأدب العربى ـ د . محمد عبد القادر أحمد / ٨٩ ، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ــ الشيخ أحمد الإسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى / ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ونفائس الخط العربى ــ حسن قاسم حبش / ٢٧٢ ، والخط وأدوات الكتابة ـ د . مجاهد توفيق الجندى / ٥٤ ، ٥٥) .

*** الخُطاف:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان . ذكره القزوينى فى عجائبه ، كما ذكره الشيخ الكمال الدميرى فى «حياة الحيون الكبرى» وهو ما ننقله لك فيما يلى :

الخطاف : بضم الخاء المعجمة جمعه خطاطيف ويسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس تقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة فى القرب منهم ثم إنها تبنى بيوتها فى أبعد المواضع عن الوصول إليها وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد ما فى أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقوت بالذباب والبعوض وفى الحديث الحسن الذى رواه ابن ماجه وغيره عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال له دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس فأما كون الزهد فى الدنيا سببا لمحبة الله تعالى فلأنه تعالى يحب من أطاعه ويبغض من عصاه وطاعة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا وأما كونه سببا لمحبة الناس فلأنهم يتهافتون على محبة الدنيا وهى جيفة منتنة وهم كلابها فمن زاحمهم عليها أبغضوه ومن زهد فيها أحبوه كما قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

وما هى إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همُّهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وقد أحسن القائل فى وصف الخطاف

كان زاهدا فيما حوته يد الورى
تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أو ماترى الخطاف حرم زادهم
أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

سماه ربيبا لأنه يألف البيوت العامرة دون الخربة وهو قريب من الناس ومن عجيب أمره أن عينه تقلع.ثم ترجع ولا يرى واقفا على شىء يأكله أبدا ولا مجتمعا بأنثاه والخفاش

يعاديه فلذلك إذا فرخ يجعل فى عشه قضبان الكرفس فلا يؤذيه إذا شم رائحته ولا يفرخ فى عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ويبنى عشه بناء عجيبا وذلك أنه يهيىء الطين مع التبن فإذا لم يجد طينا مهيأ ألقى نفسه فى الماء ثم يتمرغ فى التراب حتى يمتلىء جناحاه ويصير شبيها بالطين فإذا هيأ عشه جعله على القد الذى يحتاج إليه هو وأفراخه ولا يلقى فى عشه زبلا بل يلقيه إلى خارج فإذا كبرت فراخه علمها ذلك وأصحاب اليرقان يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران فإذا رآها صفراء ظن أن اليرقان أصابها من شدة الحر فيذهب فيأتى بحجر اليرقان من أرض الهند فيطرحه على فراخه وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد ويعرف بحجر السنونو فيأخذه المحتال فيعلقه عليه أو يحكه ويشرب من مائه يسيرا فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. والخطاف متى سمع صوت الرعد يكاد أن يموت وقال أرسطو فى كتاب النعوت الخطاطيف إذا عميت أكلت من شجرة يقال لها عين شمس فيرد بصرها لما فى تلك الشجرة من المنفعة للعين.

فائدة: ذكر الثعلبى وغيره فى تفسير سورة النمل أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله تعالى بالخطاف وألزمها البيوت فهى لا تفارق بنى آدم أنسالهم قال ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل وهى ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخر السورة وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم والخطاطيف أنواع منها نوع يألف سواحل البحر يحفر بيته هناك ويعشش فيه وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة ولونه رمادى والناس يسمونه سنونو بضم السين المهملة ونونين ومنها نوع أخضر على ظهره بعض حمرة أصغر من الذرة يسميه أهل مصر الخضيرى لخضرته يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك ومنها نوع طويل الأجنحة رقيقها يألف الجبال ويأكل النمل وهذا النوع يقال له السمائم مفرده سمامة ومنهم من يسمى هذا النوع السنونو الواحدة سنونوة وهو كثير فى المسجد الحرام يعشش فى سقفه فى باب إبراهيم وباب بنى شيبة وبعض الناس يزعم أن ذلك هو الطير الأبابيل الذى عذب الله تعالى به أصحاب الفيل روى نعيم بن حماد عن الحسن رضى الله عنه قال دخلنا على ابن مسعود رضى الله عنه وعنده غلمان كأنهم الدنانير أو الأقمار حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال عبد الله كأنكم تغبطونى بهم فقلنا والله إن مثل هؤلاء يغبط بهم الرجل المسلم فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشش فيه الخطاف وباض فقال والذى نفسى بيده لأن أكون قد نفضت يدى من تراب قبورهم أحب إلىَّ من أن يخرج عش هذا الطائر فينكسر بيضه قال ابن المبارك إنما قال ذلك خوفا عليهم من العين قال أبو إسحاق الصابى يصف الخطاف.

وهنـديـة الأوطـان زنجيـة الخلق ... مسـودة الألـوان محمـرة الحـدق
إذا صـرصـرت صـرت بـآخـر صـوتهـا ... حـدادا فـأذرت من مـدامعهـا العلق
كأن بهـا حـزنـا وقـد لبست لـه ... كمـا صـر ملـوى العـود بـالـوتـر الحـزق
تصيف لـدينـا ثم تشتـو بأرضهـا ... ففـى كـل عـام نلتقـى ثـم نفتـرق

(الحكم) يحرم أكل لحم الخطاطيف لماروى أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية وهو من التابعين عن النبى ﷺ أنه نهى عن قتل الخطاطيف وقال لاتقتلوا هذه العوذ إنها تعوذ بكم من غيركم ورواه البيهقى وقال إنه منقطع قال ورواه إبرهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق عن أبيه قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الخطاطيف عوذ البيوت ومن هذه الطريق رواه أبو داود فى مراسيله قال البيهقى وهو منقطع أيضا لكن صح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موقوفا عليه أنه قال لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح ولا تقتلوا الخطاف فإنه لما خرب بيت المقدس قال يارب سلطنى على البحر حتى أغرقهم قال البيهقى إسناده صحيح وفى الحديث أن النبى ﷺ نهى عن الجلالة والمجثمة والخطفة بإسكان الطاء وفيها تأويلان أحدهما أن الخطفة ما اختطفه السبع من الحيوانات فأكله حرام قاله ابن قتيبة الثانى أن النهى عما يختطف بسرعة ومنها سمى الخطاف لسرعة اختطافه قاله ابن جرير الطبرى ونقله عنه فى الحاوى فعلى هذا يحرم كل ما كان يتقوت بما يختطفه ولأنه يتقوت من الخبائث قال الماوردى كل ما كان مستخبثا كالخطاطيف والخفافيش فأكله حرام لخبث لحمه وقال محمد بن الحسن رضى الله عنه أنه حلال لأنه يتقوت

بالحلال غالبا قال أبو عاصم العبادى وهذا محتمل على أصلنا وإليه مال أكثر أصحابنا وحكاه فى شرح المهذب قولا عن حكاية البندنيجى .

(التعبير) : الخطاف فى المنام يؤول برجل أو امرأة ومال وولد قارىء لكتاب الله تعالى ويؤول بمال مغصوب فمن رأى أنه أخذ خطافا اتخذ مالا حراما وذلك لأن اسمه خطاف وهو بمنزلة الخطف ومن رأى أن بيته قد امتلأ خطاطيف نال مالا حلالا لأنه نماء خطفه وقيل الخطاف رجل أديب أنيس ورع فمن رأى كأنه استعاره من غيره فإنه يأنس إلى شخص ومن أخذه فإنه يظلم امرأة وقالت النصارى من أكل لحم خطاف فى المنام فإنه يقع فى خصومة ومن رأى الخطاطيف تخرج من داره تفرق عنه أقرباؤه من جهة سفر وربما دل الخطاف على الأشغال والأعمال لأنه يظهر فى زمن البطالة وصوت الخطاطيف تنبيه على عمل الخير لأنه كالتسبيح وربما دل على امرأة صاحبة أمانة وقال «جاماسب» من صاد خطافا دخلت اللصوص عليه والله تعالى أعلم .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٦٦ ـ ٢٦٨ انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٧٤) .

*** الخَطّاف:**

الخَطّاف : بفتح الخاء تشديد الطاء سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان تخرج من الماء وتطير فى الهواء ثم تعود إلى البحر قاله أبو حامد الأندلسى .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٢٦٨) .

*** خطب ابن نباتة:**

خطب ابن نباتة فى الأدبيات وهى جمع خطبة لجمال الدين محمد بن محمد الفارقى لأبى يحيى عبد الرحيم بن محمد بن محمد الفارقى المتوفى سنة ٣٧٤ أربع وسبعين وثلثمائة ولها شروح . منها شرح أبى البقاء عبد الله بن حسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة وستمائة . وشرح موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ تسع وعشرين وستمائة . وشرح تاج الدين أبى اليمن زيد بن حسن الكندى المتوفى سنة ٦١٣ ثلاث عشرة وستمائة فيه إشكالات أجاب عنها موفق الدين .

وشرح عثمان بن يوسف القليوبى المتوفى سنة ٦٤٤ أربع وأربعين وستمائة . ومن شروحه روضة الناصحين «للنسفى» (كشف ١ / ٧١٤) .

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى ، وقد أدرج فى الفهرس ضمن مخطوطات الأدب الرقم ٣٣٨٠٩ .

لأبى طاهر محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ابن نباتة من رجال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى .

وهى مجموعة من الخطب البليغة ، تناول فيها المؤلف الموت والمعاد والجهاد وما إلى ذلك ، وتضمنت كذلك بعض الأخبار والأحداث التى وقعت فى الفترة التى عاش فيها المؤلف .

لم نقف على ترجمة المؤلف فى المصادر والمراجع المتيسرة ، إلا أن اسمه ورد فى آخر الكتاب .

نسخة نفيسة ترقى إلى القرن السابع الهجرى / القرن الثالث عشر الميلادى ، ناقصة قليلا من الأول ، وبعض الصفحات فى الوسط ، القسم الأخير من الكتاب يرقى إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، قوبلت على نسخة أخرى فى آخر هذه النسخة خطب لولد المؤلف طاهر ابن محمد وحفيد المؤلف يحيى بن طاهر بن محمد بن عبد الرحيم .

١٧٨ ص . ٢٣ × ١٧ سم . ٢٠ س .

طبعت ضمن خطب والده عبد الرحيم بشرح طاهر الجزائرى بمصر سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م . وفى بيروت سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م . انظر معجم ٢٦٢ . .

نسخة أخرى

الرقم ١٤٩٨

أولها : الحمد لله منشىء أصناف الفطر ، ومحيى الأرض بوابل المطر ، الغالب على ما بطن . .) .

جيدة الخط ، كتبت بقلم النسخ ، ترقى إلى القرن الثامن الهجرى القرن الرابع عشر الميلادى عليها مقابلة على نسخة المؤلف ، وتملك مؤرخ سنة ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م . تختلف هذه النسخة عن النسخة الأولى فى ترتيب الخط . لم تذكر فى

آخرها خطب حفيد المؤلف كما جاء في النسخة السابقة.

٤١١ ص. ٢٥ × ١٧,٥ سم. ١٥ س.

نسخة أخرى.

الرقم ٦١٧٩

رتبت على أشهر السنة وتختلف في بعض الصيغ عن النسخ السابقة ولم تذكر من آخرها خطب ابن المؤلف أو حفيده.

كتبها بخط جيد، عبد الله بن محمد بن إسماعيل سنة ١١٩٦ هـ/ ١٧٨٢ م.

٢٩٠ ص. ٢٤ × ١٧ سم. ١٣ س.

(مخطوطات الأدب/ ١٥٧، ١٥٨).

وتوجد نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وقد أدرج المخطوط ضمن مخطوطات المواعظ وجاء بيانه كما يلي، وذلك تحت عنوان «الخطب المباركة»:

رقم الحفظ: ٢٥٠ ـ ف.

الفن: مواعظ.

عنوان المخطوطة: الخطب المباركة.

عنوان المخطوط الفرعي: خطب ابن نباتة.

اسم المؤلف: عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، بن نباتة، أبو يحيى.

اسم الشهرة: ابن نباتة.

تاريخ وفاته: ٣٧٤ هـ/ ٩٨٤ م القرن: ٤ هـ/ ١٠م.

بداية المخطوطة: الحمد لله منشىء أصناف الفطر.. أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإن تقواه توجب كريم المآب.

نهاية المخطوطة: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾** تمت الخطب.

نوع الخط: نسخ معتاد.

تاريخ النسخ: ١٣١٤ هـ/ ١٨٩٦ القرن: ١٤ هـ/ ٢٠م.

اسم الناسخ: عبد الله بن محمد بن محسن الحميدي.

ملاحظات عامة: نسخة كاملة تمثل مجموعة من الخطب في المواعظ والترغيب والترهيب والوعد والوعيد (فهرس المصورات/ ٣٠١).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧١٤، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٧، ١٥٨، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م/ ٣٠١).

*** الخطب الأربعون:**

الخطب الأربعون: المعروفة بالودعانية جمعها أبو الودعان القاضي أبو نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان الحاكم الموصلي المتوفى سنة ٥٩٤، وذكرها الصغاني في خطبة المشارق وقال زيفها الأقدمون انتهى. لكنهم شرحوها فمنهم أبو نصر عبد العزيز بن أحمد البارجيلغي وأول شرحه: الحمد لله الصانع القديم ... إلخ ذكر فيه أنه وقع المباحثة في علم الحديث من خطب الأربعين فالتمس بعضهم منه أن يكتب له فوائد مسموعة من الأسانيد.

(كشف الظنون/ ١/ ٧١٥).

*** خطب الخيل:**

خطب الخيل: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة وهو عشرة كراريس يتكلم على ألسنتها.

(كشف ١/ ٧١٥).

*** خطب رسول الله ﷺ:**

عن هدى رسول الله ﷺ في خطبه يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبه إيمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وأيامه لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب

إيمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم فياليت شعرى أى إيمان حصل بهذا وأى توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به ومن تأمل خطب النبى ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه إلى خلقه، وأيامه التى تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذى يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم.

ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التى لا ينبغى الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها فما حفظ من خطبه ﷺ أنه كان يكثر أن يخطب بالقرآن وسورة ق قالت أم هشام بنت الحرث بن النعمان ما حفظت ق إلا من فِى رسول الله ﷺ مما يخطب بها على المنبر وحفظ من خطبته ﷺ من رواية على بن زيد بن جدعان وفيها ضعف: ياأيها الناس توبوا إلى الله عز وجل قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصِلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من وجد إليها سبيلا فمن تركها فى حياتى أو بعد مماتى جحودا بها أو استخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا وضوء له ألا ولا صوم له ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا بركة له حتى يتوب فإن تاب تاب الله عليه ألا ولا تؤمنَّ امرأة رجلا ألا ولا يؤمن أعرابى مهاجرا ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنا إلا أن يقهره سلطان فيخاف سيفه وسوطه.

وحفظ من خطبته أيضا الحمد لله أستعينه وأستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا رواه أبو داود.

ثم يعقد الإمام ابن القيم فصلا فى هدى رسول الله ﷺ فى خطبه جاء فيه ما يلى..

كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دَينا أو ضَياعا فإلىَّ وعلىَّ رواه مسلم وفى لفظ كانت خطبة النبى ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته فذكره وفى لفظ يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وخير الحديث كتاب الله وفى لفظ للنسائى وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

وكان يقول فى خطبته بعد التحميد والثناء والتشهد أما بعد وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع وكان يقول إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وكان يعلم أصحابه فى خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم فى خطبته إذا عرض له أمر أو نهى كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين ونهى المتخطى رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو السؤال لأحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمها وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمها كما نزل لأخذ الحسن والحسين وأخذهما ثم رقى بهما المنبر فأتم خطبته وكان يدعو الرجل فى خطبته تعالَ اجلس يافلان صلِّ يافلان وكان يأمرهم بمقتضى الحال فى خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها وكان يشير بأصبعه السبابة فى خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه وكان يستسقى بهم إذا قحط المطر فى خطبته وكان

يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا فرغ منه قام النبي ﷺ فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر وكان في الحرب يعتمد على قوس وفي الجمعة يعتمد على عصا ولم يحفظ عنه أنه اعتمد على سيف وما يظنه بعض الجهال أنه كان يعتمد على السيف دائما وأن ذلك إشارة الى أن الدين قام بالسيف فمن فرط جهله فإنه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره ولا قبل اتخاذه أنه أخذ بيده سيفا ألبتة وإنما كان يعتمد على عصا أو قوس وكان منبره ثلاث درجات وكان قبل اتخاذه يخطب إلى جذع يستند إليه فلما تحول إلى المنبر حن الجذع حنينا سمعه أهل المسجد فنزل إليه ﷺ وضمه قال أنس حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي وفقده التصاق النبي ﷺ ولم يوضع المنبر في وسط المسجد وإنما وضع في جانبه الغربي قريبا من الحائط وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة وكان إذا جلس عليه النبي ﷺ في غير الجمعة أو خطب قائما في الجمعة استدار أصحابه إليه بوجوههم وكان وجهه قِبلهم في وقت الخطبة وكان يقوم فيخطب ثم يجلس جلسة خفيفة ثم يقوم فيخطب الثانية فإذا فرغ منها أخذ بلال في الإقامة وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالإنصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ويقول: من لغا فلا جمعة له وكان يقول من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليست له جمعة رواه الإمام أحمد رحمه الله وقال أبي بن كعب قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا بأيام الله وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة فإني لم أسمعها إلى الآن فأشار إليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال إنه ليس لك من صلاتك اليوم إلا مالغوت فذهب إلى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك وأخبره بالذي قال له أُبي فقال رسول الله ﷺ صدق أُبي ذكره ابن ماجه وسعيد بن منصور وأصله في مسند أحمد (زاد المعاد ا / ١١٦-١١٨).

وقد صاغ هذا كله نظما السيد عبد الحميد الخطيب فقال في منظومته:

وغدا دليل علومه بين الورى ... ما قد بدا منه من الحالات

إذ كان يرتجل الخطابة بعد ذا ... ك وينشر الإسلام بالدعوات

بفصاحة ولباقة تسمى القلو ... ب وتأخذ الألباب بالروعات

ويقيم حجته بأحسن منطق ... يضطر سامعه إلى الإنصات

وكذا يراعي الصدق في أقواله ... ويهمه الإعجاز بالآيات

وتراه في كل المواقف باحثا ... فيما يناسبها من الكلمات

ما كان يخرج قط من صدد إلى ... ما ليس يعنيه من الحالات

وبكل موضوع يوفي البحث إن ... ما رام بحثا فيه عن خبرات

وأحل ما يعني به إصلاح أحو ... ال الورى من سائر الوجهات

وسعادة الدارين أكبر همه ... وكذاك نصر الدين بالحجات

وكذاك جذب الناس نحو إلههم ... بأداء ما يرضيه من طاعات

وبكل وقت كان يخطب حسبما ... قد تقتضيه مواقف الحاجات

ويطيل فيها ما عدا خطب السرو ... ر كالتي في العيد والجمعات

والصوت يعلو منه والعينان تحـ ... ـمران عند تزايد الغضبات

فكأنمــــا هـــو منـــذر جيشـــا يحـــرِّ
ضـــــه على الإقـــــدام للحـــومـــــات
وهـــو الـــذي قـــد كـــان يخطب قـــائمـــا
فـي منبـــــر أو راكبــــــا نــــاقــــــات
وعلى العصى والقـــوس حينـــا قـــد تـــوكأ
لا علـى سيف بــــــــــلا ريبـــــــات
وكـــذا لـ كـــــان إذا أتـــــاه عــــارض
قطـع الخطــــابـــة تلكـم الفتـــــرات
وأتمهـــــا من بعــــــد ذاك ولم يجــــد
فـي القطـع من حـــــرج ولا سبــــــات
بل إنـــه عـن منبـــر نـــزل الـــرســـو
ل بـــــذات يـــوم ســـاعـــة الخطبـــات
إذ أقبـل الحسنـــــان في ثـــوبيهمـــا
يتعثـــــران بحـــــالـــــة المشيــــات
من أجـل حملهمـــا وعـــاد يقـــول حقـــ
ـــا إنمـــــا الأولاد من فتنــــــات
وكـــذاك خـــاطب من أتـى فى حـــال خطــ
بتـــــه وأهمـل سنـــــة الجمعـــــات
إذ قـــــال قـم واركع (سليك) وإنمـــا
بتجـــــوز فـى هـــــذه الـــركعــــات

(زاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ١ / ١١٦ - ١١٨، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٤٣، ٤٤).

انظر مادة «الجمعة (صلاة -)» فى م ١٢ / ٣٢٣ - ٣٢٥ وراجع بها فى ص ٣٢٧ - ٣٣٢ ما جاء عن خطبة الجمعة، وأركانها، وشروطها، وسنتها، ومكروهها.

*** الخطب المباركة:**

انظر: خطب ابن نباتة.

*** خطب النبى عليه السلام:**

خطب النبى عليه السلام: جمعها أبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى المتوفى سنة ٤٣٢ اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

(كشف ١ / ٧١٥).

*** الخطب الهروية:**

الخطب الهروية: للشيخ أبى الحسن على بن أبى بكر الهروى السايح المتوفى سنة ٦١١ إحدى عشرة وستمائة.

(كشف ١ / ٧١٥).

*** خُطبة:**

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط وجاء بيانه كما يلى:

١٢٠١ د. خطبة لأبى الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى، المولود قبل البعثة بعشر سنين، توفى شهيدا بالكوفة سنة ٤٠ هـ.

أولها: الحمد لله بديع السماوات وفاطرها.

بها ورقات ١٠، مسطرتها ١٧، مقياسها ١٣٥×٢٠٠.

مكتوبة بخط مشرقى

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٣٧).

***خُطبة:**

من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٣١٠١٢/ ٢

خطبة: لقس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك من بنى أياد المتوفى نحو ٢٣ قبل الهجرة/ ٦٠٠ ميلادية.

قيل إنه قرأ هذه الخطبة فى سوق عكاظ بمكة المكرمة قبل بعثة النبى ﷺ نسخة منقولة من مسامرات محيى الدين بن عربى، كتبها إسماعيل حقى سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م.

١٠ ص.		١٢ × ١٥ سم.		١٦ س.

الأعلام ٥ / ١٩٦.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٨، ١٥٩).

قالت المؤلفة: أوردنا خطبة قس بن ساعدة فى مادة «الخطابة» فانظرها فى موضعها.

* **الخُطبة:**

قال التهانوى:

الخطبة بالضم هى عبارة عن كلام مشتمل على البسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى بما هو أهله والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتكون فى أول الكلام، ثم خطبة المنابر غير خطبة الدفاتر لأن خطبة المنابر تشتمل على ماذكرنا مع اشتمالها على الوصية بالتقوى والوعظ والتذكير ونحو ذلك بخلاف خطبة الدفاتر فإنها بخلاف ذلك كذا فى العينى شرح صحيح البخارى فى شرح الحديث الأول. اعلم أن خطبة الكتب إن ألحقت بها بعد تصنيفها وتأليفها بأن ألف المؤلف كتابه أولا ثم ألحقه الخطبة تسمى خطبة إلحاقية وإن كتب أولا ثم ألف الكتاب تسمى خطبة ابتدائية.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠٥).

انظر: الخطابة:

* **الخِطبة:**

مما يرد فى باب النكاح فى فقه السنة المشرفة.

قال فضيلة الشيخ السيد سابق:

الخِطْبة: فعلة كقعدة وجلسة، يقال: خطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة، أى طلبها للزواج بالوسيلة المعروفة بين الناس، ورجل خطاب: كثير التصرف فى الخطبة، والخطيب، والخاطب والخطب، الذى يخطب المرأة، وهى خطبه وخطبته.

وخطب يخطب، قال كلاما يعظ به، أو يمدح غيره ونحو ذلك.

والخطبة من مقدمات الزواج. وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل من الزوجين صاحبه، ويكون الإقدام على الزواج على هدى وبصيرة

من تباح خطبتها:

أولا: لا تباح خطبة امرأة إلا إذا توافر فيها شرطان:

أن تكون خالية من الموانع الشرعية التى تمنع زواجه منها فى الحال.

ثانيا: ألا يسبقه غيره إليها بخطبة شرعية.

فإن كانت ثمة موانع شرعية، كأن تكون محرمة عليه بسبب من أسباب التحريم المؤبدة أو المؤقتة، أو كان غيره سبقه بخطبتها، فلا يباح له خطبتها.

خطبة معتدة الغير:

تحرم خطبة المعتدة. سواء أكانت عدتها عدة وفاة أم عدة طلاق، سواء كان الطلاق طلاقا رجعيا أم بائنا.

فإن كانت معتدة من طلاق رجعى حرمت خطبتها، لأنها لم تخرج عن عصمة زوجها. وله مراجعتها فى أى وقت شاء.

وإن كانت معتدة من طلاق بائن حرمت خطبتها بطريق التصريح إذ حق الزوج لا يزال متعلقا بها، وله حق إعادتها بعقد جديد.

ففى تقدم رجل آخر لخطبتها اعتداء عليه.

واختلف العلماء فى التعريض بخطبتها، والصحيح جوازه.

وإن كانت معتدة من وفاة فإنه يجوز التعريض لخطبتها أثناء العدة دون التصريح، لأن صلة الزوجية قد انقطعت بالوفاة، فلم يبق للزوج حق يتعلق بزوجته التى مات عنها.

وإنما حرمت خطبتها بطريق التصريح، رعاية لحزن الزوجة وإحدادها من جانب، ومحافظة على شعور أهل الميت وورثته من جانب آخر.

يقول الله تعالى:

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة: ٢٣٥].

والمراد بالنساء، المعتدات لوفاة أزواجهن، لأن الكلام فى هذا السياق. ومعنى التعريض أن يذكر المتكلم شيئا يدل به على شيء لم يذكره.

مثل أن «يقول: إنى أريد التزوج» و «لوددت أن ييسر الله لى امرأة صالحة».

أو يقول: إن الله لسائق لك خيرا.

والهدية إلى المعتدة جائزة، وهى من التعريض.

وجائز أن يمدح نفسه، ويذكر مآثره على وجه التعريض بالزواج.

وقد فعله أبو جعفر محمد بن على بن حسين .

قالت سكينة بنت حنظلة :

استأذن عليَّ محمد بن على ولـم تنقض عدتى من مهلك زوجى (أى هلاك) فقال :

قـد عرفت قـرابتى من رسول الله ﷺ، وقـرابتى من على ، وموضعى فى العرب، قلت :

غفـر الله لك يـا أبـا جعفـر، إنك رجل يـؤخـذ عنك ... تخطبنى فى عدتى؟ ... قال :

إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله ﷺ ومن على .

وخـلاصــة الآراء أن التصـريح بـالخطبة حـرام لجميع المعتـدات، والتعريض مبـاح للبـائن وللمعتـدة من الوفـاة، وحرام فى المعتدة من طلاق رجعى .

وإذا صرح بالخطبة فى العدة ولكن لم يعقد عليها إلا بعد انقضاء عدتها فقد اختلف العلماء فى ذلك .

قال مالك :

يفارقها . دخل بها أو لم يدخل .

وقـال الشـافعى : صح العقـد وإن ارتكب النهى الصـريح المذكور لاختلاف الجهة .

واتفقوا على أنه يفرق بينهما لو وقع العقد فى العدة ودخل بها وهل تحل له بعدُ أم لا؟

قال مالك، والليث، والأوزاعى : لا يحل له زواجها بعد .
وقـال جمهـور العلمـاء : بل يحل لــه إذا انقضت العـدة أن يتزوجها إذا شاء .

الخِطبة على الخِطبة .

يحـرم على الرجل أن يخطب على خِطبـة أخيه، لمـا فى ذلك من اعتـداء على حق الخاطب الأول وإسـاءة إليه، وقـد ينجم عن هـذا التصرف الشقـاق بين الأسـر، والاعتداء الـذى يروع الآمنين .

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال :

«المـؤمن أخـو المؤمن، فـلا يحل لـه أن يبتـاع على بيع أخيـه، ولا يخطب على خِطبة أخيـه حتى يذر أى يتـرك) رواه أحمد ومسلم .

(مفهـوم لفظ الأخ معطل : لأنـه خـرج مخـرج الغـالب، فتحرم الخطبة على خطبـة الكافر والفـاسق . وأخذ بـالمفهوم بعض الشـافعيــة والأوزاعى، وجـوزوا الخطبـة على خطبة الكافر. قال الشوكانى : وهو الظاهر) .

ومحل التحريم ما إذا صرحت المخطوبة بالإجابة، وصرح وليها الذى أذنت له، حيث يكون إذنه معتبرا .

وتجوز الخطبة لـو وقع التصريح بالرد ، أو وقعت الإجابة بالتعريض، كقولها : لا رغبة عنك . أو لم يعلم الثانى بخطبة الأول، أو لم تقبل وترفض، أو أذن الخاطب الأول للثانى .

وحكى الترمذى عن الشافعى فى معنى الحديث :

إذا خطب المـرأة فـرضيت به وركنت إليـه فليس لأحـد أن يخطب على خطبته .

فإذا لم يعلم برضاها ولا ركونها فلا بأس أن يخطبها .

وإذا خطبها الثانى بعد إجابة الأول وعقد عليها أثم والعقد صحيح لأن النهى عن الخطبـة، وليست شـرطـا فى صحـة الزواج، فلا يفسخ بوقوعها غير صحيحة .

وقال داود : إذا تـزوجها الخـاطب الثانى فسخ العقـد قبل الدخول وبعده ...

النظر إلى المخطوبة :

مما يـرطب الحيـاة الزوجيـة ويجعلها محفـوفة بـالسعادة محوطة بالهناء، أن ينظـر الرجل إلى المرأة قبل الخطبة ليعرف جمالها الذى يدعـوه إلى الإقدام على الاقتران بها، أو قبحها الذى يصرفه عنها إلى غيرها .

والحازم لا يـدخل مدخـلا حتى يعرف خيـره من شره قبل الـدخول فيـه، قـال الأعمش : كل تزويـج يقع على غير نظـر فآخره هم وغم .

وهذا النظر ندب إليه الشرع ورغب فيه .

١ ـ فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال :

«إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطـاع أن ينظر منها إلى ما يدعو إلى نكاحها، فليفعل» .

٢ ـ وعن المغيرة بـن شعبة : أنـه خطب امـرأة، فقال لـه رسول الله ﷺ :

«أنظرت أليها؟! قال : لا . قال : انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» .

أى أجدر أن يدوم الوفاق بينكما .

رواه النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

٣ ـ وعن أبى هريرة أن رجلا خطب امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «أنظرت إليها؟ . . قال: لا. قال فاذهب فانظر إليها، فإن فى أعين الأنصار شيئا».

المواضع التى ينظر إليها:

والأحاديث لم تعين مواضع النظر، بل أطلقت لينظر إلى ما يحصل له المقصود بالنظر إليه (فتح العلام ٢/ ٨٩).

وإذا نظر إليها ولم تعجبه فليسكت ولا يقل شيئا حتى لا تتأذى بما يذكر عنها، ولعل الذى لا يعجبه منها قد يعجب غيره.

نظر المرأة إلى الرجل:

وليس هذا الحكم مقصورا على الرجل. بل هو ثابت للمرأة أيضا. فلها أن تنظر إلى خاطبها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها.

قال عمر:

لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم. فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن.

التعرف على الصفات:

هذا بالنسبة للنظر الذى يعرف به الجمال من القبح، وأما بقية الصفات الخلقية فتعرف بالوصف والاستيصاف، والتحرى ممن خالطوها بالمعاشرة أو الجوار، أو بواسطة بعض أفراد ممن هم موضع ثقته من الأقرباء كالأم والأخت.

قال الغزالى فى الإحياء:

ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق، خبير بالظاهر والباطن. ولا يميل إليها فيفرط فى الثناء، ولا يحسدها فيقصر، فالطباع مائلة فى مبادىء الزواج ووصف المزوجات إلى الإفراط أو التفريط.

وقلَّ من يصدق فيه، ويقتصد، بل الخداع والإغراء أغلب. والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته.

حظر الخلوة بالمخطوبة:

يحرم الخلو بالمخطوبة، لأنها محرمة على الخاطب حتى يعقد عليها.

ولم يرد الشرع بغير النظر، فبقيت على التحريم، ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة ما نهى الله عنه.

فإذا وجد محرم جازت الخلوة، لامتناع وقوع المعصية مع حضوره.

فعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان ...»

وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة لاتحل له، فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم» رواهما أحمد.

خطر التهاون فى الخلوة وضرره:

درج كثير من الناس على التهاون فى هذا الشأن، فأباح لابنته أو قريبته أن تخالط خطيبها وتخلو معه دون رقابة، وتذهب معه حيث يريد من غير إشراف.

وقد نتج عن ذلك أن تعريض المرأة لضياع شرفها وفساد عفافها وإهدار كرامتها. وقد لا يتم الزواج فتكون قد أضافت إلى ذلك فوات الزواج منها.

وعلى النقيض من ذلك طائفة جامدة لا تسمح للخاطب أن يرى بناتهن عند الخطبة، وتأبى إلا أن يرضى بها، ويعقد عليها دون أن يراها أو تراه إلا ليلة الزفاف.

وقد تكون الرؤية مفاجئة لهما غير متوقعة، فيحدث ما لم يكن مقدرا من الشقاق والفراق.

وبعض الناس يكتفى بعرض الصورة الشمسية.

وهى فى الواقع لا تدل على شىء يمكن أن يطمئن، ولا تصور الحقيقة تصويرا دقيقا.

وخير الأمور هو ما جاء به الإسلام، فإن فيه الرعاية لحق كلا الزوجين فى رؤية كل منهما الآخر، مع تجنب الخلوة، حماية للشرف وصيانة للعرض.

العدول عن الخطبة وأثره:

الخطبة مقدمة تسبق عقد الزواج، وكثيرا ما يعقبها تقديم المهر كله أو بعضه، وتقديم هدايا وهبات (الشبكة)، تقوية للصلات، وتأكيدا للعلاقة الجديدة.

وقد يحدث أن يعدل الخاطب، أو المخطوبة، أو هما معا عن إتمام العقد، فهل يجوز ذلك؟ وهل يرد ما أعطى للمخطوبة؟

إن الخطبة مجرد وعد بالزواج، وليست عقدا ملزما، والعدول عن إنجازه حق من الحقوق التى يملكها كل من المتواعدين.

ولم يجعل الشارع لإخلاف الوعد عقوبة مادية يجازى بمقتضاها المخلف، وإن عد ذلك خلقا ذميما، ووصفه بأنه من صفات المنافقين، إلا إذا كانت هناك ضرورة ملزمة تقتضى عدم الوفاء.

ففى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان».

ولما حضرت الوفاة «عبد الله بن عمر» قال:

انظروا فلانا: «لرجل من قريش»، فإنى قلت له فى ابنتى قولا كشبه العدة، وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق، وأشهدكم أنى قد زوجته (تذكرة الحفاظ).

وما قدمه الخاطب من المهر فله الحق فى استرداده، لأنه دُفع فى مقابل الزواج، وعوضا عنه.

وما دام الزواج لم يوجد، فإن المهر لا يستحق شىء منه، ويجب رده إلى صاحبه، إذ أنه حق خالص له.

وأما الهدايا فحكمها حكم الهبة.

والصحيح أن الهبة لا يجوز الرجوع فيها إذا كانت تبرعا محضا لا لأجل العوض.

لأن الموهوب له حين قبض العين الموهوبة دخلت فى ملكه، وجاز له التصرف فيها.

فرجوع الواهب فيها انتزاع لملكه منه بغير رضاه. وهذا باطل شرعا وعقلا (أعلام الموقعين ٢ / ٥٠).

فإذا وهب ليتعوض من هبته ويثاب عليها فلم يفعل الموهوب له، جاز له الرجوع فى هبته. وللواهب هنا حق الرجوع فيما وهب، لأن هبته على جهة المعاوضة، فلما لم يتم الزواج كان له حق الرجوع فيما وهب.

والأصل فى ذلك:

١ - ما رواه أصحاب السنن، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يعطى عطية، أو يهب هبة فيرجع فيها إلا الوالد يعطى ولده».

٢ - ورووا عنه أيضا، أن رسول الله ﷺ قال: «العائد فى هبته كالعائد فى قيئه».

٣ - وعن سالم عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يثب منها» أى يعوض عنها.

وطريقة الجمع بين هذه الأحاديث هى ما ذكره «أعلام الموقعين» قال:

ويكون الواهب الذى لا يحل له الرجوع هو من وهب تبرعا محضا لا لأجل العوض، والواهب الذى له الرجوع هو من وهب ليتعوض من هبته، ويثاب منها، فلم يفعل الموهوب له، وتستعمل سنن رسول الله كلها، ولا يضرب بعضها ببعض.

رأى الفقهاء:

إلا أن العمل الذى جرى عليه القضاء بالمحاكم:

تطبيق المذهب الحنفى الذى يرى أن ما أهداه الخاطب لمخطوبته له الحق فى استرداده إن كان قائما على حالته لم يتغير.

فالأسورة، أو الخاتم، أو العقد، أو الساعة، ونحو ذلك يرد إلى الخاطب إذا كانت موجودة.

فإن لم يكن قائما على حالته، بأن فقد أو بيع أو تغير بالزيادة، أو كان طعاما فأكل، أو قماشا فخيط ثوبا؛ فليس للخاطب الحق فى استرداد ما أهداه أو استرداد بدل منه.

وقد حكمت محكمة طنطا الابتدائية الشرعية حكما نهائيا بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٩٣٣. وقررت فيه القواعد الآتية:

١ - ما يقدم من الخاطب لمخطوبته، مما لا يكون محلا لورود العقد عليه، يعتبر هدية.

٢ - الهدية كالهبة، حكما ومعنى.

٣ - الهبة عقد تمليك يتم بالقبض.

وللموهوب له أن يتصرف فى العين الموهوبة بالبيع والشراء وغيره، وكون تصرفه نافذا.

٤ - هلاك العين أو استهلاكها مانع من الرجوع فى الهبة.

٥ ـ ليس للواهب إلا طلب رد العين إن كانت قائمة .

وللمالكية فى ذلك تفصيل بين أن يكون العدول من جهته أو جهتها .

فإن كان العدول من جهته فلا رجوع له فيما أهداه .

وإن كان العدول من جهتها فله الرجوع بكل ما أهداه سواء أكان باقيا على حاله ، أو كان قد هلك ، فيرجع ببدله إلا إذا كان عرف أو شرط ، فيجب العمل به .

وعند الشافعية ترد الهدية سواء أكانت قائمة أم هالكة .

فإن كانت قائمة رُدَّت هى ذاتها ، وإلا رُدَّت قيمتها .

وهذا المذهب قريب مما ارتضيناه (فقه السنة م ـ ٢ جـ ٦ / ١٥٠ـ ١٦٠) .

وفيما يلى بعض ما جاء من أحاديث نبوية :

١ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له» . أخرجه الستة وهذا لفظ مالك والنسائى ؛ والباقون بمعناه .

٢ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : «علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : إن الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادى له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا .

لعله هكذا فى مصحف ابن مسعود ، فإن الذى فى أول سورة النساء ﴿واتقوا الله﴾ ... إلخ بدون «ياأيها الذين آمنوا») ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران : ١٠٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] أخرجه أصحاب السنن .

٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء» أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٤/ ٢٢٧)

(فقه السُّنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٢ جـ ٦/ ١٥٠ ـ ١٦٠ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ٢٢٧) .

* **خطبة أم المؤمنين عائشة:**

أحد مخطوطات التاريخ بمعهد المخطوطات العربية وبيانه كما يلى :

عن زيد بن أسلم ويعقوب بن محمد الزهرى

نسخة كتبت بخط نسخى نفيس جدا مضبوط بالشكل الكامل . وبآخرها مقابلة على نسخة بخط المقريزى . وهى فى ورقة واحدة . وتاريخ نسخها سنة ٧٤٠ هـ .

[مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب بتونس] UMESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ ٢ ـ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٦٠) .

* **خطبة البيان:**

خطبة البيان : منسوبة إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهى سبعون كلمة أولها : الحمد لله بديع السموات وفاطرها ... إلخ قيل إنها من المفتريات ولها شرح بالتركية فى مجلد .

(كشف الظنون ١/ ١٧٥) .

* **خطبة الجمعة:**

أوردناها فى مادة «الجمعة (صلاة ـ)» فى م ١٢ / ٣٢٧ ـ ٣٣٢ فانظرها فى موضعها .

* **خطبة الفصيح:**

خطبة الفصيح : لأبى العلاء أحمد بن عبد الله المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة خمس عشرة كراسة يتكلم فيها على أبواب الفصيح وله تفسير خطبة الفصيح شرح فيه غريبه .

(كشف الظنون ١/ ٧١٥) .

* **خطبة فى الحج (بالعربية ثم بالتركية):**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتب الأسد)

الرقم ١٠٢٨٧

تأليف : عبد الله بن حاجى شيخى .

أولـه : الحمـد لله الـذى خضع لجـلال هيبتـه كل أميـر وسلطان أوصيكم عباد الله ونفسى الخاطئة المذنبـة .

آخرهـا : إن الله ومـلائكتـه يصلـون على النبى ... تمت الخطبة على يد أضعف العباد .

الخط نسخي جميل الشكل .

قسم منها بالعربى وآخرها بالتركي

١٧ ق ٨ س ١٦,٥×١١,٥ سم

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظـاهـرية . الفقـة الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

*** خطبة الوداع:**

أوردناها فى مادة «حجة الوداع» فى م ١٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ فانظرها في موضعها

*** خطبة الوداع:**

خطبـة الـوداع : لأبى العبـاس نصـر بـن خضـر الإربلى الشـافعي المتوفى سنة ٦١٩ وهى التى خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم فى حجة الوداع قـال الصغانى : إن من الكتب الموضـوعة خطبة الوداع المنسـوبة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

(كشف الظنون ١ / ٧١٥) .

*** الخَطرة:**

من اصطلاحات الصوفية ، وهى داعية تدعو العبد إلى ربه بحيث لا يتمالك دفعها (اصطلاحات الصوفية / ١٦٠) .

قال التهانوى : فى شرح القصيـدة الفارضية الخاطر يطلق على مـا يخطر بالبـال ، ويطلق أيضا على القلب ، وهـذا من باب إطـلاق لفظ الحال على المحل ، يقال : ورد لى خـاطر ، ووقع فى خاطرى كذا . انتهى كلامه .

وأكثر المتصوفة على أن الخواطر أربعة : خاطر الحق وهو علم يقـذفـه الله تعـالى من الغيب فـى قلـوب أهل القـرب والحضـور من غير واسطـة ، وخاطـر من الملك ، وهو الـذى يحث على الطاعة ويرغِّب فـى الخيرات ويحرز من المعاصى والمكاره ويلوم على ارتكاب المخالفات ، وعلى التكاسل من الموافقات ، وخاطر من النفـس ، وهو الذى يتقاضى الحظوظ العـاجلة ويظهـر الدعـاوى البـاطلة ، وخـاطر من الشيطـان ويسمى بخاطـر العدو إن الشيطـان عدو للمسلم وهـو الذى يدعو إلى المعاصى والمناهى والمكاره .

والفرق بين خاطر الحق والملك إن خاطر الحق لا يعرضه شيء وسـائر الخواطـر تضمحل وتتلاشى عنـده . سئل بعض الكبـار مـا برهـان الحق؟ فقـال وارد يـرد على القلب تضجـر النفس عن تكذيبها ومع وجود الخاطر الملكى معارضة خاطر النفي وخاطـر الشيطان وأن خاطر النفس لا ينقطع بنـور الذكر بل يتقاضى إلى مطلوبه لتصل إلى مرادها إلا إذا أدركها التوفيق الأزلى فيقلع عنها عرق المطالبة .

وأما خاطر الشيطان فإنه ينقطع بنور الذكر ولكن يمكن أن يعود وينسى الذكر ويغويه ، وقال بعضهم الخاطر خطاب يرد على القلوب والضمائر وقيل كل خاطـر من الملك فقد يوافقه صاحبه وقـد يخالفه بخلاف الخاطـر الحقانى فإنه لا يحصل خلاف من العبد فيه ...

وقال بعضهم الخواطـر أربعة خاطر من الله تعـالى وخاطر من الملك وخاطـر من النفس ، وخاطر من العدو فـالذى من الله تنبيـه ، والـذى من الملك حث على الطـاعـة والـذى من النفس مطالبة الشهوة ، والذى من العدو تزيين المعصية فبنور التوحيد يقبل من الله تعالى ، وبنـور المعرفة يقبل من الملك ، وبنور الإيمـان ينهى النفس ، وبنور الإسلام يرد على الطـاعة . وسئل الجنيـد عن الخطرات فقـال : الخطرات أربعـة : خطرة من الله تعالى ، وخطرة من الملك ، وخطرة من النفس ، وخطرة من الشيطان فالتى من الله ترشد إلى الإشارة ، والتى من الملك تـرشد إلى الطـاعـة والتى من النفس تجـر إلى الدنيـا وطلب عزها ، والتى من الشيطان تجر إلى المعاصى .

والمشهور عند مشايخ الصوفية أن الخواطر أربعة كلها من الله تعـالى فى الحقيقـة إلا أن بعضهـا يجـوز أن يكـون بغير واسطة ، وبعضها بواسطة . فما كان بغير واسطة وهو خير فهو الخاطر الربانى ولايضاف إلى الله تعالى إلا الخير أدبا وما كان بواسطة وهـو خير فهو الخاطر الملكى وإن كـان شرا فإن كان بإلحاح وتصميم على شيء معين فيه حظ النفس فهو الخاطر النفسانى وإلا فهو الشيطانى ، وجعل بعض المشايخ الواجب

أى خطـرة الـواجب للحق، والحـرام للشيطـان والمنـدرب للملك، والمكـروه للنفس. وأمـا المبـاح فلمـا لم يكن فيـه ترجيح لم ينسب إلى خاطر لاستلزامه الترجيح.

والشيخ مجـد الدين البغـدادى زاد على الخواطـر الأربعة خـاطر الـروح وخـاطر القلب وخـاطـر الشيخ، وبعضهم زاد خاطر العقل وخاطر اليقين وفى الحقيقة هذه الخواطر مندرجة تحت الخـواطـر الأربعة. فإن خـاطـر الروح وخـاطـر القلب مندرجان تحت خاطر الملك، وأما خاطر العقل فإن كان فى إمداد الـروح والقلب فهو من قبيل خاطـر الملك وإن كان فى إمداد النفس والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو، وأما خاطر الشيخ فهو إمـداد همة الشيخ يصل إلى قلب المريـد الطالب مشتملا على كشف معضل وحل مشكل فى وقت استكشاف المريد ذلك باستمـداده من ضمير الشيخ وفى الحال ينكشف ويتبين وذلك داخل تحت الخـاطر الحقـانى لأن قلب الشيخ بمثـابة بـاب مفتوح إلى عـالم الغيب فكل لحظة يصل إمـداد فيض الحق سبحانه على قلب المريد بواسطة الشيخ.

وأما خاطـر اليقين فهو وارد مجرد من معـارضات الشكوك ولاريب أنه داخل تحت الخاطر الحقانى.

فائدة تمييز الخواطر كما ينبغى لا يتيسر إلا عند تجلية مرآة القلب من الأمور الطبيعية الجسمانيـة بمصقل الزهد والتقوى والذكـر حتى تنكشف فيهـا صور حقـائق الخواطر كمـا هى. ومن لم يبلغ من الزهد والتقوى هذه المـرتبة ويريدأن يميز بين الخواطر فله طريق وذلك بأن يزن أولا خاطره بميزان الشرع فإن كان من قبيل الفرائض أو الفضائل يمضيـه وإن كان محرما أو مكروهـا ينفيه وإن كان من قبل المبـاحات فكل جـانب يكون أقرب إلى مخـالفة النفس يمضيه. والغـالـب من سجية النفس ميلها إلى شىء دنى.

ثـم يعلم أن مطالبات النفس على نوعين: بعضها حقوق لا بد منها، وبعضها حظوظ فالحقوق ضرورة إذ قوام النفس وبقاء حياتها مشروط ومربوط بهـا والحظوظ ما زاد عليها فيلزم تمييز الحقوق من الحظوظ كى تمضى الحقوق وتنفى الحظوظ وأهل البـدايـات يلـزمهم الـوقـوف على الحقـوق وحـد الضـرورة وتجـاوزهم عن ذلك ذنب فى حقهم. وأمـا المنتهى فلـه فتح طريق السعة والخروج عن مضيق الضرورة إلى فضاء المشاهدة والمسامحة وإمضاء خواطـر الحظوظ بإذن الحق سبحانه وإن شئت الـزيـادة فارجع إلى مجمـع السلوك فى فصل معـرفـة الخواطر. (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤١٥ ـ ٤١٧).

هذا ما قاله التهانوى وكله يرتبط باصطلاحات الصوفية.

(اصطلاحـات الصوفية للشيخ كمال الـدين عبد الـرزاق القاشـانى ـ تحقيق وتعليق د. محمـد كمـال إبـراهيم جعفـر / ١٦٠، وكشـاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤١٥ ـ ٤١٧).

***الخطط:**

إذا كـان التاريخ جغـرافية المـاضى، والجغـرافية تـاريخ الحاضر، فإن الخطط هى همزة الـوصل بينهما، وفرع منهما، لأن الخطط مـزيج من التـاريخ والجغرافيـة تبحث فى تـاريخ البلدان، وتطورها خلال العصور المختلفة، وقد كان ولا يزال التأليف فى هـذا العلم فـاشيـا بين الأمم والشعوب منـذ أقـدم العصور.

وقد سـار المسلمون على غرار من تقدمهم فى هـذا النوع من التـدوين فكـان لهم القـدح المعلـى فى تأليف كثيـر من خطط البلدان الإسلامية التى ما برحت من أوثق المصادر التى يرجع إليهـا فى التاريخ والجغرافية فكـان لها ولا ريب الفضل الأكبر فى حفظ تاريخها وتتبع معالمهـا وآثارها (أخبار مكة ١ / ٢٠).

تتنـاول كتب الخطط النـاحيـة العمـرانيـة، ونـاحيـة المجتمعـات العربيـة الإسلاميـة لفتـرة من فترات التـاريخ أو لعصر من عصوره. وهى غير تاريخ البلدان والأقطار، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادى، وتاريخ جرجان للسهمى، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ حلب لابن العديم وغيرها. فهذه التواريخ تتنـاول الناحية السياسيـة، كما تتناول تراجم الـرجال الذيـن ولدوا بهذا البلـد أو نشأوا بـه أو وفدوا عليه. أمـا كتب الخطط والآثـار فتعنى أول ما تعنى بـالبلدان نفسهـا. والآثار ذاتها، من حيـث مواقعها ومعـالمها وآثـارها البـاقيـة عن الأمم والقرون الخالية، ومن حيث ما شيد فيها من قصور زاهرة، وما أنشىء فيهـا من أخطـاط، ومـا أقيم على أرضهـا من مبـان، ومسـاجد، وزوايـا، وجـوامع، ومـدارس، وتكايـا، وخـوانق للصـوفيـة، ورُبَط، وقناطـر، وجـواسق، ومقـابر، ومشـاهـد وخنادق، وقلاع، وحصون، وأسواق.

والحق أن الذين ألفوا في الخطط والآثار الإسلامية لم يقفوا عند المباني والمواقع وأشباهها، ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى التاريخ السياسي تارة، وإلى تاريخ المجتمع وعاداته ومواضعاته تارة أخرى، وإلى تراجم الرجال الذين شيدوا تلك الآثار، وأقاموا تلك المباني، والتعريف بهم تعريفا يطول ويقصر وفقا للمجال من ناحية، وللمعلومات حول سيرة المترجم لهم من ناحية أخرى (التراجم والسير / ٥٢).

وكتاب «أخبار مكة المكرمة وما جاء فيها من الآثار» للأزرقي هو كتاب خطط أكثر منه كتاب تاريخ، فقد تتبع الأزرقي إنشاء الكعبة المعظمة، ومعاهد مكة المكرمة وما فيها من آثار وأماكن، وألَمّ بمجمل تاريخها وجغرافيتها منذ نشأتها، وأتى على صورة واضحة مما سلف لها من مجد طارف وتليد، بحيث تجمعت في الكتاب ميزات خاصة قلما تجدها في كتاب غيره، وصار ما وضع بعد ذلك من الكتب التي تبحث في خطط مكة عالة على خطط الأزرقي (أخبار مكة ١ / ٢٠).

لقد وجه نفر من المؤرخين المصريين في العصور الوسطى عنايته إلى الكتابة في نوع من التاريخ، على ما فيه من مشقة ونصب وما يحتاجه من سعة في الاطلاع ووفرة في تحصيل العلوم والمعرفة، ذلك هو الكتابة في الخطط، سواء أكانت خاصة بمدينة بعينها، أو إقليم بذاته. والتأريخ بأسلوب الخطط أشبه ما يكون بدائرة معارف شاملة عن المكان الذي يتناوله المؤرخ، إذ يذكر فيه كل ما يتعلق بالموقع من معلومات جغرافية وتاريخية، وسير وتراجم، وعادات وتقاليد، وحضارة وفنون، ومعالم وآثار... إلى غير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بذلك المكان (الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ١١).

ويعد فن كتابة الخطط (الطبوغرافيا) وهو نمط من الجغرافيا التاريخية من الفنون التي اختصت بها مصر الإسلامية، فقد كتب فيه عدد كبير من مؤرخيها كانوا يمهدون الطريق إلى الاكتمال الذي بلغه هذا الفن في مؤلف المقريزي القيم «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» والمعروف «بالخطط». وقد أحصى المقريزي أسماء هؤلاء المؤرخين وآثارهم في مقدمته الدقيقة لكتابه الخطط («التعريف بالمخطوطات» م ٢٦ جـ ٢ / ١٣).

والحق أننا نجد في كتب الخطط والآثار تراجم لرجال قل أن نحصل على تراجم لهم في كتب أخرى من كتب التاريخ العام. ومن هنا تأتي أهمية كتب الخطط في إمدادنا بفيض من التراجم يضيف إلى حصيلة الترجمة للرجال في الإنتاج التأليفي عند العرب والمسلمين.

وعندنا من كتب الخطط مصدران كبيران حافلان بمئات ومئات من تراجم الرجال، ولا يستغني عنهما مؤرخ أو مترجم سيرة مهما كان عنده من كتب أخرى في التاريخ العام والطبقات والتراجم.

والمصدر الأول هو خطط المقريزي، واسمها الكامل«المواعظ والاعتبار، بذكر الخطط والآثار» وقد صنفها المؤرخ أحمد بن علي المقريزي من رجال القرن التاسع الهجري، أما المصدر الثاني فهو «الخطط التوفيقية» لعلي باشا مبارك، ونورد كلا منهما في موضعه إن شاء الله تعالى (التراجم والسير / ٥٢، ٥٣).

(أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقي - تحقيق رشدي الصالح ملحس ١ / ٢٠٠ مقدمة المحقق؛ والتراجم والسير - محمد عبد الغني حسن / ٥٢، والخطط التوفيقيه الجديدة لعلي باشا مبارك ١ / ١١، و «التعريف بالمخطوطات». ملاحظات حول تأليف خطط المقريزي» - الأستاذ أيمن فؤاد سيد. مجلة معهد المخطوطات العربية. م ٢٦ جـ ٢. المحرم ١٤٠١ هـ - نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٠ م / ١٣).

انظر: الخطط التوفيقية، خطط مصر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

*** الخطط التوفيقية الجديدة:**

تأليف علي باشا مبارك.

والخطط التوفيقية مكونة من عشرين جزءا. في أربعة مجلدات. ومجموع صفحاتها ٢٥٨٣ صحيفة من القطع الكبير كاملة السطور. منها ١٥٦ صحيفة فهارس. وليست خاصة بخطط العاصمة وحدها. بل تناولت المدن والقرى المصرية جميعها. مرتبة ترتيبا أبجديا. مختصرة لتاريخها. وتتعمق أحيانا حتى ترجعها إلى أصولها الفرعونية أو اليونانية أو الرومانية. وتذكر المعالم الهامة بها. وأهم حاصلاتها الزراعية. وما قد يكون لها من شهرة في بعض الصناعات وطرق هذه الصناعات. وتراجم النابهين منها في النواحي

العلمية أو الدينية أو السياسية أو غيرها. كذلك تناول مقياس النيل. ووسائل الرى والترع. وما على كل ترعة من آلات رافعة مرخص بها. كما بحثت النقود الإسلامية على ممر العصور. وغير ذلك من نواحى المعرفة كالعادات الاجتماعية. والصناعية المحلية والنشاط الاقتصادى والتجارى. والشركات. والأقيسة والموازين والمكاييل. مما يجعلها موسوعة تاريخية جغرافية علمية ساعدته عليها دراسته الهندسية. وما تولاه من وظائف عامة كنظارة الأشغال العمومية ونظارة المعارف مما سهل عليه الاطلاع على كثير من حجج الأوقاف القديمة ومعرفة أحوال كثير من العظماء فى وقته (أسماء ومسميات / ٢٨، ٢٩).

قالت المؤلفة: ما نورده فيما يلى ننقله من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة سنة ١٩٨٠م، وهى طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.

وننقل فيما يلى ما جاء فى مقدمة الطبعة الثانية للدكتور جمال محمد محرز قال سيادته:

أقدم مؤرخ مصرى، ألف بأسلوب الخطط هو عبد الرحمن بن الحكم، فضلا عن أنه أقدم مؤرخ مصرى لمصر الإسلامية، ولذلك يعتبر واضع حجر الأساس لهذا الفرع من التاريخ.

وتلا عبد الرحمن بن الحكم فى هذا الميدان عدد من المؤرخين على مر العصور، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن الحكم أبو عمر بن يوسف الكندى، وأبو محمد الحسن بن إبراهيم زولاق الليثى المصرى، والأمير المختار عز الملك المسيحى، وأبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى الفقيه الشافعى، وصارم الدين إبراهيم بن محمد أيدمر العلائى المعروف «بالمقريزى»، صاحب ذلك الأثر النفيس الذى وصل إلينا عن خطط مصر؛ وهو كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار».

وقد قيض الله لمصر فى العصر الحديث ابنا من أبر أبنائها، وعلما من أشهر أعلامها، وهو على مبارك باشا، الذى اقتفى أثر المؤرخين السابقين، وكتب كتابا عن خطط مصر، سماه. «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة» وهو نفسه الذى اشتهر باسم «الخطط التوفيقية»، وذلك بعد أن رأى قدم العهد، بخطط المقريزى، وتغير كثير من المعالم، بل واختفاء بعضها، لدرجة يصعب معها التحقق مما ورد فى هذا المؤلَّف القديم، والتعرف على كثير من المعالم، فقر رأيه على ضرورة وضع كتاب آخر حديث، ولذا نراه يقول فى مقدمته:

«فلما كانت مدينة القاهرة المعزية التى هى دار الحكومة الخديوية قد كثر ذكرها فى كتب الخطط والتواريخ والسير ووصف ما كان بها من المبانى والبساتين، وهى الآن غيرها فى تلك الأزمان، لتغييرها عما كانت عليه زمن الفاطميين الذين اختطوها بتغيير الدول، وتقلب الأزمنة، وكانت تارة يؤثر فيها الزيادة، فتراها أحيانا زاهرة زاهية، وطورا واهنة واهية، ولم نر منا معشر أبنائها، من يهدينا إلى تلك التقلبات، ويفقهنا أسباب هاتيك الانتقالات، ويدلنا على ما فيها من الآثار، فنجوس خلالها ولا نعرف أحوالها، ونجوب أقطاعها ولا ندرى من وضعها، وقد خطها العلامة المقريزى لوقته، وأطال القول فيما فيها من المبانى والمزارع، وتكلم على الحوادث والرجال، ولكن بعده كم من أمور مرت فدمرت، وعبر جرت فغيرت، حتى ذهب أكثر ما أسهب فى شرحه كليا، وزال حتى صار نسيا منسيا، وكم من آثار خيرية صار نفعها مندثرا مهجورا ومصانع وصنائع قد دثرت كأن لم تكن شيئا مذكورا، وكم من تلال كانت عمارات شاهقة، ووهادا كانت بساتين معينة متأنقة، وقبور مزوية فى جوانب الحارات ومشاهد متباعدة فى الفلوات أطلق عليها العامة أسماء كاذبة، كقولهم مثلا: «هذا ضريح الأربعين»، وكم من مساجد نسبوها لغير من بناها، ومعابد أسندوها لمن لم يكن رآها، والحقيقة أنها قبور ملوك عظام، أو معابد سادات كرام، أو مساجد أمراء فخام، مع أن معرفة ذلك حق علينا، إذا لا يليق بنا جهل بلادنا، والتهاون بمعرفة آثار أسلافنا، التى هى عبرة للمعتبر، وذكرى للمدَّكر، فهم، وإن مضوا لسبيلهم، قد تركوا لنا ما يحثنا على اقتفاء آثارهم، وأن نصنع لوقتنا ما صنعوه لوقتهم، وأن نجد فى طريق الإفادة كما جدوا، دعتنى نفسى لتأليف كتاب واف للمصريين من قديم وحديث».

ذلك هو ما دفع على مبارك باشا إلى وضع كتابه «الخطط التوفيقية»، وقد قدم له محرر المقدمة بقوله :

«صار يذكر فى كل مكان من أماكن القاهرة خطته القديمة واسمه وشهرته التى كانت فى ذلك الوقت مستديمة، ثم يعقبه بذكر ما تحولت إليه فى وقتنا هذا، وقبله حاله، وما آل إليه مآله . ويذكر أول من أنشأ هذا المكان ومن انتقل إليه بعده مرة بعد أخرى، وتملكه من جميع أخطاط القاهرة وشوارعها وحارتها ودروبها وأزقتها وبيوتها الكبيرة والصغيرة وخاناتها، حتى صارت جهاتها واضحة معلومة للساكنين، غير مشتبهة الأعلام والطرق على السائرين فى أزقتها والسابلين» .

وهذا قول حق يلمسه المطلع على كتاب «الخطط التوفيقية» الذى جعله على باشا مبارك من ٢٠ جزءا، نستعرض محتويات كل منها فيما يلى :

يعرض الجزء الأول تاريخ القاهرة ومصر منذ قدوم الفاطميين إليها حتى عصر توفيق ويقارن أوضاعها القديمة بالأوضاع المعاصرة، ويصف أحياء القاهرة الحديثة .

وتذكر الأجزاء الثانى والثالث والرابع خطط القاهرة وشوارعها ودروبها وحاراتها مرتبة على حروف المعجم، مع تحقيقات عن أوضاعها القديمة، منذ عصر «المقريزى» .

والجزء الخامس خاص بالحديث عن الجوامع .

والجزء السادس عن المدارس والزوايا والمساجد والخانقاوات والأسبلة والكنائس، مرتبة على حروف المعجم .

والجزء السابع عن مدينة الإسكندرية .

وتشمل الأجزاء من الثامن إلى الخامس عشر الكلام عن أقاليم الديار المصرية، ومدنها وقراها، وترجمة أعيانها وأدبائها، وشعرائها وأوليائها وأكابرها، مرتبة على حروف المعجم .

والجزء السادس عشر عن الآثار الفرعونية، وبخاصة أهرام الجيزة وما حولها .

ونجد فى الجزء السابع عشر بعض التراجم والأماكن والوقائع .

أما الجزء الثامن عشر، فخاص بمقياس النيل منذ عصر الفراعنة وخلال مختلف الدول الإسلامية وأيام الاحتلال الفرنسى، وعيد الشهيد، ومهرجان النيل وما يتعلق بذلك .

ويدرس الجزء التاسع عشر الرياحات والترع .

فى حين يتناول الجزء العشرون النقود وأشكالها وتواريخها وقيمتها فى مختلف العصور، وبه جدول للمقارنة بين قيمتها القديمة وقيم النقد الحديث .

ولقد جاء كتاب «الخطط التوفيقية»، دائرة معارف مصرية شاملة تعد بمثابة المرجع الأول للعصر الذى تحدث عنه فى كثير من المسائل، وبخاصة تاريخ الأشخاص الذين عاصرهم، والمنشئات العامة، مثل المواصلات والرى والتلغراف والمدارس وغير ذلك فهى والحالة هذه، تساعد على إعطاء صورة عامة عن أحوال البلاد، كما تمكن فى الوقت نفسه من تتبع تاريخ موضوع بحثه .

وهكذا عمل على مبارك باشا على سد الفراغ الذى شعر به وأشار إليه فى مقدمة كتابه، وفى هذا يقول محمد عبد الله عنان فى كتابه «مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية» :

«ولم يشهد تاريخ الخطط منذ المقريزى جهودا فى الطرافة والإفاضة كمجهود على باشا مبارك، بل لقد جاءت «الخطط التوفيقية» من بعض الوجوه، أتم وأوفى من خطط المقريزى، وكانت مهمة مؤلفها فى كثير من الأحيان أدق وأصعب، ، من مهمة سلفه الكبير، فقد كان عليه أن يتتبع تاريخ الخطط فى ظلمات العصر التركى، وأن يحقق المعالم والمواقع والآثار القديمة على ضوء الأطلال الدارسة والمنشئات المحدثة التى تفصلها من الماضى قرون طويلة .

وقد توسع فى مهمة التعريف عن الخطط والتراجم توسعا عظيما، فتناول بعد القاهرة جميع المدن والقرى المصرية بإفاضة، وترجم لكثير من أعيانها فى مختلف العصور» .

ومما لا شك فيه أن نشأة على باشا مبارك والمناصب التى تولاها كانت عاملا فى مساعدته على الوقوف على كثير من البيانات والمعلومات التى دونها فى كتابه هذا .

ومن المعروف أن على مبارك كان طموحا تواقا إلى تولى المناصب الهامة، ولم يكن راضيا على ما رسمه له أبوه من أن يكون فقيها، ولذلك نراه لا يقبل على نوع الدراسة التى اختارها له، بل يلتحق بالمدارس التى تخرّج طبقة الحكام ويكون له

ما أراد، إذ يظهر تفوقا فى دراسته ونبوغا، ويلتحق بمدرسة قصر العينى سنة ١٨٣٦، ثم مدرسة المهندسخانة سنة ١٨٤٠، ويكافأ على تفوقه فيها بإرساله ضمن بعثة أنجال محمد على للدراسة فى فرنسا سنة ١٨٤٥، حيث درس الفنون العسكرية والهندسة الحربية.

ولما عاد إلى مصر إثر وفاة إبراهيم باشا سنة ١٨٤٨ التحق بخدمة الحكومة، وتقلب فى مناصب عدة، منها التدريس بالمدارس التحضيرية والعسكرية، وتنقل بين ميادين التعليم والأوقاف والأعمال الهندسية، وكلها أعمال ساعدته لا شك على الوقوف على الكثير من المعلومات والبيانات، ليس عن القاهرة فقط، بل وعن المدن الأخرى، فضلا عن اطلاعه على كثير من كتب الخطط والتراجم وغيرها من المراجع التى كانت بين يديه، ككتب العرب والفرنج الذين زاروا البلاد وساحوا خلالها، ووثائق المحفوظات الحكومية، ومحفوظات المساجد والآثار المختلفة، وغيرها مما لدى الأسر الكبيرة.

وقد طبعت الخطط التوفيقية بأمر الخديوى توفيق فى مطبعة بولاق الأهلية، وصدرت أجزاؤها خلال سنتى ١٨٨٨، ١٨٨٩ هـ.

وثمة مقدمة أخرى هى مقدمة الطبعة الأولى، وهى طبعة بولاق المذكورة آنفا، تشتمل على تقريظ كتاب الخطط التوفيقية وبيان سبب تأليفه وطبعه، حررها الأستاذ محمد الحسينى المصحح بدار الطباعة ببولاق، وننقل طرفا منها لأنها تعكس أسلوب عصره. يقول بعد الديباجة مسجِّلا للمقريزى فضل السبق فى تأليف خططه، ثم فضل على مبارك فى الاضطلاع بعبء تسجيل خطط القاهرة الجديدة بعد نمائها واتساعها:

وممن شمر الذيل فى ذلك، واشتد فى السعى حتى بلغ الغاية وسابق فرسان هذا الميدان، فلم يكن لسبقه نهاية: نابغة زمانه، وقدوة فضلاء آنه، الشيخ الإمام علامة الأنام: تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى، طيب الله ثراه، وأجزل فى دار النعيم قراه، فإنه رحمه الله بين خطط القاهرة فى زمانه أتم بيان، وأوضح معالم مدنها وقراها الشهيرة أبدع إيضاح وأجمل تبيان، وذكر معظم تواريخ أعاظمها من العلماء والأعيان، وما وصل إليه من أحوال أهلها فى زمنه وفرقهم ومذاهبهم. وما عثر عليه من القديم، حتى بلغ من ذلك مبلغا انتفع به الناس النفع العميم، ثم لما تقادم الزمن واستدار، ودارت على مصر فى الأعصر الخالية دوائر الأهوال والإحن والأقدار، فاكفهر نجمها وحال حالها، واسود وجهها النضير، وكسف بالها.

إلى أن أدركها الله تعالى بعنايته، ووصلت من النضرة والسرور إلى غايته، حين وليتها العائلة الفخيمة؛ عائلة مولانا وسيدنا الخديوى الجليل المرحوم الحاج محمد على. فقد لبست مصر فى عهدها بعد البؤس والقدم لباس النعيم والجدة، وبدلت الرخاء بعد الشدة، فتغيرت لذلك أخطاطها ومعاهدها، وتبدلت معالمها، فلا يكاد يهتدى إلى منزل من منازلها ولا إلى دار ولا خطة من خططها الآن قاصدها، وبقيت مجهولة المسالك والمساكن وغيرها قديما وحديثا، وصار الناس، عالمهم وجاهلهم، من أمرها لا يفقهون حديثا، انتهض لذلك ذو العزم الذى لا يجارى، والهمة التى لا تبارى، العزم الذى بلغ من كل وصف جليل غايته، وحاز من كل خلق كريم بهجته، وحل من كل ثناء جميل بحبوحته، الرياضى الذى لا يشق غباره، والنبراس الذى لا يهتدى إلا به، ولا تشرق فى القلوب إلا آثاره.

ويلى ذلك سبعة أبيات من الشعر فى مدح على مبارك ثم يقول الكاتب عنه:

العلم الشهير، والبدر المنير، والعالم النحرير، والطبن بالمشكلات الخبير، الجبرى الذى كاد أن يبين عن حقيقة الجذر الأصم، والحيسوب الذى كشف عن وجه الأعداد الأول اللثام على الوجه الأتم، والهندسى الذى أسس أشكال التأسيس، ووضع الأعداد المتناسبة على الوجه النفيس، ذو السعادة على باشا مبارك ناظر ديوان المعارف العمومية بالمحروسة مصر المعزية، إذ أخذته - حفظة الله - الغيرة الوطنية، واحتملته الحمية، حمية العلمية، وهاجته النجدة والحرية الطبيعية، ودعته محبة تكثير العلوم والمعارف والأعمال الخيرية واهتزته نخوة الأريحية الجِبِلِّيّة، فنادى فى سوق الأدب:

« ياتجار الآداب، يا من سلكوا فى طريق المعرفة سبيل الصواب، يا جهابذة التاريخ، وأساة الأخبار، يادعاة العلوم،

ورعاة الآثار ، يا من أعملوا جيادهم فى تدوين الفنون ، يا نقاد النفائس ودهاقنة الجوهر المكنون . إن هذه الديار قد انمحت من دواوين التخطيط أخبارها ، واندرست ـ أو كادت ـ من معالم التاريخ الآن آثارها ، فهل من حر تحمله الهمة على تخطيط داره؟ هل من ذى نخوة تستفزه مروءته إلى إيضاح منار وطنه ، وتدوين تاريخه ، وإشهار أخباره وآثاره؟ يا فرسان هذا الميدان يامن لهم اليد الطولى فى هذا الشأن ، يامن اشتهروا باجتياز فنون الأدب والتاريخ جميع البلدان ، هلموا إلى هذه الخطة التى فضلها لا ينكر ، والعمل الذى مزيته الحسنة وأثره الجميل أشهر من أن يذكر» .

فلم يجبه إلى هذا النداء مجيب ، ولم يظهر لهذا الداء طبيب ، ولم يأخذ أحد من هذا الفضل بحظ ولا نصيب .

فشمر حفظه الله ساعد الاجتهاد ، واعتمد فى هذا الغرض المهم على رب العباد ، وسار بحول الله وقوته سالكا سبيل السداد ، وجمع لذلك الكتب العدة ، واستعد له بكل عدة ، ووضع خطط المقريزى أمامه ، وسل فى سيره على قطاع الطريق من شياطين الغواية حسامه ، وصار يذكر فى كل مكان من أماكن القاهرة خطته القديمة واسمه وشهرته التى كانت فى ذلك الوقت ، مستديمة ، ثم يعقبه بذكر ما تحولت إليه فى وقتنا هذا وقبله حاله ، وما آل إليه مآله . ويذكر أول من أنشأ هذا المكان ومن انتقل إليه بعده مرة بعد أخرى حتى الآن وتملكه ، ومن استولى عليه بأى نوع من أنواع الاستيلاء ، أو فى سلك الأوقاف سلكه ، وهكذا الأمر فى جميع أخطاط القاهرة وشوارعها وحاراتها ودروبها وأزقتها وبيوتها الكبيرة والصغيرة وخاناتها ، حتى صارت جهاتها واضحة معلومة للسالكين ، غير مشتبهة الأعلام والطرق على السائرين فى أزقتها والسابلين .

وذكر فى أمر الجوامع والمساجد والزوايا والكنائس والديور ماهو أغرب وأطرب ، وذكر من تواريخ أصحاب الأضرحة ، ومشاهير الأولياء والعلماء وأرباب البيوت والمساجد والأوقاف والأسبلة وغير ذلك وتراجمهم ، فأبان وأعرب ، وذكر قبل ذلك فائدة تشتمل على جملة عدد المساجد والجوامع والزوايا والربط والكنائس والديور والحمامات .

وفى البلاد يذكر إقليم البلد ، والمسافة بينهما وبين ما يليها من البلاد من أى الجهات ، ثم إن كانت تلك البلد محل وقعة من الوقائع القديمة قبل الإسلام ، أو الحادثة بعده ذكرها . ويصف البلد على أتم وصف ، ويوضح أمرها ، ويذكر ما طرأ عليها من تغيير وتبديل وعمارة وخراب ، وغير ذلك من الأحوال على وجه الصواب ، ويذكر تواريخ وتراجم من نشأ فيها من العلماء والأعيان والمشاهير والأولياء قديما وحديثا بألطف بيان .

وقد جمع لذلك ما لا يحصى من حجج الأوقاف والأملاك وكتب التاريخ للقاهرة وغيرها من النظار والملاك .

وبالجملة فهو كتاب جليل المقدار ، واضح المنار ، ثمين القيمة ، غزير الديمة ، فريد فى بابه ، إمام فى محرابه ، يعز على غير مؤلفه ـ حفظه الله ـ تأليف مثله ، ولا يعرف غير العلماء والفضلاء فى هذا الشأن مقدار فضله :

كتاب عظيم الشأن عز مثيله
حوى دقة المعنى إلى رقة اللفظ
إذا سمعت أذ اناك رقة لفظه
ترى نفثات السحر فى ألطف اللحظ
به منهل التحقيق سائغ وروده
له فى نفوس الأذكياء أوفر الحظ
يعز على ذوق الغبى مناله
وينبو عن الجافى وعن مسمع الفظ

جعله مؤلفه خدمة لوطنه ، ونفعا لأهل هذا الشأن ، وقياما بحق زمنه ، وهدية من أحسن الهدايا ، وتحفة من أبهج التحف ، وذخيرة من أعظم الذخائر ، وطرفة من أنفس الطرف ... إلخ (الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ١٥ ـ ٢١) .

ويعتبر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الخطط التوفيقية المصدر الثانى من المصدرين الكبيرين الحافلين بمئات ومئات من تراجم الرجال ، والمصدر الأول هو خطط المقريزى ، واسمها الكامل «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى) .

وأما المصدر الثانى فهو الخطط التوفيقية التى يقول عن طبعتها الأولى :

أما المصدر الثانى فهو «الخطط التوفيقية» بأجزائها العشرين للمرحوم على مبارك (باشا) وقد طبعت ما بين سنتى

١٨٨٨ وسنة ١٨٨٩ بعد قيام الثورة العرابية ببضع سنوات. وإذا كانت الخطط التوفيقية حافلة بالحديث عن خطط القاهرة وشوارعها ودروبها وحاراتها ومساجدها ومعابدها ومدارسها، وأقاليم مصر ومدنها وقراها وآثارها القديمة على توالى العصور، فإنها ـ فوق ذلك ـ حافلة بتراجم ومئات من الأعيان والفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء والأولياء والمتصوفة والأمراء من أهل تلك المدن والبلاد، والقرى والأحياء.

والحق أن فى الخطط التوفيقية من التراجم ما لا نجده فى مصدر آخر غيرها، فإن الترجمة التى فى الخطط للشيخ حسن العطار ــ شيخ الأزهر وأستاذ الشيخ رفاعة الطهطاوى ــ تكاد تكون مصدرنا الوحيد عن حياة ذلك العالم الرائد المجدد.

(التراجم والسير / ٥٣).

(أسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ٢٨، ٢٩، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ١/ ١٥ ـ ٢١، والتراجم والسير ـ محمد عبد الغنى حسن / ٥٣).

*** خطط مصر:**

خطط مصر ــ وهى جمع خطة بمعنى محلة أو بلد لأنه يخط عند التحديد وأول من صنف فيه أبو عمر محمد بن يوسف الكندى، ثم القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ أربع وخمسين وأربعمائة سماه المختار فى ذكر الخطط والآثار فدثر أكثر ما ذكراه فى سنى الشدة المستنصرية من سنة ٥٧ سبع وخمسين إلى سنة ٦٤ أربع وستين من الغلاء والوباء. ثم كتب تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى المتوفى سنة ٥٢٠ عشرين وخمسمائة (عن مائة سنة وثلاثة أشهر) ثم كتب الشريف محمد بن إسماعيل الجوانى وسماه النقط لمعجم ما أشكل من الخطط. ثم كتب القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج المتوفى سنة ٧٩٠ وسماه اتعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل فبين أحوال مصر إلى حدود ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة وقد دثر بعده معظم ما ذكره. وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر (ابن نشوان المتوفى سنة ٢٩٢ اثنتين وتسعين ومائتين وسماه الروضة البهية الزاهرة والخطط المعزية القاهرة ثم صنف الشيخ تقى الدين أحمد بن عبد القادر المقريزى (بفتح الميم نسبة إلى محلة المقارزة بحماة) المتوفى سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة كتابا مفيدا وسماه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحسن فيه وأجاد وهو المشهور المتداول الآن (نورده فى موضعه إن شاء الله تعالى ومعه بيان بمخطوطات الترجمة التركية).

ولهذا الكتاب ترجمة بالتركية عملها بعض العلماء للأمير إبراهيم الدفترى سنة ٩٦٩ تسع وستين وتسعمائة (كشف ١ ٧١٥، ٧١٦).

يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمدعمن كتب عن خطط مصر:

مصر القاهرة شغفت الكثيرين من أبنائها حبا. فخلدوا فى كتبهم خططها وما كانت عليه من بهاء. وما فى قصورها من رفاهية وثراء. وما فى مبانيها من فن وعظمة وأبهة. وما فى نيلها وخلجانها وبساتينها ومتنزهاتها من أسباب اللهو والترفيه. ولم يمر قرن من الزمان إلا وقام كاتب. أو أكثر من أبنائها ليسجل ما ذكره السابقون مضيفا عليه ما استجد.

فابن عبد الحكم توفى سنة ٢٥٧ هـ، والكندى توفى سنة ٣٥٠ هـ، وابن زولاق توفى سنة ٣٨٧ هـ، والمسبحى توفى سنة ٤٢٠ هـ، والقضاعى توفى سنة ٤٥٤ هـ، وأبو البركات توفى سنة ٥٢٠ هـ، الشريف الجوانى توفى سنة ٥٨٨ هـ، وابن عبد الظاهر توفى سنة ٦٩٢ هـ، وابن المتوج توفى سنة ٧٣٠ هـ، وابن دقماق توفى سنة ٨٠٩ هـ، والمؤرخ الكبير المقريزى توفى سنة ٨٤٥ هـ، وابن حجر العسقلانى توفى سنة ٨٥٢ هـ، وتلميذه السخاوى توفى سنة ٩٠٢ هـ والسيوطى توفى سنة ٩١١ هـ، وابن أبى السرور البكرى توفى سنة ١٠٦٠، وعلى باشا مبارك توفى سنة ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م.

جميعهم مصريون يكوِّنون حلقات متصلة فى سلسلة تاريخ مصر القاهرة.

ويساعد هذه الحلقات قوة ويزيدها اتصالا وتماسكا. مؤرخون ـ مصريون أيضا ـ لم يخصصوا مجهودهم التاريخى للخطط. ولكن نجد وصفا لبعض خطط المدينة أثناء عرضهم للتاريخ العام. ويعتبر مجهودهم مكملا.

مثل النويرى صاحب نهاية الأرب المتوفى سنة ٧٣٣ هـ، القلقشندى صاحب صبح الأعشى المتوفى سنة ٨٢١ هـ ، وابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة توفى سنة ٨٧٤، ابن إياس صاحب بدائع الزهور المتوفى سنة ٩٣٠ هـ تقريبا، عبد الرحمن الجبرتى صاحب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار المتوفى سنة ١٢٤١ هـ.

وأغلب كتب الخطط عن مصر القاهرة قبل المقريزى مفقود. عرفت أسماؤها ومؤلفوها من الإشارة إليها فى خطط المقريزى. ومن ذكرها فى كتب التاريخ والتراجم.

ولو لم يتح القدر لمصر القاهرة هذا المؤرخ الكبير الواسع الاطلاع ذا الذاكرة الواعية. والتفكير الرياضى. والتحقيق العلمى. لاندثر جزء كبير من تاريخ هذه العاصمة.

وتوجد فترة طويلة من الصمت بين ابن أبى السرور البكرى المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ . وبين على باشا مبارك المتوفى سنة ١٣١١ هـ فضلا على أن ابن أبى السرور لم يأت تقريبا بجديد. فكتابه قطف الأزهار فى الخطط والآثار ما هو إلا تلخيص لخطط المقريزى مع إضافات يسيرة جدت بعد المقريزى.

ولكن يقطع هذه الفترة من الصمت تاريخ الجبرتى المتوفى سنة ١٢٤١ هـ كان فى كتابه (عجائب الآثار) ما ألقى ضوءا قويا على تاريخ مصر العام. فى فترة من أحلك فترات حياتها وأكثرها اضطرابا. تئن تحت الحكم العثمانى بعسفه وفساده من جهة. وتحت عبث البكوات المماليك من جهة أخرى. ولو أن الجبرتى لم يتناول خطط العاصمة بالذات. ولكن والعاصمة كانت ميدانا للصراع بين المماليك مع بعضهم ومع وجاقات (فرق) الحامية العثمانية. فقد ذكرت مساكنهم ومواقعها ومن ذلك يفهم الكثير من خطط المدينة.

وتخللت هذه الفترة من الصمت أيضا الحملة الفرنسية. وقد أرخها الجبرتى حيث كان معاصرا لها. ووضع الفرنسيون الخرائط المساحية للعاصمة لأول مرة. ووصفوها فى كتاب (وصف مصر) الوصف الدقيق.

ثم أتاح القدر مرة أخرى مؤرخا نابها هو المرحوم على باشا مبارك. فوصل بين ما كتبه المقريزى وبين ما استجد أو تطور من أحياء المدينة لغاية عصره. وأمكنه فى أغلب الأحيان أن يحقق المواقع التى ذكرها المقريزى. مع تغير الأسماء والمواقع. وبينهما ما يقرب من الخمسة قرون. وخانه التوفيق فى أحيان كما سنرى. بإذن الله.

ولكل منهما طريقته فى الخطط. فالمقريزى يتكلم عن كل من المدارس والمساجد والدور والحمامات والحارات وغيرها مجتمعة كموضوع. دون نظر إلى الترتيب الجغرافى. أما على باشا مبارك فيراعى الترتيب الجغرافى فيذكر الشارع وطوله وما يتفرع منه من حارات ذات اليمين وذات اليسار. وما يتفرع من الحارات من دروب وأزقة. وما به ـ أو ما كان به ـ من الآثار كالمساجد والدور الكبيرة وغيرها. وتاريخها وما مر بها من عمارة أو خراب.

وقد أسمى على باشا مبارك كتابه (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة). والتوفيقية نسبة إلى الخديوى توفيق حاكم مصر وقت ظهور الكتاب. فقد كان على مبارك ناظرا للمعارف (وزيرا للتربية والتعليم) فى نظارة رياض باشا سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م).

ثم يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمد.

ولست أقصد من هذا البحث شرح خطط مصر القاهرة وتاريخها. فهذا مجهود كبير ويحتاج إلى سنوات طويلة. وعلى باشا مبارك نفسه فى الأجزاء الستة الأولى من خططه (٨٢٠ صحيفة) التى تناول فيها خطط القاهرة. لم يتناول غير خطط القاهرة الفاطمية. مضافا إليها ما استجد جنوبا حتى ميدانى القلعة والسيدة زينب. وشمالا حتى الفجالة والظاهر. وأما ما استجد غربا فى عهد إسماعيل من أحياء المنيرة وجاردن سيتى والقصر العينى والإسماعيلية ميدان التحرير ومجاوراته. ومن حديقة الأزبكية حتى شاطىء النيل ببولاق فقد ذكره إلماما دون تفصيل. كما أنه لم يكد يذكر شيئا عن خطط الفسطاط.

وكانت مساحة القاهرة فى عهد على باشا مبارك ٢٩٠٠ فدان. تناول بالتفصيل منها ما يقرب من النصف. والآن مساحة القاهرة تقرب من ٦٠٠٠٠ ستين ألف فدان أى تضاعفت أكثر من عشرين مرة منذ على مبارك.

ولكن الجزء الأكبر من مصر القاهرة الحديثة. أو كما يسمونها القاهرة الكبرى حصل تخطيطه بعد على مبارك.

وكان مزارع وصحارى امتدت لها المدينة الكبرى فاحتوتها بين ذراعيها. خططا ومساكن وأبنية. وتاريخها غير عسير المنال. فلدينا المراجع القديمة. وقرارات مصلحة التنظيم ولجان تسمية الشوارع مما يجده الباحث فى الوقائع الرسمية. فضلا على الخرائط المساحية.

فنرجو أن يتوافر بعض علمائنا على المبادرة إلى هذا قبل أن يزداد العمل صعوبة وتعقيدا بتقادم الزمن.

وللأستاذ أيمن فؤاد سيد بحث مستفيض له حول تأليف خطط المقريزى، يعدد فيه من قاموا بتأليف الخطط قبل المقريزى ومن تأثر بهم، وننقل بعضه فيما يلى، وقد وضعنا هوامش البحث بين أقواس فى ثنايا النص:

أول من اهتم منهم بالكتابة فى خطط مصر، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى فى فسطاط مصر سنة ٢٥٧ هـ، إلا أن ابن عبد الحكم لم يخصص كتابه «فتوح مصر وأخبارها» كله للخطط، وإنما أفرد أحد فصوله فقط لوصف خطط الفسطاط والجيزة والإسكندرية.

أما أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ، فهو أول من أفرد مؤلفا خاصا عن الخطط لم يصل إلينا، قال عنه المقريزى:

«أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه، أبو عمر محمد بن يوسف الكندى» (الخطط ١ / ٥). ووصل إلينا من مؤلفات الكندى كتابان هما «تسمية ولاة مصر» و «تسمية قضاة مصر» وقد نشرا تحت عنوان «كتاب الولاة وكتاب القضاة» وفى الكتاب نبذ يسيرة عن بعض خطط الفسطاط ومنشآتها الأولى ترد فى سياق الكلام. ومن آثار الكندى المفقودة والتى يتناول فيها وصف خطط الفسطاط، كتاب «أخبار مسجد أهل الراية الأعظم» وهو تاريخ المسجد الجامع الذى أنشأه عمرو بن العاص فى وسط خطة أهل الراية. وكتاب «الجند العربى» وهى من مصادر المقريزى فى الخطط (القلقشندى: صبح الأعشى ٣/ ٣٢٩).

وقد درست كثير من خطط الفسطاط قبل الاهتمام بالتأليف فى الخطط وهى الخطط التى اختطها الناس حول فسطاط عمرو والجامع العتيق.

ومع قدوم الفاطميين إلى مصر وتأسيسهم مدينة القاهرة لتكون عاصمة لخلافتهم فى سنة ٣٥٨ هـ، ازدهر نمط التأليف فى الخطط على يد بعض كبار مؤرخيها، استمروا فى وصف خطط الفسطاط، ولم يكتبوا شيئا يذكر عن خطط القاهرة الجديدة التى كانت خاصة بالخليفة وخاصته.

فكتب أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين المعروف بابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٦ هـ كتابه «خطط مصر» وهو مفقود منذ زمن بعيد فلم يذكره المقريزى فى مقدمته التى ذكر فيها مؤلفى الخطط المصرية، ولكن ابن خلكان ذكر كتابه هذا وقال إنه «استقصى فيه (وفيات الأعيان ٢ / ٩١).

ويرى الأستاذ عبد الله عنان أن ابن زولاق ربما استقصى فيه إلى جانب خطط الفسطاط، خطط العسكر ثم خطط القطائع، بل لعله تناول أيضا إنشاء القاهرة المعزية، فيكون بذلك أول مؤرخ لخططها (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية / ٣٥).

ومن أهم مؤرخى العصر الفاطمى الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ صاحب كتاب «أخبار مصر» وهو أثر بالغ الأهمية بلغ عدد أوراقه ثلاثة عشر ألف ورقة كما يذكر ابن خلكان، ولم يصل إلينا منه إلا الجزء الأربعون فقط، وفيه بعض حوادث سنة ٤١٤ هـ وحوادث سنة ٤١٥، ومما وصل إلينا من الكتاب وما نقله عنه المتأخرون يبدو أنه تناول فيه كثيرا من خطط الفسطاط ومعاهدها وقصورها وأسواقها، حيث كان يقيم هو نفسه فى شارع الحمراء على شاطىء نيل فسطاط مصر (أخبار مصر / ١٠٩).

وفى زمن خلافة المستنصر بالله كتب أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى كتابه «المختار فى ذكر الخطط والآثار» وتوفى سنة ٤٥٤ هـ (وفى رواية ٤٥٧ هـ) قبل سنى الشدة المستنصرية، يقول المقريزى: : «فدثر أكثر ما ذكر، ولم يبق إلا يلمع وموضع بلقع بما حل بمصر من سنى الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة من الغلاء والوباء، فمات أهلها، وخربت ديارها، وتغيرت أحوالها، واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانبى الفسطاط الغربى والشرقى فأما الجانب الغربى فمن قنطرة بنى وائل حيث الورّاقات الآن قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر، إلى الشرق المعروف الآن بالرصد وأنت مار إلى القرافة الكبرى. وأما الشرقى فمن طرف بركة الحبش التى

تلى القرافة إلى نحو جامع أحمد بن طولون». (خطط المقريزى ١ / ٥).

«ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالى مصر فى سنة ست وستين وأربعمائة، وهذه المواضع خاوية على عروشها، خالية من سكانه وأنيسها، قد أبادهم الوباء والتباب، وشتتهم الموت والخراب، ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الأسعار وكثرة الخوف من العسكرية، وفساد طوائف العبيد والملحية، ولم يجد من يزرع الأراضى، هذا والطرقات قد انقطعت بحرا وبرا إلا بخفارة وكلفة كثيرة. وصارت القاهرة أيضا يبابا داثرة، فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء فى القاهرة. وكان هذا أول وقت اختلط الناس فيه بالقاهرة» (خطط المقريزى ١ / ٤).

فالقضاعى كان اهتمامه كاهتمام سابقيه بخطط مصر الفسطاط، حيث كان يقيم أهل مصر جميعا من العلماء والتجار ومختلف طبقات المجتمع المصرى، فقد كانت القاهرة حتى هذا الوقت مدينة خاصة يقيم فيها الخليفة وحاشيته وجنده بمختلف جنسياتهم، وكانت سنى الشدة العظمى سببا فى خراب الفسطاط وانتقال الناس منها. حتى إن بدر الجمالى أباح للناس أن يعمروا ما شاء لهم فى القاهرة فكان هذا أول وقت اختلط الناس فيه بالقاهرة.

وفى زمن المقريزى دثر أكثر ما ذكره الكندى والقضاعى من خطط مصر بسبب الشدة العظمى، ثم بسبب حريق الفسطاط الذى كان فى سنة ٥٥٩ هـ. «وقد كان أكثر بناء الفسطاط بالآجر المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك» يقول القلقشندى: وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النسابة، عرفت ماكان الفسطاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن (صبح الأعشى ٣ / ٣٣٤).

وكانت معرفة الكندى والقضاعى بخطط مصر الفسطاط معرفة عظيمة حتى قال عنهما المقريزى: «وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها» وأضاف «وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم».

«ثم كان المنيه بعد القضاعى على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى المصرى الذى توفى سنة ٥٢٠ هـ بعد أن جاوز المائة، وقد صنف كتابا فى «خطط مصر» لم يصل إلينا، قال عنه المقريزى: إنه «تأليف لطيف نبه فيه الأفضل أبا القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتمالكت بعد ما كانت أحباسا (المقريزى: الخطط ١/ ٥)ولا شك أن ذلك كان بعد ما أصاب الناس من سنى الشدة فاغتصبوا المواضع التى وصلت إليها أيديهم بعد أن فقدوا ممتلكاتهم واضطروا إلى ترك منازلهم والانتقال بعيدا عنها.

وآخر من ألف فى الخطط فى زمن الفاطميين أبو عبد الله محمد بن أسعد بن على بن الحسين المازاندرانى المعروف بالشريف الجوانى المتوفى سنة ٥٨٨ هـ. كان نقيبا للأشراف فى مصر وألف عددا من المصنفات منها: «طبقات الطالبيين» و «تاج الأنساب ومنهاج الصواب» و «الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون» و «الروضة الأنيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة» وبالإضافة إلى ذلك وضع الشريف الجوانى كتابا فى الخطط عنوانه «النقط بعجم ما أشكل من الخطط»، قال عنه المقريزى: «نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت» وكان أكثر اهتمام الجوانى بخطط الفسطاط، وقد وقف المقريزى على كتاب الجوانى بخطه يقول: «هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد» (المقريزى: الخطط ١ / ٢٨٨) ويؤكد ذلك أيضا قول القلقشندى: «وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النسابة، عرفت ما كان الفسطاط عليه من العمارة، وما صار إليه الآن ...» (القلقشندى: صبح الأعشى ٣ / ٣٣٤).

وبسقوط خلافة الفاطميين فى مصر ٥٦٧ هـ تحولت البلاد من المذهب الإسماعيلى إلى المذهب السنى وتولت أمرها دولة أخرى تخالف الفاطميين فى نظمها وعقائدها. فقد انتقل أمر مصر إلى الأيوبيين السنيين الذين منعوا كثيرا من الاحتفالات الدينية التى كانت تتم فى زمن الفاطميين الشيعة، وأبطلوا كثيرا من الشعائر التى كانت فى وقتهم، وهدموا بعض منشآتهم وأقاموا فى موضعها منشآت جديدة.

ولا نصادف فى زمان الأيوبيين من يهتم بالكتابة عن خطط

مصـر والقـاهـرة، فقـد غلب على عصـرهم الطـابع الحـربى ومـواجهـة القـوى الصليبيـة الغـاشمـة التى هـددت الشـرق الإسلامى بأثره، وكان للأيـوبيين فضل الذود عن الإسلام أمام حملات الصليبيين المختلفة، وتقليص ممالكهم التى أقاموها فى الشام واسترداد مملكة بيت المقدس.

وفى زمن المماليك تقاربت المبـانى والمنشآت وزاد عدد سكـان مدينـة القـاهـرة، وابتنى الناس فى مـوضع القصـرين الفاطميين، وأنشأوا أحياء جديـدة مما أدى إلى امتداد مساحة القاهـرة، يقول المقـريزى: «ثم تـزايدت العمـارة ... فى الأيام الناصر بن محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها، إلى أن كادت تضيق على أهلها حتى حل بهـا وباء سنـة تسع وأربعين وسنة إحدى وستين، ثم غـلاء سنة ست وسبعين فخربت بهـا عدة أماكن، فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الإقليم» (المقريزى: الخطط ١ / ٥).

وواقع الأمر أن قـاهرة الفاطميين غـابت عنا اليوم معـالمها ولم يبق لنا إلا قاهرة المماليك بمساجدها الضخمة وحماماتها ومدارسها وخوانقها ومسالكها ودروبها.

فكتب القاضى محيى الدين أبـو الفضل عبد الله بن رشيد الـدين بن عبد الظـاهر المتـوفى سنة ٦٩٢ هـ كتـابه «الـروضة البهية الزاهرة فى خطط القاهرة المعزية»، قال عنه المقريزى: «فتح فيه بابا كانت الحاجة داعية إليه».

فهو أول مؤلف مصرى خصص كتابا لخطط القاهرة، كان الأساس الذى اعتمد عليه كل من القلقشندى والمقريزى وأبى المحـاسن، ولـلأسف لم يصـل إلينـا من مـؤلفـات ابن عبـد الظاهر سوى مؤلفاته التاريخية فقط، أما كتابه فى الخطط فقد فُقد منذ زمن، والنقول الكثيرة عنه عند القلقشندى والمقريزى تفيد بأنه كان مؤرخا أثريا.

وقـد وقعت لأبى بكـر بـن عبـد الله بن أيبك الـدوادارى المتـوفى سنة ٧٣٦ هـ مسودة كتـاب ابن عبد الظاهـر يقول: «وقعت على مسـودة مجلـدة بخـط يـدى القـاضى ابن عبـد الظاهر، رحمـه الله، يقول فى أولها: الروضـة البهية فى خطط القاهرة المعزية، جمع الفقير إلى الله تعالى فى سنة ٦٤٧ هـ» ولخص ابن أيبك قسما من كتاب ابن عبد الظـاهر بطريق غير منظمة فى الجزء الذى خصصه للدولة الفاطمية من كتابه «كنز الدرر وجامع الغرر» والمسمى «الـدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطميـة»، وعلق على ما لخصه مـن كتاب ابن عبد الظـاهر بقولـه: هذا ما لخصتـه من كتاب الخطط، وهو مسـودة بغير ترتيب، ولا هى كلام متوال. وقصدى إن فسح الله فى الأجل، بعد تكملة هذا التاريخ، أن أنشئ كتابا يتضمن خطط القاهرة أسميه «الروضـة الزاهـرة فى خطط القاهـرة»، آتى فيه بمـا لم أُسبق إليه من فنون، تشنِّف السامع وتنزه العيـون، وذلك لما استضويت بهـذه الأنوار، المفترعة من أبكـار الأفكار، فيكون ذلك أسسـا للبنايـة، ونورا للهـداية، والمـرجو من الله تعـالى إدراك هذه النية، وبلوغ هذه الأمنية، إنه بـالإجابة جدير، وهو على كل شىء قدير» (كنز الدرر ٦ / ١٤٢).

ولا ندرى على وجه اليقين إن كـان ابن أيبك قد تمكن من كتابة كتـابه عن الخطط، سوى أنه يقـول فى الجزء السابع من كتابه «كنـز الدرر» وهو يذكر خبـر الصالح طلائع بن رُزِّيك: «وهذا الصالح الذى بنى هذا الجامع الذى بظاهر باب زويلة، وقد ذكرته فى كتابى المسمى «اللقط الباهرة فى خطط القاهرة» (كنز الدرر ٧ / ١٨).

وإذا كان ابن عبـد الظاهر قـد خصص كتابه لـذكر خطط القاهـرة، فقد كـان هناك فى الـوقت نفسه من هـو مستمر فى الكتابة عن خطط الفسطاط، يقول المقريزى: «وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب «إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل» تأليف القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الـوهاب بن المتوج الـزبيرى رحمـه الله، وقطع على سنة خمس وعشـرين وسبعمائة، فـذكـر من الأخطاط المشهـورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطـا، ومن الحارات اثنتى عشرة حارة، ومن الأزقة المشهورة ستة وثمـانين زقاقا، ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربـا، ومن الخوخ المشهورة خمسا وعشرين خوخـة، ومن الأسواق المشهورة تسعة عشـر سوقا، ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثـة عشر خطا، ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة، ومـن العقبات المشهورة إحدى عشرة عقبـة، ومن الكيمان المسماة ستة كيمـان، ومن الأقباء عشـرة أقباء، ومـن الـبرك خمـس بـرك، ومـن السقائـف

خمسا وستين سقيفة، ومن القياسر سبع قياسر، ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخا، ومن الشوارع ستة شوارع، ومن المحارس عشرين محرسا، ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعا، ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجدا، ومن المدارس سبع عشرة مدرسة، ومن الزوايا ثماني زوايا، ومن الربط التي بمصر والقرافة بضعا وأربعين رباطا، ومن الأحباس والأوقاف كثيرا، ومن الحمامات بضعا وسبعين حماما، ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة، وقد باد أكثر ما ذكر ودثر... ، ومعظم ذلك فى وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ثم في وباء سنة إحدى وستين، ثم فى غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة».

ومن هذا الوصف الذى أورده المقريزى لكتاب ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ هـ يتضح لنا أهمية كتابه الذى خصه فقط بالفسطاط ونقل عنه أيضا فى مواضع كثيرة القلقشندى عند وصفه الفسطاط فى كتابه «صبح الأعشى».

الخطط بين المقريزى والأوحدى وابن دقماق:

آخر مؤلفى الخطط الذين ذكرهم المقريزى واستفاد منهم هو ابن المتوج، وكتب بعد ابن المتوج اثنان من أشهر مؤرخى الخطط لم يشر إليهما المقريزى، أحدهما وصل إلينا قسم من كتابه هو ابن دقماق، والثانى فُقد كتابه هو الأوحدى.

فابن دُقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى المتوفى سنة ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٧ م صنف عددا كبيرا من الكتب فى فن التاريخ والطبقات وصل إلينا منها بعضها. وكان قليل الإحاطة بالعربية عامى العبارة، كما كان من غلاة الحنفية وصنف كتابا فى طبقاتهم عنوانه «نظم الجمان» فى ثلاث مجلدات امتحن بسببه (الضوء اللامع ١ / ١٤٥).

ويهمنا فى هذا الموضع من مؤلفات ابن دقماق كتاب «الانتصار لواسطة عقد الأمصار (نشر فولرز فى مصر سنة ١٣٠٩ هـ) الذى وصل إلينا منه جزءان هما: الجزء الرابع والجزء الخامس. وتبدو قيمة هذا المؤلف خاصة بالنسبة لمدينة الفسطاط وخططها.

وكان المقريزى من تلامذة ابن دقماق فلا عجب أن عرف مؤلفاته جيدا، ولكنه لا ينقل عنه على الإطلاق، ويرى كراتشكوفسكى أنه من الممكن أن يكون المقريزى قد أغفل ذكر كتاب شيخه ابن دقماق عمدا لأن المقريزى كان شافعيا متطرفا على حين كان ابن دقماق من غلاة الحنفية.

أما الأوحدى، أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان المتوفى سنة ٨١١ هـ، فكان أديبا معتنيا بالتاريخ لهجًا به، شافعى المذهب، كتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة بيَّض بعضها وأفاد فيها كما قال ابن حجر (إنباء الغمر ٢ / ٤٠٦).

واتهم المؤرخ المصرى شمس الدين السخاوى التقى المقريزى بأنه سطا على مسودة جاره الأوحدى فى الخطط، فبيضها وزاد عليها ونسبها لنفسه، ولم يترك السخاوى مناسبة فى مؤلفاته، ذكر فيها الأوحدى أو المقريزى، إلا أثار فيها هذه القضية وهو يكرر فى كل مرة اتهامه للمقريزى بالسطو على مسودة الأوحدى وتبييضها مع إضافة زيادات لا طائل لها ونسبها لنفسه.

وشغلت هذه القضية التى أثارها السخاوى، عددا من الباحثين، خلصوا إلى تبرئة المقريزى من تهمة السطو على مسودة الأوحدى. غير أن دراسة العلاقة بين كل من ابن دقماق والأوحدى والمقريزى، بالإضافة إلى مسودة خطط المقريزى الجديدة التى وصلت إلينا تجعلنا نعيد النظر مرة أخرى فى صحة هذا الاتهام.

فأقدم هؤلاء الثلاثة ابن دقماق ولد سنة ٧٥٠ هـ، أما الأوحدى والمقريزى فهما متقاربان في السن، ولد الأول فى سنة ٧٦١ هـ. أما الثانى فقد ولد بعده بخمس سنوات فى سنة ٧٦٦، وكان جارا له وقد اهتما بدراسة موضوع واحد هو خطط القاهرة. وكان الأوحدى حريصا على عدم إطلاع جاره المقريزى على كتبه، لعلمه باهتمام المقريزى بنفس موضوعه. وتوفى الأوحدى شابا قبل أن يكمل تأليف كتابه وتركه مسودة لم يبيضها، بينما عمَّر المقريزى بعده أربعا وثلاثين عاما، متنقلا فى بعض المناصب العامة، مرتحلا إلى الشام والحجاز.

وأغفل المقريزى ذكر ابن دقماق والأوحدى وهو يعدد مؤرخى الخطط فى مصر الإسلامية فى مقدمة كتابه «المواعظ والاعتبار»، غير أنه ترجم للأوحدى ترجمة مفيدة فى كتابه

«درر العقـود الفريـدة»، أثبتها السخـاوى فى كتـابه «الضـوء اللامع» اعترف فيها بانتفاعه بمسوداته فى الخطط، وقال عنه: «كان ضابطا متقنا ذاكرا لكثير من القراآت وتوجيهها وعللها، حافظا لكثير من التاريخ سيما أخبار المصريين، فإنه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملـوكها وخلفـائها وأمـرائها وقلع حـروبها وخطط دورها وتراجم أعيـانها إلا اليسير...» (السخاوى: الضوء اللامع ١ / ٣٥٩).

فهذه الشهـادة تدلنا على أن الأوحـدى كان عارفـا بتاريخ المصريين، وخطط القاهرة، فلا شك أن المقريزى اطلع على مؤلفـات الأوحـدى، وبتعبيـر أدق مسـوداتـه عـن الخـطط.

وقد نقل المقريزى عن الأوحدى فى موضع واحد فى كتابه «المواعظ والاعتبار»، قال: «وأخبرنى المقرىء الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى، رحمه الله، قال: أخبرنى المؤرخ ناصر الـدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، قال: أخبرنى العلامة شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العـاص بمصـر قبـل الـوبـاء الكـائن فى سنـة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لإقـراء العلم لا تكاد يبرح منها (المقريزى: الخطط ٢ / ٢٥٦).

ولا نـدرى سببـا واضحـا يجعـل المقـريـزى يغفل عمل الأوحـدى ويتجـاهلـه، رغم شهـادتـه لـه بحفظـه لكثيـر من التاريخ، ومعـرفته بخطط ودور مصر وتراجم أعيـانها، إلا أن تكون الغيرة العلمية.

ومع إشارة معـاصرى الأوحدى إلى كتـابته خططا للقـاهرة مات عنهـا مسودة لم يبيضها، فيبـدو أنها فقـدت فى أعقاب وفاتـه مباشرة، أو أن المقريـزى نفسه أتلفهـا بعد أن استفـاد منهـا، فـلا نجـد أى إشارة إليهـا أو نقل عنهـا عنـد أحـد من المؤرخين المتأخرين.

وكان الأوحدى كما وصفه ابن حجـر لهجا بالتاريخ، فقد وقف على كثير من المؤلفات الخاصة بتاريخ مصر والقاهرة، وسجل عليها بخطه استفادته منهـا وانتفاعه بها، فمن ذلك ما دونه علـى الورقة ١٣٤ ومن مخطوطة كتـاب «الولاة والقضاة» للكندى المحفوظـة فى المتحف البريطانى مفيـدا أنه امتلكها فى شهـر رمضان سنـة ٨٠٥ هـ (الكندى: الـولاة والقضاة (نشـرة جست) المقدمة / ٤٧).

وكثيـرا ما نجـد اسمه جنبـا إلى جنب مع اسم المقريـزى على بعض مؤلفـات تاريخ مصـر الإسلامية مثل مـا جاء على الـورقـة ١٣٢ و، وهى صفحـة غـلاف كتـاب «أخبـار مصـر» للمسبحى المحفوظة فى الإسكوريال، ونصه: «طالعه أحمد ابن عبـد الله بن الحسن بن الأوحدى بـالقـاهرة سنـة ٨٠٣»، وأثبت المقريـزى على الصفحة نفسهـا ما نصه: «استفـاد منه داعيا له أحمد بن على المقريزى» (المسبحى: أخبار مصر. نشـر أيمـن فـؤاد سيـد وتـيارى بيانكـى ص ١ ولوحـة ١) (على مخطوطة كتاب «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعيد المغربى نسخة دار الكتب المصـريـة نجـد تـوقيـع المـؤرخين الثـلاثـة: ابن دقمـاق، والأوحدى، والمقـريزى وهـو آخر من وقع عليهـا. وهـذا الكتـاب أحـد أهم مصـادر المقـريـزى فـى كتـابيـه: «الخطط» و «اتعـاظ الحنفا» («التعـريف بـالمخطوطـات» / ١٣ ـ ٢٨).

(كشف الظنـون لحاجى خليفـة ١ / ٧١٥، ٧١٦، وأسماء مسميـات من مصر القاهـرة ـ محمد كمال السيـد محمد / ٢٦ ـ ٢٨، و «التعريف بالمخطوطـات. ملاحظات حول تأليف خطط المقريـزى» ـ الأستاذ أيمن فؤاد سيد. مجلـة معهد المخطوطات العربية. م ٦ جـ ٢ المحرم ١٤٠١ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٠ / ١٣ ـ ٢٨).

*** خطط المقريزى:**

انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

*** الخطمى:**

ممـا يرد فى مصنفـات التـراث الإسلامى فى علم النبـات وعلم طب الأعشاب جاء فى تاج العروس للزبيدى:

خطمى: بـالكسر وعليـه اقتصـر الجـوهرى ويفتح وقـال الأزهرى هو بفتح الخاء ومن قال بالكسر فقد لحن نبات يغسل به الـرأس ومنه الحـديث أنه كـان يغسل رأسه بـالخطمى وهو جنب (معجم أسماء النباتات / ٥٣).

ذكـره المظفر الـرسولى نقـلا عن مصادر أربعـة رمز إليهـا بالحروف التالية:

ع: عبـد الله بن البيطار صـاحب «الجـامع لقوى الأدويـة والأغذية».

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي .

ز: الزهراوى .

قال :

الخطمى - «ع» منه بستانى ومنه صنف برى، وله زهر شبيه بالورد وهذا النبات يحلل ويرخى، ويمنع من حدوث الأورام، ويسكن الوجع، وينضج الجراحات العسرة الاندمال والنضج، وأصله وبزره يفعلان ما يفعله الورق والقضبان ما دام طريا، إلا أنهما ألطف وأكثر تجفيفا وجلاء، حتى إنهما يشفيان البهق. وبزره يفتت الحصاة المتولدة فى الكليتين، والماء الذى يطبخ فيه الخطمى ينفع من قروح الأمعاء، ومن نفث الدم، ومن استطلاق البطن، من طريق أن فيه قوة قابضة، فالخطمى حار باعتدال، يحلل التهيج فى النفخة التى تكون فى الأجفان، وهو نافع من السعال الحار، ويسهل النفث، وورقه ينفع فى ضمادات الجنب والرئة، وبزره متى خلط بالماء كان كالقريص جامدا ومتى خلط فى أدوية الحقن نفع من ضررها بالمقعدة، وورقه إذا طبخ وعرك بالسمن أنضج الأورام الحارة، ولعابه إذا استخرج بالماء الحار ينفع المقعدين والعقم من النساء، وإن أخذ جزآن من دقيق نوى التمر، ومن بزر الخطمى جزء مسحوق، ويعجن الجميع بخل، ويضمد به الأورام نفعها. وورقه إذا دق يابسا وغسل به الرأس واللحية نقى شعرها وغسلها. «ج» هو بارد رطب، وقيل حار باعتدال، وفيه تليين وإنضاج، وإرخاء وتحليل، ويطلى به البهق مع الخل، ويجلس فى الشمس، وينفع من عرق النسا والارتعاش، ويحلل الأورام، ونفخة الأجفان، وطبيخ أصوله ينفع شربا من حرقة البول والمعى والحصاة، ونفع من مضرة الهوام، وإذا غسل به الشعر لينه ونعمه وإذا شرب منه مثقال نفع من القولنج. «ف» شجرة معروفة، وتسمى كثيرة المنافع، وصمغه بارد ينفع من السعال ونفث الدم، ويحلل الأورام الدموية، وينفع من الصداع والشقيقة والشوصة إذا تضمد به، ومن ذات الجنب مع العسل ودقيق الشعير، ويجبر الأعضاء المنكسرة ويشدها، وينفع من الفالج والتشنج وينزل دم الحيض، ويدر اللبن، وينفع من الأخلاط السوداوية الرديئة.

«ز» بدله : أصل البردى، وبدل صمغ الخطمى : مثل وزنه صمغ عربى، وثلثا وزنه طباشير (المعتمد ١ / ١٣١، ١٣٢) وقد قال عنه داود الأنطاكى إنه من الخبازى (التذكرة ١ / ١٤١) .

وقد ذكره القزوينى فى عجائبه فقال عنه :

(الخطمى) هو النبت المشهور له نور أحمر وقد يكون أبيض. قال ابن سينا : يطلى على البهق بالخل ويجلس فى الشمس ينفع نفعا بينا وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت، ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة، ورق الخطمى الرومى منه يدق مع الكراث والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحية ينفع جدا، وينفع منه مثقال من القولنج شربا وإذا غسل به الشعر نفعه ويضمد به الجرب ينفع نفعا بيّنا (عجائب المخلوقات / ١٨٧) .

وقال ابن سينا :

اسمه باليونانية مشتق من اسم كثير المنافع. فيه تليين، وإنضاج وإرخاء وتحليل. وبزره وأصله فى قوته، وأقوى كثيرا، وأكثر تجفيفا، وألطف. يطلى على البهق بالخل، ويجلس فى الشمس. وبزره أقوى من ذلك، يلين الأورام، ويمنعها، ويحلل الدموية، وينضج الدماميل، وينفع فى الأورام النفخية، ومن الخنازير، ويحتمل مع صمغ البطم لصلابة الرحم، ويجعل بالكرنب على الخنازير، ويسكن وجع المفاصل، وخصوصا مع شحم الإوز، وينفع من عرق النسا، ومن الارتعاش، وشدخ أوساط العضل، وتمدد الأعصاب إذا ضمد به، نفع من الأورام التى تكون فى غدد الأذن. يحلل التهيج، والنفخة التى تكون فى الأجفان. بزره نافع من السعال الحار، ويسهل النفث، وينفع نفث الدم، لقوة قابضة فيه، وينفع ورقه من أورام الثدى، ويقع فى ضمادات ذات الجنب، والرئة. صمغه يسكن العطش. طبيخ أصوله، ينفع إذا شرب، من حرقة البول، ومن حرقة المعاء أيضا، وأورام المقعدة. وكذلك ورقه، وكذلك من الأسهال الردىء. ويحتمل بزره مع صمغ البطم، لصلابة الرحم، وانضمامه، وكذلك طبيخه وحده، وينقى النفاس. وطبيخ أصله إذا سقى بالشراب، نفع من عسر البول، ومن الحصاة، وخصوصا بزره، وصمغه، يحبس البطن. إذا طلى بالخل والزيت منع مضرة الهوام، وينفع طبيخه بخل ممزوج، أو

شراب، ومن لسع النحل. وذلك طلاء (القانون فى الطب / ٣٠٨، ٣٠٩).

ويرد فى مفتاح الراحة وصف الخطمى كما يلى:

صنف من الملوكية البرية، ورقه مستدير، صمغى الملمس، يعرف بالأندلس بورد الزوانى، وفى مصر بشجر ورد الحمار، يغسل به الرأس (مفتاح الراحة / ٣٢٧).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٣، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣١، ١٣٢، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤١، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٧، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣٠٨، ٣٠٩، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقى العمد / ٣٢٧).

*** خطف البارق وقذف المارق:**

خطف البارق وقذف المارق: للفقيه الإمام ذى الوزارتين أبى عبد الله (محمد بن مسعود) بن أبى الخصال الغافقى (المقتول شهيدا سنة ٥٤٠ أربعين وخمسمائة) رد فيه على ابن عرسه (عرسة) فى رسالته فى تفضيل العجم على العرب (كشف ١ / ٧١٦).

*** الخطيب:**

من بين موظفى الدولة الذين أحصاهم الإمام التاج السبكى فى «معيد النعم» وقال عنه:

عليه أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفسا من أهل الجمعة. فلو خطب سرا بحيث لم يسمع غيره لم تصح على الصحيح. ولو رفع صوته قدر ما يبلغهم، ولكن كانوا كلهم أو بعضهم صما فامتنع سماعه للصَّمم فالأصح لا يصح أيضا. وأما الالتفات فى الخطبة، والدق على درج المنبر فى صعوده، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس، والمجازفة فى وصف السلاطين عند الدعاء لهم، والمبالغة فى الإسراع فى الخطبة الثانية. فكل ذلك مكروه. ولا بأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه؛ فإن صلاحه صلاح المسلمين. ولا يطيل الخطبة على الناس؛ فإن وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا الحاجة. ولا يأتى بألفاظ قلقة يصعب فهمها على غير الخاصة، بل يذكر الواضح من الألفاظ. ولا يتكلف السجع إلى غير ذلك مما ذكره الفقهاء.

(معيد النعم ومبيد النقم للإمام تاج الدين السبكى / ١١٢).

انظر: الخطابة، الخطبة، الجمعة (صلاة ـ).

*** ابن خطيب الأشمونين (ـ ٧٢٧ هـ):**

ذكره الإمام السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء الشافعية وقال عنه:

عز الدين عبد العزيز بن أحمد بن عثمان الكردى. يعرف بابن خطيب الأشمونين. درَّس وأفتى، وألَّف على حديث الأعرابى الذى جمع فى رمضان كتابا نفيسا فيه ألف فائدة وفائدة، ولى قضاء أعمال القوصية والمحلة، ودرس بالمعزية بمصر، مات فى أواخر سنة سبع وعشرين وسبعمائة (الدرر الكامنة ٢ / ٣٦٨).

(حسن المحاضرة للحافظ السيوطى ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ١ / ٤٢٤ وهامش ٥ للمحقق).

*** الخطيب البغدادى:**

انظر مادة «البغدادى (الخطيب)» فى م ٧ / ٢٤٠، ٢٤١

*** الخطيب التبريزى:**

انظر مادة التبريزى (أبو زكريا)» فى م ٨ / ٤٣٨ ـ ٤٤١

*** الخطيب التمرتاشى:**

انظر مادة «التمرتاشى» فى م ١٠ / ٤٣٢.

*** ابن خطيب الدهشة (٧٥٠ ـ ٨٣٤ هـ ـ ١٣٤٩ ـ ١٤٣١ م):**

ترجم له السخاوى فقال عنه:

محمود بن أحمد بن محمد النور أبو الثناء بن الشهاب الهمزانى البيومى الأصل الحموى الشافعى ويعرف أبوه بابن ظهير، ثم هو بابن خطيب الدهشة. تحول أبوه من الفيوم إلى حماة فاستوطنها وولى خطابة الدهشة بها. وصنف المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير مجلدين، وشرح عروض ابن الحاجب، وديوان خطب وغيرها. وولد له ابنه هذا فى سنة ٧٥٠ هـ ونشأ فحفظ القرآن وكُتبًا، وسمع من الشهاب المرداوى صحيح مسلم، ومن قاسم الضرير صحيح البخارى، ومن الكمال المصرى ثلاثياته فى آخرين، وتفقه

على علمائها فى ذلك العصر، وارتحل لمصر والشام فأخذ عن أئمتها أيضا إلى أن تقدم فى الفقه وأصوله والعربية واللغة وغيرها، وولى بسفارة ناصر الدين بن البارزى قضاء حماة فى أول دولة المؤيد فباشره مباشرة حسنة بعفة ونزاهة، وصُرف بالزين بن الخرزى الماضى فى أوائل سنة ست وعشرين فلزم منزله متصديا للإقراء والإفتاء والتصنيف فانتفع به عامة الحمويين، واشتهر ذكره وعظم قدره.

وصنف الكثير كمختصر القوت للأذرعى وهو فى أربعة أجزاء سماه «إغاثة المحتاج إلى شرح المنهاج» وقيل إنه سماه لباب القوت، وتكملة شرح المنهاج للسبكى وهو فى ثلاثة عشر مجلدا، والتحفة فى المبهمات، وشرح ألفية ابن مالك، وتحرير الحاشية فى شرح الكافية الشافية فى النحو له أيضا ثلاث مجلدات، وتهذيب المطالع لابن قرقول فى ست مجلدات، واختصره فسماه التقريب فى الغريب فى جزءين جوّده، واليواقيت المضية فى المواقيت الشرعية، وعمل منظومة نحو تسعين بيتا فى الخط وصناعة الكتاب وشرحها. قال شيخنا (يعنى شيخ الإسلام ابن حجر) فى إنبائه (يعن إنباء الغمر).

وانتهت إليه رياسة المذهب بحماة مع الدين والتواضع المفرط والعفة والانكباب على المطالعة والإشغال والتصنيف والمشاركة فى الأدب وغيره وحسن الخط، وكذا قال التقى بن قاضى شهبة إنه انفرد مدة بمشيخة حماة بعد موت رفيقه الجمال ابن خطيب المنصورية مع زهد وتقشف. قال: ولكن كانت به غفلة وعنده تساهل فيما ينقله ويقوله. وكذا أثنى عليه ابن خطيب الناصرية وغيره كالتقى بن فهد فى معجمه، وشيخنا فى معجمه أيضا باختصار. وقال بعض الحفاظ إنه كان صالحا عالما علامة صاحب نسك.. معروفا بالديانة والصيانة، وملازما للخير والتواضع. مات بحماة فى يوم الخميس سابع عشر شوال سنة ٨٣٤ هـ وكانت جنازته مشهورة، وعظم الأسف عليه، وقيل إنه لما احتضر تبسم ثم قال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات: ٦١].

وبينه وبين البدر بن قاضى أذرعات مكاتبات منظومة، وممن كتب عنه من شعره الجمال بن موسى المركاشى، والموفق الأبى، وكذا قرأ عليه شيئا من مروية المحب ابن الشحنة. وهو فى عقود المقريزى (الضوء اللامع ١٠ / ١٢٩ - ١٣١).

وقد قال ابن خطيب الدهشة فى مقدمة كتابه «تحفة ذوى الأدب فى مشكل الأسماء والنسب»: أما بعد أيها الأخ الصالح، والخل الناصح، فقد أجبتك إلى سؤلك ـ رجاء دعوة منك ومن أمثالك. فى ضبط ما وقع فى «الموطأ» و «الصحيحين» من الأسماء والأنساب، ناهجا بين الإطناب والإسهاب، بأبين إشارة، فى أحسن عبارة» ورتبه على أحرف الهجاء، وقد طبع فى ليدن سنة ١٩٠٥ باعتناء الدكتور «تروجوت مان» («ابن ناصر الدمشقى ١١ / ٧١).

(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوى م ٥ حـ ١٠ / ١٢٩-١٣١، و «مقدمة تحقيق كتاب «توضيح المشتبه لابن ناصر الدمشقى» - محمد نعيم عرقسوسى. مجلة البصائر ١ / ٧١ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٧ / ١٦٢).

*** ابن الخطيب الرومى (٨٦٤ - ٩٤٠ هـ / ١٤٦٠ - ١٥٣٤ م):**

ترجم له الزركلى وقد أدرجه تحت اسم «الأماسى» وقال عنه. محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسى الحنفى، محيى الدين، ابن الخطيب قاسم: باحث متفنن، من علماء الروم (الترك) عربى التصانيف. ولد بأماسيه، وترقى فى التدريس ببلدته وغيرها إلى أن توفى. وكان عارفا بالحديث والتفسير والتواريخ والموسيقى، ينظم القصائد العربية والتركية، مطلعا على العلوم الغريبة كالوفق والتعبير والجفر. من كتبه «روض الأخيار» مطبوع، انتخبه من «ربيع الأبرار» للزمخشرى، و «أنباء الاصطفا فى حق آباء المصطفى» مخطوط فى جامعة الرياض الرقم (٢٤٢٩ / ١) (يأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى) وحواش ورسائل وتعليقات كثيرة (الأعلام ٧ / ٦)

قالت المؤلفة: يوجد مخطوط «أنباء الاصطفا فى حق آباء المصطفى» فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسى، محيى الدين، الشهير بابن الخطيب. المتوفى سنة ٩٤٠ هـ.

(معجم المؤلفين ١١ / ١٤٨).

أوله: «الحمد لله الذى فضلنا بأفضل الرسل... أما بعد فهذه رسالة صدرت عن الصدر الساهى، الغريق فى

الملاهى ... فى شرف آباء صدر الرسالة، وطهارتهم عن الخيانة والرذالة».

وآخره: «ورحم أسلافه الماضين من الغزاة والسلاطين فى كرسى بلاد الإسلام بمدرسة أيا صوفية فى بلدة قسطنطينية حماها الله تعالى بفضله وكرمه عن نكبات الأيام».

نسخة كتبت بخط نسخى جميل بقلم يوسف بن عبد الله ابن محمد الديرينى الشافعى، فرغ منها فى أواخر شهر رمضان سنة ١١٢١ هـ. وهى فى ٣٩ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا.

[رواق الشوام ـ الأزهر ٦٥ تاريخ] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة/ ٥١).

ويضيف صاحب كشف الظنون قوله: ألفه للسلطان سليمان خان فى صفر سنة ست وخمسين وتسعمائة وكتب فى هامشه تراجم الرجال كالروضة (كشف ١ / ١٧٠)

(الأعلام الزركلى ٧ / ٦، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / ٥١، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ١٧٠).

* **ابن خطيب الرى:**

(انظر الفخر الرازى)

* **خطيب زاده (-٩٠١ هـ/ -١٤٩٥م):**

نسبه وشيوخه ومكانته وتلاميذه:

محمد محيى الدين بن تاج الدين إبراهيم بن الخطيب المشهور بخطيب زاده الفقيه الحنفى الأصولى قرأ على أبيه تاج الدين وعلى علاء الدين الطوسى وخضر بك كان رحمه الله قوى الحجة فصيحا طلق اللسان جريئا فى الحق مهيبا معنيا بدراسة العلوم والتعليم.

وتتلمذ له أحمد بن سليمان بن كمال باشا ومحيى الدين جلبى الفنارى وعبد الواسع بن خضر وقدارتحل فى سبيل نشر العلم إلى بلاد فارس والروم ولما جلس السلطان سليم خان على عرش السلطنة ولاه مدرسة محمود باشا بالقسطنطينية وجعله قاضيا بعسكر (روم إيلى) ولما تولى السلطان سليمان خان عينه قاضيا للقسطنطينية ولما تقدمت به السن وحيل إلى التقاعد منحه مائة درهم كل يوم ثم ارتحل إلى «كوتاهية» وكان فى جميع أدوار حياته معنيا بالتأليف.

مؤلفاته ووفاته:

من مؤلفاته حواش على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة وحواش على أوائل حاشية السيد على شرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول ورسالة فى بحث الرؤية فى التوحيد وحاشية على أوائل شرح المواقف ورسالة فى فضائل الجهاد. توفى رحمه الله سنة ٩٠١ بكوتاهية ودفن بها.

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٦١. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٥ / ٣٠١. والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١ / ٢٤، ٢٥).

* **الخطيب الشربينى (-٩٧٧ هـ / -١٥٧٠م):**

ترجم له الدكتور حلمى السيد أبو حسن فقال عنه:

هو شمس الدين بن محمد الخطيب الشربينى (هكذا نسبه فى شذرات الذهب وعند الزركلى «محمد بن أحمد» وابن العماد أثبت وأوثق. أما فى الكواكب السائرة المخطوط فلم يسم والده) أحد أعيان الشافعية فى القرن العاشر الهجرى، ولم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، وقد تلقى العلم على يد أكابر الشيوخ فى الفقه والنحو واللغة والتفسير والبلاغة من أمثال الشيخ أحمد البرلسى الملقب (عميرة)، والنور المحلى، والبدر المشهدى، والشهاب الرملى، وناصر الدين الطبلاوى وغيرهم. (انظر شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤ والخطط التوفيقية لعلى مبارك ١٢ / ١٢٧ والأعلام للزركلى ٦ / ٦ وطبقات الإمام الشعرانى والطبقات السائرة مخطوط).

وقد تربى فى «شربين» (مدينة بمحافظة الدقهلية حاليا) وكان يخطب فى مسجدها المسمى باسم «مسجد شمس الدين الشربينى»، وذلك بعد أن تخرج من الأزهر ثم قام بالتدريس فى الأزهر نفسه وقد وصفه معاصروه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة النسك والعبادة فيذكر عنه الإمام الشعرانى أنه «لأخ الصالح العالم الزاهد، والمقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا، وأنه صحبه نحو أربعين سنة فما رأى عليه شيئا يعيبه فى دينه، ولم ير فى أقرانه مثله فى حفظ جوارحه من المعاصى» (نقلا من الخطط التوفيقية ١٢ / ١٢٧).

لقد عرف الشيخ بالصفاء والنقاء وإخلاص العمل لله «وما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

إن سيرة الشيخ تنطق بأنه عاش حياته على درجة من الإحسان عظيمة وهو «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

ومع هذا الإقبال على الطاعة والزهد فى الدنيا، والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه كان كثير التواضع، شديد الحياء، على علم جم، وفضل كبير فكان يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة.

يعطينا ابن العماد وصفا جامعا له فيقول: «وكان من عادته أن يعتكف من أول رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد وكان إذا حج لا يركب إلا بعد تعب شديد وإذا خرج من بركة الحاج لم يزل يعلم الناس المناسك وآداب السفر، ويحثهم على الصلاة، ويعلمهم كيف القصر والجمع، وكان يكثر من تلاوة القرآن فى الطريق وغيره، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف، ومع ذلك فكان يصوم بمكة، والسفر أكثر أيامه، ويؤثر على نفسه» (شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤).

كما يتجلى أدبه أيضا فى ثنائه على شيوخه وعدم ذكر أحد بسوء فتراه لا يعيب أحدا، ولا يسفه رأيا، ولا نشم فى كتاباته كبرا أو سوء أدب أو فخرا أو تعصبا لمذهب يقول عنه أحد معاصريه «كان يؤثر الخمول (الخمول هنا: التوارى وعدم الظهور) ولا يكترث بأشغال الدنيا» (المصدر السابق نفسه) بمعنى أنه كان لا يسعى لسلطان ولا يجرى لمنصب ولا يحب الظهور لأن الدنيا لم تكن فى قلبه.

ثم يقول عنه «وبالجملة كان آية من آيات الله تعالى وحجة من حججه على خلقه» (المصدر السابق نفسه).

وصفات الشيخ تدل على أنه كان يجد حلاوة الإيمان بحبه لله ورسوله وحبه للناس حبا خالصا وإقباله على عبادة ربه.

ويتجلى حبه لرسول الله ـ ﷺ ـ فى حرصه على سنته وزيارته المتكررة لرسول ـ ﷺ ـ على الرغم من صعوبة المواصلات، ومشقات الطريق آنذاك، إنه كان يستخير ربه فى الروضة الشريفة إذا همّ بأمر من الأمور.

فنراه لم يكتب حرفا فى كتابه «مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج» إلا بعد أن ذهب لزيارة رسول الله ـ ﷺ ـ وصلى ركعتين بنية الاستخارة فى الروضة الشريفة». (انظر مقدمته ط الحلبى عام ١٩٥٨).

وحينما عزم على تفسير القرآن الكريم تردد فى ذلك وتوقف، وتحرز من ذلك وتحفظ، يقول الشيخ: «إلى أن يسر الله تعالى لى زيارة سيد المرسلين ـ ﷺ وعلى سائر النبيين والآل والصحب أجمعين فى أول عام (٩٦١ هـ) تسعمائة وواحد وستين فاستخرت الله تعالى فى حضرته بعد أن صليت ركعتين فى روضته وسألته أن ييسر لى أمرى فشرح الله سبحانه وتعالى لذلك صدرى، فلما رجعت من سفرى واستمر ذلك الانشراح معى وكتمت ذلك فى سرى حتى قال لى شخص من أصحابى رأيت فى منامى أن النبى ـ ﷺ ـ أو الشافعى يقول لى. قل لفلان يعمل تفسيرا على القرآن» (مقدمة تفسير «السراج المنير» ط بيروت)

كما كان يحب الإمام الشافعى رضى الله عنه. ومن فى الدنيا لا يحب الشافعى؟ إنه لا يبغضه إلا جاهل فقد كان «كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن» وقد ورد أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «المرء مع من أحب» ويتجلى ذلك فى زياراته الكثيرة له فحينما أراد تأليف الإقناع استخار الله تعالى فى مقام شيخه وإمامه.

يقول: «فاستخرت الله تعالى مدة من الزمان بعد أن صليت ركعتين فى مقام إمامنا الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ـ فلما انشرح لذلك صدرى شرعت فى شرح تقرب به أعين أولى الرغبات راجيا بذلك جزيل الأجر والثواب» (مقدمة الإقناع ١ / ٣ الطبعة الأولى بمصر عام ١٢٨٢ هـ).

وفى دفاعه عنه ومن أمثلة ذلك قوله: «اعترض بعضهم على الشافعى» فى قوله: «كل ماء من بحر عذب أو مالح فالتطهير به جائز» بأنه لحن وإنما يصح من بحر ملح، وهو مخطىء فى ذلك قال الشاعر:

فلو تفلت فى البحر والبحر مالح

لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا

ولكن فهمه السقيم أداه إلى ذلك قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم.

(الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع ١ / ١٣ الطبعة الأولى بمصر عام ١٢٨٢ هـ).

هـذا وقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مصنفاته ومؤلفاته التى امتاز فيها بالبحث الدقيق، والعلم الغزير. ولما فيها من ظهور شخصيته، وسلامة لغته، وتنوع ثقافته لاقت قبولا عظيما فشرقت وغربت، وأغارت وأنجدت، ومازالت تدرس وتقرأ.

ومن هذه المؤلفات:

(١) كتاب «السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير» وهو مرجع فى التفسير مطبوع فى أربعة مجلدات (طبع للمرة الثانية فى دار المعرفة بيروت. لبنان). ونلاحظ دقة عنوانه واعترافه بأن الله تعالى فى كتابه أسرارا يعجز البشر كلهم عن فهمها، ولذلك عبر بقوله: «على معرفة بعض» وقد بين فى مقدمته الدافع إلى تأليفه واستخارته ربه. ثم الرؤيا التى شرحت صدره لهذا العمل، ثم منهجه فيه واقتصاره على أرجح الأقوال، ويبدو لكل من يطالع هذا التفسير غزارة المادة العلمية فيه بحيث يجد غنيته فيه كل من اللغوى وعالم القراءات، والنحوى، والفقيه. والمفسر والصوفى وغيرهم كل ذلك فى إيجاز وتيسير. (وقد سجلت رسالة دكتوراه فى «منهجه فى التفسير» بجامعة المنيا)

(٢) كتاب «الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع» فى الفقه الشافعى وقد طبع فى مجلدين كبيرين (طبع بمصر الطبعة الأولى سنة ١٢٨٢ هـ) كما طبعه الأزهر فى أربعة كتب مقررة على السنوات الأربع الثانوية بالمعاهد الأزهرية.

وهو يشرح «متن الغاية والتقريب» للقاضى أبى شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهانى. فى أسلوب ميسر وعرض رائع، وفوائد علمية ولغوية وأدبية وصوفية. بالإضافة إلى موضوعه الفقهى.

(٣) كتاب «مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج» وهو كتاب فى فقه الشافعية يشرح منهاج الطالبين للإمام النووى وقد طبع فى أربعة مجلدات (طبعته مطبعة الحلبى سنة ١٩٥٨ م).

(٤) كتاب «شرح التنبيه» وهو يشرح كتاب التنبيه لأبى إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى فى أصول فقه مذهب الشافعى وهو مطبوع. (ط دار الكتب العربية بمصر).

وقد أشار إلى هذين الكتابين بالثناء صاحب شذرات الذهب فقال: «وشرح كتاب المنهاج والتنبيه شرحين عظيمين جمع فيهما تحريرات أشياخه بعد القاضى زكريا وأقبل الناس على قراءتهما وكتابتهما فى حياته» (شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤).

(٥) كتاب «شرح البهجة» فى الفقه لابن الوردى. (انظر مقدمة الإقناع ١ / ٣).

(٦) شرح «شواهد قطر الندى وبل الصدى» لابن هشام وهو يشرح الشواهد النحوية الموجودة فيه وهو مطبوع. (انظر معجم المطبوعات ١ / ١١٠٨).

(٧) تقريرات على المطول فى البلاغة للتفتازانى وهو مطبوع كما ذكر الزركلى. (الأعلام ٦ / ٦).

(٨) مناسك الحج (راجع الكتبخانة ١ / ١٧٧ و ٣ / ١٩٤ والتيمورية ٣ / ١٦٠ ومعجم المطبوعات ١ / ١١٠٨ والأعلام للزركلى ٦ / ٦).

وهى موثقة النسبة إليه بالمخطوطتين الموجودتين بدار الكتب المصرية:

الأولى: تحمل الرقم (٢٨٠٣٢) الرمز ب (فقه شافعى) وتقع فى عشرين لوحة أ، ب. وعنوانها «مناسك الحج».

الثانية: مخطوطة تحمل الرقم (٣١٩ فقه شافعى) تقع فى ست عشرة ورقة وعنوانها «مختصر مناسك الحج الشريف».

كما أنه مما يزيد على قرن من الزمان طبعت هذه الرسالة باسم «مناسك الحج» بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ لمؤلفها الخطيب الشربينى كما طبعتها مطبعة بولاق بالقاهرة ضمن مجموعة على هامش فتح المجيب منسوبة للشيخ الخطيب أيضا، وقد اعتمدت على المخطوطة الأولى وجعلتها أصلا وقارنتها بالنسخ الأخرى المخطوطة والمطبوعة.

وبعد هذه الحياه الحافلة بجلائل الأعمال كانت وفاته بعد عصر يوم الخميس الثانى من شهر شعبان سنة (٩٧٧ هـ) سبع وسبعين وتسعمائة. ودفن بالقاهرة وله مزارة بجوار قرافة المجاورين.

فسلام عليه فى الخالدين وسلام عليه فى الأبرار والصديقين ! هـ.

(مناسك الحج للإمام محمد الخطيب الشربين الشافعى - تحقيق د.

حلمى السيد أبى حسن. هدية مجلة الأزهر. ذو القعدة ١٤٠٨ هـ ـ يونيه يـوليه ١٩٨٨ م / ١٣ ـ ٢٢ وضعنـا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٦ / ٦).

*** ابن خطيب المزة:**

من الفقهاء المسندين الذين التقى بهم فى مصر وأخـذ عنهم الرحالة ابن رشيد فأورده فى كتابه «ملء العيبة». ونحن حريصون فى معظم الأحوال على نقـل ما ورد فى هذا المرجع النفيس من تـراجم لأنهـا تحفل بكل مـا يهـم الـدارسين والبـاحثين، كمـا أنها تصلح أن تـدخل فى منـاهج الكليـات والمعاهد الدينية.

ويلخص سمـاحـة الشيخ الـدكتـور محمـد الحبيب بن الخـوجة مفتى الـديار التـونسية فى وقتـه، فى مقدمـة تحقيق الكتاب، مـا أورده ابن الرشيد عن ابن خطيب المزة، وهـو ما ننقله لك أولا، ثم نتبعه بما أورده ابن الرشيد:

يقول سماحة الدكتور ابن الخوجة:

الشيخ الأجل الفقيه المسند شهاب الـدين أبو الفضل عبد الـرحيم بن العلم ابـن خطيب المـزة أحـد الشيـوخ الفضـلاء الثقات الخيـار. تفقه على المذهب الشـافعى وسمع الكثير. فمن ذلك مسند أبى داود رواية اللؤلؤى على ابن طبرزد، ومسند الإمام أحمـد على ابن سعـادة، والغيلانيـات، والقطيعيات. أثبت ابن رشيد فى ترجمته بالنقل على ابن عاصم الرندى بيان التعريف بسنـد الشيخ وسماعـه وإسماعه وسمـاع شيخه أبى حفص بن طبـرزد، وذكـر أن تبـويـب سنن أبى داود فى هـذا السفر الذى قرأ به يختلف عن تبويب النسخ المغربية، وعرف بـالنسخـة ونسبهـا، وتحـدث عن مقـابلتهـا بأصل الخطيب وعقَّب تفصيل القول فى وصف النسخة بما نصه: «وقد تنافس الناس فى سمـاع هذا الكتاب مـن شيخنا أبى الفضل. وممن سمعـه عليـه تقى الـدين ابن دقيق العيـد وجمـال الـدين ابن الظاهرى وكفى بهذين شرفا».

ثم تحدث على قراءاته عن الشيخ أبى الفضل. فمن ذلك مشيخته التى خرجها له الحارث والتى منها حديث جابر:

«سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقعد على القبر...».

وحـديث أبـى الـدرداء: «ألا أخبـركم بأفضـل من درجـة الصيام...».

وحـديث على: «أن العبـاس سأل النبى ﷺ عن تعجيل صدقته...»

وحديث أسامة: «لا يرث الكافر المسلم...».

وحديث أنس بن مـالك: «كان ابن لأم سليم يقال لـه أبو عُمَيْر...».

وحديـث البراء بن عـازب: «نهى رسول الله ﷺ يـوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية.».

وحديث صهيب: «إذا دخل أهل الجنة الجنة...».

وحـديـث أنس: «كـان رســول الله ﷺ فى طـريـق ومعـه أناس...».

وحديث: «لقد دعوت لرسول الله ﷺ على وليمة...».

وحــديث ابن عمــر: «نهى رســول الله ﷺ أن يســافــر بالقرآن...».

وحديث ابن مسعود: «الحيات ما سالمناهن...».

وحديث جابر: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقعد على القبر...».

وحديث ابن عمر: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء...».

وحـديث على: «ألا أعلمك كلمـات...» وحـديثـه: «علمنى رسول الله ﷺ إذا نزل بى كرب...».

وحـديث جـابـر: «نـدب رسـول الله ﷺ النـاس يـوم الخندق...».

وحديث أبى موسى: «أى الإسلام أفضل...».

ثم تحـدث ابن رشيـد عن سنـد الشيـخ أبى الفضل فى الأجزاء الغيلانيات والقطيعيات وفى فوائد أبى بكر الشافعى

وهنا ينتهى ملخص المحقق سمـاحة الشيخ الـدكتور ابن خوجـة وفيما يلى ننقل لـك الأصل الذى أورده ابن رشيـد وقد وضعنـا تعليقات المحقق بين أقـواس فى ثنايـا النص إتمامـا للفائدة قال ابن رشيد رحمه الله:

وممن لقيته بالقاهـرة: الشيخ الأجل الفقيه المسند شهاب الـدين أبو الفضل عبـد الرحيم بن العلم يـوسف بن يحيى بن يـوسف ـ وزاد بعـد أصحـابنـا بعد يـوسف، أحمـد بن سليم الدمشقى المزى، بميم مكسورة بعدها زاى معجمة / منسوب

إلى المزة موضع بغوطة دمشق - ويشهر بابن خطيب المزة. وخطيب المزة هو جده يحيى. ويعرف أيضا بابن العلّم.

سمع الكثير وأجيز له. وهو أحد الشيوخ الفضلاء الثقات الخيار. وتفقه على مذهب الشافعي رحمه الله.

أخبرني رضي الله عنه أنه سمع سنن أبي داود من رواية اللؤلؤي على الشيخ: أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد الدارقزي (وهو موفق الدين أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن إحسان المؤدب المعروف بابن طبرزد. المحدث المشهور البغدادي الدارقزي (٥١٦-٦٠٧ هـ/ ١١٢٣ - ١٢٢١ م) ببغداد. سمع أخاه الأكبر أبا البقاء محمد، وحفظ الأصول، وسمع من هبة الله ابن الحسن ومن الوراق ومن الزاغوني وابن البناء والشروطي وخلق كثير. جمع له المديني مشيخة في ثلاثة أجزاء. أخذ عنه كثير وكان عالي الإسناد. ابن خلكان ٣/ ١٢٤، ٤٧١، الذهبي، العبر: ٥/ ٢٤).

وقرأت أنا من السنن عليه أحاديث في الأحاديث التي خُرجت له من أسمعته. وأظنها جزءين قرأتهما عليه. والنسخة التي ثبتت فيها قراءتي عند صاحبنا سعد الدين الحنبلي لم يتسع الوقت لنسخها، علقت منها أحاديث أسردها بعد بحول الله.

وأجاز له ابن طبرزد وسمع عليه غير ذلك مما نذكر ما تيسر منه.

وسمع مسند أحمد بن حنبل على حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة [الواسطي] الرصافي حضورا، وأجاز له.

ولد شيخنا أبو الفضل عبد الرحيم بن العلم يوسف سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. كتب لي ذلك بخطه.

وذكر بيان التعريف بسنده وسماعه وإسماعه وسماع شيخه أبي حفص ابن طبرزد:

سألت في كتابي صاحبنا المحدث الفاضل أبا عبد الله محمد بن عاصم بن عبيد الله الزيدي نزيل مصر عن تبيين ذلك، فأجاب رحمه الله وكتب بخطه ما نصه:

«هذا الكتاب المذكور لا يوافق تبويبه تبويب النسخ المغربية. فإن فيه تداخلا في الأبواب. والنسخة التي في البلاد نسخة الملك الحسن. وهي في زاوية شيخنا جمال الدين بن الظاهري. وفيها نقل سماع ابن طبرزد بخط الحافظ شمس الدين بن خليل، نقله من الثبت الموجود عند ابن طبرزد. وذكر الحافظ شمس الدين أنها مقابلة بأصل الخطيب، وهي اثنان وثلاثون جزءا، وتداخل الأبواب الذي أشرنا إليه يتبين من انتهاء الأجزاء وأوائلها. ومن هذه النسخة المذكورة سمع شيخنا شهاب الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى المعروف بابن خطيب المزة، نزيل مصر المحروسة. وبها توفي رحمة الله عليه. وهو آخر من حدث به رحمه الله. وسماعه نقل من الأثباتات، والله أعلم.

سمع الكتاب المذكور على أبي حفص عمر بن محمد ابن طبرزد في سنة ثلاث وستمائة شيخنا شهاب الدين أبو الفضل عبد الرحيم المذكور آنفا».

ذكر ثبت سماع ابن طبرزد للكتاب المذكور.

سمع الجزء الأول أعني أبا حفص عمر بن محمد بن طبرزد على أبي البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الفقيه الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد بن طبرزد في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. أوله: كتاب الطهارة، وآخره: باب ترك الوضوء من الميتة).

(بهذا الجزء ٦٢ بابا وآخره حديث جابر من طريق عبد الله بن مسلمة: «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفتيه فمر بجدي ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له.» وساق الحديث. د: ١، ٤٨، ١٨٦) أول الباب ثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا مالك، عن زيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ. د: ١، ٤٨، ١٨٧).

الجزء الثاني سمعه ابن طبرزد على الكرخي أيضا بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. أوله: في ترك الوضوء مما مست النار وآخره: باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة.

(آخر الجزء الثاني وهو يشتمل على ٥٢ بابا: نا أبو الوليد الطيالسي، نا همام عن قتادة عن الحسن، عن سمرة قال قال رسول الله ﷺ: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل». د: ١، ٩٧، ٣٥٤).

الثالث سمعه ابن طبرزد على أبي الفتح مفلح بن أحمد ابن محمد الدومي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في ليلة السبت بعد صلاة العشاء الآخرة ثاني عشر شهر رجب من سنته. أوله: باب الرجل يسلم فيؤمر بالغسل وآخره: باب الدعاء عند الأذان.

يحتوي الجزء الثالث على بقية كتاب الطهارة وفيه ١٣ بابا وعلى أول كتاب الصلاة وأول الباب في صدر هذا الجزء ثنا محمد بن كثير العبدي، أنا سفيان، ثنا الأغر خليفة بن حصين، عن جده قيس بن عاصم. قال أتيت النبي ﷺ أريد الإسلام فأمرني أن أغتسل بماء وسدر. د: ١، ٩٠١، ٣٥٥).

ورد في الترجمة للباب «باب ما يقول عند أذان المغرب وحديث الباب: ثنا مؤمل بن أهاب، نا عبد الله بن الوليد العدني، نا القاسم بن معن، نا المسعودي، عن أبي كثير مولى أم سلمة، عن أم مسلمة قالت: علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: «اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي». د: ١ / ١٤٦، ٥٣٠.

الرابع سمعه ابن طبرزد من مفلح أيضا بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة من سنته. أوله: باب أخذ الأجر على التأذين. آخره: باب من قال لا يقطع الصلاة شيء.

(يشمل هذا الجزء ٧٠ بابا، ومفتتح الباب الأول منه: ثنا موسى بن إسماعيل، نا حماد، أنا سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن مطرف بن عبد الله، عن عثمان بن أبي العاصي قال قلت، وقال موسى في موضع آخر أن عثمان بن أبي العاصي قال: يا رسول الله اجعلني إمام قومي، قال أنت إمامهم واقتدِ بأضعفهم واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا. د: ١، ١٤٦، ٥٣١).

آخر الباب حديث أبي سعيد الخدري رواه أبو داود من طريق محمد بن العلاء ثم رواه من طريق مسدد قال أبو الوداك قال: مر شاب من قريش بين يدي أبي سعيد الخدري وهو يصلي فدفعه ثم عاد فدفعه ثلاث مرات. فلما انصرف قال إن الصلاة لا يقطعها شيء. ولكن قال رسول الله ﷺ: ادرؤوا ما استطعتم فإنه الشيطان. وعقب أبو داود على الروايتين بقوله: إذا تنازع الخبران عن رسول الله ﷺ نظر إلى ما عمل به أصحابه من بعده. د (١): ١، ١٩١، ٧٢٠).

الخامس سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الجمعة سابع وعشرين جمادى الآخرة من سنته. أوله: أبواب تفريع استفتاح الصلاة. آخره: باب رد السلام في الصلاة.

(يشمل هذا الجزء ٣٨ بابا. وأول أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب رفع اليدين مصدرا بقوله: نا أحمد بن محمد بن حنبل: نا سفيان، عن الزهري عن سالم، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة رفع يديه حتى تحاذي منكبيه وإذا أراد أن يركع وبعد ما يرفع رأسه من الركوع. وقال سفيان مرة: وإذا رفع رأسه وأكثر ما كان يقول: وبعدما يرفع رأسه عن الركوع ولا يرفع بين السجدتين. د (١): ١، ١٩١، ٧٢١.

وآخر الباب: ثنا محمد بن العلاء، أنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن أبي ملك، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال أراه رفعه. قال «لا غرار في تسليم ولا صلاة». قال أبو داود: ورواه ابن فضيل على لفظ ابن مهدي ولم يرفعه.

يتألف الجزء السادس من ٨٠ بابا. وأول الباب الأول منه حديث معاوية بن الحكم السلمي يرويه أبو داود من طريق: مسدد بن يحيى وطريق عثمان بن أبي شيبة عن إسماعيل بن إبراهيم عن حجاج الصواف عن يحيى ونصه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم ... الحديث، د: ١، ٢٤٤، ٩٣٠).

السادس سمعه ابن طبرزد من الكرخي، بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته. أوله: باب تشميت العاطس في الصلاة / آخره: باب الخروج إلى العيدين في طريق ويرجع في طريق.

(وحديث الباب من آخر الجزء السادس. ثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا عبيد الله يعني ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أخذ يوم العيد في طريق ثم رجع في طريق آخر. د: ١، ٣٠٠، ١١٥٦).

السابع سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته. أوله: باب إذا لم يخرج الإمام إلى العيدين من يومه يخرج من الغد. آخره: باب صلاة الضحى (٥٩٢).

(يحتوى الجز السابع على ٤٦ بابا وأول حديث منه: ثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة، عن جعفر بن أبى وحشية، عن أبى عمير بن أنس، عن عمومة له من أصحاب النبى ﷺ أن ركبا جاؤوا إلى النبى ﷺ يشهدون أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم أن يفطروا وإذا أصبحوا يغدوا إلى مصلاهم. د: ١، ٣٠٠، ١١٥٧. آخر حديث فى الباب: ثنا ابن نفيل وأحمد ابن يونس قالا، ثنا زهير، ثنا سماك قال، قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال نعم كثيرا. فكان لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام ﷺ د. ٢، ٢٩، ١٢٩٤).

الثامن سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته. أوله: باب صلاة النهار. آخره: باب فى وقت الوتر.

فى الجزء الثامن ٣٥ بابا، أول حديث من أولها: ثنا عمرو ابن مرزوق، أنا شعبة، عن يعلى بن عطاء عن على بن عبد الله البارقى، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ قال: «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى». د: ٢، ٢٩، ١٢٩٥.

آخر الباب: ثنا أحمد بن حنبل، ثنا يحيى، عن عبيد الله، ثنى نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ. قال: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا». د: ٢، ٦٧، ١٤٨٣).

التاسع سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة حادى عشر رجب من سنته. أوله: باب فى نقض الوتر، آخر: باب رضا المصدق.

(يحتوى الجزء التاسع على ٢٤ بابا من آخر كتاب الصلاة و ٢٦ بابا من كتاب الزكاة وأول حديث فى هذا الجزء: ثنا مسدد، ثنا ملازم بن عمرو، ثنا عبد الله بن بدر، عن قيس بن طلق، قال زارنا طلق بن على فى يوم من رمضان وأمسى عندنا وأفطر. ثم قام بنا تلك الليلة، وأوتر بنا ثم انحدر إلى مسجده فصلى بأصحابه حتى إذا بقى الوتر قدم رجلا. فقال أوتر بأصحابك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لا وتران فى ليلة. د: ٢، ٦٧، ١٤٣٩).

بالأصل رجاء المصدق، وينتهى هذا الباب من آخر هذا الجزء بحديث جرير بن عبد الله يرويه أبو داود من طريقين: أبى كامل وعثمان بن أبى شيبة قال جرير بن عبد الله: جاء ناس يعنى من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا إنا ناسا من المصدقين يأتونا فيظلمونا قال فقال أرضوا مصدقيكم... الحديث. د. ٢، ١٠٦، ١٥٨٩).

العاشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته. أوله: باب دعاء المصدق لأهل الصدقة. آخره: من باب فى الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ، ثم اضربها على صفحتها ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أصحابك، أو قال من أهل رفقتك. وقال فى حديث عبد الوارث: ثم اجعله على صفحتها مكان اضربها.

(فى هذا الجزء من كتابى الزكاة واللقطة ٤١ بابا ومن كتاب المناسك ١٨. وأول حديث فيه: ثنا حفص بن عمر النمرى وأبو الوليد الطيالسى قالا، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن أبى أوفى، قال كان أبى من أصحاب الشجرة وكان النبى ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صلِّ على آل فلان. قال فأتاه أبى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبى أوفى». (د ٢، ١٠٦، ١٥٩٠، د: ٢، ١٤٨، ١٧٦٣).

الحادى عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته. أوله: نا هارون بن عبد الله، نا محمد ويعلى ابنا عبيد قالا، نا محمد بن إسحاق، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن على قال: «لما نحر رسول الله ﷺ بدنه فنحر ثلاثين بيده، وأمرنى فنحرت سائرها.

(عبد الله بن أبى نجيح يسار الأعرج المكى مولى ابن عمر. ثقة وحكى ابن الجوزى عن يحيى أنه كان من رؤوس الدعاة إلى القدر. الذهبى. الميزان: ٢، ٥٢٧، ٤٧٠٧ وابن أبى ليلى هو الأنصارى الكوفى الفقيه المقرىء. ٨٣ / ٧٠٣. أخذ عن عثمان وعلى ورأى عمر يمسح على الخفين. معظم فى قومه كأنه أمير. الذهبى. العبر: ١، ٩٦).

فى الجزء الحادى عشر ٤١ بابا وما فى الأصل أول حديث فى الجزء د٢، ١٤٨، ١٧٦٤).

وآخرها : باب الخروج إلى منى

(وآخر حديث فى هذا الباب : ثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا إسحاق الأزرق ، عن سفيان عن عبد العزيز بن رفيع ، قال سألت أنس بن مالك قلت أخبرنى بشىء عقلته عن رسول الله ﷺ أين صلى رسول الله عليه ﷺ الظهر يوم التروية فقال بمنى ، قلت فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال بالأبطح ، ثم قال افعل كما يفعل أمراؤك . د : ٢ ، ١٨٨ ، ١٩١٢) .

الثانى عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رجب من سنته . أوله : باب الخروج إلى عرفة آخره : باب فى العضل .

(فى هذا الجزء من بقية كتاب المناسك ٣٧ بابا ومن كتاب النكاح ٢٢ ، وأول حديث فيه ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا يعقوب ، ثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، ثنى نافع ، عن ابن عمر قال : غدا رسول الله ﷺ من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة حتى أتى عرفة فنزل بنمرة وهى منزل الإمام الذى ينزل به بعرفة حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله ﷺ مهجرا فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة . د : ٢ ، ١٨٨ ، ١٩١٣ .

وحديث هذا الباب : ثنا محمد بن المثنى ، ثنى أبو عامر ، ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، ثنى معقل بن يسار قال : كانت لى أخت تخطب إلى فأتانى ابن عم لى فأنكحتها إياه ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها . فلما خطبت إلى أتانى يخطبها فقلت لا والله لا أنكحها أبدا قال ففى نزلت هذه الآية : ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن** ... ﴾ الآية قال فكفرت عن يمينى فأنكحتها إياه . د : ٢ ، ٢٣٠ ، ٢٠٨٧) .

الثالث عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءه أخيه أبى البقاء محمد فى جمادى الآخرة من سنته . أوله : باب إذا أنكح الوليان . آخره : باب فى الخلع .

(فى هذا الجزء ٢٨ بابا من بقية كتاب النكاح ١٧ بابا من كتاب الطلاق . وأول حديث الباب : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا هشام ، ح وثنا محمد بن كثير ، أنا همام ح وثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد المعنى ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبى ﷺ قال : «أيما امرأة زوجها وليان فهى للأول منهما وأيما رجل باع بيعا من رجلين فهو للأول منهما . د : ٢ ، ٢٣٠ ، ٢٠٨٨) .

وفى آخر الباب : حديث عائشة أن حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس فضربها فكسر نغضها فأتت رسول الله ﷺ بعد الصبح فدعا النبى ﷺ ثابتا فقال خذ بعض مالها وفارقها . فقال ويصلح ذلك يا رسول الله؟ قال نعم . قال فإنى أصدقتها حديقتين وهما بيدها . فقال النبى ﷺ «خذهما وفارقها» ففعل د : ٢ ، ٢٦٩ ، ٢٢٢٨) .

الرابع عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخى فى رجب من سنته أوله : باب فى المملوكة تعتق ، وهى تحت حر أو عبد . آخره : باب من سمى السحور / الغداء . .

(بالجزء الرابع عشر ٤٥ بابا . وأوله حديث ابن عباس يرويه من طريق موسى بن إسماعيل : وهو أن مغيثا كان عبدا . فقال يارسول الله اشفع إليها . فقال رسول الله ﷺ : «يابريرة اتقى الله فإنه زوجك وأبو ولدك . فقالت يا رسول الله تأمرنى بذلك؟ قال لا إنما أنا شافع فكان دموعه تسيل على خده ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : ألا تعجب من حب مغيث بريرة وبغضها إياه» . د : ٢ ، ٢٧٠ ، ٢٢٣١) .

أول حديث فى الباب : نا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا حماد بن خالد الخياط ، ثنا معاوية بن صالح ، عن يونس بن سيف ، عن الحارث بن زياد ، عن أبى رهم ، عن العرباض بن سارية قال : دعانى رسول الله ﷺ إلى السحور فى رمضان فقال هلم إلى الغداء المبارك . د : ٢ ، ٣٠٣ ، ٢٣٤٤) .

الخامس عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته . أوله : وقت السحور . آخره : باب فى ركوب البحر فى الغزو نا عبد السلام بن عتيق ، نا أبو مسهر ، نا إسماعيل بن عبد الله يعنى ابن سماعة ، أنا الأوزاعى ، حدثنى سليمان بن حبيب ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل : رجل خرج غازيا فى سبيل الله . الحديث» .

السادس عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الجمعة ثامن عشر رجب من سنته . أوله : باب في فضل من قتل كافرا. آخره: باب في التولي يوم الزحف.

(في هذا الجزء من كتاب الجهاد ٨٤ بابا. والحديث الأول في الجزء: ثنا محمد بن الصباح البزاز، ثنا إسماعيل يعني ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: لا يجتمع في النار كافر وقاتله أبدا. د: ٣، ٧،٢٤٩٥).

آخره: ثنا محمد بن هشام المصري، ثنا بشر بن المفضل، ثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد. قال نزلت في يوم بدر: «ومن يولهم يومئذ دبره». د: ٣، ٤٦، ٢٦٤٨).

السابع عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الخميس ثاني شعبان من سنته . أوله : باب في الأسير يكره على الكفر. آخره: باب في صلح العدو. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو. فقال النبي ﷺ: لقد رأى هذا ذعرا. فقال: قد قتل والله صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير، فقال: قد أوفى الله ذمتك، فقد رددتني إليهم، ثم نجاني الله منهم. فقال النبي ﷺ: «ويل امه مسعر حرب، لو كان له أحد»: فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر. وينفلت أبو جندل فلحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة».

(يشتمل هذا الجزء على ٥٧ بابا من كتاب الجهاد. وأول حديث الباب الذي هو مبدأ الجزء حديث خباب يرويه أبو داود من طريق عمرو بن عون، وهو قول خباب: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا ألا تستنصر لنا إلا تدعو الله لنا. فجلس محمرا وجهه فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه. الله ليتمن الله هذا الأمر حتى يصير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون. د: ٣، ٤٧، ٢٦٤٩. راجع د: ٣، ٨٥، ٢٧٦٥).

الثامن عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته . أوله: نا محمد بن العلاء، نا ابن إدريس قال، سمعت ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين. . الحديث» آخره: باب فيمن أسلم على ميراث.

هذا أول الحديث الثاني من باب في صلح العدو به يبدأ الجزء الثامن عشر في تجزئة الخطيب التي منها نسخة ابن طبرزد. والحديث الذي يليه من الباب من تمام الجزء السابع عشر في غير تجزئة الخطيب التي تكون بداية الجزء الثامن عشر فيها«باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم» وبقية الحديث المذكور في المتن: يأمن فيهن الناس وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال. ٣، ٨٦، ٢٧٦٦.

بالأصل باب من أسلم. وهو حديث واحد: ثنا الحجاج ابن أبي يعقوب، ثنا موسى بن داود، ثنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ: «كل قسم قسم في الجاهلية فهو على ما قسم، وكل قسم أدركه الإسلام فهو على قسم الإسلام». د: ٣، ١٢٦، ٢٩١٤).

التاسع عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الخميس ثاني شعبان من سنته . أوله: باب في الولاء. نا قتيبة بن سعيد قال قرىء على مالك وأنا حاضر، قال مالك عرض عليَّ نافع، عن ابن عمر: «أن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، أرادت أن تشترى جارية تعتقها، فقال أهلها: نبيعكها على أن ولاءها لنا. فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ فقال: لا يمنعك ذلك، فإن الولاء لمن أعتق» آخره: باب في أخذ الجزية من المجوس.

العشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء في شهر رجب من سنته . أوله : باب التشديد في جباية الجزية آخره. باب الرجل يجمع موتاه في مقبرة، والقبر يعلم.

(حديث الباب حديث المطلب من طرق عديدة قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن أمر النبي ﷺ رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه قال كثير قال المطلب قال الذي يخبرني عن رسول الله ﷺ كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال «أتعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» (١٢٠٣٠، ٣٢٠٦٠).

الحادي والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان.

بهذا الجزء ٥٠ بابا وأول الباب الأول منه: ثنا القعنبي، ثنا عبد العزيز بن محمد، عن سعد يعني ابن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ وسلم قال: «كسر عظم الميت ككسره حيا». د: ٣، ٢١٢، ٣٢٠٧).

آخره: باب في المزارعة.

(آخر الجزء آخر حديث في باب المزارعة: نا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن. عن حنظلة بن قيس أنه سأل رافع بن خديج عن كراء الأرض فقال: نهى رسول الله ﷺ عن كراء الأرض فقال أبالذهب والورق؟ فقال أما بالذهب والورق فلا بأس به». د: ٣، ٢٥٣، ٣٣٩٣).

الثاني والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: باب التشديد في ذلك. نا عبد الملك بن شعيب بن الليث، حدثني أبي، عن جدي الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر: أن ابن عمر كان يكرى أرضه حتى بلغه أن رافع بن خديج الأنصاري كان ينهى عن كراء الأرض فلقيه عبد الله فقال يا ابن خديج ماذا تحدث عن رسول الله ﷺ في كراء الأرض قال رافع لعبد الله بن عمر: سمعت عميَّ وكانا قد شهدا بدرا يحدثان أهل الدار أن رسول الله ﷺ نهى عن كراء الأرض. قال عبد الله: والله لقد كنت أعلم في عهد رسول الله ﷺ أن الأرض تكرى ثم خشي عبد الله أن يكون رسول الله ﷺ أحدث في ذلك شيئا لم يكن علمه فترك كراء الأرض. د: ٣، ٢٥٣، ٣٣٩٤.

آخره: باب الحكم بين أهل الذمة:

(في الباب حديثان ثانيهما حديث ابن عباس من طريق عبد الله بن محمد النفيلي قال لم نزلت هذه الآية: ﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ ... ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ [المائدة/ ٤٢] قال كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺبينهم د. ٣، ٣٠٣، ٩٥٩١).

الثالث والعشرون سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب من سنته. أوله: باب اجتهاد الرأي في القضاء.

(وحديثه الأول عن أناس من أهل حمص من طريق حفص بن عمر أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال كيف تقضي إذا عرض لك قضاء قال أقضي بكتاب الله. قال فإن لم تجد في كتاب الله. قال فبسنة رسول الله ﷺ، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله، قال أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ». د. ٣، ٣٠٣، ٣٥٩٢).

آخره: باب نسخ الضيف يأكل من مال غيره.

وحديثه لابن عباس من طريق أحمد بن محمد المروزي قال «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم» فكان الرجل يحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية. فنسخ ذلك الآية التي في النور. قال ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله أشتاتا» كان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى الطعام قال إني لأجنح أن آكل منه ولتجنح الحرج ويقول المسكين أحق به مني فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وحل طعام أهل الكتاب د. ٣، ٣٤١، ٣٧٥٣).

الرابع والعشرين سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: باب في طعام المتباريين. آخره: كتاب الطب (٦٣٣).

الخامس والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: كتاب العتاق. آخره: باب في قدر موضع الإزار.

السادس والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الخميس مستهل شعبان من سنته. أوله: باب في لباس النساء. آخره: كتاب الفتن، ذكر الفتن ودلائلها.

السابع والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته. أوله: باب النهي عن السعي في الفتنة. آخرة: باب ما لا قطع فيه.

الثامن والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته. أوله: باب القطع في الخلسة والخيانة (٦٤٠). آخره: باب من سقى رجلا سما أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ (٦٤١).

التاسع والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في سنة خمس وثلاثين. أوله: باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه؟ (٦٤٢). آخره: باب في القدر. نا مسدد أن يزيد بن زريع ويحيى بن سعيد حدثاهم قالا. نا عوف، نا قسامة بن زهير... الحديث.

الثلاثون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في سنة خمس وثلاثين. أوله: نا مسدد بن مسرهد، نا المعتمر، سمعت منصور بن المعتمر يحدث عن سعد بن عبيدة، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي عليه السلام قال: «كنا في جنازة...» الحديث. آخره: باب في كفارة المجلس.

الحادي والثلاثون سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب في سنته. أوله: باب في رفع الحديث. آخره: باب مايقال عند النوم.

الثاني والثلاثون سمعه ابن طبرزد من الكرخي في رجب في سنته بقراءة أخيه أبي البقاء محمد. أوله: باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل. نا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، نا الوليد قال، قال الأوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت قال: «قال رسول الله ﷺ: / من تعار من الليل فقال... الحديث. وآخره: آخر الكتاب.

وذلك بحق سماع الكرخي والدومي من الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب رحمه الله، بسماعه من القاضي أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، بسماعه من أبي علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي البصري، بسماعه من أبي داود السجستاني رحمة الله عليهم أجمعين.

وقد تنافس الناس في سماع هذا الكتاب من شيخنا أبي الفضل. وممن سمعه عليه. تقي الدين بن دقيق العبد وجمال الدين بن الظاهري، وكفى بهذين شرفا. وقد أسر الشيخ أبو الفضل إليَّ عندما لقيته أقبل على أذني وقال: قد سمع الكتاب مني ابن دقيق العيد! كالمفتخر بذلك.

قرأت على الشيخ الفقيه المسند شهاب الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى خطيب المزة، في يوم الإثنين التاسع والعشرين لرجب وهو كان خاتمة الشهر عام أربعة وثمانين وستمائة بالقاهرة، جميع مشيخته التي انتقى له صاحبنا الفقيه المحدث المقيد سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي.

منها: وأخبركم الشيخ أبو حفص بن طبرزد البغدادي، قراءة عليه وأنت حاضر، سنة ثلاث وستمائة فأنعم، نا أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر الكرخي السني بقراءة أخي عليه وأنا أسمع، أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت الخطيب قراءة عليه وأنا أسمع، أنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، نا محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، نا أبو داود سليمان بن الأشعث، نا أحمد بن حنبل، ح؛ قلتم وأنا بعلو أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي - من رصافة بغداد - قراءة وأنا حاضر، نا الرئيس أبو القسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد - الكاتب أنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميمي، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، نا أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثني أبي رحمه الله، نا عبد الرزاق، أنا ابن جريج قال، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول:

«سمعت النبي ﷺ ينهى - وقال أبو داود. نهى - أن يقعد على القبر وأن يجصص أو يبنى عليه». وقال أبو داود: ويبنى عليه.

وقرأت عليه أيضا قلت له: أخبركم الشيخ المسند

أبو حفص عمر بن محمد بن معمر طبرزد البغدادى المؤدب ـ قدم عليكم ـ قراءة عليه وأنت حاضر فى سنة ثلاث وستمائة قيل له، أخبرك أبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمد الدومى قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به وذلك فى رجب من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى الخطيب البغدادى قراءة عليه وأنا أسمع فى رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة، أنا القاضى أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب الهاشمى البصرى بها، أنا أبو على محمد ابن أحمد بن عمرو اللؤلؤى، نا أبو داود رحمه الله، نا محمد ابن العلاء، نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم، عن أم الدرداء [عن أبى الدرداء] قال، قال رسول الله، ﷺ:

«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة».

وقرأت عليه: أخبركم أبو حفص عمر بن محمد بن معمر ابن طبرزد الدارقزى ـ قدم عليكم ـ قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به قال، أنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ابن الحصين الشيبانى قال، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز، نا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا معاذ بن المثنى العنبرى، نا سعيد بن منصور نا إسماعيل بن زكرياء، عن حجاج بن دينار، عن الحكم، عن حجية بن عدى، عن على:

«أن العباس سأل النبى ﷺ عن تعجيل صدقته قبل محلها فرخص له».

وبه إلى أبى طالب بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا جعفر بن محمد بن الحسن القاضى، نا قتيبة بن سعيد، نا الليث بن سعد، عن يزيد بن الهاد، عن الزهرى، عن على بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر».

وقرأت عليه أيضا بسنده هذا إلى أبى طالب الغيلانى قال، نا أبو بكر الشافعى، نا محمد بن سليمان الواسطى قال، سألت محمد بن عبد الله الأنصارى فقال حدثنى حميد، عن أنس بن مالك قال:

«كان لى أخ يقال له أبو عمير، وكان له عصفور يلعب به، فمات العصفور. وكان النبى ﷺ يدخل بيتنا ويقول: يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر؟».

وقرأت عليه أيضا: أخبركم عمر بن أبى بكر الحسانى قال، أنا أبو القاسم هبة الله بن محمد قال، أنا أبو طالب محمد بن محمد البزاز، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى، نا القاضى إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد، نا محمد بن عبد الله الأنصارى، نا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال:

«كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير، كان النبى ﷺ يمازحه إذا دخل على أم سليم فدخل يوما فوجده حزينا. فقال: ما لأبى عمير حزينا؟ قالوا: يا رسول الله، مات نُغَيْره الذى كان يلعب به. فجعل يقول: أبا عمير، ما فعل النغير؟».

وقرأت عليه أيضا بسنده هذا إلى أبى طالب بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا محمد يعنى ابن مسلمة الواسطى، نا يزيد هو ابن هارون، أنا الحجاج، عن أبى إسحاق وثابت بن عبيد، عن البراء بن عازب:

«أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية».

وقرأت عليه: أخبركم الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ـ قدم عليكم ـ قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به، أنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز قراءة عليه وأنا أسمع فى شهر رجب سنة ست وثلاثين وأربعمائة، نا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا محمد بن مسلمة الواسطى، نا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب، عن النبى، ﷺ قال:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ناداهم مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله عز وجل موعدا لم تروه. قالوا: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب عز وجل، فينظرون إليه. فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه. ثم تلا [رسول الله ﷺ]: هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦].

قلت: أخرجه أحمد بن حنبل فى المسند، وقرأته على ابن خطيب المزة من طريق حنبل بسنده إلى أحمد بن حنبل، فانظره.

أنا ابن خطيب المزة قراءة منى عليه قلت له، أخبركم الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن معمر ابن طبرزد البغدادى ـ قدم عليكم قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به، أنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا أبو الحسن على بن الحسن ابن عبدويه الخزاز فى المحرم سنة سبع وسبعين ومائتين، نا عبد الله بن بكر السهمى، نا حميد، عن أنس قال:

«كان رسول الله ﷺ فى طريق ومعه أناس من أصحابه، فعرضت له امرأة فقالت: يارسول الله، لى إليك حاجة. قال: يا أم فلان اجلسى فى أى نواحى السكك حتى أجلس إليك. ففعلت، فجلس إليها حتى قضت حاجتها».

وقرأت عليه: أخبركم أبو حفص عمر بن محمد بن معمر ابن طبرزد الدارقزى قراءة عليه وأنت حاضر، أنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان، أنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا محمد يعنى ابن مسلمة، نا يزيد وهو ابن هارون، أنا المسعودى قال، حدثنى حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال:

«لقد دعوت لرسول الله ﷺ على وليمة ليس فيها خبز ولا لحم. قال: فقلت: يا أبا حمزة! ماذا أكلوا؟ قال: أتى بأنطاع فبسطت، ثم أتى بتمر وسمن فأكلوا. أو ليس التمر من رسول الله ﷺ كثيرا».

وبالإسناد إلى ابن غيلان البزاز مما قرأته على ابن خطيب المزة، نا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا موسى بن سهل، نا إسماعيل ابن عُلَية، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال:

«نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن مخافة أن يناله العدو».

وبه إلى الغيلانى، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا محمد وهو ابن مسلمة الواسطى، نا يزيد، أنا شريك، عن أبى إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال:

«قال رسول الله ﷺ: الحيات ما سالمناهن منذ حاربناهن. فمن ترك منهن شيئا من خيفتهن فليس منا».

وقرأت عليه أيضا: قلتم أنا أبو على حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافى ـ من رصافة بغداد ـ قراءة عليه وأنا حاضر، نا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الكاتب، أنا أبو على الحسن بن على بن المذهب التميمى، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعى، نا أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثنى أبى رحمه الله، نا عبد الرزاق، أنا ابن جريج قال، أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول:

«سمعت النبى ﷺ ينهى أن يقعد على القبر وأن يجصص أو يبنى عليه».

وقرأت عليه أيضا قلت له: أخبركم أبو على حنبل بن عبد الله بن الفرج البغدادى قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به بالإسناد المتقدم إلى أبى عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى قال، حدثنى أبى رحمه الله، نا سفيان قال، حدثنى عبد الله بن دينار، سمع ابن عمر يقول:

«نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء وعن هبته».

وقرأت عليه بالإسناد قال، نا أبو عبد الرحمن عبد الله ابن إمام الدينا أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثنى أبى رضى الله عنه، نا أبو أحمد الزبيرى، نا على بن صالح، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن على رضى الله عنه قال:

«قال لي النبي ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك، مع أنك مغفور لك. لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين».

وبه إلى الإمام أحمد، نا روح، نا أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب قال:

«علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العلمين».

وقرأت عليه قال: أنا أبو علي حنبل بن عبد الله المكبر قال، أنا أمين الحضرة أبو القاسم هبة الله بن محمد الشيباني قال، أنا أبو علي بن المذهب الواعظ، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر الدقيقي، نا عبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثني أبي رضي الله عنه، نا أبو سعيد وهو مولى بني هاشم نا إسرائيل، نا أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن علي قال:

«قال رسول الله ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك، على أنه مغفور لك: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين».

وبه إلى عبد الله ابن الإمام أحمد قال، حدثني أبي رحمه الله، نا سفيان، عن ابن المنكدر، سمع جابرا يقول:

«ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق. فانتدب الزبير، ثم ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندب الناس فانتدب الزبير فقال رسول الله ﷺ: لكل نبي حواري وحواريي الزبير».

وقرأت عليه أيضا: أنا الشيخ المسند ملحق الصغار والكبار والأحفاد بالأجداد أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد ابن معمر بن يحيى ابن طبرزد الدارقزي البغدادي المؤدب الحساني السلامي قراءة عليه وأنا حاضر في شعبان من سنة ثلاث وستمائة ـ قدم علينا ـ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري البزاز قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، أنا الشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن علي ابن محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون قراءة عليه ونحن نسمع، أنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، نا القاضي الحسين بن إسماعيل، نا سعيد بن يحيى الأموي، نا أبي، نا أبو بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال:

«سألنا رسول الله ﷺ: أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده».

هذا ما تيسر لي تعليقه من الأجزاء المخرجة له من حديثه.

وجميع الأجزاء المعروفة بالغيلانيات وهي أحد عشر مسموعة لشيخنا أبي الفضل عبد الرحيم بن أبي الحجاج يوسف بن أبي زكرياء يحيى خطيب المزة الشافعي ويعرف بابن خطيب المزة. وقد سمعت أنا جميعها على بعض أصحابنا بسماعه لها عليه، وعارضت نسختي بنسخة سماعه. وهي لي من الشيخ أبي الفضل إجازة، إلا ما قرأته عليه مما تضمنته الأجزاء المخرجة له. وهذه الأجزاء الغيلانيات هي من عوالي البغداديين.

ومما قرأته بخط خليل بن بدران الحلبي ما نصه:

شاهدت ما مثاله شاهدت على فوائد أبي بكر الشافعي رواية أبي طالب بن غيلان عنه. وهي أحد عشر جزءا، سمعها على أبي حفص بن عمر بن طبرزد، عن ابن الحصين ـ بقراءة محمد عبد الغني ـ ولده أحمد، وعبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمرو على ابن الشمس أحمد بن عبد الواحد، وعمه محمد بن عبد الواحد، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف وآخرون، في يوم الأثنين مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة، بجبل قاسيون، بالجامع المظفري.

نقله ابن البغدادي من خط شيخنا محمد بن عبد الواحد الحافظ، ونقله من خط ابن البغدادي، على صورته، أحمد ابن محمود بن عمر الشيباني. واختصر من خطه أحمد بن محمد الظاهري عفا الله عنه، ومن خطه نقله على نصه العبد خليل بن بدران الحلبي حامدا ومصليا ومسلما.

وسمع أيضا على أبي حفص ابن طبرزد في الخامسة من عمره، في سادس وعشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع من القطيعيات.

قال، أنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد البناء، قال، أنا الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري

بقراءة والدى فى ليلة الأحد الثامن والعشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة قال: أنا أبو بكر أحمد بن جعفر ابن حمدان بن مالك القطيعى.

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣/ ٥٨-٦٠، ١٥٩-١٩٠، وقد وضعنا تعليقات سماحة المحقق بين أقواس في ثنايا النص).

*** ابن خطيب الناصرية (٧٧٤-٨٤٣هـ/ ١٣٧٢-١٤٤٠م):**

ترجم له الشمس السخاوى فقال عنه:

على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن عثمان بن إسماعيل بن إبرهيم بن يوسف بن يعقوب بن على بن هبة الله ابن ناجية العلاء أبو الحسن بن خطيب الناصرية الشمس الطائى الجبرينى - نسبة لبيت جبرين الفستق ظاهر حلب من شرقيها - ثم الحلبى الشافعى سبط العالم المدرس الزين على ابن العلامة قاضى قضاة حلب الفخر أبى عمرو عثمان بن على بن عثمان الطائى بن الخطيب بل والزين هذا ابن عم جده لأبيه ويعرف العلاء بابن خطيب الناصرية. ولد فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة بحلب ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا منها المنهاج الفرعى والأربعين المخرجة من مسند الشافعى الملقبة بسلاسل الذهب من رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وألفية الحديث للعراقى وألفية النحو لابن معطى، وانتفع فى حفظها بوالده وفى القراءات بالفقيه الشمس محمد بن على بن أحمد بن أبى البركات الغزى ثم الحلبى فإنه قرأ عليه وهو صغير جدا بعض القرآن ثم أكمله على غيره؛ وعرض الأولين فى سنة تسع وثمانين على جماعة منهم الجمال عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد النحريرى المالكى والمنهاج وحده فيها أيضا على الشمس أبى عبد الله محمد بن نجم بن محمد بن النجار الحلبى الحنفى وكتب له خطه بذلك. وفى سنة ست وتسعين على السراج البلقينى بحلب والألفيتين على جماعة منهم الشمس محمد بن مبارك بن عثمان البسقاقى الحلبى الحنفى وأجاز له بل استجاز له أبوه من شيوخ القاهرة حين دخلها فى سنة ثلاث وثمانمائة الزين العراقى وكتب خطه بذلك، واستصحب معه ولده قبل ذلك سنة خمس وثمانين إلى بيت المقدس فزار الشيخ عبد الله بن خليل البسطامى وأضافهما ودعا لهما وجود العلاء القرآن على أحمد الحموى المقرى وبعضه على محمد اليمنى المقرى نزيل حلب وأحمد بن محمد بن أحمد بن الشويش الجبرينى الحلبى أحد من برع فى القراءات، وفى حل الشاطبية.

ومن شيوخه فى العلم التاج باح بن محمود الأصفهيدى العجمى قرأ عليه فى الفقه والنحو وكثر اجتماعه به وقرأ فيهما أيضا على الشمس محمدسلمان بن عبد الله الحموى بن الخراط وكذا سمع دروسه فيهما أيضا وفى الأول ولازمه مدة وقرأ فى الفقه وغيره كالعربية على الجمال يوسف بن خطيب المنصورية بحلب وبحماة وطرابلس وحضر دروسه فى التفسير وهو أول من أذن له فى الإفتاء وكتب له خطه بذلك وهو ممن أخذ العربية عن السرى المالكى وحضر دروس السراج البلقينى فى سنة ثلاث وتسعين ثم فى سنة ست وتسعين حين قدم عليهم حلب فيهما وقرأ غالب المنهاج بحثا على الزين أبى حفص عمر بن محمود بن محمد الكركى. ويقال إن البرهان الحلبى كان يلومه فى أخذه عنه ويقول له إنك أفضل منه، وأخذ فى الفقه أيضا مدة عن الشمس أبى عبد الله محمد بن على بن يعقوب النابلسى نزيل حلب ويسيرا عن الشرف الداديخى وكان يحاققه فى أشياء يكون الظفر فيها بالمنقول مع صاحب الترجمة وقرأ طرفا من النحو أيضا على الشمس أبى عبد الله محمد بن أحمد بن على بن سليمان المعرى الجلبى الشافعى المعروف بابن الركن والعز أبى البقاء محمد بن خليل الحاضرى الحنفى بل وسمع عليه أيضا الحديث وكان رفيقه فى القضاء بحلب سنين وطرفا من الفرائض على الشمس محمد بن إسماعيل بن الحسن بن خميس البابى والسراج عبد اللطيف ابن أحمد الفوى بحلب بل قرأ عليه تخميسه للبردة وكتب عنه من نظمه أشياء وقطعة من مختصر ابن الحاجب الأصلى وجانبا من الفقه على العلاء أبى الحسن على بن محمد بن يحيى التميمى الصرخدى نزيل حلب وانتفع به كثيرا وكذا بالشمس البابى الكبير وطرفا من المعانى والبيان على المحب أبى الوليد بن الشحنة وحضر عنده كثيرا وكتب عنه من نظمه ونثره، ومن شيوخه أيضا القاضى الشرف أبو البركات موسى الأنصارى الحلبى قاضيها الشافعى وأخذ الحديث عن الولى العراقى

والبرهان الحلبى ولازمه كثيرا وبه تخرج وعليه انتفع وكذا أخذ قديما وحديثا عن شيخنا(يعنى الحافظ ابن حجر) وأحضر فى الخامسة على البدر بن حبيب وسمع على الشهاب بن المرحل والشرف أبى بكر الحرانى وابن صديق والعز أبى جعفر الحسينى وأبى الحسن على بن إبراهيم بن يعقوب بن صقر والشهاب أبى جعفر أحمد وأم الحسن فاطمة وابنتى الشهاب الحسينى الإسحاقى وجماعة من أهلها والقادمين عليها فكان من القادمين الغياث محمد بن محمد بن عبد الله العاقولى بل سمع من لفظه حديث الأعمال بالنيات والكلام على فوائده وأحكامه وأنشده شيئا من شعره وأجاز له وذلك فى سنة ست وتسعين. والبدر بن أبى البقاء السبكى اجتمع به وصحبه وقرأ على الجمال يوسف بن موسى الملطى السيرة النبوية والدر المنظوم من كلام المصطفى المعصوم كلاهما لمغلطاى بقراءته لهما على مؤلفهما وارتحل إلى القاهرة وقرأ بدمشق فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة المسلسل على الجمال بن الشرائحى وسمع منه ومن عائشة ابنة عبد الهادى وطيبغا الشريفى وأحمد بن عبد الله بن الفخر البعلى وحضر دروس جماعة فيها كالجمال الطيمانى، قال ابن قاضى شهبة حضر عنده وأنا أقرأ عليه فى الحاوى فكان يستحضر كثيرا، وبالقاهرة من القطب عبد الكريم حفيد الحافظ القطب الحلبى والتقى الدجوى والشريف النسابة الكثير فى آخرين كشيخنا عَلَّق عنه كثيرا من كتابه تعليق التعليق ثم سمع منه بعد ذلك أشياء وكالشرف بن الكويك والجلال البلقينى سمع عليه البعض من سنن النسائى الصغرى بل قرأ عليه بحلب البعض من مبهماته وأخذ بها عن النور بن سيف الأبيارى اللغوى قرأ عليه جزءا من تصنيف شيخه العنابى اسمه الوافر فى فعل المتعدى والقاصر بقراءته له على مؤلفه وذكر العلاء لشيخه حين قراءته عليه أن مؤلفه فاته الكثير من الأفعال التى تستعمل لازمة ومتعدية فاستحسن الشيخ ذلك وبالغ فى تعظيمه ووصفه بخطه بالعلَّامة وحلف أنه لم يكتبها لأحد قبله، وكذا اجتمع فى القاهرة بالشمس بن الديرى وكتب عنه فى آخرين منهم الأديب الشمس أبو الفضل محمد بن على بن أبى بكر المصرى كتب عنه فى ربيع الأول سنة تسع شيئا من نظمه وكذا سمع دروس البيجورى والولى العراقى وسافر من القاهرة فى هذا الشهر وكتب فيه بقاقون عن ناصر الدين بن البارزى القاضى شيئا من نظمه أيضا وببعلبك عن التاج بن بردس وغيره وبطرابلس عن الشرف مسعود بن شعبان الطائى الحلبى الشافعى كتب عنه شيئا من شعر غيره وكذا كتب فيها فى رجب سنة أربع وثمانمائة عن البدر محمد بن موسى بن محمد بن الشهاب محمود شيئا من نظمه وكتب لكاتب سرها الجمال عبد الكافى بن محمد بن أحمد بن فضل الله يستجيزه:

أسيدنا شيخ العلوم ومن غدت
فواضله أندى من الغيث والبحر
أجب وأجز عبدا ببابك لم يزل
بأمداحكم رطب اللسان مدى الدهر

فأجابه بقوله:

أيا سيدا مازال فى الفضل واحدا
جبرت كسيرا بالسؤال بلا نكر
نعم إذ بدأت العبد أن مقدما
وفضلك أضحى بالتقدم لى جبرى

ثم لقيه بطرابلس وسمع منه من نظمه شفاها وتكرر قدومه بعد ذلك القاهرة وآخر قدماته فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين فإنه كان صرف فأعيد وتوجه منها فى حادى عشر شعبان منها فدخل بلده فى أوائل شوال موعوكا ولم يلبث أن مات، وقبل ذلك دخلها فى شوال سنة أربع وعشرين بعد أن زار بيت المقدس وحينئذ ولى قضاء طرابلس كما سيأتى وقبل ذلك فى سنة ست عشرة وولى فيها قضاء حلب كما سيأتى، وحج ثلاث مرات أولها فى سنة ست عشرة واجتمع بالجمال ابن ظهيرة وسمع خطبته لكنه لم يسمع عليه ولا على غيره هناك شيئا للاشتغال بالمناسك وثانيهما فى سنة ست وعشرين، وكان إماما علامة محققا متقنا بارعا فى الفقه كثير الاستحضار له إماما فى الحديث مشاركا فى الأصول مشاركة جيدة وكذا فى العربية وغيرها مستحضرا للتاريخ لاسيما السيرة النبوية فيكاد يحفظ مؤلف ابن سيد الناس فيها؛ كل ذلك مع الإتقان والثقة وحسن المحاضرة وجودة المذاكرة والرياسة والحشمة والوجاهة والثروة مع صمم يسير، اشتهر ذكره وبعد صيته وصار مرجع الشافعية فى قطره.

وقد كثر اعتناؤه بأخبار بلدة وتراجم أعيانها بحيث جمع لها تاريخا حافلا ذيل به على تاريخ الكمال بن العديم وأكثر

فيه الاستمداد من شيخنا وقد طالعه شيخنا من المسودة فى حلب ثم من نسخة كتبت للكمال بن البارزى وبين بهوامشها عدة استدراكات وكذا طالعته من هذه النسخة أيضا غير مرة ونبهت على مواضع أيضا مهمة وهو نظيف اللسان والقلم فى التراجم لكن فاته مما هو على شرطه خلق وله غيره من التصانيف كالطيبة الرائحة فى تفسير الفاتحة انتزعه من تفسير البغوى بزيادات، وسيرة المؤيد، وشرح حديث أم زرع وهو حافل وكذا كتب على الأنوار للأردبيلى كتابة متقنة جامعة يحاكى فيها شرح المهذب للفوى وأشياء غيرها .

وولى قضاء بلده غير مرة أولها سنة ست عشرة وبعد ذلك سأله الظاهر ططر شفاها بحضرة الولى العراقى قاضى الشافعية إذ ذاك فى ولاية قضاء طرابلس فامتنع فألح عليه وكرره حتى قبل، وسافر من القاهرة إلى جهة طرابلس فوصلهافى يوم عرفة سنة أربع وعشرين وكان فيها فى السنة التى بعدها أيضا وحمدت سيرته فى البلدين وولى الخطابة بالجامع الكبير ببلده مع إمامته ودرس قديما وأفتى واستقر به يشبك المؤيدى نائب حلب فى تدريس مسجده الذى بناه بالقرب من الشادبختية بحلب بعد العشرين فدرس فيه بحضرته وبحضرة الفقهاء وعمل لهم الواقف سماطا مليحا، وحدث ببلده وبالقاهرة وغيرهما أخذ عنه الأئمة وكانت دروسه حافلة بحيث كان شيخه البرهان الحلبى يقول هى دروس اجتهاد لم أسمع شبهها إلا من شيخنا البلقينى وكان شيخنا العلاء القلقشندى يقول ما قدم علينا من الغرباء مثله ولم يزل يدرس ويفتى ويصنف حتى مات ببلده فى يوم الخميس منتصف ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين بعد عوده من القاهرة بيسير، ومن أرخه بشوال فقد سها، ولم يخلف بعده بها فى الشافعية مثله وخلف مالا جما رحمه الله وإيانا . وقد ذكره شيخى فى معجمه وقال سمعت من فوائده وعلق عنى كثيرا من كتابى تعليق التعليق فى سنة ثمان وثمانمائة ولما دخلت حلب مع الأشرف أنزلنى فى منزله وحضر معى عدة مجالس الإملاء وحدثت أنا وهو بجزء حديثى فى قرية جبرين ظاهر حلب وله عناية كبيرة بأخبار بلده وتراجم علمائها كثير المذاكرة والاستحضار للسيرة النبوية ولكثير من الخلافيات انفرد برياسة المملكة الحلبية غير مدافع؛ وذكره فى إنبائه (يقصد كتاب الحافظ ابن حجر «إنباء الغمر) باختصار جدا وأثبت غيره فى شيوخه الذين تفقه عليهم بالقاهرة ابن الملقن وهو غلط فلم يدخل القاهرة إلا بعد موته واجتماعه بالبلقينى إنما كان بحلب، وقال ابن قاضى شهبة : كان يحفظ مواضع كثيرة من العلوم فإذا جلس عنده أحد يذاكره بها فإن نقله إلى غيرها أظهر الصمم وعدم السماع وثقل عليه ذلك قال وقد عرض عليه قضاء الشام فى الدولة الأشرفية والأيام الظاهرية فلم يقبل الا على بلده والإقامة بها ونحوه قوله فيما تقدم أنه كان يستحضر كثيرا؛ وقال المقريزى فى عقوده إنه صار رئيس حلب على الإطلاق قدم القاهرة غير مرة فظهر من فضائله وكثرة استحضاره وتفننه ما عظم به قدره قال ولم يخلف ببلاد الشام بعده مثله رحمه الله .

(الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٣ حـ ٥ / ٣٠٣ ـ ٣٠٧ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٥ / ٨).

*** الخطير:**

الخطير فى اللغة ذو القدر. وقد أطلق هذا اللقب فى الدولة الفاطمية على أبى الحسين عمار بن محمد الذى خدم فى دولة الحاكم ثم الظاهر وتوفى سنة ٤١٢ هـ وقد لقبه ابن الصيرفى «بخطير الملك» . وأطلق «الخطير» على الأمير أبى جعفر محمد بن وندرين باوند فى نص إنشاء بتاريخ شهر ربيع الآخر ٤١١ هـ على برج فى ردكان، وكذلك على الألصفهسلار أبى منصور فى نص إنشاء من ح سنة ٤٧٨ هـ خاص بابنه الحاجب أبى جعفر محمد فى ضريح إمام دور .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٧٥).

*** الخطيرى (ـ ٧٣٧ هـ):**

أيدمر الخطيرى الذى أنشأ المسجد المعروف باسمه .

وكان أيدمر الخطيرى مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى الأمير مسعود بن خطير انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فرقاه حتى صار أحد أمراء الألوف، وكان منور الشيبة كريما، ... وكان لا يلبس قباء مطرزا ولا مصقولا، وكان يخرج الزكاة. مات رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، ودفن بتربته خارج باب النصر.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٥).

*** الخطيرى (مسجد ـ) (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) أثر ٣٤١:**

هو المسجد الذى بناه أيدمر الخطيرى المذكور فى المادة السابقة. وقد أدرج فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة

(ص ٧) تحت عنوان «مئذنه وبقايا مسجد الخطيرى».

قال عنه على باشا مبارك :

هو فى بولاق القاهرة . كان موضعه مغمورا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء، وصار بعد سنة سبعمائة منتزها به زروع ، ثم بنى دارا تشرف على النيل عرفت بدار الفاسقين لكثرة أنواع المحرمات فيها، ثم اشتراها الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى وبنى مكانها هذا الجامع وسماه «جامع التوبة» وتأنق فى عمارته ورخامه فجاء من أجلّ جوامع مصر، وعمل له منبرا من رخام فى غاية الحسن، وجعل به شبابيك تشرف على النيل وخزانة كتب جليلة ورتب به درسا للشافعية ووقف عليه أوقافا، وجملة ما أنفق فيه أربعمائة ألف درهم نقرة، وكمل فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقيمت فيه الجمعة حينئذ، ثم قوى البحر عليه وهدمه، فأعاده ورمى قدام زريبته ألف مركب مملوءة بالحجارة، ثم انهدم بعد موته وأعيدت زريبته .

ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصد للنزهة على النيل، ويرغب فى السكنى بجواره، ثم انحسر ماء النيل عما تجاهه سنة ست وثمانمائة وصار رملة، وتكاثر الرمل تحت شبابيك الجامع وقربت الشبابيك من الأرض، وهو الآن عامر إلا أنه اتضع حال ما يجاوره من السوق والدور انتهى باختصار من المقريزى .

وقد تخرب وبقى مدة، ثم فى عصرنا هذا عمر منه السيد محمد المعروف بالشيخ رمضان البولاقى المجذوب جانبا عظيما وأقام شعائره، كما عمر هناك عدة مساجد وأقام شعائرها، وهو رجل كان فى أول أمره مشتغلا بالعلم فى الأزهر ويعبد الله على مذهب الإمام الشافعى، ثم صار مؤدب أطفال ومع ذلك يفقههم فى دينهم، ثم حصل له عزلة عن الناس فلازم بيته مدة سنوات لا يخرج إلا للجمعة مع القيام بوظائف اليوم من الغسل وخلافه، ثم بعد ذلك لازم مسجد السلطان أبى العلاء مدة إلى أن غلب عليه الحال وصار له خوارق عادات وكرامات وشطح يخرج ظاهره عن الشرع، والناس يعتقدونه ويمتثلون أمره ويبذلون عليه أموالهم بسماح نفس، إلى أن توفى رحمه الله فى اليوم الثامن من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثمائة .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٢٥، ٢٢٦).

* **خف رسول الله ﷺ:**

جاء فى طبقات ابن سعد :

أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا دلهم بن صالح ، حدثنى رجل عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله ﷺ خفين سادجين (فى زهر الخمائل «ساذجين» بالذال المعجمة) فمسح عليهما . أخبرنا محمد ابن ربيعة الكلابى عن دلهم بن صالح ، عن حجير بن عبد الله ، عن ابن بريدة عن أبيه أن النجاشى أهدى إلى رسول الله ، ﷺ خفين أسودين سادجين ، فلبسهما ومسح عليهما (طبقات ابن سعد م ٩ جـ ١ / ١٦٩).

وأورد الحافظ السيوطى فى زهر الخمائل ما يلى :

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (أخرجه أبو داود فى الطهارة برقم ١٥٥ ، وابن ماجه فى الطهارة وفى اللباس ٣٦٢٠).

«أن النجاشى أهدى النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين ... » .

قال الشيخ العراقى فى شرح سنن أبى داود ، كأن المراد بذلك أنه لم يخالط سوادهما لون آخر (جاء فى المعجم الوسيط : الساذج الخالص غير المشوب وغير المنقوش معرب فارسيته «ساذة») .

قال : وهذه اللفظة تستعمل فى العرف لهذا المعنى، ولم أجدها فى كتاب اللغة ، ولا رأيت المصنفين فى غريب الحديث ذكروها (زهر الخمائل / ٧٢) .

(طبقات ابن سعد . كتاب التحرير م ٩ جـ ١ / ١٦٩ ، وزهر الخمائل على الشمائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٧٢ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

* **الخفاء (علم ـ):**

وهو علم يتعرف منه كيفية إخفاء الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : وله دعوات وعزائم إلا أن الغالب على ظنى أن ذلك لا يمكن الا بالولاية بطريق خرق العادة لا بمباشرة أسباب يترتب عليها ذلك عادة وكثيرا ما نسمع هذا لكن لم نر من فعله إلا أن خوارق العادات لاتنكر سيما من أولياء هذه الأمة انتهى . أقول كونه علما من جهة تفرعه على السحر لا من جهة الكرامة

فلا وجه لغلبة ظنه في عدم إمكانه إذ هو بطريق السحر ممكن لا شبهة فيه بل بطريق الدعوة والعزائم أيضا كما يدعيه أهله وعدم الرؤية لا يدل على عدم الوقوع.

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧١٦).

*** الخُفّاش:**

قبل أن يتكلم الشيخ الدميري على الخفاش يسوق معلومات عن الخَفَش وما يشبهه منه أمراض العين، وأحكامها الفقهية من حيث دفع الديه وغير ذلك، فيقول:

الخفاش بضم الخاء وتشديد الفاء واحد الخفافيش التي تطير في الليل وهو غريب الشكل والوصف والخفش صغر العين وضيق البصر. فائدة: الأخفش صغير العين ضعيف البصر وقيل هو عكس الأعشى وقيل هو من يبصر في الغيم دون الصحو. وقال الجوهري: هو نوعان والأعشى من يبصر نهارا لا ليلا والعمش ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات والعور معروف تتمة: في كل عين نصف دية ولو عين أحول وأخفش وأعمش وأعور وأعشى وأجهر ونحوهم لأن المنفعة باقية في أعين هؤلاء ومقدار المنفعة لا ينظر إليه كما لا ينظر إلى قوة البطش والمشي وضعفهما وكذا من بعينه بياض لا ينقص الضوء فإنه يكون كالثآليل في اليد سواء كان على بياض الحدقة أو سوادها وكذا لو كان على الناظر إلا أنه رقيق لا يمنع الإبصار ولا ينقص الضوء هذا ما نص عليه الشافعي رضي الله تعالى عنه وجرى عليه الأئمة ولم يفرقوا بين حصول ذلك بآفة سماوية أو جناية فإن نقص فبقسطه إن أمكن ضبط ذلك النقصان بالصحيحة التي لا بياض بها وإن لم يمكن ضبط النقص الحاصل بالجناية فالواجب فيه الحكومة وفارق الأعمش ونحوه فإن البياض نقص الضوء الخلقي وعين الأعمش لا ينقص ضوؤها عما كان في الأصول وهذا الفرق يفهمك أن العمش لو تولد من آفة أو جناية لا يجب في العين كمال الدية فإن سلم قيد به ذلك الإطلاق السابق. فرع: ليس في عين الأعور السليمة إلا نصف الدية عندنا قال ابن المنذر وروي عن عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما أن فيها الدية وبه قال عبد الملك بن مروان والزهري وقتادة ومالك والليث والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه انتهى قال البطليوسي الخفاش له أربعة أسماء خفاش وخشاف وخطاف ووطواط وتسميته خفاشا يحتمل أن تكون مأخوذة من الخفش والأخفش في اللغة نوعان ضعيف البصر خلقة، والثاني لعلة حدثت وهو الذي يبصر بالليل دون النهار وفي يوم الغيم دون يوم الصحو انتهى وذكر الجاحظ أن اسم الخفاش يقع على سائر طير الليل فكأنه راعى العموم وكون الوطواط هو الخفاش هو الذي ذكره ابن قتيبة وأبو حاتم في كتاب الطير الكبير وما ذكره البطليوسي من أن الخفاش هو الخطاف فيه نظر والحق أنهما صنفان وهو الوطواط وقال قوم الخفاش الصغير والوطواط الكبير وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار غير قوي البصر قليل شعاع العين كما قال الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى
نورا ويعمي أعين الخفاش

ولما كان لايبصر نهارا التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفاش يخرج طالبا للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم والخفاش ليس هو من الطير في شيء فإنه دون أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر ويضحك كما يضحك الإنسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولا ريش له قال بعض المفسرين لما كان الخفاش هو الذي خلقه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بإذن الله تعالى كان مباينا لصنعة الخالق ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله ومالا يأكل اللحم قتله فلذلك لا يطير إلا ليلا وقيل لم يخلق عيسى غيره لانه أكمل الطير خلقا وهو أبلغ في القدرة لأن له: ثدياو آذانا وأسنانا ويحيض كما تحيض المرأة قال وهب بن منبه كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم أن الكمال لله تعالى وقيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه من أعجب الطير خلقة إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلب يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه وهو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال إنه أطول عمرا من النسر ومن حمار الوحش وتلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة ... وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرد والإنسان ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه وإشفاقه عليه وربما أرضعت

الانثى ولدها وهى طائرة وفى طبعه انه متى أصابه ورق الدلب خدر ولم يطر ويوصف بالحمق ومن ذلك أنه إذا قيل له اطرق كرى ألصق بالأرض (الحكم): حرم أكله لما رواه أبو الحويرث مرسلا أن النبى ﷺ نهى عن قتله وقيل إنه لما خرب بيت المقدس قال رب سلطنى على البحر حتى أغرقهم وسئل عنه الإمام أحمد فقال ومن يأكله؟! وقال النخعى كل الطير حلال إلا الخفاش قال الرويانى وقد حكينا فى الحج خلاف هذا فيحتمل قولين وعبارة الشرح والروضة يحرم الخفاش قطعا وقد يجرى فيه الخلاف مع أنهما قد جزما فى كتاب الحج بوجوب الجزاء فيه إذا قتله المحرم وأن الواجب فيه القيمة مع تصريحهما بأن ما لا يؤكل لا يفدى على أن الرافعى مسبوق بذلك فأول من ذكره صاحب التقريب وأشعر كلامه بأن الشافعى رضى الله تعالى عنه ذكره وذكر المحاملى أن اليربوع لا يحل أكله ويجب فيه الجزاء فى أصح القولين وهو غريب ولم يزل الناس يستشكلون ما وقع فى الرافعى من ذلك وليس بمشكل فهو يتبين بمراجعة كلام الرويانى .

فرع: قال فى الأم الوطواط فوق العصفور ودون الهدهد وفيه إن كان مأكولا قيمته وذكر عن عطاء أنه قال فيه ثلاثة دراهم انتهى فاتضح أن المسألة منصوصة للشافعى رضى الله تعالى عنه وأنه علق وجوب الجزاء على القول بحل أكله ثم تتبعت كلام عطاء المذكور فوجدت الأزهرى قد نقل عنه أنه يجب فيه إذا قتله المحرم ثلثا درهم قال أبو عبيد قال الأصمعى الوطواط هو الخفاش وقال أبو عبيدة الأشبه عندى أنه الخطاف قلت وأيا كان فهو غير مأكول .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٦٨ - ٢٧٠). انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٧٤، ٢٧٥، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٢).

*** ابن الخفاف(-٤١٨ هـ-١٠٢٧م):**

أدرجه كوركيس عواد من بين أصحاب خزائن الكتب القديمة فى العراق وقال عنه :

واسم هذا الرجل محمد بن الحسن بن إبراهيم بن محمد، أبو بكر الوراق المعروف بابن الخفاف، المتوفى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧م) وكان من رجال الحديث ببغداد. وقد طعن به الخطيب البغدادى بقوله: «وكان غير ثقة، لا أشك أنه كان يركب الأحاديث ويضعها على من يرويها، ويختلق أسماء وأنسابا عجيبة لقوم حدث عنهم، وعندى عنه من تلك الأباطيل أشياء. وكنت عرضت بعضها على هبة الله بن الحسن الطبرى فخرق كتابى بها، وجعل يعجب منى كيف أسمع منه»(تاريخ بغداد للخطيب ٢/ ٢٥٠).

وقد نبه الخطيب إلى خزانة الكتب التى كان يحرزها هذا المحدث المخلط، بقوله: «وقال لى ابن الخفاف: احترق مرة سوق باب الطاق، فاحترق من كتبى ألف وثمانون منًّا كلها سماعى». (باب الطاق: محلة كبيرة كانت بالجانب الشرقى من بغداد تعرف بطاق أسماء).

ولم يتعين عندنا ما أراده بهذا القدر من أمنان الكتب.

(خزائن الكتب القديمة فى العراق - كوركيس عواد / ٢٣٢).

*** خُفاف بن إيماء بن رَحَضة:**

خفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغفارى :

يقال إن لأبيه وجده صحبة أيضا، وكان من سادات خزاعة. ولما سمع أبو سفيان بإسلامه قال: لقد صبا اليوم سيد بنى كنانة. وكان ممن شهد بدرا وبيعة الرضوان. انفرد ملسم بالرواية عنه فخرج عنه حديثا واحدا فى الصلاة، ولم يرو من أهل السنن والمسندات أحد غير مسلم، عنه ابن الحارث، وحنظلة بن على بن الأسقع. توفى زمن عمر رضى الله عنه.

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى - أشرف على ضبطه وتصحيحه عمر الديراوى أبو حجلة / ٦٧).

*** خُفاف بن نُدبة:**

خُفاف بن نُدبة رضى الله عنه.

هو منسوب إلى أمه، وكانت سوداء. و «خُفاف» أحد أغربة العرب، لسواده. وأبوه: عمير بن الحارث بن الشريد السلمى، وكان شاعرا.

وشهد مع النبى - ﷺ - فتح مكة، ومعه لواء «بنى سليم»، وبقى إلى زمان «عمر».

(المعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٢٥).

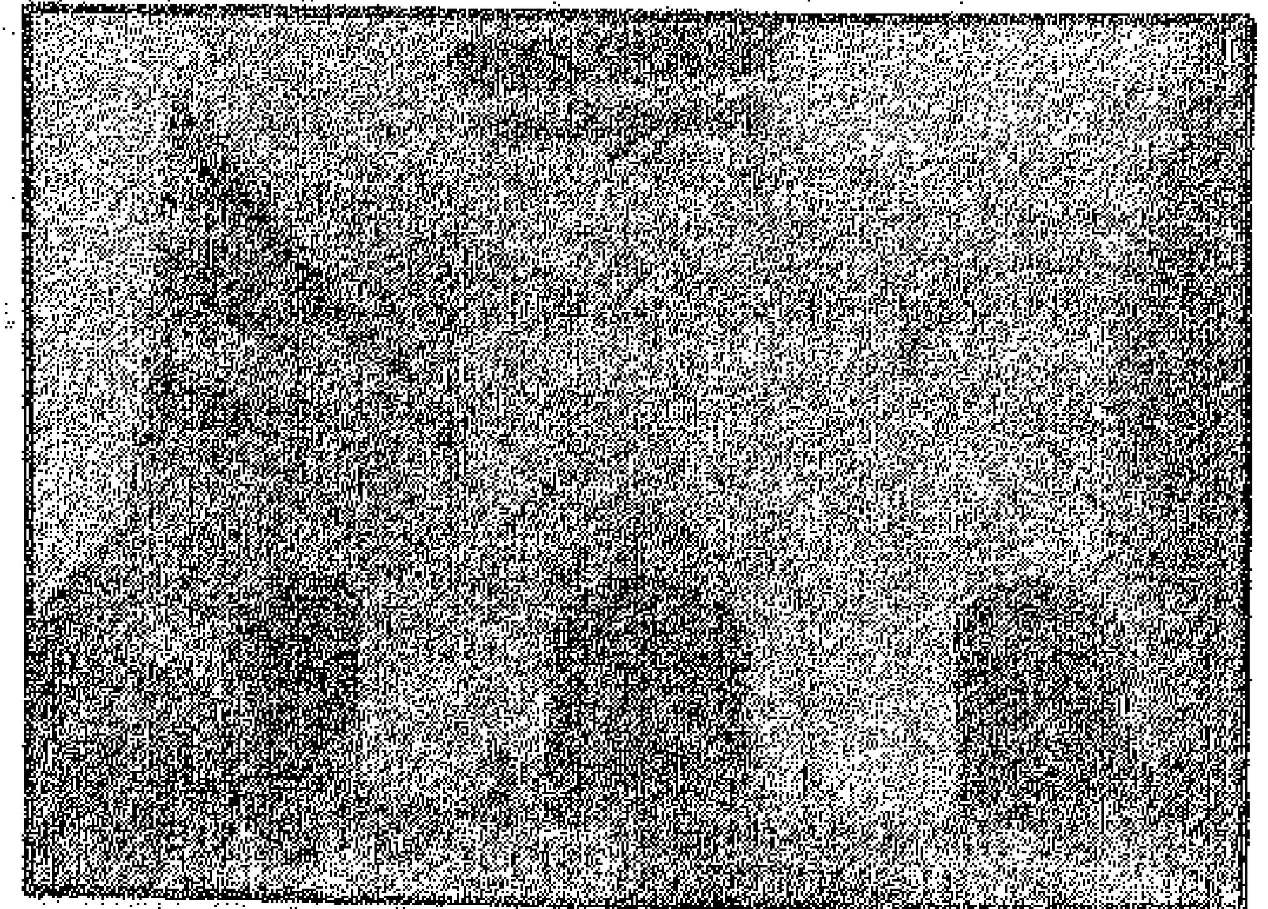
* **الخفافين (جامع ـ):**

يقع هذا الجامع فى بغداد الشرقية بالقرب من المدرسة المستنصرية إلى الجنوب منها، ويطل مثلها على نهر دجلة سمى أحيانا بجامع الصاغة، ويظهر أن دعوته بهذا الاسم، متأخرة ومشتقة من نوع الأعمال التى تمارس الآن فى حوانيت الأسواق المحيطة به. وجامع الخفافين هو مسجد الحظائر الذى أمرت ببنائه السيدة زمرد خاتون، أم الخليفة العباسى المستنصر بالله وزوجة الخليفة المشهور الناصر لدين الله والمتوفاة عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣ م. وعرف بهذا الاسم نسبة إلى محلة الحظائر التى يقع فيها والتى كانت تقع فيها أيضا المدرسة النظامية، مما أدى إلى الاعتقاد بأن مئذنته هى مئذنة هذه المدرسة. وقد عرف عن السيدة زمرد خاتون حبها لأعمال الخير فقد أمرت ببناء أكثر من عمارة دينية خصوصا فى مدينة بغداد.

تعرض هذا المسجد لأعمال التجديد والعمران، مثل بقية المساجد فقد جدد فى العهد الإيلخانى ولكن سعة هذا التجديد غير معروفة، وهناك كتابة تذكارية منقوشة فى لوحة مرمرية مثبتة فى إحدى الغرف المضافة، تذكر أن المسجد



المصلى الصيفي لجامع الخفافين.



مدخل جامع الخفافين.

قد جدد عام ٩٩٩ هـ/ ١٥٩١ م. ويستدل من التركيب العمارى لبيت الصلاة وواجهة المدخل من الخارج أن هذا التجديد قد شمل إعادة بناء المصلى وأجزاء واسعة من المسجد عدا المئذنة التى لم تهدم أو يعد بناؤها فى وقت لاحق وأنها أصلية وهى أقدم ما تبقى من جامع الحظائر، وبهذا تكون أقدم مآذن بغداد الباقية من العصر العباسى. فهى مهمة جدا ولها مكانة خاصة بين مآذن العراق الأثرية ويستدل من تخطيط بيت الصلاة الحالى أن إعادة البناء لم تغير تخطيطه وشكله وأنه يكشف عن النمط الذى ساد فى القطر خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى فهو على نمط بيت صلاة جامع النورى فى الموصل.

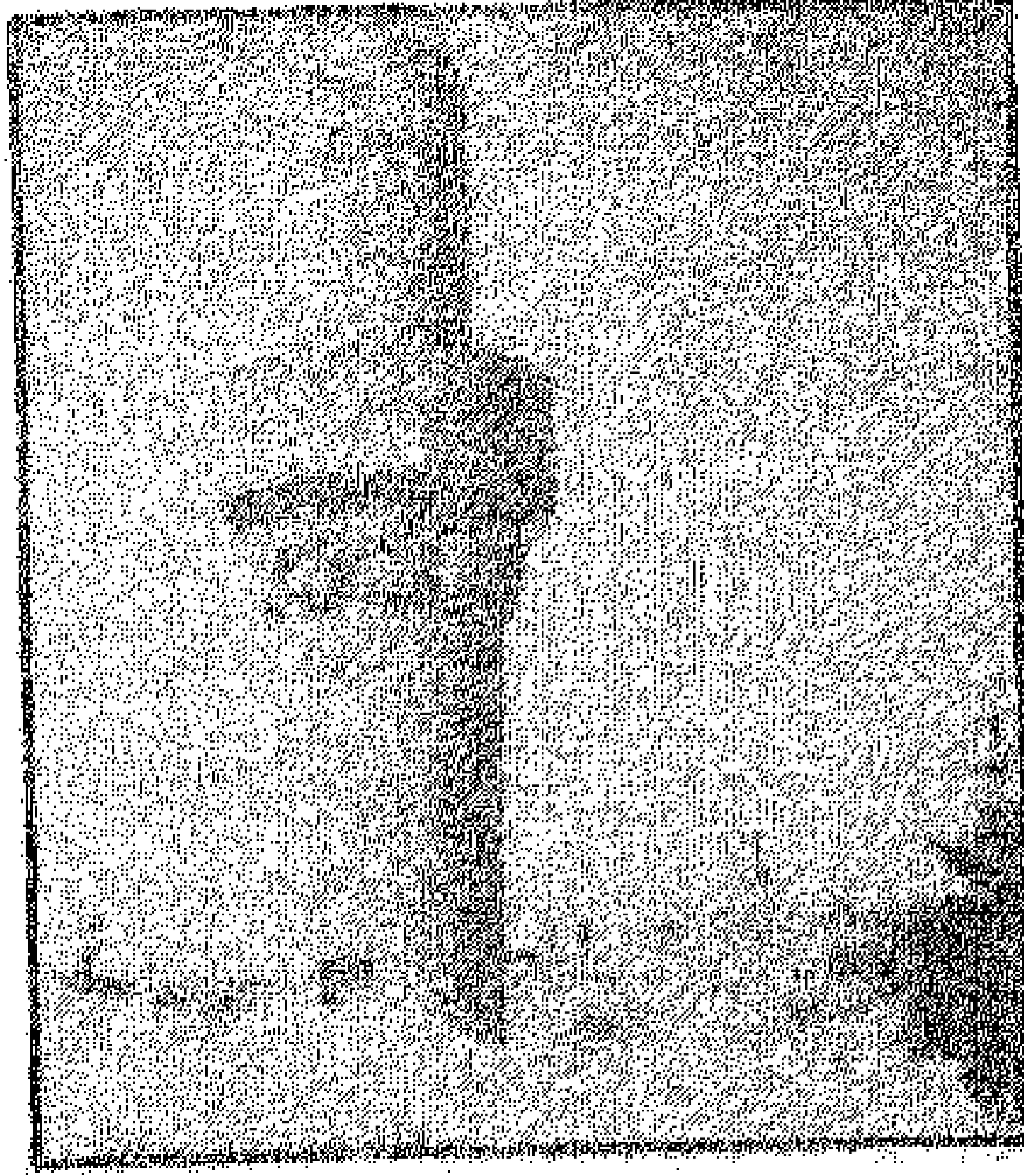
وجامع الخفافين مستطيل الشكل يشغل مساحة من الأرض أبعادها ٣٨ × ٥ , ٣٣ مترا. ويتألف من بيت للصلاة وصحن وعدد من غرف دفن فيها أفراد من مشاهير الأمة. ومئذنته تلاصق جدار بيت الصلاة الشمالى الغربى. وتخطيط بيت الصلاة فيه لا يختلف كثيرا عن تخطيط بيت الصلاة فى جامع النورى، فهو مستطيل الشكل ويتألف من مصلى شتوى وصيفى ويشغل المصلى الشتوى ثلثى المساحة تقريبا حيث يبلغ طول جداره من الشمال إلى الجنوب ١٦ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٥ , ١٢ مترا من الداخل. ويتكون المصلى الشتوى من أسكوبين بثلاثة بلاطات وأسكوب المحراب فيه أعرض قليلا من الأسكوب الثانى. أما المصلى الصيفى فيتكون من أسكوب أو رواق واحد ينفتح على الصحن بأربع بوائك.

شيد جامع الخفافين بالطابوق والجص وبناؤه قوى ومتين، جدرانه سميكة، ولا يزيد ارتفاع سقف المصلى عن ستة أمتار. وترفع على سقف المصلى عقود مدببة منفرجة متقاطعة تجلس أطرافها على أربع دعامات مستطيلة ضخمة سقف المصلى مقبب تغطيه ست قباب صغيرة مفلطحة نسبيا وكسيت جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج بالجص، يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وحنيته مضلعة ذات خمسة وجوه، وعقده مدبب، ويغور المحراب فى جدار القبلة بعمق ٧٥ سنتيمترا. ويقوم المنبر إلى يمين المحراب والدخول إلى المصلى يكون عن طريق باب يتوسط الجدار الشرقى فيه ويقع

على الخط المحورى للمحراب أما المصلى الصيفى فيتألف من رواق واحد يطل على الصحن بأربع بوائك ذوات عقود مدببة منفوخة تستند أطرافها على أعمدة رشيقة.

ويشغل المصلى الجزء الجنوبى الغربى من المسجد مثل معظم مساجد العراق حيث يكون اتجاه القبلة. ويقع مدخل الجامع فى الضلع الشرقية من الصحن. وتكشف تشكيلته المعمارية عن تاريخ تجديد المسجد وهذا الجزء منه. ويمكن الوصول إلى المسجد من سوق الخفافين وقد استخدمت الفسحة التى تتقدمه بعد تسقيفها كمقهى. وواجهة المدخل جميلة وقد بذلت جهود فنية غير قليلة لإظهارها بالمظهر اللائق. وتتألف من مدخل يتوسط نافذتين يفصله عنهما عمودان مفتولان مندمجان يقسمان الواجهة إلى ثلاثة مستطيلات يكون مستطيل المدخل أوسعها والمدخل مؤطر بعقد مفتول مدبب منفرج مندمج أيضا وينتهى بقواعد جميلة تشبه قواعد العمودين المجاورين. وتشغل حنية هذا العقد كتابات جميلة تعلوها مقرنصات بارزة. ويحيط بعقد المدخل شريط مستطيل مشغول بكتابة تذكارية تذكر تاريخ إعادة البناء وهو ٩٩٩ هـ/ ١٥٩١ م المثبت فى مكان آخر من الجامع. وعقدا النافذتين مدببان منفرجان أيضا، وشغلت حنية كل منهمابتشكيلة معقدة من مقرنصات مركبة، وشغلت أكتاف العقود والفراغات فى هذه الواجهة بتشكيلات من الزخارف الأجرية الجميلة المتقنة والمزججة. وجعلت زخارف القسم العلوى من جدار الواجهة بارزة قليلا وهى ناتجة من التفنن فى صف الطابوق. وفى هذه الواجهة نشاهد استمرارية التشكيلات التى سادت فى القرن السادس الهجرى وتداخلها مع الأشكال المتطورة من المقرنصات والتشكيلات الهندسية المستوية الوجوه والكتابات فى اتزان وتوافق. والتكوين المعمارى والزخرفى لمدخل هذا الجامع يشير إلى استمرارية تشكيل واجهات عدد من مداخل الأبنية العراقية من القرون السابقة خصوصا القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

ومئذنة جامع الخفافين أسطوانية البدن مسدسة القاعدة التى ترتفع كثيرا عن مستوى سطح الأرض، ويتقارب قطر بدنها مع قطر قاعدتها. ويخترقها مثل معظم مآذن العراق، سلم حلزونى يبدأ عند قاعدتها وينفتح بباب إلى سطح



مأذنة جامع الخفافين.

المسجد ثم يستمر إلى الحوض، البدن غليظ نسبيا وقصير أيضا يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار إلى قاعدة الحوض حيث تبدأ الرقبة وهى أسطوانية أيضا ولكنها رشيقة إذا ما قورنت مع البدن. وترتفع الرقبة ٣,٥ أمتار. وتنتهى برأس مقبب بصلى الشكل مغطى تماما بزخارف معمولة من التفنن فى صف الطابوق المزجج. ولا تقتصر أهمية مئذنة جامع الخفافين على كونها أقدم مآذن بغداد فحسب بل إنها كاملة وذات حوض كامل أيضا وإنها ذات طابع مميز من حيث الارتفاع وضخامة البدن وقصر القاعدة ووجود صفوف من المقرنصات تسند قاعدة الحوض بالإضافة إلى استخدام الطابوق المزجج فى رسم تشكيلاتها الزخرفية، وهذه السمات المميزة نجدها فى عدد من مآذن بغداد المعاصرة أو القريبة تاريخيا منها. ويحتمل جدا أن طبيعة أرض بغداد الرسوبية لها أثرها الفعال فى جعل مآذن المدينة قصيرة نسبيا وغليظة الأبدان.

ويستدل من الأشكال الزخرفية التى تزين حوض المئذنة والقسم العلوى من رقبتها ورأسها أن البدن والرقبة قد تساقطت زخارفها وتم إكساؤها بعد ذلك بطابوق لم يتفنن فى صنعه. وقبل أن نذكر زخارف هذه المئذنة يجدر بنا أولا أن نشير إلى أهم عنصر معمارى فيها ألا وهو المقرنصات التى يستند عليها الحوض. والمقرنصات ابتكار عربى صرف، أبدعها

المعمار لإسناد القواعد او النتوآت التى تبرز عن جسم أسطوانى . وإذا ما أخذنا مئذنة سنجار بنظر الاعتبار فإن الحنايا ذات الرؤوس البارزة التى تدور حول قمة قاعدتها هى الأمثلة العملية الأولى لهذا الابتكار. وقد تطور تركيب المقرنصات ونجدها فى مئذنة جامع الخفافين تتكون من ثلاثة صفوف متتالية حيث يزداد بروز رؤوس حنايا المقرنصات فى الصف الثانى على بروز رؤوس حنايا الصف الأول وهكذا يزداد بروزها فى الصف الثالث لتسند قاعدة حوض عريضة نسبيًا.

ومقرنصات الصف الأول من الأسفل بسيطة تشبه مقرنصات مئذنة سنجار. فهى عبارة عن حنايا ذات عقود مدببة تبرز رؤوسها إلى الإمام. أما حنايا مقرنصات الصف الثانى فتتكون من نوعين زوجى وفردى تستند محاور الحنايا الزوجية على رؤوس اثنتين من حنايا مقرنصات الصف الأول المتجاورين. وتتبادل المقرنصات المزدوجة مع مقرنصة حنيتها منخفضة نسبيًا وتستند أطراف عقدها على رأسىْ الحنيتين فى الصف الأول. أما الصف الثالث من المقرنصات فتشبه مقرنصات الصف الأول.

وتتصف مئذنة جامع الخفافين أيضا بالتشكيلات الزخرفية التى تزين الحوض والرأس. وزخارف الحوض ناتجة من التفنين فى صف قطع مربعة صغيرة من طابوق مزجج بلونين. والتشكيلة عبارة عن معينات متقاطعة قريبة الشبه بتلك التى تزين بدن المئذنة المظفرية فى أربيل ولكن الوحدات الزخرفية هنا غير بارزة بل بمستوى وجه جدار الحوض. أما الرقبة فمتوجة بشريط من تشكيلات زخرفية تختلف فى تركيبها عن أشكال زخارف الحوض. وتم تغطية الرأس تماما بطابوق أو قطع من طابوق مزجج بلونين أزرق داكن وأزرق شذرى، مقصوصة بأشكال معينة نتجت عن التفنن فى صفة أشكال هندسية نجمية ومعينية متداخلة، وحوافها مؤشرة بطابوق أزرق داكن، وبطونها مشغولة بطابوق أزرق شذرى. وجعلت زخارف الرأس بمستوى واحد مثل زخارف الحوض والرقبة.

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سليمان وزميلاته ١ / ١٩١ - ١٩٨. انظر ايضا القباب المخروطية فى العراق - عطا الحديثى وهناء عبد الخالق / ٢٩).

* **الخفقان:**

قال التهانوى :

الخفقان بفتح الخاء والفاء هو حركة اختلاجية تعرض للقلب بسبب ما يؤذيه قال الرقشى ولا نعنى بالاختلاجية ههنا ما هو المفهوم من لفظ الاختلاج وهو حركة تعرض للقلب بسبب ما يحتبس فيها من الريح إلى أن يحدث لذلك الريح مسلك يخرج منه بل يزيد بها حركة ارتعادية كالحركة التى تعرض للأعضاء عند النافض وكما أن تلك الحركة تحدث بسيلان المادية الردية العفنة على الأعضاء وترتعد لدفعها كذلك حركة الخفقان تعرض لوصول مؤذٍ إلى القلب فيرتعد لدفعه ارتعادا متتابعا، كذا فى بحر الجواهر (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٦).

وقد أدرجه داود بن عمر الأنطاكى ضمن أمراض آلات النفس وقال عنه.

الخفقان دوام حركة القلب فوق ما يجب لانحصاره بما وصل به وأسبابه: طول مرض سقطت معه القوى أو سوء تدبير فيما يؤكل أو يشرب أو كثرة خروج دم وهذه معلومة، وقد يكون لخلط فاسد فإن كان مع سوء فكر وتخيل فسوداء أو طيش وحركة فصفراء أو ثقل وامتلاء فرطوبة من دم إن كان علاماته وإلا فبلغم وقد يكون الخفقان لامتلاء المعدة وعلاماته معروفة.

العلاج: يفصد الباسليق من الأيسر فى الحار ثم يعطى المنعشات مثل ماء الفواكه والقثاء والخيار وهذا الدواء مجرب فى الخفقان الحار. وصنعته: كسفرة صندل ورد منزوع بزهر هندبا من كل جزء وطين مختوم طباشير بهمن أبيض مرجان من كل نصف لؤلؤ كهربا مصطكى من كل تنخل وتحل بالسكر بماء الورد ويأخذ قوامه ويعجن به ويرفع الشربة درهم ويعالج البارد بشرب الأفتيمون باللبن أياما ثم أخذ الترياق الكبير، ومن المجرب فيه إن كان بلغميًا الزنجبيل المربى بماء التفاح واللؤلؤ المحلول إن كان سوداويا ومن مجرباتنا لمطلق الخفقان حيث كان ترياق الذهب واللؤلؤ المحلول مع سحالة العود والذهب، ومن المفرحات الجارية مجرى الخواص المجربة أن تحل اللؤلؤ وتفرغ فيه ذائب الذهب والفضة وأسحق الكل مع ثلاثة أمثالها عودا وعشرها عنبرًا وحل

البلدزهر فى ماء لسان الثور والورد والخلاف واسقه شراب الفواكه واعجن به الأدوية ثلاثة قراريط منها تقوم مقام الخمر وتمنع الخفقان والغشى والجنون والإسقاط مجربة ومتى أفرط الخفقان والغشى أورثا القلب انضغاطًا وضيقًا وإحساسًا بغم وانجذاب وعصر وكل ذلك من انصباب ما ساء مزاجه فينقى أولا ثم تؤخذ المفرحات. وما كان عن امتلاء المعدة فلا بد من تنظيفها، والحادث بعد النزف والمرض فعلاجه بالتقوية بنحو ماء اللحم والسكر، ومن أراد حفظ القلب والصحة فيلزم استعمال الطين المختوم وحب الآس والطباشير والورد والتفاح والرمان المر وحماض الأترج واللؤلؤ والكهربا فى الأوقات الصيفية وغلى العود والقرنفل والهال والزرنب والياقوت والمرجان والزعفران والحرير فى الشتوية مفردة أو مركبة بحسب الحاجة ودواء المسك من الذخائر وكذلك الملك والسوطيرا.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٤٦، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى، المطبوع بذيل تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ٥١-٥٤).

*** الخفى:**

قال الجرجانى فى تعريفاته:

الخفى: هو ما خفى المراد منه بعارض فى غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب كآية السرقة فإنها ظاهرة فيمن أخذ مال الغير من الحرز على سبيل الاستتار خفية بالنسبة إلى من اختص باسم آخر يعرف به كالطرار والنباش، وذلك لأن فعل كل منهما وإن كان يشبه فعل السارق، لكن اختلاف الاسم يدل على اختلاف المسمى ظاهرا فاشتبه الأمر فى أنهما داخلان تحت لفظ السارق حتى يقطعا كالسارق أم لا، والخفاء فى اصطلاح أهل الله هو لطيفة ربانية مودعة فى الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل إلا بعد غلبات الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح فى قبول تجلى صفات الربوبية وإفاضة الفيض الإلهى على الروح.

(التعريفات للشريف الجرجانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٤).

*** خفى علائى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب قال عنه حاجى خليفة:

خفى علائى ــ فى الطب فارسى مجلد لزين الدين إسماعيل بن حسين الجرجانى المتوفى سنة ٥٣٠ ثلاثين وخمسمائة ألفه لعلاء الدين أيل أرسلان محمد (كشف ١ / ٧١٦).

يوجد مخطوطه بين مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى، وفيه وفاة المؤلف سنة ٥٣١ هـ:

الرقم ١٢١

لزين الدين إسماعيل بن الحسين بن محمد بن أحمد الحسينى الجرجانى المتوفى سنة ٥٣١ / ١١٣٧ م.

وهو منتخب من الذخيرة الخوارزمشاهيه لنفس المؤلف باللغة الفارسية ولعله نفس كتاب الأغراض الطبية والمباحث العلائية الذى انتخبه المؤلف من كتابه الذخيرة الخوارزمشاهيه.

جعله المؤلف فى كتابين. الكتاب الأول فى الأمراض ويقع فى مقالتين تتضمن المقالة الأولى ١٦ بابا والمقالة الثانية سبعة أبواب.

أما الكتاب الثانى فيبحث فى العلاجات والأدوية ويتضمن سبع مقالات وكل مقالة على أبواب.

نسخه جيدة كتبت بخط النستعليق على يد محمد سعيد ابن زين العابدين سنة ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م.

القياس ٢٣٠ ص ٣٠ × ١٣ سم ١٤ س

معجم المؤلفين ٢ / ٢٦٤، الذريعة ١٠/ ١١٠) (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ٩٩).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧١٦ ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ــ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٩).

*** الخفى من المراسيل:**

من علوم الحديث معرفة الخفى من المراسيل.

وخفى الإرسال: الانقطاع فى أى موضع كان من السند بين راويين متعاصرين لم يلتقيا، وكذا لو التقيا ولم يقع بينهما سماع فهو انقطاع مخصوص يندرج فى تعريف من لم يتقيد

فى المرسل بسقط خاص . أفاده السخاوى (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣).

والخفى من المراسيل يعم المنقطع والمعضل أيضا وقد صنف الخطيب البغدادى فى ذلك كتابه المسمى بـ «التفصيل المبهم المراسيل» . (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣، ٣٤).

قال ابن كثير:

وهذا النوع إنما يدركه نقاد الحديث وجها بذَتُه قديمًا وحديثا، وقد كان شيخنا الحافظ المزى إمامًا فى ذلك، وعجبًا من العجب. فرحمه الله وبل بالمغفرة ثراه. فإن الإسناد إذا عرض على كثير من العلماء، ممن يدرك ثقات الرجال وضعفاءهم، قد يغتر بظاهره، ويرى رجاله ثقات، فيحكم بصحته، ولا يهتدى لما فيه من الانقطاع، أو الإعضال، أو الإرسال، لأنه لا يميز الصحابى من التابعى والله الملهم للصواب.

ومثَّل هذا النوع ابن الصلاح بما روى العوام بن حوشب عن عبد الله بن أبى أوفى قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قال بلال: قد قامت الصلاة: نهض وكبر»، قال الإمام أحمد: لم يلق العوام ابن أبى أوفى (أى أن العوام لم يلق عبد الله بن أبى أوفى فكان السند منقطعا) يعنى فيكون منقطعا بينهما، فيضعف الحديث لاحتمال أنه رواه من رجل ضعيف عنه. والله أعلم.

وفيما يلى شرح العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر. قال رحمه الله:

قد يجيء الحديث الواحد بإسناد واحد من طريقين، ولكن فى أحدهما زيادة واو، وهذا يشتبه على كثير من أهل الحديث، ولا يدركه إلا النقاد. فتارة تكون الزيادة راجحة، بكثرة الراوين لها. أو بضبطهم وإتقانهم. وتارة يحكم بأن راوى الزيادة وهم فيها، تبعا للترجيح والنقد.

فإذا رجحت الزيادة كان النقص من نوع «الإرسال الخفى» وإذا رجح النقص كان الزائد من «المزيد فى متصل الأسانيد».

مثال الأول: حديث عبد الرزاق عن الثورى عن أبى إسحق عن زيد بن يثيع ـ بضم الياء التحتية المثناة وفتح الثاء المثلثة وإسكان الياء التحتية المثناء، وآخره عين مهملة ـ عن حذيفة مرفوعا: «إن وليتموها أبا بكر فقوى أمين» فهو منقطع فى موضعين: لأنه روى عن عبد الرزاق قال: حدثنى النعمان ابن أبى شيبة عن الثورى، وروى أيضا عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق.

ومثال الثانى: حديث ابن المبارك قال: حدثنا سفيان بن عبد الرحمن بن يزيد حدثنى بسر بن عبد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولانى قال: سمعت واثلة يقول: سمعت أبا مرثد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها».

«فزيادة سفيان» و «أبى إدريس» وهم. قالوهم فى زيادة «سفيان» من الراوى عن ابن المبارك فقد رواه ثقات عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن زيد بغير واسطة، مع تصريح بعضهم بالسماع. والوهم فى زيادة «أبى إدريس» من ابن المبارك، فقد رواه ثقات عن عبد الرحمن بن زيد عن بسر بغير واسطة، مع تصريح بعضهم بالسماع.

ويعرف الإرسال الخفى أيضا بعدم لقاء الراوى لشيخه، وإن عاصره. أو بعدم سماعه منه أصلا، أو بعدم سماعه الخبر الذى رواه. وإن كان سمع منه غيره. وإنما يحكم بهذا، إما بالقرائن القوية. وإما بإخبار الشخص عن نفسه وإما بمعرفة الأئمة الكبار والنص منهم على ذلك.

وقد يجيء الحديث من طريقين، فى أحدهما زيادة راوٍ فى الإسناد لا توجد قرينة ولا نص على ترجيح أحدهما على الآخر. فيحمل هذا على أن الراوى سمعه من شيخه، وسمعه من شيخ شيخه، فرواه مرة هكذا، ومرة هكذا (الباعث الحثيث / ١٧٧، ١٧٨).

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٣، ٣٤، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ـ أحمد محمد شاكر / ١٧٧، ١٧٨ وهامش ١).

*** الخفيف:**

أحد بحور الشعر قال عنه الدكتور أمين على السيد:

قال الخليل: سمى هذا البحر خفيفاً لأنه أخف السباعيات ـ أى لتوالى لفظ ثلاثة أسباب خفيفة فيه، لأن أول وثانى الوتد المفروق فيه لفظ سبب خفيف عقب سببين خفيفين، والأسباب أخف من الأوتاد.

وأجزاؤه:

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وأعاريضه ثلاث وأضربه خمسة.

ويستعمل تاما ومجزوءا.

(١) فإذا كان تاما كان له عروضان وثلاثة أضرب.

العروض الأولى صحيحة (فاعلاتن) ولها ضربان:

الضرب الأول: صحيح مثلها (فاعلاتن) وشاهده قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا

كاسفا باله قليل الرجاء

تقطيع البيت الأول:

ليس من ما ت فستراح بميتن

إننلمى ت ميتل أحياءى

فاعلاتن متفعلن فعلاتن

فاعلاتن متفعلن فالا تن

تقطيع البيت الثانى:

إننلمى ت من يعي شكئيبن

كاسفن با لهوقلى لررجاءى

فاعلاتن متفعلن فعلاتن

فاعلاتن متفعلن فاعلاتن

وهذا الضرب الصحيح يلحقه التشعيث وبه تصير (فاعلاتن) إلى (فالاتن) كما ترى فى التفعيلة الأخيرة من البيت الأول وهو تغيير لا يلزم بدليل أنها جاءت فى البيت الذى يليه على وزن (فاعلاتن).

والعروضيون يحولون (فالاتن) إلى (مفعولن) ولكن ينبغى مخالفتهم فى ذلك حتى يبقى للتفعيلة شكلها ويميز الدارس بينها وبين أصلها فى يسر وسهولة.

ولهم فى نقل (فالاتن) إلى (مفعولن) أربعة مذاهب:

الأول: أن يخبن بحذف الألف، ويضمر بإسكان المتحرك بعد الألف فيصير (فعلاتن) وينقل إلى (مفعولن).

الثانى: أن تحذف العين فيصير (فالاتن) وينقل إلى (مفعولن).

الثالث: أن تحذف اللام وتفتح العين لمناسبة الألف فيصير (فاعاتن) وينقل إلى (مفعولن).

الرابع: أن تحذف الألف التى بعد اللام ثم تسكن اللام فيصير (فاعلتن) وينقل إلى (مفعولن).

ثم يقول الدمنهورى: وأولى هذه المذاهب الثانى لأنه أخفها عملاً.

وأنا أضيف إلى ذلك ما قدمت من تفضيل بقائها على (فالاتن) لأنه أخف من التحويل، إذا كانت الخلة مطلبًا للمؤلفين فى هذا العلم.

الضرب الثانى: محذوفٌ تصير فيه (فاعلاتن) إلى (فاعلا) وتحول إلى (فاعلن) وشاهده:

إن أمت ميتة المحبين وجدا

وفؤادى من الهوى حرق

فالمنايا من بين سار وغاد

كل حى فى حبلها علق

تقطيع البيت الثانى:

فلمنايا من بين سا رن وغادى

كلل حيين فى حبلها علقو

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

فاعلاتن مستفعلن فعلن

العروض الثانية: محذوفة (فاعلن) ولها ضرب واحد مثلها وشاهده قول صفى الدين الحلى:

زارنى والصباح قد سفرا

وظليم الظلام قد نفرا

وجيـــوش النجـــوم جـــافلـــة

ولـــواء الشعـــاع قـــد نشـــرا

تقطع البيت الأول :

زارني وص صبـــاح قـــد سفـــرا

وظليم ظ ظـــلام قـــد نفـــرا

فـــاعـــلاتن متفعلن فعلن

فعـــلاتـــن متفعلـــن فعلـــن

(ب) وإذا كـان مجـزوءا (بأربع تفعيـلات في كل شطـر ثنتان) كـانت له عـروض واحدة صحيحـة (مستفع لن) ولهذه العروض ضربان :

الضرب الأول : صحيح مثلها وشاهده قول الشاعر:

ليت شعـــري مـــاذا تـــرى

أمم عمـــرو في أمـــرنـــا

تقطيعـه :

ليت شعـــري مـــاذا تـــرى

أمم عمـــرن في أمـــرنـــا

فـــاعـــلاتن مستفع لـــن

فـــاعـــلاتـن مستفعلن

ومنه قول الآخر:

نـــام صحبي ولـــم أنـم

مـــن خيـــال بنـــا ألـم

طـــاف بـــالـــركب مـــوهنـــا

بيـــن «خـــاخ» إلـــى . «إضم»

روضـة خاخ بين مكـة والمـدينة، وإضم : جبل والـوادي الذي فيه المدينة المنورة).

الضرب الثاني : مخبون مقصور تصير فيه (مستفع لن) إلى متفع ل) وتحول إلى (فعولن) وشاهده قول الشاعر:

كـل خطـب إن لمتكـــو

نـــوا غضبتـم يسيـــر

تقطيعه :

كلـل خطبـن إن لـم تكـــو

نـــوغضبتـم يسيـــرو

فـــاعـــلاتـن مستفعلـن

فـــاعـــلاتن فعـــولـن

وهذا الضـرب قليل الاستعمال وشاهـده المذكـور هنا في معظم ما رأيت من كتب العروض قديمها وحديثها.

ويدخـل حشو هذا البحـر - الخبن وهـو حسن، والكف وهو صالح، والشكل وهو قبيح.

ومن الضرب الأول الصحيح الذي الذي يدخله التشعيث في استعماله تاما - قول عدي بن رعلاء الغساني :

ربمـــا ضـــربـــة بسيف صقيل

دون بصـــرى وطعنـــة نجـــلاء

وغمـــوس تضـل فيهـــا يـــد الآ

سي ويعيـــا طبيبهـــا بـــالـــدواء

(الطعنة الغموس : النافذة، والآسي : الطبيب).

رفعـــوا رايـــة الضـــراب وآلـــوا

ليـــذودن ســـامـــر الملحـــاء

فصبـــرن النفـــوس للطعـن حتى

جـــرت الخيل بيننـــا في الـــدمـــاء

(في علمي العـروض والقـافيـة - د. أمين على السيـد / ١٣٩ - ١٤٣. انظـر أيضا مفتاح العلوم للسكاكي / ٣٠١ - ٣٠٣، وعروض الورقة لأبي نصر إسمـاعيل بن حماد الجوهري - تحقيق محمد العلمي / ٥٥ - ٦٠، ومعجم مصطلحات العروض والقافية - د. محمد علي الشوابكة، ود. أنور أبو سويلم / ١٠٤ - ١٠٦).

*** ابن الخفيف (٢٧٦-٣٧١ هـ):**

أبـو عبد الله محمـد بن خفيف الشيرازي (٢٧٦ - ٣٧١)، كان من أبناء الملوك وتصوف كأبيه، وكان أول شيوخه هو شيخ أبيه أبـو العبـاس أحمـد بن يحيى، فلقيـه بأول درس لـه في الريـاضـة، بأن طلب منـه تـوصيل لحم اشتراه إلى البيت، وخجل أن يحمل اللحم ويسيـر بـه وسط السـوق، فـركن إلى حائط أحد المساجد لا يـدري ماذا يفعل، واستخار الله وسار به والنـاس يتصايحون عليـه لمعرفتهم بأصولـه، وعاد يتصبب عرقا إلى الشيخ فاستعـاده ما جرى له، فحكى ابن خفيف عن تجـربتـه ولكن الشيخ طمأنـه وتنبأ لـه بمستقبل في الطـريق، وصار ابن خفيف من كبار الصوفيـة وشيخ المشايخ في وقته،

ولـه كتـاب المعتقـد، وطـريقتـه فى التصـوف كمـا يـوردهـا الهجـويـرى فى كشف الظنـون تقـوم على الحضـور كمقـابل للغيبـة، فمن غـاب عن نفسـه فإنمـا حضـوره مع الحق وإلا فالغيبة بلا حضور جنون، وقـد رجع الإمام ابن تيمية إلى أقواله فى المعتقد فى فتواه الحموية وينقل عنه قولـه فى الحلولية: ومن زعم الإشـراف على الخلق، يعلم مقامـاتهم. ومقدارهم عند الله بغير الوحى المنزل، فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنـه يعرف مـآل الخلق ومنقلبهم، وعلى مـاذا يمـوتون عليـه، ويفتى لهم بغير الـوحى المنزل من قـول الله ورسوله، فقـد باء بغضب من الله؛ ومن زعم أن صفات الله تعالى بصفات العبد فهو حلولى قائل باللاهوتية والالتحام، فذلك كفر لا محالة؛ ومن قـال إن شيئـا من صفـات الله حـالٌّ فى العبـد، أو قـال بالتبعيض على الله فقـد كفر. ويقـول ابن خفيف فى معتقده: إن البارى تعـالى واحد، لا حـالٌّ فى الأشيـاء، ولا الأشياء، حالة فيه، ولا يتجلى فى شىء، ولا استتر بالحدث. ويقول ابن خفيف فى النبوة والولاية: الوصول من غير طريقة العبودية محال، والنبوة أجل من الولاية، ولا يبلغ درجة النبوة بالعمل، والمعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء.

ومن أقـوال ابن خفيف: عهـدى بـالصوفيـة يسخـرون من الشيطـان، والآن الشيطان يسخر منهم. والتصـوف عنده هـو تصفية للقلب عن موافقـة البشرية وإخماد صفاتهـا، ومفارقة أخلاق الطبيعـة ومجانبـة الدعاوى النفسيـة ومنازلـة الصفات الروحيـة، والتعلق بعلوم الحقيقة، والوفـاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعـة. والإيمان تصديق القلب بما أعلمه الحق من الغيـوب، والتقوى مجـانبة مـايبعدك عن الله تعـالى، والخـوف اضطـراب القلب بمـا يعلم من سطـوة المعبود، والتـوكل اكتفاء بضمـان الحق وإسقاط التهمـة عن قضائه، والريـاضة هى كسر التقوى بالخـدمة، واليقين هو أن تحقق الغيـوب، والقـرب طى المسـافـات بلطيف المـدانـاة وقربك منه بمـلازمة الموافقات، والانبسـاط سقوط الاحتشام عند السـؤال، والمشاهـدة اطلاع القلب بصفـاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيـوب، والوصـول هو الاتصال بـالمحبوب دون كل شىء سـواه والغيـاب عن كل شىء سـواه، والسكـر غليان القلـب عند معـارضات ذكـر المحبوب. والمطـالبات بالنسبة للمريد شتى، فمطالبة الإيمان هى ما يحدوك عليه من صحـة التصديق بـوعده ووعيـده، ومطالبـة العلم ما تتبين بـه أحكامـه فتظهر دلائلـه ويطالبك الحق باستعمـاله، ومطـالبة الحق وهى التى إذا بدت قهـرتك وجذبتك إلى ما أراد بصـولته سبحانـه. وليس شىء أضر بالمـريد من مسـامحة النفس فى ركوب الـرخص وقبول التأويـلات والأكل مع الفقراء قـربة إلى الله.

وكـان رحمة الله يشكـو وجع الخـاصـرة، فكان إذا أخـذه أقعده عن الحركة، فكان إذا أقيمت الصلاة يحمل على الظهر إلى المسجد ليصلـى، فقيل له لو خففت علـى نفسك لكان لك سعـة فى العلم، فقـال إذا سمعتم حى على الصـلاة ولم تـرونى فى الصف فاطلبـونى فى المقـابر، وقـال سألت الله أن ألقاه ولا يكون لى شىء، ولا لأحد على شىء، ولا يكون على بـدنى من اللحم شىء. ولمـا اشتـدت بـه العلـة ظل طـريح الفراش سنة وأربعة شهور لم يتحـرك، وسألوه قرب وفاته كيف يجـد العلة، قـال سلـوا العلـة عنى، فقالـوا قل لا إلـه إلا الله فأنشد:

أفنيـــــــت كلـــــــى بكلـــــــك
هـــــــذا جـــــــزا مـن يحبـك!

(الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٤٢ ـ ١٤٤).

*** الخل:**

قال رسـول الله ﷺ: «نعم الإدام الخل» أخرجـه السيوطى فى الجـامع الصغير من روايـة أحمد فى مسنـده، ومسلـم، وأبى داود والتـرمذى والنسـائى وابن مـاجه. وروى مـرفوعـا: «اللهم بارك فى الخل فإنه كـان إدام الأنبياء قبلى» وفى رواية: «ما أقفر بيت فيه الخل» للبخارى ومسلم (الطب النبوى / ٨٦، والجامع الصغير ٢ / ١٤٩).

وقد أورده المظفر الـرسولى نقلا عن مصادر ثلاثـة رمز لها بالحروف التالية.

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

ج: ابن جـزلـة صـاحب «منهـاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال :

الخل ــ «ع» الخل مركب من جوهرين : حار وبارد ، والبارد فيها أكثر، والخل يجفف تجفيفًا بليغًا ، حتى إنه من التجفيف فى الدرجة الثانية عند منتهاها ، إذا كان خلا ثقيفا ، وهو يبرد ويقبض ، وهو صالح للمعدة ، يفتق الشهوة ، ويقطع الدم من أى عضو كان إذا شرب ، وإذا طبخ مع الطعام وافق البطن الذى يسيل إليه الفضول . وهو جيد للمعدة الملتهبة ، وينفع الطحال ، ويلطف الأغذية الغليظة ، ويوافق أصحاب الصفراء والدم ، ويضر أصحاب الطبائع السوداوية ، والأمزجة الباردة ...

ويضعف الانتشار ، وإذا خلط بدهن الورد ، وبُلّ به بصوفة غير مغسولة ، ووضع على رأس من به صداع من حر الشمس ، نفع منه . وبخاره إذا كان سخنا ينفع من الاستسقاء ، وعسر السمع ، والدوى العارض فى الأذن ، والطنين . وإذا قطر فى الأذن قتل الدود الذى فيها .

«ج» بارد يابس فى الدرجة الثالثة . وقيل : بارد فى الأولى ، قوى التجفيف ، ينفع من انصباب المواد إلى داخل ، ويلطف ويقطع ، ويصب على نزف الدم إذا كان خارجا ، ويمنع الورم ، ويعين على الهضم ، ويضاد البلغم ، وينفع الصفراويين . وإذا وضع بصوف على الجراحات منع ورمها ، وينفع من الجرب والقوبا وحرق النار ، أسرع من كل شىء ، ووضعه على الرأس ينفع من الصداع الحار ، والمضمضة به تنفع من حركات الأسنان ، خصوصا مع الشب ، وبخاره ينفع من عسر السمع ، ويفتح سدد المصفاة بقوة ، ويحلل الدوى ، ويتحسى للعلق الذى يتعلق بالحلق ، ويصب على النهوش فينفع ، وينفع من سقى الأفيون والشوكران . وبملح ينفع من عضة الكَلْب الكَلِب ، والإكثار منه يضر بالسوداويين . وهو يضعف البصر ، ويصفر اللون ، ويضر بالعصب ، وربما أدى إدمانه إلى الاستسقاء .

«ف» أجوده العنبى الثقيف ، وهو مركب من حر وبرد ، وينفع الصفراء ، ويشهى الطعام ، ويعين على الهضم ، وله مضرة فى نكاية الأعصاب . الشربة : بقدر المزاج (المعتمد ١ / ١٣٣) .

كما أورده داود الأنطاكى وقال عنه : خل : يطلق فيراد به ما استخرج من العنب . وصنعته : أن يعصر ويصفى ويوضع فى الجرار وقد يحشى بعناقيده قالوا ولا بد أن يتخمر ثم يتحول خلاً ولا أظنه كذلك خصوصًا إذا وضع العنب إثر خل فإنه يتخلل من بادىء الرأى وأجوده ما كان من العنب الأحمر ولم يشمس والممسوس بالماء ضعيف يورث التعفين وقد يعمل من الزبيب وهو يلى الأول ويليهما ما عمل من التمر فالموز فالتين وما عدا ذلك ردىء وخل العنب بارد فى الثانية يابس فيها أو الثالثة وبرد التمرى فى الأولى ويبسه فى الرابعة والزبيبى فى الثانية برداً والأولى يبسًا وكذا المعمول من التين والهند تأخذ النارجيل رطبا وتضيف إليه ستة أمثاله ماء فيكون خلاً حارًا فى الثانية يابسًا فى الرابعة والطارىء مثله وكذا الموزى لكنهما أجود منه . والخل مركب من جوهر حار ليس بالغريزى وجوهر بارد أرضى أصلى فلذلك هو الغالب وهو يحبس الفضلات السائلة ويفتق الشهوة ويقوى المعدة الحارة ويقطع النزف والإسهال المزمن على أنه ربما أطلق وأعان بعض الأدوية على الإسهال كالأشنة ويدمل القروح والجروح الطرية ويمنع الساعية والنملة وما شأنه الانتشار كالحمرة ، ويشد اللثة ويزيل الأورام والآثار طلاء بالعسل والنقرس بالكبريت والخدر والكزاز والمفاصل بالحرمل وبدهن الورد الصداع شرباً وطلاءً ومتى سخنت الأحجار خصوصاً القوف الأسود ورُش عليها أو طفئت فيه نفع ذلك البخار من النزلات والسعال المزمن ومن نام على حجر سخن وطفىء بالخل متماديًا على ذلك تحللت أورامه وبرىء من الاستسقاء ويقطع البواسير كيف استعمل والقىء به مع البورق يخرج العرق والأخلاط اللزجة خصوصا مع العسل ومع دهن اللوز يذهب عسر النفس عن رطوبة ويغتسل به فيذهب السعفة والجرب والكلف والنمش خصوصا بالشيرج ، وبصفرة البيض أكلا يمنع العطش والزحير والثقل وحل عسر البول ويمنع حرق النار طلاء ويخرج السموم القتالة بالقىء وإذا هُرِىَ فيه بصل العنصل بالطبخ ثم صُفِّىَ وشُمِّسَ أسبوعا وأخذ منه كل يوم درهم قطع البخار النتن وعسر النفس وأوجاع الصدر وقروح الفم عن تجربة أو تهرى فيه التين وضمد به أزال الخشونة واليبس أو طبخ بالكمون والصعتر وتمضمض به سكن وجع الأسنان وقروح اللثة مجرب وإذا نقع فيه التين والزبيب وتمودى على أكلهما وشرب الخل أزال الطحال واليرقان وهو يضر المشايخ والنساء والمهزولين ومن غلبت عليه السوداء ...

ويـوقع فى الاستسقـاء ويهيج السعـال اليـابس وتصلحـه الحلاوات والألعبة وأجودها ما أكل مع ما فيه غروية كالملوخيا وخل الطارى ليس فيـه نكايـة للعصب وكذا النـارجيلى وكثرة الاستنجاء بهمـا تضعف الباسور والشربـة من الخل إلى سبعة دراهـم وبـدله حمـاض الليمون (تذكـرة ١/ ١٤٢، ١٤٣).

وقال عنه ابن سينا :

مركب من حـار وبارد. والبـارد أغلب، والذى فيه حـرافة أسخن، وإن لم يكـن فهـو بـارد رطب، والطبـخ نقص من بـرودته، قـوى التجفيف، يمنع انصبـاب المـواد إلى داخل، ويلطف، ويقطع. وقد يشرب أو يصب على نزف الدم إن كان خارجًا، فيمنعه. ويمنع الـورم حيث يريد أن يحدث، ويعين على الهضم، ويضـاد البلغم، وهو نـافع للصفراويين ضـار للسـوداويين. يطلى مع عسل على آثـار الـدم فينفع لكن الإكثـار منه يضـر. إذا وضع على الجـراحـات صوف مبلـول بخل، منعهـا ان تـرم «من الـورم». وينفع سعى القـروح الساعية، والجرب، والقوباء، وينفع فى حرق النار. أسرع من كل شىء ينفع، وهـو ضـار للعصب: وإذا طلى مع الكـرنب «السلق» على النقرس (مرض) نفع وإذا خلط بدهن زيت، أو دهن ورد، وضرب ضربًا، وبُلَّ به صوف غير مغسول، ووضع على الرأس، نفع من الصداع الحـار ويشد. وكذلك التنطيل به والتمضمض بـه، وخصوصا مـع الشبت (نوع من النعنع). وإدمـانه يضعف البصـر. ينقص اللهـاة، فيقطع التغرغر بـه سيلان الخلط إلى الحلق ويبرىء اللهاة السـاقطة، ويحسن العلق، والسعال المـزمن... صـالح للمعـدة الحارة الـرطبة، ويعين على الهضم. كل ذلك لـدفعه المعـدة. وبخار الخل يحلل الاستسقاء، والإدمان منه ربما أدى إلى الاستسقاء، يبرد الرحم. ويحقن بـالملح لقروح الإمعاء الساعيـة، بعد الحقن الملينة. يصنب على النهوش، وينفع من الأفيـون والشوكران. والخل المتخـذ من العنب البـرى، بملح، ينفع من عضـة الكَلْب الكَلِب، وغير ذلك. وقد يشـرب مسخنا على الأدوية القتالة فينفع (القانون فى الطب)

الطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمـد الذهبى ـ قدم له وخرج آيـاتـه الشيخ قـاسم الشماعى الرفـاعى / ٨٦، والجـامع الصغير للحافظ جـلال الـدين عبـد الرحمن السيوطى ٢ / ١٩٤، والمعتمـد فى الأدويـة المفردة للمظفـر الـرسولى ـ صححـه وفهـرسه مصطفى السقـا ١ / ١٣٣، وتذكرة أولى الألباب لـداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٢، ١٤٣، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣٢٣ـ٣٢٥).

وقـد ورد ذكر الخل فى مـادة «توابل الطعـام» فى م ١٠ / ٥٨٩ فانظره فى موضعه.

*** خلا:**

عن خـلا التى تستعمل فى التأريخ يقـول صـاحب ألفيـة الآثارى تحت عنوان التاريخ :

فـــرع وفى التــــاريخ أولا خلـت
وخلتـــا خلـــون للجـــر ثلـث
إلى انقضـــاء العشــر ثم فضلـــوا
خلـت إلـى خمس وعشـــر تكمـل
ثـم إلـى تسع وعشـــر بقيـت
ثـم بقيـن لا نســـلاخ رويـت

(ألفية الآثارى كفاية الغلام فى إعراب الكلام ـ نظم زين الدين شعبان ابن محمد القرشى الآثارى / ٨١).

*** الخلاء:**

قال الجرجانى فى تعريفاته :

الخلاء: هو البعد المفطور عند أفلاطون والفضاء الموهوم عنـد المتكلمين أى الفضـاء الـذى يثبته الـوهم ويـدركـه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء فى داخل الكـوز فهذا الفـراغ الموهوم هـو الذى من شـأنه أن يحصل فيه الجسم وأن يكون ظرفـا له عندهم، وبهذا الاعتبار يجعلونـه حيزا للجسم وبـاعتبار فـراغه عن شغل الجسـم إياه يجعلونه خـلاء، فالخلاء عندهم هو هـذا الفراغ مع قيد أن لا يشغله شـاغل من الأجسام فيكـون لا شيئاً محضًـا لأن الفراغ الموهوم ليس بموجود فى الخارج بـل هو أمر موهوم عندهـم إذ لـو وجـد لكان بعـدًا مفطـورًا وهم لا يقـولون بـه. والحكمـاء ذاهبون إلى امتنـاع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانـه. وما وراء المحـدد ليس ببعـد لا لانتهـاء الأبعاد بـالمحـدد، ولا قـابل للزيادة والنقصـان لأنه لا شىء محض فلا يكون خـلاء بأحد المعنيين بل الخـلاء إنمـا يلـزم من وجـود الحـاوى مع عـدم المحوى وذا غير ممكن (راجع شرح المـواقف ٢ / ٤٧٩ ـ ٥٠١، وكشاف اصطلاحات الظنون ٢ / ٢٤٣ وما بعدها).

(التعريفات، للشريف الجرجاني ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٥).

* خلاد (-٢٢٠ هـ / -٨٣٥ م):

هو خلاد بن خالد ويقال ابن خليد ويقال ابن عيسى الصيرفي الكوفي ويكنى أبا عيسى (التيسير / ٧).

وقيل: هو خلاد بن خالد أبو عيسى وقيل أبو عبد الله الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ مجود ضابط متقن.

ولد في نصف رجب سنة تسع عشرة أو ثلاثين ومائة أيام هشام أو مروان.

أخذ القراءة عرضا عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلهم وروى القراءة عن حسين بن على الجعفي عن أبي بكر نفسه عن عاصم وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرواسي.

وروى القراءة عنه عرضا أحمد بن يزيد الحواني وإبراهيم ابن على القصار وإبراهيم بن نصر الرازي وحمدون بن منصور وسليمان بن عبد الرحمن الطلحي وعلي بن حسين الطبري وعلي بن محمد بن الفضل وعنبسة بن النضر الأرحمي والقاسم بن يزيد الوزان وهو أنبل أصحابه ومحمد بن الفضل ومحمد بن سعيد البزازي ومحمد بن موسى بن أمية ومحمد ابن شاذان الجوهري وهو من أضبطهم ومحمد بن عيسى الأصبهاني ومحمد بن يحيى الخنيس ومحمد بن الهيثم قاضي بكر وهو من أجل أصحابه. توفي سنة عشرين ومائتين (غاية النهاية ٢ / ٢٧٤، ٤٧٥، والبحث والاستقراء / ٥٢).

قال الإمام ابن الجزري صاحب «طيبة النشر»:

وحمزة عنه سليم مخلف
منه وخلاد كلاهما اغترف

الضمير في منه يعود على «سليم» واغترف من الاغتراف وهو تناول الماء باليد. والمعنى: وكلاهما أي خلف وخلاد، نقلا القراءة من سليم الذي كان بحرا في القراءة، وسليم أخذ القراءة عن حمزة (الكوكب الدرى / ٣٧).

وفيما يلي ما ورد من نظم في قراءة خلاد لفضيلة الشيخ محمد بن محمد جابر المصري:

بتوسيط شيء مع سكت مفصوله فقف
عليه بسكت زائد الوسط سهلا
كهزءا كشيء واقفا كلا انقلن
ونحو يشا بالطول وقفا فأبدلا
ومن لم يتب أيضا يعذب فأظهرا
بفاتحة أشمم كمنشون سهلا
وإن وسطت مع سكت أل عنه أطلقا
وجوها خلت مع خالص الصاد في كلا
صراط الصراط باء في يتب ادغما
يعذب من أيضا بالادغام فاعملا
وإن تصلن يتقه فامنع إمالة
عموما وإدغاما لبالجزم أهملا
بتسهيل همز جاء بعد محرك
ومع سكت مد الفصل إدغامها احظلا
ولكن يتب بالخلف با اركب فأهملن
لإدغامه ذكرا بالاظهار رتلا
بسكت لمد الوصل إن تضجعن له
قرار فنخلقكم أتم وكملا
وإن تشممن حرف الصراط معرفا
فزائد وسط سهلن والاولا
مشما له أو لا تشم جميعها
إذا حققا مفصول مد لدى كلا
كفي الأرض حقق وانقل اسكت بوقفه
وبسط وبسطه صادها قد تحملا
بسكت لمد الفصل معه فسهلن
كمستهزئو في حال وقف وأبدلا
وأيضا به يسّ ليس مقللا
فآتيك إضجاعا به أيضا اهملا
على سكت موصول للابرار فانقلن
بفتح بسكت الكل تقليله احظلا
ولا فتح فيه إن لشيء توسطن
وميل ضعافا إن سوى شيء رتلا

بسكت فأهمل وافتحن قـــــرار مع
بـــوار بتـــرك السكت أو قللهمـــا كـــلا
كـــــذا أضجعـــــا قلل وإن تسكتن بأل
فقلل لحــــرفيـّـــه أو افتح لـــه كـــلا
ومع سكت مـــوصـــول فســوّ كليهمـــا
مع الميـل لا ميل والاثنين حلـــــلا
ومع سكت مـــد مطلقـا عنـــه أضجعـــا
قـــرار وفـي الثـانـي افتحن وافتحـا كـلا
وآنيـك إن تفتـح بسكـت معمـمـــــا
كمـــوصـــولـــه مفصـــول ســاكن انقـــلا
بـــه فـــاسكتن بـــالميل في الكل ســاكتـــا
وفـي الملقيـــات ادغـم ونخلق كمـــــلا
لـــدى مـــرســلات خص صـــاد مسيطـــر
كجمع بتـــرك السكـت عنـــه وحصــــلا

(مختصر قواعد التحرير / ٤٠ ـ ٤٣).

التيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو الدانى ـ عنى بتصحيحه أوتوبرتزل / ٧، وغاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ٢ / ٢٧٤، ٢٧٥، والبحث والاستقراء فى تراجم القراء ـ محمد الصادق قمحاوى / ٥٢، والكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى مختصر شرح الطيبة للنويرى ـ محمد الصادق قمحاوى / ٣٧، ومختصر قواعد التحرير لطيبة النشر ـ محمد بن محمد جابر المصرى / ٤٠ ـ ٤٣. انظر أيضا الأعلام للزركلى وقد أورده تحت عنوان «خلاد بن خالد» بتشديد اللام فى «خلاد».

*** ابن خلاد (ـ نحو ٣٦٠ هـ / ـ نحو ٩٧٠ م):**

الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى الفارسى، أبو محمد: محدث العجم فى زمانه. من أدباء القضاة. أول سماعه بفارس سنة ٢٩٠ له «المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ـ «خ» فى علوم الحديث، قال الذهبى: ما أحسنه من كتاب! سبعة أجزاء فى مجلدة واحدة، بسوهاج (٩٣ حديث) ومنه نسخة فى الأسكوريال (١٦٠٨) كما فى مذكرة الأفغانى. وله «ربيع المتيم» فى أخبار العشاق، و «الأمثال» و «النوادر» و «الرثاء والتعازى» و «أدب الناطق» وهو من أهل «رامهرمز» وله شعر. وكان مختصا بابن العميد، وله اتصال بالوزير المهلبى.

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٩٤، وراجع مصادره فى هامش ١).

*** أبو خلاد:**

قال ابن عبد البر:

أبو خلاد. رجل من الصحابة، لا أقف له على اسم ولا نسب. حديثه عند يحيى بن سعيد بن أبان القرشى، عن أبى فروة، عن أبى خلاد رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المؤمن قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه، فإنه يلقى الحكمة» هكذا رواه هشام ابن عمار، عن الحكم بن هشام، عن يحيى بن سعيد بن أبان.

وذكره البخارى فى الكنى المجردة، فقال: قال: أحمد ابن إبراهيم الدورقى، حدثنا يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد ابن العاص، أخو عنبسة: سمعت أبا فروة الجزرى، عن أبى مريم، عن أبى خلاد، عن النبى ﷺ مثله، وهذا أصح.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٤٠، ١٦٤).

*** خلاس بن عمرو:**

قال الإمام النووى: خلاس بن عمرو: مذكور فى المهذب فى باب تضمين الأجير فى المسابقة ثم فى أول القذف. هو بكسر الخاء المعجمة وبالتخفيف وآخره سين مهملة وهو خلاس بن عمرو الهجرى البصرى التابعى. سمع عمار بن ياسر وابن عباس وعائشة وروى عن على بن أبى طالب وأبى هريرة رضى الله عنهم روى عنه مالك بن دينار وقتادة وعوف الأعرابى وغيرهم وهو ثقة قالوا وروايته عن علىّ من كتاب لا سماع.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٧).

*** الخِلاسىُ:**

من الحفاظ المتصوفين الذين التقى بهم الرحالة ابن رشيد فى تونس وأخذ عنهم. وقد لخص سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة فى مقدمة تحقيقه للكتاب، ما أورده ابن رشيد فقال: وهو الشيخ العالم الصوفى الزاهد

الفاضل الولي التقي أبو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي. وهو بلنسي الأصل، ولد سنة ٦١٠. كان يشتغل بتسفير الكتب، يقصده الناس للتبرك بدعائه والسماع منه. سمع من أبي الربيع بن سالم صحيح مسلم وصحيح البخاري وأكثر كتاب الاكتفاء، وقرأ على أبي إسحاق البلفيقي أحاديث الخضر وإلياس، وسمع عليه جزء الصحابة الأربعة، وحديث القلاقل، واختصار السيرة لابن فارس. وقرأ على ابن عجلان وسمع عليه جميع القواعد للقاضي عياض. وروى الأربعين حديثا لسلمان الفارسي.

وأخذ لباس الخرقة (انظر الخرقة الصوفية) عن ابن مسدى وذكر سنده في ذلك. وسمع عليه المقدمة المحسبة بتوجيه ذوي الخرق المنتسبة. وأثبتها بنصها كاملة، وقرأ عليه الجزء الثالث من الفوائد المسلسلات الأسانيد. وقرأ على أبي عبد الله بن أحمد بن لب الأنصاري عوالي ابن الدباغ، وعلى الشيخة أم الحسن فاطمة بنت نعمة بن سالم الحميري. وأجاز له عدد كبير من شيوخ المشرق، منهم من ورد ذكرهم في استدعاء البلفيقي له، ومنهم من استدرك ذكرهم ابن رشيد. وقد ذكر رحالتنا إجازة الخلاسي له، وأنه أخذ عنه الكتاب المغني عن الحفظ والكتاب لعمر بن بدر الموصلي. وأثبت صفة سماع الشيخ له وأنشد عليه بلفظه بيتين لأبي عمران الزاهد، وآخَرَين لأبي بكر بن قسوم من مجزوء الكامل، وآخرين له من المجتث، كما أنشد عليه أيضا أبيات ابن عتاب الأب في التنويه بأصحاب الحديث، ثم أسند عليه إلى الشعبي قصة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ودعاءهم بالملتزم. وأثبت ابن رشيد ما أسنده على أبي محمد الخلاسي من أحاديث وأخبار منها:

حديث: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ...»،

وحديث: «إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ...».

ثم ذكر بالرواية عنه بيتين في التخويف من الله، وآخَرَين في الاسترحام لابن المفضل، وآخَرَين له أيضا في التزام طريق عباد الله الصالحين.

وبعد هذا أسند عنه مسلسل شهدت، ومسلسل كُلِ السمك الطافي، ومسلسل الأسودين التمر والماء، ومسلسل أطعمنا وسقانا، ومسلسل سمعت، ومسلسل الجوز والخبز، ومسلسل لقمنا لقمة لقمة، ومسلسل احتفى في الضيافة واحتفل، ومسلسل الوتر، ومسلسل إني أحبك يا معاذ. وتخلل بعض ذلك إنشادات.

وأورد آخر الترجمة سماعه على أبي محمد، وذكر لباسه منه الخرقة. وأنشد عليه بلفظه مارواه عنه من أبيات ابن مسدي في التذلل لله. وختم الرسم بذكر ما رواه عن الخلاسي من شعر - سقط من النسخة - في أوصاف الفعل الكريمة.

كان هذا هو الملخص الذي لخص فيه سماحة الشيخ الدكتور الحبيب بن الخوجة ما أورده ابن رشيد عن الخلاسي. ونسوق فيما يلي النص بتمامه لأنه يحتوي على معلومات نفيسة تهم كل من يعنى بعلوم الحديث، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص إتمامًا للفائدة. قال ابن رشيد رحمه الله:

وممن لقيته بتونس حماها الله: الشيخ الصالح الصوفي الزاهد الفاضل أبو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي. أحد الصلحاء الفضلاء الأولياء الأتقياء مع التواضع والخمول على معرفة الناس بقدره وفضله وتكاثرهم عليه وقصدهم مع الأناء إليه.

وهو من أهل بلنسية. مولده عام عشرة وستمائة. وسمع بالأندلس ثم رحل وحج ونزل تونس واقتصر على منزله. وربما تحرف بصناعة التسفير في منزله لا يبرح عنه، فكان يُقصد فيه للتبرك بدعائه وللسماع منه.

سمع من الخطيب أبي الربيع بن سالم كثيرا من ذلك صحيح مسلم، وصحيح البخاري، والاكتفاء من تأليف أبي الربيع إلا قليلا من هذه الكتب فاته ولم يتعين ولم يجز له.

وسمع من متأخرين يكادون يكونون في عداد الأصحاب. فمن ذلك أنه.

قرأ على أبي إسحاق البلفيقي أحاديث الخضر وإلياس عن الأزدي، قراءة عن أبي الصبر أيوب بسنده. وسمع عليه أيضا الجزء المشتمل على الأحاديث التي تضمنت أربعة من الصحابة كل واحد منه يروي عن صاحبه. وسمع عليه حديث القلاقل: «عليك بالقلاقل، عليك بالقلاقل».

وكتاب اختصـار سيرة رسول الله ﷺ لابن فـارس. قرأ على أبى إسحاق بعضه، وأخذ عنه باقيه مناولة، عن أبى زكرياء بن عصفور، عن ابن الملجوم، عن ابن العربى.

وقرأه أيضا على أبى العباس أحمد بن عثمـان بن عجلان القيسى وحـدثه به عـن أبى زيد عبد الـرحمن بن عبـد السلام القرشى الجمحى، عن شيخه أبى الخطاب بن دحية قراءة منه عليه، عن أبى القـاسم السهيلى، قراءة عن ابن العـزفى، عن أبى الفتح المقـدسى، عن أبى الفتح سليم بن أيـوب الـرازى قراءة عليه قال، نا أبو الحسين بن فارس. ومن روايته:

الأربعون حـديثا لسلمان الفارسى رضى الله عنــه. قرأهـا أبو محمد على ابن عجلان، حدثـه بها عن أبى زكرياء يحيى ابن أبى بكر بن عصفور، عن أخيه سماعا، عن التجيبى نزيل تلمسـان، عـن السلفـى بسنـده. وقـد أجازهـا التجيبـى لأبـى زكرياء.

وأخذ أبـو محمد لباس الخـرقة الصوفيـة عن أبى المكارم جمال الـدين محمد بن مسدى. وسمع عليه جميع المقـدمة من تأليفه المسماة بالمقدمـة المحسبة المحتسبة بتوصية ذوى الخرق المنتسبة. لقيه بمكة شرفها الله. وقرأ عليه الجزء الثالث من الفـوائد المسلسـلات الأسانيـد من تخـريجه؛ وأجاز لـه جميع ما يرويه عن جميع شيوخه.

وعوالى ابن الدباغ. قرأهـا أبو محمد على بن أبى عبد الله محمد بن أحمـد بن لب بن محمد الأنصارى بتـونس بجامع الزيتـونة. حـدثه بهـا عن الزاهـد أبى عبد الله بن قـاسم قراءة عليـه، عـن أبـى الخطـاب إجـازة يعـنى ابـن واجـب، عـن ابن الدباغ.

وقرأ على الشيخة الصالحة أم الحسن فاطمة بنت نعمة بن سالم الحميرى المصرية بعض كتاب الجمعة من سنن الشيخ الإمام أبى عبـد الرحمن أحمـد بن شعيب النسـائى رضى الله عنه. وأجـازت له جميع ما بقى منه، وأذنت لـه فى التحديث بجميع سماعاتها على الشرط المعتبر عند علماء الأثر.

وأجازه فى جميع ما يحمله ويرويه فى شهر ربيع الأول عام أربعة وأربعين وستمائة الشيخ المقرىء الأستاذ أبو عثمان سعد ابن على بن عبد الرحمن بن زاهر. وأجازه، بإفادة أبى إسحاق البلفيقى، علىُّ بن وهب بن مطيع المـالكى مـذهبا القشيرى نسبا يعـرف بابن دقيق العيد، وصـالح بن الحسين الجعفرى الزينبى، وجمال الدين محمـد بن يوسف المهلبى بن مسدى وسمع عليـه، وعبد اللطيف بن عبـد المنعم الحرانى، يـروى عن ابن كليب وعن أبى الفرج بن الجوزى، وعبـد الهادى بن عبـد الكريم بن على بن عيسى بن تميم القيسى، ومحمـد بن محمد بن عبد العـزيز التجيبى الشاطبى عرف بـابن الفصال، وعثمان بن عبد الرحمن بن عتيق بن حسين بن رشيق المالكى، يروى عن البوصيرى والأرتاحى وابن أبى الصيف.

وممن أجازه بـاستدعاء البلفيقى إسمـاعيل بن هبة الله بن عبد الله الفـارقى، وعثمان بن محمـد بن الزبيـر، ويعقوب بن أبى بكـر بن محمـد بن إبـراهيم الطبرى؛ ومحمـد بن عمر القسطلانى، ومحمد بن أحمد بن على القسطلانى، ومحمد ابن عمر بن خليل العسقلانى، وإسماعيل بن عبد الواحد بن إسمـاعيل العسقلانى، ومحمـد بن عبـد الله خـادم الشيـخ عبد الرحمن الفـاسى، وعبد الوهاب بن الحسـن بن عساكر، وإبراهيم بن عمر بن مضر الواسطى، وإسحاق بن أبى بكر بن محمـد الطبرى، وأحمـد بن قيمـاز بن عبد الله، ومحمـد بن الفضل بن إبـراهيم الحسنى (أورد ذكره بعـد بنسبة «الجـزرى» فليتأمل)، وأحمـد بن محمـد بن أبى القـاسم بن يـاسين بن محمد الـدمياطى عرف بابن قفل، وعبـد المحسن بن إبراهيم ابن فتوح، ويوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور، وأحمد ابن عبد الله بن عبـد الرحمن بن علوان، وأحمـد بن محمد بن عمر بن يوسف الأنصارى القرطبى.

ذكر جميع هؤلاء بعض أصحابنا المقيدين فى رسم شيخنا أبى محمد نفع الله بـه. وقد وقفت على خطـوط جيمعهم له. وتاريخ السـؤال فى ثمان رجب الفرد من عام ثمـانية وخمسين وستمائة. كتب وبأمـر أكثر من فيه عن هـذا التاريخ ثم ضمن السؤال جميع من أدرك حياتهم فى تاريخ هذه الإجازة وبعدها من أهـل العلم والطـالبين لـــه عن أهـل الأنـدلـس وأهل الإسكندرية وسبتـة ومراكش وغيرها من بـلاد المسلمين. قال ابن رشيد.

وممن أغفل هذا المقيد من الشيـوخ المخبرين له فى هذا الاستدعاء أبا اليُمن عبد الصمد بن عساكر، والجنيد بن عيسى ابن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان كتب من مكة، وعثمان بن

موسى بن عبد الله المصلّى بالحنابلة بالحرم الشريف، ومحمد بن سلطان بن عبد الرحمن من مدينة قوص، وأحمد بن عبد الله بن الظاهرى، وأحمد بن ياسين بن عبد الله الشافعى المتصدر بجامع قوص، ومحمد بن عبد الصمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن العجمى، ومحمد بن الفضل ابن إبراهيم الجزرى، وهو الذى قال فيه بعض أصحابنا: محمد بن الفضل بن إبراهيم الحسنى، وصحفه وكان الخط فيه إشكال: ويدعى جمال الدين. هكذا وجدته بخط البلفيقى: محمد بن الفضل الجزرى، لقيته بمدينة قوص فى سنة ستين. وأجاز له جماعة وافرة منهم: أبو اليمن الكندى، ومحمد بن أبى البقاء البغدادى، وعبد الرحمن بن أبى منصور ابن نسيم المقاسى، وعبد الصمد الحرستانى، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادى، وأبو البركات داود بن ملاعب، ومحمد بن عبد الغنى المقدسى، وعمر بن بدر بن سعيد، وأبو على الأوقى، وخلق كثير كتبناهم فى غير هذا الموضع.

ذكر ما أخذته عن شيخنا أبى محمد الخلاسى نفع الله به:

الكتاب المغنى عن الحفظ والكتاب تأليف عمر بن بدر الموصلى. قرأته عليه فى أحد ربيعى عام أربعة وثمانين بمنزله من مدينة تونس. حدثنى به عن الشيخ أبى مروان عبد الملك ابن عبد الملك بن عبد الملك بن الدليل الأنصارى قرأه عليه، حدثه به عن مصنفه.

قلت له: أخبركم الحاج المقرى أبو مروان عبد الملك بن عبد الملك بن عبد الملك الأنصارى الشقورى رحمه الله قراءة عليه ببلنسية جبرها الله قال، قال الشيخ الإمام الحافظ الناقد ضياء الدين أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلى الحنفى رضى الله عنه. وأنا قرأته عليه سنة ثلاث عشرة وستمائة ببيت المقدس قلت له قلتم رضى الله عنكم: «الحمد لله الذى لا أمد لمداه، ولا غاية لمنتهاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا إله سواه، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى الكافة، فكفهم عن الكفر وأكفهم كفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن وافقه على مقصده ومغزاه، صلاة دائمة إلى يوم يلقاه، وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعد...» ثم ذكر جميع الكتاب.

وهو كتاب صغير الحجم كثير العلم. ومؤلفه هو الإمام المحدث الحافظ ضياء الدين أبو حفص عمر بدر بن سعيد الموصلى الحنفى. توفى بدمشق يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وكان رحمه الله قد أجاز لكل من أدركته حياته. ونص إجازته:

[الوافر]

أجزت لمدركى فليروعنى ... سماعى والمناول والمجازه

وتصنيفى وما أرويه طرا ... على الشرط المراعى فى الإجازه

وهذا خطه عمر بن بدر ... وحمدل ثم صلى ثم جازه

حدث عنه بهذه الإجازة العامة الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد الغنى بن حكم رحمه الله واقتدى به فنظم أبياتا فى هذا المعنى وهى:

[مجزوء الوافر]

أبحت لمدركى عهدى ... روايـة كل ما عندى

وما أقرئت أو أسمعت ... من هزل ومن جد

وما نوولته وأجزته ... فيزاد فى العد

فإن سعيدا الحكمى ... يهديه لمستهد

وتصحيح الذى يروون ... عنى غاية القصد

وبالله اعتمدت على ... أمورى كلها جهدى

وتوفى رحمه الله فى شهر رمضان فى السابع والعشرين منه عام ثمانين وستمائة.

صفة سماع شيخنا أبى محمد الخلاسى نفع الله به:

«قرأ عليَّ الطالب النبيه الزكى الأكرم أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلاسى ـ جعله الله من أهل العلم وأئمته ـ هذا الكتاب المسمى بالمغنى عن الحفظ والكتاب تأليف الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الزكى الطاهر الفاضل صدر الدين عمر بن بدر بن سعيد الموصلى رضى الله عنه. وقد أجزت له أن يرويه عنى عن مؤلفه الشيخ المذكور. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما».

وهذا خطُّه: عبيد الله عبد الملك بن عبد الملك بن عبد الملك بن الدليل الأنصارى عفا الله عنه وعن جميع المسلمين هـ.

وكان مولد شيخنا أبى محمد الخلاسى عام عشرة وستمائة.

أنشدت بقراءتى على شيخنا أبى محمد الخلاسى قال، أنشدنا الشيخ أبو إسحاق ابن الفقيه أبى عبد الله بن إبراهيم ابن الحاج السلمى البلفيقى قال، أنشدنى أبو عبد الله بن فرحون السلمى قال، أنشدنى أبو عمران الزاهد لنفسه:

[البسيط]

إلمام كل ثقيل قد أضر بنا
أروم نقصهم والشىء يزداد
ومن يخف علينا لا يلم بنا
وللثقيل مع الساعات ترداد

وأنشدت عليه بلفظى قال، أنشدنى أبو إسحاق قال، أنشدنى أبو بكر بن قسوم لنفسه:

[مجزوء الكامل]

قَرُبَ الطريق على امرىء
كان الإله دليله
لا يهتدى من لم يكن
يهدى الإله سبيله

وأنشدهما لى أبو عبد الله بن حيان قال، أنشدنا أبو إسحاق قال، أنشدنا أبو بكر وقد سألته عن أحسن ما قال.

وأنشدت عليه بلفظى قال، أنشدنا أبو إسحاق قال، أنشدنا أبو بكر بن قسوم لنفسه:

[المجتث]

تبا لفرقة قوم
لا ينتمون لمذهب
إذا تزندق وغدٌ
قالوا: فلان تهذب

وأنشدت على أبى محمد قال، أنشدنا أبو الحجاج يوسف ابن حجاج بن يوسف المحمدى قال، أنشدنا الشيخ أبو العباس هو أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتى رضى الله عنه قال، أنشدنى أبو الحسين يحيى بن محمد بن الصائغ قال، أنشدنا أبو القاسم بن بشكوال قال، أنشدنا أبو محمد بن عتاب قال، أنشدنى أبى قال: كان بعض علمائنا يقول إذا رأى أصحاب الحديث:

[الكامل]

أهلا وسهلا بالذين أحبهم
وأودهم فى الله ذى الآلاء
أهلا بقوم صالحين ذوى تقى
غر الوجوه وزين كل ملاء
يسعون فى طلب الحديث بعفة
وسكينة وتوقر وحياء
لهم الجلالة والمهابة والنهى
وفضائل جلت عن الإحصاء
فمداد ما تجرى به أقلامهم
أزكى وأفضل من دم الشهداء
يا طالبى علم النبىء محمد
ما أنتم وسواكم بسواء

نا أبو محمد الخلاسى قراءة منى عليه قال، نا أبو إسحاق البلفيقى وأبو العباس بن عجلان قراءة عليه، عن أبى زكرياء ابن عصفور قال، أنا أبو القاسم عبد الرحيم بن عيسى رحمه الله فيما كتب به إلى، عن أبى الفضل عياض قال، نا أبو على الصدفى رضى الله عنه قال، قرأت على أبى بكر الطريثيثى، أخبركم أبو القاسم هبة الله بن الحسين، أنا على بن محمد، أنا الحسن هو ابن صفوان، نا عبد الله هو ابن أبى الدنيا، نا أبو الحسن أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى، نا إسماعيل بن أبان العامرى، نا سفيان الثورى، عن طارق بن عبد العزيز، عن الشعبى قال:

«لقد رأيت عجبًا. كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر

وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان. فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليمانى وليسأل الله حاجته فإنه يعطى من سعته.

قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود ولد فى الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليمانى ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ أن لا تميتنى من الدنيا حتى تولينى الحجاز ويسلم علىَّ بالخلافة. وجاء حتى جلس.

فقالوا: قم يا مصعب بن الزبير. فقام حتى أخذ بالركن اليمانى ثم قال: اللهم إنك رب كل شىء وإليك يصير كل شىء، أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تميتنى من الدنيا حتى تولينى العراق، وتزوجنى سكينة بنت الحسين. وجاء حتى جلس.

وقالوا: قم يا عبد الملك بن مروان، فقام وأخذ بالركن اليمانى، فقال: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النبت بعد الفقر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتنى من الدنيا حتى تولينى مشرق الأرض ومغربها، ولا ينازعنى أحد إلا أتيت برأسه. ثم جاء حتى جلس.

ثم قالوا: قم ياعبد الله بن عمر. فقام حتى أخذ بالركن اليمانى فقال: اللهم إنك رحمن رحيم، أسألك برحمتك التى سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك، أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة».

قال الشعبى: فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل، وبشر عبد الله بن عمر بالجنة ورئيت له».

أخبرنى الشيخ الصالح أبو محمد الخلاسى قراءة منى عليه بمنزله فى شهر ربيع الآخر عام أربعة وثمانين وستمائة قال، أخبرنا العدل الفاضل الثقة أبو عمرو عثمان بن سفيان بن عثمان بن يحيى التميمى التونسى رضى الله عنه سماعا منى عليه بقراءة أبى عبد الله بن حيان قال: أنا الإمام الحافظ شرف الدين حجة الشريعة أبو الحسن على بن المفضل المقدسى قال، إن الإمام الحافظ سيف السنة فخر الأئمة أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى قال، أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الحطاب الرازى، أنبأنا الهمذانى، أنا أبو بكر محمد بن جميل، نا أبو حفص عمر بن على العتكى، نا محمد إسماعيل الديلمى بيروت، نا عبد الرحمن بن القاسم الدمشقى، نا يحيى بن صالح الوحاظى، نا حفص بن عمر، نا أبان، عن أنس قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من تحت العرش يسمع الخلائق كلها: يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض».

(ورد هذا الحديث من طريق أنس بلفظ غير لفظه مرفوعا فى الأوسط: «إذا التقى الخلائق يوم القيامة فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار نادى مناد يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علىّ». ابن سليمان: ٢، ٧٥٣، ١٠٠٨، وورد بمعناه أيضا من طريق الخطيب عن ابن عباس وعن الحسن فى الأول بلفظ: «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من بطنان العرش ليقم من على الله أجره فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه»، وورد الثانى مرسلا بلفظ: «إذا كان يوم القيامة جمع الناس فى صعيد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصير فيقوم مناد من عند الله فيقول ليقم من له على الله يد فلا يقوم إلا من عفا». السيوطى جمع الجوامع ١ / ٧٩).

واخبرنى أبو محمد قال، أخبرنى أبو عمرو قال، أنا أبو الحسن قال، نا أبو الطاهر قال، نا الرازى، أنا أحمد بن على بن هشام المقرىء بمصر، (التحقيق هاشم لا هشام كما سينبه على ذلك ابن رشيد. وهو تاج الأئمة مقرىء الديار المصرية أبو العباس أحمد بن على بن هشام المصرى ت ٤٤٥ هـ ــ ١٠٥٤ م) قرأ على عمر بن عراك وأبى عدى وجماعة، فى رحلته على أبى الحسن الحمامى. الذهبى العبر ٣ / ٢٠٨) أنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب (هو راوى المجالسة عن الدينورى (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢م) الذهبى: (العبر / ٣/ ٥٢).

نا أحمد بن أحمد بن مروان بن محمد المالكى، نا زكريا ابن عبد الرحمن البصرى قال، سمعت أحمد بن شعيب يقول:

«كان عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبى ﷺ:

«إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم».

وفى المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزىء بالحديث. فقال والله لأفطرن غدا نعلى فأطأ بها أجنحة الملائكة. قال: ففعل ومشى فى النعلين فجفت رجلاه جميعا، ووقعت فى رجليه جميعا الأكلة».

(هذا جزء من حديث طويل رواه أبو الدرداء مرفوعا، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنه، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وأن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائرالكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى. وقال الترمذى لا يعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس إسناده عندى بمتصل، وإنما يروى عن عاصم ابن رجاء بن حيوة عن داد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ وهذا أصح. وورد أيضا من طرق أخرى. فرواه الأوزاعى عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه، ورواه الأوزاعى أيضًا عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير بن قيس عنه. وقال البخارى وهذا أصح. وللمنذرى حديث طويل فى الاختلاف الوارد فى هذا الحديث ذكره فى كتاب مختصر السنن. ابن سليمان. المنذرى١ / ٣٧، ١٩٥، الترغيب ١ / ٩٤).

قلت: كذا عنده أحمد بن على بن هشام المقرىء، وإنما هو ابن هاشم على حسبما وقع فى نسخة الرازى، وعليها خطه وخط السلفى.

وأخبرنى أبو محمد قال، أخبرنى أبو عمرو قال، أنا أبو الحسن قال، أنا أبو الظاهر قال، أنا الرازى قال، سمعت أبا عبد الله الحسين بن على بن نعيم المصرى قاضى البرلس يقول عن بعض سكان البرلس قال:

«سمعت قائلا يقول ليلا من جانب البحر وينشد بيتين، فقصدت الصوت فلم أر أحدًا. فعلمت أنه هاتف هتف بالجو. وهما هذان البيتان:

[البسيط]

لولا رجال لهم ورد يقومونا
وآخرون لهم صوم يصومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا
لأنكم قوم سوء لا تتوبونا».

أنشدنى أبو محمد إذنا إن لم يكن قراءة، فإنى وجدتنى تركت بياضا قدر ما يسع (أنشدنى) واتصل به أبو محمد. وغالب ظنى السماع منه لهما، فإنهما كان أثناء المقروء عليه متصلين به. قال أنشدنى أبو عمرو قال، أنشدنى ابن المفضل لنفسه:

[البسيط]

يارب عفوك عن ذى زلة عظمت
به المهابة حتى لاذ بالكرم
إن لم يكن هو أهلا أن تسامحه
فإنه من جميل الظن فى حرم

وبالسند إلى ابن المفضل لنفسه:

[المنسرح]

يا حبذا الصالحون إنهم
فى سبل الصالحات قد سلكوا
إن لم أكن قد فعلت ما فعلوا
فليتنى قد تركت ما تركوا

مسلسل شهدت:

شهدت على أبى محمد الخلاسى قال، شهدت على الشيخ الفقيه التقى أبى الحجاج يوسف بن حجاج بن يوسف قال، شهدت على الشيخ الحافظ العلامة أبى العباس أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتى قال، شهدت على أبى الحسن يحيى بن محمد قال، شهدت على أبى القاسم خلف بن عبد الملك قال، شهدت على القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد العزيز رحمه الله قال، شهدت على أبى عبد الله محمد بن سعدون قال، شهدت على أبى بكر محمد بن على قال، شهدت على أبى

عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى قال، شهدت على أبى بكر محمد بن داود الصوفى قال، شهدت على ابن الحسن بن سلم قال، شهدت على يحيى بن حكيم أنه قال، شهدت على أبى قتيبة أنه قال، شهدت على أبى زهير بن خيثمة أنه قال، شهدت على عبد الملك بن أبى بشر قال، شهدت على عكرمة أنه قال، شهدت على ابن عباس أنه قال، شهدت على أبى بكر الصديق أنه قال:

«كُلِ السمك الطافى» (يلتقى هذا المسلسل بالذى عند ابن الجوزى فى أشهد على زهير بن خيثمة قال أشهد على عبد الملك بن بشير إلى منتهاه. ونص الحديث المسلسل عند ابن الجوزى: السمك الطافى حلال لمن أراد أكله انظر ابن الجوزى. الحديث ٥٢، ٢١ ب ـ ١٢٢).

كان عند الشيخ: شهدت على ابن الحسن، والصواب شهدت عليَّ بن الحسن بن سلم. وفى بعض نسخ الحاكم علّى عليِّ بن الحُسَيْن على التصغير. وعنده فى السند زهير ابن خيثمة، والصواب زهير بن أبى خيثمة وكذا فى كتاب الحاكم. وعنده عبد الملك بن أبى بشر وعند الحاكم ابن أبى بشير وهو الصواب، وما عند الشيخ وهم. وهو عبد الله بن المساور، حدث عنه ليث بن أبى سليم والثورى وأبو مالك النخعى قاله الأمير فى كتابه أبو بشير ـ بفتح الباء وكسر الشين (ابن ماكولا ١ / ٢٩١).

أنشدت على أبى محمد الخلاسى ـ قرأت على الشيخ أبى الحجاج ونقلته من أصله قال، أملى علينا الشيخ الفقيه الزاهد أبو العباس رضى الله عنه قال، أنشدنى أبو الحسين يحيى بن محمد قال، أنشدنى أبو القاسم خلف بن عبد الملك قال، أنشدنى أبو محمد بن عتاب قال، أنشدنى أبو عمرو عثمان بن أبى بكر قال، أنشدنى أبو نعيم الحافظ قال، أنشدنى أبو محمد الحبابرى قال، أنشدنى ابن المعتز لنفسه:

[مجزوء الكامل]

ما عابنى إلا الحسود
وتلك من خير المعايب
والخير والحساد مقرو
نان إن ذهبوا فذاهب
وإذا ملكت المجد فلم تمـ
ـلك مذممات الأقارب
وإذا فقدت الحاسديـ
ـن فقدت فى الدنيا الأطايب

هذه القطعة من قصيد طالعه:

ق عضنى صرف النوائب
ورأيت آمالى كواذب

وفى آخره وردت الأبيات بغير الوجه الذى سيقت به هنا وهى فى الديوان بهذا النص:

ما عابنى إلا الحسود
وتلك من أسنى المناقب
وإذا ملكت المجد لم
تملك مودات الأقارب
والمجد والحساد مقرونا
ن إذ ذهبوا فذاهب

هكذا وبعد البيت الذى أورده ابن رشيد ثلاثة أبيات أخرى. انظر ابن المعتز: ٢٥٥، الباب السادس فى المعاتبات).

وأنشدت على أبى محمد الخلاسى، أنشدنا أبو الحجاج قال، أنشدنا شيخنا الزاهد أبو العباس قال، أنشدنا شيخنا أبو الحسين بن الصائغ قال، أنشدنى أبو الطاهر السلفى لنفسه فى شرف الحديث وأهله:

[الوافر]

إذا ذكرت بحار العلم يوما
فقول المصطفى لا غير بحرى
هو البحر المحيط وما سواه
فأنهار صغار منه تجرى

قلت: لم يلق ابن الصائغ السلفى. وروايته عنه بالإجازة. وإنما يروى باللقاء عن محمد بن عبد الرحمن التجيبى نزيل تلمسان. وهو فى عداد أصحاب السلفى.

مسلسل: الأسودين التمر والماء:

أضافنا الشيخ أبو محمد الخلاسى بتونس حرسها الله على الأسودين التمر والماء وحدثنى بالحديث قال، أضافنا الشيخ الإمام شرف الحفاظ أبو المكارم جمال الدين محمد بن مسدى بمكة زادها الله شرفا على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسى بقرافة مصر على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذانى بها على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو بكر هبة الله بن الفرج الكاتب على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو جعفر محمد بن الحسين بن أحمد الصوفى على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو الحسن على بن الحسن الواعظ على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو شيبة أحمد بن أحمد بن إبراهيم المخرمى بالبردان على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا جعفر بن محمد بن عاصم الدمشقى على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا نوفل بن إهاب على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا عبد الله بن ميمون القداح على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا جعفر بن محمد الصادق على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى محمد بن على الباقر على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى على بن الحسين على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى الحسين بن علىّ علّى الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى على بن أبى طالب على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى رسول الله ﷺ على الأسودين التمر والماء. ثم قال:

«من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم عليه السلام، ومن أضاف مؤمنين فكأنما أضاف آدم وحواء عليهما السلام، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، ومن أضاف أربعة فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الصلوات الخمس فى جماعة من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة أغلقت عنه أبواب جهنم، ومن أضاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن أضاف تسعة كتب الله تعالى له حسناته بعدد من عصاه من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صام وصلى وحج واعتمر إلى يوم القيامة (نبه الأمير فى ثبته على وجوب الاحتراز من أمثال هذه المسلسلات وذلك بنقل كلام الشيخ عبد الله البصرى الذى يرويه عن شيخ مشائخه أحمد الصباغ السكندرى إذ قال الأول ما نصه: انظر مرتبة هذا الحديث ومن أخرجه من أهل الكتب المعتبرة فإنى هبت أن أسال أستاذى عنه فى وقته ونسيت بعده مع حرصى على السؤال عنه منذ أخذته ا. هـ قال الأمير: أقول ذكروا أن هذه المبالغات موجبات للطعن خصوصا مع ذكر الملائكة فى الضيافة وهم لا يأكلون ولا يشربون. فإن صح فهو خارج مخرج الفرض والتقدير وذهب السخاوى إلى تأكيد ذلك بقوله: لوائح الوضع عليه ظاهرة ولا أستبيح ذكره إلا مع بيانه، وقال الشيخ فالح الظاهرى غير ذلك مما يحمل على قبوله. الفادانى ١٨٥، ١٨٦).

قال ابن مسدى: هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده، تفرد به عبد الله بن ميمون القداح، وكان متهما. يقال كان يضع الحديث عليه. لا نعلمه إلا من هذا الوجه والله أعلم.

وسنة تقديمه ﷺ التمر والماء إذا لم يحضر غيرهما صحيح المعنى بشهادة الآثار الواردة عن مصادره الظاهرة لأنهما كانا غالب قوته لأن رفاهية حال أهل بيته فى المدينة ﷺ.

قال ابن رشيد وفقه الله كتبت أصل الحديث ونحن براء من عهدته، وآثار الوضع تلوح على صفحته. ونعوذ بالله من التقول عليه ﷺ.

مسلسل: أطعمنا وسقانا:

حديث أطعمنا وسقانا على شرطه من السلسلة

(بالهامش بخط يحيى ابن المؤلف بأعلى الصفحة: «الحمد لله سلسلته مع مولاى الوالد أبقاه الله تعالى بشرطه»).

أنا الفاضل أبو محمد بتونس حرسها الله وأطعمنا وسقانا قال، أنا الحافظ أبو المكارم جمال الدين محمد بن مسدى بمكة وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو سليمان داود بن سليمان الحوطى وأبو عمرو عثمان بن الحسن الكلبى وأطعمانى وسقيانى قالا، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب المقرىء وأطعمنا وسقانا قال، أنا القاضى أبو مروان بن مسرة وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو القاسم بن صواب المقرىء

وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمى وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو القاسم بن بندار وأطعمنى وسقانى قال، نا محمد بن الحسين المؤدب وأطعمنى وسقانى قال، نى أبو الحسن محمد بن الحسن الرازى وأطعمنى وسقانى قال، نا أبو الحسن محمد بن على ابن النعمان البزاز بإطرابلس وأطعمنى وسقانى قال، نا أحمد ابن يونس بمصر وأطعمنى وسقانى قال، نا عمى وكانت فى داره وأطعمنى وسقانى قال، نا زاذان النحوى وأطعمنى وسقانى، نا سفيان الثورى وأطعمنى وسقانى، عن مالك بن أنس وأطمعنى وسقانى، عن نافع وأطعمنى وسقانى، عن عبد الله بن عمر وأطعمنى وسقانى، قال:

«كنت فى دار عائشة وكان النبى ﷺ حاضرا فيها فأكلت مع النبى ﷺ تميرات أتى بها رجل من الأنصار إذ أقبل بوجهه وقال: يا عبد الله عليك بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، واترك الكذب أو لا تقل الكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وعليك بحسن الخلق فإن حسن الخلق من أخلاق أهل الجنة، وإن سوء الخلق من أخلاق أهل النار».

قال الخلاسى قال أبو المكارم أخبرناه أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الخبرى ومحمد بن أحمد الدلائى وأطعمانى وسقيانى قال كل واحد منهما، أنا أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى وأطعمنا وسقانا قال، أنا عبد الله بن محمد بن أحمد البردانى ببغداد وأطعمنى وسقانى قال، نا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفى وأطعمنى وسقانى، نا أبو بكر محمد ابن الحسن بن إبراهيم بقزوين وأطعمنى وسقانى، نا أبو عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد بن المهلب الجرجانى وأطعمنى وسقانى، نا أبو الحسن محمد بن على ابن النعمان البزاز بإطرابلس وأطعمنى وسقانى، نا أحمد بن يونس بمصر وأطعمنى وسقانى قال، نا زاذان النحوى وأطعمنى وسقانى. وذكر بقية الإسناد والحديث على نحو ما تقدم. ولم يذكر بين أحمد بن يونس وزاذان النحوى واسطة كما تقدم فى الإسناد قبل. وأنه سقط من الكتاب والله أعلم.

قال ابن مسدى: وهذا حديث غريب من حديث مالك بن أنس عن نافع عن عبد الله بن عمر، ومن حديث سفيان بن سعيد الثورى عن مالك أغرب، ولا نعلمه إلا بهذا الإسناد.

قلت: ذكره كاك فى الإطعام والسقى. و فيه: نا أحمد بن يونس بمصر وأطعمنى وسقانى قال، حدثنى عمى وكنت فى داره وأطعمنى وسقانى. فقال كاك رحمه الله، أنا الشيخ الإمام أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطى وأطعمنى وسقانى قال، أنا القاضى أبو المظفر عباد إبراهيم النسفى وأطعمنى وسقانى. وذكره. وبينهما بعض اختلاف فى اللفظ لا فى المعنى (كاك هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن طاهر الحنفى عرف بكاك من أهل بخارى (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) عالم أديب فقيه صالح. روى عنه أبو القاسم بن عساكر وأجاز الحافظ أبا طاهر السلفى. ابن أبى الوفاء: ٢ / ١٠١، ٣٠٦).

مسلسل آخر ترداده. سمعت:

حديث آخر على نحو سلسلته. وفيه نوع آخر من التسلسل وهو ظهور السماع سمعت أبا محمد الخلاسى رضى الله عنه وأطعمنى وسقانى بتونس حرسها الله يقول، سمعت الحافظ أبا المكارم جمال الدين بن مسدى بمكة وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت الحكم أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأنصارى هو ابن اليتيم بالمرية وأطعمنى وسقانى وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم الفيروزاباذى بقرافة مصر وأطعمنى وسقانى، وأبا الفتوح ناصر بن عبد العزيز المغربى وأبا الفضل بن منير المقرىء منفردين بالإسكندرية وأطعمانى وسقيانى، وأبا الحسن بن العفيف الشارعى بمسجده وأبا القاسم بن يوسف الصوفى بالمعزية منفردين وأطعمنى وسقانى، وكل واحد منهم يقول، سمعت أبا طاهر أحمد بن محمد السلفى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا على الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد بأصبهان وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا سعد إسماعيل بن على الرازى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبى سعد أحمد بن محمد ابن أحمد المالينى وأطعمنى وسقانى.

ح وسمعت أبا عبد الله التميمى وأطعمنى وسقانى وأبا الحسن بن مختار وأطعمنى وسقانى، يقول لى كل واحد منهما، سمعت أبا طاهر السلفى وأطعمنى وسقانى قال، سمعت أبا على الحداد وأطعمنى وسقانى قال، سمعت أبا بكر أحمد بن الفضل بن محمد الباطرقاى (هو عند الذهبى

«الباطرقاني» ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) وأطعمني وسقاني قال : سمعت أبا سعد الماليني وأطعمني وسقاني يقول ، سمعت أبا علي منصور بن عبد الله بن خالد وأطعمني وسقاني يقول ، سمعت محمد بن إسحاق بن إبراهيم السمرقندي وأطعمني وسقاني يقول، سمعت أبا علاثة محمد بن عمرو بن خالد وأطعمني وسقاني يقول، سمعت سيف بن محمد وأطعمني وسقاني يقول، سمعت إبراهيم بن الجراح وأطعمني وسقاني يقول، سمعت أبا يوسف القاضي وأطعمني وسقاني يقول ، سمعت أبا حنيفة النعمان بن ثابت وأطعمني وسقاني يقول ، سمعت حماد بن أبي سليمان وأطعمني وسقاني يقول ، سمعت إبراهيم وأطعمني وسقاني يقول، سمعت علقمة والأسود وأطعماني وسقياني يقولان . سمعنا عبد الله بن مسعود وأطعمنا وسقانا يقول :

«دعاني رسول الله ﷺ وأطعمني وسقاني» .

(ورد نص هذا المسلسل سمعت فلان وأطعمني وسقاني بنفس اللفظ مع سقوط «علي» من «أبا علي الحسن» عند ذكر الحداد . وورود لفظ التيمي أو اليتيمي بدل التميمي في «أبا عبد الله التميمي» والسهو والخطأ والتردد فيهما من النسخ . انظر ابن مسدي : ١١٧٤، ١١٧٥) .

قال الحافظ أبو بكر بن مسدي : هذا حديث غريب من حديث أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي ، عن حماد ابن أبي سليمان، عن إبراهيم . وهو إسناد كوفي تفرد به أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري القاضي صاحب أبي حنيفة عنه ، لا نعلمه إلا من رواية سيف بن محمد عن إبراهيم ابن الجراح عنه . وقد رواه أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الحافظ الأصبهاني عن أبي سعد الماليني بمثله . وقال بإثره كذا في كتابي : سيف بن محمد . والصحيح سند بن محمد ابن سند . انتهى قوله . وكلاهما عندي مجهول والله ولي التوفيق ، انتهى كلام الحافظ ابن مسدي .

وما قاله من أن الرجلين مجهولان كلاهما فليس كذلك . ففي الرواة ممن يحتل هذه الطبقة سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عن الثوري وعاصم الأحول والأعمش . قال أحمد : هو كذاب يضع الحديث ليس بشيء، وقال مرة : لا يكتب حديثه ليس بشيء . وقال يحيى : كان كذابا خبيثا ، وقال مرة : ليس بثقة . وقال أبو داود : كذاب وقال زكرياء الساجي : يضع الحديث . وقال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون متروك . وقال الدارقطني : ضعيف متروك حكى هذا كله في اسم هذا الرجل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي .

مسلسل الجبن والجوز:

حديث آخر مسلسل : دخلت على أبي محمد الخلاسي بتونس فقرب جبنا وجوزا فقال كل بسم الله ، فإني دخلت على الحافظ أبي المكارم جمال الدين بن مسدي بمكة فقرب إليَّ جبنا وجوزا فقال كل بسم الله فإني دخلت على أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك فقرب إليَّ جبنا وجوزا فقال كل بسم الله ، فإني دخلت على أبي محمد المبارك بن علي البغدادي بمكة فقرب إلي جبنا وجوزا فقال كل بسم الله ، فإني دخلت على أبي بكر محمد بن عمر الحنفي يعرف بكاك فقرب إليَّ جبنا وجوزا فقال كل بسم الله ، فإني دخلت على أبي عمرو أحمد بن عمر المقرىء ببخاري فقرب إلي جبنا وجوزا فقال كل بسم الله ، فإني دخلت على أبي الحسن علي ابن محمد بن أحمد البلخي فقرب إلي جبنا وجوزا فقال كل بسم الله ، فإني دخلت على الأمير محمد بن هرون بن إبراهيم ابن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقُرب بين يديه جبن وجوز فقال كلوا بسم الله ، فإن يحيى بن أكثم القاضي قرب إليه جبن وجوز فقال كلوا بسم الله ، فإني دخلت على المأمون فرأيت بين يديه جبنا وجوزا فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! فقال نعم ، دخلت على أمير المؤمنين هارون ورأيته يأكل الجبن والجوز فسألته فقال ، دخلت على المهدي فرأيته يأكل الجبن والجوز فسألته فقال ، دخلت على المنصور فرأيته يأكل الجبن والجوز فسألته فقال ، رأيت أبي محمد بن علي يأكل الجبن والجوز فسألته فقال ، رأيت أبي علي بن عبد الله يأكل الجبن والجوز فسألته فقال ، رأيت أبي عبد الله بن عباس يأكل الجبن والجوز فسألته فقال ، رأيت أبي العباس بن عبد المطلب يأكل الجبن والجوز فسألته فقال :

«دخلت على رسول الله ﷺ فرأيته يأكل الجبن والجوز. فقلت : يا نبي الله جبن وجوز! قال نعم الجبن داء والجوز داء ، فإذا اجتمعا صارا دواء بإذن الله» .

(ورد هذا المسلسل بنفس اللفظ مع اقتران قلت بالفاء في جواب النبي ﷺ وبدون ذكر بإذن الله في نهايته انظر ابن مسدي : ١٧٦ أ ـ ب)

قال أبو بكر بن مسدى: هذا حديث غريب لا نعلمه إلا بهذا الإسناد. وقد رويناه مسلسلا بالسماع دون الفعل إلى يحيى بن أكثم ورفع السلسلة يحيى إلى أبى جعفر المنصور وعنعن باقيها والله أعلم.

سمعت بقراءتى على أبى محمد قال، سمعت أبا بكر بن مسدى قال، سمعت أبا بكر عتيق بن عبد الله التاجر بملتقى البحرين يقول، سمعت أبا محمد القاسم بن سعد بن منصور الحسنى بعدن أبين يقول، سمعت أبا العباس أحمد بن عثمان العارف يقول، سمعت القاضى أبا بكر الصدفى يقول، سمعت أبا أحمد الكاتب يقول، سمعت أحمد بن عمر المقرئ ببخارى سنة تسع وخمسمائة يقول، سمعت أبا الحسن على محمد البخلى يقول، سمعت أمير المؤمنين محمد بن هارون بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس يقول، سمعت يحيى بن أكثم القاضى يقول، دخلت على المأمون وذكر السلسلة بمثل ما تقدم إلى أبى جعفر المنصور. فقال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده العباس قال: «دخلت على رسول الله ﷺ». وذكر نحوه. تفرد بوصل سلسلته أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الحنفى المعروف بكاك كما تفرد شيخه بالحديث إسنادا ومتنا فيما نعلم والله أعلم.

قال الحافظ أبو بكر بن مسدى رحمه الله قوله: أمير المؤمنين محمد بن هارون غلط والصواب كما فى الإسناد قبل: الأمير محمد بن هارون.

قال محمد بن رشيد قد ذكر هذا الحديث فى مسلسل به: الشيخ المقرئ الأديب أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن طاهر البخارى الملقب بكاك. وفيه بعض خلاف لما وقع هنا فرأينا أن نورده زيادة فى الفائدة.

قال كاك رحمه الله: سمعت الشيخ الإمام أبا عبد الله إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسى إملاء بنيسابور قال، سمعت المشائخ الأئمة الحفاظ أحمد بن عبد الرحمن الحافظ المشاط وأبا بكر محمد بن إسماعيل القرشى وأبا صالح أحمد بن عبد الملك الحافظ رحمهم الله قالوا، سمعنا أبا الحسن على بن محمد المقرئ البغدادى قال، سمعت أبا الحسن على بن الحسن بن أحمد البلخى يقول، سمعت على ابن محمد المحتسب ببلخ يقول، سمعت أمير المؤمنين محمد بن هارون يقول، سمعت عبد الرحمن بن بشر يقول، سمعت يحيى بن أكثم يقول، دخلت على المأمون ورأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! قال نعم، دخلت على المهدى فرأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! قال نعم، دخلت على المنصور فرأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! قال نعم، حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن العباس رضى الله عنه قال:

«دخلت على رسول الله ﷺ فرأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يارسول الله جبن وجوز! قال نعم، الجبن داء والجوز داء فإذا اجتمعا صارا دواء أو قال شفاء».

قلت: حدث به الشيخ أبو الحجاج يوسف بن على القضاعى قال: نا الشيخ الإمام أبو عبد الله إسماعيل بن محمد بن عبد الغافر النيسابورى المذكور وذكر الحديث. وقول ابن مسدى فى أبى بكر كاك إنه تفرد بالحديث، فليس كذلك كما بيناه، وقوله: تفرد به شيخه ليس كذلك، فإنما الذى تفرد به على بن محمد البلخى الراوى عن محمد بن هارون وليس بشيخ له إنما هو فى سلسلة السند.

مسلسل: لقمنا لقمة لقمة:

دخلت على أبى محمد الخلاسى بتونس فلقمنى لقمة لقمة وقال، دخلت على الحافظ أبى المكارم جمال الدين ابن مسدى بمكة فلقمنى لقمة لقمة وقال، دخلت على أبى العباس أحمد بن إبراهيم التميمى فلقمنى لقمة لقمة وقال، دخلت على المبارك بن على بمكة فلقمنى لقمة لقمة قال، دخلت على إسماعيل بن أحمد الحافظ ببغداد فلقمنى لقمة لقمة قال، دخلت على أبى على ابن المسلمة فلقمنى لقمة لقمة قال، دخلت على أبى بكر محمد بن على بن إبراهيم الدينورى يعرف بالقارئ برصافة المهدى وكان شيخا صالحا فلقمنى لقمة لقمة ثم قال، دخلت على الحسين بن منصور الحلاج الدينورى فى منزله بالدينور فلقمنى لقمة لقمة ثم قال، دخلت على أبى بكر الشبلى فلقمنا لقمة لقمة ثم قال: كل ما فينا خير لعلنا أكلنا مع قوم صالحين فيهم خير فأصابنا من بركاتهم ثم قال، دخلت على الجنيد فلقمنا لقمة لقمة ثم قال: كل ما فينا خير لعلنا أكلنا مع قوم صالحين فيهم خير فأصابنا من بركاتهم فيصيبك من بركاتهم. انتهى.

(ورد هذا المسلسل ساقطا منه: «وقال دخلت على المبارك بن على بمكة فلقمنى لقمة لقمة» انظر ابن مسدى: ١٧٧).

مسلسل: احتفى فى الضيافة واحتفل:

أضافنا الشيخ الصالح أبو محمد الخلاسي نفع الله به بتونس في منزله فاحتفى واحتفل في تاسع شهر ربيع الآخر من عام أربعة وثمانين وستمائة قال، أضافنا أبو بكر بن مسدى بمكة فاحتفى واحتفل وقال، أضافنا الأسعد بن المقرب الحافظ بثغر الإسكندرية في منزله فاحتفى واحتفل ثم قال، أضافني شيخنا أبو الحسن بن أبي المكارم الحافظ فاحتفى واحتفل وأنشدني لنفسه:

[الطويل]

إذا قـــدم الضيف اغتنمت قـــدومـــه
ولم أك يـــومـــا عنـــه بـــالغـــافل الـــلاهي
وذلك أن الله يـــــرزقنـــا معــــا
وأن ثنـــــــاء الضيـــف مـــن نعـــم الله

قال أبو بكر بن مسدى: كتب إلينا الحافظ أبو الحسن علي بن أبي المكارم المقدسي وأضافني الأسعد بن المقرب.

مسلسل الوتر:

قرأت على أبي محمد الخلاسي نفع الله بن قال، أملى علي الشيخ الفقيه التقي أبو الحجاج يوسف بن حجاج بن يوسف قال، أملى علينا الشيخ الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتي رضي الله عنه قال، أنا أبو الحسين يحيى بن محمد قراءة مني عليه قال، أنا القاضي أبو القاسم خلف بن عبد الملك قال، أنا صاحبنا أبو الفرج عبد الله بن يحيى الفهري قراءة مني عليه وسماعا مرارا قال، أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي بالإسكندرية قال، أجاز لي أبو محمد عبد الله بن الوليد الفقيه بمصر مشافهة وأخبرنا به عنه أبو عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي الأندلسي، نا أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدَيْ القيسي (عند الرازي «سعدِي» بكسر الدال المهملة» نا أبو الفرج الحسن بن القاسم الصدفي قال، نا فضل بن الحسن بن محمد المعافري قال، نا أبو مسافر قال، نا أبو يونس محمد بن يزيد بالمدينة قال، نا أبو مصعب قال:

«تقدم مالك بن أنس يصل الصفوف فإذا الحسين بن عبد الله بن ضميرة. فقال له مالك: حدثني حديث أبيك عن جدك عن علي رضي لله عنه في وتر رسول الله ﷺ. قال: «كان النبي ﷺ يوتر بثلاث. يقرأ في الأولى بالحمد لله رب العالمين وقل هو الله أحد، وفي الثانية بالحمد لله وقل هو الله أحد، وفي الثالثة بالحمد لله وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس. فقال مالك: الحمد لله الذي وافى وترى وتر رسول الله ﷺ».

قال أبو مصعب: فما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من مالك، وقال أبو يونس: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعت أبا مصعب، وقال أبو مسافر: ولا تركت ذلك في وترى منذ سمعت أبا يونس، وقال فضل: ولا تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي مسافر، وقال أبو الفرج: ما تركت ذلك منذ سمعته من فضل، وقال أبو عمر: ما تركت ذلك منذ سمعته من أبي الفرج، وقال أبو محمد بن الوليد: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي عمر، وقال محمد بن الفرج: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من ابن الوليد، وقال محمد ابن إبراهيم الرازي: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من محمد بن الفرج، وقال أبو الفرج: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي عبد الله الرازي، وقال أبو القاسم: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي الفرج، وقال أبو الحسين: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي القاسم، وقال أبو العباس: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي الحسين، وقال أبو الحجاج: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من أبي العباس، وقال أبو محمد: ما تركت ذلك في وترى منذ سمعته من الشيخ أبي الحجاج، قال محمد بن رشيد أرشده: الله ما تركت في وترى منذ سمعته من أبي محمد وقبل ذلك. والله يرزقنا الاتباع ويجنبنا الابتداع بمنه (هذا المسلسل أورده عياض. الغنية / ١٧ أ ـ ١٧ ب)

مسلسل: إني أحبك أوصيك يا معاذ:

أنا الشيخ الصالح أبو محمد الخلاسي قراءة عليه وكتب به إلي بعد ذلك بسنده ومتنه ــ قال صاحبنا أبو العباس الأشعري كتبته لكم من إملاء الشيخ أبي محمد في داره بأمره وعارضته. قال أبو العباس ونقلته من جزء مسلسلات ابن تامتيت ـ قال قرأت على الشيخ الفقيه الورع أبي الحجاج يوسف بن حجاج بن يوسف المحمدي في عام ثلاثة وأربعين وستمائة بمدينة الجزائر حرسها الله قال، نا الفقيه الزاهد التقي

أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتي قال، أنا الفقيه أبو الحسين وقرأته عليه قال، أنا الفقيه أبو القاسم قال، أنا الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي أكرمه الله قال، أنا أبو علي حسين بن محمد الغساني قال، نا أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري قال، نا أبو العباس الرازي قال، نا سليمان بن أيوب الطبراني قال، نا بشر بن موسى قال، نا عبد الله بن يزيد المقرئ قال، نا حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن، عن الصنابحي، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فقال: يا معاذ والله إني لأحبك. فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن. وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبة، وأوصى به عقبة حيوة، وأوصى به حيوة المقرئ، وأوصى به المقرئ بشرا، وأوصى به بشر الطبراني، وأوصى به الطبراني الرازي، وأوصى به الرازي العذري، وأوصى به العذري أبا علي، وأوصى به أبو علي أبا عبد الله، وأوصى به أبو عبد الله أبا القاسم، وأوصى به أبو القاسم أبا الحسين، وأوصى به أبو الحسين أبا العباس، وأوصى به أبو العباس أبا الحجاج، وأوصى به أبو الحجاج أبا محمد الخلاسي، وأوصى به أبو محمد الخلاسي محمد بن عمر بن محمد بن رشيد وفقه الله وأرشده، ودعا له أجاب الله دعاءه. وأبو القاسم المذكور في هذا الحديث هو ابن بشكوال، وأبو الحسين هو الزاهد الورع المشهور يحيى بن محمد بن الصائغ رحمه الله. وهذا الإسناد كله رجاله ثقات أعلام، كل منهم غني عن التعريف به والإعلام. والصنابحي هو أبو عبد الله واسمه عبد الرحمن بن عُسيلة.

قلت: وقد سلسلته مع صاحبنا أبي عبد الله محمد بن حيان الشاطبي المُكْتِب وسمعته من لفظه في الثامن والعشرين لشهر ربيع الأول عام أربعة وثمانين وستمائة قال، نا أبو عبد الله القضاعي هو الأبار قراءة منه عليَّ بلفظه من خطه قال، حدثني قريبي أبو سليمان داود بن حوط الله بلفظه قال، نا أبو القاسم بن بشكوال قال، أنا الفقيه العدل أبو عبد الله محمد ابن أحمد التجيبي وذكره على ما تقدم. وأوصى به أبو القاسم أبا سليمان، وأوصى به أبو سليمان أبا عبد الله القضاعي، وأوصى به القضاعي أبا عبد الله بن حيان، وأوصى به ابن حيان محمد بن رشيد وفقه الله.

وهذا الإسناد أعلى درجة ومسافة. والأول أعلى صفة لفضل رجاله دينا وصلاحا أنال الله من بركاتهم ونفع بصالح دعواتهم.

قلت: وافق عبد الله بن يزيد المقرئ على روايته لهذا الحديث بشرطه من السلسلة بالوصية الحكم بن عبدة قال، أخبرني حيوة بن شريح قال، أخبرني عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحبلي.

قلت: وعبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المعافري الحبلي الشامي يعد في المصريين روى عن أبي ذر الغفاري وأبي سعيد الخدري وأبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاصي وغيرهم من الصحابة. وكان رجلا صالحا فاضلا. أخرج له مسلم وغيره. وهو ثقة. قاله يحيى وابن صالح وغيرهما. ذكره ابن خلفون بهذا.

وعقبة بن مسلم التجيبي المصري يكنى أبا محمد إمام المسجد الجامع بمصر روى عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو ابن العاص وعقبة بن عامر الجهني وعبد الله بن الحارث بن جزء وعن جماعة من التابعين: منهم أبو عبد الرحمن عبد الله ابن يزيد المعافري الحبلي. أخرج له أبو داود وغيره. وهو ثقة قاله ابن صالح وابن عبد الرحيم وغيرهما، ذكر هذا التعريف به الحافظ أبو عبد الله محمد بن خلفون أيضا.

وحيوة بن شريح بن صفوان بن مالك بن الحارث أبو زرعة الحضرمي ويقال التجيبي، ويقال الكندي المصري. أخرج له خ م. وهو ثقة روى عن عقبة بن مسلم ويزيد بن أبي حبيب المصريين وغيرهما ا. هـ.

وعبد الله بن يزيد العدوي المقرئ أبو عبد الرحمن روى عنه البخاري. فقيه ثقة صدوق في الحديث.

وبشر بن موسى أبو علي الأسدي بن صالح بن شيخ بن عميرة. حدَّث عن أبي بكر عبد الله بن الحسن بالمَسِيد. وحدَّث عن جماعة منهم عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي وأبو نعيم الفضل بن دكين. حدَّث عنه أبو علي محمد بن

أحمد بن الحسن الصواف، وسليمان بن أحمد الصبراني ... وأبو... بن حمدان القطيعي وأبو... الشافعي (كلمات مطموسة في المخطوط)سئل عنه الدارقطني فقال ثقة . وقال أيضا بشر بن موسى الأسدي . ثقة نبيل . توفي رحمه الله يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين . ومولده سنة تسعين أو إحدى وتسعين ومائة . كان يتردد في ذلك . حدث عنه بهذا الحديث أبو علي الصواف وأبو القاسم الطبراني . حدث به عنهما مسلسلا أبو نعيم .

قلت والله المرشد مثل هذا المسلسل ينبغي أن يعتمد عليه وتشد اليد له، ويرغب في اتصال سنده وبركته . وقد أخرجه عبد بن حميد في مسنده المنتخب فقال : نا عبد الله بن يزيد، نا حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ بن جبل قال :

«أخذ رسول الله ﷺ بيدي يوما . فقال : يا معاذ إني لأحبك لله . قال معاذ : بأبي أنت وأمي والله إني لأحبك فقال رسول الله ﷺ : يامعاذ لا تدع أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» .

وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى الصنابحي أبا عبد الرحمن، وأوصى أبو عبد الرحمن عقبة بن مسلم وفيه التسلسل عنده إلى عقبة فقط .

وأخرجه أبو داود في الصلاة، عن عبيد الله بن عمر القواريري عن المصري . ورواه النساء عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن حيوة وفي اليوم والليلة عن محمد ابن عبد الله بن يزيد، عن أبيه، عن حيوة .

ومن مسموعات شيخنا أبي محمد الخلاسي رحمه الله جميع القواعد للقاضي أبي الفضل عياض سمع جميعها على أبي العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القياسي قال أبو العباس، أخبرته بها عن أبي زكرياء بن عصفور إجازة، عن الحجري إجازة، عن المؤلف رحمه الله .

قال شيخنا أبو محمد : وقرأت بعضها على أبي إسحاق البلفيقي ، وناولني جميعها وحدثني بها عن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله عطية القيسي عن أبي محمد عبد الله بن الحسن القرطبي عن السهيلي، عن المؤلف .

قال أبو إسحاق : وقرأتها على الشيخ الصالح أبي إسحاق ابن هاشم القيسي، عن أبي الحجاج ابن الشيخ قراءة، عن أبي إسحاق بن قرقول قراءة، عن مؤلفها سماعا أو قراءة .

قال أبو إسحاق : وحدثني بها أبو العباس العزفي وجماعة عن الحجري .

قال أبو إسحاق : وكذلك سمع على أبو محمد الخلاسي بعض الموطأ رواية يحيى، وبعض الشهاب، وبعض شمائل الترمذي، وبعض الأربعين لأبي نعيم الكبرى (لعله يريد بالكبرى كتاب الأربعين حديثا على مذهب أهل السنة تفرقة بينها وبين الأربعين حديثا على مذهب الصوفية لأبي نعيم الأصفهاني نفسه (ت ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م) انظر ابن خير / ١٥٨ السبكي ٤ / ١٨ ـــ ٢٥، ٢٥٣)، وبعض الأربعين للثقفي للحافظ أبي عبد الله القاسم بن الفضل الأصبهاني، وبعض الأربعين للآجري (لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري) وسمع عليّ جميع المصافحة لابن العربي، وثلاثيات البخاري، وحديث اللص . وأجاز له أبو إسحاق جميع ما روى وألّف بأي وجه رواه . انتهى .

لباس الخرقة :

ومما قرأته على شيخنا أبي محمد المقدمة المحسبة المحتسبة بتوصية ذوي الخرق المنتسبة لأبي بكر بن مسدي بسماعه على جامعها أبي بكر. وليس منه وألبسني الشيخ أبو محمد طاقية على رأسي كما لبس من شيخه أبي بكر.

ونص المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على النبي محمد الكريم وعلى آله وسلم تسليما يقول أضعف خلق الله خادم السنة النبوية وأهلها أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدي وفقه الله للاقتداء بآثارها والاهتداء بأنوارها :

أما بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده ، وعلى آله وأنصاره وجنده، فهذه مقدمة أذكر فيها بعض شيوخي الذين أعول عليهم، وأستند في طريق الخرقة المباركة إليهم .

فأولهم وأولاهم بالتقديم وأوجبهم على بالبر والتكريم جدي للأم الزاهد أبو محمد موسى بن يوسف بن موسى بن

يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيرة الأزدى المهلبى رحمه الله وبرّد ثـراه، وجعل الجنة مأواه. فإنه تفرس بصـدق ألمعيته فى صغيرا، وأوسعنى بكـرم أحوذيته تكريما وتـوقيرا، وألبسنى كـريم خرقتـه وخلع على ضافى حـرمته، وتعـرفت من منّ الله تعالى علىّ فى إجابة دعوته خصوصية مازلنى بعموم مزيتها من بين الأبناء والحفدة، وجعلنى خليفتـه ومعتمده، ونوه بى فيما نبه بى علىّ، وأشـار عنى فى وراثته إلىّ. وتـوفى رحمه الله فى شوال من سنة اثنتين وستمائة قبل أن تظهر بى مخائل فراسته، أو تبـدو عنى شمائل وراثتـه، وأنا آخـر أهله عهـدا بدعـائه، وأولهم فى مضمار السبق فوزا باعتنائه.

وكـان قد صحب جمـاعـة من الأعـلام ومشيخة الإسـلام منهـم: أبو العبـاس أحمد بن موسى بن عطـاء الله الصنهاجى المعروف بـابن العريف ولبس منه وروى عنه، وانفـرد فى آخر عمـره بما تلقى من لـدنه. وصحـب أبو العبـاس جماعـة من الأئمة وعلماء الأمة منهم: الإمام أبو بكر عبد الباقى بن محمد ابن برال الحجارى ولبس منه وروى عنه.

وصحب أبو بكر هذا جماعة من الجلة أقدمهم فى الطريق قدما وأوضحهم فى الـزهد والعبادة أمما الإمام أبـو عمر أحمد ابن محمد بن عبـد الله الطلمنكى فخر بصحبته أقرانـه وباهى برؤيته وروايته زمانه، وكان أبو عمر هذا قد رحل وجال، ولقى أعـلام الرجـال، واعتمد منهم فى الطـريق والتحقيق على أبى عمر أحمد بن عون الله (الصحيح أبو جعفر أحمد)فلازمه مدة حياته وباهى بتقديمه فى مشيخته ورواته.

وصحب أيضـا بمكـة أبـا على الحسن بن عبـد الله بن الحسين بن محمد الجرجانى خادم أبى سعيـد بن الأعرابى. وقد اختص أبو عمر (الصحيح أبـو جعفر أحمد) ابن عون الله بأبى سعيـد بن الأعرابى هـذا واعتمد عليـه وأشار فى الطـريق والتحقيق إليه.

وأبو سعيد هذا فله الرحلة الشاسعة فى الأقطار، والتآليف الـواضحة الأنـوار. صحب أصحـاب سفيان بن عيينـة، وابن المبـارك، وإبـراهيم بن أدهم واختص فى علـو الطـريق بأبى محمد سلم بن عبـد الله الخراسانى. وكان كبيـر أصحاب أبى على الفضيل بن عياض، وصحب الفضيل هشـام بن حسان ويونس بن عبيـد وغيرهما من أصحـاب أبى سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى، وهو المقدم فى زهاد التابعين ورضى الله عنهم أجمعين.

وقـد صحب الحسن جماعـة من أصحاب رسـول الله ﷺ وكانت تلقمـه أم سلمة زوج النبى ﷺ ثديها تشغلـه بذلك فى صغـره، ورأى على بـن أبى طـالب رضى الله عنـه. وتـذكـر الصـوفية أنـه لبس منه، ولا يصح ـ عنـد أهل الحديث بعـد الـرؤية ـ له روايـة عنه. وإنمـا اختص بأنس بن مالك خـادم رسـول الله ﷺ وبعمـران بن الحصين صـاحب رسـول الله ﷺ وكـان عمـران هـذا رأس الزهـاد من أصحـاب رسـول الله ﷺ بالبصـرة، وكان يسلم عليه ويسمع تسبيح الطعام بين يـديه. وهذا الإسنـاد من أحسن أسانيد الصحبـة وأصحها قربا وقـربة كل منهم إمام علمـا وعملا. نفعنـا الله بروّاتها وأعـاد علينا من بركاتها.

وقـد لبست الخـرقة فى سنة خمس وستمـائة من شيخنـا الإمام مجـد الدين أبى زكـريا يحيى بـن عبد الرحمن بـن عبد المنعم القيسى المعروف بالأصبهانى رحمه الله. كان قد سكن أصبهان وصحب بها مشائخ هذا الشأن من أصحاب أصحاب أبى نعيم الحافظ صاحب المصنفات فى هذا الباب. ثم تلمذ طريقـا وتحقيقا بـالإمام أبى عبـد الله محمد البروى رحمه الله وإليه كان يشيـر، وبهديه كان يستنير. وكان بين أبى زكـريا هذا وبين جدى رحمهمـا الله أنس واتحاد. وكان يـرى لجدى حق السنة والإسناد. ولما علـم بعـد أن ألبسنى بأن جدى رحمه الله قـد كان ألبسنى قـال لى: مـا تأدبنا مـع الشيخ ولو علمت مـا ألبستك ولكن قد أجاز أئمة الطريق خـرقة التشريف بعد خرقة التعريف. وكلنا فى بركات الشيخ جدك رحمه الله.

ثم لبست بعد ذلك خرقة الطريقة من يد شيخنا الإمام أمين الـدين أبى محمـد عبـد اللطيف بـن أبى طـاهـر بن النـرسى الصوفى البغدادى قـدم علينا غرناطـة فى سنة تسع وستمائة. وكان من مريدى الإمام محيى الدين أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى لبس منه وتحقق به. ولبس خرقة التشريف من أبى الوقت الهـروى وأبى عبد الله محمد بن عبيـد البصرى وأبى الرشيد الأبهرى الخفيفى وأبى زرعة المقدسى وجماعة من هذه الطبقة رحمهم الله.

ثم لبست بعدها خرقة التبـرك من شيخنا الإمام أبى محمد

عبد الصمد بن أبى الرجاء البلوى بمدينة وادى آش فى سنة ثمان عشرة وستمائة. وكان قد لبس من أبيه ومن جماعة، ثم تلمذ لأبى الحسن بن حرازم ولبس منه وعول عليه وتحقق به رحمهما الله.

ولبست أيضا الخرقة المباركة من الشيخ الأجل الخطيب أبى الحسن على بن محمد بن يبقى رحمه الله بأوريولة من شرق الأندلس فى سنة تسع عشرة. وقد كان لبسها من يد الإمام الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى.

ثم لبست بعد ذلك تبركا من جماعة لبسوا من الحافظ أبى طاهر رحمهم الله ببلاد شتى. والحمد لله كثيرا.

ولبست الخرقة المباركة أيضا من الشيخ أبى أحمد جعفر ابن عبد الله بن سيد بونة الخزاعى بوادى لشت من شرق الأندلس فى سنة عشرين. وكان قد صحب الشيخ أبا مدين رحمه الله ولبس منه، ثم لبس من الشيخ أحمد الرفاعى الكبير.

وقد لبست من جماعة من أصحاب أبى مدين وأحمد رحمهما الله.

ولبست أيضا الخرقة من الإمامين أبى العباس أحمد بن قاسم المعروف بابن البقال، وأبى السناء أحمد بن أبى الربيع المعروف بابن أخت ناهض، وغيرهما من أصحاب أبى عبد الله بن الكتانى رحمه الله.

ولبست أيضا الخرقة المباركة من الإمام فخر الدين أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الفارسى بديار مصر سنة اثنتين وعشرين، لبسها من أبيه، لبسها من أبى الفتح نصر بن خليفة، لبسها من أبى إسحاق إبراهيم بن شهريار، لبسها من الشيخ حسين الهكارى، لبسها من أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى رحمه الله.

ولبستها من الإمام شيخ الشيوخ ببلاد الشام تاج الدين أبى محمد عبد السلام بن أبى الفتح بن حمويه، لبسها من أبيه.

ولبست خرقة التبرك أيضا من الشيخ أبى محمد عبد المؤمن بن على الوهرانى بضواحى تلمسان، لبسها من الإمام أبى بكر أحمد بن أبى الحسن الطوسى بالحرم الشريف.

ولبست من جماعة غير هؤلاء أعاد الله علينا من بركاتهم ونفعنا برؤيتهم ورواياتهم آمين.

ووصينا لمن تلقاها منا وأخذها عنا أن يفى لله تعالى بعهودها حلا وعقدا، وأن يقوم بحدودها صدرا ووردا. قال الله تعالى: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتهم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾ [النحل: ٩١]. وقال تعالى: ﴿**وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم**﴾ [البقرة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿**وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به**﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وجماع الأمر تقوى الله تعالى سرا وجهرا، والعمل بطاعته نهيا وأمرا.

واتباع ما صح عن رسول الله ﷺ مما يجوز لنا الاقتداء به فيه قولا وفعلا. قال الله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾[آل عمران: ٣١].

والإعراض عن الخوض فى الدين بالمراء والجدال. قال الله تعالى: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره**﴾ [الأنعام: ٦٨].

والسكوت عن المشكلات إيمانا وتسليما لعالمها عز وجل. قال الله تعالى: ﴿**فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾ [آل عمران: ٧] ونهى رسول الله ﷺ عن معضلات المسائل والاحتياط فيما وقع فيه الخلاف بين أئمة المسلمين. قال الله تعالى: ﴿**ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام: ١٥٣] **وقال تعال**: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله**﴾ [الزمر: ١٨].

وترك الشبهات قولا وفعلا. قال رسول الله ﷺ: «من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه».

(جزء من حديث نصه فى الصحيح «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله فى أرضه محارمه. ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» البخارى ١ ١٩، ٢٠).

وأخذ النفس بالتوسط فى أحوالها دنيا ودينا بين طرفى النقيض من تدل أو غلو.

وطرح التكلف أو الإهمال فى الأمور بتقصير أو غلو.

وفي القصد لمـن فهم عن الله تعالى بلغـة . والتشوف من حال إلى نزغة ، ولله در القائل :

إذا شئت أن تحيـــا سعيـــدا فـــلا تكـن
على حـــالـــة إلا رضيت بـــدونهـــا

ومن خرج عن حال الوقت فقد ضيع وقت الحال ، ومحل طلبه بطلبه المحـال . والله الله في اغتنـام سـاعـة من الليل بالخلوة ، فكـم للحق فيه من جَلوة وجِلوة ، ورب نظـر منه عز وجل تغرس في الـوجنات نضرة ، ولرب عَبرة عِبـرة تعقب حبرة والكسل رائد الأحـزان ، والنـوم أخـو المـوت ، والسـاعـات للمتواني عنها مطايا الفوت . ولتكن المهمة في التخلق بمكارم الأخلاق نبوية الأعراق ، ولا يعجـز أن يترشح لكرامات الأولياء بولايـة الكرامات ، فإنها رشح المعجـزات ، وليجعل التفويض إلى الله تعـالى أقـوى سبب يعتمـد عليه ، والتسليم لأمـره عـز وجل أسهل سلم يـرتقى فيه إليـه ، يرتـاح بذلك بـدنه وقلبـه ، ويتفرغ للقيام بوظائف العبودية وقته ولبه . فلا سبيل إلى الحرية والكتـاب منجم ، والمكـاتب عبـد مـا بقي عليـه درهم . ولا وَصول بوُصـول ، وحبل الحياة موصول وكل دعـوى في الترقي بغير الـرق فضول ، ولا انفصـال عن هذه الفصـول ما تغـايرت الفصول . فلينسلخ العبـد عن نفسه الأمارة بمخالفة أهوائها ، فهـو أنجع مداواة أدوائهـا . قال الله تعـالى : **﴿وأما من خاف مقـام ربـه ونهى النفس عن الهـوى فإن الجنـة هي المأوى﴾** [النازعات : ٤٠] وليتذكر إذا اقتدر فيمن ينضوى إليه قدرة الله عز وجل عليه ، وليتفكر عند نظـره إلى ما زوى عنه نظر الله عز وجل إليه . **﴿إن ربك لبالمرصاد﴾** [الفجر: ١٤] وليتدبر لدى البلايا نعمة الله تعالى لديه فلا يزال رؤوفا عطوفا رحيما .

فمن وفى بهذه الشروط فقد أحرز حظه من الميراث النبوي والخلق المصطفـوي والأنـاة عند تلـون الآراء والأعراض باختلاف الأغراض . فما كان لله تعالـى طاعة انتهز الفرصة فيه لنقص ذات يده وملء فيه ، وإن عـن أمر بمعروف أو نهى عن منكر فليكن أمره بمعروف ونهيه غير النهي المنكر . فمن قام أو قال بـالله لله قال أو قـام رحيما في الله ، ومن قـام بنفسه لله في خلقه أتعب نفسه مع الله والخلق بحمقه . والله عز وجل أغنى الشركـاء عن الشرك . وإلى هذا فإن العز كل العـز في التواضع وجب الفقراء والمساكين ورعى حقوقهم واتخاذ الأيادي لديهم ببذل الجاه والمال . فإن لهم دولة يذل لساطنها كل عزيز ، ولا يتوقف عن حوائج المسلمين ، فإن ذلك يسرع بصاحبه الجواز على الصراط يوم الدين .

وملاك الأمر في هذا الوصـايا أن يعامل الله تعالى في خلقه بما يريـد أن يعامله الله تعالى به . وهـو سر الأسماء الحسنى والدليل إلـى مقصدها الأسنى . والله لا يضيع أجـر من أحسن عملا . وإن يكن في الأجل نسا ، فسنبسط في هذا بمشيئة الله تعـالى القـول في هـذا البـاب ، بمـا يكـون فيـه ذكـرى لأولي الألبـاب ، ويكفي في هـذه العجالة ، هذا القدر مـن المقالة ، وإنها لمحسبة لأهل البداية ، والله ولي الهداية . آخرها والحمد لله كثيرا أولا وآخرا وظـاهرا وباطنا وصلواته على رسـوله محمد النبي الكريم وعلى آله وأصحابه وسلامه .

صفة إثبات طبقة سماعي عليه :

قرأت جميع هذه المقدمـة على سيدنا الشيخ الصالح أبي محمد الخلاصي نفعنـا الله بصالح دعواته ومتع بحيـاته وأعاد من عميم بركاته . وهي المسماة بالمقدمة المحسبة المحتسبة بتـوصية ذوي الخـرق المنتسبـة . ونقلتها مـن خطه من أصلـه الذي سمع فيه على شيخه الفقيه العالم المحدث الصوفي أبي المكارم محمد بن مسدي مؤلف هـذه المقدمة . وكان سماعه عليه في ضحـوة يوم الأربعـاء الخامس من شهـر محرم مفتتح سنة سبع وخمسين وستمـائة بالحرم الشريف من مكـة شرفها الله .

ولبس عنه الخرقة المباركة .

ولبست الخـرقـة المبـاركـة من سيـدي أبي محمـد عقب القراءة ، نفع الله بـذلك . وذلك في التاسع لشهـر ربيع الثاني عام أربعة وثمانين وستمائة .

وكذلك حضر القراءة ولبس الخرقة المباركة الفقيه الفاضل المبارك الأكمل أبو محمد عبد الواحد بن مبارك حفظه الله .

وكتب محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري وفقه الله بمدينة تونس كلأها الله .

وحضـر القراءة ولبس الخـرقة الفقيـه المبـارك أبو القـاسم نفيس بن علي بن نفيس الخزرجي وفقه الله .

وكتب الشيخ بخطه ما نصه : صح لهم ما ذكر من القراءة ولباس الخرقة المبـاركة ، جعلهم الله من أهل العلم والعاملين

بـه . وكتب عبـد الله بـن يـوسف الخلاسـى هـ . انتهـى الرسـم .

أنشدت بقرائتى على الشيخ الصالح أبى محمد الخلاسى بتونس قال، أنشدنا الإمام العامل الفضل أبـو المكارم جمال الـدين بن مسدى فى الثامن من شهـر ذى القعدة سنـة ست وخمسين وستمائة بالحرم الشريف لنفسه :

[الطويل]

أمـــرغ خـــدى فى التـــراب لعـــزه
عسى عطفـــة منـــه تـــرق لـــذلتى
وأطـــرق تعظيمـــا ، وأغضى مهـــابـــة
ويخـــرسنى فـــرط الحيـــاء لـــزلتى
وأمـــزج خـــوفى بـــالـــرجـــاء لأننى
أرى علتـــى فـــى حبـــــــــه وتعلتـــى

ومما أخـذته عن شيخنـا الفاضل الولـى التقى أبى محمد عبد الله بن يـوسف الخلاسى نفع الله بـه حذو النعل الكـريمة من طريق القـاضى أبى بكر بن العربى . وفى صورتـه وإسناده بعض ما يحتاج للنظر. ونقطتا القبـالين كأنهما موضوعتان فى غير مـوضعهما لقـربهما من الحاشيتين فليتـأمل ذلك إن شاء الله . وهـذه الصـورة التـى رويت عنـه تـراهـا فى الـورقتين الملصقتين بهذه الأوراق والله ينفع بذلك بمنه .

(ملء العيبة بما جمع بطـول الغيبـة لابن رشيـد ـ تقـديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتـور محمد الحبيب بن الخوجة ٢ / ٦١ ـ ٦٣ ، ٣٢١ ـ ٣٧٦ وقد وضعنـا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

***خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر:**

من مصنفـات التـراث الإسلامى فى علم التـراجم تأليف المحبى قال عنه الأستاذ عزت ياسين أبو هيبة :

المحبى ، محمـــد أمين بـن فضل الله بن محـب الله بن محمد المحبى الحموى الأصل ، الدمشقى (١٠٦١ ـ ١١١١ هـ) .

قـال محمـد خليل المرادى صـاحب السلك عن مـؤلفنـا المحبى أنه ولـد بدمشق فى سنة إحـدى وستين وألف وقد نشأ بهـا فى كنف والـده واشتغل بطلب العلم فقـرأ على العـلامـة الشيخ إبراهيم الفتال والشيخ رمضان العطيفى والأستاذ الشيخ عبـد الغنى النـابلسى والشيـخ عـلاء الـدين الحصكفى . . وغيرهم ، وأنه كان يكتب الخط الحسن العجيب .

وقد ألف مـؤلفات حسنة بعد أن جاوز العشـرين من عمره منهـا خلاصـة الأثر وتـرجم فيه زهـاء ستة آلاف تـرجمة وهـو مشهـور وجمع مـن التـراجم التى اقتطفهـا مـن كتب الفقهـاء والأدباء والصوفية فيه .

ورحل إلى بلاد الروم وللديـار الحجازية وناب فى القضاء بمكة ورحل منهـا للديـار المصريـة وناب فى القضـاء بمصر وحج بيت الله الحرام وولى تـدريس المدرسة الأمينيـة بدمشق وبقيت عليه إلى وفاته (سلك الدرر) .

وكان المحبى مؤرخًـا وأديبًا وشاعـرًا ولغويًـا ومشاركًـا فى بعض العلوم وسافر الأستانة وبروسة وأدرنة ومصر وولى القضاء بالقاهرة وعاد إلى دمشق وتوفى فيها .

ما أجدر بهذا الكتـاب أن يسمى بهذا الاسم ولكنها روضة غَنَّاء ذات أفنـان وغصون ، وعلى كل فهى خلاصـة تبر الآداب المسبوك وأوضح منهاج السلوك لمصائد درر الملوك .

تحتـوى على ١٣٠٠ تـرجمـة ممن توفـوا فى أثنـاء القـرن الحادى عـشر الهجـرى أو حـوله كمـا أشـار عبـد الجبـار عبـد الرحمن (دليل المـراجع العـربية والمعـربـة / ٤٥٥)، وأضاف إلى كل ترجمة شيئًـا من الأخبار والمحاسن والأشعار واقتصـر فيـه على علماء اليمـن والبحرين والحجـاز والشـام ومصـر والـدولـة العثمـانيـة وغيـر ذلك ورتبهـا على حـروف المعجم .

ويتضح للقارىء لهـذه الخلاصـة عظمة النهضـة العلمية والأدبيـة التى ظهرت فى ذلك القـرن ونشأ من عشيـرة المحبى هذا عدة علماء ذكرهم المرادى فى سلك الدرر.

وطبعت بمصر، بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٤ هـ فى أربعة أجزاء .

وقد نظم لختام طبع هذه الخـلاصة لبعض الفضلاء منهم سعادة سيد بيك أباظة قصيدة آخرها :

بطيب عـــارف اقتـــدار العلـــوم تـــركت
فى طـى واردهـــا خـــلاصـــة الأثـــر

وأنشد عبد الهادى الأبيارى بقصيدة آخرها :

وقـــد انتهت طبعـــا فقلت مـــؤرخًـــا
طبع الخـــلاصـــة طبع حسن مهـــر
(١٢٨٤ هـ)

وقال الشاب الظريف :

وهي مطبـــوع الحجـــا تــــاريخــــه
طبع الخـــلاصــــة بــــالبهــــاء أجـــادا
(١٢٨٤هـ)

وأنشد الأديب مصطفى أفندي صفوت :

فيـــــــه أكــــــرم من تـــــــاريــخ
ولعــــــــارفــــــــه نعم الأثـــــــر
(١٢٨٤ هـ)

وقال الأديب اللبيب محمد أفندي :

فقـــــــــــر عينـــــــــــا وأرخ
هـــــــا تم طبع الخـــــلاصــــــة
(١٢٨٤ هـ)

وهذه الحروف التي يحتوي عليه الشطر الثاني من البيت كل حرف منه يقابله عدد فنفسره كالآتي :

أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ			
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠			
ض	ظ	غ											
٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠											

فلو اعتبرنا الشطر الثاني هو تاريخ النسخ (الطبـــاعة) : ها تم طبع الخلاصة .

فنقول الآتي :

هـــــا — تـــــم — طبـــــع

$$\frac{١+٥}{٦} + \frac{٤٠٠+٤٠}{٤٤٠} + \frac{٩+٢+٧٠}{٨١} +$$

الخلاصة

$$\frac{١+٣٠+٦٠٠+٣٠+١+٩٠+٥}{٧٥٧} = ١٢٨٤\text{ هـ}$$

لمخطوطات العربية / ١٨٨ ـ ١٢٠)

انظر مـادة «حساب الجُمَّل» في م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤

يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي :

لمحمـــد الأميـن بن فضـل الله بن محب الله المحبي ، المتوفى سنة ١١١١ هـ .

(بروكلمن ٢ : ٢٩٣ وملحق ٢ : ٤٠٣) .

أوله : «اللهم سهل يا كريم يا من أحصى بلطفه الخلائق عددا ، وجعلهم بمشيئته طرائق قددا» .

وينتهي بترجمة «يوسف البديعي» ، وآخر ما فيه : «ووصل بعدها إلى قسطنطينية فتوفى بها في سنة ثلاث وسبعين رحمه الله . تم» .

نسخة مجدولة كتبت بقلم معتاد ، فرغ من نسخها سنة ١١٠٨ هـ وهي في ٥١٩ ورقة ، ومسطرتها ٣٣ سطرا .

[دار الكتب المصرية ٢١٠٧ تاريخ طلعت] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة جـ٢ ق ٤ / ١٦٠) .

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة ١/ ١١٨ ـ ١٢٠ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٦٠) .

*** خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام:**

للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي (كشف ١ / ٧١٧) .

***خلاصة الأخبار في أحوال الأخيار:**

خلاصة الأخبار في أحوال الأخيار: فارسي مجلد لغياث الدين محمد بن همام الدين الملقب بخواند مير ألفه لمير عليشير في حدود سنة ٩٠٠ تسعمائة ورتب على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة المقدمة في بدأ الخلق والمقالات في الأنبياء والحكماء وملوك العجم والسير والخلفاء وبني أمية والعباسية ومعاصريهم من الملوك وآل جنكيز خان وآل تيمور والخاتمة في أوصاف هراة وسكانها لخص فيه روضة الصفا لأبيه .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧١٧) .

*** خلاصة الأخبار في أحوال النبي المختار ﷺ:**

خلاصة الأخبار في أحوال النبي المختار (صلى الله تعالى عليه وسلم) : مختصر للشيخ محمود أفندي الإسكداري المتوفى سنة ١٠٣٦ ست وثلاثين وألف أوله : الحمد لله الذي

علم الإنسان مالم يعلم ... ألخ رتب على خمسة أبواب : الأول فى خلق القلم ، الثانى فى خلق آدم ، الثالث فى نشأة نبينا عليه الصلاة والسلام ، الرابع فى العلم والمعرفة ، الخامس فى التسبيح والذكر والدعاء والتوحيد .

(كشف الظنون ١ / ٧١٧) .

*** خلاصة الإعراب:**

من مخطوطات العلوم النحوية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

خلاصة الإعراب		OP. 1536

تأليف : حاجى بابا بن حاجى إبراهيم بن عبد الكريم بن عثمان الطوسى المتوفى حوالى سنة ٨٧٠ هـ ١٤٦٥ م .

هو شرح لكتاب «المصباح فى النحو» للمطرزى أقرب إلى التحشية عليه منه إلى الشرح ، فقد ذكر المؤلف فى خطبة كتابه أنه حشى على المصباح .

أوله بعد البسملة : «الحمد لله ولى الإنعام فاطر السموات والأرض والأنام وبعد فهذه حواش كتبها حاجى بابا بن حاج إبراهيم ... للمصباح وسماها خلاصة الإعراب ... » .

آخره : « ... وفى المنصوب أكرمنى وأكرمنا ودعانا ورمانا وأعطانا تم الكتاب» .

النسخة تامة على هوامشها تعليقات وتصويبات كتبت بخط فارسى ردىء ، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

(٦٩) ق (٢١×٥ , ١٥ سم) المسطرة (١٧ ـ ٢٢س)

الكشف : ٢/ ٤٤٩ بروكلمان : ١ / ٢٩٣ ذيل بروكلمان : ١ / ٥١٤ .

ـ نسخة منه

تامة متأخرة كتبت سنة ١٠٤٠ هـ بخط نسخ معتاد ولم يذكر اسم ناسخها .

(٥٨)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢٣ س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية . بصوفية فى بلغاريا وضعه د . عدنان درويس ٢ / ١١٠ ، ١١١) .

*** خلاصة الأفكار فى بيان زبدة الأسرار من شرح مشكل لب الألباب:**

من مخطوطات العلوم النحوية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

خلاصة الأفكار فى بيان زبدة الأسرار من شرح مشكل لب الألباب .		OP. 186

مجهول المؤلف ، ولعله من وضع قوبل بابا ثلوغ(كذا) كان حيًا سنة ٧٦٨ هـ ألفه شرحا على كتاب «لب الألباب فى علم الإعراب» للتاج الإسفرائينى صاحب كتاب «الضوء» الذى وضعه فى النحو والإعراب وجعله حاويًا لتفاريع النحو فجاء كثير الفوائد مشتملا على دقائق الأسرار العربية . وهذا الشرح من الشروح المعتبرة لهذا الكتاب .

أوله بعد البسملة «الحمد لله الذى رفع قدر العلماء لاستثمار الأحكام من محكم تنزيله بالبيان ونصب لهم ما هو وسيلة إلى كشف القناع ... » .

آخره : « ... وقيل حال من ضمير أخون وقيل تمييز منه والله أعلم بالصواب» .

النسخة تامة بحالة حسنة كتبت بخط نسخ دقيق جدا ، ولم يذكر فى خاتمتها تاريخها أو اسم ناسخها .

(١٤٠) ق (٢٢ × ١٦ سم) مسطرتها (٢٧ س)

الكشف : ٢ / ١٥٤٦ .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د . عدنان درويش ٢ / ١١١) .

*** خلاصة الأقوال فى معرفة الرجال:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التراجم والسير وعلم معرفة رواة الحديث مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٤٣٧٨ / ١

لجمال الدين حسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م .

الأول (الحمد لله مرشد عباده إلى سبيل السداد وهاديهم إلى طريق النفع فى المعاش والمعاد ...) .

رتبه المؤلف على قسمين هما :

القسم الأول فيمن يعتمد على روايته وفيه سبعة وعشرون فصلا .

القسم الثانى فيمن تركت روايته أو توقفت فيه وفيه سبعة وعشرون فصلا .

فرغ منها المؤلف سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥ م عن نسخة ولد المصنف عليها مقابلة على نسخ مختلفة تمت سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م و ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م فى أولها فوائد .

القياس ٢٢٨ ص ٢٠×١٥ سم ١٧ س

معجم المؤلفين ٣ / ٣٠٣ الذريعة ٧ / ٢١٤ طبعت بطهران وطبعت بالنجف بعنوان رجال الحلي .

ـ نسخة أخرى

الرقم ٧٤٧١ / ١

كتبها بخط النسخ الجيد علاء الدين أحمد بن جمال الدين الخضرى سنة ٩٦٩ هـ عليها حواش منقولة من أحد كتب الشهيد الثانى زين الدين العاملى .

القياس ٦٤٦ ص ٢٠×١٣ سم ١٧ س

نسخة أخرى

الرقم ١٤٦٧٨

كتبها على بن محمد بن حسن الخوراسكانى بأصفهان سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م قابلها على شاه بن ولى خضر شاه . مكملة بخط أحدث من الأصل .

القياس ٣٠٤ ص ١٨,٥×١٢,٥ سم ١٦ س

نسخة أخرى

الرقم ١٤٠٧٥

كتبها على بن عبد الله الأسدى . ترقى للقرن ١١ هـ / ١٧ م تملكها خميس الجزائرى ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .

القياس ٢٩٠ ص ١٩×١٣ سم ١٩ س

نسخة أخرى

الرقم ٢١٨٥٢

كتبت بقلم جيد سنة ١٠٤٧ هـ ١٦٣٧ م ، عليها حواش وشروح .

القياس ٢٤٠ ص ١٠ × ١٤ سم ١٩ س

نسخة أخرى

الرقم ١١١٢٣

كتبها بخط النسخ الجيد يعقوب بن إبراهيم سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م تملكها اسكندر بن عيسى الجزائرى الأسدى سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م .

القياس ٢٧٠ ص ١٢×١٥,٥ سم ١٧ س

نسخة أخرى

القرم ٢٦١٧٤٠

ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى القرن السابع عشر الميلادى عليها تملك مؤرخ سنة ١١٩٣ هـ / ١٧٢٦ م .

القياس ٣٤٢ ص ١٩ × ١٣ سم ١٥ س

نسخة أخرى

الرقم ٨٩٤٨

كتبت بقلم التعليق الجيد ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى القرن الثامن عشر الميلادى . عليها تملك مؤرخ سنة ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م .

القياس ٣٢٤ ص ١٦,٥×١٣ سم ١٦ س

نسخة أخرى

الرقم ١١٣٣٠

عليها حواش وشروح جيدة الخط

القياس ٢٨٠ ص ٢١ × ١٣,٥ سم ١٧ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٦٢ ـ ١٦٥)

كما يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وبيانه كما يلى :

لجمال الدين الحسن بن يوسف بن مطهر المازندرانى الشيعى ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ .

(بروكلمان ٢ / ١٦٤ وملحق ٢ / ٢٠٨) و (ذيل كشف الظنون ١ / ٤٣٣) أوله : الحمد لله مرشد عباده إلى سبيل السداد ... أما بعد ، فإن العلم بحال الرواة من أساس الأحكام الشرعية ... فدعانا ذلك إلى تصنيف مختصر فى بيان حال الرواة ... » .

وآخره : «وقد اقتصرت من الروايات إلى هؤلاء المشايخ بما

ذكرت، والباقى من الروايات إلى هؤلاء المشايخ وإلى غيرهم مذكور فى كتابنا الكبير، من أراده وقف عليه هناك، والحمد لله وحده ...».

نسخة كتبت بخط نسخى، سنة ١٠٢٤ هـ، وعليها مقابلة سنة ١١٠٣ هـ، وهى فى ٩٨ ورقة، ومسطرتها ٢١ سطرا.

[مكتبة آية الله الحكيم العامة ١٤٢٦ النجف]

- نسخة أخرى

كتبت بقلم معتاد، سنة ٩٨٢ هـ، وعلى هوامشها تقييدات. وبعضها بخط نسخى، وبها آثار رطوبة، وتقع فى ١٦٢ ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرا.

[مكتبة آية الله الحكيم العامة ١٥١٩ النجف] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ٢ ق ٤ / ١٦١)

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٢ - ١٦٥، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ ٢، ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م - ١٦١).

*** خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٢٧٣٢٩٠ / ١٢١

لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن المجدى المتوفى سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م الأول: (الحمد لله رب العالمين ... أما بعد فهذه رسالة مختصرة منقحة محررة فى العمل بالربع المجيب ...).

وهى رسالة فى معرفة العالم بالربع المجيب ومعرفة رسومه والتجييب والتقويس وكيفية أخذ الارتفاع وكيفية استخراج الوقت ومعرفة الهلال من خلاله. ذكر المؤلف فى نهاية هذه الرسالة أن له كتاب «الجامع المفيد فى كشف أصول مسائل التقويم والمواليد».

نسخة جيدة مؤطرة بمداد أحمر كتبت بخط النسخ ضمن مجموع كتب سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥١ م عليها بعض الحواشى. كتب الناسخ فى بداية هذه النسخة عن ابن المجدى أنه فرغ منها سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠١ م وهى فائدة غير صحيحة.

القياس ١ ص   ١٩×١٣ سم   ٢٣ س

(الخديوى ٥ / ٢٤٤، تاريخ علم الفلك فى العراق ١٨١، كشف ١ / ٥٧٧).

(مخطوطات الفلك والتنجيم / ٦٧).

وتوجد نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانها كما يلى:

لابن المجدى المتوفى سنة ٨٥٠ (بروكلمان ٢ / ١٢٨، تصنيف رقم ١).

أوله بعد الديباجة: هذه رسالة مختصرة منقحة محررة فى العمل بالربع المجيب سميتها بخلاصة الأقوال. . أما رسومه ومعرفة التجييب ...

وآخره: فعليه بكتابنا المسمى بالجامع المفيد فى الكشف عن أصول مسائل التقويم والمواليد، وليكون ذلك آخر ما أردناه من هذه الرسالة، والحمد لله وحده.

المكتبة: دار الكتب المصرية: ١٨٣ ميقات، ٥ ق، القياس ١٠ × ١٧ سم ف ١٠٥٦ (فهرس المخطوطات المصورة / ٣٢).

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٦٧، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. جـ ٣ العلوم ق ١ - الفلك - التنجيم - الميقات - وضعه يول كونتش / ٣٢).

*** خلاصة الإكسير فى نسب سيدنا الغوث الرفاعى:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٣٠١٨٥

لأبى الحسن على بن أحمد الشافعى الواسطى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م.

الأول (الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات من الاعمال والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وأكمل أهل الكمال ...)

وهى فى نسب السيد أحمد الرفاعى وفروعه.

نسخة جيدة كتبها بخط النسخ الجيد محمود شكرى باسطنبول سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ فى أولها زخرفة.

القياس ١٠٠ ص   ٢٦×١٧سم   ٢٣س

معجم المؤلفين ٧   ٦٠ بروكلمان ٢ / ١٦٦ طبعت سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م بمصر.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٥، ١٦٦).

* **الخلاصة (ألفية ابن مالك):**

يقول الأستاذ محمد كامل بركات:

وهى منظومة فى نحو ألف بيت أودع فيها ابن مالك خلاصة ما فى الكافية الشافية من نحو وتصريف، بدأها بقوله:

قال محمد هو ابن مالك

أحمد ربى الله خير مالك

مصليا على النبى المصطفى

وآله المستكملين الشرفا

وأستعين الله فى ألفيه

مقاصد النحو بها محويه

تقرب الأقصى بلفظ موجز

وتبسط البذل بوعد منجز

والألفية لشهرتها لا يكاد يخلو منها بيت فيه من يطلب العلم، ونسخها كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة بجميع المكتبات العامة والخاصة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، وجدت منها بدار الكتب نسخا مخطوطة تحت أرقام: ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٣٤٥، ٨٤١، ١١٠٤، ١٤٠٣، ٣١م ٣٢م، ٥٢٢ مجاميع، ٦١٠ مجاميع، ٨ مجاميع ش.

ونسخا مطبوعة تحت أرقام: ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٤٨٧، ٤٨٨، ٣٩٠، ٨٧٤، ٨٧٥، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٥٧. إلخ.

وبالأزهر نسخ كثيرة مخطوطة ومطبوعة منها ٤٧، ١٠٣، ٥٣٧، ٥٥٢، ٥٧٧، الخ (تسهيل الفوائد / ٢٠).

ويوجد مخطوط بالمكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا وجاء بيانه كما يلى الخلاصة (ألفية ابن مالك) OP. 2202.

نظم: جمل الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى المعروف بابن مالك النحوى: ٦٠٠ - ٦٧٢ = ١٢٠٣ - ١٢٧٤ م.

مقدمة فى النحو مشهورة نظمها ابن مالك فى أرجوزة تنتظم ألف بيت جمع فيها مقاصد علم العربية وسماها الخلاصة واشتهرت بالألفية لأنها ألف بيت فى الرجز، وهى كثيرة التداول طبعت عدة طبعات، وعليها شروح كثيرة.

أولها:

«قال محمد هو ابن مالك

أحمد الله ربى خير مالك»

(فهرس المخطوطات ٢ / ١٠٩).

(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٢٠ مقدمة المحقق، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا - وضعه د. عدنان درويش ٢ / ١٠٩).

* **خلاصة الأمراض:**

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩٢٤١.

لمحسن التفرشى الطبيب

وهو كتاب منتخب باللغة الفارسية فى ذكر الأمراض المنتشرة فى بلاد إيران. وهو منتخب من كتاب ألفه الطبيب الفرنسى فرمولر وترجمه إلى اللغة الفارسية ميرزا مصطفى.

وقد رتبه التفرشى على أجزاء، وهذه النسخة تتضمن المجلد الأول ويتضمن خمسة أجناس وكل جنس مرتب على أبواب وهى:

الجنس الأول فى الحميات. الجنس الثانى فى الأمراض الحاصلة من التغيرات. الجنس الثالث فى الأورام. الجنس الرابع فى نزف الدماغ. الجنس الخامس فى الترشحات.

نسخة جيدة كتبت سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ١٠٠).

* **خلاصة البرهان فى إطاعة السلطان:**

من مخطوطات مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا وجاء بيانه كما يلى:

خلاصة البرهان فى إطاعة السلطان:

لأسعد أفندى (وقعه نويس).

وقد ورد فى إيضاح المكنون على كشف الظنون المجلد ٣، ص / ٤٣٤ أنه تأليف السيد عبد الوهاب بن عثمان مفتى الإسلام الرومى الحنفى الشهير بياسينى زاده المتوفى سنة ١٢٤٩ هـ.

خط التعليق، الكتاب فى قسمين: عربى وتركى. القسم

العربى يبدأ من (١ب ــ ٨ ب) يتقدمه تقريظ: «الحمد لله الذى وضع الشريعة المطهرة ميزانا لمصالح العباد... وبعد فهذه تبصرة لأولى الأبصار منطوية على عدة من الأحاديث والآثار ومشتملة على بعض كلمات الكبار... ولقد نظرت إليها ووجدت ما فيها موافقا للأصول ومطابقا للمنقول والمعقول وجدير الآن يتلقى بأحسن القبول فهى بعبارتها خلاصة البرهان وبصراحتها ترغيب الناس إلى إطاعة السلطان صارت مرتبة بالعربية أولا ومترجمة بالتركية ثانيا رعاية لمراتب أفهام الأنام من الخواص والمرام إن هى إلا نصيحة حسنة وموعظة مستحسنة فلمثله فليعمل العاملون وما علينا إلا البلاغ وأنا الفقير يستجنى زاده السيد عبد الوهاب شيخ الإسلام والمفتى الأنام عفى عنهما».

القسم العربى:

أوله: بسم... أبهى جواهر الحمد والتحية وأسنى فوائد الشكر والملة البهية لمن هو مالك الملك والملكوت... (أ ب).

آخره: إنه رؤوف بالعباد ومن الهداية والإرشاد وإليه المرجع والمعاد والحمد لله باطنا، وظاهرا والصلاة والسلام على خير خلقه أولا وآخرا. . تمت بالرسالة العربية (٨ ب).

«القسم التركى يبدأ من (٩ أ ــ ١٨ أ).

مقياس المجلد: ٢١ × ١٢.

مقياس الكتابة: ١٤,٦ × ٦,٥.

عدد الأوراق: ١٨.

عدد الأسطر: ١٦.

رقمه فى الخزانة: ٥٤٦٨.

رقم المجلد: ٩٧٤.

(المخطوطات العربية فى متحف «مولانا» فى قونيا ــ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٤، ١٨٥).

*** خلاصة البزازية فى الفتاوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

القسم ١٠ ٥٤١.

البزازية فى الفتاوى تأليف حافظ الدين محمد بن محمد ابن شهاب المعروف بابن البزاز الكردرى المتوفى سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م.

وهو كتاب جامع لخص فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة ورجح ما ساعده الدليل. وذكر الأئمة أن عليه التعويل وسماه الجامع الوجيز. فرغ من تأليفه ٨١٢ هـ.

خلاصة البزازية: تأليف محمد بن فرلموز بن على الرومى المعروف بملا خسرو المتوفى سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م.

وهو مختصر البزازية فى الفتاوى، وهو على ستة أبواب، فى الصلاة والطلاق، بما يكون الكافر مسلما، وبما يكون المسلم كافرا، والكراهيات والاستحسان.

أوله: الحمد لله الذى خلق الأنام بالإكرام، وخص منهم من شاء بمزايا الأنام.

آخره: وإذا دعا بالمأثور جهرا وجهر معه القوم أيضا ليتعلموا الدعاء لا بأس به، وإذا تعلموا حينئذ يكون جهر القوم بدعة.

نسخة جيدة.

الخط فارسى جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتب سنة ١٠٦٤ هـ.

المراجع: كشف الظنون ١ / ٢٤٢، فهرس الخديوية ٣ / ٣٥، معجم المؤلفين ١١ / ١٢٢.

طبعات الكتاب: طبع الأصل وهو الجامع الوجيز أو الفتاوى البزازية ١ ــ فى قازان سنة ١٣٠٨ هـ. ٢ ـ فى بولاق سنة ١٣١١ هـ، فى الميمنية فى هامش الفتاوى الهندية سنة ١٣٢٣ هـ.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقة الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٠).

*** خلاصة التبيان فى المعانى والبيان:**

أرجوزة للشيخ أثير الدين أبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكمله.

(كشف الظنون ١ / ٧١٧).

*** خلاصة التجارب فى الطب:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٢٣٤٠

لبهاء الدولة حسن بن الأمير شاه قاسم بن شمس الدين محمد الحسينى النوربخشى الذى كان حيا سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م.

الأول «حمد بلا إحصاء حكيمى ركه يكمال حكمت ووفور عنايت ...».

وهو باللغة الفارسية رتبه المؤلف فى ٢٨ بابا وفرغ منه سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م فى طرست من قرى الراز (فى كشف الظنون ألفه سنة ٩٠٧ فى بلدة رى).

نسخة جيدة ترقى لبداية القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى. عليها مؤرخ ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م.

(الذريعة ٧ / ٢١٨، بانكيبور ١١ / ١٢).

توجد نسخة أخرى رقم ١٠١٥٥ — ١ تتضمن الباب السابع من الكتاب.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى) - أسامة ناصر النقشبندى / ١٠٠، انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٧١٨).

*** خلاصة التحفة الفقهية فى تسوية الأولاد فى العطية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٤٤١٨.

تأليف يحيى بن المنقار؟

وهى فتاوى مفاتى دمشق وغيرها فى مسألة تسوية الأولاد فى العطية.

أولها: حمدا لمن أيد شعائر الشرائع من فضله، وأرسل من اصطفاه شارعا بحكمه وعدله.

آخرها:

ما وشى الطرس بامتداح بليغ

لتبدى كعقد در فريد

نسخة عادية. فيها آثار رطوبة.

الخط نسخ معتاد.

٢٦ ق　١٩ س　٢٠ × ١٤ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى — وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٠، ٣٠١).

*** خلاصة تحقيق الظنون فى الشروح والمتون:**

من مخطوطات الأدب بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٣٦١٦.

لكمال الدين أبى الفتوح محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن على البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٩٦ هـ / ١٧٨٢ م.

جرد فيه كشف الظنون من المكررات، واستدرك عليه زيادات

٨٠٣ صفحات ٢٥ س ٢٣ × ١٧ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٨).

*** خلاصة التحقيق فى حكم التقليد والتلفيق:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٨١٨٩.

تأليف عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى المتوفى ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م..

وهى رسالة فى حكم التقليد فى المذهب شرح بها رسالة محمد بن عبد العظيم بن المنلا فروخ الحنفى.

أولها: الحمد لله ولى التوفيق والشكر له على الهداية إلى حقيقة التحقيق... قد اطلعت على رسالة فى حكم التقليد فى المذهب صنفها محمد بن عبد العظيم بن المنلا فروخ ...

(قال واضع الفهرس الأستاذ محمد مطيع الحافظ فى هامش ١:

سماها القول السديد فى بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لابن فروخ المكى الحنفى طبعت بمصر ومنها نسخة مخطوطة عند الأخ محمد رياض المالح بدمشق.

آخرها: الحاصل أن جميع هذه الوجوه الذى استدل بها هكذا القائل بالتلفيق ...

الخط نسخ عادى، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: عبد الرحمن بن عمر قطب الدين العمرى.

تاريخ النسخ: سنة ١١٣٥ هـ.

- نسخة ثانية.

الرقم ٥٣١٦.

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة.

الرقم ٣٩٦٨

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها.

الخط نسخ معتاد. الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: أحمد مؤيد بن نصوح.

تاريخ النسخ: ٥ ذى الحجة سنة ١٢٦٦ هـ.

نسخة رابعة.

الرقم ٤٠١٠.

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود.

اسم الناسخ: إسماعيل بن المؤلف.

تاريخ النسخ: ربيع الثانى ١١٩٧ هـ.

ملاحظات: نسخة جيدة.

نسخة خامسة.

الرقم ١٧٧

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها كتبت سنة ١١٣٥ هـ.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

المراجع: الأعلام ٤ / ١٥٨، هدية العارفين ١ / ٩٥٠، عقود الجوهر ٦٦.

يقول الأستاذ محمد مطيع الحافظ واضع الفهرس. رأيت نسخة عند الأخ محمد رياض المالح (فهرس مخطوطات الظاهرية ١ / ٣٠١-٣٠٣).

كما يوجد مخطوط فى خزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم - البهراقية) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف وجاء بيانه كما يلى:

تأليف: عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى: ١٠٥٠-١١٤٣ هـ / ١٦٤١-١٧٣١ م.

رسالة تناول فيها النابلسى تحقيق المقاصد الستة التى أوردها محمد عبد العظيم بن المنلا فروخ فى رسالته فى حكم التقليد فى المذاهب والمقاصد الستة هى:

١ - هل على الإنسان التزام مذهب معين أم لا. ٢ - هل موافقة المذهب من غير علم به كافية أم لا. ٣ - هل يجوز التقليد من غير اعتقاد الأرجحية فيما قلده أم لا. ٤ - ماحكم الاقتداء بالمخالف وهل العبرة فى ذلك الرأى المقتدى أو الإمام. ٥ - هل يجوز التقليد بعد الفعل أم لا. ٦ - فى بيان حكم التلفيق وانتهى من تأليفه سنة ١٠٨٦ هـ.

أولها بعد البسملة: الحمد لله ولى التوفيق والشكر له على الهداية إلى حقيقة التحقيق ...

آخرها ... هذا آخر ما قصدناه فى بيان مسألة التقليد والتلفيق والله الهادى إلى سواء الطريق لا رب غيره ولا خير إلا خيره. وقد فرغنا من تسويدها نهار الأربعاء منتصف شهر رجب سنة ست وثمانين وألف والحمد لله رب العالمين.

النسخة جيدة، كتبت بخط تعليق معتاد، ولم يذكر فى ختمتها اسم ناسخها أو زمان النسخ ولعل ذلك كتب فى آخر المجموع، إذ أنها ضمن مجموع يشتمل على ٢٣ رسالة.

(١٥) ق المسطرة (٢٧) س الأحمدية (٥٩٩) الفقه

إيضاح المكنون ١ / ٤٣٤ بروكلمان ٢ / ٣٤٥

ملحق بروكلمان ٢ / ٤٧٣ (المنتخب ق ٤ / ١٧٩، ١٨٠).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠١-٣٠٣، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٧٩، ١٨٠ وقد ورد بلفظ فى بيان حكم ...).

*** خلاصة التعريف بدقائق شرح التصريف للتفتازانى:**

من المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٢٦٤٠ .

للإمام ناصر الدين إبراهيم اللقاني الشهير بالمصري المتوفى سنة ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م .

كتبها علم الدين بكتاش مصطفى سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م .

القياس ص ١٩٨ ٢١,٥ × ١٢ سم س ٢١ .

كشف ٢/ ١١٣٩ ، معجم ١٥٩٢

ـ نسخة أخرى

كتبها يوسف بن محمد بازياني

الرقم ١٨٧٥ القياس ص ١٦٨ ٢١×١٦ سم س٢٢ .

ـ نسخة أخرى .

الرقم ٣٣١٠ القياس ص ١٣٨ ٢١×١٥,٥ سم س١٧ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٣١ ، ٣٢) .

*** خلاصة تعطير النواحي والأرجا بذكر تراجم من اشتهر من علماء وبعض أعيان مدينة الصعيد جرجا:**

من مخطوطات التاريخ بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

كلاهما لمحمد بن محمد بن حامد بن حجازى الحسينى الجرجاوى ، من علماء القرن الرابع عشر .

(فهرست دار الكتب ٥ / ١٧٠) .

أوله : «الحمد لله على ما أبداه من آثار قدرته العلية ... أما بعد ، فإن كتابى المسمى بتعطير النواحى والأرجا ... كبر حجمه ... لذلك قد عن لى الآن أن أختصره فى هذه الوريقات ... » .

وآخره : انتهى ما رُمْتُه من الأصل تسويدا فى أوائل النصف الثانى من الساعة التاسعة من يوم الأحد المبارك لسبع ليال مضت من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٣٠ هـ ... » .

نسخة كتبت بخط تعليق ، كتبها محمد بن فراج بن على ، الشهير بالروبى المالكى الجرجاوى سنة ١٣٣٢ هـ . وعلى هوامشها تقييدات ، فى ٢٥٣ ورقة ، ومسطرتها ١٧ .

[دار الكتب ٢٧٤٨ تاريخ] UNESCO .

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ، ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠/ ١٦٢) .

*** خلاصة تعطير النواحي والأرجا بذكر حفاظ وعلماء المراغة ومدينة جرجا:**

انظر : فتح الوصيد بتاريخ علماء مراغة الصعيد .

*** خلاصة التقارير فى تحرير الدراهم والدنانير:**

من مخطوطات الفقة الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٠٨٧٩ .

تأليف : قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله المصرى ويعرف بقاسم الحنفى المتوفى سنة ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٧ م .

رسالة فى إيضاح الكلام على الدينار والدرهم وضح به عبارة شيخه الكمال بن الهمام فى فتح القدير شرح الهداية .

أولها : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... يقول إنه وقع لبعض المصنفين كلام فى الدينار والدرهم جهلوا به المعلوم ...

آخرها : كان أصحاب عبد الله إذا ذكر عندهم حديث أبى هريرة قال كيف يصنع أبو هريرة بالمهراس ...

الخط نسخ معتاد دقيق ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : محمد عارف المنير الحسنى .

تاريخ النسخ : سنة ١٣٢٦ هـ .

ـ نقلت عن نسخة بخط صديق بن طباطبا الحسينى المكتوبة سنة ٩٧١ هـ وهى نسخة مراجعة .

المراجع : معجم المؤلفين ٨/ ١١١ ، هدية العارفين ١/ ٨٣٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتاب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) .

*** خلاصة الحساب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الرياضيات كتاب «الخلاصة فى علم الحساب والجبر والمقابلة» أو « خلاصة الحساب» للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملى .

وقد أرج الأستاذ الدكتور جلال شوقى هذا الكتاب فى

«الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي »وهو الكتاب الذى قام بتحقيقه وشرحه وتحليله، وبدأ بالتعريف به، ثم أتبع تعريفه بإحصائية نفيسة لمخطوطاته الموجودة فى الوطن العربى وخارجه، ثم يعدد شروح الكتاب وطبعاته وترجماته. أما عن التعريف بالكتاب فيقول :

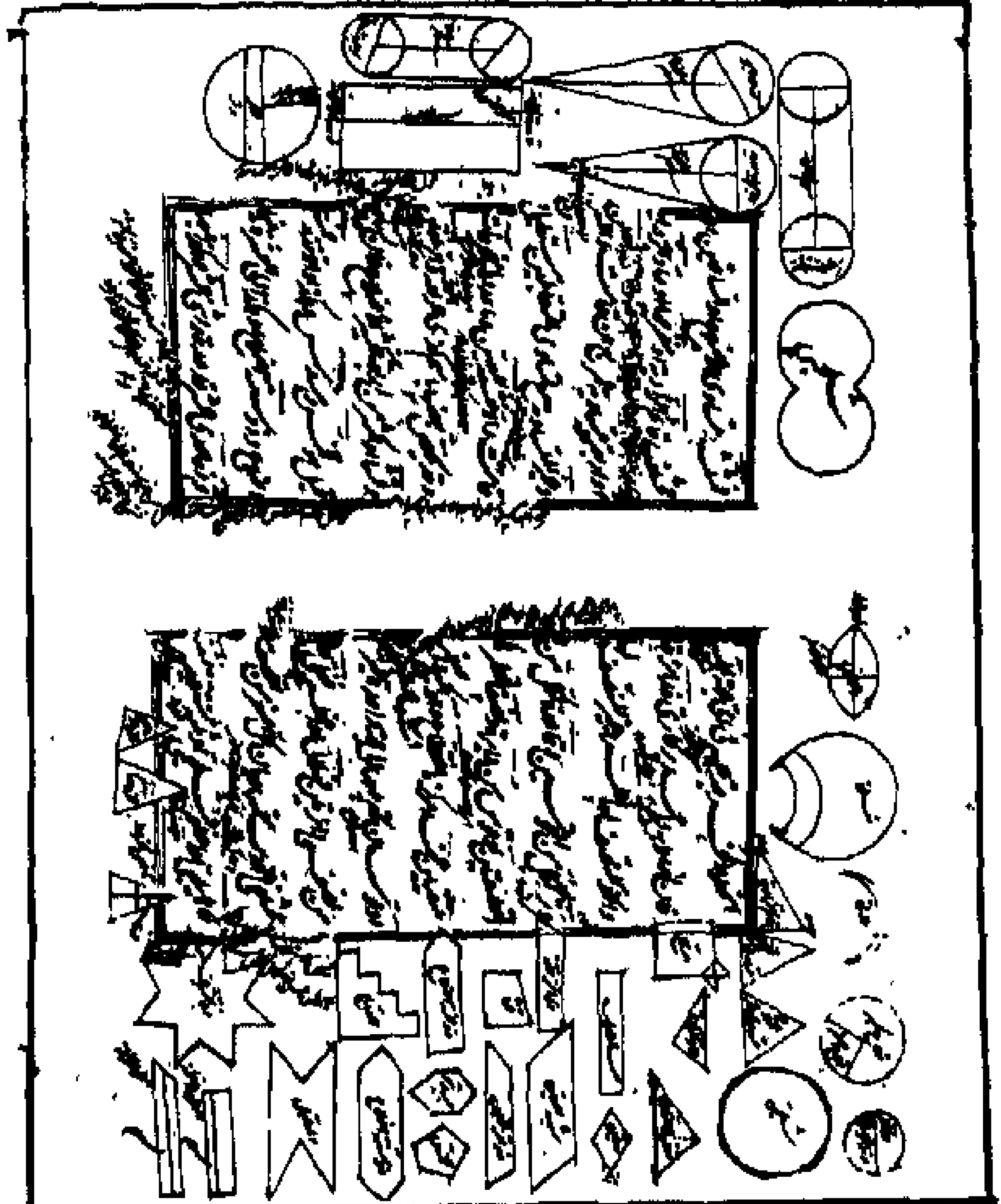
كتاب يبحث فى تراث العرب فى الرياضيات، فيقدم دراسة علمية لكتابات الشيخ بهاء الدين العاملى فى كتابه «خلاصة الحساب والجبر والمقابلة» ويعرض لرياضياته فى كتابه «الكشكول»، ويشرحها شرحا وافيا مدعما بالتحليل الرياضى الشامل.

ويمتاز الشيخ العاملى ـ العالم الموسوعى العربى ـ بأنه قد رسم صورة واضحة وصادقة لمعارف العرب الرياضية فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى بعد أن جاب الأمصار العربية والإسلامية واطلع على أعمال العرب وفلاسفتهم زهاء ثلاثين عاما.

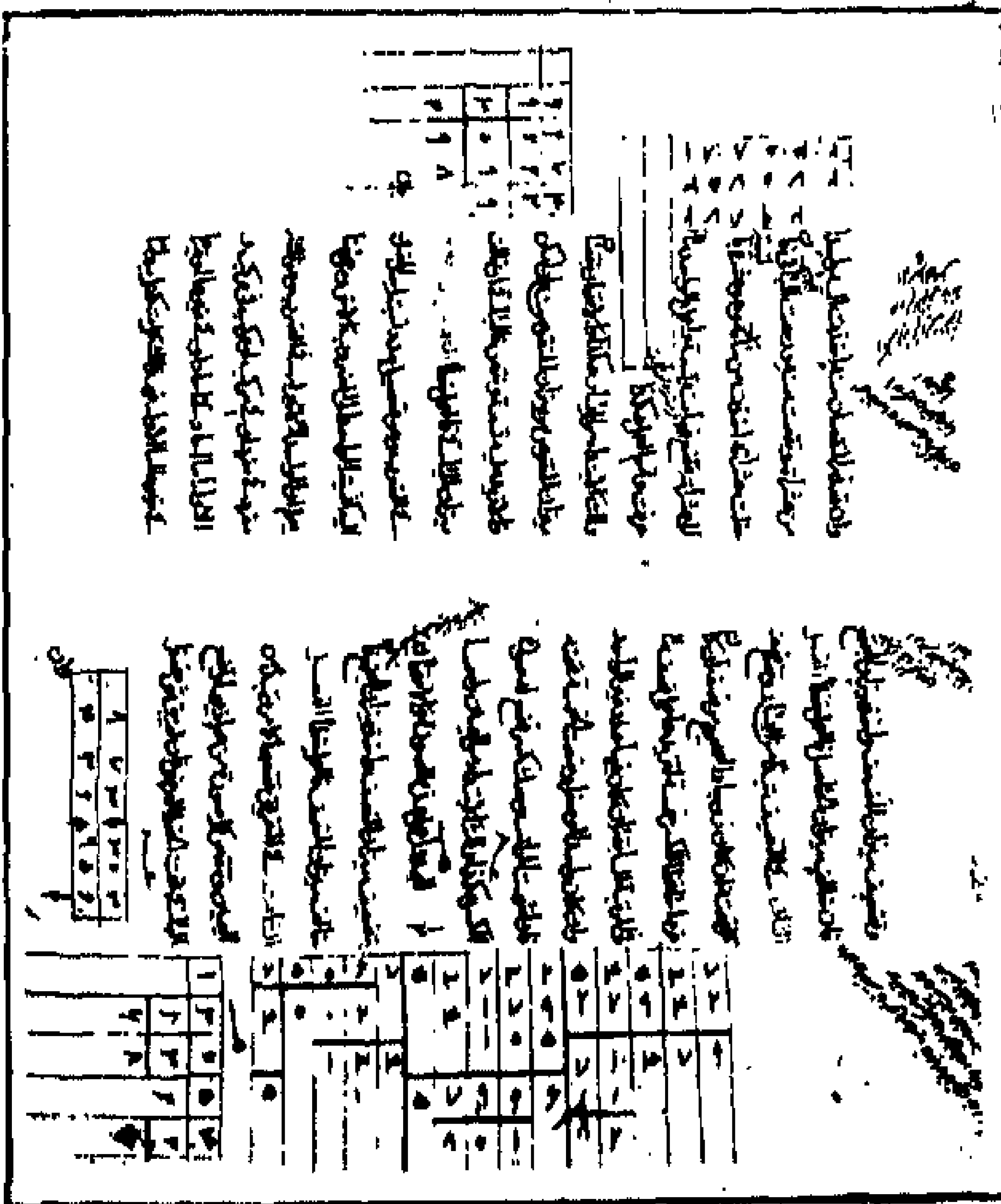
ويوجد من كتاب العاملى «خلاصة الحساب» أكثر من أربعين مخطوطا منتشرة فى أرجاء العالم شرقيه وغربيه ـ كما يوجد له ثلاثة عشر شرحا، وقد تم تحقيق الكتاب من واقع ستة مخطوطات موجودة بمكتبات مدينة حلب الشهباء لم يرد ذكرها فى كتاب المخطوطات المختصة، ولم يكن قد سبق نشر هذا الكتاب فى العالم العربى.

يبدأ الشيخ العاملى ببيان طرائق الحساب الأساسية من جمع وتفريق وضرب وقسمة واستخراج للجذور سواء بالنسبة للأعداد الصحيحة أو للكسور، كذا كيفية التحقق من سلامة أدائها بتطبيق قاعدة «ميزان العدد»، تلك القاعدة التى أطلق عليها الغرب تسمية «القاعدة الذهبية»، ويعرج العاملى بعد ذلك إلى استخراج المجهولات بطرق الأربعة المتناسبة، كذا بطريق حساب الخطأين ثم بطريق العمل بالعكس، وقد عرض العاملى فى مجال الحساب لكيفية استخراج المضمرات عن طريق تكوين معادلة ذات مجهول واحد، كذلك لفكرة التباديل والتوافيق كإيجاد عدد الكلمات التى تتركب من حروف المعجم بشروط خاصة، وأخيرا قدم العاملى طريقة قسمة مال على جماعة من المستحقين تزيد استحقاقاتهم على المال الموجود.

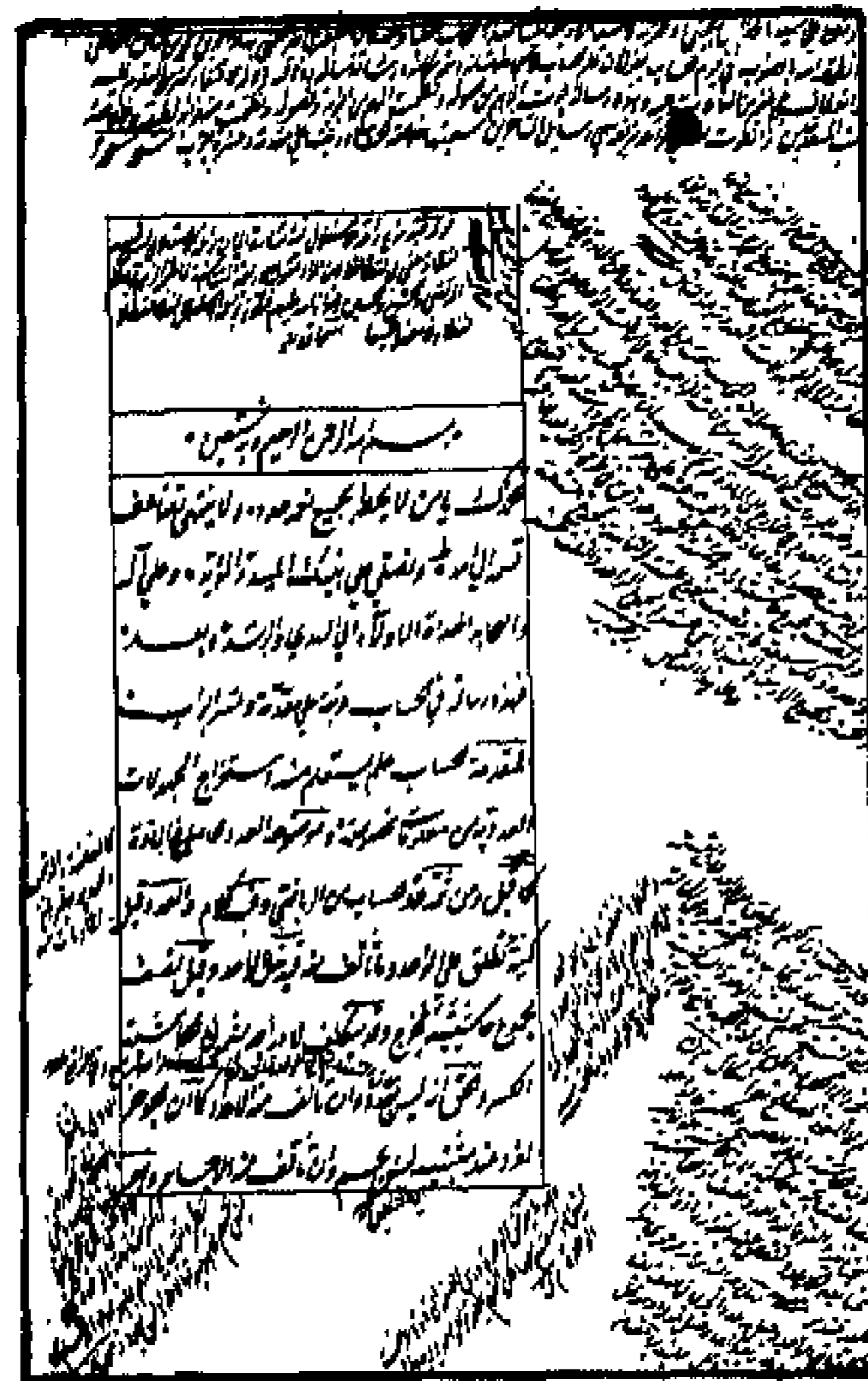
ويبحث الشيخ العاملى فى خواص الأعداد، ويعرف الأعداد التامة والمتحابة والمتوافقة والمتداخلة وغيرها، ويقدم قاعدة مبتكرة لتعيين الأعداد التامة السبعة الأولى حتى البلايين، وأمكن باستخدامها تعيين الأعداد التامة السبعة الأولى.



(١٣) صفحتان من إحدى نسخ خلاصة الحساب للعاملى تتضمن رسوما هندسية توضيحية ١٣



(١٤) صفحة من إحدى نسخ خلاصة الحساب للعاملى ترجع للقرن ١١هـ / ١٧م



شكل (٢)
الصفحة الثانية من مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية حلب - رقم ١٧٧٣

ويعرض العاملى لجمع المتواليات الرياضية، فيبين كيفية جمع الأعداد على النظم الطبيعى (وهو ما نسميه اليوم بالمتوالية الحسابية)، وجمع الأفراد دون الأزواج وعكسه، كذا جمع المربعات المتوالية وجمع المكعبات المتوالية.

أما فى مجال الجبر والمقابلة فإن العاملى يعرف الشىء والمال والمكعب ومراتبها، أى المقدار المجهول ومربعه ومكعبه وما فوق ذلك على التوالى، ويشرح المسائل الجبرية الست، ويقدم حلول معادلة الدرجة الثانية، كذلك يبين العاملى تحويل الفرق بين مربعى مقدارين إلى حاصل ضرب مجموع المقدارين فى الفرق بينهما، كما يعرض «للمسائل السيالة» وهى تسمية أطلقها العرب على المسائل التى يصح لها عدد غير محدود من الإجابات الصحيحة.

ويسوق العاملى بابا خاصا لتعيين مساحات الأشكال الهندسية المستوية وحجوم الأجسام المنتظمة، ويتناول بيان أعمال المساحة العملية وتقديم البراهين الهندسية على صحة الطرق المتبعة فيها، فيعرض لطرق قياس فرق المنسوب بغرض شق القنوات، وطرق تعيين علو المرتفعات وأعماق الآبار، كذا قياس ارتفاع الشمس دون أسطرلاب أو آلة ارتفاع.

ويفرد الشيخ العاملى خاتمة كتابه لسبع مسائل يسميها «المستصعبات السبع» وهى مسائل بعضها صعب وبعضها الآخر مستحيل الحل، فمنها مستصعبات تشتمل على معادلات جبرية من الدرجتين الثالثة والرابعة، ومنها مسألتان مستحيلتا الحل كمسألتى تقسيم ضعف المربع إلى مربعين وتقسيم المكعب إلى مكعبين بشرط كون المقادير كلها أعدادًا صحيحة، وقد عرفت هاتان المستصعبتان فيما بعد بنظرية «فيرما» نسبة إلى العالم الفرنسى بيير دى فيرما الذى عاش فى القرن السابع عشر وذلك يثبت سبق وقوف العرب على هذه النظرية الشهيرة.

إن العاملى يقدم لنا عرضا شاملا تمام الشمول، مرتبا غاية الترتيب. ودقيقا كل الدقة لما ألم به العرب وأحاطوا فى مجال الرياضيات وأعمال المساحة وهو عرض غنى بفضل العرب وسبقهم فى هذا المجال، قبل أن تنتقل الصدارة فى التقدم الحضارى من الشرق إلى الغرب (الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملى / ١٣، ١٤).

انظر «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لآغا بزرك الطهران ٧ / ٢٢٤ حيث فصل الكلام على الكتاب ونسخه المخطوطة وطبعاته العديدة (تراث العرب / ٤٧٥).

ويوافينا الأستاذ قدرى حافظ طوقان بمعلومات مستفيضة عن هذا الكتاب النفيس ننقلها لك فيما يلى. قال رحمه الله:

كتاب خلاصة الحساب وقد اشتهر هذا الكتاب الأخير كثيرا، وانتشر انتشارا واسعا فى الأقطار بين العلماء والطلاب، ولا يزال مستعملا إلى الآن فى مدارس بعض المدن الإيرانية، وقد تمكنا من الحصول على نسخة من هذا الكتاب نقلناها عن مخطوطة عثرنا عليها فى «المكتبة الخالدية بالقدس».

يقول عنه: صاحب كتاب «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون»:

«خلاصة فى الحساب لبهاء الدين محمد بن حسين، وهو من علماء الدولة الصفوية ... وهو على مقدمة، وعشرة أبواب».

ونجد فى الخلاصة أن المؤلف استعمل الأرقام الهندية التى نستعملها نحن اليوم، إلا أنه استعمل للصفر الشكل (٥) وللخمسة شكلٌ يخالف الشكل الذى نعرفه، ولهذا الكتاب مقدمة تبدأ هكذا: «نحمدك يامن لا يحيط بجميع نعمه عدد، ولا ينتهى تضاعف قسمه إلى أمد ... ».

أما أبوابه فعشرة: الباب الأول: في حساب الصحاح. وهو على ستة فصول: الفصل الأول: في الجمع. الثاني: في التصنيف. الثالث: في التفريق ـ أي الطرح ـ. الرابع: في الضرب. الخامس: في القسمة، السادس: في استخراج الجذر.

الباب الثاني: في الكسور، وهو يحتوي على مقدمات ثلاثة، وفصول ستة. فالمقدمات: تتناول الكسور، وأصولها الأولية، ومعنى مخرج وفي هذه الطريقة شيء من الطرافة. ونأتي هنا على مثال ورد في كتاب «العاملي»: «ولو قيل أي عدد زيد عليه ربعه، وعلى الحاصل ثلاثة أخماسه، ونقص من المجتمع خمسة دراهم، عادل الأول...».

أي أن س + $\frac{1}{4}$ س + $\frac{3}{5}$(س + $\frac{1}{4}$ س) − ٥ = س

أو $\frac{5}{4}$ س + $\frac{3}{4}$ س − ٥ = س

وقد حله «العاملي» على طريقة الخطأين كما يلي:

«... فلو فرضته (أي فرضت المجهول) أربعة، أخطأت بواحد أو ثمانية، فثلاثة زائدة، وخارج قسمة مجموع المحفوظين على مجموع الخطأين خمسة وهو المطلوب...».

أي أن المفروض الأول ٤ فالخطأ الأول ١ ناقص

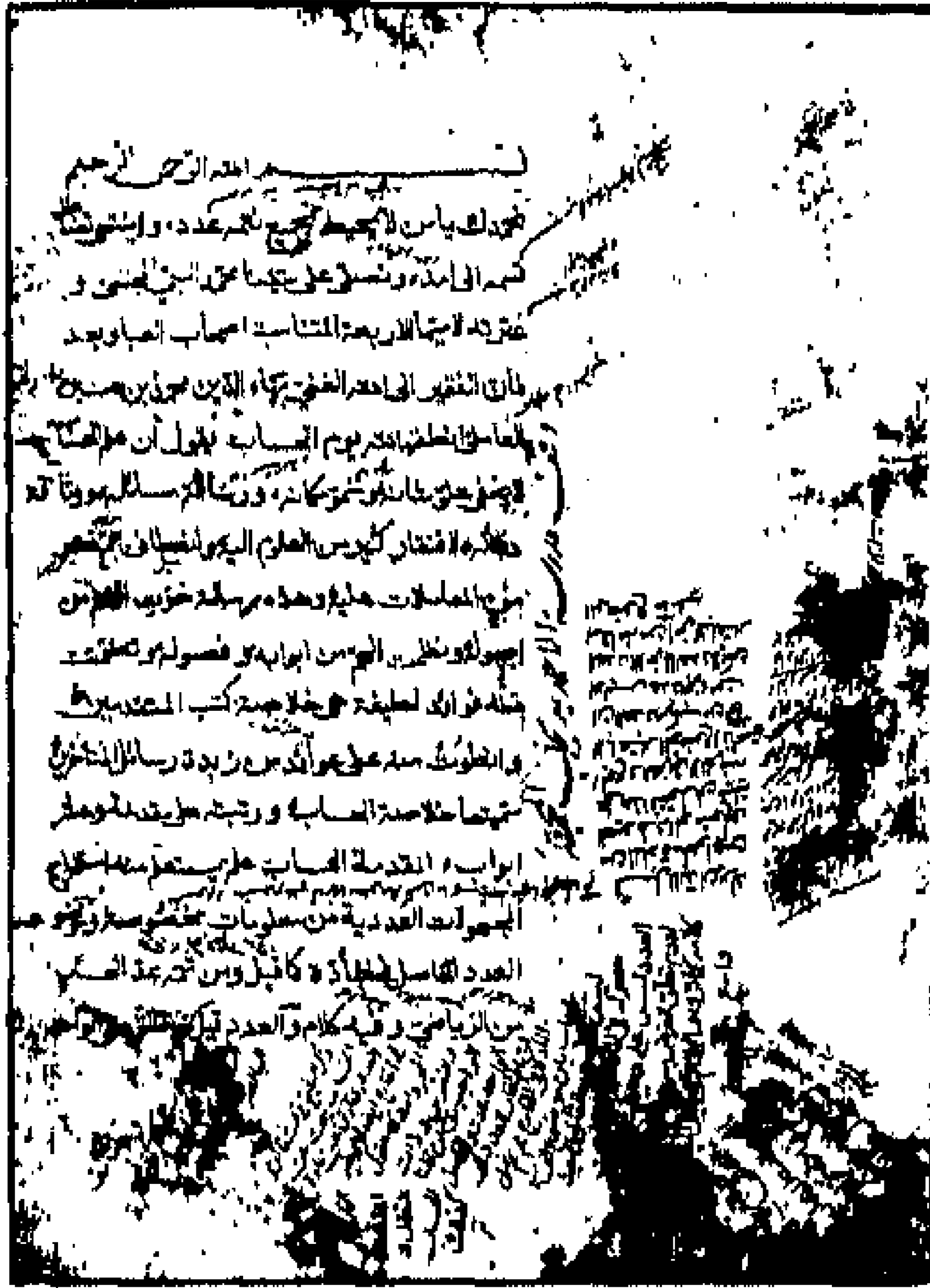
والمفروض الثاني ٨ فالخطأ الثاني ٣ زائد.

إذن المحفوظ الأول هو ٤ × ٣ = ١٢ زائد والمحفوظ الثاني ٨ × ١ = ناقص والفرق بينهما هو ٢٠ والفرق بين الخطأين هو ٤.

وعلى هذا فالجواب $\frac{20}{4}$ = ٥

الكسر، وكيفية إيجاد مخارج عدة كسور ـ أي كيفية إيجاد المضاعف المشترك الأصغر لمقامات عدة كسور ـ، وتتناول أيضا التجنيس والرفع. والمعنى المقصود من التجنيس: «جعل الصحيح كسورا من جنس كسر معين، والعمل فيه إذا كان مع الصحيح كسران، تضرب الصحيح في مخرج الكسر وتزيد عليه صورة الكسر». ومعنى الرفع: «جعل الكسر صحيحا. فإذا كان معنا كسر عدده أكثر من مخرجه، قسمناه على مخرجه، فالخارج صحيح، والباقي كسر من ذلك المخرج».

ويأتي عند شرح كل هذه البحوث بأمثلة تزيل من غموض الموضوع، وتزيد في وضوحه.



شكل (٥)
الصفحة الأولى من مخطوط مكتبة الأحمدية حلب ـ رقم ١٢٥٣

أما الفصول الستة: فتبحث في جمع الكسور وتضعيفها، وتنصيفها، وتفريقها، وضربها، وقسمتها، واستخراج جذورها، ثم تحويل الكسر من مخرج إلى مخرج.

ويجد القارىء في الباب الثالث، والرابع، والخامس بحوثا في: استخراج المجهولات. وقد استعمل المؤلف ثلاث طرق:

إحداها: طريقة الأربعة المتناسبة، وهذه الطريقة يعرفها كل من له إلمام بالرياضيات الابتدائية.

والطريقة الثانية: بحساب الخطأين، وهذه الطريقة غير مستعملة في الكتب الحديثة، مع أنها كانت شائعة الاستعمال عند العرب في القرون الوسطى.

والطريقة الثالثة: وهي الموجودة في الباب الخامس: «في استخراج المجهولات بالعمل بالعكس، وقد يسمى بالتحليل والتعاكس. وهو العمل بعكس ما أعطاه السائل: فإن ضعَّف فنصِّف، وإن زاد فأنقص، أو ضرب فأقسم، أو جذر فربع، أو عكس فأعكس، مبتدأ من آخر السؤال ليخرج الجواب». وقد أوضحناها في فصل الحساب من هذا الكتاب.

ويحتوي الباب السادس: على مقدمة، وثلاثة فصول:

فالمقدمة : فى المساحة، وفى بعض تعريفات أولية عن السطوح والأجسام.

والفصل الأول : فى مساحة السطوح المستقيمة الأضلاع، كالمثلث، والمربع، والمستطيل، والمعين، والأشكال الرباعية، والمسدس، والمثمن، والأشكال المستقيمة الأضلاع الأخرى.

والفصل الثانى والثالث : فى الطريق لإيجاد مساحة الدائرة. والسطوح المنحنية الأخرى؛ كالاسطوانة، والمخروط التام، والمخروط الناقص، والكرة.

والباب السابع : فى ثلاثة فصول، تبحث : «فيما يتبع المساحات من وزن الأرض، لإجراء القنوات، ومعرفة ارتفاع المرتفعات، وعرض الأنهار، وأعماق الآبار».

ولهذه الأعمال والطرق براهين، يقول عنها : إنه أوضحها وبينها فى كتابه الكبير المسمى «بجبر الحساب». وأن بعضا منها مبتكر وطريف لم يسبق إليه، أورده فى تعليقاته على فارسية الإسطرلاب.

ويستعمل «بهاء الدين» طرقا أخرى غير التى مر ذكرها لاستخراج المجهولات، وهنا يدخل إلى موضوع الجبر والمقابلة.

وهذا ما نجده فى الباب الثامن، الذى يتكون من فصلين : أحدهما فى معنى المجهول ــ أى س، والمال ــ أى س^{٢}، والكعب ـ أى س^{٣} ـ، ومال المال ـ أى س^{٤} ـ ومال كعب ـ أى س^{٥}، وكعب كعب ـ أى، س^{٦} ـ وهكذا، وجزء الشيء ($\frac{١}{س}$) وجزء المال ($\frac{١}{س^{٢}}$) وجزء الكعب ($\frac{١}{س^{٣}}$) ... الخ، وفى كيفية ضرب هذه بعضها فى بعض، وقسمتها بعضها على بعض.

والفصل الثانى : فى المسائل الجبرية الست، وهى عبارة عن أوضاع مختلفة للمعادلات، وكيفية إيجاد المجهول منها ـ أى حلها ـ. وقد سبق وأتينا على شيء من هذا فى فصل الجبر من هذا الكتاب.

ويجدر بنا أن لا نترك هذا الباب دون الإشارة إلى تعريف «العاملى» لكلمتى «جبر» و «مقابلة»، ففى تفسير هاتين الكلمتين يقول : إنه عند حل مسألة من المسائل بطريقة الجبر والمقابلة، نفرض المجهول شيئا ـ أى س بالمعنى الجبرى الحديث ــ، «... وتستعمل ما يتضمنه السؤال، سالكا على ذلك المنوال لينتهى إلى المعادلة، والطرف ذو الاستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك على الآخر وهو الجبر. والأجناس المتجانسة المتساوية فى الطرفين تسقط منها، وهو المقابلة ثم المعادلة».

(إذا كان لدينا المعادلة : ب س + ٢ حـ = س^{٢} + ب س ـ حـ

فبالجبر تصبح ـ ب س + ٢ حـ + حـ = س^{٢} + ب س

وبالمقابلة تصبح ٣ حـ = س^{٢})

ويقول «سمث» : فى كتابه «تاريخ الرياضيات» فى ص ٣٨٨ من الجزء الثانى، عن التفسير إنه أوضح تفسير لكلمتى، «جبر ومقابلة».

وقد لا يكون فى بحوث الأبواب والفصول التى مرت شيء مبتكر أو جديد، فقد سبقه إليها كثيرون من علماء العرب والمسلمين، فهو لم يكن فى ذلك إلا آخذا أو ناقلا على الرغم من وجود طرق لم يسبق إليها.

ومن الحق أن نذكر أنه قدم هذه البحوث والموضوعات، فى طرق واضحة جلية، يسهل فهمها وتناولها.

وهذه هى مزية «بهاء الدين» على غيره. فقد استطاع أن يضع بحوث الحساب، والمساحة، والجبر التى يرى فيها أكثر الناس غموضا وصعوبة فى قالب سهل جذاب، وفى أسلوب سلس بدد شيئا من غموض الموضوع، وأزال شيئا من صعوبته.

ونأتى الآن إلى الباب التاسع : فنجد فيه كما يقول المؤلف «قواعد شريفة، وفوائد لطيفة، لا بد للحاسب منها ولا غناء له عنها»، وقد اقتصر فى هذا الباب على اثنتى عشرة قاعدة وفائدة.

ونأتى على بعض هذه القواعد والفوائد للراغبين فى الرياضيات : ـ

(أ) «جمع المربعات المتوالية تزيد واحدا على ضعف العدد الأخير، تضرب ثلث المجتمع فى مجموع تلك الأعداد. أى أنك إذا أردت أن تعرف مجموع مربعات جملة أعداد متوالية، فزد واحدا على ضعف العدد الأخير، ثم اضرب هذا الناتج فى مجموع الأعداد.

مثال ذلك :

لإيجاد حاصل جمع مربع كل من ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ نجرى العملية هكذا.

٢ × ٦ + ١ = ١٣ ومجموع الأعداد يساوى ٢١.

وعلى هذا فحاصل جمع المربعات يساوى $\frac{١}{٣}$ × ١٣ × ٢١ = ٩١.

وإذا أردت التحقق من ذلك، فأوجد مربع كل من هذه الأعداد ثم اجمعها.

(ب) وله قاعدة أخرى لإيجاد مجموع مكعبات جملة أعداد متوالية وهى:

«جمع المكعبات المتوالية، ربع مجموع تلك الأعداد من الواحد».

أى أنك إذا أردت أن تعرف حاصل جمع مكعبات جملة أعداد متوالية، فربع مجموع تلك الأعداد.

مثال ذلك:

لإيجاد مجموع مكعبات كل من ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ تجمع الأعداد وتربع الحاصل.

أى أن ٢١ × ٢١ = ٤٤١ وهو الجواب.

وإذا أردت التحقق من ذلك، فأوجد مكعب كل من هذه الأعداد واجمعها.

ويدعى العاملى أنها كلها من مبتكراته، وأنه لم يسبقه أحد إليها.

ولكن على ما أرجح أن فى ادعائه هذا بعض المبالغة، إذ أكثر هذه القواعد كانت معروفة عند الذين سبقوه، وهو لم يكن فى وضعها كلها مبتكرا. فقد تكون الطرق التى أتى بها مغايرة الطرق من تقدمه من العلماء العرب والمسلمين، ولكنه مبتكر فى بعضها، وقد استعمل لها طرقا طريفة فيها بعض الإبداع، وفيها شيء من المهارة والمقدرة، تدلان على عمق فى التفكير.

وبعد ذكر هذه القواعد وكيفية تطبيقها: يأتى إلى «مسائل متفرقة بطرق مختلفة»، فيضعها فى باب خاص هو الباب العاشر، ويقول: إن القصد من هذا الباب «شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطلب».

من هذه المسائل:ـ

(أ) «عدد ضعف وزيد عليه واحد، وضرب الحاصل فى ثلاثة وزيد عليه اثنان، وضرب المبلغ فى أربعة وزيد عليه ثلاثة، بلغ خمسة وتسعين، فما العدد؟».

(ب) «سمكة ثلثها فى الطين وربعها فى الماء، والخارج منها ثلاثة أشبار، كم أشبارها؟».

(حـ) «رجلان حضرا بيع دابة؛ فقال أحدهما للآخر: إن أعطيتنى ثلث ما معك على مامعى، تم لى ثمنها. وقال الآخر: إن أعطيتنى ربع ما معك على ما معى تم لى ثمنها. فكم مع كل واحد منهما، وكم الثمن؟».

(و) «قيل لشخص كم مضى من الليل، فقال ثلث ما مضى يساوى ربع ما بقى، فكم مضى، وكم بقى؟».

(هـ) «رمح مركوزة فى حوض، والخارج عن الماء منه خمسة أذرع، فمال مع ثبات طرفه حتى لاقى رأسه سطح الماء، وكان البعد بين مطلعه فى الماء وموضع ملاقاة رأسه له، عشرة أذرع. كما طول الرمح؟».

وقد استعمل «بهاء الدين» فى حل المسألة نظرية «فيثاغورس».

وإذا وضعنا حله بالرموز، فهو على الصورة الآتية:

س + ٢٥ = ١٠٠ × + س^{٢}

س^{٢} + ١٠ س + ٢٥ = ١٠٠ + س^{٢}

أى أن ١٠ س = ٧٥

س = ٧,٥ وهو القدر الغائب فى الماء.

وعلى هذا فالرمح ١٢,٥ ذراعا.

ومن هنا يرى القارىء أن هذه المسائل، لا تختلف عن المسائل الموجودة فى أحدث الكتب الجبرية والحسابية، بل إن طرق حلها فى «كتاب الخلاصة»، تفوق صعوبة ومهارة عن الطرق التى نستعملها الآن.

ونراه يستعمل فى حلول بعض هذه المسائل طرقا جبرية، وفى بعضها الآخر طرقا حسابية، يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه ويقوى فيه ملكة التفكير.

ونحن الآن أمام «الخاتمة»: التى يستهلها المؤلف بقوله:

«وقد وقع للحكماء الراسخين فى هذا الفن مسائل، صرفوا فى حلها أفكارهم ووجهوا فى استخراجها أنظارهم، وتوصلوا إلى كشف نقابها بكل حيلة، وتوسلوا إلى رفع حجابها بكل

وسيلة، فما استطاعوا إليها سبيلا، وما وجدوا عليها مرشدا أو دليلا، فهى باقية على عدم الانحلال من قديم الزمان، مستعصية على سائر الأذهان، إلى هذا الآن».

ولقد أورد سبعا من هذه المسائل التى أعجزت الرياضيين، وأنهكت قوى المحاسبين، أتى بها على سبيل المثال.

(نأتى على المسائل السبع التى أوردها «بهاء الدين» فى كتابه، فقد يرغب بعض الذين يعنون بالرياضيات الوقوف عليها وهى كما يلى: -

الأول: عشرة مقسومة قسمين، إذا زيد على كل جذره، وضرب المجتمع فى المجتمع حصل عدد مفروض.

الثانية: مجذور، إن زدنا عليه عشرة، كان للمجتمع جذر أو نقصناها منه، كان للباقى جذر.

الثالثة: أقر لزيد بعشرة إلا جذر ما لعمرو، ولعمرو بخمسة إلا جذر ما لزيد.

الرابعة: عدد مكعب قسم بقسمين مكعبين — أى أن مجموع مكعبين لا يكون مكعبا -.

الخامسة: عشرة مقسومة بقسمين، إذا قسمنا كلا منهما على الآخر، وجمعنا الخارجين، كان المجتمع مساويا لأحد قسمى العشرة.

السادسة: ثلاثة مربعات متناسبة، مجموعها مربع.

السابعة: مجذور، إذا زيد عليه جذره ودرهمان، أو نقص منه جذره ودرهمان، كان المجتمع أو الباقى جذرا).

ثم يخرج بعد ذكرها إلى مدح رسالته هذه - وقد سماها «بالجوهرة العزيزة» - بقوله: «إن فيها من نفائس عرائس قوانين الحساب، ما لم يجتمع إلى الآن فى رسالة ولا كتاب».

ويقول عنها أيضا: «على القارىء أن يعرف قيمتها، ويعطيها حقها من الإنصاف والتقدير، وأن يحول بينها وبين من لا يعرف مزاياها، وأن لا يزفها إلا إلى حريص، لأن كثيرا من مطالبها حرى بالصيانة والكتمان، حقيق بالاستتارة عن أكثر هذا الزمان، فاحفظ وصيتى إليك فالله حفيظ عليك»...

و «لكتاب الخلاصة»: شروح عديدة؛ عرفنا منها شرحا لشخص اسمه «رمضان»، ولم يكن هذا الشرح معتبرا عند العلماء، بل لم يكن له مزية أو صفة خاصة، وقد ظهر فى زمن السلطان «محمد خان بن السلطان إبراهيم».

ويوجد أيضا: شرح «العبد الرحيم بن أبى بكر المرعشلى»، أحد علماء الدولة العثمانية، ويمتاز شرحه على غيره بالأمثلة المتعددة التى توضح كثيرا من المبادىء الصعبة والقوانين العويصة، وفى هذا الشرح يتجلى للقارىء سعة اطلاع الشارح، ووقوفه على الرياضيات التى كانت معروفة، وهذا هو الذى ميزه على غيره من الشروح، وجعله منهلا لكثيرين من العلماء.

وطبع كتاب الخلاصة فى «كلكتا» فى سنة ١٨١٢ م، وفى «برلين» سنة ١٨٤٣ م. وقد ترجمه إلى الفرنسية الأستاذ «مار Marre» فى سنة ١٨٦٤ ميلادية.

ويظهر أن «بهاء الدين» بدأ فى تأليف كتاب اسمه «جبر الحساب»، ومات قبل الفراغ منه، وفيه تفصيل لبراهين كثير من النظريات الهندسية، وقوانين المساحات، والحجوم، وعدد من المبادئ الحسابية، وأدخل فيه أيضا طرقا جديدة لحل مسائل مختلفة صعبة، تشحذ الذهن وتمرنه على حل الأعمال المعقدة الملتوية (تراث العرب العلمى ٤٧٥ - ٤٨٢).

راجع أيضا «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لآغا بزرك الطهرانى ٧: ٢٢٤ حيث فصل الكلام على الكتاب ونسخه المخطوطة وطبعاته العديدة.

أما عن مخطوطات كتاب «خلاصة الحساب» التى أشرنا إليها فى بداية هذه المادة فيحصيها الأستاذ الدكتور جلال شوقى، ويقول:

مخطوطات كتاب «خلاصة الحساب» (البهائية) لبهاء الدين العاملى:

تحتفظ خزانات الكتب فى العالم - شرقيه وغربيه - بالعديد من مخطوطات هذا الكتاب القيم، حيث يوجد أكثر من أربعين مخطوطا منه، فضلا عن شروحه التى تعدت العشرين مخطوطا، وقد طبع الكتاب ثلاث مرات. كما صدرت له ثلاث ترجمات إلى اللغات الفارسية والألمانية والفرنسية، بيد أنه لم ينشر فى العالم العربى قبل اليوم، ويدل العدد الضخم من النسخ الخطية لهذا الكتاب على أهميته وسعة انتشاره

وبالتالى كثرة الأخذ عنه . حيث إنه يقدم صورة متكاملة ومرتبة لحالة المعارف الرياضية عند العرب فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى، وتشهد الشروح العديدة للكتاب على عظم الاهتمام به، ونبين فيما يلى أهم مخطوطات الكتاب وشروحه الموجودة فى خزانات الكتب العامة فى العالم.

المخطوطات الموجودة فى الوطن العربى.

١ ـ مخطوط المكتبة الخالدية بالقدس.

٢ ـ مخطوطات الموصل (عن كتاب «مختارات الموصل» لداود الجلبى الموصلى، بغداد عام ١٩٢٧ م) ـ أرقام : ٢٩ / ١٠٤، ٦٩ / ٢١٦، ١٠٣/ ٦٠، ١٠٨ / ١١٥/ ٦، ٢٧١/١٣٧، ١٦١ / ٢٠٥، ١٧٩ / ١٤٠/ ١، ٢١٢،٦٩/ ٦ ، ٧٣، ٢٤١ / ٢٤٩ / ٢٨٧، ٢٧٤ / ١٥٠/ ١، ٢٨٨ / ٢/١٦.

٣ ـ مخطوطا مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩١٢، ١٧٧٣.

٤ ـ مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٥٣.

٥ ـ مخطوط المكتبة المولوية بحلب ـ رقم ٧٥٣.

٦ ـ مخطوطا مكتبة مدرسة الشيخ أحمد الصديق بحلب ـ رقم ٦٦، ١٥٩.

٧ ـ مخطوطا دار الكتب المصرية بالقاهرة : فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية ـ المجلد الخامس، رقم ١٨٠ ـ المجلد السابع، رقم ٨٩.

٨ ـ مخطوط الخزانة الآلوسية ـ مكتبة المتحف العراقى ببغداد ـ رقم ٨٧٩٢.

المخطوطات الموجودة فى آسيا وتركيا.

١ ـ مخطوطات المجلس الوطنى بطهران ـ رقم ٣٩٨ / ٢، ١٢٧٥، ١٣١٩.

٢ ـ مخطوط مكتبة المشهد ـ رقم ١٧ / ١٨ / ٥١/ ٤.

٣ ـ مخطوط مكتبة تبريز ـ رقم ١٢٧٦.

٤ ـ مخطوط مكتبة أصفهان ـ رقم ١/ ٧٩٦/ ٦٩.

٥ ـ مخطوط مكتبة كييف ـ رقم ٩٣.

٦ ـ مخطوط مكتبة الجامعة الإسلامية ـ عليجره ـ رقم ١٢٠/ ٢.

٧ ـ مخطوط مكتبة بشاور ـ رقم ١٧٤٧.

٨ ـ مخطوط المكتبة العامة ـ رامبور ـ رقم ٤١٣ / ٢٨١ ب.

٩ ـ مخطوط مكتبة بوهار ـ رقم ٣٥٢. (طبع فى كلكتا عام ١٨١٢ م).

١٠ ـ مخطوط المكتبة الشرقية العامة ـ بنكيبور ـ رقم ٢١٩.

١١ ـ مخطوط مكتبة حاجى سليم أغا باستانبول ـ رقم ٧٢٩، كذا مجموع ١٢٧٦.

المخطوطات الموجودة فى أوربا وأمريكا.

١ ـ مخطوط المتحف البريطانى بلندن ـ رقم ١٣٤٥ / ٢.

٢ ـ مخطوط المكتب الهندى بلندن ـ رقم ٧٥٨.

٣ ـ مخطوط مكتبة جامعة كامبردج ـ ملحق براون رقم ٤٣٧.

٤ ـ مخطوط المكتبة الملكية ببرلين الغربية ـ كتالوج ألواردت رقم ٥٩٩٨.

٥ ـ مخطوط مكتبة جوتنجن بألمانيا الغربية [سابقا] ـ رقم ٦٨.

٦ ـ مخطوط مكتبة الفاتيكان ـ رقم : روسيانى ١٠١٣.

٧ ـ مخطوط جامعة برنستون بأمريكا ـ رقم ١٦٣.

٨ ـ مخطوطات المكتبة العامة ببطرسبرج (لينينجراد) : كتالوج عام ١٨٥٢ م ـ رقم ٢٤٣، كتالوج روزن ـ رقم ١٩٢٦ / ٥ ب، كتالوج كراتشكوفسكى ـ رقم ٩٢٩، كتالوج مجموعة بخارى ـ رقم ٤١٩ (الأعمال الكاملة لبهاء الدين العاملى / ١٦، ١٧).

قالت المؤلفة : نضيف إلى قائمة المخطوطات هذه مخطوطا لما يذكره المؤلف، وهو موجود فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى، وتوجد منه أيضا عدة نسخ ننقل بعضها بأرقامها التسلسلية كما وردت فى الفهرس :

خلاصة الحساب :

الرقم ١٠١٤٧ / ١.

لبهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثى العاملى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ/ ١٦٢٢ م.

الأول (نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد . . وبعد فإن الفقير الى الله الغنى بهاء الدين ،..).

وهى رسالة تعد من المراجع التعليمية فى علم الحساب وقد كثرت نسخها الخطية لتناولها من قبل الطلبة سابقا ، ووضعت لها شروح وحواش كثيرة.

قدمها المؤلف للسلطان حمزة بهادر خان بن السلطان شاه عباس ورتبها على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة وهى :-

الباب الأول : فى حساب الصحاح ويقع فى ستة فصول .

الباب الثانى : فى حساب الكسور ويقع فى ثلاثة مقدمات و ٦ فصول .

الباب الثالث : فى استخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة .

الباب الرابع : فى استخراج المجهولات بحساب الخطأين .

الباب الخامس : فى استخراج المجهولات بالعكس .

الباب السادس : فى استخراج المجهولات بطرق الجبر والمقابلة وفيه فصلان .

الباب السابع : فى المساحة وفيه مقدمة وثلاثة فصول .

الباب الثامن : فيما يتبع المساحة وفيه ثلاثة فصول .

الباب التاسع : فى قواعد وفوائد وضعت للمحاسب وفيه ١٢ قاعدة .

الباب العاشر: فى مسائل متفرقة .

نسخة جيدة كتبت سنة ١٠٤٦ هـ/ ١٦٣٦ م على يد محمد مؤمن بن محب الدين على الصحاف تتضمن أشكالا هندسية كثيرة .

٦٧ ص ١٨ × ١١ سم ١٥ س

معجم المؤلفين ٩ / ٢٤٢ كشف الحجب ٢٠٨ الذريعة ٧ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ معجم ١٢٦٣ طبعت أكثر من مرة طوقان ٤٧٤ .

٩٩ ـ نسخة أخرى :

جيدة الخط كتبها محمد يوسف بن محمد سنة ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م.

الرقم : ٨٠٣٤ .

٨٨ ص ٢٠×١٤ سم ١٤ س

١٠٠ ـ نسخة أخرى :

كتبها البيرونى فى ديار بكر بالمدرسة الزنجرية سنة ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٥ .

الرقم: ٧٩٠٥ / ١ .

٣٥ ص ٢٢×١٦ سم ٢٠ س

١٠١ ـ نسخة أخرى :

كتبها موسى بن عبد الله الدردينى سنة ١٠٩٤ هـ/ ١٦٨٢ م عليها شروح .

الرقم: ٢١٨١٩ / ١ .

٤٤ ص ٢١ × ١٥ سم ١٣ س

١٠٢ ـ نسخة أخرى :

جيدة الخط كتبت سنة ١١٠١ هـ/ ١٦٨٩ م عليها حواش وشروح .

الرقم: ٣١١٣.

٣٣ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ١٥ س

١٠٣ ـ نسخة أخرى :

جيدة الخط كتبها أحمد بن شكر بن محمد سنة ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م.

الرقم: ٣١٥٦٩/ ١ .

٤٥ ص ٢٠ × ١٥ سم . ١٧ س.

١٠٤ ـ نسخة أخرى :

كتبها مصطفى بن محمد بن مصطفى سنة ١١١٥ هـ/ ١٧٠٣ م بقرية بروزه بمدرسة ملا محمد زاده .

الرقم: ١٢٧٥٣ / ٧ .

٢٨ ص ٢١ × ١٥ سم ١٥ س

١٠٥ ـ نسخة أخرى :

كتبها محمد شفيع بن محمد مقيم سنة ١١١٩ هـ/ ١٧٠٧م.

الرقم : ٩٧٩٧ / ١ .

٧٤ ص ١٥ × ١٠ سم ١٢ س.

١٠٦ ـ نسخة أخرى :

كتبها محمد بن قاسم خان ١١٣٦ هـ/ ١٧٢٣ عليها حواش وشروح.

الرقم: ٤٠٥٩ / ١

٣٨ ص   ٢٠,٥ × ١٠ سم   ٢١ س

١٠٧ ـ نسخة أخرى:

كتبت بخط النسخ الجيد سنة ١١٣٧ هـ/ ١٧٢٤ م.

الرقم: ٣١٥١٢.

٩٨ ص   ١٥,٥ × ١١,٥ سم   ١٣ س

١٠٨ ـ نسخة أخرى:

كتبت سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠م.

الرقم: ١٦٠٦٦

٤٧ ص   ٢٤ × ١٧ سم   ١٥ س

١٠٩ ـ نسخة أخرى:

كتبها إسماعيل بن أبي بكر في قصبة كوى (كويسنجق) سنة ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢ م.

الرقم: ١٩٧١١.

٤٢ ص   ٢٠ × ١٥ سم   ١٢ س

١١٠ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح وتملك مؤرخ سنة ١١٦٠ هـ/ ١٧٤٧ م.

الرقم: ١٠٠٩٢

٧٢ ص   ١٩,٥ × ١٠,٥ سم   ١٥ س

١١١ ـ نسخة أخرى:

كتبها على بن عيسى بن أحمد سنة ١١٦٤ هـ/ ١٧٥٠م.

الرقم: ١٠٠٩٩

٧٧ ص   ٢١ × ١٦ سم   ١١ س

١١٢ ـ نسخة أخرى:

كتبها يوسف الكركوكلى سنة ١١٩٦ هـ/ / ١٧٥٥م.

الرقم: ٦٢٦٩.

٢٨ ص   ٢١,٥ × ١٦ سم   ١٩ س

١١٣ ـ نسخة أخرى:

كتبت بمداد أحمر وأسود بيد أبي بكر أغا سنة ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠ م بلغ مقابلة وتصحيح وقراءة لأبي بكر على بن حاجي جوانمرد.

الرقم: ٦,٥٠٧٨

٤٠ ص   ١٥ × ٩ سم   ١٥ س

١١٤ ـ نسخة أخرى:

كتبها سليم الفرضي بن الخطيب صالح العماري سنة ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٣ م.

الرقم: ١٥٦٣٦ / ٢.

١١٢ ص   ٢١,٥ × ١٦ سم   ٩ س

١١٥ ـ نسخة أخرى:

عليها شروح وحواش كثيرة كتبها أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن حقى أحمد دايه سنة ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م في بلدة كوة في إحدى صفحاته قراءة مؤرخة سنة ١١٩٨ هـ/ ١٧٨٣ م.

٣٤ ص   ٢٠,٥ × ١٦,٥ سم   ١٥ س

١١٦ ـ نسخة أخرى:

جيدة الخط عليها شروح وحواش كتبها نعمة الله أبو الجود سنة ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م.

الرقم: ٧٨١٧ / ١

٦٤ ص   ٢٣ × ١٦,٥ سم   ١٢ س

١١٧ ـ نسخة أخرى:

نسخة جيدة عليها بعض الحواشي كتبها يوسف بن رمضان سنة ١١٩٧ هـ/ ١٧٨٢ م.

١٠٥٢٣ / ٢.

٥٤ ص   ٢٢ × ١٧ سم   ١٣ س

١١٨ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح تتخللها جداول ورسوم كتبت بمداد أحمر، تمت كتابة هذه النسخة سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م.

الرقم: ٢٣٠٤٥ / ١

٥٨ ص   ٢١ × ١٥,٥ سم   ١٣ س

١١٩ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح كثيرة الورقات الأولى حديثة الورقة

تتخللها رسوم وجداول كتبها محمد رحيم سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م.

الرقم: ٢٢٦٠٨

٨٦ ص ٢١ × ١٧ سم ١١ س

١٢٠ ـ نسخة أخرى:

كتبت بخط النسخ سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م كتبها محمد رضا.

الرقم ٣٩٠٨ / ٢.

٧٠ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٥ س

١٢٥ ـ نسخة أخرى:

جيدة الخط كتبت بقلم النسخ سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م على يد مقصود بن ميرزا معصوم غيلانى.

الرقم: ١٣٣٧

٨٥ ص ٢٠ × ١٢,٥ سم ١١ س

١٢٦ ـ نسخة أخرى:

وقع الفراغ من كتابتها سنة ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م بقلم عمر ابن حيدر.

الرقم: ٥١٠٧ / ٢

٧٢ ص ٢٢ × ١٦ سم ٩ س

١٢٧ ـ نسخة أخرى:

كتبها حسن بن حسين الجاربوتى سنة ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م.

الرقم: ١٢٧٦٧

٨٢ ص ٢٢ × ١٦ سم ١١ سم

١٢٨ ـ نسخة أخرى:

تنتهى بالباب الخامس، كتبها محمد أمين بن أحمد الأربيلى سنة ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م.

الرقم: ٢٠٤٦٥

٥٦ ص ٢٢ × ١٦ سم ١٠ س

١٢٩ ـ نسخة أخرى:

مؤطرة الصفحات عليها حواش كتبت بخط التعليق بقلم الخطاط حسين خان خوئى الكربلائى سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م، فى آخر النسخة صورة تخطيطية للإسطرلاب.

الرقم: ٩١٥١

١١٠ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٠ س

١٢٢ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح كثيرة، كتبت سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م على يد أحمد القيادية.

الرقم: ٢٨٣٣٦ / ٢

٥٠ ص ٢١ × ١٦ ١٣ س

١٢٣ ـ نسخة أخرى:

نسخة جيدة بقلم التعليق عليها حواش وشروح كتبت فى حيدر آباد الدكن فى الهند سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م.

٧٠ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٥ س

١٢٤ ـ نسخة أخرى:

كتبت سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م.

الرقم: ١٢١٠٩ / ١.

٦٠ ص ٢٠ × ١٣ سم ١٣ س

(مخطوطات الحساب الهندسة والجبر / ٥٦ ـ ٦٤).

شروح الكتاب:

أحصاها الأستاذ الدكتور جلال شوقى كما أحصى الكتب المطبوعة والترجمات، وذلك على النحو التالى:

١ ـ بهاء الدين العاملى (المصنف نفسه): شرح الباب الثامن، مخطوط المتحف البريطانى بلندن ـ رقم: ملحق ٧٦٥ / ٧.

٢ ـ عصمت الله بن أعظم بن عبد الرسول سهارنبورى: (أتم الشرح حوالى عام ١٠٨٦ هـ = ١٦٧٥ م).

مخطوط المكتب الهندى بلندن ـ رقم ٧٥٩ / ٦٠.

مخطوط مكتبة الجامعة الإسلامية بعليجره ـ رقم ١٢ / ١.

مخطوط المكتبة العامة برامبور ـ رقم ١ / ٤١٦ / ٥٠.

طبع الشرح فى كلكتا بالهند عام ١٨٢٩ م.

٣ ـ رمضان بن حريرة الجزائرى القادرى:

أتم شرحه عام ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م).

مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة: فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية، المجلد السادس ـ رقم ١٨٠ .

مخطوط المكتبة الشرقية لجامعة القديس يوسف ببيروت ـ رقم ٢٤٠ .

مخطوط مكتبة سليم أغا باستانبول ـ رقم ٧٣٤ .

مخطوطا مكتبة بشاور ـ رقم ١٦٩٤ ، ١٧٣٥ .

مخطوط المكتبة العامة برامبور ـ رقم ١ / ٤٢٧ / ٢٨ / ٩ .

مخطوط المكتبة العامة ببطرسبرج (لينينجراد) ـ كتالوج كراتشكوفسكى رقم ٩٢٩ .

٤ ـ حاجى حسين :

مخطوط المكتب الهندى بلندن ـ رقم ٧٦٢ .

٥ ـ شمس الدين على الخلخالى :

مخطوط المكتب الهندى بلندن ـ رقم ٧٦٣ .

مخطوط مكتب جون ريلاندز بمانشستر ـ رقم ٣٥٥ .

مخطوط مكتبة بشاور ـ رقم ١٧٦٦ .

مخطوط مكتبة م. حسين ـ حيدر آباد (مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ـ عام ١٩١٧ ـ العدد ٢٢٥ ـ صفحة ١٠٩).

٦ ـ جواد بن سعد بن جواد :

مخطوط المتحف البريطانى بلندن ـ رقم : شرقيات ٦٢٨٠ .

مخطوط المكتبة العامة ببطرسبرج (لينينجراد) ـ كتالوج مجموعة بخارى رقم ٤٢٠ .

مطبوعة بالمجلس الوطنى بطهران ـ رقم ١٢٧٣ .

٧ ـ عمر بن أحمد المائى الشلى :

مخطوط مكتبة جامعة ليبزج ـ رقم ٨٨٣ / ٨ .

مخطوط المكتبة العامة بميونيخ ـ مجموع جلازر رقم ٨٥١ .

المكتبة الملكية ببرلين الغربية ـ كتالوج ألواردت رقم ٥٣٠١ .

مخطوط مكتبة قوله بتركيا ـ رقم ٢ / ٢٦٤ .

٨ ـ مير حسين الميبدى اليزدى :

مخطوط مكتبة المشهد ـ رقم ١٧ / ٤٠ / ١٢٤ .

٩ ـ لطف الله المهندس اللاهورى :

مخطوط المكتبة العامة ـ رامبور ـ رقم ١ / ٤١٦ / ٧٥ .

١٠ ـ شمس الدين على الحسنى :

مخطوط المكتبة العامة ـ رامبور ـ رقم ١ / ٤٦ .

١١ ـ عبد الباسط بن رستم أحمد بن على أصغر القنوجى :

مخطوط المكتبة العامة ـ رامبور ـ رقم ١/ ٤٧ .

١٢ سليمان بن أبى الفتح كشميرى :

كتاب «اللباب» .

١٣ ـ عبد الرحمن بن أبى بكر المرعشى :

مخطوط مكتبة قوله ـ رقم ٢ / ٢٦٤ .

١٤ ـ رمضان بن أبى هريره الجزرى القادرى :

«حل الخلاصة لأهل الرياسة» .

مخطوط الخزانة الألوسية ـ مكتبة المتحف العراقى ببغداد ـ رقم ٨٥٥٨ .

الكتب المطبوعة :

١ ـ طبعة استانبول ـ ليتو جلستان، عام ١٢٦٨ هـ .

٢ ـ طبعة كشمير، عام ١٢٨٥ هـ، عام ١٢٩٩ هـ .

٣ ـ طبعة كلكتا بالهند (مع شروح)، عام ١٨١٢ م .

ترجمة الكتاب :

١ ـ ترجمة فارسية بالمتحف البريطانى بلندن : المجموعة الفارسية ٢ ، رقم ٤٥٠ أ .

٢ ـ ترجمة ألمانية بقلم نسلمان ببرلين عام ١٨٤٣ م .

٣ ـ ترجمة فرنسية بقلم المستشرق أ. ماير بباريس عام ١٨٤٦ م (الأعمال الرياضية / ١٨ ـ ٢٠) .

قالت المؤلفة : وردت فى فهرس المخطوطات الفارسية الذى عندى ترجمة فارسية لكتاب خلاصة الحساب وهى بعنوان «تحفة قطب شاهى» ولعلها المذكورة أعلاه، وهى محفوظة بدار الكتب القومية، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

تحفة قطب شاهى :

وهى ترجمة خلاصة الحساب :

تأليف بهاء الدين محمد الجيلى العاملى المتوفى سنة ١٠٤١ هـ.

ترجمها إلى الفارسية ـ معبودى بن إبراهيم الشاهرودى البسطامى .

أوله : حمد بيغايت وثناى بلا نهايت خداى واحد يرا سزاست ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة ، بقلم فارسى معتاد ، بخط عباس الشهير بمحسن بن الصوفى التبريزى ، تمت كتابة فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٠٧٠ هـ بتبريز ، الكتاب الأول ضمن مجموعة من ورقة ١ ـ ٧٧ ، مسطرتها ٢١ سطرا ، فى ٢٣ × ١٠ سم .

[١ رياضة فارسى طلعت]

(فهرس المخطوطات الفارسية ١ / ٦٥) .

مخطوطات مكتبات حلب :

يقول الأستاذ الدكتور جلال شوقى :

تتوفر فى مكتبات حلب ستُّ مخطوطات لكتاب «خلاصة الحساب» نبينها فيما يلى :

١ ـ « الخلاصة فى علم الحساب والجبر والمقابلة » .

مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية ـ رقم ١٧٧٣ .

ويقع فى ٥٥ صفحة ـ مقاس : ٥ , ٢٠ × ٥ , ١٥ سم .

٢ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط المكتبة المولوية ـ رقم ٧٥٣ .

ويقع متن الكتاب فى ٦٣ صفحة ، ثم يلى ذلك شروح له حتى صفحة ٧١ .

مقاس المخطوط : ٢١ × ١٥ سم .

٣ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط المكتبة الأحمدية ـ رقم ١٢٥٣ .

ويقع فى ٥٥ صفحة ـ قطع ربع : ٢١ × ١٦ سم .

فرغ من نسخه سنة ١٠٩٠ هـ.

٤ ـ «الخلاصة فى علم الحساب» .

مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية ـ رقم ٩١٢ .

نسخه حسن بن جمال الدين الحلبى الديركوشى سنة ١٠٨٦ هـ.

مقاس المخطوط ٢١ × ١٦ سم .

٥ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط مكتبة مدرسة الشيخ أحمد الصديق ـ رقم ١٥٩ .

ويشتمل على شرح حسين بن غياث الدين منصور اليزدى .

فرغ من نسخه سنة ١١١٧ هـ ـ مقاس المخطوط : ٢٠ × ١٣ سم .

٦ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط مكتبة مدرسة الشيخ أحمد الصديق ـ رقم ٦٦ .

نسخه محمد سليمان الريحاوى سنة ١١٣٢ هـ ـ مقاس المخطوط : ٢٠ × ١٥ سم .

والمخطوطات الثلاثة الأولى هى أوضح هذه النسخ وأجودها وأكملها (الأعمال الرياضية / ٢٠ ، ٢١) .

(الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملى ـ تحقيق وشرح وتحليل د. جلال شوقى / ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ـ ٢١ ، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤٧٥ ـ ٤٨٢ ، ومخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٦ ـ ٦٤ ، وفهرس المخطوطات الفارسية التى تقتنيها دار الكتب حتى عام ١٩٦٣ م ، ١ / ٦٥) .

*** خلاصة الدلائل فى تنقيح المسائل:**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٨٥١٦

تأليف : حسام الدين على بن أحمد المكى الرازى المتوفى سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧م

وهو شرح مختصر القدورى لأبى الحسين أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م .

أوله : قال على بن أحمد مكى الرازى وفقه الله لمرضاته :

الحمـــد لله المـوفـق للصـواب الهـــادي إلى سبيل الصــلاح والرشاد .

آخره: وللبنـت مثله وللابـن ضعفه ثلاث حبـات ونصف حبة وعلى هذا يقـاس النظائر إن شـاء الله تعالى وحسبنـا الله ونعم الوكيل .

نسخة جيدة قـديمة مصححة . المتن مشار فـوقه بخطوط سوداء .

الخط نسخ قـديم . كتبه جعفـر بـن تقى الـدين بن منيع المعروف بشاهد الديوان العلائى .

٢٣٠ ق ٢١ س ٢٤,٥ × ١٨ سم

نسخة ثانية

الرقم ٤٥٣٢

فقه حنفى ٨٥

تتفق مع الأولى فى بـدايتها وهى نـاقصة من آخـرها ينتهى بباب الإيلاء . آخرها: وطـلاق ذلك الملك باق، فعاد الإيلاء وصار كالأول فإن تزوجها بعد زوج ...

نسخة جيدة وقديمة . من خطوط القرن السابع الهجرى .

الخط نسخ معتاد .

١٣٦ ق ٢١ س ٢٤ × ١٧ سم

نسخة ثانية

الرقم ٧٣١١

الجزء الثانى

يبتدىء بكتاب النكاح وينتهى بنهاية الكتاب .

نسخة جيدة . الصفحة الأولى مزينة برسوم ذهبية، أصابت الرطوبة أوراقها .

الخط نسخ جيد، بعض الكلمات كتبت بالحمرة .

١٨٥ ق ٢٩ س ٢٧ × ١٨ سم

المراجع: كشف الظنون ٢ / ١٦٣٢ ، معجم المؤلفين ٧ / ٣٠، فهرس الخديوية ٣ / ٤٥ .

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظـاهـرية: الفقـه الحنفي ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٤، ٣٠٥) .

*** خلاصة سير سيد البشر:**

خلاصة سير سيد البشـر: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى المتـوفى سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة أولـه الحمد لله على نوالـه ... إلخ وهو مختصر مرتب على أربعـة وعشرين فصلا جمـع من اثنى عشر مـؤلفا مـا بين كبير انتخبه وصغير ألحقه (كشف ١ / ٧١٨).

يوجد مخطوطة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩٥٨ / ٢

لمحب الدين بن محمد الطبرى المكى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥ م .

الأول (الحمد لله على نواله والشكر على واسع أفضاله ...) وهو كتـاب فى السير النبوية تنـاول فيه المؤلف ميـلاده ونسبه ونبذ من غـزواته وأحوالـه وأسماءه وصفاتـه ومعجزاته وخـدمه وسلاحه وثيـابه جمعه المؤلف من اثنى عشر مـؤلفا ورتبه على أربعة عشر فصلا (فى كشف الظنون ١ / ٧١٨ أربعة وعشرين فصلا) .

كتبت سنة ١٨٧ هـ/ ١٧٧٣ م عليها حواش وشروح .

القياس ٦٦ ص ٢٠ × ١٤,٥ سم ٢٥ س

معجم المـؤلفين ١ / ٢٩٨ بـروكلمـان ١ / ٣٦٢ طبعت بالهند سنة ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥ م .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٦٧) .

(كشف الظنـون لحـاجى خليفـة ١ / ٧١٨، ومخطـوطـات التـاريخ والتـراجم والسير فى مكتبـة المتحف العراقـى ـ أسـامة نـاصر النقشبنـدى وظمياء محمد عباس / ١٦٧) .

*** خلاصة الشروح:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب والصيدلة .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٠٩٩٥ ـ ٤

لغلام إمام بن حكيم بنده على خان

(بعد حمد شافى عز وجل ...)

باللغة الفارسية رتبه المؤلف على أربعة أقسام:

القسم الأول فى قواعد الطب العلمى

القسم الثانى فى الأدوية والأغذية المفردة والمركبة .

القسم الثالث فى الأمراض المختصة فى كل عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة وأسبابها ومعالجاتها.

القسم الرابع فى الأمراض الشاملة لجميع الأعضاء وأسبابها وعلاماتها وعلاجها.

كتبت سنة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م

وتوجد نسخة أخرى برقم ١٢١٣١ ناقصة قليلا من الآخر.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠١).

*** خلاصة الطب:**

لخير الدين بن الحاج بايزيد بن عمر

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٨٤٤ - ٢

الأول: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله أجمعين).

باللغة التركية رتبة المؤلف فى أربعة فصول وهى:

الفصل الأول فى طب النبى. الفصل الثانى فى التشريح والأمور الطبيعية وهو فى ١٥ بابا. الفصل الثالث فى الطب العملى وبيان الأمراض وهو فى ١٥ بابا. الفصل الرابع فى الأمراض وجعله فى ٤٦ بابا.

نسخة جيدة كتبها إبراهيم سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م.

القياس ١٧٠ص ٢١ × ١٤,٥ سم ١٥ س

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠٢، ١٠٣).

*** خلاصة الطب:**

لمحمد حسين بن محمد هادى العلوى الشيرازى العقيلى الذى كان حيا سنة ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م، وهو من أطباء السند، ومن مؤلفاته المعروفة مخزن الأدوية.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٦٩٧٣

كتاب جامع مختصر باللغة الفارسية رتبه المؤلف على مقالات وكل مقالة جعلها فى عدة فصول.

نسخة جيدة كتبت على ورق أزرق ناقصة، ترقى للقرن الثالث عشر الهجرى/ القرن التاسع عشر الميلادى.

القياس ٣٦٢ ص ١٦,٥ × ١٠,٥ سم ٢٤ سم

(الذريعة ٧/ ٢٢٩، ٢٠-٢٢٣).

مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠٢).

***خلاصة الطب:**

وهو معجم فى المعاجين والأعشاب والأشربه الطبية وضعه المؤلف بالعربية والتركية بإشارة من خضر باشا بن إسحاق جلبى الذى ولى العراق سنة ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٦ م.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١٥٦٩٩.

الأول (الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين أما بعد وكتاب سلالة الأمراء ...).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠٣).

*** خلاصة الفتاوى:**

خلاصة الفتاوى: للشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخارى المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو كتاب مشهور معتمد فى مجلد ذكر فى أوله أنه كتب فى هذا الفن خزانة الواقعات وكتاب النصاب فسأله بعض إخوانه تلخيص نسخة قصيرة يمكن ضبطها فكتب الخلاصة جامعة للرواية خالية عن الزوائد مع بيان مواضع المسائل وكتب فهرست الفصول والأجناس على رأس كل كتاب ليكون عونا لمن ابتلى بالفتوى. وللزيلعى المحدث تخريج أحاديثه (كشف ١/ ٧١٨).

يوجد مخطوطه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وهو فى الفقه الحنفى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٦٥٩٨

تأليف: افتخار الدين طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد الحسين البخارى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م.

أوله: الحمد لله خالق الأرواح والأجسام، وجاعل النور والظلام.

آخره: ويبطل الثانى لأنه يمكنها أن تقول: طلبتهما الشفعة والخيار والله أعلم بالصواب.

نسخة جيدة مصححة. فى أولها فهرست بالأبواب.

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه إبراهيم بن محمد سنة ٩٦١ هـ.

٣٢١ ق ٢٧ س ٣٠×٢٠ سم

- نسخة ثانية

الرقم ٩٥٩٠

تتفق مع الأولى فى بدايتها.

نسخة جيدة. عليها قراءة من قبل الشيخ عبد الغنى الغنيمى الميدانى سنة ١٢٥٧ هـ.

الخط نسخ معتاد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه أحمد بن أحمد الحرسى سنة ١٠٦٧ هـ.

٣٣٦ ق ٣٤ س ٢٦×١٨ سم

- نسخة ثالثة

الرقم عام ٤٤

الجزء الأول

يبتدىء ببداية الكتاب وينتهى بكتاب البيوع.

آخره: والعقاد والخشب وما كان متفاوتا الكل فى الأصل والله أعلم.

نسخة جيدة مصححة. عليها بعض التعليقات.

الخط نسخ معتاد. كتبه جلال الدين بن عبد السلام بن على بن عثمان الأصفهانى سنة ٩٠٣ هـ.

١٦٢ ق ١٩س ٢٩×٢٢ سم

- نسخة رابعة

الرقم ٢٦٦٩ فقه حنفى ٣٦٦.

الجزء الأول.

يبتدىء ببداية الكتاب وينتهى بكتاب الصرف.

آخره جنس آخر فى علة الربا: وفى شرح الطحاوى قال أصحابنا رحمهم الله: علة الربا الكيل مع الجنس فى المكيلات والله أعلم.

نسخة جيدة مصححة. على صفحاتها جميعا جداول بالحمرة والزرقة سنة ٩٦١ هـ.

الخط نسخ جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه أحمد بن قاسم العزوى.

٣٠٣ ق ٣١ س ٢٨,٥×٢٠سم

المراجع: معجم المؤلفين ٥ / ٣٢، فهرس الخديوية ٣ / ٤٤ (فهرس الظاهرية ١ / ٣٠٦-٣٠٨).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧١٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٦-٣٠٨).

*** خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى المذهب الشافعى.

مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية بحلب، وجاء بيانه كما يلى:

تأليف: سراج الدين أبى حفص عمر بن على الأنصارى المعروف بابن الملقن ٧٢٣ - ٨٠٤ هـ / ١٣٢٣ - ١٤٠١ م.

هو تعليقه على كتاب «الحاوى الصغير» لنجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزوينى، على مذهب الإمام الشافعى. فقرب مسائله وقررها وحل مشكله وأبان عن مجمله ومعطوفه وحرر منقوله وقيد مطلقه على طريقة الإمام الرافعى ثم النووى فى كتبهما وزاد عليهما ورد فيه على ما لا جواب عنه، وصحح ما وقع فيه من إرسال الخلاف، وأبان عن مواضع مهمة أهملها شراح الحاوى أو ما وهموا فيه أو شرحوه على غير وجهه، وسلك فى تعليقه هذا سبيل الاختصار فى الأمور الواضحة والبسط فيما يشكل، وتنتهى المجلدة بآخر باب الفرائض.

أوله بعد البسملة: الحمد لله على الدوام وأشكره على توالى الإنعام...

آخره: ... فراجعها منه فإنها مهمة. تم والحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

النسخة بحالة جيدة يعود تاريخها إلى سنة ٨٨٠ هـ، وقد كتب على طرتها (الجزء الأول) ولدى تصفح النسخ لم نعثر على تجزئة لهذا الكتاب، ونرجح أنها تشتمل على الكتاب كاملا، إذ ينتهى بباب الفرائض، وقد كتب النسخة إبراهيم بن أحمد بن يعقوب الكردى الشافعى بخط مشق جيد، ولم يقيد بالشكل، وجعلت رؤوس المسائل والفصول والأبواب بالحمرة.

(٣١٨) ق المسطرة (٢٥) س الأحمدية (٦٥٩) الفقه الكشف ١ / ٤١٦ بروكلمان ٢ / ٩٢ ملحق بروكلمان ٢ / ١٠٩ .

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٨٠ ، ١٨١) .

* **خلاصة الفرائض:**

منظومة فى الفرائض وفقا لمذهب أبى حنيفة ، نظمها عبد الملك الفتنى لكى تحقق - كما يقول فى بدايتها - لأصحاب المذهب الحنفى من الفوائد ماحققته المنظومة الرحبية لأصحاب المذهب الشافعى ولأنه «يسهل حفظ النظم» وقد نظمها على «متن السراجية» للسيد الشريف الجرجانى . ونحن ننقلها هنا بتمامها تحقيقا لهذه الفوائد كلها ، ولكى يُحال عليها عند المقارنة بينها وبين مسائل الرحبية ، وعند إدراج أجزائها فى مواضعها المختلفة ، قال الناظم رحمه الله :

الحمد لله) القديم الوارث
الدائم المحيى المميت الباعث
وأفضل الصلاة والسلام
على موصل هدى الإسلام
(محمد) من جاء بالفرائض
والآل والصحب هداة الفارض
ثم يقول بعد ذا (عبد الملك)
الفتنى الملتجى إلى الملك
فرائض الميراث نصف العلم
وأنه يسهل حفظ النظم
وقد رأيت (الرحبية) التى
فى كتب الميراث كالفريدة
فإنها عميمة المنافع
لكنها فيما نحاه الشافعى
وحبذا لو كان للمعانى
نظيرها فى مذهب (النعمان)
وطالما راجعت فى أن ينظما
(متن السراجية) نظما محكما
فتلك ما أحسنها ترتيبا
وشرحها لقد حوى العجيبا
أعنى الذى للسيد (الجرجانى)
لقد دنت قطوفه للجانى
ولم أزل مسوِّفا نيل الأمل
حتى ارتجلت نظمها ولم أمل
وزدت فيها ما يروق النظرا
دون خلاف فى النقول اشتهرا
وحين أن تمت بيمن فائض
سميتها (خلاصة الفرائض)
وأسأل الله بها أن ينفعا
ناظمها ومن عليها اطلعا

العين التى يتعلق بها حق الغير وما يتعلق بالتركة .

قدِّم حقوقا علقت بالعين
قبل التوى كرهنه فى الدين
وما عداها تركة تعلقت
بها حقوق أربع قد نسِّقت
تجهيزه كذا الذى له يجب
عليه إنفاق إذا كان عطب
قُبيْلَه كزوجة أو الولد
وإن تكن غنية فى المعتمد
بكفن السنة أما إن منع
دائنه فبالذى يكفى يقع
فدين خلق صحة فمرضا
ثم وصية فإرث فرضا

أسباب الإرث :

وسبب الإرث نكاح أو نسب
أو الولاء ليس دونها سبب

موانع الإرث :

ويمنع الميراث قتل إن وجب
قصاص أو كفارة أو تستحب

وردة طوعا عن الإيمان
من عاقل تغاير الأديان
تباين الدارين حكما حققا
ما بين كفار ورق مطلقا
وعدم العلم بموت من سبق
فيمن يعمهم مصاب كالغرق
والتباس وارث بغيره
تمنعه جهالة من خيره
كما إذا ظئر تموت وما علم
مولودها من مرضع فقد حُرم
ومن رمى مولوده فى المسجد
ثم أتى لأخذه من الغد
إذا بطفلين به تحيزا
لكنه بينهما ما ميزا

أصناف مستحقى التركة :

امنح ذوى الفروض ثم العصبه
ثم الذى منه عتاق الرقبه
ثم الذى يعصبه أى بالنسب
فمعتق المعتق ثم من عصب
ثم ذوى رد فأرحام كذا
مولى الموالاة فمن يعصب ذا
فمن له أقر أى بنسب
يحمله على السوى كابن أبى
وكان مجهولا وما صح النسب
وذا بأن ما صدّق المقر أب
وإن يصدق فهو وارث ثبت
إذا شروط صحة توفرت
فمن له أوصى وزاد يافهم
عن ثلث فبيت مال منتظم

الفروض :

إن الفروض فى الكتاب ستة
وأهلها الذكور هم أربعة
وضعفهم من الإناث ولتكن
نوعين فالأول من ذين الثمن
والربع والنصف وأما الثانى
فالسدس والثلث كذا الثلثان
ومنتهاها خمسة لنحو أم
وزوجة وأخوات ولتعم

مخارج الفروض :

سمى فرض سمه بالمخرج
إلا النصيف فمن اثنين يجى
كالربع من أربعة والسدس من
ست إن الفروض أفرادا تبن
وإن تكن قد كررت من نوع
فمخرج الأقل فيها مرعى
والنصف إن بغير نوعه اختلط
فأصله من ستة جاء فقط
والربع فى اختلاطه باثنى عشر
وضعفها فى الثمن ياهذا استقر

أحوال الأب ثلاث :

للأب سدس مع الابن قد وجب
وبالبنات قد حواه وعصب
فيما بقى ومحض تعصيب ورد
إن ولد ابنه انتفى أو الولد

أحوال الجد أربع :

مثل الأب الجَدُّ الصحيح وهو من
لم يدل بالأنثى وبالأب أحرمن
إلا مع الأم وزوج فلها
ثلث وأم الأب لن يعضلها

أحوال بنى الأم ثلاث :

أما بنو الأم فثلث للعدد
سوية والسدس للذى انفرد

بولد وولد ابن والأب
والجد إن صح بنى الأم احجب

للزوج حالتان وللزوجة حالتان :

الربع للزوج بأولاد لها
وعند فقدهم له النصف لَهَى
والثمن للزوجة أو للأكثر
مع ولد الزوج وربع إن عرى

أحوال البنات ثلاث وبنات الابن ست :

نصف لبنت ثلثان للبنات
وانهن بابنه معصبات
كذا بنات الابن حيث فقدت
صلبية أحوالهن رتبت
وحزن سدسا مع بنت الميت
تكملة للثلثين يأتي
وإن يكن ثم غلام عصبت
به التي حازته بل ومن علت
سوى التي تنال سدسا كملا
ويحجب التي تكون أسفلا
أخ لهن ذا أو ابن الأخ أو
هو ابن عم فله الضعف حبوا
من زائد النصف إذا حاذى وإن
نأى فمن ثلث يزيد فاستبن
واسم المحاذي إن تك الفروض ما
أبقت لهم شيئا مشوم فاعلما
أما المبارك فإنه الذي
نأى إن الفروض أبقت فاحتذ
وخبن بالبنتين إلا أن يرى
تعصيبهن بمبارك جرى
ابن ابنه في زائد الثلثين .
وإن نأى وخبن بابن عين

أحوال الأخوات العينيات خمس والعليات سبع :

وأخته شقيقة في النسب
إن فقد البنات كالبنت احسب
وإن مع البنت تكن فعصب
وهكذا أحوال أخت لأب
إن فقدت شقيقة فرتب
وخبن بابنه وجد وأب
أما اللواتي ينتمين للأب
فزدن حجبا بالشقيق الأقرب
وبشقيقة مع البنت سمت
وعن أخيه لأبيه قدمت
والأخت للأب مع العينيه
كبنت الابن أي مع الصلبيه
فتأخذ السدس وتلك النصفا
وبالأخ التعصيب ثم يلفى
وهو المشوم إن تك الفروض لم
تبق لهم شيئا به المنع ألم
وقل لها مع اثنتين مالك
إلا بتعصيب أخ مبارك

الأكدرية :

ولا يرثنه في الأكدريه
وتلك عينية أو عليه
والزوج والجد وأم تحسب
فالأخت عندنا بجد تحجب
والشافعي ضم فيها نصفها
لسدسه ثم حباه ضعفها

المُشَرَّكة :

أمٌّ بأخياف وزوج عوّقت
شقيقة حيث الفروض استغرقت
والشافعي مع بنيها شركه
فهذه اليمّية المشركه

أحوال الأم ثلاث :

للأم سدس إن تكن مع الولد
أو ولد ابن أو بإخوة عدد

إن عدموا ثلث وثلث الباق من
زوج أو الزوجة مع أب زكن

للجدة حالتان :

لجدة صحت بلا جد فسد
سدس وإن كثرن واستوين حد

بالأم خبن كيف كن والأب
لمن به أدلت كجد يحجب

وتحجب البعدى بذات القرب
وارثة أو هي ذات حجب

العصبات النسبية وهم ثلاثة أقسام :

الأول : العصبة بنفسه ولهم أربع أحوال .

عصبة بنفسه يا من ضبط
قل ذكر لم يدل بالأنثى فقط

جهاتهم أربعة بنوه
أبوة وبعدها أخوه

ثم عمومة له أو لأبه
أو جده كذا بنو الكل انتبه

بالجهة التقديم ثم قربه
فقوة بأمه مع أبه

فقدم ابن الميت ثم نجله
فالأب فالجد فإخوة له

ثم بني الإخوة فالعم على
ترتيبه مع ابنه كما علا

والابن يحجب ابن الابن والأبُ
يحجب جدا فهو منه أقرب

والأخ والعم الشقيق أقوى
من ذي أب كذا ابن كل يقوى

فإن تساووا فاقسم المال على
رءوسهم لا أصلهم لك العلا

الثاني : العصبة بغيره :

عصبة بغيره هن ذوات
نصف يصرن بأخ معصبات

وزد لبنت الابن ابن عمها
وابن أخيها إن نأت عن سهمها

وكل من ليست بذات سهم
مثل ابنة الأخ وبنت العم

وعمة بالأخ لم تعصب
كذاك بنت معتق ذي سبب

الثالث : العصبة مع غيره :

عصبة مع غيره الأخت إذا
كانت مع البنت وإن نأت كذا

العصبة السببية :

عصبة بسبب ذو العتق
وإن يكن لغير وجه الحق

فعصباته المذكور بالنسب
فمعتق المعتق ثم من عصب

ولا ولاء للنساء يا فتى
إلا التي منها عتاق ثبتا

والعتق إن مشتركا كان الولا
بقدر ملك في العتيق أولا

عَصَبةُ عَصَبةِ المعتق :

عصبة العاصب للمعتق لا
إرث له من العتيق فاعقلا

إلا إذا جرَّ الولاء معتق
أو ذاك عاصب له قد حققوا

فيمن يرث عند اجتماع كل الورثة :

وفي اجتماع للذكور الوارث
الأب والابن وزوج ماكث

وفى النساء الوارثات خمس
بنت وبنت ابن له والعرس
والأم مع أخت شقيقة ولو
كانوا جميعا فلخمس قد حبوا
الوالدين بافتى والولدين
وأحد الزوجين فاعلم دون مين

فى الوارثين بسببين :

ذو سببين دون مانع جلا
بالكل منهما له الإرث اجعلا
كزوجة تكون بنت عمه
أو كان قد أعتقها لغنمه

فى الوارثين بقرابتين :

ومن به قرابتان اجتمعا
بدين ورثه إذا لم يمنعا
كما إذا كان له ابن عم
ومع ذا فهو أخ للأم

الحَجْبُ :

للأم والزوجين والأخت لأب
وبنت الابن حجب نقصان النسب
وحجب حرمان مضى مفصّلا
فى ذكر أحوال ذوى الإرث اعقلا
أما الذى لم يبل بالحرمان
فالأبوان وكذا الزوجان
والولدان أيها الفهيم
ويحجب المحجوب لا المحروم
كإخوة بالأب خابوا حجبوا
أما فثلثها لسدس قلبوا

فى التماثل والتداخل والتوافق والتباين :

إن عددان استويا تماثلا
كالست والست وقُل تداخلا
إن أصغر الاثنين عد الأكبرا
وذا كأربع مع اثنى عشرا
وإن يكن يفنيهما سواهما
فقد توافقا بجزئه هما
فإن يك اثنين فبالنصف وإن
ثلاثة فقل بثلث يافطن
وهكذا بالجزء فوق العشر
وإن تباينا فليس يجرى
عدهما إذن بغير الواحد
كالست والسبع وقس فى الزائد

التصحيح :

سبع أصول فثلاث تجرى
بين رءوس وسهام فادر
وأربع بين الرؤوس وهى إن
يصح فاقسمه وإن كسر يبين
لفرقة ووافقت رؤوسهم
نصيبهم فجزء سهم وفقهم
وإن تباينه فكلهم وإن
لفرقتين فهو من سطح زكن
لوفق الأولى فى جميع الثانيه
أو كلها إن باينت علانيه
وفى تماثل كإحدى الفرقتين
وفى تداخل فكالكبرى بتين
وللطوائف ولن يزيدوا
عن أربع بالكسر فالمعهود
يجرى بهم فأول فى الثانى
وحاصل يضربه المعانى
فى ثالث وحاصل فى رابع
وراع فيهم نسبا ياسامعى
أعنى توافقا وما سواه
فجزء سهم حاصل تلقاه

فهو الذى تضربه فى الأصل
وإن يكن عال فذا فى العول
وحاصل منه هو التصحيح
فاقسمه فالقسم به صحيح

مالكل فريق من التصحيح ونصيب كل فرد منه :

وإن ترد تعرف بالتصريح
ما لفريقهم من التصحيح
فاضرب سهامهم من الأصل الوفى
فى جزء سهم يحصل الحظ الخفى
أما لفرد فاضربن قسمه
من حظهم فى الجزء تعرف سهمه

مصحح الوصية :

وإن ترد مصحح الوصيه
فمن مسمى جزئها إخراج تى
ومابقى من ذاك إن لم ينقسم
على سهام وافقته يافهم
فوَفْقُهَا يُضرب فى المسمى
أو كلها إن باينته حتما
يحصل تصحيح الوصيات وذى
تضرب فى المضروب عند المأخذ
والباق فى المضروب أيضا ضربا
يحصل ما تكون منه الأنصبا

العول :

عول زيادة سهام المسأله
من كسرها فهى به مكمله
مخارج سبع هى الأصول
أربعة منهن لا تعول
وهذه الثمان ثلاث أربع
ثم ثمان وسواها يرفع
فعول ستة إلى العشر ظهر
وترا وشفعا فهو أربع صور

أما الذى بالوتر فهو اثنا عشر
ثلاث مرات إلى سبع عشر
وعول أربع وعشرين ثبت
فى مرة سبعا وعشرين أتت

الرد وهو أربعة أقسام :

الرد ضد العول فى ذى النسب
والفرض عند عدم المعصّب
صرف الذى تبقى الفروض فادرها
إلى ذوى السهام أى بقدرها

القسم الأول :

أقسامه أربعة جاءت ففى
جنس رءوسهم هى الأصل الوفى

القسم الثانى :

وأصلها السهام فى الجنسين
فالسدسين اجعلهما باثنين

القسم الثالث :

وأحد الزوجين أى من لا يرد
عليه إن يوجد وجنس اتحد
فامنحه من مخرج فرضه وما
يبقى لجنس إن أبى أن يقسما
ووافق الرءوس فاضرب وفقها
فى ذلك المخرج ياذا والفقها
وإن يباين تلك فاضرب كلها
فيه ففى هاتين تلق أصلها

القسم الرابع :

لكن مع الأجناس يستقيم
فى صورة باقيه يا فهيم
وتلك أختان من الأخياف
وجدة وزوجة للعافى
وفى سواها تضرب الأصل لهم
فى ذلك المخرج تدرى أصلهم

فاضرب نصيب من له بالرد
فيما بقى من مخرج والضد
فى أصل ذى الرد فتلقى الأسهما
وصحح الكسر بما تقدما

فى التخارج :

سهام من قد صالحوه تسقط
وما بقى فأسهما يقسَّط
كالزوج لو صالحه أم وعم
فالثلث للعم وثلثان للأم

توريث ذوى الأرحام :

ورِّث قرابة دوى الأرحام
غير ذوى التعصيب والسهام
أصنافهم أربعة فقدما
جزءا لميت ثم أصلا منتمى
فالفرع من إخوة وبعدهم
عمومة خؤولة فنسلهم

الصنف الأول ولهم ست أحوال :

وأول الأصناف نسل البنت
فقدم الأقرب أى للميت
فإن تساووا قدم الذى أتى
من وارث فإن تساووا بافتى
فى كون كل ولد الوارث أو
لغير وارث جميعا انتموا
مع اتفاق كان للأصول فى
ذكورة أو الأنوثة اعرف
فاقسم على الفروع بالسواء لو
كانوا ذكورا أو إناثا كن أو
فللذكور ضعف الأنثى وإذا
تخالفت ففى الأصول القسم ذا
ثم الحظوظ للفروع تجعل
وفى اختلاف للبطون الأول
مقسمها وتفرز الذكور
كذا الإناث ثم مايصير
للأصل فهو للفروع يجعل
وهكذا للانتهاء تفعل
والأصل عدده بعدد النسل
مع بقاء وصف ذاك الأصل
فذات فرعين تعد باثنتين
وارث ذى أصلين قل من جهتين

الصنف الثانى ولهم أربع أحوال :

ثانيهم جد بأنثى يدلى
وجدة تدلى بذاك المدلى
والكل فاسد ويحيا الأقرب
وفى استواء واتحاد ينسب
لجهة دع مدليا بوارث
وأحب الذكور الضعف غير ناكث
وصفة المدلى بهم إن تختلف
ذكورة أنوثة فما عُرف
أى فى بطون أول الأصناف
يجرى بهم فاقسم على الخلاف
وفى اختلاف القرب ثلثان لذى
أب وثلثا لذوى الأم أنفذ
واقسم على الجنس كما لو اتحد
وفى البطون ما ذكرنا يعتمد

الصنف الثالث ولهم ست أحوال :

ثالثهم بنت الأخ الشقيق أو
للوالد ونسل أخت قد رووا
فرع أخ لأخته وقُدِّما
أقربهم وفى استواء علما
أقوى فروع عاصب له حتم
وقدموا عن ولد لذى رحم

واقسم على أول بطن يختلف
في غير ذا والاختلاف قد عرف
ذكورة أنوثة كالبنت
للأخ لا للأم وابن الأخت
كذا بفرض كابن أخت لأب
وابن أخ لأمه في النسب
والخلف بالفرض والتعصيب في
بنت أخ للأبوين قد يفي
مع ابن أخته من الأم اعلم
وللفروع ما لأصل فاقسم
لذكر كسهمي الأنثى سوى
فروع أم فهمو فيه سوا
وعد فرع في الأصول روعي
وارع جهات الأصل في الفروع

الصنف الرابع ولهم حالتان :

رابعهم عمته كالعم
أخي أبيه إن يكن للأم
فهؤلاء جهة قُلْ للأب
والخال والخالة للأم انسب
فقدم الأقوى لدى اتحاد
جهتهم والثلث في التعداد
لجهة الأم وضعف لذوي
أب وليس فيهما يرعى القوى
فلا تقدم عمة للأبوين
عن خالة للأم أو بعكس تين
بل قدِّم الأقوى بكل جهة
كخالة شقيقة عن التي
للأب أو أم وإن هم استووا
فللذكور ضعف الأنثى قد حبوا

أولاد الصنف الرابع ومن في حكمهم ولهم ثمان أحوال :

مثل بني ذا الصنف بنت العم
للأب أو لأبيه والأم
فقدم الأقرب منهم إن وجد
على السوى في الجهتين فاعتمد
كبنت خالة تسرى للميت
عن بنت بنت خالة أو عمة
وفي اتحاد جهة فالأقوى
عند استواء قربهم ذو الجدوى
كن إلى ذي الأبوين ينتمي
من ذي عصوبة ومن ذي رحم
ثم الذي لعاصب قد انتمى
يكون عن ذي رحم مقدما
كبنت عمة مع ابن العمة
إن استووا فالبنت ذات الحصة
وإن تكن للأبوين العمة
والعم للأب فالابن يثبت
ذا مثل خالة تكون لأبه
أولى من التي لأم فانتبه
وفي اختلاف جهة كبنت عم
للأب وابن خاله الميراث عم
للابن ثلث ولها الثلثان في
معتمد المتون كالكنز اعرف
وقدَّم البنت السرخسي وما
صوبه ذو الحامدية اعلما
وإن يكونوا كلهم من ذوي رحم
فاقسم ولا خلف بتثليث علم
ما اعتبرت قوة قرب يوضح
بين الفريقين فلا يرجح
ابن لعمة شقيقة على
ابن لخالة من الأب انجلا

لكن قوى جهة فيها الأحق
وفى البطون القسم مثل ما سبق
وعدد الفروع فى الأصل ثبت
كذا جهات الأصل فى الفرع أتت

تتمة :

وبعدهم عمومة للأبوين
وإن علت كذا خؤولة لذين

فى الحمل :

أقل مده لحمل نصف عام
ومنتهاها سنتان بالتمام
إن لم تقر بانقضاء العده
وولدت قبل تمام المده
منه فورثه وإن من غيره
بعد الأقل لم ينل من خيره
إلا التى تعتد للطلاق إن
بالانقضاء ما أقرت فاستبن
وعند قسم تركة فليعتبر
أفضل مولوديه أنثى أو ذكر
فإن يكن يحرم لو يذكر
أو عكسه فوارثا مقدَّر
وكفَّل القاضى ذوى الإرث إذا
يخاف نقصانا وبالأكثر ذا
إن يخرج الأكثر حيا وعلم
بأثر ذاك فبالإرث حكم
فصدر ذى استقامة برأسه
بذا اعتبر وسُرَّة فى عكسه
إن بجناية خروج الميت
ورِّثه لا بنفسه من علة
واعمل بتصحيحين إذ تُقدَّر
ذكورة أنوثة وتنظر
بينهما فى الوفق والتباين
فاضرب وتصحيحهما من كائن
فمن يكن نصيبه فى الأول
فاضربه فى الثانى أو الوفق الجلى
واعكس لمن له بثانى الأصلين
وأعط وُرَّاثا أقل السطحين
وإن به قد يحرم الورَّاث
فى حالة فليوقف الميراث
وامنحه بعد الوضع ما استحقا
واقسم عليهم إن يزد ما أبقى

فى المفقود :

وإن يمت مفقودهم فى ماله
فقفه يا ذا لبيان حاله
فإن بدا حيا وإلا صُرفا
إذا قضى بموته ما وقفا
بفوت مدة بها أقرانه
تفنى أو التسعين ذا بيانه
وكالجنين اجعل له أصلين
واحبس له زيادة الحظين

فى الخنثى :

وأسوأ الحالين للخنثى وإن
يحرم من الميراث فيها فاستبن

فى المرتد :

وإن يمت ذو ردة أو يحكما
عليه قاض بلحاق عُلما
فالإرث منها ما حواه مسلما
والفىء ما فى ردة قد غُنما
وكسبها لوارثيها مطلقا
وفى ارتداد القوم إرث حققا

في الأسير:

ذو الأسـر دون ردة كـالمسلم
ومثل مفقـود بجهل فـاعلم

فيمن يموتون جملة:

وإن يمـوتـوا جملـة فلتقض
بمنـع إرث بعضهم مـن بعـض
وفي التبـاس سـابق كأن علم
يـوقف للظهـور أو صلح يتم
ثم تـراث الكل منهم للـذي
يـوجـد من ورّاثـه فليـؤخـذ

في ذي النسب المشترك:

ذو نسب مشتـرك لاثنين
من أمَـة ميـراثـه كـابنين
وإرث كـل منهمـا كنصف أب
وكـامل للبـاق لـو فـرد ذهب

ميراث أولاد اللعان والزنا:

ميـراث أولاد اللعـان والـزنـا
بجهـة الأم فقط لمن دنـا

في الوارثين بجهتي فرضين:

وجهتـا فـرضين لـو فُـرِّقتـا
في اثنين فـالحجب لـواحـد أتى
بـآخـر فـالإرث بـالحاجبـة
كبنت آتي أمـه بشبهـة
إذا تـموت فبأمـومـة لأم
إرث وإلا بهمـا الميـراث أم

المناسخات:

هـاك المنـاسخـات في الميـراث
وتلك مـوت أحـد الـوراث
قبل اقتسـامهم عن الـذينـا
قـد غـابـروا قسمة الأولينا
فـاعـرف نصيب الثـان من مصحح
لأول ثـم لثـان صحح
مسألـة واقسم عليهـا سهمـه
فإن وفـي فأول للقسمـه
صح لـلاثنين وإن لم ينقسم
لكنـه وافقهـا فقـد حُكم
بضـرب أول بـوفق مـا تـلا
وإن يبـاينهـا فبـالكل انجلى
وحـاصل الضـرب يسمى جـامعـه
وقسمـة الـورّاث فيهـا واقعـه
فـاضـرب سهـام وارث من أول
في وفـق تصحيح تـلا أو أكمل
واضـرب سهـام وارث الأخيـر في
وفـق لحظ الثـان أو كل وفي
فحـاصل لـوارث نصيبـه
واجمع لـه من ذين مـا يصيبـه
واجعل بمـوت ثـالث ذي الجـامعـه
مسألـة أولى وصحح شـافعـه

قسمة التركة وفيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الطريق المشهور

إن وافـق التصحيح مـال الميت
فقسمـه إذن بضـرب الحصـة
في وفق تـركـة وحـاصل على
وفـق الـذي صححت قسمـه عـلا
وإن يكن بينهمـا تبـايـن
فضـربهـا في كل مـال كـائن
واقسم على مصحح مـا قـد حصل
تعلم نصيب وارث لـه انتقل
لكل فـرد إن أردت حصتـه
ومثلـه الفـريق فـاعلم قسمته

فيما إذا كان فى التركة كسر:

وإن يكن فى المال كسر فاضرب
فى مخرج الكسر صحيحا تُصب
وضم ذا الكسر لحاصل يجى
واضرب مصححا بذاك المخرج
فالحاصلان أول كالتركة
والثانى كالتصحيح عند القسمة

الوجه الثانى: النسبة:

أو للمصحح أنسب السهم ومن
مال بمثل نسبة له أبِنْ

الوجه الثالث: تقريط المسائل:

وفى العقار والذى لا ينقسم
قدره أربعا وعشرين يتم
بقسم تصحيح على المال اعلم
وخارج عليه قسم الأسهُم
فتخرج الحظوظ للوراث
وهى قراريط من الميراث

قسمة التركة على الغرماء:

وإن أردت قسمة للغرما
فلتفرض الديون فيها أسهما
وجمعها مصححا والعمل
فى فرز ما خص السهام الأول
وأحمد الله على التمام
وأرتجيه الحسن فى الختام

(خلاصة الفرائض، منظومة لعبد الملك الفتنى، المطبوعة فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٥٧ ـ ٧٦).

*** الخلاصة فى أصول الحديث:**

الخلاصة فى أصول الحديث: لشرف الدين حسن بن محمد الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة وهو مختصر على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ذكر أنه لخصه من علوم الحديث لابن الصلاح ومختصر النووى والقاضى ابن جماعة وأضاف إلى ذلك زيادات مهمة من جامع الأصول وغيره وعليه حاشية للعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٠).

*** الخلاصة فى الحساب:**

انظر: خلاصة الحساب.

*** الخلاصة فى فن الجراحة (ترجمته التركية):**

تأليف جماعة من الأطباء منهم الشيخ الأجل أبو طاهر بن محمد العربى رئيس الجراحين فى عهد الخليفة المأمون العباسى، وهى باللغة الفارسية ترجمها إلى التركية الجراح مسعود.

والكتاب فى الجراحة وألف أيام الخليفة المأمون العباسى وبإشارة منه عقب شفائه من جرح أصيب به، ويقع فى ثلاثة أبواب.

أحد المخطوطات التركية العثمانية بدار الكتب القومية.

أولها: شكر بى حد وسپاس بى عد أول الله ذو الجلاله كه ... إلخ.

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد، بقلم عادى (تمت كتابتها سنة ١٢٦٣ هـ بخط صاحب حسين بن حاجى بكر الشمنى وى) ضمن مجموعة من الورقة الأولى ـ ١٨، مسطرتها ٢١ سطرا فى ٢١,٥ × ١٥,٥ سم.

(٢٧ طب تركى طلعت).

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية التى تقتنيها دار الكتب المصرية حتى عام ١٩٦٣ م، ١ / ١٩٨، ١٩٩).

*** خلاصة فى الوصفات الطبية:**

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٨٠٧٩

وهى مجموعة من الفوائد منقوله من كتب طبية مختلفة بالفارسية بعض الفوائد كتبت سنة ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٠٣).

*** خلاصة القوانين:**

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٥٨٢٥

لمحمد حسين بن محمد هادى العقيلى العلوى الشيرازى الذى كان حيا سنة ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م.

الأول (بعد ازحمد وصلواة...)

باللغة الفارسية رتبه المؤلف على ١٧ بابا فى عدة فصول.

نسخة جيدة فى أولها فهرس كتبت سنة ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٢ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠٤).

*** خلاصة القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع:**

خلاصة القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع: لبعض الوعاظ المعاصر لملاعرب الواعظ المذكور فى خطبته أوله: الحمد لله الذى أعلى قدر حبيبه... إلخ جمع فيه أربعين حديثا من أربعين صحابيا.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة الكلام فى تأويل الأحلام:**

خلاصة الكلام فى تأويل الأحلام.. لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله وهو مختصر على أربعة وعشرين بابا أوله الحمد لله الذى سلك بنا المنهج اليقين... إلخ.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة ما يحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوباء والطاعون:**

خلاصة ما يحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوباء والطاعون: لمحمد بن فتح الله بن محمود البيلونى الحلبى المتوفى سنة ١٠٤٢ اثنتين وأربعين وألف مختصر على أبواب أوله: بسم الله خير الأسماء. وفرغ فى آخر ربيع الثانى سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين وألف.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** الخلاصة المرضية فى سلوك طريق الصوفية:**

الخلاصة المرضية فى سلوك طريق الصوفية: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الدائم الأشمونى المالكى المتوفى سنة ٨٨١ إحدى وثمانين وثمانمائة وهى تشتمل على أبواب.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة المشايخ:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٧٠١٠

لمحمد حسين الأعلمى المولود سنة ١٩٠٢ م

وهو كتاب فى الرجال رتبه المؤلف على حروف الهجاء نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف سنة ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م.

القياس ١٠ ص ٢٤×١٨ سم ٢٤ س

معجم المؤلفين العراقيين ٣/ ١٥٠.

(فهرس مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٦٧).

*** خلاصة المفاخر واختصار مناقب الشيخ عبد القادر وجماعة ممن عظمه من الشيوخ الأكابر:**

من مخطوطات التاريخ بمعهد المخطوطات العربية.

وهو مختصر أسنى المفاخر فى مناقب الشيخ عبد القادر.

لعفيف الدين عبد الله بن أسعد بن على اليافعى اليمنى، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ.

(بروكلمان ٢/ ١٧٧، وملحق ٢/ ٢٢٨).

أوله: «قال الفقير إلى عفو الله... عبد الله بن أسعد اليافعى... أما بعد حمدا لله تعالى... فهذا كتاب عجائب الآيات المشتملات على غرائب الكرامات التى هى من تتمات المعجزات والبراهين أردفتها على سبيل التكملة لكتابى الموسوم بروض الرياحين. ولقبته خلاصة المفاخر...».

وآخره:

وسبحانك اللهم ربنا مقدسا
وأوسع قطر للورى فضله مولى

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ١٢٧ ورقة ومسطرتها ١٨ سطرا. فرغ من نسخها يوم الأربعاء ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٠٨٠ هـ.

[رواق المغاربة ١٢٠١ الأزهر] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م/ ١٦٢، ١٦٣).

*** خلاصة الهيئة (ترجمته التركية):**

وهي ترجمة تركية مع زيادات لكتاب خلاصة الهيئة لعلاء الدين علي بن محمد السمرقندي الشهير بقوشجي المتوفى سنة ٨٧٩ هـ.

ترجمة علي بن الحسين الغلطه وي الشهير بسيدي رئيس المتخلص بكاتبي المتوفى سنة ٩٧٠ هـ.

أحد المخطوطات التركية العثمانية بدار الكتب القومية

أولها ـ سياس بي قياس وستايش بي مقياس أول حكيم باحكمته ... إلخ.

ـ نسخة مخطوطة، بقلم تعليق معتاد، بدون تاريخ، ضمن مجموعة من ورقة ٦٥ ـ ١٥٤، مسطرتها ١٩ سطرا، في ١٩,٥ × ١٤,٥ سم.

على هوامش النسخة تقاييد كثيرة.

(٥ ـ م ميقات تركي)

وتوجد نسخه أخرى أولها كالسابقة.

مخطوطة مجدولة بالمداد الأحمر، بقلم نسخ، بدون تارخ، الكتاب الأول ضمن مجموعة أوراقها ١٢٠ ورقة، مسطرتها ١٥ سطرا، في ٢١ × ١٥,٥ سم.

بها صور وجداول:

(١ مجاميع تركي قوله)

ونسخة ثالثة أولها كالسابقة:

ـ مخطوطة في مجلد، بقلم نسخ، بدون تاريخ، في ١٥٠ ص، مسطرتها ٢٠ سطرا، في ٢٢ × ١٥ سم.

بها صور بالألوان.

(١٣٧ الرياضيات التيمورية)

ونسخة رابعة ـ أولها ـ بوباب كواكب اتصالن وتربيعن وتثليثن ومقابل ومقارنه سن بيان ايدر... إلخ.

ـ نسخة مخطوطة في مجلد، بقلم عادي، بدون تاريخ، ١١٥ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرا، في ٢٠ × ١١ سم.

تتبع الكتاب الجداول وبعض تقاييد.

(٤٩ فلك ونجوم تركي طلعت)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ م، ١/ ١٩٩).

*** خلاصة الوسائل إلى علم المسائل:**

خلاصة الوسائل إلى علم المسائل: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة مجلد ذكر أنه لخصه من مختصر المزني وزاد عليه.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى:**

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى لنور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني، المعروف بالسمهودي. مؤرخ، فقيه. ولد بسمهود في مصر، ونشأ بها، وتوفي بالمدينة سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م. وقد رتبه على ثمانية أبواب: الأول في أسماء البلد، الثاني في فضائلها، الثالث في أخبار سكانها، الرابع فيما يتعلق بأمور مسجدها، الخامس في مصلّى النبي ﷺ، السادس في آبارها، السابع في أوديتها، الثامن في زيارته عليه الصلاة والسلام. وذكر أنه اختصره من كتابه اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ثم لخصه، وسماه خلاصة الوفا، وذكر في خلاصة الوفا، أنه ألف: أولا كتابا كبيرا سماه الوفا لخص فيه ما أمكنه الوقوف عليه من تواريخها وما عاينه من أمور لم يظفر بها أحد من مؤرخيها، ثم اختصره وسماه وفا الوفا، ثم اختصر هذا المختصر وسماه خلاصة الوفا (التاريخ والجغرافية/ ١٨٧، ١٨٨).

يوجد مخطوطه في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ١٦١٥

الأول: الحمد لله الذي شرف طابة وشوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة ...) وهو كتاب في تأريخ المدينة المنورة اختصره المؤلف من كتابه الموسوم بالوفا بأخبار دار المصطفى ورتبه في ثمانية أبواب وجعل كل باب في عدة فصول وفرغ منه سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م.

نسخة جيدة كتبت بالمدادين الأسود والأحمر عليها بعض الحواشي كتبها عبد الله بن سعيد باجودة الحضرمي الشافعي سنة ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٦ م.

القياس ٤٣٤ ص ٢٣ × ١٦,٥ سم ٢٨ س

كشف ٢/ ٢٠١٦ معجم المؤلفين ٧/ ١٢٩ طبع ببولاق

سنة ١٢٨٥ / ١٨٦٨م الخديوية ٥ / ٥٠ (مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٦٧، ١٦٨).

كما يوجد مخطوط في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا وجاء بيانه كما يلي:

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى:

لنور الدين علي بن أحمد السمهودي الشافعي المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م.

انظر ترجمة المؤلف في، شذرات الذهب ٨ / ٥ ـ ١٥، وبروكلمان ٢ / ١٧٣ وذيله ٢ / ٢٢٣، والكشف ٢ / ٢٠١٦.

مكتوب بخط النسخ.

(طبع هذا الكتاب في مكة سنة ١٣١٦ هـ).

أوله: بعد البسملة، رب يا كريم الحمد لله الذي شرف ...

آخره: وقال الهجري ومرتين طريق أي سلك هناك إلى بين والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كاتبه وسنة كتابته: وكان الفراغ منه نهار الخميس ضحوتي نهار، ونهار الفراغ ثنتين من شعبان المبارك عام ٩٧٩ هـ على يد... عبد الرحيم بن أحمد الشيرازي أصلا المدني موطنا الشافعي مذهبا.

إن رأيت عيبا فسد الخللا
جَلَّ من لا عيب فيه وعَلاَ

مقياس المجلد: ١٨,٨ × ١٣.

مقياس الكتابة: ١٤,٥ × ٨,٥.

عدد الأوراق: ٥٨٣.

عدد الأسطر: ١٩.

رقمه في الخزانة: ٦٤٦.

رقم المجلد ٩٦.

(مخطوطات مكتبة متحف «مولانا» / ١٨٥، ١٨٦).

(التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ١٨٧، ١٨٨، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٦٧، ١٦٨، والمخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا ـ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٥، ١٨٦).

*** الخلاطي:**

من شيوخ الرحالة ابن رشيد الذين التقى بهم في مصر القاهرة وقرأ عليهم الشيخ الصالح شهاب الدين أبو البركات شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي الصوفي سمع ابن رواج.

قرأ عليه ابن رشيد جزءا من حديث الخليلي، منه حديث أبي جحيفة: «جالس الكبراء ...» وذكر تعليق أبي يعلى عليه، وطريقا آخر في روايته.

وبالإسناد إلى الخليلي وروايته أبياتا لأبي فراس الحمداني، وأخرى لبشر الحافي. وقرأ على ابن الأنماطي أيضا جزءا في حكايات الأصمعي علق ابن رشيد على بعضها، وذكر أبياتا مماثلة من نظمه تصور نفس المعنى من حيث الإغضاء والتجاوز.

وفيما يلي ما كتبه عنه ابن رشيد وقد وضعنا تعليقات المحقق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة بين أقواس في أثناء النص. قال ابن رشيد رحمه الله:

وممن لقيته بالقاهرة: الشيخ الصالح شهاب الدين أبو البركات شعبان بن أبي الطاهر بن عمر الخلاطي الصوفي. سمعت عليه، وأجاز لي ولبني محمد وعائشة وأمة الله.

سمع أبا محمد بن رواج.

وكان مسكن هذا الشيخ بمشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما من القاهرة المعزية.

قرأت عليه بها جزءا من حديث أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي الحافظ، عن شيوخه رواية القاضي الإمام أبي الفتح الماكي عنه، رواية الحافظ السلفي عنه، رواية عبد الوهاب بن رواج عنه، رواية شيخنا أبي البركات عنه.

قرأت على أبي البركات شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي أثناء الجزء المذكور في يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة بإيوان مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما قال، أنا أبو محمد بن رواج سماعا عليه قال، أنا أبو طاهر السلفي سماعا قال، أنا القاضي الإمام أبو الفتح إسماعيل بن عبد الجبار بن محمد الماكي، من أصل سماعه بقزوين، أنا أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي

الحافظ، أنـا أبو الحسن على بن محمد بن عمر بن العباس الفقيه، (هـو أبـو الحسن بن القصـار الفقيـه الشـافعي فـلا يشتبهن بلقيبـه وسميـه على بن عمر بـن القصار البغـدادى. ٣٩٧ / ١٠٠٦. أكثر عن عبد الرحمن بن أبى حاتم جماعة. وكـان لـه فى كل علم حظ ـ الذهبى العبر ٣ / ٦٤) نا عبـد الرحمن بن أبـى حاتم الرازى، نـا محمد بن إسمـاعيل سمرة الأحمسى (هـو أبـو جعفـر محمـد بـن إسمـاعيل بن سمـرة الأحمسى الكـوفى السراج. (ت ٢٥٠ هـ/ ٨٧٤ م) ثقة روى عن أبى معـاويـة وابن عيينـة والمحـاربى وجعفـر بن عـون وآخـرين، وعنه الترمذى والنسـائى وابن ماجـه وابن خزيمـة وجماعة. ابن حجر. التهذيب ٩ / ٥٨).

نا إسحاق بن ربيع العصفرى (هـو أبو إسماعيل الكوفى. مقبـول. وضعفـه ابن عـدى. روى عن الأعمش وداود بن أبى هنـد ومسعـر وغيرهم، وعنـه أحمـد بن بـديل ومحمـد بن إسماعيل وجماعة. ابن حجر. التهذيب: ١ / ٢٣٢، ٤٣١، التقريب / ٢٨)، حدثنى أبو مالك(هو النخعى الواسطى عبد الملك بن الحسين، وهو ضعيف ليس ثقة، متروك الحديث. ابن حجر التهذيب ١٢ / ٢١٩، ١٠٠٧) عن سلمة بن كهيل (هو أبـو يحيى سلمة بن كهيل الحضـرمى الكوفى. مـن جلة مشـائخ الكوفيين ت ١٢١ هـ/ ٧٣٨ م. رأى ابن عمـر وأخذ عن جنـدب وأبى جحيفة وسـويد بن غفلـة، وعنه ابنـه يحيى وشعبـة وحمـاد بن سلمـة الخـزرجى / ١٤٩، ابن حبـان / ١١٠، ٨٩٣) عن أبى جحيفـة (هـو أبـو جحيفـة السـوائى، واسمه وهب بن عبد الله العامـرى وسماه على وهب الخير ت ٧٤ هـ/ ٦٩٤م. ابن حبان / ٤٦، ٢٩٥) قال:

«قال النبى ﷺ: جـالس الكبراء وسائل العلمـاء، وخالط الحكماء»

(هـذا الحـديث ورد بصيغ كثيـرة ومن طرق متعـددة كمـا ذكرت نظـائر له فى كتب الحديث. رواه الطبـرانى والعسكرى من حـديث أبى مـالك النخعى عـن سلمـة بن كهيل عن أبى جحيفـة، مرفـوعا بلفظ: «جـالسـوا العلماء وسـائلوا الكبـراء وخـالطـوا الحكمـاء». وكذا أخـرجـه العسكـرى من حـديث إسحاق بن الربيع العصفرى: ثنا أبو مالك به نحوه، وورد من جهـة مسعـر عن سلمـة عن أبى جحيفـة، قال كـان يقـال: «جالـس الكبراء وخالـط العلماء وخـالل الحكماء» مـوقوف. وفى الباب عن ابن عبـاس قيل يارسـول الله: من نجالس؟ أو قال أى جلسائنا خير؟ قال من ذكركم الله رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم الآخرة عملـه» وعن أبى عيينة قال قيل لعيسى يا روح الله من نجـالس؟ فقـال من يـزيـد فى علمكـم منطقـه ويـذكـركم الله رؤيتـه ويـرغبكم فى الآخـرة عملـه» رواهمـا العسكرى. المقاصد / ١٧٠، ٣٦٢).

قال الحـافظ أبو يعلى: لـم يسنده عن سلمة إلا أبـو مالك ابن الحسين. ورواه مسعر (ت ١٥٥ هـ/ ٧٧١ م) عن سلمة موقوفا:

حـدثناه على بـن عمر، نـا ابن أبى حـاتم، نـا أبو سعيـد الأشج هـو أبـو سعيد عبـد الله بن سعيـد بن حصين الكنـدى الأشج الكـوفى ت ٢٥٧ هـ ـ ٨٦٠ م ثقـة صـدوق لا بأس بـه ولكنه يروى عن قوم ضعفاء. ابن حجر. التهذيب ٥ / ٢٣٦، ٤١٠) نا ابن نمير، نا مسعر، حدثنى سلمة بن كهيل:

«أن أبا جحيفة كان يقول: جـالس الكبراء وخالط العلماء وخالل الحكماء» (أخرجه الطبرانى. انظر النبهانى٢ / ٦٢).

وبالإسناد، بسلسلـة الإنشاد إلى أبى يعلى الخليلى قال، أنشـدنا عبـد الله بن أحمد بن روزبـة الكسروى، أنشـدنا أبـو فراس الحارث بن حمدان التغلبى لنفسه:

[البسيط]

ولـو مضى الكل منى لم يكن عجبـا ... *وإنمـا عجبى للبعـض كيف بقى!*

يـا من وهبت لـه روحى يعـذبـه ... *ورمت إخـلاصـه منـه فلم أطق*

أدرك بقيـة روح فيك قـد تلفت ... *قبل الممـات فهـذا آخـر الـرمق*

قـد كنت عنـدك قبل العـز مطّـرحـا ... *وعنـد غيـرك محمـولا على الحـدق.*

وبالإسنـاد، بسلسلة إلى الخليلى قـال، أنشدنى ابن أبى زرعة القـاضى، أنشدنى إسحـاق بن أحمد الأصبهـانى، عن آخر، عن بشر الحافى (أوردنا ترجمته فى حرف الباء فانظره فى موضعه).

[الكامل]

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب
والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والإخا
وقلوبهم محشوة بعقارب

وقرأت أيضا على شعبان المذكور فى التاريخ المذكور / جزءا فيه من حكايات عبد الملك بن قريب الأصمعى (أوردنا ترجمته فى حرف الالف فانظره فى موضعه). عن العرب وغيرهم، رواية صدقة بن موسى الغنوى (صدقة بن موسى بن تميم شيخ مجهول. روى عن أبيه عن حميد الطويل بخبر باطل لم يرو عنه سوى أحمد بن عبد الله الذارع أحاديث منكرة والحمل فيها على الذارع. ابن حجر. اللسان: ٣ / ١٨٧، ٤٧٠) عنه، رواية أبى بكر أحمد بن نصر بن عبد الله الذارع (أحد الضعفاء والمتروكين روى عن الحارث بن أبى أسامة فأتى بمناكير تدل على أنه ليس ثقة. انظر الذهبى. الميزان ١ / ١٦١، ٦٤٤) عنه، رواية الحسن بن الحسين بن دوما (فى الاسم نقص، وتمامه من الإكمال: أبو على الحسن بن الحسين بن دوما النعالى البغدادى (ت ٤٣١ هـ / ١٠٣٩م) روى عن أبى بكر الشافعى وطائفة. ضعيف. الذهبى العبر ٣ / ١٧٣) عنه، رواية الرئيس أبى على محمد بن سعيد بن نبهان (هو أبو على بن نبهان الكاتب. له سماع صحيح وفيه تشيع (ت ٥١١ هـ / ١١١٨ م). روى عن ابن شاذان وبشرى الفاتنى وابن دوما. الذهبى العبر ٤ / ٢٥) عنه رواية الحافظ أبى الطاهر السلفى عنه، رواية أبى محمد بن رواج عنه رواية شعبان عنه:

أنا شعبان، أنا أبو البركات بن أبى طاهر الصوفى بقراءتى عليه، أنا أبو محمد بن رواج سماعا عليه، أنا الحافظ أبو طاهر السلفى قراءة عليه وأنا أسمع قال، أنا الرئيس أبو على محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب، قرىء عليه ببغداد وأنا أسمع قيل له، أخبرك أبو على الحسن بن الحسين ابن العباس بن دوما النعالى، أنا أبو بكر أحمد بن نصر بن عبد الله بن الفتح الذارع قراءة عليه فأقر به بالنهروان وأنا أسمع، نا أبو العباس صدقة بن موسى بن تميم بن ربيعة بن ضمرة الغنوى، نا عبد الملك بن قريب الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: ما رأيت دارا أغر من الدنيا، ولا طالبا أغشم من الموت. ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه، ومن وكل به الموت أفناه».

وبالإسناد، نا الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة، وشر من الممات ما إذا نزل بك أحببت لنزوله الموت».

وبه، نا الأصمعى قال:

«خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فسمعت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة يقول: اللهم، إنك مضيف وأنا ضيفك! اللهم، وإنى راجع إلى أهلى وهم سائلون عما ذا قريتنى! اللهم، وإنى مخبرهم أنك قريتنى الجنة وأجرتنى من النار! وافعل أنت بعد ذا ما تشاء».

وبالإسناد، نا الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: اللهم اغفر لى وارض عنى، وإن لم ترض عنى فاعف عنى، فربما عفوت عن عبد ولست عنه براض». وبالإسناد نا الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: الحمد لله الذى لا يبلى جديده، ولا يحصى عديده، ولا تبلغ حدوده». ورأيته فى نسخة مروية من طريق الحافظ السلفى: الحمد لله حمدا لا يبلى جديده.

وبه، نا الأصمعى قال:

«سمعت أبا عمرو بن العلاء (هو أبو عمرو زبان بن العلاء عمار التميمى المازنى البصرى، ولد سنة ٧٠ هـ / ٦٩٠م بمكة المكرمة، وتوفى سنة ١٥٤ هـ / ٧٧١ م بالكوفة. أحد القراء السبعة وإمام من أئمة اللغة والأدب. الزركلى ٣ / ٧٢) يقول: قال الحسن البصرى (أوردنا ترجمته فى حرف الحاء فانظره فى موضعه):

من تعزز بالمعصية أذله الله بالحق». قلت: لو قال من تعزز بالباطل لتمت له المطابقة فى الكلمتين.

وبه، نا الأصمعى قال:

«خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فحالَّنى مجملى محمل أعرابى، فشتمته وضربته. فاحتملنى. فلما صرت إلى بيت الله الحرام رأيت الأعرابى متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول: إن

كنت غفرت لى فاغفر لمن شتمني وضربني. فقلت: يا أعرابي، ضربناك وشتمناك وتدعو لنا! قال: فنظر إليَّ نظرة ثم أنشأ يقول:

[السريع]

لا يغضب الحـر على سفلة
والحـر لا يغضبه النذل
إذا لئيم سبني جهده
أقول: زدني، فلي الفضل

قلت: هكذا في النسخة: النذل بالذال المعجمة، والنذل والنذيل المزدري من الرجال، والجمع أنذال. وقد نذل نذالة قاله صاحب مختصر العين. وقد سمعت من ينشد قول بعضهم:

[الطويل]

فإياك إياك المزاح فإنه
يجرِّى عليك الطفل والدنس النذلا

بالدال المهملة. والندل بالدال المهملة الوسخ، وبعضهم بالمعجمة، وهو بالمهملة جيد لمناسبة الدنس. وفي الأول الوجه أن يكون بالمعجمة.

وقد قلت في قصة عرضت كان لها شبه من حيث الإغضاء والتجاوز بقصة الأعرابي:

[الطويل]

إذا نال من عرضي حسود يغض بي
فأجزيه إعراضا يزيد شجاه
أزيد على الإغضاب حلما، كعنبر
يزيد على الإحراق طيب شذاه

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٨).

* **الخلاف:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات، وعلم الصيدلة.

قال الزبيدي: خلاف: ككتاب وشدده أي مع فتحه لحن من العوام كما في العباب صنف من الصفصاف وليس به، وهو بأرض العرب كثير ويسمى السوجر وأصنافه كثيرة وكلها خوّار ضعيف والواحدة خلافة وزعموا أنه سمى خلافا لأن السيل يجيء به سببا فينبت من خلاف أصله، قاله أبو حنيفة وهذا ليس بقوى قال الجوهري وموضعه مخلفة (معجم أسماء النباتات/ ٥٣).

وقال القزويني في عجائبه:

الخلاف: شجرة الصفصاف خشبها خفيف جدا يتخذ منه الصوائح، ورقها على شكل الخنجر يقوى الدماغ ويرطبه ويجعل في فراش من ضربه السموم ينفعه (عجائب المخلوقات/ ١٦٦).

وقد أورده المظفر الرسولي نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي.

الخلاف ـ «ع» أصنافه كثيرة، منها الصفصاف، وهو صنفان: أحمر وأبيض. وقال: الخلاف صنف من الصفصاف وليس به، والفرق بينهما، وإن كانا في الشبه، والشكل، وسباطة الأغصان، وكيفية الورق سواء، إلا أنه ليس للصفصاف فقّاح الخلاف، وليس ذلك أن ثمرة الخلاف ذكية الرائحة، ناعمة الشم والملمس، في لين الخز الفاختي اللون، وعلى السنابل مثل الزغب، وليس في الصفصاف من هذه شيء، وإنما يثمر الصفصاف حبا أبيض اللون، ينتظم على فروعه وأغصانه مثل حب الجاورس، يضرب في بياضه إلى الصفرة، وليس ينتفع به في علاج الطب، وفقّاح الخلاف إذا شُم كان نافعا لمحروري الأمزجة، مرطبا لأدمغتهم، مسكنا لما يعرض لهم من الصداع الشديد، الكائن عن بخار المِرَّة الصفراء، ويُربى وهو رطب غض بالسمسم المخلوع، ويستخرج دهنه وهو رطب، وهو المسمى دهن الخلاف، وهو دهن طيب الرائحه. «ج» خلاف هو الصفصاف وقد يخرج لورقه إذا شدخ صمغ برى. والخلاف البلخي وهو البهرامج. وأجوده الذي ينبت في عيونه، وهو بارد يابس، ثمرته وورقه قابضان بلا لذع، وفيه تجفيف، ورماده شديد التجفيف، وهو

يحبس الدم إذا تضمد به رطبا، وماؤه يسكن الصداع، وعصير ورقه بالغ فى علاج المِدَّة التى تسيل من الأذُن، وثمرته تجعل على ضربة الحدقة، وتنفع نزف الدم، «ف» من الأشجار المعروفة. وصمغه شديد الجلاء، يختار ماؤه وثمره الطرى، وهو حار يابس، ينفع ماؤه من سدد الكبد واليرقان، وثمرته للإسهال والشربة من مائه: أوقيتان (المعتمد ١ / ١٣٤).

وقال عنه داود الأنطاكى فى تذكرته: الخلاف بالتخفيف أفصح هو الصفصاف بأنواعه وأجوده البرى الذى ليس له سنابل ناعم طيب الرائحة إلى مرارة ويليه البهرامج المعروف بالبلخى ثم الصفصاف المر وهو شجر لا يختص بزمن وغالب وجوده عندالمياه والأرض الباردة وهو بارد فى الثانية رطب فيها أو فى الأولى وهو يابس يفتح سدد الكبد ويدفع الخفقان والعطش واللهيب وضعف المعدة عن حر والحميات وورقه يدفع الحكة والجرب طلاء ويحلل الأورام والضربة وصمغه يحد البصر وهو يضر الشراسيف ويصلحه ماء الورد وشربته إلى خمسين وبدله الريباس (التذكرة ١ / ١٤٣).

وقال عنه ابن سينا:

الخلاف نوع من الصفصاف وقيل هو الخيزران قد يخرج لورقه إذا شدخ صمغ قوى. ثمرته وورقه قابض بلا لذع. وله تجفيف كاف، ورماده شديد التجفيف. وإذا تضمد به رطبا حبس نزف الدم وقد يشرخ ورقه فيخرج له صمغ شديد الجلاء، ملطف. رماده يقلع الثآليل طلاء بالخل ضمادا للجراحات الواقعة فى العظام، وخصوصا ثمرته وورقه ورماده يزيل النملة إذا طليت به بالخل. فقّاحه وماؤه، مسكن للصداع، وعصير ورقه لا شىء أبلغ منه فى قلاع المدة «القيح» التى تسيل من الأذن. توضع ثمرته وماؤه على ضرب الحدقة أو حدقة العين، وصمغه نافع جدا للبصر الضعيف. ماؤه نافع من سدد الكبد ومن اليرقان. ثمرته نافعة لأصحاب اختلاف الدم (القانون فى الطب / ٣٢٠، ٣٢١).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتعليق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٣، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٦٦، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٤، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٣، والقانون فى الطب لابن سينا ــ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ.د. أحمد شوكت الشطى / ٣٢٠، ٣٢١. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ٣٢٨).

* **الخلاف:**

أفرد الحافظ ابن عبد البر فى كتابه «آداب المجالسة وحمد اللسان» فصلا فى ذم الخلاف ومدح المساعدة جاء فيه ما يلى:

قال «عبد الله بن مسعود»:

«الخلاف شر».

(أخرجه أبو داود (١٩٦٠) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى عثمان بمِنى أربعا، فقال عبد الله بن مسعود: صليت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ركعتين ومع أبى بكر ركعتين ومع عمر ركعتين ومع عثمان صدرا من إمارته ثم أتمها، ثم تفرقت بكم الطرق فلوددت أن لى من أربع ركعات ركعتين متقبلتين. قيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعا؟! قال: الخلاف شر).

وكان يقال:

«لا خير مع الخلاف، ولا شر مع الائتلاف».

قال بعض العلماء:

«الخلاف يهدم الرأى، ولا يقوم مع الخلاف شىء».

قال «جعفر بن سعد».

«تعالى الله. ما أقل الإنصاف وأكثر الخلاف!».

وقال:

الخلاف فى كل شىء حتى القذارة فى رأس الكوز، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك، وإن أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

وقالوا:

المخالفة توجب الوحشة، والمساعدة توجب الألفة، وليس مع الاختلاف ائتلاف.

قال بعض الحكماء:

كما لا يثبت الكتاب على الماء، كذلك لا تثبت مودتك فى القلب إن خالفت هواه.

وقالوا:

البر فى المساعدة والمؤانسة والمؤاخاة، والعداوة فى الهيادة (الهيادة: الإفزاع)

قال «بشار بن برد»:

وإنى رام من يقاربنى
فيما هويت ومن أقاربه
عجل الملامة حين أعجبه
وإذا غضبت بين جانبه
له علىّ وإن تجنبنى
ما عشت دوما لا أجانبه

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«من تعلم بابا من النجوم تعلم بابا من السحر، ومن زاد زاد».

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«إذا ذُكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا».

(ذكره أبو الفضل المقدسى فى تذكرة الموضوعات: [٣١] برقم (٥٨) بلفظ:

«إذا ذكر النجوم فأمسكوا؛ فإنه يدعو إلى الكهانة، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا».

وقال: «فيه يحيى بن سابق: لا يحتج به». بل صححه الألبانى فى «الصحيحة» (٣٤) وهو كذلك).

قال «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه:

«تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر وأمسكوا».

أخبرنى «عبد الله بن محمد بن يوسف» قال:

أخبرنى «يحيى بن مالك بن عابد» قال: أنبأنا «أحمد بن محمد بن عبد ربه» الشاعر قال:

«دخلت على الوزير «جهور بن الضيف»، وكان الغيث قد احتبس، واغتم الناس لذلك، وتحدث المنجمون بتأخير الغيث مدة طويلة، فوجدت عنده «ابن عزر» وجماعة من أصحابه، وقد أقاموا الطالع وعدلوا، وقضوا بتأخير الماء شهرا.

فقلت للوزير: إن هذا من أمور الله تعالى المغيبة، وأرجو أن يكذبهم الله ـ عز وجل ـ بفضله.

ثم خرجت، وأتيت دارى، فجاء الليل والسماء قد تغيمت، ونمت ساعة، فما أيقظنى إلا نزول الماء.

فقمت وقربت المصباح، ودعوت بدواية وقلم، فما رفعت يدى حتى أصلحت هذه الأبيات، ثم بعثت بها إلى الوزير فاستحسنها».

(أدب المجالسة وحمد اللسان للحافظ أبى عمر يوسف ابن عبد الله المعروف بابن عبد البر ـ تحقيق ودراسة سمير حلبى / ١١١ ـ ١١٤، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** الخلاف (علم ـ):**

الخلاف: منازعة تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل (التعريفات / ١٣٥) قال عنه حاجى خليفة:

وهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية وهو الجدل الذى هو قسم من المنطق إلا إنه خص بالمقاصد الدينية وقد يعرف بأنه علم يقتدر به على حفظ أى وضع كان بقدر بالإمكان ولهذا قيل الجدلى إما مجيب يحفظ وضعا أو سائل يهدم وضعا. وذكر ابن خلدون فى مقدمته أن الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثير فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافا لا بد من وقوعه، واتسع فى الملة اتساعا عظيما وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاؤا ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم فأقيمت هذه الأربعة أصولا للملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجرى على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه فتارة يكون الخلاف بين الشافعى ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين غيرهم كذلك وكان فى هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء فيسمى بالخلافيات.

ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط وصاحب الخلاف يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل من أن يهدمها المخالف بأدلته.

وهو علم جليل الفائدة . وكتب الحنفية والشافعية أكثر من تآليف المالكية لأن أكثرهم أهل المغرب وللغزالي فيه كتاب المآخذ، ولأبي بكر بن العربي من المالكية كتاب التلخيص جلبه من المشرق، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة، ولابن القصار من المالكية عيون الأدلة انتهى . ومن الكتب المؤلفة أيضا المنظومة النسفية (نورد بيان مخطوطه فيما بعد تحت عنوان «خلافيات» إن شاء الله تعالى) . وخلافيات الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين وأربعمائة جمع فيه المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة (كشف ١ / ٧٢١) .

روى ابن عبد البر الأندلسي بسنده عن سعيد بن أبي عروبة قال : «من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالما» .

وعن قتادة قال : «من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه» .

وبسنده عن عطاء قال : «لاينبغي لأحد أن يفتي حتى يكون عالما باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه» .

وبسنده عن أبي أيوب السختياني قال : «أجسر الناس على الفتوى أقلهم علما باختلاف العلماء ، وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء» وبسنده عن ابن عيينة مثله .

وعن ابن الماجشون : «كانوا يقولون : لا يكون فقيها في الحادث من لم يكن عالما بالماضي» . (جامع بيان العلم وفضله) .

ويقول الشافعي رحمه الله : «لا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما قضى قبله من السنن، وأقاويل السلف، واختلافهم» (الرسالة للشافعي تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر / ٨٠٥)(« الخلاف / ٤٩٦ ، ٤٩٧) .

وعن نشأة علم الخلاف يقول الدكتور محمد الزحيلي :

وجد علم الخلاف منذ نهاية القرن الأول الهجري، وطوال القرن الثاني، عندما ظهر الخلاف بين مدرستي الرأي والحديث، وثار الجدل بينهما، وانبرى كل فريق للدفاع عن رأيه وتأييده بالأدلة والحجج، وبيان مأخذه ثم الطعن والتشكيك بالمدرسة الأخرى، والنيل من علمائها والقائمين عليها، وانتهى هذا الخلاف بظهور «الرسالة» للإمام الشافعي، فقرب بين المدرستين وجمع بينهما .

وأزال الخلاف الحاد بين العلماء، كما سبق في علم أصول الفقه، لكنه لم يقض على الخلاف بين الأئمة والفقهاء، فتجدد هذا الخلاف بين أتباع الأئمة والمذاهب، وخاصة في القرون الثلاثة التالية الثالث والرابع والخامس، وهو عصر نضج المذاهب الفقهية وثباتها واستقرارها . فكانت هذه المذاهب في صراع البقاء على الوجود أو الاندثار والموت. واندفع العلماء في كل مذهب يؤيدون أقواله، ويستدلون لأحكامه، ويدعمونه بالأدلة والحجج والبراهين، وينافحون عن المذهب وإمام المذهب، ويدللون على منهجه في الاجتهاد، وقواعده في الاستنباط، ومنطقه في الاستدلال، ويبعدون كل شبهة أو شك أو ريب في أصوله أو أحكامه أو قواعده، أو اجتهاده، ويرغبون الناس بتقليده، ويدعون إلى مذهبه، ويطعنون في المذاهب المخالفة، ويشككون في أدلتهم ومناهجهم وأحكامهم، وذلك بالمناظرات، وحلقات التدريس وكتب الفقه والأصول (تعريف عام بالعلوم الشرعية / ٢٢٠، ٢٢١) .

وقد اشتهرت في هذا المجال مناظرات جرت بين فقهاء الشافعية والحنفية حضرها العلماء والأمراء («فقه الخلاف» / ٤٩٧) .

وكانت النتيجة ثبوت قدم المذاهب التي توفر لها الأتباع والدعاة والعلماء والطلاب، وانقراض المذاهب الأخرى التي فقدت ذلك، وصارت دراسة المذاهب الباقية وفهم نصوص أئمتها بمثابة دراسة الأدلة الأصلية التي اعتمدها الأئمة والمجتهدون (تعريف عام بالعلوم الشرعية / ٢٢٠ ـ ٢٢٢) .

ويورد القنوجي تراجم ستة من علماء الخلاف هم :

عبد الله بن عمر بن عيسى، أبو زيد الدبوسي

أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الميهني .

أبو حامد محد بن محمد الغزالي .

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، فخر الدين .

أبو حامد محمد، ركن الدين العميدي .

أبو طالب محمود بن علي بن أبي الرجاء الأصبهاني .

ونورد خمسة منهم فى مواضعهم إن شاء الله تعالى، فنورد الأول فى حرف الدال (الدبوسى)، والثانى فى حرف الميم (الميهنى)، والثالث فى حرف الغين (الغزالى)، والرابع فى حرف الراء (الرازى) والخامس فى حرف العين (العميدى). أما السادس فنورد ترجمته هنا وهى كما يلى:

أبو طالب محمود بن على بن أبى الرجاء التيمى الأصبهانى: صاحب الطريقة فى الخلاف، برع فيه وصنف (التعليقة) التى شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه، وجمع فيها بين الفقة والتحقيق؛ وكان عمدة المدرسين فى إلقاء الدروس عليها، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير، وكان له فى الوعظ اليد الطولى، وكان متفننا فى العلوم، خطيبا بأصبهان مدة طويلة. توفى فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة (أبجد العلوم على ٣ / ١١٦).

وعن الكتب المؤلفة فى علم الخلاف يقول فضيلة الشيخ محمد حسام الدين:

ولقد كتب الشافعى رحمه الله فى فقه الخلاف، وعقد له كتبا وأبوابا منها: «كتاب ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف» و «كتاب اختلاف عبد الله بن مسعود» و «كتاب اختلاف مالك والشافعى»، و «باب خلاف ابن عباس فى البيوع» و «باب خلاف عمر بن عبد العزيز فى عشور أهل الذمة»، و «باب خلاف سعيد وأبى بكر فى الإيلاء» و «كتاب الرد على محمد بن الحسن» و «كتاب سير الأوزاعى» وغيرها (انظر: الأم جـ٧ ط دار الشعب).

ولا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن أن الشافعى ـ رحمه الله ـ قصد فى هذا العرض أن يعيب مذهبا، أو منحى، أو رأيا من آراء السلف، فقد كان الشافعى ورعا بعيدا عن هذه المظان، وقد شغل نفسه فيما كتبه فى هذا المجال بعرض الرأى، ومأخذه من الدليل.

ولم يزد على البيان شيئا سوى أن يشرح وجه الترجيح لما ذهب إليه، أو لما اختاره من آراء الفقهاء.

وكثيرا ما كان يعرض الآراء وملمحها من الدليل، ويكتفى بهذا ويقف موقف الحياد فلا يعلق على الآراء بشىء ما لم يكن هو طرفا من أطراف الخلاف فى المسألة.

ونحن إذا نظرنا إلى مقال الشافعى فى: «كتاب اختلاف مالك والشافعى» (الأم / ١٧٧) مثلا وجدناه يعرض لنوعين من الخلاف.

أحدهما: خلاف مالك والشافعى مع غيرهما، وذلك فيما اتفق عليه هذان الإمامان، وكان الخلاف فيه مع غيرهما.

والثانى: ما وقع فيه الخلاف بين الشافعى رحمه الله وبين أتباع مالك رضى الله عنه.

ومثال النوع الأول: ما جاء فى «كتاب الأقضية» (الأم ٧ / ١٨٢) فقد احتج الشافعى لرأيه ورأى مالك بالقضاء باليمين مع الشاهد، وناقش حجة من خالفهما فى هذه المسألة: قال الشافعى: «أخبرنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد، فأخذنا نحن وأنتم به (المخاطب بهذه العبارة هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى صاحب الشافعى (١٧٤ ـ ٢٧٠ هـ وراوية كتبه) وإنما أخذنا نحن به من قبل أنا رويناه من طريق المكيين متصلا (أى متصل الإسناد) صحيحا، وخالفنا فيه بعض الناس، فما احتيج فى شىء منه قط علمته أكثر من حججه فيه، وفى ثلاث مسائل معه:

فزعم أن القرآن يدل على أن لا يجوز أقل من شاهدين، أو شاهد وامرأتين.

وزعم أن النبى ﷺ قال اليمين على المدعى عليه، وقال له عمر، فكان هذا دلالة على أن لا تجوز يمين إلا على المدعى عليه ولا يحلف مدع.

واحتج بابن شهاب، وعطاء، وعروة، وهما رجلا مكة والمدينة فى زمانهما (أى عطاء وعروة) أنكراه غاية النكرة.

واحتج بأن لم يحفظ عن أبى بكر، ولا عمر، ولا عثمان فيه شىء يوافقه، ولا عن على من وجه يصح عنده، ولا عن واحد من أصحاب رسول الله ﷺ من وجه يصح، ولا عن ابن المسيب ولا القاسم، ولا أكثر التابعين وبأنا أحلفنا فى المال، ولم نحلف فى غيره (أى واحتج بأنا أحلفنا فى المال).

فكانت حجتى عليه أن قلت: الرواية عن رسول الله ﷺ ثابتة، وما ثبت عن رسول الله لم يوهنه أن لا يوجد عند غيره، ولم يتأول معه قرآن، ولم يدفعه أن أنكره عروة، وابن شهاب، وعطاء، لأنه ليس فى الإنكار حجة، إنما الحجة فى الخبر لا فى الإنكار) أ. هـ (الأم ٧ / ١٨٢، ١٨٣ ط الشعب)

وأما النوع الثاني من النقاش الذي أجراه الشافعي في «كتاب اختلاف مالك والشافعي» فهو الخلاف مع أصحاب مالك في بعض المسائل ومثاله ما جاء في باب: «النكاح بولي» (الأم ٧/ ٢٠٦ ط الشعب).

قال الربيع بن سليمان: «سألت الشافعي عن النكاح فقال: كل نكاح بغير ولي فهو باطل. فقلت: وما الحجة في ذلك؟ قال: أحاديث ثابتة: فأما من حديث مالك: فإن مالكا أخبرنا عن عبد الله بن الفضل عن نافع بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها».

وأخبرنا مالك بلغه أن ابن المسيب كان يقول قال عمر بن الخطاب: لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذي الرأي من أهلها، أو السلطان.

«قال الشافعي» وثبتم هذا، وقلتم: لا يجوز نكاح إلا بولي ... .

«قال الشافعي» أخبرنا مسلم بن خالد، وعبد المجيد عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ... ثلاثا».

وأخبرنا مسلم وسعيد عن ابن جريج عن عكرمة قال: جمع الطريق ركبا فيهم امرأة ثيب فجعلت أمرها بيد رجل، فزوجها رجلا، فجلد عمر الناكح، والمنكح، وفرق بينهما.

أخبرنا مسلم عن ابن خيثم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لا نكاح إلا بولي مرشد، وشاهدي عدل.

وهذا قول العامة بالمدينة ومكة.

قلت للشافعي (القائل هو الربيع بن سليمان): نحن نقول في الدنيَّة لابأس أن تنكح بغير ولي، ونفسخه في الشريفة (قال القطب الدردير: «الدنيئة هي الخالية من الجمال والمال والحسب والنسب: وقال بعضهم: تكون من قوم فقراء شأنهم خدمة الناس، ولا ديانة لهم ولا صيانة» وانظر الصاوى على الشرح الصغير للدردير).

فقال الشافعي: عدتم لما سددتم (أي إلى ما كان لكم من رأي سديد) من أمر الأولياء فنقضتموه، فقلتم: لا بأس أن تنكح الدنية بغير ولي، فأما الشريفة فلا.

السنة والآثار على كل امرأة (أي دلالة السنة والآثار على الحكم عام في كل امرأة) ... فمن أمركم أن تخصوا الشريفة بالحياطة لها واتباع الحديث فيها؟ وتخالفوا الحديث عن النبي ﷺ وعمن بعده في الدنية؟

أرأيتم لو قال لكم قائل: بلا أجيز نكاح الدنية إلا بولي، لأنها أقرب من أن تدلس بالنكاح، وتصير إلى المكروه من الشريفة التي تستحي على شرفها، وتخاف من يمنعها. أما كان أقرب إلى أن يكون أصاب منكم؟ ... فإن الخطأ في هذا القول لأبين من ان يحتاج إلى تبيينه بأكثر من حكايته.

النساء محرمات الفروج إلا بما أبيحت به الفروج من النكاح بالأولياء والشهود والرضا.

ولا فرق بين ما يحرم منهن وعليهن في شريفة ولا وضيعة. وحق الله عليهن وفيهن كلهن واحد؛ لا يحل لواحدة منهن، ولا يحرم منها إلا بما حل للأخرى وحرم منها. أ. هـ.

هذا: وأما الخلافيات التي طرحها الشافعي ولم يكن طرفا فيها فمثالها ما جاء في كتاب: «ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبي ليلى عن أبي يوسف رحمهم الله تعالى».

ومنه ما جاء في باب السلم: «قال الشافعي» رحمه الله تعالى: وإذا كان لرجل على رجل طعام أسلم إليه فيه، فأخذ بعض طعامه، وبعض رأس ماله، فإن أبا حنيفة رضي الله عنه كان يقول: هو جائز. بلغنا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ذلك المعروف الحسن الجميل. وبه يأخذ. وكان ابن أبي ليلى يقول: إذا أخذ بعض رأس ماله فقد فسد السَّلم، ويأخذ رأس ماله كله».

وعلَّق الشافعي على هذا بما يؤيد رأي أبي حنيفة، فقال: «سئل عن هذا ابن عباس فلم ير به بأسا، وقال: هذا المعروف الحسن الجميل وقول ابن عباس القياس (أي هو القياس) وخالفه فيه غيره» (الأم ٧/ ٩٨).

وفي باب الزكاة (الأم ٧/ ١٣١): قال الشافعي «رحمه الله»: وإذا كان على رجل دين ألف درهم، وفي يده ألف درهم فإن أبا حنيفة «رضي الله تعالى عنه» كان يقول ليس عليه زكاة فيما في يديه حتى يخرج دينه فيزكيه، وكان ابن أبي ليلى يقول: عليه فيما في يديه الزكاة.

عقَّب الشافعي على هذا بقوله: وإذا كان في يدي رجل

ألف درهم، وعليه مثلها، فلا زكاة عليه، وإن كانت المسألة بحالها، وله دين ألف درهم، فلو عجَّل الزكاة كان أحب إليَّ، وله أن يؤخرها حتى يقبض ماله، فإن قبضه زكى مما فى يديه. وإن تلف لم يكن عليه فيه زكاة.

«قال الربيع» آخر قول الشافعى: إذا كانت فى يديه ألف وعليه ألف فعليه الزكاة.

وفى موضع آخر قال الشافعى: ولو أن رجلا له مائتا درهم، وعشرة مثاقيل ذهبا فإن أبى حنيفة كان يقول: إذا حال عليه الحول يضيف بعضه إلى بعض، ويزكيه كله.

(من المشهور فقها أن نصاب الذهب للزكاة عشرون مثقالا وأن نصاب الفضة مائتا درهم).

وقال ابن أبى ليلى: هذان مالان مختلفان تجب الزكاة على الدراهم، ولا تجب على الذهب.

وقال أبو يوسف: فيه الزكاة كله. ألا ترى أن التاجر يكون له المتاع للتجارة وهو مختلف، فيقوِّمه، ويضيف بعضه إلى بعض ويزكيه؟ وكذلك الذهب والفضة، وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه أمر رجلا تاجرا أن يقوِّم تجارته عند الحول فيزكيها». أ. هـ.

هذه نماذج مما كتبه الشافعى فى فقه الخلاف.

وقد يتشابه هذا العلم بما يسمى اليوم بالفقه المقارن، لكن يفرق بينهما أن فقه الخلاف لا يكتفى بعرض آراء الفقهاء فى المسألة لكنما يهتم فى الأصل ببيان مأخذ الأئمة من الدليل، ومثارات اختلافهم، ومواقع اجتهادهم فيها.

كما أنه قد يلتبس بعلم الجدل الفقهى الذى يهتم بمذاهب الأئمة فى الأصول، والتفاوت بينها فى الأخذ بالأدلة الشرعية الفرعية، أو فى تقديم بعض الأدلة على بعض...

أما علم الخلاف فإنه يهتم بآراء وحجج العلماء عند تناول المسائل والفروع...

وللقاضى عبد الوهاب ـ المالكى ـ تآليف جامعة فى علم الخلاف. وهو العلامة الفقيه الحافظ الحجة، النظار الأديب الشاعر القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى، المالكى، ولد سنة ٣٦٢ هـ فى بغداد، وتوفى سنة ٤٢٢ هـ بالقاهرة. رحمه الله.

وله كتب كثيرة فى المذهب المالكى، والخلاف، والأصول وغيرها، وقد اشتهر منها. فى الخلاف «النصرة لمذهب إمام دار الهجرة»، و «أوائل الأدلة فى مسائل الخلاف بين فقهاء الملة»، و «الإشراف على نكت مسائل الخلاف»، (انظر الوفيات لابن خلكان ٣/ ٢١٩. وحسن المحاضرة ـ ٢/ فقهاء المالكية).

وقد جمع ابن الساعاتى فى مختصره فى أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافى مدرجا فى كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافيات («فقه الخلاف»/ ٤٩٦ ـ ٥٠١»).

وعن كتب علم الخلاف أيضا يقول الدكتور محمد الزحيلى:

بدأت المؤلفات فى علم الخلاف تظهر فى القرن الثانى الهجرى، لكنها كانت تحت مظلة الفقه، فمن ذلك كتاب اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى، وكتاب الرد على سير الأوزاعى، وكتاب اختلاف الشافعى مع محمد بن الحسن، وكتاب اختلاف الشافعى مع مالك، وهذه الكتب كلها للإمام الشافعى، كتبها بنفسه وألحقها فى آخر كتابه «الأم» المطبوع (الأم ٧/ ٨٧ وما بعدها).

ثم ظهرت كتب مستقلة لكنها فى إطار الفقه أيضا، مثل كتاب «اختلاف الفقهاء» للطحاوى (٣٢١ هـ)، وكتاب «اختلاف الفقهاء» للطبرى (٣١٠ هـ) وغيرها.

ثم جاء الإمام أبو زيد الدبوسى الحنفى (٤٣٠ هـ) فكان أول من وضع علم الخلاف على أصوله وقواعده، وأبرزه للوجود كعلم مستقل، وكان يضرب به المثل فى النظر واستخراج المسائل والرأى والحجج، وألف كتابه «تأسيس النظر» وهو من البواكير الأولى لعلم الخلاف كما صنف «التعليقة» فى الخلاف (سبق ذكرها آنفا).

ثم تتابع التصنيف فى علم الخلاف، وقام العلماء من مختلف المذاهب بالكتابة فيه، وصنف فيه عدد من علماء المذاهب الأربعة، منها:

١ ـ كتاب النكت، وكتاب تذكرة الخلاف لأبى إسحاق الشيرازى (٤٧٦ هـ).

٢ ـ حلية العلماء فى اختلاف الفقهاء لأبى بكر الشاشى، أحمد بن أحمد الشافعى (٥٠٧ هـ)، وكتابه المعروف

بالمستظهرى، ثم صنف «المعتمد» وهو كالشرح للمستظهرى (كشف الظنون ١ / ٤٥٣).

٣ ـ التجريد للقدورى الحنفى (٤٢٨ هـ).

٤ ـ منظومة النسفى (٥٣٧ هـ).

٥ ـ الطريقة الرضوية، للسرخسى الحنفى (٥٤٤ هـ).

٦ ـ مختلف الرواية لعلاء الدين السمرقندى (٥٥٢ هـ).

٧ ـ عيون الأدلة لأبى الحسن بن القصار المالكى (٣٩٨ هـ) الذى يقول فيه الشيرازى: «وله كتاب فى مسائل الخلاف كبير، لا أعرف لهم كتابا فى الخلاف أحسن منه» (طبقات الفقهاء / ١٦٨).

٨ ـ التلقين للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢ هـ)، تلميذ ابن القصار.

٩ ـ المآخذ للإمام حجة الإسلام الغزالى (٥٠٥ هـ) والخلافيات للبيهقى (٤٥٨ هـ).

١٠ ـ الإشراف على مذاهب الأشراف لابن هبيرة الحنبلى (٥٦٠ هـ).

١١ ـ الدرة المضية فيما وقع من خلاف بين الشافعية والحنفية، وغنية المسترشدين فى الخلاف، والأساليب فى الخلافيات، ومغيث الخلق فى اختيار الأحق، والكافية فى الجدل، كلها لإمام الحرمين الجوينى (٤٧٨ هـ).

وباختصار فإن شيخ كل مذهب وإمامه فى كل عصر تقريبا كان يكتب فى الخلاف داعيا لمذهبه، ومدافعا عنه، ومناظرا علماء المذاهب الأخرى، شفاها ومناظرة وكتابة (انظر مقدمة تأسيس النظر ٥، وما بعدها، الإمام الشيرازى ص ١٧٩، العقيدة النظامية ٦٨، مقدمة ابن خلدون ٤٥٧، كشف الظنون ١ / ٤٧٣).

لكن علم الخلاف قد وقف عن السير منذ قرون، ثم زال واندثر فى عصرنا الحاضر ولم يبق فى التدريس بين العلوم الشرعية، ولا يطلع عليه أحد، ولم يعد يفرده عالم بالتصنيف.

قال طاش كبرى زاده «وقد جمع بعض العلماء فى علم الخلاف المسائل العشرين، وبعضهم الأربعين، وغير ذلك من الرسائل والتعليقات، لكنه قد ضاع كتبه، وانطمست آثاره، وبطلت معالمه فى زماننا هذا ...، وإلى الله المشتكى من زمان صار الكلام فيه كلاما بلا أثر، والخلاف خلافا بلا ثمر، والأصول فضولا، والمعقول مغفولا» (مفتاح السعادة ١ / ٣٠٧).

لكن ظهر بالمقابل إلى الوجود الفقه المقارن الذى يحل محل علم الخلاف بشكل عام، وذلك بعرض آراء الأئمة والمذاهب والفقهاء فى المسألة الفقهية، ثم بيان أدلة كل قول، مع الترجيح أحيانا، وصنفت عدة كتب فى هذا المجال، منها الإفصاح لابن هبيرة الحنبلى (٥٦٠ هـ) وبداية المجتهد لابن رشد الفقيه الفيلسوف الحفيد (٥٩٥ هـ) والمغنى لابن قدامة الحنبلى (٦٢٠ هـ) والحاوى الكبير للماوردى (٤٥٠ هـ) وبدائع الصنائع للكاسانى الحنفى (٥٨٧ هـ)، ثم انتشرت الدراسات المقارنة بين المذاهب فى العصر الحاضر تدريسا وبحثا وتصنيفا وتشريعا.

أما مخطوطات علم الخلاف فهى موزعة بين مخطوطات الفقه، وأصول الفقه، ولم تفرد بفهرس أو غيره (تعريف عام بالعلوم الشرعية / ٢٢٣ ـ ٢٢٧).

وقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغى فى ترجمته لأحمد شاه الدهلوى فى «الفتح المبين» أن له كتاب «الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف» وقال إنه تكلم فيه عن وجهات النظر المختلفة بين الأئمة مما ترتب عليه نشوء المذاهب وتعددها فى الفقه الإسلامى، الأمر الذى زاد فى ثروة العلوم الإسلامية (الفتح المبين ٣ / ١٣٠).

كذلك ورد فى مقدمة تحقيق كتاب «جزيل المواهب» ذكر عدد من الكتب المؤلفة فى الخلاف هى.

الإنصاف فيما بين العلماء من الخلاف: لابن عبد البر القرطبى (٤٦٣ هـ).

والإنصاف بذكر أسباب الخلاف: لابن السيد البطليوسى (٥٨١ هـ).

ورفع الملام عن الأئمة الأعلام: لابن تيمية (٧٢٨ هـ).

والإيقاف على أسباب الخلاف: لمحمد حياة السندى (١١٦٣ هـ) (جزيل المواهب / ٨).

وقد أورد الدكتور زكريا عبد الرزاق المصرى فى كتابه «معرفة علم الخلاف الفقهى» (ص ١٢٢ ـ ١٦٠) قائمة

تشتمل على مائة وخمسين مؤلفا فى علم الخلاف فارجع إليها إن شئت .

أما عن النظم، فقد جاءت هذه الأبيات بعنوان «موقف الإنصاف فى مثارات الخلاف» فى ختام منظومة الشيخ حافظ ابن أحمد الحكمى الموسومة بوسيلة الحصول إلى مهمات الأصول . قال الناظم :

وحيث قد أفضى بنا القول إلى
ذكر الخلاف ينبغى أن نصلا
بحثا بخلف علماء الأمه
يبين منه العذر للأئمه
والاتباع كلهم يرموا
ومن يلومهم هو الملوم
وللمصيب منهم الأجران
والأجر إن أخطأ مع الغفران
وليس ترك بعضهم شيئا أثر
إلا لأمر عندهم به عذر
فمنه ما يرجع للمنقول
وما إلى مصطلح الأصول
فالأول الذى إليه لم يصل
أو عنده بصحة لم يتصل
أو شرطه فى خبر العدول
أثقل من سواه للقبول
أو صح عنده ولكن وهلا
أو ظن نسخه بحكم قد تلا
أو كان قد عارض ما لا يقوى
عليه أو فيه احتمال الأقوى
وغيره فى هذه الأمور
خالفه فكان كالمعذور
ولا يسوغ عذره لمن ظهر
لديه فى ذلك برهان بهر
أما الذى إلى الأصول يرجع
فهو إلى نوعين قد ينوع
تأصيله الذى به يختص
والثان فهم ما اقتضاه النص
فأول نحو الخصوص قدّما
على العموم وفريق عمما
ومثله المطلق إذ يقيد
أطلقه قوم وقوم قيدوا
ونحو ماقلناه من أسباب
يعلم باستقراء هذا الباب
والثان خمس فاحوها بالحفظ
أولها ما تردد فى اللفظ
بين العموم والخصوص أو ما
عم خصوصا وخصوص عما
ثانيه الاشتراك فى اللفظ وذا
فى مفرد كالقرء طهرا وأذى
أو طلب وفى المركب احتمل
ومنه الاستثناء من بعد الجمل
وما على الوصف أو الحقيقه
يحمله كل على طريقه
وخلف إعراب وما تعارضا
من حجج علتها فى ما مضى
والحق واحد بكل مسأله
فى مجمع أو فى خلاف فاقبله
وفى اختيار واحد قد ينحصر
وربما أطرافه قد تنتشر
وجامع الأطراف من حق يحق
وهو الذى لاسم الفقيه يستحق
وكل خلف لا إلى برهان
وجوده ونفيه سيان

ولا يعد الخلف ذو الوفاق
كما الخلاف ليس باتفاق
وبالفروع اختص خلف المعتبر
أي خلف أهل الاجتماع والأثر
أما أصول الدين والإيمان
فليس فيها بينهم قولان

(مجموع ٣٠/ ٣١).

(التعريفات للشريف الجرجاني ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٥، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٢١، و «فقه الخلاف» ـ فضيلة الشيخ محمد حسام الدين. مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة الرابعة والستون، جمادى الأولى ١٤١٢ هـ ـ نوفمبر ١٩٩١ م / ٤٩٦ ـ ٥٠١، وتعريف عام بالعلوم الشرعية ـ د. محمد الزحيلي / ٢٢٠ ـ ٢٢٧، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١١٦، ٢٩٥، والفتح المبين ـ فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ١٣٠ وجزيل المواهب في اختلاف المذاهب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ حققه وعلق عليه عبد القيوم محمد شفيع البستوي / ٨ مقدمة المحقق، ومجموع: «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول» ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٣٠، ٣١. انظر أيضا بلوغ السول في علم الأصول ـ فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف / ١٠ ـ ١٣، واللمع في أصول الفقه للإمام الفيروزابادي / ٥٢، ٥٣، وقواعد التحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمي / ٣٤١ ـ ٣٤٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ٧٨، ٧٩، والخلاف بين العلماء وموقفنا منه ـ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. مكتبة الوعي الإسلامي ـ بدون تاريخ، ومعرفة علم الخلاف الفقهي ـ د. زكريا عبد الرزاق المصري / ١٢٢ ـ ١٦٠، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١٥ / ٢٨٣، ٢٨٤).

*** الخلاف والتشهير والاستحسان، وما أغفله مورد الظمآن وما سكت عنه التنزيل والبرهان وما جرى العمل به من الخلافات الرسمية في القرآن:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم (في علم رسم المصحف). مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٨٦٤٩

المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي المالكي المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ.

أوله: قال الشيخ الإمام العارف عبد الرحمن... الحمد لله رب العالمين الذين أنزل الفرقان هدى وذكرا للمتقين... وبعد فإني صنفت كتابي هذا المسمى بالخلاف والتشهير والاستحسان... اعلم رحمنا الله وإياك أن متابعة مرسوم الإمام أمر واجب ومحتوم على الأنام كما نص عليه الأئمة الأعلام.

آخره: كما الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمآن بحمد الله وحسن عونه أوسط ربيع الثاني من شهور سنة ثلاث وستين وماية وألف.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط مغربي معتاد، ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر والفواصل مكتوبة بالأحمر.

توجد هذه النسخة في مجموع يحوي الدرر الحسان في اختصار كتاب التبيان في شرح مورد الظمآن، وأرجوزة رسم المصحف.

المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة التي أثرت على بعض أوراقه. على الورقة الأولى قيد هدية ورثه الأمير طاهر الحسني الجزائري إلى دار الكتب الظاهرية.

١٠ (٦٢ ـ ٧١) ق   ١٢ × ١٥ م   ٢٤ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١١١، ١١٢).

*** الخلاف والمناقضة:**

فرّق بينهما قدامة بن جعفر صاحب نقد النثر فذكر المتكلمين: وهم المشتغلون بعلم الكلام، وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته (انظر التوحيد (علم ـ) فقال:

وقد ذكر المتكلمون «الخلاف والمناقضة» وكثيرا ما يستعملون بعض ذلك في موضع بعض. ونحن نبين كل واحد منهما، ونرسم فيه ما يُعرف به الفرق بينه وبين الآخر، فيستعمل كل واحد منهما في موضعه.

«فالمناقضة» فى اللغة المفاعلة، من نقضت البناء والغزل وغيرهما؛ فإذا بنى الإنسان قوله على إثبات شىء لشىء بعينه ثم نفاه عنه، أو بنى قوله على نفى شىء عن شىء بعينه ثم أثبته له، فكأنه قد نقض ما بنى واستحق اسم المناقضة. وإنما جعل ذلك على المفاعلة، لأن المجادلة لا تقع إلا بين اثنين. وإنما تقع المناقضة فى الكلام إذا كان المخبر عنه واحدا والخبر واحدا ولم تتشابه الأسماء ولا الأخبار فى لفظها مع اختلاف معانيها، وكان الزمان فى القول واحدا، والمكان واحدا، والنسبة فى الاستطاعة واحدة، ثم اختلفا فى تلك بالإيجاب والنفى، فتلك المناقضة. فأما إذا لم يكن المخبر عنه واحدا فى الاسم، كقولنا: زيد قائم وعمرو غير قائم، فليس ذلك مناقضة. وإذا لم يكن الخبر واحدا فى اللفظ، كقولنا: زيد قائم وزيد غير قائم، فليس ذلك مناقضة. وإذا اتفقت الأخبار واختلفت معانيها، كقولنا: إسحاق مغن وإسحاق غير مغن، ونحن نريد بإسحاق الأول الموصلى والآخر الظاهرى فليس ذلك مناقضة. (إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلى، كان من ندماء الخلفاء وواحد عصره فى الظرف والغناء وكان إلى ذلك من العلماء باللغة والشعر وأخبار الشعراء وأيام العرب. وتوفى عام ٢٣٦ هـ. أما الظاهرى فهو إسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ. جمع بين الحديث والفقه والورع وعنه أخذ داود الظاهرى إمام أهل الظاهر المتوفى عام ٢٧٠ هـ). وإذا اشتبهت الأخبار واختلفت معانيها، كقولنا: زيد أسود من عمرو وليس زيد أسود من عمرو، ونحن نريد بأحدهما السؤدد، وبالآخر السواد الذى هو ضد البياض، فليس ذلك مناقضة، وإذا اختلف الزمان فى القول فقلنا: زيدا قائم وزيد غير قائم، وأردنا أن زيد قائم الساعة وغير قائم فى غد، فليس ذلك بالمناقضة. وإذا اختلف المكان فى ذلك فقلنا: زيد خارج وزيد غير خارج، وأردنا أنه خارج من داره وغير خارج من المدينة، فليس ذلك مناقضة. وإذا اختلفت النسبة فى الاستطاعة والفعل، فقلنا: زيد كاتب وزيد غير كاتب، ونحن نريد أنه يحسن الكتابة ويستطيعها متى أرادها، وهو غير كاتب بيده فى حالة الإخبار عنه، لم تكن مناقضة. فهذا معنى المناقضة.

وأما «الخلاف» فهو ما خالف الشىء الشىء فيه فى بعض ما ذكرناه، ولم تجتمع له شروط المناقضة التى وصفناها، وأكثر ما وقع من الخلاف فى الشرائع خاصة من جهة النسخ، أو التشابه فى الأسماء والأخبار، أو من جهة الخصوص والعموم، أو من جهة االإجمال والتفسير، أو من جهة الرأى والتخيير؛ وقد ذكرنا ذلك بشرحه فى «كتاب التعبد» بما أغنى من إعادته، إلا أنا نذكر من ذلك جملا تدل عليه.

أما «الاختلاف من جهة النسخ»، فهو أن يكون الشىء محرما ثم يحلل، أو محللا ثم يحرَّم، أو مفروضا ثم يترك، أو متروكا ثم يفرض، فيعلم الأول قوم ولا يعلمون النسخ فيعملون بما علموا، ويعرف النسخ آخرون فيأخذون بما عرفوا، فيقع الخلاف بينهم من هذا الوجه؛ وذلك مثل المسح على الخفين، فإن الشيعة تزعم أنه منسوخ، والعامة ماضية على الأول (المراد بالعامة هنا غير الشيعة من المسلمين) وكالمتعة التى تزعم العامة أنها منسوخة، والشيعة ماضية فيها على الأمر الأول. وإنما خالف النسخ المناقضة، لاختلاف الأوقات، وأن الوقت الذى حرم فيه الحلال غير الوقت الذى حلل فيه الحرام (المراد بالمتعة الزواج المؤقت وقد أجمع أهل العلم بالدين على أنها حرام).

وأما «الاختلاف من جهة التشابه فى الأسماء والأخبار» فمثل تحريم المسكر، فإن قوما حملوه على أنه الشراب الذى هذا نعته، فحرموا قليل النبيذ وكثيره، وقوم حملوه على أنه الجزء الذى يسكر دون غيره، فأحلوا منه ما كان دون ذلك من السكر، فوقع الاختلاف بينهم لاحتمال التأويل.

وأما «الخصوص والعموم» فهو أن يعم بالنهى شىء، ثم يُخص نوع منه بالتحليل، أو يعم بالتحليل جنس ثم يخص نوع منه بالتحريم؛ وذلك كتحليل الله البيع جملة، واختصاص رسول الله ﷺ تحريم الدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين، والرطب بالتمر، وأشباه ذلك. وقد ذهب هذا التخصيص على عبد الله بن عباس، فكان يجيز بيع الدرهمين بالدرهم إذا كان نقدا، فوقع الخلاف بينه وبين غيره من هذا الوجه (نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر - حققه وعلق حواشيه د. طه حسين بك وعبد الحميد العبادى / ١٢٤ - ١٢٦).

*** الخلافة:**

جاء فى تيسير الوصول فى كتاب الخلافة والإمارة ما يلى:

١ ـ عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش في الخير والشر». أخرجه مسلم.

٢ ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم. الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون من خيار الناس أشد الناس كراهة لهذا الشأن حتى يقع فيه». أخرجه الشيخان.

٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنان». أخرجه الشيخان.

٤ ـ وعن سفينة رضي الله عنه (هو مولى رسول ﷺ، وقيل: كان مولى أم سلمة، واسمه مهران، وقيل: رومان، وقيل: نجران، وقيل: غير ذلك) قال: «قال رسول الله ﷺ: الخلافة في أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك. قال سعيد بن جمهان، ثم قال: أمسك خلافة أبى بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وخلافة على رضي الله عنهم، فوجدناها ثلاثين سنة. فقيل: إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقال: كذبوا بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك». أخرجه أبو داود والترمذى، والمراد ببنى الزرقاء بنو مروان.

٥ ـ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش. قيل: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج». أخرجه الخمسة إلا النسائى إلى قوله من قريش.

وأخرج باقيه أبو داود (الهرج): الفتنة والاختلاط.

الفصل الثانى: فيمن تصح إمامته وإمارته

١ ـ عن أبى سعيد رضي الله عنه قال: «قال النبى ﷺ: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» أخرجه مسلم.

٢ ـ وعن عرفجة بن شريح رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه»: أخرجه مسلم.

٣ ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء عليهم السلام كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله تعالى الذى لكم، فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم». أخرجه الشيخان.

٤ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: «استخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة مرتين». أخرجه أبو داود.

(اسمه عمرو، ويقال عبد الله، وعمرو: أكثرهم، وهو ابن قيس. قال ابن عبد البر: استخلفه النبى ﷺ على المدينة مرات: في الأبواء، وبواط، وذى العشيرة، وغزوة في طلب كرز بن جابر، وغزوة السويق، وغطفان، وفى غزوة أحد، وحمراء الأسد، ونجران، وذات الرقاع، وفى خروجه في حجة الوداع، وفى خروجه إلى بدر).

٥ ـ وعن أبى بكرة رضي الله عنه أنه قال: «لقد نفعنى الله تعالى بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعد ما كدت أن الحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم. قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى. قال: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» أخرجه البخارى والترمذى والنسائى. وزاد الترمذى: «فلما قدمت عائشة البصرة ذكرت ذلك فعصمنى الله تعالى به».

الفصل الثالث: فيما يجب على الإمام والأمير.

١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته. قال: فسمعت هؤلاء من النبى ﷺ وأحسبه قال: والرجل في مال أبيه راع، وهو مسؤل عن رعيته». أخرجه الخمسه إلا النسائى.

٢ ـ وعن ابن أبى مريم الأزدى رضي الله عنه قال: «دخلت على معاوية رضي الله عنه فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان؟ قلت: حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله تعالى دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة. قال: فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس». اخرجه أبو داود والترمذى.

(ما أنعمنا بك): يريد ما أعمدك إلينا، وما جاء بك. قال الخطابى: وإنما يقال: ذلك لمن يعتد بزيارته ويفرح بلقائه

٣ ـ وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : «قال النبى ﷺ : إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، و كلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا» أخرجه مسلم والنسائى .

٤ ـ وعن الحسن البصرى عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنه» . أخرجه الشيخان .

وفى أخرى لمسلم عن الحسن البصرى : «أن عائذ بن عمرو رضى الله عنه، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أى بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن شر الرعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم، فقال : اجلس إنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ فقال : وهل كان لهم نخالة؟ إنما النخالة بعدهم وفى غيرهم» (الحطمة : العنيف فى رعاية الإبل فى السَّوْق) .

٥ ـ وعن عدى بن عميرة الكندى رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطا، فما فوقه كان غلولا يأتى به يوم القيامة، فقام إليه رجل من الأنصار فقال : أقبل عنى عملك يا رسول الله . قال : وما لك؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا . قال : وأنا أقوله الآن : من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتى منه أخذ، وما نهى عنه انتهى» . أخرجه مسلم .

٦ ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة، وأبعدهم منه إمام جائر» . أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٢ / ٣٢ ـ ٣٥) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

فى الخلافة والسلطان وكيفية كونه ظل الله فى الأرض : قال الله تعالى **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** [البقرة : ٣٠] وقال الله تعالى **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾** [ص : ٢٦] . وقوله **﴿انى جاعل فى الأرض خليفة﴾** يعم آدم وبنيه لكن الاسم متناول لآدم عينا كقوله تعالى ، **﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾** [التين : ٤] وقوله تعالى **﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار﴾** [الرحمن : ١٤ ، ١٥] وقوله **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾** [السجدة : ٧ ، ٨] **﴿ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾** [المؤمنون : ١٣] إلى أمثال ذلك .

ولهذا كان بين داود وآدم من المناسبة ما أحب به داود حين أراه ذريته وسأل عن عمره فقيل أربعون سنة . فوهبه من عمره الذى هو ألف سنة ستين سنة ، والحديث صحيح رواه الترمذى وغيره وصححه .

ولهذا كلاهما ابتلى بهما ابتلاه به من الخطيئة كما أن كلا منهما مناسبة للأخرى إذ جنس الشهوتين واحد ورفع درجته بالتوبة العظيمة التى نال بها من محبة الله له وفرحه به ما نال . ويذكر عن كل منهما من البكاء والندم والحزن ما يناسب بعضه بعضا .

والخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة .

كان النبى ﷺ إذا سافر يقول : «اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل» ، وقال ﷺ «من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا» ، وقال «أو كلما خرجنا فى الغزو خلف أحدهم وله نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن اللبنة من اللبن ، لئن أظفرنى الله بأحد منهم لأجعلنه نكالا . وفى القرآن **﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾** [الفتح : ١١] وقوله تعالى **﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾** [التوبة : ٨١] والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق ، والخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ لأنه خلفه على أمته بعد موته ، وكما كان النبى ﷺ إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة فيستخلف تارة ابن أم مكتوم وتارة غيره .

واستخلف على بن أبى طالب فى غزوة تبوك ، وتسمى الأمكنة التى يستخلف فيها الإمام مخاليف مثل مخاليف اليمن ومخاليف أرض الحجاز ، ومنه الحديث حيث خرج من مخلاف إلى مخلاف . ومنه قوله تعالى **﴿وهو الذى جعلكم**

خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقوله تعالى ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ [يونس: ١٣] إلى قوله تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾ [يونس: ١٤] ومنه قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ [النور: ٥٥].

وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفا. وربما فسروا تعليم آدم الأسماء كلها التي جمع معانيها الإنسان، ويفسرون خلق آدم على صورته بهذا المعنى أيضا وقد أخذوا من الفلاسفة قولهم الإنسان هو العالم الصغير.

وهذا قريب وضموا إليه أن الله هو العالم الكبير. بناء على أصلهم الكفري في وحدة الوجود. وأن الله هو عين وجود المخلوقات، فالإنسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات. ويتفرع على هذا ما يصيرون إليه من دعوى الربوبية والألوهية المخرجة لهم إلى الفرعونية والقرمطية والباطنية، وربما جعلوا الرسالة مرتبة من المراتب، وأنهم أعظم منها فيقرون بالربوبية والوحدانية والألوهية وبالرسالة ويصيرون في الفرعونية، هذا إيمانهم أو يخرجون في أعمالهم أن يصيروا سدى لا أمر عليهم ولا نهي ولا إيجاب ولا تحريم. والله لا يجوز له خليفة، ولهذا قالوا لأبي بكر ياخليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبي ﷺ «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا» وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو منزه عنها فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب، وهو غني يَرزق ولا يُرزق، يرزق عباده وينصرهم ويهديهم ويعاقبهم بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه، والتي هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها. فالله هو الغني الحميد له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩] ﴿وهو الذي في السماء إله في لأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤] ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه، ولا يقوم مقامه، إنه لا سمي له ولا كفء له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به.

وأما الحديث النبوي «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل ضعيف وملهوف» وهذا صحيح فإن الظل مفتقر إلى آوٍ وهو رقيق له مطابق له نوعا من المطابقة، والآوي إلى الظل المكتنف بالمظل صاحب الظل، فالسلطان عبد الله مخلوق مفتقر إليه لا يستغني عنه طرفة عين وفيه من القدرة والسلطان والحفظ والنصرة وغير ذلك من معاني السؤدد والصمدية التي بها قوام الخلق ما يشبه أن يكون ظل الله في الأرض وهو أقوى الأسباب التي بها يصلح أمور خلقه وعباده، فإذا صلح ذو السلطان صلحت أمور الناس، وإذا فسدت فسدت بحسب فساده، ولا تفسد من كل وجه بل لا بد من مصالح. اذ هو ظل الله لكن الظل تارة يكون كاملا مانعا من جميع الأذى، وتارة لايمنع إلا بعض الأذى، وأما إذا عدم الظل فسد الأمر كعدم سر الربوبية التي بها قيام الأمة الإنسانية. والله تعالى أعلم (الفتاوى م ٢ / ٤٠٨ - ٤١٠).

ويتناول العلامة ابن خلدون في الفصل الخامس والعشرين من مقدمته معنى الخلافة والإمامة فيقول:

لما كانت حقيقة المُلك أنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم لحمله إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجيء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يُرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾

[الأحزاب: ٣٨] فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله يقول ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ [المؤمنون : ١١٥] فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة فى آخرتهم ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ [الشورى: ٥٣] فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الملك الذى هو طبيعى للاجتماع الإنسانى فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وإهمال القوة العصبية فى مرعاها فجوْر وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضا لأنه نظر بغير نور الله ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم من ملك أو غيره قال ﷺ «إنما هى أعمالكم ترد عليكم». وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ [الروم: ٧] ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على أهل الأحكام الشرعية فى أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء.

فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وأن الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نورده عليك من بعد والله الحكيم العليم.

ثم يورد ابن خلدون فى الفصل الذى يليه وهو الفصل السادس والعشرون شرحه لاختلاف الأمة فى حكم منصب الخليفة وشروطه فيقول:

وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة فى اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى أمته فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله واختلف فى تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التى للآدميين فى قوله تعالى ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله ﴿جعلكم خلائف الأرض﴾ [يونس: ١٣] ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عنه لما دُعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ﷺ ولأن الاستخلاف إنما هو فى حق الغائب وأما الحاضر فلا. ثم إن نصب الإمام واجب قد عرفت وجوبه فى الشرع بإجماع الصحابة والتابعين أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر إليه فى أمورهم وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الإمام وقد ذهب بعض الناس إلى أن مدرك وجوبه العقل وأن الإجماع الذى وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه، قالوا وإنما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لحظه الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فساده وأن إحدى مقدماته أن الوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم إيمان واعتقاد وهو غير مسلَّم لأن الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما فى أمم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تبلغه الدعوة أو نقول يكفى فى رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاؤهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الإمام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود الرؤساء أهل

الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذا المقدمة فدل على أن مدرك وجوبه إنما هو بالشرع وهو الإجماع الذى قدمناه وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند هؤلاء إنما هو إمضاء الحكم الشرع فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج إلى إمام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالإجماع والذى حملهم على هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنعي على أهله ومرغبة فى رفضه .

واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وإنما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات ولا شك أن فى هذه مفاسد محظورة وهى من توابعه كما أثنى على العدل والنصفة وإقامة مراسم الدين والذب عنه وأوجب بإزائها الثواب وهى كلها من توابع الملك فإذا إنما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال أخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لداعية الضرورة إليها وأما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما الملك الذى لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده ثم نقول لهم إن هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يغنيكم شيئا لأنكم موافقون على وجوب إقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل إلا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وإن لم ينصب إمام وهو عين ما فررتم عنه وإذا تقرر أن هذا النصب واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء : ٥٩.] وأما شروط هذا المنصب فهى أربعة : العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر فى الرأى والعمل واختلف فى شرط خامس وهو النسب القرشى .

فأما اشتراط العلم فظاهر لأنه إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفى من العلم إلا أن يكون مجتهدا لأن التقليد نقص والإمامة تستدعى الكمال فى الأوصاف والأحوال .

وأما العدالة فلأنه منصب دينى ينظر فى سائر المناصب التى هى شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف فى انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفى انتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف .

وأما الكفاية فهو أن يكون جريئا على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية وأحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح .

وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الأعضاء فى العمل كفقد اليدين والرجلين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك فى تمام عمله وقيامه بما جعل إليه وإن كان إنما يشين فى المنظر فقط كفقد إحدى هذه الأعضاء فشرط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقدان الأعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه فى اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالأسر وشبهه وضرب لا يحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل النظر فى حال هذا المستولى فإن جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز قراره وإلا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع علته حتى ينفذ فعل الخليفة .

وأما النسب القرشى فلإجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الأنصار لمّا هموا يومئذ ببيعة سعد ابن عبادة وقالوا منا أمير ومنكم أمير بقوله ﷺ الأئمة من قريش وبأن النبى ﷺ أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الأنصار ورجعوا عن قولهم منا أمير ومنكم أمير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت أيضا فى الصحيح «لا يزال هذا الأمر فى هذا الحى من قريش» وأمثال هذه الأدلة

كثيرة إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبمـا أنفقتهم الدولة فى سائر أقطار الأرض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا إلى نفى اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر فى ذلك مثل قوله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة» وهذا لا تقوم به حجة فى ذلك فإنه خرج مخرج التمثيل والغرض للمبالغة فى إيجاب السمع والطاعة، ومثل قول عمر لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته أو لما دخلتنى فيه الظنة وهو أيضا لا يفيد ذلك لما علمت أن مذهب الصحابى ليس بحجة، وأيضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاء حاصلة لسالم فى قريش وهى الفائدة فى اشتراط النسب ولم استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة فى ظنه عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المفيد للعصبية ولم يبق إلا صراحة النسب فرآه غير محتاج إليه إذ الفائدة فى النسب إنما هى العصبية وهى حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من عمر رضى الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد أمرهم لمن لا تلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة.

ومن القائلين بنفى اشتراط القرشية القاضى أبو بكر الباقلانى لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشى والاضمحلال واستبداد ملوك العجم من الخلفاء فأسقط شرط القرشية وإن كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهده وبقى الجمهور على القول باشتراطها وصحة الإمامة للقرشى ولو كان عاجزا عن القيام بأمور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التى يقوى بها على أمره لأنه إذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية، وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضا إلى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجتماع.

ولنتكلم الآن فى حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب فى هذه المذاهب فنقول: إن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحِكَم تشتمل عليها وتُشرع لأجلها ونحن إذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبى ﷺ كما هو فى المشهور وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد إذن من المصلحة فى اشتراط النسب وهى المقصودة من مشروعيتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجدها إلا اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الإلفة فيها وذلك أن قريشا كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرَّة فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما إذا كان الأمر فى قريش لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم فلا يخشى من أحد من خلاف عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشى فى هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ فى انتظام الملة واتفاق الكلمة وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذعن لهم سائر العرب وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع فى أيام الفتوحات واستمر بعدها فى الدولتين إلى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس أخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك فى أحوالهم. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى كتاب السير وغيره فإذ ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل لا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك فى الأقطار والآفاق كما كان فى القرشية إذ الدعوة الإسلامية التى كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص لهذا العهد كل

قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة وإذا نظرت سر الله فى الخلافة لم تعد هذا لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة نائبا عنه فى القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه ألا ترى ما ذكره الإمام ابن الخطيب فى شأن النساء وأنهن فى كثير من الأحكام الشرعية جعلن تبعا للرجال ولم يدخلن فى الخطاب بالوضع وإنما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الأمر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم إلا فى العبادات التى كل أحد فيها قائم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم إن الوجود شاهد بذلك فإنه لا يقوم بأمر أمة أو جيل إلا من غلب عليهم وقلّ أن يكون الأمر الشرعى مخالفا للأمر الوجودى والله تعالى أعلم (المقدمة / ١٩٠ ـ١٩٦).

وفى المبحث الثانى من كتابه الموسوم بفقه الخلافة وتطورها يتناول الدكتور عبد الرزاق السنهورى رحمه الله تعريف الحكومة الإسلامية (الخلافة) وخصائصها ووجوبها فيقول:

تعريف (الخلافة): هى الحكومة الإسلامية الكاملة:

لكى ندرس نظام الحكومة الإسلامية (الخلافة) يجب أن نبحث فى أساسها الشرعى، وقبل أن ندخل فى هذا المبحث يجب أن نعرف «الخلافة» لكى نستخلص من هذا التعريف خصائصها المميزة للحكومة الإسلامية الكاملة (الخلافة).

عرفها (التفتازانى) بأنها (رئاسة عامة فى أمر الدين والدنيا، خلافة عن النبى ـ ﷺ) يلاحظ أن ابن خلدون يميز بين ثلاث أنواع من نظم الحكم ـ الحكم الواقعى الذى تسيطر فيه القوة والحكم السياسى المبنى على قواعد العقل والحكم الإسلامى المبنى على الشريعة.

خصائص الخلافة (الحكومة الإسلامية الكاملة):

نستخلص من ذلك أن حكومة الخلافة تتميز عن الحكومات الأخرى بالخصائص الثلاث الآتية:

١ ـ أن اختصاصات الحكومة (الخليفة) عامة أى تقوم على التكامل بين الشئون الدنيوية والدينية.

٢ ـ أن حكومة الخلافة ملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية.

٣ ـ أن الخلافة تقوم على وحدة العالم الإسلامى.

ومتى اجتمعت هذه الخصائص فى الحكومة الإسلامية أصبحت حكومة شرعية مهما يكن شكلها، واستحقت أن توصف بأنها حكومة (الخلافة).

هل توجب الشريعة إقامة حكم إسلامى (الخلافة)؟:

لقد حرصنا على تحديد خصائص الخلافة ليتضح منها أنها حكومة من نوع معين له خصائصه المميزة له ـ لأننا إذا لم نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصائص فإننا لن نستطيع أن نفهم الجدل الطويل الذى يدور حول وجوب الخلافة أو عدم وجوبها ـ ولكى نبحث أساس وجوب الخلافة علينا أن نجيب على السؤال الآتى: هل يجب، طبقا للشريعة الإسلامية أن توجد حكومة إسلامية تتوفر فيها الصفات الثلاث التى ذكرناها وما هو سند هذا الوجوب أو أساسه؟.

إجماع أهل السنة والمعتزلة والشيعة على وجوب إقامة حكم إسلامى (الخلاقة):

إن أهل السنة، والمعتزلة، يرون أن الخلافة واجب شرعى، ولكنهم يختلفون فى أساس هذا الوجوب: فأهل السنة يرون أن سند وجوب الخلافة هو الإجماع، أما الرأى الآخر، وأغلب أنصاره من المعتزلة، فيرى أن سند الوجوب هو العقل.

وهناك طائفة من المعتزلة ترى أن سند وجوب الخلافة شرعى وعقلى فى وقت واحد. ويرى الشيعة كذلك وجوب إقامة الحكومة الإسلامية.

مذهب أهل السنة:

الرأى الأول لدى أهل السنة هو الذى يجعل الإجماع سندا لوجوب إقامة الحكم الإسلامى (الخلافة) ويعتمد على سوابق تاريخية مؤكدة. فبعد وفاة النبى ﷺ أجمع الصحابة على ضرورة اختيار واحد منهم رئيسا يقوم مقامه، وشرعوا فى انتخاب الخليفة قبل أن يدفن النبى ﷺ، مما يؤكد صفة الاستعجال والخطورة لهذه المسألة فى نظرهم.

وإذا كان وقع خلاف بين الأنصار والمهاجرين، أو بين بعض المهاجرين وبعض آخر ـ فإن هذا الخلاف كان مقصورا

على اختيار شخص الخليفة من بين المرشحين ولكنه لم ينصب قط على مبدأ وجوب اختيار الخليفة، ولا على وجوب الخلافة.

أما عن سند هذا الإجماع، فإن كثيرا من المؤلفين لم يتعرضوا له، مكتفين بالقول بأنه لا بد أن الصحابة فهموا ذلك الوجوب من حوادث حصلت في عهد النبي ﷺ، أي من السنة.

ومن أصحاب هذا الرأي من يضيف إلى إجماع الصحابة والأجيال اللاحقة مصادر أخرى لوجوب الخلافة، كبعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي يفسرها البعض على وجوب الخلافة، وإن كان الظاهر من هذا الرأي ليس هو الراجح في مذهب السنة.

مذهب المعتزلة:

أما النظرية الثانية، ويقول بها المعتزلة بصفة أساسية فترى أن سند وجوب الخلافة ليس الشرع بل هو العقل. مع ملاحظة أن المعتزلة خلافا لأهل السنة والأشعرية يرون أن الأحكام الشرعية يمكن أن يكون مصدرها العقل على حين أن مذهب أهل السنة التقليدي يرى أن الأحكام الشرعية مصدرها النص.

أما المعتزلة (وهم العقليون) ويؤيدهم في ذلك (الماتريدية) فإنهم يقولون إن الأحكام القانونية يمكن معرفتها بالعقل.

ويستند المعتزل في القول بوجوب الخلافة إلى الحجج الآتية: أنها واجبة بحكم العقل - فوجود حكومة للمجتمع الإسلامي ضرورة يحتمها العقل، لأنه لا يمكن وجود مجتمع بدون رئيس.

وواضح أن حجة المعتزلة تنصب على مبدأ وجود حكومة في المجتمع الإسلامي، كغيره من الجماعات، لذلك كانت حجتهم مقارنة لما قال به غيرهم من فلاسفة الحكم الأوربيين عن أساس وجود الدولة. ومما يؤسف له أنهم قصروا بحوثهم على ناحية العقيدة من حيث وجوب الخلافة، ولم يحاولوا وضع تنظيم كامل لحكومة الخلافة على الأساس العقلي الذي يتميز به مذهبهم. ومن المحقق أنه لو فعلوا ذلك لاستطاعوا أن يجعلوا من هذه الفكرة أساسا لكثير من القواعد التي تنظم ذلك النوع من الحكومة وتضع قيودا كثيرة على سلطة الحكام.

وأهل السنة يردون على حجج المعتزلة بأنها تبرر وجود حكومة في المجتمع الإسلامي ولكنها لا تصلح أساسا لوجوب ذلك النظام المتميز من أنظمة الحكم، وهو الخلافة، ويقولون فضلا عن ذلك أن ضرورة وجود سلطة تبعد المجتمع عن أخطار الفوضى، يمكن أن نجد لها سندا شرعيا في الآية القرآنية: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] وبذلك يكون هذا سندا شرعيا للقول بأن وجود الدولة ضرورة دون حاجة للسند العقلي الذي لجأ إليه المعتزلة، ومما لا شك فيه أن أهل السنة عندما يذكرون سند وجوب الخلافة لا يقتصرون على الإجماع بل يضيفون إليه القول بأنها ضرورية لمنع خطر الفوضى في المجتمع الإسلامي، سواء كان هذا الخطر محققا أو محتملا فقط.

الجمع بين المذهبين:

وهناك نظرية ثالثة، يقول بها بعض المعتزلة، تجمع بين النظريتين السابقتين، إذ تقول بأن للخلافة أساسا عقليا وشرعيا في نفس الوقت، ويظهر أن التفتازاني وهو من فقهاء السنة، يرى مع هؤلاء بأن العقل يقضي، كما يقضي الإجماع، بوجوب إقامة الخلافة.

(يراجع شرح العقائد النسفية ص ١٤٣ - حيث يقول: «إذا قيل لماذا لا نكتفي بحكومة خاصة في كل إقليم، ومن أين جاءت ضرورة وجود سلطة عامة موحدة لجميع المسلمين. فإننا نجيب بأن تعدد الولايات، يؤدي إلى خصومات ومشاحنات تؤدي إلى الفوضى وتضر بالمصالح الدينية والدنيوية للمسلمين. كذلك إذا اعترض بأن أي حكومة مهما يكن شكلها تكفي لإقرار النظام. أجبنا بأن ذلك تكفي لاستقرار الشئون الدنيوية، ولكنه لا يحقق المصالح الدينية وهي الهدف الأساسي).

ونحن نعتقد بأن الدليل العقلي للبحث يستوجب وجود سلطة عامة أيا كان شكلها. ولكن الدليل الشرعي هو الذي يستوجب أن تكون هذه الحكومة قد توفرت فيها الخصائص المميزة لنظام الخلافة التي بيناها والتي باجتماعها تكون هذه الحكومة خلافة.

وعلى ذلك يكون للخلافة في نظرنا أساس عقلي، كما هو الشأن بالنسبة لأي نوع من أنواع الحكومات إلى جانب سندها

الشرعى وهو الإجماع، وأهمية هذا السند العقل أنه يمكّن نظام الخلافة من النمو والتطور طبقا لما يوجبه النظر العقلى ولكن يشترط إلى جانب ذلك أن تحتفظ بخصائصها المميزة لها. التى يوجبها السند الشرعى الخاص بهذا النظام.

مذهب الخوارج فى عدم وجوب أية حكومة:

نخرج من هذا المبحث بنتيجة هامة هى أن المذاهب الإسلامية جميعها، سواء منها أهل السنة، أو المعتزلة، أو الشيعة، مجمعة على وجوب الخلافة، والخلاف بينها مقصور على تحديد سند هذا الوجوب.

والفرقة الإسلامية الوحيدة التى خرجت على هذا الإجماع هم الخوارج فهم لا يقرون بوجوب إقامة (الخلافة) ولا أية حكومة أخرى من أى نوع.

حجج الخوارج فى عدم وجوب الخلافة:

يرى الخوارج أن وجود الخلافة أمر جوازى محض وحجتهم فى ذلك:

١ - أن الخلافة ليست ضرورية دائما، فإن الناس يمكن أن يحققوا مصالحهم وينظموا أمورهم بحكم غرائزهم، وعقيدتهم، دون حاجه إلى سلطة نظامية تحكمهم، كما هو الحال بالنسبة للبدو مثلا.

٢ - أن الخلافة ليست نافعة دائما، إذ لا ينتفع بوجود الخليفة إلا من يستطيع أن يصل إليه، وهذا غير ممكن إلا لعدد قليل من المسلمين.

٣ - أن الخلافة ليست دائما ممكنة، إذا أن الشروط اللازمة فى الخليفة لا يمكن توفرها فى جميع الأوقات، وفى هذه الحالة إذا فرضنا على المسلمين إقامة خليفة فإن معنى ذلك أن نلزمهم باختيار خليفة لم تتوفر فيه الشروط الشرعية، وهذا يخالف الشرع، أو نلزمهم بعدم اختيار خليفة، وهذا أيضا مخالفة للشرع.

٤ - أن الخلافة تؤدى فى كثير من الأحيان إلى فتن وحروب بين المسلمين بسبب التنافس عليها، وتاريخ الإسلام دليل على ذلك (تراجع هذه الحجج والرد عليها فى «المواقف» ٨ / ٣٤٧ - ٣٤٩ و «تقريب المرام» ص ٣٢٢).

الرد على حجج الخوارج:

إنه فيما عدا الحجة الثالثة الخاصة بشروط الأهلية للخلافة يلاحظ أولا - أن الحجج التى يستند إليها الخوارج ليست منصبة فقط على (الخلافة) كنظام معين من نظام الحكم بل إنها تنصب على جميع الحكومات أيا كان نوعها، ولذلك يمكن اعتبارهم «فوضويين» ... يعارضون وجود الحكومات جميعها، وإن كانوا يختلفون عن «الفوضويين» الأوروبيين فى أنهم يرون أنه من الممكن - بل من الواجب فى رأى بعضهم إقامة سلطة نظامية، متى كان ذلك ممكنا.

ويفند أهل السنة هذه الحجج واحدة فواحدة، فى ردهم على الخوارج، على النحو التالى: أن الزعم بأن الخلافة أى الحكومة ليست ضرورية لأن الناس يستطيعون أن ينظموا شئونهم وحدهم، يرد عليه بأن هذا مجرد افتراض نظرى إذ الواقع فى العمل أنه إذا لم توجد حكومة فإن الناس يعيشون فى الفوضى وحالة البدو الذين يستشهد بهم الخوارج تؤكد أنهم يعيشون فى الفوضى والاضطراب.

والادعاء بأن الخليفة لا يستطيع الوصول إليه إلا عدد من الناس لا ينفى أن الجميع يستفيد من الأمن والعدل الذى توفره لهم حكومته دون حاجة لكى يذهبوا لمقابلة الخليفة إلى مقره.

أما القول بأن الشروط التى يجب توفرها فى الشخص المرشح للخلافة ليكون أهلا لها لا يمكن توفرها دائما، فيرد عليه بأنه لا يجب الالتزام باختيار مثل هذا الشخص إلا فى حالة وجوده، وفى الرد على قولهم بأن التنافس على الخلافة يترتب عليه فتن وحروب أهلية، يقولون إنه يجب إعطاء الأولوية لمن هو أولى، فيقدم من هو أكثر علما، ثم من هو أكثر زهدا، ثم من هو أكبر سنا. والحقيقة أن الخوارج يناقضون أنفسهم عندما يقولون بوجوب تطبيق أحكام الشريعة بدون وجود خلافة، مع أن تطبيق الشريعة غير ممكن بدون وجود سلطة شرعية تلتزم بتنفيذ أحكام الشريعة وتلزم الناس باحترامها.

ترجيح وجوب إقامة الحكومة الإسلامية:

فى رأينا أن حجج الخوارج، سواء منها ماوجه ضد وجوب الحكومة الإسلامية (الخلافة الشرعية) باعتبارها نوعا خاصة من نظم الحكم، أو ما وجه ضد جميع أنظمة الحكم - هى حجج باطلة.

وبذلك يكون الرأى القائل بوجوب إقامة حكومة إسلامية (الخلافة)، الذى أجمعت عليه الفرق الأخرى، رأيا قويا لا مطعن عليه (فقه الخلافة / ٥٧ ـ ٦٩).

وفى هذا المعنى عن الخلافة جاءت هذه الأبيات للشيخ إبراهيم اللقانى فى منظومته الموسومة بجوهرة التوحيد، ونتبعها إن شاء الله تعالى بشرح العلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى. قال الناظم رحمه الله:

وواجب نصب إمام عدل
بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركنا يعتقد فى الدين
ولا تزغ عن أمره المبين
إلا بكفر فانبذن عهده
فالله يكفينا أذاه وحده
بغير هذا لا يباح صرفه
وليس يعزل إن أزيل وصفه

قوله: (وواجب نصب إمام عدل) واجب خبر مقدم ونصب مبتدأ مؤخر أى ونصب إمام عدل واجب على الأمة عند عدم النص من الله أو رسوله على معين، وعدم الاستخلاف من الإمام السابق، بخلافه عند النص من الله كما فى قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ [ص: ٢٦] أو من رسوله، أو الاستخلاف من الإمام السابق كما وقع من أبى بكر فإنه أوصى بالخلافة بعده لعمر رضى الله عنه، ولا فرق فى وجوب نصب الإمام بين زمن الفتنة، وغيره كما هو مذهب أهل السنة وأكثر المعتزلة، وقيل: يجب لتسكين الفتنة، وقيل: فى غيرها لأنه زمن الطاعة، وقيل: لا يجب أصلا، والمراد بالعدل هنا عدل الشهادة ولا يتحقق إلا بشروط خمسة: الإسلام لأن الكافر لا يراعى مصلحة المسلمين، والبلوغ والعقل لأن الصبى والمجنون لا يليان أمر نفسهما فلا يليان أمر غيرهما، والحرية لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده ولأنه مستحقر فى أعين الناس فلا يهاب ولا يمتثل أمره، وعدم الفسق لأن الفاسق لا يوثق به فى أمره ونهيه. والمراد كونه عدلا ولو ظاهرا لأنه الذى كلفنا به فلا يشترط العدالة الباطنة، ثم إن هذه الشروط إنما هى فى الابتداء وحالة الاختيار وأما فى الدوام فلا يشترط كما يعلم مما يأتى. ولو تغلب عليها شخص قهرا انعقدت له، وإن لم يكن أهلا كصبى وامرأة وفاسق وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى عنه كالمستوفى للشروط.

قوله: (بالشرع فاعلم لا بحكم العقل) أى أن وجوب نصب الإمام بالشرع عند أهل السنة فاعلم ذلك، ورد بقوله «لا بحكم العقل» على بعض المعتزلة كالجاحظ وغيره حيث ذهبوا إلى أن ذلك بالعقل لا بالشرع بناء على قاعدتهم من التحسين والتقبيح العقليين، ومن الوجوه الدالة على وجوبه بالشرع أن الشارع أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وذلك لا يتم الا بإمام يرجعون إليه فى أمورهم، وقد أجمعت الصحابة عليه بعد مفارقته الدنيا ﷺ واشتغلوا به عن دفنه ﷺ لأنه توفى يوم الاثنين عند الزوال فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن ﷺ فى آخر ليلة الأربعاء، وقال أبو بكر رضى الله عنه: ولا بد لهذا الأمر من يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله تعالى، فقالوا من كل جانب من المسجد: صدقت صدقت، ولم يقل أحد منهم لا حاجة بنا إلى إمام، واجتمع المهاجرون يتشاورون فى شأن الخلافة فقالوا لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ندخلهم معنا فى أمر الخلافة. فقال: الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال عمر: من ثبت له مثل هذه الفضائل التى لأبى بكر قال تعالى: ﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ [التوبة ٤٠] فأثبت صحبته بذلك وأثبت له معية كمعية نبيه بقوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾ ثم مد يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس، ثم أمرهم بجهاز رسول الله ﷺ... قوله: «فليس ركنا يعتقد فى الدين» أى فليس نصب الإمام ركنا يعتقد فى قواعد الدين المجمع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة والصلاة وصوم رمضان والحج لأنه ليس معلوما من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره. وقوله: (ولا تزغ عن أمره المبين) أى ولا تخرج عن امتثال أمره الواضح الجارى على قواعد الشريعة. وفى كلامه حذف الواو مع ما عطفت والتقدير عن أمره ونهيه كما أشار إليه الشارح، ولو حمل الأمر فى النظم على الشأن لعم الأمرين جميعا فتجب طاعته على الرعايا ظاهرا وباطنا لقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] وهم العلماء والأمراء ولقوله ﷺ: «من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى»؛ لكن لا يطاع فى الحرام والمكروه، وأما المباح فإن

كان فيه مصلحة عامة للمسلمين وجبت طاعته فيه وإلا فلا، فلو نادى بعدم شرب الدخان المعروف الآن وجبت عليهم طاعته لأن فى إبطاله مصلحة عامة إذ فى تعاطيه خسة لذوى الهيئات ووجوه الناس خصوصا إذا كان فى القهاوى، وقد وقع أنه أمر بترك الدخان فى الأسواق والقهاوى فيحرم الآن. قوله: (إلا بكفر فانبذن عهده) أى إلا إذا أمر بكفر فاطرحن بيعته جهرا، فإن لم يقدر على الجهر بذلك فاطرحها سرا. وقوله: (فالله يكفينا أذاه وحده) أى فالله تعالى يكفينا أذى الإمام الذى أمر بالكفر وحده إذ هو الذى ناصيته بقدرته. قوله: (بغير هذا لا يباح صرفه) أى بغير هذا الكفر من جميع المعاصى لا يجوز خلعه عن الإمامة لا جهرا ولا سرا. وقوله: (وليس يعزل إن أزيل وصفه) بسكون اللام من يعزل للوزن أى وليس يعزل إذا ولى مستكملا للشروط ثم أزيل وصفه السابق وهو العدالة بطرو الفسق خلافا لطائفة ذهبوا إلى أنه يعزل بذلك (المختار من شرح البيجورى على جوهرة التوحيد / ٢٤٣ ـ ٢٤٦).

ويعقد الإمام السيوطى فصلا فى حسن المحاضرة عن المدن التى كانت قواعد الخلافة جاء فيه ما يلى:

قال ابن فضل الله فى المسالك: إن قاعدة الخلافة أول ما كانت المدينة شرفها الله مدة أبى بكر وعمر وعثمان، فلما انتهت الخلافة إلى على انتقل من المدينة إلى الكوفة، واتخذها قاعدة خلافته، وربما استوطن البصرة. وجاء ابنه الحسن والكوفة قاعدة خلافته على ما كان عليه أبوه، فلما ولى معاوية انتقلت قاعدة الخلافة إلى دمشق، واستقرت قاعدة لبنى أمية؛ وإن كان هشام قد سكن الرصافة، وعمر بن عبد العزيز خُناصرة، فإنهما لم يكونا قاعدتى خلافة، لأنهما سكناهما غير مفارقين لدمشق، بل هى القاعدة والمعتمدة بأنها مستقر الخلافة، ولم تزل كذلك إلى آخر الدوله الأموية. فلما ملك السفاح سكن الأنبار، فلما ولى المنصور بنى الهاشمية وسكنها، ثم بغداد، فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه إلى المعتصم؛ فبنى سُرَّ مَنْ رَأى، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها. ثم بنى ابنه هارون الواثق إلى جانبها الهارونية، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها. ثم بنى أخوه جعفر المتوكل إلى جانبها الجعفرية، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها، ثم عادت قاعدة الخلافة إلى بغداد فى زمن المعتمد إلى المستعصم الذى قتلته التتار، فانتقلت قاعدة الخلافة إلى مصر.

قال: فانظر كيف تنقلت قواعد الخلافة من بلد إلى بلد بتنقل الزمان، وقد كانت بخارى قاعدة السلطنة زمن بنى ساسان، ثم صارت غزنة مكان محمود بن سبكتكين وبنيه، ثم همدان زمان الدولة السلجوقية، ثم خوارزم مكان الملوك الخوارزمية، ثم دمشق زمان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى، ثم مصر من زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وإلى اليوم (أى فى زمن الإمام السيوطى الذى توفى سنة ٩١١ هـ).

وإذا اعتبرت أحوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرة، ثم تلك أخرى كما قال الشاعر:

وإذا نظرت إلى البقاع رأيتها

تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت منها البدعة، وصارت محل سكن العلماء، ومحط رحال الفضلاء، وهذا سر من أسرار الله أودعه فى الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون معها الإيمان والكتاب ...

والإيمان والعلم يكونان من الخلاف أينما كانت، فكانا أولا بالمدينة زمن الخلفاء الراشدين، ثم انتقلا إلى الشام زمن خلفاء بنى أمية، ثم انتقلا إلى بغداد زمن خلفاء بنى العباس، ثم انتقلا إلى مصر حين سكنها خلفاء بنى العباس؛ ولا يظن أن ذلك بسبب الملوك، فقد كانت ملوك بنى أيوب أجلّ قدرا، وأعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير، ولم تكن مصر فى زمنهم كبغداد، وفى أقطار الأرض الآن من الملوك من هو أشد بأسا، وأكثر جندا من ملوك مصر، كالعجم والعراق والروم والهند والمغرب، وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر، ولا شعائر للإسلام فى أقطارهم ظاهرة كظهورها فى مصر، ولا نشرت السنة والحديث والعلم فيها كما فى مصر.

ويفرّق الإمام السيوطى بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع فيقول:

قال ابن سعد فى الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى قيس بن الربيع، عن عطاء بن السائب، عن زاذان،

عن سلمان أن عمر بن الخطاب، قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال: له سلمان إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر، ثم وضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى عبد العزيز بن الحارث، عن أبيه سفيان بن أبى العوجاء، قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا، فهذا أمر عظيم، قال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا، قال: ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا فى حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا، ولا يعطى هذا. فسكت عمر.

ثم يقول عمن يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح:

قال ابن فضل الله فى المسالك: ذكر على بن سعيد أن الاصطلاح ألا تطلق هذه التسمية إلا على من يكون فى ولايته ملوك، فيكون ملك الملوك فيملك، مثل مصر، أو مثل الشام، أو مثل إفريقية، أو مثل الأندلس، ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها، فإن زاد بلادا أو عددا فى الجيش، كان أعظم فى السلطنة. وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم، فإن خطب له فى مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ومثل إفريقية والمغرب الأوسط والأندلس، كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية (حسن المحاضرة ٢/ ٩٣، ٩٤، ١٢٥، ١٢٦).

أما من حيث النظم فلأمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة بعنوان «خلافة الإسلام» ننقلها فيما يلى. ونبدأ بهذا التعليق الذى جاء فى الهامش:

ما كاد العالم الإسلامى يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم فى ميدان الحرب والسياسة، ذلك النصر الحاسم، الذى كان حديث الدنيا، والذى تم على يد مصطفى باشا كمال فى سنة ١٩٢٣، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك، فنظم الشاعر هذه القصيدة يرثى فيها الخلافة، وينبه ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازى، لعله يبنى ما هدم وينصف من ظُلم.

وهذه هى القصيدة، وسوف نتبعها بشرح بعض ألفاظها وفقا للأرقام المعلَّمة بها الأبيات:

عادت أغانى العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفراح(١)

كُفِّنت فى ليل الزفاف بثوبه
ودُفنت عند تبلُّج الإصباح(٢)

شُيِّعت من هلع بعبرة ضاحك
فى كل ناحية، وسكرة صاح(٣)

ضجَّت عليك مآذن، ومنابر
وبكت عليك ممالك، ونواح

الهند والهةٌ، ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحَّاح(٤)

والشام تسأل، والعراق، وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح؟

وأتت لك الجُمَعُ الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الأنواح(٥)

يا للرجال لحرة موءودة
قُتلت بغير جريرة وجناح(٦)

إن الذين أست جراحك حربهم
قتلتك سلمُهمو بغير جراح(٧)

هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم
موشَّية مواهب الفتَّاح(٨)

نزعوا عن الأعناق خير قلادة
ونضوا عن الأعطاف خير وشاح(٩)

حسَبٌ أتى طول الليالى دونه
قد طاح بين عشية وصباح(١٠)

وعلاقة فُصمتْ عرى أسبابها
كانت أبرَّ علائق الأرواح

جمعت على البر الحضور، وربما
جمعت عليه سرائر النُّزَّاح(١١)

نظمت صفوف المسلمين وخَطْوَهم
في كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة، وتلك فتنة عابث
بالشرع، عربيد القضاء، وقاح(١٢)
أفتى خزعبلة، وقال ضلالة
وأتى بكفر في البلاد بواح(١٣)
إن الذين جرى عليهم فقهه
خلقوا لفقهه كتيبة وسلاح
إن حدّثوا نطقوا بخرس كتائب
أو خوطبوا سمعوا بصم رماح
أستغفر الأخلاق، لست بجاحد
من كنت أدفع دونه وألاحي(١٤)
مالي أطوقه الملام وطالما
قلدته المأثور من أمداحي؟
هو ركن مملكة، وحائط دولة
وقريع شهباء، وكبش نطاح(١٥)
أأقول من أحيا الجماعة ملحد
وأقول من رد الحقوق إباحي؟
الحق أولى من وليك حرمة
وأحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولُمْهُمو
أو خلِّ عنك مواقف النُّصّاح
ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم
هرم غليظ مناكب الصفاح(١٦)
فإذا قذفت الحق في أجلاده
ترك الصراع مضعضع الألواح(١٧)
أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصح
إن الجواد يثوب بعض جماح(١٨)
إن الغرور سقى الرئيس براحه
كيف احتيالك في صريع الراح؟

نقل الشرائع، والعقائد، والقرى
والناس نقل كتائب في الساح(١٩)
تركته كالشبح المؤله أمة
لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو
حتى تناول كل غير مباح
غرّته طاعات الجموع، ودولة
وجد السواد لها هوى المرتاح
وإذا أخذت المجد من أمية
لم تُعط غير سرابه اللمّاح(٢٠)
من قائل للمسلمين مقالة
لم يوحها غير النصيحة واح؟
عهد الخلافة فيَّ أول ذائد
عن حوضها ببراعة نضاح(٢١)
حبٌّ لذات الله كان، ولم يزل
وهوى لذات الحق والإصلاح
إني أنا المصباح، لست بضائع
حتى أكون فراشة المصباح(٢٢)
غزوات (أدهم) كللت بذوابل
وفتوح (أنور) فُصِّلت بصفاح(٢٣)
ولَّت سيوفهما، وبان قناهما
وشبا يراعي غير ذات براح(٢٤)
لا تبذلوا برد النبي لعاجز
عُزُل، يدافع دونه بالراح(٢٥)
بالأمس أو هي المسلمين جراحة
واليوم مد لهم يد الجراح (٢٦)
فلتسمعن بكل أرض داعيا
يدعو إلى (الكذاب) أو لسجاح(٢٧)
ولتشهدن بكل أرض فتنة
فيها يباع الدين بيع سماح

يُفتى على ذهب المعــــز وسيفـــــه
وهــوى النفــوس، وحقــدهـا الملحــاح(٢٨)

وإليك الشرح مرقما بأرقام الأبيات :

١ ــ الأغاني : جمع أغنية وهي ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه . والرجع : ما يرد في المكان الخالي على الإنسان إذا رفع صوته . والمعالم : جمع معلم وهو موضع الشيء الذي يظن فيه وجوده .

٢ ـ تبلُّج الإصباح : إشراقه وإنارته .

٣ ــ الهلع : الجزع الشديد . والعبرة : الدمعة قبل أن تفيض، وقيل : هي تحلب الدمع .

٤ ـ الوالهة : الحزينة أو التي ذهب عقلها حزنا . وسحاح : كثير السح وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل .

٥ ـ الجُمع : واحدتها جمعة وهي الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والأنواح : النائحات .

٦ ــ الموءودة : التي تدفن حية في التراب . والجناح : الإثم .

٧ ــ أست جراحك : داوتها . السلم : الصلح ، والسلام أيضا .

٨ ـ يقال : هتك الستر ونحوه : خرقه ، أو جذبه فقطعه من موضعه ، أو شق منه جزءا فبدا ما وراءه وموشية : منقوشة منمنمة . والفتَّاح : من أسماء الله تعالى .

٩ ـ نضوا : خلعوا . والأعطاف : جمع عطف وهو الجانب من كل شيء والوشاح : شبه قلادة ينسج من جلد عريض ويرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

١٠ ـ طاح : ذهب .

١١ ــ البر : الصلة والرفق . والنُزَّاح : البعيدون ، جمع نازح .

١٢ ـ العربيد الشرير . والكثير العربدة ، وهي سوء الخلق من السكر . والوقاح : ذو الوقاحة وهي قلة الحياء

١٣ ــ الخزعبلة : الفكاهة والمزاح ، أما الباطل فهو الخزعبيل والخزعبل . ويقال : جاء بالكفر بواحا أي بيِّنا ، وقيل : جهارا .

١٤ ـ أدفع دونه : أرد عنه بالحجة . ألاحي : من الملاحاة وهي الملاعنة .

١٥ ــ القريع : الغالب في المقارعة ، وهي أن يضرب الأبطال بعضهم بعضا . والشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح .

١٦ ــ المناكب هنا : الجوانب والنواحي . والصفاح : حجارة عريضة رقيقة .

١٧ ـ الأجلاد والتجاليد : جسم الإنسان وبدنه .

١٨ ـ الغازي : مصطفى كمال ، وهو أيضا المراد بالرئيس في البيت الثاني .

١٩ ـ الساح : جمع ساحة ، والمراد ساحة الحرب .

٢٠ ـ اللماح : اللماع .

٢١ ـ الذائد : الحامي الدافع . والنضاح : الدافع أيضا .

٢٢ ــ الفراشة : حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق .

٢٣ ـ الذوابل : صفة للرماح . والصُفاح : جمع صفح وهو عرض السيف . وأدهم وأنور : هما القائدان التركيان الكبيران . والمراد . بالرماح والسيوف هنا الأقلام .

٢٤ ـ القنا : جمع قناة . والشبا : جمع شباة وهي حد كل شيء . البراح : الزوال .

٢٥ ـ العاجز العزل : حسين بن علي شريف الحجاز، يريد أنه طامع في الخلافة ، فالأتراك إذا أصروا على خروجها منهم ، كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز الذي لا يملك لحمايتها إلا يدا خالية . والراح : جمع راحة وهي بطن الكف .

٢٦ ـ بالأمس أوهى ... إلخ : الموصوف بهذا العمل هو حسين بن علي أيضا ، وهو إشارة إلى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم في الحرب الكبرى.

٢٧ ـ يريد أن تنحى الأتراك عن الخلافة أطمع فيها من لا يصلح لها ، وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان . والمراد بالكذاب : مسيلمة الكذاب . وسجاح : امرأة كانت تدعى النبوة .

٢٨ ـ المراد بذهبه وسيفه : المال الذي كان يبذل لمن

أطاعوه، والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه (الشوقيات ١ / ٩٩-١٠٢).

ويتناول السيد عبد الحميد الخطيب فى أرجوزته الحافلة النظم الإدارية فى عهد رسول الله ﷺ، ومنها مقام الخلافة وما يتبعه من نظم متعددة فيقول:

النظم الإدارية فى عهده.

ونظـــام دولتـــه يقـــوم على وظـــا
ئف قـــد أتـت عن سيـــد الســـادات
عهـــد النبى بهـــا إلى من حـــولـــه
من صحبتـــه فى تلكم الأوقـــات
واختـــارهم فيهـــا بثـــاقب رأيـــه
لكفـــاءة فيهم بـــلا مـــريـــات

مقام الخلافة:

فـــولايـــة الأحكـام بين النـاس أسنـــ
ـــدها لـــه المـــولى العلى الـــذات
إذ كـــان يـــرأس قـــومـــه وعليهـم
يقضى بمـــا يأتيـــه من آيـــات
ويســـوس كل شئـــونهم فى السلم ثـــ
ـــم يـــؤمهـم فى ســـاعـــة الصلـــوات
ولـــدينهـم يحمى ويـــدفع عنهم
شـــر البغـــاة بأشـــرف الســـاحـــات
إذ أنـــه فـى الحـــرب أعظم قـــائد.
دانت لـــه الأجنـــاد بـــالطـــاعـــات
ولـــه العـــريش أقيم فـى بـــدر ليجـــ
ـــلس فيـــه فى رهط على أهبـــات
وكـــذا أقيمت دكـــة لجلـــوســـه
فـى نفس مسجـــده من اللبنـــات
كـى مـــا يميـــزه الغـــريب إذا أتـى
عن صحبـــه فـى حـــالـــة الجلســـات

نائب الخليفة:

وكـــذاك قـــد شـــرع النيـــابـــة فى الإمـــا
مـــة عنـــه عنـــد العـــذر حـــال حيـــاة
فـــاستخلـف الصـــديق مـن دون الصحـــا
بـــة فى الإمـــامـــة آخـــر الأوقـــات
وهـــو الـــذى فى عهـــده أفتى وكـــا
ن من العلـــوم بأرفع الـــدرجـــات
ولهـــذه الثقـــة التى قـــد نـــالهـــا
نـــال الخـــلافـــة عنـــه إثـــر وفـــاة

الأمين الأول:

وكـــذلك الصـــديق كـــان يعلم النـــ
ـــاس التأدب ســـاعـــة النجـــوات
وطـــريقـــة التسليم أو حسن المثـــو
ل أمـــام طـــه سيـــد الســـادات
ولهم يـــوصى بـــالسكينـــة والـــوقـــا
ر أمـــامـــه والخفض لـــلأصـــوات

كاتم السر:

وابن اليمـــان (حـــذيفـــة) قـــد كـــان كـــا
تم ســـره عن سيىء النيـــات

الترجمان:

والتـــرجمـــان لـــديـــه زيـــد من بأمـــر
المصطفى قـــد نـــال علم لغـــات
وغـــدا يتـــرجم للنبى ولا يتـــر
جم عنـــه مـــا يلى من الكلمـــات

الوزراء

وكـــذلك الصـــديق مع عمـــر همـــا
كـــانـــا لـــدى الهـــادى محل ثقـــات
وهمـــا وزيـــراه ومـــوضع ســـره
وهمـــا لـــديـــه صـــائبـــا النظـــرات
من يستشيـــر ويستنيـــر بمـــا يقـــو
ل ثـم يمضى أصـــوب القـــولات
ويقـــول من منكم تـــولى منصبـــا
ولـــه أراد الله بـــالخيـــرات

جعل الإلــه لــه وزيــرا صــالحــا
للعــون والتــذكيــر فى الغفــلات

الجلساء :

وكــذاك كــان لــه من الــرفقــاء أر
بعــة وعشــر هم من الصفــوات
عمــر، أبــو بكــر، وحمــزة، جعفــر،
وعلى، والحســان، من قــربــات
وحــذيفــة، وكــذا أبــو ذر، ومصــ
ــعب، مع بــلال، صــاحب النفقــات
سلمــان، عمــار بـن يــاســر، وابن مســ
ــعود. مــلازمــه إلى الحجــرات

الحائزون لألقاب الشرف

وهنــاك ألقــاب حبــاهــا المصطفى
لجمــاعـــة فى تلكم الأوقــات
ليــزيــدهم شــرفــا بهــا إذ أنهــا
هى منــه شــاهــدة على الخــدمــات

أمين الأمة :

فـأبــو عبيـــدة كــان ثم (أمين
أمتــه) ولقبــه بــذى الكلمــات

سيف الله :

وكــذاك سمــى خــالــدا (سيف الإلــ
ــه) لمــا حبــاه الله من نصــرات

أسد الله :

وكــذاك حمــزة قــد دعى (أســد الإلا
ــه وكــان ذا المسطــور فى السمــوات

القضاة :

ولقــد تــولى ستــة فى عهــده
أمــر القضــاء بــواسع الخبــرات
عمــر، علــى، كــذا ابن مسعــود، وزيــ
ــد، من أجــاد بقسمــة التــركــات
وأبـى بـن الكعـب، ثـم الأشعـــرى،
مـن كــان فيهـم ســالم الطيــات

مدير المال :

وبــلال كــان مــديــر أمــوال النبى
وقــد تــولى الصــرف والنفقــات
وبأمــره يكســو ويطعم من يــرى
ولــزائريــه يقــدم الأقــوات

مدير المؤنة الخاصة :

وأبــو النجــاشى (أبــو بيــزر) كــا
ن على مــؤنــة سيــد الســادات

أمين العائلة

وأمينــه فى أهلــه كــان ابن عــو
ف من أتتــه بشــارة الجنــات

جباة المال :

ومعــاذ خيــر معلم فى الشــرع أر
سلــه ليجبى واجب الصــدقــات
وكــذا (ابن كعب) كــان يقبض خمســه
و (خــزاعــة) لمغــانم الغــزوات
و (أبــو هــريــرة) كــان يحفظ يــوم عيــ
ــد الفطــر للمختــار مــال زكــاة

الحرس الخاص :

ولحمل نعليــه (ابن مسعــود) وكــا
ن إذا مشى يسبقــه فى الخطــوات
إذ كــان يحمل للعصــا ويسيــر حتــ
ــتى يــدخل المختــار للحجــرات
وكــذاك يــوقظــه إذا مــا نــام ثــ
ــم لــه يعــد الــرحل فى الــرحــلات
وكــذاك (جلبــة بن عــامــر) كــان يمــ
ــشى خلف طــه معظم الأوقــات
وكــذلك (الضحــاك) سيــاف النبى
يقــوم عنــد الــرأس فى الجلســات
يحميــه من شــر العــداة إذا بــدا
فى النــاس مــا قــد يــوجب الخيفــات
وعلى حــراستــه (ابن وقــاص) أقــا
م كــذا (أبــو أيــوب) فى فتــرات

وكذلك (سعد بن المعاذ) وغيره
كانوا له حراس في الساحات

الخدم الخاص: أوردناها تحت عنوان «خدم رسول الله ﷺ» في م ١٥ / ٣٥٦.

الكتَّاب: يأتي تحت عنوان «كتَّاب رسول الله ﷺ» في حرف الكاف إن شاء الله تعالى.

حامل الأختام:

ومعيقب قد كان حامل ختمه
إذ كان يحفظه من الضيعات

الأمراء: أوردناها تحت عنوان «أمراء رسول الله ﷺ» في م ٦ / ٦٠ فانظرها في موضعها.

المحتسبون:

وكذا أقام بسوق مكة حاكما
لتفقد الأسعار والسلعات
يدعى بمحتسب هو (ابن العاص) من
يدعى (سعيدا) عالي الهمات
وكذا أقام بسوق يثرب أولا
عمرا وسن لذلك السدرات

صاحب الشرطة:

وكذا (ابن سعد قيس) كان منفذ الـ
أحكام إذ هو صاحب الشرطات

المؤذنون:

ومؤذنو المختار كان بلال مع
(ابن أم مكتوم) لدى الصلوات
وكذا أبو محذورة في مكة
بقباء سعد القرظ في مرات

الحداة:

حاديه أنجشة وعامر وابن أكو
ع من أصابوا الحسن في الأصوات

خطيب الرسول:

وكذا ابن قيس ثابت يدعى
(خطيب المصطفى) فيما عدا الصلوات

شعراء الرسول: يأتي تحت عنوان «شعراء الرسول الله ﷺ» في حرف الشين إن شاء الله تعالى (سيرة سيد ولد آدم / ٨٩ - ٩٥).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٢ / ٣٢ - ٣٥، والفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربي م ٢ / ٤٠٨ - ٤١٠، ومقدمة ابن خلدون ط المكتبة التجارية الكبرى / ١٩٠ - ١٩٦، وفقه الخلافة وتطورها - د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، قضايا إسلامية، سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (٥). القاهرة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م / ٥٧ - ٦٩، والمختار من شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم للقاني - تأليف شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري / ٢٤٣ - ٢٤٦، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢ / ٩٣، ٩٤، ١٢٥، ١٢٦، والشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي ١ / ٩٩ - ١٠٢، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب/ ٨٩ - ٩٥).

* **خلافة الأئمة الأربعة:**

من مخطوطات خزانة المدرسة العثمانية الرضائية (في محالة الفرافرة - باب النصر) بحلب وهي الآن تحت رعاية الأوقاف. وجاء بيان المخطوط كما يلي:

تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله أحمد بن حجر الهيثمي ٩٠٩ - ٩٧٣ هـ / ١٥٠٣ - ١٥٦٦ م.

كتاب ألفه مصنفه أولا لبيان حقيقة خلافة أبي بكر وإمارة عمر بن الخطاب، ثم زاد عليه ووسعه فأصبح سفرا ذكر فيه حقيقه خلاف الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتعلق بأحوالهم، ورتبه على مقدمات وعشرة أبواب وخاتمة.

أوله بعد البسملة: «قال شيخنا وسيدنا ... أبو عبد الله شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي الهيثمي.. الحمد لله الذي اختص بنبيه محمدا ﷺ بأصحاب كالنجوم ...».

آخره: «... والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا..

نسخة جيدة لم يذكر على طرتها عنوان الكتاب ولا في الخطبة ويعود تاريخها إلى سنة ١٠٠٠ هـ فهي قريبة العهد بالمؤلف كتبها تقي الدين ابن الحاج أبي بكر الموقِّت بالجامع الكبير بحلب بخط نسخ جيد ولم يميز أبواب الكتاب ومقدماته.

(١٤١) ق - المسطرة (٢٥) س - العثمانية - الرضائية (٢٤٧) التاريخ بروكلمان ٢ / ٣٨٩ - بروكلمان الذيل ٢ / ٥٢٩.

(المنتخب من المخطوطات العربية في حلب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ٢٩٣، ٢٩٤).

* **الخلافيات:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي : .

الرقم ٥٧٥٠ .

منظومة من ٢٦٦٩ بيتا .

تأليف ، نجم الدين عمر بن محمد النسفي السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م .

أولها :

بسم الإلـــــه رب كــل عبـــــد

والحمـــــد لله ولي الحمـــــد

ثـم التحيـــات بغيـــر عـــد

علـى النبي المصطفـى محمـــد

آخرها :

قـــد انتهى نظم الخـــلافيـــات

والحمـــد لله علـى الحـــالات

وصـــاحب النظم أبـــو حفص عمـــر

مـن نسف أتـم هـــذا فـي صفـــر

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود كتبه علي الهمداني سنة ٧١١ هـ وعليه تملك باسم محمد الأذربجي الحنفي وغيره .

ق ٩٢ ، س ١٧ ، ١٨,٥ × ١٣ .

المراجع : كشف الظنون ١ / ٧٢١ ، فهرس المتحف البريطاني الملحق ١ / ٢٠٥ ، وفيه نسخة قديمة مخطوطة سنة ٧٨٧ هـ ، معجم المؤلفين ٧ / ٣٠٥ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

* **الخلافيات (علم ـ):**

انظر : الخلاف (علم ـ) .

* **الخلاق:**

بتخفيف اللام .

من أمثلة القياس التي ساقها الإمام ابن القيم الآية ٦٦ من سورة التوبة فيقول :

ومنه قوله تعالى : ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك هم الخاسرون﴾ [التوبة : ٦٨] وقد اختلف في محل هذا الكاف وما يتعلق به ، فقيل : هو رفع خبر مبتدأ محذوف ، أي : أنتم كالذين من قبلكم ، وقيل نصب بفعل محذوف ؛ تقديره : فعلتم كفعل الذين من قبلكم ، والتشبيه على هذين القولين في أعمال الذين من قبل ، وقيل : إن التشبيه في العذاب ، ثم قيل : العامل محذوف ، أي : لعنهم وعذبهم ، كما لعن الذين من قبل ، وقيل : بل العامل ما تقدم ، أي ، وعد الله المنافقين ، كوعد الذين من قبلكم ، ولعنهم كلعنهم ، ولهم عذاب مقيم ، كالعذاب الذي لهم .

والمقصود : أنه سبحانه ألحقهم بهم في الوعيد ، وسوى بينهم فيه كما تساووا في الأعمال ، وكونهم كانوا أشد منهم قوة ، وكثر أموالا وأولادا فرق غير مؤثر ، فعلق الحكم بالوصف الجامع المؤثر ، وألغى الوصف الفارق ، ثم نبه على أن مشاركتهم في الأعمال اقتضت مشاركتهم في الجزاء فقال : ﴿فاستمتعوا بخلاقهم ، فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا﴾ فهذه هي العلة المؤثرة والوصف الجامع . وقوله ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ هو الحكم ، والذين من قبل هم الأصل ، والمخاطبون : الفرع .

قال عبد الرزاق في تفسيره : أنا معمر عن الحسن في قوله : ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ قال : بذنبهم ، ويروى عن أبي هريرة ، وقال ابن عباس استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا ، وقال آخرون بنصيبهم من الدنيا .

الخلاق :

وحقيقة الأمر أن الخلاق هو النصيب والحظ ، كأنه الذي خلق للإنسان وقُدِّر له ، كما يقال : قسمه الذي قسم له ، ونصيبه الذي نصب له ، أي : أثبت ، وقِطُّه الذي قُطَّ له أي : قطع .

ومنه قوله تعالى : ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة : ٢٠٠] وقول النبي ﷺ «إنما يلبس الحرير في الدنيا من

لا خلاق له في الآخرة» والآية تتناول ما ذكره السلف كله : فإن سبحانه قال : ﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ فبتلك القوة التي كانت فيهم ، كانوا يستطيعون أن يعملوا للدنيا والآخرة ، وكذلك الأموال والأولاد ، وتلك القوة والأموال ، والأولاد : هي الخلاق فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم وأولادهم في الدنيا ، ونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوة من الخلاق الذي استمتعوا به ، ولو أرادوا بذلك الله والدار الآخرة لكان لهم خلاق في الآخرة ، فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة ، وهذا حال من لم يعمل إلا لدنياه ، سواء كان عمله من جنس العبادات أو غيرها .

ثم ذكر سبحانه حال الفروع فقال : ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ فدل هذا على أن حكمكم حكمهم وأنه ينالكم ما نالهم ؛ لأن حكم النظير: حكم نظيره ثم قال : ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ فقيل : (الذي) صفة لمصدر محذوف ، أي كالخوض الذي خاضوا ، وقيل لموصوف محذوف ، أي كخوض القوم الذي خاضوا ، وهو فاعل الخوض ، وقيل : الذي مصدرية كما ، أي : كخوضهم ، وقيل : هي موضع الذين .

أصل فساد الدين :

والمقصود أنه سبحانه جمع بين الاستمتاع بالخلاق ، وبين الخوض بالباطل ، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، وهو الخوض ، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب ، وهو الاستمتاع بالخلاق ، فالأول : البدع ، والثاني : اتباع الهوى ، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء ، وبهما كذبت الرسل وعصي الرب ودُخلت النار ، وحلت العقوبات ، فالأول من جهة الشبهات ، والثاني من جهة الشهوات ، ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعجبته دنياه .

وكانوا يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فهذا يشبه المغضوب عليهم الذي يعلمون الحق ، ويعملون ، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم .

وفي صفة الإمام أحمد رحمه الله عن الدنيا : ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه . أتته البدع ، فنفاها والدنيا فأباها ، وهذه حال أئمة المتقين الذين وصفهم الله في كتابه بقوله : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة : ٢٤] فبالصبر تترك الشهوات ، وباليقين تدفع الشبهات كما قال تعالى : ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ «آخر العصر» وقوله تعالى : ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ [ص : ٤٥] .

وفي بعض المراسيل : «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات» فقوله تعالى : ﴿فاستمتعتم بخلاقكم﴾ إشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العصاة . وقوله : ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ إشارة إلى الشبهات ، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات ، وكثيرا ما يجتمعان ، فقيل من تجده فاسد الاعتقاد إلا وفساد اعتقاده يظهر في عمله .

والمقصود أن الله أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه ، كما استمتع الذين من قبله بخلاقهم ، ويخوض كخوضهم ، وأنهم لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم ، ثم حضهم على القياس والاعتبار بمن قبلهم فقال : ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [التوبة : ٧٠] فتأمل صحة هذا القياس ، وإفادته لمن علق عليه من الحكم ، وأن الأصل والفرع قد تساويا في المعنى الذي عُلِّق به العقاب ، وأكده كما تقدم بضرب من الأولى ، وهو شدة القوة ، وكثرة الأموال والأولاد ، فإذا لم يتعذر على الله عقاب الأقوى منهم بذنبه ، فكيف يتعذر عليه عقاب من هو دونه؟ ومنه قوله تعالى : ﴿وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ [الأنعام : ١٣٣] فهذا قياس جلي يقوله سبحانه : إن شئت أذهبتكم ، واستخلفت غيركم ، كما أذهبت من قبلكم واستخلفتكم .

في الآية أركان القياس الأربعة

فذكر أركان القياس الأربعة : علة الحكم ، وهي عموم مشيئته وكمالها ، والحكم ، وهو إذهابه بهم ، وإتيانه بغيرهم ،

والأصل، وهو من كان من قبل. والفرع وهم المخاطبون.

(إعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة ابن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ١ / ١٨٢ ـ ١٨٥).

*** الخلال:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات.

قال عنه الأنطاكي:

الخلال: هو السذاب ويسمى الصقلين وهو نبات يكون قريب المياه والأراضي اللينة مربع الساق خشن الورق مرتفع نحو ذراعين وبزهر أبيض وأزرق ثم يخلق رءوسا ملززة منضدة طبقات في فلكة صغيرة وفي تلك العيدان زهر ينشأ فيه بزر كالنانخواه حريف حاد إلى المرارة يسمى الوخشيزك وهذا النبات حار يابس في الأولى يشد الأسنان ويطيب الفم وشرب مائه يقتل الدود مجرب ويمنع تولده وإذا جلست فيه المرأة أصلح الرحم وماؤه يحلل الأورام طلاء ويشد اللثة ويحبس العرق والخلال يطلق على البسر.

(تذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٤٣).

*** الخلّال (ــ ٣١١ هـ / ٩٢٣ م):**

أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر. الخلال مفسر، عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة. من أهل بغداد، كانت حلقته بجامع المهدي. قال ابن أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة. وقال الذهبي: جامع علم أحمد ومرتِّبه. من كتبه «تفسير الغريب» و «طبقات أصحاب ابن حنبل» مخطوط، قطعة منه، و «الحث على التجارة والصناعة والعمل» مطبوع. في دار الكتب و «السنة» و «العلل» و «الجامع لعلوم الإمام أحمد» في الحديث، قيل: لم يصنف في مذهب مثله، نحو مائتي جزء (الأعلام ١ / ٢٠٦).

ذكره الإمام الكتاني في أصحاب كتب السنة، وهي الكتب الحاضة على اتباعها، والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء. قال الإمام الكتاني: ولأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المعروف بالخلال مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبه... وهو في ثلاث مجلدات، وله أيضا كتاب «العلل» وهو في عدة مجلدات، وغيره من التصانيف ا. هـ (الرسالة المستطرفة / ٢٩).

(الأعلام للزركلي ١ / ٢٠٦ وما جاء بهامشه من مراجع، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتاني / ٩٢).

*** الخلّال (٣٥٢ ـ ٤٣٩ هـ / ٩٦٣ ـ ١٠٤٧ م):**

الحسن بن محمد بن الحسن بن علي، أبو محمد، الخلال، فاضل من أهل بغداد. قال الخطيب البغدادي: «خرَّج المسند على الصحيحين، وجمع أبوابا وتراجم كثيرة». ومن كتبه «أخبار الثقلاء» و «المجالس العشر» مخطوط، من أماليه. نسخة قديمة جيدة، في الرباط (المجموع ١٧٤ أوقاف).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٢١٣).

*** الخلخلي:**

انظر: شرح الدائرة الهندية في معرفة سمت القبلة.

*** الخُلد:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم الحيوان، وقد بسط الكلام عليه صاحب حياة الحيوان الكبرى وأكثر من الاستطراد. وفيما يلي بعض ما أورده. قال رحمه الله:

بضم الخاء ونقل في الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها قال الجاحظ هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم فتخرج من جحرها وهي تعلم أن لا سمع لها ولا بصر فتفتح فاها وتقف عند جحرها فيأتي الذباب فيقع على شدقها ويمر بين لحييها فتدخله جوفها بنفسها فهي تتعرض لذلك في الساعات التي يكون فيها الذباب أكثر وقال غيره الخُلد فأر أعمى لا يدرك إلا بالشم قال أرسطو في كتاب النعوت كل حيوان له عينان إلا الخلد وإنما خلق كذلك لأنه ترابي جعل الله له الأرض كالماء للسمك وغذاؤه من بطنها وليس له في ظهرها قوة ولا نشاط ولما لم يكن له بصر عوَّضه الله حِدَّة حاسة السمع فيدرك الوطء الخفي من مسافة بعيدة فإذا أحس بذلك جعل يحفر في الأرض قال والحيلة في صيده أن يجعل له في جحره قملة فإذا أحس بها وشم رائحتها خرج إليها ليأخذها وقيل إن سمعه بمقدار بصر غيره وفي طبعه الهرب من الرائحة الطيبة ويهوى رائحة الكراث والبصل وربما صيد بهما فإنه إذا شمهما خرج إليهما وهو إذا جاع فتح فاه فيرسل الله تعالى له الذباب فيسقط عليه فيأكله وذكر بعض

المفسرين أن الخلد هو الذى خرب سد مأرب وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان أى بستانان عن يمين من يأتيها وشماله قال الله تعالى لهم ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ [سبأ: ١٥] أى على ما أنعم به عليكم وكانت بلدتهم طيبة لا يرى فيها بعوض ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا ذباب وكان الركب يأتون وفي ثيابهم القمل وغيره فإذا وصلوا إلى بلادهم ماتت وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل على رأسه فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول منها شيئا بيده فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فأعرضوا وقالوا ما نعرف لله علينا من نعمة وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم وبنت دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدد أنهارهم فكان الماء يقسم بينهم على ذلك فلما كان من شأنها مع سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان مكثوا مدة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا فسلّط الله عليهم جرذا أعمى يقال له الخلد فنقب السد من أسفله فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم وكانوا يزعمون فى عملهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء الوقت الذى أراد الله تعالى أقبلت فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها ونقبت وحفرت فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمال (وروى) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ووهب وغيرهما أنهم قالوا: كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء أوديتهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدد أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك والله أعلم (ونقل) الإمام أبو الفرج بن الجوزى عن الضحاك أن الجرذ الذى خرب سد مأرب كان له مخاليب وأنياب من حديد وأن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدى وكان سيدهم وكان قد رأى فى المنام كأنه انبثق عليه الردم فسال الوادى فأصبح مكروبا فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا فلما رجعوا قال هل رأيتم ما رأيت قالوا نعم قال فإن هذا الأمر ليس لنا إلى إذهابه من سبيل وقد اضمحلت الحيلة فيه لأن الأمر من الله وقد آذن الله بالهلاك ثم إنه عمد إلى هرة فأخذها وأتى إلى الجرذ فصار الجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة فولت الهرة هاربة فقال عمرو لأولاده واحتالوا لأنفسكم فقالوا ياأبت كيف نحتال فقال إنى محتال لكم بحيلة قالوا افعل فدعا أصغر بنيه وقال له إذا جلست فى المجلس واجتمع الناس على العادة وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون برأيه فإنى آمرك بأمر فتغافل عنه فإذا شتمتك فقم إلىّ والطمنى ثم قال لأولاده فإذا فعل ذلك فلا تنكروا عليه ولا يتكلم أحد منكم فإذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحد منهم أن ينكر عليه ولا يتكلم فأحلف أنا عند ذلك يمينا لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهر قوم قام إلىّ أصغر بنى فلطمنى فلم يغيروا فقالوا نفعل ذلك فلما جلس واجتمع الناس إليه أمر ابنه الصغير ببعض أمره فلها عنه فشتمه فقام إليه ولطم وجهه فعجب الجماعة من جراءة ابنه عليه وظنوا أن أولاده يغيرون عليه فنكسوا رءوسهم فلما لم يغر أحد منهم قام الشيخ وقال أيلطمنى ولدى وأنتم سكوت ثم حلف يمينا لا كفارة لها أن يتحول عنهم ولا يقيم بين أظهر قوم لم يغيروا عليه فقام القوم يعتذرون إليه وقالوا له ما كنا نظن أن أولادك لا يغيرون فذاك الذى منعنا فقال قد سبق منى ما ترون وليس إلى غير التحول من سبيل ثم إنه عرض ضياعه للبيع وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا يسيرا حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم فذلك قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ [سبأ: ١٦] وفى العرم أقوال قيل هو المسناة أى السد قاله قتادة وقيل هو اسم الوادى قال السهلى وقيل اسم الخلد الذى خرق السد وقيل هو السيل الذى لا يطاق وأما مأرب فبسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان على سبأ كما أن تُبّعا اسم لكل من ولى

اليمن والشجر وحضرموت قاله المسعودي وقال السهيلي وكان السد من بناء سبأ بن يشجب وكان قد ساق إليه سبعين واديا ومات من قبل أن يتممه فأتمته ملوك حمير واسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل إنه أول من سبى فسمى سبأ وقيل إنه أول من تتوج من ملوك اليمن وقال المسعودي بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا في فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا فأرسل الله عليه سيل العرم وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا فقالواتفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فأما غسان فلحقوا بالشأم والأزد إلى عمان ومر خزاعة إلى تهامة وجذيمة إلى العراق والأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج

روى أبو سبرة النخعي عن فروه بن مسيك القطيفي قال قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ أكان رجلا أو امرأة أو أرضا فقال ﷺ : كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير فقال الرجل وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان...

التعبير: الخلد تدل رؤيته على العمى والتيه والتبدد والحيرة والاختفاء وضيق المسلك وربما دلت رؤيته على حدة السمع لمن يشكو ضررا من سمعه إن رؤى مع ميت فهو في النار لقوله عز وجل وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وربما كان في الجنة وسكن جنة الخلد والله تعالى أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٠ـ٢٧٣).

وقد ذكر الخلد أيضا صاحب تذكرة أولي الألباب فقال: وهو حار في الثالثة دمه يقلع جميع الآثار طلاء وكحلا ورماد رأسه يقطع الرعاف والدم السائل حيث كان، وإن طلى على الأورام حللها. (التذكرة ١ / ١٤٣).

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٧٠ ـ ٢٧٣، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٤٣).

*** ابن خلدون (٧٣٢ـ٨٠٧ أو ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ـ١٤٠٦م):**

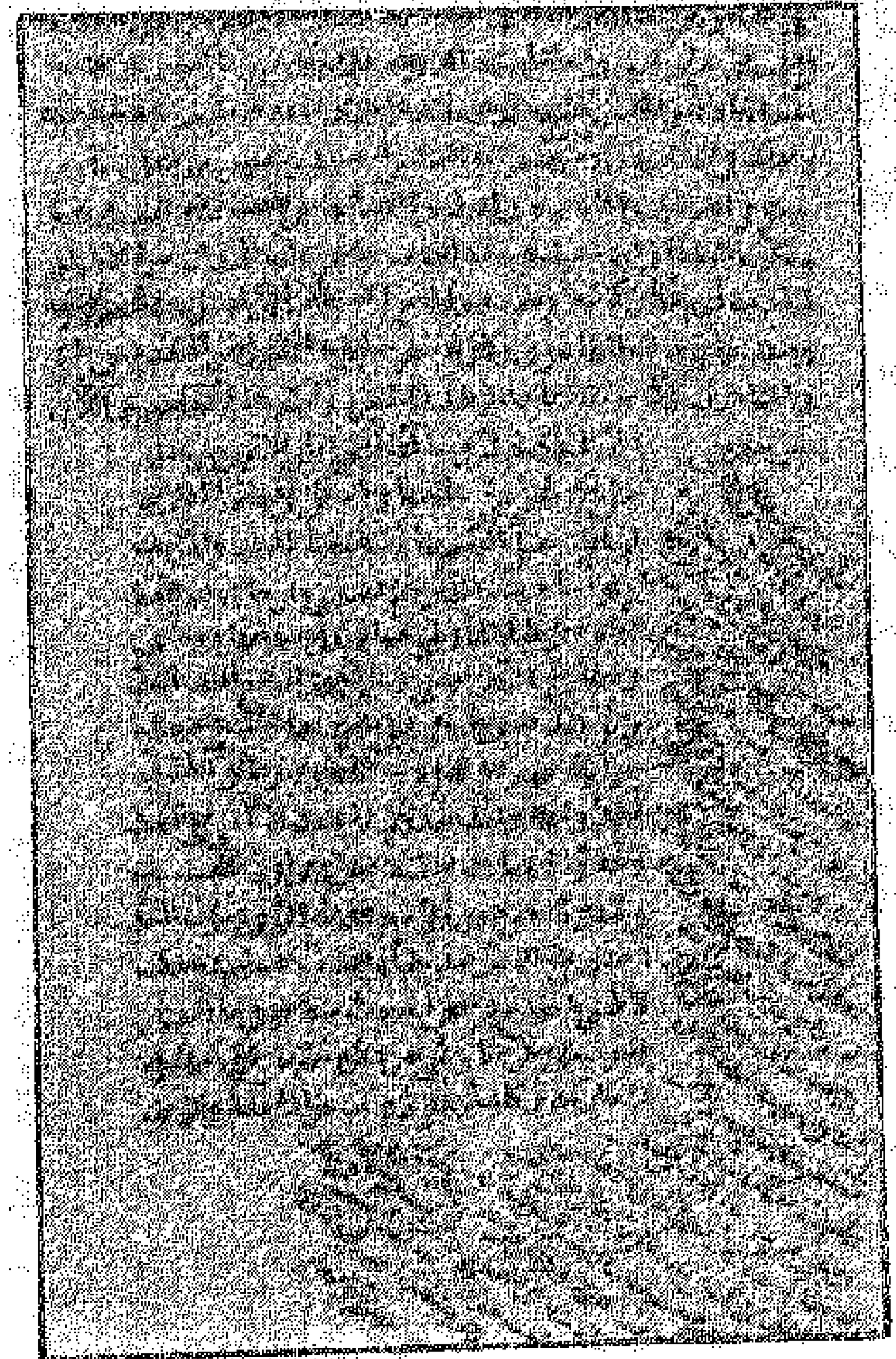
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الملقب بولي الدين المكنى بأبي زيد المعروف بقاضي القضاة التونسي المولد المالكي المذهب المحدث الحافظ الفقيه الأصولي المؤرخ الرحالة الكاتب الأديب (الفتح المبين / ١٣).

قال عنه السخاوي: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحيم ولي الدين أبو زيد الحضرمي من ولد وائل بن حجر الأشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي ويعرف بابن خلدون ـ بفتح المعجمة وآخره نون. ولد في أول رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والتسهيل في النحو وتفقه بأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحياني وأبي القاسم محمد بن القصير وقرأ عليه التهذيب لأبي سعيد البراذعي وعليه تفقه وانتاب مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام واستفاد منه وعليه وعلى أبي عبد الله الواديأشي سمع الحديث وكتب بخطه أنه سمع صحيح البخاري على أبي البركات البلقيني وبعضه بالإجازة والموطأ على ابن عبد السلام وصحيح مسلم على الواديأشي انتهى.

وأخذ القراءات السبع إفرادا وجمعا بل قرأ ختمة أيضا ليعقوب عن المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن بزال الأنصاري وعرض عليه الشاطبيتين والتقصي والعربية عن والده وأبي عبد الله محمد بن العربي الحصائري وأبي عبد الله بن بحر والمقرى أبي عبد الله محمد بن الشواس الزواوي وأبي عبد الله بن القصار ولازم العلاء أبا عبد الله الأشبيلي وانتفع به وكذا أخذ عن أبي محمد المهيمن الحضرمي وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي شيخ المعقول بالمغرب وآخرين، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط وأخذ ذلك عن أبيه وغيره ومهر في جميعه وحفظ المعلقات وحماسة الأعلم وشعر حبيب بن أوس وقطعة من شعر المتنبي وسقط الزند للمعري وتعلق بالخدم السلطانية وولي كتابة العلامة عن صاحب تونس؛ ثم توجه في سنة ثلاث وخمسين إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها أبي عنان ثم امتحن واعتقل نحو عامين ثم ولي كتابة السر لأبي سالم أخي أبي عنان وكذا النظر في المظالم، ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة أربع وستين وتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية فعظمه وأكرمه وحمله وقام بالأمر الذي ندب إليه، ثم توجه في سنة ست وستين إلى بجاية ففوض إليه صاحبها تدبير مملكته مدة؛ ثم

نزح إلى تلمسان باستدعاء صاحبها وأقام ببوادى العرب مدة ثم توجه من بسكرة إلى فاس فنهب فى الطريق ومات صاحبها قبل قدومه ومع ذلك فأقام بها قدر سنتين، ثم توجه إلى الأندلس ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها أربعة أعوام، ثم ارتحل فى رجب سنة ثمانين إلى تونس فأقام بها من شعبانها إلى أن استأذن فى الحج فأذن لـه فاجتاز البحر إلى إسكندرية، ثم قدم الديار المصرية فى ذى القعدة سنة أربع وثمانين فحج ثم عاد إليها وتلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد إليه بل تصدر للإقراء بجامع الأزهر مدة ولازم هو الطنبغا الجوبانى فاعتنى بـه إلى أن قرره الظاهر برقوق فى تدريس القمحية بمصر ثم فى قضاء المالكية بالديار المصرية فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين (الضوء اللامع م ٢ حـ ٤ / ١٤٥، ١٤٦).

أخذ عنه كثير من العلماء والفضلاء منهم ابن مرزوق الحفيد والدمامينى والبسيلى والبساطى وابن عمار وابن حجر وغيرهم وله مؤلفات منها شرح البردة ولخص كثيرا من كتب ابن رشد ولـه تعليق فى المنطق وتلخيص لمحصل الفخر الرازى فى الأصول وله مؤلفات فى الحساب وأصول الفقه غير ما تقدم وله كتاب التاريخ الذى سار ذكره فى الآفاق مسير الركبان وهو المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر وهو كتاب يدل على تفوقه وتضلعه فى التاريخ والعلوم المختلفة (انظر صورة المخطوطة).



توفى رحمه الله فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٧ وقيل ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر (الفتح المبين ٣/ ١٣، ١٤).

وقد ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء المالكية وقال عنه:

بـرع فى العلوم، وتقدم فى الفنون، ومهر فى الأدب والكتابة، وولى كتابة السر بمدينة فاس، ثم دخل القاهرة فولى مشيخة البيبرسية وقضاء المالكية، وصنف التاريخ الكبير. مات فى رمضان سنة ثمان وثمانمائة (حسن المحاضرة ١/ ٤٦٢).

كما ترجم له الأستاذ أحمد حسن الزيات فقال عنه:

ينتهى نسبه إلى وائل من أقيال كندة. هاجر جده التاسع خلدون إلى الأندلس فى أواخر القرن الثالث للهجرة وأقامت عشيرته فى أشبيلية. ثم انتقلت إلى تونس حين الجلاء حيث ولد هذا العالم الكبير سنة ٧٣٢ هـ. ودرج فى مهد السراوة والعلم، وتأدب على أبيه ثم على غيره؛ فجود القرآن وضرب فى كل العلوم بسهم. وبرع فى الفقه والعربية وتبحر فى التاريخ فاستجلى غوامضه واستقصى مباحثه، حتى أصبح فيه قريع دهره ونسيج وحده. وطمحت نفسه فى طفولته إلى خدمة السلاطين فاتصل بكثير من ملوك الأندلس والمغرب، وتقلد الكتابة والحجابة والقضاء؛ إلا أنه كان قليل المكث فى كل منصب تقلده لعزة نفسه وصراحة قوله وكثرة حساده.

فلما كانت سنة ٧٦٤ وفد على الأندلس فاهتز له الغنى بالله صاحب غرناطة وبعث خاصته لاستقباله وإكرام وفادته، وألزمه مجلسه وانفرد به دون وزيره فحقد عليه هذا حقدا عرفه ابن خلدون، فغادر الملك والوزير وشأنهما وعاد إلى وطنه. ثم أخذ يجول فى الأرض ويطوف فى البلاد حتى بلغ مصر سنة ٧٨٤ هـ فقام بالتدريس فى الجامع الأزهر واتصل بالسلطان برقوق فعرف حقه وولاه على تمنع منه قضاء المالكية فأقام المعدلة، وحكم المنصفة، وضرب على أيدى القضاة فثار به ثائرهم واختلقوا عليه الأكاذيب ورفعوا شكواهم إلى السلطان فلم يقم لكلامهم وزنا. ولكن ابن خلدون سئم هذه الحياة

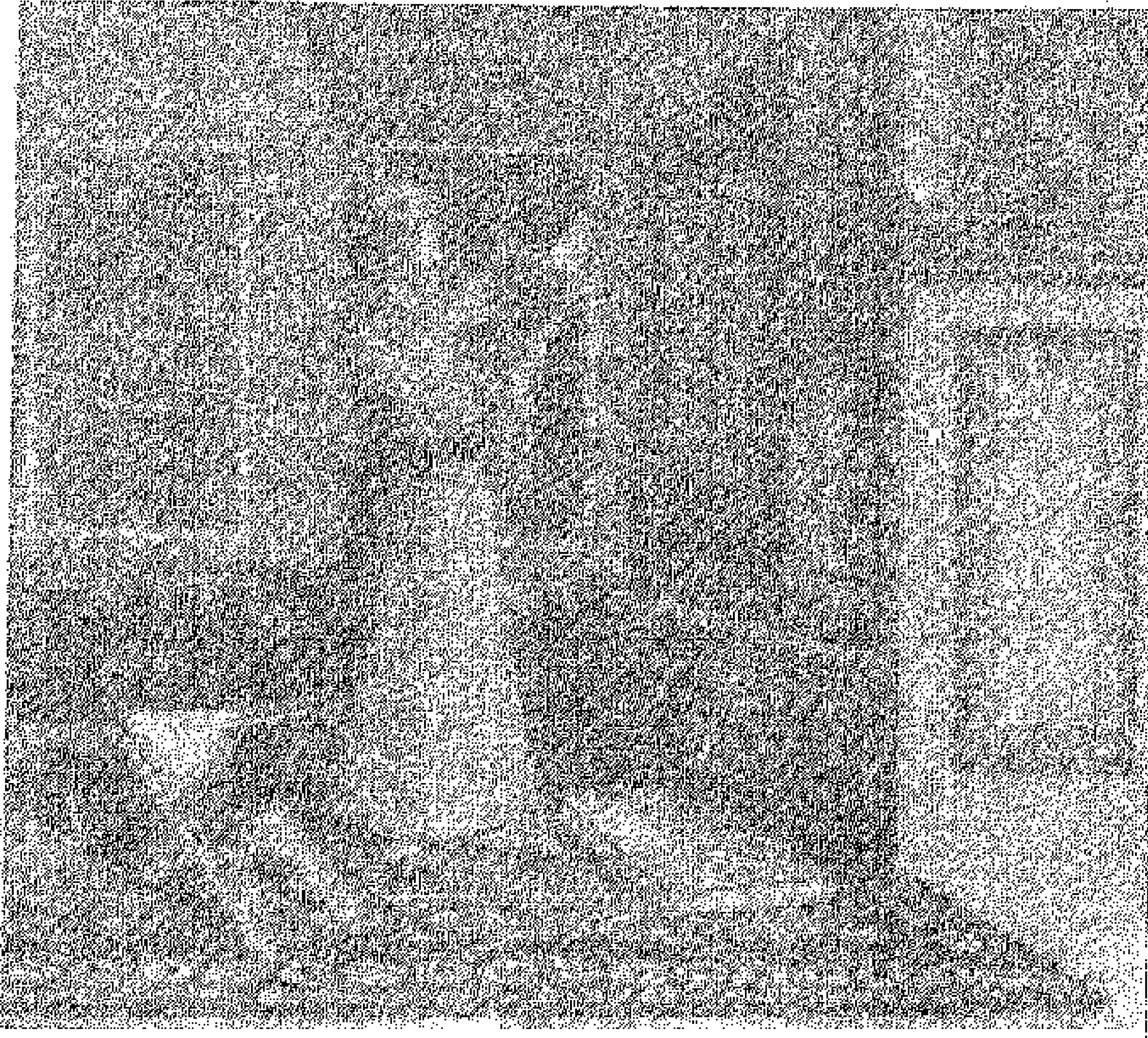
المرة، وضجر من تلك المكائد المستمرة. ووافق ذلك غرق أسرته وهى قادمة إليه من تونس، فنالت منه هذه المحنة، فاستعفى من القضاء وأدى فريضة الحج واعتزل فى ضيعة له بالفيوم أقطعه السلطان إياها، وانصرف إلى التدريس والتأليف. ثم عاد ثانية إلى القضاء ومعالجة الحظوظ، فما زال يولى ويعزل، وينصر ويخذل، حتى وافاه أجله بمصر سنة ٨٠٨ هـ وهو قاضى المالكية للمرة السادسة.

قال فيه لسان الدين بن الخطيب: كان رجلا فاضلا، حسن الخلق، جم الفضائل، ظاهر الحياء، وقور المجلس، خاص الزى، عزوفا عن الضيم، صعب المقادة، خاطبا للحظ، متقدما فى فنون عقلية ونقلية، سديد البحث، كثير الحفظ، بارع الخط، مغرى بالتجلة، حسن العشرة، إلى غير ذلك من الأوصاف التى تصدقها آراؤه وآثاره.

ظهر ابن خلدون فى عصر كسدت فيه العلوم ودرست الآداب وأزهقت الصناعة روح الكتابة، فهداه طبعه إلى الرجوع بالإنشاء إلى عهده والوقوف به عند حده. فرغب عن السجع وزهد فى البديع وسار باللفظ وراء المعنى. وقد صرح بذلك فى كلامه عن كتابته لأبى سالم أحد ملوك الأندلس إذ يقول: «وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الأسجاع لضعف انتحالها، وخفاء المعانى فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل فانفردت به يومئذ، وكان مستغربا عند من هم من أهل هذه الصناعة. ثم أخذت نفسى بالشعر فانثالت علىَّ منه بحور، توسطت بين الإجادة والقصور» وحكمه على نفسه من الحق والصراحة بحيث لا يحتاج إلى تعليق ولا تعقيب. وبهذا رغب ابن خلدون عن السجع وزهد فى البديع، وجعل اللفظ خادما للمعنى.

نظر ابن خلدون فى التاريخ فحرر مباحثه، وعلل حوادثه، ووضع كتابه المشهور «بالعبر وديوان المبتدأ والخبر» وهو ثلاثة كتب فى سبعة مجلدات يمتاز بما تضمنه من المقدمات الفلسفية فى صدور الفصول عند الانتقال من دولة إلى دولة، والصراحة فى القول، والسداد فى الرأى، والإنصاف فى الحكم.

على أن فضل الرجل وشهرته إنما هى بالكتاب الأول من

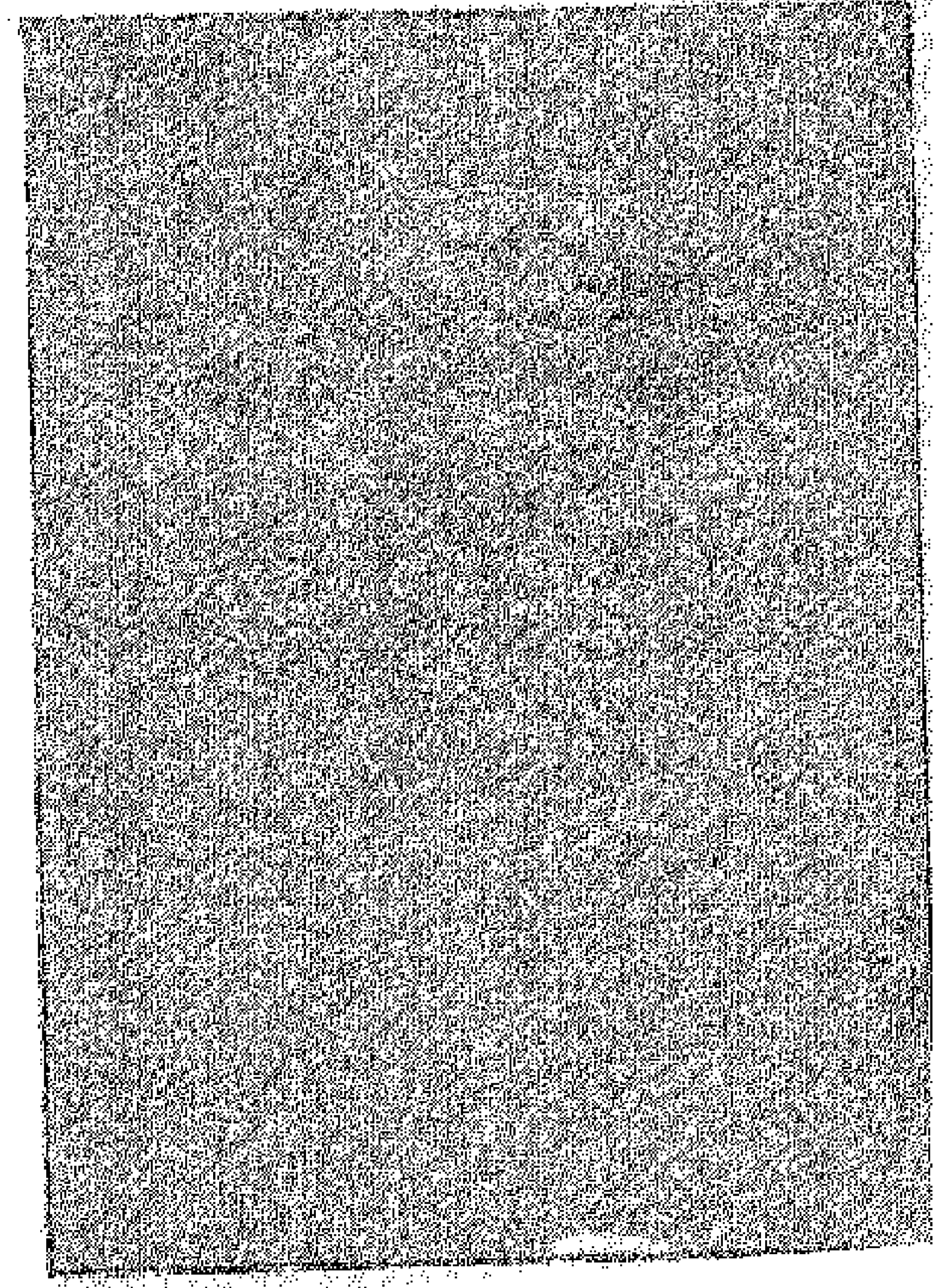


ابن خلدون

هذا التاريخ وهو المعروف بالمقدمة. لاشتماله على أبحاث مبتدعة منوعة فى الاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ، واستنباط الأسباب والعلل مما طالعه أو شاهده فى حياته العظيمة ورحلاته العديدة. وتنقسم هذه المقدمة إلى ستة فصول: الأول فى النشوء والارتقاء، والثانى فى الاجتماع، والثالث فى السياسة العلمية، والرابع فى الهندسة الحربية، والخامس فى الاقتصاد السياسى، والسادس فى تاريخ آداب اللغة العربية، فهى خزانة علم وأدب فضلا عن أسلوبها الرشيق المتسق.

والراجح أن ابن خلدون أول إنسان استنبط فلسفة التاريخ وسماها طبيعة العمران فى الخليقة. وقد فصلها فى مقدمته واستشهد على كل ما كتب بالحوادث التاريخية الصحيحة، مما دل على سداد رأيه وصدق نظره وانفساح ذرعه فى الاستنباط والتعليل. على أن العلماء أخذوا عليه إخلاله بالقواعد التى وضعها لكتابة التاريخ، ولم يسلم من المآخذ التى أخذها على سابقيه. وسبحان من تفرد بالكمال! (تاريخ الأدب العربى / ٤٠٩ ـ ٤١٢).

ولقد نالت مقدمة ابن خلدون وهى المقدمة التى كتبها لمؤلفه التاريخى المعروف بديوان المبتدأ والخبر ـ كما سبق القول ـ من الشهرة فى الفكر الأوربى ما لم ينله أى كتاب عربى آخر وترجمت إلى معظم اللغات الأوربية، وكتبت عنها وعن مؤلفها الدراسات المستفيضة. ولقد بوأته تلك المقدمة



مركزا ساميا فى الدراسات الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية .

أما ما يتعلق بجزئها الجغرافى فقد اشتملت عليه «المقدمة الثانية» التى وردت تحت عنوان «فى قسم العمران فى الأرض والإشارة إلى بعض ما فيه من البحار والأنهار والأقاليم» ويلى المقدمة الثانية «تكملة لهذه الثانية» بعنوان «فى أن الربع الشمالى من الأرض أكثر عمرانا من الربع الجنوبى وذكر السبب فى ذلك» وتليها «المقدمة الثالثة» بعنوان «فى المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم» وتشتمل المقدمة الخامسة أيضا على بعض المواضع الجغرافية ، ولا سيما ما يتعلق منه بجغرافية الاستيطان، وقد حملت عنوان «فى اختلاف أحوال العمران فى الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من آثار فى أبدان البشر وأخلاقهم» .

ولقد تضمنت تلك المقدمات مختلف أنماط المعرفة الجغرافية التى اقتبست من كتب السابقين ، ولا سيما الإدريسى وابن سعيد وياقوت ، كما أنه رجع فى بعض آرائه إلى المؤلفات اليونانية والرومانية ، وخصوصا مؤلفات بطليموس . ولا يعيب ذلك معلومات ابن خلدون الجغرافية لأنه لم يكن مجرد ناقل بل كان متفهما ومدركا وواعيا للمفاهيم الجغرافية على اختلاف أشكالها . ولقد تضمنت معلوماته الكثير من الآراء التى باتت تعتبر اليوم من الأسس الهامة فى الجغرافية البشرية عموما والجغرافية السياسية وجغرافية المدن على نحو الخصوص . غير أننا لا يمكن على أية حال أن نعتبر ابن خلدون أحد أساطين الجغرافية العربية ، فهو لم يكن جغرافيا أساسا ، بل كان مؤرخا ومفكرا قبل كل شىء (كتابات مضيئة / ٢٤٨ ، ٢٤٩) .

وكان ابن خلدون إماما حكيما فى التاريخ أكثر مما كان إماما فى الكتابة ، فإنه يعتبر من أكبر واضعى علمى العمران والاجتماع بما خطه فى مقدمته .

ولم تعد أحكامه فى سياسة الممالك الاستبدادية التى ذكرها فى مقدمته مطردة فى عصرنا هذا ، إذ أصبحت طريقة الحكم بممالك عصرنا دستورية ، إلا أن معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة تختلف كثيرا عن حالتها السابقة .

ويؤخذ على ابن خلدون فى مقدمته إنحاؤه على العرب وقسوته فى الحكم عليهم فى كثير من سياسة الملك .

ويمتاز تاريخه بأنه التاريخ الوحيد الذى فصل الكلام على دول المغرب من البربر وغيرهم .

وكان ابن خلدون شاعرا ، طويل النفس ، وشعره بالإضافة إلى شعر عصره غاية فى الجودة ، وإن وصفه هو بأنه متوسط بين الجودة والقصور تواضعا منه (الوسيط / ٣٠٥) .

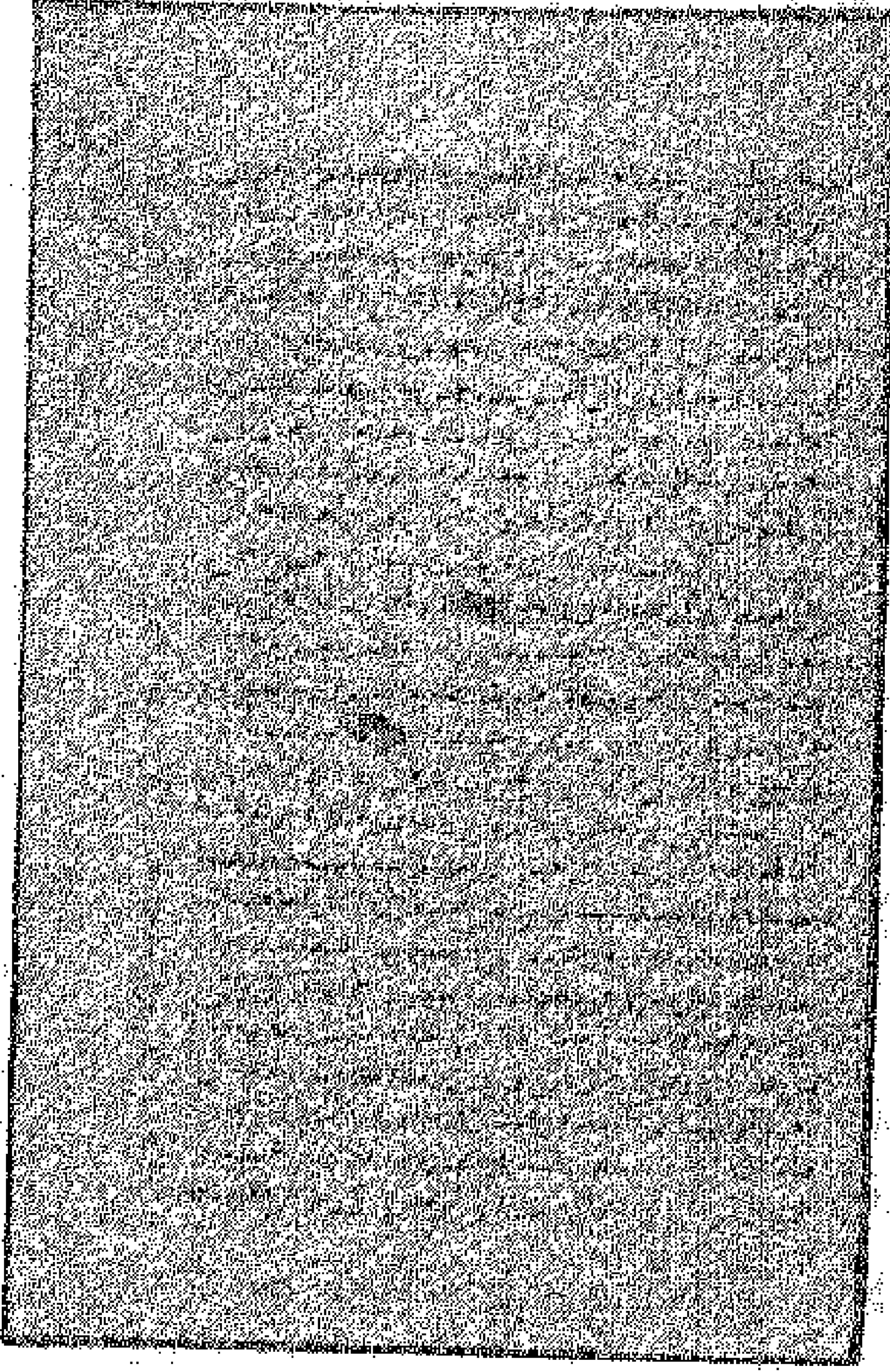
وفى كلامه على أروقة الأزهر الشريف وتاريخها الحافل يذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى من بين العلماء الوافدين على الأزهر الشريف ابن خلدون الذى كان يقيم فى رواق المغاربة ، وكتب عنه وعن أهمية انضمامه إلى أسرة الأزهر فقال :

ومن أشهر العلماء الذين وفدوا إلى مصر وتصدروا الحلقات الدراسية فى الأزهر وأقاموا فى أروقته على عهد دولة المماليك الشراكسة العلامة والفيلسوف والمؤرخ ابن خلدون . جاء مصر فى غرة شهر شوال ٧٨٤ (الثامن من شهر ديسمبر ١٣٨٢) على عهد أول سلاطين هذه الدولة ، وهو السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الشركسى العثمانى اليلبغارى ، ولم يكن قد مضى على ارتقائه العرش

سوى شهر وبعض شهر. وقد عينه هذا السلطان مدرسا للمذهب المالكى فى الكلية القمحية بجوار جامع عمرو. ولم يمض سوى قليل من الوقت حتى عينه السلطان أيضا لتدريس الفقه المالكى بكليته الجديدة التى أنشأها فى حى بين القصرين، واسمها الكلية الظاهرية البرقوقية. ولما خلت وظيفة كرسى الحديث بكلية صرغتمش [بمدرسة] نقله إليها

(تقع الكلية [المدرسة] الصرغتمشية على مقربة من جامع ابن طولون. وهى تنسب إلى مؤسسها سيف الدين صرغتمش الناصرى أمير رأس نوبة. وقد توفى سجينا فى الإسكندرية سنة ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧ / ١٣٥٨م) (نوردرها فى حرف الصاد إن شاء الله تعالى).

وقد شغل عده مناصب قضائية. ولكنه لم يكن يستقر فيها طويلا بسبب دسائس البلاط السلطانى، فكثر عدد مرات عزله من القضاء وإعادة تعيينه فيه. ورأى ابن خلدون أن يخص الأزهر بنصيب وافر من نشاطه العلمى، فانتقل إلى الأزهر يتصدر حلقا دراسية تناولت أول الأمر الحديث والفقه المالكى. ودرس عليه فريق من كبار العلماء مثل الحافظ ابن حجر العسقلانى المحدث والمؤرخ. وكذلك المقريزى وغيرهما. وقد حرص مؤرخو مصر الإسلامية على تسجيل هذا الحادث العلمى الفذ، وهو قيام ابن خلدون بالتدريس فى الأزهر، فقال المقريزى «وفى هذا الشهر (شوال ٧٨٤ / ديسمبر ١٣٨٢ - يناير ١٣٨٣) قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب، واتصل بالأمير الطنبغا الجوبانى (هو أمير من أمراء البلاط المملوكى السلطانى، اتصل به ابن خلدون، وساعده على تقديمه للسلطان). وتصدر للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس إليه، وراقهم كلامه، وأعجبوا به» (المقريزى: السلوك ٣/ ٤٨٠) وحذا هذا الحذو المؤرخ على بن داود الجوهرى الصيرفى، فذكر، وهو يستعرض حوادث شهر شوال سنة ٧٨٤، وصول ابن خلدون إلى مصر وقيامه بالتدريس فى الأزهر. وقال فى هذا الصدد «وصل الشيخ العلامة المتفنن أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المالكى من بلاد المغرب، واتصل بالأمير الطنبغا الجوبانى أمير مجلس، وصار عنده فى أوج العظمة، وتصدر لانتشار العلم وإقرائه بالجامع الأزهر، فهرع الناس وأقبلوا عليه،



وأعجبهم كلامه الرائق ومعناه الفائق» (نزهة النفوس ١/ ٥٠، ٥١ وقال أبو المحاسن بن تغرى بردى فى ترجمته لابن خلدون «واستوطن القاهرة، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة واشتغل وأفاد» و(المنهل الصافى ٢/ ٣٠٠). أما السخاوى فقد أشار - كما سبق أن ذكرنا - إلى النشاط العلمى لابن خلدون فى الأزهر بقوله « وتلقاه أهلها، أى أهل مصر، وأكرموه، وأكثروا ملازمته والتردد عليه، بل تصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة ... » وهكذا نلمس إجماعا من صفوة علماء مصر على التنويه بأهمية انضمام ابن خلدون إلى أسرة الأزهر عالما محاضرا عملاقا بسط على الخاصة من تلاميذه نظرياته فى علم الاجتماع. والتاريخ. والعمران البشرى بنوعيه البدوى والحضرى، والعصبيات الصغيرة والكبيرة، ونشأة الدول وأطوارها، وعلوم اللغة والأدب، وغير ذلك من موضوعات ونظريات كان قد عرضها فى مقدمته الشهيرة. وقد امتدت إقامة ابن خلدون فى مصر ثلاثة وعشرين عاما حتى جاز إلى ربه فى القاهرة فى اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٨٠٨ هـ (الرابع عشر من شهر مارس سنة ١٤٠٦م) عن ثمانية وسبعين عاما. ويهمنا أن نذكر أن استيطانه مصر

واشتغاله بالتدريس في الأزهر وإقامته في رواق المغاربة وتردده على مكتبة هذا الرواق، وكانت أغنى مكتبات الأروقة، كل أولئك أتاح له الفرصة لتنقيح وتهذيب مؤلفيه الخالدين اللذين وضعهما قبل قدومه إلى مصر وإضافة مزيد من المادة العلمية إليهما في مواطن كثيرة. وهذان الكتابان هما «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر»، ومقدمته الشهيرة. وانصبت الإضافات التي وضعها في رواق المغاربة، على تاريخ الدول الإسلامية بالمشرق وأنباء الدول المغربية والأندلس في عصره، كما وصل في حوادث عصره حتى نهاية القرن الثامن الهجرى (٢٣ من شهر سبتمبر ١٣٩٧) بعد أن كان يقف بها عند سنة ٧٨٣ هـ (١٣٨١ ـ ١٣٨٢ م) كما استمر ابن خلدون في كتابة ترجمة حياته في أثناء إقامته في مصر إلى قبيل وفاته وضمنها فصولا جديدة عن دولة المماليك في مصر ونشأة التتار.

وقد ترك ابن خلدون. كأستاذ في الأزهر، بصمات قوية واضحة وبارزة في التفكير المصرى. ولعل تلميذه ـ المقريزى ـ وهو شيخ مؤرخى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ـ كان أكثر أعلام الفكر في مصر تأثرا بآراء ابن خلدون. فقد بهره علمه الغزير وثقافته الواسعة المتعددة الجوانب ونظرياته وآراؤه في الاقتصاد والاجتماع. وكان المقريزى يذكر اسمه مسبوقا بكلمة «شيخنا» ومقرونا بعبارة «العالم العلامة». ويعد كتاب المقريزى «إغاثة الأمة بكشف الغمة» من آثار هذا الاتصال الفكرى بين العملاقين ولقائهما العلمي في رحاب الأزهر. وقد تناول المقريزى في هذا الكتاب الكوارث التي أصابت مصر منذ عصور موغلة في القدم حتى عصره، ونحا المقريزى في الشرح والتعليل منحى شيخه ابن خلدون في مقدمته وكان لنشاط ابن خلدون العلمي في الأزهر وفي رواق المغاربه آثار أخرى في التفكير المصرى، فقد اعتمد عليه بعض أعلام الكتاب المسلمين في مصر والمعاصرين له، واقتبسوا في كتاباتهم من مقدمته ومن تاريخه. ويمثل هؤلاء أبو العباس أحمد القلقشندى كما استفاد بعض العلماء المسلمين في مصر فوائد أدبية من اشتغال ابن خلدون بالتدريس في الأزهر. فعلى الرغم من أن ابن حجر العسقلانى قد حمل على ابن خلدون حملات عنيفة، طلب إلى ابن خلدون أن يمنحه الإجازة العلمية التقليدية التي كان الظفر بها من عالم عملاق يعد شرفا كبيرا يسعى إليه العلماء... واستجاب ابن خلدون له، وأصدرها له ولعدة من زملاء ابن حجر بخطه وتوقيعه في منتصف شهر شعبان ٧٩٧ (الخامس من شهر يونيو ١٣٩٥). وقد نشر الأستاذ عنان صورة فوتوغرافية لهذا الإجازة العلمية بشطريها طلب منح الإجازة العلمية، والنص الحرفى لهذه الإجازة.

قالت المؤلفة: نشرنا صورة مخطوط إجازة ابن خلدون لابن حجر العسقلانى في م ٢ / ٣٧٥ فارجع إليها.

وقد اختلفت حياة ابن خلدون في بلاد المغرب عن حياته في مصر. كان في الأولى سياسيا ومؤلفا. وفي مصر غلب عليه الطابع العلمي الأكاديمى البارز. وكانت حياته في مصر أكثر دعة واستقرارا، وأوفر ترفا من حياته في المغرب، على الرغم من سحب الكآبة التي كانت تغشى رغادة الحياة التي عاشها في مصر بسبب غرق أفراد أسرته في البحر بالقرب من الإسكندرية وهم في طريقهم إليه («أروقة الأزهر» / ٨٣ ـ ٨٦).

وصورتا المخطوط المصاحبتان لهذه المادة أخذتا من مجلة الفيصل (انظر ثبت المراجع)، وقد جاء عنهما في ظهر غلاف المجلة ما يلى:

صفحتان من كتاب تاريخ ابن خلدون يظهر فيه خط المؤلف نفسه، وهذا يدل على أن المخطوطة تم عرضها ومقابلتها وتصحيحها على المؤلف قبل وفاته.

ويعد الكتاب نسخة فريدة ومنقحة وهى من مخطوطات القرن التاسع الهجرى، تناول فيها المؤلف فضل علم التاريخ والعمران، وأخبار العرب منذ بدء الخليقة، وأخبار البربر وما تعاقب فيهم من الدول القديمة بديار المغرب.

وفي الصفحة الأولى من المخطوطة عبارة بخط العالم والمؤرخ المشهور تقى الدين المقريزى (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) صاحب كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (الذى يعرف بخطط المقريزى) ونصها: «انتقاه داعيا لمؤلفه وواقفه ومعيره أحمد بن على المقريزى سنة ٨٣٣ هـ». ومثل هذا التقريظ الذى نجده في بعض المخطوطات من علماء أجلاء يؤكد على أهمية المخطوطة. والعبارة السابقة التي كتبها المقريزى نفسه تدل على إعجابه بكتاب ابن خلدون ونفاسته وقيمته العلمية النادرة لكل مؤرخ وباحث. وتعد بحق مصدرا

أساسيا لكل دارس للفترة التى تناولها المؤلف وللمشتغلين بعلمى التاريخ والاجتماع.

والصورتان ـ هنا ـ مأخوذتان من النصف الثانى والأخير من الكتاب، أما النصف الأول فموجود فى دار الكتب الوطنية فى تونس حسب إفادة الدكتور إبراهيم شبوح المدير العام للدار.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فى الرياض، برقم ١٨٨٧ هـ (مجلة الفيصل).

أما الصورة الثالثة فهى من مخطوطة «كتاب التعريف» التى أشرنا إليها فى مادة «التعريف (كتاب ـ)» فى م ٩ / ٥٨٨، وفى الهامش الأيمن من الصفحة كتابة مائلة قليلا كتبت بخط يختلف عن نسق كتابة المتن الحسنة وينسب هذا الشرح إلى ابن خلدون.

(الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٢ جـ ٤ / ١٤٥، ١٤٦، والفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٣، ١٤، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٤٦٢، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٤٠٩ ـ ٤١٢، وكتابات مضيئة فى التراث الجغرافى العربى ـ د. شاكر خصباك / ٢٤٨، ٢٤٩، والوسيط فى الأدب العربى ـ الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٣٠٥، و «أروقة الأزهر» ـ أ. د عبد العزيز محمد الشناوى. دراسات فى الحضارة الإسلامية الهيئة المصرية العامة ١٩٨٥، م ٢ / ٨٣ ـ ٨٦، ومجلة الفيصل. العدد (١٨٢) شعبان ١٤١٢ هـ ـ فبراير ١٩٩٢ م. انظر أيضا الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٤٤ ـ ١٤٦، والعلوم عند العرب ـ قدرى حافظ طوقان / ٢١٣ ـ ٢١٨، و «ابن خلدون مفكرا اقتصاديا» ـ د. إبراهيم عويس. مجلة العربى. العدد ٣٤٣ شوال ١٤٠٧ هـ ـ يونيو ١٩٨٧ م / ١٨٧ ـ ٢٢، والأعلام للزركلى ٣ / ٣٣٠).

*** الخُلْع:**

جاء فى كتاب الخُلْع من تيسير الوصول ما يلى:

١ ـ عن ثوبان رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة». أخرجه الترمذى.

وفى أخرى لأبى داود: «أيما امرأة سألت من زوجها طلاقها، وذكر نحوه».

وفى أخرى للنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «إن المختلعات هن المنافقات».

٢ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن امرأة (اسمها حبيبة بنت سهل الأنصارية كما فى الموطأ) ثابت بن قيس بن شماس أتت رسول الله ﷺ، فقالت له: ما أعتب على ثابت فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام: تعنى تبغضه، فقال ﷺ: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم، فقال ﷺ: أقبل الحديقة وطلقها تطليقة» أخرجه البخارى والنسائى.

(الحديقة): البستان من النخل إذا كان عليه حائط.

٣ ـ وعن نافع عن مولاة لصفية (هى بنت أبى عبيد) رضى الله عنها: «أنها اختلعت من زوجها بكل شىء لها فلم ينكر ذلك ابن عمر رضى الله عنهما» أخرجه مالك (تيسير الوصول ٢ / ٥١، ٥٢).

وفى المعجم الوسيط (١ / ٢٥٠): الخُلْع أن يطلق الرجل زوجته على فدية منها. والخُلع بضم الخاء المعجمة.

«الخُلْع» ملخصا هو افتداء المرأة نفسها من زوجها بمال تدفعه إليه.

وهو جائز إذا كانت كارهة له، وتضررت به.

ويستحب ألا يأخذ منها أكثر من مهرها.

ويكون بالتراضى، فإن لم يرض فللقاضى إلزام الزوج بالخلع!

ويحرم على الزوج إيذاؤها لتختلع.

ويجوز فى الطهر والحيض.

ولا يملك المخالع مراجعتها فى العدة.! (مختصر الأحكام الفقهية / ١٩٥).

وتفصيل ذلك جاء لفضيلة الشيخ السيد سابق على النحو التالى:

الحياة الزوجية لا تقوم إلا على السكن، والمودة، والرحمة، وحسن المعاشرة، وأداء كل من الزوجين ما عليه من حقوق. وقد يحدث أن يكره الرجل زوجته، أو تكره هى زوجها.

والإسلام فى هذه الحال يوصى بالصبر والاحتمال،

وينصح بعلاج ما عسى أن يكون من أسباب الكراهية، قال الله تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [النساء: ١٩].

وفي الحديث الصحيح:

«لا يفرك مؤمن مؤمنة: إن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر».

إلا أن البغض قد يتضاعف، ويشتد الشقاق، ويصعب العلاج، وينفد الصبر، ويذهب ما أسس عليه البيت من السكن والمودة، والرحمة، وأداء الحقوق، وتصبح الحياة الزوجية غير قابلة للإصلاح، وحينئذ يرخص الإسلام بالعلاج الوحيد الذي لا بد منه.

فإن كانت الكراهية من جهة الرجل، فبيده الطلاق، وهو حق من حقوقه، وله أن يستعمله في حدود ما شرع الله.

وإن كانت الكراهية من جهة المرأة، فقد أباح لها الإسلام أن تتخلص من الزوجية بطريق الخلع، بأن تعطي الزوج ما كانت أخذت منه باسم الزوجية لينهي علاقته بها.

وفي ذلك يقول الله ـ سبحانه وتعالى:

﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا، إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وفي أخذ الزوج الفدية عدل وإنصاف، إذ أنه هو الذي أعطاها المهر وبذل تكاليف الزواج، والزفاف، وأنفق عليها، وهي التي قابلت هذا كله بالجحود، وطلبت الفراق، فكان من النصفة أن ترد عليه ما أخذت.

وإن كانت الكراهية منهما معا: فإن طلب الزوج التفريق فبيده الطلاق وعليه تبعاته، وإن طلبت الزوجة الفرقة، فبيدها الخلع وعليها تبعاته كذلك.

قيل إن الخلع وقع في الجاهلية. ذلك أن عامر بن الظرب: زوج ابنته ابن أخيه، عامر بن الحارث، فلما دخلت عليه، نفرت منه، فشكا إلى أبيها، فقال لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها.

تعريفه:

والخلع الذي أباحه الإسلام مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله، لأن المرأة لباس الرجل، والرجل لباس لها، قال الله تعالى.

﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويسمى الفداء، لأن المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها.

وقد عرفه الفقهاء بأنه «فراق الرجل زوجته ببدل يحصل له».

والأصل فيه ما رواه البخاري، والنسائي، عن ابن عباس. قال:

«جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام. (أي أنها لا تريد مفارقته لسوء خلقه، ولا لنقصان دينه، ولكن كانت تكرهه لدمامته، وهي تكره أن تحملها الكراهية على التقصير فيما يجب له من حق، والمقصود بالكفر كفران العشير) فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم فقال رسول الله ﷺ: أقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

ألفاظ الخلع:

والفقهاء يرون أنه لا بد في الخلع من أن يكون بلفظ الخلع أو بلفظ مشتق منه. أو لفظ يؤدي معناه. مثل المبارأة والفدية. فإذا لم يكن بلفظ الخلع ولا بلفظ فيه معناه. كأن يقول لها: أنت طالق، في مقابل مبلغ كذا وقبلت، كان طلاقا على مال ولم يكن خلعا.

وناقش ابن القيم هذا الرأي فقال:

«ومن نظر إلى حقائق العقود ومقاصدها دون ألفاظها، يعد الخلع فسخا بأي لفظ كان، حتى بلفظ الطلاق».

وهذا أحد الوجهين لأصحاب أحمد.

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل عن ابن عباس.

ثم قال ابن تيمية: «ومن اعتبر الألفاظ ووقف معها واعتبرها في أحكام العقود جعله «بلفظ الطلاق طلاقا».

ثم قال ابن القيم مرجحا هذا الرأي.

وقواعد الفقه وأصوله تشهد أن المرعي في العقود حقائقها ومعانيها، لا صورها وألفاظها.

ومما يدل على هذا أن النبى ﷺ أمر ثابت بن قيس أن يطلق امرأته فى الخلع تطليقة، ومع هذا أمرها أن تعتد بحيضة وهذا صريح فى أنه فسخ، ولو وقع بلفظ الطلاق.

وأيضا فإنه سبحانه ـ علق عليه أحكام الفدية بكونه فدية ومعلوم أن الفدية لا تختص بلفظ، ولم يعين الله ـ سبحانه لها لفظا معينا. وطلاق الفداء طلاق مقيد، ولا يدخل تحت أحكام الطلاق المطلق. لما لا يدخل تحتها فى ثبوت الرجعة والاعتداد بثلاثة قروء بالنسبة الثابتة (زاد المعاد ٤/ ٢٧).

العوض فى الخلع:

الخلع ـ كما سبق ـ إزالة ملك النكاح فى مقابل مال. فالعوض جزء أساسى من مفهوم الخلع. فإذا لم يتحقق العوض لا يتحقق الخلع. فإذا قال الزوج لزوجته: خالعتك وسكت لم يكن ذلك خلعا، ثم إنه إن نوى الطلاق، كان طلاقا رجعيا. وإن لم ينو شيئا لم يقع به شىء، لأنه من ألفاظ الكناية التى تفتقر إلى النية.

كل ما جاز أن يكون مهرا جاز أن يكون عوضا فى الخلع:

ذهبت الشافعية إلى أنه لا فرق فى جواز الخلع، بين أن يخالع على الصداق، أو على بعضه، أو على مال آخر، سواء كان أقل من الصداق، أم أكثر. ولا فرق بين العين، والدين والمنفعة.

وضابطه أن «كل ما جاز أن يكون صداقا جاز أن يكون عوضا فى الخلع»، لعموم قوله تعالى:

﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾.

ولأنه عقد على بضع فأشبه النكاح. ويشترط فى عوض الخلع أن يكون معلوما متمولا مع سائر شروط الأعواض، كالقدرة على التسليم، واستقرار الملك وغير ذلك، لأن الخلع عقد معاوضة، فأشبه البيع والصداق، وهذا صحيح فى الخلع الصحيح.

أما الخلع الفاسد فلا يشترط العلم به، فلو خالعها على مجهول، كثوب غير معين، أو على حمل هذه الدابة، أو خالعها بشرط فاسد. كشرط ألا ينفق عليها وهى حامل، أو لا سكنى لها، أو خالعها بألف إلى أجل مجهول ونحو ذلك ـ بانت منه بمهر المثل.

أما حصول الفرقة: فلأن الخلع ـ إما فسخ أو طلاق، فإن كان فسخا. فالنكاح لا يفسد العوض، فكذا فسخه، إذ الفسوخ تحكى العقود... وإن كان طلاقا، فالطلاق يحصل بلا عوض... وما له حصول بلا عوض فيحسن مع فساد العوض، كالنكاح، بل أولى، ولقوة الطلاق وسرايته.

أما الرجوع إلى مهر المثل، فلأن قضية فساد العوض ارتداد العوض الآخر، والبضع لا يرتد بعد حصول الفرقة، فوجب رد بدله. ويقاس بما ذكرنا ما يشبهه، لأن ما لم يكن ركنا فى شىء لايضر الجهل به كالصداق.

ومن صور ذلك ما لو خالعها على ما فى كفها، ولم يعلم فإنها تبين منه بمهر المثل. فإن لم يكن فى كفها شىء. ففى الوسيط أنه يقع طلاقا رجعيا، والذى نقله غيره أنه يقع بائنا بمهر المثل.

أما المالكية فقالوا: يجوز الخلع بالغرر كجنين ببطن بقرة أو غيره، فلو نفق الحمل (أى هلك) فلا شىء له، وبانت.

وجاز بغير موصوف، وبثمرة لم يبد صلاحها، وبإسقاط حضانتها لولده. وينتقل الحق له.

وإذا خالعها بشىء حرام. كخمر، أو مسروق علم به ـ فلا شىء له، وبانت، وأريق الخمر، ورد المسروق لربه، ولا يلزم الزوجة شىء بدل ذلك، حيث كان الزوج عالما بالحرمة ـ علمت هى أم لا.

أما لو علمت هى بالحرمة دونه فلا يلزمه الخلع.

الزيادة فى الخلع على ما أخذت الزوجة من الزوج:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن يجوز أن يأخذ الزوج من الزوجة زيادة على ما أخذت منه، لقول الله تعالى:

﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وهذا عام يتناول القليل والكثير.

روى البيهقى عن أبى سعيد الخدرى قال:

«كانت أختى تحت رجل من الأنصار، فارتفعا إلى رسول الله ﷺ فقال: أتردين حديقته؟ قالت: وأزيد عليها، فردت عليه حديقته وزادته» (يرى علماء الحديث أن هذا الحديث ضعيف).

ويرى بعض العلماء: أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ منها أكثر مما أخذت منه. لما رواه الدراقطنى بإسناد صحيح:

أن أبا الزبير قال: «إنه كان أصدقها حديقة، فقال النبى ﷺ: أتردين عليه حديقته التى أعطاك؟ قالت: نعم وزيادة. فقال النبى ﷺ: أما الزيادة فلا، ولكن حديقته. قالت: نعم».

وأصل الخلاف فى هذه المسألة الخلاف فى تخصيص عموم الكتاب بالأحاديث الأحادية ...

فمن رأى أن عموم الكتاب يخصص بأحاديث الآحاد. قال: لا تجوز الزيادة، ومن ذهب إلى أن عموم الكتاب لا يخصص بأحاديث الآحاد، رأى جواز الزيادة.

وفى «بداية المجتهد» قال:

«فمن شبهه بسائر الأعواض فى المعاملات، رأى أن القدر فيه راجع إلى الرضا، ومن أخذ بظاهر الحديث لم يجز أكثر من ذلك، فكأنه رآه من باب أخذ المال بغير حق».

الخلع دون مقتض:

والخلع إنما يجوز إذا كان هناك سبب يقتضيه. كأن يكون الرجل معيبا فى خَلقه، أو سيئا فى خُلقه، أو لا يؤدى للزوجة حقها، وأن تخاف المرأة ألا تقيم حدود الله، فيما يجب عليها من حسن الصحبة، وجميل المعاشرة، كما هو ظاهر الآية.

فإن لم يكن ثمة سبب يقتضيه فهو محظور. لما رواه أحمد والنسائى من حديث أبى هريرة: «المختلعات هن المنافقات». وقد رأى العلماء الكراهة.

الخلع بتراضى الزوجين:

والخلع يكون بتراضى الزوج والزوجة، فإذا لم يتم التراضى منهما فللقاضى إلزام الزوج بالخلع، لأن ثابتا وزوجته رفعا أمرهما للنبى ﷺ، وألزمه الرسول بأن يقبل الحديقة، ويطلق. كما فى الحديث.

الشقاق من قبل الزوجة كاف فى الخلع:

قال الشوكانى:

وظاهر أحاديث الباب أن مجرد وجود الشقاق من قبل المرأة كاف فى جواز الخلع.

واختار ابن المنذر أنه لا يجوز حتى يقع الشقاق منهما جميعا، وتمسك بظاهر الآية، وبذلك قال طاووس، والشعبى وجماعة من التابعين ... وأجاب عن ذلك جماعة، منهم الطبرى، بأن المراد، أنها إذا لم تقم بحقوق الزوج كان ذلك مقتضيا لبغض الزوج لها، فنسبت المخالفة إليهما لذلك. ويؤيد عدم اعتبار ذلك من جهة الزوج أنه ﷺ لم يستفسر ثابتا عن كراهته لها عند إعلانها بالكراهة له.

حرمة الإساءة إلى الزوجة لتختلع:

يحرم على الرجل أن يؤذى زوجته بمنع بعض حقوقها. حتى تضجر وتختلع نفسها، فإن فعل ذلك فالخلع باطل، والبدل مردود، ولو حكم به قضاء.

وإنما حرم ذلك حتى لا يجتمع على المرأة فراق الزوج والغرامة المالية، وقال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾** [النساء: ١٩]، والعضل التضييق والمنع).

ولقوله سبحانه:

﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ [النساء: ٢٠].

ويرى بعض العلماء نفاذ الخلع فى هذه الحال مع حرمة العضل.

وأما الإمام مالك فيرى أن الخلع ينفذ على أنه طلاق، ويجب على الزوج أن يرد البدل الذى أخذه من زوجته.

جواز الخلع فى الطهر والحيض:

يجوز الخلع فى الطهر والحيض، ولا يتقيد وقوعه بوقت، لأن الله سبحانه أطلقه ولم يقيده بزمن دون زمن. قال الله تعالى:

﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ولأن الرسول ﷺ أطلق الحكم فى الخلع بالنسبة لامرأة ثابت بن قيس، من غير بحث، ولا استفصال عن حال الزوجة، وليس الحيض بأمر نادر الوجود بالنسبة للنساء.

قال الشافعى:

«ترك الاستفصال فى قضايا الأحوال مع قيام الاحتمال ينزل منزلة العموم فى المقال. والنبى ﷺ لم يستفصل هل هى حائض أم لا؟».

ولأن المنهى عنه الطلاق فى الحيض، من أجل ألا تطول عليها العدة. وهى - هنا - التى طلبت الفراق، واختلعت نفسها ورضيت بالتطويل.

الخلع بين الزوج وأجنبى:

يجوز أن يتفق أحد الأشخاص مع الزوج على أن يخلع الزوج زوجته، ويتعهد هذا الشخص الأجنبى بدفع بدل الخلع للزوج، وتقع الفرقة، ويلتزم الأجنبى بدفع البدل للزوج. ولا يتوقف الخلع فى هذه الصورة على رضا الزوجة لأن الزوج يملك إيقاع الطلاق من نفسه بغير رضا زوجته، والبدل يجب على من التزم به.

وقال أبو ثور: لا يصح لأنه سفه، فإنه يبذل عوضا فى مقابلة ما لا منفعة له فيه، فإن الملك لا يحصل له.

وقيده بعض علماء المالكية، بأن يقصد به تحقيق مصلحة أو درء مفسدة، فإن قصد به الإضرار بالزوجة فلا يصح. ففى «مواهب الجليل»:

«ينبغى أن يقيد المذهب بما إذا كان الغرض من التزام الأجنبى ذلك للزوج، حصول مصلحة، أو درء مفسدة ترجع إلى ذلك الأجنبى، مما لا يقصد به إضرار المرأة».

وأما ما يفعله أهل هذا الزمان فى بلدنا من التزام أجنبى ذلك وليس قصده إلا إسقاط النفقة الواجبة فى العدة للمطلقة على مطلقها، فلا ينبغى أن يختلف فى المنع ابتداء، وفى انتفاع المطلق بذلك بعد وقوعه نظر.

الخلع يجعل أمر المرأة بيدها:

ذهب الجمهور، ومنهم الأئمة الأربعة، إلى أن الرجل إذا خالع امرأته ملكت نفسها وكان أمرها إليها، ولا رجعة له عليها؛ لأنها بذلت المال لتتخلص من الزوجية، ولو كان يملك رجعتها لم يحصل للمرأة الافتداء من الزوج بما بذلته له. وحتى لو رد عليها ما أخذ منها، وقبلت - ليس له أن يرتجعها فى العدة؛ لأنها قد بانت منه بنفس الخلع.

روى عن ابن المسيب والزهرى: أنه إن شاء أن يراجعها فليرد عليها ما أخذه منها فى العدة، وليشهد على رجعته.

جواز تزوجها برضاها:

ويجوز للزوج أن يتزوجها برضاها فى عدتها، ويعقد عليها عقدا جديدا.

خلع الصغيرة المميزة (أحكام الأحوال الشخصية):

ذهب الأحناف إلى أنه إذا كانت الزوجة صغيرة مميزة، وخالعت زوجها، وقع عليها طلاق رجعى ولا يلزمها المال.

أما وقوع الطلاق، فلأن عبارة الزوج: معناها تعليق الطلاق على قبولها، وقد صح التعليق لصدوره من أهله، ووجد المعلق عليه، وهو القبول ممن هى أهل له، لأن الأهلية للقبول تكون بالتمييز - وهى هنا صغيرة مميزة - ومتى وجد المعلق عليه وقع الطلاق المعلق.

وأما عدم لزوم المال: فلأنها صغيرة ليست أهلا للتبرع، إذ يشترط فى الأهلية للتبرع: العقل والبلوغ، وعدم الحجر لسفه أو مرض.

وأما كون الطلاق رجعيا: فلأنه لما لم يصح التزام المال، كان طلاقا مجردا لا يقابله شىء من المال؛ فيقع رجعيا.

خلع الصغيرة غير المميزة:

وأما الصغيرة غير المميزة فلا يقع خلعها طلاقا أصلا؛ لعدم وجود المعلق عليه، وهو القبول ممن هو أهله.

خلع المحجور عليها (أحكام الأحوال الشخصية / ١٥٥):

قالوا: وإذا كانت الزوجة محجورا عليها لسفه وخالعها زوجها على مال وقبلت، لا يلزمها المال، ويقع عليها الطلاق الرجعى، مثل الصغيرة المميزة فى أنها ليست أهلاً للتبرع، ولكنها أهل للقبول.

الخلع بين ولى الصغيرة وزوجها:

وإذا جرى الخلع بين ولى الصغيرة وزوجها، بأن قال زوج الصغيرة لأبيها: خالعت ابنتك على مهرها، أو على مائة جنيه من مالها، ولم يضمن الأب البدل له. وقال: قبلت، طلقت، ولا يلزمها المال ولا يلزم أباها.

أما وقوع الطلاق فلأن الطلاق المعلق يقع متى وجد المعلق عليه، وهو هنا قبول الأب، وقد وجد.

أما عدم لزومها المال؛ فلأنها ليست أهلا لالتزام التبرعات.

وأما عدم لزوم أبيها المال، فلأنه لم يلتزمه بالضمان، ولا إلزام بدون التزام. ولهذا إذا ضمنه لزمه. وقيل: لا يقع الطلاق فى هذه الحال لأن المعلق عليه قبول دفع البدل. وهو لم يتحقق، وهذا القول ظاهر، ولكن العمل بالقول الأول.

خلع المريضة:

لا خلاف بين العلماء فى جواز الخلع من المريضة، مرض الموت، فلها أن تخالع زوجها. كما للصحيحة سواء بسواء.

إلا أنهم اختلفوا فى القدر الذى يجب أن تبذله للزوج مخافة أن تكون راغبة فى محاباة الزوج على حساب الورثة:

فقال الإمام مالك:

يجب أن يكون بقدر ميراثه منها. فإن زاد على إرثه منها تحرم الزيادة ويجب ردها، وينفذ الطلاق. ولا توارث بينهما إذا كان الزوج صحيحا.

وعند الحنابلة: مثل ما عند مالك، فى أنه إذا خالعت بميراثه منها، فما دونه صح ولا رجوع فيه، وإن خالعته بزيادة بطلت هذه الزيادة.

وقال الشافعى: لو اختلعت منه بقدر مهر مثلها جاز. وإن زاد على ذلك كانت الزيادة من الثلث وتعتبر تبرعا...

أما الأحناف: فقد صححوا خلعها بشرط ألا يزيد عن الثلث مما تملك، وأنها متبرعة، والتبرع فى مرض الموت وصية، والوصية لا تنفذ إلا من الثلث للأجنبى، والزوج صار بالخلع أجنبيا.

قالوا: وإذا ماتت هذه المخالعة المريضة وهى فى العدة. لا يستحق زوجها إلا أقل هذه الأمور، بدل الخلع. وثلث تركتها. وميراثه منها. لأنه قد تتواطأ الزوجة مع زوجها فى مرض موتها وتسمى له بدل خلع باهظا، يزيد عما يستحقه بالميراث. فلأجل الاحتياط لحقوق ورثتها، وردا لقصد المواطأ عليه. قلنا: إنها إذا ماتت فى العدة لا يأخذ إلا أقل الأشياء الثلاثة. فإن برئت من مرضها ولم تمت منه، فله جميع البدل المسمى؛ لأنه تبين أن تصرفها لم يكن فى مرض الموت.

أما إذا ماتت بعد انقضاء عدتها فله بدل الخلع المتفق عليه، بشرط ألا يزيد عن ثلث تركتها، لأنه فى حكم الوصية.

والذى عليه العمل الآن فى المحاكم بعد صدور قانون الوصية سنة ١٩٤٦: أن للزوج الأقل من بدل الخلع، وثلث التركة التى خلفتها زوجته، سواء أكانت وفاتها فى العدة أم بعد انتهائها، إذ أن هذا القانون أجاز الوصية للوارث، وغير الوارث - ونص على نفاذها فيما لا يزيد عن الثلث بدون توقف على إجازة أحد.

وعلى هذا، فلا يكون حاجة إلى فرض محاباة زوجها بأكثر من نصيبه ومنعها من ذلك.

هل الخلع طلاق أم فسخ:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الخلع طلاق بائن، لما تقدم فى الحديث من قول رسول ﷺ: «خذ الحديقة وطلقها تطليقة».

ولأن الفسوخ إنما هى التى تقتضى الفرقة الغالبة للزوج فى الفراق، مما ليس يرجع إلى اختياره. وهذا راجع الى الاختيار، فليس بفسخ.

وذهب بعض أهل العلم، منهم أحمد، وداود من الفقهاء وابن عباس، وعثمان، وابن عمر من الصحابة. إلى أنه فسخ، لأن الله تعالى ذكر فى كتابة الطلاق، فقال:

﴿الطلاق مرتان﴾.

ثم ذكر الافتداء. ثم قال:

﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فلو كان الافتداء طلاقا لكان الطلاق الذى لا تحل له فيه إلا بعد زواج، وهو الطلاق الرابع.

ويجوِّز هؤلاء أن الفسوخ تقع بالتراضى، قياسا على فسوخ البيع كما فى الإقالة (بداية المجتهد ٢/ ٦٥).

قال ابن القيم: والذى يدل على أنه ليس بطلاق أنه سبحانه وتعالى رتب الطلاق بعد الدخول الذى لا يستوف عدده ثلاثة أحكام، كلها منتفية عن الخلع:

أحدها: أن الزوج أحق بالرجعة فيه.

الثانى: أنه محسوب من الثلاث، فلا تحل بعد استيفاء العدد، إلا بعد دخول زوج وإصابته.

الثالث: أن العدة فيه ثلاثة قروء.

وقد ثبت بالنص والإجماع أنه لا رجعة في الخلع وثبت بالسنة وأقوال الصحابة أن العدة فيه حيضة واحدة، وثبت بالنص جوازه بعد طلقتين، ووقوع ثالثة بعدها. وهذا ظاهر جدا في كونه ليس بطلاق. (قال الخطابي: هذا أقوى دليل لمن قال: إن الخلع فسخ وليس بطلاق، إذ لو كان طلاقا لم يكتف بحيضة للعدة).

وثمرة هذا الخلاف تظهر في الاعتداد بالطلاق، فمن رأى أنه طلاق، احتسبه طلقة بائنة، ومن رأى أنه فسخ لم يحتسبه، فمن طلق امرأته تطليقتين ثم خالعها، ثم أراد أن يتزوجها فله ذلك، وإن لم تنكح زوجا غيره، لأنه ليس له غير تطليقتين. والخلع لغو.

ومن جعل الخلع طلاقا قال: لم يجز له أن يرتجعها حتى تنكح زوجا غيره، لأنه بالخلع كملت الثلاث.

هل يلحق المختلعة طلاق؟

المختلعة لا يلحقها طلاق، سواء قلنا بأن الخلع طلاق أو فسخ، وكلاهما يصير المرأة أجنبية عن زوجها، وإذا صارت أجنبية عنه، فإنه لا يلحقها الطلاق.

وقال أبو حنيفة: المختلعة يلحقها الطلاق، ولذلك لا يجوز عنده أن ينكح مع المبتوتة أختها.

عدة المختلعة:

ثبت من السنة أن المختلعة تعتد بحيضة. ففي قصة ثابت أن النبي ﷺ قال له:

«خذ الذي لها عليك وخل سبيلها. قال: نعم. فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها».

رواه النسائي بإسناد رجاله ثقاة.

وإلى هذا ذهب عثمان، وابن عباس، وأصح الروايتين عن أحمد، وهو مذهب إسحاق بن راهويه، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وقال:

من نظر هذا القول وجده مقتضى قواعد الشريعة. فإن العدة إنما جعلت ثلاث حيض، ليطول زمن الرجعة، ويتروى الزوج ويتمكن من الرجعة في مدة العدة، فإذا لم تكن عليها رجعة فالمقصود براءة رحمها من الحمل، وذلك يكفي فيه حيضة كالاستبراء.

وقال ابن القيم: هذا مذهب أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، والربيع بنت معوذ، وعمها ـ رضي الله عنهم ـ وهو من كبار الصحابة، فهؤلاء الأربعة من الصحابة لا يعرف لهم مخالف منهم، كما رواه الليث بن سعد، عن نافع مولى ابن عمر: أنه سمع الربيع بنت معوذ بن عفراء، وهي تخبر عبد الله بن عمر، أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان بن عفان. فجاء عمها إلى عثمان، فقال له: إن ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم، أفتنتقل؟ فقال عثمان: لتنتقل، ولا ميراث بينهما. ولا عدة عليها. إلا أنها لا تنكح حتى تحيض حيضة. خشية أن يكون بها حبل. فقال عبد الله ابن عمر: فعثمان خيرنا وأعلمنا.

ونقل عن أبي جعفر النحاس في كتاب «الناسخ والمنسوخ» أن هذا إجماع من الصحابة.

ومذهب الجمهور من العلماء أن المختلعة عدتها ثلاث حيض إن كانت ممن يحيض (فقه السنة م ٢ حـ د/ ٤٣٦ ـ ٤٤٩).

قال ابن القيم:

وأفتى النبي ﷺ أن المرأة إذا ادعت طلاق زوجها، فجاءت على ذلك بشاهد عدل استحلفت زوجها، فإن حلف بطلت شهادة الشاهد، وإن نكل فنكوله بمنزلة شاهد آخر، وجاز طلاقه، ذكره ابن ماجه من رواية عمرو بن أبي سلمة، وقد روى له مسلم في صحيحه (أعلام الموقعين ٤ / ٤٢٩).

أما عن النظم فقد ورد هذا البيت في منظومة رسالة ابن أبي زيد القيرواني إذ يقول عن الخُلع:

والخُلْعُ طلقةٌ تبِينُها وإن
لم يُسَمِّ تطليقًا بتعويضٍ قُرِنْ

(الفتح الرباني ٢ / ٣٧).

ويأتي شرح الشارح في الصفحات ٣٧ ـ ٣٩ وهو لا يخرج عما أوردناه آنفا.

وجاءت الأبيات التالية في منظومة صفوة الزبد للإمام الشيخ أحمد بن رسلان الشافعي. يقول الناظم رحمه الله:

يصح من زوج مكلف بلا
كره ببذل عوض لم يُجهلا

أمـــا الـــذى بـــالخمـــر أو مع جهل
فـإنـــه يـــوجـب مهـــر المثل
تملك نفسهـــا بـــه ويمتنع
طـــلاقهـــا ومـــا لـــه أن يـــرتجع

(متن الزبد / ٨٣).

كما جاءت الأبيات التالية فى منظومة «السبل السوية لفقه السنن المروية» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى الذى يقول:

وامـــرأة محـــرم إن تسشـــلا
طـــلاقهـــا بـــدون بأس انجـــلا
ومـــا لـــه إضـــرارهـــا لتفتـــدى
تلك حـــدود الله فـــاحـــذر تعتـــدى
إلا إذا عشـــرتـــه لـم تستطع
فمـــا عليهـــا حـــرج أن تختلع
يجـــوز بـــالقليل والكثيـــر لا
مـــا زاد عن مهـــر فمنع نقـــلا
ويلـــزم التـــراض بـــاتفـــاق
أو حكم حـــاكم مع الشقـــاق
ونفسهـــا تملك بعـــد الافتـــدا
لا رجعـــة إلا بعقـــد جـــددا
والخلع فسخ لا طـــلاق فى الأصح
تعتـــد حيضـــة كمـــا الحـــديث صح
والأكثـــرون طلقـــة قـــد عـــدُّوا
وكـــالطـــلاق عنـــدهم تعتـــدُّ
إلا إذا قـــد كـــان سمى أكثـــرا
فهـــو الـــذى سمـــاه فيمـــا أثـــرا

(مجموع / ٨٦).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٥١، ٥٢، والمعجم الوسيط ١/ ٢٥٠، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى ابن فريد الكشجنورى الهندى ـ تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ١٩٥، وفقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م٢ حـ٧ / ٤٣٦ ـ ٤٤٩، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبى بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ٤ / ٤٢٩، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ٢ / ٣٧، ومتن الزبد فى الفقه. الشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشافعى / ٨٣، ومجموع: «السبل السوية لفقه السنن المروية ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٨٦. انظر أيضا منهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٥٣، ٤٥٤، وعمدة الفقه لابن قدامة ـ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدى، ومحمد دغيليب البراق العتيبى / ١٠٥، وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للإمام محمد بن محمد بن سليمان ١ / ٢٣٤، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ٩٦، ٩٧).

* **خلع التشريف:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خلع»:

وإذا قيل خلع فلان على فلان فمعناه أعطاه ثوبا، واستفيد معنى العطاء من هذه اللفظة بأن وصل به على فلان بمجرد الخلع (المفردات/ ١٥٥).

ويقصد بخلع التشريف هنا الثياب التى كان السلطان فى دولة المماليك يعطيها لطبقات الشعب المختلفة تشريفا لهم. وقد تناولها بالوصف ل. أ. ما ير صاحب كتاب «الملابس المملوكية» (العنوان المترجم) مما ننقله لك فيما يلى. يقول المؤلف:

الواقع أنه فى كتاب عن تاريخ الأزياء الإسلامية، نرى من الواجب إفراد فصل خاص لثوب التشريف الذى يطلق عليه اسم «خلعة». وقد كان فى العصور السابقة للعصر المملوكى غالبا عبارة عن ثوب يلبسه الحاكم نفسه ويعطيه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جسده ـ وكان هذا التصرف يعتبر أصلا بمثابة وعد شخصى بالأمان أكثر منه رمزا للتكريم ـ ثم أصبحت خلعة التشريف فى القرن الرابع عشر بمثابة هدية شائعة، إلى حد أنه أمكن لموظفى الدولة اعتبارها حقا مكتسبا كمرتباتهم سواء بسواء. وقد وردت فقرات عديدة فى المراجع التاريخية تثبت أن طابع الخلعة كان هبة معتادة وبخاصة تلك الفقرات التى تشير إلى التغييرات التى حدثت فى خصائص «ثوب التشريف» وبناء عليه، أصبح من النادر أن نسمع فى خلال حكم المماليك، أن ثياب التشريف كانت من الملابس التى يرتديها السلطان نفسه. ومع ذلك نقرأ أنه لما أرسل السلطان الملك «المظفر يوسف بن عمر» من بنى رسول هدايا ثمينة إلى

السلطـان «بيبرس» ، أرسل إليـه الأخير ردا على ذلك قميصـا (كأمان) ودرعا (جـوشن) . وكان فى الأصل يرتـديهما لنفسه . وفى حفل زفـاف نجله «بـركـة قان» من ابنـة «قلاوون» أهـدى بيبرس إلى قـلاوون «خلعة» تشريف كاملـة وشربوشا كـان هو نفسه يـرتديهما . وفى السـابع والعشرين من شهـر رجب سنة ٨٣٧ هجرية (التاسع عشر من مارس سنة ١٤٣٤ ميلادية) ، عندما تنحى «كريم الدين» عن عمله كوزير، وعين «استادارا» للسلطان أهـدى قباء سلطـانيا من أقبيـة السلطان . وفـى سنة ٨٦٢ هجـرية عنـدمـا أراد السلطـان «إينال» أن يكـرم الأميـر «أزبك بن ططخ» ، الذى لـم يكن يشغل أيـة وظيفة حتى ذلك الحين ، خلع على «أزبك» هذا «معطفا ـ سلاريا» من ملابسه الخاصـة (انظر مـادة «إينال (قبـة وخانقـاه ومدرسـة السلطان الأشرف ـ) » فى م ٦ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ومادة «أزبك بن ططخ» فى م ٤ / ٥٠) وفى عام ٨٨٢ هجرية خلال جولة تفتيشية فى سوريا خلع «قـايتباى» على «قانصوه اليحيـاوى» ، الذى كان حينئـذ حـاكما على حلب ، «سـلاريـة» من الصـوف الأبيض ومبطنة بفراء السمـور الرمادى مما كـان السلطان نفسه يرتـديه وقتئذ على أننا غالبا ما نقرأ عن «ثياب التشريف» التى صنعت خصيصا من أجل السلطان ، ولو أنه لـم يلبسهـا .

ولعله من الصعوبة بمكان ، بل من المتعذر تماما ، تحديد الأجزاء التى كـانت تتكون منهـا الخلعة ، فقد قـرأنا المـرة تلو المـرة عن الخلعة «الكـاملة» دون تحـديـد نوعيـة القطع التى كانت تتألف منهـا . وأحيانـا كان ثوب التشـريف يقتصر على «قباء» أو «عبـاءة» كما كـان يشتمل غالبـا على متنوعـات من ملابس الأمراء كـالأحزمة أو القلانس التى كـان يشار إليها على التخصيص بوصفها أشياء مضافـة إلى الخلعة ، وأحيانا أخرى كانت الخلعـة تشتمل على أجزاء من الثيـاب ، بل وفى بعض الظـروف كـانت تتضمن أسلحـة . والخلعـة التى منحت لأبى الفداء سنة ٧١٥ هجرية (١٣١٥ ميـلادية) كانت تحتوى على مسكـوكات وأقمشـة كـذلك وفى بعض الحـالات الاستثنائيـة أيضا كانت تحتوى على درع فارس وكسوة جواد مزركشة . ومن المحتمل أن يكـون مـؤرخو العصـر المملـوكى من أجل هـذا السبب قد اعتادوا الجمع بين هذه الأشياء كلها ، تحت عنوان واحـد هـو: الخلع والتشـاريف . ومثل هـذه التفـاصيل التى نجـدها فى المـراجع تبعث على الظن بأن ثوب التشـريف لـم



توزيع الخلع من قبل مندوب السلطان

يكن لـه خصائص معينـة من حيث تفصيلـه بل إنـه بقدر مـا نعرف عن شكلـه من معلومـات ، كان كأى ثوب عـادى آخر ، اللهـم إلا إذا كان قـد صنع أو بطن أو حلى بأهداب أو أشـرطة من مواد نفيسة وأسماء الملابس المستخدمة كثياب للتشريف تخلع على الأمراء ، كانت تماثل تمامـا تلك التى يرتديها عادة أى شخص فى حياتـه اليومية . ومن ثم كـانت تتنوع وتختلف باختلاف طبقات الشعب .

والواقع أن ذلك التنوع المذهـل فى ثياب التشريف خلال العصر المملـوكى ، قد صنف بدقة حسب طبقـات المماليك ويبدو ذلك واضحا من كتـاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمـرى ، حتى أن الإنسـان ليجـد صعوبـة كبـرى إذا أراد أن يحاول محـاولة أفضل وأدق ممـا قدمه هـذا المؤلف بأسلـوبه الخاص . ولكن بما أن المخطوطين الوحيدين الخاصين بهذا الكتـاب واللـذين تحت تصـرفى قـد عانيـا كثيـرا على أيـدى النساخين الـذين نقلوهما إلينا ، ولمـا كان «كاترمير» قـد ترجم أحدهمـا ، لذلك أفضل أن أقدم ترجمـة لهذا الفصل من واقع اقتباس مطول من كتاب الخطط للمقريزى :

«وكانت لأهـل الدول فى الخلع عـوايد ، وهم على ثـلاثة أنواع : أرباب السيوف والأقلام والعلماء ، فأما أرباب السيوف فكانت خلع أكـابر أمراء المئين الأطلس الأحمـر الرومى (من آسيا الصغرى) وتحته الأطلس الأصفر الرومى ، وعلى الفوقانى طرز زركش ذهب وتحـه سنجاب ، وله سجف من ظـاهره مع

الغشاء قندس، وكلوته زركش بذهب وكلاليب ذهب، وشاش لانس رفيع موصول به في طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان، مع نقوش باهرة من الحرير الملون، مع منطقة ذهب.

ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم، فأعلاها ما عمل بين عمدها بواكر وسطى ومجنبتان بالبلخش والزمرد واللؤلؤ، ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان ببيكارية واحدة غير مرصعة، وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فإنه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه، ويجلبه ناظر الخاص، ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب، والفرس من الاصطبل، وقماشه من الركاب خاناه، ومرجع العمل فى سروج الذهب والكنابيش إلى ناظر الخاص.

وكان رسم صاحب حماة من أعلى هذه الخلع، ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من عمل الإسكندرية حرير شبيه بالطول، وينسج بالذهب، ويعرف بالمتمر ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر، والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر. وكان لنائب الشام - على ما استقر فى أيام الناصر محمد بن قلاوون - مثل هذا، وزيد لـ «تنكز» تركيبة زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقانى.

ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرد وحش يعمل بدار الطراز التى كانت بالإسكندرية وبالقاهرة وبدمشق، وهو مجوخ جاخات (مزين بأشرطة) كتاب بألقاب السلطان، وجاخات طرد وحش، وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب، يفصل بين هذه الجاخات نقوش، وطراز هذا يكون من القصب، وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب، وعليه فرو سنجاب وقندس كما تقدم، وتحت القباء الطرد وحش قباء من المفرج الإسكندرانى الطرح، وكلوته زركش بكلاليب وشاش على ما تقدم، وحياصة ذهب، فتارة تكون ببيكارية، وتارة لا يكون بها بيكارية، وهذا لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم.

ودون هذه الرتبة فى الخلع «كمخا» عليه نقش من لون آخر غير لونه، وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما، وتحت سنجاب بقندس، والبقية كما تقدم، لا أن الحياصة والشاش لا يكونان بأطراف رقم، بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب، والحياصة لا تكون ببيكارية.

ودون هذا المرتبة «كمخا» تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على ماذكر، وتكون الكلوتة خفيفة الذهب، وجانباها يكادان يكونان خاليين بالجملة، ولا حياصة له، ودون هذه الرتبة مُحْرَم لون واحد، والبقية على ما ذكر، خلا الكلوتة والكلاليب ودون هذه الرتبة محرم مقندس، وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق، وغير ذلك من الألوان بسنجاب وقندس، وتحته قباء إما أزرق أو أخضر، وشاش أبيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره. ثم دون هذا من هذا النوع (بالرغم من أنه لرتبة أقل).

وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الأبيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر وبقيار (شال العمائم) كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة.

ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب، بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج (الفتحة) ودونها (دون هذه الرتبة) ترك الطرحة، ودونها أن يكون التحتانى محرما ودون هذا أن يكون الفوقانى من الكمخا لكنه غير أبيض، ودونه أن يكون الفوقانى محرما أبيض، ودونه أن يكون تحته عَتَّابى.

وأما القضاة والعلماء فإن خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة، وأجلُّهم أن يكون أبيض، وتحته أخضر، ثم ما دون ذلك.

وكانت العادة أن أهبة الخطباء - وهى السواد - تحمل إلى الجوامع من الخزانة وهى دلق مدور، وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب وثياب «المبلغ» قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرحة.

والشىء الهام الذى يجب ألا يغيب عن ذاكرتنا، هو ذلك الطابع الرسمى للخلعة فإن أى ترقية إلى منصب أعلى كان معناه ضمنا «منح خلعة» حتى غدا التعبير بـ «خلع عليه بنيابة» شائعا تماما كما شاع التعبير بكلمة «لبس» (خلعة أو تشريف)، ولو أنه مع ذلك يعتبر تعبيرا ضعيفا للدلالة على التعيين الفعلى وبالمثل أصبح التعبير عن قرار الترقية مختصرا فى كلمات مثل «فلان من الناس عُيِّن وزيرا» «دون الإشارة إلى

منحة تشريف» وهناك أمر مهم آخر هو تعيين موظف ليشغل وظيفتين في وقت واحد، فعندئذ كان يتلقى ثوبين للتشريف. وهكذا نقرأ أن أحد رجال الدين قد عين في وظيفتي قاض وخطيب، فمنحه السلطان «لاجين» ثوبين للتشريف، لكل منصب منهما ثوب خاص به. ولما نصب طشتمر البدرى حاكما لحلب، تلقى ثوبا للتشريف ليرتديه عند وصوله إلى حلب، ثم بعد ذلك قُدِّم له ولكل فرد من أبنائه «قباء» خاصا بالرحلة. كما أنه فى إحدى المناسبات منح أمير عظيم ثوبين للتشريف لرحلة واحدة.

وكان من المهم جدا أن تظهر الخلعة للناس فى المناسبات، فقد حدث فى شهر صفر سنة ٧١٦ هجرية (١٣١٦ ميلادية) أن وجدنا الشيخ «محمد بن مسلم» قاضى قضاة الحنابلة فى دمشق يرتدى الخلعة أثناء ذهابه إلى عمله، ويخلعها عقب قراءة المرسوم الخاص بتعيينه. ولما عين الشيخ «برهان الدين السوسى» قاضيا لقضاة مكة، ارتدى خلعته لمدة أسبوع من قراءة مرسوم تعيينه الصادر من السلطان. وينطبق هذا الوضع حتى على الحكام المستقلين، فعندما تلقى السلطان مراد العثمانى ثلاثة أثواب للتشريف من «شاه رخ» ظهر بها أمام السفراء.

والغالب أن تسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التى منحت من أجلها، فمثلا حين يرقى أمير إلى منصب نائب كان ثوب التشريف الذى يخلع عليه يجب أن يطلق عليه اسم «خلعة النيابة» والوزير الذى يرقى حديثا يجب أن يتلقى «خلعة الوزارة» بالنسبة لمن يعين حديثا فى منصب من المناصب كان يحصل أحيانا على خلعة تسمى «خلعة الاستقرار» وإذا امتدت خدمة أحد الموظفين الرسميين أو ثبت فى وظيفته، أو حامت حوله بعض الشكوك، ثم أريد استمراره مع ذلك فى العمل، أطلق اسم «خلعة الاستمرار» على ثوب التشريف الذى يخلع عليه، وعند وصول موظف كبير من أحد الأقاليم وجب تهنئته بسلامة الوصول بأن يخلع عليه «خلعة القدوم»، وعند استئذانه فى الرحيل من السلطان قبل سفره وجب منحه «خلعة السفر» وغالبا ما كان يشار إلى هذه الأخيرة مع نوع الثياب التى كانت تستخدم فى نفس أغراض «خلعة السفر». وإذا استقبل السلطان أميرا فى مجلسه بعد تغيبه لمرضه، كان يمنح ثوبا للتشريف يطلق عليه «خلعة العافية» للدلالة على شفاء الأمير. وفى حالة الصفح عن أمير معزول وجب أن يمنح «خلعة الرضاء» أو «خلعة الرضا» وكانت هذه الخلعة تمنح أحيانا دون أن يشغل صاحبها أية وظيفة، وحتى الإقالة - وليس طبعا لسبب مخل بالشرف - كانت تعتبر فرصة لتقديم خلعة يطلق عليها اسم «خلعة العزل» وأحيانا كان انقطاع مثل هذه الخلع يعنى فى ذاته الإقالة.

(مُنح سلار واحدة عند جلوس محمد بن قلاوون على العرش للمرة الثالثة، النويرى حوادث سنة ٧٠٩ هجرية، ومنح الوزير بدر الدين حسين بن نصر الله فى مناسبة مماثلة جُبة - مبطنة أو بسجف من فراء السمور ويستدل منه على أن خلعة العزل كانت بدورها على قدر كبير من الفخامة، السلوك بتاريخ السابع عشر من شهر ربيع الثانى، سنة ٨٤٢ هجرية، وحدث فى سنة ٨٥٢ هجرية أن منح محتسب مدينة القدس واحدة).

وكان رفض ثوب التشريف يعتبر إساءة خطيرة، إذ كان ذلك يعنى إعلان العصيان أو على الأقل المجاهرة بالعداء وعلى العكس من ذلك كان قبول خلعة التشريف علامة للتعبير عن الخضوع والولاء للسلطان.

وكان ثوب التشريف الخاص برجل الدين يماثل ثوب الرجل العسكرى، من حيث طريقة التفصيل والمظهر المألوف، ولعله مما يبعث على الحيرة مبدئيا، أننا نقرأ بين الفينة والفينة عن بعض رجال الدين ممن منحوا ثيابا للتشريف كانت فى حقيقتها - بقدر ما لدينا من معلومات حاليا - ملابس عسكرية، فمثلا عند افتتاح «برسباى» لمسجده فى يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين من شهر شوال سنة ٨٢٧ هجرية (الحادى عشر من أكتوبر سنة ١٤١٩ ميلادية) خلع على قاضى قضاة الحنفية، محمد بن سعد الديرى «كاميلية» من الصوف مبطنة بفرو سمور.

وهذا دليل على ضعف الإنسان حتى من أصحاب المناصب الرفيعة من المشايخ الذين يذهبون إلى أبعد الحدود من أجل حبهم للترف والذين كان عليهم أن يتغلبوا - فى كثير من الظروف المواتية - على أية عقبات تحول بين المسلم وبين ارتداء الذهب والحرير والأقمشة الفاخرة الأخرى التى لا تتفق

وأحكام الدين، كما قرأنا أيضا «أن العادة» قد جرت أن يخلع محمد بن قلاوون على القاضى «كريم الدين» الذى كان يعمل فى منصب «ناظر الخاص»، ثيابا للتشريف تشمل ثوبين أحدهما (فوقانى) والآخر (تحتانى) من الأطلس الأبيض وكلاهما به بنود مطرزة وطاقية مستديرة مزركشة يطلق عليها اسم «قبع زركش»، وحدث أكثر من ذلك، أن خُلع على أحد القضاة ثوب للتشريف مذهبا فقبله.

هذا فى الوقت الذى وجد فيه بعض رجال الدين ممن كان لديهم - رغم ولائهم للسلطان - الشجاعة الكافية لرفض ثياب التشريف المصنوعة من أقمشة تحرمها الأحكام الدينية فيحدثنا السيوطى أن «تقى الدين بن دقيق العيد» - وكان رجلا كثير التقوى والورع ويشغل وظيفة قاضى مصر فى عهد السلطان لاجين - رفض ثوبا للتشريف لأنه كان مصنوعا من الحرير، وكان يرتديه لاجين نفسه ثم «أمر أن يستبدل به آخر من الصوف، ولذلك ظل يحتفظ به للآن القرن (١٥ م).

قالت المؤلفة: نجد من المناسب أن نذكر هنا أن الإمام السيوطى فى كلامه على عادة المملكة المصرية فى الخلع والزى امتنع عن إدراج وصف خلع الأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم فهو يقول: وأما خلعهم وخلع الوزراء ونحوهم فأسقطتها من كلام ابن فضل الله لأنها ما بين حرير وذهب؛ وذلك محرم شرعا، وقد التزمت ألا أذكر فى هذا الكتاب شيئا أُسأل عنه فى الآخرة، إن شاء الله تعالى (حسن المحاضرة ٢ / ٣٢٠).

ومن جهة أخرى، كانت الملابس التى يوزعها السلطان خليل على مختلف رجال الدين (من جميع المذاهب) عشية رحيله لغزو عكا، يطلق عليها اسم «ثوب» لا «خلعة».

وعلى أى حال، يجب أن نضع فى الحسبان، أن ملابس التشريف الأميرية مثل المتمرات والكوامل كانت تمنح أحيانا إلى العمال العاديين. ومن المحتمل أن يكون ذلك متبعا فى حالة منح ثوب غير مميز الطابع إلى شخص لا يحق له أن تخلع عليه خلع التشريف (المعلمون المعماريون والعمال المهرة). ويجب أن يكون مثل هذا الثوب فى الغالب مصنوعا من قماش فاخر نوعا وأخف وزنا عن المألوف، حتى يتمكن الشخص من ارتدائه فوق جميع ملابسه وفى مناسبات خاصة للغاية، وكان هذا الثوب يطوى ويلف حول وسط الشخص كالزنار. والواقع أنه حدث قرب نهاية عصر المماليك أن انحط قدر «ثوب التشريف» فعلا كأى شىء آخر فكان يصنع من أقمشة أقل جودة وأكثر رخصا. فقد حدث مثلا فى سنة ٩١٢ هجرية (فبراير سنة ١٥٠٧ ميلادية) بمناسبة عيد الفطر، أن أهدى قانصوه الغورى بعضا من تلك الثياب التى أطلق عليها «ثياب التشريف»، وكانت مصنوعة من القطن الملون ويساوى الثوب منها ثلاثة دنانير، وهى تعتبر بديلا للثياب الفاخرة التى جرت العادة بإهدائها فى أيام الرخاء الماضية.

ولم يكن السلطان وحده هو الذى تقتصر عليه عادة إهداء ثياب التشريف إذ كان من المألوف أن يقوم بذلك الخلفاء أحيانا، وأمراء البيت المالك، والولاة، وكبار موظفى الدولة مع أتباعهم فى المناسبات وبصفة خاصة عند تلقيهم بشارة بأخبار سارة منهم وحدث أيضا أن أرسلت السلطانة ثوبا (ليس بخلعة) إلى أطباء السلطان. وقد عرفنا ملكات أخريات قمن بتوزيع ثياب للتشريف.

وكانت ثياب التشريف تصنع أصلا فى المصانع السلطانية، ولكن فى العصر الجركسى كانت تصنع خاصة وتباع فى سوق الشرابشيين فى القاهرة، وبمضى بعض الوقت حرم بيعها فى السوق الحرة، ووضعت تحت رقابة «ناظر الخاص» وأصبح لا يمكن لأى شخص ابتياعها عدا السلطان نفسه، الذى كان يمكنه شراء الثياب من السوق رأسا.

وكان سلاطين المماليك يمنحون السفراء الأجانب ثيابا للتشريف محاكة على طراز الزى المملوكى، ويبدو أن هذا التقليد كان إذ ذاك عادة متبعة فى بلاط سلاطين الشرق الأدنى، ومنذ كان سفراء المماليك لدى سلاطين آل عثمان يعودون بثياب تشريف عثمانية. وكان مبدأ منح ثياب التشريف معمولا به بالنسبة للأوروبيين المسيحيين فنجد مثلا أن بطرس الشهيد - يتلقى ثوبا للتشريف من قماش ذهبى بطراز سجلت عليه كتابات بالحروف العربية مخيطة فيه. وفى تقارير باجانى الخاصة باستقبال دومنيكو تريفيزان ذكر «أنه لبس ثوبا من المخمل الأحمر القرمزى مبطنا بفراء ومحاكا على الطراز المغربى، (الموسكى)، ومزودا كذلك بياقة عريضة من فراء القاقم» وكذلك مثل بين يدى السلطان نجل

تريفيزان وقنصل الاسكندرية وهما فى ثياب للتشريف مماثلة، كما ذكر أن تريفيزان قد منح ثوبين آخرين أقل قيمة، من الحرير الأسود والأبيض، أعطى أحدهما إلى كاتب السر (السكرتير) والآخر إلى الترجمان. وقد يكون من الأهمية بمكان معرفة ما إذا كان سفراء المماليك يتلقون ثيابا للتشريف على النمط الأوربى من بلاط الملوك المسيحيين القلائل الذين كانت للمماليك علاقات دبلوماسية معهم (مثل ملوك برشلونة، والبندقية، وقبرص)، فإذا كان الأمر كذلك، فهل كان لديهم الجرأة على ارتدائها عند وصولهم إلى القاهرة، حسبما جرت به العادة من ارتداء ثياب التشريف التى تمنح إليهم من الحكام المسلمين؟ والحق أنهم منحوا ثيابا للتشريف وظهروا بها فى حضرة السلطان وهو أمر معروف وغير قابل للجدل، إلا أن الأمر الوحيد القابل للمناقشة هو طريقة صنع تلك الثياب ومن جهة أخرى فإن الحقيقة الثابتة هى أنه كان من بين الهدايا التى حملت إلى القاهرة والإسكندرية بواسطة السفراء البنادقة، منسوجات متنوعة وكذلك ملابس مخيطة.

(الملابس المملوكية/ ١٠١ـ١١٤).

وعن خلع التشريف أيضا يذكر المسبحى أنه «فى يوم الإثنين لخمس خلون من شهر رمضان، أُجلس طيب الخازن فى بيت المال متوليا له، وخلع الظاهر عليه خلعا حَسِنية مذهبة نفيسة، وحُمل على بغلة بسرج ولجام مذهب محلى. وخلع على مسرة الخازن، فيه، وأُجلس فى خزانة الخاصة، متوليا لها، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب محلى؛ وجعل رفق، الخادم الأسود، الملقب بعدة الدولة، يخرج إليهما بأوامر مولانا ـ صلوات الله عليه ـ ويدخل بها.

وفيه خلع على ثلاثة أنفس من أولاد ابن جراح كانوا مقيمين بمصر، وحُملوا على ستة أرؤس من الخيل بسروجها ولجمها مصفحة».

كما يذكر خلع السلطان بمناسبة وفاء النيل فيقول:

وفى رابعه زين العامة أسواق البلد، وخلّقوا وجوه الصبيان، ونادوا بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، فخلع على ابن أبى الرداد خلعا دبيقية مذهبة ورداء محشوًّا مذهبا وعمامة شرب مذهبة، وحُمل على بغلين بسرجين ولجامين مذهبين، أحد السرجين مصفح، وأعطى ست عشرة قطعة ثياب وثلاثة آلاف درهم. وبلغ الماء أصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكان يوما حسنا كثيرا فيه سرور الناس.

وفيه خلع على بقى الخادم الأسود، غلام بدر الدولة نافذ، ثوب مثقل طميم وعمامة قاضى [قاض] مذهبة، وسيف ذهب، وقُلد الشرطتين بمصر، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب، عوضا عن جلال الدولة ابن كافى.

(أخبار مصر فى ستين/ ١٨١، ١٨٢، ٢٤٦).

وقد تكلم على مبارك على منح الخلع والإنعامات والرواتب، فبدأ أولا بالكلام على اختلاف الأزياء باختلاف الرتب فقال:

ولم تكن تلك الهبات قاصرة على طوائف العسكر، بل كانت متعدية إلى أصحاب الأقلام، والقضاة على طبقاتهم، والعلماء والخطباء على اختلافاتهم.

وقد أطال المقريزى فى شرح الإنعامات الواصلة كل سنة لأكابر المئين ومن دونهم، كما أطاله فيمن تقدم ذكرهم. وكان ذلك يصرف من الخزانة السلطانية، ومحلها بالقلعة، ولها ناظر من القضاة الأعلام.

وكانت العادة أن الخلعة إذا خلقت أعيدت للخزانة، وصرف بدلها. ومن نظر إلى ما يكون بها من الزركش والجوهر والذهب، رأى أن الخلعة الواحدة تفوق الحد فى المصاريف. وكانت خلع أكابر المئين من الأطلس الأحمر الرومى، وتحته الأطلس الأصفر الرومى، وعليها طراز وزركش مذهب بكلاليب من الذهب، وشاش لانس رفيع موصول حرير أبيض، مرقوم عليه ألقاب السلطان منقوش بالحرير الملون النقوش الباهرة، ومنطقة بالذهب مختلفة بحسب الرتبة، فأعلاها به البلخش والزمرد واللؤلؤ، وبيكارية مرصعة وغير مرصعة.

ومن تقلد ولاية يعطى له سيف محلى بالذهب، وفرس بسرجه ولجامه، وله كنبوش من الذهب أيضا. وكان لكل منهم علامة تميزه بحسب الدرجة والولاية. وأما أمير أقل من مائة وأقل منه، فكل بحسبه.

وأجل خلع الكُتَّاب الكمخ الأبيض المطرز بالحرير الساذج، والسنجاب المقندس، وتحته كمخ أخضر، وبيقار مرقوم وطرحة، ودونها عدم السنجاب، ويكون القندس بدائر

الكُمَّين فقط، ودونها ترك الطرحة، وهكذا لتمييز الدرجات.

وكانت خلع القضاة والعلماء من الصوف بغير طراز، ولهم الطرحة، وأجلها البيضاء، ثم الخضراء، ثم غيرهما.

وخلع الخطباء هى السواد، تحمل إلى الجامع من الخزينة، وهى دلق مدور، وشاش أسود، وطرحة سوداء، وعلمان أسودان، مكتوب فيهما بالأبيض أو بالذهب. وثياب المبلغ مثل ذلك، ما خلا الطرحة.

ثم ينقتل على مبارك إلى الكلام على عادات منح الخلع والإنعامات والرواتب فيقول:

وكان للسلطان عادات فى إعطاء الخلع، كابتداء جلوسه على الدست، وتشمل الخلع حينئذ سائر رجال الدولة، وقد خلع فى يوم إقامة الأشرف بن حسين بن محمد بن قلاوون ألف ومائتا خلعة، وكوقت اللعب بالكرة، فيخلع على الجوكندارية، ومن له خدمة فى ذلك، وكأيام الأعياد، وأوقات الصيد، فإذا سرح أحد مصيده أو أحضر غزالة أو نعامة خلع عليه بما يناسب قدره، وكذا يخلع على البدارية وحملة الجوارح، ومن يجرى مجراهم فى كل سنة عند أوان الصيد.

وكان ينعم على غلمان الطشتخانة والشرابخانة والفرشخانة، ومن يجرى مجراهم، وكذا من يصل إلى الباب من الأعراب زائرا، أو مهاجرا من مملكة أخرى تدر عليه أنواع العطايا والأرزاق والخلع على حسب حاله، وكذا التجار الذين يبيعون من متاجرهم للسلطان يخلع عليهم، فضلا عما لهم من الرواتب الدائمة من الخبز والتوابل والحلوى، والعليق والمسامحات، فى نظير ما يباع من الرقيق، مع ما يترك لهم من حقوق أخرى، ولو باع أحدهم للسلطان ولو واحدا من الرقيق، فله خلعة كاملة، زائدة على أصل الثمن. وله إنعامات وسفارات، تطلق على سبيل الإتجار (الخطط ١ / ١٣٤ - ١٣٦).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى - تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٥ -، والملابس المملوكية - ل. أ. ماير، ترجمة صالح الشيتى، مراجعة وتقديم د. عبد الرحمن فهمى محمد / ١٠١ - ١١٤، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٣٢٠، وأخبار مصر فى سنتين محمد بن عبيد الله المسبحى - تحقيق وليم ج ميلورد / ١٨١، ١٨٢، ٢٤٦، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ١/ ١٣٤ - ١٣٦).

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة وهى عن توزيع الخلع من قبل مندوب السلطان، وقد أخذت من كتاب مجتمع مدينة دمشق للدكتور يوسف جميل نعيسة الجزء الأول.

*** خلع النعلين فى الوصول إلى حضرة الجمعين:**

خلع النعلين فى الوصول إلى حضرة الجمعين: للشيخ أبى القاسم ... ابن قسى شيخ الصوفية هو أبو القاسم أحمد ابن قسى الأندلسى المتوفى سنة ٥٤٥ وهو مختصر أوله الحمد لله الذى أوجد بالحرفين دائرة الوجود إلخ ... وشرحه الشيخ محيى الدين محمد بن على بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة ذكر فيه أن المصنف كان من أهل الأدب والفضل متضلع [متضلعا] من اللغة فلا يقصد إلى كلمة إلا لحكمة يراها وشرحه أيضا الشيخ عبدى شارح الفصوص.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٢).

*** الخلعة الخليفتى:**

وتسمى أيضا السواد الخليفتى. وهى عمامة سوداء مدورة بعذبة ذهب قدر ذراع مع أنها كانت مستطيلة أيام الفاطميين - تسمى التكفيفة أو الناعورة، وقد تكون لها قرون طوال، وتكون فى مقام التاج.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢١).

*** الخلعى (٤٠٥-٤٩٢ هـ / ١٠١٤-١٠٩٩ م):**

الخلعى، بكسر الخاء المعجمة، وفتح اللام على بن الحسن بن الحسين بن محمد، أبو الحسن الخلعى الشافعى، مسند الديار المصرية فى عصره. أصله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر. كان يبيع الخلع لملوك مصر وأمرائها، فنسب إليها (انظر مادة «خلع التشريف») وولى القضاء فحكم يوما واحدا واستعفى، وانزوى بالقرافة (فى ابن خلكان «القرافة الصغرى»)، حتى قيل له «القرافى». وكان قبره فيها يعرف بقبر«قاضى الجن والإنس» وبإجابة الدعاء

عنده صنف كتاب «الفوائد» في الحديث ويعرف بفوائد الخلعي. وخرَّج أحمد بن الحسين الشيرازي أجزاء من مسموعاته في الحديث سماها «الخلعيات»(في ابن خلكان: «أجزاء من مسموعاته آخر من رواها عنه أبو رفاعة») (الأعلام ٤ / ٢٧٣، وحسن المحاضرة ١ / ٤٠٤، والرسالة المستطرفة / ٦٩) وقد أدرجها حاجي خليفة تحت عنوان «الخلعيات من أجزاء الحديث» وقال إن أحمد بن حسين الشيرازي جمعها في عشرين جزءا (كشف الظنون ١ / ٧٢٢).

وقد ذكره الحافظ السيوطي فيمن كان بمصر من الفقهاء الشافعية وقال عنه بالإضافة إلى ما تقدم: وكان فقيها صالحا، له كرامات وتصانيف وروايات متسعة، وكان أعلى أهل مصر إسنادا ... وكان والده أيضا فقيها شافعيا (حسن المحاضرة ١ / ٤٠٤، ٤٠٥).

كما ذكره صاحب الرسالة المستطرفة في مؤلفي الأجزاء الحديثية (انظر مادة «الأجزاء الحديثية في م ٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٩).

(الأعلام للزركلي ٤ / ٢٧٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٤٠٤، ٤٠٥، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ٦٨، ٦٩).

*** الخلعيات من أجزاء الحديث:**

انظر: الخلعي.

*** خَلَفَ:**

عن ورود اللفظ في القرآن الكريم جاء ما يلي في مفردات الراغب الأصفهاني:

خَلْف: خلف ضد القدام، قال تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ [الرعد: ١١] وقال تعالى ﴿فاليوم نُنجِّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ [يونس: ٩٢] وخلف ضد تقدم وسلف، والمتأخر لقصور منزلته يقال له خلف ولهذا قيل الخلف الرديء والمتأخر لا لقصور منزلته يقال له خلف، قال تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ [الأعراف: ١٦٩] و [مريم: ٥٩] وقيل: سكت ألفا ونطق خلفا: أي رديئا من الكلام ... وقيل لمن فسد كلامه أو كان فاسدا في نفسه يقال تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه وإذا جاء خلف آخر وإذا قام مقامه ومصدره الخلافة، وخلف خلافة بفتح الخاء فسد فهو خالف أي رديء أحمق، ويُعبَّر عن الرديء بخلف نحو: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾ [مريم: ٥٩] ويقال لمن خلف آخر فسدَّ مسده خلف والخلفة يقال في أن يخلف كل واحد الآخر، قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ [الفرقان: ٦٢] وقيل أمرهم خلفة: أي يأتي بعضه خلف بعض قال الشاعر:

* *بها العين والآرام يمشين خلفة* *

وأصابته خلفة كناية عن البطنة وكثرة المشي وخلف فلان فلانا قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده، قال تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ [الزخرف: ٦٠] والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ [فاطر: ٣٩]، ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿ويستخلف ربي قوما غيركم﴾ [الأنعام: ١٦٥] والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، قال تعالى ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وجعلناهم خلائف﴾ [يونس ٧٣]، ﴿جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ [الأعراف: ٦٩] والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب﴾ [مريم: ٣٧] ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [هود: ١١٨] ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿عم يتساءلون * عن النبإ العظيم * الذين هم فيه مختلفون﴾ [النبأ: ١ ـ ٣]، ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ [الذاريات: ٨] وقال تعالى: ﴿مختلفا ألوانه﴾ [النحل: ١٣] وقال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾ [يونس: ١٩]، ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم

العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [يونس : ٩٣] وقال فى القيامة ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ [النحل : ٩٢]، وقال تعالى ﴿ليبين لهم الذى يختلفون فيه﴾ [النحل : ٣٩] وقوله تعالى : ﴿وإن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾، [البقرة : ١٧٦] قيل معناه خلفوا نحو : كسب واكتسب، وقيل أتوا فيه بشىء خلاف ما أنزل الله، وقوله تعالى : ﴿لاختلفتم فى الميعاد﴾ [الأنفال : ٤٢] فمن الخلاف أو من الخلف وقوله تعالى ﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى : ١٠]وقوله تعالى : ﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله تعالى ﴿إن فى اختلاف الليل والنهار﴾ [يونس : ٦] أى فى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر وتعاقبهما، والخلف المخالفة فى الوعد، يقال وعدنى فأخلفنى أى خالف فى الميعاد ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه﴾ [التوبة : ٧٧] وقال تعالى : ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران : ٩] وقال تعالى : ﴿فأخلفتم موعدى﴾ [طه : ٨٦] ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ [طه : ٨٧] وأخلفت فلانا وجدته مخلفا، والإخلاف أن يسقى واحد بعد آخر، وأخلف الشجر إذا اخضر بعد سقوط ورقه، وأخلف الله عليك يقال لمن ذهب ماله أى أعطاك خلفا وخلف الله عليك أى كان لك منه خليفة، وقوله تعالى ﴿لا يلبثون خلفك﴾ [الإسراء : ٧٦] بعدك، وقرئ ﴿خلافك﴾ أى مخالفة لك، وقوله تعالى : ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ [المائدة : ٣٣] أى إحداهما من جانب والأخرى من جانب آخر وخلّفته تركته خلفى، قال تعالى ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ [التوبة : ٨١] أى مخالفين ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [التوبة : ١١٨] ﴿قل للمخلفين﴾ [الفتح : ١٦] والخالف المتأخر لنقصان أو قصور كالمتخلف قال تعالى ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ [التوبة : ٨٣] والخالفة عمود الخيمة المتأخر، ويكنّى بها عن المرأة لتخلفها عن المرتحلين وجمعها خوالف، قال تعالى ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ [التوبة : ٨٧] ووجدت الحى خلوفا أى تخلفت نساؤهم عن رجالهم، والخلف حد الفأس الذى يكون إلى جهة الخلف وما تخلّف من الأضلاع إلى ما يلى البطن، والخلاف شجر كأنه سمى بذلك لأنه يخلف فيما يظن به أو لأنه يخلف مخبره منظره (أوردناه تحت عنوانه فانظره فى موضعه)، ويقال للجمل بعد بزوله مخلف عام ومخلف عامين، وقال عمر رضى الله عنه : لولا الخِلِّيفَى لأذّنت أى الخلافة وهو مصدر خلف.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٥ ـ ١٥٧).

*** خلف الأحمر (ـ نحو ١٨٠ هـ / نحو ٧٩٦ م):**

أورده الزبيدى فى طبقاته فى الطبعة الثالثة من اللغويين البصريين (الطبقات / ١٦١ ــ ١٦٥) قال عنه الزركلى : خلف ابن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر، راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. كان أبواه موليين من فرغانة، أعتقهما بلال بن أبى موسى الأشعرى. قال معمر بن المثنى : خلف الأحمر معلّم الأصمعى ومعلم أهل البصرة، وقال الأخفش : لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف والأصمعى. وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب، قال صاحب مراتب النحويين : وصنع خلق على شعراء عبد القيس شعرا كثيرا، وعلى غيرهم، عبثا به، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة. وله «ديوان شعر»، وكتاب «جبال العرب وما قيل فيها من الشعر» و « مقدمة فى النحو» (مطبوع) (الأعلام ٢ / ٣١٠، وإنباه الرواة ١ / ٣٥٠).

وقال عنه القفطى : خلف الأحمر بن حيان بن محرز أبو محرز مولى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى. من أبناء الصغد الذين سباهم قتيبة بن مسلم، فوهبه سلم بن قتيبة بن مسلم لبلال (الصُّغد، بضم الصاد (ويقال بالسين أيضا) : قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين، من سمرقند إلى قريب من بخارى)وهو أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته. وله صنعة فيه. وهو أحد الشعراء المحسنين، ليس فى رواة الشعر أحد أشعر منه.

وكان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء؛ حتى يشبه بذلك على جلة الرواة، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم؛ من ذلك قصيدته التى نحلها ابن أخت تأبط شرا، التى أولها :

إن بالشعب الذى دون سلع
لقتيلا دمه ما يُطَلُّ

جازت على جميع الرواة، فما فطن بها إلا بعد دهر طويل بقوله:

خبـــر مـــا نـــابنـــا مصمئـل
جـلّ حتـى دق فيـــــه الأجـل

فقال بعضهم:

*** جل حتى دق فيه الأجل ***

من كلام المولدين. فحينئذ أقر بها خلف.

وخرج خلف الأحمر يوما على أصحابه، فأنشدهم قول النمر بن تولب:

ألـمّ بصحبتـي وهـم هجـــــود
خيـــال طـــارق من أم حصن

في طبقات الزبيدي / ١٦١: «هجوع» بدل «هجود»)

وقال: لو كان مكان «أم حصن» «أم حفص» كيف يكون قوله بعده:

لهـــا مـــا تشتهـي عسل مصفّى
وإن شـــاءت فحـــوّارى بسمن

فقالوا: لا ندري، فقال:

وإن شاءت فحوارى بلمص

واللمص: الفالوذج.

ووصفه العلماء بعلم الشعر. وقد أغنانا المبرد في «الروضة» عن التطويل في ذكره، وكان قد تعبد في آخر عمره.

(في هامش الأصل ص ٢٩٤ «وقال ابن سلام: كنا لا نبالي إذا حدثنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ألا نسمعه من صاحبه. وقال شمر: هو أول من أحدث السماع بالبصرة، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه، وكان ضنينا بأدبه».

وفي طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧: «وقال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له: إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء؛ هل ينفعك استحسانك له!».

وكان أبو نواس تلميذا له، ويفتخر به، ورثاه في ديوانه ١٣٢ ــ ١٣٥، قصيدتان يرثي بهما خلفا؛ ومما جاء في إحداهما:

لمـــا رأيت المنــون آخــــذة
كـل شـــديـــد وكـل ذي ضعف
بـت أعـــزي الفـــؤاد عن خلف
وبـــات دمعـي إلا يفض يكف
أنسـى الـــرزايـــا ميت فجعت بـــه
أمسى رهين التـــراب في جـــدف
لا يهم الحـــاء في القــراءة بـــالخـــا
ء ولا لامهـــا مـــع الألـــف
ولا يعمـي معنـى الكـــلام ولا
يكـــون إنشـــاده عن الصحف
وكـــان ممن مضى لنـــا خلفـــا
فليس منـــه إذ بـــان من خلف)

له ترجمة في إشارة التعيين ١١٣، والأمالي لأبي علي القالي ١ / ١٥٦ـ١٥٧، وبغية الوعاة / ٢٤٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٦، وتهذيب اللغة للأزهري ١ / ٤، وروضات الجنات / ٢٧٠ والشعر والشعراء / ٧٦٣ ـ ٧٦٥، وطبقات ابن قاضي شهبة ١ ــ ٣٣٤، والفهرست ٧٤، واللآلي لأبي عبيد البكري / ٤١٢ـ٤١٣؛ والمزهر ٢ / ٤٠٣، والمعارف / ٢٣٧، ومعجم الأدباء ١١ / ٦٦ ـ ٧٢، ونزهة الألباء / ٦٩ ـ ٧١. وانظر الأغاني ٣ / ٤٣، ٩ / ٣٩، ١٤ / ٣١، و١٧ / ١١، ١٢، و ١٨ / ٧٧، ٨٠، ٨١. ويطلق «الأحمر» على أربعة، أشهرهم اثنان: خلف بن حيان وعلي بن حسن الكوفي. والثالث أبان بن عثمان الطولوي والرابع أبو عمرو إسحاق بن مرار (انظر مادة «الأحمر» في م ٢ / ٧٠٠، ٧٠١). (إنباه الرواة ١ / ٣٤٨ـ٣٥٠).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٠، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠. انظر أيضا طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١٦١ ـ ١٦٥).

*** خلف البزار (١٥٠ـ٢٢٩):**

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم

ابن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدى ويقال خلف بن هشام وابن أبى طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادى أحد القراء العشرة الرواة عن سليم عن حمزة.

ولد سنة خمسين ومائة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة وكان ثقة كبيرا زاهدا عابدا عالما، روى عنه أنه قال أشكل على باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته أو قال عرفته، وروى عنه أيضا أنه كان يكره أن يقال له البزار ويقول قدمت الكوفة فصرت إلى سليم فقال ما أقدمك؟ قلت أقرأ على أبى بكر بن عياش فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبى بكر لم أدر ما كتب فيها فأتيناه فقرأ الورقة وصعّد فى النظر ثم قال أنت خلف؟ قلت نعم أنت الذى لم تخلف ببغداد أحدا أقرأ منك؟ فسكتُّ فقال لى اقعد هات اقرأ قلت عليك قال نعم قلت لا والله لا أقرأ على من يستصغر رجلا من حملة القرآن ثم خرجت فوجه إلى سليم فسأله أن يردَّنى فأبيت ثم مذمت واحتجت فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم. هذا وقد أخذ القرآن عرضا عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبى حماد عن حمزة ويعقوب بن خليفة الأعشى وأبى زيد سعيد بن أوس عن المفضل الضبى، وروى الحروف عن إسحاق المسيبى وإسماعيل بن جعفر وعبد الوهاب بن عطاء ويحيى بن آدم وعبيد بن عقيل وروى رواية قتيبة عنه فيما ثبت عندنا من طريق ابن شنبوذ والمطوعى أداء وسماعا وسمع من الكسائى الحروف ولم يقرأ عليه القرآن، قال أبو على الأهوازى فى مفردة الكسائى قال الفضل بن شاذان عن خلف أنه قرأ على الكسائى والمشهود عند أهل النقل لهذا الشأن أنه لم يقرأ عليه وإنما سأله عنها وسمعه يقرأ القرآن إلى خاتمته وضبط ذلك عنه بقراءته عليهم وكذا قال الحافظ أبو العلا وهو صحيح والله أعلم.

روى عنه قراءة الأعمش عن زائدة بن قدامة، وروى القراءة عنه عرضا وسماعا أحمد بن إبراهيم وراقه وأخوه إسحاق بن إبراهيم وإبراهيم بن على القصار وأحمد بن يزيد الحلوانى وإدريس بن عبد الكريم الحداد وأحمد بن زهير وأحمد بن محمد البرائى وسلمة بن عاصم وعبد الله بن عاصم شيخ الغضايرى وعلى بن الحسين بن سلم ومحمد بن إسحاق شيخ ابن شنبوذ ومحمد بن الجهم ومحمد بن مخلد الأنصارى ومحمد بن عيسى والفضل بن أحمد الزبيدى وعلى بن محمد ابن نازك وإبراهيم بن إسحاق ومحمد بن إبرهيم ومحمد بن سعيد الضرير وأبو بكر أسد المؤدب وعبيد بن عقيل وعبد الوهاب بن عطاء وموسى بن عيسى وأبو الوليد بن عبد الملك ابن القاسم وعمر بن فايد فيما ذكره الهذلى قال ابن أشتة كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه فى مائة وعشرين حرفا فى اختياره وقد تتبع ابن الجزرى اختياره فلم يره يخرج عن قراءة الكوفيين بل ولا عن قراءة حمزة والكسائى وشعبة إلا فى حرف واحد وهو قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية﴾ [الأنبياء: ٩٥] فقرأها خلف كحفص. مات رحمه الله فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد مختف من الجهمية (البحث والاستقراء / ٥٠، ٥١) انظر مادة «الجهمية» فى م ١٢ / ٤٢٥ - ٤٣١.

وقال عنه فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض:

عنايته بالحديث:

حدث عنه مسلم فى «صحيحه»، وأبو داود فى «سننه»، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازى، وأحمد بن أبى خيثمة، ومحمد بن إبراهيم بن أبان السراج، وأبو يعلى الموصلى، وأبو القاسم البغوى، وعدد كثير.

وثَّقه ابن معين والنسائى وقال الدارقطنى: كان عابدا فاضلا.

قال الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام. كان يبدأ بأهل القرآن. ثم يأذن للمحدثين، وكان يقرأ علينا من حديث أبى عوانة خمسين حديثا. وورد أن خلفا كان يصوم الدهر.

راوياه:

روى قراءة الإمام خلف إسحاق الوراق، وإدريس الحداد فأما إسحاق فهو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزى ثم البغدادى، ويعرف بـ «وراق خلف» وراوى اختيار خلف فى القراءة عن خلف نفسه، كان - رحمه الله - ثقة قرأ على خلف اختياره، وقام به بعده، وقرأ على الوليد ابن مسلم، وكان قيما بالقراءة، وأقرأ خلقا كثيرا.

توفى سنة ست وثمانين ومائتين.

وأما إدريس فهو إدريس بن عبد الكريم الحداد، أبو الحسن البغدادى كان إماما ضابطا متقنا ثقة، قرأ على خلف ابن هشام روايته واختياره وعلى محمد بن حبيب الشمونى.

روى القراءة عن إدريس خلق كثير منهم ابن مجاهد وابن مقسم. سئل عنه الدارقطنى، فقال: ثقة وفوق الثقة بدرجة.

طرق إسحاق الوراق عن خلف.

أما إسحاق الوراق عن خلف فمن طريق السوسنجردى، وهو أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور. وكان ثقة ضابطا متقنا.

توفى فى رجب سنة اثنتين وأربعمائة، عن نيف وثمانين سنة.

ومن طريق بكر بن شاذان، وهو أبو القاسم. وكان ثقة واعظا، مشهورا نبيلا.

توفى فى شوال سنة خمس وأربعمائة.

ومن طريق محمد بن إسحاق الوراق. وتوفى قديما ووقع فى كتب ابن مهران ما يقتضى أنه توفى سنة ست وثمانين ومائتين.

وطريق أبى على الحسن بن عثمان النجار المعروف بـ «البرصاطى» وكان مقرئا حاذقا ضابطا.

وتوفى فى حدود الستين وثلاثمائة وغير هؤلاء عن إسحاق كثير.

طرق إدريس عن خلف.

وأما إدريس فمن طريق أبى إسحاق إبراهيم بن الحسين ابن عبد الله النساج، المعروف بالشطى. وكان مقرئا ضابطا متقنا.

وتوفى فى حدود السبعين وثلثمائة.

وطريق أبى العباس الحسن بن سعيد بن جعفر المطوعى - السابق فى رواية ورش.

وطريق أبى الحسن أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان، السابق فى رواية قالون.

وغير أولئك كثير وإذ قد انتهينا من هذا العرض للقراء العشرة. فإننا نحب أن نلفت النظر إلى أن جملة (الطرق) للأئمة العشرة جميعا على وجه التقريب: هى تسعمائة طريق، وثمانون طريقا، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب.

وفائدة ما فصل من الطرق، وذكر من الكتب هو عدم التركيب فى القراءات مع عزو كل قراءة إلى إمامها، فإنها إذا ميزت وبينت ارتفع وقوع الخلط بينها، قال الإمام ابن الجزرى فى طيبته:

وهذه الرواة عنهم طرق ... أصحها فى نشرنا يحقق
باثنين فى اثنين وإلا أربع ... فهى زها ألف طريق تجمع

(يقصد بلفظ «نشرنا كتابه» النشر فى القراءات العشر»)

سنده:

قرأ خلف على «سليم» صاحب حمزة كما تقدم، وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى صاحب أبى بكر، وعلى أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى، وصاحب المفضل الضبى، و«أبان» العطار.

وقرأ أبو بكر، والمفضل، وأبان على «عاصم». وتقدم سند عاصم.

وروى الحروف (ويقصد بها: القراءات) عن إسحاق المسيبى صاحب «نافع». وعن يحيى بن آدم عن أبى بكر أيضا، وعن الكسائى. ولم يقرأ عليه عرضا. وتقدمت أسانيدهم متصلة إلى النبى - ﷺ.

مذهبه فى القراءة:

إن قراءة الإمام خلف لم تخرج عن قراءة الكوفيين إلا فى حرف واحد هو قوله تعالى: من سورة [الأنبياء: ٩٥]: ﴿وحرام على قرية﴾ قرأها بفتح الحاء والراء بعدها ألف بينما قرأها الكوفيون إلا حفصا وخلفا «وحرم» بكسر الحاء وتسكين الراء وحذف الألف (قال أبو شامة فى إبراز المعانى: «وحرم وحرام» لغتان كـ «حل وحلال»).

وروى عنه أبو العز القلانسى فى إرشاده السكت بين السورتين فخالف الكوفيين - قاله فى النشر.

(يراد بالسكت بين السورتين قطع الصوت زمنا يسيرا من

غير تنفس في آخر السورة مع حذف البسملة في أول السورة التالية) («رجال القراءات / ٣٢ ـ ٣٥).

ويضيف فضيلة الشيخ محمد الصادق قمحاوى إلى ما تقدم عن منهج الإمام خلف البزار فى القراءة ما يلى:

١ ـ يصل آخر السورة بأول التالية من غير بسملة كحمزة.

٢ ـ يقرأ بتوسط المدّين المتصل والمنفصل.

٣ ـ يقرأ بنقل حركة الهمزة إلى السين قبلها مع حذف الهمزة فى لفظ فعل الأمر من السؤال حيث وقع وكيف ورد إذا كان قبل السين واو نحو ﴿وسألوا الله من فضله﴾ [النساء: ٣٢] أو فاء نحو ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ [الأنبياء: ٧] (البحث والاستقراء/ ٩٣).

(البحث والاستقراء ـ محمد الصادق قمحاوى / ٥٠، ٥١، ٩٣، و«رجال القراءات: الإمام خلف البزار الكوفى ـ فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض مجلة الأزهر. الجزء الأول، السنة الحادية والستون، المحرم ١٤٠٩ هـ ـ أغسطس، سبتمبر ١٩٨٨ م/ ٣٢ ـ ٣٥».

انظر أيضا تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهاج كلٍّ فى القراءة ـ فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى بدون تاريخ / ٣١، وغاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤).

*** خلف بن إبراهيم الخاقانى (ـ٤٢٠ هـ):**

من شيوخ أبى عمرو الدانى، وعليه اعتمد فى قراءة ورش فى التيسير وغيره.

وهو خلف بن إبراهيم بن محمد بن جعفر بن خاقان: أبو القاسم المصرى المقرىء أحد الحذاق فى قراءة ورش. قرأ على أحمد بن أسامة التجيبى، وأحمد بن محمد بن أبى الرجاء ومحمد بن عبد الله المعافرى وأبى سلمة الحمراوى، وسمع من عبد الله بن جعفر الورد وأحمد بن محمد الرازى وابن أبى الموت وجماعة.

قال تلميذه أبو عمرو الدانى: كان ضابطا لقراءة ورش متقنا لها مجودا مشهورا بالفضل والنسك واسع الرواية صادق اللهجة كتبنا عنه الكثير من القراءات والحديث والفقه سمعته يقول: كتبت العلم ثلاثين سنة، وذهب بصره دهرا ثم عاد إليه توفى ٤٠٢ هـ.

(غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٧١، والمكتفى فى الوقف والابتدا للإمام أبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٢٥).

*** خلف بن محمد (٤٢١ ـ ٥٠٨ هـ):**

خلف بن محمد بن خلف أبو القاسم الأنصارى المعروف بابن العُريبى بضم المهملة وفتح الراء وآخر الحروف ساكنة ثم موحدة. من أهل المرية. أخذ عن أبى عمرو الدانى يسيرا، قرأ عليه أبو بكر بن نمارة وأبو العباس بن العريف (غاية النهاية ١ / ٢٧٢، والمكتفى / ٣٢)، روى عن أبى العباس أحمد بن عمرو العذرى وأبى بكر بن صاحب الأحباس وأبى على الغسانى وغيرهم وكان معتنيا بالآثار جامعا لها كتب بخطه علما كثيرا ورواه، وكان حسن الضبط أخذ الناس عنه بعض ما رواه، وكان شيخا أديبا، وكان يقرض الشعر وربما أجاد (المكتفى / ٣٢).

ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ومات سنة ثمان وخمسمائة (غاية النهاية ١ / ٢٧٢).

(غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٧٢، والمكتفى فى الوقف والابتدا للإمام أبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٢).

*** الخلفاء:**

عقد الخوارزمى صاحب مفاتيح العلوم الفصل الثانى فى ذكر الخلفاء وملوك الإسلام ونعوتهم وألقابهم فقال:

أولهم أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة يدعى خليفة رسول الله ﷺ ولقبه عتيق ونعته الصديق، ثم عمر بن الخطاب وهو الفاروق وهو أول من دعى أمير المؤمنين من الخلفاء، ثم عثمان بن عفان وهو ذو النورين، ثم على بن أبى طالب وهو الوصى. رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم بعدهم بنو أمية ولا نعوت لهم ولا ألقاب أولهم معاوية ابن صخر أبى سفيان بن حرب، ثم ابنه يزيد ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بن مروان ويلقب بأبى الذبان ثم الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم أخوه سليمان ابن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز بن مروان ويلقب بأشج بنى أمية ثم يزيد بن عبد الملك ثم أخوه هشام بن عبد الملك وهو أحول بنى أمية ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم يزيد

ابن الوليد بن عبد الملك ويلقب بالناقص ثم أخوه إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو آخرهم وكان يلقب بالحمار ويعرف بالجعدى.

ثم ولد العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليهم أجمعين أولهم عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وهو السفاح ثم أخوه عبد الله بن محمد وهو المنصور ثم ابنه محمد وهو المهدى ثم ابنه موسى وهو الهادى ثم أخوه هرون هو الرشيدى ثم ابنه محمد بن هارون وهو الأمين ثم أخوه عبد الله ابن هارون وهو المأمون ثم أخوه محمد أبو إسحاق بن هارون وهو المعتصم ثم ابنه هارون بن محمد وهو الواثق ثم أخوه جعفر وهو المتوكل ثم ابنه محمد بن جعفر وهو المنتصر ثم أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ثم الزبير بن المتوكل وهو المعتز ثم محمد بن الواثق وهو المهتدى ثم أحمد بن المتوكل وهو المعتمد والموفق كان ولى عهده وهو أخوه واسمه طلحة ثم أحمد بن الموفق وهو المعتضد ثم ابنه على وهو المكتفى ثم أخوه جعفر وهو المقتدر ثم أخوه محمد وهو القاهر ثم أبو العباس أحمد بن المقتدر ولقبه الراضى ثم أخوه إبراهيم وهو المتقى ثم عبد الله بن المكتفى وهو المستكفى ثم الفضل بن المقتدر وهو المطيع ثم ابنه عبد الكريم وهو الطائع (مفاتيح العلوم / ٦٦ ؛ ٦٧).

وللحافظ السيوطى قصيدة حافلة فى أسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها إلى المستعصم بالله قتيل التتار، وننقلها لك فيما يلى، وقد ختم بها كتابه «تاريخ الخلفاء».

قال رحمه الله:

الحمد لله حمدا لا نفاد له
وإنما الحمد حقا رأى من شكرا
ثم الصلاة على الهادى النبى، ومن
سادت بنسبته الأشراف والكبرا
إن الأمين رسول الله مبعثه
لأربعين مضت فيما رووا عمرا
وكان هجرته فيها لطيبته
بعد الثلاثة أعواما تلى عشرا
ومات فى عام إحدى بعد عشرتها
فيا مصيبة أهل الأرض حين سرى
وقام من بعده الصديق مجتهدا
وفى ثلاثة عشر بعده قبرا
وهو الذى جمع القرآن فى صحف
وأول الناس سمى المصحف الزبرا
وقام من بعده الفاروق ثمت فى
عشرين بعد ثلاث غيبوا عمرا
وهو الذى اتخذ الديوان، وافتراض الـ
ـعطاء، قيل: وبيت المال والدررا
سن التراويح والتاريخ، وافتتح الـ
ـفتوح جما، وزاد الحد من سكرا
وهو المسمى أمير المؤمنين، ولم
يدعى به قبله شخص من الأمرا
وقام عثمان حتى جاء مقتله
بعد الثلاثين فى ست وقد حُصرا
وهو الذى زاد فى التأذين أوله
فى جمعة، وبه رزق الأذان جرى
وأول الناس ولى صحب شرطته
حمى الحمى أقطع الإقطاع إذ كثرا
وبعد قام على، ثم مقتله
لأربعين فمن أرداه قد خسرا
ثم ابنه السِّبط نصف العام، ثم أتى
بنى أمية يبغون الوغى زُمرا
فسلم الأمر فى إحدى؛ لرغبته
عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا
وكان أول ذى ملك معاوية
فى النصف من عام ستين الحمام عُرا
وهو الذى اتخذ الخصيان من خدم
كذا البريد ولم يسبقه من أمرا
واستخلف الناس لما أن يبايعهم
والعهد قبل وفاة لابن له ابتكرا
ثم اليزيد ابنه أخبث به ولدا
فى أربع بعدها ستون قد قبرا
وابن الزبير، وفى سبعين مقتله
بعد الثلاث، وكم بالبيت قد حصرا

وفى ثمانين مع ست تليه قضى
عبد المليك له الأمر الذى اشتهرا
ضرب الدنانير فى الإسلام معلمة
وكسوة الكعبة الديباج مؤتجرا
وهو الذى منع الناس التراجع فى
وجه الخليفة مهما قال أو أمرا
وأول الناس هذا الاسم سُمِّيَهُ
وأول الناس فى الإسلام قد غدرا
ثم الوليد ابنه فى قبل مارجب
فى الست من بعد تسعين انقضى عمرا
وهو الذى منع الناس النداء له
باسم، وكانت تنادى باسمها الأمُرا
وقام بعد سليمان الخيار وفى
تسع وتسعين جاء الموت فى صفرا
وبعده عمر ذاك النجيب، وفى
إحدى تلى مائة قد ألحدوا عمرا
وهو الذى أمر الزهرى خوف ذها
ب العلم أن يجمع الأخبار والأثرا
ثم اليزيد، وفى خمس قضى، وتلا
هشام فى الخمس والعشرين قد سطرا
ثم الوليد، وبعد العام مقتله
من بعد ماجاء بالفسق الذى شُهِرا
ثم اليزيد، ولى ذا العام مات، وقد
أقام ست شهور مثل ما أثرا
وبعده قام إبراهيم، ثم مضى
بالخلع سبعين يوما قد أقام ترى
وبعده قام مروان الحمار، وفى
ثنتين بعد ثلاثين الدماء جرى
وقام من بعده السفاح ثم قضى
بعد الثلاثين فى ست وقد جُدرا

وقام من بعده المنصور، ثمت فى
خمسين بعد ثمان محرما قُبرا
وهو الذى خص أعمالا مواليه
وأهمل العرب حتى أمرهم دثرا
ثم ابنه ـ وهو المهدى ـ مات لدى
تسع وستين مسموما كما ذكرا
ثم ابنه ـ وهو الهادى ـ وموتته
فى عام سبعين لما هَمَّ أن غدرا
ثم الرشيد، وفى تسعين تاليه
ثلاثة مات فى الغزو الرفيع ذرا
ثم الأمين، وفى تسعين تاليه
ثمانيا جاءه قتل كما قدرا
وقام من بعده المأمون، ثمت فى
ثمان عشرة كان الموت فاعتبرا
وقام معتصم من بعده، وقضى
فى عام سبع وعشرين الذى أثرا
وهو الذى أدخل الأتراك منفردا
ديوانه، واقتناهم جالبا وَشرا
ثم ابنه الواثق المالى الورى رُعْبا
وفى ثلاثين مع ثنتين قد غبرا
وذو التوكل ما أزكاه من خلف
ومظهر السنة الغراء إذ نصرا
فى عام سبع يليها أربعون قضى
قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا
فلم يقم بعده إلا اليسير كما
قد سنه الله فيمن بعضه غدرا
والمستعين، وفى عام اثنتين تلى
خمسين خلع وقتل جاءه زمرا
وهو الذى أحدث الأكمام واسعة
وفى الثلاثين عن طول أتى قصرا

وقام من بعده المعتز، ثمت فى
خمس وخمسين حقا قتله أثرا
والمهتدى الصالح الميمون مقتله
من بعد عام، وقفى قبله عمرا
وقام من بعده بالأمر معتمد
فى عام تسع وسبعين الحمام عرا
وذاك أول ذى أمر له حجروا
وأول الناس موكولا به قهرا
وقام من بعده بالأمر معتضد
وفى ثمانين مع تسع مضت قُبرا
ثم ابنه المكتفى بالله أحمد فى
خمس وتسعين سبحان الذى قدرا
فى عام عشرين فى شوال بعد مثى
ثلاثة مقتل المدعوّ مقتدرا
وبعده القاهر الجبار مخلعه
فى اثنتين وعشرين وقد سمرا
وقام من بعده الراضى، ومات لدى
تسع وعشرين وانسب عنده أجرا
والمتقى ومضى بالخلع منسملا
من بعد أربعة الأعوام فى صفرا
وقام بالأمر مستكفيهم، وقفا
من بعد عام لأمر المتقى أثرا
ثم المطيع، وفى ستين يتبعها
ثلاثة فى أخير العام قد عبرا
ثم ابنه الطائع المقهور، مخلعه
عام الثمانين مع إحدى كما أثرا
ثم الإمام أبو العباس قادرهم
فى اثنين من بعد عشرين مضت قبرا
ثم ابنه قائم بالله مات لدى
سبع وستين من شعبان قد سطرا

والمقتدى مات فى سبع بأولها
بعد الثمانين جد الملك واقتدرا
وقام من بعده مستظهر، وقضى
فى سادس القرن ثنتين تلى عشرا
وقام من بعده مسترشد، ولدى
تسع وعشرين فيه القتل حل عرا
ثم ابنه الراشد المقهور مخلعه
من بعد عام فلا عين ولا أثرا
والمقتفى مات من بعد التمكن فى
خمس وخمسين وانقادت له النُّصرا
وقام من بعده مستنجد، وقضى
من بعد ستين فى ست وقد شعرا
والمستضىء بأمر الله مات لدى
خمس وسبعين بالإحسان قد بَهَرا
وقام من بعده بالأمر ناصرهم
ومات ثنتين مع عشرين إذ كبرا
وقام من بعده بالأمر ظاهرهم
تسعا شهورا فأقلل مدة قصرا
وقام من بعده مستنصر، وقضى
لأربعين وكم يرثيه من شعرا
وقام من بعده مستعصم ولدى
ست وخمسين كان الفتنة الكبرا
جاء التتار فأردوه وبلدته
فيلعن الله والمخلوقة التترا
مرت ثلاث سنين بعده، ويلى
نصف ودهر الورى من قائم شغرا
وقام من بعد ذا مستنصر، وثوى
فى آخر العام قتلا منهم وسرى
أقام ست شهور ثم راح لدى
مهَلّ ستين لم يبلغ بها وطرا

وقام من بعده فى مصر حاكمهم
على وهى لا كمن من قبله غبرا
ومات فى عام إحدى بعد سبع مئى
وقام من بعد مستكفيهم وجرى
فى أربعين قضى إذ قام واثقهم
ففى اثنتين مضى خلعا من الأمرا
وقام حاكمهم من بعده، وقضى
عام الثلاث مع الخمسين معتبرا
وقام من بعده بالأمر معتضد
وفى الثلاثة والستين قد عبرا
وذو التوكل يتلوه أقام إلى
بعد الثمانين في خمس وقد حصرا
وبايعوا واثقا بالله، ثمت فى
عام الثمان قضى وسمه عمرا
وبايعوا بعده بالله معتصما
لعام إحدى وتسعين أزيل ورا
وذو التوكل ردوه، أقام إلى
ذا القرن عام ثمان منه قد قبرا
فى عهده زيد من بعد الأذان على
خير النبيين تسليم كما أمرا
وأحدث السمة الخضراء للشرفا
ياحسنها من سمات بوركت خضرا
أولاده منهم خمس مبجلة
جاءوا الخلافة إذ كانت لهم قدرا
فالمستعين وآل الأمر أن خلعوا
في شهر شعبان فى خمس تلى عشرا
وقام من بعده بالأمر معتضد
لأربعين تليها الخمسة احتضرا
وقام بالأمر مستكفيهم، وقضى
فى عام الاربع والخمسين مصطبرا

وقام قائمهم من بعد ثمت فى
تسع وخمسين بعد الخلع قد حصرا
وقام من بعده مستنجد دهرا
خليفة العصر رقاه الإله ذرى
وليس يعرف فى الأعصار قبلهم
خمس ولوا إخوة بل أربع أمرا
ولا شقيقان إلا غير خامسهم
كذا الرشيد مع الهادى كما ذكرا
كذا سليمان من بعد الوليد، كذا
نجلا الوليد يزيد والذى أثرا
وما تكرر فى بغداد من لقب
ولا تلا ابن أخ عمٌ خلا نفرا
اثنان فالمقتفى عن راشد، وكذا
مستنصر بعد مقتول التتار عرا
أولئك القوم أرباب الخلافة، خذ
سبعين من غير نقص عدها حصرا
من الصحابة سبع كالنجوم، ومن
بنى أمية اثنان تلى عشرا
ولم أعد أبا عبد المليك؛ فذا
باغ كما قاله من أرخ السيرا
وعدة من بنى العباس شامخة
إحدى وخمسون لا قلت لهم نصرا
تبقى الخلافة فيهم كى يسلمها ال
مهدى منهم إلى عيسى كما أثرا
وبعد نظمى هذا النظم فى مدد
قضى خليفتنا المذكور مصطبرا
فى عام الأربع فى شهر المحرم من
بعد الثمانين يوم السبت قد قبرا
وبويع ابن أخيه بعده، ودعى
بذى التوكل كالجد الذى شهرا

ولم يسم إمام في الأولى سبقوا
عبد العزيز سواه فاسمه ابتكرا
فالله يبقيه ذا عز، ويحفظه
وجعل الملك في أعقابه زُمرا
ومات عام ثلاث بعد تسع مئي
سلخ المحرم عن عهد لمن سطرا
لنجله البر يعقوب الشريف، وقد
لقب مستمسكا بالله في صفرا

(تاريخ الخلفاء/ ٥١٧_٥٢٢).

هذا وقد ذكر الإمام السيوطي قبل بداية قصيدته هذه أن بعض الأقدمين عمل أرجوزة في أسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها إلى أيام المعتمد.

وقد أورد الإمام بدر الدين العيني في عقد الجمان ضمن أحداث سنة ٦٥٦ هـ مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله على أيدي التتار أرجوزة قال إنها لبعض الفضلاء وإن الناظم ذكر فيها جميع الخلفاء، وهذه هي الأبيات:

الحمد لله العظيم عرشه
القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والدهور
وجامع الأنام للنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد
على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الكرام
السادة الأئمة الأعلام
وبعد هذا هذه أرجوزه
نظمتها لطيفة وجيزه
نظمت فيها الراشدين الخلفا
من قام بعد النبي المصطفى
ومن تلاهم وهلم جرا
جعلتها تبصرة وذكرا
ليعلم العاقل ذو التصوير
كيف جرت حوادث الأمور
وكل ذي مقدرة وملك
معرضون للفناء والهلك
وفي اختلاف الليل والنهار
تبصرة لكل ذي اعتبار
والملك للجبار في بلاده
يورثه من شاء من عباده
وكل مخلوق فللفناء
وكل ملك فإلى انتهاء
ولا يدوم غير ملك الباري
سبحانه من ملك قهار
منفرد بالعز والبقاء
وما سواه فإلى انقضاء
أول من بويع بالخلافه
بعد النبي ابن أبي قحافه
أعني الإمام العادل الصديقا
ثم ارتضى من بعده الفاروقا
ففتح البلاد والأمصارا
واستأصلت سيوفه الكفارا
وقام بالعدل قياما يرضي
بذاك جبار السما والأرض
ورضي الناس بذي النورين
ثم علي والد السبطين
ثم أتت كتائب مع الحسن
كادوا بأن يجددوا بها الفتن
فأصلح الله على يديه
كما عزا نبينا إليه
وأجمع الناس على معاويه
ونقل القصة كل راويه
فمهّد الملك كما يريد
وقام فيه بعده يزيد

ثم ابنه وكان برًّا راشدا … مقتديا بسنة الرسول
أعني أبا ليلى وكان زاهدا … والراشدين من ذوي العقول
فترك الإمرة لا عن غلبه … فجرع الإسلام كاس فقده
ولم يكن منه إليها طلبه … ولم يروا مثلا له من بعده
وابن الزبير بالحجاز يدأب … ثم يزيد بعده هشام
فى طلب الملك وفيه ينصب … ثم الوليد فت منه الهام
وبالشام بايعوا مروانا … ثم يزيد وهو يدعى ناقصا
بحكم من يقول كن فكانا … فجاءه حمامه معافصا
فلم يدم فى الملك غير عام … ولم يصل مده إبراهيما
وعافصته أسهم الحمام … وكان كل أمره سقيما
واستوسق الملك لعبد الملك … وأسند الملك إلى مروانا
وثار نجم سعده فى الفلك … فكان من أموره ما كانا
وكل من نازعه فى الملك … وانقرض الملك على يديه
خر صريعا بسيوف الهلك … وحادث الدهر سطا عليه
فقُتل المصعب بالعراق … وقتله قد كان بالصعيد
وسير الحجاج ذا الشقاق … ولم تفده كثرة العديد
إلى الحُجاز بسيوف النقم … وكان فيه حتف آل الحكم
وابن الزبير لائذ بالحرم … واستنزعت عنهم ضروب النعم
فجاء بعد قتله فصلبه … ثم أتى ملك بنى العباس
ولم يخف فى أمره من ربه … لازال فينا ثابت الأساس
وعند ما صفت له الأمور … وجاءت البيعة من أرض العجم
تقلبت لحينه الدهور … وقلدت بيعتهم كل الأمم
ثم أتى من بعده الوليد … فكل من نازعهم من الأمم
ثم سليمان الفتى الرشيد … خر صريعا لليدين والفم
ثم استفاض فى الورى عدل عمر … وقد ذكرت من تولى منهم
تابع أمر ربه كما أمر … حتى تولى القائم المستعصم
وكان يدعى بأشج القوم … أولهم ينعت بالسفاح
وذى الصلاة والتقى والصوم … وبعده المنصور ذو النجاح
فجاء بالعدل وبالإحسان … ثم أتى من بعده المهدى
وكف أهل الظلم والطغيان … يتلوه موسى الهادى الصفى

وجاء هارون الرشيد بعده
ثم الأمين حين ذاق بعده
وقام بعد قتله المأمون
وبعده المعتصم المسكين
واستخلف الواثق بعد المعتصم
ثم أخوه جعفر مسوف كرم
وأخلص النية في التوكل
لله ذي العرش القديم الأول
فأدحض الباطل في زمانه
وقامت السنة في أوانه
ولم يبق بدعة مضله
وألبس المعتزلي ذله
فرحمة الله عليه أبدا
ما غار نجم في السماء وبدا
وعندما استشهد قام المنتصر
والمستعين بعده كما ذكر
وجاء بعد موته المعتز
والمهتدي المكرم الأعز
وبعده استولى وقام المعتمد
ومهد الملك وساس المعتضد
والمكتفي في صحف العلياء سطر
وبعده ساس الأمور المقتدر
واستوسق الملك بعز القاهر
وبعده الراضي أخو المفاخر
والمتقي من بعد والمستكفي
ثم المطيع ما به من خلف
والطائع الطائع، ثم القادر
القائم الزاهد وهو الشاكر
والمقتدي من بعده المستظهر
ثم أتى المسترشد الموقر
وبعده الراشد، ثم المقتفي
وحين مات استنجدوا بيوسف
والمستضيء العادل في أفعاله
الصادق المصدوق في أقواله
والناصر الشهم الشديد الباس
ودام طول مكثه في الناس
ثم تلاه الظاهر الكريم
وعدله كل به عليم
ولم تطل أيامه في المملكه
غير شهور واعترضته الهلكه
وعهده كان إلى المستنصر
العادل البر الكريم المغتفر
دام يسوس الناس سبع عشره
وأشهرا بعزمات بره
ثم توفي عام أربعينا
وفي جمادى صادف المنونا
وبايع الخلائق المستعصما
صلى عليه ربنا وسلما
يبعث نجب الرسل في الآفاق
يقضون بالبيعة والوفاق
وشرفوا بذكره المنابرا
ونشروا من جوده المفاخرا
وسار في الآفاق حسن سيرته
وعدله الزائد في رعيته

تمت الأرجوزة.

وقال ابن كثير رحمه الله: وقلت أنا بعد ذلك:

ثم ابتلاه الله بعد بالتتار
أتباع جنكز الخان الجبار
صحبة ابن ابن له هلاكو
فلم يكن من أسره فكاك

فمـــــزقـــــوا جنــــــوده وشملـــــه
وقتلــــــوه نفســــــه وأهلـــــه
ودمــــــــروا بغـــــداد والبـــــلادا
وقتلـــــوا الأجنـــــاد والأولادا
وانتهبــــوا المـــال مع الحـــريم
ولـم يخـــافـــوا سطـــوة العظيم
وغـــــرهم إنظـــــاره وحلمــــه
ومـــا اقتضـــاه عـــدلــه وحكمــه

(عقد الجمان ١ / ٢١٠ـ٢١٦).

(مفاتيح العلوم للخوارزمى / ٦٦، ٦٧، وتاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد / ٥١٧ ـ ٥٢٢، وعقد الجمان لبدر الدين محمود العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ٢١٠ ـ ٢١٦).

ونوافيك فى المواد التالية ببيان عن الخلفاء وفقا لعصورهم على النحو التالى :

١ ـ الخلفاء الراشدون.

٢ ـ الخلفاء الأمويون، وهؤلاء أوردناهم فى مادة «بنو أمية» فى م ٧ / ٥١٢ ـ ٥٢٣ فارجع إليها.

٣ ـ الخلفاء العباسيون.

٤ ـ الخلفاء الفاطميون.

*** الخلفاء الأمويون:**

انظر مادة «بنو أمية» فى م ٧ / ٥١٢ ـ ٥٢٣.

*** الخلفاء الراشدون:**

١ ـ أبو بكر، عبد الله عتيق، الصديق ....

١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ.

٢ ـ عمر بن الخطاب ، الفاروق ....

٢٢ جمادى الآخرة ١٣ هـ.

٣ ـ عثمان بن عفان ، ذو النورين ....

٢٩ ذى الحجة ٢٣ هـ.

٤ ـ على بن أبى طالب، المرتضى ....

١٧ ذى الحجة ٣٥ هـ.

(معجم الأنساب / ١).

ويأتى ذكر الخلفاء الراشدين وبيعتهم رضى الله عنهم فى الباب الثانى من الجزء الثانى من كتاب تيسير الوصول للإمام ابن الديبع ، وهو باب مطول (من ص ٣٩ إلى ٥٢) فارجع إليه إن شئت.

وقد أوردنا ترجمة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى م ٧ / ٣٥٤ ـ ٣٦٥، ونورد تراجم بقية الخلفاء الراشدين فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

(قال ابن طباطبا ـ والأمر كما قال ـ : «فأما خلافة الأربعة الأول... فإنها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية فى جميع الأشياء كان أحدهم يلبس الثوب من الكرباس الغليظ، وفى رجله نعلان من ليف، وحمائل سيفه ليف، ويمشى فى الأسواق كبعض الرعية... وكانوا يعدون هذا من الدين الذى بعث به النبى صلوات الله عليه وسلام» (تاريخ الدول الإسلامية / ٢٩).

ويتكلم اليعقوبى المؤرخ فى كتابه الموسوم بمشاكلة الناس لزمانهم عن الخلفاء من ناحية أثر سلوكهم على الرعية فحيثما كانت القدوة صالحة صلح حال المقتدون. وفيما يلى ما أورده عن الخلفاء الراشدين من هذه الناحية. قال رحمه الله :

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله :

فأما الخلفاء وملوك الإسلام، فإن المسلمين فى كل عصر تبع للخليفة، يسلكون سبيله، ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله.

أبو بكر:

(كانت بيعته رضى الله عنه كما هو مبين أعلاه يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ١١ هـ).

فكان أبو بكر بعد رسول الله ﷺ أزهد الناس، وأشدهم تواضعا وتقللا فى لباسه، وكان يلبس ـ وهو خليفة ـ الشملة والعباءة. وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود الوشى والحبر، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم، وذهبوا مذهبه، واقتفوا أثره.

وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبى بكر فى عشيرته وقومه وعليه التاج ، وكان له عشيرة ألف عبد خولا فى مخاليفه ، فلما رأى لباس أبى بكر قال : ما ينبغى أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله ﷺ ، فنزع لباسه الأول ، وتشبه بأبى بكر، حتى إنه رئى فى سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفاه ، فقالت له عشيرته وقومه : فضحتنا ! أنت سيدنا ! تحمل جلد شاة بين المهاجرين والأنصار؟ .

قال : أفأردتم منى أن أكون جبارا فى الجاهلية جبارا فى الإسلام؟ .

وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج ، ويُحيا بتحية الملوك فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبى قحافة تواضع بعد التكبر، وتذلل بعد التجبر، حتى كان يشد عليه شملة خلقة ، ثم يهنأ البعير بيده ، تشبها بأبى بكر، وإطراحا للأخلاق التى كان عليها فى الجاهلية .

وكان أبو بكر رحمه الله ، لا يحمل أحدا من الأشراف على التجاوز، حتى إنه بلغه عن أبى سفيان بن حرب أمر يكرهه ، فدعا به ، فجعل يصيح عليه وأبو سفيان يتذلل له ، ويتواضع بين يديه ، وأقبل أبو قحافة يقوده قائده ــ وكان قد عمى ـ فسمع صياح أبى بكر، فقال لقائده : على من يصيح أبو بكر؟ قال : على أبى سفيان بن حرب . قال : أبا عتيق ! أعلى أبى سفيان ترفع صوتك؟ لقد تعديت طورك ! فقال : يا أبت إن الله قد رفع بالإسلام قوما ووضع آخرين ! .

عمر رضى الله عنه :

(ولى عمر رضى الله عنه الخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وقيل لسبع بقين منها سنة ١٣ هـ) .

وكان عمر بن الخطاب رحمه الله ــ مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه ـ شديدا فى ذات الله ، فكان عماله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون به ولا يفارق أحد مذهبه من أصحاب رسول الله ﷺ .

(وحسبه من خشونة ملبسه ما أخبربه أنس : لقد رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميص له ، وما ذكره أبو محصن الطائى : رئى على عمر بن الخطاب وهو يصلى إزار فيه رقاع بعضها من أدم وهو أمير المؤمنين) .

أما عيشه ، فعن الحسن قال : كلموا حفصة أن تكلم أباها أن يلين من عيشه شيئا ، فقالت : يا أبتاه ، أو يا أمير المؤمنين ، إن قومك كلمونى أن تلين من عيشك : فقال : غششت أباك ونصحت لقومك) .

وكان يلبس الجبة الصوف ، ويشتمل بالعباءة ، ويهنأ البعير، ويحمل قربة الماء على ظهره لأهله ، وكان العامل من عماله وهم أمراء الأمصار ــ وقد فتح الله عليهم ، وخولهم ، ومكن لهم ، وأغناهم ، وكفاهم يتحفون ، ويخلعون النعال ويلبسون الخفاف ، ويلبسون غلاظ الثياب ، وإذا قدموا عليه قدموا شعثا ، غبرا ، غلاظا ثيابهم ، شحبة ألوانهم . فإن رآهم ، أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم ، وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر، وسلوك فعله ، وما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ ، حتى إنه رئى على أبى عبيدة بن الجراح ـ وهو أمير الشام وقد فتحها الله عليه ـ جبة صوف قد تغيرت رائحتها ، فقال أبو عبيدة : لقد جلست إلى رسول الله ﷺ فيما هو أشد رائحة من هذا فما أنكره .

(جاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق الأستاذ محمد كمال الدين عز الدين :

الحق أن الإسلام لم يفرض هذا الزهد البالغ فى طيبات الحياة من الحلال على أحد ، وقد كان النبى ﷺ ــ وهو إمام الأمة وهاديها إلى الحق ـ أطيب الناس جسما وثوبا ، وكان يرى وبيص الطيب فى مفرقه . وإنما هى شدة الخوف من الدنيا وشدة الرجاء فى نعيم الآخرة ، قد صرفت الهمم عما أحل لها ، لا تحريما لما أحل الله ، بل تواضعا لجلاله ورجاء لما عنده ، وحسب أبى عبيدة إشفاقا من الدنيا على شدة بلائه أن يقول : وددت أنى كبش فذبحنى أهلى فأكلوا لحمى وحسوا مرقى ! رضى الله عن أمين هذه الأمة أبى عبيدة بن الجراح) .

وكان سلمان الفارسى عامل عمر بن الخطاب على المدائن ، وكان يلبس غليظ الثياب ، ويركب الحمارة ببرذعة مرسنة بحبل ليف . وحضرته الوفاة ، فأتاه سعد بن أبى وقاص فقال له : أوصنى يا أبا عبد الله ! فقال : نعم . اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت ! وجعل سلمان يبكى ! فقال له : يا أبا عبد الله ، ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن فى الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون ! » وأرى هذه الأساور حولى ! فنظرنا فما رأينا فى بيته إلا إداوة ، أو ركوة ، أو قدرا ، أو مطهرة .

(فى طبقات ابن سعد «حدثنا أبو المليح عن حبيب بن أبى مرزوق عن هريم قال: رأيت سلمان الفارسى على حمار عرى، وعليه قميص سنبلانى قصير ضيق الأسفل ـ وكان رجلا طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريبا من ركبته. قال: ورأيت الصبيان يحضرون خلفه، فقلت: ألا تنحون عن الأمير؟ فقال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم» ٢ / ٦٢ ـ الجزء الرابع ـ طبقات ابن سعد).

وولى عمر بن الخطاب عمير بن سعد الأنصارى جند حمص، فأقام حولا ثم انصرف على جمله، على الحال التى مضى من عند عمر بها، فقال عمر: ويح قوم وليت عليهم ما عرفوا لك حقا! أو كما قال.

عثمان رضى الله عنه:

وكان عثمان بن عفان رحمه الله فى السماحة، والجود، وصلة الأرحام ورفع القرابة، واتخاذ المال، على ما كان عليه، فامتثل الناس فعله، فبنى عثمان داره بالمدينة، وأنفق عليها مالا جليلا، وشيدها بالحجارة، وجعل على أبوابه مصاريع الساج، واتخذ أموالا بالمدينة وعيونا وإبلا.

(عن عبيد الله بن دارة: كان عثمان رجلا تاجرا فى الجاهلية والإسلام، وكان يدفع ماله قراضا. وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عثمان دفع إليه مالا مضاربة على النصف (٢ / ٤١ جـ٣ الطبقات) فلا عجب أن يصنع عثمان رضى الله عنه ما صنع، والله تعالى لم يحرم الكسب الحلال والاستمتاع بالطيبات من الرزق مع أداء حقه تعالى منها)...

وفى أيام عثمان اتخذ أصحاب رسول الله ﷺ (يعنى أغنياؤهم) الأموال، وبنوا الدور، فبنى الزبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة، وفيها الأسواق والتجارات، وبنى الزبير أيضا دارا بالكوفة. ودارا بمصر، ودارا بالإسكندرية... وبنى طلحة بن عبيد الله دورا وعقارات... وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسعها...

وبنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق (وهو من أعظم وديان المدينة) فشيدها وجعل لها شرفات.

وبنى المقداد قصره بالجرف (قرب المدينة) باللبن، وجصص باطنه وظاهره، وجعل له شرفات، ولم يفعل هذا أحد من الناس على عهد عمر، وإنما فعلوه بعده.

على:

وكان على بن أبى طالب عليه السلام مشغلا أيامه كلها بالحرب، إلا أنه لم يلبس ثوبا جديدا، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال إلا ما كان له بينبع، ... فما تصدق به، وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب بأربعمائة خطبة حفظت عنه، وهى التى تدور بين الناس، ويستعملونها فى خطبهم وكلامهم.

(ذكر المسعودى أن تركته كانت سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما لأهله. وقيل: ترك لأهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه).

(ص ٦٠٩ ـ المجلد الأول طبعة التحرير سنة ١٩٦٦ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

على أنه رضى الله عنه جعل ما كان له فى ينبع وغيرها صدقة جارية كما ورد فى وصيته التى ذكرها عبد الرزاق فى مصنفه ١٠/ ٣٧٤) (مشاكلة الناس لزمانهم / ١٣٩ ـ ١٤٤، و ط دار الكتاب الجديد بيروت / ٩ ـ ١٥).

ويسجل أمير الشعراء أحمد شوقى فى أرجوزته التاريخية الحافلة فضائل الخلفاء الراشدين مما ننقله لك فيما يلى، ونتبع الأبيات بشرح معانى بعض الألفاظ. وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها. قال الناظم رحمه الله:

١ ـ *الخلفاء الراشدون أربعة*
مرضية سنتهم متبعة

٢ ـ *فى الذكر لم يغفل لهم حديث*
وذكرهم سيّره الحديث

٣ ـ *العمران وابن أروى وعلى*
فى الذروة الشماء والأوج العلى

٤ ـ *خلائف الله أئمة الهدى*
وطأ للحق بهم ومهّدا

٥ ـ *كلهمو ابن أمسه ويومه*
عماد داره عميد قومه

٦ ـ *هم النجوم فى سماء غالب*
ومطالع الهادى المنير الغالب

٧ ـ نماهمو كما نماه فهر
فبينهم واشجة وصهر
٨ ـ معادن الوفاء والإخاء
صحابة الشدة والرخاء
٩ ـ ما منعوا الله ولا نبيه
قياد نفس سمحة أبيه
١٠ ـ وما الحواريون خلف عيسى
أحث منهم للنجاة عيسا

***

١١ ـ رعاة شاء وتجار مال
كالرسل في هذا وفي الكمال
١٢ ـ قد كفلوا الإسلام في صباه
فأيهم نادى دعى أباه
١٣ ـ بالنفس والنفيس أيدوه
وبالقنا والرأي شيدوه
١٤ ـ وأمنوا ديك الهدى فصاحا
وآمنوا بفجره مُنصاحا
١٥ ـ كلهمو فيه المجيب الأول
عطوه غايات الرضى ونولوا
١٦ ـ فاسبق إذا الحق دعا مستنصرا
وكن إذا عد الحماة الخنصرا
١٧ ـ ما حمل النفس على الأشق
كقائل الصدق وحامي الحق
١٨ ـ حتى جبا الأرض إليهم من جبا
وملكوا الدنيا فكانوا أعجبا
١٩ ـ حدّث عن الخليفة الخميص
والملك المخرّق القميص
٢٠ ـ مثل الجواد زانه الإضمار
والشمس زادت حسنها الأطمار
٢١ ـ لا يعقدون في الجباه العسجدا
بل التراب للمليك سجدا
وتحت أقدامهم التيجان
ينـدبها اللؤلؤ والمرجان
كسرى ببطن الأرض عطل المفرق
وقيصر يندب تاج المشرق!

وفيما يلي شرح بعض الألفاظ :

البيت ٣ : ابن أروى : عثمان .

البيت ٧ : فهر: هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول .

البيت ١٠ : عيسا : العيس: الإبل، أى هربا من الدنيا وطلبا للآخرة .

البيت ١٩ : الخميص : الجائع (دول العرب وعظماء الرجال/ ٣٣، ٣٤).

(معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ـ زامباور ـ أخرجه د. زكي محمد حسن وزملاؤه / ١، و «مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر» لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ـ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين . مجلة معهد المخطوطات العربية م ٢٦ جـ ١ . جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ ـ مايو ١٩٨٠ م/ ١٣٩ ـ ١٤٤، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص، وطبعة دار الكتاب الجديد ـ تحقيق وليم ملورد / ٩ ـ ١٥ ؛ ودول العرب وعظماء الإسلام ـ نظم أحمد شوقي بك / ٣٣، ٣٤).

* **الخلفاء العباسيون:**

الخلفاء جمع خليفة . وكان الخليفة العباسي يقيم في بغداد، وقد انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر من بغداد زمن سلاطين المماليك، وكانت اسمية فقط وكان الخليفة العباسي شبه سجين لا حول له ولا قوة ولا يظهر إلا في الاحتفالات الدينية . وكانوا في أول أمرهم في بغداد هم الذين يقومون بالحكم في الممالك الإسلامية (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢١).

وفيما يلي بيان بأسمائهم وتواريخ ولاية كل منهم، ونتبعه ببيان لوزرائهم :

(أ) الخلفاء:

١ ـ أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد ....
١٣ ربيع الأول ١٣٢ .

٢ ـ أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد ....
١٣ ذى الحجة ١٣٦ .

٣ ـ أبو عبد الله محمد المهدى بن المنصور ....
٦ ذى الحجة ١٥٨ .

٤ ـ أبو محمد موسى الهادى بن المهدى ....
٢٢ المحرم سنة ١٦٩ هـ.

٥ ـ أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدى ....
١٦ ربيع الأول ١٧٠ .

٦ ـ أبو موسى محمد الأمين بن الرشيد ....
٣ جمادى الآخرة ١٩٣ .

٧ ـ أبو جعفر عبد الله المأمون بن الرشيد ....
٢٦ المحرم ١٩٨ .

إبراهيم المبارك بن المهدى، إلى ١٥ ذى الحجة ٢٠٣ ......
٥ المحرم ٢٠٢ .

٨ ـ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن الرشيد ....
١٦ رجب ٢١٨ .

العباس بن المأمون، نودى به خليفة بدمشق ....
٢١٨ .

محمد بن القاسم، المدعى العلوى ....
٢١٨ .

٩ ـ أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم ....
١٨ ربيع الثانى ٢٢٧ .

١٠ ـ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم ....
٢٣ ذى الحجة ٢٣٢ .

١١ ـ أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل ....
٤ شوال ٢٤٧ .

١٢ ـ أبو العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم ....
٣ ربيع الثانى ٢٤٨ .

١٣ ـ أبو عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل، قتل ....
٤ المحرم ٢٥٢

١٤ ـ أبو إسحاق محمد المهتدى بالله بن الواثق، قتل ....
٢٧ رجب ٢٥٥

١٥ ـ أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن المتوكل ....
١٨ رجب ٢٥٦ .

١٦ ـ أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل .
٢٠ رجب ٢٧٩ .

١٧ ـ أبو محمد على المكتفى بالله بن المعتضد ....
٢٢ ربيع الثانى ٢٨٩ .

١٨ ـ أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد ....
١٢ ذى القعدة ٢٩٥ .

أبو العباس عبد الله المرتضى بن المعتز ....
٢١ ربيع الأول ٢٩٦ .

أبو منصور محمد القاهر ....
١٥ المحرم ٣١٧ .

١٩ ـ أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد ....
٢٧ شوال ٣٢٠ .

٢٠ ـ أبو العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر ....
٦ جمادى الأولى ٣٢٢ .

٢١ ـ أبو إسحاق إبراهيم المتقى لله بن المقتدر ....
٢٠ ربيع الأول ٣٢٩ .

٢٢ ـ أبو القاسم عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى ....
٢٠ صفر ٣٣٣ .

٢٣ ـ أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر ....
١٢ جمادى الآخرة ٣٣٤ .

٢٤ ـ أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع ....
١٣ ذى القعدة ٣٦٣ .

٢٥ ـ أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر... .
١٩ رجب سنة ٣٨١ هـ.

٢٦ ـ أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر ....
١١ ذى الحجة ٤٢٢ .

ثورة البساسيرى .... ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

٢٧ ـ أبو القاسم عبد الله عدة الدين المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم ....١٣ شعبان ٤٦٧ .

٢٨ ـ أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدى ....
١٥ المحرم ٤٨٧ .

٢٩ ـ أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر ....
١٦ ربيع الثانى ٥١٢ .

٣٠ ـ أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد ....
١٧ ذى القعدة ٥٢٩ .

٣١ ـ أبو عبد الله محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر ....
١٨ ذى القعدة ٥٣٠ .

٣٢ ـ أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفى......................
٢ ربيع الأول ٥٥٥ .

٣٣ ـ أبو محمد الحسن المستضىء بأمر الله بن المستنجد...............
٩ ربيع الثانى ٥٦٦ .

٣٤ ـ أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء ....
٢ ذى القعدة ٥٧٥ .

٣٥ ـ أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر ....
٣٠ رمضان ٦٢٢ .

٣٦ ـ أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر.....................
١٤ رجب ٦٢٣ .

٣٧ ـ أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر قتله هولاكو فى ١٤ صفر ٦٥٦ ....١٠ جمادى الآخرة ٦٤٠ .

الخلفاء العباسيون فى مصر:

١ ـ أبو القاسم أحمد المستنصر بن الظاهر ....
١٣ رجب ٦٥٩ .

٢ ـ أبو العباس أحمد الحاكم [الأول] بن الحسين (القبى) ....
٨ المحرم ٦٦١ .

٣ ـ أبو ربيعة سليمان المستكفى [الأول] بن الحاكم.................
جمادى الأولى ٧٠١ .

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم الواثق [الأول] بن المستمسك بن الحاكم ....٦ ذى القعدة ٧٤٠ .

٥ ـ أبو العباس أحمد الحاكم [الثانى] بن المستكفى ....
٢١ ذى الحجة ٧٤٠ .

٦ ـ أبو الفتح أبو بكر المعتضد [الأول] بن المستكفى ....
جمادى الآخرة ٧٥٣ .

٧ ـ أبو عبد الله محمد المتوكل [الأول] بن المعتضد ....
جمادى الأولى ٧٦٣ .

٨ ـ أبو يحيى زكريا المعتصم بن الواثق [الأول] ....
ربيع الأول ٧٧٩

المتوكل (للمرة الثانية)...............................ربيع الثانى ٧٧٩ .

٩ ـ أبو حفص عمر الواثق [الثانى] بن الواثق [الأول]
رجب ٧٨٥ .

المعتصم (للمرة الثانية) ....١٩ شوال ٧٨٨ .

المتوكل (للمرة الثالثة) ....١٠ جمادى الأولى ٧٩١ .

١٠ ـ أبو الفضل عباس (أو يعقوب) المستعين بن المتوكل.......
رجب سنة ٨٠٨ هـ.

١١ ـ أبو الفتح داود المعتضد [الثانى] بن المتوكل...............
١٦ ذى الحجة ٨١٦ .

١٢ ـ أبو ربيعة سليمان المستكفى [الثانى] بن المتوكل............
٤ ربيع الأول ٨٤٥ .

١٣ ـ أبو بكر حمزة القائم بن المتوكل ....
المحرم ٨٥٥ .

١٤ ـ أبو المحاسن يوسف المستنجد بن المتوكل ....
رجب ٨٥٩ .

١٥ ـ أبو الأعز عبد العزيز المتوكل [الثانى] بن المستعين ....
٢٦ المحرم ٨٨٤ .

١٦ ـ أبو الصبر يعقوب المستمسك بن المتوكل [الثانى]..........
صفر ٩٠٣ .

١٧ ـ المتوكل [الثالث] بن المستمسك ....
المستمسك (للمرة الثانية)...................................٩٢٢ .

المتوكل [الثالث] (للمرة الثانية) ....٩٢٣ .

(ب) وزراء الخلفاء العباسيين :

السفاح :

أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى.......................
ربيع الأول ١٣٢ .

أبو جهم بن عطية .... رجب ١٣٢ .

خالد بن برمك .... ١٣٣ .

المنصور:

خالد بن برمك، استبقى ....١٣ ذى الحجة ١٣٦ .

أبو أيوب سليمان بن أبى سليمان مخلد المورياني الخوزى.............................. جمادى الآخرة ١٣٨ .

أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبى فروة الحفار

المهدى :

أبو عبيد الله (أو عبد الله) معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى .... ١٥٨ .

(الزنديق) قتل سنة ١٦٩

أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر بن طهيمان، توفى بمكة ١٨٧ .... حول سنة ١٦٣ .

أبو الفضل الربيع بن يونس (للمرة الثانية)........................

حول سنة ١٦٦ .

الفيض بن أبى صالح

الهادى :

أبو الفضل الربيع بن يونس (للمرة الثالثة) ....

المحرم ١٦٩ .

إبراهيم بن ذكوان الحرانى

الرشيد:

يحيى بن خالد بن برمك ....ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ.

الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، توفى سنة ١٨٧ ....

١٧٧ .

أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس، ابن الوزير أبى الفضل ....المحرم ١٨٧ .

الأمين :

أبو العباس الفضل، استبقى. اعتزل فى رجب سنة ١٩٦ وتوفى فى ذى القعدة سنة ٢٠٨ .... ١٩٣ .

المأمون:

الفضل بن سهل بن عبد الله السرخسى ذو الرياستين، توفى فى ٢ شعبان سنة ٢٠٢ ....١٩٦ .

الحسن بن سهل (أخو السابق) توفى فى مستهل ذى الحجة سنة ٢٣٦ .... شعبان ٢٠٢ .

أحمد بن أبى خالد الأحول ....حول سنة ٢٠٥

أحمد بن يوسف بن القاسم ٢١٠

أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى

أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد

المعتصم :

أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس، توفى فى ربيع الثانى سنة ٢٥٠ .... مستهل رمضان ٢١٨ .

أحمد بن عمار بن شاذى .... رجب ٢٢١ .

أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى حمزة أبان بن الزيات .... ٢٢٥ .

الواثق :

ابن الزيات، استبقى ....ربيع الأول ٢٢٧ .

المتوكل :

ابن الزيات، استبقى، ثم قتله الخليفة فى ١٩ ربيع الأول سنة ٢٣٣ ....ذو الحجة ٢٣٢ .

أبو الوزير ربيع الأول ٢٣٣ .

أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائى

أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخراسانى (الخاقانى الأول) .... حول سنة ٢٤٠ .

المنتصر :

أحمد بن الخصيب .... شوال ٢٤٧ .

المستعين :

أحمد بن الخصيب، استبقى...

ربيع الثانى سنة ٢٤٨ هـ.

أتامش، قتله العامة فى ربيع الثانى سنة ٢٤٩ ....

٢٤٨ .

أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد بن سويد.....................

ربيع الثانى ٢٤٩ .

أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائى (للمرة الثانية)........

٢٤٩ .

المعتز:

أبو الفُضل جعفر بن محمودالإسكافي ....٢٥٢ .

أبو موسى عيسى بن فروخانشاه

أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري..........................

حول ٢٥٢ .

أبو الفضل جعفر بن محمود الإسكافي (للمرة الثانية)

المهتدي:

الإسكافي، استبقى ....رجب ٢٥٥ .

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن الحصين ابن قتال بن مت ٢٥٥ .

المعتمد:

عبيد الله بن يحيى الخاقاني [الأول]، (للمرة الثانية)، توفى سنة ٢٦٣.................................. رجب ٢٥٦ .

الحسن بن مخلد بن الجراح، توفى في ذى القعدة سنة ٢٦٣ ....ذو القعدة ٢٦٣ .

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد، (للمرة الثانية) ....

ذو الحجة ٢٦٣

أبو الصقر إسماعيل بن بلبل .... ذو الحجة ٢٦٥ .

أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي..........صفر ٢٧٧ .

عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد.................. ٢٧٧ .

المعتضد:

عبيد الله بن سليمان، توفى في الخدمة سنة ٢٨٨ ....

٢٧٩ .

أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، المسمى ولى الدولة .... ٢٨٨ .

المكتفي:

الوزير السابق، توفى سنة ٢٩١ ....٢٨٩ .

أبو أحمد العباس بن الحسن بن أحمد بن القاسم بن عبد الله بن أيوب الجرجرائي.................................. ٢٩١ .

محمد بن داود بن الجراح ....(ابن المعتز) ٢٩٦ .

المقتدر:

العباس بن الحسن الجرجرائي، استبقى ....

١٢ ذى القعدة ٢٩٥ .

أبو الحسن على بن محمد بن الفرات (ابن الفرات الأول)

٢٢ ربيع الثانى ٢٩٦ .

أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى، (الخاقانى الثانى)

٤ ذى الحجة سنة ٢٩٩ هـ .

على بن عيسى بن داود بن الجراح .... المحرم ٣٠١ .

ابن الفرات [الأول] (للمرة الثانية)، قبض عليه في ٢٢ جمادي الأولى سنة ٣٠٦..................٨ ذى الحجة ٣٠٤ .

أبو محمد حامد بن العباس، قتله أبو المحسن ....

جمادي الآخرة ٣٠٦ .

ابن الفرات الأول، (للمرة الثالثة). قتل في ١٣ ربيع الأول سنة ٣١٢ .... ١٣ ربيع الثاني ٣١١ .

أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله (الخاقاني الثالث) ....ربيع الأول ٣١٢ .

أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد (أو سليمان) بن الخصيب ....١١ رمضان ٣١٣ .

على بن عيسى بن الجراح، (للمرة الثاني)، توفى في ذى الحجة سنة ٣٣٤..............................١١ ذى القعدة ٣١٤ .

أبو علي محمد بن على بن الحسن (ابن مقلة الأول) ....

١٥ ربيع الأول ٣١٦ .

أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ....

٣٠ جمادى الأولى ٣١٨ .

أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني ....

٢٦ رجب ٣١٩ .

الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، عميد الدولة ....٢٩ رمضان ٣١٩ .

أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات [الثانى]....

٢٨ ربيع الثانى ٣٢٠ .

القاهر:

أبو على محمد بن على بن مقلة [الأول]، (للمرة الثانية) .... ٢٩ شوال ٣٢٠ .

محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، توفى في ٣ ذي الحجة سنة ٣٢١ .... مستهل شعبان ٣٢١ .

أبن الخصيب، (للمرة الثانية) ....١٣ ذى القعدة ٣٢١.

الراضى:

ابن مقله [الأول]، (للمرة الثالثة) ....

٢٦ جمادى الأولى ٣٢٢.

عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح، أخو الوزير الذى ولى فى ٣٠١.............. ١٥ جمادى الأولى ٣٢٤.

أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى، شهران ونصف ....

مستهل جمادى الآخرة ٣٢٤.

أبو القاسم سليمان، بن مخلد، (للمرة الثانية) ....

١٥ رجب ٣٢٤.

أبو الفتح الفضل، بن الفرات [الثانى]، (للمرة الثانية).......

ذو الحجة ٣٢٤.

ابن مقلة الأول، (للمرة الرابعة) ....ربيع الثانى ٣٢٦.

ابن الفرات الثانى، (للمرة الثالثة) ....١٥ شوال ٣٢٧.

أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدى [الأول]....................

٦ رجب ٣٢٧.

أبو القاسم سليمان بن مخلد، (للمرة الثالثة).....................

٢٠ ذى القعدة ٣٢٨.

المتقى:

ابن مخلد، استبقى ....٢٠ ربيع الأول ٣٢٩.

أبو الخير أحمد بن محمد بن ميمون، ٣٣ يوما ....

٣ شعبان ٣٢٩.

البريدى [الأول]، (للمرة الثانية) ٢٤ يوما ....

٦ رمضان ٣٢٩.

أبو إسحاق محمد بن أحمد الإسكافى القراريطى، ٤٣ يوما .... ١٢ شوال ٣٢٩.

أبو جعفر محمد الكرخى، (للمرة الثانية)، ٣٣ يوما ....

٢٥ ذى القعدة ٣٢٩.

أبو عبد الله الكوفى .... ٢٨ ذى الحجة ٣٢٩.

البريدى[الأول]، (للمرة الثالثة)، ١٣ يوما ....

٢٥ ربيع الثانى سنة ٣٣٠

القراريطى، (للمرة الثانية) ٤٢ يوما ....

٨ جمادى الأولى ٣٣٠.

ظل المنصب خاليا من ٢٠ جمادى الآخرة حتى ١١ شوال سنة ٣٣٠ أثناء وجود البريدى ببغداد.

القراريطى، (للمرة الثالثة)، إلى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٣٣١ .... ١٥ شوال ٣٣٠.

أبو العباس أحمد بن عبيد الله الأصبهانى، ٥١ يوما ....

١٢ رجب ٣٣١.

القراريطى، (للمرة الرابعة)، ٢٠ يوما ....

٥ رمضان ٣٣١.

أبو الحسين على بن محمد بن على، ابن مقلة [الثانى]، سنة وخمسة أشهر .... ٢٥ رمضان ٣٣١

المستكفى:

أبو الفرج محمد بن على السامرى، ٤٢ يوما ولم يكن خليفته أبو عبد الله بن أبى سليمان ....٢٩ صفر ٣٣٣

أو من جاء بعده إلا كتابا يدبرون شئون الخليفة الخاصة ثمة ثغرة كبيرة (تشمل عهود المطيع والطائع والقادر)

القائم:

أبو طاهر محمد بن أيوب ....

أبو القاسم على بن حسن بن أحمد بن محمد بن المسلمة، رئيس الرؤساء .... ٤٣٧.

أبو نصر محمد بن محمد، فخر الدولة، ابن جهير [الأول] .... ٤٥٠.

ثورة البساسيرى .... ٤٥٠ ـ ٤٥١.

أبو الفتح محمد بن المنصور بن أحمد بن دارست ....

١٥ ربيع الثانى ٤٥٣.

فخر الدولة، (للمرة الثانية) ....٣٠ رمضان ٤٥٤.

أبو يعلى الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الهمدانى ....٤٦٠.

فخر الدولة، (للمرة الثالثة) صفر ٤٦١.

المقتدى:

فخر الدولة، استبقى ....٤٦٧.

محمد بن محمد بن محمد، عميد الدولة، ابن جهير [الثانى] ....٩ ذى الحجة ٤٦٧.

أبو شجاع ظهير الدين، مؤقتا، لبضعة أيام ....٤٧١.

ابن جهير [الثانى]، (للمرة الثانية) ....٤٧١.

أبو الفتح المظفر، ابن رئيس الرؤساء، لوقت قصير ....

٤٧٦.

أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الهمدانى الروذروارى، ثبت نهائيا .... ٤٧٦.

عميد الدولة، (للمرة الثانية) .... ذو الحجة ٤٨٤.

المستظهر:

أبو القاسم على بن محمد بن محمد، ابن جهير [الثالث]، قوام الدين، زعيم الرؤساء رمضان ٤٩٣.

أبو المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب، مجد الدين ....

المحرم ٥٠١.

زعيم الرؤساء، (للمرة الثانية)...................... رجب ٥٠٢.

المسترشد:

أبو على الحسن بن على بن صدقة، جلال الدين [الأول] (عميد الدولة) .... ربيع الثانى سنة ٥١٢ هـ.

الشريف أبو القاسم على بن طراد الزينبى العباسى ....

جمادى الأولى ٥١٦.

أبو نصر أحمد بن نظام الملك .... شعبان ٥١٦.

جلال الدين [الأول]، (للمرة الثانية)، توفى فى ١٥ رجب سنة ٥٢٢ .... ٥١٧.

أنوشروان بن خالد بن محمد القاشانى، شرف الدين، توفى فى رمضان سنة ٥٣٢ .... رجب ٥٢٢.

الراشد:

أبو الرضا محمد بن صدقة، جلال الدين [الثانى]، توفى سنة ٥٥٦ ....ذو القعدة ٥٢٩.

المقتفى:

الشريف أبو القاسم على، (للمرة الثانية) ....

ذو القعدة ٥٣٠

سديد الدولة الأنبارى .... ٥٣٠.

أبو نصر المظفر بن على بن محمد، نظام الدين، ابن جهير [الثالث] .... ٥٣٥.

أبو القاسم على بن صدقة، مؤتمن الدولة، قوّام الدين ......

٥٣٥.

أبو المظفر يحيى بن محمد بن سعيد بن الحسن بن أحمد ابن الحسنى جهم بن عمرو الشيبانى، عون الدين، ابن هبيرة [الأول] ....٣ ربيع الثانى ٥٤٤.

المستنجد:

ابن هبيرة [الأول]، استبقى، ولقبه سلطان العراق ....

٣ ربيع الأول ٥٥٥.

محمد بن يحيى، عز الدين، ابن هبيرة [الثانى]، ابن السابق .... ١٣ جمادى الأولى ٥٦٠.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد، شرف الدين بن البلدى، قتل سنة ٥٦٦ .... ٥٦٣.

المستضىء:

أبو الفرج محمد بن أبى الفتوح عبد الله بن رئيس الرؤساء، أستاذ الدار عضد الدين، قتل فى ذى القعدة سنة ٥٧٣ ....

ربيع الثانى ٥٦٦.

أبو الفضل يحيى بن عبيد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر، زعيم الدين ....٥٦٦.

أبو بكر منصور بن أبى القاسم نصر، ظهير الدين، ابن العطار .... ربيع الأول ٥٧٠.

الناصر:

ابن العطار، استبقى ....٢ ذى القعدة ٥٧٥.

أبو الفتح بن الصاحب، مجد الدين .... ذو القعدة ٥٧٥.

أبو المظفر عبيد الله بن يونس، جلال الدين ....٥٨٣.

سعيد بن على بن حديدة، معز الدين الأنصارى، أبو المعالى (الملقب ابن حديد) توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦١٠ ....٦ صفر ٥٨٤.

أبو المظفر محمد بن أحمد، مؤيد الدين، ابن القصاب

٥٩٠.

السيد الناصر بن المهدى العلوى الرازى البغدادى، ناصر الدين .... ٤ شعبان ٥٩٢ .

محمد بن محمد بن عبد الكريم، مؤيد الدين، برز القمى ٥٩٢ .

الظاهر:

محمد بن محمد بن عبد الكريم، مؤيد الدين، برز القمى ٣٠ رمضان سنة ٦٢٢هـ.

المستنصر:

الوزير السابق نفسه .... ١٤ رجب ٦٢٣ .

أبو الأزهر أحمد بن محمد، ناصر الدين، ابن الناقد .... ٦٢٣ .

المستعصم:

الوزير السابق نفسه .... ١٠ جمادى الآخرة ٦٤٠ .

أبو طالب محمد بن أحمد، مؤيد الدين، ابن العلقمى ٦٤٠ .

هولاكو يستولى على بغداد .... ١٤ صفر ٦٥٦ .

أبو القاسم على بن محمد، شرف الدين ربيع الثانى ٦٥٦ .

عطا ملك، علاء الدين الجوينى ....٦٦١ .

(معجم الأنساب/ ٢ ـ ١١).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢١ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١٠ / ١٣٤، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ـ زامباور.) أخرجه د. زكى محمد حسن وزملاؤه / ٢ / ١١).

الخلفاء العباسيين (قبة ـ) (حوالى ٦٤٠هـ / ١٢٤٢ ـ ١٢٤٣م) أثر ٢٧٦:

من آثار الأيوبيين قبة الخلفاء العباسيين التى تقع خلف المشهد النفيسى وتضم رفاة أفراد من الخلفاء العباسيين وكذا أولاد الظاهر بيبرس البندقدارى ومقرنص هذه القبة يتفق مع مقرنص قبة شجرة الدر المبنية فى العصر الأيوبى وتشبهها أيضا فى أشكال العقود المحارية الجصية الموجودة بقاعدة القبة من الخارج. وتقع قبة شجرة الدر بشارع الخليفة تجاه مشهد السيدة رقية. وقد أمرت بإنشائها شجرة الدر المدفونة بها.

(العمار الإسلامية فى مصر ـ د. كمال الدين سامح / ٣٥).

*** الخلفاء الفاطميون:**

أول ظهورهم ببلاد المغرب فى سنة ٢٩٦ هـ وأول خلفائهم أبو محمد عبيد الله وتلقب بالمهدى ثم تلقب بنوه من بعده بألقاب الخلافة المضاف فيها اسم الله كالقائم بأمر الله والمنصور بالله إلى أن كان منهم المعز لدين الله أبو تميم معد وهو الذى استولى على مصر من أيدى الأخشيديين فى سنة ٣٥٩ هـ وتداول خلفاؤهم بها مثل هذه الألقاب إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله عبد الله وانقرضت خلافتهم باستيلاء الدولة الأيوبية.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢١، ١٢٢)

وفيما يلى بيان بأسمائهم وتواريخ ولايتهم، يتبعه بيان بوزرائهم:

١ـ الخلفاء:

١ ـ المهدى، أبو محمد عبيد الله، (توفى فى ١٤ ربيع الأول سنة ٣٢٢ ....٤ ربيع الثانى سنة ٢٩٧ هـ.

٢ ـ القائم، أبو القاسم محمد (عبد الرحمن)، (توفى فى ١٣ شوال سنة ٣٣٤) .... ١٤ ربيع الأول ٣٢٢.

٣ ـ المنصور، أبو طاهر إسماعيل، (توفى فى ٢٩ شوال سنة ٣٤١) .... ١٣ شوال ٣٣٤.

٤ ـ المعز، أبو تميم معد، (توفى فى ٣ ربيع الثانى سنة ٣٦٥) مستهل ذى القعدة ٣٤١.

فتحت مصر .... شعبان سنة ٣٥٨.

دخل المعز القاهرة .... رمضان سنة ٣٦٢.

٥ ـ العزيز، أبو منصور نزار، (توفى فى ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦) ٥ ربيع الثانى ٣٦٥.

٦ ـ الحاكم، أبو على المنصور، (اختفى فى ٢٧ شوال سنة ٤١١) .... ٢٩ رمضان ٣٨٦.

٧ ـ الظاهر، أبو الحسن على، (توفى فى ١٥ شعبان سنة ٤٢٧) ....١٠ ذى الحجة ٤١١.

٨ ـ المستنصر، أبو تميم معد، (توفى فى ١٨ ذى الحجة سنة ٤٨٧) ....١٥ شعبان سنة ٤٢٧ هـ.

٩ ـ المستعلى، أبو القاسم أحمد، (توفى فى ١٤ صفر سنة ٤٩٥) .... ذو الحجة ٤٨٧ .

١٠ ـ الآمر، أبو على المنصور، (اغتيل فى ٢ ذى القعدة سنة ٥٢٤)............................ ١٤ صفر ٤٩٥ .

فترة شغور: من ٢ ذى القعدة سنة ٥٢٤ إلى ١٥ المحرم سنة ٥٢٦ ، والخليفة المزعوم:

أبو القاسم المنتظر، (القائم فى آخر الزمان أو المهدى حجة الله على العالمين) تحت وصاية الوزير أبى على أحمد بن الأفضل

١١ ـ الحافظ، أبو الميمون عبد المجيد، (توفى فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤) .... ١٥ المحرم ٥٢٥ .

١٢ ـ الظافر، أبو المنصور إسماعيل، (اغتيل فى ٣٠ المحرم سنة ٥٤٩) .... ٦ جمادى الآخرة ٥٤٤ .

١٣ ـ الفائز، أبو القاسم عيسى، (توفى فى ١٧ رجب سنة ٥٥٥) .... مستهل صفر ٥٤٩ .

١٤ ـ العاضد، أبو محمد عبد الله، (خلع فى ٣ المحرم وتوفى فى ١٠ المحرم سنة ٥٦٧) .... رجب ٥٥٥ .

أقيمت الخطبة للعباسيين .... المحرم ٥٦٧ .

(ب) وزراء الخلفاء الفاطميين :

العزيز:

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هرون بن داود ابن كلّس، اليهودى، (ولد سنة ٣١٨، أسلم فى ١٨ شعبان سنة ٣٥٦) .... ٣٦٥ .

جبر بن القاسم .... شوال ٣٧٣ .

ابن كلس، (للمرة الثانية)، (توفى فى ٥ ذى الحجة سنة ٣٨٠) .... المحرم ٣٧٣ .

أبو الحسن على بن عمر، العداس (دون لقب وزير)............

المحرم ٣٨١ .

أبو الفضل جعفر، ابن الفرات (الثالث)، ....

المحرم ٣٨٣

أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن بازيار الموصلى............

٣٨٤ .

أبو محمد الحسن بن عمار بن أبى الحسين، أمين الدولة .... سنة ٣٨٥ هـ .

الفضل بن الصالح الوزيرى، (بضعة أيام)............ ٣٨٥ .

عيسى بن نسطورس، (نصرانى)، (حتى رمضان سنة ٣٨٦) .... ذو القعدة ٣٨٥ .

الحاكم:

الأستاذ أبو الفتوح برجوان الصقلبى، (اغتيل فى ٢٦ ربيع الثانى سنة ٣٩٠) .... رمضان ٣٨٦ .

أبو العلاء فهد بن إبراهيم الرئيس، (اغتيل فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٣) .... ربيع الثانى ٣٩٠ .

أبو الحسن على بن عمر، العداس، (للمرة الثانية)، (ولى شهرا ثم اغتيل فى رجب سنة ٣٩٣) ....

جمادى الآخرة ٣٩٣ .

أبو الحسن على بن الحسين، ابن المغربى (الثانى)، (اغتيل فى ٣ ذى الحجة سنة ٤٠٠) .... شعبان ٣٩٣ .

الحسين بن طاهر الوزان، أمين الأمناء، (اغتيل فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٥)............ ١٩ ربيع الأول ٤٠٣ .

عبد الرحمن بن أبى السيد (اغتيل بعد اثنين وستين يوما من توليته) .... جمادى الآخرة ٤٠٥ .

أبو العباس الفضل بن جعفر، ابن الفرات (الرابع)، (اغتيل بعد خمسة أيام من توليته) .... شعبان ٤٠٥ .

أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح، الكتامى، قطب الدين، سيف الدولة ذو الرياستين .... شعبان ٤٠٥ .

الظاهر:

أبو الحسين عمار بن محمد، خطير الملك، رئيس الرؤساء .... ذو الحجة ٤١١ .

أبو الفتوح موسى بن الحسين، بدر الدولة، (خلع ثم اغتيل فى ٢٠ شوال سنة ٤١٣)............ ربيع الأول ٤١٢ .

أبو الفتح المسعود بن طاهر الوزان، شمس الملك المكين .... المحرم ٤١٣ .

أبو محمد الحسن بن صالح الروذبارى، عميد الدولة .

أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى، نجيب الدولة .... ٤١٨ .

المستنصر:

الجرجرائى، (استبقى) .... شعبان ٤٢٧ .

ابن الأنبارى، (قتل فى ٥ المحرم سنة ٤٤٠) .... رمضان ٤٣٦ .

أبو منصور (أو نصر) صدقة بن يوسف الفلاحى، (كان يهوديا ثم أسلم. مات مقتولا) .... ٤٤٠ .

أبو البركات الحسين (أو الحسن) بن عماد الدولة محمد (ابن أخى الجرجرائى) .... ٤٤٠ .

أبو الفضل سعيد بن مسعود ....شوال سنة ٤٤١ هـ .

أبو محمد الحسن (أو الحسين) بن على بن عبد الرحمن اليازورى .... المحرم ٤٤٢ .

أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى، شرف الملة، كفيل الدين .... المحرم ٤٥٠ .

أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى [الرابع] .... ٢٥ ربيع الثانى ٤٥٠ .

البابلى، (للمرة الثانية) .... ٩ رمضان ٤٥٢ .

خلفه وزراء لم تطل أيامهم

أبو النجم بدر الجمالى المستنصرى، أمير الجيوش (مولى جمال الدولة بن عمار توفى فى ربيع الأول سنة ٤٨٧) .... ٢٨ جمادى الأولى ٤٦٦ .

أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش، (توفى فى ٣٠ رمضان سنة ٥١٥) .... ربيع الأول ٤٨٧ .

المستعلى:

الأفضل، (استبقى) .... ذو الحجة ٤٨٧ .

شرف المعالى بن الأفضل ....

الآمر:

شرف المعالى، (استبقى)، (اغتيل فى ٢٣ رمضان سنة ٥١٥) .... صفر ٤٩٥ .

أبو عبد الله محمد المأمون بن فاتك بن مختار البطائحى، (ولد فى سنة ٤٧٨، وصلب فى ٤ رمضان سنة ٥١٩) .... مستهل ذى القعدة ٥١٥ .

دون وزراء .... ٥١٩ ـ ٥٢٥ .

الحافظ:

أبو على أحمد بن الأفضل، المسمى (كتيفات)، (اغتيل فى ١٦ المحرم سنة ٥٢٦) .... المحرم ٥٢٥ .

يانس (مملوك أرمنى)، (دس له السم فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٥٢٦) .... المحرم ٥٢٦ .

أبو على الحسن بن الحافظ، (ولى العهد ووزير أبيه) .... ذو الحجة ٥٢٦ .

أبو الربيع سليمان، (ابن الخليفة)، (مات بعد شهرين) .... ٥٢٨ .

أبو المظفر بهرام تاج الملوك سيف الإسلام، (مسيحى أرمنى انتخبه الجند) .... ١١ جمادى الآخرة ٥٢٩ .

رضوان بن الولخشى، (فر فى ١٤ شوال سنة ٥٣٣) .... ١٢ جمادى الأولى ب٥٣١ .

دون وزراء .... ٥٣٣ ـ ٥٤٤ .

الظافر:

أبو الفتح نجم الدين سليمان بن محمد، بن مصال اللكى، (توفى فى ذى القعدة سنة ٥٤٤) .... رجب ٥٤٤ .

أبو الحسن على بن سلاَّر، الملك العادل سيف الدين (ابن السلار) (قتله زوج ابنته وخليفته العباس فى ٦ المحرم سنة ٥٤٨) .... ١٥ شعبان سنة ٥٤٤ .

العباس بن أبى الفتوح بن تميم، الأفضل ركن الدين، (أمير زيرى) .... المحرم ٥٤٨ .

الفائز:

الملك الصالح طلائع بن رزيك، أبو الغارات، (ولد سنة ٤٩٠، توفى فى ١٩ رمضان سنة ٥٥٦) .... ١٩ ربيع الأول ٥٤٩

العاضد:

أبو شجاع العادل محيى الدين رُزِّيك بن طلائع .... رجب ٥٥٥ .

أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار ....٢٢ المحرم ٥٥٨ .
أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوَّار اللخمي، الملك المنصور (توفي في رمضان ٥٥٩) ....رمضان ٥٥٨ .
شاور، (للمرة الثانية)..................... مستهل رجب ٥٦٠ .
شيركوه، (توفي في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤)......٥٦٣
صلاح الدين ....جمادى الآخرة ٥٦٤
(معجم الأنساب / ١٤٤ـ١٥٠).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلي / ١٢١، ١٢٢، عن صبح الأعشى للقلقشندي ٥ / ٤٧٨، ٤٧٩، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ـ زامباور. أخرجه د. زكي محمد حسن وزملاؤه / ١٤٤ ـ ١٥٠).

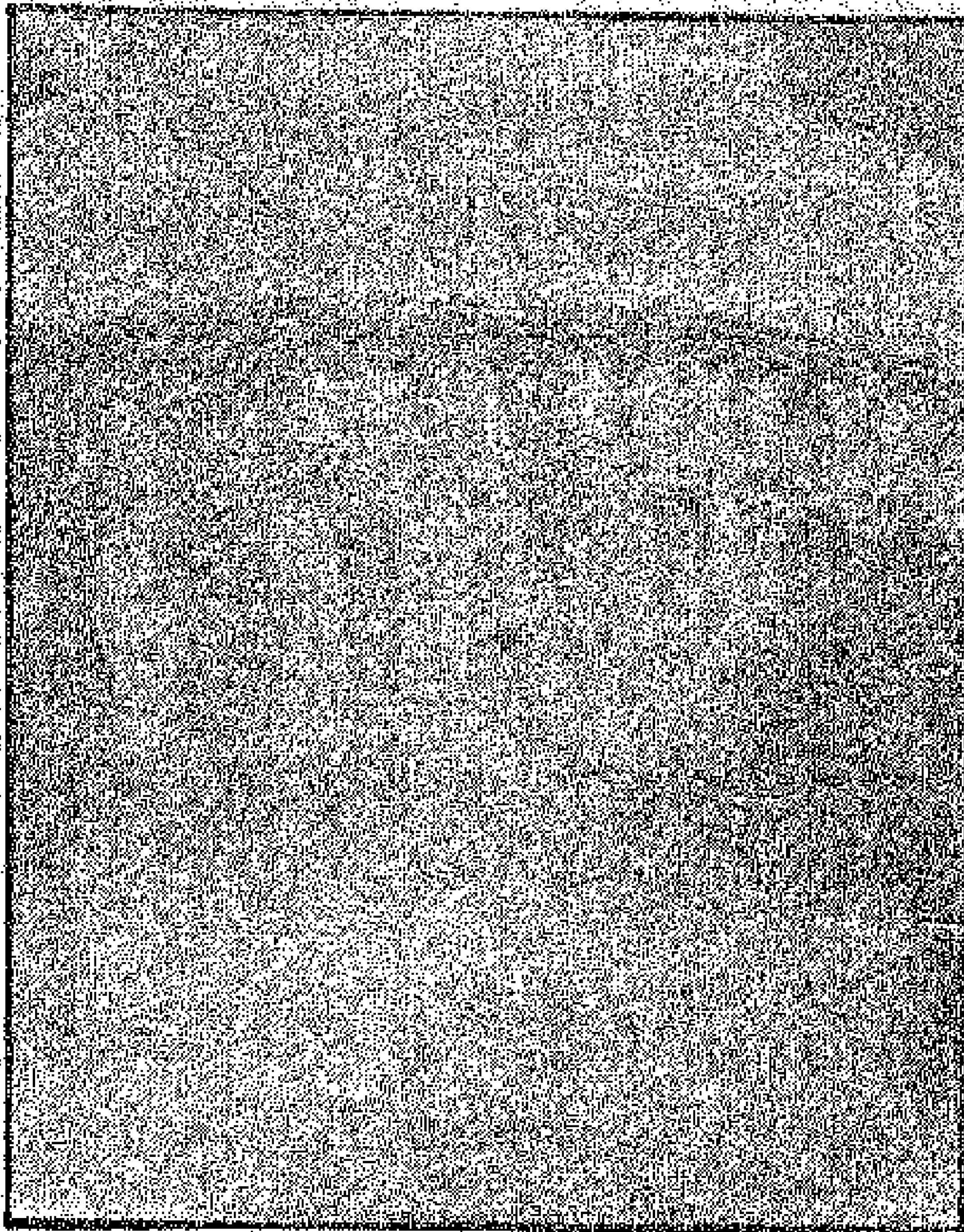
*** الخلفاء (منذنة جامع ـ) (سوق الغزل):**

تتوسط هذه المئذنة بغداد الشرقية القديمة وتطل الآن على شارع الجمهورية من الجهة اليسرى (اسم شارع الجمهورية يعرف الآن باسم شارع الخلفاء تخليدا للجامع نفسه) والمعروف أن المكان الذي تقع فيه هذه المئذنة كان مشغولا بجامع خاص بدار الخلافة، أمر ببنائه الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩ـ٢٩٥ هـ/ ٩٠٢ ـ٩٠٨ م. وكان يعرف آنذاك بجامع القصر ثم صار يدعى بجامع دار الخلافة وسمي أيضا بجامع الخلفاء وما زال يدعى بذلك إلى يومنا هذا وكان خلفاء بغداد، بعد وفاة المكتفي، يؤدون صلاة الجمعة فيه. وتذكر كتب التاريخ أن هذا الجامع قد هدم وأعيد بناؤه في فترة الحكم الإيلخاني، عام ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٩م. ولكن البناء الأخير تهدم وظلت المئذنة فقط وصارت تدعى بمئذنة سوق الغزل بعد أن اقتطع جزء من بناء الجامع لإنشاء سوق كان يباع فيها الغزل.

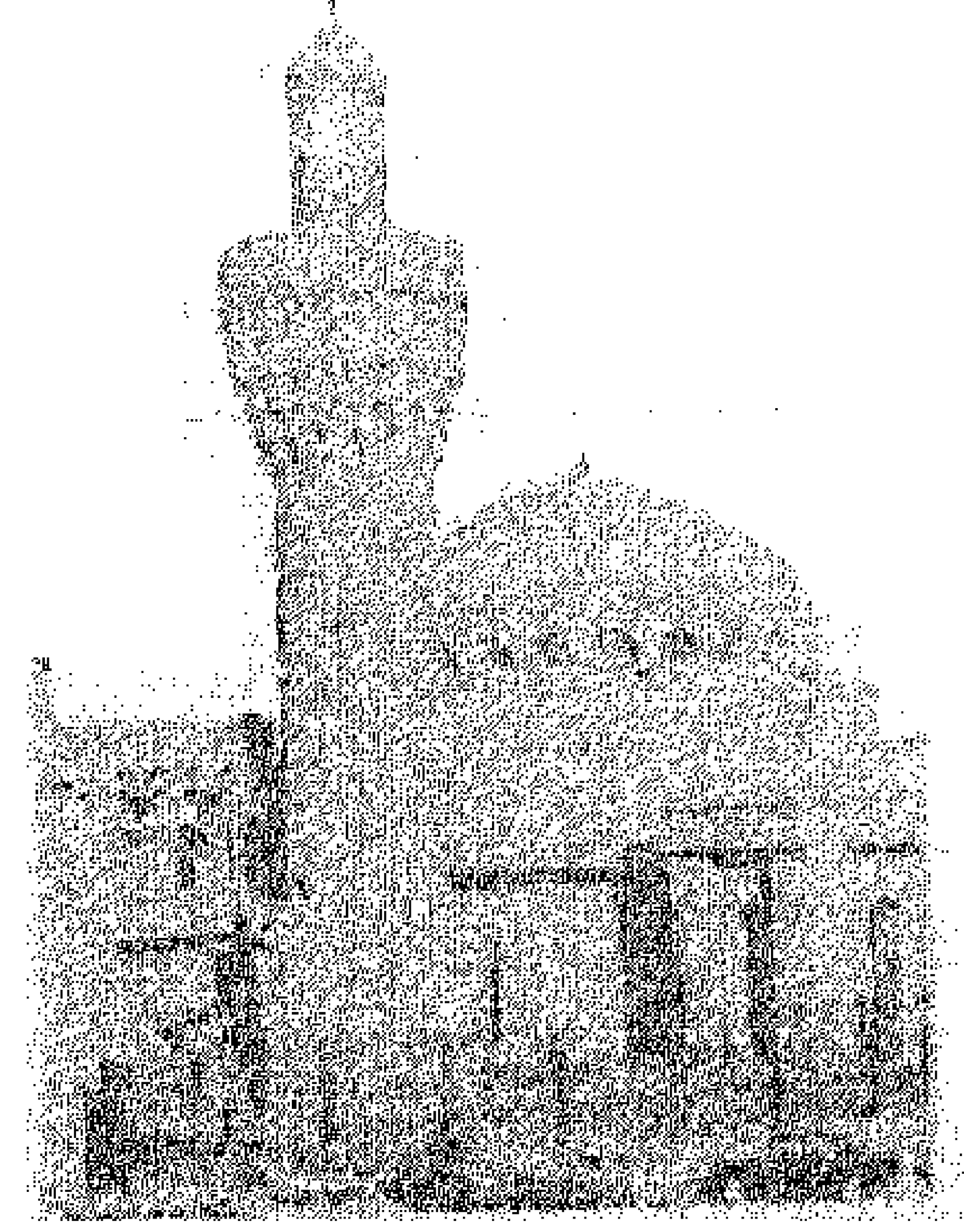
تدل مباني العهد الإيلخاني، الدينية والمدنية والتي تقوم الآن في العراق، على فشل قتلة الخليفة ومخربي بغداد ومعاهدها العلمية والفنية في تحويل نهار الحضارة العربية الإسلامية إلى ليل مظلم يعكس تأخرهم وبداوتهم ووثنيتهم فاضطروا إلى اعتناق الإسلام ورعاية رجاله وتعمير بيوت الله وغيرها من المرافق العامة في أغلب مدن العراق. وكان جامع الخلفاء من بين تلك الأبنية التي أمروا بتشييدها في عاصمة ملكهم. ويظهر أن الخراب بدأ يدب في أجزاء الجامع فتهدم وظلت مئذنته فقط التي تعكس استمرار طراز العمارة العربية الإسلامية بعد سقوط بغداد.

تعرضت المئذنة أيضا لتخريب شوه كسوتها الزخرفية الجميلة وأصبحت عام ١٩٤٠ مجرد برج من طابوق ضخم جدا مشوه المعالم. وقد حاولت السلطة الاستعمارية البريطانية نسفه ولكن محاولتها باءت بالفشل فسارعت مديرية الآثار العامة لتحمي هذا الأثر من الاندثار فقامت بصيانته وترميمه واستغرق ذلك وقتا طويلا حيث ابتدأت أعمال الصيانة منذ عام ١٩٤٠ ولم تنته إلا قبيل سنوات. وأنجزت المديرية إعادة بناء ما تهدم من المئذنة وتحشية حنايا المقرنصات بزخارف آجرية دقيقة جدا وكست البدن أيضا بحلية زخرفية. ونظرا لما لجامع الخلفاء من أهمية دينية، قامت رئاسة ديوان الأوقاف ببناء جامع عند المئذنة يتألف من بيت صلاة ضخم تعلوه قبة كبيرة جدا مفلطحة وأروقة وممرات توصل الجامع بشارع الخلفاء وتحيط بمئذنته. ومن المؤسف ان البناء الجديد غير متناسق وغير منسجم مع المئذنة القديمة وينم عن جهل واسع بطراز عمارة الجامع الأصلي.

مئذنة سوق الغزل متميزة بضخامتها حيث يبلغ ارتفاعها ٣٣ مترا، ومحيط قاعدتها ٢٠,٦٤ مترا ومحيط بدنها



(لوح ٥١): مقرنصات تاجية موسومة المئذنة



(لوح ٥٠) مئذنة سوق الغزل

٢٠, ١٦ مترا. فهى أضخم وأطول مآذن بغداد السابقة واللاحقة، وهى فريدة أيضا فى شكل قاعدتها التى تتألف من اثنى عشر وجها أو ضلعا ويبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار. ولا وجود لمثل هذه القاعدة من حيث عدد أضلاعها ومحيطها فى أى من مآذن بغداد أيضا.

وصفتها الثالثة هى وجود حوضين الأول يتوج قاعدتها ومنه تبدأ سلالم المئذنة التى تؤدى إلى الحوض الثانى الذى يتوج البدن ويحيط برقبة أسطوانية رشيقة نسبيا ومنتهية برأس نصف كروى بصلى الشكل. بدن المئذنة أسطوانى الشكل مثل أبدان معظم مآذن العراق التى بنيت بعد مئذنة «عنة» ويخترق البدن سلمان حلزونيان لا يلتقيان إلا فى الحوض الثانى وهذه صفة رابعة لم نجدها فى مآذن بغداد السابقة واللاحقة وإن كنا نجد سوابقها فى حدباء الموصل ومظفرية أربيل.

أما صفتها الخامسة فهى صفوف المقرنصات، الجميلة المعقدة التركيب المتقنة التكوين، التى تسند حوضى المئذنة، ويضاهى جمال المقرنصات، الحشوات الزخرفية الآجرية المحفورة تفريغا والتى شغل حنايا المقرنصات وأجزاء من المئذنة والتشكيلات الزخرفية التى تغطى كامل البدن والمصنوعة من التفنن فى صف الطابوق وهذه ميزتها السادسة على الرغم من أن هذه الزخارف مجددة قياسا على زخارف مئذنة الكفل وزخارف المدرسة المستنصرية والمدرسة الشرابية السابقتين على بناء جامع الخلفاء (لوح ٥٠).

ومقرنصات مئذنة جامع الخلفاء هى أبرز عناصرها المعمارية وهى متقدمة جدا من حيث تركيبها وتكوينها إذا ما قورنت بمقرنصات مآذن جوامع بغداد، فالحوض الأول يستند على أربعة صفوف منها تتنوع فى أشكالها ومستوى بروز رؤوس عقودها. فمقرنصات الصف الأول فردية ولكن بشكلين متبادلين ينتهى رأس الضيقة منهما فى مستوى الخط الأول: أما الواسعة منهما فيرتفع عقدها ليفصل بين مجاميع مقرنصات الصف الثانى ويرتفع بارتفاعها ولكن عقده مزدوج يبرز الرأس الأعلى منه فقط. وعدد المقرنصات بين كل اثنين من هذه الحنايا أربع فقط. ومقرنصات الصف الثالث ثلاثية التكوين ومقرنصات الصف الرابع بسيطة متشابهة ولكن امتدادات رؤوس عقودها تلتقى لتشكل صفا آخر من رؤوس حنايا فقط وبمستوى وجه حافة الحوض الخارجية (لوح ٥١).

يستند الحوض الثانى على ستة صفوف من الحنايا المقرنصة لا تختلف كثيرا فى تركيبها عن مقرنصات الحوض الأول لكنها خالية من الحشوات الزخرفية ويحتمل جدا أنها كانت مزينة بمثل هذه الحشوات خصوصا إذا ما قورنت مع مقرنصات مئذنة الكفل.

ومما يزيد فى جمال مقرنصات الحوض الأول الحشوات الزخرفية الآجرية التى تشغل حنايا المقرنصات وأكتاف عقودها والأشرطة الضيقة التى تفصل بينها وتؤطرها. وتتألف تشكيلات هذه الحشوات من أشكال هندسية ونباتية متنوعة صيغت بدقة وعناية على أرضية من الزخارف المفرغة الدقيقة. وتبرز الأشكال الهندسية عن مستوى الأرضية. أما العناصر النباتية فبمستوى الزخارف المفرغة. والحقيقة وكما ذكرنا، أن أشكال هذه الزخارف وتقنيتها منقولة من زخارف المدرسة المستنصرية والمدرسة الشرابية ولم يبق من حشوات المقرنصات المزخرفة ليستدل بها فى إشغال هذه المقرنصات بالزخارف. امتدت الأشكال الزخرفية لتغطى وجوه الحوض الاثنى عشر حيث تتألف وحداتها من أشكال هندسية متداخلة

الزخارف المفرغة. وتغطى هذه التحلية أيضا القسم الأسفل من القاعدة.

البدن مغطى أيضا بتشكيلات زخرفية، وجميعها مجددة وعلى طراز زخارف جدران المستنصرية من الخارج. ومثل المآذن السابقة لم يحل بالزخارف الجزء الأسفل من البدن وبارتفاع رأس عقد السلم. ويتوج هذا الجزء شريط ضيق من تشكيلات زخرفية تناظر تلك التى تزين الحوض، ويلى ذلك نطاق واسع جدا بارتفاع ما تبقى من البدن عدا الشريط العلوى منه، مشغول بوحدة ناتجة من التفنن فى صف الطابوق الذى يبرز قليلا عن مستوى وجه البدن ويظهر وكأنه كتابة كوفية لكلمة معينة فى أوضاع مختلفة. والشكل الأساسى فيه عبارة عن صلبان معقوفة تتصل نهايات أذرعها بعضها مع البعض الآخر. وتنتهى التشكيلة من الأعلى عند حافة بارزة لشريط مفتول ضيق يحدد الشريط الأعلى المحفوف أيضا من الأعلى بشريط مفتول يناظر الشريط الأسفل. ويظهر جليا أن الشريط الأعلى هذا كان مشغولا بكتابة تذكارية على نمط مئذنة جامع الكفل. ويخلو الحوض الأعلى والرقبة والرأس من التحلية الزخرفية. والملاحظ أن الطابوق المزجج لم يستعمل فى تحلية هذه المئذنة.

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ١ / ٢٠٩-٢١٢، ٢١٦).

***الخَلْق:**

عن ورود اللفظ فى القرآن الكريم جاء ما يلى فى مفردات الراغب الأصفهانى:

خلق: الخلق [بفتح الخاء وسكون اللام]: أصله التقدير المستقيم ويستعمل فى إبداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء قال: ﴿**وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق**﴾ [الأنعام: ٧٣] أى أبدعهما بدلالة قوله: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾ [البقرة: ١١٧] و [الأنعام: ١٠١] ويستعمل فى إيجاد الشىء من الشىء نحو: ﴿**خلقكم من نفس واحدة**﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿**خلق الإنسان من نطفة**﴾ [النحل: ٤] ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة**﴾ [المؤمنون ١٢]، ﴿**ولقد خلقناكم**﴾ [الأعراف: ١١] ﴿**خلق الجان من مارج**﴾ [الرحمن: ١٥]. وليس الخلق الذى هو الإبداع إلا لله تعالى ولهذا قال فى الفصل بينه تعالى وبين غيره ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكَّرون**﴾ [النحل: ١٧] وأما الذى يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره فى بعض الأحوال كعيسى حيث قال: ﴿**وإذ تخلق من الطير كهيئة الطين بإذنى**﴾ [المائدة: ١١٠] والخلق لا يستعمل فى كافة الناس إلا على وجهين: أحدهما فى معنى التقدير كقول الشاعر:

فلأنت تفرى ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

والثانى فى الكذب نحو قوله تعالى: ﴿**وتخلقون إفكا**﴾ [العنكبوت: ١٧] إن قيل قوله تعالى: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ [المؤمنون: ١٤] يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق، قيل إن ذلك معناه أحسن المقدرين، أو يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويزعمون أن غير الله يبدع، فكأنه قيل فاحسب أن ههنا مبدعين وموجدين فالله أحسنهم إيجادا على ما يعتقدون كما قال: ﴿**خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم**﴾، [الرعد: ١٦] ﴿**ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**﴾ [النساء: ١١٩] فقد قيل إشارة إلى ما يشوهونه من الخلقة بالخصاء ونتف اللحية وما يجرى مجراه، وقيل معناه يغيرون حكمه وقوله تعالى: ﴿**لاتبديل لخلق الله**﴾ [الروم: ٣٠] فإشارة إلى ما قدره وقضاه وقيل معنى ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ نهى أى لا تغيروا خلقة الله ...

وكل موضع استعمل الخلق فى وصف الكلام فالمراد به الكذب ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن وعلى هذا قوله تعالى ﴿**إن هذا إلا خلق الأولين**﴾ [الشعراء: ١٣٧] وقوله تعالى: ﴿**ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق**﴾ [ص: ٧] والخلق يقال فى معنى المخلوق والخَلْق والخُلْق فى الأصل واحد كالشرب والشرب والصَّرم والصُّرم لكن خُص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. قال تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾

[القلم: ٤] وقرىء «إن هذا إلا خَلْق الأولين» [الشعراء: ١٣٧] والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه قال تعالى: ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ٢٠٠] وفلان خليق بكذا: أى كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا أو مدعو إليه من جهة الخلق. وخلق الثوب وأخلق وثوب خلق ومخلق وأخلاق نحو حبل أرمام وأرمات، وتصور من خلوقة الثوب الملامسة فقيل جبل أخلق وصخرة خلقاء وخلقت الثوب ملسته، واخلولق السحاب منه أو من قولهم هو خليق بكذا، والخلوق ضرب من الطيب.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى/ ١٥٧، ١٥٨. انظر أيضا منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ١٠٧، ١٠٨).

* **الخُلق:**

الخُلُق بضم الخاء واللام عرفه الشريف الجرجانى بقوله:

الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خُلُقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خُلُقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء (التعريفات/ ١٣٥، ١٣٦).

وقد فصل الكلام عليه التهانوى فى كشافه فقال (لاحظ تخفيفه الهمزة فى بعض الألفاظ).

الخُلُق بضمتين وسكون الثانى أيضا فى اللغة العادة والطبيعة والدين والمروة [والمروءة] والجمع الأخلاق وفى عرف العلماء ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خلقا، وكذا الراسخ الذى يكون مبدأ للأفعال النفسية بعسر وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم، وكالكريم إذا قصد بإعطائه الشهرة، وكذا ما تكون نسبته إلى الفعل والترك على السواء كالقدرة، وهو مغاير للقدرة بوجه آخر أيضا، وهو أنه لا يجب فى الخلق أن يكون مع الفعل كما وجب ذلك عند الأشاعرة فى القدرة فما قال المحقق التفتازانى فى المطول فى بحث التشبيه من أن الخلق كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة أى تصدر عن النفس بسببها الأفعال بسهولة مبنى على عدم التحقيق هكذا ذكر أبو القاسم فى حاشية المطول.

ثم الخلق ينقسم إلى فضيلة هى مبدأ لما هو كمال ورذيلة هى مبدأ لما هو نقصان وغيرهما وهو ما يكون مبدأ لما ليس شيئا منهما، وتوضيحه أن النفس الناطقة من حيث تعلقها بالبدن وتدبيرها إياه تحتاج إلى قوى ثلاث إحداها القوة التى بها تعقل ما يحتاج إليه فى تدبيره وتسمى بالقوة العقلية والنطقية والملكية، والنفس المطمئنة وتعبر عنها أيضا بقوة هى مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر فى العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد.

وثانيتها القوة التى بها تجذب ما ينفع البدن ويلايمه من المآكل والمشارب وغير ذلك وتسمى بالقوة الشهوانية والبهيمية والنفس الأمارة.

وثالثتها ما تدفع به ما يضر البدن ويؤلمه وتعبر عنها أيضا بما هى مبدأ الإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط وتسمى قوة غضبية سبعية ونفسا لوامة. قيل: أو الظاهر أن إطلاق النفس على هذه القوى الثلاث من باب إطلاق اسم المحل على الحال ثم صار حقيقة عرفية.

ثم اعلم أن لكل واحدة من هذه القوى ثلاث أحوال: طرفان ووسط فالفضيلة الخلقية هى الوسط من أحوال هذه القوى والرذيلة هى الأطراف وغيرهما ما ليس شيئا منهما أى من الوسط والأطراف. فالفضائل الخلقية أصولها ثلاثة هى الأوساط من أحوال هذا القوى.

والرذائل الخلقية أصولها ستة هى أطراف تلك الأوساط ثلاثة منها من قبيل الإفراط، وثلاثة أخرى من قبيل التفريط وكلا طرفى كل الأمور مذموم. فمن اعتدال أحوال القوة الملكية تحدث الحكمة وهى هيئة للقوة العقلية العملية متوسطة بين الجربزة التى هى إفراط هذه القوة وهى استعمال

القوة الفكرية فيما لا ينبغى كالمتشابهات وعلى وجه لا ينبغى كمخالفة الشرائع وبين البلاهة والغباوة التى هى تفريطها وهى تعطيل القوة الفكرية بالإرادة والوقوف عن اكتساب العلوم النافعة.

والحكمة هى معرفة الحقائق على ما هى عليه بقدر الاستطاعة وهى العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩] هكذا فى التلويح. وقد عرفت فى لفظ الحكمة أن الحكمة بهذا المعنى ليست من أقسام علم الحكمة والظن بأنها من أنواعه باطل.

ومن اعتدال القوة الشهوانية تحدث العفة وهى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور والخلاعة الذى هو إفراطها وهو الوقوع فى ازدياد اللذات على ما يجب وبين الخمود الذى هو تفريطها وهو السكوت عن طلب اللذات بقدر ما رخص فيه العقل والشرع ففى العفة تصير الشهوانية منقادة للناطقة.

ومن اعتدال الغضبية تحدث الشجاعة وهى هيئة للقوة الغضبية متوسطة بين التهور الذى هو إفراطها وهو الإقدام على ما لا ينبغى وبين الجبن أى الحرز عما ينبغى الذى هو تفريطها ففى الشجاعة تصير السبعية منقادة للناطقة ليكون إقدامها على حسب الدراية من غير اضطراب فى الأمور الهائلة حتى يكون فعلها جميلا وصبرها محمودا وإذا امتزجت الفضائل الثلاث حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هى العدالة فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة وإليه أشير بقوله عليه الصلاة و السلام «خير الأمور أوساطها» والحكمة فى النفس البهيمية بقاء البدن الذى هو مركب النفس الناطقة لتصل بذلك إلى كمالها اللائق بها ومقصدها المتوجه إليه وفى السبعية كسر البهيمية وقهرها ودفع الفساد المتوقع من استيلائها واشتراط التوسط فى أفعالها كيلا تستبعد الناطقة فى هوائها وتصرفاتها عن كمالها ومقصدها وقد مثل ذلك بفارس استردف سبعا وبهيمة للاصطياد فإن انقاد السبع والبهيمة للفارس واستعملهما على ما ينبغى حصل مقصود الكل بوصول الفارس إلى الصيد والسبع إلى الطعم والبهيمة إلى العلف وإلا هلك الكل وأما أن هذه النفوس الثلاثة نفوس متعددة أم نفس واحدة مختلفة بالاعتبارات أم قوى وكيفيات للنفس الإنسانية فمختلف فيها هكذا يستفاد من شرح المواقف والتلويح (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٦ - ٤٤٨).

وقد أوردنا مادة بعنوان «حُسن الخلق» فى م ١٤ / ٤٧ - ٥٤. أما سوء الخلق فقد أفرد له أبو منصور الثعالبى فصلا قصيرا جاء فيه مايلى: إذا كان الرجل سيىء الخلق فهو زَعِر وعَزْوَر، فإذا زاد سوء خلقه فهو شرس وشكِس (عن أبى زيد) فإذا تناهى فى ذلك فهو عِكس وعِكص (عن الفراء) (فقه اللغة / ٩٣).

(التعريفات للشريف الجرجانى - تحقيق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٥، ١٣٦، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٤٦ - ٤٤٨، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ٩٣).

انظر مادة: «حسن الخلق» فى م ١٤/ ٤٧ - ٥٤.

* خلق أفعال العباد:

عن مذهب أهل السنة والجماعة فى مسألة خلق الله تعالى أفعال العباد يقول الإمام الباقلانى رحمه الله:

أعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره فهى منه خلق وللعباد كسب على ما قدمنا بيانه بقوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] وأمثال هذه الآية من الأدلة على الفرق بين الخلق والاختراع والكسب.

فالواحد منا إذا سمى فاعلا فإنما يسمى فاعلا بمعنى أنه مكتسب لا بمعنى أنه خالق لشيء. وقالت المعتزلة، والنجارية، والجهمية، والروافض: إن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد وأن كل واحد منا ينشيء ما ينشيء ويخلق ما يفعل وليس لله تعالى على أفعالنا قدرة جملة ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد وسوء المقال. والدليل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأدلة العقل فالدليل من الكتاب أكثر مما يحصى لكن أذكر منه ثلاثة تنبه اللبيب على بقيتها إن شاء الله تعالى (جاء فى هامش (١) هذا التعليق للمحقق فضيلة الشيخ زاهد الكوثرى).

لعل النجارية والجهمية مقحمتان فى هذا الموضع بقلم الناسخ بل لا يعرف هذا فى المعتزلة إلا من عهد الجبائى كما هو مشروح فى موضعه).

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر تعالى أنه خالق لأعمالنا على العموم كما أخبر أنه خالق لصورنا وذواتنا على العموم وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب.

الثاني: قوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ [الأنعام: ١٠٢]، و [الرعد: ١٦]، ومعلوم أن أفعالنا مخلوقة إجماعا وإن اختلفنا في خالقها وهو تعالى قد أدخل في خلقه كل شيء مخلوق فدل على أنه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى. فإن قيل فكلامه شيء فيجب أن يكون مخلوقا. قلنا: قد احترزنا بحمد الله تعالى عن هذا السؤال بقولنا إنه أخبر أنه خلق كل شيء مخلوق وكلامه وصفات ذاته تعالى قد أثبتنا أنها غير مخلوقة ولا خالقة بل هي صفة الخالق تعالى قديمة بقدمه موجودة بوجوده قبل جميع المخلوقات فبطل هذا السؤال.

وجواب آخر يبطل هذا السؤال وهو أنك تقول: إن الله تعالى مخاطِب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب ألا ترى أن الواحد منا إذا قال دخلت الدار فضربت من فيها، أو أخرجت من فيها، أو أعطيت من فيها لا يدل ذلك على أنه دخل تحت الخطاب بأن يكون ضرب نفسه، ولا أخرج نفسه ولا أعطى نفسه، لأنه مخاطب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب وكذلك قوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ هو مخاطب فلا يدخل تحت الخطاب بذاته. ولا بصفاته جل عن ذلك وتعالى كما قال: ﴿الواحد القهار﴾ [يوسف: ٣٩]، و [الرعد: ١٦]، و[إبراهيم: ٤٨]، و [ص: ٦٥]، و [الزمر: ٤]، و[غافر: ١٦] قهر الكل ولم يدخل في القهر ذاته وصفاته. فافهم التحقيق لتدفع به كل بدعة وتمويه من أهل البدع إن شاء الله.

الثالث: قوله تعالى: ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [الروم: ٤٠] والدلالة من هذه الآية من أوجه:

أحدها: أنه قال تعالى: ﴿الله الذى خلقكم﴾ وهذا عام في ذواتنا وصفاتنا ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني ثم خلق أرزاقكم وعند المخالف أن العبد يخلق أفعاله ورزقه فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقا لنا ولأرزاقنا.

الوجه الثاني: من الدلالة أنه قال: ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ فكما لايقدر أحد أن يخلق موته ولا حياته فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه من حركة ولا سكون ولا غير ذلك.

الثالث: سبحانه وتعالى نزه نفسه عن عقدهم وخبثهم إذ أضافوا فعل شيء وخلقه إلى غيره فقال سبحانه وتعالى: ﴿عما يشركون﴾ ثم أكد ذلك بعده بمواضع فقال: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣] سبحانه وتعالى وقال: ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾ [النحل: ١٧].

وأما الدليل من السُّنة فكثير أيضا غير أني أذكر منه خبرين ننبه العاقل الفطن على الاستدلال بأمثالهما من السنة:

الأول: ما روى عنه ﷺ أنه قال: «إن الله خلق كل صَنعة وصانعها» (أخرجه البخاري في خلق الأفعال) وصنعة الصانع إنما هي بحركاته وأفعاله سواء كان في صنعة مباحة وطاعة ككتابة القرآن، والحديث. والفقه. ومحظورة من تصوير صور الحيوان أو عمل السلاح ليقتل به المسلمين. فصح بهذا الخبر أن الله جل وعلا خالق للفاعل منا ولفعله.

الخبر الثاني: قوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «فرغ ربك من أربع: من الخَلق، والخُلق. والرزق، والأجل فلو جهد الخلق على أن يؤتوك ما لم يقدِّره الله لم يقدروا على ذلك» وروى: «لو جهد الخلق على أن ينفعوك أو يضروك لم يقدروا على ذلك» والمخلوقات منها الضار والنافع في العاجل والآجل وقد جعل ﷺ كل ذلك إلى تقدير الله تعالى وخلقه له ولم يجعل إلى العباد شيئا من ذلك فاعلمه وتحققه.

ويدل على صحة ما قلناه إجماع المسلمين وأنهم يقولون: لا خالق إلا الله كما يقولون: لا رازق. ولا محيي، ولا مميت إلا الله تعالى. فنقول فلا يكون الخلق من غيره وأثبتوه خالقا.

ويدل على صحة ما قلناه من جهة العقل وأنه لا خالق إلا الله تعالى وهو كثير جدا لكن نختصر على قدر فيه الكفاية إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك: أن نقول لهم: إن قلتم إن الواحد منا يخلق أفعاله، من طاعة، أو معصية، أو إيمان، أو كفر فقد شركتم بيننا وبين الله تعالى في الخلق وأنه لا يتم خلقه إلا بخلقنا. وذلك أن الجسم لا يخلو من حركة، أو سكون، أو كفر، أو

إيمان، أو طاعة أو معصية، فصح أن جميع الذوات مشتركة بمخلوق الآخر وهذا شرك ظاهر نعوذ بالله منه.

دليل آخـر من جهـة العقـل: وإنـه لا خـالق إلا الله لأن الخالق الصانع أقل مـا يوصف به علمه بخلقـه كما قال: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [الملك: ١٤] ونحن نجد الواحد منا يفعل ما لا يعلم فعله فيه ولا يحصره ولا يعده بقدرة حتى إن الواحد منا يريد أن يتكلم صـوابا فيرمى خطاء إلى غير ذلك فيفعل ما لا يعلمه ولا يريده. وأيضا الواحد منا إذا خرج إلى المسجد حتى وصل إليه فعند المخالف أن كل خطوة خطاها خلقها وأنشأها ولو سئل عن عدد كل خطوة خطاها لم يدر ما يقول ولا يعلمه ولا يعرفه فلم يبق إلا أن الخالق لأفعالنا وأكسابنا هو الله تعالى الذى يعلمها كما قال: ﴿ألا يعلم من خلق﴾.

دليل آخر من جهـة العقل: وهو من شـرط الخالق للشيء أن يكـون قـادرا على (خلق الشيء وضـده فإن من يقـدر على خلق الحياة يقدر على خلق ضدهـا وهو الموت، وكذلك من يقـدر على خلق التفريق فى الجسم يقـدر خلق الاجتماع لـه حق يعود كمـا كان جسما مؤلفـا، ولما وجدنا أحـدنا لا يقدر على ذلك صح أنه غير خالق، ولما وجدنا الخالق تعالى يقدر على خلق الشىء وضـده دل على أنـه هـو الخـالق لا خـالق سواه، وقد قيل عن الشيخ الإمام أبى بكر بن فورك رضى الله عنه أنه كـان مع إسماعيـل المعروف بالصـاحب فى بستـان وكان يعتقد شيئا من ذلـك فأخذ سفرجلة وقطعها مـن الشجرة وقال له: ألست أنـا قطعت هذه السفرجلة؟ فقال لـه رضى الله عنه مجيبا: إن كـانت تزعم أنك خلقت هـذه التفرقة فيهـا فاخلق وصلها بالشجـرة حتى تعود كما كانت فبهت وتحير ولم يقدر على جواب. (ابن فورك زميل المؤلف فى عهد طلبه العلم عند الباهلى وإن كـانا متباعدى الـدار فى عهد إمامتهما ونشرهما العلم، ونوه بجواب ابن فورك هنا كما بلغه تقديرا لصاحبه كما هو شأن الإخلاص فى العلم).

وبلغنى أيضـا إن بعض القدريـة وقف على إحدى رجليـه وشـال الأخرى وقـال: ألست أنـا رفعت هذه وحططت هـذه؟ فقال لـه بعض أهل السنة: أن كنت تـزعم أنك خلقت الشيل فـاخلق الشيل فى الأخرى حتى تصيـر مشتـالة معهـا فبان لـه الحق ورجع عن قوله الباطل.

دليل آخر من جهـة العقل: وهو أنك تقـول حقيقة الخلق والأحداث هـو إخراج الشيء من العـدم إلى الوجـود وإذا كان الواحـد منا على زعمكـم يقدر أن يخلق حـركة معدومـة حتى يخرجها من العدم إلى الـوجود. وأن يخلق شيئا زائدا فيخرجه من العدم إلى الوجود، وأن يخلق له لونـا غير لونه فيخرجه من العدم إلى الوجود وفى هذا القول الخبيث التسوية بين قدرة الله تعالى وقـدرة العباد وأنهم يقدرون علـى ما يقدر عليـه. تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.

فصل: نذكـر فيها شبها يزعمون أن لهم فيهـا حجة وليس لهم حجة بحمد الله تعـالى كما قال: ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ [الشورى: ١٦] فإن احتجوا بقـوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [الواقعة: ٢٤] قالوا: فاثبت لنا العمل والعمل هو الفعل والفعل هـو الخلق فالجواب: أنه تعالـى أرادها هنا بالعمل الكسب والعبد مكتسب على مـا بينا. يدل على ذلك أنه قال فى موضع آخر: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [التوبة: ٨٢] نحن لا نمنع أن يكـون سمى كسب العبد عمـلا له إنمـا نمنع أن يكون العبد خـالقا مخترعا لفعله مخرجـا له من العدم إلى الوجود وقد بينا أن الخلق والاختراع والخروج من العدم إلى الـوجـود لا يقـدر عليـه إلا الله تعـالى فلم يكن لهم فى الآيـة حجة.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المـؤمنون: ١٤] وبقولـه تعالى: ﴿الـذى أحسن كل شىء خلقه﴾ [السجدة: ٧] وبقوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ [المائدة: ١١٠] فالجواب من أوجه:

أحدها: أنه يعنى بقوله ﴿أحسن الخالقين﴾ يعنى أحسن المقـدرين فعيسى عليـه السـلام يقـدر الطين صـورة والخلق يقدرون الصـورة صورة لا أنهم يخرجون الصـورة من العدم إلى الوجود فقال تعالى ﴿أحسن الخالقين﴾ أى المقدرين فاعلم ذلك.

جواب آخر: وذلك أن الله تعالى هو الخالق لا خالق سواه لكن لما ذكر معـه غيره قال ﴿أحسن الخالقين﴾ وإن كان هو الخالق على الحقيقة دون غيره كما يقال: عدل العُمَرين وإنما هو أبو بكـر وعمر لكن لما جمع بينهما سماهمـا باسم واحد وكذلك قول الفرزدق:

أخـذنـا بأكنـاف السمـاء عليكم
لنـا قمـراهـا والنجـوم الطـوالع

والقمر واحد لكن لما جمعه مع الشمس سماهم قمرين. وكان تعالى لما علم من الكفار ومنكم أن تجعلوا معه غيره خالقا قال ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] على زعمهم أن معه خالقا غيره وهذا كقوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧] على زعمكم لأن عندهم أن النشأة أهون من الإعادة فذكر ذلك على سبيل الرد عليهم والإنكار لقولهم أن معه خالقا غيره لا أنه أثبت معه خالقا غيره.

جواب آخر: وذلك أن لفظة أفعل فى كلام العرب قد يراد بها إثبات الحكم لأحد المذكورين وسلبه عن الآخر من كل وجه وذلك فى قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنه يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ [الفرقان: ٢٤] فأثبت حسن المقيل لأهل الجنة مع حسن المستقر وسلب ذلك عن أهل النار أصلا ورأسا لأن أهل النار ليس لهم حسن مستقر ولا حسن مقيل فكذلك قوله تعالى: ﴿أحسن الخالقين﴾ أثبت الخلق له وأنه هو المنفرد به دون غيره. وكذلك يقول القائل: العسل أحلى من الخل.

لا يريد أن للخل حلاوة بوجه بل يريد إثبات الحلاوة للعسل وسلبها عن الخل أصلا ورأسا. فكذلك قوله تعالى: ﴿أحسن الخالقين﴾ أثبت الخلق له دون غيره. فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣] فكيف يجوز أن يكون خالقا لكفر الكافرين، وعصيان العاصين وفيه من التفاوت غير قليل.

فالجواب: ان هذا سوء فهم وذلك أن هذا أراد به سبحانه وتعالى خلق السموات فى الصورة وأنه ليس فيها فطور ولا شقوق أجمع المفسرون على ذلك فلا حجة لكم فيها ثم إن أول الآية حجة عليكم لأنه قال: ﴿الذى خلق الموت والحيات﴾ [الملك: ٢] وبين الموت والحياة تفاوت وهو خالق الجميع لا خالق لذلك غيره فكذلك كفر الكافرين وإيمان المؤمنين وإن كان بينهما تفاوت فى الحكم فليس بينهما تفاوت فى الإيجاد والاختراع وإحكام الخلق فصح أن الآية حجة عليهم لا لهم.

فان احتجوا بقوله تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان﴾ [القصص: ١٥] فلو كان الله الخالق لوكزة موسى لقال هذا من عمل الرحمن الجواب من وجهين.

أحدهما: أن قول موسى هذا القول على وجه الأدب أى إنى أرتكب مانهيت عنه من شره النفس ووسوسة الشيطان ألا تراه قال فى ضلال السبعين من قومه لما لم يكن له فى ذلك كسب: ﴿إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء﴾ [الأعراف: ١٥٥] فيجب على العبد عند خطأه وذنبه أن يرد اللوم والتقصير إلى نفسه والى وسوسة الشيطان ولا يرد ذلك إلى خلق الله تعالى وإرادته لأنه يصير كالمحتج عليه تعالى وليس لأحد عليه حجة: ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ [الأنعام: ١٤٩] ومثل هذا قول أبيه آدم عليه السلام وحواء: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف: ٢٣] فردا التقصير والنقص واللوم إلى أنفسهما لأن هذا موضع الأدب والتذلل لا موضع الاحتجاج ومثل هذا كثير.

الجواب الثانى: أن الإجماع منا ومنكم أن الوكزة ليست خلق الشيطان ولا عمله بل هى عندنا من خلق الله تعالى واختراعه ولموسى عليه السلام كسب. وعلى عقدهم النحس أنها خلق موسى وعمله وليس لله فيها خلق ولا اختراع ولا عمل فبطل احتجاجهم بالآية ولم يبق إلا ما قلناه وهو أنه أراد بقوله: ﴿من عمل الشيطان﴾ [القصص: ١٥] أى زين ذلك وحسنه لى والله المعين.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] فأوضح تعالى أن السيئة منا والحسنة منه فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه لا يصح لكم الاحتجاج معشر المعتزلة بهذه الآية بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب لأن ظاهرها فيه تعلق لمن يقول إن الخير خلق الله تعالى وفعله والشر خلقنا وفعلنا وأنتم تقولون بظاهر هذه الآية لأنكم تقولون إن أحسن الحسن وخير الخير الإيمان والمعرفة. وتقولون ليس لله فى هذا قدرة ولا خلق وإنما هو بقدرة العبد المؤمن وخلقه فلا حجة لكم فيها.

الجواب الثانى: أن صريح النص فى أول هذه الآية حجة عليكم لأنه يقال رد عليهم وأمر نبيه عليه السلام أن يرد عليهم بقوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾ [النساء: ٧٨] ثم جهلهم وإياكم وأكد ذلك بقوله: ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ [النساء: ٧٨] فصارت الآية حجة واضحة عليكم لا لكم.

الجواب الثالث: قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] وهذا صحيح من وجهين:

أحدهما: أن مثله في القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ [آل عمران: ١٩١] تقديرا الكلام يقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا. ومثله قوله تعالى: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ...﴾ [الأنعام: ٩٣] ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب﴾ [آل عمران: ١٠٦] تقدير الكلام ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ [١٠٦] فيقال لهم ﴿أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب﴾ [١٠٦] فكذلك هذا فتقدير الكلام فيه (لا يكادون يفقهون) فيقولون ﴿ما أصابك من حسنة﴾، [النساء: ٧٩].

الوجه الثاني: أن هذه الآية إن لم تحمل على ما قلناه صار بعضها ينقض بعضا ويخالف بعضا. وليس في كتاب الله تعالى مناقضة ولا اختلاف فصح ما قلناه لأنه قال في أول الآية: ﴿كل من عند الله﴾، [النساء: ٧٨] ثم يرجع في سياقها فيقول: لا إنما البعض مني والبعض من خلقي كلا والله بل ذكر ذلك في سياق الآية تجهيلا لقائله وردا عليه فافهم الحق وادفع به الباطل.

فإن احتجوا فقالو: وجدنا أفعالنا واقعة على حسب قصدنا فوجب أن يكون خلقا لنا وفعلا لنا قالوا: وبيان ذلك أن الواحد منا إذا أراد أن يقوم قام، وإذا أراد ان يقعد قعد، وإذا أراد أن يتحرك تحرك، وإذا أراد أن يسكن سكن وغير ذلك. فإذا حصلت أفعاله على حسب قصده ومقتضى إرادته دل على أن أفعاله خلق له، وفعل له. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا غير صحيح أولا فإنا نرى من يريد شيئا ويقصده ولا يحصل ما يريد ولا ما يقصد. فإنه ربما أراد أن ينطق بصواب فيخطيء، وربما أراد أكلا لقوة وصحة فيضعف ويمرض، وربما ابتاع سلعة ليربح فيخسر، وربما أراد القيام فيعرض له ما يمنعه منه إلى غير ذلك فبطل ما ذكرتموه وصح أن فعله خلق لغيره يجرى على حسب مشيئة الخالق تعالى وإنما يظهر كسبه لذلك الفعل بعد تقدم المشيئة والخلق من الخالق. (وأما إرادة العبد للفعل فهي مدار تكليفه وهي بيده جعلها الله هكذا تحقيقا لمسئولية العبد عن أفعاله، وهي متقدمة تقدما ذاتيا على الخلق كما جرت عادة الله على ذلك فيكون اختيار العبد بعيدا عن سمة الجبر).

الجواب الثاني: أن وقوع الكسب من الخلق على حسب القصد منهم لا يدل ذلك على أنه خلق لهم واختراع. ألا ترى أن مشي الفرس والدابة يحصل على قصد الراكب وإرادته من عدو، وتقريب. واستطراف، ووقوف إلى غير ذلك: ولا يقول عاقل إن لراكب خلق جرى الفرس ولا سرعتها ولا غير ذلك من أفعالها فبطل أن يكون حصول الفعل على قصد الفاعل يدل على أنه خلقه، وكذلك أيضا السفن يحصل سيرها وتوجهها في السير من يمين إلى شمال على حسب قصد الملاح ولا يدل ذلك على أن الملاح خلق سير السفن ولا توجهها فإن كابروا الحقائق وقالوا نقول إن ذلك خلقه الملاح والفارس فقد خرجوا عن الدين وسووا بين الخالق والعباد وأن قدرة كل واحد منهما تتعلق بمقدورات وهذا كفر صراح. وإن قالوا: حركات السفن تقع على حسب قصد الملاح وليس بخلق له. قلنا: فكذلك أفعال أحدنا قد تقع ولا نقول إنها تقع في كل حال على حسب قصده ولا يدل ذلك على أنه خلقها فاخترعها. يؤكد ذلك أن البياض يحصل في الناطف عند قصد الناطفي له، ولا يقول أحد إن واحدا منا يقدر أن يخلق لونا لغيره ولا لنفسه فلا يمتنع أن يكون الفعل قد يحصل على حسب قصد أحدنا وليس هو خلقا له ولا موجودا له من العدم إلى الوجود فاعلم ذلك. يؤكد هذا أيضا أن نمو الزرع يحصل على حسب قصد الزارع وقيامه عليه بسقيه وغير ذلك ولا يقول أحد إن نمو الزرع خلقه الزارع ولا أنه خلق في الحبة أضعاف عددها وكذلك ما حصل فيه النمو من الفسيل والتين وغير ذلك.

وكذلك سِمَنُ الدابة يحصل على قصد العالف لها والساقي ولا يقول أحد إن العالف والساقي هو الذي خلق الشحم والسمن في الدابة. وكذلك دود القز يحصل منه القز على حسب قصد القائم عليه والمربي له ولا يقال إن القز خلقه في الدود إلا الله تعالى وإن كان حاصلا على حسب إرادة القائم عليه وقصده وكذلك فيما يحصل من الواحد منا

إذا أراد الله تعالى حصوله على حسب قصده لايدل على أنه هو خلقه بل الخالق له هو الله تعالى.

فإن قيل فإذا لم يكن أحدنا خالقا لفعله فكيف يكون ملوما عليه ومعذبا به ويستحق عليه المدح والثواب أو الذم والعقاب؟ فالجواب:

إننا لانقول إن المدح والثواب، ولا الذم والعقاب يحصل بفعل الفاعل منا حتى يوجب ذلك كونه خلقا له واختراعا بل نقول: إن ذلك يحصل بحكم الله تعالى ويجب ويستحق بحكمه لا بأن يوجب الواجب عليه خلق أوجبه عليه. ألا ترى بالإجماع منا ومنكم ومن جميع المسلمين أن الدية تجب على العاقلة بقتل غيرها خطأ وإن لم تفعل العاقلة شيئا يستحق به إيجاب ذلك عليها وأن ذلك الذى فعلته خلق لها بل هو خلق لغيرها وهو الله تعالى عند المسلمين وخلق للقاتل على زعمكم فصح أن الوجوب حصل بإيجاب الله وحكمه لا بخلق العاقلة وفعلها، وكذلك جميع الأحكام فى الدنيا والآخرة إنما تجب وتستحق بإيجاب الله تعالى وإرادته لا بكونها خلقا للفاعل فاعلم ذلك وتحققه.

وكذلك أيضا الأكل فى الصيام ناسيا فعل العبد كما هو فعل له عند تعمده لكن الله تعالى حكم بأن أحدهما مبطل ومفطر ويذم ويعاقب عليه، والآخر بالضد من ذلك وإن كان الجميع فعلا للعبد فصح أن ذلك إنما يكون بحكم الله تعالى لا بكونه خلقا للفاعل فصح ما قلناه وبطل ما توهموه.

فإن قيل: من فعل الطاعة كان طائعا، ومن فعل المعصية كان عاصيا فالجواب: إن هذا غير صحيح لأن كون البارى تعالى خالقا وفاعلا لا يوجب أن يتصف بالطاعة والمعصية لأن الطاعة صفة الطائع والمعصية صفة العاصى، ولا يوجب ذلك وصف خالق الطاعة والمعصية بكونه طائعا عاصيا. ألا ترى أن الأسود صفة لمن قام به السواد ولا يكون صفة لله تعالى وإن كان تعالى هو خالق السواد. فكذلك التحرك صفة لمن له الحركة لا صفة من خلق الحركة. والولد لمن له الولد لا لمن خلق الولد. والحلاوة صفة العسل لا لمن خلق الحلاوة فيه. وكذلك الحموضة فى الخل صفة الخل لا لمن خلق الحموضة فيه. وكذلك الموت إذا خلقه الله فى أحدنا صار ميتا واتصف بذلك ولا يوجب أن يتصف الخالق للموت بأنه ميت لما خلق الموت وفعله بالحى فكذلك المعصية صفة من حلت به المعصية، والطاعة صفة لمن حلت به الطاعة ولا يوجب ذلك وصف خالقهما بأنه طائع ولا عاص.

فإن قيل: لا يجوز أن يكون الله خالق الظلم، والجور، والكذب لأن من فعل الظلم كان ظالما، ومن فعل الجور كان جائرا، ومن فعل الكذب كان كاذبا والله تعالى يتنزه عن جميع ذلك. فصح أن هذه الأشياء ليست بفعل له، ولا خلق له.

فالجواب: أن هذا السؤال هو الأول بعينه والجواب عنه قد تقدم لكن نزيد هاهنا جوابا آخر وذلك أنا نقول: ليس الأمر على ما يقع لكم بل نقول إن الله تعالى خلق الظلم ظلما للظالم به، وخلق الجور جورا للجائر به، وخلق الكذب كذبا للكاذب به كما أنه خلق الظلمة ظلمة الظلم بها، وخلق الضوء ضوء للمستضىء به، وخلق الحمرة حمرة للأحمر بها، وخلق السواد سوادا للأسود به، وخلق السم سما للمسموم به. فكما أن الله تعالى خلق الظلمة الليل، والضياء للنهار، والحمرة للأحمر، والسواد للأسود. والسم للحية ولا يوجب ذلك كونه ظلمة ولا ضياء ولا سوادا ولا حمرة ولا سمًّا فكذلك خلق الطاعة طاعة للطائع بها، والكذب كذبا للكاذب به، والجور جورا للجائر به ولا يوجب ذلك كونه جائرا ولا ظالما ولا كاذبا فصح ما قلناه وبطل ما قالوه.

جواب آخر: وذلك أن الظلم والكذب والجور ليس من حيث الصورة والفعل وإنما يكون كذبا إذا خالف الأمر، وكذلك الجور والظلم وهذا كله يصح الوصف به لمن فوقه آمر أمره، وناه نهاه وهم الخلق. وأما الخالق فليس فوقه آمر ولا ناه فلا يصح وصفه بشىء من هذا فاعلم ذلك وتحققه فإنه أصل قوى تدفع به جميع ظنونهم الفاسدة.

فإن قيل: لا يجوز أن يقال للجور والكذب هذا خلق الله بل يعرض عن ذلك ولا يقال، فصح أنه خلق لغيره.

فالجواب: أن هذا السؤال غير صحيح لأنك إن أردت الإطلاق فى العموم فجائز بأن تقول: يا خالق المخلوقات، وياخالق الموجودات، وياخالق كل شىء، وياخالق الضر والنفع. وإن أردت ذلك على الخصوص بأن تقول: يا خالق الكذب والجور فلا يجوز من طريق الأدب والإذن فى ذلك كما أنا نقول ياخالق المخلوقات فنعم بذلك السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والقردة، والخنازير، والكلاب، والجعلان وغير ذلك من سائر المخلوقات فلا يجوز أن تقول على

الانفراد بالخالق الاقذار والأنجاس ونحو ذلك من طريق الأدب وإنه لم يؤذن لنا فى ذلك بل ندعوه بأسمائه الحسنى كما أمر فقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] (الإنصاف/ ٢٧-٣٩).

وفى الباب السادس عشر من كتابه «شفاء العليل» تكلم الإمام ابن القيم على ما جاء فى السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم وقد أطال فى هذا الباب وننقل لك هنا بعضا مما جاء فيه قال رحمه الله:

قال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد: حدثنا على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال قال النبى ﷺ «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» قال البخارى وتلا بعضهم عند ذلك ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] حدثنا محمد أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة نحوه موقوفا عليه وأما استشهاد بعضهم بقوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ بحمل ما على المصدر أى خلقكم وأعمالكم فالظاهر خلاف هذا وأنها موصولة أى خلقكم وخلق الأصنام التى تعملونها فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة اللزوم فإن الصنم اسم للآلة التى حل فيها العمل المخصوص، فإذا كان مخلوقا لله كان خلقه متناولا لمادته وصورته. قال البخارى وحدثنا عمرو بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاوس عن ابن عمر: كل شىء بقدر حتى وضعك يدك على خدك قال البخارى وحدثنى إسماعيل قال حدثنى مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شىء بقدر حتى العجز والكيس ورواه مسلم فى صحيحه عن طاووس وقال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ«كل شىء بقدر حتى العجز والكيس» قال البخارى وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] حتى العجز والكيس قال البخارى سمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول مازلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة. قال البخارى حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وإسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فيسره لى ثم بارك لى فيه وإنكنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضِّنى به (انظر مادة «الاستخارة (صلاة ـ) (فى م ٤ / ٢١٤) قال ويسمى حاجته قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح فقوله إذا همَّ أحدكم بالأمر صريح فى أنه الفعل الاختيارى المتعلق بإرادة العبد وإذا علم ذلك فقوله أستقدرك بقدرتك أى أسألك أن تقدرنى على فعله بقدرتك ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التى هى سلامة الأعضاء وصحة البنية وإنما سأل القدرة التى توجب الفعل فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله فإنك تقدر ولا أقدر أى تقدر أن تجعلنى قادرا فاعلا ولا أقدر أن أجعل نفسى كذلك وكذلك قوله تعلم ولا أعلم أى حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها والنافع منها والضار عندك وليس عندى وقوله يسره لى أو اصرفه عنى فإنه طلب من الله تيسيره إن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه إن كان فيه مفسدة وهذا التيسير والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل فى القلب أو إلقاء داعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك امتنع الفعل وعند القدرية ترجيح فاعلية العبد على الترك منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير فطلب هذا التيسير منه لا معنى له عندهم فان تيسير الأسباب التى لا قدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد وقوله ثم رضِّنى به يدل على أن حصول الرضا وهو فعل اختيارى من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذى يجعل نفسه راضية وقوله فاصرفه عنى واصرفنى عنه صريح فى أنه سبحانه هو الذى يصرف عبده عن فعله الاختيارى إذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى فى حق يوسف الصديق ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف: ٢٤] وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعى القلب وميله إليها فينصرفان عنه بصرف دواعيهما وقوله واقدر لى الخير حيث كان يعم الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له فعلم أن فعل العبد للطاعة والخير أمر مقدور لله إن لم يقدره الله لعبده لم يقع من العبد ففى هذا الحديث الشفاء فى مسألة

القدر. وأمر النبي ﷺ الداعي به أن يقدم بين يدي هذا الدعاء ركعتين عبودية منه بين يدي نجواه وأن يكونا من غير الفريضة ليتجرد فعلهما لهذا الغرض المطلوب. ولما كان الفعل الاختياري متوقفا على العلم والقدرة والإرادة لا يحصل إلا بها توسل الداعي إلى الله بعلمه وقدرته وإرادته التي يؤتيه بها من فضله وأكد هذا المعنى بتجرده وبراءته من ذلك فقال: إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأمر الداعي أن يعلق التيسير بالخير والصرف بالشر وهو علم الله سبحانه تحقيقا للتفويض اليه واعترافا بجهل العبد بعواقب الأمور كما اعترف بعجزه ففي هذا الدعاء إعطاء العبودية حقها وإعطاء الربوبية حقها وبالله المستعان.

وفي الترمذي وغيره من حديث الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقْضَىٰ عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت».

فقوله اهدني سؤال للهداية المطلقة التي لا يتخلف عنها الاهتداء وعند القدرية أن الرب سبحانه وتعالى عن قولهم لا يقدر على هذه الهداية وإنما يقدر على هداية البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار.

وقوله فيمن هديت فيه فوائد أحدها أنه سؤال له أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم، الثانية توسل إليه بإحسانه وإنعامه أي ياربي قد هديت من عبادك بشرا كثيرا فضلا منك وإحسانا فأحسن إليَّ كما أحسنت إليهم كما يقول الرجل للملك اجعلني من جملة من أغنيته وأعطيته وأحسنت إليه الثالثة أن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بأنفسهم وإنما كان منك فأنت الذي هديتهم.

وقوله وعافني فيمن عافيت إنما يسأل ربه العافية المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والإعراض وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه فهذا حقيقة العافية ولهذا ما سئل الرب شيئا أحب إليه من العافية لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه.

وقوله وتولني فيمن توليت سؤال للتولي الكامل ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق القدرة وسلامة الآلة وبيان للطريق فإن كان هذا هو ولايته للمؤمنين فهو ولي الكفار كما هو ولي المؤمنين وهو سبحانه يتولى أولياءه بأمور لا توجد في حق الكفار من توفيقهم وإلهامهم وجعلهم مهديين مطيعين ويدل عليه قوله: إنه لا يذل من واليت فإنه منصور عزيز غالب بسبب توليك له. وفي هذا تنبيه على أنه من حصل له ذل في الناس فهو بنقصان ما فاته من تولي الله وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفي الذل كله ولو سلط عليه بالأذى من في أقطارها فهو العزيز غير الذليل.

وقوله وقني شر ما قضيت يتضمن أن الشر بقضائه فإنه هو الذي يقي منه وفي المسند وغيره أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ ابن جبل «يامعاذ والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وهذه أفعال اختيارية قد سأل الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لا معنى له عند القدرية فإن الإعانة عندهم الإقدار والتمكين وإزاحة الأعذار وسلامة الآلة وهذا حاصل للسائل وللكفار أيضا والإعانة التي سألها أن يجعله ذاكرا شاكرا محسنا لعبادته كما في حديث ابن عباس عنه ﷺ في دعائه المشهور: «أعني ولا تعن عليَّ وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطواعا لك مخبتا إليك أواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة صدري» رواه الامام أحمد في المسند وفيه أحد وعشرون دليلا فتأملها.

وفي الصحيحين أنه ﷺ كان يقول بعد انقضاء صلاته: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». وكان يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ففي هذا نفي الشريك عنه بكل اعتبار وإثبات عموم الملك له بكل اعتبار وإثبات عموم الحمد وإثبات عموم القدرة وأن الله سبحانه إذا أعطى عبدا فلا مانع له وإذا منعه فلا معطي له. وعند القدرية أن العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطي من منعه فإنه يفعل باختياره عطاء ومنعا لم يشأه الله ولم يجعله معطيا مانعا فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع مُعط وفي الصحيح أن رجلا سأله أن يدله على عمل يدخل به الجنة فقال إنه ليسير على من يسّره الله عليه

فدل على أن التيسير الصادر من قِبله سبحانه يوجب اليسر فى العمل وعدم التيسير يستلزم عدم العمل لأنه ملزومه والملزوم ينتفى لانتفاء لازمه . والتيسير بمعنى التمكين وخلق الفعل وإزاحة الأعذار وسلامة الأعضاء حاصل للمؤمن والكافر والتيسير المذكور فى الحديث أمر آخر وراء ذلك وبالله التوفيق والتيسير .

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال لأبى موسى «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالقبول وهى شافية كافية فى إثبات القدر وإبطال قول القدرية وفى بعض الحديث إذا قالها العبد قال الله أسلم عبدى واستسلم وفى بعضه فوض إلىَّ عبدى قال بعض المنتسبين للقدر لما كانت القدرة بالنسبة إلى الفعل وإلى الترك بحصول الدواعى على التسوية ومادام الأمر كذلك امتنع صدور الفعل فإذا رجح جانب الفعل على الترك بحصول الدواعى وإزالة الصوارف حصل الفعل وهذه القوة هى المشار إليها بقولنا لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وشأن الكلمة أعظم مما قال فإن العالم العلوى والسفلى له تحول من حال إلى حال وذلك التحول لا يقع إلا بقوة يقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل فى هذا كل حركة فى العالم العلوى والسفلى وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو إرادية أو طبيعية وسواء كانت من الوسط أو على الوسط وسواء كانت فى الكم أو الكيف أو فى الأين كحركة النبات وحركة الطبيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب والقوة على هذه الحركات التى هى حول فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذى يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيها النبى ﷺ من كنز تحت العرش وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزِمَّة الأمور بيديه وفوض أمره إليه وفى المسند والسنن عن أبى الديلمى قال أتيت أُبى بن كعب فقلت فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله يذهبه عنى من قلبى فقال : إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أُحُد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير ذلك كنت من أهل النار» قال فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثنى بمثل ذلك عن رسول الله ﷺ وهذا الحديث حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه وله شأن عظيم وهو دال على أن من تكلم به أعرف الخلق بالله وأعظمهم له توحيدا وأكثرهم له تعظيما وفيه الشفاء التام فى باب العدل والتوحيد فإنه لا يزال يجول فى نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والأمر والنهى وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضى المقدر الذى لابد للعبد من فعله ثم سلك كل طائفة فى هذا المقام واديا وطريقا فسلك الجبرية وادى الجبر وطريق المشيئة المحصنة الذى يرجح مثلا على مثل من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة قالوا وكل ممكن عدل والظلم هو الممتنع لذاته فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان متصرفا فى ملكه . والظلم تصرف القادر فى غير ملكه وذلك مستحيل عليه سبحانه قالوا ولما كان الأمر راجعا إلى محض المشيئة لم تكن الأعمال سببا للنجاة فكانت رحمته للعباد هى المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطلوا جانب الحمد والله سبحانه له الملك وله الحمد .

وسلكت القدرية وادى العدل والحكمة ولم يوفوه حقه وعطلوا جانب التوحيد وحاروا فى هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه وربما قابله كثير منهم بالتكذيب والرد له وأن الرسول لم يقل ذلك قالوا وأى ظلم يكون أعظم من تعذيب من استنفد أوقات عمره كلها واستفرغ قواه فى طاعته وفعل ما يحبه ولم يعصه طرفة عين وكان يعمل بأمره دائما فكيف يقول الرسول ﷺ إن تعذيب هذا يكون عدلا لا ظلما قالوا ولا يقال إن حقه عليهم وما ينبغى له أعظم من طاعاتهم فلا تقع تلك الطاعات فى مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم لأنهم إذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكلفوا بغيره فكيف يعذبون على ترك ما لا قدرة عليه وهل ذلك إلا بمنزلة تعذيبهم على كونهم لم يخلقوا السموات والأرض ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم قالوا فلا وجه لهذا الحديث إلا رده أو تأويله وحمله على معنى يصح وهو أنه لو أراد تعذيبهم جعلهم أمة واحدة على الكفر فلو عذبهم فى هذه الحال لكان غير ظالم لهم وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لعذبهم وهو غير ظالم لهم ثم أخبر أنه لو عمهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ثم أخبر أنه لا يقبل من العبد عمل حتى يؤمن بالقدر والقدر هو علم الله بالكائنات

وحكمه فيهـا ووقفت طائفه أخرى فى وادى الحيـرة بين القدر والأمـر والثـواب والعقـاب فتـارة يغلب عليهم شهـود القـدر فيغيبون به عن الأمر وتارة يغلب عليهم شهود الأمر فيغيبون عن القدر وتارة يبقـون فى حيرة وعمى وهذا كله إنمـا سببه الأصول الفاسدة والقواعد الباطلة التى بنوا عليها ولو جمعوا بين الملك والحمد والربوبية والإلهية والحكمـة والقدرة وأثبتوا له الكمال المطلق ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة والمشيئة العامة النافذة التى لا يـوجد كـائن إلا بعـد وجودهـا والحكمـة البالغـة التى ظهرت فى كل موجود لعلمـوا حقيقة الأمر وزالت عنهم الحيرة ودخلـوا إلى الله سبحـانه من بـاب أوسع من السمـوات السبع وعرفـوا أنه لا يليق بكمـاله المقدس إلا مـا أخبر بـه عن نفسه على ألسنة رسله وأن ما خالفه ظنون كاذبة وأوهام باطلة تولدت بين أفكـار بـاطلـة وآراء مظلمـة فنقـول وبـالله التـوفيق وهـو المستعان وعليـه التكلان ولا حول ولا قـوة إلا بالله (شفاء العليل ١٠٩-١١٣).

أما عن النظم الذى جاء في أن الله تعـالى هو خالق أفعال العباد فقد ذكره الشيخ عبـد الغنى إسماعيل فى البيتين التاسع عشر والعشرين من منظومته الموسومة بكفاية الغلام، وننقلهما فيما يلى مع شرح الناظم لكل منهما. قال الناظم رحمه الله:

١٩ ـ *وكل مـا يـوجـد من فعل البشـر* ... *فـإنـه بخلقـه خيـر وشـر*

٢٠ ـ *كلف عبـده ومـا قـد جـارا* ... *وهـو الـذى يجعلـه مختـارا*

وإليك الشرح:

البيت ١٩: (وكل مـا) أى أمـر أو الذى (يـوجـد من فعل البشر) بفتـح الباء الموحـدة وفتح الشين المعجمة، وهـم بنو آدم، سمـوا بـذلـك لظهـورهم بخـلاف الجن، أو لظهـور بشرتهم، وهى: ظـاهر جلـد الإنسان، أو من البشـارة بالفتح وهى: الجمال، ولا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع، والمرأة أيضا.

(فإنه) أى كل ما يوجد [من ذلك] حاصل وكائن (بخلقه) سبحانه وتعـالى، أى: تقديره وإيجاده (خير) بـالجر بدل من فعل البشر، بـدل بعض من كل. (وشر)، معطـوف على خير، والضميـر العائد على المبـدل منـه محذوف، تقـديره: خيـره وشره: والمـراد: أفعالهم الاختياريـة الصادرة منهم، منسـوبة إلى قـوة حيـاتهم العـرضيـة، وتأثيـر قـدرتهم المجـازى، وتخصيص إرادتهم، واختيـارهم الجـزئى، فإن الله ـ تعـالى ـ خـالـق جميع ذلك منسـوبـا إليهم، كمـا خلق أعضـاءهم الجسمانية منسوبة إليهم، فهى أفعـالهم كسبا، وأفعاله تعالى خلقا وإيجادا. ويصح نسبـة فعل واحد إلى فاعلين مختلفين بنسبتين مختلفتين، كالدار المستأجرة، منسوبة إلى مالكها، وإلى مستأجرها، بنسبتين مختلفتين نسبة الملك ونسبة التصرف.

البيت ٢٠: (كلف) بتشديد اللام، أى: الله تعالى (عبده) العاقل البـالغ بما كلفه بـه من الاعتقاد الصحيح المطـابق لما ورد فى الكتـاب والسنـة على طـريقـة السلف الصـالحين من الصحـابـة والتـابعين والعلمـاء العـاملين، والعمل الصـالح الخالى من البدعة على حسب الطاقة فعلا وكفا بمقتضى أحد المذاهب الأربعة.

(ومـا قد جـارا) بألف الإطلاق، أى: مـا جار ـ سبحـانـه وتعـالى ـ فى تكليفـه لـه بذلـك، لأن الجور فى حق مختـرع جميع المخلوقات من العدم لا يتصور أصلا، فإنه يتصرف فى ملكه بما يـريد، وإنما الظلم والجور هـو: التصرف فى ملك الغيـر ولا غيـر معـه تعالى يملـك شيئا أصـلا إلا بإيجـاده ـ سبحانه وتعالى ـ وتمليكه، فالمالكون والمملوكون كلهم ملكه ـ جل وعلا ـ يتصرف فيهم كيف يشاء، فإن كـان تصرفه فيهم موافقا لمرادهم فى الدنيا كان فضلا أو استدراجا، وفى الآخرة فضـلا فقط، وإن كان تصـرفه فيهم غيـر موافق لمـرادهم فى الدنيا والآخرة كان عدلا وحكمة، والجور عليه تعالى محال.

(وهو) سبحـانه وتعالى لا غيره (الـذى يجعله) أى يجعل عبـده المكلف (مختـارا) أى يخلقه كـذلك يختـار الخيـر أو يختار الشر، فيثيبـه على ما يخلقه له من فعل الخيـر، ويعاقبه على مـا يخلقه لـه من فعل الشـر ﴿**لا يُسئل عمـا يفعل وهم يُسئلون**﴾ [الأنبياء: ٢٣] (رشحات الأقلام / ٣٧، ٣٨).

(الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل بـه للإمام القاضى أبى بكر محمـد بن الطيب الباقـلانى ـ عرَّف الكتـاب، وقدمـه للقراء، وكتب هوامشه صـاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسـن الكوثرى / ٢٧ ـ ٣٩، وشفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن قيم الجوزية مكتبـة الريـاض الحديثـة. الريـاض بدون تـاريخ / ١٠٩ ـ ١١٣، ورشحات الأقـلام شرح كفـاية الغـلام فى أركـان الإسلام للعـلامة الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النـابلسى ـ تحقيق محمد خالـد الخرسة / ٣٧، ٣٨).

انظر مادة أفعال العباد « فى م ٥ / ٤٥٦ ـ ٤٦٠.

* **خلق أفعال العباد (كتاب -):**

خلق أفعال العباد: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين صنفه بسبب ما وقع بينه وبين الذهلى ويرويه عنه يوسف بن ريحان ابن عبد الصمد والفربرى أيضا وهو من تصانيفه الموجودة قاله ابن حجر العسقلانى.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٢).

* **خلْق الإنسان:**

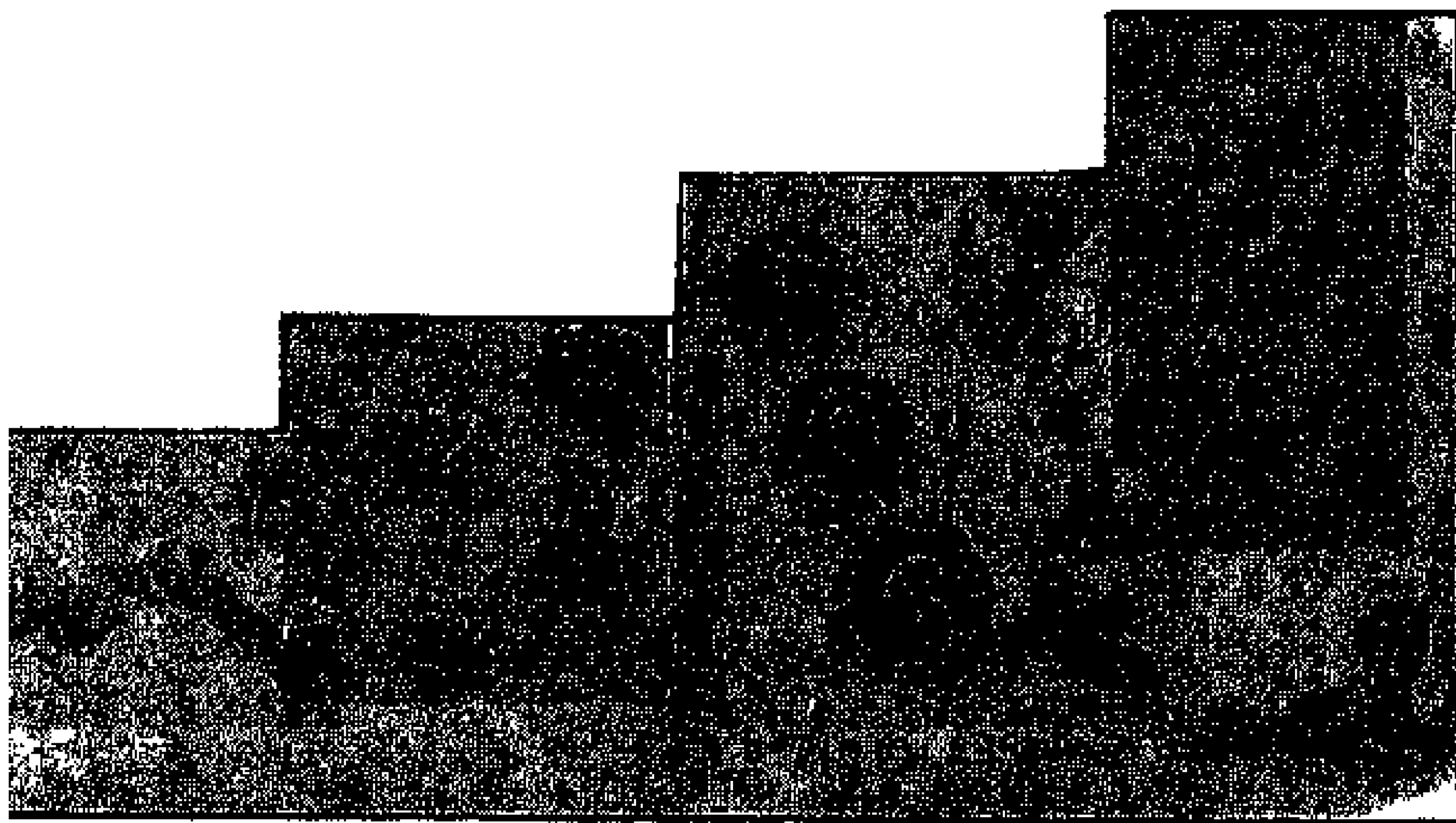
سبق أن أوردنا مادة بعنوان «الأجنة (علم ــ)» (فى م ٢ / ٤٦١ ــ ٤٦٦)، ونستكمل فى هذه المادة ما ورد عن خلق الإنسان فى مصنفات التراث الإسلامى وهو نموذج جيد من كتاب النزهة المبهجة للشيخ عمر بن داود الأنطاكى فقد أورد فيه بحثا طويلا مستفيضا عن كل ما يتعلق بخلق الإنسان (ص ١٤٣ ـ ١٩٣) ونكتفى هنا بنقل بعض ما جاء فيه وللقارىء أن يرجع إلى الكتاب إن أراد الاستزادة:

١ ـ المبحث الأول: فى تحقيق مبدأ الخلقة وكيفية التلون والتخليق:

وأبلغ ما أرشد إلى تقرير ذلك أشرف الكتب الإلهية وأدق المعاجز السماوية المنزل على خلاصة العالم وعين أفراد بنى آدم، قال جل من قائل **﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾** يعنى إيجادا واختراعا لعدم سبق المادة الأصلية **﴿من سلالة﴾** [المؤمنون: ١٢] هى الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الامتزاج بالتفعل الثانى مما ركب منها بعد امتزاج القوى والصور، والتنويه باسمه إما للصورة والرطوبات الحسية أو لأنه السبب الأقوى فى تحجر الطين وانقلابه وكسر سورة الحرارة وإحياء النبات والحيوانات اللذين هما أصل الغذاء الكائنة عنه النطف وهذا الماء هو المرتبة الأولى والطور الأول وقوله **﴿من سلالة﴾** يشير إلى أن المواليد كلها أصول للإنسان وأنه المقصود بالذات الجامع لطباعها ثم جعله نطفة بالإنضاج والتخليص الصادر عن القوى المعدة لذلك؛ ففى قوله تعالى **﴿ثم جعلناه نطفة﴾** [المؤمنون: ١٣] تحقيق لما صار إليه الماء من خلع الصور البعيدة والضمير إما للماء حقيقة أو للإنسان بالمجاز الأولى، وقوله **﴿فى قرار مكين﴾** [المؤمنون: ١٣] يعنى الرحم (نورد مادة «الرحم» فى موضعها إن شاء الله تعالى) يعنى الرحم وهذا هو الطور الثانى ثم قال مشيرا إلى الطور الثالث **﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾** [المؤمنون: ١٤] أى صيرناها دما قابلا للتمدد والتخلق باللزوجة والتماسك؛ ولما كان بين هذه المراتب من المهلة والبعد ما سنقرره عطفها بثم المقتضية للمهلة كما بين أدوار كواكبها فإن زحل يلى أيام السلالة المائية لبردها والمشترى يلى النطفة لرطوبتها والمريخ يلى العلقة لحرارتها وهذه الثلاثة هى أصحاب الأدوار الطوال.

ثم شرع فى المراتب القريبة التحويل والانقلاب التى تليها الكواكب المتقاربة فى الدورة وهى ثلاثة: أحدها ما أشار إليه بقوله **﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾** أى حولنا الدم جسما صلبا قابلا للتفصيل والتخطيط والتصوير والحفظ وجعل مرتبة المضغة فى الوسط وقبلها ثلاث حالات وبعدها كذلك لأنها الواسطة بين الرطوبة السيالة والجسم الحافظ للصور وقابلهم بالشمس لأنها بين العلوى والسفلى كذلك وجعل التى قبلها علوية لأن الطور الإنسانى فيها لا حركة له ولا اختيار فكأنه هو المتوليه أصالة وإن كان فى الحالات كلها كذلك لكن هو أظهر فانظر إلى دقائق مطاوى هذا الكتاب، وتحويل العلقة إلى المضغة يقع فى دون الأسبوع وكذلك ما بعدها.

وثانيها مرتبة العظام المشار إليها بقوله تعالى **﴿فخلقنا**



المضغة عظاما﴾ أى صلبنا تلك الأجسام بالحرارة الإلهية حتى اشتدت وقبلت التوثيق والربط والإحكام والضبط وهذه مرتبة الزهرة وفيها تتخلق الأعضاء المنوية المشاكلة للعظام أيضا ويتحول دم الحيض غاذيا كما هو شأن الزهرة فى أحوال النساء، وقوله تعالى ﴿فكسونا العظام لحما﴾ أى حال تحويل الدم غاذيا للعظام لا يكون عنه إلا اللحم والشحم وكل ما يزيد وينقص وهذا شأن عطارد تارة يتقدم وتارة يتأخر ويعتدل وكذا اللحم فى البدن، وهذه المرتبة هى التى يكون فيها الإنسان كالنبات ثم يطول الأمر حتى يشتد ثم يتم إنسانا يفيض بالحياة والحركة بنفخ الروح فلذلك قال معلما للتعجب والتنزيه عند مشاهدة دقيق هذه الصناعة ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] وهذا هو الطور السابع الواقع فى حيز القمر.

وفى هذه الآية دقائق الأولى عبَّر فى الأول بخلقنا لصدقه على الاختراع. وفى الثانى بجعلنا لصدقه على تحويل المادة ثم عبَّر فى الثالثة وما بعدها كالأول لأنه أيضا إيجاد ما لم يسبق.

الثانية: مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة وحكمة الربط الواقع بين العوالم.

الثالثة قوله: ﴿فكسونا﴾ وهى إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال وأن الاعتماد على الأعضاء والنفس خاصة. (الرابعة) قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه﴾ سماه بعد نفخ الروح إنشاء لأنه حينئذ قد تحقق بالصورة الجامعة. الخامسة قوله: ﴿خلقا آخر﴾ ولم يقل إنسانا ولا آدميا ولا بشرا لأن النظر فيه حينئذ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية فقد آن خروجه من السجن وإلباسه المواهب. فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقا ملكيا قدسيا أو بالبهيمية فيكون كذلك أو بالحجرية إلى غير ذلك فلذلك أبهم الأمر وأحاله على اختياره وأمر بتنزيهه عن هذا الأمر الذى لا يشاركه فيه غيره.

وفيها من العجائب ما لا يمكن بسطه هنا وكذلك سائر آيات هذا الكتاب الأقدس ينبغى أن تفهم على هذا النمط. إذا عرفت هذا فإيضاح هذه الأصول أنه سبحانه حين قضى بإيجاد الأشخاص توليدا أفاض على الأعضاء قوى تقدر بها على تفصيل جزء من الغذاء هو أخلصه تكون فيه الصورة بالقوة ثم أودع الشاهية بين الذكور والإناث فإذا التقيا واتصلا انفصل بالفعل المخصوص ذلك الجزء فانصب فى القرار المكين من الإناث وهو الرحم ...

٢ ـ المبحث الثانى فى تحقيق أول عضو يتكون:

اختلف أهل الصناعة فى ذلك فقال المعلم أول عضو يتكون القلب لأنه مبدأ الحياة ومعدن الغريزية وموضعه الوسط فهو مركز هذه الدائرة ونظير الشمس فى الفلك وفيه توليد الأرواح التى لا يكون بدونها البدن حيا ولأنها ألطف واللطيف يسبق الكثيف فى التوليد فلو لم يكن القلب أولا لبقيت الأرواح لا فى محل وهو محال، وذهب أبقراط إلى أن أول ما يتكون الدماغ لأنه مبدأ الأعصاب وموضع القوى النفسية ولأنه شاهد الدماغ فى البيضة أول متكون وهذا مردود لأن الأعصاب لا ضرورة إلى سبق أصلها لعدم الحاجة إلى الحس والحركة حينئذ ولأن القوى النفسية يستحيل وجودها قبل الحيوانية التى لا يولدها سوى القلب وسبقه فى الفرخ على تقدير صحته غير لازم فى الإنسان لاختلافهما، على أنه يجوز أن يكون القلب هو السابق أيضا ولم يظهر لصغره وكثرة دم البيضة وقال الرازى أول متكون الكبد لأنه يولد الدم والحاجة داعية إليه فى التغذية وهذا لا ينبغى أن يذكر عن مثل هذا لسخافته وذلك لأن الغذاء حينئذ غير محتاج إليه للاكتفاء بالحرارة فى إصلاح المنى ثم الدم وقد تكلف الملطى الرد هنا بقوله يمكن أن تكون الغاذية فى القلب أو مصاحبة للمنى من الأب.

الثالث فى تفصيل مدد التكوين فى الأطوار السبعة السابقة قد وقع فى ذلك اختلاف كثير من الحكماء وكلام صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن اعتبر الطوارىء وحرر الموجبات والموانع وتغير الموضوع والمحمول رأى الخلاف ساقطا والأمر واحدا وذلك أن القاعدة أن الحرارة أسرع فعلا من البرودة والرطوبة أطوع من اليبس فالمنى إما أن يكون بين شخصين بينهما الصبوة والنمو ولا شك حينئذ فى سرعة تخلق الصورة، ثم من القواعد أن الذكورة من حيث هى أحر من الأنوثة فإن أضفتها إلى تلك أسرعت السرعة أيضا، ثم إن كان المنى كائنا عن نحو الفراريج والسكر وأضيف هذا إلى ما

مر اشتدت السرعة أيضا لذلك ومتى كان ذلك كله فى زمن الربيع وفى بلد جنوبى تضاعف الحال فى قوة السرعة فإذا عرفت هذه الأمور وما توجبه عرفت أن لضدها الكلى البطء الكلى ولما نقص بحسبه وفى الشباب والذكورة وغذاء نحو العسل وزمن الصيف والبلد الشرقى له غاية اليبس وبالعكس جزئيا وكليا.

فإذا أحكمت ذلك فلنقرر حكم المدة المذكورة فى معتدل فى كل ما ذكر. فنقول إذا وقع منى معتدل فى مطلق الأحكام فى رحم بدأ فى التغير من أول درجة فيغلى ويخرج منه زبد يستقر فى وسطه فى اليوم الثالث ثم نقطة فى أعلاه فى الرابع ثم أخرى فى السادس عن يمين الوسط فالأول القلب والثانى الدماغ والثالث الكبد وهذه الأيام يسمى المنى فيها رغوة ثم ترسم خطوط العروق يوم العاشر وحينئذ يتغير إلى الحمرة حتى يكون علقة فى الخامس عشر وقد نفذت الدموية فى جوانبه ما خلا أغشية فى الخارج قيل إنها من منى الإناث خاصة ثم تأخذ فى التصلب حتى تكمل فى السابع والعشرين مضغة صلبة بالنسبة إلى ما قبلها ثم فى الثامن والعشرين ينفصل الدماغ عن المنكبين وتتميز الأعضاء شيئا فشيئا حتى تتم خلقة الذكر على الغرض المذكور فى سبعة وثلاثين والأنثى فى أحد وأربعين قالوا فلا يمكن ظهور ذكورية قبل الثلاثين ولا أنوثية قبل الأربعين فى سقط فعلمت حدود السرعة والبطء ثم تنبت من الأعضاء الرئيسية خوادمها كما عرفت وتمتد الشرايين خارقة الأغشية حتى تتصل بشرايين الرحم وكذا البواقى ويكون تمام تثبيت ذلك فى الخامس والستين فى ذكر معتدل ويبدأ الغذاء من الدم حينئذ فتكون الدمويات كاللحم فإن قيل على هذا يلزم تأخر القلب لأنه دموى، قلنا ليس المراد بأن كل أحمر دموى فإن القلب دموى وحمرته لاستتاره وقوة الحرارة ومن حقق النظر فى أجزاء جوهره رأى البياض. ألا ترى أن رئة الجنين أشد حمرة مع أنها بيضاء لكنها تكون كذلك لقلة الهواء وكذلك أوردته مما يلى أوردة الأم لامتصاصها الدم ثم يكمل هذا الاكتساء وهو الطور السادس على الغرض المذكور بعد ثلاثة وسبعين يوما ثم يكون وجهه إلى ظهر أمه وراحتاه على ركبتيه ورجلاه إلى جنبيه ورأسه بينهما ثم يتسع له الرحم بقدر ما ينمو ويصير فيه من الحرارة والروح الطبيعى ما ينمو به على رأس ثمانين يوما ثم تتولد الحيوانية بعد التسعين وهو فى ذلك كله قبل هذا كالمعدن لا حس ولا حركة وبعدها كالنبات من غير إرادة، فإذا تم له مائة يوم ترقت الحيوانية إلى الدماغ فتحرك بالحرارة لا بالإرادة كالنبات مع الهواء ويكون حكمه بعد ذلك كالضعيف إلى عشرة أيام ثم يكون كالذى بين النوم واليقظة إلى تمام عشرين فحينئذ تكمل فيه القوة ويلبس الحيوانية التامة فإذا عرفت ذلك عرفت أن لا نزاع بين قول صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام «وإن خلق أحدكم ليجمع فى بطن أمه أربعين يوما» الحديث فإنه أشار بأن نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوما، فانظر إلى دقة هذا النظر وقوة هذه المعرفة حيث لم يسم الروح إلا الروح النفسانى لأنه الأصل فى الشعور والإدراك وبه الإنسان ناطق وهم قد صرحوا بأن النفخ يكون بعد سبعين يوما فكلامهم عن الروح الطبيعى المقصود للغذاء وكلامه عن الأصل كما عرفت فلا خلاف غير أنه صاحب النظر الأعلى فى جميع المقاصد.

قالت المؤلفة: الحديث الذى أورده الأنطاكى آنفا هو الحديث الرابع من الأربعين النووية للإمام النووى، ونورده بتمامه فيما يلى، فهو حديث عظيم جامع لجميع أحوال الإنسان، إذ فيه حال مبدئه وهو خلقه وحال معاده وهو السعادة أو الشقاء وما بينهما وهو الأجل وما يتصرف فيه وهو الرزق:

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد، فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» رواه البخارى ومسلم.

راجع شرحه فى كل من: شرح الأربعين حديثا النووية للإمام ابن دقيق العيد١٩ - ٢١، وشرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام النووى شرح الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٣١ - ٣٥.

ونستكمل كلام داود الأنطاكى الذى يقول :

فإذا تم أمره أخذ فى التحرك إلى أن يشتد فى السابع فيمزق الأغشية أولا فأولا حتى يقدم على تفصيل العروق ويطلب الهرب من المكان الضيق فيخرج فى التاسع لأنه بيت النقلة والحركة فإن سقط على الهيئة المذكورة فطبيعى وإلا فلا وما قيل من أن وجه الأنثى إلى بطن أمها فباطل لأنه لا بد وأن يكون ظهر الولد إلى بطن الأم لأنه أقدر على ما ينزل إلى البطن من غيره لما فيه من العظام . . . فروع : الأول : اختلاف القدود يكون إما من جهة الماء فإن غزر كان الولد عظيم الخلقة وإلا فلا أو من جهة الرحم فقد يكون جافيا قليل المطاوعة فيمنع الطفل من النمو كالفاكهة إذا جعلت فى قالب ومن ثم ينجب البغل الذى يكون الفرس أمه لسعة رحمها بخلاف العكس (التذكرة ١ / ١٤٣ ـ ١٤٥) .

أما من الناحية اللغوية فإن ابن الأجدابى صاحب كفاية المتحفظ يسوق الأسماء المختلفة الخاصة بمراحل نمو الإنسان المختلفة مما يتضح معه ثراء اللغة العربية فى الألفاظ فيقول :

ما دام الولد فى بطن أمه ، فهو:

جنين فإذا ولد فهو: منفوس وأمه نفساء . ، فإذا خرج رأسه قبل رجليه فهو: وجيه ، وإن خرجت رجلاه قبل رأسه فهو: يتن وذلك مذموم (اليتن الولد المنكوس ، تخرج رجلا المولود قبل رأسه وهو الأتن والوتن ويسمى : طفلا و... رضيعا ، فإذا ارتفع شيئا وأكل فهو: جفر والأنثى جفرة (الجفر: الصبى إذا تنفخ لحمه وأكل) . فإذا فطم فهو: فطيم ورضيع فإذا قوى وخدم فهو: حَزَوَّر فإذا ارتفع فوق ذلك هو: يافع ، فإذا قارب الاحتلام فهو: مراهق فإذا بلغ الحلم فهو: محتلم وحالم . فإذا بقل وجهه فهو: طار يقال طرَّ وجهه ، وطرَّ شاربه . فإذا جاوز وقت النكاح ولم يتزوج فهو: عانس ، فإذا اجتمع وتم فهو: كهل فإذا رأى البياض فهو: أشيب و... أشمط ، فاذا استبانت فيه السن فهو: شيخ ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو: مسن ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو: قحم ، فإذا قارب الخطو فهو: دالف ، فإذا زاد عن ذلك فهو: هرم و (هم) فإذا ذهب عقله من الكبر فهو: خرف .

وقال بعضهم :

الولد ما دام فى بطن أمه فهو: جنين فإذا ولد سمى : صبيا فإذا فطم سمى : غلاما إلى سبع سنين ثم يصير: يافعا إلى عشر حجج ثم يصير: حزورا إلى خمس عشرة سنة (الحزور: الغلام إذا قارب الحلم) ثم يصير قمدا إلى خمس وعشرين سنة (القمد : القوى الشديد أو الصلب) ثم يصير عنطنطا إلى ثلاثين سنة ثم يصير: صُمُلا إلى أربعين سنة (الصمل : الشديد الخلق من الناس) ثم يصير: كهلا إلى خمسين سنة ثم يصير: شيخا إلى ثمانين سنة ، ثم يصير بعد ذلك : هما (الهم : الشيخ البالى الفانى) .

فأما المرأة :

فهى ما دامت صغيرة فهى : جارية فإذا كعب ثديها ، أى استدار فى صدرها فهى : كاعب ، فإذا ارتفع ثديها فهى : ناهد فإذا قاربت الحيض فهى : معصر ، فإذا رأت الدم فهى : عارك وإذا بلغت العشرين ولم تتزوج فهى : عانس ، وما دامت المرأة ، بكرا لم تتزوج فهى : عانق فإذا تزوجت فهى : ثيب فإذا بلغت ثلاثين أو فوقها فهى : شهلة فإذا جاوزت الأربعين فهى : عوان و نصف فإذا عجزت وفيها بقية من شباب فهى : حيزبون .

(العوان من النساء : التى كان لها زوج أو هى الثيب جمع عون . النصف من النساء : المرأة بلغت نصف عمرها أو التى بلغت ٤٥ أو ٥٠ سنة) (كفاية المتحفظ / ٣٤ ـ ٣٧) .

(النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ١ / ١٤٣ ـ ١٥٥ ، وشرح الأربعين النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ١٨ ـ ٢١ ، وشرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى ابن شرف النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٣١ ـ ٣٥ ، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى ـ تحقيق عبد الرازق الهلالى / ٣٤ ـ ٣٧ . انظر أيضا اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم ـ د . محمد عادل أبو الخير . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مارس ١٩٨٨ م ١٥ / ٢١ ـ ٢٩ ، ومع الطب فى القرآن الكريم ـ د . عبد الحميد دياب ، و د . أحمد قرقوز ، تقديم د . محمود ناظم نسيمى / ٣٩ ـ ٤٣ ، ٨٠ ـ ٩٢ ، وتحفة الودود بأحكام المولود للعلامة ابن قيم الجوزية / ١٩٥ ـ ٢١٦) .

*** خلق الإنسان (كتب فى ـ):**

خلق الإنسان : أى فى أسماء أعضائه وصفاته ، صنف فيه جماعة من الأدباء واللغويين لأنه من اللغة منهم ابن قتيبة

عبد الله بن مسلم النحوي المتوفى سنة ٢٧٦ ست وسبعين ومائتين، وأبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلثمائة، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، وأبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي، وأبو القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، وأبو محمد قاسم الأنباري النحوي، وأبو مالك عمرو بن كركرة، والقاضي بيان الحق محمود بن أبي الحسن (ابن الحسين) النيسابوري، وأبو علي حسن بن عبد الله الأصبهاني (المعروف بلكذه) وثابت بن علي «سعيد» الكوفي، وأبو القاسم محمد بن محمود النيسابوري، وأبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي، وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد، وأبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء النحوي، وأبو علي إسماعيل ابن القاسم القالي، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوي المتوفى سنة ٣١٠ عشر وثلثمائة (نشره المستشرق برونله سنة ١٩٠٠ م في ليدن، ثم حققه ونشره الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٦٣ م). وأبو موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض النحوي، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، وأبو زيد سعيد بن أوس الخزرجي المتوفى سنة ٢١٥ خمس عشرة ومائتين) وأبو جعفر محمد بن النحاس النحوي، وأبو القاسم عمر بن محمد بن الهيثم، ومحمد بن حبيب النحوي المتوفى سنة ٣٠٥ خمس وثلثمائة وأبو سعد داود بن الهيثم التنوخي «المتوفى سنة ٣١٦، وأبو مخلد (وأبو الحلم) [وأبو محلم] محمد بن هشام اللغوي المتوفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى بن أصبع نظم فيه وشرف الدين (هو شرف الدين علي ابن يوسف بن حيدرة الطبيب المتوفى بدمشق سنة ٦٦٧) الرحبي لم يسبق إلى مثله وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي سماه غاية الإحسان (كشف ١ / ٧٢٢، ٧٢٣، والأعراب الرواة / ٣٣٢).

وعن كتاب الأصمعي المذكور أعلاه يقول الدكتور عبد الحميد الشلقاني:

لم يكتب الأصمعي مقدمة لكتابه، وأول الكتاب: قال أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ويقال للمرأة في أول ما تحمل نسئت وهي نسيء، فإن اشتهت على حملها شيئا فهي وحمى، والمصدر الوحم. قال العجاج:

أزمان ليل عام ليلى وحمى

أي - شهوتي - ووحمى فعلى من الوحم).

وسار على هذا النهج سيرا رتيبا، فبعد أن تكلم عن الأطوار الأولى لحالة الأم انتقل إلى الجنين فتحدث عن أطواره حين ولد (فإن خرج المولود قبل رأسه قيل ولدته يتنا، وقال الأصمعي عن عيسى بن عمر: سألت ذا الرمة عن مسألة فقال: أتعرف اليتن؟ قلت: نعم، قال: فإن مسألتك هذه يتن أي أنها جاءت على غير وجهها).

ثم يصفه عندما يصيح، وذكر الأسماء في هذه الأطوار، وكيف استعملت مجازيا فيقول: (فإذا خرج وصاح قيل قد استهل، وكل شيء رفع صوته استهل، ومن ذلك أهلّ بالعمرة والحج، ويقال: استهلت السماء، واستهل المطر، وهو الصوت).

فإذا انتهى من الناحية العضوية عرَّج على الخلقية، وفي كل هذه الخطوات تستهويه الصيغ اللغوية كالمذكر والمؤنث، والمشتقات من فعل ومصدر وصفة - واعتمد على كتاب الأصمعي كثيرون من علماء اللغة بعده كأبي عبيد في الغريب المصنف، واعتمد عليه الزجاج اعتمادا تاما وذكر القالي أوصاف الإنسان في كتاب الأمالي منسوبة للأصمعي وتوسع ابن سيده في خلق الإنسان وصدَّر به كتاب المخصص فاستغرق الجزء الأول وبعض الثاني.

هذا الكتاب وأمثاله هو الأصل الذي دارت حوله الدراسات اللغوية مما استخلصه الرواة من شعر العرب وما سمعوه في رحلاتهم من أفواه الأعراب. وأحسب الذين كتبوا في خلق الإنسان، والحيوان، والحشرات، والنبات، لم يقصدوا في هذه التآليف أبحاثا علمية بقدر ما أرادوا أن تكون أوعية يضعون فيها ما صنفوه من ألفاظ لغوية، وكأنها عن عناوين لأكوام من الكلمات، بعضها مرتب، وبعضها وضع عفو الخاطر وكيفما اتفق ــ ومجموع هذه الكتب هو معجم لغوي على وجه من الوجوه التي اتجه إليها جمع اللغة (الأعراب الرواة/ ١٦٣، ١٦٤).

ويوجد مخطوط كتاب الأصمعي هذا في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض وجاء بيانه كما يلي:

رقم الحفظ: ٢٣٨ ـ ف.

الفن: لغة.

عنوان المخطوطة: خَلْق الإنسان.

عنوان المخطوط الفرعي: ...

اسم المؤلف: عبد الملك بن قريب بن علي، الأصمعي، أبو سعيد.

اسم الشهرة: الأصمعي.

تاريخ وفاته: ٢١٦ هـ القرن ٣ هـ ٩ م.

المصادر: بروكلمان ١ / ١٠٤.

بروكلمان ـ ملحق ١ / ١٦٣.

كحّالة ٦ / ١٨٧.

الأعلام ٤ / ١٦.

بداية المخطوطة: ما يذكر من حمل المرأة وولادتها والمولود، قال أبو سعيد يقال للمرأة في أول ما تحمل وهي .. فإن اشتهت على حملها شيئا فهي وحمى ...

نهاية المخطوطة: وهذه كلمة تقال في النفي لاتقال له ها بسس إنما يقال له ماله ... تم الكتاب بأسره.

نوع الخط: مغربي.

تاريخ النسخ: القرن ٨ هـ/ ١٤ م.

عدد الأوراق: ١ / ٤٤ ق.

عدد الأسطر: ١٥ س.

ملاحظات عامة: نسخة جيدة وكاملة تناول فيها المؤلف أحوال الإنسان منذ ولادته وقبل ذلك، وما يطرأ عليه من تقلبات، وتقلُّب أحواله في الدنيا ... إلخ.

مكان الحفظ: ڤينا ـ المكتبة الوطنية برقم ٣٥٥ (فهرس المصورات / ١٧٦).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٢٢، ٧٢٣، والأعراب الرواة، د. عبد الحميد الشلقاني / ٣٣٢، ١٦٣، ١٦٤ وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م / ١٧٦).

*** خَلْق الدنيا وما فيها:**

خَلْق الدنيا وما فيها: للشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الله الكسائي. مجلد أوله: الحمد لله الذي أنبت الخلق نباتا ... إلخ بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر خلق السموات والأرض والأنبياء والجن والإنس بسرد الآثار والأخبار.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٣).

*** خَلْق الفرس:**

قال حاجي خليفة:

خلق الفرس: صنف فيه جماعة منهم أبو القاسم يوسف ابن عبد الله الزجاجي النحوي، وأبو بكر محمد بن القاسم، وأبو محمد القاسم الأنباري، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، وأبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي، وثابت ابن علي [سعد] الكوفي وأبو علي الكوفي (هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦)، وأبو علي حسن بن عبد الله الأصبهاني، وأبو الحسن نصر بن سميل [نضر بن شميل] النحوي المتوفى سنة أربع ومائتين، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج، وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٣).

*** خلق القرآن (محنة):**

وجدنا أن خير ما نبدأ به هذه المادة لإزالة ما قد يقع من وهم بشأن عبارة «خلق القرآن» هو البيتان اللذان وردا في منظومة الإمام إبراهيم اللقاني الموسومة «بجوهرة التوحيد» وما صاحبها من شرح شاف لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري. قال الناظم رحمه الله:

ونزِّه القرآن أي كلامه عن الحدوث واحذر انتقامه

فكل نصٍّ للحدوث دلاَّ احمل على اللفظ الذي قد دلا

ويشرح شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري رحمه الله هذين البيتين فيقول: قوله: «ونزه القرآن ... إلخ» أي واعتقد أيها المكلف تنزه القرآن بمعنى كلامه تعالى عن الحدوث خلافا للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام زعما منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق لأن الله خلقه في بعض الأجرام. ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس

بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذى نقرؤه فهو مخلوق لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذى نقرؤه إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن. وقد وقع فى ذلك امتحان كبير لخلق كثير من أهل السنة، فخرج البخارى فارًا وقال: اللهم اقبضنى إليك غير مفتون فمات بعد أربعة أيام، وسجن عيسى بن دينار عشرين سنة، وسئل الشعبى فقال: أما التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فهذه الأربعة حادثة وأشار إلى أصابعه فكانت سبب نجاته، واشتهرت أيضا عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه، وحبس الإمام أحمد وضرب بالسياط حتى غشى عليه. ويذكر أن النبى ﷺ قال للإمام الشافعي في المنام: «بشر أحمد بالجنة على بلوى تصيبه فى خلق القرآن» فأرسل له كتابا ببغداد فلما قرأه بكى ودفع للرسول قميصه الذى يلى جسده وكان عليه قميصان، فلما دُفع للشافعى غسله وادَّهَن بمائه، وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل أو سيدنا محمد ﷺ؟ تمسَّك بعضهم بما يروى، كل حرف خير من محمد وآل محمد، لكنه غير محقق الثبوت. والحق أنه ﷺ أفضل، لأنه أفضل من كل مخلوق كما يؤخذ من كلام الجلال المحلى على البردة، ويؤيده أنه فعل القارئ والنبى ﷺ أفضل من القارئ وجميع أفعاله، والأسلم الوقف عن مثل هذا فإنه لا يضر خلو الذهن عنه. ا هـ ملخصا من حاشية الشيخ الأمير.

«قوله أى كلامه» تفسير للقرآن، فالمراد منه هنا كلامه تعالى. ولما كان الأكثر إطلاق القرآن على اللفظ المقروء دفع توهم ذلك بتفسيره بكلامه تعالى. فالقرآن يطلق على كل من النفسى واللفظى، والأكثر إطلاقه على اللفظى. وأما كلام الله فيطلق أيضا على كل من النفسى واللفظى، والأكثر إطلاقه على النفسى.

«قوله عن الحدوث» أى الوجود بعد العدم فليس مخلوقا بل هو صفة ذاته العلية، خلافا للمعتزلة فى قولهم بأنه مخلوق وليس صفة ذاته العلية. وإنما عبَّر بالحدوث مع أن المشهور بين القوم التعبير بالخلق لضرورة النظم أو للرد على محمد البلخى من المعتزلة القائل بأن كلام الله تعالى محدث وليس بمخلوق زعما منه أن قولنا مخلوق يوهم أنه كذب يتعالى الله عنه، ورد بأن الحدوث مثل الخلق فهو كمن هرب من المطر ووقف تحت الميزاب. ا هـ

«قوله واحذر انتقامه» أى وخِفْ انتقام الله منك إن قلت بحدوثه. «قوله فكل نص ... إلخ» أى إذا تحققت ما سبق فكل نص ... إلخ، فالفاء فاء الفصيحة، وهذا فى الحقيقة جواب عما تمسك به المعتزلة من النصوص الدالة على الحدوث مثل ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر: ١]، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [الحجر: ٩] والمراد من النص الظاهر من الكتاب أو السنة، وقوله «للحدوث دلَّا» أى دل على حدوث القرآن فاللام بمعنى «على»، والألف فى «دلا» للإطلاق وقوله «احمل ... إلخ» خبر المبتدأ الذى هو «كل»، والرابط محذوف والتقدير احمله ... إلخ. وقوله «على اللفظ» أى على القرآن بمعنى اللفظ المنزل على نبينا ﷺ، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه. والراجح أن المنزل اللفظ والمعنى وقيل المنزل: المعنى. وعبر عنه النبى ﷺ بألفاظ من عنده، لكن التحقيق الأول لأن الله خلقه أولا فى اللوح المحفوظ، ثم أنزله فى صحائف إلى سماء الدنيا فى محل يقال له بيت العزة فى ليلة القدر كما قال تعالى ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر: ١]، ثم أنزله على النبى ﷺ مفرقا بحسب الوقائع. وقوله «الذى قد دلا» صفة للفظ، والألف فى دلا للإطلاق والمراد الذى قد دل على الصفة القديمة بطريق دلالة الالتزام كما تقدم. والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسى، لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق إلا فى مقام التعليم كما سبق (تحفة المريد/ ٥٨، ٥٩).

وهذا التحذير الذى أنهى به شيخ الإسلام البيجورى شرحه أعلاه يفسر التسمية الشائعة «محنة القول بخلق القرآن» وهو ما نتناوله فى هذه المادة. ونبدأ بتلخيص لتلك المحنة لفضيلة الشيخ محمد عبد الحليم الرفاعى جاء فى كتابه «البيان المبين» حيث يقول:

كانت مسألة القول بخلق القرآن الكريم نقطة سوداء فى صحيفة الخليفة المأمون، ومن قال بها بعده، كما كانت محنة أليمة للعلماء الذين دُعوا للقول بها وقبولها ومحكا لهم لمعرفة المؤمن المخلص لدينه من المنافق المرائى ولم تكن

مسألة القول بخلق القرآن والدعوة إليها في صدر الإسلام بل ظهرت في أيام الخليفة أبي العباس عبد الله المأمون ـ المتوفى سنة ٢١٨ ـ ابن هارون الرشيد .

وكان المأمون يعتقد هذا القول ويدعو إليه بكل ما أوتي من قوة فأجابه طائفة وامتنع آخرون والمجيبون منهم من أجاب عن يقين واعتقاد ومنهم من أجاب نفاقا ورياء، وخوفا من العقاب وانتظارا للأجر والجزاء والذين امتنعوا كثير، منهم الإمام أحمد ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤٩ والذي «قال القرآن هو كلام الله ولا أزيد على هذا» مخالفا بقوله هذا عقيدة المأمون ومن تشيع له ، الأمر الذي دعا الخليفة إلى حبسه وظل محبوسا حتى جاء المعتصم بعد المأمون فطلب عقد مجلس لأحمد بن حنبل ودعاه من السجن للمناظرة فناظره علماء المعتصم ثلاثة أيام وهو يغلبهم بإقامة الحجة عليهم وفي اليوم الرابع عمد المعتصم إلى القسوة عليه وكان صائما غير أنه مع هذه القسوة في العذيب لم يزد على قوله ، القرآن كلام الله ولا أزيد على ذلك . وظل على اعتقاده بهذه العقيدة الخالصة الصادقة حتى أطلقه من السجن وندم على ضربه ولقي من اجراء إيلامه وضربه عقوبات أليمة ظاهرة، ذاعت وانتشرت حتى كادت لا تخفى على أحد .

ولم يزل الإمام أحمد بن حنبل يعاني من الضرب والإيلام حتى توفاه الله سنة ٢٤٩ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين أجمل الجزاء (البيان المبين / ٣١، ٣٢) .

ويتناول الإمام محمد أبو زهرة مسألة خلق القرآن وموقف السلف الصالح منها، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية . فيقول رحمه الله :

من المسائل المتصلة بالصفات والوحدانية مسألة خلق القرآن التي أثارها الجهم بن صفوان (انظر مادة «الجهمية» في م ١٢ / ٤٢٥ ـ ٤٣١) والجعد بن درهم في العصر الأموي، وقد قتل خالدُ بن عبد الله القسري الجعدَ بن درهم لقوله هذا إذ كان واليا على الكوفة .

والأساس الذي بني عليه الجهم والجعد قولهما إن القرآن مخلوق هو نفي صفة الكلام، وكل صفات المعاني، فقالا إن القرآن مخلوق وجاء المعتزلة فنفوا هذه الصفات وقالوا هذه المقالة نفسها ، ولذلك كان ابن تيمية يقول عن نفاة الصفات جميعا إنهم جهمية ؛ لأنه يعتبر كل من ينفي الصفات مقلدا للجهم بن صفوان في قوله ، ولأن المعتزلة قالوا إن القرآن مخلوق والمأمون كان يعتقد اعتقادهم قال مثل مقالهم، ودعا إلى هذا القول، واعتبر في آخر حياته من يقول إن القرآن غير مخلوق ملحدا في دين الله ؛ لأنه يعدد القدماء!

وقد ابتدأ المأمون بإعلان ذلك الرأي في سنة ٢١٢ من الهجرة النبوية الشريفة وعقد لذلك مجالس المناظرة، وأدلى فيها بحجته ، وترك الناس أحرارا في أول أمره ؛ لأنه لم يعلن إلحاد من يخالفه في أول الأمر، ولذلك لم يرهق الناس في عقائدهم، ولم يحملهم على فكرة لا يرونها ؛ ولا يستسيغون الخوض فيها ؛ ولكن في السنة التي توفي فيها ، وهي سنة ٢١٨ أخذ يدعو الناس إلى اعتناق هذه الفكرة بقوة السلطان، واعتبر من لم يقل هذا القول فاسد الاعتقاد ؛ وأمر بوضع السلاسل في أعناق الفقهاء والمحدِّثين الذين لم يقولوا مقالته ، وأوصى من بعده من الخلفاء بتنفيذ ما بدأ به ، وكان ذلك بوسوسة وزيره أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي . ولقد قام المعتصم والواثق من بعده بحق الوصية ؛ حتى جاء المتوكل فكشف الغمة وأزال البلاء ومنع إرهاق الفقهاء والمحدثين .

وكان أشد من استمسك واستعصم إمام أهل الأثر أحمد ابن حنبل ، نزل به الأذى في عهد الخلفاء الثلاثة المأمون والمعتصم والواثق ، ولم ينقطع امتحانه إلا في عهد المتوكل ؛ فقد أبعد المعتزلة فرفعت المحنة .

ومن الحق علينا أن نعرف رأي الإمام أحمد في هذه القضية ، لأنه رأي ابن تيمية وهو الذي وجهه ودافع عنه ، ولأن ابن تيمية يراه رأي السلف الصالح .

ورأي أحمد في هذا المقام هو الذي سجله في رسالته إلى المتوكل وهذه الرسالة تدل على أن الإمام أحمد لا يستحسن الخوض في مثل هذا ولا يتعمق فيه ، ولا يرضاه وإن خاض فيه يخوض كارها ، ليمنع الناس من أن يفتنوا بما يدعو إليه أهل الجدل في الدين ولذا ختم الرسالة بقوله : «لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا» .

وتدل الرسالة أيضا على أن الإمام أحمد رضي الله عنه يرى أن القرآن غير مخلوق وهو ينطق بهذا تابعا للسلف الصالح

الذين قالوه، ولم يبتدعه ابتداعا، ولولا أنه حسب أن بعض التابعين قاله ما نطق به، ويزكى هذا الرأى بأن القرآن كلام الله، وكلام الله غير خلق الله، وبأن القرآن أمر. والأمر غير الخلق، وبأن القرآن من علم الله سبحانه وتعالى، وعلم الله غير خلقه، وقد أخذ هذا كله من نصوص القرآن، ومن أحاديث النبى ﷺ وأخبار الصحابة.

والأساس أن ما يصدر عن صفات الله تعالى وقدرته أيسمى خلقا، وتطلق عليه كلمة مخلوق أم لا يسمى خلقا، ولا تطلق عليه كلمة مخلوق؟ فالسلفيون لا يسمونه مخلوقا والمعتزلة والجهمية من قبلهم سموه مخلوقا.

هذا رأى أحمد بن حنبل ونظره، ويتبعه فى ذلك ويناصره تقى الدين بن تيمية، فهو يرى أن القرآن غير مخلوق؛ ويرى أن ذلك رأى السلف؛ وأن من يقول غير ذلك مبتدع؛ وهو بعد ذلك يوضح نظر أحمد بالدليل ويوجهه بالنقول، ويقربه إلى العقول.

وأول ما يتجه ابن تيمية فى تقريب ذلك النظر نفسه أنه يقرر أن القرآن الذى يُقرأ هو كلام الله تكلم به وأوحى به إلى نبيه الكريم، والقراءة التى هى صوت القارئ الذى يسمع، هى على ذلك غير القرآن، فهى نطق العبد، أما القرآن فكلام الله، ولذلك قال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ [التوبة: ٦] وقال النبى ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»، وقد سمع النبى ﷺ أبا موسى الأشعرى، وهو يقرأ القرآن فقال له أبو موسى «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا».

وإذا كانت القراءة صوت العبد فهى مخلوقة كما أن العبد مخلوق، ومثل القراءة المداد الذى تكتب به المصاحف فهو ليس كلام الله سبحانه وتعالى، وإن كان المكتوب كلامه سبحانه، ولقد قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾ [الكهف: ١٩] ففرق سبحانه وتعالى بين المداد الذى تكتب به كلماته: وبين كلماته.

بعد هذا يتجه ابن تيمية إلى توضيح فكرة الإمام أحمد والسلف رضى الله عنهم القائمة على أن الله سبحانه قد تكلم بالقرآن ـ وأنه غير مخلوق فيقول: «السلف قالوا: لم يزل الله متكلما إذا شاء بالعربية، كما تكلم بالقرآن العربى، وما تكلم به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه، فلا تكون الحروف التى هى مبانى أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة؛ لأن الله تكلم بها» (مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ٣ ص ٢١، ٢٢ طبع المنار).

وإن أقصى ما هوجم به رأى الإمام أحمد هو أن القرآن غير مخلوق؛ إذ أنه لو قيل هذا لكان مؤدى ذلك أن يكون القرآن قديما، وحينئذ يتعدد القدماء ولا تتحقق الوحدانية التى توجب ألا يكون قديم غير ذات الله سبحانه وتعالى، ولذلك كانت المساجلة التى قامت بين المعتزلة وغيرهم تقوم على أساس أن المعتزلة يستمسكون بمنع تعدد القدماء، ولو قيل إن القرآن غير مخلوق لتعدد القدماء.

ولقد رد ابن تيمية الأساس الذى بنى عليه الاعتراض فأتاه من قواعده، فبين أن القرآن إن كان غير مخلوق فليس معناه أنه قديم، ويقرر أن الإمام أحمد لم يقل إن القرآن قديم بل لم يتجاوز أنه قال: إنه غير مخلوق، ولا تلازم بين كونه غير مخلوق، وكونه قديما، فلا يلزم من أن يكون غير مخلوق أن يكون قديما، لأنه لا يعتبر كل ما يقوم بالذات العلية يكون قديما بقدمها؛ إذ كل ما ينسب إلى الذات العلية من أفعال وأحداث يصدر عنها، ويعتبره ابن تيمية قائما وقت حدوثه والأحداث حادثة بحدوث موضعها، فالله خالق، والمخلوق حادث، وذات الخلق والإيجاد حادث بحدوث موضوعه. والخلق والإيجاد لا يقال إنهما مخلوقان، أ نهما قديمان، وإن الفلاسفة هم الذين أوجدوا التلازم بين القدم وكونه غير مخلوق، وقد ساقتهم إلى ذلك فروض عقلية لا تلزم السلف، إذ هى ظنيات تتضافر فتكون نتائج ظنية.

ويقول ابن تيمية فى هذا المقام: «والسلف اتفقوا على أن كلام الله منزل غير مخلوق... فظن بعض الناس أن مرادهم أنه قديم العين، ثم قالت طائفة هو معنى واحد، وهو الأمر بكل مأمور، والنهى عن كل منهى، والخبر بكل مخبر، والله سبحانه وتعالى إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا. وهذا

القول مخالف لشرع والعقل» (الكتاب المذكور / ١٥٦).

ولقد قال رضى الله عنه أيضا : «وحينئذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته . وإن قيل إنه ينادى ويتكلم بصوت لا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالقرآن، والتوراة والإنجيل، لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين ... »(الكتاب المذكور / ١٠٦).

ومعنى هذا أن صفة الكلام قديمة بقدم الذات، لكن التكلم ذاته ليس بقديم، وعلى ذلك فالقرآن ليس بقديم كما أنه ليس بمخلوق.

ويستخلص من هذا أن ابن تيمية يقول : القرآن غير مخلوق ولا يقول إنه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنزل على النبى ﷺ كلامه بالروح الأمين جبريل.

وإذا كان الأمر كما خرج ابن تيمية قول الإمام أحمد عليه؛ فالحقائق لم تكن موضع خلاف بين السلف والمعتزلة بالنسبة للقرآن، فكلاهما قال إنه ليس بقديم، إنما الخلاف فى أن يقال عنه مخلوق أو لا يقال، ولذلك قال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى هذا المقام :

«قد ورد أن الله كلم بعض أنبيائه، ونطق القرآن بأنه كلام الله؛ فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا بد أن يكون شأنا من شئونه قديما بقدمه، أما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم فلا خلاف فى حدوثه، ولا أنه خلق من خلقه، وخصص بالإسناد لاختياره له سبحانه فى الدلالة على ما أراد إبلاغه لخلقه، ولأنه صادر عن محض قدرته ظاهرا وباطنا، بحيث لا مدخل لوجود آخر بوجه من الوجوه، سوى أنه ما جاء على لسانه مظهر لصدوره، والقول بخلاف ذلك مصادرة للبداهة، وتجرؤ على مقام القدم بنسبة التغير والتبدل إليه فإن الآيات التى يقرؤها القارئ تحدث، وتفنى بالبداهة كلما تليت، والقائل بقدم القرآن المقروء أشنع حالا وأضل اعتقادا من كل ملة جاء القرآن نفسه بتضليلها، والدعوة إلى مخالفتها، وليس القول بأن الله أوجد القرآن بدون دخل لكسب بشر فى وجوده ما يمس شرف نسبته، بل هو ما دعا الدين إلى اعتقاده، فهو السنة وهو ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وكل ما خلفه فهو بدعة وضلالة».

«وإن نقل إلينا من ذلك الذى فرق الأمة وأحدث فيها الأحداث وخصوصا فى أوائل القرن الثالث من الهجرة وإباء بعض الأئمة أن ينطق بأن القرآن مخلوق، فقد كان منشؤه التحرج والمبالغة فى التأدب من بعضهم وإلا فإنه يجل مقام مثل الإمام ابن حنبل عن أنه يعتقد أن القرآن المقروء قديم، وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكيفه بصوته».

وهذا الجزء الأخير من كلام الأستاذ الإمام صحيح، فإن الإمام أحمد لم يقرر أن القراءة قديمة ولا غير مخلوقة، ولم يقرر قط أن القرآن قديم كما خرج الإمام ابن تيمية، إنما قرر أن القرآن غير مخلوق، وقد خرج ابن تيمية رأيه على أنه لا يعد ما كان صادرا عن الله قائما بذاته مخلوقا له، وإن ادعاء أن أحمد قد ذكر أن القرآن قديم، فإنما أذيعت نسبته إليه فى القرن الرابع برواية مجهولة، وقد أنكر ابن تيمية نسبة ذلك إلى الإمام : وأيده فى الإنكار الذهبى المؤرخ فى تاريخه .

وبذلك يتحرر رأى ابن تيمية وأحمد معا، فى كون القرآن غير مخلوق وأنه غير قديم . (ابن تيمية / ٢٤٨ـ٢٥٢).

ويسوق الإمام الرازى فى كتابه «حجج القرآن» حجج القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو عقيدة أهل السنة والجماعة، وحجج أهل الضلال القائلين بخلق القرآن، وننقله وفقا لتقسيماته من حيث الأبواب والفصول :

الباب الحادى عشر فى حجج القائلين بأن القرآن كلام الله . وهو مشتمل على فصول :

الفصل الأول فى حجج من قال بأن كلام الله عز وجل صوت وحرف :

وذلك فى عشر آيات : فى الأعراف : **﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾**، وفى مريم : **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾**، وفى النمل : **﴿فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾**، وفى القصص : **﴿فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين﴾**، وفى طه : **﴿فلما أتاها نودى أن يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس**

طوى﴾، وفى الشعراء: ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾، وفى القصص: ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾، وفى النازعات: ﴿هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾، والنداء فى اللغة ليس إلا الصوت، وفى سبأ: ﴿حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم﴾، وفى يس: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾.

الفصل الثانى فى حجج القائلين بأن المسموع عين كلام الله تعالى لا العبارة عن الكلام:

وذلك فى أربع آيات: فى البقرة: ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾، وفى التوبة: ﴿وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾، وفى البقرة: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾، وفى النساء: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

الفصل الثالث فى حجج القائلين بقدم القرآن:

وذلك فى اثنى عشر موضعا: فى الأعراف: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾، وفى النحل: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾، وفى يس: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾، وفى هود: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقُضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب﴾، وفى طه: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما﴾، وفى حمَ السجدة [فصِّلت] ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب﴾، وفى حمَ عَسَقَ: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾، وفى الصافات: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾، وفى هود: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾، وفى المؤمنون: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾، وفى الكهف: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى﴾.

الباب الثانى عشر فى حجج القائلين بخلق القرآن. وهو مشتمل على فصول:

الفصل الأول: فى الخلق.

وذلك فى خمسة مواضع: فى الأنعام: ﴿وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم﴾، وفى الرعد: ﴿قل الله خالق كل شىء﴾ وفى الفرقان: ﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾، وفى الزمر: ﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ وفى حمَ المؤمن [غافر] ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو﴾.

الفصل الثانى فى الجَعْل:

وذلك فى موضعين: فى حمَ السجد: [فصلت] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلت آياته﴾ وفى الزخرف: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾.

الفصل الثالث فى الحدوث.

وذلك فى خمسة مواضع فى الكهف ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ وفى الزمر: ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾، وفى الطلاق: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾، وفى الأنبياء: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ وفى الشعراء: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ وفى هود: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ وما صادفه فعل بعد فعل يكون محدثا.

الفصل الرابع

حجة من قال بأن القرآن ليس بكلام الله عز وجل.

فى الحاقة: ﴿إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر﴾، وفى التكوير: ﴿إنه لقول رسول كريم * ذى قوة﴾ (حجج القرآن/ ٦٤-٦٧).

وقد انبرى الإمام أبو الحسن الأشعرى للجهمية الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، يقارعهم الحجة بالحجة، ويقدم الدليل تلو الدليل على بطلان زعمهم، وهو ما ننقله لك فيما يلى من كتابه «الإبانة» ... قال رحمه الله فى باب: الكلام فى أن القرآن كلام الله غير مخلوق:

إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قيل له: الدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ [الروم: ٢٥] وأمر الله هو كلامه وقوله، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا تهويان كان قيامهما بأمره. وقال عز وجل: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلق جميع ما خلق داخل فيه، لأن الكلام إذا كان لفظه عاما فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال ﴿ألا له الخلق﴾ كان هذا فى

جميع الخلق، ولما قال ﴿والأمر﴾ ذكر أمرا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة: ٩٨]؟ قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل فى ذكر الملائكة جبريل وميكال وإن كانا من الملائكة ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة لا لجبريل وميكال ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال ﴿وجبريل وميكال﴾. ولما قال ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ولم يخص قوله ﴿الخلق﴾ دليل كان قوله ﴿ألا له الخلق﴾ فى جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق ﴿والأمر﴾ فأبان الأمر من الخلق، وأمر الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق. وقال عز وجل: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ [الروم: ٤] يعنى من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك. وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

دليل آخر ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] فلو كان القرآن مخلوقا لوجب أن يكون مقولا له «كن» فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلا للقول «كن» كان القول قولا، وهذا يوجب أحد أمرين: إما أن يؤول الأمر إلى أن «قول الله» غير مخلوق، أو يكون كل «قول» واقعا «بقول» لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل «قولا» غير مخلوق.

سؤال: فإن قال قائل: معنى قول الله ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ إنما بكونه فيكون. قيل: الظاهر أن ﴿يقول له﴾ لا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها «كونى» هو «الأشياء» لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل ومن قال ذلك أعظم الفرية، لأنه يلزمه أن يكون كل شيء فى العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفى هذا ما فيه، فلما استحال ذلك صح أن قول الله للأشياء «كونى» غيرها، وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقا، ويلزم من أثبت كلام الله مخلوقا أن يثبت الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقا وأن يكون الله غير عالم، فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما - إذا لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا - استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا، لأن خلاف الكلام الذى لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذى لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب - لذلك - أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما.

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى﴾ [الكهف: ١٠٩] فلو كانت البحار مداد كتب لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربى، كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فنى كلامه لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت. فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلما، لأنه لو لم يكن متكلما وجب السكوت والآفات، تعالى ربنا عن قول الجهمية علوا كبيرا.

فصل:

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى، لأن النصارى زعمت أن «كلمة الله» حواها بطن مريم، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل فى شجرة كانت الشجرة حاوية له (فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج فى التوراة أن موسى جاء إلى جبل حوريب من أرض مدين فظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة - وفسروا العليقة بأنها شجرة من شجر السنط - فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: «موسى موسى ... إلخ». فمن هذا الموضع فى التوراة أخذ الجهمية أن كلام الله حل فى شجرة، ودسوا ذلك فى كتب العقائد).

فلزمهم أن يكون الشجر بذلك الكلام متكلما، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين كلم موسى، وأن الشجرة قالت: ﴿يا موسى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾ [طه: ١٤] وقد قال الله عز وجل: ﴿ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣] وكلام الله عز وجل من الله، لا يجوز أن يكون كلامه الذى هو منه

مخلوقا فى شجرة مخلوقة، كما لا يجوز أن يكون علمه الذى هو منه مخلوقا فى غيره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. جواب: ويقال لهم كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته فى بعض المخلوقات كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه فى بعض المخلوقات. ولو كانت إرادة الله مخلوقة فى بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد لها، وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه فى مخلوق، لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم له، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاما للمخلوق.

دليل آخر ومما يبطل قولهم أن الله عز وجل قال مخبرا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر: ٢٥] يعنى القرآن، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولا للبشر، وهذا ما أنكر الله على المشركين. وأيضا فلو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله ولم يكن قائلا لها: كونى. وهذا رد القرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

فصل:

واعلموا رحمكم الله أن قول الجهمية إن كلام الله مخلوق يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التى لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم، لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه لما قالوا له: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء: ٦٣] فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التى لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فيكف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام فى قدمه إلها؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه فى قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التى لا تنطق فقد وجب أن يكون لم يزل متكلما.

دليل آخر: وقد قال الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه يقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾[غافر: ١٦]؟ وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول فلا يرد عليه أحد شيئا، فيقول ﴿لله الواحد القهار﴾. فإذا كان عز وجل قائلا مع فناء الأشياء - إذ لا إنسان ولا ملك ولا حى ولا جان ولا شجر ولا مدر - فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق، لأنه يوجد ولا شىء من المخلوقات موجود.

دليل آخر وقد قال الله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤]، والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً فى غيره مخلوقا فى شىء سواه، كما لا يجوز ذلك فى العلم.

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ [سورة الإخلاص] فكيف يكون القرآن مخلوقا واسم الله فى القرآن هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة، ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

دليل آخر: وقد قال الله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك﴾ [الرحمن: ٧٨] ولا يقال للمخلوق «تبارك» فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة. وقال: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧] فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا فكذلك لا تكون أسماؤه مخلوقة.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد له بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات، فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم تتسق شهادته لنفسه بآلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن، فشهد به شاهدا قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده وأن يكون واحدا قبل الخلق، لأن ما تستحيل الشهادة عليه فمستحيل، وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقا، لأن كلامه شهادته.

دليل آخر: ومما يدل على بطلان قول الجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق أن أسماء الله من القرآن، وقد قال الله عز وجل ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى﴾[الأعلى: ١، ٢] ولا يجوز أن يكون ﴿اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى﴾ مخلوقا، كما لا يجوز أن يكون ﴿جَد ربنا﴾ مخلوقا، قال الله فى سورة الجن ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ [الجن: ٣] وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء﴾ [الشورى: ٥١] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقا فى شىء مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى، لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه ـ بزعم الجهمية ـ مخلوقا فى غير الله عز وجل، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم، ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه فى شجرة أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبى أتى به من عند الله أفضل مرتبة فى سماع الكلام من موسى لأنهم سمعوه من نبى، ولم يسمعه موسى من الله عز وجل وإنما سمعه من شجرة. وأن يزعموا أن اليهودى إذا سمع كلام الله من نبى عليه السلام أفضل مرتبة فى هذا المعنى من موسى بن عمران، لأن اليهودى سمعه من نبى من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقا فى شجرة، ولو كان مخلوقا فى شجرة لم يكن مكلما لموسى من وراء حجاب، لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره فى ذلك سواء فى أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب. جواب: ثم يقال لهم إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلاما كلمه به، وقد خلق الله عندكم فى الذراع كلاما، لأن الذراع قالت لرسول الله ﷺ: لا تأكلنى فإنى مسمومة، فلزمكم أن ذلك الكلام الذى سمع النبى ﷺ كلام الله عز وجل، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم من أنه مستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه فى شجرة لأن كلام المخلوق لا يكون كلاما، فإن كان كلام الله، وكان معنى أن الله تكلم ـ عندكم ـ أنه خلق الكلام، فيلزمكم أن يكون الله متكلما بالكلام الذى خلقه فى الذراع. فإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم: فالله عز وجل ـ على قولكم ـ هو القائل «لا تأكلنى فإنى مسمومة» تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علوا كبيرا. وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى ذراع، قيل لهم: ولذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى شجرة. جواب: ثم يسألون عن الكلام الذى أنطق الله به الذئب لما أخبر عن نبوة النبى ﷺ فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه فى غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذى سمعه من الذئب كلاما لله، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله، وفى هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به وأنه كلام الله عز وجل، لأن كون الكلام من الذئب معجز، كما أن كونه من الشجرة معجز، فإن كان الذئب متكلما بذلك الكلام المفعول فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق فى شجرة وأن يكون المخلوق قال: يا موسى إنى أنا الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. جواب: ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقا فى غيره عندكم، فما يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقا فى شىء وهو حق أن يكون كلام الله عز وجل؟ فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة، لأن المتكلم لا يكون إلا حيا. قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام فى شجر، لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حيا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحى فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحى. ويقال لهم: ألا قلتم إنه يقول من ليس بحى، لأنه عز وجل أخبر أن السماوات والأرض ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] جواب: ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: ﴿وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين﴾ [صٓ: ٧٨]؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقا وكانت المخلوقات فانيات فيلزمكم ـ إذا أفنى الله عز وجل الأشياء ـ أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك لدين المسلمين، ورد لقول الله عز وجل ﴿وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين﴾. وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين ـ وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة ـ لأن الله عز وجل قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] يعنى يوم الجزاء، ثم هى أبدا فى النار. واللعنة كلام الله وهو قوله ﴿عليك لعنتى﴾ فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء وأنه غير مخلوق، لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق.

الرد على الجهمية : ثم يقال لهم : إذا كان غضب الله غير مخلوق وكذلك رضاه وسخطه، فلم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق، ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى، حتى لا يكون راضيا عن أوليائه ولا ساخطا على أعدائه، وهذا الخروج عن الإسلام . ويقال خبرونا عن قول الله عز وجل : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل : ٤٠] أتزعمون أن قوله للشيء «كن» مخلوق مراد لله؟ فإن قالوا : لا، قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذى هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق . وإن زعموا أن قول الله للشيء «كن» مخلوق، قيل لهم : فإن زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فيلزمكم أن قوله للشيء «كن » قد قال له «كن» وفي هذا ما يجب أحد أمرين : إما أن يكون قول الله لغيره «كن» غير مخلوق، أو يكون لكل قول قول لا إلى غاية وذلك محال . فإن قالوا : إن لله قولا غير مخلوق، قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة . ثم يقال لهم : ما العلة لما قلتم إن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق؟ فإن قالوا : لأن القول لا يقال له «كن» فيقال لهم : والقرآن غير مخلوق لأنه قول الله، لا يقول لقوله «كن».

الرد على الجهمية : ويقال لهم : أليس لم يزل الله عالما بأوليائه وأعدائه؟ فلا بد من نعم . قيل لهم : فهل تقولون إنه لم يزل مريدا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ فإن قالوا : نعم، قيل لهم : فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلتم : إن كلامه غير مخلوق؟ فإن قالوا : لا، نقول لم يزل مريدا للتفريق بين أوليائه وأعدائه زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه ونسبوه سبحانه إلى النقص، تعالى عن قول القدرية علوا كبيرا .

جواب : ويقال لهم : إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدنا من الأبدان، شخصا من الأشخاص، أو يكون نعتا من نعوت الأشخاص . فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصا، لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل . ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتا لشخص مخلوق . لأن النعوت لا تبقى طرفة عين، لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فنى ومضى، فلما لم يجز أن يكون شخصا ولا نعتا لشخص لم يجز أن يكون مخلوقا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت، فمن أثبت كلام الله شخصا مخلوقا لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عز وجل، وذلك مما لا يجوز، وأيضا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون نعتا لشخص مخلوق . ولو كان مخلوقا فى شخص ككلام الإنسان مفعولا فيه كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقين فى شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقا فى شخص مخلوق .

جواب : ويقال لهم أيضا : لو كان كلام الله مخلوقا لكان جسما أو نعتا لجسم، ولو كان جسما لجاز أن يكون متكلما، والله قادر على قلبها، وفي هذا ما يلزمهم ويجب عليهم أن يجوّزوا أن يقلب الله القرآن إنسانا أو جنيا أو شيطانا، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك . ولو كان نعتا لجسم كالنعوت والله قادر على أن يجعلها أجساما لكان يجب على الجهمية أن يجوّزوا أن يجعل الله القرآن جسما متجسدا يأكل ويشرب وأن يجعله إنسانا ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل (الإبانة / ٤٠ ـ ٥٤) .

وبعد هذا عقد الإمام الأشعرى بابا للرد على من وقف فى القرآن وقال : لا أقول إنه مخلوق، ولا أقول إنه غير مخلوق، جاء فيه ما يلى :

جواب : يقال لهم : لم زعمتم ذلك وقلتموه؟ فإن قالوا : قلنا ذلك لأن الله لم يقل فى كتابه إنه مخلوق ولا قاله رسول الله ولا أجمع المسلمون عليه . ولم يقل فى كتابه إنه غير مخلوق ولا قال ذلك رسوله ولا أجمع عليه المسلمون . فوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق . يقال لهم : فهل قال الله عز وجل لكم فى كتابه قفوا فيه ولا تقولوا غير مخلوق، وقال لكم رسول الله ﷺ توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق؟ وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟ فإن قالوا «نعم» بهتوا، وإن قالوا «لا» قيل لهم : فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التى ألزمتم أنفسكم التوقف . ثم يقال لهم : ولم أبيتم أن يكون فى كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟ فإن قالوا : لم نجده، قيل

لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه فى القرآن فليس موجودا فيه؟ ثم إنا نوجدهم ذلك ونتلو عليهم الآيات التى احتججنا بها فى كتابنا هذا واستدللنا على أن القرآن غير مخلوق كقوله عز وجل: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول لـه كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى﴾ [الكهف: ١٠٩] وسائر ما احتججنا فى ذلك من آى القرآن.

ويقال لهم: يلزمكم أن تقفوا فى كل ما اختلف الناس فيه ولا تقدموا فى ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل فلم لا قلتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التى ذكرناها فى كتابنا هذا قبيل هذا الموضع.

سؤال: فإن قال قائل: حدثونا، أتقولون إن كلام الله فى اللوح المحفوظ؟ قيل له: كذلك نقول، لأن الله عز وجل قال: ﴿بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] فالقرآن فى اللوح المحفوظ، وهو فى صدور الذين أوتوا العلم، قال الله عز وجل: ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت: ٤٩] وهو متلو بالألسنة، قال الله تعالى: ﴿لا تحرك بـه لسانك﴾ [القيامة ١٦]والقرآن مكتوب فى مصاحفنا فى الحقيقة، محفوظ فى صدورنا فى الحقيقة، متلو بألسنتنا فى الحقيقة، مسموع لنا فى الحقيقة، كما قال الله عز وجل: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦].

سؤال: فإن قال: حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يقرأ فى الحقيقة ويتلى، ولا يجوز أن يقال بلفظ، لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إنه كلام ملفوظ به، لأن العرب إذا قال قائلهم: لفظت باللقمة من فمى، معناه رميت بها، وكلام الله عز وجل لا يقال يلفظ به، وإنما يقال يقرأ ويتلى، ويكتب ويحفظ. وإنما قال قوم «لفظنا بالقرآن» ليثبتوا أنه مخلوق ويزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه، فدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلماوقفنا على معناهم أنكرنا قولهم.

ولا يجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق، لأن القرآن بكماله غير مخلوق.

سؤال: إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾[الأنبياء: ٢]، قيل له: الذكر الذى عناه الله عز وجل ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول عليه السلام ووعظه إياهم، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقد قال الله تعالى: ﴿ذكرا * رسولا...﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] فسمى الرسول ذكرا والرسول محدث، وأيضا فإن الله عز وجل قال ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهو يلعبون﴾ [الأنبياء: ٢] يخبر أنهم لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. ولم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثا. ولو قال قائل ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنهم لا يأتيهم رجل إلا كان تميميا، فكذلك القول فيما سألونا عنه.

سؤال: وإن سألونا عن قول الله عز وجل: ﴿قرآنا عربيا﴾ [يوسف: ٢] و[طه: ١١٣] و[الزمر: ٢٨] و [فصلت: ٣] و[الشورى: ٧]، و [الزخرف: ٣] قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس مخلوقا. فإن قالوا: قد قال الله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد: ٥٥] والحديد مخلوق، قيل لهم: الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون جسما مواتا، ولذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون مخلوقا، إن كان الحديد مخلوقا. جواب. ويقال لهم: قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق (الإبانة / ٤١ـ٥٤، ٦٣ـ٦٧).

كذلك يدحض الإمام القاضى الباقلانى حجج القائلين بخلق القرآن من المعتزلة فى عدد من المسائل ويقدم الدليل تلو الدليل على بطلان زعمهم، مما ننقله فيما يلى. قال رحمه الله:

مسألة: اعلم أن الله تعالى متكلم لـه كلام عند أهل السنة والجماعة وأن كلامه قديم ليس بمخلوق، ولا مجعول، ولا محدث بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك من صفات الذات. ولا يجوز أن يقال كلام الله عبارة ولا حكاية ولا يوصف بشيء من صفات الخلق ولا

يجوز أن يقول أحد لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ولا أني أتكلم بكلام الله هذه جملة أنا أفصلها واحدا واحدا إن شاء الله تعالى.

مسألة: فأما الدليل على كون كلام الله قديما غير مخلوق فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[الأعراف: ٥٤] فصّل بين الخلق والأمر فدل على أن الأمر غير مخلوق لأن كلامه أمر ونهي وخبر. وأيضا قوله تعالى: ﴿والله يقول الحق﴾ [الأحزاب: ٤] ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] ولو أن كلامه مخلوق لاحتاج في خلقه إلى قول يقول به كن واحتاج القول إلى قول ثالث والثالث إلى رابع إلى ما لا نهاية له وهذا محال باطل فثبت أن القول الذي تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق وهو كلامه القديم.

ويدل عليه من السنة قوله ﷺ: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه». فلما كان فضل الله على خلقه بقدمه ودوامه لأنه غير مخلوق وهم مخلوقون فكذلك القول في كلامه فوجب أن يكون غير مخلوق، وكلامهم مخلوقا.

ويدل عليه أيضا أن أبا الدرداء لما سأل رسول الله ﷺ عن القرآن فقال: «كلام الله غير مخلوق».

ويدل عليه أيضا إجماع الصحابة وهو أن عليا عليه السلام لما أنكر عليه التحكيم وكفر الخوارج فقال بحضرة الصحابة: والله ما حكمت مخلوقا وإنما حكّمت، القرآن. ولم ينكر ذلك منكر فدل على أنه إجماع ولأنه لو كان مخلوقا لم يخل أن يكون خلقه في نفسه أو غيره. أو في شيء ولا يجوز أن يكون مخلوقا في نفسه لأن ذاته لا تقوم بها المخلوقات والحوادث يتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ولا يجوز أن يكون خلقه في غيره لأنه لو كان خلقه في غيره لكان ذلك الغير إلها، آمرا، ناهيا قائلا: ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ [النمل: ٩] وهذا محال باطل ولا يجوز أن يكون خلقه في غير شيء لأنه يؤدي إلى وجود كلام من غير متكلم وهذا محال. فإذا ثبت بطلان هذه الثلاثة الأقسام لم يبق إلا أنه غير مخلوق بل هو صفة من صفات ذاته، قديم بقدمه، موجود بوجوده، موصوف به فيما لم يزل وفيما لايزال.

ولا يجوز أن يباينه ولا يزايله ولا يحل في مخلوق ولا يتصف بالحلول رأسا فاعلم ذلك وتحققه.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ [الرعد: ١٦] وربما قرر عليك هذا السؤال؛ والدليل كما قرره بشر المريسي على عبد العزيز المكي وهو أنه قال له: أتقول إن القرآن شيء أو ليس بشيء؟ فقال: بل هو شيء فقال يا أمير المؤمنين سلم أن القرآن مخلوق لأن الله تعالى قال: ﴿الله خالق كل شيء﴾ والجواب أن يقال في أول الأمر أي شيء أردت بقولك إنه شيء فإن أردت أنه موجود ثابت فنعم، وإن أردت بقولك إنه شيء كالأشياء من حيث خروجه من العدم إلى الوجود كالأشياء الموجودة بعد العدم فلا نقول ذلك.

والموجود الثابت لا يدل على أنه مخلوق محدث فإن الله موجود ثابت دائم الوجود ليس بمخلوق. وأما الجواب على جملة ﴿خالق كل شيء﴾ فالمراد به الخصوص دون العموم فإنه بعضه قطعا وأنه غير داخل في ذلك كما سمى نفسه فقال: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ [يوسف: ١٢] ثم قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولا تدخل نفسه في ذلك وإنما المراد به كل نفس منفوسة مخلوقة، كذلك قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الرعد: ١٦] يعني مما يصح فيه الخلق والحدث، وصفات ذاته قديمة بقدمه وموجودة بوجوده فلم تدخل في ذلك. ومثل هذا في القرآن كثير فإن الله تعالى قال فيما أخبر به عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾ [النمل: ١٦] ولم يؤتيا سماء ولا أرضا، ولا شمسا ولا قمرا ولا جنة، . ولا نارا، ولا ملائكة، ولا عرشا ولا غير ذلك وإنما أراد أوتينا من كل شيء ينبغي لمثلنا. وكذلك قوله تعالى: في قصة بلقيس: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل: ٢٢] ومعلوم أنها لم تؤت النبوة ولا تسخير طير إلى غير ذلك إنما أراد به الخصوص دون العموم لأنها ما دمرت هودا، ولا السماء، ولا الملائكة، ولا الجبال إلى غير ذلك.

قال الشريف الأجل جمال الإسلام: ووقع لي جواب أخصر من هذا وأجود إن شاء الله وهو: أن يقول الآية حجة عليكم وإن القرآن ليس بمخلوق وذلك أنه سبحانه وتعالى أفرد الخالق من المخلوق فسمى نفسه خالقا وسمى كل شيء دونه

مخلوقا فالخالق بجميع صفات الذات غير مخلوق لأن الاسم هـو المسمى على ما قـررنا وهـذا صحيح لأن الخالق هـو الله العالم، القادر، المريد، المتكلم وكلامه هو القرآن فدل على أنه غير مخلوق ولا داخل فى الأشياء المخلوقة، والذى يفهم من ذلك فإن كل عـاقل يعلم أنـه يصنع كل شـىء غيـر ذاتـه بصفاتها من قدرته، وحياتـه، وعلمه وكلامه. وكذلك إذا قيل آخذ الملك اليوم كل أحد، وصغر كل صفة وحقرها ومعلوم أن ذاته مـا دخلت فى المفعوليـن ولا دخلت صفاته فـى التحقير والتصغير فكذلك قوله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الرعد: ١٦] يعنى غير ذاته، وذاته قديمة غير مخلوقة بجميع صفاتها فصح أن الآيـة حجة عليهم لا لهم. فإن احتجـوا بقـوله تعـالى ﴿ما يأتيهم من ذكـر من ربهم محـدث﴾ [الأنبياء: ١٢] فوصفه بالحدث والحدث هو الخلق الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الآية حجة عليهم لأنها تدل على أن من الذكر ما ليس بمحدث لأنه لم يقل ما يأتيهم من ذكر إلا كان محدثا فثبت أن من الذكر ما هـو قديم ليس بمحدث فيجب أن يكون القرآن لأن الإجماع قد وقع على أن كل ذكر غيره. مخلوق فلم يبق ذكر غير مخلوق غير كلامه سبحانه وتعالى.

الجواب الثـانى: أن الذكر هاهنـا يراد به وعظ الـرسول ﷺ لهم وتـوعـده لهم وتخـويفـه لأن وعظ الـرسل عليهم السـلام يسمى ذكرا يـدل عليه قولـه تعالى: ﴿فذكر إنمـا أنت مذكر﴾ [الغـاشيـة: ٢١] ويقال: فـلان فى مجلس الـذكـر يعنى فى مجلس الـوعظ. الـذى يحقق ذلك أن قريشـا لم تلعب عنـد سماع القرآن ولكنها كانت تفحم عنـد سماعه حتى قال عتبة: «والله لقد سمعت كـلاما مـا هو بـالشعر، وإن أسفلـه لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وإن عليـه لطلاوة، وإن له لحلاوة» وفـزعوا أيضا أن تفتتن عند سماعه نساؤهم وأولادهم حين كان يقرأ أبو بكر رضى الله عنه.

الجواب الثالث: أنه أراد ما يأتيهم من نهى محدث مجدد بعد نبى إلا استمعـوه وهم يلعبون هل هذا إلا بشـر، وقد سمى الله تعالى رسـوله ذكرا بقـوله: ﴿رسـولا يتلـو عليكم آيـات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بـالله ويعمل صالحا يدخلـه جنات تجرى من تحتهـا الأنهـار خـالديـن فيها أبـدا قـد أحسن الله لـه رزقـا﴾ [الطلاق: ١١]. فإن احتجـوا بقوله تعـالى: ﴿وكان أمـر الله مفعولا﴾ [النسـاء: ٤٧] ﴿وكـان أمـر الله قـدرا مقـدورا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فالجواب: أنـه تعالى أراد عقابه وانتقـامه من الكافرين ونصره للمؤمنين وما حكـم به وقدره من أفعاله وهذا بمنزلة قوله ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ [هود: ٤٠] يعنى ما أمرنا به من زيادة الماء وإغراق الكافرين من قوم نوح عليه السلام ولم يعن (قـولنا) وكـذلك أيضا قـال: ﴿وما أمـر فرعون بـرشيد﴾ [هود: ٩٧] مـن شأنه وأفعـاله وطـرائقه ولم يـرد «قولـه» وهذا بمنزلة قول القائل:

فقلـت لهـــا أمــــرى إلى الله كلـــه
وإنـى إليـــه فى الإيـــاب لــــراجع

يعنى سرّى وأفعالى ولـم يرد بـذلك الأمر من القول، وجمع هـذا أمـور، وجمع الأمـر من القـول الأوامـر. ولـولا عجـزهم وجهلهم لم يلجؤا إلى مثل هـذا التمويه على العـوام والجهال مثلهم. ولو نظروا إلى قـوله تعالى: ﴿وأفوض أمرى إلى الله﴾ [غافـر: ٤٤] تعـالى إنه أراد بـذلك أفعـالى وأمورى دون أمـره الذى هو قوله: ﴿حتى يتبين لهم أنـه الحق﴾ [فصلت: ٥٣] روجعوا إليه.

فإن احتجـوا بقـولـه تعـالى: ﴿إنا جعلنـاه قرآنـا عربيـا﴾ [الزخرف: ٣] والمجعول مخلوق بدليل قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾ [الأنبياء: ٣٠] أى خلقنا فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدهـا: أن معنى ذلك أنا سمينـاه قرآنا عـربيا، والجعل يكون بمعنـى التسمية بدليـل قوله عـز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ [الحجـر: ٩١] يعنى سمـوه فبعضهـم سمـاه شعرا، وبعضهم سحرا. وبعضهم كهانة إلى غير ذلك ولم يرد أنهم خلقوه وكذلك قـوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عبـاد الـرحمن إنـاثـا أشهـدوا خلقهم ستكتب شهـادتهم ويسئلون﴾ [الـزخـرف: ١٩] يعنى سمـوهم وحكمـوا عليهم بذلك ولم يـرد أنهم خلقوهم. وكذلك قولـه تعالى: ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ [إبراهيم: ٣٠] يعنى سموا. وكذلـك قوله تعالى: ﴿مـا جعل الله من بحيرة ولا سـائبـة ولا وصيلة ولا حـام ولكن الـذين كفـروا يفترون على الله الكذب وأكثـرهم لا يعقلـون﴾ [المائدة: ١٠٣] وفى القرآن مثل هذا كثير.

الجواب الثـانى : أنه أراد أنـا جعلنا قراءتـه وتلاوتـه بلسان العرب وأفهمنـا أحكامـه . والمراد به بـاللسان العـربى وتكون الفـائدة فى ذلك الفرق بينـه وبين التوراة والإنجيل لأنـه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وإفهـام أحكامهما باللسان العبرانى والسريانى وجعل تلاوة هذا الكتاب وإفهام أحكامه والمراد به بلسان العـرب ولو عرفوا الفـرق بين التلاوة والمتلو لم يمـوهوا بمثل هذا التمويه .

والجواب الثـالث : أن الجعل إذا عُدِّى إلى مفعـول واحد كان ظاهره الخلق . وإذا عدى إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسميـة فى أكثـر الاستعمـال ، ولـذلك لا يجـوز أن يقـول القـائل : جعلت النجم والرجل ويسكت حتى يصلـه بقولـه : جعلت النجم هاديا ودليلا ، وجعلت الرجل صديقا وصاحبا . فلما قال الله تعالى :﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ [الأحزاب : ٣] تعدى إلى مفعولين فيكون بمعنى الحكم والتسمية .

فإن احتجـوا بقوله تعـالى : ﴿وإذا بـدلنا آيـة مكان آيـة﴾ [النحل : ١٠١] وقالوا : ما يغير ويبـدل فهو مخلوق لا محالة قلنـا : هـذا جهل منكم أيضـا وذلك أن التبـديل والنسخ إنمـا يكون ويتصور فى الرسم من خط أو تلاوة ؛ أو فى حكم فيكون تقـديم الكـلام وإذا بدلنـا حكم آيـة أو تـلاوة آية دون المتلـو القـديم الذى لا يتصـور عليـه تبديـل ولا تغيير وقـد بين ذلك سبحانه وتعالى وأخبر أن كلامه القديم لا يغير ولا يبدل .

دليل الأول : قـوله تعـالى : ﴿وإذا بـدلنا آيـة مكان آيـة﴾ [النحل : ١٠١] يعنى حكم آية أو تلاوتها .

ودليل الثـانى : قوله تعـالى : ﴿ولا مبـدل لكلمـات الله﴾ [الأنعام : ٣٤] وقولـه تعالى : ﴿لا مبدل لكلمـاته﴾ [الأنعام : ١١٥] فأخبر تعالى أن التبديل يتصور فى أحكام كلامه وتلاوة كلامه دون كلامه القديم الـذى هو صفة من صفات ذاته ، ولو حققوا الفرق بين التـلاوة والمتلو سلموا وجميع من وافقهم من الجهال الذين سلمـوا لهم وفق مذهبهم من خلق القرآن معنى ومنعوه نطقا نعوذ بـالله من الجهل وسنبين هذا الأمر إن شاء الله على الاستيفاء بـالكمال فى مسئلة الفرق بين التـلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء .

فإن احتجـوا بقولـه تعـالى : ﴿ولئن شئنـا لنذهبن بـالذى أوحينا إليك﴾ [الإسـراء ـ ٨٦] وقالوا : مـا جاز عليه الـذهاب والعدم فإنه مخلوق .

فـالجـواب عن هـذا السـؤال مثل الجـواب المتقـدم لأن الذهـاب والعدم إنما يكون فى الحفظ والـرسم دون المحفوظ الذى هو كلام الله تعالى . ويدل على صحة هذا أن ابن مسعود رضى الله عنه لمـا قال : استكثروا من قراءة القـرآن قبل أن يرفع فقيل لـه : كيف يـرفع وقـد حفظنـاه فى صـدورنـا وأثبتنـاه فى مصاحفنا؟ . فقال : يسرى عليـه فيذهب حفظه من الصدور، ورسمـه من المصـاحف . وهـذا صحيح لأن حفظ المخلـوق مخلوق مثله وحفظه مخلوق مثله فتصور عليه الذهاب والعدم بالنسيان والمحـو. وأما المحفوظ والمكتوب الذى هـو كلامه القـديم فـلا يتصور عليـه ذلك فـاعلم ذلك وتحققـه (وصف القرآن القائم بـالله سبحانه بالمكتـوب ، والمحفوظ ، والمتلو، من قبيل وصف المـدلـول بـوصف الـدال مجـازا كمـا حققـه التفتازانى فى شرح المقاصد) .

فإن احتجوا بقول النبى ﷺ : «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العـدو مخافـة أن تنالـه أيـديهم» ، قالـوا : وما جـاز أن ينتقل ويتحول ويسافَر به فهو مخلـوق . قلنا : كم هذا التمويه الذى تشبهون به على العوام وجُهَّـال الناس ، لأن النبى ﷺ إنما أراد بهذا الكـلام حمل المصحف الذى فيه كـلام الله مكتوب ولم يرد بذلك نفس كـلامه القديم الذى هو صفـة من صفات ذاته وقد قرنه ﷺ بما يدل على أن المراد به المصحف دون غيره ألا تـراه قال : «مخـافه أن تنـاله أيـديهم» ومعلوم أن الـذى تنالـه أيديهم إنما هو المصحف دون غيره وقد بين عليه السلام ذلك فى حـديث آخر، وهـو قولـه ﷺ لبعض أصحابـه : «لا تمس القرآن إلا وأنت طـاهر» يريد بـذلك الصحف التى يكتب فيها القرآن دون نفس القرآن الذى هو كـلام الله تعالى لأنه صفة من صفات ذاته ولا يتصور على صفات ذاته اللمس ونيل الأيدى .

فإن قالـوا : أجمعنا على أن القـرآن سور. والسـور آيات ، والآيـات كلمات والكلمـات حروف وأصـوات . وجميع ذلك يدل على كونه محدثا مخلـوقا لأن السور معدودة محسوبة لها أول وآخر، وكذلـك الآيات والحروف وما دخلـه الحصر والعد وكان لـه أول وآخر فهـو مخلوق ، وهذه الشبهـة التى سخَّمت وجوه من وافقهم فى مقالتهم هذه من أهل السنة الجهال بطرق

التحقيق حيث سلموا لهم مع زعمهم أن كلامه ليس بمخلوق ما قرروه من هذه الشبهة وقالوا مثل قولهم إن كلامه حروف وأصوات فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(قال السعد في شرح المقاصد: (انتظم من المقدمات القطعية والمشهورة قياسان ينتج أحدهما قدم كلام الله تعالى، وهو أنه من صفات الله وهي قديمة، والآخر حدوثه وهو أنه من جنس الأصوات، وهي حادثة، فاضطر القوم إلى القدح في أحد القياسين ومنع بعض المقدمات ضرورة امتناع حقية النقيضين، فمنعت المعتزلة كونه من صفات الله تعالى، والكرامية كون كل صفة قديمة، والأشاعرة كونه من جنس الأصوات والحروف، والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثا، ولا عبرة بالكلام بالكرامية والحشوية، فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة. وهو في التحقيق عائد إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه. وأن القرآن هو أو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي أولا، فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت» ثم قال السعد: وعلى البحث والمناظرة في ثبوت الكلام النفسي وكونه هو القرآن ينبغي أن يحمل ما نقل من مناظرة أبي حنيفة وأبي يوسف ستة أشهر ثم استقر رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر» وهذا التحقيق هو مفتاح هذا البحث الطويل العريض وقد أثبت المصنف الكلام النفسي بكل ما جلاه في موضعه، وحدوث ما سواه مما في الأذهان والألسنة والخطوط جلي واضح عند أرباب العقول فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون».

والجواب عن هذه الشبهة: أن يقال لهم: أما ما ذكرتم من الحصر، والتحديد والتبعيض، والحروف، والأصوات فجميع ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته لأن جميع ما ذكرتم يحتاج إلى مخارج من لسان. وشفتين، وحلق. والله يتعالى يتنزه عن جميع ذلك. بل نقول إن كلامه صفة له قديمة لا يحتاج فيه إلى أداة من صوت، أو حرف، أو مخرج. يتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

وكذلك ما ذكرتم من الحصر، والعد، والأول، والآخر إنما ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين لكلامه، وكتبتهم لكلامه دون كلامه الذي هو صفة وقد بيّن ذلك سبحانه وتعالى بأظهر بيان لمن كان له فهم صحيح لأنه تعالى قال: **﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾** [الكهف: ١٠٩].

وقوله تعالى: **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾** [لقمان: ٢٧] ومعلوم أن الكاتب منا يكتب عدة مصاحف بمحبرة واحدة، ويتلو التالي منا عدة ختمات فالمحصور والمعدود المحدود الذي يتصف بأول وآخر صفاتنا من تلاوتنا لكلامه، وخطنا لكلامه، وحفظنا لكلامه فأما صفته التي هي كلامه على الحقيقة فلا تتصف بالزوال، والحصر، والعد، والأول والآخر على ما أخبر سبحانه وتعالى على مقتضى التحقيق لأن كل ما اتصف بالبداية والفراغ والحصر والعد فإنما هي صفة المخلوق لا صفة الخالق القديمة بقدمه الموجودة بوجوده التي لا يجوز أن تتقدم عليه ولا تتأخر عنه فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من ضلالة الفريقين وتخلص من جهل الطائفتين (الإنصاف / ٦٢ - ٧٠).

وهكذا نرى كيف نقض الإمام الباقلاني أدلة المعتزلة في دعوى خلق القرآن، وكيف أوضح أن الآيات والآثار التي تمسكوا بها لا تدل على حدوث الكلام النفسي القائم بالله، وقد أفاض في بيان كلام الله تعالى على مذهب الأشاعرة.

(تحفة المريد على جوهرة التوحيد - شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد البيجوري / ٥٨، ٥٩، والبيان المبين في علوم كتاب الله رب العالمين - فضيلة الشيخ محمود عبد الحليم الرفاعي. هدية مجلة الأزهر. جمادى الآخرة ١٤١١ هـ / ٣١، ٣٢، وابن تيمية - الإمام محمد أبو زهرة / ٢٤٨ - ٢٥٢، وحجج القرآن للإمام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي / ٦٤ - ٦٧، والإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري / ٤١ - ٥٤، ٦٣ - ٦٧، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - عرّف الكتاب، وقدمه للقراء، وكتب هوامشه العلامة صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري / ٦٢ - ٧٠. انظر أيضا شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاة العلامة صدر الدين علي ابن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر / ١١٠ - ١٢٤، والحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهو ٣١٨ - ٣٢٢).

* **الخِلقة:**

الخلقة بالكسر وسكون اللام اختلف العلماء فى تفسيرها فقيل هى مجموع الشكل واللون وهى من الكيفيات المختصة بالكميات وقيل الشكل المنضم إلى اللون وقيل كيفية حاصلة من اجتماعهما كذا فى شرح المقاصد (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٦).

وقد عقد ابن الأجدابى الطرابلسى بابا فى «الحَلْى» جمع «حلية» وهى الصفة والخلقة والصورة، يقال حلية الرجل: صفته وخلقته وصورته (المعجم الوسيط ١ / ١٩٥) ومن هذا الباب يتضح مدى ثراء اللغة العربية فى الألفاظ. قال المؤلف رحمه الله.

إذا كان الرجل عظيم الجبهة فهو: أجبه، فإذا كان شعر رأسه كثيرا، فهو: أفرع والمرأة، فرعاء، وإذا كان شعر رأسه سابلا فى وجهه حتى تضيق به الجبهة فهو: أغم، فإذا انكشف رأسه من الشعر فهو: أصلع، فإذا انحسر الشعر عن جانبى ناصيته يمينا وشمالا فهو: أنزع فإذا زاد قليلا فهو: أجلح فإذا كان طويل الحاجبين دقيقهما، فهو: أزج، فإن كان متصل الحاجبين فهو: أقرن، فإن انقطعا فكان ما بينهما نقيا فهو: أبلج فإن كان عظيم العينين فهو: أعين، فإن كان فى عينيه نتوء وظهور فهو: جاحظ العينين. والمرأة جاحظة فإن كان واسع العينين حسنهما فهو: أنجل والمرأة، نجلاء، فإن كان شديد سواد الحدقة فهو: أدعج فإن كان سوادها خفيفا فهو: أشهل، فإن كان سواد عينيه مائلا إلى أنفه فهو: أقبل فإن كان صغير العينين، ضعيف البصر فهو: أخفش فإن كان فى أنفه ارتفاع واستواء فهو: أشم، فإن ارتفع وسط الأنف عن طرفيه فهو: أقنى والمرأة قنواء. فإن صغرت أرنبته وقصر أنفه فهو: أذلف والمرأة ذلفاء فإن قصر أنفه ومالت أرنبته فهو: أخنس والمرأة خنساء. فإن عرض الأنف وتطامنت قصبته فهو: أفطس والأنثى فطساء ؛ فإن كان مقطوع الأنف فهو: أجدع فإن كان فى الشفة العليا شق فهو: أعلم، فإن كان ذلك فى الشفة السفلى فهو: أفلح فإن كان فى شفتيه سواد فهو: ألعس وألمى والأنثى لعساء ولمياء، فإن كان واسع الفم فهو: أفوه... فإن تقدمت ثناياه السفلى فلم تقع عليه العليا، فهو: أفلج، فإن اختلفت أسنانه فطال بعضها وقصر بعض فهو: أشغى، فإن علت أسنانه خُضْرة فهو: أقلح، فإن كان لسانه يتردد فى كلامه فهو: أرت، فإن تردد فى التاء فهو: تمتام وإن تردد فى الفاء فهو: فأفاء فإن كان يخرج الحرف من غير مخرجه مثل أن يجعل الراء غينا أو نحو ذلك فهو: ألثغ، فإن كان عظيم اللحية فهو: ألحى، فإن قصر شعرها وكثر، فتلك: الكثاثة يقال رجل كث اللحية. فإن لم يكن فى عارضيه شعر فهو: ثط والجمع ثطاط، فإن كان له شارب وليس فى ذقنه ولا عارضيه شىء فهو: كوسج فإن لم يكن فى وجهه شعر فهو: سناط.

ومن نعوت خلق الانسان.

الجنأ وهو انكباب الظهر على الصدر. يقال رجل أجنأ و... القعس خروج الصدر ودخول الظهر وهو ضد «الحدب». و... الصكك اصطكاك الركبتين. الفحج تباعد ما بين الساقين، يقال رجل أفحج و... الوكع ميل إبهام الرجل على الأصابع وذلك أن تركب الإبهام السبابة حتى يرى شخص أصلها خارجا و ... الفدع اعوجاج القدم وذلك أن تميل من أصلها من الكعب وطرف الساق و... الحنف إقبال إحدى القدمين على الأخرى، يقال رجل أحنف وامرأة حنفاء (كفاية المتحفظ / ٣٧-٤٠).

كما يعقد أبو منصور الثعالبى فصلا فى معايب خُلق الإنسان جاء فيه ما يلى:

إذا كان صغير الرأس فهو أصعل وسمعمع. فإذا كان فيه عوج فهو أشدف (عن ابن الأعرابى) فإذا كان عريضه فهو أفطح. فإذا كانت به شجة فهو أشج فإذا أدبرت جبهته وأقبلت هامته فهو أكبس فإذا كان ناقص الخَلْق فهو أكشم. فإذا كان معوج القد فهو أخفج فإذا كان مائل الشق فهو أحدل فإذا كان طويلا منحنيا فهو أسقف. فإذا كان منحنى الظهر فهو أدَنُّ فإذا خرج ظهره ودخل صدره فهو أحدب، فإذا خرج صدره ودخل ظهره فهو أقعس. فإذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه فهو ألص. فإذا كان فى رقبته ومنكبيه انكباب إلى صدره فهو أجنأ وأدنأ. فإذا كان يتكلم من قبل خيشومه فهو أغن. فإذا كانت فى صوته بحة فهو أصحل، فإذا كان فى وسط شفته العليا طول فهو أبظر. فإذا كان معوج الرسغ من اليد والرجل فهو أفدع. فإذا كان يعمل بشماله فهو أعسر. فإذا كان يعمل بكلتا يديه فهو أضبط وهو غير معيب. فإذا كان غير منضبط اليدين فهو أطبق. فإذا كان قصير الأصابع فهو أكزم. فإذا ركبت إبهامه سبابته فرؤى أصلها خارجا فهو أوكع

فإذا كان معوج الكف من قبل الكوع فهو أكوع. فإذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين فهو أفحج والأفج أقبح منه. فإذا اصطكت ركبتاه فهو أصك. فإذا اصطكت فخذاه فهو أمذح. فإذا تباعد صدور قدميه فهو أحنف. فإذا مشى على صدرها فهو أقفد فإذا كان قبيح العرج فهو أقزل (فقه اللغة / ٩١، ٩٢).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٤٤٦، والمعجم الوسيط ١/ ١٩٥، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى - تحقيق عبد الرزاق الهلالى / ٣٧ - ٤٠، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ٩١، ٩٢).

* **ابن خَلِّكان (٦٠٨-٦٨١ هـ / ١٢١١-١٢٨٢ م):**

القاضى ابن خلكان بفتح الخاء وتشديد اللام كما رؤى بخطه. وهو اسم جده لا كما قال الأسنوى: إنه نسبة إلى قرية البرمكى الإربلى (القلائد الجوهرية ١/ ١٩٢).

هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبى بكر بن خلكان بن باول، بفتح الواو، بن شاكل، بفتح الكاف، بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، الإمام العلامة شمس الدين أبو العباس، البلخى الأصل، الإربلى المولد، الدمشقى الدار والوفاة، الشافعى، قاضى قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها صاحب وفيات الأعيان مولده بإربل فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة، وأمه من نسل خلف بن أيوب صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه (وهو خلف بن أيوب العامرى البلخى، من أصحاب محمد وزفر صاحبىَ الإمام أبى حنيفة، واختلف فى سنة وفاته ما بين ٢٠٥ أو ٢١٥ أو ٢٢٠ هـ) ونشأ بإربل، وهى قلعة حصينة ومدينة كبيرة جنوب شرق الموصل، وتفقه بالموصل، ثم قدم دمشق فى عنفوان شبيبته فأقام بها مدة يسيرة، وتوجه إلى ديار مصر واشتغل بها أيضا، وحصل من كل علم طرفا جيدا، وبرع فى الفقه والأصول والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس، ونظم ونثر، ولى قضاء دمشق من القاهرة، وخرج منها فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ست وستين وستمائة، وتوجه إلى دمشق فدخلها فى المحرم سنة سبع وستين، فباشرها مدة عشر سنين.

وفى أول ولايته للقضاء ورد عليه الخبر بأن يبرز المرسوم الشريف الظاهرى بأن يكون بدمشق أربع قضاة ووصل ثلاثة تقاليد لشمس الدين عبد الله بن محمد عطاء الحنفى الأذرعى (المتوفى سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م)، ولزين الدين عبد السلام الزواوى المالكى (المتوفى سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م)، ولشمس الدين عبد الرحمن الحنبلى (وهو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م)، وكانوا قبل ذلك نوابا للشافعى.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة ومن العجيب اجتماع ثلاثة قضاة لقب كل واحد منهم شمس الدين فى زمن واحد، فقال بعض الأدباء شعرا:

بدمشق آية قد ظهـ ... ـرت للناس تماما
كلما ازدادوا شموسا ... زادت الدنيا ظلاما

وقال غيره:

أهل دمشق استرابوا ... من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شموس ... وحالهم فى ظلام

ثم صرف قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان هذا عن قضاء دمشق، وقدم إلى القاهرة ودام بها نحوا من سبع سنين، وتولى الحكم بها نيابة عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى (المتوفى سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م) ودرس بالقاهرة بالمدرسة الفخرية، وفى أثناء إقامته بالقاهرة أتم القسم الأول من معجمه التاريخى، وأفتى، وصنف، إلى أن أعيد إلى دمشق قاضيا بعد القاضى عز الدين بن الصائغ (المتوفى سنة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م) وتوجه إلى دمشق، فلما قرب منها خرج نائبها الأمير عز الدين أيدمر (المتوفى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م) بجميع الموكب والأمراء وأرباب الوظائف لتلقيه، وأما رؤساء دمشق فإنهم تلقوه من عدة مراحل، وهنأ الشعراء بعدة قصائد، من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقى (المتوفى سنة ٦٨٩ هـ/ ١٢٨٩ م):

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـ ... ـر وعندى أن الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السبـ ... ـع عام فيه يغاث الناس

قلت هذا القول لمدة مفارقته الحكم بدمشق إلى أن عاد

ثانيا إليه ... ودام في هذه الولاية بدمشق إلى سنة ثمانين وستمائة، صرف عن القضاء لأنه اتهم بمعاضدة نائب دمشق على الخروج على السلطان فعزل، وعاش بقية حياته مدرسا بالمدرسة الأمينية، ثم لزم داره إلى أن توفي يوم السبت سادس عشرين شهر رجب، وقيل سادس عشرة، سنة إحدى وثمانين وستمائة بالمدرسة النجيبية بدمشق، ودفن بجبل قاسيون .

وكان إماما عالما بارعا، متقنا كثير الفضائل، أديبا، شاعرا، جامعا، مؤرخا، وتاريخه وفيات الأعيان مشهور سيأتي الكلام عنه، وكان جوادا، ممدحا، مدحه شعراء عصره بغرر القصائد، وكان يجيز عليها الجوائز السنية، وكان عنده عقل واحتمال، وستر عن العورات وعلو همة، ولما كان معزولا بالديار المصرية حصل له ضائقة، فبلغ الأمير بدر الدين الخازندار (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ذلك فأمر له بنفقة هائلة ومائة أردب قمح، فامتنع من قبولها .

وذكره الحافظ قطب الدين في تاريخه، قال كان إماما عالما، أديبا بارعا، وحاكما عدلا، ومؤرخا جامعا .

وذكره أيضا الحافظ أبو محمد البرزالي في معجمه وقال فيه : أحد علماء عصره المشهورين، وسيد أدباء دهره المذكورين، جمع بين علوم جمة : فقه وعربية وتاريخ ولغة وغير ذلك، وجمع تاريخا نفيسا اقتصر فيه على المشهورين من كل فن، وولي قضاء الشافعية مدة، ودرس وأفتى، وسمع الحديث من ابن المكرم الصوفي البغدادي (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) باربل، سمع منه البخاري عن أبي الوقت وهو عبد الأول بن عيسى السجزي ثم الهروي الصوفي المحدث الجليل، أبو الوقت، المتوفى سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م، وسمع من الشاوي، وهو يوسف بن محمود بن يعقوب الشاوي المصري الصوفي، المتوفى سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م، وابن الجميزي، وأجازه المؤيد الطوسي، وهو المؤيد بن محمد بن علي بن حسن، رضي الدين الطوسي، مسند خراسان، المتوفى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، وأبو روح، وهو عبد المعز محمد أبو الفضل بن أحمد بن أبي روح الهروي البزار الصوفي، المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١م، وابن الصفار، وهو أبو بكر القاسم بن عبد الله بن عمر، المعروف بابن الصفار النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م، والحسين بن أحمد القشيري، وإسماعيل، ومحمد بن علي بن عبد الله السيد الحسيني وآخرين من نيسابور، وذكر مولده ثم قال : له يد طولى في علم اللغة، لم ير في وقته من يعرف ديوان المتنبي كمعرفته، وكان مجلسه كثير الفوائد والتحقيق والبحث، لا يوجد فيه غير ذلك اهـ.

وقال الشهاب محمود في تاريخه : كنت كثير الاجتماع به في مباشرته الثانية للاقتباس من فوائده، يرحمه الله ا هـ.

قلت : وأثنى عليه أيضا غير واحد، وقد طال الشرح في ذلك، ولا بد من ذكر شيء من شعره، فمن ذلك .

يارب إن العبد يخفي عيبه
فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع
لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

(المنهل الصافي ٢ / ٨٩-٩٤).

ويصف صاحب عقد الجمان عودة ابن خلكان إلى قضاء الشافعية ضمن أحداث سنة ٦٧٧ هـ فيقول :

وفي أوائل المحرم جاء الخبر إلى دمشق بأن شمس الدين ابن خلكان، تولى قضاء الشافعية بدمشق، عودا على بدء، وذلك بعد أن عزل عن قضاء دمشق مدة سبع سنين، فلما جاء الخبر بذلك امتنع قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ عن الحكم، وقد كان منصب القضاء بينهما دولا، ثم وصل ابن خلكان إلى دمشق، فدخلها يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم، فخرج نائب السلطنة الأمير عز الدين أيدمر، ومعه جميع الأمراء والموكب لتلقيه، وفرح الناس به فرحا شديدا، ومنهم من تلقاه إلى الرملة، ومدحه الشعراء، فكان فيمن أنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعفران :

لما تولى قضاء الشام حاكمه
قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم
من بعد سبع شداد قال خادمه
ذا العام فيه يغاث الناس بالنعم

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر ذكر ابن خلكان الدرس بالظاهرية التي بنيت موضع دار العقيقي بدمشق، ولم تكن

المدرسة تكاملت بعد، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيدمر وبقية القضاة والأعيان، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقي، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي.

قال صاحب عقد الجمان: وفي العشر الأواخر من ذي العقدة سنة ٦٧٧ هـ: فتحت المدرسة النجيبية، وحضر تدريسها القاضي شمس الدين بن خلكان بنفسه، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى (هو موسى بن أحمد بن محمد البرمكي، كمال الدين المتوفى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م، والمدرسة النجيبية بدمشق: أنشأها النجيبي جمال الدين أقوشي النجمي) (عقد الجمان ٢ / ١٩٨ - ٢٠٠).

وقد اشتهر ابن خلكان بكتابه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان» وهو معجم تاريخي لم يذكر فيه من تراجم الصحابة والتابعين إلا طائفة قليلة، ولم يترجم فيه للخلفاء، وإنما قصره على تراجم العلماء والملوك والأمراء والوزراء وكل من له شهرة بين الناس، وقد بذل عناية فائقة في تحقيق نسب كل واحد، تحرى سنة ولادته ووفاته وضبط الأعلام ضبطا دقيقا (الفصل ٢ / ٢٦٨). وقد ابتدأه بالقاهرة في سنة أربع وخمسين وفي أثنائه سار إلى يحيى بن خالد ولما سافر إلى الشام مع الظاهر بيبرس في سنة تسع وخمسين واشتغل بالقضاء تعطل عن إتمامه إلى أن رفع من الخدمة فرجع إلى مصر، واشتغل بإكماله فأتمه في الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وهو من أعظم الكتب وقد اشتغل باختصاره الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد على صاحب اليمن المتوفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وسماه مختصر تاريخ ابن خلكان، وذيله كثير من المؤرخين، فمن ذلك كتاب لفضل الله السخاوي وآخر لحسين بن أيبك ذكره المؤرخ ابن قاضي شهبة، وكتاب لعبد الرحمن بن حسين الملقب بزين الدين العراقي وقد جمع المؤرخ حسن بن عمر كتابا سماه معاني أهل البيان من وفيات الأعيان (الخطط التوفيقية الجديدة ١٠ / ٤٠، ٤١).

والكتاب مظهر من مظاهر العناية والتدقيق العلمي، وقد امتاز بتحري الصحة والابتعاد عن كثير من الخرافات والفحش، وليس بين كتب التاريخ في هذا العصر ما يضاهيه في شرف منزلته وعظم فائدته، وقد نال شهرة في الشرق والغرب، وهو سهل العبارة، جلي الأسلوب، بلغ الغاية في الدقة والتمحيص، وبين تضاعيفه مباحث جليلة الشأن في التاريخ والأدب (المفصل ٢ / ٢٦٨). وإن كان يؤخذ عليه روايته لكثير من الأخبار التي لا تخلو من مبالغة، أو وضعها على علاتها متوخيا في ذلك أمانة النقل. وقد اشتمل الكتاب على ٨٤٦ ترجمة. (الوسيط / ٣٠٣).

وقد ترجم «وفيات الأعيان» إلى الفارسية سنة ٨٩٥ هـ، وترجمه دي سلان إلى الإنجليزية، ونشر في لندن في أربعة مجلدات سنة ١٨٤٢ - ١٨٧١ م، وأشهر ذيل له «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ، وهو وإن كان تمم على «وفيات الأعيان» إلا أنه لم يدرك شأو سابقه لا في الضبط ولا في ذكر تاريخ الوفيات (الفصل ٢ / ٢٦٨، والوسيط / ٣٠٣).

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي من فوات الوفيات هي بعنوان «فوات الوفيات والذيل عليها» لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر بيروت سنة ١٩٧٣، وتقع في خمسة مجلدات.

توفي ابن خلكان بإيوان المدرسة النجيبية عشية السبت سادس عشرين رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله تعالى (القلائد الجوهرية ١ / ١٩٣).

له ترجمة في البداية والنهاية ١٣ / ٣٠١ وقد ذكر ابن كثير أن وفاته كانت بالمدرسة النجيبية يوم السبت آخر النهار، في السادس والعشرين من رجب من السنة المذكورة هنا.

وترجم له ابن العماد في شذرات الذهب ٥ / ٣٧١ - ٣٧٣ وذكر انه سمع البخاري من ابن مكرم وتفقه بالشام والموصل وسكن مصر مدة وولي قضاء الشام عشر سنين.

كما ترجم له ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٧ / ٣٥٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ١ / ١٠٠ - ١٠٨، والسيوطي في حسن المحاضرة ١ / ٥٥٥ وغيرهم (درة الحجال ١ / ٧).

كما أن له ترجمة في: الدليل الشافي ١ / ٧٤ رقم ٢٦٠، المقفى: ترجمة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٥٣ - ٣٥٥، تذكرة النبيه ١ / ٧٤ - ٧٥، درة الأسلاك / ٧١، الدارس ١ / ١٩٣، روضات

الجنات / ٨٧، فوات الوفيات ١ / ١٠٠ ترجمة ٤٥، طبقات الشافعية ٥ / ١٤، محمد محيى الدين عبد الحميد: مقدمة كتاب وفيات الأعيان ١ / ٤ وما بعدها، تاريخ ابن الفرات المجلد السابع / ٢٥٣ (المنهل الصافى ٢ / ٨٩).

(القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الصالحى ـ بتحقيق محمد أحمد دهمان ١ / ١٩٢، ١٩٣، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢ / ٨٩ ـ ٩٤، وعقد الجمان لبدر الدين محمود العينى ـ تحقيق د. محمد محمد أمين ٢ / ١٩٨ ـ ٢٠٠، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملاؤه ٢ / ٢٦٧، ٢٦٨، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عبد المجيد شلقامى ١٠ / ٤٠، ٤١، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ـ الشيخ أحمد الإسكندرى، والشيخ مصطفى عنانى / ٣٠٣، ودرة الحجال فى أسماء الرجال لابن القاضى ـ تحقيق د. محمد الأحمدى أبى النور ١ / ٧. انظر أيضا الأعلام للزركلى ١ / ٢٢٠).

قالت المؤلفة: لدى زيارتنا للمدرسة العادلية بدمشق يوم الثلاثاء ٣ صفر ١٤١٢ هـ / ١٣ أغسطس ١٩٩١ م شاهدنا الغرفة التى كان يقيم فيها ابن خلكان وألف فيها كتابه «وفيات الأعيان».

* **الخُلّة:**

الخلة بالضم والتشديد فى اللغة المحبة وعند السالكين أخص منها وهى تخلل مودة فى القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته لما تخلله من أسرار إلهية ومكنون الغيوب والمعرفة لاصطفائه عن أن يطرقه نظر لغيره ومن ثم قال النبى ﷺ لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وبالجملة فهى تخلية القلب عما سوى المحبوب.

واختلفوا فى أن مقام المحبة أرفع أم مقام الخلة فقال قوم المحبة أرفع لخبر البيهقى أنه تعالى قال ليلة الإسراء يا محمد سل تعط فقال يارب إنك اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال ألم أعطك خيرا من هذا إلى قوله واتخذتك حبيبا. ولأن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال تعالى فى نبينا ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ [النجم: ٩] وفى إبراهيم ﴿**وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض**﴾ [الأنعام: ٧٥] وقال قوم الخلة أرفع ورجحه جماعة متأخرون كالبدر الزركشى وغيره لأن الخلة أخص من المحبة إذ هى توحيدها فهى نهاية ومن ثم أخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لجماعة من الصحابة وأيضا فإنه تعالى يحب التوابين والمتطهرين والصابرين والمقسطين والمتقين وخلّته خاصة بالخليلين. قال ابن القيم وظن أن المحبة أرفع وأن إبراهيم خليل ومحمدا حبيب غلط وجهل ورد ما احتج به الأولون مما مر بأنه إنما يقتضى تفضيل ذات محمد على ذات إبراهيم مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لانزاع فيه إنما النزاع فى الأفضلية المستندة إلى أحد الوصفين والذى قامت عليه الأدلة استنادها إلى وصف الخلة الموجودة فى كل من الخليلين فخلة كل منهما أفضل من محبته كذا فى فتح المبين شرح الأربعين للنووى. وفى الصحائف الخلة من مراتب المحبة وتعريفه تخلية القلب عما سوى المحبوب (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٩، ٤٥٠).

والخلة: الخليل والصديق يستوى فيه المذكر والمؤنث لأنه فى الأصل مصدر قولك خليل بيِّن الخلة والخلولة وجمعه خلال كما فى المختار، تقول فى التذكير والتأنيث: هو خلة وفى، وهى خلة وفية (الرسالة الرشادية / ٢٥).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٤٩، ٤٥٠، والرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٥).

* **خلو الناصحين:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٤٩٤ تصرف ٢٠٠.

كتاب فى التصوف والوعظ والإرشاد باللغة التركية.

المؤلف: مصطفى بن محمد الأنقرويدر؟

أوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين اعلموا وفقكم الله تعالى أى الله تعالى حضر ندبك مؤمن موحد ...

آخره: مناجاة: إلهى روز قل بزفتو الرينه وأروز طفر وستك بو للريكة ...

الخط نسخ واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر بعض الصفحات مجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ: حافظ أحمد أفندي.

تاريخ النسخ: رجب سنة ١٢٣٢ هـ.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٣، ٥٠٤).

*** الخَلْوتي (أيوب) (٩٩٤-١٠٧١ هـ / ١٥٨٥-١٦٦١ م):**

قال عنه الزركلي:

أيوب بن أحمد بن أيوب القرشي الماتريدي الحنفي الخلوتي: شيخ من كبار المتصوفين. أصل آبائه من البقاع العزيزي (في الشام) ومولده ومنشأه ووفاته في دمشق. تلقى أنواع العلوم، وكان شيخ وقته. له عدة رسائل منها «ذخيرة الفتح» و «رسالة اليقين» و «الرسالة الأسمائية في طريق الخلوتية» و «التحقيق في سلالة الصديق» وله نظم، و «ثبت - خ» عندي، في جزء لطيف، أجاز به محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن العدوي القرشي و «وصية - خ» في ٥ صفحات، عندي، أوصى بها ولده محمدا المكنى بأبي الصفاء (الأعلام ٢ / ٣٧).

قالت المؤلفة: رسالة «التحقيق في سلالة الصديق» التي أوردها الزركلي أعلاه أدرجت في فهرس الظاهرية بلفظ «لسلالة» بدلا منه «في سلالة» وجاء بيان المخطوط كما يلي:

الرقم ٧١٧٢.

- رسالة أنشأها المؤلف عند زيارته لآل البكري وأشار إلى موضوع «الحقيقة» وأنها في جدهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المؤلف: أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي الحنفي البقاعي المتوفى سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م (في الأعلام ١٦٦١ م).

أولها: الحمد الله الذي جعل غاية سيره قدم الصدق الحصول على سهم السعادة ونهاية التخلق بسورة الإخلاص انكشاف سر القضاء والإرادة...

آخرها:

ومن عادة القادة الكرام إعادة الإفادة المرام شعر:

خط أيوب بن أحمد الخلوتي

وليس مرامي غير رام بطرفه

إلى مجدكم والمجد ما بعده مرمى

ولله الحمد أولا وآخرا...

الخط نسخي جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: أحمد بن طبيخ.

تاريخ النسخ: ١٩ ذي الحجة سنة ١٠٧٧ هـ بالصالحية بمدرسة الشيخ أبي عمر بن قدامة.

ملاحظات ونسخة مراجعة مصادر عن الكتاب: هدية العارفين ١ / ٢٢٩، إيضاح المكنون ١ / ٥٦١ (مخطوطات الظاهرية ١ / ٢٦٥، ٢٦٦).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣٧، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٢٦٥، ٢٦٦).

*** الخلوتي (جامع شاهين-): ٩٤٥ هـ:**

قال عنه علي مبارك: هذا المسجد بسفح المقطم مرتفع الأرضية يصعد عليه بمزلقان، ومنقوش على بابه في الحجر: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾** [التوبة: ١٨] أنشأ هذا الجامع ووقفه العبد الفقير إلى الله تعالى جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله تعالى الشيخ شاهين الخلوتي افتتح سنة خمس وأربعين وتسعمائة. انتهى. وبه أربعة أعمدة من الحجر، وقبلته

مشغولة بقطع من الرخام الملون والصدف يكتنفها عمودان من الرخام ومنبر خشب ودكة قائمة على عمود من الرخام.

وهناك بداخله تربتان إحداهما تربة من الرخام مكتوب بدائرها آية الكرسى، وبأسفل المسجد جملة من خلاوى الصوفية، وله ميضأة ومرافق وبه صهريج صغير وهو الآن غير مقام الشعائر.

وقال النابلسى فى رحلته: وسرنا إلى أن دخلنا جامع الشيخ شاهين الدمرداشى نسبة إلى الشيخ دمرداش المحمدى لأنه كان رفيقه واشتهر به، وقد أخذ الشيخ شاهين المذكور عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمنى وحسين جلبى المدفون بزاوية الشيخ دمرداش وعن الشيخ عمر الروشنى واشتهر بالصلاح، وكان كثير المكاشفة للناس وكان يغتسل لكل صلاة. مات سنة أربع وخمسين وتسعمائة ودفن فى زاويته بسفح الجبل، وبنى السلطان عليه قبة ووقف عليه أوقافا، كذا ذكره المناوى فى طبقاته.

ثم قال النابلسى: فدخلنا مزاره ورأينا مقامه فى ذلك الجامع يطل على مزارات القرافة المباركة، وفيه منبر ومحراب لإقامة صلاة الجمعة. وهناك ثلاثة قبور: القبر الكبير قبر الشيخ شاهين وبجانبه قبر ولده الشيخ جمال الدين، ثم قبر ولد ولده الشيخ محمد شاهين. فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى انتهى باختصار.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٥ / ٧٥، ٧٦).

*** الخلوتى (زاوية-):**

قال عنها على مبارك كما كانت فى زمانه فقال:

هذه الزاوية بالجودرية وهى قديمة مقامة الشعائر ولها أوقاف جارية عليها بمعرفة ناظرها الشيخ محمد الأمير من ذرية الشيخ محمد الأمير الكبير، وفيها ضريح يقال له ضريح الشيخ الخلوتى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٣).

*** الخلوتى (سيد محمد):**

انظر: الخلوتى (كريم الدين).

***الخلوتى (شاهين) (-٩٥٤ هـ):**

قال عنه على مبارك:

هو الشيخ شاهين المحمدى المترجم فى طبقات الشعرانى بأنه أحد أصحاب سيدى عمر الروشنى بناحية توريز العجم. كان من جند السلطان قايتباى ومقربا عنده فسأله أن يخليه لعبادة ربه ففعل وأعتقه، فساح إلى بلاد العجم وأخذ عن شيخه المذكور ثم رجع إلى مصر، فسكن الجبل المقطم وبنى فيه معبدا وحفر له فيه قبرا ولم يزل مقيما به لا ينزل إلى مصر نحو ثلاثين سنة.

وكان له الشهرة العظيمة بالصلاح فى دولة بنى عثمان وتردد الأمراء والوزراء لزيارته ولم يكن ذلك فى مصر لأحد فى زمنه، وكان كثير المكاشفات قليل الكلام جدا تجلس عنده اليوم كاملا لا تكاد تسمع منه كلمة، وكان كثير السهر متقشفا فى اللبس معتزلا عن الناس إلى أن توفاه الله تعالى سنة نيف وتسعمائة رضى الله عنه انتهى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٥ / ٧٥ انظر: الخلوتى (جامع شاهين-).

*** الخلوتى (كريم الدين) ٨٩٦-٩٨٦ هـ / ١٤٩٠-١٥٧٨ م):**

هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتى. ولد سنة ٨٩٦ هـ (نوفمبر سنة ١٤٩٠م) ونشأ نشأة صوفية فصار يحضر مجالس الذكر لينشد فيها، إذ كان حسن الصوت، وقد أخذ عن الشيخ دمرداش الذى عطف عليه وقربه منه وتلقى عنه علوم الأوفاق والحرف والزايرجة والرمل، فأتقنها وتألق نجمه، حتى أنتهت إليه الرياسة فى طريق الخلوتية، وكثر تلامذته، وحسن أعتقاد الناس فيه، وأقام فى زاوية بالقرب من قنطرة سنقر إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨م) عن نحو تسعين سنة، وكثر أسف الناس عليه، وبعد الصلاة عليه فى الجامع الأزهر دفن بهذا المسجد (تاريخ المساجد الأثرية (٣٤٢).

وقد ترجم له على مبارك فقال عنه:

سيدى محمد هذا كما فى حاشية الشيخ الصاوى على خريدة التوحيد نقلا عن المناوى فى الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية: هو ابن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتى، ولد سنة ست وتسعين وثمانمائة، ونشأ فى كنف الله حتى شب وترعرع فصار يميل إلى الخير، ويحضر مجالس الذكر وينشد فيها كلام القوم، ورزق حسن الصوت وطيب النغمة، أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق

وأخلاه مرارا، وظهرت نجابته وجدّ واجتهد واشتهر، وتلقى عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجه والرمل فأتقن ذلك، ولما دنت وفاة الشيخ أجاز جماعته واستخلف الشيخ حسنا ولم يتعرض لـه مع نجابتـه فلزم الأدب وسكت، فلمـا احتضر الشيخ قـال لولـده الشيخ محمد: قصـرنا فى شأن الشيخ كريـم الدين مع استحقاقـه، وأشهدكم أنى أجزته فـاكتبوا لـه وأعطوه جبتى، فكتب له ولد الشيخ من الإجـازة صدرا فمات الشيخ، فأكمله بعده لكنـه أعطى الجبة لغيره فأخـذها ولبسهـا فقُتل، فدفعت للموصى له بها فكان ذلك علامـة تقدمه، فاجتمع عليه خلق كثيرون، وانتهت إليـه الريـاسة فى طريق الخلـوتية وعـلا قدره وظهر أمـره، ولما كثرت جماعتـه تحول إلى زاوية بـالقرب من قنطرة سنقر علـى الخليج. وكان هينا لينا متواضعـا للزائرين، مهيبا على السالكين، أخلى مرة رجلا فقال: يا سيدى أدركت كل ما يـدرك بالقـوى الحواس بـذاتى، حتى كأنى عين الاسم الـذى أشتغل بـه من جميع جهـاتى. فـزجـره زجـرة مسزعجـة ارتعدت منه جميع جوارحه فزال منه ذلك. وكان هو والعارف الشعـرانى فى عصر واحـد يقصدان للـزيارة والتسليك، فلمـا مات الشعـرانى انفرد الخلوتى بـالوجاهة وأقبل عليـه الخاص والعام. ولـم يزل الشيخ مقيما علـى الإرشاد، وأمره دائمـا فى ازدياد، بحيث إنه إذا خرج من الشارع يكثر الزحام على تقبيل يديه ورجليـه، وما برح كذلك حتى وافـاه الحمام فى جمادى الآخـرة سنـة ست وثمانين وتسعمـائة عن نحـو تسعين سنـة، وأغلقت البلـد لمشهـده، وحمل نعشـه على الأصـابع من زاويته إلى الجـامع الأزهر وصلى عليه فيه، ثم رجعـوا به ودفن بزاويته رحمه الله تعالى انتهى (الخطط ٤ / ٢٢٦، ٢٢٧).

(تـاريخ المساجـد الأثريـة ـ حسن عبـد الوهـاب / ٣٤٢، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٦، ٢٢٧).

انظر : الخلوتى (مسجد كريم الدين ـ).

*** الخـلوتى (مسجـد كـريم الـديـن) (١١٧٣ هـ / ١٧٥٩م) أثـر ٤١٤):**

ذكره على مبارك فى الجوامع فقال عنه :

هـذا الجـامع داخل قنطـرة آق سنقر بـالقـرب من جـامع حسين باشا أبى أصبع. مكتوب على وجـه بابه أبيات وتاريخ سنـة ثـلاث وعشـرين ومائة وألـف، وهو مقـام الشعـائر تـام المنافع وبداخله ضريح سيدى محمد الخلوتى المنسوب إليه هذا الجامع، يعمل له مولد كل سنة.

(الخطط ٤ / ٢٢٦).

كما ذكره الأستاذ حسن عبد الوهـاب فى المساجد الأثرية وقال عنـه: هذا المسجد بشـارع البرمـونى عند تلاقيـه بشارع الخليج المصرى عند قنطرة سنقـر... وقد اتخذت زاويته (أى زاويـة الشيخ كريـم الدين) مقـرا للخلـوتية، ومـدفنـا لبعض مشايخهـا، فقد زارهـا سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٤ الـرحالـة عبد الغنى النـابلسى، وذكر مـن دفن بها بقـولـه: «... مررنـا على جـامع الخلوتيـة، فـدخلنا إليـه، وزرنا هنـاك قبـور الخلوتيـة الدمـرداشية وهم: الشيخ كـريم الدين، والملقب بكـوزلبغا، والشيخ عبد الجواد، والشيخ أحمد، والشيخ محمد، والشيخ محمد مـاميه والـد الشيخ عبد الـرحمن الخلوتى، فقـرأنا لهم الفاتحة، ودعونا الله تعالى»

ووجود اسم «كـوزلبغا» ضمن من ذكر فى هذه الأسمـاء له أهميـة كبيرة، فقـد لفت النظـر إلى أن جـامع الخلـوتية هـو الجامع الذى أنشأه فى هـذه المنطقة كوزلبغا فى دولـة الظاهر جقمق، فقد ترجمه السخاوى وقال عنه (الضوء اللامع ج ٦).

«وخدم عنـد فيروز السـاقى، ثم تـوجه للعبـادة والتلاوة، وبنى جامعا على الخليج الحاكمـى بالقرب من شق الثعبان، وقنطرة سنقـر وانقطع به إلى أن مـات فى أيام الظـاهر جقمق» وهـذا التحـديـد ينطبق على المـوقع الموجـود فيـه المسجـد الحالى.

وفى سنـة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) جـدد المسجـد الأمير إيوازبك، ولم يبق من المسجد القديم الذى أنشأه كوزلبغا إلا الجزء الأسفل من المنارة حتى الدورة الأولى.

ومكتوب بحزامها: «بسم الله الرحمن الرحيم، يأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحـوه بكرة وأصيلا (الآية). صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم».

وباقى المنارة يـرجع إلى تجديد إيوازبـك، كما أن الباب الخـارجى للمسجد والـوجهة المتصلـة بـه أحدث عهـدا من عمـارة إيـوازبك، وقـد عنى إيـوازبك بـزخرفـة بـابـه الأوسط بالنقوش والكتابات، والقاشانى ومكتوب عليه :

بـــالحسنين آل بيت طـــاهـــر

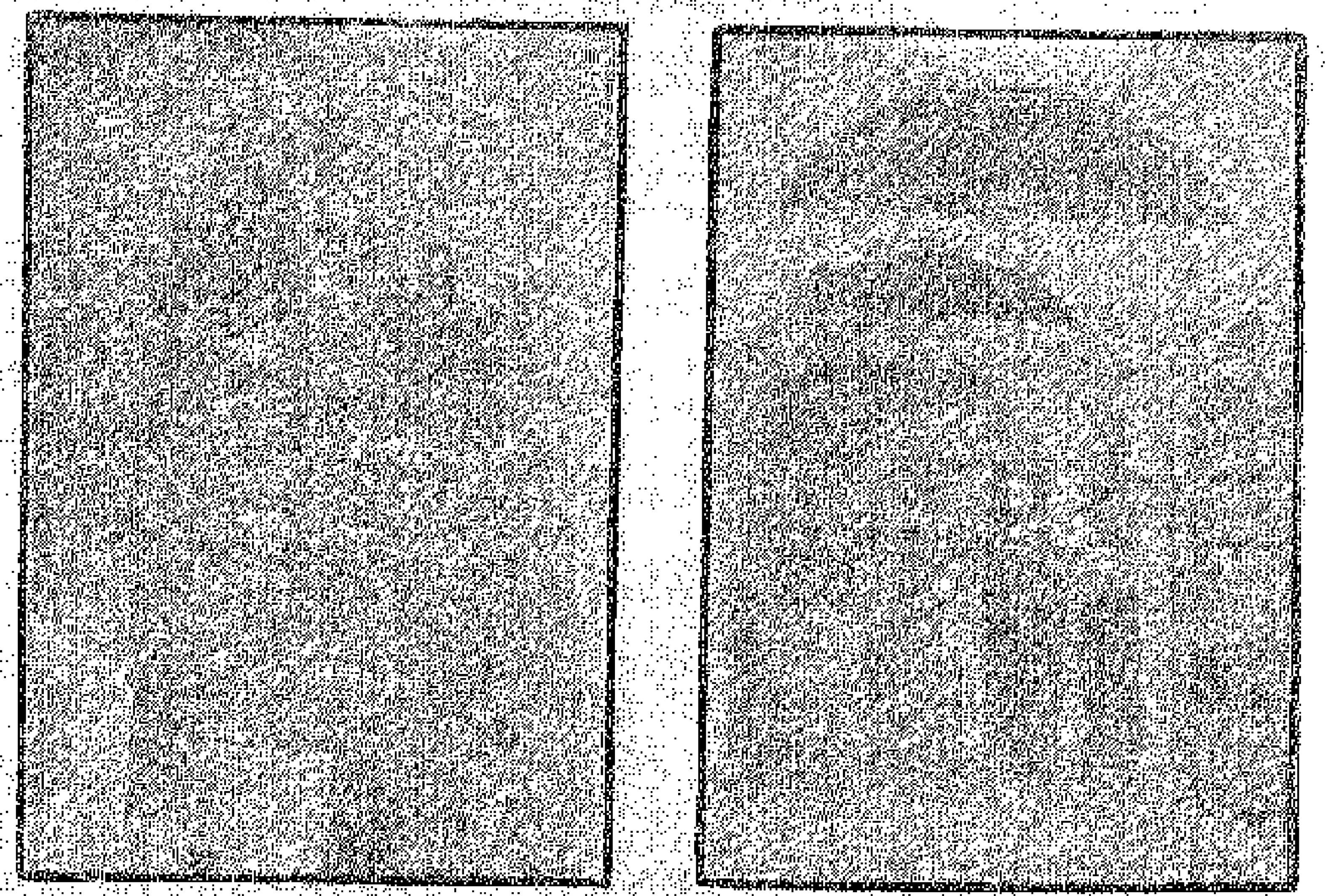
لـــك تعط مـــا تـــرجـــوه من مفـــاخـــر

فـــالخلـــوتـى ذو التقـى لمــا بهم
لاذ ارتقـى فى كـل ســـر بـــاهــــر
مسجـــده قـــد زاد فى إشــراقــه
نـــورا بـــديعــا حسن المــآثـــر
جـــدده من قـــد أنيـــر قلبــه
فقالـت منشـــدا بقـــول ظـــاهـــر
يـــا سعــد إيـــواز فقـــد أرختـــه
أبشــر بعفـــو من معـــز قـــادر
١١٧٣

انظر مادة «أبجد» فى م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨، ومادة «حساب الجمل» فى م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤

وداخل المسجد يتكون من ثـلاث إيوانات تحدق بصحن مكشوف، أكبرها الإيوان الشرقى المشتمل على ثلاثة أروقة بها ستة عمد رخامية والجانبين القبلى والبحرى من رواق واحد، وداخل هـذا المسجد تسوده البساطة، شـأن مساجـد ذلك العصر، ويسترعى النظر فى هـذا الإيـوان أشتمـالـه على محرابين: أحدهما يمين المنبر، ويتألف من قطعة واحدة من حجر البازلت الأسود، ويعلوه تربيعة حديثه من القاشانى، منقوش بها بيت ريفى وشجرة وحولها ترابيع صغيرة من القاشانى.

أما الإيـوان الغربى فقد حل فى قسم منه بـاب يوصل إلى باب المنـارة وإلى قبة كبيـرة أقيمت على عقود حليت أركـانها



مسجد كريم الدين الخلوتى . سنة ١١٧٣ هـ — ١٧٥٩ م
٢٤٧ — الإيوان الشرقى   ٢٤٨ — الباب الداخلى

بمقرنصات. وتحت هذه القبة وفى الحجرة غربيها قبور كريم الديـن الخلوتى، والشيخ عبـد الجواد، والشيخ عبد الـرحمن الخلوتى وغيرهم ولا شك أن كوزلبغـا مدفون مع هؤلاء على ما رواه النابلسى الرحالة (تاريخ المساجد الأثرية / ٣٤٢، ٣٤٣).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٦، وتاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

انظر: الخلوتى (كريم الدين).

*** الخلوتية:**

إحدى الطرق الصوفية، أسسهـا الـولى الشيخ محمـد الخلوتى، وهى طريقة تركية ازدهرت بمصر إبان القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى، وقد انتشرت فى مصـر على يد الشيخ مصطفى كمال الدين البكرى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ، ولها فروع منها: الدمرداشيـة، المغازية، الصيفية، البهوتية، المصيلحيـة، الصاويـة، السمانيـة، المسلميـة، العلوانيـة، الشبراوية، الهراوية، البكرية، المروانية، الغنيمية، الحبيبية، الجنيدية، الجودية، القايانية.

وذكر يونس الشيخ إبراهيم السامرائى نقلا عن إحصاء دائرة المعارف الإسلامية أن الخلوتية فرع من السهروردية فى خراسان مؤسسهـا ظهير الـدين المتوفى سنـة ١٣٩٧ م، وانتشـرت فى تركيا، ولهـا فروع كثيرة، ففى الأناضول الجراحيـة والاغتباشية والعشاقية والينازانية والسنبلية والشمسية والكلشنية والشجاعية.

وفى مصـر: الصيفيـة والحفنـويـة والسباعيـة والصـاريـة والـدرديريـة والمغازيـة، وفى النـوبة والحجـاز والصومـال: الصـالحية، وفى بلاد القبـائل الرحمانية (تاريخ الطرق الصوفية / ٦٧، ٨٣).

ويـذكر الأستـاذ الـدكتور يـوسف جميل نعيسـة الطريقـة الخلـوتيـة فى دمشق فيقول عنهـا: اشتقت هـذه التسميـة من الخلـوة، ولم يكن لاتباعهـا مـن علم أو زى يميـزهم سـوى لبسهم التاج وهذه الطـريقة فارسية الأصل تـرد فى سندها إلى أبى النجيب السهروردى (٤٩٠ هـ ـ ٥٦٣ هـ) مؤسس الطريقة السهـروردية وقـد لعب ابن أخيه أبـو حفص عمر السهـروردى البغدادى دورا كبيـرا فى تحديد آداب لهـذه الطريقة فى كتـابه (عوارف المعـارف) وهو الذى يعتبـر مؤسسهـا الحقيقى وكان السهروردى سنيا فى اتجـاهه وتأثر به سعدى الشيـرازى شاعر

الفرس، وقد عنى السهروردى فى كتابه بالكلام عن الرياضة العملية لحياة الربط والخلوة أو السماع إلى جانب عنايته بالبحث بالمنامات والأحوال والمعرفة.

ثم: التفتازانى. ص ٢٩٠. والخلوتية طريقة مصلحة من السهروردية انتشرت بين الطبقات الحاكمة فى تركية وسورية وكانت الخلوة من لوازم هذه الطريقة وهى الخلوة السرية للتفرد بالله فى الذكر فى مكان طاهر والأفضل أن يكون مسجد الجماعة وأن ينوى الفرد الاعتكاف والصوم. والأولى أن يتجرد عن كثرة الأكل والشرب. فإن ذلك أولى. فإن العطش فى الطريق أمر عظيم بل هو مسرع الفتح إذا ساعد التوفيق والعناية ويشرب شيئا من الماء والدبس أو العسل ويكون ذكره فى الخلوة (انظر: المحبى. خلاصة الأثرا. ص ٢٥٠).

وكانت الخلوتية من الطرق الصوفية ذات الشأن فى دمشق، لها أتباع كثيرون بين الفئات الحاكمة فى تركيا ودمشق، وهى ما أطلق عليها اسم (الفئة المدرسية) وكان منها فئة ثانية أطلق عليها اسم (الفئة التجريبية) ولم يكن تأثيرها السياسى كبيرا كالفئة الأولى. ويلاحظ ذلك من خلال تراجم شيوخ الخلوتية فى دمشق الذين كانوا من أصول محلية (أو عربية) على عكس النقشبندية.

ومعلوماتنا تكاد تكون معدومة عن أول من أدخل هذه الطريقة إلى دمشق. ولكن هناك بعض الإشارات فى هذه الفترة على أن شيخها كان فى آل اليافى. وكانت عادة هذه الطريقة أن لا تنصب خليفة لشيخها إلا أجنبيا عنه. ودليلها أن النبى اختار الصديق للخلافة مع كونه أجنبيا عنه فى وجود عمه العباس وابن عمه على بن أبى طالب. وراعت هذه الطريقة تلك القاعدة. وتأكد لنا ذلك من اطلاعنا على أسماء شيوخها فى دمشق، وكان منهم الشيخ شاكر العقاد المولود سنة ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ ـ ١٧٤٥ م، ثم حسن بن عبد اللطيف الدمشقى الشهير بالعمرى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ/ ١٧٨٦م، وهو تلميذ لأحمد البعلى الدمشقى الخلوتى، ثم عمر اليافى المتوفى ١٢٣٢ هـ/ ١٨١٦ م ـ ١٨١٧م، ورجل الفتوى هاشم التاجى الجنينى الذى اشتهر بفتاواه والمتوفى سنة ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٧م، ثم الشيخ محمد شمس الدين بن حسن الطباخ المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ/ ١٨٢١ م، والذى أخذ الطريق عن أبيه وأصبح شيخا للطريقة الخلوتية، ثم الشيخ أمين أفندى الجندى المولود سنة ١٢٢٩ هـ/ ١٨١٣ ـ ١٨١٤ والشيخ عبد الله الكتانى الصالحى المولود ١٢٠٨ هـ / ١٨٩٣ م والمتوفى سنة ١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٥م.

ثم الخلوتية البكرية التى تنسب إلى مصطفى البكرى وهى خلوتية مصلحة. وكان شيخ هذا الفرع الشيخ محمد المبارك الذى أخذ الطريق عن المرشد العاقل الشيخ محمد المهدى الكلاوى، ثم عمر أفندى الغزى المتوفى سنة ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥ م وأخذ الطريق عن الأستاذ مصطفى النحلاوى البكرى وكان لهذا الفرع من الخلوتية مكان لإقامة الذكر وإفادة المريدين يقع فى المشهد اليافى فى (حجرة كبيرة) من الجامع الأموى. ثم الخلوتية المصلحة السفرجلانية التى ترأسها تاجر دمشقى ناجح هو خليل أفندى السفرجلانى (١٧٩٠ ـ ١٨٣٨ م).

أما الفرع الخلوتى الطباخى فكان شيخا له فى سنة ١١٥٨ هـ/ ١٧٤٦ م، الشيخ يوسف الطباخ ومن بعده الشيخ خالد النابلسى الدجانى ثم ابن شيخه حسن الدجانى الشهير بالطباخ، وكان لهذا الفرع حجرة فى المدرسة السمسياطية يقيم الذكر فيها بعد صلاة الجمعة ومن مشايخ هذا الفرع الشيخ محمد الزهدى بن عمر الدمياطى الأصل الدمشقى الحنفى، الذى أحيا هذه الطريقة، أخذ الطريق عن والده ومات سنة ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٤م، ثم الشيخ محمد شمس الدين بن حسن المعروف بالطباخ الذى توفى سنة ١٢٣٧هـ.

وكان للطريقة الخلوتية (مقدم) يساعد شيخها فى إقامة الأذكار وتسليك المريدين. فمثلا محمد المهدى المغربى الزواوى المالكى كان مقدما لهذه الطريقة وكان يسلك المريدين ويقيم الأذكار فى المدرسة الخضيرية، توفى سنة ١٢٢٦ هـ/ ١٨١٢ م. وكان للطريقة الخلوتية زاوية خاصة بها تقع بالقرب من باب جيرون، وكان أبو بكر الدسوقى الخلوتى الشافعى المولود فى دمشق سنة ١١٢٤ هـ/ ١٧١٣ م يقيم الذكر والتوحيد على عادتهم فى تلك الزاوية. ويذكر إبراهيم الخيارى الذى زار دمشق فى القرن الثامن عشر أن هذه الزاوية كانت فى باب البريد، وعلى العموم فباب البريد وباب

جيرون ليسا بعيدين عن بعضهما وربما التبس الأمر على الخيارى كونه ليس من أبناء دمشق.

وكانت لهذه الطريقة زاوية وتكية بالقرب من باب الله خارج دمشق أنشأها الوالى أحمد باشا المعروف بكوجك أحمد الأرنؤودى الذى حكم دمشق سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٣٠م. ومن مشايخ الخلوتية فى دمشق أبو السعود بن أيوب الحنفى الدمشقى ثم يوسف المملوك الذى أخذ الطريق عن حسن الطباخ المتوفى سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١٢ م والذى أخذ الطريق بدوره عن الشيخ حسن الكتانى الصالحى ثم محمد العباس الذى أخذ الطريق عن إبراهيم بن سعد الدين الخلوتى ولم يخلفه أحد من ذريته على زاويتهم، ثم حسن النخال الذى أخذ الطريق عن مصطفى الصديقى الدمشقى ولقنه الذكر وأسماه وأجازه بالخلافة وألبسه كسوة الطريقة، وكان معاشه من عقارات ورثها عن آبائه يقتات بها كفافا.

آداب الطريقة الخلوتية:

كانت لهذه الطريقة آدابها وتقاليدها شأن بقية الطرق الصوفية. وكانت فى معظمها شكلية تتعلق بمجاهدة النفس وقهر الجسد وتحديد نوع من الطعام وكمية ماء الشرب، ثم الانقطاع عن الأهل والولد والزوجة ... وسائر الناس. وكانت تقاليدها فى هذا المجال تختلف من فرع إلى آخر من فروعها وكانت لهم طريقة فى الأذكار يرددون فى خلوتهم كلمة (لا إله إلا الله) آلاف المرات فلا تخرج تلك العبارة بعد ذلك إلا على شكل (هو هو هو)، وينشدون كلام السادة الصوفية ويقوم بذلك أحد المنشدين أو يرددون ذلك سوية فى مجالسهم، كما كانوا يكثرون من الاستغفار والتسبيح والصلاة على النبى.

وكانت لهم تقاليدهم فى خلوة الجماعة بحيث لا تتجاوز الثلاثة الأيام، أما الفرد الواحد فيخلو لنفسه حسبما شاء من ثلاثة أو سبعة أو خمسة عشر أو ثلاثين يوما أو سبعين يوما فى العام، أو العمر كله وهى الخلوة الكلية بالسر المطلق. ويرى بعضهم أن الإنسان لا يتخلص من أحكام نفسه إلا إذا توالت مجاهداته لها وتتابعت خلوته حولا كاملا بحيث يسيطر على نفسه كليا ولا تعود تستولى عليه.

(يذكر المحبى فى كتابه خلاصة الأثر... أن أحد فروع الخلوتية فى مدينة حلب. كان فى كل ستة أيام من الشتاء له خلوة عامة يجتمع فيها المريدون فيصومون ثلاثة أيام ويأكلون عند المساء مقدار أوقيتين من الحريرة ورغيفا من الخبز أكثر من أوقية، ولا يشربون الماء القراح بل يشربون القهوة ويستمرون فى الذكر والعبادة آناء الليل وأطراف النهار وأما باقى الأيام فيقومون سحرا ويتهجدون على قدر طاقتهم ثم يأخذون فى الذكر إلى وقت الأسحار ثم يصلون الصبح لكون الشيخ حنفيا ويقرؤن الأوراد ويصلون الإشراق، وهكذا يفعلون العبادات فى أوقات الصلوات المفروضات).

ولقد اختار الخلوتيون اثنى عشر اسما تذكر بالترتيب شيئا بعد شيء على حسب الورد. وكانوا يتقيدون بنوع من الزى خاص بهم. كما تمسكوا بمظاهر أبعدتهم كثيرا عن جوهر العبادة الصوفية الأصلية. فكنت ترى المريدين أثناء الإذكار محلقين يدورون وقد وضعوا أيديهم بعضها فى بعض يذكرون الله فى رقصة يسمونها الهوية قائلين (هو هو هو) وكان بعضهم يركبون أيديهم إلى الوراء أما رؤوسهم فيحركونها بالتصعيد والتسفيل والتلوى على هيئة لعبة يسميها النصارى ركض الديك (مجتمع مدينة دمشق ٢ / ٤١٤-٤١٧).

(تاريخ الطرق الصوفية - يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٦٧، ٨٣، ومجتمع مدينة دمشق - د. يوسف جميل نعيسة ٢ / ٤١٤ - ٤١٧).

* **الخلوتية الحفنوية (القرباشلية):**

الطريقة الصوفية المنسوبة إلى سيدى محمد الخلوتى كما ذكرنا فى المادة السابقة وقد أوردنا له ترجمة تحت عنوان «الحفنى (محمد بن سالم) فى م ١٤ / ٢١ - ٣٢٤.

وقد عقد الشيخ الجبرتى فصلا فى عجائبه فى ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية جاء فيه ما يلى: لاحظ الألقاب التى يضفيها على المترجم لهم مما كان سائدا فى عصره.

وهى نسبة إلى سيدى محمد الخلوتى أحد أهل السلسلة، ويعرفون أيضا بالقرباشلية نسبة إلى سيدى على أفندى قره باش أحد رجالها أيضا، وهذا هو الاسم الخاص المميز لهم عن غيرهم من الخلوتية، ولذلك قال السيد البكرى فى الألفية:

والخلوتية الكرام فرق
قد نهجوا نهج الجنيد فرقوا
وخيرهم طريقنا العليه
من قد دعوا بالقرباشليه

وهى طريقة مؤيدة بالشريعة الغراء والحنيفية السمحاء ليس فيها تكليف بما لا يطاق، وكانت خير الطرق لأن ذكرها الخاص بها: لا إله إلا الله، وهى أفضل ما يقول العبد كما فى الحديث الشريف.

وكان المترجم رضى الله عنه اشتغل بالسلوك وطريق القوم بعد الثلاثين، فأخذ على رجل يقال له الشيخ أحمد الشاذلى المغربى المعروف بالمقرى فتلقى منه بعض أحزاب وأوراد، ثم قدم السيد البكرى من الشام سنة ١١٣٣، فاجتمع عليه الشيخ بواسطة بعض تلامذة السيد، وهو السيد عبد الله السلفيتى، فسلم عليه وجلس فجعل السيد ينظر إليه وهو كذلك ينظر إليه، فحصل بينهما الارتباط القلبى، ثم قام وجلس بين يدى السيد بعد الاستئذان، وكانت عادة السيد إذا أتاه مريد أمره أولا بالاستخاره قبل ذلك إلا هو، فلم يأمره بها، وذلك إشارة إلى كمال الارتباط، فأخذ عليه العهد حالا، ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة، فرأى فى منامه فى بعض الليالى السيد البكرى والشيخ أحمد الشاذلى المذكور جالسين والشيخ حمد يعاتبه على دخوله فى الطريق، ويعاتب أيضا السيد، فقال له السيد: هل لك معه حاجة؟ قال: نعم لى معه أمانة. وإذا بجريدة خضراء بيد السيد، فقال له: هذه أمانتك قال: نعم. فكسرها نصفين ورماها للشاذلى وقال له: خذ أمانتك ثم انتبه. فأخبر السيد فقال له: هذا اتصال بنا وانفصال عنه. وهذه هى النسبة الباطنية التى صار بها سلمان الفارسى وصهيب من أهل البيت. وقال ابن الفارض فى التائية على لسان الصادق ﷺ:

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة
فلى فيه معنى شاهد بالأبوة

فإن آدم له أب من حيث النسبة الظاهرة وهو أب لآدم من حيث النسبة الباطنة لأنه نائب عنه فى الإرسال ومنبأ بخده فى الإنزال، ولم يستمد من الحضرة العلية إلا بواسطته، ولذلك لما توسل به قبلت توبته وزادت محبته ولم يجعل مهر حواء سوى الصلاة والسلام عليه، كما ورد ذلك كله وهو من المعلوم ضرورة. فظهر بهذا أن هذه النسبة أعظم من تلك لترتب الثمرة عليها. ثم سار فى طريقة القوم أتم سير حتى لقنه الأستاذ الاسم الثانى والثالث، ومن حين أخذ عليه العهد لم يقع منه فى حق الشيخ إلا كمال الأدب والصدق التام وهو الذى قدمه وبه ساد أهل عصره. فمن ذلك إنه كان لا يتكلم فى مجلسه أصلا إلا إذا سأله فإنه يجيبه على قدر السؤال، ولم يزل يستعمل ذلك معه حتى أذن له بالتكلم فى مجلسه فى بعض رحلاته إلى القاهرة، وسببه أنه لما رأى إقبال الناس عليه وتوجههم إليه قال له: انبسط إلى الناس واستقبلهم لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النعم. ومما اتفق له أن شيخه المذكور قال له مرة: تعال الليلة مع الجماعة واذكروا عندنا فى البيت. فلما دخل الليل نزل شتاء ومطر شديد فلم يتخلف وذهب حافيا والمطر يسكب عليه وهو يخوض فى الوحل، فقال له: كيف جئت فى هذه الحالة. فقال: ياسيدى أمرتمونا بالمجيء ولم تقيدوه بعذر، وأيضا لا عذر والحالة هذه لإمكان المجيء، وإن كنت حافيا. فقال له: أحسنت، هذا أول قدم فى الكمال، إلى غير ذلك. ولما علم الشيخ صدق حاله وحسن فعاله قدمه على خلفائه وأولاه حُسْن ولائه ودعاه بالأخ الصادق ومنحه أسرارا وأراه عيون الحقائق وكيفية تلقين الذكر وأخذ العهد، كما وجد بخط الأستاذ بظهر ثبت عبد الله بن سالم البصري ما نصه:

هذه صورة أخذ العهد أرسلها إليه السيد البكرى الصديقى الخلوتى حين أذنه بأخذ العهود على طريقة السادة الخلوتية. ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة أن يجلس المريد بين يدى الاستاذ ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة، ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى فى يده مسلما له نفسه مستمدا من إمداده، ويقول له: قل معى أستغفر الله العظيم ثلاث مرات، ويتعوذ ويقرأ آية التحريم: ﴿**يا أيها الذى آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾ إلى ﴿**قدير**﴾[التحريم: ٨] ثم يقرأ آية المبايعة التى فى الفتح ليزول الاشتباه، وهى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ [الفتح: ١٠] اقتداء برسول الله ﷺ، إلى قوله تعالى ﴿**عظيما**﴾[الفتح: ١٠] ثم يقرأ فاتحة الكتاب ويدعو الله لنفسه وللآخذ بالتوفيق ويوصيه بالقيام بأوراد الطريق والدوام على ذوق أهل هذا الفريق، وعرض الخواطر وقص الرؤيات العواطر وإذا وقعت الإشارة بتلقين الاسم الثانى لقنه ليبلغ الأمانى. وفتح له باب توحيد الأفعال إذ لا غيره فعال، وفى الثالث توحيد الأسماء ليشهد السر الأسمى، وفى الرابع توحيد الصفات ليدرجه إلى أعلى

الصفات، وفى الخامس توحيد الذات ليحظى بأوفر اللذات، وفى السادس والسابع يكمل له التوابع. ونسأل الله تعالى الهداية والرعاية والعناية والدراية والحمد لله رب العالمين، انتهى. هذا ما كتب بخطه الشريف. قال ورأيت أيضا الثبت المذكور ما نصه:

ثم رأيت فى الفتوحات الإلهية فى نفع أرواح الذوات الإنسانية وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ما نصه: إذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه إليه من الشروط فى الطريق ويتوجه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما ويتوسل إليه فى ذلك بمحمد ﷺ، لأنه الواسطة بينه وبين خلقه، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقبض إبهامه بأصابعه ويتعوذ ويبسمل ثم يقول: الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ويقول المريد بعده مثل ما قال. ثم يقول اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك، أنى قد قبلته شيخا فى الله ومرشدا وداعيا إليه، ثم يقول الشيخ اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك أنى قد قبلته ولدا فى الله فاقبله واقبل عليه وكن له ولا تكن عليه، ثم يدعو كأن يقول اللهم أصلحنا وأصلح بنا واهدنا واهد بنا وأرشدنا وأرشد بنا، اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ولا تقطعنا عنك ولا تشغلنا بغيرك عنك انتهى.

قلت والمراتب السبعة التى أشار إليها السيد فى الكيفية المتقدمة هى مراتب الأسماء السبعة وللنفس فى كل مرتبة منها مرتبة باسم خاص دال عليها: الاسم الأول لا إله إلا الله وتسمى النفس فيه أمارة، والثانى «الله» وتسمى النفس فيه لوامة، والثالث «هو» وتسمى النفس فيه ملهمة، والرابع «حق» وهو أول قدم يحله المريد من الولاية وتسمى النفس فيه مطمئنة، والخامس «حى» وتسمى النفس فيه راضية، والسادس «قيوم» وتسمى النفس فيه مرضية، والسابع «قهار» وتسمى النفس فيه كاملة، وهو غاية التلقين. وكلها ما عدا الأول منها تلقن فى الأذن اليمنى إلا السابع ففى اليسرى، وتلقينها بحسب ما يراه الشيخ من أحوال المريدين أفعال وأقوال وعالم مثال.

واعلم أن سلسلة القوم هذه فى كيفية أخذ العهد والتلقين مروية عن النبى ﷺ، وهو يرويه عن جبريل وهو يرويه عن الله عز وجل. وفى بعض الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الأربع والنبى ﷺ لقن عليا رضى الله عنه، وصورة ذلك كما فى ريحان القلوب فى التوصل إلى المحبوب لسيدى يوسف العجمى أن عليا سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى. فقال «ياعلى، عليك بمداومة ذكر الله فى الخلوات» فقال على رضى الله عنه: هذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون. فقال رسول الله ﷺ: «ياعلى لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله» فقال على: كيف أذكر يا رسول الله قال غمض: عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قال أنت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال النبى ﷺ: «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع، ثم قال على: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى ﷺ يسمع. ثم لقن على الحسن البصرى رضى الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة الأخيار من المحدثين. قال الحافظ السيوطى: الراجح أن البصرى أخذ عن على ومثله عن الضياء المقدسى، ومن المقرر فى الأصول أن المثبت مقدم على النافى ثم لقن الحسن البصرى حبيبا العجمى وهو لقَّن داود الطائى، وهو لقَّن معروفا الكرخى، وهو لقَّن سريًّا السقطى، وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادى، وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة فى الإسلام. ثم لقن الجنيد ممشاد الدينورى، وهو لقَّن محمد الدينورى، وهو لقن القاضى وجيه الدين، وهو لقَّن عمر البكرى، وهو لقن أبا النجيب السهروردى، وهو لقن قطب الدين الأبهرى، وهو لقَّن محمد النجاشى، وهو لقن شهاب الدين الشيرازى، وهو لقن جلال الدين التبريزى، وهو لقَّن إبراهيم الكيلانى، وهو لقن أخى محمد الخلوتى، وإليه نسبة أهل الطريق وهو لقن بير عمر الخلوتى، وهو لقن أخى بيرام الخلوتى وهو لقن عز الدين الخلوتى، وهو لقن صدر الدين الخيالى، وهو لقن يحيى الشروانى صاحب ورد الستار، وهو لقن بير محمد الإرزنجانى، وهو لقن جلبى سلطان المشهور بجلبى خليفة،

وهو لقن خير التوقادى، وهو لقن شعبان القسطموني، وهو لقن إسماعيل الجورومى، وهو المدفون فى باب الصغير فى بيت المقدس عند مرقد سيدى بلال الحبشى، وهو لقن سيدى على أفندى قره باش أى أسود الرأس باللغة التركية، وإليه نسبة طريقنا كما مر وهو لقن مصطفى أفندى ولده وخلفاؤه كما قال السيد الصديقى أربعمائة ونيف وأربعون خليفة، وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبى، وهو لقن شمس الطريقة وبرهان الحقيقة السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى، وهو لقن قطب رحاها ومقصد سرها ونجواها شيخنا الشيخ محمد الحفناوى، وهو لقن وخلف أشياخا كثيرة منهم بركة المسلمين وكهف الواصلين الصوفى الصائم القائم العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودى المعروف بالمنير شيخ القراء والمحدثين وصدر الفقهاء والمتكلمين.

من مناقبه الحميدة صيام الدهر مع عدم التكلف لذلك، وقيام الليل يقرأ فى كل ركعة ثلث القرآن وربما نصفه أو جميعه فى كل ركعة، هذا ورده دائما صيفا وشتاء فتى وشيخا يافعا، ومنها تواضعه وخموله وعدم رؤية نفسه، ويبرأ من أن تنسب إليه منقبة.

ومنهم علامة وقته وأوانه الولى الصوفى الشيخ حسن الشيبينى ثم القوى طلب العلم وبرع فيه وفاق على أقرانه ثم جذبته أيدى العناية إلى الشيخ فأخذ عليه العهد ولقنه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه فى سيره، ثم ألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضا، فأدار مجالس الذكر ودعا الناس إليها من سائر الأقطار وفتح الله عليه باب العرفان حتى صار ينطق بأسرار القرآن.

ومنهم العالم النحرير الصوفى الصالح السالك الراجح الشيخ محمد السنهورى ثم القوى طلب العلم حتى صار من أهل الإفتاء والتدريس. وانتصب للتأكيد والتأسيس، ثم دعته سعادة حضرة القوم فسلك مع المجاهدة وحسن السيرة على يد الأستاذ حتى لقنه الأسماء السبعة وألبسه التاج وأقامه خليفة يهدى لأقوم منهاج، ثم أذن له فى التوجه إلى بلده فتوجه إليها وربى بها المريدين، وأدار مجالس الأذكار بتلك البقاع وعم به فى الوجود الانتفاع.

ومنهم البحر الزاخر حائز مراتب المفاخر الولى الربانى والصوفى فى العالم الإنسانى الشيخ محمد الزعيرى اشتغل بالعلم حتى برع وصار قدوة لكل مقتدى وجذوة لمن لا يهتدى، ثم سلك على يد الأستاذ فأخذ عليه العهد ولقنه الأسماء على حسب سيره وسلوكه، ثم خلفه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم الحبر العلامة والبحر الفهامة شيخ الإفتاء والتدريس الشيخ خضر رسلان اشتغل على الشيخ مدة مديدة ولازمه ملازمة شديدة وأخذ عليه العهد فى طريق الخلوتية حتى تلقن الأسماء، وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة مجازا بأخذ العهود والتسليك.

ومنهم الشيخ الصوفى الولى صاحب الكرامات والأيادى، والمكرمات شيخنا الشيخ محمود الكردى أخذ على الشيخ العهد والطريق ولقنه الأسماء، فكان محمود الأفعال معروف بالكمال، ثم ألبسه التاج وصار خليفة وأجازه بالتلقين والتسليك، فأرشد الناس وأزال عن قلوبهم الوسواس. وهو مشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله ﷺ، ومن كراماته أنه متى أراد رؤية النبى ﷺ رآه. وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ولا حجبنا عن قربه، وهو الذى قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه وسلك على يده كثير ممن خلفوه من بعده منهم الشيخ الصالح الصوفى والشيخ محمد السقاط والشيخ العلامة شيخ الإسلام والمسلمين مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر الآن، والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذى هو الآن بالقدس الشريف والمشار إليه فى التسليك بتلك الديار والشيخ الصالح الناجح إبراهيم الحلبى الحنفى والسيد الأجل العلامة والرحالة الفهامة السيد عبد القادر الطرابلسى الحنفى والشيخ الإمام العمدة الهمام الشيخ عمر البابلى وغيرهم، أدام الله النفع بوجودهم.

ومنهم العالم العلامة الألمعى الفهامة بقية السلف والخليفة ونعم الخلف الشيخ محمد سبط الأستاذ المترجم أطال الله بقاءه.

ومنهم الشيخ الفهامة الأديب الأريب واللوذعى النجيب الشيخ محمد الدمنهورى الشافعى.

ومنهم الشيخ الصوفى القدوة الشيخ أحمد الغزالى تلقن منه الأسماء وتخلف عنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم العالم العامل الشيخ أحمد القحافى الأنصارى أخذ العهد وانتظم فى سلك أهل الطريق وتلقن الأسماء وصار خليفة مجازا فأرشد الناس وافتتح مجالس الأذكار.

ومنهم تاج الملة وإنسان عين المجد من غير علة ذو النسب الباذخ والشرف الرفيع الشامخ السيد على القناوى، تلقن الأسماء وألبس التاج وصار خليفة حق ومجازا بالتلقين والتسليك، فأدار مجالس الأذكار وأشرقت به الأنوار.

ومنهم العلامة العامل والفهامة الواصل الفاضل الشيخ سليمان المنوفى نزيل طندتا لقنه وأرشده وخلفه وألبسه التاج وأجازه فسلك وأرشد وله أحوال عجيبة.

ومنهم الصوفى الصالح الشيخ حسن السخاوى نزيل طندتا أيضا لقنه وخلفه وألبسه التاج فدعا الناس لأقوم منهاج.

ومنهم علامة الأنام الشيخ محمد الرشيدى الملقب بشعير لقنه وخلفه وأجازه فكثر نفعه.

ومنهم العلامة الأوحد ومن على مثله الخناصر تُعقد الشيخ يوسف الرشيدى الملقب بالشيال، رحل أيضا إليه فتلقن منه وسلك على يديه حتى صار خليفة، وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ورجع إلى بلاده بأوفر زاد، وأدار مجالس الذكر وأكثر المراقبة والفكر حتى كثرت أتباعه وعم انتفاعه.

ومنهم العمدة المقدم الهمام الناسك السالك الشيخ محمد الشهير بالسقا لقنه وأجازه بالتلقين والتسليك فكثر نفعه وطاب صنعه.

ومنهم فريد دهره وعالم عصره معدن الفضل والكمال قطب الجمال والجلال الشيخ باكير أفندى لقنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم بدر الطريق وشمس أفق التحقيق العالم العلامة والصوفى الفهامة الشيخ محمد الفشنى لقنه وخلفه وألبسه التاج فأخذ العهود ولقن وسلك وفاق فى سائر الآفاق وتقدم فى الخلاف والوفاق.

ومنهم العالم العامل والشهم الماهر الكامل الشيخ عبد الكريم المسيرى الشهير بالزيات تلقن العهد والأسماء حسب سلوكه وسيره، وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك فزاد نورا على نور وحُبى بلذة الطاعة والحبور.

ومنهم شيخ الفروع والأصول الجامع بين المعقول والمنقول، علامة الزمان والحامل فى وقته لواء العرفان، الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير (تأتى ترجمته فى حرف الدال إن شاء الله تعالى)، جذبته العناية إلى نادى الهداية فجاء إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر فلقنه وسار أحسن سير وسلك أحسن سلوك، حتى صار خليفة بأخذ العهود والتلقين والتسليك مع المجاهدة والعمل المرضى.

ومنهم أيضا الشيخ العلامة الولى الصوفى الشيخ محمد الرشيدى الشهير بالمعصراوى.

ومنهم الإمام الجامع والولى الصوفى النافع مولاى أحمد الصقلى المغربى، تلقن وتخلق وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك.

ومنهم الأمجد العامل بعمله والمزدرى السحر بفهمه الشيخ سليمان البتراوى ثم الأنصارى.

ومنهم الصالح العامل الفهامة العابد الزاهد الشيخ إسماعيل اليمنى، تلقن وسلك مع التقى والعفاف والملازمة الشديدة والخدمة الأكيدة وحسن المجاهدة.

ومنهم النحرير الكامل واللوذعى الفاضل مؤلف المجموع الشيخ حسن بن على المكى المعروف بشمه، الناظم الناثر الحاوى الخير المتكاثر وغير هؤلاء ممن لم نعرف كثير.

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ٣٤١-٣٥١).

انظر مادة الحفنى (محمد بن سالم) فى م ١٤ / ٣٢١ــ٣٢٤.

*** الخلوتية القرباشلية:**

انظر: الخلوتية الحفنية (القرباشلية).

*** خلوصى:**

من الخطاطين وهو الحاج خلوصى بن عثمان محمد شمس الدين ولد فى بلدة قسطمونى، أخذ الخط عن محمود الراجى ثم تخصص بالثلث والنسخ على يد الخطاط «وصفى»، قصده طلاب الخط فى كل صوب ومن جملتهم «شفيق» ابن شقيقته، ذكر هاشم البغدادى بأن خلوصى أستاذ خط التعليق وأن مصطفى حليم من تلاميذه، توفى خلوصى سنة ١٢٩١ هـ.

(نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش/ ٢٧٤).

انظر: الخط العربى (علم ـ)، الخطاطون

*** الخَلوق:**

الخَلُوق والخِلاق: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران... وقد تخلق وخلقته: طلبته بالخلوق... وقد تخلقت المرأة

بالخَلوق. والخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقد ورد تارة بإباحته وتارة بالنهى عنه، والنهى أكثر وأثبت، وإنما نُهى عنه لأنه من طيب النساء، وهنَّ أكثر استعمالا له منهم. قال ابن الأثير: والظاهر أن أحاديث النهى ناسخة (لسان العرب ١٤ / ١٢٤٧).

وفيما يلى ما ورد من الأحاديث فى الخلوق:

١ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتزعفر الرجل» أخرجه الخمسة.

وقال الترمذى: معناه أن يتطيب به.

٢ ـ وعنه رضى الله عنه قال: «أتى رجل إلى النبى ﷺ وعليه أثر صفرة، وكان ﷺ قلما يواجه أحدا بشىء فى وجهه يكرهه» فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذا». أخرجه أبو داود.

٣ ـ وعن يعلى بن مرة رضى الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ رجلا متخلقا فقال: اذهب فاغسله، ثم اغسله، ثم لاتعد». أخرجه الترمذى والنسائى.

٤ ـ وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله صلاة رجل فى جسده شىء من خلوق». أخرجه أبو داود.

الخلوق: ضرب من الطيب ذو لون، يقال تخلق: إذا أطلى به.

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١٢٤٧، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٢ / ١٣٧، ١٣٨).

***الخلوة:**

هى المكان الذى ينقطع فيه العابد للعبادة، وفى المسيحية يقوم الراهب بحبس نفسه للعبادة، فى الخلوة. وفى الإسلام انقطع بعض الصوفية للعبادة فى الخلوة وزهدوا فى الدنيا ولبسوا الثياب المرقعة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢٢).

يقول الدكتور توفيق الطويل: كان المراد بالخلوة اعتزال المريد للناس للتفرغ لذكر الله والانقطاع لعبادته، ولهذا كثرت الخلوات بين جدران الزوايا وخارج جدرانها، روى النابلسى فى رحلته إلى مصر أنه لما زار زاوية الدمرداش رأى خارج ضريحه «نحو خمسين أو ستين خلوة ذات أسوار وأنوار، وهى التى تسمى مساجد الأنوار يختلى بها المريدون» وصعد إلى سطح هذا القصر العالى (الزاوية) فوجد هناك رواقا كبيرا يتلألأ نوره وفيه كذلك كثير من الخلوات (رحلة النابلسى / ١٣٩).

ولعل انتشار الزوايا فى أرض مصر يساعد على تصور كثرة الخلوات التى عرفها أهل التصوف أيام العثمانيين، بل لم تكن الزوايا وحدها مقر الخلوات، فقد وجد بين المتصوفة من أخلص العبادة لله أو لمنفعة نفسه دون أن تكون له زاوية يقيم فيها مع مريديه. وقد أقام بعض هؤلاء «مغاور» يختلون بها للتعبد والذكر. وكان بعض هذه المغاور رحبا ملحوظ التناسق. فكانت مغارة الشريف أبى عبد الله المغاورى منقوشة فى الجبل مستوية مهندمة طولها داخل الجبل نحو خمسة وستين ومائة قدم وعرضها أكثر من عشرة أذرع وكانت الخلوات تقام أحيانا فى المنازل وتزدان جدرانها بالكلمات المأثورة وقد كانت خلوة جلال الدين البكرى بداره قاعة صغيرة جدا بإيوانين متقابلين وهى «لطيفة البناء ظريفة الفناء بها النور الساطع والسر اللامع القاطع» وعلى جدرانها اثنان وعشرون بيتا من الشعر نظمت بتاريخ عام ٩٧٩ هـ.

التزامات الخلوة:

وللخلوة التزامات لا تستقيم بدونها، كأن يعود المريد نفسه قبل دخولها ندرة الكلام وقلة الأكل حتى يتيسر له بعد ذلك أن يصوم فى خلوته، لأن الجوع يحلل من جسمه الأجزاء الترابية والمائية. أما الشبع والارتواء فيجلبان النوم ويصرفان عن ذكر الله ومن الأدب تيقظ القلب فى حضرة الله ومن لم يلتزم ذلك الشرط فقد أساء الأدب. يقول عمر بن الفارض:

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين

وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

ومن آدابها صفاء النية والرغبة فى الكف عن أذى الناس وإراحتهم من شره وانقطاع المريد عن زوجه وولده وعشيرته وسائر الناس، وإدامة تفكيره فى شيخه، مع الاعتقاد بأن خلوته مقبرته التى لن يبرحها إلى يوم الدين كما يقول الشعرانى والمنير وإن تفاوت أهل التصوف فى ذلك، هذا بالإضافة إلى آداب المريد نحو الصور والأشباح التى تتراءى له، وعلى المريد ألا يكتم عن شيخه ما يراه فى أثناء خلوته مما ينشأ عن الجو المعنوى الذى يحيط به نفسه، وهذا فوق شروط الخلوة ونحوها.

ثمرات الخلوة:

إذا صحت الخلوة أفلحت الرياضة وأتت من الثمرات فوق ما يتصوره العقل، منها أن يكشف المريد عالم الغيب المحجب، ويدرك أسرار الحيوانات والحشرات ويعطى القدرة على فعل الكرامات وإتيان الخوارق والتصرف فى الكون بالهمة فيمشى على الماء ويطير فى الهواء ويقتحم النيران ويفعل كل ما لا يقوى عليه سائر البشر أقام المنزلاوى فى خلوته نحو عام يقرأ فى الليل ختما وفى النهار ختما ثم خرج ينفق من الغيب ويسد نفقات المريدين الذين كانوا يقيمون فى زاويته وقد بلغوا المائة عدًّا ويتعهد بالإنفاق وجوه البر والخير من تعمير المساجد وبناء المارستانات ومد الأسمطة وغير ذلك وغير هذا من ثمرات توهمها هؤلاء العجزة الذين أعوزتهم القدرة على الضرب فى زحمة الحياة، والظفر من الدنيا بأوفى نصيب، فالتمسوا فى عالم الخيال تحقيق ما يشتهون... !

(التصوف فى مصر ١ / ٦٧ - ٦٩).

ويوجد بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) مخطوط في التصوف بعنوان «الخلوة» وجاء بيانه كما يلى:

الخلوة.

الرقم ١٣٤٢ تصوف ١٦.

كتاب فى الخلوة يتضمن سؤالا وقع للمؤلف عن الخلوة المطلقة فأجاب عنها مع الإضافة إليها عن الخلوات المقيدة وضمنها خلوة الهدهد، خلوة الصمدانية، وخلوة القرين وغير ذلك وتكلم عن التنزلات الإلهية.

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن على الطائى الأندلسى المشهور بالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م.

أوله: الحمد لله الذى ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات، ونزه أسرارهم وخواطرهم منه عن الجولان فى ملكوت الأرض والسماوات، ونصبها مثالا لأحديته من أكثر الوجوه والجهات، وجعل نعته فيما نعته فى فردانيته من عدم الحركة والالتفات...

آخره: وكذلك خلوة يا حى يا قيوم عظيمة الفائدة، وكذلك ياعلى يا عظيم ياحليم، وما من ذكر إلا وله نتيجة تخصه فإذا فهمت كيفية حالات الخلوة وصورتها فادخلها بأى ذكر شئت...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة مراجعة.

مصادر عن الكتاب: عقود الجوهر / ٣٣.

مصادر عن المؤلف: الأعلام ٧ / ١٧٠، معجم المؤلفين ١١ / ٤٠.

بعض نسخ الكتاب: الجمعية الآسيوية بالبنغال ٦٣٨ / ٥، الأزهر ٣ / ٥٦٤ برلين ٢٩١٦ - ٢٩١٧، المتحف البريطانى ٨٨٦ / ٥، المكتب الهندى ٦٧٧ / ٢، باتنا ١ / ١٢٨ و ٤٠٨.

شرح الكتاب: شرحه العلامة الجنوبرى راجع معجم المؤلفين ١٠ / ١٦٥.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل). البقلى / ١٢٢ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٤٧٤، والتصوف فى مصر إبان العصر العثمانى / د. توفيق الطويل ١ / ٦٧ - ٦٩، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٤، ٥٠٥).

***الخليج المصرى:**

قال الحافظ السيوطى نقلا عن المقريزى:

قال المقريزى: هذا الخليج بظاهر فسطاط مصر، ويمر من غربى القاهرة، وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر، بسبب هاجر أم إسماعيل حين أسكنها إبراهيم عليه السلام بمكة، ثم تمادته الدهور والأعوام، فجدد حفره ثانيا بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الإسكندر، فلما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص، جدد حفره بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فحفر عام الرمادة، وكان يصب فى بحر القلزم، ولم يزل على ذلك إلى أن قام محمد بن عبد الله بن حسين بن حسن بن على بن أبى طالب بالمدينة، فكتب الخليفة المنصور إلى عامله بمصر أن يطم هذا الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر إلى المدينة، فطم وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم، وصار على ماهو عليه الآن.

وكان هذا الخليج يقال له أولا خليج أمير المؤمنين - يعنى

عمر بن الخطاب ـ لأنه الذى أشار بتجديد حفره، ثم صار يقال له خليج مصر؛ فلما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة، والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمى. وتزعم أن الحاكم احتفره، وليس بصحيح، وكان اسم الذى حفره فى زمن إبراهيم عليه السلام طوطيس (فى المقريزى: «طوطيس بن ماليا»)، وهو الجبار الذى أراد أخذ سارة، وجرى له معها ما جرى، ووهب لها هاجر. فلما سكنت هاجر مكة وجهت إليه تعرِّفه أنها بمكان جدب، فأمر بحفر نهر فى شرقى مصر بسفح الجبل حتى ينتهى إلى مرفأ السفن فى البحر الملح فكان يُحمل إليها الحنطة، وأصناف الغلات، فتنقل إلى جدة، ويحمل من هناك على المطايا، فأحيا بلد الحجاز مدة. وكان اسم الذى حفره ثانيا أرديان (فى المقريزى: (أندرو مانوس) قيصر، وكان عبد العزيز بن مروان بنى عليه قنطرتين فى سنة تسع وستين، وكتب اسمه عليهما، ثم جددهما تكين أمير مصر فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة، ثم جددهما، الإخشيد فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ثم عمرتا فى أيام العزيز، وكان موضع هاتين القنطرتين خلف خط السبع سقايات، وهى التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء، وكان الخليفة يركب لفتح الخليج فلما انحسر النيل عن ساحل مصر، وربا الجرف أهملت هذه القنطرة فدثرت، وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل، وكان الذى أنشأها الملك الصالح أيوب فى سنة بضع وأربعين وستمائة.

قال ابن عبد الظاهر: وأول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحى، وجعل عليه واليا بمفرده.

ولأبى الحسن الساعاتى فى كسر يوم الخليج

إن يـــوم الخليج يـــوم من الحســـ
ـــن بـــديع المـــرئى والمسمـــوع

كم لـــديـــه من ليث غـــاب صئـــول
ومهـــاة مثل الغـــزال المـــروع

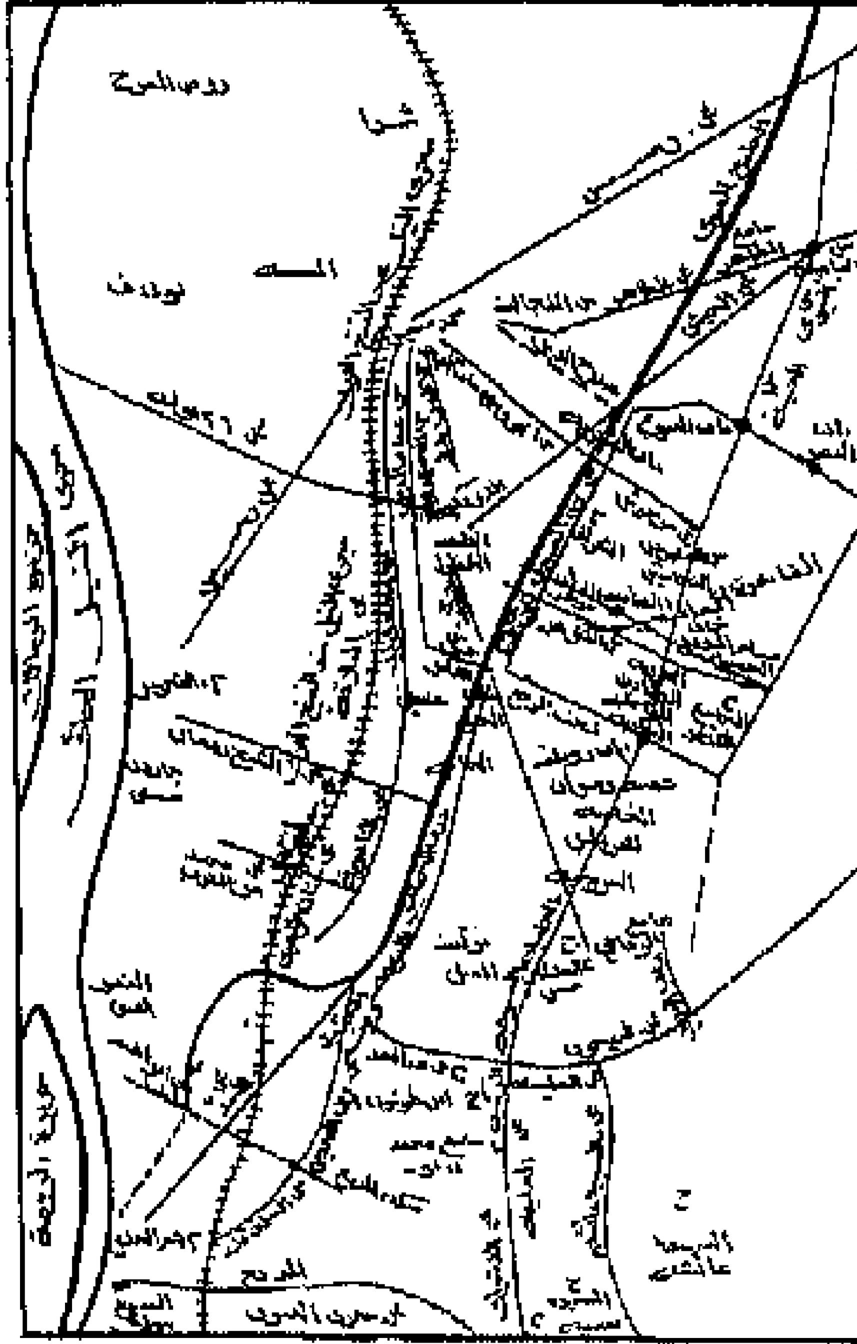
وعلــى الســـــد عـــــزة قبل أن
تملكـــــه ذلـــــة المحب الخضـــوع

كســـروا جســــره هنـــاك فحـــاكى
كســـر قلب يتلـــوه فيض دمـــوع

(حسن المحاضرة ٢ / ٣٨٧، ٣٣٨).

رسم كروكى (١)

يبين موقع الخليج المصرى بالنسبة لمجرى النيل عند الفتح العربى وبالنسبة لمجرى النيل الحالى. وموقع القاهرة الفاطمية بالنسبة للخليج



وعن القناطر والمناظر على الخليج يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمد:

ذكرنا أن عمرو بن العاص جدد حفر الخليج سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م). وأن عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر أنشأ قنطرة على الخليج سنة ٦٩ هـ. وأن هذه القنطرة قد اندثرت فيما بعد ــ بعد الفاطميين. وجهل مكانها. ورجحنا أنه كان بالجانب الغربى من موقع ميدان السيدة زينب الحالى.

كما ذكرنا أنه بالقرب من هذه القنطرة كانت منظرة السكرة التى أنشأها الفاطميون لحضور حفل جبر الخليج. ورجحنا أن مكان هذه المنظرة كان محل المدرسة السنية للبنات والمعلمات بأول شارع الناصرية بالسيدة زينب.

وظلت قنطرة عبد العزيز بن مروان هى سبيل العبور إلى الجانب الغربى من الخليج حتى أنشئت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) فأنشأ القائد جوهر على الخليج قنطرة أمام الباب الذى عرف بباب القنطرة كان موقعها بميدان باب الشعرية الحالى.

وبتقدم العمران توالى إنشاء القناطر على الخليج. فقد

جدول بالترتيب الجغرافى للقناطر على الخليج

الترتيب الجغرافى	الرمز	اسم القنطرة	الموقع وملحوظات
١	ع	الفم	ميدان فم الخليج
٢	م	السد	بعدها
٣	ع	القصر العينى	بعدها
٤	م	السباع	ميدان السيدة زينب
٥	م	عمر شاه	أمام حارة عمر شاه
٦	ع	شاهين باشا	بعدها
٧	م	طقزدمر	أو درب الجماميز جنوبى امتداد مجلس الشعب الجديد .
٨	م	آق سنقر	عند مدخل الحلمية الجديدة أمام شارع اسماعيل باشا أبو جبل .
٩	ن	اللق كلر	أمام شارع مصطفى باشا عبد الرازق (سكة وحة عابدين سابقا)
١٠	م	باب الخرق	ميدان باب الخلق عند تقاطع شارعى القلعة والخليج
١١	ع	لايث باشا	أمام المتحف الإسلامى .
١٢	م	الأمير حسين	أمام النيابة البحرية لمحكمة مصر عند مدخل شارع الأمير حسين
١٣	ع	الشيخ المفتى	أمام جامع البنات عند سكة الناصرية
١٤	ن	الحلق	قبل تقاطع شارع الأزهر بقليل
١٥	م	الموسكى	عند تقاطع شارع الموسكى
١٦	ع	بين السورين	بعدها
١٧	ن	الشعراوى	أمام شارع الخرنفش . وقد قال على مبارك أنها من إنشاء أسرة محمد على ولكن بخريطة نابليون نجدها باسم elGucuidel . وهى غير قنطرة الظاهر التى أسماها الفرنسيون La nouvelle
١٨	م	باب القنطرة	ميدان باب الشعرية عند ابتداء شارع أمير الجيوش وقد سماها على مبارك قنطرة باب الشعرية
١٩	م	باب الشعرية	أو الخروبى عند تقاطع الخليج مع السور الشمالى للقاهرة . وقد أسماها الفرنسيون قنطرة الخروبى .
٢٠	م	الجديدة	بالظاهر عند تقاطع الخليج المصرى مع الخليج الناصرى
٢١	م	الأرز	بجسرة
٢٢	ع	سكة حديد السويس	عند تقاطع الخليج مع خط المترو وسكة حديد المطرية .
٢٣	م	قناطر بنى وائل	عند الزوايل الكبرى وأسماها على مبارك الزوايل القديمة .
٢٤	م	قنطرة الأميرية	عند الأميرية وأسماها على مبارك الزوايل الجديدة .

ذكر المقريزى - بخلاف قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت قد اندثرت — أربع عشرة قنطرة لغاية منتصف القرن التاسع الهجرى (١٥ م). واستجدت ثلاث قناطر بعد المقريزى لغاية دخول الفرنسيين فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى. وفى زمن أسرة محمد على استجدت سبع قناطر. فيكون مجموع القناطر على الخليج أربعا وعشرين قنطرة.

ومن القناطر الأربع عشرة التى ذكرها المقريزى واحدة فقط أنشئت فى عهد الفاطميين. وأربع قناطر فى عهد الأيوبيين. وتسع قناطر فى عهد السلاطين المماليك. أو بعبارة أدق: واحدة فى عهد الظاهر بيبرس. وسبعا فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون. وواحدة فى عهد الصلاح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون.

وفيما يلى جدول بالترتيب الجغرافى لهذه القناطر. وقد رمزت بحرف (م) القناطر التى ذكرها المقريزى، وبحرف (ن) للقناطر التى حدثت بعده لغاية دخول الفرنسيين، وبحرف (ع) للقناطر التى أنشئت فى عهد أسرة محمد على.

ونحن نعتبر الإنشاء فقط دون الترميم أو التجديد. فالإنشاء لضرورة عمرانية. أما التجديد فللاحتفاظ بوضع قائم (أسماء ومسميات/ ٨٨، ٨٩).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة - محمد كمال السيد محمد/ ٨٨، ٨٩، وبه الخريطة ص ٤٤، والجدول ص ٩٠).

*** الخليج الناصرى:**

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، لما بنى الخانقاه بسرياقوس، فأراد إجراء الماء من النيل إليها ليرتب عليه السواقى والزراعات، وفوض أمره إلى أرغون النائب، فحفر فى مدة شهرين من أول جمادى الأولى إلى سلخ جماد الآخرة، وبنى فخر الدين ناظر الجيش عليه قنطرة، وبنى قديدار والى القاهرة قنطرة قديدار وقناطر الأرز وقناطر الأميرية (انظر المقريزى ١/ ١١٥).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣٨٩).

***الخليفة:**

الخلفية: وهو السلطان الأعظم يخلف من قبله ويسد مسده يذكر وقد يؤنث، فيقال فى تذكيره وتأنيثه هو الخليفة وهى الخليفة وتاؤه للنقل كما صرح به غير واحد، وفى المصباح أنها للمبالغة ومثله فى النهاية لابن الأثير.

وفى المختار وغيره: الخليفة السلطان الأعظم وقد يؤنث، وأنشد الفراء:

أبـــوك خليفـــة ولـــدتـــه أخـــرى

وأنـت خليفـــــة ذاك الكمــــــال

والشاهد فى قوله ولدته أخرى (أى ولدته خليفة أخرى) فأنث الفعل لتأنيث الفاعل (لسان العرب ١٤/ ١٢٣٥ والرسالة الرشادية/ ٢٥، ٢٦).

والخليفة هو من يخلف غيره فى الزمان أو المهمة، جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى: تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه وإذا جاء خلف آخر وإذا قام مقامه، ومصدره الخلافة. وخلف فلان فلانا قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده، قال تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ [الزخرف: ٦٠] والخلافة النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف، وعلى

هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه فى الأرض، قال تعالى ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض﴾ [فاطر: ٣٩] وقال: ﴿ويستخلف ربى قوما غيركم﴾ [هود: ٥٧] وقال ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ [ص: ٢٦] ومما ذكره الأصفهانى يمكن أن يفهم قول الله تعالى فى شأن آدم ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] فهى خلافة تشريف، ولله أن يفعل فى تنظيم كونه ما شاء دون احتياج لمن يشركه أو يساعده فى ملكه فهو الغنى، وليس الخليفة مساعدا لله ولا نائبا عنه لغيابه، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

يقول الماوردى فى كتابه «الأحكام السلطانية» (ص ١٥):

واختلفوا هل يجوز أن يقال: يا خليفة الله، فجوزه بعضهم لقيامه بحقوقه فى خلقه. ولقوله تعالى ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ [الأنعام: ١٦٥] وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك ونسبوا قائله إلى الفجور، وقالوا: يستخلف من يغيب أو يموت والله لا يغيب ولا يموت، وقد قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه: يا خليفة الله، فقال: لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ﷺ.

والخليفة فى الإسلام هو من خلف رسول الله ﷺ فى سياسة الأمة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهو الإمام الأعظم، وهو أمير المؤمنين عامة. وعرفه العلماء بأنه من يخلف الرسول فى إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الأمة كافة، وذلك ليخرج من ينصبه الإمام فى ناحية، ويخرج المجتهد الآمر بالمعروف (بيان للناس ١ / ١٨٩، ١٩٠).

ويقصد بالخلافة النهوض بأعباء الأمة الإسلامية نيابة عن الرسول بعد وفاته وهى الطبقة الأولى فى طبقات الولايات. ويتولاها الشخص بأحد طريقين:

الطريق الأول: عهد من الخليفة الأول. كما عهد أبو بكر إلى عمر بن الخطاب.

الطريق الثانى: بيعة من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله كما بويع أبو بكر.

وقد قام بالخلافة بعد الرسول الخلفاء الراشدون، والخلفاء الأمويون، والخلفاء العباسيون ببغداد، والخلفاء الأمويون بالأندلس، والخلفاء العباسيون بمصر بعد انقراض الخلافة فى بغداد.



(١) اصطبل سافر من البندقية نقلا من متحف اللوفر وارسلت الصور الفوتوغرافية.

وكان الخليفة العباسى بالقاهرة يبايعه السلطان والعلماء والقضاة ثم يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويدعى له قبل السلطان، على المنابر إلا فى مصلى السلطان خاصة فى مصلاه بقلعة الجبل والسلطان يستبد بما عدا هذا من أمور الدولة: من تولية وعزل، وإقطاع إقطاعات حتى للخليفة نفسه. وظل الأمر كذلك حتى عام ٨١٥ هـ حيث استقل الإمام المستعين بالله بأمر الخلافة. ودعى له وحده على المنابر ومن يقرأ عهود الخلفاء إلى السلاطين يجد أنهم كانوا يفوضون إليهم تفويضا شاملا أمور الدين والدنيا كما جاء فى صبح الأعشى. وكان الخليفة يقول فى عهد التولية:

فوضت إليك جميع أمر المسلمين، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين (ابن قيم الجوزية / ١٧، ١٨).

ويرى بعض الخلفاء أن لقب «خليفة» يدل على معنى النيابة. والقيام مقام النبى فى أمته. ولقد أصبحت تعنى فى أيام المماليك ـ كما تنص عليها تقاليد الخلفاء العباسيين فى مصر ـ أنه من أسرة النبى ﷺ من فرع بنى العباس ـ الذين تولوا الخلافة من قبل فى العراق، وقضى المغول على خلافتهم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه هو أول خليفة فى الإسلام، وعمل الخليفة الأساسى هو مبايعة السلطان وذلك حتى تصبح سلطات السلطان ونوابه وموظفيه شرعية؛ ويكون ذلك لكل من وصل إلى السلطنة حتى ولو حدث ذلك عدة مرات أو حتى لو كان السلطان فى حجر مرضعة؛ فمثلا الخليفة

المعتضد بالله ٨٤٥ هـ بايع ستة سلاطين؛ ولكن من ناحية أخرى كان الخليفة ومعه القضاة الأربع يقوم أيضا بعزل السلطان أو خلعه بناء على تدخل كبار الأمراء المماليك وتولية غيره (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢٢).

فأما عن لقب «الخليفة» وتاريخه وتطوره ومترادفاته فيقول الدكتور حسن الباشا : استعمل لفظ «خليفة» كلقب للحاكم الأعلى الذى أسند إليه أمر الإشراف على الأمة الإسلامية بعد النبى ﷺ. وقد أطلق لأول مرة على أبى بكر الصديق، وكان يحمل إذ ذاك معنى خلافة النبى ﷺ على حكم المسلمين .

وعلى الرغم من استمرار استعمال هذا اللقب فإن مدلوله كان يختلف باختلاف الأسرات الحاكمة : ففى صدر الإسلام كان يقصد منه خلافة النبى ﷺ بينما فى الدولة العباسية عنى به خلافة الله . ومما يوضح ذلك ورود لقب «خليفة الله» على سكة باسم المأمون بتاريخ سنة ٢٠٣ هـ بالمحمدية . والحق أنه على مر الزمن انتزع من الإمام العباسى سلطته السياسية فصار مدلول اللقب أقرب إلى الرئاسة الدينية .

وقد ظهر لقب «الخليفة» على النقود والنقوش كلقب عام على الخلفاء . ومن أقدم استعمالاته على الآثار وروده فى نقش بتاريخ سنة ١٠١ هـ على الكعبة خاص بالوليد بن يزيد الأموى، وعلى النقود وروده على سكة بتاريخ سنة ١٦١ هـ من أرمينيا باسم المهدى العباسى، وعلى أخرى من أذربيجان، ومثلها بأران بتاريخ سنة ١٦٦ هـ. وكان يرد على طرز قطع النسيج : فورد مثلا على قطع من النسيج بتاريخ سنة ١٩٠ هـ باسم الرشيد من تونة، وعلى أخرى بتاريخ سنة ٣١٣ هـ من مصر باسم المقتدر بالله .

وكان أيضا يضاف إلى اللقب ياء النسبة : فكان يقال «خليفتى» على الرغم من الخطأ النحوى . ومن ذلك ما ذكره ابن فضل الله العمرى فى كتابه «التعريف» حين ذكر «الأبواب الشريفة الخليفتية»، وما ذكره الحسن بن أبى محمد الصفدى فى كتابه «نزهة المالك والمملوك» عند ذكر «الشاش الخليفتى» .

ومن الصفات التى كانت تلحق بهذا اللقب فى صيغة الجمع فى بعض الأحيان صفة «الراشدين» : فكان يقال «الخلفاء الراشدون». ولا يزال هذا اللقب يطلق عرفا على الخلفاء الأربعة الأول : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى . كما أطلقت الصفة على خلفاء الموحدين بشمال إفريقية : حيث ورد فى مكة باسم أبى يوسف يعقوب بن المنصور. ويلاحظ أن صفة «الراشد» نفسها تشير إلى الأحقية فى الخلافة .

وكان لفظ «خليفة» يضاف أحيانا إلى لفظ الجلالة لتأكيد معنى الخلافة من الله فيقال مثلا «خليفة الله» «وخليفة الله على كافة أهل الإسلام» «وخليفته فى أرضه ونائبه فى خلقه» . كما استعمل اللفظ بمعناه اللغوى البحت مضافا إلى بعض الألقاب مثل «خليفة أمير المؤمنين»، «وخليفة فتى مولانا وسيدنا» .

خليفة الله : أضيف «خليفة» إلى لفظ الجلالة لتأكيد معنى خلافة الله الذى اتصل بالخليفة فى العصر العباسى . ولعل هذا المعنى قد جاء من الآية القرآنية ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ [البقرة : ٣٠] فلما كان آدم خليفة الله، والأنبياء خلفاء آدم، وآخرهم محمد ﷺ، والخلفاء خلفاء محمد ﷺ فإن الخليفة بذلك خليفة الله، أو ربما جاء ذلك المعنى من أن الخليفة العباسى كان يعتبر نفسه المفوض من الله سبحانه لإقرار دينه فى الأرض، ونشر الإسلام، وبذلك فهو خليفته على خلقه، ومن هنا ظهر هذا اللقب ومترادفاته مثل «خليفة الله على كافة أهل الإسلام»، «وخليفته فى أرضه، ونائبه فى خلقه» .

وقد أطلق لقب «خليفة الله» على المأمون فى سكة بتاريخ سنة ٢٠٣ هـ من المحمدية .

خليفة الله على كافة أهل الإسلام : أطلق على الخليفة الناصر فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٥٨٤ هـ فى عين عرفات بمكة . وهو يتصل اتصالا وثيقا برغبة الناصر فى استعادة مجد الخلافة دينيا وسياسيا، ومحاولته نشر نفوذه على جميع المسلمين، مما حدا به إلى التقرب إلى الشيعة، وانضمامه إلى الفتوة . ويؤكد هذه الرغبة ظهور اللقب فى مكة، مهوى أفئدة جميع المسلمين .

خليفة فى أرضه ونائبه فى خلقه : أطلق على الإمام المستنصر بالله فى نص بتاريخ نسة ٦٢٤ هـ من بغداد وفى هذا اللقب ادعاء بالسيادة على جميع العالم من مسلمين وغير مسلمين وهو بذلك يعلو على اللقب السابق الخاص بأهل الإسلام .

خليفتك : ورد هذا اللقب فى نص إنشاء من ح سنة ٦٧٠ هـ فى جوك مدرسة فى سبواس فى تركيا وقد جاء فيه «اللهم أيد وانصر عبدك وخليفتك السلطان الأعظم والخاقان المعظم، مولا ملوك العرب والعجم، ظل الله فى العالم، أدام الله دولته وسلطنته إلى يوم القيامة .

ويلاحظ أن لقب خليفتك ـ وهو مرادف «الخلفية الله » ـ قد أطلق هنا على السلطان، وربما كان ذلك من أثر القضاء على الخلافة العباسية مما أدى ببعض الولاة فى مختلف جهات العالم الإسلامى إلى ادعاء أحقيتهم فى الولاية العامة . وكان من أثر سقوط خلافة بغداد أن استقدم بيبرس إلى مصر بعض أفراد الأسرة العباسية، وأحيا الخلافة بالقاهرة. وربما كان رد الفعل لذلك ادعاء السلاطين فى سيواس بأحقيتهم فى الولاية العامة، واتخاذ هذا اللقب كمظهر لهذه الأحقية . ولعل اتخاذ لقب «خليفتك» كان مقدمة لإطلاق لقب «الإمام الأعظم» على أواخر سلاطين المماليك فى مصر من قبيل المنافسة .

خليفة أمير المؤمنين : ورد فى طراز قطعة من النسيج بتاريخ سنة ٤١٠ هـ من مصر خاص بالحاكم وولى عهده عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى بالله ولعل «خليفة» هنا بمعنى ولى عهد أو نائب .

خليفة فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر: أطلق على الأفضل بن بدر الجمالى فى نص بتاريخ سنة ٤٨٧ هـ فى جامع أحمد بن طولون . والمقصود «بفتى مولانا» هنا بدر الجمالى . ولما كان هذا اللقب قد أطلق فى حياة بدر الجمالى فربما قصد به ولى العهد أو النائب شأن «خليفة أمير المؤمنين» (الألقاب الإسلامية / ٢٧٥ ـ ٢٧٩) .

وعن لقب أمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة يقول ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الثانى والثلاثين :

فى اللقب بأمير المؤمنين وإنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضى الله عنه وكان الصحابة رضى الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله ﷺ ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعهده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله ﷺ وكأنهم استثقلوا هذا اللقب بكثرته وطول إضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائما إلى أن ينتهى إلى الهجنة ويذهب منه التميز بتعدد الإضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعيل من الإمارة وقد كان الجاهلية يدعون النبى ﷺ أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضا يدعون سعد بن أبى وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضى الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير المؤمنين وسمعها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبا له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بنى أمية .

ثم إن الشيعة خصوا عليا باسم الإمام نعتا له بالإمامة التى هى أخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى أنه أحق بإمامة الصلاة من أبى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون إليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم فى الخلفاء حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بنى العباس فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذى جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعى أخوه السفاح بأمير المؤمنين وكذا الرافضة بإفريقيا فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى انتهى الأمر إلى عبيد الله المهدى وكانوا أيضا يدعونه بالإمام ولابنه أبى القاسم من بعده فلما استوثق لهم الأمر دعوا من بعدهما بأمير المؤمنين وكذا الأدارسة بالمغرب كانوا يلقبون إدريس بالإمام وابنه إدريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم .

وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق والمواطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما فى أمير المؤمنين من الاشتراك بينهم فاستحدث

لذلك بنو العباس حجابا لأسمائهم الأعلام عن امتهانها فى ألسنة السوقة وصونا لها عن الابتذال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد إلى آخر الدولة واقتفى أثرهم فى ذلك العبيديون بإفريقية ومصر وتجافى بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم مع الغضاضة والسذاجة لأن العروبية ومنازعها لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة إلى شعار الحضارة وأما بالأندلس فتلقبوا كسلفهم مع ما عملوه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التى هى مركز العصبية وأنهم إنما منعوا بإمارة القاصية أنفسهم من مهالك بنى العباس حتى إذا جاء عبد الرحمن الداخل الآخر منهم وهو الناصر بن محمد ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط لأول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيثهم فى الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا إلى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وإفريقية وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله وأخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لآبائه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت عصبية العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على أمراء إفريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالأندلس على أمر بنى أمية واقتسموه وافترق أمر الإسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق فى الاختصاص بالألقاب بعد أن تسموا جميعا باسم السلطان.

فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بألقاب تشريفية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الألقاب وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدبا معها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم فى الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة إلى انتحال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة على ألقاب يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولاء والاصطناع بما أضافوها إلى الدين فقط فيقولون صلاح الدين، أسد الدين، نور الدين.

وأما ملوك الطوائف بالأندلس فاقتسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبى شرف ينعى عليهم:

مما يزهدنى فى أرض أندلس ... أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد

وأما صنهاجة فاقتصروا عن الألقاب التى كانت الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتنويه مثل نصير الدول ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه الألقاب إلا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة ولما محى رسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من أهل الخير والاقتداء نزعت به همته إلى الدخول فى طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسى وأوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربى وابنه القاضى أبا بكر من مشيخة إشبيلية يطلبان توليته إياها على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زيهم فى لبوسه ورتبته وخاطبه فيه يا أمير المؤمنين تشريفا واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال إنه كان دعى له بأمير المؤمنين من قبل أدبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة.

وجاء المهدى على أثرهم داعيا إلى الحق آخذا بمذاهب الأشعرية ناعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف فى ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف فى مذهب الأشعرية وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بذلك النكير وكان يرى رأى أهل البيت فى

الإمام المعصوم وأنه لا بد منه فى كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالإمام لما قلناه أولا من مذهب الشيعة فى ألقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبه فى عصمة الإمام وتنزه عند اتباعه عن أمير المؤمنين أخذا بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الأغمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولى عهده اللقب بأمير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بنى عبد المؤمن وآل أبى حفص من بعدهم استئثارا به عمن سواهم لما دعا إليه شيخهم المهدى من ذلك وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل أحد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان ذلك دأبهم ولما انتقض الأمر بالمغرب وانتزعه زناتة ذهب أولهم مذاهب البداوة والسذاجة وأتباع لمتونة فى انتحال اللقب بأمير المؤمنين أدبا مع رتبة الخلافة التى كانوا على طاعتها لبنى عبد المؤمن أولا ولبنى أبى حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بأمير المؤمنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا فى منازع الملك وتتميما لمذاهبه وسماته والله غالب على أمره (مقدمة ابن خلدون / ٢٢٧ - ٢٣٠).

وعن مقام الخلافة والخليفة يقول الشيخ محمد الخضرى رحمه الله:

مقام الخلافة هو مقام نيابة عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وكان الخلفاء الراشدون يستمدون أقوالهم وأفعالهم من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو سنة رسول الله ﷺ ولذلك كانت الأمة تنظر إلى الخليفة نظرها إلى رسول الله ﷺ يبذلون له الطاعة فى سرهم وعلانيتهم ممتثلين قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** [النساء: ٥٩] وقوله تعالى **﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾** [النحل: ٩١، ٩٢] وقوله **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾** [الفتح: ١٠] فكانوا يرون أن عصيان الخليفة مروق عن الدين وخروج عن حده ولم يكن ذلك نتيجة تكبر أو ترفع من الخلفاء. حاشا لله. بل كان أصغر الناس يقف له الخليفة حتى تقضى حاجته اقتداء برسول الله ﷺ وكان عمر يجالس الفقراء والمساكين لا يأنف فى ذلك.

هذا كان حال الأمة مع الخليفة أما الخليفة فكان لا يعتقد فى نفسه أنه أرقى درجة من الأمة قال أبو بكر فى أول خطبة له «قد وليت عليكم ولست بخيركم» ولم يكن يظن لنفسه أدنى تصرف فى أموالهم ولا دمائهم. قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» ولما أرسل خالد بن الوليد لأبى بكر هدية الفرس التى اعتادوا تقديمها لملوكهم عهدها من الجزية وأمر خالدا أن يحسبها منها ولما جاءت عمر ذخائر الأكاسرة بعد فتح العراق ردها لتباع وتقسم على الفاتحين كما أمر الله تعالى. ولما عدا جبلة ابن الأيهم الغسانى (آخر ملوك الغساسنة بالشام) على الأعرابى فلطم وجهه أبى عمر إلا القصاص وكان عمر يرسل لجميع الأمة فى الأمصار أن من آذاه وال أو أمير فليواف الموسم ليقتص له، فكان الأمراء والولاة يخشون إيذاء مسلم أو ذمى لئلا يقتص منهم على رؤوس الأشهاد فينفضحوا فكانت الأمة فى نظر الخليفة سواء لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى. قال أبو بكر فى أول خطبة له «الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه».

ولم يكن الخليفة يحتجب عن الرعية حتى يصعب على أحد منهم أن يكلمه فكان عمر لا يبالى أن يجلس فى المسجد أو فى السوق وكانت الرحمة للأمة ملء قلوبهم تشبها برسول الله ﷺ سماه الله الرءوف فكان أبو بكر وعمر يخرجان بالليل يتفقدان أحوال البائسين من الأمة حتى لا يكون لأحد عليهما حجة يوم لا ينفع مال ولا بنون. وكان عمر يقول: والله الذى بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب - يعنى بذلك نفسه - وكان إذا ولى عاملا يقول: اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا يضربوا أبشارهم، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دونى. وكان يحمل الدقيق على ظهره ليوصله إلى الفقراء والمساكين. روى الطبرى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم حتى إذا

كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال يـا أسلم إنى أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنـا فخرجنا نهرول حتى دنـونا فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبـة على النار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ـ وكره أن يقول يا أصحاب النار ـ قالت : وعليك السلام، قال : أ أدنو. قالت : ادن بخيـر أو دع . فدنـا فقال مـا بالكم قـالت قصر بنـا الليل والبرد قال: فمـا بال هؤلاء الصبية يتضاغـون قالت: الجوع . قال: أىّ شىء فى هذه القدر؟

قالت : مـاء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننـا وبين عمر. قال: أى رحمك الله ما يـدرى عمر بكم. قالت: يتولـى أمرنا ويغفل عنا . فأقبل علىّ فقال : انطلق بنـا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيـه كبة شحم فقال: احمله علىّ فقلت أحملـه عنك . قال: احمله علـىّ مرتين أو ثلاثـا . كل ذلك وأنا أقول أنا أحمله عنك . فقال فى آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يـوم القيـامـة لا أُمّ لك . فحملتـه عليـه فـانطلق وانطلقت معـه نهـرول حتى انتهينـا إليهـا فألقى ذلك عنـدهـا وأخرج من الـدقيق شيئا فجعل يقول ذرى علىّ وأنـا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكـان ذا لحية عظيمـة فجعلت أنظر إلى الدخـان من خلل لحيته حتـى أنضج أدم القدر ثم أنـزلها وقال: أبغينى شيئـا فأتته بصحفة فـأفرغها فيهـا ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعـوا ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام فقمت معـه فجعلت تقول جـزاك الله خيرا، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المـؤمنين. فيقول قولى خيرا إنك إذا جئت أميـر المـؤمنين وجدتنى هنـاك إن شـاء الله ثم تنحى عنها. ثم استقبلهـا وربض مربض السبع فجعلت أقـول له إن لك لشأنـا غيـر هـذا وهـو لا يكلمنى حتى رأيت الصبيـة يضطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا. فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علىّ وقال: يا أسلم إن الجـوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم.

بقـدر مـا كـانت رحمتهم كـانت شـدتهم فى جـانب الله وحدوده لا يبالـون على من أقاموها عليه متبعين ما قـاله رسول الله ﷺ حينما سرقت المرأة المخزومية وكلموه فى أن يعفو عن قطع يدها «إنه أهلك من كـان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدهـا» وحدَّ عمر ابنه فى شراب له فمات، لم تمنعـه رقة الأبوة عـن إقامة حـد الله، وعلى العموم فكـان خُلقهم القرآن والسنـة لا ينحـرفون عنهـا يمنة ولا يسـرة ويجتهدون أن يصيبوا ما كان رسـول الله ﷺ يعمله فى أمره كله (إتمام الوفاء / ١٠٥ ـ ١٠٧).

وعن ضرورة وجـود خليفة واحـد لجميع المسلمين، وعن كيفية انعقـاد الخلافة لـه وشروطهـا جاء هذا البيـان من الأزهر الشريـف :

والمفـروض أن يكون الخليفـة واحـدا لجميع المسلمين، لكن حدث فى تـاريخ الإسلام أن قامت خلافـات متعددة فى أماكن متفـرقة . وكل دولة إسـلامية فى هذا العصر لهـا رئيسها المستقل، والواجب أن يجمعهم جميعا رئيس واحـد كالنظام المتبع فى الدول ذات الـولايات المتعددة، لتتعـاون جهودهم على الدفـاع عن كيانهم ودينهم وعلى نشر الإسـلام فى العالم كله بصورة واحدة بعيدة عن المذاهب والخلافات، وقد قامت صيحـات أخيـرة تنـادى بـذلك من أجـل مصلحـة الأمـة الإسلامية، ولتواجه تيار الاستعمـار الجارف والقوى التى تريد النيل من الإسـلام بصورة أو بأخـرى، وقـد وقفت فى طريقهـا عقبات كان من أكبرها الاستعمار الذى لا يريد للإسلام صحوة يسيطر بهـا على العالم كمـا سيطر من قبل، وكـذلك تمسك كثير من حكـام الدول الإسلاميـة باستقلال الشخصيـة وعدم التبعية بأية صورة لأى حـاكم آخر، على الرغم من دورانهم فى فلك دول أخرى لا تريـد الخير للإسلام، ونرجـو الله أن يهدينا جميعا إلى الصراط المستقيم.

إن إقـامة الحكـومـة الإسـلامية أمـر واجب، أجمع عليـه المسلمـون منذ عهـد الصحابـة، مع اختـلافهم فى كون هـذا الـوجوب عقليـا أو شرعيـا، وبصـرف النظر عن أدلـة كل من الفـريقين فإن النتيجـة هى وجـوب إقـامة إمـام يتـولى شئـون المسلمين، ولأهمية هذا الأمر شغل به المسلمون أول ما شغلوا عقب وفاة النبى ﷺ، ولم يدفنوه حتى فرغوا من اختيار أبى بكر خليفة له.

يقـول الماوردى فى كتـابه الأحكـام السلطانيـة : فإذا ثبت وجوب الإمامـة ففرضها على الكفايـة كالجهاد وطلب العلم، فإذا قام به من هو من أهلها سقـط فرضها عن الكافة، وإن لم

يقم بها أحد خرج من الناس فريقان، أحدهما أهل الاختيار حتى يختاروا إماما للأمة، والثانى أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم للإمامة.

والمراد أن يكون هناك ناخبون ومرشحون للإمامة، وذكر شروط الناخبين وأهمها العدالة بشروطها، والعلم الذى يعرف به من يستحق الإمامة بشروطها، والرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار أصلح المرشحين.

والمعنى أن يكون الناخبون على مستوى خاص من الخلق والأمانة والذمة وحسن السلوك، وعلى وعى كامل بما يشترط فى المرشح، ومع الوعى والعلم لا بد من الخبرة والحكمة للموازنة بين المرشحين واختيار أصلحهم بكامل الحرية.

كما ذكر الماوردى شروط المرشحين وأهمها العدالة والعلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل، والرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

يقول الماوردى فى الأحكام السلطانية (ص٥) فى حكم ما إذا اختل شرط العدالة فى الإمام: الجرح فى عدالته وهو الفسق ضربان، أحدهما ما تابع فيه الشهوة والثانى ما تعلق فيه بشبهة.

فأما الأول منهما فمتعلق بأفعال الجوارح وهو ارتكابه للمحظورات وإقدامه على المنكرات تحكيما للشهوة وانقيادا للهوى، فهذا فسق يمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، فإذا طرأ على من انعقدت إمامته خرج منها.

وأما الثانى فمتعلق بالاعتقاد المتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق فقد اختلف العلماء فيها فذهب فريق منهم إلى أنها تمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، وقال كثير من علماء البصرة أن الفسق لا يمنع من انعقاد الإمامة ولا يخرج به منها.

هذا، وقد اشترط فى الإمام أن يكون ذكرا، للإجماع على أن المرأة لا يجوز أن تكون إماما وإن اختلفوا فى جواز كونها قاضية فيما تجوز شهادتها فيه (تفسير القرطبى ١/ ٢٧٠).

إن هذه الشروط وهذه المقاييس الموضوعة للناخبين والمرشحين كفيلة بسد الثغرات التي يشكو منها كثير من الناس عند إجراء الانتخابات أو الاستفتاءات لأى غرض وعلى أى شكل تتم، وتتلخص فى الكفاءة والنزاهة، أو العلم والخلق، ويجمعهما قول سيدنا يوسف عندما طلب أن يكون على خزائن أرض مصر ﴿**إنى حفيظ عليم**﴾ [يوسف: ٥٥] وقول ابنة الشيخ الكبير عن موسى ﴿**إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾ [القصص: ٢٦].

وقد اختلف فى عدد من تنعقد به الإمامة من الناخبين على مذاهب شتى، فقالت طائفة لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد فى كل بلد ليكون الرضاء عاما، لكن رد هذا ببيعة أبى بكر من أهل المدينة الحاضرين.

وقالت طائفة: أقل من تنعقد به منهم خمسة، أو واحد ويرضى الباقون، وذلك لانعقاد بيعة أبى بكر بعمر وأبى عبيدة وأسيد بن حضير وبشر بن سعد وسالم مولى أبى حذيفة، وتابعهم الناس، ولأن عمر جعل الشورى فى ستة ليعقد لأحدهم برضاء الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة، يتولاها أحدهم برضاء الاثنين، ليكونوا حاكما وشاهدين كالزواج.

وقالت طائفة: تنعقد بواحد، لأن العباس قال لعلى: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان ولأنه حكم وحكم الواحد نافذ (الأحكام السلطانية/ ٧٤٦).

هذا، والستة أصحاب الشورى هم: على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله.

وإذا كان اختيار أحد من جماعة يتولى شئونهم يتطلب مواصفات معينة فى هذا النائب تتصل بالمهمة التى اختير من أجلها، فإن اختيار الخليفة أو الإمام لا بد أن يكون من جماعة ذات مستوى خاص يتناسب مع خطورة المهمة، ومن هنا كان هؤلاء هم الصفوة الممتازة من ذوى الرأى وأطلق عليهم اسم أهل الحل والعقد أى الموافقة والمخالفة عند النقاش وتبادل وجهات النظر، وعند التولية والعزل.

روى مسلم (شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٥) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: حضرت أبى حين أصيب، فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيرا، فقال: راغب وراهب، قالوا: استخلف، فقال: أتحمل أمركم حيا وميتا؟ لوددت أن حظى

منها الكفاف، لا عليّ ولا ليّ، فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ـــ يعني أبا بكر ـ وإن أتركَكم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله ﷺ. قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله غير مستخلف.

قال النووي: حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف وتركه، فإن تركه فقد اقتدى بالنبى فى هذا وإلا فقد اقتدى بأبى بكر. وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة، وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة، وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة.

يقول الماوردى فى الأحكام السلطانية فى انعقاد الخلافة بالاستخلاف والعهد: وعلى الإمام أن يعهد الأحسن الناس، وأن يعقد وحده البيعة له حتى لو لم يستشر أحدا من أهل الاختيار، لكن هل يكون ظهور الرضا من أهل الاختيار شرطا فى انعقاد البيعة أو لا؟ قال بالأول بعض علماء البصرة، والصحيح الثانى، لأن بيعة عمر لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأن الإمام أحق بها فكان اختياره فيها أمضى وقوله فيها أنفذ (الأحكام السلطانية/ ١٠).

هذا، وقد تتم الخلافة بالغلب والقهر، أى بدون عهد وبدون ترشيح واختيار، فإن كان الخليفة مسلما وجبت طاعته فى المعروف.

صح فى الحديث أن عبد الله بن عمرو بن العاص ـــ وهو صحابى جليل ـ قال لرجل سأله عن موقفه من معاوية الذى استولى على الحكم وحارب عليا وجماعته وأنفق على هذه الحروب أموال المسلمين ـ قال له: أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله ـ ولم يأمره بقتاله والخروج عليه.

وقد سئل سهل بن عبد الله التسترى عن ذلك فقال: تجيبه وتؤدى إليه ما يطالبك من حقه ولا تنكر فعاله ولا تفر منه، وقال ابن خويز منداد تتم البيعة لمن وثب على الأمر (تفسير القرطبى ١/ ٢٦٩).

وإن كان كافرا لم تنعقد إمامته لكفره، وتحرم طاعته والتعاون معه كالتتار فى الزمن الأول، والمستعمرين فى الزمن الحالى الذين يحكمون المستعمرات حكما مباشرا دون تعيين أمير أو حاكم عليهم منهم فإن عينوا واحدا من المسلمين وجبت طاعته فى المعروف.

(قال الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى ١٦ / ١١٢: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته فى ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها. وقال فى ص ٢٤١: ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام بذلك، فمن قوى على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض) (بيان للناس ١/ ١٨٩ ـ ١٩٥).

بقى أن نتكلم على الزى الخاص بالخليفة (بعد الخلفاء الراشدين) وقد عقد له ل. أ. ماير فصلا جاء فيه ما يلى:

كان الخلفاء العباسيون عامة ـ ممن تولوا الخلافة فى مصر خلال الفترة من (عام ١٢٦١ ـ ١٥١٧ ميلادية) ـ يعيشون فى ظل سلاطين المماليك ولذلك لم يسترعوا انتباه فنانى القرون الوسطى الشرقيين الذين صوروا مشاهد بلاط السلاطين بدقة كما لم يسترعوا انتباه تلك الفئة من الفنانين الأوربيين الذين أتيحت لهم فرصة عمل رسومات تخطيطية لبعض حفلات الاستقبال الرسمية (انظر الصورة). وقد وضع هؤلاء الخلفاء فى أرفع مكان وأسماه، بحيث تعذر اتخاذهم نماذج للصور التى تزين الكتب الخاصة بالتدريبات العسكرية، أى كتب الفروسية ولذا لم يكن هناك ما يدعو إلى إظهارهم وحاشيتهم عند توضيح وتزيين النصوص الخاصة بتلك الكتب التى تعتبر من أحسن ما صور خلال العصر المملوكى، مثل كتاب كليلة ودمنة، ومقامات الحريرى، والجزرى، وهو كتاب فنى فى الحيل الهندسية وهكذا حرمنا من أى رسم شرقى أو غربى لملابسهم وأزيائهم، وأصبح لزاما علينا أن نكشف عنها وسط ضباب المراجع الأدبية وحسب.

وكان الخلفاء العباسيون فى مصر يواظبون على اتباع تقاليد بغداد فى لبس السواد وهو الزى الذى ظل يميز ملابسهم ويتخذ «شعارا» لأتباعهم ومن يلوذ بهم وطبقا لمنصبهم الذى كان روحيا أكثر منه زمنيا دنيويا وكانوا غالبا ما يرتدون زيهم الدينى المميز لهم. وكان غطاء الرأس عند

الخلفاء يتكون من عمامة مدورة لطيفة لها طرف (عذبة) يتدلى خلف الظهر يطلق عليه اسم الرفرف ويبلغ طوله قدمين (٦٠ سم) وعرضه قدم واحدة وهو مرسل من أعلى العمامة إلى أسفلها؛ وكانوا يرتدون ثوبا ذا أكمام ضيقة يطلق عليه اسم «القباء» ويضعون فوق ثيابهم «كاملية»ضيقة عند الكم مفرجة الذيل من خلف تبدأ من الحافة السفلى مرتفعة إلى أعلى، ولدينا مواصفات عديدة لملابسهم، وعلى الأخص تلك التى كانت تلبس أثناء حفلات تنصيبهم أو بمناسبة احتفالات رسمية أخرى. ونذكر منها على سبيل المثال: أن «الخليفة» «المستكفى بالله» شهد موقعة شقحب صحبة السلطان «محمد بن قلاوون» وهو يرتدى عمامة لها عذبة طويلة، ويتقلد سيفا محلى بالزخارف فوق كتف ردائه الأسود كما أنه فى حفل تنصيب الخليفة «المستكفى» نفسه تلقى ثوبا أسود للتشريف أى «خلعة» (انظر مادة «خلع التشريف») وطرحة سوداء للرأس وفى أثناء تتويج السلطان «فرج بن برقوق» تلقى الخليفة «المتوكل» ثوبا أسود للتشريف (خلعة سوداء)، وعمامة سوداء مطرزة ولبس فوق رأسه طرحة سوداء مطرزة، وفى أثناء موكب عام، ركب فيه الخليفة محمد المتوكل على الله بن يعقوب فى أول شهر رمضان من عام ٩١٤هجرية ليقدم تهانيه للسلطان قانصوه الغورى بمناسبة حلول الشهر المبارك كان هذا الخليفة يرتدى «عمامة بغدادية» وهى عبارة عن عمامة صغيرة لها طرف أو طرفان مسترسلان كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ونقرأ أحيانا أن ملابس الخليفة لم تكن كلها سوداء دائما. ونضرب مثلا لذلك، أنه فى حفل تتويج الملك المنصور أبى بكر بن محمد بن قلاوون (فى الثانى والعشرين من محرم سنة ٧٤٢ هجرية)، كان الخليفة يرتدى ثوبا أخضر للتشريف «خلعة» ويضع فوق عمامته (التى لم يذكر لونها) طرحة سوداء بها زركشة بيضاء (القلقشندى ٣ / ٢٧٦، وحسن المحاضرة للسيوطى ٢ / ٧٧): قال إن التطريز كان من الذهب. وهذا يلبس بواسطة الخلفاء العباسيين (فى مناسبات خاصة للغاية) من ألوان أخرى، ووجد الوضع نفسه فى العراق أيضا، كما حدث مثلا حينما دخل الخليفة المأمون مدينة بغداد فى الخامس عشر من صفر سنة ٢٠٤ هجرية وهو يرتدى ثيابا خضراء وأصر أن يلبس جميع أتباعه المخلصين اللون نفسه (ومع هذا فقد ألغى المرسوم بعد مضى أسبوع من تاريخ صدوره، وعادوا إلى ارتداء السواد ثانية).

وبالمثل، فى ذى الحجة سنة ٩٢٠ هجرية، ركب الخليفة عن يمين السلطان - عند دخول الأخير القاهرة عقب عودته من مدينة الإسكندرية - وكان يرتدى عمامة بغدادية وقباء من الصوف الأبيض بمقلب (بقلابة) من الصوف الأخضر، بل ووجدت مناسبات رسمية ظهر فيها الخليفة فى ثوب أكثر تواضعا، وهكذا حدث عندما بويع الخليفة المستعين بالله بالسلطنة فى دمشق، وكان مرتديا ثوبه الخاص بالتشريف، وهو عبارة عن ثوب «فوقانى» أسود لا غير، أخذ من خزانة ملابس خطيب للجمعة بمسجد قريب وفى خلال حكم السلاطين الجراكسة، حُرِّم على الخليفة ارتداء ثوب الخلافة، فكان يرتدى أحيانا ملابس الطبقة العسكرية الأرستقراطية السائدة فى عصره. فمثلا، فى سنة ٨٥٧ هجرية، فى حفل تتويج عثمان بن جقمق، خلع على الخليفة رداء من الحرير الأطلس المبرقش بزخارف من الخطوط المتموجة يطلق عليه اسم «أطلس مُتَمَّر»، وخلع فى الوقت نفسه على الأتابك، ثوبا للتشريف مماثلا، وكذلك حدث نفس الشىء فى مناسبات مختلفة لبعض الشخصيات الرسمية الأخرى من الطبقة العسكرية الرفيعة. وفى شهر شعبان من عام ٩١٤ هجرية، ظهر الخليفة يعقوب المستمسك بالله ساعة تنحيته لولده عن الخلافة بقميص من الصوف الأبيض «سلارى» مبطن بفراء «السمور»، اختير من بين ملابس السلطان نفسه وحدث خلال مناسبتين على الأقل أن أنعم على أقارب الخليفة أيضا بملابس الإمارة (الملابس المملوكية / ٢٣ - ٢٨).

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١٢٣٥، والرسالة الرشادية - محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٥، ٢٦، وبيان للناس من الأزهر الشريف ١ / ١٨٩ - ١٩٥، وابن قيم الجوزية عصره ومنهجه - د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ١٧، ١٨ والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٢، والألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٥ - ٢٧٩، ومقدمة ابن خلدون / ٢٢٧ - ٢٣٠، وإتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء - الشيخ محمد الخضرى / ١٠٥ - ١٠٧، والملابس المملوكية - ل. أ. ماير - ترجمة صالح الشيتى، تقديم د. عبد الرحمن فهمى محمد / ٢٣ - ٢٨).

انظر: الخلافة، الخلفاء، ومادة «الإمام» فى م ٦ / ٣٨ - ٤٢، و «الإمامة» فى م ٦ / ٤٦ - ٤٨، و «البيعة» فى م ٨ / ٢١٤ - ٢٢١).

* **ابن خليفة (٨٠١-٨٨٩ هـ):**

من شيوخ المدرسة السلامية فى بيت المقدس.

وهو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن مسعود بن محمد بن موسى المغربى الجابرى، المقدسى، المالكى، المعروف بابن خليفة:

تولى ابن خليفة المغربى مشيخة المدرسة السلامية كما يذكر السخاوى (الضوء اللامع ٨ / ٤٤).

وكان ابن خليفة قد ولد فى بيت المقدس. سنة ٨٠١ هـ، ونشأ فيه، وتلقى تعليمه، وأخذ عن عدد من العلماء، فقد «حفظ القرآن عن الفقيه عبد الله البسكرى» (المتوفى سنة ٨٢٩ هـ) شيخ دار القرآن السلامية، ثم تلاه تجويدا على عدد من العلماء، ودرس الفقه، وخاصة المالكى منه، و حفظ غالب الرسالة فى الفقه المالكى، قرأ فيها على بعض العلماء المالكية. وسمع الحديث، وأخذ التصوف عن والده.

كل هذا قبل أن يتولى مشيخة السلامية. ولا شك أنه درس بالسلامية موضوعات فى العلوم الشرعية مثل القراءات، والفقه، والحديث، وربما درس التصوف، وأخذ عنه طالبو العلم، وكان السخاوى واحدا منهم. فقد ذكر أنه لقى ابن خليفة، وقرأ عليه فى الحديث وغيره. وأضاف السخاوى أن ابن خليفة تبرأ مما ينسب لأبيه من انتحال مقالة ابن عربى، فهل يعنى هذا أنه كان عارفا بابن عربى ومذهبه؟.

وتبوأ ابن خليفة مكانة كبيرة فى بيت المقدس، فقد ولى مشيخة المغاربة فى بيت المقدس. و مشيخة الفقراء المنتسبين لأبى مدين. وتصدر بالمسجد الأقصى، وولى التوقيت فيه.

وقد استمر مشتغلا بالعلم إلى أن توفى فى بيت المقدس سنة ٨٨٩ هـ. (الضوء اللامع ٨ / ٤٤).

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ١٤، ١٥).

* **الخليفة الأندلسى:**

حين غلب بنو العباس على الأمر بالعراق انتزع الأمويون الخلافة منهم وأقاموها بالأندلس وأول من ولى الخلافة منهم بالأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل لدخوله الأندلس فى سنة ١٣٩ هـ، ولم يتلقب بلقب من ألقاب الخلافة جريا على قاعدتهم الأولى فى الخلافة وجرى على ذلك من بعده من خلفائهم إلى أن ولى منهم عبد الرحمن بن محمد المعروف بالمقبول فتلقب بالناصر بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة. وتبعه من بعده منهم على ذلك إلى أن ولى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمن فتلقب بالمرتضى بالله، وهو أول من أضيف فى لقبه بالخلافة منهم اسم الله مجاراة لبنى العباس وذلك فى حدود سنة ٤٠٠ هـ. وبقى الأمر على ذلك فى خلفائهم إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فتلقب بالمعتمد بالله وانقرضت خلافتهم بالأندلس بعد ذلك بانقراضه فى سنة ٤٢٨ هـ.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٢، ١٢٣ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٤٧٨).

* **خليفة الأئمة:**

من ألقاب الشيعة، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم، وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٣ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ٤٧).

* **خليفة بن خياط (ـ٢٤٠ هـ / ـ٨٥٤م):**

أدرجه الزركلى تحت عنوان «خليفة العُصْفُرى، وقال عنه: خليفة بن خياط بن خليفة الشيبانى العصفرى البصرى، أبو عمرو، ويعرف بشباب، محدث نسابة إخبارى، صنف «التاريخ» عشرة أجزاء، طبع جزء منه، و «الطبقات» ثمانية أجزاء، طبع جزء منه، وكان مستقيم الحديث، من متيقظى رواته (الأعلام ٢ / ٣١٢).

وللدكتور أكرم ضياء العمرى كتاب بعنوان «مسند خليفة ابن خياط»، وهو أحاديث مجموعة، وجاء فى مقدمة التحقيق ما يلى:

لقد ألف خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفرى ستة كتب هى: الطبقات، والتاريخ، وطبقات القراء، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته، وتاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان، والمسند. وقد وصل إلينا من مؤلفاته كتاباه التاريخ والطبقات حيث نشرتهما للمرة الأولى سنة ١٩٦٧ م وأعدت نشرهما بعد ذلك مرة ثانية. ومنذ أن بدأت

عملي ـ قبل أكثر من عشرين عاما ـ بتحقيق الطبقات حاولت جمع سائر الاقتباسات عن خليفة في كتب التراث المتنوعة سواء كانت في الحديث أو التراجم أو التاريخ، وبعد أن أثبت الكثير منها في حواشي الطبقات والتاريخ بقيت مجموعة طيبة من الأحاديث النبوية التي أحسب أنها من «مسند» خليفة بن خياط، ذلك المسند الذي فقد فيما يبدو منذ وقت مبكر حيث لا تشير كتب الفهارس والأثبات والمعاجيم إليه، وأقدم من أشار إليه ابن أبي حاتم الرازي (ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل مجلد ١ ق ٢ / ٣٧٨ وانظر عن نقده لمسند خليفة مقدمة تاريخ خليفة بن خياط) ثم سماه من المتأخرين إسماعيل باشا البغدادي (هدية العارفين ١ / ٣٥٠) ولعله استند إلى كلام ابن أبي حاتم، ثم لم أجد من سماه سواهما.

ونظرا لصعوبة الوقوف على أحاديث مسند خليفة، ورغبة مني في إكمال ما يمكن إكماله من مؤلفات خليفة ومادته العلمية فقد أعددت هذه الأحاديث للنشر ونظمت المسانيد على أسماء الصحابة ثم التابعين ورتبت الأسماء على حروف المعجم، ومن الواضح أن هذه الأحاديث المجموعة لا تمثل إلا قسما صغيرا من الأصل المفقود. ولكنها تعين في التعريف على الجانب الحديثي من ثقافة خليفة بن خياط، وتعرِّف ـ من خلال الأسانيد ـ بالعديد من شيوخه، والرواة عنه. ولعل بعض هؤلاء الرواة عنه ممن روى مسنده المفقود. والذي لم تسم له المصادر راويا، ولكن يبدو من المقتطفات التي أوردها الإمام البخاري في «الصحيح» و «التأريخ الكبير» و«الأدب المفرد» أنه حصل على حق رواية مسند خليفة حيث يعبر عن طريقة تحمله له بصيغ السماع.

كذلك روى عنه الدارمي مباشرة في سننه.

كما روى الطبراني في «المعجم الكبير» والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» عن خليفة بواسطة موسى بن زكريا التستري راوي التاريخ والطبقات فيبدو أنه روى المسند أيضا حيث اعتمد الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) على روايته أيضا في «المستدرك» فيذكر سنده هكذا (حدثنا أحمد بن يعقوب الثقفي ثنا موسى بن زكريا التستري) وأحيانا (أخبرني عبد الله بن محمد بن موسى ثنا محمد بن أيوب انبا خليفة).

كما روى الطبراني مرة بواسطة (الحسين بن علي العطار المصيصي) وكذلك روى الخطابي عن خليفة مرة بهذا الإسناد (حدثنا أحمد بن سلمان النجاد نا أحمد بن محمد البرتي نا خليفة).

وأما أبو نعيم الأصبهاني فيروي عن خليفة بهذين الإسنادين:

الأول: حدثنا أبو إسحاق بن حمزة ثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا خليفة.

الثاني: حدثنا سليمان بن أحمد قال ثنا عبدان بن أحمد قال ثنا خليفة. ومن طريق عبدان هذا يروي أبو الشيخ الأنصاري في «الأمثال» أيضا والواقع أنه يصعب القطع بأن هؤلاء الرواة عن خليفة جميعهم قد رووا مسنده، ولكن يغلب على الظن أن موسى بن زكريا التستري هو أحد رواة المسند، كما يغلب على الظن أن الإمام البخاري روى مسند خليفة.

وبالطبع فإنه لا يمكن معرفة عدد أحاديث المسند، ولا عدد الصحابة والتابعين الذين خرَّج لهم فيه، ولكن يتضح من المقتطفات أنه يخرج أحاديث كثيرة للمكثرين من الصحابة، فقد حوت المقتطفات أربعة عشر حديثا من مسند أنس بن مالك، وستة أحاديث من مسند أبي هريرة وأربعة أحاديث من مسند جابر بن عبد الله، في حين احتوت على حديث واحد في معظم المسانيد. ويبلغ عدد مسانيد الصحابة التي تضمها المقتطفات خمسة وأربعين مسندا للصحابة وعشرة مسانيد للتابعين فمجموعها خمسة وخمسون مسندا.

ومن حيث درجة الأحاديث فإنها مثل سائر كتب المسانيد تشتمل على الصحيح والحسن والضعيف، ومعظم الأحاديث متصلة مرفوعة ومنها أربعة فقط مرسلة.

ورغم مكانة خليفة العلمية وغزارة أحاديثه فلم يخرج له أحد من أصحاب الكتاب الستة سوى البخاري الذي غالبا ما يروي عنه في المتابعات وتمتاز أحاديث خليفة بعلو الأسانيد إذا ليس بينه وبين النبي ﷺ في أغلبها سوى أربعة من الرواة.

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٢، ومسند خليفة بن خياط ـ د. أكرم ضياء العمري / ٧ ـ ١١).

*** الخليفة (حي.):**

حي الخليفة جزء من منطقة القلعة وبه مسجد الإمام الشافعي الذين بناه صلاح الدين الأيوبي أيام بناء القلعة، ولقد

دفن الإمام الشافعى فيه وأعيد بناؤه أكثر من مرة، وبجواره المدرسة الصالحية لتدريس مذهب الإمام الشافعى.

وهناك مسجد الإمام الليثى، وهو مسجد شهير للفقيه المصرى وأعمدته من الرخام الجميل وهناك نقوش إسلامية على الخشب فى أروقة المسجد، وبه قبر الإمام به مقصورة خشبية مطعمة بالصدف. وبجوارها لوحة رخامية كتب عليها آية الكرسى وهى تحفة فريدة.

وهناك، وفى الجنوب من حى الخليفة ... يوجد مسجد السيدة نفيسة حفيدة سيدنا على بن أبى طالب، وهو تحفة معمارية على الطراز الإسلامى الفريد، ويتميز بالنقش على القيشانى ذى الألوان والرسوم البديعة وقد جدد أكثر من مرة.

وقد اشتهرت منطقة السيدة نفيسة بسوق أثرية هى سوق الحمام حيث كانت تتم فيه عمليات بيع وشراء الحمام الزاجل.

وبين ميدان القلعة وجامع أحمد بن طولون يوجد شارع تاريخى هو شارع الصليبية، ويوجد به سبيل أم عباس «أم الخديوى عباس» الذى أصبح مدرسة.

وبالمنطقة أحياء كثيرة مثل حى التونسى والسيدة عائشة ... ويوجد بها ضريح مصطفى كامل زعيم مصر الوطنى الذى وهب حياته وشبابه فداء لمصر، ونقل جثمان الزعيم محمد فريد إلى جوار رفيق نضاله ودفن بجوارهما مؤرخ مصر العظيم عبد الرحمن الرافعى.

إن منطقة القلعة ... منطقة عامرة بالحياة والناس وفيها تشم الرائحة العطرة لتاريخ مصر القديم.

(موسوعة محافظات مصر: القاهرة، الجيزة وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات / ١٣).

*** أبى خليفة (خزانة -):**

خزانة كتب أبى خليفة فى البصرة: صاحب هذه الخزانة، من أهل المائة الرابعة للهجرة. وقد جمع كتبها فى داره فى البصرة. وليس لدينا من أخبار خزانته سوى ذكر خفيف لها فى حكاية ساقها التنوخى فى نشواره، على لسان أبى على الحسن ابن سهل بن عبد الله الإيذجى، قال: «وحدثنى صديق لأبى وعمى، أيام وفدا إلى كور الأهواز فى فتنة الزنج، فلما قدمت إلى البصرة قدمتها مع أبى، فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا، ومكننى من كتبه. فكنت أقرأ عليه كلما أريد وأسمع كيف شئت وأحب، وأكتب وأنسخ لنفسى أصوله. فإذا كان الليل جلسنا وتحادثنا، فربما رمت القراءة فيجيبنى، فإذا أضجرته بكثرة القراءة عليه يقول: يابنى روحنى. فأقطع القراءة. وإذا استراح أخرج من كمه دفترا فى ورق أصغر من الورق العتيق، فيقول اقرأ علىّ هذا فإنه خطى وما تقرأه على فهو غير خطى، فكنت أقرأ عليه منه، وكان فيه ديوان عمران بن حطان ...»

(نشوار المحاضرة للتنوخى ٢ / ١٦٦).

(خزائن الكتب القديمة فى العراق - كوركيس عواد / ٢٢٦).

*** الخليفى (- ١١٢٧ هـ):**

قال عنه الجبرتى:

الإمام العلامة الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ابن عطية بن عامر بن نوار بن أبى الخير الموساوى الشهير بالخليفى الضرير أصله من الشرق، وقدم جده أبو الخير وكان صالحا معتقدا وأقام بمنية موسى من أعمال المنوفية فحصل له بها الإقبال ورزق الذرية الصالحة واستمروا بها، وولد الشيخ بها ونشأ بها وحفظ القرآن ثم ارتحل إلى القاهرة واشتغل بالعلوم على فضلاء عصره فتفقه على الشمس العنانى والشيخ منصور الطوخى وهو الذى سماه بالخليفة لما ثقل عليه نسبة الموسوى، فسأله عن أشهر أهل بلده فقال: أشهرها من أولياء الله تعالى سيدى عثمان الخليفى، فنسبه إليه، ولازم الشهاب البشبيشى وأخذ عنه فنونا وحضر دروس الشهاب السندوبى والشمس الشرنبابلى وغيرهما وأجازه الشيخ العجمى واجتهد وبرع وحصل وأتقن وتفنن وكان محدثا فقيها أصوليا نحويا بيانيا متكلما عروضيا منطقيا آية فى الذكاء وحسن التعبير مع البشاشة وسعة الصدر وعدم الملل والسآمة وحلاوة المنطق وعذوبة الألفاظ، انتفع به كثير من المشايخ. توفى فى عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر ودفن صبيحة يوم الخميس سادس عشرة بالمجاورين سنة سبع وعشرين ومائة وألف عن ست وستين سنة.

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ١٢٨).

*** خليل (ـ٧٦٠):**

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ، وقد ذكره في وفيات سنة ٧٦٠ هـ:

وفي سنة ستين وسبعمائة توفي الشيخ خليل إمام حرم مكة محمد بن عبد الرحمن المالكي المحدث المفتي في مسائل الحج وغيره اهـ.

وهو خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالقي ثم المكي، اسمه محمد واشتهر بخليل، فقيه مالكي، أصله من مالقة بالأندلس. ولي الإفتاء بمكة. ذكره التنبكتي وقال: قال الشيخ خالد البلوي في رحلته: «هو من أعظم من لقيته بمكة قدرا وأرفعهم خطرا، وأشرفهم مكانة وذكرا، استفدت من المناسك تفقها ومعاينة فانتفعت به أعظم انتفاع وسمعت عليه وأجازني عامة» وذكره أبو محمد عبد الله بن فرحون في كتابه «تاريخ المدينة» وأثنى عليه وقال: «توفي ليلة الإثنين لعشر بقين من شوال سنة ست وسبعمائة».

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٥٨، ٣٥٩ وهامش ٣ للمحقق).

*** الخليل:**

قال الإمام النووي في مادة «خلل»:

تكرر في الأحاديث في المهذب ذكر الخليل في حديث «هذا وضوئي ووضوء خليلي إبراهيم» وقوله «أوصاني خليلي بثلاث» قال الإمام أبو الحسن الواحدي في قول الله عز وجل ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ [النساء: ١٢٥] قال أبو بكر بن الأنباري الخليل معناه المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة اللذان ليس في حبهما نقص ولا خلل قال فتأويل قول الله تعالى ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ اتخذ الله إبراهيم محبا له خالص الحب ومحبوبا له وشرفه بلزوم هذا الاسم له الذي لا يستحق مثله إلا أنبياؤه ومن شرفه الله تعالى ورفع قدره قال ابن الأنباري وقال بعض أهل العلم معناه واتخذ الله إبراهيم فقيرا إليه لا يجعل فقره وفاقته إلى غيره ولا ينزل حوائجه بسواه فالخليل على هذا القول فعيل من الخلة بمعنى الفقير ونحو هذا هذا قال الزجاج الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل فجائز أن يكون إبراهيم سمي خليلا لأنه الذي أحبه الله تعالى محبة تامة وأحب الله هو محبة تامة قال وقيل الخليل الفقير قال الواحدي فهذان القولان ذكرهما جميع أهل المعاني. والاختيار هو الأول لأن الله عز وجل خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله عز وجل ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة هذا آخر كلام الواحدي. وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء. وقيل أصلها الانقطاع إلى من خاللت. وقيل الخلة صفاء المودة وقيل هي المحبة والألطاف.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووي ٣ / ٧ ـ٩).

***ابن خليل (٩١٣ هـ):**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزي في الطبقة الأولى من المائة العاشرة وقال عنه:

أحمد بن أحمد بن خليل: أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن خليل الشيخ العلامة شهاب الدين أبو العباس الحاضري الأصل الحلبي الحنفي عرف بابن خليل، أخذ عن الحافظ برهان الدين الحلبي سبط ابن العجمي وكان يفتي بحلب ويعظ بجامعها وكان وعظه نافعا يكاد يغيب لفرط خشوعه وكان دينًا خيرًا تلمذ له شيخ الشيوخ بحلب الموفق بن أبي ذر المحدث قال ابن الحنبلي وأخبرني أنه كان يتمثل بقول القائل:

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم
وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجبته
فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

توفي سنة ثلاث عشرة وتسعمائة بحلب وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١ / ١٣٠، ١٣١).

*** أبو خليل (إبراهيم) (نحو ١٢٩٠ـ١٣٧٦ هـ / ١٨٧٣ـ١٩٥٦ م):**

الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم أبو خليل من أعلام الصوفية بالزقازيق، انتقلت إليه شياخة الطريقة الخليلية بعد وفاة والده سيدي الحاج محمد أبي خليل مؤسس الطريقة نشأ الشيخ

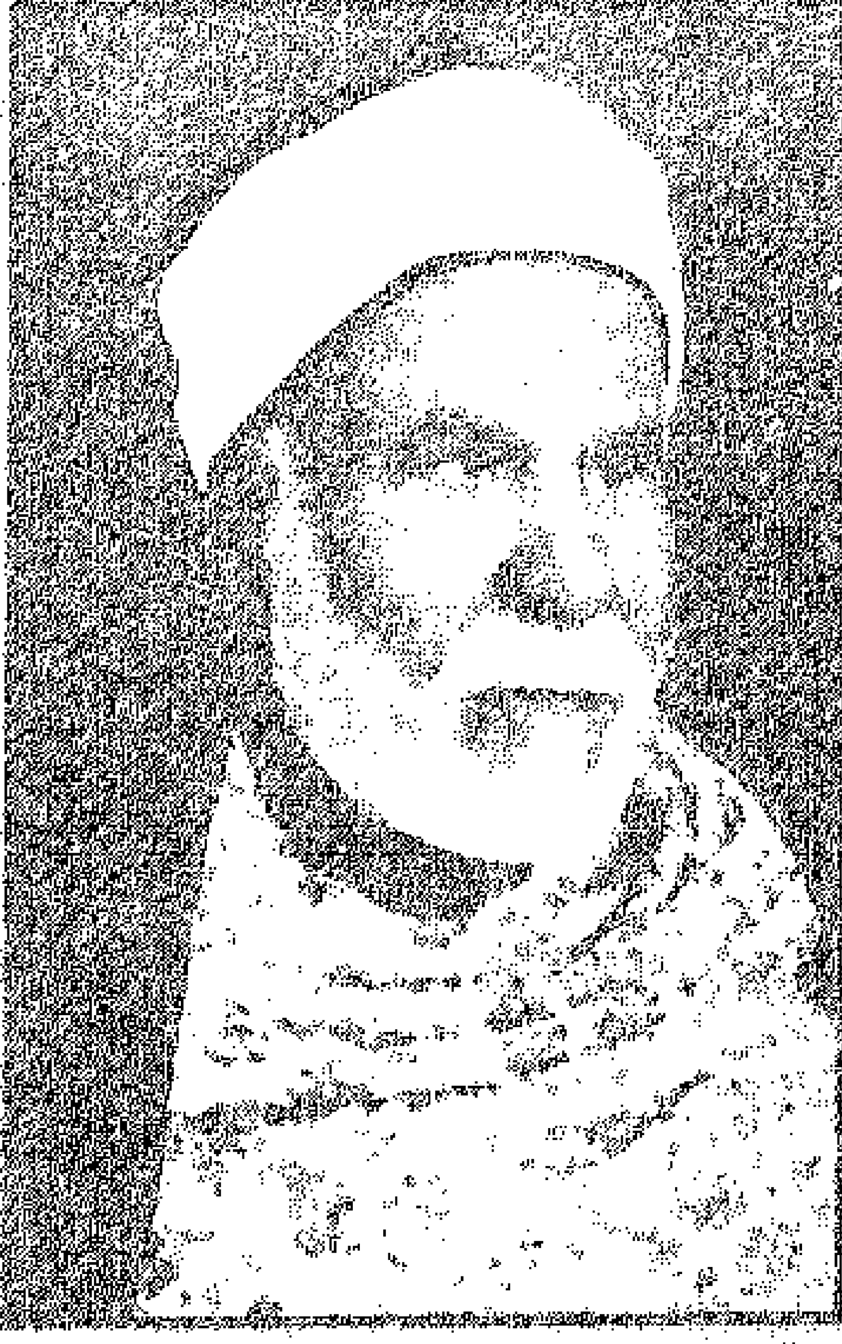
إبراهيم أبـو خليل فى بيت تتلى فيه آيات الله والحكمـة، أقام قواعـده والده العارف بـالله «سيدى الحاج محمـد أبو خليل» مؤسس الطريقة الخليلية والذى ينتهى نسبه إلى الدوحة النبوية المباركة فهـو من أبوين شـريفين فمن جهـة أبيه ينتهى نسبه الشريف إلى سيد الشهـداء الإمام أبى عبـد الله الحسين ومن جهة والدته ينتهى نسبه إلى إمام الزهاد الإمام الحسن رضى الله عنهما وإليـه يرجع كـل الفضل فيما أفـاء الله سبحانه وتعـالى على نجله «الشيخ إبراهيم أبى خليل» من عطاءات وفيوضات ربانية تليق بنسبـه الطاهر الشريف، فقد كـان والده رحمه الله هـو معلمه الـذى لقـنه مـن التـصوف دروس العلـم والحكـمة.

وكـان والده كـذلك حريصـا على أن يرى فى ابنـه المعلم الصوفى والإمـام والقـدوة للمتقين من أجل ذلك كـان الشيخ «إبراهيم أبـو خليل» عند حسن ظن والده فيـه - إمامـا ومعلما صوفيـا وشيخا للطـريقة الخليليـة خلفا لـوالده جمع أبنـاءها جميعهم على أوراد دينيـة واحدة ألهمـه إياهـا الحق سبحانـه وتعالى كما وضع لهم من الوصـايا والعظات والحكم المأثورة استخلاصا من كتـاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ ما ينيـر لهم طـريق السيـر ويملأ قلـوبهم بـالإيمـان الحق بـالله ورسوله.

ولـد الشيخ إبراهيـم أبو خليل بمـدينـة الزقـازيق فى عـام ١٨٧٣ م. وتـربى فـى كنف والـده رحمـه الله على الصـلاح والتقوى وحفظ القرآن الكريم فى صغـره وأجاد قراءته وكان إذا قرأ بكى وأبكى.

ثم سلك طريق الصوفية وأخذ العهد على والده رحمه الله، فاستمـد من روحـه آيات بينات وعطـايا عـاليات جعلـت منه إنسانا مثـاليا فى معاملاته وسلـوكه بين الناس أمينا وفيـا طاهرا نقيـا فأحبوه وتعلقت قلـوبهم بـه وقد عهـد إليـه والده بأمـوره الدنيـوية فاشتغل بالتجـارة ردحا من الزمن ثم اختار عنـد ربه تجارة لن تبور وعكف على العبـادة بصدق وجد حتى تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه.

ولما انتقل والـده رحمه الله إلى الرفيق الأعلى خلفـه شيخا للطـريقـة الخليلية فجاهد وكـافح طويلاً فى سبيل نشـر دعوة الطريق إلى الله سبحانـه وتعالى فهدى الله سبحانـه على يديه



الشيخ إبراهيم أبو خليل

إلى الإيمـان الحق قلـوبـا غلفـا ونفـوسا قـد استحـوذ عليهـا الشيطان فأنساها ذكر الله تعالى.

فقد كان من طراز من الرجال فريد من الذين إذا حضروا لم يعرفـوا وإذا غابوا لم يفتقـدوا، طبيعته التى فطـر عليها تسليم وانكسـار وخشيـة عظمى من الحـق تبـارك وتعـالى، وكـانت بساطتـه رحمه الله أهم عناصـر عظمته، كما كان قلبـه الكبير الذى يمتلىء شفقة ورحمة أهم مميزات صفاته.

وقد صعدت روحه الطاهرة إلى بـارئها سبحانه وتعالى عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م. ودفن فى المسجد المسمى باسم والده بالـزقازيق رضـى الله عنهما ونفع الجميع بمأثـوراته وعطـاءاته الربانية.

وخلفه فى رسالته الصوفية نجله الشيخ محمود إبراهيم أبو خليل الـذى كـان ينيبـه عنـه والـده فى حضـور المجـالس والندوات الـدينية التى كان يقيمهـا أتباع الطريقـة، ثم أشرف على شئون الطريقة عندما اختلى والده فى أخريات حياته سبع سنوات للتفرغ لعبادة الحق سبحانه وتعالى.

وكانت جهوده المـوفقة، رحمه الله، فى العمل على دعم الطريقة ونشر دعوتها سببا فى أن منحته مشيخة الطرق الصوفية سجـادة خليليـة، وهـذا فى المفهـوم الصـوفى لا يكـون إلا للطـريقـة التـى ظهـر دورهـا فى الهـدى الـدينى والإصلاح

الاجتماعي وصار لها كيان مستقل بمناهجها الشرعية.

ولما توفى الشيخ محمود إبراهيم أبو خليل فى عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م دفن إلى جوار والده الشيخ إبراهيم أبى خليل، بمسجد الشيخ أبى خليل، وخلفه ابنه الشيخ محمد محمود إبراهيم شيخا للسجادة العامة للطريقة الخليلية بقرار من المجلس الأعلى للطرق الصوفية رقم ٨٨ / ٥ بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٨٨ بالجلسة رقم ١١.

وقد ورد فى كتاب «الإشراقات الصوفية الإبراهيمية فى الطريقة الخليلية» (ص ٥٤٣) سلسلة نسب الشيخ أبى خليل رحمه الله بها تسعة وعشرون اسما حتى مولانا الحسين بن على كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، بنت رسول الله ﷺ.

وللشيخ إبراهيم أبى خليل رحمه الله عدد من المؤلفات، أو ما يمكن أن يسمى «فيوضات» بعضها نظم وبعضها الآخر أدعية وصلوات، وكلها مما يتعبد به أتباع الطريقة الخليلية فى مجالسهم الدينية ليلا. وبيانها كما يلى: كتاب «الفتح الأسنى» فى نظم أسماء الله الحسن منظومة.

كتاب «الكنز الثمين» فى الصلاة على سيد المرسلين.

كتاب «الوسيلة» منظومة.

كتاب «الشفاعة» منظومة.

كتاب «الفاتحة ودعاؤها» ـ الإخلاص بالدعاء»

كتاب «الحصن الحصين بدعاء يس»

كتاب «الأسرار النافعة بدعاء الواقعة» ـ «سر الفتاح بدعاء سورة الانشراح».

كتاب «السر المسطور فى حروف النور».

كتاب «الرياضة الروحية».

كتاب «البيان فى مولد مَن خُلُقه القرآن». وهو نثر يتخلله نظم.

كتاب «السعادة» منظومة، وهى من المدائح النبوية.

وننقل لك فيما يلى منظومة «الفتح الأسنى فى نظم أسماء الله الحسنى» نستكمل بها مادة «أسماء الله الحسنى» التى أوردناها فى م ٤ / ٤٧١ ـ ٤٨١. قال الإمام الشيخ إبراهيم أبو خليل رحمه الله:

بدأت ببسم الله والحمد مثنيا
على المصطفى خير الأنام مصليا
شفيعى لذنبى يوم لا ذو شفاعة
سواه مجابا حين يسأل راضيا
عليه صلاة الله ثم سلامه
وآل وأصحاب ومن جاء تاليما
توسلت بالهادى إلى الله راجيا
رضا منك يا رحمن فاقبل رجائيا
وأنت «رحيم» صاحب المن والعطا
«مليك» البرايا فاستجب لى دعائيا
وقدِّس أيا قدوس نفسى عن الهوى
ليسلم قلبى يا «سلام» من الريا
ويا «مؤمن» هب لى أمانا وعصمة
من الخلق وارفع يا «مهيمن» ذكريا
دعوت وجاهى يا «عزيز» تذلُّلى
إليك ويا «جبار» فاجبر لكسريا
تجليت يا ذا الكبرياء بعزة
قصمت بها من كان فى الأرض عاتيا
فمزق بقهر منك يا «متكبر»
عدوى ويا «خلاَّق» حسِّن خلاقيا
ويا «بارئ» اجعلنى على خير حالة
بحقك وارفع يا «مصور» قدريا
بفضلك يا «غفار» جد لى برحمة
وبالحفظ يا «قهار» كن لى منجيا
وهب لى أيا وهاب كل فضيلة
بسر اسمك «الرزاق» أجزل عطائيا
وبالفتح يا «فتاح» جُد لى بمنة
فأنت رجائى يا «عليم» وحسبيا

ويا «قابض» اقبض روح كل معاند … «شهيد» فأشهدني رضاك ألذ به
ويا «باسط» النعماء فابسط لرزقيا … ويا «حق» ثبتني على الحق هاديا
ويا «خافض» اخفض من يريد مذلتي … وأنت «وكيل» من توكل مؤمنا
ويا «رافع» ارفعني بعز وكن ليا … كفيت فساند يا «قوي» لضعفيا
معز أنلني منك عزا وهيبة … «متين» فمتّنّي بأيد وقوة
وطوّق عدوي يا «مذل» الدواهيا … وهيئ لرشد يا «ولي» أموريا
«سميع» الدعا طهر لساني ونجني … «حميد» فسبح يا فؤادي بحمده
من الفحش واستر يا «بصير» عيوبيا … ويا «محصي» الأنفاس كن لي مزكيا
ويا «حكم» أروي قضاؤك غلتي … ويا «مبدئ» أنت « المعيد» بقدرة
ويا «عدل» بالحسنى أقلت عثاريا … شهدت فأكرم يا إلهي معاديا
«لطيف» بحالي أنت فارحم تضرعي … بما لاسمك «المحيي» من السر أحيني
«خبير» فكن للسر والجهر راعيا … سعيدا وجندل يا «مميت» عدويا
«حليم» «عظيم» تُمهل العبد رحمة … ويا «حي» ... أذهب موت قلبي فلم أزل
ليدنو بالطاعات من كان نائيا … بذكرك يا «قيوم» ما دمت شاديا
«غفور» كثير الصفح ربي فخصني … ويا «واجد» وجِّه ليَ الخير أينما
بفضلك واقبل يا «شكور» ثنائيا … حللت وهب يا «ماجد» لي ترقيا
«عَليٌّ» فحطم من أتى متعاليا … ويا «واحد» حسبي رضاك فجد به
علي وشرف يا «كبير» مقاميا … ويا «صمد» كن للحوائج قاضيا
وأنعم بحفظ يا «حفيظ» من العدا … ويا «قادر» عجزي عن السير عاقني
وغذ لقلبي يا «مقيت» وروحيا … و «مقتدر» إن لا تغثني فمن ليا
وجرد فؤادي يا «حسيب» من السوى … «مقدم» ألحقني بقوم جليسهم
وأعظم مقامي يا «جليل» وجاهيا … سعيد وراجيهم ينال الأمانيا
«كريم» فما جود لغيرك ينتمي … «مؤخر» فاغفر لي تقاعس همتي
«رقيب» فأصلح يا إلهي حاليا … عن المقصد الأسمى وهب لي المعاليا
«مجيب» فحاشا أن يخيب من التجا … ويا «أول»! مُبد بغير بداية
إليك فيسر «واسع» الجود رزقيا … إلى السابقين الغرِّ أرجو انتسابيا
«حكيم» «ودود» فاشفني وتولني … ويا «آخر» اجعل لي اقتداء وأسوة
لتجذب بالنعمى إليك فؤاديا … بخاتم رسل الله واقبل متابيا
«مجيد» فألبسني من المجد حُلة … ويا «ظاهر» اجعل سر جودك ظاهرا
تشرفني يا «باعث» يوم بعثيا … عليَّ وهَبْ يا «باطن» لي تجليا

تبـــاركـت مـــا «وال» ســـواك وإننـي
على العهـــد مـــا أوليت يـــا «متعـــاليـــا»
ويـــا «بـر» يـــا «تـــواب» هـب لـي هـدايـــة
وتب وتقبل يـــــا إلهي دعــــــائيـــــا
وخـــذ بيـــدي واشـــدد إليك عـــزائمي
فـــلا حـــول لـي وارفع بتقـــواك شـأنيـــا
«أمنتقمـــــــا» خـــــذ لـي بثـأري فليس لـي
ســـواك عفـــوا فـــامح بـــالعفـــو ذنبيـــا
«رءوف» فـأنـــــزل من عـــــلاك سكينـــــة
عليَّ وشـــرف «مـــالـك الملك» قـــديـــا
ويـــا «ذا الجـــلال» المستعين بك اكتفـي
بإكـــرامك المشهـــود فـــاسمح بـــه ليـــا
ويـــا «مقسط» اجعلني بنـــورك مقسطـــا
ويـــا «جـــامع» وجـــه لـــذاتك وجهيـــا
«غنـي» أتينـــــا معتفيـن فكـن لنـــــا
بســـر اسمك «المغنى» كفيـــلا وكـــافيـــا
ويـــا «مـــانـع» امنعني من الغي وإحمنـي
ويـا «ضـــار» فـاجعلني من الضـــر نـــاجيـا
ويـــا «نـــافع» انفعني بمـــا أنت أهلـــه
وهب لـي التقى والمكـرمـــات الغـــواليـــا
ويـــا «نـــور» لم يـــدرك صفـــاتـك واصف
ســـواك ومـــا ضل الـــذي كنت «هـــاديـــا»
ويـــا «مبـــدع» الأكـــوان إبـــداع قـــدرة
شـــواهـــد أن لا غيـــر وجهك «بـــاقيـــا»
سألتك نـــــورا للبصيـــــرة والحجـــــا
وســـرى وجهـــرى ثم قـــولـى وفعليـــا
ويـــا «وارث» أنـت الـــرشيـــد فأولنـى
رضـــاك وجـــرد من ســـواك فـــؤاديـــا
وأنـت «صبـــور» يـــا إلهـى فكن بنـــا
رءوفـــا رحيمـــا ثم أحسـن ختـــاميـــا

وتنتهي المنظومة بالدعاء للإخوان وللناظم وأبيه رحمها الله.

وفي منظومة «الوسيلة» يذكر الشيخ أبو خليل رحمه الله رسول الله ﷺ، وأهل العباءة، والسيدة زينب، والسيدة سكينة، والسيدة فاطمة النبوية، والسيدة رقية، وزين العابدين، والسيدة نفيسة، وأهل بدر، والأئمة الأربعة أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وابن السعد، كما يذكر من أقطاب التصوف السيد أحمد البدوي، ووالد الناظم الشيخ محمد أبا خليل، والشاذلي، وإبراهيم الدسوقي، والرفاعي وغيرهم.

وأما منظومة «الشفاعة» فيقسمها الشيخ أبو خليل رحمه الله إلى أبواب: الباب الأول في الوجد والغرام (وهو وجد الصوفية). والباب الثاني في مدح رسول الله ﷺ، والباب الثالث في مولده ﷺ، والباب الرابع في معجزاته ﷺ، والباب الخامس في فضل القرآن، والباب السادس في الإسراء، والباب السابع في الجهاد.

وأما منظومة «السعادة» فهي من المدائح النبوية.

وفيما يلي بيان بأوراد الطريقة الخليلية:

١ - أن يذكر الله عز وجل بالأسماء الآتية: مع ملاحظة المعنى قدر الطاقة، وتلاوة كل اسم مائة ألف مرة، ولا يُحسب العدد إلا ليلا.

وهاهي الأسماء التي يذكر بها الله تعالى ليلا، كل اسم مائة ألف مرة.

الاسم	معناه	الاسم	معناه	الاسم	معناه
١ - لا إله إلا الله	لا معبود بحق إلا الله	٢ - الله	علم على الذات العلية	٣ - هـــو	حاضر لا يغيب
٤ - حـــي	دائم الحيـــاة	٥ - واحـــد	لا ثـــاني له	٦ - عزيـــز	لا نظير له
٧ - ودود	كثير الود لعباده	٨ - حـــق	ثابت لا يتغيـــر	٩ - قهـــار	يَقهر ولا يُقهر
١٠ - قيـــوم	قائم بأسباب مخلوقاته	١١ - وهَّـاب	كثير العطـــاء	١٢ - مهيمن	مطلع على أفعال مخلوقاته
	١٣ - باســـط	يبســـط الرزق لمن يشـــاء من عباده			

٢ - وأن يصلى على النبى ﷺ قدر الطاقة نهارا بالصيغة الآتية : «اللهم صلِّ على سيدنا محمد عدد ما فى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله» .

والصيغة الآتية تقرأ بعد كل صلاة ثلاث مرات : اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا وعدد كل حرف ألفا ألفا، وعدد صفوف الملائكة صفا صفا وعدد كل صف ألفا ألفا وعدد الرمال ذرة ذرة، وعدد كل ذرة ألف ألف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برِّك وبحرك وسائر خلقك. عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه مثل ذلك .

والصيغ الآتية يقرأ كل منها نهارا مائة مرة أستغفر الله العظيم التواب الرحيم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم لا إله إلا الله الملك الحق المبين سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين.

(الإشراقات الصوفية الإبراهيمية فى الطريقة الخليلية. مجموعة كتب العارف بالله الشيخ إبراهيم أبى خليل. عنيت بنشره مشيخة السجادة العامة للطريقة الخليلية. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ / ٥ - ٧، ١٢، ١٣، وما بعدها والرياضة الروحية للإمام الجليل سيدى الشيخ إبراهيم أبى خليل. مطبعة دار التأليف الطبعة السادسة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م / ١٠٣).

*** خليل أغا (سبيل):**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه :

هو بجوار مشهد الإمام الشافعى. أنشأه خليل أغا باش أغوات والدة الخديوى إسماعيل فى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف، وجعل بجواره مدفنا وبستانا نضرا وعدة مساكن وشعائره مقامة من طرفه .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧١).

*** خليل أغا مستحفظان (سبيل -) (١٠١٨ هـ):**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه :

هو بشارع المغربلين أنشأه خليل أغا مستحفظان، وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم القرآن العظيم، وذلك فى سنة ثمانى عشرة بعد الألف وهما عامران إلى الآن، ويصرف عليهما من ريع وقفهما بمعرفة الديوان .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧١) .

*** خليل أفندى المقاطعجى (سبيل وكتاب -) ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢ م، أثر ٧١:**

يصفه الدكتور محمود حامد الحسينى بقوله :

يقع بحارة الكعكيين ويشغل حاليا ناصية عطفة السلارى وتقاطعها مع شارع الدردير، وهو سبيل مستقل ويعلوه كتاب، كما يحتوى على شباكين للتسبيل. والكتاب حاليا فى حالة سيئة وتهدم جزء من واجهته الشمالية الشرقية .

وقد استطعت قراءة نصين تأسيسيين لهذا السبيل ورد بكل منهما اسم المنشىء وتاريخ الإنشاء .

النص الأول : بأعلى الشباك البحرى وهو عبارة عن لوحة تأسيسية من سطرين مضمونها كالآتى :

﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ إلى ﴿مشكورًا﴾ أنشأ هذا السبيل المبارك الأمير خليل أفندى سنة ألف اثنين وأربعين» .

وأما الثانى : بإزار السقف بحجرة التسبيل فهو:

﴿إن الأبرار يشربون﴾ إلى ﴿وأسيرا﴾ أنشأ هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى الجناب الكريم العالى خليل أفندى من أمراء الجراكسة أعزه الله تعالى وأبقاه وجعل الجنة مثواه بمحمد وآله فى شهر رجب المبارك من شهور سنة اثنين [اثنتين] وأربعين بعد الألف من الهجرة» .

ويفهم من النصين السابقين أن المنشىء هو خليل أفندى من أمراء الجراكسة وتاريخ الإنشاء هو ١٠٤٢ هجرية .

ويحتوى السبيل فى واجهته البحرية على باب الدخول يجاوره شباك التسبيل الذى يعلوه عتب مستقيم وعقد عاتق بينهما نفيس مغطى ببلاطات خزفية (قاشانى) يعلو ذلك اللوحة التأسيسية السالفة الذكر، كما توجد على جانبى العتب والعقد العاتق حشوات بها زخارف نباتية وزجزاجية فى الحجر.

وبالواجهة الجنوبية الشرقية شباك للتسبيل سُد حاليا إلى منتصفه نتيجة لضياع تغشيته النحاسية فى الجزء السفلى منه .

ومما يلاحظ على هاتين الواجهتين أن المعمار قد اهتم بالأولى وجعل فوقها واجهة للكتّاب عبارة عن باتكة من عقدين على عمود أوسط، ولم يعط للثانية اهتماما خاصة فى جزئها

العلوي الخاص بالكتاب فتركها مصمتة على الرغم من أنها واجهة حرة على حارة جانبية وتفتح عليها بشباك للتسبيل .

أما عن تكوين السبيل من الداخل فعبارة عن مدخل فى الواجهة البحرية يؤدى إلى دهليز مستطيل يفتح يسارا بباب على حجرة التسبيل وهى حجرة مستطيلة الشكل تحتوى على دخلتين مستطيلتين بهما شباكا التسبيل وبصدرها دخلة الشاذروان .

والسبيل يشبهه فى ذلك تخطيط سبيل إبراهيم بك المناسترلى (أثر ٥٠٨، وقد أوردناه فى م ٢ / ١٠٩، ١١٠ فانظره فى موضعه) ومن حسن الحظ فإن سقف حجرة التسبيل ما زال فى حالة جيدة من الحفظ وهو من الخشب المنقوش بالذهب والألوان ويشبه فى زخارفه سقف سبيل الست صالحة . يرتكز هذا السقف على إذار خشبى يحتوى على آية قرآنية، وكتابات تأسيسية سبق ذكرها .

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة - د. محمود حامد الحسنى / ١٤٧ - ١٤٨).

*** خليل البكرى (السيد -) (- ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٩ م):**

ترجم له على مبارك فى خططه عند الكلام على شارع البكرى التى بها دار السيد خليل البكرى فقال :

والدار التى جددها السيد خليل البكرى، وكانت بجوار دار الست خاتون المذكورة، وهو - كما فى الجبرتى - الأجل المبجل، السيد خليل البكرى الصديق والدته من ذرية شمس الدين الحنفى، وأخوه السيد أحمد الصديقى، الذى كان متوليا على سجادتهم، ولما مات السيد أحمد لم يتولها المترجَم، لما فيه من الرعونة، وارتكابه أمورا غير لائقة، بل تولاها ابن عمه السيد محمد أفندى مضافة لنقابة الأشراف، فتنازع مع ابن عمه المذكور، وقسموا بيتهم الذى بالأزبكية نصفين، وعمَّر منابه (أى نصيبه) عمارة متقنة، وزخرفه، وأنشأ فيه بستانا زرع فيه أصناف الأشجار، ثم لما توفى السيد محمد أفندى تولى المترجم مشيخة السجادة، وتولى نقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطى، فلما طرق البلاد الفرنساوية تدخل المترجَم فيهم، وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية إلى بلاد الشام، وعرف المترجم الفرنساوية أن النقابة كانت لبيتهم، وأنهم غصبوها منه، فقلدوه إياها، واستولى على وقفها وإيرادها، وانفرد بسكن البيت، وصار له قبول عند الفرنساوية، وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذى نظموه لإجراء الأحكام بين المسلمين، فكان وافر الحرمة، مقبول الشفاعة عندهم، وازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى، واجتمع عنده كثير من مماليك الأمراء المصرية الذين كانوا خائفين، وعدة خدم وقواسة، ومقدم كبير، وسراجين وأجناد واستمر على ذلك إلى أن حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى التى انتقض فيها الصلح، ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية، والأمراء المصرية وأهل البلدة، فهجم على داره المتهورين [المتهورون] من العامة ونهبوه . (انتهى) .

ولا التفات لما قاله الجبرتى مما لا يناسب شرف هذا البيت العالى المقدار، سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لا يوقف لها على قرار، ولا تعلم لها حقيقة، ولا يوصل لها إلى أصل صحيح، وقد رجع للمترجم ما أخذ منه، وانتظم حاله على أحسن مما كان، وعادت له أبهته، واكتسب بما حصل له كمالا ووقارا، وعمر عمارات فاخرة، وعاش عيشة هنيئة وانفصل عن نقابة الأشراف، وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية، وعن مشيخة سجادة السادة البكرية، وانتقلت إلى ابن عمه السيد محمد أفندى أبى السعود، سار فى المشيخة على أحسن الأحوال، وأكمل الأخلاق مدة حياته، ولزم المترجم الخمول مقتصرا على إصلاح شئونه، وتنقل فى أماكن متعددة، منها دار الخواجة أحمد محرم، أقام بها مدة، ثم انتقل إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى بحارة عابدين، وجدد به عمارة فاخرة، واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة الفرن، وأتقن تشييدها، وغرس فيها بستانا جميلا، ولم يزل على خموله، ملازما إصلاح شئونه، إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى منتصف شهر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف، ودفن عند أسلافه بمدفن السادة البكرية بجوار سيدنا ومولانا الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ورحمهم أجمعين (الخطط ٣ / ٣٨٨، ٣٨٩) .

وقد فصل هذه الترجمة وأضاف إليها الأستاذ محمد كمال السيد فى بحث له جاء فيه مايلى :

لم يكن السيد خليل من علماء الأزهر. وإن كان الأرجح

أنه تلقى دراسته بالأزهر مثل عموم المثقفين فى ذلك العصر. ولكنه كان سليل البيت البكرى الصديقى. وينتهى نسبه إلى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

وساق لهم صاحب الخطط التوفيقية سلسلة من النسب بها (٣٨) اسما حتى وقت على باشا مبارك «الخطط طبعت سنة ١٣٠٥هـ / سنة ١٨٨٧ م) وهى تتفق إلى حد كبير مع سلسلة النسب التى ذكرها الجبرتى (آخر تاريخ الجبرتى سنة ١٢٣٦ هـ) ـ سنة ١٨٢٠ م) مع اختلافات يسيرة فى ترتيب بعض الأسماء. وهى خلافات تغتفر نظرا لتكرر الأسماء. فمثلا نجد اسم محمد فى ثلاثة أجيال متعاقبة، ولكل منهم كنية ولقب ومن الصعب ضبط مثل هذه الأمور فى فترة ثلاثة عشر قرنا. ونميل إلى ترجيح ما ذكره على مبارك فهو على ما يبدو قد استمد معلوماته من آل البيت البكرى بما عندهم من مستندات.

كما يبدو أنه أراد مجاملتهم فردد مانقل إليه من تاريخهم أنهم ينتسبون إلى البيت النبوى الكريم عن طريق والدة جدهم السادس عشر (ابتداء من السيد عبد الباقى الموجود فى زمن على مبارك).

فهى شريفة من نسل الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب.

وفى هذا بعض الشك. فقد ذكر ابن عقبة [ابن عنبة] فى كتاب «عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب» أن الحسن المثلث لم يعقب إلا من ولده عبد الله. وفى كتاب الفيروزابادى (النفحة العنبرية فى أنساب خير البرية) أن المعقبين من أولاد الحسن المثنى خمسة. وليس فيهم الحسن المثلث. وذكر أن الحسن المثلث مات مسموما فى عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان. وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (جـ ٢ ص ٥٩) أن الحسن المثلث أعقب عليا الذى أعقب الحسين الذى ثار وقتل سنة ١٦٩ هـ. فهذه ثلاثة أقوال متضاربة.

ولكن لا نرى داعيا للتفصيل والمناقشة. فنسبة الشرف للبيت النبوى الكريم قد تأتى بالتواتر. كما قد تأتى من طريق النساء، وقد تولى بعض السادة البكرية نقابة الأشراف. ولم يكن يجوز هذا إلا إذا كان معاصروهم يعتبرونهم منهم.

كذلك أرجع على مبارك وجودهم فى مصر إلى ما قبل سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) بناء على حجة موجودة بخزانتهم بالتاريخ المذكور أن المظفر تقى الدين شاهنشاه بن أيوب (أخا صلاح الدين) أنشأ مدرسة للشافعية بالفيوم. وأوقف عليها أطيانا. وشرط التدريس فيها «السيدنا ومولانا شيخ الإسلام والمسلمين. بقية السلف الصالحين، سلالة صديق سيد المرسلين، أبى الأشراف نجم ابن مولانا أبى المكارم عيسى ابن مولانا أبى المحامد شعبان، الصديق الشافعى، ثم من بعده لذريته ونسله وعقبه المقلدين لمذهب الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى».

ونجم المذكور بهذه الحجة هو الجد الخامس والعشرون (ابتداء من السيد عبد الباقى الموجود بزمن على مبارك) بسلسلة النسب التى ساقها صاحب الخطط التوفيقية.

فلا شك أنه بيت عريق فى المجد. وكانت لهم مساكن متعددة بباب الخلق، وعابدين، وعلى الخليج المصرى تجاه زاوية جلال الدين الشهيرة بالجامع الأبيض (غربى شارع بور سعيد بين باب الشعرية والظاهر). وبالأزبكية بدرب عبد الحق. والأخير كان مطلا على بركة الأزبكية وكان يعمل فيه المولد النبوى الكريم فى عهد الفرنسيين. كما سنذكر بإذن الله.

وعند تنظيم منطقة الأزبكيه فى عهد إسماعيل أخذ منهم بيت الأزبكية المذكور وعوضهم عنه بسراى عباس باشا الأول بالخرنفش وصار مكان جزء من بيت الأزبكية مبنى صندوق الدين قبل إلغائه بين البوستة العمومية وميدان إبراهيم باشا.

وكان لهذه الأسرة علامة مميزة. وهى أنه إذا دنا أجل أحدهم يظهر بعقبه الأثر الشريف ـ وهو أشبه باللدغة ـ ويرجعونها إلى اللدغة التى أصابت أبا بكر الصديق فى الغار مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى أثناء الهجرة إلى المدينة. وإذا ظهرت هذه العلامة قطع الأمل من شفاء المريض. وهى دليل على صحة النسب عندهم. وتظهر العلامة عند وفاتهم من رجال ونساء وأطفال حتى ولو كان سقطا (الخطط التوفيقية ٣ / ١٢١).

وكان شيخ السجادة البكرية يجمع أحيانا ـ فضلا عن الخلافة البكرية ـ نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية

والأضرحة والتكايا. وناهيك بما لبعض الأضرحة الكبيره مثل الإمامين الحسين والشافعي وغيرهما من أوقاف ونذور.

ويحسن أن نذكر أن نقابة الأشراف لم تكن وقفًا على أسرة معينة. بل تولاهما أشراف من أسر شريفة مختلفة مثل الرفاعى والسادات الوفائية وغيرهما.

وفى سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٥ م) تولى نقابة الأشراف أبو الأمداد أحمد سبط أبى الخير عبد الخالق أبى الوفا. فلما عين سنة ١١٧٦ فى خلافة بيتهم (السادات الوفائية) تنازل عن نقابة الأشراف للسيد محمد البكرى. وهو ابن عم السيد خليل المترجَم له وزوج أخته. وكانت مشيخة السجادة البكرية وقتذاك للسيد أحمد البكرى أخى السيد خليل.

وأبو الوفا لقب أسرة السادات الوفائية. وبعد أبى هادى محمد سلف أبى الأمداد أحمد المذكور انقطع نسل الأسرة من الذكور. فتولى أحمد المذكور مشيخة السجادة الوفائية. ووالدته ووالدة شمس الدين أبى الأمداد محمد السادات المعروف فى زمن الفرنسيين ومحمد على بنتا عم. وشمس الدين هو ابن عبد الرحمن عارفين الملقب بالخواجة لقب كبار التجار فى البضائع الأجنبية ـ وهو ليس من السادات الوفائية.

ولم يكن السيد خليل محل تقدير من أسرته ومن أولى الأمر. لما فى سلوكه من رعونة. ولارتكابه أمورا غير لائقة كتعبير الجبرتى. فلما توفى أخوه السيد أحمد سنة ١١٩٥ تخطوه فى مشيخة الطريق. وعينوا ابن عمه السيد محمد البكرى الصديقى المذكور فجمع بين المشيخة ونقابة الأشراف.

ثم تخطوه مرة ثانية لما توفى السيد محمد البكرى المذكور سنة ١١٩٦ هـ فعينوا ابنه محمد أفندى البكرى فى المشيخة ونقابة الأشراف فظل فيهما حتى توفى سنة ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣م).

وقد أخطأ الجبرتى عندما ذكر أن خليلا هو ابن خال محمد أفندى البكرى المذكور. فالواقع أنه خال محمد أفندى البكرى ولفظ «ابن» أضيف سهوا من المؤلف أو خطأ من الناسخ أو الناشر. وقد ذكر الأستاذ محمد فريد أبو حديد كتابه «سيرة السيد عمر مكرم ص ٤٤» أن السيد خليل خال محمد أفندى البكرى.

وبعد وفاة محمد أفندى البكرى تولى مشيخة السجادة البكرية خاله السيد خليل المترجم له. أما نقابة الأشراف فقد تولاها السيد عمر مكرم.

يدلنا هذا على على أن السيد خليل لم يكن محل ثقة أو تقدير من أهله أو من الأمراء الذين كان بيدهم الأمر وقتذاك. فقد انتقل مراد بك فى المرتين السابقتين وألبس الخليفة الخلعة وقلده المنصبين. ولما استقر الرأى أخيرا على تعيينه اكتفى بتوليته خلافة بيتهم. أما نقابة الأشراف فقد أعطيت للسيد عمر مكرم الذى كان نجمه بدأ فى الصعود وأخذت شخصيته تظهر فى مجرى الأحداث.

فلما قدم الفرنسيون. وخرج السيد عمر مكرم مع من خرجوا إلى الشام. تداخل خليل معهم. وأفهمهم أن نقابة الأشراف لبيتهم. وأنها غصبت منه. فقلدوه إياها فى ربيع الأول سنة ١٢١٣ هـ (أغسطس سنة ١٧٩٨ م). واستولى على وقفها. ونودى فى المدينة «بأن كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها إلى النقيب»

وعظم شأنه بتعيينه فى الديوان فضلا عن مشيخة الطريق ونقابة الأشراف. فازدحم بابه بأصحاب الدعاوى والشكاوى. ولجأ لخدمته مماليك الأمراء المتغيبين يحتمون به.

وكان عند خلافه مع ابن عمه على الخلافة. قد قسم المنزل الذى بالأزبكية وعمَّر نصيبه وأنشأ به بستانا به أصناف الأشجار والفواكه. فلما استقرت له الأمور فى عهد الفرنسيين استولى على بقية المنزل وضمه إلى نصيبه وانفرد بسكنه. وكان يحتفل فى منزله هذا بليلة المولد النبوى. فيدعو كبار القواد الفرنسيين للعشاء. ويخلع عليه صارى عسكر (أى القائد الأكبر) خلعة فى هذه المناسبة. وهم من جانبهم يرسلون إلى منزله الطبلخاناه الكبيرة (فرقة من الموسيقى) تدق الطبول مع المزامير المختلفة الأصوات. ويطلقون صواريخ نارية فى الهواء.

والشعب المصرى شديد الحساسية بسلوك قادته وزعمائه. فلما قامت ثورة القاهرة الثانية (مارس / أبريل سنة ١٨٠٠ م) بعد نقض معاهدة العريش. اتهمه الشعب بموالاة الفرنسيين. وهجم عليه طائفة من جنود الأتراك والمماليك مع بعض العامة، فنهبوا داره بالأزبكية. وسحبوه مع أولاده

وحريمه إلى الجمالية ماشيا على قدميه عارى الرأس . وأهين أشنع إهانة . فلما وصلوا الجمالية أخذه أحمد محمود محرم التاجر (أحد أعضاء الديوان الثانى) إلى منزله فآواه حتى انتهت الثورة .

ولما فرض كليبر بعد هذا الغرامة الفادحة على أهالى القاهرة تأديبا لهم . أعفاه من هذه الغرامة لما حصل له . بل وعوضه عما فقد . وبعد أن تخربت داره بالأزبكية انتقل إلى بيت البارودى بباب الخلق ثم إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى بشارع رحبة عابدين (شارع مصطفى باشا عبد الرازق حاليا) .

وبعد خروج الفرنسيين نزعت منه نقابة الأشراف . فقد حضر شخص من استانبول فى ديسمبر سنة ١٨٠١ م ومعه مرسوم بولايته النقابة . ولم يكن هذا الشخص محل ثقة من الأهالى والأشراف . فقد حصل على هذا المرسوم بطرق مريبة . فراجع ولاة الأمر فى مصر السلطان فى استانبول . فعزل . وتقرر بدله نقيبا للأشراف السيد عمر مكرم فى ١٨ / ٤ / ١٨٠٢ م .

ولما تولى خسرو باشا ولاية مصر جمع الوالى الجديد المشايخ فى ١٩ / ٣ / ١٠٨٢ م وتكلم معهم فى عزل السيد خليل البكرى عن مشيخة البكرية . فوافقوه . وتعين بدله فى المشيخة السيد محمد أبو السعود البكرى من فرع آخر غير فرعه من البيت البكرى .

وهكذا نزعت منه نقابة الأشراف ومشيخة البكرية .

وكان قد عقد لابنه أحمد على بنت المرحوم محمد أفندى البكرى السابق له فى المشيخة . فتصدى له السيد عمر مكرم والشيخ محمد السادات وآخرون بعد عزل خليل من المشيخة والنقابة وأبطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضى .

وقصة أخرى تدل على هوان خليل البكرى بعد خروج الفرنسيين ــ فقد ذكر الجبرتى فى ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ (٢٣ / ٧/ ١٨٠١ م) أى بعد خروج الفرنسيين من القاهرة بأيام :

حضر اليسرجى (وهو تاجر الرقيق الأبيض أما تاجر الرقيق الأسود فكان يسمى الجلاب غالبا) الذى كان جلب مملوكا للشيخ البكرى وادعى أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيس، وأخذه منه دون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك . وطال بينهما النزاع . وآل الأمر بينهما إلى انتزاع المملوك من خليل . وكان قد أعتقه وعقد له على ابنته فأبطلوا العتق . وفسخوا الزواج . وأخذ المملوكَ عثمانُ بك الطنبورجى المرادى . ودفع للشيخ دراهمه . ولجلابه باقى الثمن .

واشترى خليل لنفسه دارا بحارة الفرن (متفرعة من شارع إسماعيل بك خلف حارة السادات بدرب الجماميز) واشترى بيتين بجوارها من بيوت الأمراء الأقدمين ضمهما إليها . وعمر الجميع عمارة متقنة . وباع فى سبيل ذلك حصصه والتزامه . واكتفى بما يخصصه فى وقف جده لأمه الشيخ الحفنى (شيخ الأزهر توفى سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م) وكانت هذه الدار كبيرة تصل حدودها إلى دار السادات الوفائية . فبعد وفاة خليل سنة ١٢٢٣ هـ (سنة ١٨٠٩ م) تعرض الشيخ السادات لابنه أحمد وأخذ بستان هذه الدار بأبخس الأثمان . فأضافه إلى بستان السادات . وأقام جدارا سد به شبابيك منزل البكرى وأظلمه وتوفى خليل البكرى فى فقر ودين وخمول .

وقد أغفلنا ذكر بعض المخزيات فى سلوك خليل البكرى التى وردت فى تاريخ الجبرتى تنزيها لمجلة الأزهر عن ترديدها . ولكن نقول إنه جميل من على باشا مبارك أن يحاول ستر عثرات شخص من بيت كريم له مكانته الاجتماعية والدينية فى وقته فقد قال فى ختام ترجمة السيد خليل البكرى . بعد أن أغفل ذكر بعض الوقائع التى ذكرها الجبرتى وخفف من ألفاظ البعض الآخر: «ولا التفات لما قاله الجبرتى مما لا يناسب شرف هذا البيت العالى المقدار. سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لا يوقف لها على قرار. ولا تعلم لها حقيقة ولا يوصل لها إلى أصل صحيح» .

كما قال فى ختام الفذلكة التى ذكرها عن البكرية : «فلا يريبن القارئ ما عسى أن يقف عليه فى بعض الكتب مما يخالف ذلك فإنه مع قلته لا يعول عليه» .

مع أنه لم يذكر فى هذه الفذلكة اسم السيد خليل فى حين أنه ذكر فيها جميع ما أمكنه الوصول إليه من تراجم من تولوا المشيخة . بل وتراجم من كان لهم ذكر من فروعهم ولم يتولوا المشيخة .

وهو إنكار عاطفى لم يقم عليه أى دليل . فهو مجرد

نفى. ولا يعيب الأسرة أن ينحرف بعض أعضائها. فى فترات أجيال كثيرة العدد، فالناس بشر، ولا عصمة إلا لنبى. وليس من حق المؤرخ أن يخفي الوقائع. وإن كان يجوز له أن يفسرها أو يوجد لها المبررات. (الأزهر جامعا وجامعة» / ١٢٠٢ - ١٢٠٩).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٣ / ٣٨٨، ٣٨٩، و«الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام» - محمد كمال السيد - مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة الحادية والخمسون، رجب ١٣٩٩ هـ - يونية ١٩٧٩ م / ١٢٠٢ - ١٢٠٩).

*** خليل أمير المؤمنين:**

يقول الدكتور حسن الباشا:

خليل أمير المؤمنين: عرف هذا اللقب فى الدولة الفاطمية: فأطلق على اليازورى بدلا من «خالصة أمير المؤمنين» الذى كان قد لقب به عند إسناد الوزارة إليه فى المحرم سنة ٤٤٢ هـ.

ثم استعمل للملوك الأيوبيين منذ صلاح الدين: فبعد أن خطب للعباسيين أرسل إليه الخليفة المستضىء الخلع والألوية ولقبه «بخليل أمير المؤمنين»؛ وورد هذا اللقب ضمن ألقابه فى نص إنشاء بتاريخ شهر صفر سنة ٥٨١ هـ من قلعة جندى بسوريا. وفضلا عن ذلك كان يستعمل للعادل أثناء سلطنة صلاح الدين: فأطلق عليه فى نص بتاريخ سنة ٥٧٩ هـ على قلعة القاهرة؛ ولما تسلطن العادل سنة ٦٠٤ هـ أرسل إليه الخليفة العباسى الناصر يقلده جميع البلاد التى فتحها ويخاطبه «بشاهنشاه، ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين». وورد اللقب ضمن ألقابه فى نقوش أثرية ببيت المقدس بتاريخ سنة ٥٨٩ هـ وبدمشق من سنة ٦٠٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ، وبالقاهرة بتاريخ سنة ٦٠٨ هـ وأطلق اللقب أيضا على الملك الصالح أيوب فى نص بتاريخ سنة ٦٤١ هـ فى مدرسته، كما كان يطلق على ابنه من شجر الدر: خليل.

وفى عهد المماليك صار هذا اللقب يطلق بصفة دائمة على أولاد الملوك فكان خليل بن قلاوون يلقب به قبل سلطنته.

وبالإضافة إلى ذلك كان يطلق على بعض الملوك الأجانب حين يكتب إليهم عن السلطان.

ورتبه القلقشندى تاليا فى الرتبة «لقسيم أمير المؤمنين»، وعلل ذلك من ناحية لغوية بأن القسيم بمعنى المقاسم أى أنه قاسم أمير المؤمنين الملك وساهمه فى الأمر فصارا فيه مشتركين، أما خليل فمأخوذ من الخلة وهى الصداقة، وفرق بين من يقاسم الخليفة فيصير عديله فى الأمر، وبين من يكون خليله أو صاحبه.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٠٠، ٢٠١).

*** الخليل بن أحمد ١٠٠ - ١٧٥ هـ ٧١٨ - ٧٨٦م):**

الخليل بن أحمد إمام العربية مذكور فى الروضة فى باب الاعتكاف هو إمام العربية أبو عبد الرحمن البصرى الخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى والفراهيد بفتح الفاء وكسر الهاء وبدال مهملة هذا هو الصواب. وقال السمعانى هو بذال معجمة وهو تصحيف بلا شك. وكتب العلماء من الطوائف متظاهرة متطابقة على أنه بالمهملة. قال الجوهرى فى صحاحه: كان يونس يقول فرهودى والفراهيد بطن من الأزد. (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٧، ١٧٨)، وكان يونس يقول: فُرْهُودى مثل قردوسى. والفراهيد: صغار الغنم (إنباه الرواة ١ / ٣٤١) قال ابن أبى حاتم روى الخليل عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس. وعن أيوب السختيانى روى عنه النضر بن شميل والأصمعى وعلى بن نصر ووهب بن جرير. قال ابن قتيبة فى المعارف كان الخليل ذكيا لطيفا فطنا واتفق العلماء على جلالته وفضائله وتقدمه فى علوم العربية من النحو واللغة والتصريف والعروض وهو السابق إلى ذلك المرجوع فيه إليه وهو شيخ سيبويه إمام أهل العربية وكان الخليل ورعا قال أهل التواريخ والأنساب لم يسم أحد بعد نبينا ﷺ أحمد قبل أبى الخليل هذا واعلم أن فى العلماء والرواة ستة يسمى كل واحد منهم الخليل بن أحمد أولهم أبو عبد الرحمن هذا (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٨).

وقد شب على حب العلم، فتلقى عن أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفى وغيرهما، ثم ساح فى بوادى الجزيرة العربية، وشافه الأعراب فى الحجاز ونجد وتهامة إلى أن ملأ جعبته، ثم آب إلى مسقط رأسه البصرة، واعتكف فى داره دائبا على العلم ليله ونهاره هائما بلذته الروحية، فنبغ فى العربية نبوغا لم يسبق إليه، وبلغ الغاية فى تصحيح القياس

واستخراج مسائل النحو، قال الزبيدي: «وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه وسبب علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته، ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفا أو يرسم منه رسما ترفعا بنفسه وترفعا بقدره إذ كان قد تقدم إلى القول عليه والتأليف فيه. فكره أن يكون لمن تقدمه تاليا، وعلى نظر من سبقه محتذيا، واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه، ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته، فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلده وألف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدم قبله، كما امتنع على من تأخر بعده».

فلا غرو أنه لولا تعهد الخليل النحو في نشأته لبعد عنه طور النضج والكمال، فللخليل فضل النهوض به كما لأبي الأسود فضل تكوينه، نعم، قد اتفقت كلمة العلماء على أن الخليل واضع فن الموسيقى العربية، وواضع علم العروض والقافية (نشأة النحو/ ٧٧، ٨٧).

استنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم. وقيل إنه دعا بمكة أن يرزق علما لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه، ففتح عليه بالعروض.

(قال حمزة الأصفهاني: إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض؛ الذي لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين، من وقع مطرقة على طست، وروى ابن خلكان أن الخليل كان يقطع بيتا من الشعر، فدخل عليه ولده في تلك الحالة، فخرج إلى الناس وقال: إن أبي قد جن، فدخل الناس عليه، وهو يقطع البيت، فأخبروه بما قال ابنه، فقال له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني
وعلمت أنك جاهل فعذرتكا)

وللخليل بن أحمد قصيدة على «فَعَلُنْ فَعَلُنْ» ثلاثة متحركات وساكن، وله قصيدة أخرى على «فَعْلُنْ فَعْلُنْ» متحرك وساكن، فالتي على ثلاثة متحركات وساكن قصيدته التي فيها:

سُئلوا فأبوا فلقد بخلوا
فلبئس لعمرك ما فعلوا
أبكيت على طلل طربا
فشجاك وأحزنك الطلل

والتي على «فَعْلن» ساكنة العين قوله:

هذا عمرو يستعفي من
زيد عند الفضل القاضي
فانهوا عمرا إني أخشى
صول الليث العادي الماضي
ليس المرء الحامي أنفا
مثل المرء الضيم الراضي

فاستخرج المحدثون من هذين الوزنين وزنا سموه «المخلَّع»، وخلطوا فيه من أجزاء هذا وأجزاء هذا.

(وروى أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين أيضا: «ومن بدائعه (الخليل) ما أخبرنا به محمد بن يحيى قال: أنشدني عمر بن عبد الله أبو حفص العتكي قال: أنشدني أبو الفضل جعفر بن سليمان بن محمد بن موسى النوفلي عن الحرمازي، للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة، يستوي لفظها ويختلف معناها. وإنما أراد أن يبين أن تكرار اللفظ في القوافي ليس بضائر؛ إذا لم يكن لمعنى واحد، وأنه ليس بإيطاء. والأبيات:

ياويح قلبي من دواعي الهوى
إذ رحل الجيران عند الغروبْ
أتبعتهم طرفي وقد أمعنوا
ودمع عيني كفيض الغروبْ
بانوا وفيهم طفلة حرة
تفتر عن مثل أقاح الغروبْ

فالغروب الأول: غروب الشمس، والغروب الثاني: جمع غرب، وهي الدلو العظيم المملوءة، والغروب الثالث: جمع غرب، وهي الوهاد المنخفضة.

والخليل بن أحمد أول من دوّن معجما فى اللغة بتأليفه معجما فى اللغة «كتاب العين» (نشأة النحو / ٧٨)يقول الإمام النووى: وبعض العلماء ينسبون كتاب العين إليه وبعضهم ينكر ذلك ويقول كانت مقطعات جمعها الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل وزاد فيها ونقص ونسبها إلى الخليل وهو برىء منها واتفقوا على كثرة الأغاليط فى كتاب العين وكثيرا مما ينقل الأزهرى فى تهذيب اللغة عن العين من الأغاليط ويقول هذا من عدد الليث (تهذيب الأسماء ١ / ١٧٨) .

ويقول القفطى:

واستنبط أيضا من علم النحو ما لم يسبق إليه، وحصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب «العين» .

وأما «كتاب العين» فقد اختلف الأئمة فيه، فمنهم من ينسبه إليه، ومنهم من يحيل نسبته إلى غيره، وقد استوفى ابن درستويه الكلام فى ذلك فى كتاب له مفرد لهذا النوع، ملكته بخط تيزون الطبرى(هو إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبرى) وهو تصنيف مفيد.

(سمى كتاب «العين باعتبار أول أجزائه، وقد راعى فى هذا الترتيب مخارج الحروف، فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعدها من حروف الحنك ثم الأضراس، ثم الشفة، وجعل حروف العلة آخرا، وهى الحروف الهوائية . ونسب بعضهم كتاب العين إلى الليث بن نصر بن سيار الخراسانى . قال الأزهرى: كان الليث رجلا صالحا عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينفق كتابه باسمه، ويرغب فيه من حوله . وقال بعضهم: عمل الخليل من كتاب العين قطعة من أوله إلى حرف الغين، وكمله الليث، ولهذا لا يشبه أوله آخره، وقد نقل السيوطى فى المزهر ص (١ / ٧٦) وما بعدها آراء العلماء التى دارت حول هذا الموضوع . وانظر كشف الظنون ١٤٤١ / ١٤٤٣) (إنباه الرواة ١ / ٣٤٣) .

وللخليل بن أحمد بعدئذ مأثرة الشكل العربى المستعمل الآن(نشأة النحو / ٧٨) .

وكان الخليل من الزهاد، وقال: إن لم تكن هذه الطائفة ـ يعنى أهل العلم ـ أولياءَ الله، فليس له ولى .

وذكر النسابون أنهم لا يعرفون بين النبى وأبى الخليل من اسمه أحمد سواه . ووهم يحيى بن معين، وقال فى نسب أبى السفر: (السفر بفتح السين والفاء، وهو سعيد بن محمد، وقيل أحمد أبو السفر الهمدانى الكوفى) «ابن أحمد»، وهو أقدم من أبى الخليل . والصحيح فى اسمه «ابن يحمد» .

وكان من الزهاد فى الدنيا والمنقطعين إلى العلم . ويروى عنه أنه قال: إن لم تكن هذه الطائفة ـ يعنى أهل العلم ـ أولياء الله فليس لله ولى .

وقد كان وجه إليه سليمان بن على من الأهواز ـ وكان واليها ـ يلتمس منه الشخوص إليه وتأديب أولاده ويرغبه ـ ويقال: إن الذى وجه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب . من أرض السند يستدعيه إليه ـ وكان الخليل بالبصرة، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان بن على خبزا يابسا وقال: ما عندى غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لى فى سليمان . فقال الرسول: فماذا أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول .

أبلغ سليمان أنى عنك فى سعة ... وفى غنى، غير أنى لست ذا مال

سخَّى بنفسى أنى لا أرى أحدا ... يموت هُزْلا ولا يبقى على حال

(أخبار النحويين البصريين / ٥٥) .

ويحكى القفطى ذلك على النحو التالى:

وكان الخليل عفيف النفس؛ لا يختار صحبة الملوك والأمراء . ووجه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب من السند يستزيره ـ وكان له عليه جار (يريد بالجارى ما كان يجريه عليه من رزق) فكتب إليه:

أبلغ سليمان أنى عنه فى دعة ... وفى غنى غير أنى لست ذا مال

سخى بنفسى أنى لا أرى أحدا ... يموت هزلا ولا يبقى على حال

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال

والفقر فى النفس لا فى المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى فى النفس والمال

فلما بلغ سليمان قطع جاريه عليه عنه، فقال:

إن الـــذى شق فمى ضـــامن
لى الـــرزق حتى يتـــوفـــانى
حرمتنى خيـــرا كثيـــرا فمـــا
زادك فى مـــالك حـــرمـــانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر، وأضعف جائزته، فقال الخليل:

وزلـــة يكثـــر الشيطـــان إن ذكـــرت
منهـــا التعجب جـــاءت من سليمانا
لا تعجبن لخيـــر زل عـــن يـــده
فـــالكـــوكب النحس يسقى الأرض أحيـــانا

وأنشد له المبرد فى معناه:

صلب الهجـــاء على امـــرئ من قـــومنـــا
إذ حـــاد عـــن سنن السبيل وحـــادا
أعطى قليـــلا ثـم أقلع نـــادمـــا
ولـــربمـــا غلط البخيل فجـــادا

ثم يقول القفطى:

وقال النضر بن شميل: أقام الخليل فى خص من أخصاص البصرة (الخص: البيت من القصب) لا يقدر على فلس، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال؛ ولقد سمعته يقول: إنى لأغلق على بابى، فما تجاوزه همتى.

وقال وهب بن جرير: كان الخليل بن أحمد يكثر إنشاد بيت الأخطل:

وإذا افتقـــرت إلى الـــذخـــائر لم تجـــد
ذخـــرا يكـــون كصـــالح الأعمـــال

وقيل: لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل، ولا أجمع لعلم العرب (إنباه الرواة ١ / ٣٤٤، ٣٤٥).

شعره:

وكان الخليل يقول الشعر، البيتين والثلاثة ونحوها. قال ابن قتيبة:

وأنشدنا «ابن هانئ» صاحب «الأخفش» قال: أنشدنى «الأخفش» له: [بسيط]

واعمـل بعلمى ولا تنظـــر إلى عملى
ينفعك علمى ولا يضـــرك تقصيـــرى

وأنشدنا له أيضا:

[متقارب]

كفَّـــاه لم تُخلقـــا للنـــدى
ولـم يك بُخلهمـــا بـــدعـــهْ
فكف عن الخيـــر مقبـــوضـــة
كمـــا نقصت مـــائة سبعـــه
وكـف ثـــلاثـــة آلافهـــا
وتسع مئين لهـــا شـــرعـــه

(المعارف / ٥٤٢).

ويروى له فى الزهد:

وقبلك داوى المـــريضَ الطبيبُ
فعـــاش المـــريض ومـــات الطبيب
فكن مستعـــدا لـــداعى الفنـــاء
فإن الـــذى هـــو آت قـــريب

والخليل أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية فى كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه: وسألته، أو: قال، من غير أن يذكر قائله. فهو الخليل.

(أخبار النحويين البصريين / ٥٦).

مصنفاته:

يقول القفطى:

والذى تحقق أن الخليل صنفه: كتاب «العين» فى اللغة، مشهور. كتاب «العروض». كتاب «الشواهد». كتاب «النقط والشكل»، كتاب فى «العوامل»، منحول عليه، كتاب «النغم» (روى الزبيدى فى الطبقات: «لما صنع إسحاق بن إبراهيم كتابه فى النغم واللحون عرضه على إبراهيم بن المهدى، فقال: أحسنت يا أبا محمد، وكثيرا ما تحسن، فقال إسحاق: بل أحسن الخليل؛ لأنه جعل السبيل إلى الإحسان. قال إبراهيم: ما أحسن هذا الكلام! فمن أخذته؟

قال: من ابن مقبل؛ إذ سمع حمامة من المطوقات، فاهتاج لمن يحب، فقال:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بلى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهاج لى البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم)

(إنباه الرواة ١ / ٣٤٦).

ويضيف صاحب الفهرست كتاب «الإيقاع» (الفهرست / ٦٥، وأضاف الزركلى: كتاب «معانى الحروف» (مخطوط)، وكتاب «جملة آلات العرب» (مخطوط) و «تفسير حروف اللغة» (مخطوط)، ولم يذكر كتاب «الشواهد») الأعلام ٢ / ٣١٤).

ويحصى الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين، فى بحث قيم له، «مبدعات الخليل» فيقول:

قضى الخليل حياة حافلة بالمنجزات الضخمة والأعمال الخالدة ... ونذر نفسه للعلم حتى سهل قياده، فكان ذروة شامخة تنحط عنها الذرى ... ».

وقد أطلعتنا دراسة الخليل على عناصر الإبداع التى توفرت له والتى قادته إلى الآتى:

١ - إبداع فى علم اللغة.
٢ - إبداع فى علم الصوتيات.
٣ - إبداع فى علم العروض.
٤ - إبداع فى الفكر التربوى.

إبداع الخليل فى اللغة:

قال الليث بن المظفر كنت أسير إلى الخليل بن أحمد، فقال لى يوما: لو أن أنسانا قصد وألَّف حروف ألف وباء وتاء وثاء على ما أمثِّله لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب، فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شىء منه بتة، قال: فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائى، والثلاثى، والرباعى، والخماسى وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه، قال الليث فجعلت أستفهمه ويصف لى، ولا أقف على ما يصف فاختلفت إليه فى هذا المعنى أياما...

وقال الخليل: «لو أن إنسانا قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثاء ...إلخ) يدل دلالة واضحة على تمثله فكرة تأليف أبنية الكلمات، فاللغة تتألف من حروف مشكل مادتها، والحروف فى العربية تسعة وعشرون، فلا بد للدارس إذن أن يعرف طبيعتها وخصائصها، وما يقوم عليه بناء الكلمة، وما لا دخل له فى البناء، ولا بد أن يكون الخليل قد أطال النظر فى ذلك، وتدبر أمر هذه الحروف، فلم يمكنه ترتيب الحروف من ذلك، فبحث وفكر فأمدته عبقريته بفكرة قلب التسلسل الحرفى المعهود (أ ب ت ث) ليرتبها بحسب مخرجها من الحلق.

وهو فى ذلك يرمى إلى إعادة تنظيمها على أساس علمى واضح، وهذا أسلوب علمى يبتدعه المبدعون لتكون له الديمومة والقوة والفاعلية، وهو أسلوب يدلنا على عقلية الخليل المنظمة غاصت فى اللغة معرفة وتبحرا لتعود بها إلى بناء جديد يعتمد دراسة الأصوات باستخدام مخارج الحروف التى تتألف منها اللغة عن طريق جهاز النطق، «ليعرف مواقع تلك الأصوات فى جهاز النطق، ويقف على خصائصها، وما يترتب على تآلفها وتجاورها، واستطاع بذلك أن يفسر ظواهر لغوية لم تكن لتفهم بدون فهم سابق لطبيعة الحروف وتفاعلها بتجاورها وتمازجها» (د. مهدى مخزومى، عبقرى من البصرة / ٣٥).

وقد أعمل الخليل ذهنه فى اللغة مستخدما الإحصاء، فوجد أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر (١٢, ٣٠٥, ٤١٢) ثم قسمها كالآتى:

الثنائى: سبعمائة وستة وخمسون (٧٥٦) بناء.

والثلاثى: تسعة عشر ألفا وستمائة وستة وخمسون (١٩, ٦٥٦) بناء.

والرباعى: أربعمائة وواحد وتسعون ألفا وأربعمائة (٤٩١, ٤٠٠) بناء والخماسى: أحد عشر مليون وسبعمائة وثلاثة وتسعون ألفا وستمائة (١١, ٧٩٣, ٦٠٠).

وقد جمعتها فوجدتها قد وصلت إلى المجموع الذى ذكره وهو (١٢, ٣٠٥, ٤١٢). وقد أدرك الخليل نظرية المحاكاة لأصوات الطبيعة، وهى إحدى نظريات نشأة اللغة، قال الخليل: «صر الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صرصرة، كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا، وتوهموا فى

صوت الأخطب ترجيعا». وقال: «صلَّ اللجام صليلا، فلو حكيت ذلك قلت: صل تمد اللام وتثقلها، وقد خففتها من الصلصلة، وهما جميعا صوت اللجام، فالتثقيل مد، والتضعيف ترجيع» (تهذيب الأزهرى ١ / ٤٩).

وقد لخص أبو الطيب اللغوى إبداع الخليل فى اللغة، فقال: وإبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب فى الحروف فى الكتابة المسمى بكتاب «العين» فإنه هو الذى رتب أبوابه، وتوفى من قبل أن يحشوه. ومهما قيل فى نسبة كتاب العين فإن المتفق عليه أن الخليل هو مبدع أبوابه وطريقته وإن اختلف فى حشوه.

٢ ـ إبداع الخليل فى الصوتيات:

«لا نعلم أحدا قبل الخليل تناول الحروف بالدرس تناول الخليل إياها، وإليه وحده يعزى هذا العمل الضخم الذى كان متمما للعَمل القرآنى الذى بدأه أبو الأسود، والذى كان عملا علميا يستند إلى فهم واع لطبيعة العربية، فقد أبدل الحركات بالنقط، التى كان أبو الأسود قد استخدمها رموزا للفتحة والضمة والكسرة فى أواخر الكلمات، فقد رمز للفتحة بألف صغيرة ترسم فوق الحرف، وللضمة بواو صغيرة ترسم فوق الحرف، والكسرة بياء راجعة (ـےـ) استغنى عن أحد شقيها ترسم تحت الحرف... وزاد على هذا، فوضع رمزا للهمزة، ورمزا للتشديد على ما نعرف اليوم، ووضع رموزا أخرى للإشمام، والروم وغيرهما (تهذيب الأزهرى ١ / ٥٠).

ولم يقتصر نفع هذه العلامات على أواخر الكلمات فقط، بل شملت سائر الحروف التى تتألف منها الكلمة، ولم يخش معها من تصحيف أو تحريف، لأنها ليست بنقط فتختلط بنقط الإعجام التى وضعها نصر بن عاصم الليثى تلميذ أبى الأسود، واستطاع الدارسون أن يضبطوا كلمات النصوص القرآنية بالحركات ضبطا كاملا، واستطاع اللغويون أن يضبطوا بها أوزان المفردات اللغوية على اختلافها...

وبملاحظة الخليل الحروف على هذا النحو، واستقراء صفاتها والوقوف على طبائعها، وكلامه على المجهور والمهموس، والمستعلى والمستفلى، والشديد، والرخو والأذلق، والمصمت، والصحيح والمعتل، ووضعه هذه الألقاب وغيرها، وكلامه على أبنية الكلمات، وجد الدارسون أمامهم السبل ممهدة، فظهرت طائفة القراء اللغويين الذين أفادوا من عمل الخليل وسموا أنفسهم بأهل التجويد، وطائفة أخرى انصبت عنايتها على النظر فى بناء الكلمة.

ومن الطريف حقا أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديثة تتفق أكثرها مع المصطلحات التى وضعها الخليل وهى قريبة منها كل القرب، بل كان كثير منها يشير إلى أنها مصطلحات الخليل ترجمة تكاد تكون حرفية.

ولم يكن لعلم الأصوات اللغوية عند الغربيين تاريخ بعيد، وكل ماكان لهم من ذلك، هو ماسبق إليه اليونان من دراسة للظواهر الصوتية من ناحية السماع ولم يتناولوا دراسة الأصوات من حيث مخارجها، ولا من حيث صفاتها بالصورة التى تمت على يد الخليل، ولم يسبق الخليل إلا بهذه الدراسة، ودراسة صوتية أخرى، قام بها الهنود، تناولت مخارج الحروف فقط (مهدى مخزومى، عبقرى من البصرة / ٤٠، ٤١).

٣ ـ إبداع الخليل لعلم العروض:

قال حمزة بن حسن الأصفهانى فى كتابه «التنبيه على حدوث التصحيف» إن دولة الإسلام لم تخرج للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول أبدع من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست» (وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٥).

وقال الخليل: «رتبت البيت من الشِّعر ترتيب البيت من بيوت العرب الشعر ـ يريد الخباء ـ قال: فسميت الإقواء ما جاء من المرفوع فى الشعر والمخفوض على قافية واحدة. وقال: وإنما سميته إقواء لتخالفه، لأن العرب تقول: أقوى الفاتل إذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى. وقال: وسميت تغير ما قبل حرف الروى سنادا من مساندة بيت إلى بيت إذا كان كل واحد منهما ملقى على صاحبه مستويا هكذا... وقال: والإكفاء ما اضطرب حرف رويه فجاء مرة نونا، ومرة ميما، ومرة لاما... مأخوذ من قولهم: بيت مكفأ إذا اختلفت شقاقه التى فى موجزه، والكفاءة الشقة فى مؤخر البيت، والإيطاء رد القافية مرتين.

أما أجزاء التفعيلة، من سبب ووتد، وفاصلة، فهى من

جنس تسمية بيت الشعر بالبيت، لأن الأسباب والأوتاد من لوازم الخباء، وهي كذلك من إجراء التفعيلات التي يقوم عليها بيت الشعر» (المرزباني، الموشح / ٢١).

ولم يدفعني إلى ذكر مسميات علم العروض وتفصيلها كما جاءت على لسان الخليل، إلا لألفت النظر إلى إبداع الخليل في اختراع الأسماء من مسميات البيئة العربية المحيطة به والتي عاشها، فأخذ مسميات الشِّعر من مسميات خباء الشَّعر الذي يعيش فيه العربي في البادية، وهي أحدث ما يعرض اليوم في الأسس التعليمية من طرق ناجحة تقوم على اعتماد التمثيل والتقريب من البيئة، وقد خلد وحده البيت العربي الذي يعيش فيه البدوي من العرب والحضري منهم أيام الربيع، خلد مسميات البيت في مخترعه العلمي.

ولا بد من التنويه هنا بما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، وفيها: «نقول وفن العروض قديم عند اليونان ولأرسطو فيه كتاب جليل، لكن لا يمكننا القول إن الخليل اهتدى إلى ذلك من الوقوف على كتب اليونان لأن هذه الكتب لم تترجم ولم تختلط علوم اليونان بعلوم العرب إلا في زمن المأمون وبعده» (دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٤٦١).

ولا يلتفت إلى ما جاء بعد ذلك من قول يعتبره المدققون هذيانًا وذلك قول بعضهم إن الخليل كان له إلمام تام باليونانية (المصدر السابق) وما هذا القول إلا نفثة من النفثات الشعوبية التي رأت إبداع الخليل للعروض أمرًا عجيبًا، فزعمت معرفته التامة باليانونية ليسلبوه هذا الفخر زاعمين أن منشأه من اليونان. . إلا أن المتفق عليه أيضًا أن الخليل هو مخترع علم العروض الذي قَصُرَ على أوزان العرب، ومن طريف ما قيل عن إبداع هذا أن الخليل تعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم ارزقني علمًا لم يسبقني إليه الأولون، ولا يأخذه إلا الآخرون ثم رجع وعمل العروض.

الإبداع التربوي في فكر الخليل:

رأينا الخليل قد بزَّ أقرانه، وأبدع في اللغة والصوتيات والعروض، فما آراؤه التربوية، وما نصيب الفكر التربوي عنده؟

لم يخلف لنا الخليل كتابا منفردًا في التربية، ولكنه ترك كثيرًا من الوصايا التربوية التي تناول فيها العلم والعلماء والطلبة، أي أنه تناول الحديث عن العناصر الأساسية في التربية، الذين يشكلون المادة الأولية والمعلمين الذين يجرون عمليات التفاعل التربوية، والمادة العلمية التي تصب في أذهان التلاميذ بأساليب مختلفة حسب ما يراه كل مربٍّ لإحداث التفكير المطلوب في سلوك المتعلمين، وقد استخدم في كل هذه المعطيات المنهج التجريبي لأنه كان عمليًا تجريبيًا في كل منهجه الإبداعي، فأظهر معرفة واسعة بأصول العلم وبأشكال المعلمين والمتعلمين.

وأظهر أسلوبًا في التعليم ينم عن إدراكه للفروق الفردية في التربية والاجتماع وأبدع في المنهج التجريبي العملي كما أبدع في البعد النظري.

فهو في تعامله مع التلاميذ معلما يكشف لهم سر العلم ويعطيهم مفاتيحه حيث يقول: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك» ويذهب أبعد من ذلك ليؤكد على الالتزام العلمي فيقول: «ثم أنت في إعطائه إياك بعضه مع إعطائك إياه كلك على خطر». فقد تفلح معه وقد لا تفلح (روضات الجنات، مخطوطة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية / ٢٧٣).

ويؤكد على الأسلوب الموسوعي في التعليم فمن الأجدى والأنفع للطالب أن يتعلم كل العلوم وإذا احتاج علما ما، فإنه لا بد له للوصول إليه من تعلم ما لا يحتاج إليه، فكان يقول: لا يصل أحد إلى ما يحتاج إلا بعلم ما لا يحتاج إليه» (المصدر السابق).

ويتناول الحديث عن أنسب أوقات الدراسة فيراه وقت السحر، لأن ذهن الإنسان يكون صافيا، وهذا موافق تماما للمعطيات العلمية والتربوية المعاصرة وعنه يقول: «أصفى ما يكون ذهن الإنسان، وقت السحر» (المصدر السابق). وأما وصول المتعلم إلى أكمل ما يسعى إليه في حياته التعليمية فهو في سن الأربعين يقول: «أكمل ما يكون الإنسان عقلا وذهنا إذا بلغ أربعين سنة» (المصدر السابق).

وينبه المتعلم إلى الاستقلال بشخصيته ومنهجيته وعدم التأثر بالمعلم، والانسياق وراءه إلا بعد سماع ما عند غيره للوصول إلى صحة ما يقوله، وهذا مما اكتسبه بالتجربة والدربة وسمعه من أستاذه أيوب السختياني، فخلده فى قوله: «لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره» (المصدر السابق).

وقد كان الخليل يدرك الفروق الفردية فى التربية والتعليم والاجتماع، ويُعد فى هذا الجانب التربوى سبَّاقا لعصره، إذ أن هذا الموضوع (الفروق الفردية) هو من أهم ما تعنى به الدراسات الحديثة فى التوجيه النفسى، والمناهج التربوية والتخطيط الاجتماعى لإعداد أفراد المستقبل، وأهمية دراسة الفروق تأتى من أن الفرد هو حجر الزاوية فى كل إصلاح جذرى عميق، وأن التوجيه والمناهج والتنظيم لا تحقق النجاح إذا تجاهلت تكوين الأفراد الذى تتفاعل معهم، ولم تدرك ما يمتازون به من مواهبَ واستعدادات (الفروق الفردية، د. عبد الحميد الهاشمى / ٣).

ولذا فقد ظهر من حلقة الخليل تلاميذ متخصصون بسبب براعة الخليل فى اكتشاف مواهبهم ومعالجتهم تعليميا حسب الفروق التى بينهم، فكان سيبويه متخصصا فى العروض.

وقد توصل الخليل إلى الكشف عن الفروق الموجودة بين تلاميذه وتحسس درجات الذكاء عندهم بالتجربة.

«فإذا وجه التلميذ أو التحق بحلقة دون توجيه، ورأى المدرس فى هذه الحالة أو تلك أن التلميذ ينبغى له أن يفارق هذه الحلقة إلى سواها فإن المدرس ما كان يتردد فى إبلاغ التلميذ هذه النتيجة، وينصحه بأن يغير الموضوع الذى شغل نفسه به، ويدرس موضوعا آخر، قال ابن جماعة: «وإذا علم أن تلميذا لا يفلح فى فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاحه» (تذكرة السامع / ٥٧).

روى أن يونس بن حبيب كان يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يوما: من أى بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع؟

ففطن يونس لما عناه الخليل، فترك العروض، وأخذ يتعلم النحو، وقواعد اللغة حتى أصبح فى ذلك إماما وعالما شهيرا (نسب هذا الخبر فى مصادر أخرى للأصمعى).

وهنا يتجلى أدب الخليل الشخصى، وحسن التوجيه، وهذا الخبر يفيد أن الخليل كان يعقد حلقات منفصلة واحدة للعروض، وأخرى للنحو، وثالثة للغة وما على التلميذ هنا إلا أن يحضر حلقة علمية أخرى غير العروض.

وقد تنبه الخليل إلى مسألة الجزاء فى التربية ووضع لها الضوابط اللازمة وأكد أن استعمال «الحزم فى وقت الاستغناء فيه غنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة إليه، وحسب المرء من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها» (دائرة المعارف الإسلامية جـ٧ مادة الخليل بن أحمد).

وينتقل الخليل من خلال منهجه التربوى التجريبى إلى طبقات المعلمين خاصة والناس عامة، فيرى أنهم ينقسمون إلى أقسام «من الناس من يدرك أنه يدرى فذاك عالم فاتبعوه، ومنهم من يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ضال فأرشدوه، ومنهم من لا يدرى أنه لا يدرى فذاك طالب فعلموه، ومنهم من لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذاك جاهل فاحذروه» (مراتب النحويين/ ٢١).

وهذا التقسيم يجعلنا نقف على معارف الخليل بالتحليل النفسى فهو يوضح نفسيات المعلمين للمتعلمين، وهذه مسألة تبحث الآن فى أطر التربية المستقبلية إذ يحكم على المعلمين من خلال آراء التلاميذ فهم الزبائن الذين يرتادون محله وهو التاجر الذى يعرض عليهم ما عنده ويرغبهم فى الأخذ منه أو عدم الأخذ.

وهو ينبه المتعلمين إلى نفسيات بعض الناس ممن لا علم عندهم، وهم لا يعلمون أنه لا علم عندهم، وهذا أمر هام جدا، فهو يجعل قيمة العلم عند المتعلم مرتبطة بالنتيجة أو بالمحصول العلمى، وينبنى على هذا الوصول إلى أن الخليل أدرك الخطوط الرئيسية لعلم الاتصال من وإلى ومن وإلى. أى من المتعلم إلى المعلم، ومن المعلم إلى المتعلم، فمن المعلمين من يرسل مادة تعليمية هامة وهو يعلم أنها عامة، ويعلم قيمة ما يقوله، وهذا أمر يشد الانتباه، وما على المتعلم

هنا إلا أن يتلقف هذه الرسالة فيضعها فى موضعها الصحيح .

ومن هؤلاء المعلمين من يعتقد نفسه أدنى مما هى عليه ولا يعلم حقيقة ما عنده، وتبعا لهذا فإن التلاميذ أيضا يجهلونه، فإذا أرسل إليهم رسالته مليئة بإلهام المفيد أدرك المتلقى أنه يسمع مادة علمية رفيعة المستوى، ولكن المرسل يرسلها دون أن يعلم قيمتها وقيمة ما عنده، وهنا يأتى دور المرسل إليه بتنبيه المرسل على قيمة الرسالة، ويطالبه بالمزيد ليدرك من خلال الإقبال على ما عنده قيمة علمه، وهذا يشكل تعزيزا إيجابيا، يجعله داريا بأن الذى عنده صالح قابل للعطاء، فيعطى وينمى مواهبه بناء على صحة النتائج التى توصل إليها،

ومن هؤلاء من يأتى خاوى الوفاض، لا يملك شيئا من علم الأسلوب وهؤلاء صاروا يشكلون الأكثرية فى زماننا هذا ...

وينتقل الخليل إلى العنصر الثالث من عناصر التعليم بعد المتعلم والمعلم وهو عنصر المادة التعليمية، فيرى أن العلوم أربعة :

- علم له أصل وفرع .
- وعلم له أصل ولا فرع له .
- وعلم له فرع ولا أصل له .
- وعلم لا أصل له ولا فرع .

فأما الذى له أصل وفرع، فالحساب ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف، وأما الذى له أصل ولا فرع، فالنجوم لها حقيقة يبلغ تأثيرها فى العالم .

وأما الذى له فروع ولا أصل له، فالطب وأهله منه على التجارب إلى يوم القيامة، والعلم الذى لا أصل له ولا فرع فالجدل، يعنى الجدل بالباطل .

وهذا أيضا يدل على قدرة الخليل على تقسيم العلوم تقسيما يدل على مبلغ علمه وسعة عقله، ويمكن التعامل على هذا التقسيم فى عصرنا مع الرياضيات وعلم الفضاء وعلوم الطب والبحث العلمى، وعلم الفلسفة والديالكتيك [علم اللهجات] .

ويتجاوز الخليل الجوانب التربوية ليصل إلى الجوانب الأخلاقية، ويظل مولعا بالتقسيم والتفصيل أسلوبا من أساليبه التربوية، فيضع أربع نقاط تعرف بهن الآخرة، ليتعظ الناس وتهذب النفوس، وتصفوا الرؤوس .

- الصفح قبل الاستقالة (الاستقالة : طلب الصفح) .
- تقديم حسن الظن قبل التهمة
- البذل قبل المسألة .
- مخرج العذر قبل العتب (إنباه الرواة ١ / ٣٤٦، ٣٤٧) .

وإذا عدنا إلى عناصر الإبداع عند الخليل، وإلى موقفه من العلم والعلماء ودعوته إلى التكثر من العلم للمعرفة، والتقلل منه للحفظ، نكون قد وقفنا على منهج متكامل وضعه الخليل للتربية والإبداع، وإيجاد الشخصية المنتجة، ونكون قد أعطينا جانبا جزئيا من جوانب الخليل المتعددة، ولا غرابة أن تكون للخليل جوانب كثيرة يظهر فيها ذكاؤه الذى اتفق عليه علماء الأمصار وأدباؤهم فى مؤتمر أدبى عقدوه بمكة، وحكاه التنوخى، قال : «اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق فتذاكرنا أمر العلماء، فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويصفونهم ويقدمونهم، حتى جرى ذكر الخليل، فلم يبق أحد إلا قال : «الخليل : أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها» (مراتب النحويين / ٢٩) .

وإذا كان هذا إجماع الأدباء فى المؤتمر الأدبى الأول الذى عقد للأدب العربى، فإن العلماء لهم فيه رأى آخر، يقول عنهم المحدث العالم الجليل سفيان بن عيينة وهو قوله : «من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد» («الخليل الفراهيدى / ١٨٣ - ١٩٣) .

ونلخص هذا كله فنقول : نبغ الخليل بن أحمد فى العربية نبوغا لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وكان غاية فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، فبسطه وفرع على أصوله وجعله علما مضبوطا، ولقن ذلك تلميذه سيبويه فكان كتابه الذى يعتبر أصل كل كتاب فى النحو معقودا أكثره بلفظ الخليل. والخليل هو الواضع للشكل المستعمل الآن فى ضبط الحروف .

ومما يشهد له بحدة الفكر وبعد النظر اختراعه العروض علما كاملا لم يحتج إلى تهذيب بعده، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين، وتدوينه كتابا دقيقا

في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية أو اشتغال بلهو وزاد في الشطرنج قطعة سماها جملا لعب بها الناس زمنا. وبقي الخليل مقيما بالبصرة طول حياته زاهدا متعففا متقشفا مكبًّا على العلم والتعليم حتى مات (الوسيط / ٢٣٠).

ولد ــ رحمه الله ــ سنة مائة بالبصرة، وتوفي سنة سبعين ومائة. وكان سبب موته أنه قال: أريد أن أقرب نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال، فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد، وهو معمل فكره في ذلك، فصدمته سارية، وهو غافل عنها بفكره، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته. وقيل: بل كان يقطِّع بحرا من العروض. والله أعلم أي الأمرين كان.

له ترجمة في إشارة في التعيين الورقة ١٨ ـ ١٩، والأنساب ٤٢١ أ، وتاريخ أبي الفدا ٢ / ٨، وتاريخ ابن كثير ١٠ / ١٦١ ـ ١٦٢، وتقريب التهذيب / ٧٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٥ ـ ٦٦، وتهذيب التهذيب ٣ / ١٦٣ ـ ١٦٤، وتهذيب اللغة للأزهري ١ / ٤ ـ٥، وخلاصة تذهيب الكمال / ٩١، وابن خلكان ١ / ١٧٢ ــ ١٧٥، وروضات الجنات / ٢٧٢ ـ ٢٧٦، وسرح العيون / ١٨٤ ـ ١٨٧، وشذرات الذهب ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٧، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٢ / ٢٤٦ ـ ٢٤٨، وطبقات الزبيدي / ٢٢ ــ ٢٥، وطبقات ابن قاضي شهبة ١/ ٣٣٥ ــ ٣٣٨، وطبقات القراء لابن الجزري ١ / ٢٧٥، والفلاكة والمفلوكين / ٦٩ ــ ٧٠، وكشف الظنون / ١٤٤١ ـ ١٤٤٤، واللباب ٢ / ٢٠١، ومرآة الجنان ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٧، ومراتب النحويين / ٤٣ ـ ٦٤، والمزهر ٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٢، ٤٦١، ومسالك الأبصار جـ ٤ مجلد ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٦، ومعجم الأدباء ١١ / ٧٢ ــ ٧٧، والنجوم الزاهرة ١ / ٣١١ ـ ٣١٢ و ٢ / ٨٢، ونزهة الألباء ٥٤ ـ ٥٩.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ / ١٧٧، ١٧٨، و إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ــ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٣٤١ ــ ٣٤٦ وفيه وفاته سنة ١٧٥، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوي / ٧٧، ٧٨ وفيه وفاته سنة ١٧٥، وأخبار النحويين البصريين لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ـ تحقيق د. محمد إبراهيم البنا / ٥٥، ٥٦، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٥٤٢، والأعلام للزركلي ٢/ ٣١٤ وفيه وفاته سنة ١٧٠، و «الخليل الفراهيدي» ـ د. زيد بن عبد المحسن الحسين. من أعلام التربية العربية الإسلامية. مكتب التربية العربي لدول الخليج م ١ / ١٨٣ ــ ١٩٣، والوسيط في الأدب العربي وتاريخه ــ الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى عناني / ٢٣٠).

*** خليل بن إسحاق:**

انظر: الشيخ خليل.

*** خليل بن أيبك:**

انظر: صلاح الدين الصفدي.

*** الخليل بن قلاوون (الأشرف) (٦٦٦ ـ ٦٩٣ هـ / ١٢٦٨ ـ ١٢٩٤):**

وهو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي، جلس على العرش يوم وفاة أبيه في يوم الأحد سابع ـ ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة. وكان والده قلاوون قد وكل إليه أمر السلطنة في حياته بعد موت أخيه الملك الصالح علي بن قلاوون في سنة سبع وثمانين وستمائة، ثم تربع على تخت الملك بعد موت أبيه بعد أن جدد الأمراء والجند الحلف بالولاية له.

والأشرف خليل هو السلطان الثامن من ملوك دولة المماليك البحرية وأولادهم. (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ / ٨٢).

قال عنه الزركلي وقد أدرجه تحت عنوان «الأشرف ابن قلاوون»: خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الأشرف صلاح الدين، ابن السلطان الملك المنصور، من ملوك مصر. ولي بعد وفاة أبيه (سنة ٦٨٩ هـ) واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكا وصورا وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل، وتوغل في الداخل. وكان شجاعا مهيبا عالي الهمة جودا، له آثار عمرانية، وللشعراء أماديح فيه قتله بعض المماليك غيلة بمصر. يقول «وليام موير: الضربة القاتلة التي قضت على جنود الصليب كانت على يد السلطان خليل (الأعلام ٢ / ٣٢١).

وتوافينا الدكتورة سعاد ماهر بتفاصيل ذلك على النحو التالي:

في عام ٦٩٠ هـ أخذ الملك الأشرف في التجهيز للسفر

إلى البلاد الشامية، وإتمام ما كان قد قصد إليه والده من حصار عكا، فأرسل إلى البلاد الشامية بعد أن استتب له أمر الملك، فجمع العساكر وعمل آلات الحصار وجمع الصناع. خرج بعساكره من الديار المصرية وسار حتى نازل عكا في يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ بما اجتمع عنده من جند مصر وجند الشام والعديد من المتطوعين، ونصب عليها المجانيق الكبار الفرنجية خمسة عشر منجنيقا، منها ما يرمى بقنطار دمشقى، وأكبر ومنها دونه. وأما المجانيق. الشيطانية وغيرها فكثيرة.

ولما ضاق الخناق بأهل عكا استنجدوا بصاحب قبرس، فقدم إليهم فأشعلوا نيرانا عظيمة فرحا بمقدمه، غير أنه لما رأى انحلال أمرهم وعظم ما دهمهم، عاد إلى بلاده بعد أن لبث فيهم ثلاثة أيام.

لم يزل الحصار يطوق مدينة عكا والمسلمون يجدون في الاستيلاء عليها حتى انحلت عزائم من بالمدينة وضعف أمرهم واختلفت كلمتهم.

فلما كان فجر يوم الجمعة سابع جمادى الأولى، ركب السلطان والعساكر وزحفوا عليها قبل طلوع الشمس وعند ملاصقة عسكر السلطان لسور المدينة، هرب الفرنج، وملكت المدينة بالسيف، ولم تمض ثلاث ساعات من النهار المذكور، إلا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها؛ فهرب الفرنج قاصدين البحر فتبعتهم العساكر الإسلامية وأسرتهم ولم ينج منهم إلا القليل. غيرا أن جماعة الديوية والاستبارية عصوا أمر التسليم كما استتر الأرمن في أربعة أبراج عالية في وسط المدينة فحصروا فيها.

وفي اليوم الثاني لفتح المدينة، قصد جماعة من الجند وغيرهم الدار والبرج الذى فيه الديوية فطلب من فيهما الأمان فأمنهم السلطان وفي اليوم الثامن والعشرين من جمادى المذكورة أخذ السلطان البرج الذى بقى بعكا وأنزل من فيه بالأمان، وكان قد أغلق من سائر جهاته، فعزل السلطان النساء والصبيان ناحية وضرب رقاب الرجال أجمعين. والعجيب أن الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا في مثل اليوم الذى أخذها الفرنج فيه، ومثل الساعة التى أخذوها فيها، فإن الفرنج كانوا قد استولوا على عكا في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة في الساعة الثالثة من النهار وأمنوا من كان بها من المسلمين ثم قتلوهم غدرا. وقدر الله تعالى أن يسترجعها المسلمون منهم في هذه المرة يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار، ووافق السابع عشر من جمادى الأولى وأمنهم السلطان ثم قتلهم كما فعل الفرنج بالمسلمين، فانتقم الله تعالى من عاقبتهم.

جهز السلطان عند منازلته عكا جماعة من الجند جعل مهمتهم حفظ الطرق وتعرف أخبار الفرنج المنهزمين، فلم يشعر الأمير علم الدين سنجر الصوابى رئيس تلك الحملة، إلا ومواكب الفرنج المنهزمين من عكا قد قصدت ميناء صور، فحال بينهم وبين الميناء، فطلب أهل صور أمانا فأمنهم على أنفسهم وأموالهم فسلموه المدينة وقد كانت صور من الموانى الحصينة حتى أن صلاح الدين الأيوبى لم يستطع فتحها فيما فتح من مدن الساحل، بل كان صلاح الدين كلما فتح مكانا وأمن أهله أوصلهم إلى صور لمناعتها. وأخيرا ألقى الله في قلوب أهلها الرعب فسلموها من غير قتال إذ لم يكن أمر الاستيلاء عليها يدور في خلد الملك الأشرف.

رحل الملك الأشرف عن عكا قاصدا دمشق فزينت له المدينة واحتفل بقدومه احتفالا عظيما ولما استقر بدمشق شرع في تجهيز حملة لإخضاع بلاد سيس، غير أن رسل صاحبها أظهروا الطاعة وطلبوا رضاء السلطان عليهم مع استعدادهم لإعطاء السلطان كل ما يطلبه من قلاع أو مال فتم الاتفاق على أن يسلم صاحب سيس لنواب السلطان ثلاث قلاع وهى: بهسنا ومرعش وتل حمدون وفرح الناس بذلك لأنها كانت مصدر قلق للمسلمين وخصوصا بهسنا التى كثيرا ما شن أصحابها الغارات على المسلمين.

عاد السلطان إلى الديار المصرية وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة قصد ومعه وزيره الصاحب شمس الدين بن السلعوس، نائب سلطنته الأمير بدر الدين بيدرا وجميع الأمراء إلى الصيد، فلما وصل إلى الطرانة فارقه وزيره ابن السلعوس متوجها إلى الإسكندرية أما السلطان فإنه نزل بالحمامات للصيد وكلف نائبه أن يأخذ العساكر ويتقدمه غير أن الأخير عاد وضرب السلطان ضربة قطع بها يده ثم تابعه الأمير حسام الدين لاجين وغيره في الإجهاز عليه.

ولما قُتل السلطان، بايع الأمراء بيدار بالسلطنة وبينما هو عائد إلى القاهرة إذا بمماليك السلطان الأشرف يتقدمون فى نحو ألف وخمسمائة فارس مطالبين بدم أستاذهم والانتقام من بيدرا ومن معه وكان يتزعم هؤلاء الأمير زين الدين كتبغا فأحاطوا ببدرا الذى تفرق عنه أصحابه لما عرفوا أن الدائرة ستدور عليه وقد تمكن زين الدين كتبغا من القبض على بيدرا وقتله.

(مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٣/ ٨٢ ـ ٨٥).

*** خليل بن قلاوون (ضريح الأشرف) (٦٩٠ هـ):**

يقع ضريح السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون السابق ترجمته بشارع الخليفة بقسم الخليفة وجاء وصفه المعمارى للدكتورة سعاد ماهر كما يلى:

يشبه ضريح السلطان الأشرف خليل ضريح فاطمة خاتون المجاور له، إلى حد كبير سواء من حيث المساحة أو الأسلوب المعمارى أو الزخارف الجصية والخطية، ولذلك فإن كزويل يعتقد أن المعمار الذى قام بالتنفيذ واحد فى الاثنين. ويتكون الضريح من مكعب تقريبا طول ضلعه (١٤) مترا من الخارج. وترتكز الجدران من الخارج على قاعدة مشطوفة ارتفاعها ٣٥ سم وعرضها ١٦ سم، قد زال كثير من هذه القاعدة ولم يبق منها إلا أجزاء فى الضلع الشرقى والضلع الغربى. وتستدق الجدران إلى أعلى وعلى ارتفاع (٢٣ , ١١) مترا تبدأ الشرفات المدرجة التى تشبه تلك الموجودة فى سقيفة الضريح.

وفى وسط كل ضلع من أضلاع الضريح يوجد باب ما عدا جدار القبلة حيث تتوسطه القبلة والأبواب كلها مستطيلة إذ يبلغ وسعها (٨٠ , ١) مترا وارتفاعها (٩٠ , ٢) مترا ويعلو كل باب عتب خشبى فوقه عقد عاتق. وتعلو كل باب وكذا بروز المحراب نافذة طويلة معقودة يعلوها عقد مدبب ويحيط بها زخارف قالبية ويعلو الزخارف القالبية فى النافذتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية بقايا كتابات كوفية جصية تشبه تلك الموجودة فى ضريح فاطمة خاتون.

وتعلو المكعب رقبة مثمنة مبنية من الآجر ارتفاعها حوالى (٦) أمتار وفى كل ضلع من أضلاع المثمن توجد حنية بداخلها نافذة. وترتكز عقود الحنايا على أعمدة مندمجة. وفى كل أركان المربع توجد درجة من الخارج تفصل بين المربع ومنطقة الانتقال إلى مثمن الرقبة.

ويشبه الضريح من الداخل كذلك ضريح فاطمة خاتون، إذ تحيط بالأبواب الثلاثة وكذا المحراب حنايا مستطيلة إذ يبلغ طولها (١٠ , ٣) أمتار ويبلغ عمقها ٤٥ سم وعلى جوانبها أعمدة، زالت معظمها الآن. وفى الجزء العلوى من حنية توجد النوافذ التى أشرنا إليها سابقا.

وعلى ارتفاع ٩ أمتار من أرضية الضريح توجد فى أركان المربع ثلاثة صفوف من المقرنصات كل صف يحتوى على خمسة مقرنصات. ويقع الصف الأول من المقرنصات على مستوى نهاية النافذة التى تتوسط كل ضلع من أضلاع المربع. وبين أركان وعلى ارتفاع صفى المقرنصات توجد نافذة ذات ثلاث فتحات. والمقرنص المتوسط فى الصف الثالث قد فتح على شكل نافذة فى مستوى الفتحة العليا فى النافذة ذات الثلاث فتحات وهى ترى واضحة من الخارج فوق الدرج الذى يفصل بين المربع ومثمن الرقبة. ويعلو صفوف المقرنصات الثلاث شريط جميل من الزخارف جزؤه السفلى يحتوى على كتابات قرآنية بالخط النسخى محصورة فى ثمانية بحور تفصل بينها دوائر. والجزء العلوى يحتوى على زخارف نباتية محورة يتخللها (٢٤) نافذة مستديرة ملئت كلها بزخارف هندسية من الجص، وإن كان ثمان منها فقط هى المفتوحة وهى التى تتوسط أضلاع مثمن الرقبة. ويعلو شريط الزخرفة الذى يحتوى على النوافذ المستديرة إفريز من الخشب زالت زخارفه تماما، ويعلو ذلك مباشرة كوابيل خشبية لعلها كانت حوامل لسلاسل القناديل أو المشكاوات.

لقد قوّيت القبة بثمانى دعامات نصف دائرية، كما فتح فيها عند بدايتها أربع نوافذ وشكل القبة غير عادى وهى تشبه قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب. وكانت القبة فى الأصل قبل الترميمات التى أجريت لها سنة ١٩١٧ مبنية من صفين من الآجر مع مونة جيدة للغاية.

ويبدو الضريح من الخارج وكأنه خال من الزخارف فيما عدا الزخارف الجصية فى النوافذ، وشريط الكتابة والشرفات. أما فى الداخل فقد كانت هناك ألواح رخامية تكسو الجدران

إلى ارتفاع تاج الأعمدة المندمجة فى الحنايا أى إلى ارتفاع (١٠,٣) أمتار وإن كان قد زال معظمها ولم يبق غير أجزاء صغيرة فى محراب السقيفة التى تتقدم الضريح. كما توجد بقايا للرخام الملون فى تجويف المحراب. وهناك أشرطة جصية تفصل الصف الأول من المقرنصات وكذا الشريط الذى يعلو الصف العلوى من المقرنصات الذى سبق وصفه. كما يعلو النوافذ الأربع التى تعلو أبواب الضريح شريط من الزخارف الجصية كما ملئت النوافذ من الداخل والخارج بزخارف جصية مخرمة ومعشقة بالزجاج تشبه تلك الموجودة بضريح الصالح نجم الدين والخلفاء العباسيين.

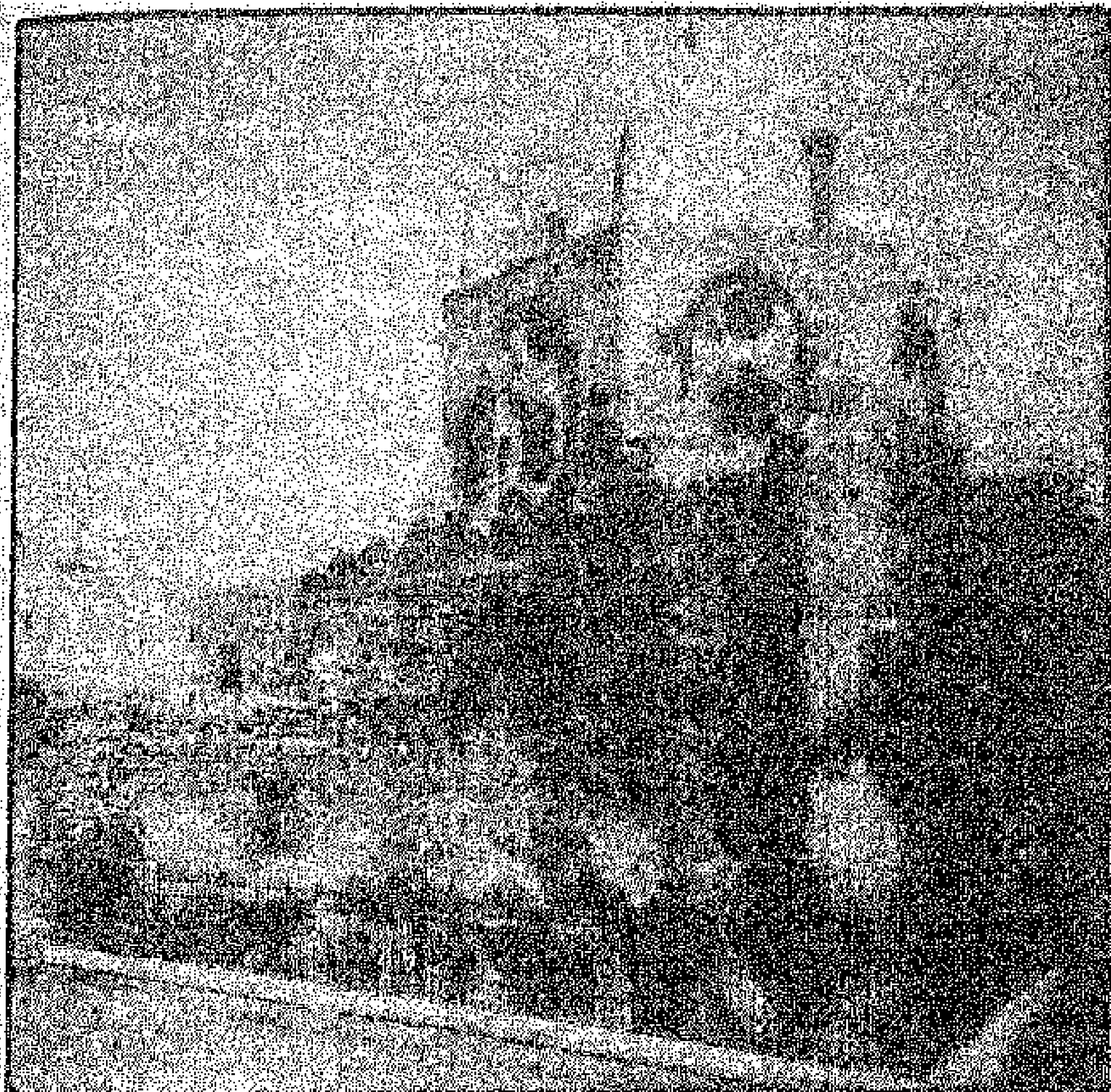
ويتقدم الضريح سقيفة زال جزؤها الشمالى الشرقى، ويبلغ ارتفاع جدرانها (٨) أمتار إلى بداية الشرفات. ويدخل إلى هذه السقيفة من باب يتوسط الضلع الشمالى الغربى على محور مدخل الضريح تماما. وكما يوجد على جانبى باب الضريح يوجد حنيتان زالت أعمدتهما المندمجة، كذلك نجد على جانبى مدخل السقيفة من الداخل حنيتين. وفى الضلع الشمالى الشرقى يوجد باب بجانبه حنية عمقها ٥٠ سم تعلوها نافذة، كما يبدو أنه كان يوجد باب فى الضلع الجنوبى الغربى يؤدى إلى الملحق. ومن المرجح أنه كان يوجد شريط من الزخرفة الجصية فى نهاية الجدار وقبل السقف المسطح،



قبة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون

النقوش التى تزخرف رقبة قبة ضريح الأشرف خليل





ضريح الأشرف خليل بن قلاوون

كما هو الحال فى ضريح فاطمة خاتون، وكذلك فى مسجد الظاهر بيبرس. ولذلك فإن كزويل يعتقد أن هذه السقيفة إضافة متأخرة بالنسبة للضريح.

أما عن تاريخ الضريح فإنه يبدو واضحا فى شريط الكتابة التى تحيط بأعلى جدران الضريح من الخارج، فقد جاء فيها أن القبة بنيت فى شهور سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م أى أنها بنيت قبل موت السلطان قلاوون الذى توفى سنة ١٢٩٠. ولذلك فإن «برشم» يقول بأن الضريح بنى قبل أن يصبح الأشرف خليل وليا للعهد وأنه كان ملاصقا لمدرسة أنشأها الأشرف خليل وإن كان لم يبق من تلك المدرسة شىء يدل عليها.

(مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٣/ ٨٦ ـ ٨٨).

*** خليل بن كيكلدى العلائى:**

انظر: العلائى.

*** خليل الخالدى (مكتبة الشيخ):**

من مكتبات القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام. يقول الدكتور العسلى

كان الشيخ خليل الخالدى من أفذاذ العلماء

بالمخطوطات وأخبار العرب وعلمائهم ومؤلفيهم وكتبهم. وقد طاف بالعديد من البلدان للاطلاع على خزائن كتبها ولجمع المخطوطات ونوادر الكتب. فزار الأندلس والمغرب ومصر والشام وتركيا وغيرها لهذا الغرض وقد جمع فى مكتبته حوالى خمسة الآف مخطوط، وكان يحفظ كتبه فى صناديق ويضن بها فلا يعيرها، حرصا عليها من الضياع. توفى الشيخ خليل الخالدى سنة ١٣٦٠ هـ/ ١٩٤١م وقد وضعت كتبه ومخطوطاته فى داره الكائنة فى الزاوية الشمالية الغربية من الحرم سنوات عديدة. ثم نقلت إلى المتحف الإسلامى ثم إلى مكتبة المسجد الأقصى حيث توجد الآن. بيد أن كثيرا من كتبها القيمة قد ضاع ونهب عندما احتل الإسرائيليون القدس عام ١٩٦٧. وما تزال معظم مخطوطاتها الباقية محفوظة فى صناديق، تنتظر الصيانة والفهرسة والبحث.

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٣٩٠).

*** خليل الزهاوى:**

خليل إبراهيم الزهاوى من الخطاطين ولد سنة ١٩٤٦ م فى خانقين. مارس أعمال التخريم ثم اتجه إلى الحرف العربى سنة ١٩٦٣ م التقى بالخطاط هاشم البغدادى ومير حسين (زرين خط) عمل فى دائرة الفنون التشكيلية بوزارة الإعلام.

(نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٥).

*** خليل صادق (١٢٨٢-١٣٣٢ هـ/ ١٨٦٥-١٩١٥):**

خليل صادق الطرابلسى: فاضل، متصوف، من فقهاء الحنفية. من أهل طرابلس الشام. مولده ووفاته فيها. له «منح البر» فى شرح حزب البر للشاذلى، و «مناداة الخليل فى مناجات الجليل» و «كنز الصلات فى صيغ الصلوات» و«حسن المبنى فى أسماء الله الحسنى» و «رد الأسرار فى ورد الأذكار» و «ديوان شعر» منظوماته، وثلاث رسائل فى «علم الأنساب».

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣١٨).

*** خليل الظاهرى (٨١٣-٨٧٣ هـ/ ١٤١٠-١٤٦٨م):**

ترجم له على باشا مبارك تحت هذا الاسم فقال عنه: أما خليل الظاهرى فعلى ما وجدته فى كتاب الأنيس المفيد لدساسى، هو ابن شاهين صاحب كتاب كشف الممالك فى بيان الطرق والمسالك، كان والده شاهين من مماليك الملك الظاهر سيف الدين أبى الفتح من سلاطين الدولة الجركسية المتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية بعد أن ملك ثلاثة أشهر. (فى الضوء اللامع م٢ جـ ٣/ ١٩٥: خليل بن شاهين غرس الدين الشيخى شيخ الصفوى الظاهرى برقوق). وفى الأعلام ٢ / ٣١٨: خليل بن شاهين الظاهرى، غرس الدين، يعرف بابن شاهين... نسبته إلى الظاهر برقوق، وكان أبوه شاهين من مماليكه).

وقد تكلم المقريزي فى كتابة السلوك لمعرفة دول الملوك فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة وسنة اثنتى عشرة وثمانمائة على شاهين هذا وقال: إنه كان دويدار الأمير شيخ، وفى السابع من رجب سنة تسع وثلاثين وثمانمائة خلع السلطان برسباى على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين خلعة، وكان إذ ذاك حاكم الإسكندرية وتعين على دار الضرب بالقاهرة، وفى رجب من سنة أربعين وثمانمائة تقلد الوزارة وصار أمير الحج، وفى تاسع عشر شوال خرج إلى بركة الحج بالموكب المعتاد وسافر منها فى الثالث والعشرين منه ولم يزل فى وظيفة دار الضرب وأقام أخاه فيها مدة غيابه، وفى الخامس من ربيع سنة إحدى وأربعين خلع عليه خلعة وجعل حاكما على الكرك فمضى إليها من وقته، وفى سنة اثنتين وأربعين فى جمادى الثانية نقله السلطان جقمق إلى ولاية صفد وصار أميرا كبيرا، وفى شهر ذى القعدة من تلك السنة جعل واليا على ملاطيا، وفى شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وأربعين صار أمير ألف وانتقل إلى دمشق بدل الأمير طنبغا.

وفى مقدمة كتاب كشف الممالك للمترجم ما نصه: يقول العبد الفقير إلى الله تعالى خليل بن شاهين الظاهرى لطف الله به، إنى صنفت كتابا وسميته كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك يشتمل على مجلدين ضخمين يشتملان على أربعين بابا، جملة ذلك ستون كراسة فى قطع الكامل معتمدا فى ذلك على ما شاهده العيان، أو تحققته من نقل الثقات الأعيان الذين يرتكن إليهم غاية الارتكان، وعلى ما اطلعت عليه من كتب المتقدمين وما وجدته منقولا عن المشايخ المعتبرين، ثم رأيت ذلك المصنف مطولا فانتخبت من ملخصه هذا المجلد وسميته (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) وجعلته اثنى عشر بابا واختصرت الكلام فيه

لاشتغالي بغيره من المصنفات انتهى (الخطط التوفيقية الجديدة ٨ / ٢٨٠، ٢٨١).

قالت المؤلفة : كتاب «زبدة كشف الممالك» هذا عندى ويأتى بيانه فى ثبت المراجع.

يضيف السخاوى فى الضوء اللامع قوله : لما مات الظاهر رجع خليل إلى حلب ثم إلى طرابلس فتمرض حتى كانت منيته بها فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ودفن بها فى تربة كان أعدها لنفسه، وكان يتعانى الأدب مع اشتغال ومشاركة فيه ومذاكرة حسنة بالتاريخ والشعر، وفهم جيد، وقد خمَّس «البردة»، وكتبت عنه ما أنشدنيه لنفسه مما أودعته فى الجواهر وخاطب به شيخنا (يقصد شيخ الإسلام ابن حجر) :

وقائلة من فى القضاة بأسرهم
يلازم تقوى الله طرا بلا ضجر
ويرأف فى الأحكام بالخلق كلهم
ويدعو لهم فى كل ليل إلى السحر
فقلت لها فهو الإمام أولو النهى
وذاك شهاب العسقلانى ابن الحجر
له كتب فى كل فن لقارئٍ
وشرح عجيب للبخارى من الخبر
وفى النحو والتصريف لم يسر مثله
كذا فى المعانى والبيان وفى الأثر

فأجابه شيخنا بما كتبته عنه أيضا :

أيا غرس فضل أثمر العلم والندى
فلله ما أزكى وما أطيب الثمر
يجود وينشى بالغا ما أراده
فمستطلع دُرا ومستنزل الدرر
لك الخير قد حركت بالنظم خاطرا
له مدة فى العمر ولت وما شعر
وقلدت جيدى طوق نعماك جائدا
فعالا ونطقا صادق الخُبر والخبر
مناسبة اسمينا خليل وأحمد
لرأس أولى النظم الإمام الذى غبر

وكذا عندى من مراسلاته مع شيخنا غير ذلك، وقد كتب لى ولده ترجمته بخطه وقال إن شيخنا أجازه بالفتيا والتدريس بعد أن لازمه رواية ودراية حتى كان مما سمعه عليه مناقب الشافعى من تأليفه، وشهد له بأنه شارك أهل العلم فى فنونهم مشاركة فطن، إلى غير ذلك مما أورده شيخنا فى عدة سجعات؛ قال ولده وله نحو ثلاثين مصنفا فى الفقه والتفسير والتعبير والتاريخ والإنشاء وغيرها سمى يوسف بن تغرى بردى منها «المواهب فى اختلاف المذاهب» مرتب على أبواب الفقه؛ و «المنيف فى الإنشاء الشريف»، و «الكوكب المنير فى أصول التعبير»؛ و «الإشارات فى علم العبارات» «والدرة المضية فى السيرة المرضية»، وديوان شعره وهو فى عدة مجلدات، وقال إنه أنشده قصيدة قالها للملك الظاهر فى شرح حاله حين عزل عن أتابكية حلب قصد فيها الوزن والقافية وإنه وجد له مذاكرة بالشعر والتاريخ بحسب الحال.

(الضوء اللامع م ٢ جـ ٣ / ١٩٦، ١٩٧).

قالت المؤلفة : فات السخاوى أن يذكر من بين مؤلفات خليل الظاهر كتاب «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك»، وقد ذكره الزركلى فى الأعلام ٢ / ٣١٨، كما ذكره وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن حميدة فى كتابه (انظر ثبت المراجع) وهذا الكتاب هو الذى جعله يدرج خليل الظاهرى من بين الجغرافيين العرب. ونفرد لكتاب «زبدة كشف الممالك» مادة خاصة فى حرف الزاى إن شاء الله تعالى.

*** الخليل (مدينة):**

تقع مدينة الخليل على بعد ٤٤ (أربعة وأربعين) كيلو مترا جنوبى القدس، أعاده الله ديار إسلام وتعد من أقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى عليه السلام. وغلب عليها اسم «الخلَيل» لأن بها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام (انظر مادة «إبراهيم الخليل عليه السلام» فى م ٢ / ١٣٠ - ١٤٣، ومادة «الحرم الإبراهيمى» فى م ١٣ / ٣٨٩ - ٣٩٥) قال عنها الدكتور محمد عبد الرحمن :

ومدينة الخليل من المدن التى تتميز بتاريخ طويل وحافل بالوقائع، فتدل الآثار التى اكتشفت فيها على أن تاريخها يرجع إلى أكثر من ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد، هذا يعنى أنها

بنيت منذ حوالى ٥٥٠٠ سنة أى بعد فترة وجيزة من بناء الأهرام فى مصر.

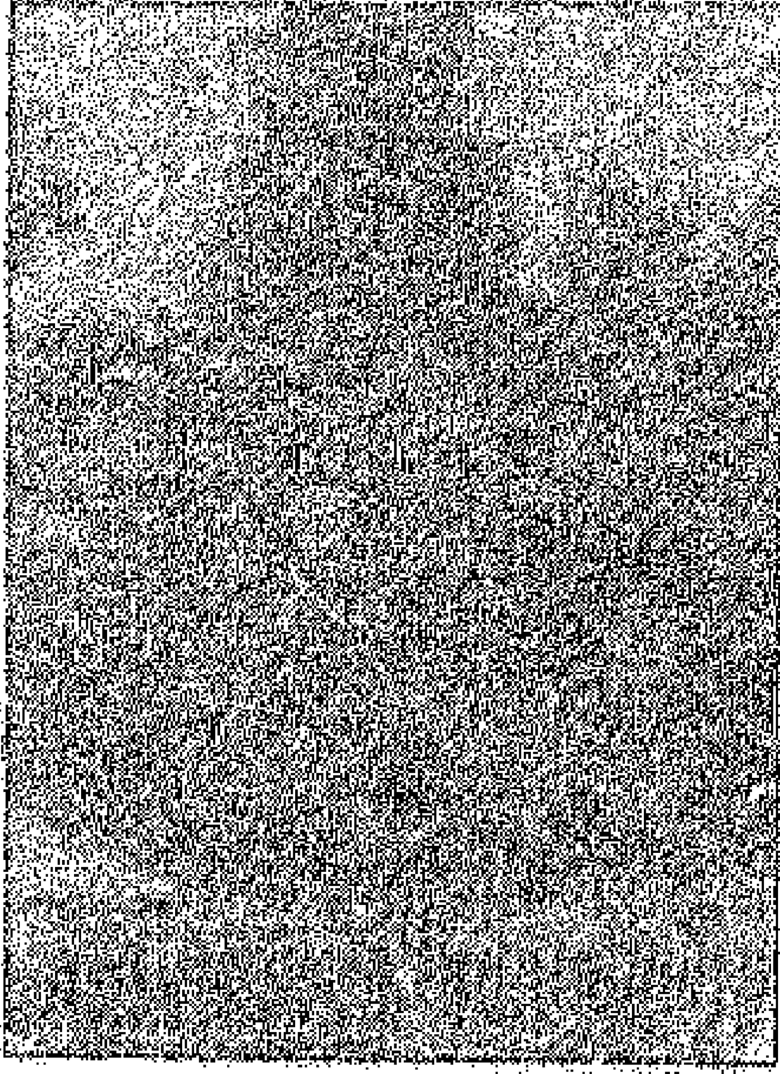
وقد كانت المدينة تدعى فى الأصل قرية أربع (بمعنى أربعة) نسبة إلى منشئها الملك أربع العربى الكنعانى المنتمى إلى قبيلة العناقيين. وهى التى كانت منازلها ممتدة على الجبال الواقعة بين الخليل والقدس، وقد كانوا يوصفون بالجبابرة، مع العلم أن الكنعانيين حكموا المنطقة من ٣٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق. م.

وقد وفد إليها واتخذها مقرا له النبى إبراهيم، وذلك فى أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد حيث سكن بعض السنين تحت بلوطات مِمْرا أو بطمات ممرا الواقعة فى شمال الخليل (انظر الصورة) وعند وفاته دفن فيها وبعض أفراد أسرته مثل زوجته سارة وولده إسحاق، وزوجته رفقة، ويعقوب وولده يوسف، بعد أن تم تحنيط جثتيهما ونقلهما من مصر، بالإضافة إلى زوجة سيدنا يعقوب ليقه. وهذه الأضرحة واقعة فى مغارة المكفيلة التى اشتراها خليل الرحمن من عفرون بن صوفر الحيثى.

وعندما خضعت المدينة للعبرانيين الذين خرجوا مع موسى من مصر وذلك إثر هزيمة الكنعانيين، أطلقوا عليها اسم حبرون نسبة إلى أحد أبناء كالب بن يقنة اليهودى، وحبرون اسم يهودى يعنى عصبة، صحبة، اتحاد، وقد اتخذها داود ابن سليمان قاعدة له لأكثر من سبع سنين، وفى عهد ولده سليمان اهتم بأضرحة إبراهيم وعائلته.

وقد ورد وصف للخليل فى كثير من كتب الرحالة والمؤرخين وذلك قبيل وقوعها فى يد الصليبيين سنة ١٠٩٩ م، فقد وصفها الإصطخرى فى كتابه المسالك والممالك الذى ألفه سنة ٩٥١ م «إنها مدينة صغيرة تقع جنوب بيت لحم وتعرف بمسجد إبراهيم عليه السلام، وفى المسجد الذى يجمع فيه الجمعة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام صفا، وقبور نسائهم صفا بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبه، والمدينة فى وهدة بين الجبال كثيفة الأشجار، وأشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب، وسائر الفواكة أقبل من ذلك».

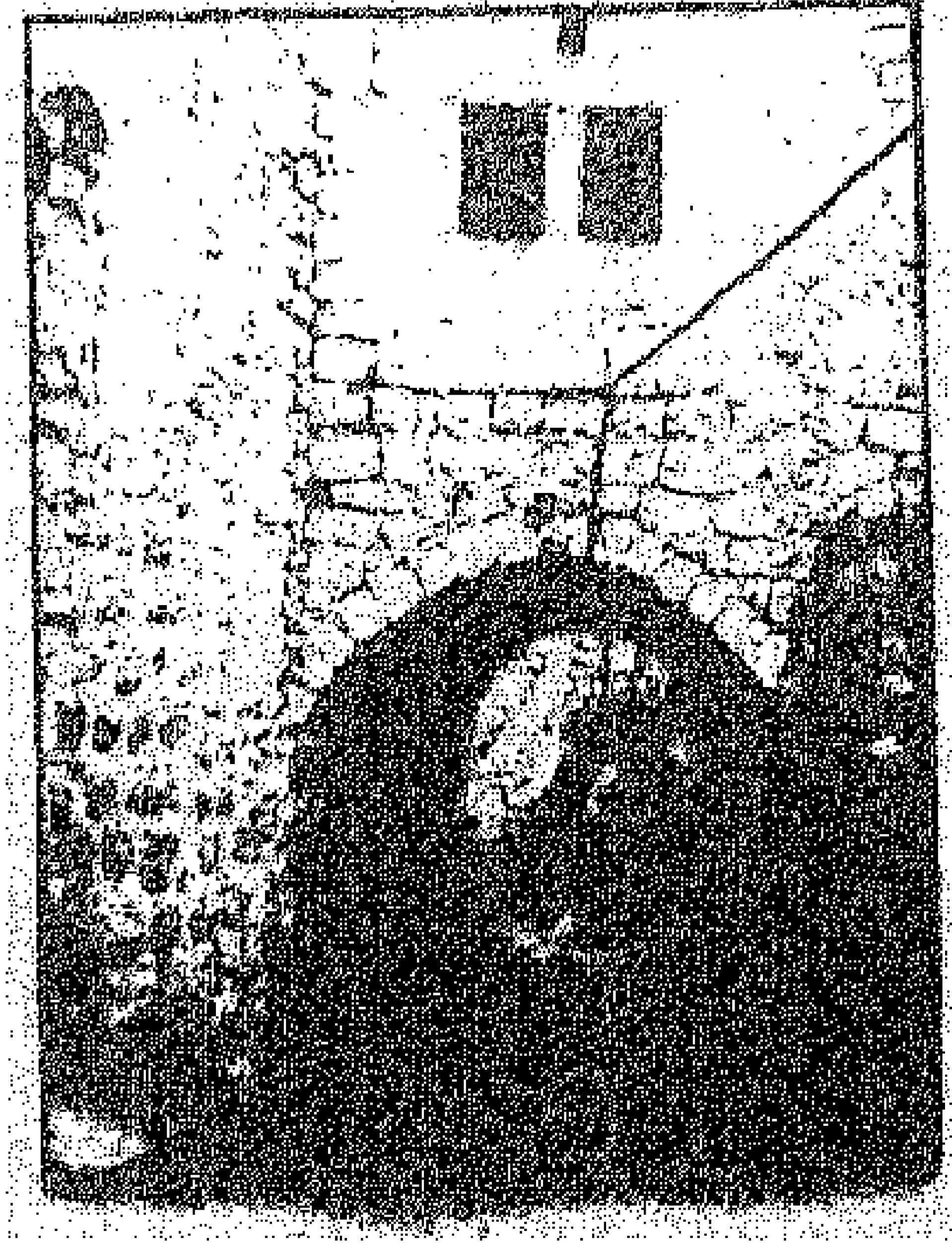
وقد تكرر الوصف السابق للمدينة ومنطقتها وذلك بصورة إجمالية فى كتيب رحالة ومؤرخين آخرين، منهم على سبيل المثال المؤرخ البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان، وابن الفقيه فى كتابه البلدان سنة ٩٠٣ م، والرحالة البشارى المقدسى فى مؤلفه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم سنة ٩٨٥م، والرحالة الفارسى ناصر خسرو فى مؤلفه سفر نامة سنة ١٠٤٧ م، وعبد الله البكرى الأندلسى المتوفى سنة ١٠٩٤م فى مؤلفه معجم ما استعجم وغيرهم.



شجرة البلوط المشهورة فى الخليل

وفى أواخر القرن الحادى عشر وبالتحديد سنة ١٠٩٩ م، سقطت الخليل فى يد الصليبيين، وأطلقوا عليها قلعة القديس إبراهام، وفى عام ١١٦٨ م أصبحت المدينة مركزا لأبرشية، وهى كلمة يونانية تعنى المجاورة وهى من اصطلاحات المسيحيين الكنائسية واستعملها العرب لدارة المطران أو الأسقف، وفى سنة ١١٧٢م بنيت كنيسة على موقع الحرم الإبراهيمى الشريف وإلى الغرب منها شيدت القلعة، ولكن بعد معركة حطين سنة ١١٨٧ م (انظرها فى موضعها فى م ١٤ / ٢٧٥ ـ ٢٨١) استطاع القائد الإسلامى صلاح الدين الأيوبى أن يحررها من الصليبيين ويحول كنيستها إلى جامع وهو الحرم الحالى، وينقل إليه منبر عسقلان.

وكانت مدينة الخليل فى الفترة المملوكية مركزا هاما من مراكز البريد خاصة مع مصر وغزة ومع غور الصافى والكرك والشوبك، كما أنها كانت محطة للبريد الجوى ووسيلته الحمام الزاجل وذلك عبر مصر ـ غزة ـ الخليل ـ غور الصافى ـ الكرك (استوفينا ذلك فى مادة «بطائق الحمام» فى م ٧ / ١٩٢ فانظرها فى موضعها) وإن مع نهاية حكمهم كانت



منظر عام لحارة الشيخ في البلدة القديمة

المدينة تضم ٢٢ زاوية، معظمها قد دثر، علاوة على عدد من الحارات وأهمها: حارة الشيخ على البكاء، حارة الأكراد، حارة الجبارنة، حارة المشيرقة، حارة السواكنة، حارة الحدابنة وغيرها.

كما أنها كانت تضم عددا من المدارس وعيون الماء والمقابر والمساجد فالمدارس أهمها القيمرية والفخرية، وعيون الماء عين سارة، عين الحمام، عين السمقية وغيرها، أما المقابر فأهمها مقبرة البقيع والمقبرة السفلى. هذا بالإضافة إلى أن أصول الكثير من عائلات المدينة ترجع إلى هذه الفترة، مثال ذلك عائلة القواسمى منسوبة إلى الفقيه شرف الدين سليمان وكان موجودا سنة ٦٩٦ هـ، وعائلة الجعبرى نسبة إلى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي العباس المقرئ الجعبرى، والذى ولد بقلعة جعبر على الضفة اليسرى لنهر الفرات الأوسط في سورية سنة ٦٤٠ هـ (انظر ترجمته في م ١٢ / ١٨٩ ـ ١٩١)، وعائلة القيمرى نسبة إلى الشيخ شمس الدين محمد بن خليل بن أحمد بن الصلاح خليل القيمرى الذى ولد سنة ٨٢١ هـ بالخليل وغيرها من العائلات.

وبعد الحكم المملوكى سيطر الأتراك العثمانيون على المدينة سنة ١٥١٧ م، واستمر حكمهم لها حتى سنة ١٩١٧ م. ويعتبر القرن الثامن عشر من عصور الخليل الزاهية، حيث اشتهرت في هذه الفترة ببعض الصناعات من أشهرها الصابون، غزل القطن وكان يباع في القدس وغزة، ومصنع للزجاج وهو الوحيد في سورية الكبرى في ذلك الوقت، مما يؤكد ريادة المدينة في هذه الصناعة، وفيه كانت تصنع الخواتم الملونة وأساور وخلاخيل وأشياء أخرى، يبعثون بها إلى الأستانة، كما اشتهرت الخليل في هذه الفترة أيضا بمحاصيلها الزراعية المتنوعة كالعنب والزيتون والقطن، هذا علاوة على شهرة أهلها بالتجارة مما دفعهم إلى الهجرة إلى المناطق المجاورة مثل الكرك، مصر، يافا والقدس وغيرها.

ومن أهم الأحداث التى تعرضت لها الخليل ومنطقتها في ظل الحكم العثمانى، وقوعها في يد إبراهيم باشا المصرى، وذلك في الفترة مابين ١٨٣١ ـ ١٨٤٠ م بعد معارك عديدةبينه و بين سكان المنطقة.

وعلى أثر انتهاء حكم العثمانيين للخليل والذى استمر زهاء أربعة قرون، انتقلت السيطرة على المدينة كغيرها من مدن فلسطين إلى الاستعمار البريطانى سنة ١٩١٧ م، وهذا مرتبط بظروف الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء بها. وقبل التحدث عن هذه الفترة من الضرورى التعرف على المدينة وخصائصها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، من خلال بعض ما كتبه الكتّاب، فقد ورد ذكر الخليل في قاموس الكتاب المقدس ومؤلفه جورج يوسف والمطبوع سنة ١٨٩٤ م، ووصفت بأنها ذات موقع مرتفع يبعد نحو ٢٠ ميلا جنوب أورشليم، ١٠٠ ميل من الناصرة، وتعرف بجبرون الزاهرة أو الخليل إشارة إلى إبراهيم وهى مشهورة بعمل الزجاج ولها عدة أبواب وأبنيتها من الحجر الكلسى كما ذكر «بذكر» في دليله المطبوع سنة ١٩١٢ م بأنها كانت تضم ٢٢ ألف نسمة منهم ٢٠٠٠ يهودى، وضواحيها خصبة تكثر فيها عيون الماء وتضم سبعة أحياء «علاوة على الأحياء اليهودية» وهى: حى الشيخ على البكاء، باب الزاوية، القزازين نسبة إلى عمال الزجاج، العقابة، الحرم، المشارقة وقيطون وأن الخليل القديمة كانت تقوم بالقرب من المدينة الحالية على تلة الرميدة المغطاة بأشجار الزيتون، وكانت تضم بركتين هما بركة القزازين وبركة السلطان وذلك في جنوبها الغربى.

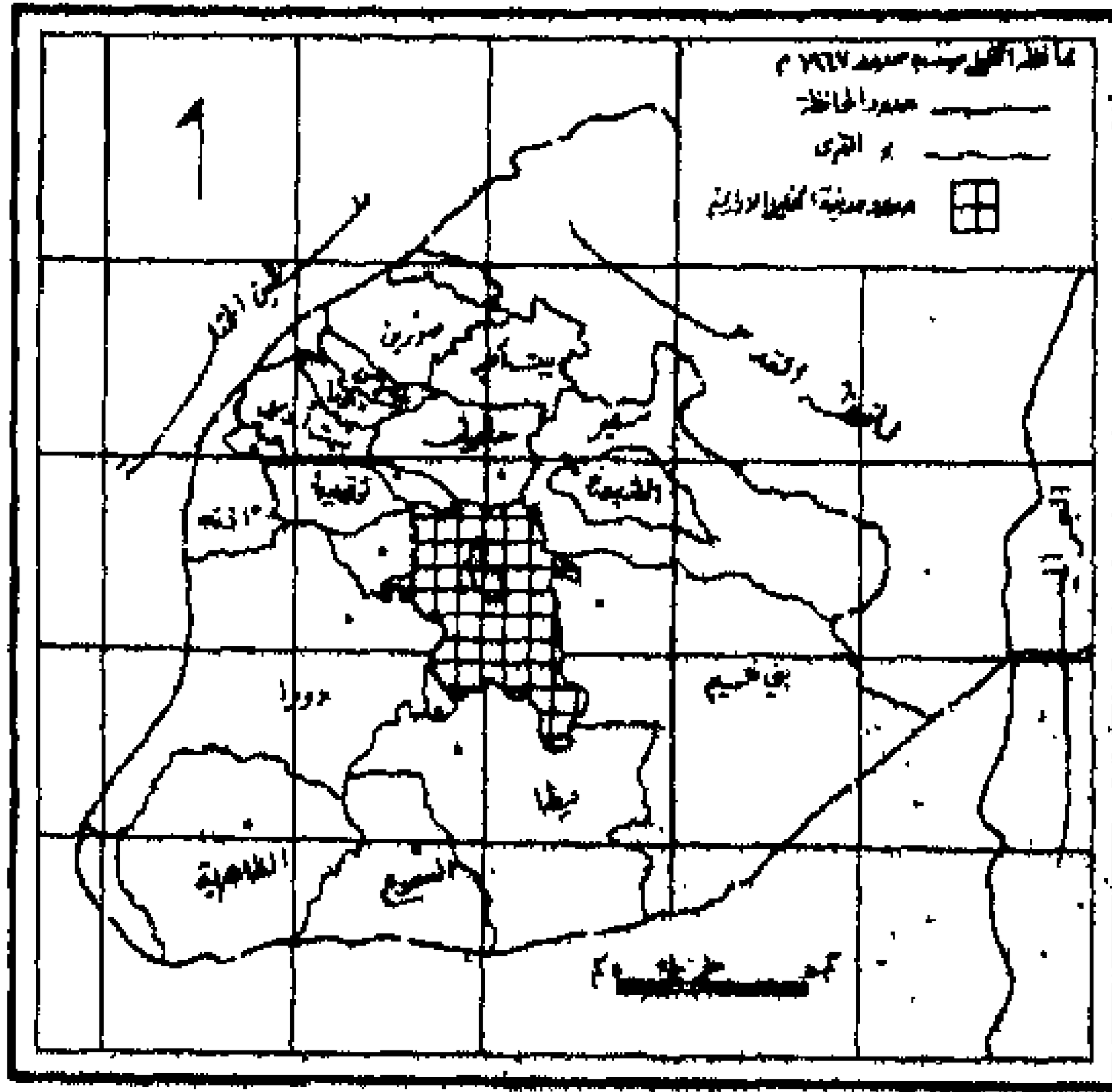
كان في الخليل سنة ١٩٠٣ أربع مدارس حكومية تضم ٣٨٧ طالبا علاوة على أربع مدارس لليهود بها ٤٢ طالبا، كما كان بها مدرستان أجنبيتان بهما ٣٢ طالبا.

أما فيما يتعلق بفترة الاستعمار البريطاني فكما سبق وذكر فقد وقعت المدينة في براثنه بين عام ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ . وخلال هـذه الفترة بـرزت الخليل كمدينـة فلسطينية كبيـرة قُدر عـدد سكانهـا سنة ١٩٢٢ بـ (١٦٥٧٧) نسمـة ، غالبيتهم (٩٧٪) مسلمـون، و (٦ ,٢٪) يهـود و (٤ ,٠٪) مسيحيـون ، وارتفع العدد إلى (١٧٥٣١) نسمة ١٩٣١ م . وقد كانت المدينة قبل هذا التـاريخ مركز قائمقـام ، إلا أنها أصبحت بعد ذلك مـركز نائب حاكم ملحقا بلواء غزة .

وقبيل انتهاء الانتـداب البريطاني قدر عـدد سكان الخليل سنـة ١٩٤٥ بـــ (٢٤٥٦٠) نسمـة غـالبيتهـم العظمى من المسلمين ، حيـث لم تكن تضم ســوى (٦ ,٠٪) فقـط من المسيحيين و (٤ ,٠ ٪) آخرين ، أمـا المساحة للسنة نفسها فقد بلغت (٢٧٩١) دونمًـا كمساحة مبنية ، منها (٨ ,١١٪) طرقا ووديانا ، و (٧ ,٠٪) أملاك يهود، أما المساحة الإجمالية لأراضيها فقد قدرت بـ (٧٢٨٥١) دونمًا منها (٨٣ ,٠٪) طرق ووديان و (٦ ,٠٪) تسربت لليهود .

ومدينة الخليل كغيرها من القرى والمدن الفلسطينية ، قام سكانها وسكان منطقتها بالعديد من الثورات في محاولة منهم لوضع حـد للاحتلال البـريطاني وتهـويد فلسطين . ومن أهم هذه الثـورات ثورة البـراق في آب سنة ١٩٢٩ م التي أدت إلى خروج الصهـاينة من الخليل ، وقد ارتبطت بهذه الثـورة أسماء بعض شهداء المدينة وفلسطين ، ولعل من أشهرهم عطا أحمد الـزير ومحمـد خليل جمجـوم وهم من أبناء الخليل ، وفـؤاد حسن حجـازي من أبنـاء صفــد ، وقـد أعـدمتهم السلطـات البريطانيـة سنة ١٩٣٠ بعد سجنهم في مدينة عكـا ، وقد قال فيهم الشـاعر إبـراهيم طوقان ثلاثيته الحمـراء المشهورة، وقد شاركت بلدية الخليل كبلديات فلسطين الأخرى مشاركة فعالة في الإضراب التاريخي الشهير سنة ١٩٣٦ م .

بعد انسحـاب بريطانيـا سنة ١٩٤٨ ، وعلى أثـر الحروب العربية الصهيـونية وإقامة الكيان الصهيـوني على أساس قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ م ، بقيت الخليل عربية ، وفي سنة ١٩٥٠ أصبحت جـزءا من الأردن وعاصمـة لمحافظـة الخليل وذلك حتى ٨ حـزيـران سنــة ١٩٦٧ حيث وقعت تحت الاحتــلال الصهيـوني ولا زالت حتى الوقت الـراهن تقـاوم هـذه السيطـرة ومحاولات تهويدها وتدنيس مقدساتها .



وخلاصـة القول ، فيمـا يتعلق بمدينـة الخليل ، يتبين أنها مرت بـ ١٥ فترة تاريخية يمكن توضيحها على النحو التالي :

١ ـ العصر الحجري .
٢ ـ العصر الكنعاني الأول : ٣٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق . م .
٣ ـ العصر الكنعاني المتوسط : ٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق . م .
٤ ـ العصر الكنعاني الأخير : ١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق . م .
٥ ـ العصري الحديدي : ١٢٠٠ ـ ٥٨٧ ق . م .
٦ ـ العصري الفارسي : ٥٨٧ ـ ٣٣٢ ق . م .
٧ ـ العصر اليوناني : ٣٣٢ ـ ٦٣ ق . م .
٨ ـ العصر الروماني : ٦٣ ق . م ـ ٦٣٨ م .
٩ ـ العصر الإسلامي : ٦٣٨ ـ ١٠٨٧ م .
١٠ ـ الفترة الصليبية : ١٠٨٧ ـ ١٢٥٠ م .
١١ ـ العصر المملوكي : ١٢٥٠ ـ ١٥١٦ م .
١٢ ـ العهد العثماني : ١٥١٧ ـ ١٩١٧ م .
١٣ ـ العهد البريطاني : ١٩١٧ ـ ١٩٥٠ م .
١٤ ـ العهد الأردني : ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧م .
١٥ ـ الاحتلال الصهيوني : ١٩٦٧م .

وقد تبين من الدراسـة التـاريخية كذلك أن الخليل قـد سميت بأسماء متعددة يمكن إيجازها كما يلي :

١ ـ قـرية أربع : سميت بهذا الاسـم نسبة إلى الملك أربع

بـانيهـا ، وهو من الكنعـانيين من قبيلـة العنـاقيين والتى تعنى الجبارين أو الجبابرة .

٢ ـ حبـرون : أطلق هـذا الاسم علـى المـدينـة على يـد العبرانيين ، وهو اسم يهودى يعنى صحبه أو اتحاد .

٣ ـ خليل الرحمن : بعد أن تم الفتح الإسلامى لبلاد الشام أطلق المسلمـون عليهـا هذا الاسم نسبـة إلى نبى الله إبـراهيم عليه السلام .

٤ ـ إبـراهـام : عندمـا احتل الصليبيـون المنطـقة عـام ١١٠٠ م سموهـا بهذا الاسم بدلا مـن خليل الرحمن ، وذلك بعـد أن اقتطعها الأميـر الصليبى غـودوفـرى دى بوايـون وحتى مملكة القدس إلى الصليبى جيرهاردى آمين .

٥ ـ الخليل : وقـد سميت فى الفتـرات الإسلاميـة بعـدة أسماء منهـا مسجد إبـراهيم ، بيت إبراهيم ، خليل الـرحمن ، وأخيرا سميت بالخليل فى بداية القرن العشرين .

مما تقدم يمكن القول إن الخليل مدينة موغلة فى القدم ، عربيـة النشأة ، ساهمت وظيفتهـا الدينية بـدرجة أسـاسية فى استمـراريـة وجـودهـا ، وذلك على الـرغم من تعـدد الأقـوام بديـاناتهم المختلفة والـذين تعاقبوا على حكمهـا ، وإنها فى الوقت الراهن تشكل إحدى المدن الفلسطينية الهامة وقاعدة لمحـافظة الخليل أو لـوائهـا ، ويقطنهـا حتى نهايـة ١٩٨٥ م حوالى ٧٠ ألف نسمة وحدود بلديتها كالتالى :

من الشمال : أراضى قرى سعير وحلحول وبيت كاحل .

من الشرق : أراضى قريتى سعير وبنى نعيم .

من الجنوب : أراضى قريتى يطا والريحية .

من الغرب : أراضى قرية الريحية ودورا وتفوح وبيت كاحل .

أما الـوحدات الإدارية التى تضمها محـافظة الخليل فهى تتألف بالإضـافة إلى بلديـة الخليل من ثلاث بلديـات أخرى هى حلحول ، دورا ويطا ، ثم على مجمـوعة من القرى الكبيرة يتبع بعضهـا العديـد من القـرى الصغيـرة والخراب ، والقـرى الكبيرة هى : سعير ، الشيوخ ، بنى نعيم ، بيت أمر ، صوريف ، خـراس ، نـوبـا ، بيت أولا ، بيت كـاحل ، تـرقوميـا ، خـربـة جمرورة ، أذنـا ، تفوح ، الظاهـرين ، السموع والريحيـة (انظر الخريطة) .

(قصة مدينة : الخليل ـ د. محمد عبد الرحمن / ٧ ـ ١٠ ، ١٣ ـ ١٨)

انظر مادة «إبراهيم الخليل عليه السلام» م ٢ / ١٣٠ ـ ١٤٣ ، ومادة «الحرم الإبراهيمى» فى م ١٣ / ٣٨٩ ـ ٣٩٥) .

*** خليل المغربى (ـ ١١٧٧ هـ / ـ ١٧٦٣ م):**

خليل بن محمد المغـربى ، أبو المـرشد ، فقيـه مالكى ، تـونسى الأصل ، مصرى المـولد والقـرار . له مـؤلفات منهـا : «ثبت» رواه عبـد الحى الكتـانى ، و «شرح المقـولات العشـر» سمـاه «بغيـة الإرادات فى شـرح المقـولات» مخطـوط فى دار الكتب والأزهـرية . قال الجبـرتى : ولى خـزانة كتب المـؤيد ـ بالقاهرة ـ مدة ، فأصلح مـا فسد منها ، ورم ما تشعث . وتوفى عائدا مـن الحج ، فى منزلـة يقـال لهـا «أكـرى» (الأعـلام ٢ / ٣٢٢) .

وفيما يلى ما كتبه على مبارك نقلا عن الجبرتى . قال رحمه الله :

وفى الجبرتى : أن جامع المؤيد كان به خزانة كتب معتبرة وكـان المغيـر عليها الإمـام الفقيـه المحـدث المحقق الشيخ خليل بن محمد المغربى الأصل المـالكى المصرى أتى والده من المغرب إلى مصر ، ثم ولد المترجم فنشأ على عفة وصلاح وأقبل على تحصيل المعـارف فـأدرك منهـا مقصـوده وحضـر دروس الشيخ الملـوى والسيـد البليدى وغيـرهمـا من فضـلاء الـوقت ، وفـاق أقـرانه فى التحقيقـات واشتهـر ، وكـان حسن الإلقـاء والتقريـر حاد القـريحـة جيد الـذهن ، تـولى الخزانـة المذكورة مدة فأصلح ما فسد منها ورم ما تشعث .

ومن مؤلفاته شرح المقولات العشر وهو مفيد جدا .

توفـى يوم الخميس الخامـس والعشرين من المحـرم سنة سبع وسبعين ومائة وألف بالرى ، وهو منصرف من الحج رحمه الله تعالى ، انتهى (الخطط ٥ / ٢٩٨) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٣٢ وماجاء بهامش (١) من مراجع ، والخطط التوفيقية الجديدية لعلى باشا مبارك ٥ / ٢٩٨) .

*** الخليلى (ـ ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م):**

خليل بن عبـد الله بن أحمـد بن إبـراهيم بن الخليل القزوينى ، أبـو يعلى الخليلى : قاض ، من حفـاظ الحديث ، العارفين بـرجاله . لـه «الإرشاد فى علماء البـلاد» مخطوط فى الرباط (٥٢٨ ك) ذكر فيـه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه (الأعلام ٢ / ٣١٩) .

وكتاب «الإرشاد فى علماء البلاد» هذا ما ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى الكتب المؤلفة فى تواريخ الرجال وأحوالهم (الرسالة المستطرفة / ٩٧، ٩٨)، كما ذكره صاحب كشف الظنون فقال عنه:

الإرشاد فى علماء البلاد: للشيخ الإمام أبى يعلى خليل ابن عبد الله الخليلى القزوينى الحافظ المتوفى سنة «٤٤٦» ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه وترجم كل بلد أو ناحية أوله الحمد لله ولى الطول والإحسان ... إلخ ورتبه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى المتوفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة على الحروف. وله الإرشاد فى أخبار قزوين (كشف ١ / ٧٠).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣١٩، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد ابن جعفر الكتانى / ٩٧، ٩٨، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠).

*** الخليلى (مكتبة-):**

من مكتبات القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام. قال عنها الدكتور العسلى:

وربما كان أقدم مكتبات القدس العائدة للأسر والأشخاص هى مكتبة الشيخ محمد الخليلى المتوفى سنة ١١٤٧ هـ.

قدم الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلى المولد ثم القدسى بيت المقدس سنة ١١٠٤ وسكن فى المدرسة البلدية وعاش فيها إلى أن توفى سنة ١١٤٧. وفى هذه المدرسة كانت مكتبته التى وقفها بموجب حجة وقف مؤرخة فى سنة ١١٣٩. وقد ذكر حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه المخطوط «أعيان القدس فى القرن الثانى عشر»، فى سياق ترجمته للشيخ الخليلى، هذه المكتبة فقال «وجمع مولانا خزانة كتب علم فريدة، من الكتب الصحيحة المجيدة أوقفها وسبلها، وهى الآن نفع نافع لكل طالب وصدقة جارية كافية للطالب» (نص حجة وقف الخليلى فى «وثيقة مقدسية تاريخية - الشيخ محمد الخليلى») وأوردت الوقفية ثبتا بأسماء الكتب الموقوفة: ومنها سبعة مصاحف شريفة وكتب عديدة فى التفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد والتصوف والقراءات والفرائض والحساب والفلك والنحو والمعانى والبيان واللغة والمنطق والصرف والعروض والآداب والطب والخواص. ومجاميع فيها رسائل متعددة فى علوم مختلفة.

وقف الشيخ الخليلى الكتب على نفسه مدة حياته ثم على أولاده وأحفاده ما تناسلوا فإذا انقرضوا فعلى أقرب عصبات الواقف ما تناسلوا فإذا انقرضوا فعلى الزاوية المحمدية فى صحن الصخرة، وعلى الفقهاء الشافعية. ووضع الواقف شروطا عديدة للمحافظة على الكتب بحيث لا تباع ولا توهب ولا ترهن ولا تهدى لأحد من الحكام والأعيان ولا تستبدل. ومن هذه الشروط العناية بالكتب وترميمها وتجليدها وعدم إعارتها إلا لطلبة العلم ... ومن هذه الشروط أن تبقى الكتب تحت أيدى الموقوف عليهم فى المدرسة البلدية ما داموا فيها.

ضمت خزانة الشيخ الخليلى حوالى سبعة آلاف كتاب (المفصل للعارف ص ٤٤٩ لا عن كراس نشره مدير الآثار بحكومة فلسطين سنة ١٩٥٥) من بينها حوالى ٥٠٠ مخطوط (خزائن الكتب العربية فى الخافقين / ٢٩٤).

وقد كانت الكتب والمخطوطات فى الفترة الأخيرة فى المتحف الإسلامى ثم نقلت منه إلى مكتبة المسجد الأقصى قبل بضع سنوات حيث توجد الآن. ورغم كل الشروط التى وضعها الشيخ الخليلى للمحافظة على كتبها فإن الزمان قد ذهب بأكثرها. وفى هذا الصدد قال الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مقدمته لوقفية الشيخ الخليلى «ويحزننا أن نذكر أنه عندما تطوع السيدان فهمى الأنصارى ويوسف المظفر وأنا فى فهرسة هذه المخطوطات فى العام الماضى روعنا بأن معظم المخطوطات الثمينة مفقودة وأن عددا كبيرا منها تالف ...» (المصدر السابق / ١٣).

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٣٨٨، ٣٨٩).

*** الخليلية:**

إحدى الطرق الصوفية بالزقازيق مؤسسها الشيخ محمد أبو خليل رحمه الله، وخلفه فى مشيخة الطريقة ولده الشيخ إبراهيم أبو خليل رحمه الله، الذى أوردنا ترجمته وما يتعلق بالطريقة فى مادة «أبو خليل (إبراهيم)» فانظرها فى موضعها.

وقد ذكر الأستاذ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى فى كتابه «تاريخ الصوفية» (ص ٨٣) نقلا عن إحصاء دائرة المعارف الإسلامية تحت رقم ٥٦ اسم «الخليلية» وقال عنها إنها طريقة تونسية صغيرة.

*** الخليلية الإبراهيمية:**

انظر: أبو خليل (إبراهيم)، الخليلية.

*** الخليلية (المدرسة ـ) (٧٤٥ هـ):**

ذكرها الأستاذ العلبى فى المدارس الحنفية وقال عنها:

بناها الأمير سيف الدين طقتمر الخليلى نائب حمص الذى توفى فيها، ونقل إلى دمشق فدفن فى القبيبات.

وتقع المدرسة خارج باب الفرج، مقابل حمام المحتسب، ولم نستطع معرفة موقع هذا الحمام، للجزم بموقع المدرسة. وقد ذكر ابن كثير فى حوادث سنة ٧٤٥ هـ، عبارة تلفت النظر وربما تلقى ضوءا على المدرسة والواقف، قال:

«فى شهر ربيع الآخر، عملت منارة خارج باب الفرج، وفُتحت مدرسة كانت دارا قديمة، فجعلت مدرسة للحنفية ومسجدا، وعملت طهارة عامة ومصلى للناس، كل ذلك منسوب إلى الأمير (تقطم) وصوابها طقتمر الخليلى، أمير حاجب كان، وهو الذى جدد الدار المعروفة به بالقصاعين.

فإذا كان طقتمر هذا حاجبا بدمشق، قبل أن يكون نائبا بحمص، فهذا يعنى أن الإشكال الأول قد أمكن حله، وعرف اسم الواقف، ومعنى طقتمر: الحديد القاسى.

أما المدرسة، فقد ذهب الأستاذ طلس إلى أنها ربما تكون هى نفسها جامع الخليلى فى سوق ساروجة، ولقد زرنا الجامع المذكور، وهو خلف سوق النحاسين وليس فى سوق ساروجة، فوجدنا فيه ضريحا فى مدخله للشيخ عبد الله الليمونى، وعلى واجهته كتابة تشير إلى تجديده سنة ١٠١٠ هـ، فغلب على الظن أنه هو المدرسة الخليلية، لتقارب الأوصاف والملامح، على أننا لا نستطيع الجزم بذلك حتى معرفة موقع حمام المحتسب تماما، والمشكلة أن هذا الحمام أشد غموضا من المدرسة نفسها.

وقد ذكر النعيمى هذا المدرسة ضمن مدارس الشافعية، وليس له على ذلك دليل، لأن عبارة ابن كثير واضحة وصريحة، ولم يذكر النعيمى عن هذه المدرسة أكثر مما ذكره الحسينى فى ذيل العبر، فى ترجمة الواقف، وقد ورد ذكر «جامع الخليلى» فى وقفية مصطفى لالا باشا سنة ٩٧١ هـ الجامع، أو المدرسة.

(خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبى / ١٨٧، ١٨٨. انظر أيضا الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ـ عنى بنشره وتحقيقه جعفر الحسنى ـ / ٢٣٦ وهامش (١) للمحقق).

*** الخمار:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خمر»:

أصل الخمر ستر الشىء ويقال لما ينستر به خمار لكن الخمار صار فى التعارف اسما لما تغطى به المرأة رأسها، وجمعه خُمُر، قال تعالى: ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ [النور: ٣١] واختمرت المرأة وتخمرت (المفردات / ١٥٩).

والخمار شىء تلبسه النساء يشبه ما يسمى الآن «بالطرحة» (مجموعة من النظم / ٥) وجاء فى اللسان: الخمار للمرأة، وهو النصيف، وقيل: الخمار ما تغطى به المرأة رأسها، وجمعه أخْمِرة وخُمْر وخُمُر، والخِمِرُّ، بكسر الخاء والميم وتشديد الراء: لغة فى الخِمار (عن ثعلب)، وأنشد

* *ثم أمالت جانبَ الخِمِرِّ* *

والخِمرة: من الخِمار كاللحفة من اللحاف. يقال: إنها لحسنة الخِمرة. وفى المثل: إن العوان لا تعلَّم الخِمرة أى أن المرأة المجربة لا تعلم كيف تفعل: وتخمرت بالخمار واختمرت: لبسته، وخمرت به رأسها: غطته وفى حديث أم سلمة: أنه كان يمسح على الخف والخمار، أرادت بالخمار العمامة، لأن الرجل يغطى بها رأسه كما المرأة تغطيه بخمارها، وذلك إذا كان قد اعتم عِمة العرب، فأدارها تحت الحنك، فلا يستطيع نزعها فى كل وقت، فتصير كالخفين، غير أنه يحتاج إلى مسح القليل من الرأس، ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب، ومنه قول عمر، رضى الله عنه، لمعاوية: ما أشبه عينك بخِمرة هند، الخِمرة: هيئة الاختمار، وكل مغطى: مخمر. وروى عن النبى ﷺ أنه قال: خمروا آنيتكم، قال أبو عمرو: التخمير التغطية (لسان العرب ١٤ / ١٢٦١).

وجاء فى تيسير الوصول ما يأتى عن خُمُر النساء :

١ـ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : «لما نزل قوله تعالى : ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ [الأحزاب : ٥٩] خرجن نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية» . أخرجه أبو داود .

٢ـ وعن عائشة رضى الله عنها . قالت : «دخلت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها ، وقال : يا أسماء : إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه» . أخرجه أبو داود .

٣ـ وعن دحية الكلبى رضى الله عنه قال : «أتى رسول الله ﷺ بقباطى فأعطانى قبطية . وقال : اصدعها صدعين ، فاقطع إحدهما قميصا . وأعط الآخر امرأتك تختمر به ، ولتجعل تحته ثوبا لا يصفها» . أخرجه أبو داود .

(القباطى) ثياب رقاق بيض بمصر ، واحدتها قبطية بضم القاف ، وأما بكسر القاف فمنسوب إلى القبط ، الجيل المعروف . و (الصدع) الشق : أى شقها نصفين ، وكل واحد منهما صدع بكسر الصاد ، وأما بالفتح فهو المصدر .

٤ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كانت أم سلمة رضى الله عنها لا تضع جلبابها عنها وهى فى البيت طلبا للفضل» . أخرجه رزين .

٥ـ وعن مالك «أنه بلغه أن أمة كانت لعبد الله بن عمر رآها عمر وقد تهيأت بهيئة الحرائر فأنكر ذلك عليها» (تيسير الوصول ٢ / ١٣٨ ، ١٣٩) .

تقول الشاعرة المصرية عائشة التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ قصيدة لها فى الفخر تزهو ببلوغها العلياء دون أن يكون لبسها الخمار كفتاة مسلمة عائقا عن ذلك :

ما عقانى خجلى عن العليا ولا
سَدْلُ الخمار بلمتى ونقابى

(مجموعة من النظم والنثر / ٥) وانظر مادة «الحجاب» فى م ١٣ / ١٤٣ـ١٤٥) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٩ ، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ٥٠ ، ولسان العرب لابن منظور ١٤ / ١٢٦١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الدبيع الشيبانى ٤ / ١٣٨ ، ١٣٩) .

*** خُمارَوَيه (٢٥٠-٢٨٢ هـ / ٨٦٤-٨٩٦ م):**

أبو الجيش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، من ملوك الدولة الطولونية بمصر ، الأمير التركى ، وليها بعد وفاة أبيه (سنة ٢٧٠ هـ) وله من العمر عشرون عاما (الأعلام ٢ / ٣٢٤) ترجم له صلاح الدين الصفدى فأجمل حياته فى هذه الأبيات :

ثم ولى بعد خمارويه
والسحب تستجدى ندى يديه
أنسى الورىٰ جود أبيه أحمدا
حتى أزال نوره وأخمدا
وابنته زوَّجها بالمعتضد
فعاد سلما بعد ما قد كان ضد

أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون

ثم فصلها بقوله : وكان مفرط الجود ، لا يبالى بما يطلق من الأموال . وكان أوسع صدرا وأكثر نفقة من أبيه ، إلا أن أحمد كان يجد فى نفقاته وخمارويه يهزل ، وكان يكتب خطا حسنا ...

كان يوما على نهر ثورا (أحد فروع نهر بردى الذى يخترق دمشق) يتصيد ، فانحدر من الجبل أعرابى عليه كساء ، فأخذ بشكيمة لجامه وهو منفرد وعلى يده بازى . فنفر البازى ، فصاح به الغلمان فقال : دعوه . فقال الأعرابى :

إن السنان وحد السيد لو نطقا
لحدَّثا عنك بين الناس بالعجب
أفنيت مالك تعطيه وتنفقه
يا آفة الفضة البيضاء والذهب

فالتفت أبو الجيش إلى الغلام الذى معه خريطة النفقة ، وكان رسمها خمسمائة دينار ، ففرَّغها فى كسائه ، فقال : أيها الملك زدنى ، فالتفت إلى الغلمان فقال لهم : اطرحوا سيوفكم ومناطقكم . فطرحوها عليه . فقال : أيها الملك ، أثقلتنى . فقال : أعطوه بغلا يحمل ذلك عليه . ولما عاد إلى منزله أعطى لكل من أعطى الأعرابى سيفا ومنطقة من ذهب .

(الخريطة : وعاء من جلد أو نحوه يشد على ما فيه من أموال للإنفاق . والمناطق مفردها «منطقة» بكسر الميم ، وهى ما يتمنطق به ، أى يجعل نطاقا يُشد به الوسط) .

وفى سنة ست وسبعين ومائتين: تحرك الأفشين، وقصد أرمينية والجبال فى جيش عظيم، وقصد مصر، فلقيه أبو الجيش فى بعض أعمال دمشق، وانهزم الأفشين واستأمن أكثر عسكره، وسار خمارويه حتى بلغ الفرات، ودخل أصحابه الرقة فملك من الفرات إلى بلاد النوبة.

(الأفشين من قواد المعتمد على الله، تحرك لقتال خمارويه بمصر فانهزم، واسمه محمد بن أبى الساج. توفى سنة ٢٨٢ ببرذغة وهى كرسى أعمال أذربيجان، وقيل إنها من آران وفيات الأعيان ٢ / ٢٥٠).

وكان مولده سنة خمسين ومائتين، توفى فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين فى ذى الحجة بدمشق، ونقل تابوته إلى مصر، ودفن عند أبيه. وكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما، اجتمع عليه خدامه فى الحمام وقتلوه وهربوا (فى المقريزى ١ / ٣٢١ والأعلام ٢ / ٣٢٤ قتلوه فى فراشه).

فأمسكهم طغج بن جف وقتلهم، وأشهرهم وهم خدامه طاهر ولؤلؤ وناشى وسابور، ومحافظ ونظيف (ذكر ابن عساكر أسماء الخدم الذين قتلوه وقال إنه قتل بقصره فى دير مران خارج دمشق) (تحفة ذوى الألباب ١/ ٣١٨-٣٢١).

ويصف المقريزى فى خططه الحزن على مقتل خمارويه بقوله: وكان لدخول تابوته يوم عظيم، واستقبله جواريه وجوارى غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع فى المآتم، وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم، وفيهم من سود ثيابه وشققها، وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة تتعتع القلوب حتى دفن، وكانت مدته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما (المواعظ والاعتبار ١ / ٣٢١، ٣٢٢).

وكان أبو الجيش أصغر من أخيه أبى العباس، فاختاره جماعة أبيه على أخيه الأكبر، وعقدوا له البيعة، وقتلوا أخاه. وسعى وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان مع أبى الجيش خمارويه على أن يقتصر على حمص ودمشق والأردن وفلسطين ومصر والبرقة وما والاها. ويخلى عما كان فى يده من ديار مصر وقنسرين والعواصم وطريق الفرات والثغور، فأجاب إلى ذلك، وكتب سجلا أشهد فيه على المعتضد وعلى خمارويه.

وسأل خمارويه أن يزوج المعتضد ابنة المكتفى بابنته قطر الندى، فقال المعتضد: أنا أحق بها، فتزوجها سنة ٢٨٢ هـ على صداق مبلغه ألف ألف درهم. وكانت بارعة فى الحسن والجمال والعقل (توفيت سنة ٢٨٧ هـ) وجهزها أبوها جهازا عظيما قيل: إنه كان مما فيه ألف هاون ذهب. وقيل: إن الجهاز كان بألف ألف درهم. وأعطى أبوها لابن الجصاص مائة ألف دينار. وقال له: توجه بها، واشتر من طرائف العراق ما تحتاج إليه. وقال المعتضد يوما لها: لم لا تشكرين الله تعالى على أن جعل زوجك أمير المؤمنين؟ فقالت له: لم (ولم) تشكر أنت الله تعالى على أن جعل أبا الجيش بن طولون من رعيتك. والتزم أبوها أن يحمل إلى المعتضد فى كل سنة مائتى ألف دينار (تحفة ذوى الألباب ١/ ٣٢٢، ٣٢٣).

ولا يزال اسم الأميرة قطر الندى اسما لبلدة قرب الصالحية الحالية، كما لا يزال اسمها باقيا فى الأغانى الشعبية بالقاهرة حتى الوقت الحاضر.

واتبع خمارويه سياسة والده فى الاهتمام بمرافق الدولة، وتخصيص الأموال للفقراء والمحتاجين، كما اشتهر بالقصور الفخمة التى شيدها فى عاصمته «القطائع» (وموضعها مجموعة الأراضى والشوارع والحارات الواقعة بين السيدة زينب والقلعة بالقاهرة) (تاريخ العالم الإسلامى / ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٤). وقد أنشأ خمارويه بستانا وقصرا من أعجب المبانى وكان شجاعا حازما (الأعلام ٢ / ٣٢٤).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٢٤، وتحفة ذوى الألباب فيما حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - حققه إحسان بنت سعيد خلوصى، وزهير حميدان الصمصام. وزارة الثقافة - إحياء التراث العربى (٨٥) منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية. دمشق ١٩٩١، ١ / ٣١٨-٣٢٣، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١/ ٣٢١، ٣٢٢ وتاريخ العالم الإسلامى - د. إبراهيم أحمد العدوى / ٢٥٥، ٢٥٦).

انظر أيضا تاريخ ولاة مصر لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى، مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م / ١٨١-١٨٧).

انظر مادة «أحمد بن طولون» فى م ٢/ ٦٥٥-٦٥٧.

*** الخماهان:**

من الأحجار التى أوردها التيفاشى (انظر ترجمته فى م ١١

/ ١٧٧ ـ ١٨٠) فى كتـابه النفيس « أزهار الأفكار فى جـواهر الأحجار » (أوردنا ه فى م ٤ / ٧٤، ٧٥).

قال عنه التيفاشي: ويسمى حجر الصرف (الصرف صبغ أحمر ويطلق أيضا على شجر أحمر يسمى الدم).

أصل تكونه فى معدنه:

هذا الحجر أسود حديدى وقد تقدم القول فى تكون هذا النوع من الأحجـار فى أصل تكون الأحجـار الحديديـة) (مما أغنى عن تكراره).

معدنه الذى يتكون فيه:

يجلب من الكـرك على مسيرة سبعـة أيـام من مصر ومنـه يحمل إلى سائر البلاد.

(كرك بفتـح أوله وثـانية وكاف أخـرى كلمة أعجميـة اسم لقلعة حصينة جـدا فى طرف الشام من نواحى البلقـاء بين أيله وبحر القلـزم والبيت المقدس، وهى سن جبل عـال تحيط به أودية إلا من جهـة الربض انظـر ياقـوت، معجم البلدان ٤ / ٢٦٢ وقـال البيـرونى فى الجماهـر ٢١٦ أن معـدنـه فى جبل المقطم ونواحيه بأرض مصر).

جيده ورديئه:

أجـوده الأسود الشـديد السـواد الـذى يضرب إلى الحمـرة الحديدية.

خواصه ومنافعه:

خـاصيـة هـذا الحجـر النفـع من مضـرة شـرب الشـراب الصرف، وبذلك عـرف وبها يسمى، وذلك بأن يحك وتشرب حكاكته وله فى ذلك أثر ومنفعة ظاهرة.

قيمته وثمنه.

زنة رطـل منه بثلاثـة دراهم نقـرة، إلا أنه بغير مصـر أغلى (لقرب معدنه من مصر).

وفيمـــا يلى الشـــروح والتعليق للمحققين (انظـــر ثبت المراجع):

الخماهان:

قـال عنـه التيفاشـى إنه يسمى أيضـا «حجـر الصـرف»، ويطلق هذا الاسم على صبغ أحمر، وكذلك على شجر أحمر يسمى الدم (انظر لسان العرب ١ / ٩٥).

ولـولا هـذه التسميـة الثانيـة ـ بجـانب النـذر اليسيـر من الصفات التى أورد ذكرها التيفاشى لكـانت هناك صعوبة بالغة فى الوصول إلى الاسم العلمى الحديث لهذا المعدن.

ولقد تخبط داود الجلبي المـوصلي بالفعل فى ذلك حيث اعتقد أن الخماهان هو معدن الكروميت ذو التركيب الكيميائى ح (كرح) ٢ا٤ وهو أحد الأكاسيد المزدوجة للحديد والكروم، وأن الهيماتيت هـو المقصود بالشاذنة أو الشـاذنج والواقع أن الشاذنـة من الأملاح النحـاسية كمـا ورد فى باب الـدهنج ولا علاقة لها بالخماهان.

ولقد وصفه التيفـاشى بأنه حجر أسود حـديدى وأن أجوده الأسود الشديد السواد الذى يضـرب إلى الحمرة الحديدية كما ذكر أن معدنـه قريب من مصر ولذلك فإن ثمنـه فى غير مصر أغلا.

وأصل كلمـة هيماتيت يـونـانى تعنى «حجر الـدم» وذلك للون الأحمر الـداكن لمسحوق هذا الحجر والـذى يشبه الدم المجفف. هذا ويعتقد أن كلمة، خمـاهان فارسية نقلت عن المعنى اليونانى لكلمة هيماتيت بعد تطويعها للسان الفارسى ومنه نقلت إلى العربية كما هى دون تحريف.

ويسمى معدن الهيمـاتيت بالألمـانية أيضا «حجـر الدم» لنفس السبب ـــ ويلزم التنـويـه هنا بأن الترجمـة الإنجليزيـة الحرفيـة لهذا الاسم هى "Blood stone" وهـى لا تعنى فـى اللغة الإنجليزية معدن الهيماتيت، فهذا المصطلح يطلق فى الإنجليزية علـى أحد ضروب معدن المـرو الخضراء المنقطة بنقط حمراء واضحة.

ومعـدن الهيماتين واحـد من مجموعـة أكاسيـد الحديـد المعروفة ـ تركيبه الكيميائى هو ح ٢ا٣ ـ يوجد فى ضروب عديدة أقلها انتشارا هو الضرب الأسود المتبلور الذى نادرا ما يستخدم كحجـر كريم والـذى يقصده التيفـاشى ـ أمـا الضرب الآخـر الأوسع انتشارا فهـو الأحمر الطوبى الذى يوجـد على درجات متفاوتـة من التماسـك ـ ابتداء مـن المسحوق الناعـم الأحمر الذى استخدمه الهنود الحمر فى طلاء وجوههم قبل المعارك ـ إلى الخـام الأحمـر البطـروخى المتمـاسك إلـى الهيمـاتيت الصلب الأسود المتبلـور الذى يقول عنه التيفـاشى بأن أجوده هو الأسود الشديد السواد الذى يضرب إلى الحمرة الحديدية.

ويتبلور هذا النوع من الهيماتيت فى النظام السداسى على

هيئة معينى الأوجه ـ ولقد وجدت مجموعات جميلة ونادرة من هـذه البلورات فى جزيـرة إلبا، هـذا وقد يـوجـد الخماهـان المتبلور أيضا على هيئة ورود مكونة من بلورات لوحية متراصة بنفس طريقـة أوراق الورد المعـروف ـ ولـذا فإنها تسمى «ورود الحديـد» وتصل صلادة الأصنـاف النفقية من الخمـاهان إلى حوالى ٥,٦ أما كثافتها النـوعية فتتراوح بين ٩٥,٤ ـ ١٦,٥ ـ كما أن لها بـريقا فلزيا لامعا ويتميز الخمـاهان مهما اختلفت ألوانه بخاصية هامة وهى أن حكاكته تكون حمراء اللون دائما ـ ومن هنا كانت التسمية بحجر الدم.

وقـد وجدت قطع من الخمـاهـان المتبلور ضمن منـاجم البابليين القديمة وفى آثار قدماء المصريين كما يعتقد أن اللون الأحمر الجميل فى الألوان الفرعونية يستمد ثباته على مر آلاف السنين من لون حكاكة الخماهان الحمراء.

ومعـدن الخماهـان موجـود بكثـرة فى مصر ــ فمنه النـوع الأحمـر البطروخى المـوجـود فى أسـوان والذى يستخـدم فى صنـاعة الحـديد والصلب فى حلـوان ـ وأمـا الأنواع السـوداء المتبلورة فتـوجد فى مناطق متفـرقة بـالصحراء الشرقيـة. ولقد أشار التيفـاشى بالفعـل إلى أن معدنه قـريب من مصـر. هذا بـالإضـافة إلى مـا اكتشف حـديثـا بـالـواحات البحـريـة من احتيـاطيات هـائلة من ضـروب قريبـة الشبه بـالخماهـان هى الليمونيت والجوثيت وغيرهما.

(أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار لأحمد بن يوسف حسن التيفاشى ـ تحقيق وتعليق وشـرح د. محمـد يـوسـف حسن، ود. محمـود بسيـونى خفاجى/ ١٩٢، ١٩٣ وهامش التحقيق/ ٢٩٠، ٢٩١).

انظر مـادة «أزهار الأفكار فى جواهـر الأحجار» فى م ٤ / ٧٤، ٧٥، وصـور مخطوطـه فى مادة «التيفـاشى فى م ١١ / ١٧٨ـ١٨٠).

*** الخمائر:**

من مخطوطـات العلوم والطبيعيات بمعهد المخطـوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

الخمائر:

تأليف جابر بن حيان الصوفى

أوله: الحمـد لله حق حمده، وصلى الله على النبى الأمى وآله وسلم. نبدأ على اسم الله تعالى وعونه فى صفة التخمير، فنقول ... إلخ.

وآخره: فأما عمل الخميرة: فـألق من هذا الإكسير مثقالا على عشرة مثاقيل زيبق السوق، فيعقـده إكسيرا مثل الزنجفر، تقع الحبـة منـه على رطل من الإبـار، فيعقده ذهبـا بحـول الله وقوته، وإنه وهاب كريم رب عظيم.

ــ نسخـة بقلم نسخ فـارسى [مكتـوبـة سنـة ١٠٨١] ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(ضمن مجمـوعه من ورقـة رقم ١٣٩ ــ ١٤٣) سم ١٢ × ١٩.

[دار الكتب المصرية ـ ٧٣١ طبيعيات].

(فهرس المخطـوطات المصورة، معهد المخطـوطات العربيـة جـ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٣٩، ٤٠).

انظر ترجمة جابر بن حيان فى م ١١ / ٣٩٢ـ٤٠٢.

*** الخمر:**

قال الـراغب الأصفهانـى: الخمر سميت لكـونها خـامرة لمقر العقل، وهـو عند بعض الناس اسم لكل مسكـر. وعند بعضهم اسم للمتخـذ من العنب والتمـر لمـا روى عنـه ﷺ: «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة» ومنهم من جعلها اسمـا لغيـر المطبـوخ، ثم كميـة الطبخ التى تسقط عنـه اسم الخمـر مختلف فيهـا، والخمـار الـداء العـارض من الخمـر وجعل بناؤه بناء الأدواء كالزكام والسعال (المفردات/ ١٥٩).

وقال الزبيدى فى معجمه: العربى تسمى العنب خمرا قال ابن سيده وأظن ذلك لكـونها منه حكـاها أبو حنيفـة قال وهى لغـة يمانيـة وقال فى قـوله تعـالـى ﴿إنى أرانى أعصـر خمـرا﴾ [يوسف: ٣٦] إن الخمر هنا العنب (معجم أسماء النباتات/ ٥٤)

وقال الإمام النووى:

الخمـر هـى الشـراب المعـروف وهـى مـؤنثـة فـى اللغـة الفصيحـة المشهورة وذكـر أبـو حـاتم السجستانى فـى كتابـه المذكـر والمؤنث فى موضعين منه أن قـوما فصحاء يذكـرونها قال سمعت ذلك ممن أثق به منهم وذكـرها أيضا ابن قتيبة فى أدب الكاتب فيمـا جاء فيها لغتـان التذكيـر والتأنيث ولا يقال

خمرة بالهاء فى اللغة الفصيحة . وقد تكرر استعمالها بالهاء فى الوسيط وهى لغة ولا إنكار عليه وقد روينا فى الجعديات الكتاب المعروف عن النبى ﷺ أنه قال «الشيطان يحب الخمرة» هكذا هو فى الرواية بالهاء وكذا ذكر هذه اللغة الجوهرى وغيره قال الجوهرى : خمرة وخُمر وخُمُور كتمرة وتمر وتمور. وذكر أبو حاتم أنه يقال خمرة كما قالوا دقيقة وسويقة وذهبة وعسلة . قال شيخنا جمال الدين بن مالك فى كتابه المثلث : الخمرة هى الخمر. قال الإمام أبو الحسن الواحدى الخمر عند أهل اللغة سميت خمرا لسترها العقل . قال الليث : اختمار الخمر إدراكها وغليانها ومخمرها متخذها وخمرت الدابة أخمرها سقيتها الخمر. قال الكسائى يقال اختمرت خمرا ولا يقال أخمرتها وأصل هذا الحرف التغطية وقيل سميت خمرا لأنها تغطى حتى تدرك . وقال ابن الأنبارى سميت خمرا لأنها تخامر العقل أى تخالطه . هذا كلام أهل اللغة فى هذا الحرف. وأما حدها فقد اختلف العلماء فيه فقال سفيان الثورى وأبو حنيفة وأهل الرأى الخمر ما اعتصر من العنب والنخلة فيغلى بطبعه دون عمل النار وما سوى ذلك ليس بخمر وقال مالك والشافعى وأحمد وأهل الأثر رضى الله عنهم أن الخمر كل شراب مسكر فسواء كان عصيرا أو نقيعا مطبوخا كان أو نيئا واللغة تشهد لهذا قال الزجاج القياس أن ما عمل عمل الخمر يقال له خمر وأن يكون فى التحريم بمنزلتها هذا آخر كلام الواحدى (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ٩٨، ٩٩) .

والخمر من الكبائر السبعين التى أحصاها الإمام الذهبى فى كتابه الموسوم بالكبائر (٦٠ ـ ٦٦) .

حد شارب الخمر:

قال الإمام الماوردى فى الفصل الثالث فى حد الخمر:

كل ما أسكر كثيره أو قليله من خمر أو نبيذ حرام حد شاربه سواء سكر منه أو لم يسكر. وقال أبو حنيفة يحد من شرب الخمر وإن لم يسكر، ولا يحد شرب النبيذ حتى يسكر.

والحد: أن يجلد أربعين بالأيدى وأطراف الثياب ويبكت بالقول الممض والكلام الرادع للخبر المأثور فيه . وقيل بل يحد بالسوط اعتبارا بسائر الحدود ويجوز أن يتجاوز الأربعين إذ لم يرتدع بها إلى ثمانين جلدة، فإن عمر رضى الله عنه حد شارب الخمر أربعين إلى أن رأى تهافت الناس فيه فشاور الصحابة فيه وقال أرى الناس قد تهافتوا فى شرب الخمر فماذا ترون؟ فقال على رضى الله عنه . أرى أن تحده ثمانين، لأنه إذا شرب الخمر سكر، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى، فحده ثمانين حد الفرية فجلد فيه عمر بقية أيامه، والأئمة من بعده ثمانين فقال على رضى الله عنه : ما أحد أقيم عليه الحد فيموت فأجد فى نفسى منه شيئا ألحق قتله إلا شارب الخمر فإنه شىء رأيناه بعد رسول الله ﷺ، فإن حد شارب الخمر أربعين فمات منها كانت نفسه هدرا، وإن حد ثمانين فمات ضمنت نفسه .

وفى قدر ما يضمن منها قولان : أحدهما جمع ديته لمجاوزته النص فى حده . والثانى نصف ديته لأن نصف حده نص ونصفه مزيد. ومن أكره على شرب الخمر أو شربها وهو لا يعلم أنها حرام فلا حد عليه ، وإن شربها لعطش حد لأنها لا تروى، وإن شربها لداء لم يحد لأنه ربما يبرأ بها، وإذا اعتقد إباحة النبيذ حُد وإن كان على عدالته ، ولا يحد السكران حتى يقر بشرب الخمر المسكر أو يشهد عليه شاهدان أنه شرب مختارا ما لم يعلم أنه مسكر. وقال أبو عبيد الزبيرى أحده للسكر وهذا سهو، لأنه قد يكره على شرب المسكر.

وحكم السكران فى جريان الأحكام عليه كالصاحى إذا كان عاصيا بسكره، فإن خرج عن حكم المعصية لإكراهه على شرب الخمر أو شرب ما لا يعلم أنه مسكر لم يجر عليه قلم المغمى عليه .

واختلف فى حد المسكر فذهب أبو حنيفة إلى أن حد السكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين الأرض والسماء ولا يعرف أمه من زوجته، وحده أصحاب الشافعى بأنه ما أفضى بصاحبه إلى أن يتكلم بلسان متكسر ومعنى غير منتظم ويتصرف بحركة مختبط ومشى متمايل وإذا جمع بين اضطراب الكلام فهما وإفهاما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما صار داخلا فى حد السكر وما زاد على هذا فهو زيادة فى حد السكر (الأحكام السلطانية / ١٩٧، ١٩٨) .

وعن حد شارب الخمر يقول الإمام أحمد بن رسلان الشافعى:

يحــد كــامل بشــرب مسكــر
بأربعيــن جلــــدة وعــــزّر
إلـى ثمـــانين أجـــز والعبـــد
بنصفـــه وإنمـــا يحـــد
إن شهـــد العــــدلان أو أقـــرا
لا نكهـــة وإن تقـــايــا خمـــرا

(متن الزبد فى الفقة / ٩٨).

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى حد المسكر:

وأيمـــا مكلف قـــد شــــربـــا
مــن مسكـــر على اختيـــار ضـــربـــا
بــــذاك أربعيـــن وليعـــــزر
إلـى ثمـــانيـــن بنص الأثـــــر
والعبـــد نصف ذا بــــلا إنكـــار
بشـــاهـــدى عـــدل أو الإقـــرار
ومن تقيـــاهــا فــذا قــد شــربــا
دون تـــردد وجـــدا ضـــربـــا
وجـــاء فيمن منـــه سكـــر وحــــدا
دون اعتـــراف تـــرك بحث أسنـــدا
وقــــد روى عـن ابـن أم عبــــد
بــوجـــد ريحهـــا إقـــام الحـــد
والقتـل فـى رابعـــة قـــد أمـــرا
بـــه وصح النسخ مـن غيـــر مـــرا

(مجموع / ١٠٢).

وقال الإمام أبو زيد القيروانى:

ومـن الخمـــر أو نبيـــذ مسكـــرا
ذاق فكـــالقـــذف وإن لم يسكـــرا

(الفتح الربانى ٣ / ٢٣).

وقد جاء فى السنة النبوية تشديد عظيم فى شرب الخمر وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها، وترغيب عظيم فى ترك ذلك والتوبة منه.

ونسوق فيما يلى ماجاء عن الخمر من الأحاديث النبوية الشريفة فى كتاب الأشربة مع شىء من الشرح حين يقتضى الأمر:

قال الله تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** [المائدة: ٩٠].

باب «تحريم الخمر».

(١) «عن أبى سعيد الخدرى قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إن الله يبغض الخمر، وفى رواية عنه: ولعل الله سينزل فيها أمرا، فمن كان عنده منها شىء فليبعه ولينتفع به، قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى قال ﷺ: إن الله حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شىء فلا يشرب ولا يبيع. قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها». «رواه مسلم».

(٢) وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة قال: يا أيها الناس إن الله تعالى يعرّض بالخمر ولعل الله سينزل فيها أمرا. فمن كان عنده شىء منها فليبعه ولينتفع به، قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى قال ﷺ: إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شىء فلا يشرب ولا يبع، قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها فى طريق المدينة فسفكوها. «رواه مسلم».

(٣) عن عمر رضى الله عنه قال: «لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانا شفاء فنزلت الآية التى فى سورة البقرة **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾**[البقرة: ٢١٩] قال: فدعى عمر فقرئت عليه: قال:

اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانا شفاء. فنزلت الآية التى فى سورة النساء **﴿يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾**[النساء: ٤٣] فكان منادى رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادى: ألا لا يقربن الصلاة سكران فدعى عمر فقرئت عليه ـ فقال: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية **﴿فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩١]فقال عمر: انتهينا» «أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى».

(٤) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «نزل فى الخمر ثلاث آيات، فأول شىء نزلت **﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾** الآية، فقيل حرمت الخمر، فقيل يا رسول الله ننتفع بها كما قال الله عز وجل فسكت عنهم، ثم أنزلت هذه الآية: **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾** فقيل حرمت الخمر بعينها، فقالوا يارسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم، ثم نزلت: **﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ...﴾** الآية فقال رسول الله ﷺ: حرمت الخمر» «رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده».

«الخمر مفتاح كل شر» .

(٤) عن أبي الدرداء قال «أوصاني خليلي ﷺ: لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر» «رواه ابن ماجه»

(٥) وعن الخباب بن الأرت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إياك والخمر فإن خطيئتها تفرع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجر» . «رواه ابن ماجه» .

(٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن فنظر ﷺ - إليها ثم أخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة ، ولو أخذت الخمر غوت أمتك» «رواه البخاري ومسلم والنسائي» .

باب «مدمن الخمر»

(٧) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال :

«لا يدخل الجنة مدمن خمر» . «رواه ابن ماجه»

(٨) وعن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة» «رواه البخاري» .

(٩) ولمسلم من طريق أيوب عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة» .

باب : التغليظ والتشديد على شارب الخمر

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لا يزني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» .

وعن أبي هريرة أيضا : كان أبو بكر يلحق معهن : «ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن» «رواه البخاري» .

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال :

«لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المسلمون إليه أبصارهم وهو مؤمن» .

باب : عقوبة حد شارب الخمر في الدنيا

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

«أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب فقال اضربوه فقال أبو هريرة فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله ، قال لاتقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان» «رواه أحمد والبخاري وأبو داود» .

(٢) عن أنس أن النبي ﷺ «أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال وفعله أبو بكر - فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر» «رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصححه» .

(٣) وعن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ «جلد في الخمر بالجريد والنعال ثم جلد أبو بكر أربعين فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال ما ترون في جلد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف أرى أن نجعلها كأخف الحدود قال فجلد عمر ثمانين» . «رواه مسلم» .

(٤) وعن السائب بن يزيد قال :

(كنا نؤتى بالشارب في عهد رسول الله ﷺ وفي إمرة أبي بكر وصدرا من إمرة عمر فنقوم إليه نضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان صدرا من إمرة عمر فجلد فيها أربعين حتى إذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين» . «رواه أحمد والبخاري» .

باب : تحريم التجارة في الخمر والأوجه التي لعنت الخمر فيها .

(١) عن عائشة قالت : «لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا خرج رسول الله ﷺ فحرَّم التجارة في الخمر» «رواه ابن ماجه» .

(٢) وعن ابن عباس قال : «بلغ عمر أن سمرة باع خمرا فقال : قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال : لعن الله اليهود «حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها»«رواه ابن ماجه»

(٣) وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» . «رواه أبو داود» .

(٤) وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لعنت الخمر على عشرة أوجه بعينها ، وعاصرها ومعتصرها

وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها «رواه ابن ماجه».

باب : حكم التداوى بالخمر

(١) عن وائل بن حجر «أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه، فقال إنما أصنعها للدواء قال إنه ليس بدواء ولكنه داء». «رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه».

(٢) وعن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام». رواه أبو داود. وقال ابن مسعود فى المسكر «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم». «ذكره البخارى - نيل الأوطار».

باب : تخليل الخمر

(١) عن أنس أن النبى ﷺ سئل عن الخمر تتخذ خلا... فقال لا «رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه».

(٢) وعن أنس أن أبا طلحة سأل النبى ﷺ عن أيتام ورثوا خمرا قال أهرقها، قال أفلا نجعلها خلا قال لا «رواه أحمد وأبو داود».

(٣) وعن أبى سعيد قال «قلنا لرسول الله ﷺ لما حرمت الخمر إن عندنا خمرا ليتيم لنا، فأمرنا فأهرقناها». «رواه أحمد».

(٤) وعن أنس أن يتيما كان فى حجر أبى طلحة فاشترى له خمرا فلما حرمت سئل النبى ﷺ أتتخذ خلا؟ قال لا «رواه أحمد والدارقطنى».

باب : «كل مسكر خمر».

(١) عن أنس قال : «إن الخمر حرمت والخمر يومئذ البسر والتمر» متفق عليه، وفى لفظ قال : «حرمت علينا حين حرمت وما نجد خمر الأعناب إلا قليلا وعامة خمرنا البسر والتمر» «رواه البخارى».

وفى لفظ «لقد أنزل الله هذه الآية التى حرم فيها الخمر وما فى المدينة شراب إلا من تمر» «رواه مسلم».

(٢) وعن أنس قال «كنت أسقى أبا عبيدة وأبى بن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال إن الخمر حرمت. فقال أبو طلحة قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها». «متفق عليه».

(٣) عن ابن عمر قال «نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب». «رواه البخارى».

(٤) وعن ابن عمر أن عمر قال على منبر النبى ﷺوسلم : أما بعد.

«أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب والتمر والعسل والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل» «متفق عليه».

(٥) وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ «إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا». «رواه الخمسة إلا النسائى زاد أحمد وأبو داود «وأنا أنهى عن كل مسكر».

(٦) وعن عائشة قالت : «سئل رسول الله ﷺ عن البتع وهو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه، فقال ﷺ «كل شراب أسكر فهو حرام».

(٧) وعن أبى موسى قال : قلت يارسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه، فقال «كل مسكر حرام» «متفق عليها».

(٨) «وعن جابر أن رجلا من جيشان، وجيشان من اليمن سأل النبى ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر، فقال أمسكر هو، قال نعم فقال «كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا يارسول الله وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار». «رواه مسلم وأحمد والنسائى».

(٩) وعن ابن عباس، عن النبى ﷺ قال :

«كل مخمَّر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال - قيل : وما طينة الخبال يارسول الله ؟ قال صديد أهل النار، ومن سقاه صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال». «رواه أبو داود»

(١٠) وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» «رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه» وفى

روايــة «كل مسكــر خمــر وكــل خمــر حــرام» «رواه مسلم والدارقطني» .

(١١) وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت «نهى رسول الله ﷺ، عن كل مسكر ومفتر» . «رواه أبو داود» .

ولأهمية هذا الباب نتبعه بالشرح التالى :

أحاديث الباب تدل على أن كل مسكر حرام وأن كل مسكر خمر وكل خمر حرام ولو كان ذلك من الحنطة أو الشعير أو الذرة أو العسل أو غيرها ــ فقد ذكر عمر رضى الله عنه الأشربة الخمسة التى كانت معروفة حين نزلت آية التحريم **﴿إنما الخمر والميسر... إلخ﴾** وهى شراب العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ولكنه لم يقتصر على ذلك بل أورد عبارته الجامعة «الخمر ما خامر العقل» فأراد رضى الله عنه بذلك التنبيه على أن المراد بالخمر فى آية التحريم ليس خاصا بالمتخذ من العنب بل يتناول المتخذ من غيره .

وأما ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة» ، رواه الجماعة إلا البخارى » فليس فيه نفى الخمرية عن نبيذ الحنطة والشعير والذرة وغير ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة .

قال الشوكانى فى نيل الأوطار، وإنما خص بالذكر هاتين الشجرتين لأن أكثر الخمر منهما وأعلى الخمر وأنفسه عند أهله منهما وهذا نحو قولهم : المال الإبل والحج عرفات ونحو ذلك وقال القرطبى فيما نقله عنه الشوكانى : هذه الأحاديث وغيرها على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بأن الخمر لا يكون إلا من العنب لقوله تعالى :

﴿أعصر خمرا﴾ وما كان من غيره مما تنبذ ولا يعصر فلا تسمى خمرا ولا يتناولها اسم الخمر وهو قول مخالف للغة العرب والسنة الصحيحة وللصحابة لأنهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الأمر باجتناب الخمر تحريم كل مسكر ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره بل سووا بينهما وحرموا كل نوع منهما ولم يتوقفوا ولا استفصلوا ولم يشكل عليهم شىء من ذلك بل بادروا إلى إتلاف ما كان من غير عصير العنب وهم أهل اللسان وبلغتهم نزل القرآن فلو كان عندهم فيه تردد لتوقفوا عن الإراقة حتى يستكشفوا ويستفصلوا ويتحققوا التحريم لما كان قد تقرر عندهم من النهى عن إضاعة المال فلما لم يفعلوا ذلك بل بادروا إلى إتلاف الجميع علمنا أنهم فهموا التحريم ثم يضاف إلى ذلك خطبة عمر بما يوافق ذلك ولم ينكر عليه أحد من الصحابة قوله :

«ومن سقاه أى المسكر صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال» يدل على أن الكبير مسئول عن تربية الصغير ومما يقدمه له من حلال أو حرام .

وحديث ابن عباس رضى الله عنهما . من شرب المسكر بخست صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه . فإن عاد الرابعة كان حق على الله أن يسقيه من طينة الخبال» .

يدل على مدى خطورة الخمر وتأثيرها السيء حتى على العبادات فإنها ترد صلاة شاربها فلا يقبلها الله أربعين يوما . فإن تاب فإن الله يقبله بواسع رحمته **﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾** فمعنى بخست صلاته أى لم يقبلها الله أربعين صباحا .

لما رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر قال . قال رسول الله ﷺ .

«من شرب الخمر لم يقبل الله صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا . فإن تاب تاب الله عليه ـ فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا. فإن تاب تاب الله عليه ـ فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال، قيل يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال ــ قال نهر من صديد أهل النار» وفى شرح الإمام ابن العربى المالكى على صحيح الترمذى تعليقا على عدم قبول التوبة بعد الرابعة :

وقد قال العلماء من العابدين : إن نكث التوبة دائما والاستخفاف بحقها مرة بعد مرة يورث القلب قسوة ربما لم يقدر المرء على تلقينها عند الخاتمة، وقد ضعف الحويل (تصغير الحول) ووقع فى البدن التبديل واشتغل بما يرى من التهاويل . ومن أجل هذه الآثار السيئة للمسكرات ينهى رسول الله ﷺ عن تناولها ولو احتيج إليها ـ كما يُدَّعى للتقوى ـ

أو للتدفئة. روى ديلم الجميدى قال «سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله، إنا بأرض باردة، نعالج فيها عملا شديدا، وإنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا قال هل يسكر؟؟ قلت نعم قال: فاجتنبوه: قال: قلت فإن الناس غير تاركيه قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم رواه أبو داود».

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن الحاجة إلى المسكر لا تبيح المسكر إنما تبيحه الضرورة فقط وبقدر ما يدفعها فقط.

وحديث أم سلمة رضى الله عنها «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر».

«المفتر»: كل شراب يورث الفتور والخدر فى الأطراف والفترة الانكسار والضعف والفتور مقدمة السكر وهو منهى عنه لأنه ذريعة إليه وما أدى إلى الحرام فهو حرام. وهذا الحديث يدعونا إلى بيان حكم الحشيش والأفيون وغيرهما من الجامدات.

ومما لا شك فيه أن هذه النباتات مسكرة أو هى» على الأقل مفترة ومخدرة. وأحاديث الباب صريحة فى تحريم كل مسكر وفى أن حكمه حكم الخمر مائعا كان أو جامدا

وحديث أم سلمة صريح كذلك فى النهى عن كل مسكر مفتر... لذلك فإننا نرى وبالله التوفيق حرمة تناول الحشيش وغيره مما شابهه.

قال الإمام القسطلانى: ويدخل فى قوله كل مسكر حرام حشيشة الفقراء وغيرها وقد جزم النووى وغيره بأنها مسكرة. ا. هـ.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا ما ورد فى فتاوى ابن تيمية جـ ٤ عن كلمة الحشيش.

قال: هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أو لم والسكر منها حرام باتفاق المسلمين ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدا لايصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين.

ثم قال: وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وإن لم تحصل به نشوة ولا طرب فإن تغييب العقل حرام بإجماع المسلمين - والمحققون من الفقهاء علموا أنها مسكرة وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب - فهى تجامع الشراب المسكر فى ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه توجب الفتور والذلة - وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهوة وما توجبه من الدياثة مما هى من شر الشراب المسكر.

وإنما حدثت فى الناس بحدوث التتار وعلى تناول القليل منها والكثير حدا الشرب ثمانون سوطا أو أربعون إذا كان مسلما.

وقال فى موضع آخر من فتاويه

والصحيح أن الحشيش مسكرة كالشراب فإن آكليها يتنشون بها ويكثرون تناولها بخلاف البنج وغيره فإنه لا ينشى ولا يشتهى «وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحدود ومالا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير».

والحشيشة مما يشتهيها آكلوها ويمتنعون عن تركها ونصوص التحريم فى الكتاب والسنة تشمل ما يتناولها ويتناول غيرها (انظر مادة «الحشيش» فى م ١٤ / ٢١٢-٢١٥).

وقال ابن القيم فى كتابه زاد المعاد الجزء الرابع فى باب ما يحرم بيعه.

إن الخمر يدخل فيها كل مسكر مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور، يعنى «الحشيشة» قال لأن هذا كله خمر بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولاجدال فى متنه! وصح عنه قوله ﷺ «كل مسكر خمر» وصح عن أصحابه وهو أعلم الناس بخطابه أن الخمر ماخامر العقل على أنه لو لم يتناول لفظه ﷺ كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل من كل وجه حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه.

وقال الصنعانى فى سبل السلام:

ويحرم ما أسكر من أى شيء وإن لم يكن مشروبا كالحشيش ومن قال إنها لا تسكر وإنما تخدر فهى مكابرة فإنها تحدث ما تحدث الخمر من الطرب والنشوة - وإذا سلم عدم الإسكار فهى مفترة.

وقد روى أبو داود عن أم سلمة رضى الله عنها أنه. «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر».

باب: «ماأسكر كثيره فقليله حرام».

(١) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام» «رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حديث حسن».

(الفرق بفتح الراء وسكونها مكيال معروف بالمدينة يسع ستة عشر رطلا وقيل هو بفتح الراء ستة عشر رطلا فإذا سكنت فهو مائة وعشرون رطلا.

قوله فملء الكف منه حرام ــ وفى رواية للإمام أحمد فى الأشربة بلفظ «فالأوقية منه حرام».

وفى رواية فالحسوة منه حرام.

وليس المراد حقيقة الفرق ولا ملء الكف أو الأوقية أو الحسوة وإنما هو تمثيل للكثير وللقليل قال الشوكانى فى نيل الأوطار: وذكره ملء الكف أو الأوقية فى الحديث على سبيل التمثيل وإنما العبرة بأن التمثيل شامل للقطرة ونحوها.

قال ابن رسلان فى شرح السنن: (أجمع المسلمون على وجوب الحد على شاربها سواء شرب قليلا أو كثيرا ولو قطرة واحدة).

(٢) وعن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام». رواه أحمد وابن ماجه والدارقطنى وصححه» ولأبى داود وابن ماجه والترمذى مثله سواء من حديث جابر، وكذا لأحمد والنسائى وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وكذلك للدارقطنى من حديث الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه.

(٣) وعن سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ (نهى عن قليل ما أسكر كثيره) «رواه النسائى والدارقطنى».

باب

«تسمية الخمر بغير اسمها»

(١) عن عبد الرحمن بن غنم الأشعرى قال: حدثنى أبو عامر أو أبو مالك الأشعرى ـ والله ما كذبنى ـ سمع النبى ﷺ يقول: «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم ـ يعنى الفقير ـ لحاجة ـ فيقولون ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» «رواه البخارى».

(٢) وعن الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبخارى فى تاريخه من طريق مالك بن أبى مريم عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى مالك الأشعرى عن رسول الله ﷺ «ليشربن أناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها تغدو عليهم القيان وتروح عليهم المعازف» «ذكره القسطلانى فى شرحه على صحيح البخارى».

(٣) وعن مالك بن أبى مريم قال «دخل علينا عبد الرحمن ابن غنم فتذاكرنا الطلاء فقال: حدثنى أبو مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها» «رواه أحمد وأبو دادو وابن ماجه».

(٤) وعن عبادة بن الصامت قال: «قال رسول الله ﷺ: لتستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه»

«رواه أحمد وابن ماجه وقال تشرب مكان تستحل»

(٥) وعن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الليالى والأيام حتى تشرب طائفة من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها». «رواه ابن ماجه».

(٦) وعن ابن محيريز عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «يشرب ناس من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها». رواه النسائى».

(٧) وعن أبى الجويرية قال: سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن الباذق فقال: «سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام. قال: الشراب الحلال الطيب. قال: ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث».

وإليك الشرح:

قوله «يسمونها بغير اسمها» قال فى شرح صحيح الترمذى يريد يغيرون وصفتها ويعدلون اسمها ويبقى معناها ــ وهذا أصل فى أن الأحكام إنما تتعلق بمعانى الأسماء لا بألقابها.

وقال الشوكانى «يسمونها بغير اسمها» يعنى يسمونا الداذى بدال مهملة وبعد الألف ذال معجمة.

قال الأزهرى: هو حَبٌّ يطرح فى النبيذ فيشتد حتى يسكر، أو يسمونها بالطلاء، وهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه.

قال أبو داود وقال سفيان الثورى: الداذى شراب الفاسقين.

«والباذق» قال فى القاموس الباذق بكسر الذال وفتحها ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخة فصار شديدا.

وقال الجواليقى أصله باذه وهو أن يطبخ العصير حتى يصير مثل طلاء الإبل.

قوله «سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام» أى سبق حكم محمد ﷺ بتحريم الخمر تسميتهم إياها بالباذق حيث قال: ما أسكر فهو حرام ــ فليس التحريم منوطا بمجرد الاسم حتى يكون تغيير الاسم مغيرا للحكم وإنما الاعتبار بالإسكار فإن وجد فالتحريم ثابت سواء سمى المسكر باسمه الذى كان أو غُير إلى اسم آخر.

قال القسطلانى: وقال الحافظ أبو ذر: مما رأيته فى هامش اليونينية أن الاسم ـ أى الباذق ـ حدث بعد الإسلام.

وأحاديث الباب مما أخبر به الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه مما خصه الله تعالى بعلمه أنه سيقع فى أمته، وقد وقع وشرب الناس الخمر بعد أن خلعوا عليها مختلف الأسماء كالطلاء أو الطلى والباذق والداذى وكالبيرة والبوظة المسكرة وغير ذلك مما يشربه الناس فى هذه الأيام مستحلين لها متأولين فيها أو مسترسلين فى شربها استرسالهم فى الحلال غير مبالين بحرمتها وهى فى حقيقة أمرها خمر يسكر كثيرها فقليلها حرام وإن سميت بمختلف الأسماء بل قد تكون حرمتها أشد من حرمة الخمر.

فقد نقل فى الفتح عن أبى الليث السمرقندى أنه قال: شارب المطبوخ إذا كان يسكر أعظم ذنبا من شارب الخمر لأن شارب الخمر يشربها وهو يعلم أنه عاص بشربها، وشارب المطبوخ يشرب المسكر ويراه حلالا، وقد قام الإجماع على أن قليل الخمر وكثيره حرام. ومن استحل ما هو حرام بالإجماع فقد كفر.

يؤخذ من الأحاديث أن أحكام الشريعة منوطة بحقيقة الشىء ومعناه لا باسمه ولقبه فإنه لما قال أبو الجويرية لابن عباس إن الباذق هو الشراب الحلال الطيب لأنه عصير العنب الحلال الطيب

قال ابن عباس: اشرب الحلال الطيب فإنه ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث حيث تغير عن حالته الأولى الطيبة إلى الخمرية الخبيثة المحرمة).

كما تدل الأحاديث على جواز إخبار الرسول ﷺ عن بعض الغيبيات التى ستقع مستقبلا مما هو آيات على صدق رسالته صلوات الله وسلامه عليه. (المنتخب من السنة ٩ / ١١٩ ـ ١٥٨).

وفى معنى هذه الأحاديث جاءت فتوى للإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ردا على سؤال يقول:

يستبيح بعض الناس ألوانا من النبيذ المسكر زاعمين أنه ليس من الخمر المحرمة، كما يستبيح آخرون تناول المواد المعروفة بالمخدرات مستندين إلى مثل هذا الزعم، فما رأى الإسلام؟

فأجاب رحمه الله قائلا:

أمران يرتبطان بالخمر، وأحكامه تمام الارتباط، ولا بد للمسلمين من معرفتهما حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم بالنسبة لما تلوكه بعض الألسنة المنحرفة، ذات القلوب الفاسدة والأفكار الزائغة ـ فيما يتعلق بمعنى الخمر وملحقاته ـ إما جهلا وإغراقا فى الجهالة بأساليب التحريم القرآنية، والقواعد التشريعية فى الإسلام وإما محاولة لطمس الحقائق الدينية الواضحة عن طريق الخداع وإلباس الحق بالباطل انتزاعا للمسلمين من دينهم وطمسا لشعائرهم، وتحريضا لهم على اقتحام حرمات الله باسم الفهم والرأى، وما هو فى واقعه إلا كيد للإسلام وخديعة للمسلمين.

الخمر كل ما أسكر:

وأول هذين الأمرين هو أن الخمر فى لسان الشرع واللغة، اسم لكل ما يخمر العقل ويغطيه ولا عبرة بخصوص المادة التى يتخذ منها فقد يكون من العنب، وقد يكون من غيره، والأحاديث الصحيحة الواردة فى الخمر، واضحة فى أن ذلك هو معناها «كل مسكر حرام»، «إن من الحنطة خمرا، ومن الشعير خمرا، ومن العسل خمرا، وأنا أنهى عن كل مسكر».

بيّن الرسول معنى الخمر هكذا، وهكذا فهم الأصحاب من كلمة خمر، وبادر حين نزل تحريمها المؤكد بأساليب التحريم القوية المتعددة ــ كل من كان عنده شىء منها ـ بإراقته دون أن ينظر إلى المادة التى اتخذ منها، وهكذا خطب عمر رضى الله عنه فقال أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمس: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل»، وكان ذلك فى محضر كبار الصحابة وغيرهم ولم ينكر عليه أحد منهم.

انحراف فى معنى الخمر:

ومن هنا نعلم أن الذين يعلنون فى مجالسهم الخاصة انقيادا لشهواتهم، وعبثا بالدين والعقول، أن المحرم، هو خصوص المتخذ من العنب، أو منه ومن التمر لا غير، وأن المتخذ من غيرهما لا يحرم تناوله، قوم لا يكترثون بلغة الألفاظ ودلالتها. ولا ببيان الرسول، ولا يركنون إلى فهم أصحابه الذين تحدثوا عما شاهدوا وسمعوا، وهم بعد هذا كله يغالطون أنفسهم، ويخدعون غيرهم فى سر تحريم الخمر الذى حرمها الله لأجله، ودين الله بيّن واضح، ولا ينبغى أن تتخذ آياته سبيلا للهو واللعب، وليس تحريم الخمر من التكاليف «التعبدية» التى لا يدرك المؤمن سر تكليفه بها، وإنما هو من التكاليف المعقولة التى يلمس الإنسان سر تحريمها ويراه واضحا فى نفسه، وفى نفس غيره عقلا، وصحة، ومالا، وكرامة.

سر تحريم الخمر:

أما الأمر الثانى، من الأمرين «موضوع الفتوى» فهو أن الإسلام حين قرر حرمة الخمر وعقوبة شاربها، لم ينظر إلى أنها سائل يشرب، وإنما نظر إلى الأثر الذى تحدثه فى شاربها من زوال العقل الذى يفسد عليه إنسانيته، ويسلبه مكانة التكريم التى منحه الله إياها، ويفسد عليه أيضا ما يجب أن يكون بينه وبين الناس من صلات المحبة والصفاء، ويطوع له مع هذا، انتهاك الأعراض، وقتل النفوس، ويعكر عليه صفو المعرفة بالله، الناشئة عن مراقبته وتذكر عظمته.

وتلك عنوان أضرارها الروحية والاجتماعية التى حرمت لأجلها، كما تضمنها وأشار إليها بأساليب التحريم المتعددة القوية قوله تعالى من سورة المائدة **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩٠، ٩١].

وقد كشف البحث الإنسانى فى ضوء هذا الوحى الإلهى الكريم، أن للخمر مع هذه الأضرار، أضرارا أخرى، أجمع عليها الأطباء، فى الكبد والمعدة، وسائر الأجهزة، وأن هذه الأضرار، كان لها فى القضاء على الإنسان أشد ما عرف للأمراض الفتاكة من القضاء عليه.

الخمر أشد فتكا بالإنسان من السل:

وفى مذكراتى الخاصة بهذا الشأن، نبأ لوكالة من وكالات الأنباء من باريس فى شهر مايو سنة ١٩٥٦ جاء فيه: أذاع معهد الإحصاء القومى فى فرنسا اليوم، (٢٥ مايو) أن الخمور بدأت تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل وقال المعهد، أن ٤٠٠ , ١٧ فرنسى ماتوا فى العام الماضى من الخمر، بينما لم يمت سوى ٠٠٠ , ١٢ بالسل، ومنذ خمس سنوات كانت ضحايا السل ٠٠٠ , ٢٦ وضحايا الخمر ١٣٠٠٠.

هذا تقرير رسمى، عماده إحصاء المعهد القومى فى فرنسا لضحايا الخمر ومرض السل، وحسب الذين يميلون إلى الخمر، أو يحاولون خديعة الناس عن حكمها فى الإسلام، أن يعرفوا ذلك ليتبين لهم كيف يرحمهم الله الحكيم بتحريم الخمر، وكيف يصورها لهم بأنها **﴿رجس من عمل الشيطان﴾** وأى رجس بعد هذا؟

وهذا كله فوق ما يحدثه شربها من الأضرار الاقتصادية التى تذهب بأموال شاربها سفها بغير علم - إلى خزائن الذين اصطنعوها وصدروها، وتفننوا فى سبل الإعلان عنها والإغراء بها، وفوق ما تحدثه من الأضرار الأدبية فى الذهاب بالحشمة والوقار، واحترام الأهل والأبناء والأصدقاء، وفوق التوارث لرجسيتها بين الآباء والأبناء والأحفاد، ولهذا كله حرم الإسلام الخمر.

ليس التحريم خاصا بالسائل المشروب.

هذه الأضرار التى ظهرت للخمر وعرفها الناس، والتى لم تظهر ويعلمها الخبير بطبائع الأشياء، هى مناط تحريمها وإذا كانت هذه الآثار المتعددة النواحى هى مناط التحريم، كان من الضرورى لشريعة تبنى أحكامها على حفظ المصالح ودفع المضار، أن تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث مثل تلك الأضرار أو أشد، سواء أكانت تلك المادة سائلا مشروبا، أو جامدا مأكولا، أو مسحوقا مشموما، وهذا طريق من طرق التشريع الطبيعية، عرفه الإنسان منذ أدرك خواص الأشياء، وقارن بعضها ببعض، وقد أقره الإسلام طريقا للتشريع، وأثبت

بـه «حكم مـا عـرف للـذى لم يعـرف لاشتـراكهمـا فى الخــواص».

ومن هنا لـزم ثبوت تلك الأحكام فى كل مادة ظهـرت بعد عهد التشريع، وكان لها مثل آثار الخمر أو أشد.

ومن الواضح أن قـوله عليـه الصلاة و السـلام «كل مسكر حرام» لايقصد به مجرد التسمية لأن الرسول ليس واضع أسماء ولغات و إنما القصـد منه: أنه يأخذ حكم الخمـر فى التحريم والعقوبة:

و إذا كـان من المحسن المشاهـد، والمعـروف للنـاس جميعـا، أن المواد المعـروفة الآن «بـالمخدرات» كـالحشيش والأفيـون والكـوكـايين، لهـا من المضـار الصحيـة والعقليـة والروحية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية، فوق ما للخمر كان من الضـرورى حرمتهـا فى نظـر الإسـلام، إن لم يكن بحرفيـة النص، فبروحه ومعناه، وبالقاعـدة العامة الضرورية التى هى أول القواعـد التشريعية فى الإسلام، وهى دفع المضـار، وسد ذرائع الفساد.

حرمة المخدرات:

وبـذلك أجمع على حرمـة «المخـدرات» فقهاء الإسـلام الذين ظهرت فى عهدهم.

وتبينوا آثارها السيئة فى الإنسان، وبيئته ونسله، وعرفوا أنها فوق آثار الخمر الذى حرمته النصوص الصريحة الواضحة فى كتاب الله وسنة رسوله، وحرمه النظر العقلى السليم.

قرروا حرمتها، وقرروا عقوبة تناولها كما قرروا حرمة الاتجار بهـا وعقوبـة المتجـرين. وقرروا أن استحـلالهـا كاستحـلال الخمـر، وقد جـاء فى كتبهم «ويحـرم أكل البنج والحشيش والأفيــون لأنهـا مفســدة للعقل، وتصـد عن ذكـر الله وعن الصلاة، ويجب تعزير آكلها بما يردعه».

وقال ابن تيمية: «إن فيها من المفاسد ما ليس فى الخمر، فهى أولى بالتحـريم، ومن استحلها، وزعم أنها حـلال، فإنه يستتـاب، فإن تـاب، وإلا قتل مـرتـدا، لا يصلى عليـه، ولا يدفن فى مقابر المسلمين» وقـال تلميذه، ابن القيم: «يدخل فى الخمـر كل مسكـر، مـائعـا كـان أو جـامـدا، عصيـرا أو مطبوخا؛ واللقمة الملعونـة، لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب السـاكن، إلى أخبث الأمـاكن». ويعنى بـاللقمـة الملعونـة، «الحشيشـة»، هـذه اللقمـة التى تـذهب بنخـوة الرجال، وبالمعانى الفاضلة فى الإنسان، وتجعله غير وفىٍّ إذا عاهد، وغير أمين إذا اؤتمن، وغيـر صادق إذا حدث ـ تميت فيه الشعور بـالمسئوليات، والشعور بالكرامـات، وتملؤه رعبا ودناءة وخيـانة لنفسـه ولمن يعاشـر، وبذلك يصبح كمـا ترون عضـوا غير صـالح فى المجتمع الفـاضل، بل عضـوا فاسـدا مـوبوءا؛ يسـرى وباؤه وفسـاده إلى المجتمع الفـاضل فيوبئـه ويفسده. وإذن، فمن أوجب الواجبات، العمل على ردعه، وقاية للمجتمع من شره.

ولقد أدركت الأمم التى وصلـت إليها تلك المواد، مـا لها من آثار سيئـة تقوض المجتمع، وقامت الحكومـات الساهرة على مصلحة شعوبها بمكافحتهـا، فرصدت الأموال الطائلة. وبـذلـت الجهـود المضنيــة فى سبيل القضـاء عليهــا وعلى المتجرين بها، ومن هنا، يكون الذين نسمع عنهم، أو يسمع الناس منهم، أن «الحشيشة وما إليهـا» لم يحرمها القرآن، ولم تحـرمها سنـة الـرسول، ولم يـرد عن الأئمـة الأوائل شىء فى تحـريمها، من الـذين يفتـرون على الله الكذب، ومن الـذين يقـولون على الله بغيـر علم، ومن الـذين يعملون على إفسـاد المجتمع الإسـلامى، عن طـريـق دس السم فى الـدسم، وبذلك تكـون جريمتهم مضاعفة، جريمـة إفساد المجتمع، وجريمة الافتراء على الله، وجريمة استخدام الدين فى الشهوة والهـوى وإفسـاد المسلمين. نعم، لم تـرد فى القـرآن ولا فى أقـوال الـرســول عليـه الصـلاة والسـلام، ولا أقــوال الأئمـة المتقـدمين، شىء خاص بتلـك المواد، لا فى حلهـا ولا فى حـرمتها، لأنهـا لم تكن معـروفـة فى زمنهم جميعها، وإنمـا ظهـرت كما قـال الإمام ابن تيميـة، فيها بين المـائة السادسـة والمائة السـابعة من الهجـرة، حينما ظهرت دولـة التتار. وإذا كانت قواعـد التشريع فى الإسلام معروفـة، وأن تحريم الخمر ليس تعبديا، وإنما كان محرما لما فيه من الضرر، كانت تلك المواد ولا شك محرمة فى نظر الإسلام، وكان تحريمها من نوع تحريم الخمر إن لم يكن أشد.

أما بعد، فهذا هو حكم الإسلام فى كل ما أسكر، وفى كل ما يخرج بالإنسان عن إنسانيته. وإذا كانت حكومتنا قد وفقت فاتخذت العـدة القوية لحفظ المجتع من «اللقمـة الملعونة»

وكان تحريمها فى نظر الشرع والدين، أثرا ضروريا من آثار تحريم الخمر، فإنى أعتقد أنها تقدر ما للخمر من آثار مفجعة فى الصحة، وفى العقل، وفى المال، وفى الأسر، وفى الأبناء والأحفاد، وأعتقد أيضا، أن نهضتنا الإصلاحية التى ستتناول بإذن الله وتوفيقه جميع فروع الحياة. لا بد أن يكون من عمدها ووسائلها محاربة الخمر بجميع أنواعه، كما حاربت الحشيشة وأخواتها ـ محاربة تطهر المجتمع من آثارها السيئة. ونرجو أن نرى قريبا أن قوى المكافحة التى نوجهها وترسل شواظها نحو المخدرات، تتجهت أيضا إلى مكافحة (أم الخبائث) شربا وتجارة واستيرادا.

﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤].

(الفتاوى/ ٣٤٠ـ٢٤٦)

قالت المؤلفة: أفردنا مادة خاصة للحشيش فى حرف الحاء فى م١٤/ ٢١٢ ـ ٢١٥ فانظرها فى موضعها.

أما عن إباحة الخمر للعلاج فيقول فضيلة الشيخ السيد سابق:

وقد اتفق العلماء على إباحة الحرام للمضطر ولم يختلف منهم أحد.

وإنما اختلفوا فى التداوى بالخمر، فمنهم من منعه ومنهم من أباحه. والظاهر أن المنع هو الراجح، فقد كان الناس فى الجاهلية قبل الإسلام يتناولون الخمر للعلاج. فلما جاء الإسلام نهاهم عن التداوى بها وحرمه، فقد روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن طارق بن سويد الجعفى أنه سأل رسول الله ﷺ عن الخمر فنهاه عنها، فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: «إنه ليس بدواء، ولكنه داء».

وروى أبو داود عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال:

«إن الله أنزل الداء والدواء، فجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام».

وكانوا يتعاطون الخمر فى بعض الأحيان قبل الإسلام اتقاء لبرودة الجو، فنهاهم الإسلام عن ذلك أيضا.

فقد روى أبو داود أن ديلم الحميرى سأل النبى ﷺ فقال: يارسول الله، إنا بأرض باردة، نعالج فيها عملا شديدا، وإنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا. قال رسول الله ﷺ: هل يسكر؟ قال: نعم. قال: فاجتنبوه، قال: إن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم.

وبعض أهل العلم أجاز التداوى بالخمر بشرط عدم وجود دواء من الحلال يقوم مقام الحرام، وأن لا يقصد المتداوى به اللذة والنشوة، ولا يتجاوز مقدار ما يحدده الطبيب.

كما أجازوا تناول الخمر فى حال الاضطرار، ومثل الفقهاء لذلك بمن غص بلقمة فكاد يختنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر.

أو من أشرف على الهلاك من البرد، ولم يجد ما يدفع به هذا الهلاك غير كوب أو جرعة من خمر، أو من أصابته أزمة قلبية وكاد يموت. فعلم أو أخبره الطبيب بأنه لا يجد ما يدفع به الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر.

فهذا من باب الضرورات التي تبيح المحظورات (فقه السنة م٢ جـ٥/ ٢١، ٢٢).

وللإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فتوى بشأن حامل الخمور أو نقل الخمور جاء فيها ما يلى:

رجل يعمل فى نقل الخمور من السفن إلى الميناء وبالعكس، ويسأل إذا كان هذا العمل لعنة على حد قول العلماء: «شارب الخمر، وعاصرها، وبائعها وحاملها ملعونون»؟

فأجاب رحمه الله قائلا:

لعنة شارب الخمر وعاصرها:

لنا مع صاحب هذا السؤال ومع جميع المسلمين كلمتان:

أولهما: أن لعنة شارب الخمر وعاصرها وبائعها وحاملها، ليست من قول العلماء وإنما هى من قول الرسول ﷺ، وقد روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم ابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس. واللفظ الوارد فى رواية ابن عمر، هو: قال رسول الله ﷺ «لعن الله الخمر وشاربها، وساقيها وبائعها، ومبتاعها وعاصرها، وآكل ثمنها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه» والمراد بمبتاعها: مشتريها. والمراد بمعتصرها: طالب عصرها، أى عصر عنبها مثلا.

إذا حرم الإسلام شيئا حرم الوسيلة إليه :

أما الكلمة الثانية فهى الجواب عن السؤال، وليعلم أولا: أن الشريعة الإسلامية إذا حرمت شيئا على المسلم حرمت عليه أن يفعل وسائله التى تفضى إليه، ومن هنا حرم النظر إلى محاسن المرأة الأجنبية ومفاتنها، وحرم الخلوة بها فى مكان خاص، لأن النظرة والخلوة وسيلتان إلى الوقوع فى المحرم، وهو المخالطة الشرعية. وحرم الخطوات التى يخطوها المسلم فى سبيل وصوله إلى مكان الشراب المحرم بقصد أن يشربه، وهكذا يحرم الإسلام على المسلم كل وسيلة يصل بها إلى مفارقة شىء محرم عليه، وهذا بالنظر إلى الشخص الواحد.

فاعل الوسيلة إذا لم يقصد الإعانة على المعصية :

أما إذا فعل الوسيلة شخص، وفعل المحرم شخص آخر، فإن فاعل الوسيلة إذا كان يقصد بفعلها تمكين الآخر من فعل المحرم كان فعلها محرما عليه، وكانت اللعنة لاحقة به ولا شك، ومثال هذا أن يعطى إنسان آخر سلاحا ليقتل به بريئا، أو يهيىء له مكانا ليقتله فيه، فهو شريك بالإعانة على المحرم، وبتهيئة وسائله، أما إذا فعل الوسيلة دون أن يدخل فى حسابه قصد تمكين غيره من المعصية وإنما قصد فقط أن يقوم بعمل يستأجر عليه ويأخذه غيره ولا علاقة له ولا تفكير فى فعل المحرم، ولا فيمن يفعل المحرم، كانت الحرمة واللعنة خاصتين بمن باشر المحرم دون أن يلحقه شىء منهما، واستحق هو الأجر وكان له حلالا طيبا، وهذا هو تخريج الإمام أبى حنيفة لهذا الحديث وأمثاله مما تضمن لعنة من يفعلون وسائل المحرمات التى يفعلها غيرهم.

هؤلاء العمال لا يقصدون إعانة على محرم :

ونحن نرى هذا الرأى ونفتى به بالنسبة إلى هؤلاء العمال الذين يشتغلون فى تفريغ السفن وشحنها، وإن كان التفريغ والشحن لصناديق الخمور أو لقطعان الخنازير؛ فإن من الواضح جدا أن هؤلاء لا يقصدون، ولا يدخل فى حسابهم أن يعينوا أحدا على شرب الخمر أو أكل الخنزير؛ وإنما يقصدون فقط أجر عملهم الذى لا علاقة له بالشاربين ولا بالآكلين والمعصية تحصل بعد ذلك بفعل فاعل مختار، هو شارب الخمر، وآكل الخنزير. والحكم بحل أجور هؤلاء العمال وعدم لحوق اللعنة لهم هو ما يقتضيه اليسر، ودفع الحرج عن الناس الذى بنيت عليه الشريعة الإسلامية **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** [البقرة: ١٨٥]، **﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾** [الحج: ٧٨] (الفتاوى / ٣٤٧ـ ٣٤٩).

وأما عن الأحاديث القدسية فقد أورد الإمام المناوى الحديث القدسي التالى: «من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه فى حظيرة القدس، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونه إياه فى حظيرة القدس» رواه البزار عن أنس.

ويشرح هذا الحديث القدسى الشيخ محمد منير الدمشقى فيقول :

الخمر مؤنثة فى اللغة الفصيحة المشهورة، وأصل الخمر ستر الشىء وتغطيته وسميت خمرا لكونها خامرة لمقر العقل، قال الواحدى: الخمر عند أهل اللغة سميت خمرا لسترها العقل. قال الليث: اختمار الخمر إدراكها وغليانها ومخمرها متخذها وخمرت الدابة أخمرها سقيتها الخمر، قال الكسائى: يقال اختمرت خمرا ولا يقال أخمرتها. وأصل هذا الحرف التغطية، وقيل سميت خمرا لأنها تغطى حتى تدرك وحظيرة القدس الجنة وهى فى الأصل الموضع الذى يحاط عليه لتأوى إليه الغنم والإبل يقيها البرد والريح، ويطلق أيضا على الشريعة وكلاهما صحيح، فالشريعة حظيرة منها يستفاد القدس أى الطهارة. والتقديس التطهير ومنه بيت المقدس، والحرير معروف.

والمعنى أن من ترك شرب الخمر بأن لم يشربه ابتداء أو تركه بعد أن شربه مدة وهو يقدر على شربه ليسقينه المولى جل ذكره من خمر الجنة فى حظيرة القدس ـ أى فى الجنة ـ التى قال الله تعالى فى وصفها فى كتابه المبين **﴿يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾** [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧] أى يطاف على أهل الجنة بكأس فيه خمر كما تجرى العيون على وجه الأرض وهذه الكأس بيضاء صافية اللون ترى من الظاهر ذات لذة وأشد بياضا من اللبن وليس كخمر الدنيا يغتال العقول ويذهب بها ولا يسكرون بعد شربها فلا يصيبهم منها مرض ولا صداع وتغيب بل يملكون حواسهم وشعورهم ويجدون لذة

لو عرضت على أهل الدنيا لماتوا من شدة لذتها واستطابتها . اللهم لا تحرمنا منها . والخمر جاء الشرع بتحريمها واستنكارها وبيان مضارها واستفظاعها والتهديد لمن شربها ووعيده قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] وقال تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء : ٤٣] وقال تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [البقرة : ٢١٩] أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر فيهما إثم كبير لأن مضرتهما كبيرة ولا إثم إلا ما كان ضارا فإثم شارب الخمر ينشأ من فساد عقله وإضعاف القوة العاقلة فيصدر عنه ما يصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشائمة وقول الفحش والزور وإفشاء السر لا سيما فى السياسة الدولية فإن كثيرا من الأسرار الحربية تؤخذ بطريق السكر وله حوادث كثيرة متكررة ، وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه ومخالطة الفساق والفجار وغشيان بيوت الدعارة والملاهى وضياع الأموال وغير ذلك مما فساده ظاهر لكل عاقل هذه مضاره الخلقية والمالية .

وأما مضاره الصحية : إفساد وفقد شهوة الطعام وتغيير الخلق فالسكارى تسرع إليهم النشوة فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم وتعظم بطونهم ومرض الكبد والكلى وداء السل الذى يفتك فى البلاد الأوربية فتكا ذريعا على عناية أهلها بقوانين الصحة ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه . وقد قيل : إن نحو نصف الوفيات فى بعض بلاد أوربا بداء السل .

قال الأستاذ المرحوم السيد رشيد رضا . ولم يكن هذا الداء معروف أو منتشرا فى مثل هذه البلاد - مصر قبل شيوع السكر فيها فهو من الأدواء التى حملها إليها الأوربيون وقد كثر كثرة فاحشة فى مصر على أن جوها لا يساعد على انتشاره . وقال أحد أطباء ألمانيا : اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكايا والسجون ، وقد قال بعض الأطباء إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعى المعتدل ، فمن تأثيره فى اللسان إضعاف حاسة الذوق وفى الحلق الالتهاب ، وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة فى الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها وقد يحدث فيها احتقانا والتهابا ، وفى الأمعاء التقرح ، وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذى يضعف عمله وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمى ، ومن تأثيره فى الدم أنه بممازجته له يعيق دورته وقد يوقفها أحيانا فيموت السكور فجأة . ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتتغلظ حتى تفسد أحيانا فيفسد الدم ولو فى بعض الأعضاء فتكون الغنغرينا التى تقضى بقطع العضو الذى تظهر فيه لئلا يسرى الفساد إلى الجسد كله فيكون هالكا ومن تأثيره فى جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهييج شعب التنفس ، وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال وأعظمها تدرن الرئة أى السل الفاتك بالشبان والقاطع لجميع لذات الإنسان .

وأما تأثيره فى المجموع العصبى فهو الذى يولد الجنون ويهلك النسل فولد السكور لا يكون نجيبا وولد ولده يكون شرا من ولده وأضعف بدنا وعقلا ، وقد يؤدى تسلسل هذا الضعف إلى انقطاع النسل بالمرة لا سيما إذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب ، وأطباء الإفرنج وعلماؤهم مجمعون على أن ضرر الخمر أكبر من نفعها ، وقد ألفت جمعيات فى أوروبا وأمريكا ومصر للسعى فى إبطال المسكرات فهم يتعاهدون على عدم الشرب وعلى الدعوة إلى ذلك والسعى لدى الحكومات بالتشديد على بائع الخمور فالإيام والأجيال كلما تقدمت وارتقت تؤيد قول القرآن بأن إثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما فإن أطباء هذا العصر يصفون من مضرات الخمر ما لم يكن معروفا عند الأطباء المتقدمين وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه ويتبينوا صدقه بأنفسهم لتكون عقولهم مؤيدة لكتابه بوجوب اجتنابه .

قال بعض الشعراء وأشار إلى ما فيها من المفاسد والمصالح :

رأيت الخمر صالحة وفيها
خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا
ولا أشفى بها أبدا سقيما

ولا أعطى بهـــا ثمنـــا حيـــاتى
ولا أدعـــو لهـــا أبـــدا نـــديمـــا

أما عن السعادة الزائفة، والشجاعة الوهمية، والتخيلات الخادعة التى توحيها الخمر إلى شاربها فيقول الشاعر:

وإذا شـــربـــت فـــإننـــى
رب الخـــورنـــق والســـديـــر
وإذا صحـــــوت فـــإننـــى
رب الشـــويهـــة والبعيـــر

وقال آخر:

ونشـــربهـــا فتتـــركنـــا ملـــوكـــا
وأســـدا مـــا ينهنهنـــا اللقـــاء

(الإتحافات السنية / ١٧٢ - ١٧٥).

ومن أمثلة البحوث الطبية المعاصرة فى الخمر ومضارها وحكمة تحريمها بحث للدكتور أحمد شوقى الفنجرى يربط فيه بين الطب والدين جاء فيه ما يلى:

نعرف الخمر من ناحية مكوناتها(أو من الناحية الطبية) بأنها كل سائل يحتوى على نسبة معينة من الكحول وتتراوح المشروبات الروحية فى هذه النسبة. فهى فى البيرة لا تزيد على ٣٪ ويزداد الكحول إلى ٢٥٪ فى المشروبات الأقوى ويصل التركيز إلى ٥٠٪ فى المشروبات الروحية المركزة.

ومن المعروف طبيا أن بعض الأدوية والأملاح الضرورية لصحة الإنسان كأدوية السعال تذاب فى مادة الكحول.. وكذلك بعض أنواع المياه الغازية مثل الكولا.. وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولى..

ولا تدخل هذه الأدوية والسوائل علميا ولا شرعيا فى باب الخمور لأن مادة الكحول فيها غير حرة لا تؤدى إلى السُّكْر.

وتعرف الخمر فى الإسلام:

إنها كل مادة مسكرة. وذلك لقول رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» وهذا يوسع المعنى لكى يشمل أى مادة تؤدى إلى السكر أو الإدمان ولو لم تكن خمرا.

كيف تؤثر الخمر فى الإنسان:

يتوقف تأثير الخمر على عاملين: العامل الأول: الكحول وتركيزه فى الدم. فإذا شرب الإنسان كأسين من البيرة فإن نسبة الكحول تصل فى دمه إلى ٥ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لإحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين.. ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه فى الدم. فإذا وصل التركيز إلى ٥٠ مجم كحول فى ١٠٠ سم دم فإن الإنسان يفقد قوة التركيز الذهنى.. ويفقد السيطرة على عواطفه أو التحكم فيها.. وقد ينخرط فى الضحك فى مواقف الجد والحزن. وقد ينخرط فى البكاء دون مبرر. ولكنه غالبا يستطيع السيطرة على عضلاته وأطرافه أثناء المشى فى هذه المرحلة فلا يترنح.

فإذا زاد تركيز الكحول فى الدم إلى ١٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم فإن الإنسان يتمايل فى الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته وأطراف جسمه، وبديهى أن كل مراكز الفكر العليا تتعطل فى هذا الدرجة عن العمل.

- العامل الثانى: هو استجابة الجهاز العصبى للإنسان.

فقد لوحظ أن الناس يتأثرون بالجرعة الأولى بدرجات متفاوتة.. فمنهم من يعتريه انفعال شديد وهياج ومنهم من يخلد إلى السكون أو النوم من نفس الجرعة.

ويرجع الخطر الأكبر من الخمر فى أن الجهاز العصبى يعوَّد على الكحول بالتدريج.. بحيث إن الكمية التى تؤدى بالإنسان فى المرات الأولى إلى الشعور بالراحة بعد تعب أو باللذة أو نسيان الهموم، فإنه لا يكفيه فى المرات التالية أن يتناول ضعفا أو ثلاثة أضعافها ليحصل على نفس التأثير. وهذا هو ما يؤدى به إلى الإدمان.

ولذلك فإن العلم الحديث يكذب كل من يدعى القدرة على الاعتدال فى الشرب بصفة دائمة.

أثر الكحول على الجهاز العصبى للإنسان:

يقرر العلم الحديث أن مخ الإنسان يتكون من مراكز مختلفة فالوظائف الراقية توجد فى المراكز العليا من المخ. والوظائف الأقل رقيا توجد فى المراكز الأسفل منها.

وأعلى المراكز فى مخ الإنسان هى التى تختص بالإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعى.. ثم تأتى أسفل منها مراكز العقل والتفكير.. ثم مراكز الحكم على الأشياء ثم مراكز الذاكرة.. وأسفل من هذه تأتى المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس.

ويسرى مفعول الخمر من أعلى إلى أسفل . . أى أنها تؤثر على الوظائف الأرقى فى المخ أولا . . ولذلك فإن أول شىء يتأثر فى الإنسان بالكميات القليلة جدا من الخمر هو الإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعى فإذا زادت الكمية تأثرت مقدرته على التركيز الذهنى وهكذا .

أثر الخمر على الشخصية :

لقد جاء فى تقرير المجلس الوطنى لمكافحة الخمور فى بريطانيا أن شرب الخمر مدة طويلة يؤدى إلى تحلل الشخصية . . ويسبب ضعف الإرادة وشرود الذهن . . ومدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده ولو فى صحوته . . كما لا يمكن الاعتماد عليه فى المسائل المالية أو القيادية .

فهو سريع التأثر سريع الغضب، كثير الهواجس والأوهام وأغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلا فى عمله مشاغبا وعنيفا فى بيته عديم الثقة فى زوجته وأولاده . . !!

أثر الخمر على أعضاء الجسم الأخرى :

لكى تعرف الضرر الصحى للخمر يمكنك إحضار خلية حية نشيطة الحركة مثل الأميبا والنظر إليها تحت الميكروسكوب وهى تتحرك وتأكل فإذا وضع فى الماء كحول بنسبة ١ ٪ فإن هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام . . وإذا زيدت الكمية فإنها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث فى خلايا أجسامنا عند شرب الكحول .

١ ـ تأثير الكحول على القلب والأوعيه الدموية :

يتسبب الكحول بنسبة ١٪ فى زيادة عدد نبضات القلب ١٠ نبضات فى الدقيقة عن المعتاد مما يجهد عضلات القلب، ومنذ قديم الزمان كان هناك اعتقاد شائع بين الأطباء والمرضى أن الكحول يوسع الشريان التاجى للقلب وكان الأطباء حتى عهد قريب ينصحون المرضى بضيق أوعية القلب والذبحة القلبية بأن يتناولوا كمية قليلة من الكحول فيزول الألم ويستأنف المريض حركته . . وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة خطأ هذه النظرية وضررها .

(أ) فقد ثبت أن الكحول ليس له تأثير مباشر على الشريان التاجى للقلب .

(ب) وأن ألم الذبحة القلبية يخف نتيجة لتأثير الكحول المخدر على مراكز الألم فى المخ .

(جـ) وأن كمية الكحول إذا زادت أحدثت تسمما فى عضلات القلب وإجهادا . من هذه العوامل مجتمعة فقد يشعر المريض بزوال الألم وبالراحة الوهمية فلا يلزم الفراش فيتعرض للموت .

وهكذا جاءت البحوث العلمية لتؤكد حكمة الرسول فى قوله : «لم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها» .

قالت المؤلفة : لم أعثر على هذا الحديث فى ما بين يدى الساعة من مراجع .

وهكذا أصبح الأطباء ينصحون أى إنسان معرض للذبحة القلبية بالإقلاع عن السجائر والخمر .

٢ ـ تأثير الكحول على خلايا الدم :

للدم وظيفتان رئيسيتان : فبواسطة الكرات الحمراء يمتص الدم الأوكسجين من الرئة ويتخلص من ثانى أكسيد الكربون . . وبواسطة الكرات البيضاء يقاوم البكتريا والميكروبات التى تصل إلى الجسم، وإذا وضعت قطرة كحول فى ماء بنسبة ١٪ على نقطة دم فإن الكرات الحمراء تتحول إلى صفراء ويقل نشاط الكرات البيضاء، ومعنى ذلك فى جسم الإنسان الحى أن يقل امتصاص الدم للأوكسجين فتصاب خلايا الجسم بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة كما تقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الأمراض والميكروبات .

وقد أجرت إحدى الهيئات الطبية فى بريطانيا بحثا على فريقين من عمال «السكة الحديد» أحدهما : تناول قليلا من الكحول قبل العمل، والآخر: لم يشرب الكحول فوجدت : أن الفريق الأول تعب بسرعة وكان إنتاجه أقل .

٣ ـ تأثير الكحول على الكبد

يتسبب الكحول فى المرض المعروف بـ «تليف الكبد الكحولى» وهو مرض منتشر فى أوروبا ونادر جدا فى البلاد الإسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحية وتتحول إلى نسيج ليفى، وإذا كانت نسبة التلف كبيرة أدى ذلك إلى الوفاة المبكرة . وقد أجرى عالم نمساوى كبير بحثا على نسبة الوفيات فى أوروبا وأمريكا من حالات تليف الكبد، فوجد أن هذه النسبة قد قلت إلى النصف خلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصل الإنسان عليها إلا مع بطاقة التموين، وكذلك كانت الحالة فى أمريكا عندما كانت الخمور ممنوعة .

٤ ـ الخمر ونقص الفيتامينات :

ويصاحب شرب الخمر نقص شديد فى الفيتامينات فى الجسم خصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (س) [جـ] : مما يؤدى إلى ظهور مرض (البلاجرا) و (البرى برى) و(الإسقربوط). وتظهر هذه الحالة بشكل رعشة فى اليدين وثقل فى اللسان وضعف فى العضلات واضطراب فى حساسية الجلد وقد يؤدى الأمر إلى شلل الأطراف وتضخم فى القلب .

بعض المعتقدات الخاطئة عن الخمر:

يعتقد كثير من الناس أن القليل من الخمر يفيد ولا يضر. . فهناك اعتقاد سائد بأنها تفتح الشهية للطعام . . وأنها مدرة للبول وأنها تبعث الدفء فى الجسم عند البرد الشديد . . كما يدعى بعض الناس أنها تخلق جوا اجتماعيا مرحا .

وقد رأينا أن نبين هنا رأى البحث العلمى الغير متحيز فى كل واحدة من هذه المعتقدات :

١ ـ تأثير الخمور على شهية الطعام :

هناك اعتقاد سائد بأن الخمور بكميات قليلة وخصوصا البيرة تفتح الشهية للأكل . . وقد وجد العلم أن هذا الشعور مرجعه إلى التأثير النفسى فقط بسبب تخدير المراكز العليا فى المخ . . وبدراسة التأثير الفسيولوجى للكحول على المعدة وجد أنه يزيد الحموضة . . ويسبب الخمول فى حركة الهضم والامتصاص كما يؤدى إلى الالتهابات المزمنة فى غشاء المعدة وهذه بدورها قد تؤدى إلى القرحة . . وكثير من الناس يصابون بالقىء مهما قلّت كمية الكحول التى يشربونها .

ومن المعروف أن الشعوب التى تكثر من شرب البيرة تصاب بالإمساك المزمن وتربى كروشا كبيرة بسبب تمدد المعدة من الكميات الضخمة من السوائل التى يشربونها .

٢ ـ تأثير الخمر على الكلى والجهاز البولى :

من المعتقدات الشائعة أيضا أن البيرة والخمور مدرة للبول وأنها تساعد على طرد الحصوة والرمل وغسيل مجرى البول . . وحقيقة الأمر أن البيرة يدخل فى تركيبها بعض الأملاح والأحماض الكاوية مثل حامض السليسيليك الذى يحفظها من التعفن . . وبذلك تصبح عملية إدرار البول نوعا من إرهاق الكلى وإتلاف نسيجها ، وكثير من مدمنى الخمر يصابون باحتباس البول أو بعدم السيطرة على التبول . .

٣ ـ هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء :

هذا الاعتقاد الشائع أيضا غير صحيح . . والذى يحدث أن الأوعية الدموية فى الجلد والوجه تتمدد عند تناول كمية قليلة من الخمر . ويتدفق فيها الدم فيسبب احمرار الجلد والوجه مما يسبب (التوهم) بأن الجسم قد ارتفعت حرارته ولكن الواقع أن هذا التمدد فى الأوعمية يؤدى إلى خروج الحرارة الداخلية من الجسم وهبوط حرارته هذا إلى جانب أن الكحول يحدث تخديرا فى مراكز تنظيم الحرارة بالمخ وفى القطب الشمالى يحظر على أعضاء بعثات الاستكشاف تناول الخمر لأنها قد تؤدى إلى هبوط الحرارة الداخلية وتجمد الأعضاء والوفاة المفاجئة ! !

٤ ـ الخمر والتأثير الاجتماعى .

يرى كثير من الناس أن تناول الخمر يجعل الإنسان اجتماعيا يحب الناس والجلوس مع الأصدقاء وأنه يصبح أكثر مرحا وودا . . وربما كان فى ذلك بعض الحقيقة للوهلة الأولى ، . ولكننا لو تعمقنا فى دراسة الأسباب لوجدنا أن الخمر تسبب بعض التخدير فى العقل الواعى مما يقلل شعور الإنسان بواقعه ويقلل من تحفظه فى الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعيا ودودا . . وهذا نوع من الحلول السلبية لمشاكل الحياة . . ومن أخطر مظاهره أن هذه الروح الاجتماعية المرحة لا يعقبها أى تصرف إيجابى لخدمة الغير أو المروءة والنجدة .

وإذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الإنسان ودودا يحب الناس فليكن ذلك بالأسلوب الإيجابى (لا السلبى) وعن طريق الدين والعقيدة لا عن طريق تخدير الناس ونسيانهم لواقعهم .

٦ ـ هل هناك شارب خمر معتدل :

من الملاحظ أن جميع من يشربون الخمر يدعون دائما أنهم معتدلون وأنهم يستطيعون المحافظة على هذا الاعتدال مدى حياتهم وكثيرا ما تجد إنسانا يتطوح فى الهواء سكرا ثم يدعى ويقسم أنه غير سكران وأنه معتدل فى الشرب . . وردا على هذه المغالطات :

فقد نشرت جمعية منع المسكرات فى نيويورك إحصائية

تقول: إن بين كل عشرة أشخاص يشربون الخمر ثلاثة يصابون بالإدمان وينقلبون إلى مرضى صحيا واجتماعيا.

أما السبعة الباقون فهم عرضة للإفراط فى الشرب أكثر من مرة إلى حد فقدان أحدهم السيطرة على جسمه أو على أخلاقه.

وقد وجد أن ثلاثة من هؤلاء السبعة قد تعرضوا لحوادث سيارات بسبب الإفراط فى الشرب فى بعض المرات.

وأن اثنين منهم تعرضوا لخلافات عائلية أو خسارة فى العمل بسبب الإفراط فى الشرب مرة أو أكثر.

وبذلك يصبح مجموع من يتعرضون للتفريط فى الخمر وبكل ما يتبعه من مشاكل سبعة بين كل عشرة يشربون أى ٧٠٪.

وهذا وحده يسقط حجة من يدعى الاعتدال فى الخمر ويجعل الحل العلمى الوحيد للمشكلة هو منعها منعا قاطعا وليس مجرد الاعتدال فى الشرب كما يدعى بعض فلاسفة الغرب.

الخمر كمشكلة اجتماعية واقتصادية فى أوروبا:

ولا تكاد الخمر أن تكون مشكلة ذات بال فى العالم الإسلامى.. وذلك بفضل الحسم القاطع الذى واجهها به الإسلام.. أما فى باقى العالم وخصوصا فى أوروبا وأمريكا فهى تشكل مشكلة اجتماعية واقتصادية خطيرة.. ففى كل بلد متطور نجد عشرات الهيئات المختصة فى الدعوة ضد المسكرات وفى علاج المدمنين كما نجد الكثير من المستشفيات ودور النقاهة المختصة بهذه المشكلة.

وقد نشر المجلس الوطنى للمسكرات فى أمريكا سنة ١٩٦٦ إحصائية يذكر فيها أن فى أمريكا وحدها ٦ ملايين رجل وامرأة يدمنون الخمر إلى حد التسمم وأن الخمر تتسبب فى:

١٠٪ من حالات الجنون والاضطراب العقلى التى أدخلت المستشفيات.

٣٠٪ من حالات الطلاق وتشرد الأطفال.

٢٥٪ من حوادث السيارات.

٦٥٪ من أسباب البطالة أو التهرب من العمل.

وبلغت خسائر أمريكا فى هذه السنة بسبب الخمر وحدها ٢,٥ بليون دولار.

الإسلام والخمر:

يعتبر الإسلام الدين الوحيد الذى جاء بأمر قاطع فى النهى عن الخمر.. وقد اتبع الإسلام فى ذلك أسلوبا فريدا فى نوعه سبق به أحدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون.. ونلخص هذا الأسلوب فى أمرين.

أولا: التدرج فى المنع حتى لا يشق على الناس.

ثانيا: ربط الأوامر بالأحداث الواقعية مستفيدا من التأثير النفسى والسيكولوجى فإن أول آية نزلت عن الخمر كانت عندما قال عمر: «اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزل قوله تعالى:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [البقرة: ٢١٩].

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها.

وقال آخرون: يارسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله عز وجل. فسكت رسول الله عنهم... وكان بعضهم يحضر الصلاة وهو سكران فلا يدرى ما يقول، وعاد عمر يدعو ربه: «اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزلت الآية الثانية: **﴿يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾** [النساء: ٤٣].

فقال بعضهم حرمت الخمر.

وقال بعضهم لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله عنهم... ثم دعا عمر ربه «اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزلت الآية الثالثة الحاسمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فلما نزلت هاتان الآيتان جاء الناس إلى الرسول فقال لهم «حرمت الخمر».

ومن أحاديث الرسول فى الخمر قوله ﷺ «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» (الحاكم عن ابن عباس الترغيب ٤ / ٢٩٨).

«من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد الوثن» (رواه ابن حبان عن ابن عباس ـ الترغيب ٤ / ٢٩٧).

وقوله: «من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم يوم القيامة» (الطب الوقائي في الإسلام / ٢٢٥٩ ـ ٢٧١).

ثم يتكلم الأستاذ الدكتور الفنجرى على حد الخمر، وهو ما سبق أن أوردناه فلم نجد حاجة لنقله هنا ثم يقول سيادته:

علاج مشكلة الخمر:

إن الطريق الصحيح لعلاج مشكلة الخمر هو الجمع بين:

ـ التربية الدينية.

ـ والتثقيف الصحى.

ـ فالطب وحده لابد أن يفشل كعلاج.

ـ كما أن الوعظ الدينى وحده لا يحقق النتائج المرجوة دون الإقناع العلمى والطبى.

وأول قاعدة فى هذا العلاج هى «الوقاية خير من العلاج».

ومعنى ذلك منع الخمر منعا قاطعا فى المجتمع الإسلامى وذلك يشمل منع بيعها والاتجار فيها ومنع صنعها أو استيرادها وما أصدق قول رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر، وشاربها وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه وآكل ثمنها» (رواه ابن ماجه عن ابن عمر ـ الترغيب جـ ٤ ص ٢٩٣).

إن الإنسان بطبيعته يكون فى أحسن حالاته الصحية إذا عاش على الفطرة التى خلقنا الله عليها. . وليس فى فطرة الله مخدر ولا منبه ولا خمر. . ولو نشأ الشباب والجيل الجديد فى مجتمع لايرى فيه الخمر ولا يسمع عنها فإنه لن يحس بفقدان شىء، وسوف ينشأ فى حياة صحية سليمة.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن مدمن الخمر يبدأ هذه العادة مجاراة لأهله أو أصدقائه. وقد لا يكون بين هؤلاء سكير ولا مدمن للخمر ولكن استجابة الناس لهذه المسكرات تختلف من جسم إلى آخر ومن شخصية إلى أخرى، فمنهم من يكتفى بجرعات صغيرة ويتوقف عند حد معين ومنهم من يصاب بالإدمان بعد أول تجربة ... وكثيرا جدا ما يتحول الشخص المعتدل إلى مريض مدمن عندما تصادفه مشكلة كبيرة فى حياته أو صدمة نفسية. . وكل واحد من هؤلاء المدمنين يعتبر فى الطب مريضا بالجسم والعقل والروح فى وقت واحد. . ولذلك كان العلاج الأول هو العلاج الجذرى أى منع الخمور من المجتمع منعا قاطعا.

وقد لوحظ بالتقصى والبحث العلمى أن معظم حالات شرب الخمر ترجع إلى أسباب ثلاثة:

السبب الأول: هو الاعتقاد السائد بين الناس بأن للخمر فوائد جنسية أو اجتماعية أو أنها ضد البرد. . وقد سبق تفنيد هذه المعتقدات فعلاجها يكون بالتثقيف الصحى والتوعية العلمية.

السبب الثانى: التخلص من مشاكل الحياة والهروب من الواقع.

السبب الثالث: الفراغ والملل. وخير علاج لهذين العاملين الأخيرين هو بعث العقيدة الدينية فى نفوس الشباب، فالدين يعطى الإنسان هدفا وغاية ويبعث فى النفس الشجاعة لمواجهة الحياة بدلا من الهروب من المشاكل بالمخدرات والمسكرات.

هل يشهد المؤمن مجلس الخمر؟:

لا يجوز للمسلم المؤمن أن يحضر مجلس الخمر إلا إذا أراد بحضوره الإصلاح والتوجيه.

أما أن يجلس معهم من باب الرفقة والتسلية أو من باب المجاملة ولو لم يشرب فهذا حرام. . فالله تعالى يقول فى وصفه للمؤمنين: **﴿والذين لا يشهدون الزور﴾** [الفرقان: ٧٢] وكلمة الزور هنا لا تقتصر على المعنى الدارج وهو شهادة الزور فهذه من أقصى درجات الباطل. ولكن القصد منها أن المؤمن الحق لا يحضر مجلسا فيه زور أى باطل أو أمر حرمه الله ولو كان فى حضوره متفرجا ورسول الله يقول:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار فيها خمر» (رواه البزار عن ابن عمر ـ الترغيب ٤ / ٣٠١).

وإلا فإن المؤمن مطالب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإذا جلس فى مجلس خمر أو باطل فعليه أن لا يكون سلبيا يتفرج على الآخرين. بل عليه تقديم النصح والإرشاد بالحسنى ولو اقتضى الأمر منه حضور مجلسهم لهذا الغرض

وليس للمجاملة فهذا أمر لا بأس به بل هو جهاد فى سبيل الله يجزى عليه .

والمؤمن الحق المتمسك بدينه تكون له هيبة وحياء فى نفوس الناس فلا يقدمون على عمل الباطل فى حضوره .

أما إذا خاف المسلم من نفسه ضعفا حيال الخمر أو يئس من إصلاح الجماعة فعليه أن يعتزلهم ويتجنب مجالسهم (الطب الوقائى فى الإسلام / ٢٥٩ ـ ٢٧٥) .

وثمة بحث آخر يربط بين الطب والدين، وهو عن المسكرات والمخدرات للدكتور محمد عادل أبى الخير يثبت فيه أن لفظ «الخمر» كما ورد فى القرآن الكريم تنطوى تحته جميع المواد المخدرة، ويعدد هذه المواد فيقول :

سئلت منذ بضعة أعوام بعد كتابة الجزء الأول من الاجتهادات فى التفسير العلمى للقرآن الكريم عن سبب عدم ذكر المخدرات فى القرآن الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فرجعت إلى القرآن وآياته المحكمة لأستدل منها على هذا الأمر الغريب . و بدءا ذى بدء أقول إن لفظة «المخدرات» هى لفظة جديدة فى اللغة العربية أى محدثة (المعجم الوسيط) وهى جمع مخدر وهى المادة التى تسبب فى الإنسان والحيوان فقدان الوعى بدرجات متفاوتة . فلما عدت إلى القرآن وجدته قد ذكر كلمة «خمر» و حرمها نصًا ولفظا فى الآيات . ثم وجدت كلمة «سكر» التى جاءت فى سورة النحل وذهبت إلى المعجم فوجدته يقول إن معناها هو كل ما يسكر من خمر وشراب وفعلها سكر سكورا ومعناه فتر وسكن . ومن هنا ابتدأت الخيط من أوله لأن القرآن حرم الخمر جميعا ولم يحرم السكر نصا ولفظا فى الآيات، فهل يجمع لفظ الخمر السكر والمخدرات؟ وهل المخدرات تعتبر خمورا من الوجهة العلمية والقرآنية؟ هذا ما سنصل إليه إن شاء الله فى المقال .

وجاءت الخمر فى اللغة إنها ما أسكر من عصير عنب وفاكهة وتمر، أو مغلى الشعير والذرة والأرز المتخمر (المعجم) .

وفى لغة العلم سميت خمرا لأنها تركت حتى تتخمر وهو تحلل بطىء بفعل الأنزيمات (مثل الزيماز)، أو خمائر الكائنات الدقيقة (مثل الفطريات)، والمواد الكيماوية (مثل الأحماض والقلويات) التى تحول المواد العضوية إلى مواد خامرة للعقل .

وتعرَّف الخمر فى الدين بأنها كل ما خالط العقل أو ستره أو حجبه أو خامره وجعله بين الصحوة والغفوة سواء اتخذ من مواد طبيعية أو غيرها مما تفقد الإدراك السليم أو الإحساس أو الوعى .

فهل هذا التعريف الدينى سليم من الناحية اللغوية أو لا ثم من الناحية العلمية ثانيا ثم من الناحية الفقهية ثالثا؟ هذا ما سأحاول الإجابة عليه فى إطار التفسير العلمى لآيات القرآن الكريم . فلقد جاء القرآن بأربع آيات كريمة توضح لنا الجواب الكامل عن هذه الجوانب الكلية .

فلقد جاء فى سورة النحل المكية الآية [٦٧] : ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ وذلك لأن فى ذلك الوقت من فجر الإسلام كان المسلمون قلة وكانوا مازالوا يعتادون شرب المسكرات المستخرجة من تخمير منقوع التمور وعصائر العنب التى كانت تزرع فى مكة والطائف ويشرب . ويتضح أن القرآن قد أطلق لفظ «سكر» على هذا الشراب المتخمر الذى يسكر شاربه ويجعله سكران وذلك لوجود مادة الكحول الإيثيلى التى نتجت عن تخمر الجلوكوز والفركتوز بفعل خمائر الفطريات . والسكران يمر بمراحل تعرضت لدراسة العلم الحديث نوردها كالتالى :

المرحلة الأولى : وهى مرحلة السرور والانتشاء وهى تستمر حتى يتلعثم الكلام ويقل الاتزان فى الحركات .

المرحلة الثانية : مرحلة الاختلال فى التفكير والاضطراب فى السرد مع الشعور بالدوار وانعدام الاتزان حتى يصل إلى مرحلة الهياج .

المرحلة الثالثة : مرحلة عدم التوافق العضلى الحركى العصبى مع الذهول والخبل وعدم الاستجابة للمؤثرات الخارجية .

المرحلة الرابعة : مرحلة فقدان الوعى مع التخدير العام ويصاحبها هبوط فى درجة الحرارة وهبوط فى الدورة الدموية والتنفس .

هذه هى حالة السكر كما تبينها العلم فى مراحلها الأربعة حسب كمية المسكر التى يتناولها الفرد وبعض الحالات

تنتهي بالموت لهبوط وظائف مراكز المخ المختلفة. ومعروف أنه بعد تعاطى كميات معينة على مدى معين من الفترات الزمنية يتعود الفرد على هذا التعاطى ثم يصبح مدمنا أى يعتمد اعتمادا أساسيا على هذا المسكر. ومضار الخمر على العقل والجسم بعد التعود على تعاطيها وبعد إدمانها كثيرة الحصر ونعلم تأثيرها على الجهاز الهضمي والدوري والتنفسي والتناسلي والجهاز العصبي والعقلي وعلى الكبد والكلى والعينين وعلى حياة الإنسان الاجتماعية.

إذن المسكر قد تخمر وخمر العقل ويؤدى إلى حالة الإدمان ولكنه لا يؤدى إلى أعراض إقطاعية شديدة.

والرواية كما جاءتنا هي: عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى يثرب (المدينة المنورة) واستقر بها وانتشر الإسلام فى أرجائها وسأله بعض الصحابة الأجلاء عن موقف الإسلام من هذه الأشياء التى تذهب بالعقل والصحة وكذلك سأله عن الميسر الذى يذهب بالمال، فنزلت الآية الكريمة من سورة البقرة تقول **﴿يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾** [٢١٩]. فهنا وردت كلمة «الخمر». فهل يصح أن نقول أن كل خمر مسكر؟ أم أن نقول أن كل مسكر خمر؟ فالإجابة أن كل مسكر قد تخمر وأنه فيه خمر للعقل ولكن كل خمر ليس فيه سكر وعدم اتزان وعربدة، لأن الخمر كما اتفق عليه هو الذى يخمر العقل كما فسره العلم، وهو الذى تخمر كما فسرته اللغة، وهو ما يفسد الفرد والمجتمع كما فسره الشرع، وهو ما يحدث الإدمان و هو ما فسره الطب. وأمثلة الخمر كثيرة أسوق منها ملخصا لما فى المباحث العلمية والكتب الدراسية:

١ ـ نبات الخشخاش: الذى يستخرج من عصيره بعد تشريط ثماره سائل أبيض مثل اللبن لا يضر ولا يخمر شاربه ولكن حين تركه على الثمرة تخرج الإنزيمات الموجودة داخل العصارة وتتعرض للهواء الجوى فيحدث التخمر فيتخمر ذلك السائل ويتحول إلى عصارة لزجة القوام ثم سوداء اللون متماسكة القوام نفاذة الرائحة وتتحول المادة الكربوهيدراتية به إلى مادة الأفيون الخام الذى يحتوى على ٣٥ عنصرا فعالا أهمها المورفين بنسبة ١٠٪ والكودايين بنسبة $\frac{1}{2}$٪ وبعملية تقطير للمورفين يستخرج مسحوق الهيروين الشديد التركيز والشديد الفتك.

قالت المؤلفة أوردنا مادة «الخشخاش» فى م ١٥ / ٥٤٤ ـ ٥٤٧ فانظرها فى موضعها.

٢ ـ نبات الكوكا: الذى يستخرج منه بعد تخمير مطحون مسحوق أوراقه بفعل الحوامض (حامض الكبريتيك) أو القلويات (كربونات الصوديوم) أو (النوشادر) ليستخرج منه بعد التقطير مسحوق الكوكايين الذى يصنع منه مادة الكراك التى تعد أشد المخدرات فتكا.

٣ ـ نبات القات: وهو نبات برى يحتوى العنصر الفعال فيه على قلويدات وكذلك حامض الأسكوربيك والكافيين والتانين والأمينوبربديو ـ فينون، ومازالت الدراسات مستمرة لمعرفة باقى مكوناته التى تحتوى على أنزيمات منشطة لهذه القلويدات لتفرز المادة المخدرة مع لعاب (خمائر) المتعاطى فى فمه حين تخزينه لمضغه واستحلابه.

وهذه المواد النباتية المخمرة المخدرة يختلف تأثيرها عن تأثير المسكرات المخمرة حيث إنها لا تحتوى على الكحول ولكنها تؤثر على مراكز العقل والمخ العليا التأثير التالى:

إحساس بالاطمئنان وزوال الاكتئاب والتعب النفسى والجسمانى مع الازدياد فى الرغبة للكلام ثم تبدأ المرحلة الثانية بميل إلى الندم مع رعشات واختلاجات مع هلوسات فكرية يصاحبها احتقان فى الوجه واضطراب فى التنفس. وحينما تزاد الجرعة يحدث هبوط فى الجهاز الدورى والجهاز التنفسى ينتهيان بتنفس كاين ـ ستوك الذى ينتهى بأسفكسيا الاختناق. وهذه الأعراض مختلفة عن أعراض السكر التى يوجد بها التلعثم وانعدام الاتزان.

ولكن كما يحدث فى المسكرات من دفع المتعاطى إلى الإدمان فإن هذه المخدرات المخمرة تحدث الإدمان أيضا ولكن بطريقة أسرع.

وتعريف الإدمان هو تزايد الرغبة والحاجة القهرية للاستمرار فى التعاطى للحصول على المستحضر بأى وسيلة لأن المدمن يعتمد نفسيا وجسمانيا على العقار. ويترتب على ذلك أضرار اجتماعية ونفسية وجسمانية كثيرة نورد منها ما ينطبق على المواد الثلاث السابقة وهى:

(أ) أعراض جسمية لاستمرار التعاطى (أعراض مصاحبة) مثل: الأرق المزمن، الارتعاش، عدم الشهية للأكل والشرب،

التثاؤب المستمر، سيلان المخاط من الأنف، الإمساك المزمن.

(ب) أعراض انقطاعية (حين انقطاع العقار عن المدمن) وهى زيادة العرق، والقيء، الإسهال، تقلصات شديدة بالبطن، الشعور بالبرودة، تشتت الفكر، ضيق فى التنفس.

(جـ) أعراض نفسية مزمنة نتيجة لاستمرار التعاطى: من اضطراب للجهاز العصبى بازدياد الحساسية للانفعالات والأصوات، وحدة المزاج، الجبن والخوف من التفاهات، والهوس والضمور الفكرى.

٤ ــ القُنَّب: وينقسم إلى: القنب الهندى أى الحشيش والبانجو أو الماريجوانا أو القنب الأوروبى وشجيراتها لها ذكر وأنثى تختلف فيهما كمية العصارة والمادة الراتنجية الفعالة المسماه تتراهيدروكنابينول بجانب ٤٠٠ عنصر آخر ثلثها على الأقل ضار للعقل وتؤخذ الأنواع الغنية من القمم الزهرية للنبات أى الزهرة والعنق، وفى الأنواع الرديئة تؤخذ من أوراق وفروع النبات. وتجرش هذه المواد النباتية الخام ليخرج منها المادة الراتنجية التى تتخمر بفعل الإنزيمات الموجودة فى داخل النبات حين تعرضها للجو وتتحول إلى المادة المخدرة. ثم يكمر الناتج ويخلط بمواد أخرى لإنتاج الأنواع المختلفة من زيت وغبارة وكبس. وتعاطى هذا المخدر يؤدى إلى: حالة انتشاء مبدئية مع ميل للضحك على أى كلام، وقدرة على استعادة الذاكرة. ثم تبدأ المرحلة الثانية بفقدان تقدير المسافة والزمن (مما يؤدى إلى حوادث السيارات) مع فقدان السيطرة على حركة اليدين والقدمين ثم انعدام التركيز والإتيان بأفعال غريبة مع الشعور بالسعادة وعدم المبالاة وأحلام اليقظة. وفى المرحلة الثالثة يبدأ التأثير على المراكز المختلفة ويصيبها بالهبوط مثل المركز التنفسى والدورى والسمبثاوى، ويحدث هبوط فى ضغط الدم ثم هبوط وثقل فى التنفس. وفى المرحلة الأخيرة تبدأ هذه المراكز فى التوقف وتحدث الوفاة للهبوط الشديد فى ضغط الدم وانعدام التنفس وفقدان الوعى وذلك عند تعاطى كمية كبيرة قاتلة.

والحشيش يصيب متعاطيه بحالة إدمان بدون أعراض انقطاعية شديدة (اجتهادات / ٥٠ ـ ٥٤).

(جاء فى الكبائر للذهبى عن الحشيشة:

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا
عشت فى أكلها بأقبح عيشه
قيمة المرء جوهر فلماذا
يا أخا الجهل بعته بحشيشه)

(الكبائر / ٦٦ و ٦٥).

قالت المؤلفة: أوردنا مادة «الحشيش» فى م ١٥ / ٢١٢ ـ ٢١٥).

٥ ـ المواد المسببة للهلوسة وهى مواد عديدة منها:

(أ) ليسارجين(L.S.D) الذى يباع فى صورة أقراص مصنعة من تبخير سائل مخمر من فطر ينمو على الشوفان أو القمح.

(ب) الميسكالين: وهو العنصر الفعال فى مخمر عصير الصبار.

(جـ) السيلوسيبين من تخمير عش الغراب.

(د) البوفوتنين من تخمر غدد الضفادع الاستوائية مع فطر معين.

(هـ) مواد أخرى مصنعة ومخمرة بيولوجيا أو كيماويا لها نفس تأثير السابقات وتماثله فى التركيب الكيماوى.

وهذه المواد كلها تؤخذ كمشروب أو كأقراص أو كبسولات أو تعطى عن طريق الحقن وهى تؤدى إلى تأثير مخيف على خلايا المخ بحيث إن متعاطيها يتخيل هلوسات غير طبيعية تشوش الواقع الذى حوله. وهى تؤدى إلى الإدمان مع انحطاط للشخصية وأعراض انقطاعية نفسية شديدة.

٦ ـ المواد المنشطة: وهى كثيرة أيضا ومصنعة وتحدث أعراضا مماثلة لجنون العظمة بجانب هلوسة بصرية وسمعية مع العرق وجفاف الحلق. ولها تأثير منشط مع نزعات عدوانية وهذيان مع ازدياد اليقظة وانتعاش وقتى. وهى تؤدى إلى أعراض الإدمان مع أعراض انقطاعية فى صورة اكتئاب شديد يستغرق وقتا طويلا للعلاج مما يدفع المتعاطى إلى العودة إليها. ومنها:

(أ) الأمفيتامينات: مثل البنزدرين والدكسامفيتامين (الماكستون) والميتامفيتامين.

(ب) المواد المشابهة للامفتامينات: الريتالين ـ البريلودين.

وهذه كلها مستخرجة من اتحادها مع قلويات فتخمرت وهى تخمر العقل. ولها استعمالات طبية محددة.

٧ ـ المثبطات ومهبطات الجهاز العصبى: وهى تستعمل كمنومات وتعتبر مأمونة الجانب فى جرعات صغيرة وقد خضعت للرقابة الدولية على المخدرات فى ١٩٧١ وهى تبطئ النشاط الذهنى. وهى إما طويلة الأثر مثل الفينوباربيتون المسكن، أو متوسطة الأثر مثل الأموباربيتال المنوم أو قصيرة الأثر مثل سيكوباربيتيال الذى ينتج فى شكل كبسولات حمراء (الفراولة) والجلوتثميد والميتاكوالين وهى جميعا مواد مصنعة مخمرة.

وتعاطى جرعة صغيرة منها تجعل المتعاطى يبدو مسترخيا فى حالة نفسية طيبة، وتعاطى جرعة كبيرة تحدث ثقلا فى الحركة وترنحا مع عدم القدرة على الإمساك بالأشياء (تماما مثل السكران)، إذن فهو دواء مسكر وينطبق عليه ما ينطبق على الكحوليات، حتى إن الخمارون يغشون بعض المشروبات الكحولية بهذه المستحضرات. ويحدث الإدمان بطريقة سريعة ويجب أن يقنن تعاطيه طبيا فقط.

٨ ـ المواد البترولية: سمعت عن حالات قليلة من تعاطى بعض الناس لأحد منتجات تقطير البترول مدعين أنه ليس من المواد المسكرة أو المخدرة ولا يدرج فى قانون المخدرات، مستعملينه لما له من أثر فى إحداث حالة تماثل الغيبوبة على الدماغ مما يدّعون أنه يثير فيهم الانتشاء. وهو خطر قاتل لما له من تأثير مدمر على خلايا الجهاز العصبى عموما، ومما يمكن أن يحدثه من جلطات فى الأوعية الدموية فى مختلف أجزاء الجسم. ولكنهم نسوا أن زيت البترول ما هو إلا ناتج عن تحلل وتخمر بلايين الكائنات البحرية الدقيقة والصغيرة والمحاريات التى كانت تعيش فى قاع البحار والمحيطات وأصبحت مادة يستقطر منها ويستخرج هذا العنصر. فهو خمر من أصلها يحرم استعمالها بغرض التعاطى تحريما تاما.

٩ ـ الإيثير والإيثيريات: الذى يستعمله البعض عن طريق الشم لتأثيره المخدر على العقل. وهذه تستخرج من تخمر السليولوز النباتى مع إضافة القلويات فهو أيضا مخمر ومقطر ويعتبر من الخمور الخامرة للعقل إذا استعمل فى الأغراض غير الطبية.

ويتبع هذه المواد الإيثيرية جميع المواد الكيماوية الطبية التى تستعمل فى تخدير المرضى أثناء العمليات الجراحية تخديرا كليا حيث قد يستعملها البعض فى جرعات مخففة لإحداث الأثر الخامر للعقل. وهذه كلها تقع تحت نص القياس فى الشرع فتعاطيها باطل إذا أخذت لهذا الغرض ولكنها تستعمل للأسباب الطبية كما أحلها الله.

ومن هنا يتضح أن جميع المواد المخدرة قد تخمرت تخمرا كيميائيا فعليا بفعل الحوامض أو القلويات أو الأنزيمات أو الخمائر وهى تخمر العقل وتدخل تحت بند الخمر بالتعريف العلمى لها كما ورد فى أول المقال وكما جاءت فى القرآن الكريم قبل معرفتنا لها بقرابة أربعة عشر قرنا.

ونعود ثانية إلى الآية ٢١٩ من سورة البقرة التى أتت لشعوب الأرض جميعا فى كل الأزمان وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلقد حسب بعض الصحابة أن للخمر بعض المنافع وكذلك فى الميسر فشربوا المسكرات التى كانت بين يديهم، بينما البعض الآخر خاف من إثمهما وامتنعوا عن الخمر والميسر. ويروى أن بعض القوم فرحوا وشربوا سكرا ثم قاموا لصلاة المغرب فأخطأ الإمام فى سرد آية جهرا فنزلت فيهم الآية ٤٣ من سورة النساء: **﴿يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون﴾**، فامتنع الناس عن دخول الصلاة وهم سكارى لما فى شرب الكحوليات من تأثير مسكر يتلعثم فيه اللسان وينعدم فيه الاتزان بينما يفقد به الوعى إذا زاد السكر عن حده. ولكن بعضهم لم يكف عن شربها بعد الصلوات ظنا منهم بأنه لا ضرر من ذلك فاجتمعوا يوما ـ كما تقول الرواية ـ التى جاءت فى كتب التفسير السابقة ـ فى دار حيان بن مالك وسكروا ولعبوا وقالوا شعرا وتناشدوا وافتخروا ثم تهاجوا فتضاربوا وتعاركوا وشكا بعضهم لرسول الله فنزلت الآيات الكريمة الرابعة: **﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطن فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطن أن يوقع بينكم العدوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩٠، ٩١].

وبهذه الآية حرمت الخمر جميعا بعد أن جعلها الله رجسا وقاذورات وخمر العقل، وبين الله لنا أن الشيطان يدخل في مجالس الخمر والميسر ليصد الناس عن ذكر الله وعن الصلاة وعن تقوى الله والخشية منه فيصبح المسلم عبثا على المجتمع ومن أعوان الشيطان.

ومما قيل يتضح أن الخمر تشمل جزءين متعارف عليهما:

أولا: المسكرات: هي خمر تتخمر من النخيل والأعناب وغيرها من الثمار النباتية وتحدث خمرا للعقل وتحدث الإدمان بأعراضه المصاحبة الجسمية وأعراضه الانقطاعية وأعراضه المزمنة النفسية.

ثانيا: المخدرات: التي تكون من أصل نباتي مخمر أو من أصل كيماوي يماثل المفعول والتأثير الأقربازيني (المخلقة) فهي مخمرة بواسطة الخمائر أو الكيماويات وهي تحدث خمرًا للعقل وتحدث الإدمان بأعراضه المصاحبة والمزمنة الانقطاعية الجسمانية منها أو النفسية أو كليهما، فهي خمر تخمرت وتخمر العقل ويستحق متعاطيها إقامة الحد عليه.

إذن فإن التفسير الديني أو الفقهي لكلمة الخمر هو صحيح لغويا وعلميا وطبيا وفقهيا، ولو أنهم نسوا المخدرات، فلزم توضيح ذلك.

ولكننا لا يمكن أن نغفل ما جاء بالآية الكريمة ﴿فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾، حيث أن إثم الميسر والخمر أكثر وأولى بنا أن نتركهما بسبب ما فيهما من الضرر بالمال والصحة على الرغم من أنه سبحانه وتعالى جعل لنا هذه الأشياء أيضا لمنفعة فيها. فالكل يعلم فوائد الكحول في الطب والتطبيب وفي الروائح العطرية وفوائد المخدرات في تخدير الألم والمثبطات في عملها للتسكين ومثبطات الجهاز العصبي في تهدئة الأمراض النفسية وبعد العمليات الجراحية وأثناءها وفوائد المنبهات في تنشيط الجهاز العصبي في جرعاتها المقننة المحددة.

تبقى نقطة هامة في موضوع تحريم الخمر بكافة مشتقاتها الموجودة في صورة طبيعية أو صورة مصنعة حيث إن بعض الناس يقولون إن الخمر لم تحرم تحريما مانعا قاطعا لفظيا كما حرمت الميتة والدم ولحم الخنزير مثلا.. والرد على هذا يتضمن نقاطا كثيرة، منها:

أولا: نواهي الله هي كالأوامر: فمهما كان لفظ الكف أو الاجتناب أو النهي فهو قاطع ويجب إطاعته بلا تردد.

ثانيا: الآيات الوارد بها التحريم منها:

﴿يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة: ٩٠].

فلقد جاء الرجس في آية أخرى من سورة يونس تقول **﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾**[يونس: ١٠٠].

وفي سورة التوبة: **﴿فأعرضوا عنهم إنهم رجس﴾** [التوبة: ٩٥].

وفي سورة الأنعام: **﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾** [الأنعام: ١٢٥].

فواضح أن الرجس يقع على الذين لا يؤمنون وعلى الذين لا يعقلون وعلى المتخلفين عن الجهاد في سورة التوبة، وكل واحدة منها تعتبر كبيرة من الكبائر فإن الخمر في هذه المرتبة. والرجس هو العذاب والحرام واللعنة والفعل القبيح القذر (المعجم) وخمر العقل في المسكرات والمخدرات يحدث بعد المرحلة الأولى من تعاطيه وهذا هو المقصود.

ثالثا: أما الاجتناب فلقد جاء في آيات أخر:

﴿والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى﴾ [الزمر: ١٧].

﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾[النساء: ٣١].

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ [الشورى: ٣١].

والمفهوم والواضح والثابت أن الاجتناب هو عدم الرجوع إلى الشيء مهما كان السبب ومهما كانت الظروف. فالخمور بكافة أنواعها من مسكرات ومخدرات رجس من عمل الشيطان أمرنا الله باجتنابها أي عدم الرجوع إليها بعد معرفة أضرارها ومعرفة أبعاد تحريمها وأبعاد عناصرها وموادها الكيماوية والطبيعية المخمرة سواء قبل تعاطيها أو عند استهلاكها.

وعقوبة التعـزير فى أمور فقهية كثيـرة ـ وهى التأديب بغير حد شرعى منصوص عليه فى الشريعة ـ (انظر مـادة «التعزير» في م ٩/ ٦٠٢ ـ ٦٠٧) هى فى الخمر تفويضية بحسب ما يراه الحاكم أو ولى الأمر فى كل زمان ومكان وحال حيث إن عقوبة زراعتها تختلف عـن صناعتها، تختلف عـن جلبها، تختلف عن التجـارة فيهـا، تختلف عن تـرويجهـا، تختلف عن تعاطيهـا، تختلف فى أسباب وكمية تعاطيهـا، وتختلف فى أنواعهـا. المتعددة العديدة التى تتبـاين فى التأثير على العقل وعلى إحداث الإدمان من عدمـه. كما أن العقوبة تختلف إذا ما كانت مسكرات أو مخدرات سامة.

(اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم ٢ / ٥٠ ـ ٦٠).

وقد أفـرد ابن الأجدابـى الطرابلسى بـابا فى كتـابه «كفـاية المتحفظ» فى أسماء الخمر ونعوتها جاء فيه مايلى:

المُـدام، القهوة، الـراح، الـرحيق، السُّـلاف، السَّلافـة الخرطوم، القرقف، الشَّمول، الخندريس، العُقار، الأسفنط، المفـديـة، الصهبـاء، المشعشعـة، وهى الممـزوجـة وكذلـك، المعرَّقـة، المصنقة، العاتـق: (الخمر القـديمة)، البتع: نبيذ العسل، الجعـة: (نبيذ الشعير)، المـزر: (نبيذ الحنطـة)، السكـركـة: (نبيـذ الـذرة، وهـو شـراب الحبشة)، الطـلاء: المطبوخ بالنار، المُسطار: الحامض من الخمـر، المـزَّاء: ضرب مـن الأشربـة، السَّكَـر: كل شـراب يسكر، القُمحَّان: الزبد الـذى يعلو الخمر، الحَبَابُ: الطرائق التى تكـون فيهـا من المـزج، السباء: شـراء الخمـر، يقـال: سبأت الخمر اسبأها، إذا اشتريتها.

١ ـ المدام: المطر الدائم: الخمر وهى المدامة.

٢ ـ القهوة: الخمـر. ويطلق على مـا يشرب من مطبـوخ البن.

٣ ـ الراح: الخمر: جمع راحة: الارتياح.

٤ ـ الـرحيق: الخمـر أو أطيبهـا وأعتقهـا وأفضلهـا أو الخالص الصافى منها.

٥ ـ السلاف والسلافة: الخمر أو ماتعصر، أو ما سال من غير عصر أو أخلصها وأفضلها.

٦ ـ الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار.

٧ ـ القرقف: الخمر يرعد صاحبهـا من إدمانه إياها. وقد يوصف بها الماء البارد ذو الصفاء.

٨ ـ الشمول: الخمر عرضها للشمال فبردت وصفت.

٩ ـ الخندريس: الخمر القديمة.

١٠ ـ العقار: الخمر أو هى التى لا تلبث أن تسكر.

١١ ـ الأسفنط: أعلـى الخمـر وصفـوتهـا أو الطيب من عصير العنب.

١٢ ـ الصهبـاء: الخمر المعصـورة من عنب أبيض (كفاية المتحفظ/ ١١٧، ١١٨).

أمـا عن النظم فلدينـا نمـاذج من شعـر أبى زيد الفـازازى الذى قال يذم الخمر:

الخمـر متلفـة لـديـنك فـاحـذر
ودليلـة نحـو الخنـا والمنكـر
وهـى الجحيم معجـلا ومـؤجـلا
فـاثـن العنـان عـن الجحيم وأقصـر
كـم ورَّطت فـى عسـرة من مـوسـر
كمـا ورَّطـت فـى عطبـة مـن معسـر
مـا استـودع العقـلاء طـى ضلـوعهم
شيئـا أضـر مـن الشـراب المسكـر
يـا مـن يمـد إلـى المـدام يمينـه
شلـت يمينك بـائعـا أو مشتـرى
سيـان ألقيت البنـان علـى الطـلا
للشـرب أو ألقيتهـا فـى مجمـر
نـاران إلا أن هـذى لا تـرى إلا
بمقلـة مبصـر مستبصـر
طهـر فـؤادك مـن نجـاسـة إثمهـا
أو لا فـأعـد للعـذاب الأكبـر
أنت المنجس مـا شـربـت نـدامـة
ولـو أغتسلت بمـاء سبعـة أبحـر
مـاذا تـريـد إلـى شـراب مـورد
وردا يسـوءك ريـه فـى المصـدر

ترد الحساب به وأنت مروع ... تخشى العقاب وأنت منه بمنظر
إن كنت ترغب فى الأمان فلا تكن ... ممن يسير على الطريق الأوعر
أتبيع دينك فى الضلال بجرعة ... قُبحت بطّالا ، زمان المتجر
يا شؤمها من جرعة مذمومة ... سلبتك دينك حيث لم تتشعر
فكأننى بك فى القيامة نادما ... أسفا تعض أنامل المتحسر
إن لم تتب منها فإنك ضحكة ... للناظرين وسبة فى المعشر
وإذا فقدت العقل كنت بهيمة ... فى جلد إنسان وحسبك فانظر
ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتى ... يا حاضرا وكأنه لم يحضر
والله لا فهم الحقيقة سامع ... قد بات فى علم الضرورة يمترى
فاحذر عليك عقوبة فى شربها ... وإذا أنبت إلى المتاب فأبشر
يارب إنا مخطئون جهالة ... فاصفح لنا واستر علينا واغفر

البيت ١ : الخنا : الفحش.

وقال أيضا فى مثل ذلك :

يا مكثرا قاله وقيله ... وجاعلا كأسه فضيله
أفنى التراث الذى حواه ... فيها ويفنى الذى بقى له
ويحك لا يخدعنك أنس ... من بعده وحشة طويلة
ترجو نجاة بغير فعل ... وتلك لا شك مستحيله
يا ليت شعرى بأى قول ... بأى حول بأى حيله
تأمل زلفى لدى مليك ... تأتى إليه بلا وسيله
فقال والخوف قد أراه ... من رشده عندها سبيله
أرجو إلهى وأتقيه ... لكن ظنونى به جميله

وقال فى مثل ذلك :

يا شارب الراح فى أوقات غفلته ... ومستترا بأبواب وأستار
إذا دجا الليل واشمطت ذوائبه ... خلا بكأس وأوتار ومزمار
أما علمت بأن الله مطلع ... يحصى فعالك من جهر وإسرار
لو كنت فى ظلمات البحر محتجبا ... عن كل مرمى لأسماع وأبصار
لم تخف منك عن الرحمن خافية ... بل كل فعلك مقدور بمقدار
ماذا يفيدك جهل الناس كلهم ... بما كتمت ولا يخفى عن البارى
لا يطغينك ستر الله مذ زمن ... فكم أتى دون تسويف وإصرار
فارجع عن الذنب مختارا مراجعة ... أو سوف ترجع عنه غير مختار
وإن أبيت سوى الإصرار تصحبه ... فهل ترى لك من صبر على النار

وقال فى مثل ذلك :

رأيت ذنوب العالمين قبيحة ... وأقبحها طرا مخامرة الخمر
فإن الخنا صدع وفى العقل جبرة ... وإن لم يكن عقل فيأسا من الجبر
فما حال من كل المساوى جميلة ... لديه وحتم السر فى قبضة الجهر
يرى البدر وهو البدر فى صبغة الدجى ... ويسمع لفظ النهى فى صيغة الأمر

وأعظم من هـــــذا وذلك كلـــــه
عـذاب لظى مـا لامـرىء فيـه من الصبـر

وقال فى مثل ذلك :

يـــا مـــدمن الخمـــر غيـــر آل
فى تـــركـــه أمـــر ذى الجـــلال
أبشـــر بفقـــر وهتك ستـــر
وقبح ذكـــر وســـوء حـــال
ومـــورد فى المعـــاد تفضى
منـــه إلى طينـــة الخبـــال
فـــراجـع الحـق لا تعلـل
نفسك فى الفـــوز بـــالمحـــال
واضـــرع إلى الله واستقلـــه
فإنـــه خيـــر مستقـــال
وسلـــه فـــوزا يجبك فضـــلا
وهل جـــواب بـــلا ســـؤال
يـــاصـــاح إن لـم تكن تبـــالى
عنك فمن ذا الـــذى يبـــالى

ولأخيه القاضى أبى عبد الله فى ذمها أيضا (هو محمد بن يخلفتن أخو عبد الرحمن . كان فقيها أديبا) .

مـــا خمـــر العقل فهـــو خمـــر
والخمـــر عنـــد اللبيب جمـــر
جمـــاع إثم غَـــوْل لـــوفـــد
بـأس وبـــؤس ضَـــر وضُـــر
يـــا شـــارب الخمـــر مستســـرا
مـــا دون رب العبـــاد ســـر
لا تســـدل الســـر مـــا على من
يعصى إلـــه السمـــاء ستـــر
واذكـــر إذا مـــا الحيـــاة ولت
وحـــان مـــوت وتم عمـــر
وجـــاء مـــوت وجـــاء قبـــر
وجـــاء بعث وجـــاء حشـــر
واجتمع النـــاس فى صعيـــد
والنهى نهى والأمـــر أمـــر
والنـــار قـــد سُعِّـــرت وقـــالت
هـل من مـــزيـــد فقيل صبـــر
هنـــاك تلقى لـــذيـــذ مـــا قـــد
جنيت من الإثم وهـــو مـــر
أى مقـــام إن لـم يكـن مـن
غـــافـــر كل الـــذنـــوب غفـــر

(آثار أبى زيد الفازازى / ٥٨ ـ ٦١) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب للأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٩ ، ومعجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ٩٨ ، ٩٩ ، والأحكام السلطانية للإمام الماوردى / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ومتن الزبد فى الفقه للإمام أحمد بن رسلان الشافعى ، شرح المناوى / ٩٨ . ومجموع : «السبل السوية لفقه السنن المروية» ــ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ١٠٢ ، والفتح الربانى شرح على نظم أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ٣ / ٢٣ ، والمنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م ٩ / ١١٩ ـ ١٥٨ ، . والفتاوى للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٣٤٠ ـ ٣٤٩ ، وفقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٢ جـ ٥ / ٢١ ، ٢٢ ، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للإمام عبد الرءوف المناوى ، وعليه «النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية» للشيخ محمد منير الدمشقى / ١٧٢ ـ ١٧٥ ، والطب الوقائى فى الإسلام ـ د. أحمد شوقى الفنجرى / ٢٥٩ ـ ٢٧٥ ، واجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم ـ د. محمد عادل أبو الخير ٢ / ٥٠ ــ ٦٠ ، والكبائر للإمام شمس الدين الذهبى ط مكتبة الكليات الأزهرية / ٦٦ ، وط دار التراث العربى / ٦٥ وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى ـ تحقيق عبد الرزاق الهلالى / ١١٧ ، ١١٨ ، وآثار أبى زيد الفازازى الأندلسى . نصوص أدبية من القرن الهجرى السابع جمعها بعض تلاميذه فى حياته ــ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ٥٨ ـ ٦١ . انظر أيضا فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى ـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد . ط دار الغد العربى م ٢٥ / ٤٠٣ ـ ٤٣٥ ، ومع الطب فى القرآن الكريم ـ د. عبد الحميد دياب ود. أحمد قرقوز، تقديم د. محمود ناظم نسيمى / ١٤٠ ــ ١٥٣ ، وعمدة الأحكام

من كلام خير الأنام للحافظ عبد الغنى المقدسى الجماعيلى المطبوع فى كتاب نفائس - بتحقيق محمد حامد الفقى / ٣٣٥، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٣ - ١٤٦، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٥ - ١٣٨، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى - تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٢٠٠، ومتن الغاية والتقريب لأبى شجاع / ٥١، والمنهيات لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى - تحقيق محمد عثمان الخشت / ١٣٧ - ١٤٠).

*** خمرة بابل وغناء البلابل:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦١١٧

- كتاب فى الغزليات وما تساجل به المؤلف مع إخوانه وقد ألفه بناء على طلب نقيب السادة الأشراف محمد بن كمال الدين حمزة.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م.

أوله: الحمد لله رب العالمين على كماله، حيث عن وصف الجميع علا، فسبحانه من إله تفرد بالعظمة والجلال ... وبعد فيقول ...

هذا الذى قد ناولته يد الهوى
كبيرا بها أودت مكابدة النوى
وقد اهتصرت ثمار غصن صبابتى
ولكل قلب فى الصبابة ما نوى

آخرها:

أو برد تعود النار كالثلج عنده
سوى أنها حمراء والثلج أبيض
. . . .
وإن قام من ديوانه لبيوته
فبالطيب منه إنه لسبوح

كان الفراغ من كتابة هذا الديوان ...

الخط نسخى جميل، الحبر: أسود.

تاريخ النسخ: سنة ١٣٢٠هـ.

مصادر عن الكتاب: مقدمة الفتح الربانى له طبع بيروت ص ٣٧ برقم ٦٥.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٤ / ٢٧١.

يقول الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس:

بعض نسخ الكتاب: رأيت نسخة عند الأستاذ أديب النابلسى بدمشق من أحفاد العارف النابلسى.

طبعة الكتاب: أعلنت المطبعة الأنسية ببيروت أنه من مطبوعاتها على الغلاف الأخير لكتاب ذخائر الأعلاق لابن عربى ولكنى لم أطلع عليه مطبوعا وأخبرنى الأستاذ أحمد عبيد بأنه لم يطبع.

قالت المؤلفة: أوردنا للأستاذ أحمد عبيد رحمه الله ترجمة فى م ٢ / ٦٧٨ - ٦٨٣.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٥، ٥٠٦).

*** خمرة الحان ورنة الألحان فى شرح رسالة الشيخ أرسلان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦٠٢١

شرح رسالة أرسلان فى التصوف ألفها سنة ١٠٨٨ هـ.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الدمشقى الحنفى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١م.

أوله: الحمد لله الذى طهر قلوب أوليائه بمياه اليقين من دنس الأغيار ورفع عن وجوه عقولهم قناع الغفلة والاغترار...

آخره: قصيدة فى مدح الشيخ أرسلان جاء فى آخرها:

وسقى قبرا حواه حيا
من عظيم اللطف هتان

دائم الأزمـــــان مـــــا انعطفت

بـــالصبـــا فى الـــروض أغصـــان

الخط نسخ واضح، الحبر: أسـود وخطـوط حمـر تحت بعض كلماته.

ملاحظات: نسخة مراجعة.

نسخة ثانية.

الرقم ٥١١٩.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود معنونة بالأحمر.

اسم الناسخ: محمد بن حسن البيطار.

تاريخ النسخ: ١٣ جمادى الثانية سنة ١٢٥٤ هـ.

نسخة ثالثة:

الرقم ٤٩٠٠

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: محمد سعد الدين بن عبد الغني النابلسي.

ملاحظات: نسخة مراجعة ومقابلة.

نسخة رابعة:

الرقم ٨٣٤٦

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتـاد مقـروء، الحبـر أسود وبعض كلمـاتـه بالأحمر.

اسم النـاسخ: إبـراهيم بن محمـد الـدكـدكجي تلميـذ المؤلف.

تاريخ النسخ: سنة ١١٣١ هـ.

ملاحظات: نسخـة قيمة عليها تملكات مقابلـة ومراجعة على أصل المـؤلف من قبل تلميـذه الـدكـدكجي وذلك سنـة ١١٣٢ هـ.

نسخة خامسة:

الرقم ١١٤١٨

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود.

اسم الناسخ: محمد بن عبد القادر المجذوب.

تاريخ النسخ: لعله سنة ١٣٢٧ لأنه مكتوب فقط ١٠٢٧ ومر بعض المجاميع قريبة لهذا التاريخ.

ملاحظات: نسخة مراجعة.

نسخة سادسة.

الرقم ٨٢٨٣

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي جميل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر بجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ: إسماعيل بن خليفة الحموى.

تاريخ النسخ: ١١ ربيع الأول سنة ١١٥٩ هـ.

ملاحظـات: نسخة خزائنية مـزخرفة الـورقة الأولى ونقلت عن مسودة المؤلف.

مصادر عن الكتاب: عقود الجوهر ٦٠.

يقـول الأستـاذ محمـد ريـاض المـالح واضع الفهـرس: مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١، ابن شاشو، ٦٧، النبهاني جامع الكرامـات ٢ / ٨٥ ويعد الأستاذ الصديق الدكتور بكرى علاء الدين دراسة عن حياته ومصنفاته.

طبعة الكتـاب: ١ ـ مطبعة التضامن الأخـوى سنة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٢م بـ ١٨٤ ص ٢ مطبعـة العلم بدمشق ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م بتحقيق الأستاذ المرحوم عزة حصرية معتمدا بذلك على النسختين اللتين عندى وغيرهما وقد ساعدته فى ذلك.

بعض نسخ الكتـاب: الأوقـاف ببغـداد ١٣٨، وأحتفظ بنسختين مخطوطتين إحـداهما مـراجعة ومقابلـة على نسخة المؤلف بالذات (فهرس الظاهرية ١ / ٥٠٦ ـ ٥٠٩).

ويوجد مخطـوط بالخزانة الطلسية بحلب وجاء بيـانه كما يلى:

وهـو جزء فى نسخـة جيدة متقنـة مضبوطـة مكتوبـة بقلم نسخي جيـد أولها «الحمـد لله الذى طهـر قلوب أوليـائه بمياه اليقين من دنس الأغيـار ورفع عن وجـوه عقولهـم قناع الغفلـة والاغتـرار وألبسهم حلل المعرفـة والاعتبار، ومـا ألبس عليهم آياتـه البينات فى الليل والنهار، والصلاة والسـلام على مفتاح خزانة الغيـب المطلق ... أما بعـد... هـذا أمطرتـه سمـوات

إلهامي وفاضت به عليَّ في حضرة فتحي بحار التجلي السامي وضعته للرسالة الشريفة بل الجوهرة المنيفة التي تغرق بها بحر الفيض الأقدس في العالم الأنفس على لسان الأمجد الأفخم والضرغام الأعظم زبدة الأولياء . . سيدي الشيخ رسلان المنسوب إلى دمشق الشام لكونه نشأ فيها ومات بها عليه رحمه الملك العلام . . » وآخرها « . . قال المؤلف أدام الله بقاه وقد فرغنا نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المبارك من سنة ١٠٨٨ هـ» مقياسه : ١٦ × ٢١ (المنتخب ق ٤ / ٣٥٤، ٣٥٥).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٦ ـ ٥٠٩، والمنتخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٥٤، ٣٥٥).

*** الخُمْرة:**

الخُمرة : بضم الخاء وسكون الميم وفتح الراء : حصيرة أو سجادة تنسج من سعف النخل وترمل بخيوط (المعجم الوسيط ١ / ٢٥٥).

ذكرها ابن سعد في طبقاته تحت عنوان «ذكر الخُمرة التي كان يصلي عليها رسول الله ﷺ » قال :

أخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا ثابت بن يزيد، حدثنا عاصم الأحول، عن أبي قلابة قال : دخلت بيت أم سلمة فسألت ابنة ابنها أم كلثوم، عن مصلى النبي ﷺ، فأرتني المسجد، فإذا فيه خمرة، فأردت أن أنحيها فقالت : إن النبي ﷺ، كان يصلي على الخمرة . وأخبرنا يحيى بن عباد، حدثنا حماد بن سلمة عن الألندق بن قيس، عن ذكوان، عن عائشة أن النبي ﷺ، كان يصلي على الخمرة . أخبرنا عبيدة ابن حميد التيمي، حدثني سليمان الأعمش، عن ثابت بن عبيد، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ، ناوليني الخُمرة من المسجد، قالت قلت : إني حائض، فقال : إن حيضتك ليست في يدك .

أخبرنا محمد بن سابق، حدثنا زائدة عن إسماعيل السدي عن عبد الله البهي قال : حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ، كان في المسجد فقال للجارية : ناوليني الخمرة، فقالت : إنها حائض، فقال : إن حيضتها ليست في يدها . فقالت عائشة : أراد أن نبسطها فيصلي عليها، أخبرنا محمد بن الصباح، حدثنا هشيم، أخبرنا ابن أبي ليلى عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله، ﷺ، قال : ياعائشة ناوليني الخُمرة من المسجد، قالت : يارسول الله إني حائض، قال : إنها ليست في يدك، أخبرنا سعيد بن سليمان، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن البهي، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى على الخمرة . أخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا شعبة، وأخبرنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام، جميعا عن الشيباني، عن عبد الله بن شداد عن ميمونة بنت الحارث أن رسول الله ﷺ كان يصلي على الخُمرة .

(المعجم الوسيط ١ / ٢٥٥، وطبقات ابن سعد . كتاب التحرير م ٩ جـ ١ / ١٦٠).

*** الخُمس:**

قال ياقوت :

وأما الخمس : فخمس غنائم أهل الحرب، والركاز العادي، وما كان من عرض، أو معدن، فهو الذي اختلف فيه أهل العلم، فقال بعضهم : هو للأصناف الخمسة المسمين في الكتاب لما قال عمر، رضي الله عنه، وهذه لهولاء، وقال بعضهم : سبيل الخمس سبيل الفيء، يكون حكمه إلى الإمام، إن رأى أن يجعله فيمن سمى الله جعله، وإن رأى أن الأفضل للمسلمين والأوفر لحظهم أن يضعه في بيت مالهم لنائبة تنزل بهم ومصلحة تعن لهم، مثل سد ثغر، وإعداد سلاح وخيل وأرزاق أهل الفيء من المقاتلين والقضاة وغيرهم ممن يجري مجراهم، فعل .

ثم عاد فذكر صيغة الجمع «الأخماس» فقال :

وأما الأخماس : فمنها : خمس الغنيمة التي كان يأخذها النبي، ﷺ ومنها أخماس المعدن واشتقاقه من عدن بالمكان، إذا أقام به وثبت، وكان ذلك لازما له كمعدن الذهب والفضة والحديد والصفر وما يستخرج من تراب الأرض بالحيلة أبدا، ففيه الخمس، ومنها سيب البحر، وهو ما يلقيه، كالعنبر وما أشبهه، فكأنه عطاء البحر، فيه الخمس، ومنها : ما يأخذه العاشر من أموال المسلمين وأهل الذمة والحرب، التي يتردد بها في التجارات . ثم نقول الآن : قال أهل العلم : أيما أهل حصن أعطوا الفدية، من حصنهم، ليكف عنهم، ورأى الإمام ذلك حظا للدين والإسلام فتلك

المدينة للمسلمين، فإذا ورد الجند على حصن، وهم فى منعة لم يظهر عليهم بغلبة، لم تكن تلك الفدية غنيمة للذين حضروا دون جماعة المسلمين.

وكل ما أخذ من أهل الحرب من فدية، فهى عامة وليست بخاصة من حضر، وقال يحيى بن آدم: سمعت شريكا يقول: إنما أرض الخراج ما كان صلحا على الخراج يؤدونه إلى المسلمين. قال يحيى: فقلت لشريك: فما حال السواد؟ قال: هذا أخذ عنوة فهو فىء، ولكنهم تركوا فيه، فوضع عليهم شىء يؤدونه. قال: وما دون ذلك من السواد فىء، وما وراءه صلح. وأبو حنيفة، رضى الله عنه، يقول: ما صولح عليه المسلمون، فسبيله سبيل الفىء، وروى عن النبى ﷺ، أنه قال: لعلكم تقاتلون قوما، فيدفعونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم، ويصالحونكم على صلح، فلا تأخذوا فوق ذلك، فإنه لا يحل لكم. ورخص بعض الفقهاء فى الازدياد على ما يحتمل الزيادة، وفى يده الفضل من أهل الصلح، واتبعوا فى ذلك سننا وآثارا ممن سلف، إلا أن الفرق بين الصلح والعنوة، وإن كانا جميعا من العشر والخراج. إلا أنه وقع فى ملك أهل العنوة خلاف، ولم يقع فى ملك أهل الصلح. وكره بعض أهل النظر شراء أرض أهل العنوة، واجتمع الكل على جواز شراء أرض أهل الصلح، لأنهم، إذا صولحوا قبل القدرة عليهم والغلبة لهم، فأرضوهم، ملك فى أيديهم. وقال الشافعى، رضى الله عنه: إن مكث أهل الصلح أعواما لا يؤدون ما صولحوا عليه من فاقة أو جهد، كان ذلك عليهم إذا أيسروا. وقال أبو حنيفة، رضى الله عنه: يؤخذون بأداء ما وجب عليهم مستأنفا ولا شىء عليهم فيما مضى. وهو قول سفيان الثورى. وقال مالك وأهل الحجاز: إذا أسلم الرجل من أهل الصلح أخذ من أرضه العشر وسقطت حصته من الصلح، فإن أهل قبرس لو أسلموا جميعا، كانت أرضهم عشرية، لأنها لم تؤخذ منهم، وإنما أعطوا الفدية عن القتل. وأبو حنيفة وسفيان وأهل العراق يجرون الصلح مجرى الفىء، فإن أسلم أهله أجروا على أمرهم الأول فى الصلح، إلا أنه لا يزداد عليهم فى شىء، وإن نقضوا، إذا كان مال الصلح محتاجا لمعايشهم، فلا بأس به.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ١١/ ٤٢، ٤٦).

* **خمس:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خمس»:

أصل الخمس فى العدد، قال تعالى: **﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾** [الكهف: ٢٢] وقال تعالى **﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾** [العنكبوت: ١٤] والخميس ثوب طوله خمس أذرع، ورمح مخموس كذلك: والخمس من أظماء الإبل، وخمست القوم أخمسهم أخذت خمس أموالهم، وخمستهم أخمسهم كنت لهم خامسا، والخميس فى الأيام معلوم.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٩).

* **ابن خمس:**

من مصطلحات علم الحديث.

ابن خمس: الصبى ابن خمس سنين يصح له السماع. وهو أول زمن حدده بعض المحدثين لصحة السماع، منهم القاضى عياض. ونقل ابن الصلاح أن على هذا استقر العمل بين أهل الحديث فيكتبون لابن خمس فصاعدا.

(مجمع مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٩).

* **خمسة عشر (كتاب.):**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف جابر بن حيان الصوفى.

وهو المقالة الخامسة عشرة من كتاب «السبعين».

أوله: قد سبق لنا قبل كتابنا هذا أربعة عشر كتابا، ذكرنا فيها علوما كثيرة من الحيوان وتدبيره، وقد ذكرت فى الكتاب الذى قبل هذا من العلامات الداخلة فى هذه التدابير فى اليوم الخامس عشر، وقد سميت كتابى هذا «رسالة خمسة عشر» وذلك لازم فى التدبير، وسنذكر فى الرسائل التى تلى كتابنا هذا ما يكون فى عشرين وثلاثين وعشرة أياما من العلامات فاعرفه ... إلخ.

وآخره: وعلامة التكرر يزداد الإكسير فى الحل والعقد بمقدار واحد، وإن عناصره تلطف، ويلطفها ما يصفو، وبصفائها ما يعمل العمل الكامل إن شاء الله تعالى.

ـ نسخة بقلم نسخ جميل، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨.

ومسطرتها ١٧ سطرا	١١×٢١ سم
(ضمن مجموعة من ص ١٢٦ ـ ١٣٠)
[مكتبة بروسة حسين جلبي ـ ١٥].
(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ١٢١).

*** خمسة موالٍ فى نسق:**

هم كما ذكرهم ابن قتيبة:

داود بن خالد بن دينار،

وأخواه: «سهل»، و «يحيى»، أبنا «خالد».

وكلهم قد روى عنهم الحديث. هم موالى «آل حنين» الذين منهم: إبراهيم بن عبد الله بن حنين، وكان يروى عنه «الزهرى».

«وآل حنين» موالى «مثقب»؛ و «مثقب» مولى «مسحل»؛ و «مسحل» مولى «شماس»؛ و «شماس» مولى «العباس بن عبد المطلب».

(المعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٥٩٠).

*** الخمط:**

خمط: قال أبو حنيفة الدينورى زعم بعض الرواة أنه شجر كالسدر وحمله كالتوت وقيل شجر له شوك نقل ذلك عن الفراء ونقله الزمخشرى فى الكشاف عن أبى عبيدة فتأمل. وقال أيضا الخمط فى الآية ثمر الأراك وهو البرير

قالت المؤلفة: يقصد بالآية قوله تعالى: ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل**﴾ [سبأ: ١٦] وقال الليث هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل وهذا قد نقله الجوهرى وقال ابن الأعرابى: الخمط ثمر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به ... إلخ.

(معجم أسماء النباتات/ ٥٤).

وجاء فى المفردات:

الخمط شجر لا شوك له، قيل هو شجر الأراك، والخمطة الخمر إذا حمضت، وتخمط إذا غضب يقال تخمط الفحل هدر.

(المفردات/ ١٥٩).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٤، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٩).

*** الخمير:**

قال داود الأنطاكى:

هو دقيق يعجن بالماء أو شىء من الأدهان واللبن ويترك ليلة فأكثر وأجوده الذى عُمل من الحنطة أو الشعير وغيرهما ردىء لا يجوز استعماله وهو حار فى الأولى إن كان من الشعير وإلا ففى الثانية يابس فيها وقيل فى الثالثة مركب القوى لتعفينه وحمضه بالحرارة الغريبة خفيف محلل وإذا أذيب بقدره أربع مرات ماء عذبا وطرح لكل أوقية منه دانق من كل من السكر والطباشير والزعفران وشرب قطع الحمى والعطش واللهيب فإن زيد مثقالان من الخل قطع الإسهال الصفراوى وإذا أصلح منه طعام لناقه عدل بدنه وانهضم. وغذاؤه جيد، وإذا لُت بزيت وسواد النحاس ولصق على الداحس والدماميل والخنازير فجرها خصوصا إن زاد ملحه. وإن عجن بالحناء والسمن وطليت به الصلابات والأورام المعجوز عنها تحللت من وقتها وفيه سر عظيم من الأعمال المكتومة الملوكية وهو أنه إذا عصر من النعنع جزء وسحق من الخردل مثله ومن الشبت نصف عشر أحدهما ومن الخمير مثل الجميع ثلاث مرات وطبخ الكل بعشرة أمثاله ماء حتى يرجع إلى النصف وصفى وعقد بالعسل واستعمل عند الحاجة هضم هضما لا يصبر معه عن الأكل ونقى المعدة من نكاية البلغم والحراقات وأصلح الشهية إصلاحا لا يعدله غيره وإن أخذ على المعاجين المهيجة بلغها المنافع المطلوبة وهو يصدع ويضر صدر المريض وتصلحه الكثيرا وشربته إلى ثمانية عشر (التذكرة ١ / ١٤٦).

وقد أورده المظفر الرسولى فى المعتمد نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

«ع» قوة الخمير لطيفة، يسيرة الحرارة، تجذب من عمق البدن بلاء وأذى، وتحلل، وهو مركب من قوى متضادة؛ وذلك أن فيه حموضة باردة، وحرارة من قبل العفونة، وفيه حرارة طبيعية من قبل الملح، وقوة الخمير من دقيق الحنطة مسخن، حار، ملطف وإذا خلط بالملح أنضج الدماميل، وفتح أفواهها. وينضج الأورام العارضة فى أسفل القدم، وإذا عدم أصله فيتخذ من الدقيق والزيت، ويعجن الدقيق بقليل زيت، ويترك ليلة، فيصبح من الغد خميرا قاطعا، وإذا حل بالماء وخلط به مثل ربعه دهن بنفسج، وتغرغر به، نفع من أورام الحلق الباطنة، وإذا حُل بالماء، وصنع به حساء، وقطر فيه قطرات من خل يسيرة وشرب، أمسك البطن، وعقل إسهاله. «ج» رطوبته ويبسه بقدر كثرة ملحه وقلته. وطريه حار فى الدرجة الثانية، وعتيقه حار يابس، فى الدرجة الثالثة، وفيه قوى متضادة: برد من قبل حموضته، وحرارة من قبل عفنه، وحرارة طبيعية من قبل ملحه ودقيقه، وفيه قوة تجلو، وهو يجذب المواد البلغمية إلى ظاهر البدن، ويحلل، ويضمد به الوجع الكائن فى أسفل القدمين، وينضج الدماميل. «ف» معروف. والعتيق أقوى فى جذب المواد، حار فى الثانية وعتيقه حار يابس، ضماده ينضج الدماميل، ويحلل المواد العميقة، ويستعمل منه بقدر الحاجة.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٦، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٨، ١٣٩ انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د أحمد شوكت الشطى / ٣٢٢).

*** الخميس أو الخماس:**

من أساليب القتال فى الحروب الإسلامية. أخذ الخلفاء بنظام الخماس، وذلك بترتيب القوات فى الجهات الأربع، ميمنة وميسرة، ومقدمة، وساقة (مؤخرة)، ثم جعل القلب فى الوسط. ولما ابتكرت القيادة العربية هذه التعبئة، سمى الجيش الذى يقاتل بهذا الأسلوب «الخميس» وجعلوه خمسة أقسام.

(أ) الميمنة والميسرة: فى الجناحين وتكون الميمنة عن يمين القلب، والميسرة عن يساره.

(ب) المقدمة والساقة: فى الأمام والوراء، تكون المقدمة فى طليعة القلب من الجيش والساقة وراءه.

(جـ) القلب وهو القسم الخامس ويجعلونه فى مركز الأقسام الأربعة، ويكون مقر القائد العام وحاشيته، مثلما يكون لكل قسم آخر آمر وحاشية وراية وشعار خاص وتكون الأثقال على جنب.

ولقد ظل هذا النظام مرعيا ومعمولا به قرونا عدة، فقد أخذ به الأمويون. وأخذ به العباسيون مع بعض التعديلات. ومع ذلك فهناك من قائل بأن تعبئة الكراديس بدأت فى معركة اليرموك، وكان للعرب فيها أربعون ألفا من المشاة والفرسان تحت قيادة خالد بن الوليد، فعدل فى تعبئة هذا العدد الضخم وقسم جنده إلى ٣٨ كردوسا فى كل كردوس أكثر من ألف جندى، ثم رتبهم فى ثلاث فرق، وجعل القلب مؤلفا من ١٨ كردوسا أمر عليها أبا عبيدة والجناحين من عشرة كراديس، وكان الجناح الأيمن تحت قيادة عمرو بن العاص والأيسر ليزيد بن أبى سفيان، فى حين احتفظ خالد بالقيادة العليا.

شن البيزنطيون هجوما كاد يكون ساحقا، فأمر خالد الجناحين ـ الأيمن والأيسر ـ بالتصدى للهجوم، وحينما كان الجناحان يشغلان العدو أمر خالد القلب بالتقدم فشطر خيالة العدو عن مشاته، وبذلك فرّت خيالة العدو بعد عزلها، بيد أن خالد حال بين المسلمين وبين مطاردتها (ربما كان ذلك أفضل) وهاجمت جميع قوى المسلمين الأعداء وكان ذلك سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م.

ولنقرأ بعد ذلك ما فعله الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه فى معركة صفين سنة ٣٧ هـ/ ١٥ من يوليو ٦٥٧م أى بعد معركة اليرموك بأربع وعشرين سنة فقد اتبع الخليفة أسلوب الزحف بالصفوف على نحو ما فعله النبى ﷺ واضعا مشاة المقاتلين فى صفوف ووضع حملة الدروع فى الصفوف الأمامية، ثم أمر جنده بالانتظار حتى يقترب العدو منهم وتصير رماحهم فى صدور العدو، وأشار على رجاله بأن ينحنوا على رماحهم إلى الأمام فى أثناء الهجوم ليجعل تأثيرها أشد،

ونظم الخيالة فى كراديس وكانوا مسلحين بالقسى والسيوف. وعند الالتحام وضعوا قسيهم جانبا واستخدموا السيوف، وكان جيش معاوية قرابة خمسين ألفا من الجنود يكاد يقترب عددا من جيش على.. ثم اصطدم الجيشان وكادت أن تكون مذبحة دموية لمدة يومين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة. وفى اليوم الثالث بدا النصر يحالف عليا، وسرعان ما لجأ معاوية إلى استخدام الحيلة بأن أمر رجاله بأن يثبتوا القرآن فى أعلى رماحهم صائحين «لندع الله يقول كلمته»... وسرعان ما كان لهذه العبارة أثرها السحرى بين صفوف المجاهدين العلويين فأحجموا عن القتال. واضطر الخليفة علىٌّ إلى موافقته على اتفاقية الهدنة، واختيار بعض المحكمين لفض النزاع. وبعد ستة أشهر تقرر التحكيم لكن دون الوصول إلى نتيجة.. ومنذ ذلك الحين حدث الانشقاق العظيم بين المعسكرين، فاستقل معاوية بالشام واحتل مصر (٦٥٨ م) فى حين حكم الخليفة على العراق وفارس، وكانت قاعدته الكوفة..

ويبدو أنه فى أيام حكم الخلفاء الراشدين استخدمت تعبئتان فى القتال، هما: نظام الصف الزاحف وتعبئة الكردوس، ويستدل على ذلك مما ورد فى مطلع خطبة الخليفة على لجنده لحضهم على القتال، قال: إن الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، فأخبركم أنه يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص «فسووا صفوفكم وقدموا الدارع وأخروا الحاسر»، والخطبة طويلة وهى تنطوى على خلاصة نظم الحرب والقتال فى أيام الخلفاء الراشدين.

(الحرب عند العرب ـــ د. عبد الرحمن زكى. كتابك (٨٨) دار المعارف ١٩٧٧ / ٤٣ ـ ٤٦).

انظر مادة «الحروب الإسلامية» فى م ١٣ / ٤٠١ ـ ٤٠٧.

*** الخميس فى أحوال أنفس نفيس:**

أورده حاجى خليفة تحت عنوان «الخميس فى أحوال النفس النفيس» وصحح بين معكوفتين إلى [فى أحوال أنفس نفيس] قال:

فى السير للقاضى حسين بن محمد الديار بكرى المالكى نزيل مكة المكرمة المتوفى بها فى حدود سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة [٩٦٦] وهو كتاب مشهور مرتب على مقدمة وثلاثة أركان وخاتمة المقدمة فى خلق نوره عليه الصلاة والسلام، والركن الأول فى الحوادث من المولد إلى البعثة، والثانى من البعثة إلى الهجرة والثالث من الهجرة إلى الوفاة، والخاتمة فى الخلفاء الأربعة وبنى أمية وآل عباس وغيرهم من السلاطين إلى جلوس السلطان مراد الثالث إجمالا وفرغ من تأليفه فى ثامن شعبان من سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة وقد اختلف فى إعجام الخاء وإهمالها فى الخميس فقيل إنه بالمهملة سماه باسم مكة ورأيت بخط العلامة قطب الدين المكى أنه ينقط فوق الخاء وهو المشهور (كشف ١ / ٧٢٥).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى تحت عنوان «الخميس فى أحوال أنفس نفيس»:

الرقم ١٨٥٨٠

لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى المؤرخ المتوفى فى حدود سنة ٩٦٦ هـ/ ١٥٥٩ م.

الأول: (الحمد لله الذى خلق نور نبيه قبل كل أوائل ثم خلق كل شىء من الأعالم وجعل ...).

نسخة نفيسة ناقصة قليلا من الأول كتبها بقلم النسخ عبد المنعم بن جمعة الحواوشى المصرى الأزهرى لخزانة كريمى جلبى السندى فى القسطنطينية سنة ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤ م.

القياس ٣٧٢ ص   ٢٦,٥ × ١٨ سم   ٢٧ س.

معجم المؤلفين ٤ / ٤٧ طبع أكثر من مرة معجم ٨٩٧.

نسخة أخرى.

جيدة الخط كتبها محمد السمان الزبيدى سنة ١٠٤٦ هـ ١٦٣٦ م تنتهى بحوادث سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م.

الرقم ١٦١٤

القياس ٦٩١ ص   ٢٩ × ٢٠ سم   ٢٥ س

(فهرس التاريخ والتراجم والسير / ١٦٨، ١٦٩).

كما يوجد مخطوط فى معهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى تحت عنوان «الخميس فى أحوال أنفس النفيس»:

أوله: «المعين هو الله... الذى خلق نور نبيه قبل كل أوائل... هذه مجموعة فى سير سيد المرسلين وشمائل خاتم النبيين».

وآخره: «ثم تولى السلطنة بعده ابنه السلطان سليمان، وهو الحادى عشر من ملوك بنى عثمان ... فى أول القرن العاشر. والله أعلم».

نسخة كتبت بقلم معتاد بخط محمد بن محمد الدسياوى. فرغ منها فى المحرم سنة ٩٦٨ هـ. وهى فى ٦٠٨ ورقات، ومسطرتها ٢٤ سطرا.

[رواق الأتراك، الأزهر ٩٤١ تاريخ] UNESCO

ويوجد جزء منه من نسخة أخرى:

يبدأ بالموطن الخامس فى وقائع السنة الخامسة من الهجرة النبوية. وآخره فى ذكر السلطان سليمان العثمانى: «وكان مولده فى أول القرن العاشر والله أعلم بالصواب ... هذا ما تيسر لجامع هذا الكتاب ... وكان فرغ من تأليفه ... سنة أربعين وتسعمائة».

نسخة كتبت بخط نسخى جيد، سنة ٩٤٩ هـ، كتبها عبد القادر بن على المصرى، فى ٢٩٠ ورقة، ومسطرتها ٢٩ سطرا.

[المدرسة الأحمدية بالموصل ٣٩] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة / ١٦٣، ١٦٤).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٥، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٨، ١٦٩، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٦٣، ١٦٤).

انظر أيضا التاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية - عمر رضا كحالة / ١١١، ١١٢.

*** الخمسين فى أصول الدين:**

الخمسين فى أصول الدين: مختصر للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة رتب على المسائل الخمسين أوله: الحمد لله الذى تحير العقول... إلخ أدرج فيه الدلائل الجلية والقواعد الأصولية (كشف ١ / ٧٢٥).

قالت المؤلفة: هذا الكتاب عندى وهو بعنوان «المسائل الخمسون فى أصول الدين» وهو العنوان الصحيح كما يتضح من صورة المخطوط ص ١٤. تحقيق د. أحمد حجازى السقا. المكتب الثقافى. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٨٩ ويقع فى ٧٤ صفحة + ٤ فهرس.

*** الخنازير:**

مما يرد ذكره فى التراث الإسلامى فى الطب.

الخنازير: علة معروفة، وهى قروح صلبة تحدث فى الرقبة (اللسان ١٥ / ١٢٧٦) وجاء فى ذيل تذكرة أولى الألباب ما يلى:

الخنازير سميت بذلك لاعترائها الخنازير غالبا وهى أصلب منها ما ينفجر ظاهره وما ينبسط ويقرح مشققا وأسبابها التخم وتخليط الغذاء وقلة التنقية (العلاج) يلطف الغذاء ما أمكن ويستعمل الرياضة على الجوع وتنقية الأخلاط بالقىء والإسهال ثم الأضمدة المارة فى السلع كالداخليون معجونا معه رماد الإيرسا (الذيل / ١٨٢).

وقال عنها داود الأنطاكى، وقد أدرجها بين أمراض ما فوق المرىء والقصبة وأجزاء من الفم:

الخنازير صلابات كالسلع تتحجر بين الأغشية من الأخلاط الغليظة وعلاماتها الالتهاب إن كانت حارة والكمودة إن كانت عن السوداء (العلاج) تفصد الدموية ثم ينقى الخلط ويضمد بعد ذلك بكل محلل كالأشق وأخثاء البقر والبزر... ومتى لم تخالط الجلد جاز قطعها وعلاجها بعلاج الجراح وما خرج قرب الأذن منها فهو الذبحة وحكمها كالخوانيق (انظر مادة «الخوانيق») (النزهة المبهجة ٢ / ٣٨).

وقال صاحب كتاب التنوير: الخنازير: غدد صلبة متحجرة، فربما كانت واحدة، وربما كانت عدة وتكون مثل جوزة فى كيس. وتكون فى الأكثر فى العنق والإبط والأربية (كتاب التنوير / ٣٢) الأربية: أصل الفخذ مما يلى البطن أو لحمة فيه (المعجم الوجيز / ١١).

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٢٧٦، وذيل تذكرة أولى الألباب لمؤلف مجهول / ١٨٢، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ٣٨، وكتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى - تحقيق وفاء تقى الدين / ٣٢، والمعجم الوجيز / ١١).

* **الخناني (- ١٢٠٧ هـ):**

ذكره الجبرتي في وفيات سنة ١٢٠٧ هـ وقال عنه:

ومات الإمام العلامة والوجيه الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن جاد الله بن محمد الخناني المالكي البرهاني وجده الأخير يعرف بأبي شوشة وله مقام يزار بأم خنان بالجيزة نشأ في طلب العلم وحضر أشياخ الوقت ولازم السيد البليدي وصار معيدا لدروسه بالأزهر والأشرفية وانتفع بملازمته له انتفاعا كليا وانتسب إليه وأجازه مطولة بخطه، ونوه بشأنه، فلما توفي شيخه المذكور تصدر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسيني، واجتمع عليه الناس وحضره من كان ملازما لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم واعتقدوا صلاحه وتحبب إليهم وواسوه بالصلاة والزكوات والنذور وواظب الإقراء بالأزهر أيضا وزيارة مشاهد الأولياء وإحياء لياليها بقراءة القرآن والذكر ويقوم دائما من الثلث الأخير من الليل ويذهب إلى المشهد الحسيني ويصلي الصبح بغلس في جماعة. وزاد اعتقاد الناس فيه واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وإمساكها. وبآخرة اشترى دارا عظيمة بحارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر وانتقل إليها وسكنها. وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين في كل يوم جمعة قبل الشمس.

ولم يزل تعاوده الأمراض حتى توفي رحمه الله وما رأيته قط إلا وهو يتلو قرآنا أو يطالع كتابا سامحه الله تعالى.

(عجائب الآثار في التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتي ٢ / ١٥٢، ١٥٣).

* **الخنثى:**

نبات أورده المظفر الرسولي نقلا عن مصدرين رمز لهما بالحرفين التاليين:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

قال:

الخنثى ــ «ع» هو نبات معروف، وله ورق شبيه بورق الكراث الشامي، في رأسه زهر أبيض، وله أصول طوال مستديرة، شبيهة في شكلها بالبلوط، حريفة مسخنة، ولا ينتفع من هذا الدواء إلا بأصله، كما ينتفع من اللوف بأصله، وقوته تجلو وتحلل، فإن أحرق وصار رمادا كان أشد إسخانا وتجفيفا، وأكثر تلطيفا وتحليلا، وهو يشفي داء الثعلب إذا أحرق أصله وضمد برماده، بعد حك الموضع بخرقة خشنة، وإذا شربت أدرت البول والطمث، وإذا شرب منها وزن درهمين بشراب، نفعت من وجع الجنبين والسعال ووهن العضل، وإذا أكل من أصله مقدار كف سهّل القيء، وثلاث دراهم منه تشفي نهش الهوام. وينبغي أن يضمد موضع النهشة أيضا بالورق والأصل والزهر، مخلوطا بالشراب وطبيخ الأصل بدردي الشراب ضمادا ينفع من القروح الوسخة والخبيثة، وللأورام العارضة للثدي، والحصى والخراجات والدماميل. وماؤه وحده أو مخلوط بكندر وعسل وشراب ومر، يفتر، ويقطر في الأذن التي يسيل منها القيح يوافقها، وفي الأذن المخالفة لناحية الضرس والوجع يسكن وجعه.

«ج» نبات ورقه كورق الكراث، وله ساق أملس، على رأسه زهر وله أصول طوال مستديرة كاللينوفر، وهو حريف، وأصله الأشراش، وهو حار يابس، وقيل: إنه بارد رطب، وهو قول بعيد، ورماده ينفع من البهق الأبيض، ويطلى به ويجلس في الشمس، وزهره إذا نقع في شراب ينفع ذلك الشراب من لدغ العقرب (المعتد ١ / ١٣٩، ١٤٠).

كما أورده الشيخ داود الأنطاكي فقال عنه:

الخنثى: جبلي يطول نحو ذراع ورقه كالكراث وعليه قطع كالبلوط وأصله كالسوسن يدرك بآب (أغسطس) ويرفع في ظل تبقى قوته عشر سنين ويحمل بزرا في مثل أقماع البصل وهو حار يابس في أول الثالثة يجبر الكسر ويحلل الرياح شربا ...، ويجلو الآثار كالبهق طلاء ويحلل الورم... ويبرئ داء الثعلب شربا وضمادا خصوصا برماده ويدر ويذهب اليرقان ويفتت الحصى ويلحم الجراح ويبرئ القروح الباطنة وهو يضر الكلى وتصلحه المصطكى وشربته إلى ثلاثة (التذكرة ١ / ١٤٧).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٩، ١٤٠، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٤٧).

* **الخنثى المشكل:**

حكم الخنثى المشكل في الميراث:

المراد بالخنثى المشكل، هو المولود الذى لم تتبين ذكورته، ولا أنوثته، حال ولادته، فينتظر به البلوغ ليكشف عن حاله فإذا أريد قسمة التركة فإن الطريقة التى عليها بعض أهل العلم هى أن يعطى نصف حظ ذكر، ونصف حظ أنثى (منهاج المسلم / ٤٨٩).

وجاء فى التعريفات:

الخنثى فى اللغة: من الخنث، وهو اللين، وفى الشريعة شخص له آلتا الرجال والنساء أو ليس له شيء منهما أصلا (التعريفات / ١٣٦).

وهذا الثانى مشكل لا يتضح ما دام صبيا فإذا بلغ أمكن اتضاحه، والأول قد يتضح وإن كان صبيا وقد لا يتضح ولإشكالهما أو اتضاحهما علامات منها البول والشهوة وغيرهما، ومحل ذكر ذلك وبسطه كتب الفقه والغرض هنا كيفية إرث المشكل وإرث من معه من الورثة حال إشكاله ولا يتصور أن يكون المشكل زوجا ولا زوجة لعدم صحة مناكحته ولا أبا ولا جدا ولا أما ولا جدة لأنه لو كان واحدا ممن ذكر لكان واضحا والفرض أنه مشكل.

قال صاحب الرحبية:

وإن يكـــون فى مستحق المـــال
خنثى صحيح بيِّن الإشكـــال
فـــاقسم على الأقل واليقين
تحْـظَ بحـق القسـم والتبيين

ويشرح سبط المارديني البيتين فيقول:

إذا مات إنسان وخلف ورثة فيهم (خنثى) مشكل (بيِّن الإشكال) أى ظاهر الإشكال فيعامل هو ومن معه من الورثة بأصغر الأمرين من ذكورة الخنثى وأنوثته فيعطى كل واحد الأقل المتيقن عملا بـ (اليقين) ويوقف الباقى إلى اتضاح حال المشكل فيعمل بحسبه أو إلى أن يصطلحوا فلو مات عن ابن وولد خنثى مشكل فبتقدير ذكورة الخنثى يكون المال بينه وبين الابن بالسوية لكل واحد منهما نصف المال، وبتقدير أنوثته يكون للخنثى الثلث وللابن الثلثان فيقدر الخنثى أنثى فى حق نفسه فيأخذ الثلث فقط ويقدر ذكرا فى حق الابن فيأخذ الابن النصف لأنه متيقن به ويوقف السدس الباقى بينهما حتى يتضح حال المشكل أو يصطلحا.

وعلم من مفهوم كلامه أنه لو لم يختلف نصيب الخنثى أو لم يختلف نصيب غيره لمن معه من الورثة أنه يعطى نصيبه كاملا لأنه الأقل فلو خلف أخا شقيقا وولد أم خنثى مشكلا كان له السدس فرضا لأنه لا يختلف بذكورته ولا بأنوثته وللشقيق الباقى، ولو خلف بنتا وولد أبوين أو ولد أب خنثى مشكلا فللبنت النصف فرضا وللخنثى الباقى تعصيبا لأنه إما عصبة بنفسه أو عصبة مع غيره، ولو خلف زوجة وأما وولدا خنثى مشكلا وابنا فللزوجة الثمن وللأم السدس لأن فرضهما لا يختلف بذكورة الخنثى ولا بأنوثته وللخنثى ثلث الباقى وللابن نصف الباقى ويوقف سدس الباقى بينهما. فمسألة ذكورته تصح من ثمانية وأربعين ومسألة أنوثته تصح من اثنين وسبعين والجامعة لهما مائة وأربعة وأربعون لتوافقهما بثلثى الثمن للزوجة منها ثمانية عشر، وللأم أربعة وعشرون، وللخنثى بتقدير أنوثته أربعة وثلاثون، وللابن أحد وخمسون بتقدير ذكورة الخنثى، والموقوف بينهما سبعة عشر. وفهم من كلام الناظم أيضا أنه لو كان الخنثى أو غيره من الورثة يرث بتقدير ولا يرث بتقدير آخر لم يعط شيئا لأن الأقل هو لا شيء له فلو ترك ولدا خنثى مشكلا وعما فبتقدير ذكورته له الكل ولا شيء للعم، وبتقدير أنوثته له النصف فرضا والباقى للعم فيقدر ذكرا فى حق العم وأنثى فى حق نفسه فيعطى الخنثى النصف ويوقف النصف الآخر بينه وبين العم، ولو خلفت زوجا وولد أخ خنثى مشكلا وعمًّا، فللزوج النصف والباقى للخنثى بتقدير ذكورته ولا شيء له بتقدير أنوثته لأن بنت الأخ ساقطة فيكون الباقى للعم فلا يعطى الخنثى ولا العم شيئا ويوقف النصف الباقى بينهما إن ظهر الخنثى ذكرا أخذه أو أنثى أخذه العم (شرح الرحبية / ٨، ٦٩).

(١) ذكورية	٤٨
زوجة	٦
أم	٨
خنثى	١٧
ابن	١٧
٠	٠

انتهى من الحاشية

(٢) أنوثته	٧٢	١٤٤
زوجة	٩	١٨
أم	١٢	٢٤
خنثى	١٧	٣٤
ابن	٣٤	٥١
٠	٠٠	١٢٧
		١٧

باقى موقوف. انتهى من الحاشية

(منهاج المسلم ــ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٨٩ ، والتعريفات للشريف الجرجانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٦ ، وشرح الرحبية فى الفرائض لأبى عبد الله محمد بن على الرحبى ـ شرح الشيخ محمد بن محمد سبط الماردينى / ٦٨ ، ٦٩).

انظر خلاصة الفرائض.

*** الخنجر:**

من أسلحة العرب الهجومية.

يعرف بالصلت وهو السكين الكبيرة أو المدية ، استعمل فى معظم البلاد العربية والإسلامية وانتقل إلى البلقان.

(الحرب عند العرب ــ د. عبد الرحمن زكى. كتابك (٨٨)، دار المعارف ١٩٧٧ / ٣٥).

*** الخندروس:**

ذكره المظفر الرسولى نقلا عن مصدرين رمز لهما بالحرفين التاليين :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

قال : الخنْدروس «ع» هو غذاء جيد مثل الحنطة. وهو صنف له حبتان ، وهو أغذى من الأرز ، وأشد عقلا للبطن ، وأجود للمعدة ، وهو حب له تغرية وسحوج ، ومزاجه شبيه بمزاج الحنطة ، إلا أنه أشد لزوجة منها ، فلذلك يمكن فيه الإنضاج كما يمكن فى الحنطة ، وإذا طبخ بخل وتضمد به قلع الجرب المتقرح ، وأبرأ الأظفار إذا عرض لها تشقق أو تقشر ، وأبرأ النواصير العارضة فى المآقى ، ويعمل من طبيخه حقنة نافعة من قرحة الأمعاء التى يعرض معها ألم مؤذ. «ج» هو الحنطة الرومية ، وهى حارة رطبة لزجة ، غذاؤها أبرد من غذاء الحنطة غير الرومية ، وجيده الكبار الحديث الرزين ، وهو حار رطب ، الممضوغ منه ينفع الأورام الجاسية ، ودقيقها خاصة بالزعفران دواء للكلف. الشربة : بقدر الكفاية (المعتمد ١ / ١٣٩).

كما ذكره داود الأنطاكى فقال عنه : الخندروس : الحنطة الرومية تشبه الحنطة لكنها خشنة وحبها ليس بالمستطيل وهى حارة يابسة فى الثانية إذا شربت حللت البلغم والدم الجامد ونفعت من النهوش طلاء أيضا ويضمد بها المستسقى فتحلل ترهله وتقوى الأعصاب وكذا نطولها (التذكرة ١ / ١٤٦ ، ١٤٧).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٩ ، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٦ ، ١٤٧).

*** الخندق (غزوة ـ):**

وهى غزوة الأحزاب. قال الإمام النووى :

الخندق المذكور فى قولهم يوم الخندق تكرر ذكره فى هذه الكتب هو خندق مدينة رسول الله ﷺ حفره رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله تعالى عنهم لما تحزبت عليهم الأحزاب فيوم الخندق هو يوم الأحزاب وكان فى سنة أربع من الهجرة وقيل سنة خمس وكانت مدة حصارهم خمسة عشر يوما ثم أرسل الله تعالى على الكفار ريحا وجنودا لم يرها المسلمون فهزمهم بها. فى صحيح البخارى فى أول باب غزوة الخندق قال قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق فى سنة أربع. وحديث ابن عمر عرضت يوم أحد ويوم الخندق (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٠٢).

قال الإمام ابن الديبع : غزوة الخندق وهى الأحزاب ، وكانت فى شوال سنة أربع.

١ ــ عن أنس رضى الله عنه قال : «خرج النبى ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة.

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا

على الجهاد ما بقينا أبدا»

أخرجه الشيخان والترمذى :

٢ ــ وعن البراء رضى الله عنه قال : «رأيت رسول الله ﷺ وهو ينقل معنا التراب ، ولقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

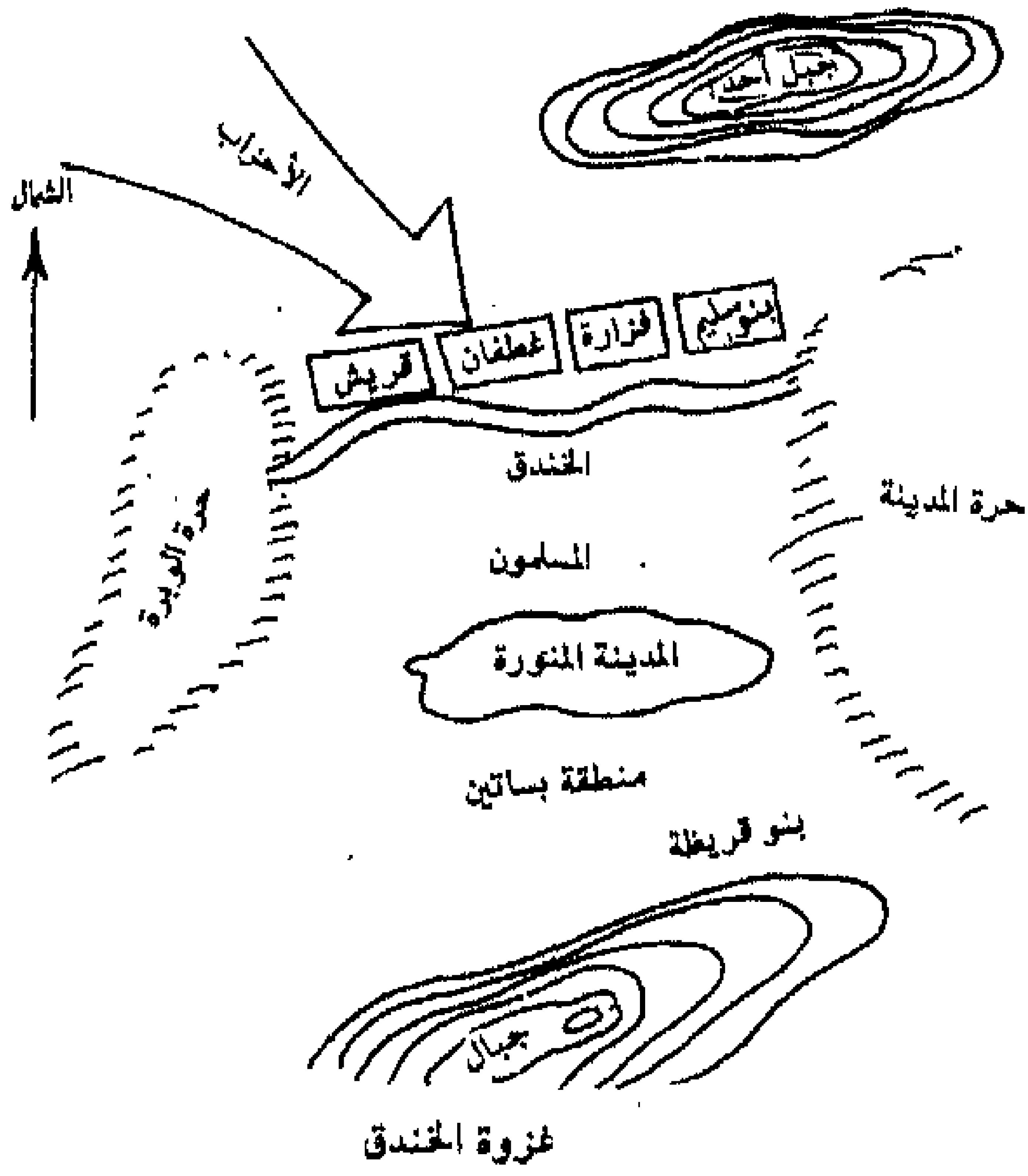
فأنــــــزلـن سكينــــــة علينـــــــا
وثبت الأقــــــدام إن لاقينـــــــا
والمشـــــركـــون قـــد بغـــوا علينـــا
إذا أرادوا فتنــــــــة أبينــــــــا

ويرفع بها صوته». أخرجه الشيخان.

٣ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما رجع النبى ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض على رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه. اخرج إليهم. فقال: فإلى أين؟ قال: هاهنا وأشار إلى بنى قريظة فخرج إليهم. فنزلواعلى حكمه. فرد الحكم إلى سعد بن معاذ. فقال: إنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم، وكان سعد أصيب يوم الخندق فى أكحله فضرب عليه ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب، وفى رواية قال سعد: اللهم إنك تعلم أنه ليس قوم أحب إلىّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه. اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها. فانفجرت من ليلته فلم يرعهم، وفى المسجد خيمة من بنى غفار، إلا الدم يسيل إليهم. فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذى يأتينا من قبلكم. فإذا سعد يغذو جرحه دما. فمات منها» أخرجه الشيخان.

(الأكحل) عرق فى وسط اليد يكثر فصده. وقوله (فلم يرعهم) أى فلم يفزعهم إلا هو، والروع الفزع. وقوله (يغذو) غذا الجرح بالذال المعجمة يغذو غذوا: إذا سال دما.

٤ ـ وعن جابر رضى الله عنه قال: «إن سعد بن معاذ رُمى يوم الأحزاب قطعوا أكحله أو أبجله. فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فنزفه الدم. فحسمه أخرى فانتفخت يده. فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكمه، فحكم فيهم أن تقتل رجالهم وتستحيا نساؤهم. فقال ﷺ: أصبت فيهم حكم الله، وكانوا أربعمائة. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات رضى الله عنه» أخرجه الترمذى وصححه.



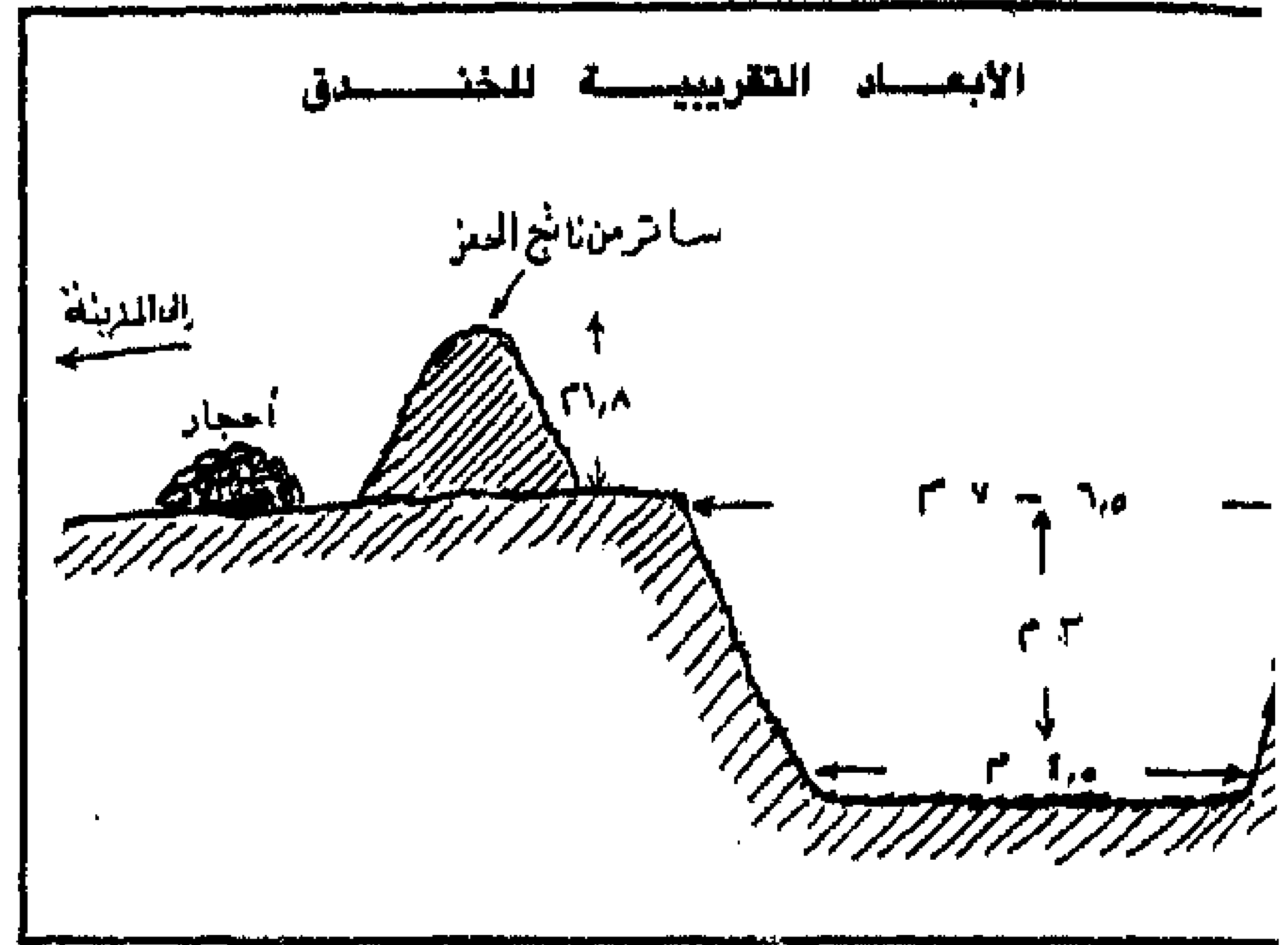
غزوة الخندق

(الحسم) الكى لينقطع الدم (والاستحياء) الإبقاء وهو استفعال من الحياة.

(تيسير الوصول ٣/ ١٨٥ـ١٨٧).

وتفصيل ذلك كما أورده ابن عبد البر هو كما يلى. قال رحمه الله: ثم كانت غزوة الخندق فى شوال من السنة الخامسة، وكان سببها أن نفرا من اليهود، منهم كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وسلام بن مشكم، وحيى بن أخطب النضريون، وهوذة بن قيس وأبو عمار من بنى وائل ـ وهم كلهم يهود، وهم الذين حزبو الأحزاب وألّبوا وجمعوا ـ خرجوا فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل، فأتوا مكة، فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك، فأجابهم أهل مكة إلى ذلك. ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم.

فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى على فزارة والحارث بن عوف المرى على بنى مرة ومسعود بن رخيلة على أشجع. فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم إليه شاور أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق، فرضى رأيه. وقال المهاجرون يومئذ: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت.



وعمل المسلمون في الخندق مجتهدين، ونكص المنافقون، وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحاق وغيره. وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق. وكان فيه آيات بينات وعلامات للنبوات مذكورات عند أهل السير والآثار، منها أن كدية (الكدية: الحجر الضخم الصلد) اعتاصت على المسلمين، فدعوا رسول الله ﷺ إليها، فضربها بالفأس ضربة طار منها الشرار وقطع منها الثلث، وقال: الله أكبر فتح قيصر والله إنى لأرى القصور الحمر. ثم ضرب الثانية فقطع منها الثلث الثاني. وقال: والله أكبر فتح كسرى والله إنى لأرى القصور البيض ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقي، وقال الله أكبر فتح اليمن والله إنى لأرى باب صنعاء (وكأنما سلم رسول الله ﷺ لأصحابه فى ذلك اليوم مفاتيح تلك البلدان).

وقد نصر الله عبده وصدق وعده، والحمد لله رب العالمين. (وقد اختلف فى مدة حفر الخندق، فقيل: كمل فى ستة أيام، وقيل: فى بضعة عشر يوما، وقيل: فى أربعة وعشرين يوما).

فلما فرغ رسول الله ﷺ أقبلت قريش فى نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا ــ بظهر سلع (أى أنهم نزلوا بسفحه وجعلوا إليه ظهورهم) فى ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهم، والخندق بينهم وبين المشركين. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فى قول ابن شهاب.

(فى بعض المصادر أن قريشا ومن معها من كنانة وأهل تهامة كانوا أربعة آلاف وكان معهم ثلاثمائة فارس وألف وخمسمائة بعير وأن جميع من وافى الخندق من قريش وغطفان والعرب كانوا عشرة آلاف).

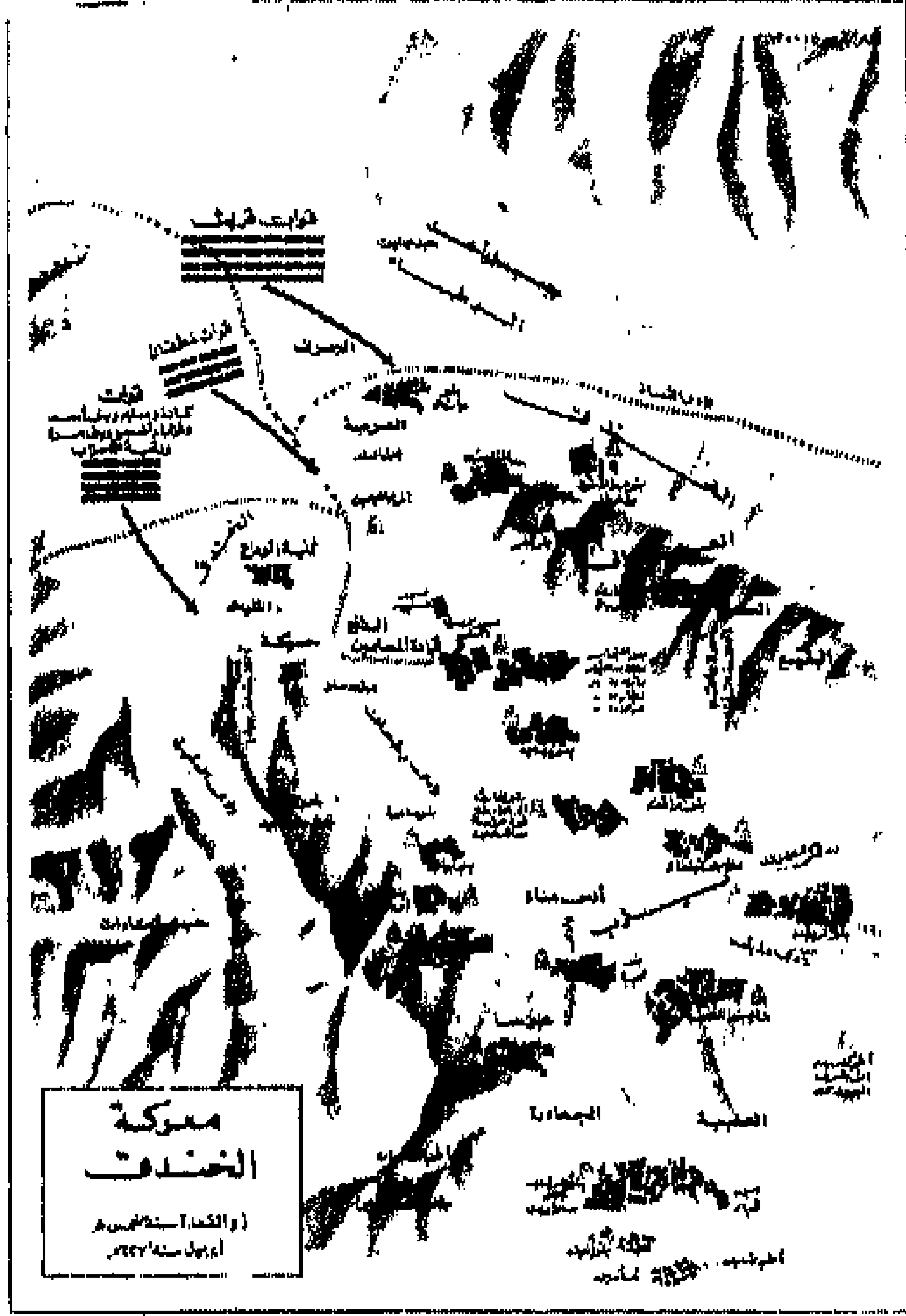
وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب ابن أسد القرظى وكان صاحب عقد بنى قريظة ورئيسهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ وعاقده وعاهده. فلما سمع كعب ابن أسد بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، وأبى أن يفتح له، فقال له: افتح لى يا كعب بن أسد، فقال: لا أفتح لك فإنك رجل مشئوم تدعونى إلى خلاف محمد وأنا عاقدته وعاهدته ولم أر فيه إلا وفاء وصدقا، فلست بناقض ما بينى وبينه، فقال حيى: افتح لى حتى أكلمك فأنصرف عنك، قال: لا أفعل، قال: إنما تخاف أن آكل معك جشيشتك. فغضب كعب وفتح له، فقال حيى: إنما جئتك بعز الدهر: جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على أن يستأصلوا محمدًا ومن معه. فقال له كعب: جئتنى والله بذل الدهر وبجهام لا غيث فيه، ويحك ياحيى! دعنى فلست بفاعل ما تدعونى إليه. فلم يزل حيى بكعب يعده ويغره، حتى رجع إليه وعاهده على خذلان النبى ﷺ وأصحابه وأن يصير معهم. وقال له حيى بن أخطب: إن انصرفت قريش وغطفان دخلت عندك بمن معى من يهود. فلما انتهى خبر كعب وحيى إلى رسول الله ﷺ والمسلمين بعث سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وسيد الأوس سعد بن معاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحة وخوَّات بن جبير، وقال لهم رسول الله ﷺ: انطلقوا إلى بنى قريظة فإن كان ما قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه، ولا تفتوا فى أعضاد المسلمين، وإن كان كذبا فاجهروا به للناس (اللحن: أصله العدول عن طريق الصواب وهو ضد النحو فإنه قصد الطريق الصواب، والمراد ههنا: تكلموا بكلام يفهم منه الغرض ولا يفهمه غيرنا. وهكذا المعاريض والتورية، وهو أصل فى جواز الكناية بالمظنات وبالمرجمات. ويحتاج المرء إلى ذلك إما دينا أو دنيا حيث يحتاج إلى الكتمان. وعلى هذا حمل قوله:

منطق صـــــائب وتلحن أحيــــــا
نـــا وخيـــر الكــلام مـــا كـــان لحْنـــا

أي تورى فى كـلامها وتعـرض . وبهذا فسـره الحجاج بن يوسف لامـرأته هنـد بنت أسماء، وكـانت أخت هذا الشـاعر مالك بن أسماء . وبلغ الحديث الجاحظ وقد فسر البيت فى كتاب البيان والتبيين بأن المراد بـاللحن الخطأ فندم، واعترف بأنـه أخطأ، فقيل له : هـلا تغيره؟ فقـال كيف؟ قد سـارت به البغال الشهب وأنجـد فى البلاد وغار. وفى الحديث مـا يدل على أنـه لا يجـوز التخـذيل ولا إشـاعة الأخبـار المـوهنـة للمسلمين وإن كـانت صحيحة، بل تطـوى ﴿ومـن يتـق الله يجعل له مخرجـــا﴾ والله أعلـــم انظر الروض الأنـــف ٢ / ١٩٠)، فانطلقـوا حتى أتوهم، فوجـدوهم على أخبث مـــا قيل لهم عنهم، ونالـوا من رسول الله ﷺ . وقالوا : لا عهـد له عندنـا . فشاتمهم سعـد بن معاذ وشاتمـوه وكانت فيـه حدة، فقـال له سعـد بن عبادة : دع عنـك مشاتمتهم، فـالذى بيننـا وبينهم أكبـر من المشـاتمة . ثـم أقبل سعد وسعـد حتى أتيـا رسول الله ﷺ فى جمـاعة المسلمين، فقـالا : عضـل والقارة . يعـرضـان بغـدر عضل والقـارة بأصحـاب الـرجيع : خُبيب وأصحابـه . فقال رسـول الله ﷺ : أبشروا يـا معشر المسلمين وعظم عنـد ذلك البـلاء واشتـد الخـوف، وأتى المسلمين عدوُّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنوا بالله الظنون (من فـوقهم : أى من فـوق الـوادى من قبل المشـرق حيث كـانت غطفان وجمـوعها، ومن أسفل منهم أى من بطـن الوادى من قبل المغرب حيث كـانت قريش وجموعهـا، وفى ذلك نزلت الآية : ﴿إذ جـاءوكـم من فـوقكم ومـن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصـار وبلغت القلـوب الحنـاجـر وتظنـون بـالله الظـنونا﴾ [الأحزاب : ١٠].

وأظهر المنافقون كثيرا ممـا كانوا يسرون، فمنهم من قال : إن بيوتنا عـورة فلننصرف إليها، فإنا نخـاف عليها (وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿يقولون إن بيوتنا عـورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارًا﴾ [الأحزاب : ١٣]) وممن قـال ذلك أوس بن قيظى ـ إلا أنه مع ذلك ولد ولدا سيدا فـاضلا وهو عرابة بن أوس الذى قال فيه الشاعر:

إذا مـــــا رايـــــة رُفعت لمجـــــد
تلقـــاهـــا عـــرابـــة بـــاليميـن



وقد قيل إن لـه صحبة بالنبى ﷺ . ومنهم من قال : يعـدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغـائط، وممن قال ذلك معتب بن قشير أحد بنى عمرو بن عوف .

وأقام رسـول الله ﷺ وأقام المشركـون بضعا وعشـرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حـرب إلا الرمى بالنبل والحصا . فلما رأى رسـول الله ﷺ أنه اشتـد على المسلمين البلاء بعث إلى عيينـة بن حصن الفزارى وإلـى الحارث بن عـوف بن أبى حارثة المرى وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفـا بمن معهما من غطفـان وأهل نجد ويـرجعا بقـومهما عنهم . وكـانت هذه المقالة مـراوضة ولم تكن عقدا . فلما رأى رسول الله ﷺ أنهمـا قد أنـابا (أى رجعـا) ورضيا أتى سعـد بن معاذ وسعـد بن عبادة فـذكر ذلك لهمـا واستشارهمـا، فقالا: يارسـول الله هذا أمر تحبـه فنصنعه لك، أو شىء أمـرك الله به فنسمع لـه ونطيع، أو أمـر تصنعه لنـا؟ قـال : بل أمر أصنعـه لكم، والله ما أصنعـه إلا لأننى قد رأيت العـرب قد رمتكم عن قوس واحدة . فقـال له سعد بن معاذ : يـارسول الله، والله لقد كنا نحن وهـؤلاء القوم على الشرك بالله وعبـادة الأوثان لا نعبد

الله ولا نعرفه وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة إلا بشراء أو قرى (القرى: الضيافة) فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسُر رسول الله ﷺ بذلك، وقال لهم: أنتم وذاك. وقال لعيينة والحارث: انصرفا، فليس لكم عندنا إلا السيف. وتناول الصحيفة (هى كتاب كان الرسول وعيينة بن حصن والحارث بن عوف قد كتبوه ليكون عقدا بينهم ولكن دون شهادة وكأنه كان نسخة للمراجعة). وليس فيها شهادة فمحاها.

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال منهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو ابن عبد ود العامرى من بنى عامر بن لؤى، وعكرمة بن أبى جهل، وهبيرة بن أبى وهب، وضرار بن الخطاب الفهرى - وكانوا فرسان قريش وشجعانهم - أقبلوا حتى وقفوا على الخندق. فلما رأوه قالوا إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا (أى قصدوا) مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه وصاروا بين الخندق وبين سلع. وخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها، وأقبلت الفرسان نحوهم. وكان عمرو بن عبد ود قد أثبتته الجراح يوم بدر، فلم يشهد أُحدًا وأراد يوم الخندق أن يُرى مكانه. فلما وقف هو وخيله نادى: هل من مبارز؟ فبرز له على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقال له: يا عمرو إنك عاهدت الله فيما بلغنا عنك أنك لا تدعى إلى إحدى خلتين إلا أخذت إحداهما، قال: نعم، وقال: إنى أدعوك لله عز وجل والإسلام، قال: لا حاجة لى بذلك. قال: وأدعوك إلى البراز، قال: يا بن أخى والله ما أحب أن أقتلك لما كان بينى وبين أبيك، فقال له على: أنا والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو بن عبد ود العامرى ونزل عن فرسه، وسار نحو علىّ، فتنازلا وتجاولا، وثار النقع بينهما حتى حال دونهما، فما انجلى النقع حتى رؤى علىّ على صدر عمرو يقطع رأسه. فلما رأى أصحابه أنه قد قتله على اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين، وقال على - رضى الله عنه - فى ذلك:

نصر الحجارةَ من سفاهة رأيه
ونصرتُ دين محمد بضراب
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب
نازلته وتركته متجدلا
كالجذع بين دكادك وروابى

(فى البيت الأول: يريد بالحجارة الأنصاب التى كانوا يقدسونها ويذبحون لها. وفى البيت الثالث: متجدلا: لاصقا بالأرض، والدكادك: جمع دكدك وهو الرمل اللين. والروابى: التلال والمرتفعات).

ورُمى يومئذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل (وهو وريد فى الذراع يكثر فصده، أو هو عرق الحياة وفى كل عضو منه شعبة) رماه حبان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى. فلما أصابه قال له: خذها إليك وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار، وقيل: بل الذى رماه أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم.

ولحسان بن ثابت مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف يومئذ - وكان حسان قد تخلف عن الخروج مع الخوالف بالمدينة - ذكره ابن إسحاق وطائفة من أهل السير، وقد أنكره منهم آخرون، فقالوا لو كان فى حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك من كان يهاجيه فى الجاهلية والإسلام، ولهُجى بذلك ابنه عبد الرحمن، فإنه كان كثيرا ما يهاجى الناس من شعراء العرب مثل النجاشى وغيره.

وأتى رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعى، فقال: يارسول الله إنى قد أسلمت، ولم يعلم قومى بإسلامى، فمرنى بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت رجل واحد من غطفان، فلو خرجت فخذّلت عنا كان أحب إلينا من بقائك فاخرج فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة - وكان ينادمهم فى الجاهلية - فقال: يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة مابينى وبينكم، قالوا: قل، فلست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، وفيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه (أى أعنتموهم وساعدتموهم) فإن رأوا نهزة أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا

منهم رهنًا. ثم خرج حتى أتى قريشـا، فقال لهم: قـد عرفتم ودى لكم معشر قريش وفراقـى محمدًا وقد بلغنى أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نصحـا لكم، فاكتموا عليَّ، قـالوا: نفعل قال: أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماكان من خلافهم محمدًا وأرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من قـريش وغطفان رهنًا رجالاً ونسلمهم إليكم لتضـربوا أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم. ثم أتى غطفان، فقال مثل ذلك. فلما كانت ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين أرسل أبو سفيان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان يقـول لهم: إنـا لسنا بـدار مقـام، قد هلك الخـفُّ والحافـر (الخف: الإبل، والحافر: الخيل) فاغدوا صبيحة غد للقتال حتى نفاجىء محمدًا. فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما نـال منا من تعدى فى السبت، ومع ذلك فـلا نقاتل معكم أحدًا حتى تعطونا رهنًا. فلمـا رجع الرسول بذالك قالوا: صدقنا والله نعيم بن مسعود. فردوا إليهم الرسل، وقالوا: والله لا نعطيكم رهناً أبـدًا، فاخرجوا معنا إن شئتـم، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم، فقـال بنو قريظة: صـدق والله نعيم بن مسعود. وخـــذل بينهـم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهـم ريحًـــا عاصفا فى ليال شـديدة البرد، فجعلت الريح تقلب أبنيتهم، وتكفأ قدورهم (أى تقلبها).

فلما اتصل برسول الله ﷺ اختلاف أمرهم بعث حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم، فأتـاهم واستتر فـى غمارهـم، وسمـع أبـا سفيان يقـول: يا معشـر قـريش ليتعرف كل امـرىء منكم جليسه. قال حذيفة: فأخذت بيد جليسى وقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بـدار مقام، ولقد هلك الكـراع والخف (الكراع: الخيل، والخف: الإبل) وأخلفتنا بنـو قريظة ولقينـا من هذه الريح ما ترون، ما يستمسك لنـا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار، فارتحلـوا، فإنى مرتحل. ووثب على جمله. فما حل عقال يـده (أى يد البعير) لا وهو قائم. قـال حذيفـة: ولولا عهـد رسـول الله ﷺ إلى إذ بعثنى، وقـال لى: سر إلى القـوم فـاعلم مـا هم عليه ولا تحـدث شيئـا لقتلتـه بسهـم. ثم أتيت رسول الله ﷺ عنـد رحيلهم فوجـدته قـائمًا يصلى، فأخبـرته، فحمد الله.

ولمـا أصبح رسـول الله ﷺ وقـد ذهب الأحـزاب رجع إلى المدينة (وكان رجوعه من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذى القعدة) ووضع المسلمون سلاحهـم، فأتاه جبريل ـ ﷺ ـ فى صـورة دحيـة بن خليفـة الكلبى على بغلة عليهـا قطيفة ديباج فقال له: يـا محمد إن كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها، إن الله يأمرك أن تخرج إلى بنى قريظة وإنى متقدم إليهم فمزلزل بهم.

فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ منـادياً ينادى فى الناس: لا يصلين أحـدكم العصـر إلا فى بنى قـريظة. وكـان سعـد بن معـاذ إذ أصابه السهم دعا ربه، فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم كـذبوا رسـولك وأخرجوه، اللهـم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلهـا لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة (الدرر / ١٦٩ ـ ١٧٧).

ويتناول اللـواء أ.ح محمد جمال الدين محفـوظ أحداث غزوة الخندق مـركزا على عملية حفر الخنـدق باعتباره التنظيم الهنـدسى للدفـاع عن المدينـة المنورة، فيقـول، مستخدمـا المصطلحات العسكرية الحديثة:

الخندق لأول مرة فى الإسلام:

علم الرسول ﷺ بتجهز المشركين لمهاجمة المدينة فشاور أصحـابه فأشـار سلمـان الفارسى بحفـر خنـدق للدفـاع عن المدينـة، ولم يكن حفر الخنادق للأغـراض الدفاعية معـروفًا عند العرب من قبل.

قال سلمان: «يـارسول الله، إنا كنا بـأرض فارس إذا خفنا العدو. خندقنا علينا».

وقد أخذ الرسول ـ ﷺ ـ بما أشار سلمان وخرج فى نفر من المهـاجـرين والأنصـار يستطلع الأرض، فارتـاد مـوضعـا فى شمال المدينـة واختط فيه الخندق، وكان شمال المـدينة هو الناحية المكشـوفة التى يستطيع المشركون أن يدخلـوا المدينة منها (انظر الخريطة).

وجاء فى مغازى الواقدى: «وكان الخندق ما بين جبل بنى عبيد بخربى، إلى راتج فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج، وكان للأنصـار ما بين ذباب إلى خربى، فهذا هـو الذى حفره رسول الله ﷺ ـ والمسلمون وشبكـوا المدينـة بالبنيـان من كل ناحية، وهى كالحصن.

وخندقت بنو عبد الأشهل على نفسها مما يلى راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أُبى، ورفع المسلمون النساء والصبيان إلى الآطام (الحصون)».

العوامل التى حكمت تخطيط الخندق:

لقد كانت طبيعة الأرض فى المنطقة من أهم العوامل التى حكمت تخطيط الخندق وقضت أن يكون «خط الدفاع الرئيسى» عن المدينة من الجهة الشمالية، فقد كانت المدينة محاطة بموانع طبيعية فى الجهات الثلاثة الأخرى، فمن جهة الشرق كانت حرة واقم (الحرَّة: أرض فيها حجارة سود متشيطة، أى صخور بركانية)ومن الغرب كانت حرة وبرة، ومن الجنوب كان جبل سلع.

وبالإضافة إلى ذلك كانت آطام (حصون) بنى قريظة فى الجنوب الشرقى تكمل نطاق الأمن من جهة الجنوب إلا إذا غدر بنو قريظة بعهدهم الذى كان بينهم وبين المسلمين بألا يناصروا عليهم عدوا.

كما أن بقية المدينة قد تم تحصينها بسد الفرج بين البيوت حتى أصبحت كالحصن.

التنظيم الهندسى للخندق (انظر الرسم).

اتساع الخندق.

لم نوفق فى المصادر والمراجع لنص صريح موثق يحدد اتساع الخندق، ولكن يمكن أن نصل إلى معرفة اتساعه على وجه يكون أقرب ما يمكن إلى الحقيقة بدراسة العوامل الآتية:

لقد كان الغرض من حفر الخندق هو منع فرسان العدو من اقتحامه وعبوره، فلا بد أن يكون اتساعه وعمقه بحيث لا تستطيع الخيل اقتحامه.

(٢) الجواد العربى يستطيع تخطى الخنادق التى اتساعها ثمانية أمتار، وذلك طبقا لرأى الاتحاد المصرى للفروسية الذى استطلعنا رأيه فى هذا الشأن على أنه يمكن تخفيض هذا الرقم قليلا بالنظر إلى اختلاف ظروف وإمكانات إعاشة الخيل والعناية بها وتدريبها على القفز بين ذلك الوقت والوقت الحاضر.

(٣) ورد فى الموسوعة العسكرية (٢/ ١٨٢) أن عرض الخندق فى غزوة الأحزاب كان حوالى ٦ أمتار. كما جاء فى كتاب: «الفن الحربى فى صدر الإسلام» مايلى: «وأظن أن قفزة الجواد الجيد تقارب الأمتار الستة» إلا أننا نقدر عرض الخندق ما بين ٥,٦ م إلى ٧ أمتار ودلينا على ذلك مايلى:

أ ــ أدرك فرسان المشركين بعد استطلاعهم للخندق أن اتساعه يتجاوز قدرة خيلهم على القفز الطويل، فجعلوا يطوفون بالخندق بحثا عن مكان يضيق فيه ليعبروا منه، وحتى عند محاولتهم العبور فى المكان الضيق لم يكن الأمر سهلا بل إنهم اضطروا إلى استخدام القسوة مع خيلهم حتى تعبر.

روى البيهقى عن ابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخه قال: «فجعلوا (أى المشركين) يطوفون بالخندق يطلبون مضيقا، يريدون أن يقحموا خيلهم إلى النبى - ﷺ - فتيمموا مكانا من الخندق ضيقا قد أغفله المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويضربونها حتى اقتحمت».

ب ـ بعض الذين حاولوا اقتحام الخندق فشلوا وسقطوا فيه.

فقد روى أبو نعيم أن رجلا من آل المغيرة قال: لأقتلن محمدا، فأوثب فرسه فى الخندق فوقع، فاندقت عنقه».

أما عرض الخندق عند القاع فيقدر بأربعة أمتار ونصف تقريبا لضرورة ذلك هندسيا لضمان ثبات الرمال عند حافتى الخندق، وعدم انهيارها إلى داخله.

عمق الخندق.

كان عمق الخندق حوالى ثلاثة أمتار (أى خمسة أذرع ومتوسط طول الذراع ستون سنتيمترا).

فقد ذكر الحلبى وهو يصف قدرة سلمان الفارسى الخارقة عند حفر الخندق: «كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع» وهذا العمق مع الاتساع السابق ذكره يحقق الهدف المطلوب وهو منع الخيل من اقتحام الخندق.

نصيب الفرد الواحد فى الحفر.

روى الطبرانى بسند لا بأس به عن عمرو بن عوف المزنى «أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أجم الشيخين طرف بنى حارثة حتى بلغ المزاد فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا» أى أن نصيب الفرد الواحد كان أربعة أذرع (٢٥٠ سم).

طول الخندق .

إذا كان نصيب الفرد الواحد أربعة أذرع وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، فيكون طول الخندق اثنى عشر ألف ذراع أى حوالى ستة كيلو مترات أو يزيد .

المدة التى استغرقها الحفر

وردت فى مدة حفر الخندق روايات مختلفة كان أقصرها ستة أيام وأطولها ما يقرب من شهر. ونقدر أن تكون هذه المدة حوالى أسبوعين بالنظر إلى حجم العمل .

أدوات الحفر.

استخدم المسلمون أدوات الحفر الآتية :

(١) المساحى : جمع مسحاة (بكسر الميم وبالسين المهملتين) وهى المجرفة من الحديد (الجاروف) - والسحو: الكشف والإزالة .

(٢) الكرازين : جمع كرزين وهو الفأس .

(٣) المكاتل : جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص لنقل الرمال والأحجار.

تقسيم العمل .

وفضلا عن تحديد نصيب لكل فرد فى الحفر وهو أربعة أذرع (٥, ٢ م) كما قدمنا فقد قسم الرسول - ﷺ - الخندق بين المهاجرين والأنصار، فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج إلى ذباب، وكان الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل أبى عبيدة .

ساتر الوقاية .

وقد جعل المسلمون الردم والأحجار الناتجة من الحفر إلى جانب الخندق من ناحية المدينة وعلى مسافة مناسبة من حافته (متر أو مترين مثلا) لمنع تساقط الرمال داخل الخندق، وهذا الساتر له دور كبير فى الدفاع إذ يحقق ما يلى :

١ - تأمين حماية المقاتلين المسلمين من أنظار العدو وسهامه مع تأمين ظروف أفضل لهم للرصد والرمى والحركة، من أجل ذلك يمكن تقدير ارتفاع الساتر بثلاثة أذرع تقريبا أى حوالى ١٨٠ سنتيمترا .

٢ - حماية حرية المناورة بالقوات خلف الساتر وخاصة القوات المكلفة بالقيام بالهجوم المعاكس .

٣ - تيسير عمليات الإخلاء (إخلاء الجرحى) وعمليات إمداد القوات بمطالبها الإدارية .

أما الحجارة فقد جعلت فى أكوام متقاربة وراء الساتر على طول الخندق لكى يستخدمها المسلمون عند الحاجة فى رمى المشركين الذين يحاولون اقتحام الخندق أو يسقطون فيه كما سيأتى .

القيادة والسيطرة .

وقد أحكم الرسول القائد ﷺ - سيطرته - فى إطار القيادة والسيطرة على المعركة على أعمال التنظيم الهندسى وحفر الخندق نجلى ذلك فيما يلى :

١ - تقسيم العمل بين المهاجرين والأنصار وتحديد نصيب الفرد كما قدمنا .

٢ - إشرافه - ﷺ - على أعمال الحفر بل والمشاركة فيه .

٣ - عدم ذهاب أى فرد إلى أمر خاص (كقضاء الحاجة) إلا بعد الاستئذان منه - ﷺ - .

قال ابن إسحاق : «وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد منها، يذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - ويستأذنه فى اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة فى الخير واحتسابا له (السيرة النبوية) .

٤ - اتخاذه ﷺ مركز قيادة فى قبة (خيمة) صغيرة مستديرة .

٥ - استمرار العمل طوال النهار مع الراحة ليلا .

٦ - استعماله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة .

٧ - حل المشكلات وإزالة العقبات التى تعترض المسلمين .

قال ابن إسحاق كان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية . فشكوها إلى رسول الله - ﷺ - ، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت (تفتتت) حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة . كما روى ابن إسحاق أن سلمان الفارسى قال : ضربت فى ناحية من

الخنـدق، فغلظت عليَّ صخرة ، ورسـول الله ـ ﷺ ـ قـريب منى ، فلمـا رآني أضرب ورأى شدة المكـان عليَّ ، نزل فـأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة .

قـال : ثم ضـرب به ضـربـة أخرى ، فلمعت تحته بـرقـة أخرى .

قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى .

قـال : قلت بأبى أنت وأمى يـا رسول الله ، ما هـذا الـذى رأيت ، لمع تحت المعـول وأنت تضـرب؟ قـال : أوقـد رأيت ذلك يا سلمـان؟ قال : قلت : نعم . قـال : أما الأولى فإن الله فتح على بهـا اليمن ، وأما الثانيـة فإن الله فتح على بهـا الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

حراسة الخندق وصد محاولات اختراقه .

وكـان رسـول الله ـ ﷺ ـ والمسلمـون قبـالـة عـدوهم لا يستطيعون الزوال عـن مكانهم يعتقبون خندقهم يحرسونه أى يتنـاوبـون حراستـه ليل نهـار لـرصـد حركـات العـدو وكشف محاولاته لاقتحام الخندق والقضاء عليها .

روى محمد بن عمـر عن أم سلمة رضى الله عنهـا قالت : كنت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى الخندق ، وكنا فى قر شديد (أى برد) فإنى لأنظـر إليه ليلة قام فصلى مـا شاء الله أن يصلى فى قبته ، ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ، ثم نادى عباد بن بشر .

فقال عباد : لبيك .

قال : أمعك أحد؟

قال : نعم ، أنا فى نفر من أصحابى حول قبتك .

قال : انطلق فى أصحـابك فأطف بالخنـدق ، فهذه خيل المشركين تطيـف بكـم ، يطمعون أن يصيبوا منكـم غرة ، اللهم فادفع عنـا شرهم ، وانصرنا عليهم وأغلبهم ، فـلا يغلبهم أحد غيرك ، فخرج عباد فى أصحابـه فإذا هو بأبى سفيان بن حرب فى خيل المشركين يطوفون بمضيق من الخندق ، وقد نذر بهم (أى علمـوا وحـزروا) المسلمـون فـرمـوهم بـالـحجـارة والنبل (السهام) حتى أذلقهم المسلمون بالرمى ، فانكشفوا منهزمين إلى منازلهم .

وكانت فى الخندق ثلمة (أى مضيق) لم يوضح المؤرخون طبيعتها أو سببها ، والمرجح أن يكون المسلمـون تركوها لأنها تؤدى إلى أرض سبخة وهى أرض ذات نـز وملح تصعب فوقها الحركة والمناورة مما يجعلها «أرض قتل» وفخا إذا وقع فيه من يحاول اقتحام الخندق يسهل القضاء عليه .

قال : ابن إسحاق : «ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم (أى تسرع) حتى وقفـوا على الخنـدق . . وثـم تيممـوا مكـانـا ضيقـا من الخنـدق فضـربـوا خيلهم فـاقتحمت منـه ، فجـالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طـالب ـ رضى الله عنه ـ فى نفر معه من المسلمين حتى أخـذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم . . «ثم جرت مبـارزة بين على وبين عمرو بن عبد ود قتل فيهـا عمرو ، فخـرجت خيلهم منهـزمة حتـى اقتحمت من الخندق هـاربـة (السيرة النبوية) .

وبالنظـر للأهمية التكتيكية لهـذه الثغرة أو المضيق ، فإن الرسول ـ ﷺ ـ كان أحيانا يحرسها بنفسه . فقد روى محمد بن عمر عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يختلف إلى ثلمة فى الخندق يحرسها» .

ثم إن المسلمين كـانـوا يعبـرون من خـلال هـذه الثلمـة لمطاردة أولئك الأعداء الهاربين ، فحينما قتل عمرو بن عبد ود رجع من وصل الخندق من المشـركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير ـ رضى الله عنه ـ كما تبعهم كـذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

الأمن والسرية .

كان الخنـدق مفاجأة للمشـركين لم يكونـوا قط يتوقعـونها حتى قالـوا : هذه مكيدة لم تكـن العرب تكيدهـا . فدل ذلك على أمرين فى غاية الأهمية :

(١) أن المسلمين كـانـوا على علم مسبق بنوايـا أعـدائهم بـالخـروج من مكـة لمهـاجمتهـم وذلك بفضل يقظـة رجـال استخباراتهم فقد بعث العباس عم النبي ـ ﷺ ـ برسالة تحمل هذه المعلومات مع رسول سريع الحركة حتى أنه قطع المسافة من مكة إلى المدينة فى ثلاثة أيام .

(٢) أن استخبـارات المشـركين عجـزت على المستـويين الاستراتيجى والتكتيكـى عن اكتشاف أمر الخنـدق وذلك رغم أن حفـره استغرق مـدة ليست بالقصيـرة (حوالى أسبـوعين .

واستخدم المسلمون يوم الخندق شعارا (وهو المعروف بكلمة سر الليل هو: «حمّ لا ينصرون»)ولقد خرجت طليعتان (مفرزتا استطلاع) للمسلمين فالتقتا ولا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار «حمّ لا ينصرون» فكف بعضهم عن بعض، فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم.

حماية الجبهة الداخلية.

ولم يغفل المسلمون أمر الجبهة الداخلية (المنطقة الإدارية) في المدينة فاتخذوا الإجراءات الكفيلة بتأمينها وحمايتها وخاصة من الخطر الذى قد يأتى من جهة يهود بنى قريظة إذا نقضوا عهدهم، ومن ذلك ما يلى:

(١) رأت صفية عمة الرسول ـ ﷺ ـ وكانت فى أحد الحصون الخلفية عشرة من اليهود يستترون ويرمون الحصن، ودنا أحدهم إلى باب الحصن، فأخذت سيفا (أو عمودا) ثم نزلت فقتلته به، وألقت برأسه على اليهود، فتفرقوا».

(٢) أراد الرسول ـ ﷺ ـ أن يتحرى عما بلغه من نقض بنى قريظة للعهد، فبعث سعد بن معاذ بن النعمان ومعه بعض الصحابة، وقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه (أى يقولون كلاما يخالف ظاهره معناه، بحيث لا يفهمه إلا الرسول ـ ﷺ ـ)، ولا تفتوا فى أعضاد الناس (حرصا على الروح المعنوية للمسلمين)، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، قال: فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم.

(٣) وبعث الرسول ـ ﷺ ـ مفرزتين قويتين لحراسة المدينة، الأولى تتألف من مائتى رجل بقيادة سلمة بن أسلم ابن حريش الأشهلى.

والثانية تتألف من ثلاثمائة رجل بقيادة زيد بن حارثة، وكانوا يظهرون التكبير، فكان لذلك أثره فى إيقاع الرهبة فى قلوب بنى قريظة وردعهم، فرجعوا عما كانوا قد هموا به بالإغارة على المدينة ليلا («التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة ٢٢ / ٤١١-٤١٦).

أما عن الآيات القرآنية التى نزلت فى غزوة الخندق، وهى فى سورة الأحزاب، فقد وردت فى سيرة ابن هشام على النحو التالى:

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق، وأمر بنى قريظة من القرآن، القصة فى الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ـ بعد مقالة من قال من أهل النفاق ـ **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾** [الأحزاب: ٩] والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: **﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾** [الأحزاب: ١٠] فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى: **﴿هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا * وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾** [الأحزاب: ١١، ١٢] لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال. **﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾** [الأحزاب: ١٣] لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه **﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾** [الأحزاب: ١٤]: أى المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب؛ وواحدها: قطر، وهى الأقتار، وواحدها: قتر.

قال الفرزدق:

كم من غنى فتح الإله لهم به
والخيل مقعية على الأقطار

(أى ساقطة على أجنابها تريد القيام)

ويروى: «على الأقتار» وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ثم سئلوا الفتنة﴾: أى الرجوع إلى الشرك **﴿لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولُّون الأدبار وكان عهد الله مسئولا﴾** [الأحزاب: ١٥] فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين هما بالفشل يوم أُحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا،

فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا * قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا * قد يعلم الله المعوقين منكم﴾: أى أهل النفاق ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾: أى إلا دفعا وتعذيرا ﴿أشحة عليكم﴾: أى للضغن الذى فى أنفسهم ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت﴾: أى إعظاما له وفرقا منه ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ [الأحزاب: ١٦ - ١٩]: أى فى القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة (الحسبة: طلب الأجر) فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وآذوكم. تقول العرب: خطيب سلاق، وخطيب مسلق ومسلاق. قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

فيهم المجد والسماحة والنجـ

ـدة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قريش وغطفان ﴿وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [الأحزاب: ٢١]: أى لئلا يرغبون بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيمانا وتسليما﴾: أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]: أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

قال ابن هشام: قضى نحبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه: نحوب..

قال ابن إسحاق: ﴿ومنهم من ينتظر﴾: أى ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ [الأحزاب: ٢٣] أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما * ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾: أى قريشا وغطفان ﴿لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾: أى بنى قريظة ﴿من صياصيهم﴾ [الأحزاب: ٢٤ - ٢٦] والصياصى: الحصون والآطام التى كانوا فيها. (انظر مادة «بنو قريظة» فى م ٧ / ٥٢٦، ٥٢٧).

وأما ما قيل من شعر فى أمر الخندق مما أورده ابن إسحاق فمنه قول كعب بن مالك يذكر استبسال المسلمين فى القتال وصبرهم وتوكلهم على الله، وكيف أن الله تعالى رد الذين كفروا لم ينالوا خير (كما فى الأحزاب: ٢٥) وكيف أرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها (كما فى الأحزاب: ٩) ويذكر قتلهم سعد بن معاذ قال كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب بن مرداس:

وسائلة تسائل ما لقينا

ولو شهدت رأتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلا

على ما نابنا متوكلينا

وكان لنا النبى وزير صدق

به نعلو البرية أجمعينا

نقاتل معشرا ظلموا وعقوا

وكانوا بالعداوة مرصدينا

نعاجلهم إذا نهضوا إلينا

بضرب يعجل المتسرعينا

ترانا فى فضافض سابغات

كغدران الملا متسربلينا

وفى أيمـــاننـــا بيض خفـــاف
بهـــا نشفى مـــراح الشـــاغبينـــا
بيـــاب الخنــــدقين كأن أســـدا
شـــوابكهن يحمين العـــرينـــا
فـــوارسنـــا إذا بكـــروا وراحـــوا
على الأعـــداء شـــوســـا معلمينـــا
لننصـــــر «أحمــــــدا» والله حتى
نكـــون عبـــاد صـــدق مخلصينـــا
ويعلم أهل مكــــة حين ســــاروا
وأحـــزاب أتـــوا متحـــزبينـــا
بأن الله ليس لـــــه شــــريك
وأن الله مــــولى المــــؤمنينـــا
فإمـــا تقتلـــوا «سعـــدا» سفـــاهـــا
فـإن الله خيـــر القـــادرينـــا
سيـــدخلـــه جنـــانـــا طيبـــات
تكـــون مقـــامـــة للصـــالحينـــا
كمـــا قـــد ردكم فـــلاًّ شـــريـــدا
بغيظكـم خـــزايـــا خـــائبينـــا
خـــزايـــا لم تنـــالـــوا ثَمَّ خيـــرا
وكـــدتم أن تكـــونـــوا دامـــرينـــا
بـــــريح عـــاصف هبت عليكم
فكنتم تحتهـــــــا متكمهينــــــــا

فلاًّ: الفل: المنهزمون .

متكمهين: المتكمه فى الأصل من ولد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون .

وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضا :

لقـــد علم الأحـــزاب حين تـألبـــوا
علينـــا ورامـــوا ديننـــا مـــا نـــوادع
أضـــاميم مـن قيس بـن عيـــلان أصفقت
وخنـــدف لم يـــدروا بمـــا هـــو واقع
يـــذودوننـــا عـن ديننـــا ونـــذودهم
عـن الكفـــر والـــرحمـن راء وســـامـع
إذا غـــايظـــونـــا فى مقـــام أعـــاننـــاً
على غيظهـم نصـــــــر مـــن الله واسع
وذلـك حفـظ الله فينـــــا وفضلـــــه
علينــــــا ومـن لم يحفـظ الله ضـــائع
هـــدانـــا لـــدين الحق واختـــاره لنـــا
ولله فـــوق الصـــانعين صنـــائع

أضاميم: جماعات، وأصفقت: اجتمعت على أمر.

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له .

(السيرة النبوية ٣/ ١٤٩-١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣).

دعاؤه ﷺ على الأحزاب

عن عبد الله بن أبى أوفى، قال: دعا رسول الله على الأحذاب فقال :

«اللهم منزِّل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وزلزلهم»- البخارى ٥ / ١١١ (من المنتخب من السنة ١/ ٢٣٩).

انظر فى غزوة الخندق - وتسمى غزوة الأحزاب: الواقدى ٣٦٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٧ والطبرى ٢ / ٥٦٤ وأنساب الأشراف ١/ ١٦٥ والبخارى ٥/ ١٠٧ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٤٥، ١٢ / ١٧١ وابن سيد الناس ٢ / ٥٤ وابن كثير ٤ / ٩٢ والنويرى ١٧ / ١٦٦ والسير الحلبية ٢ / ٤٠١ . (الدرر / ١٦٩).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ١٨٥ - ١٨٧، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقى ضيف / ١٦٩ - ١٧٧، و «التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة فى غزوة الأحزاب» - لواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر . الجزء الرابع، السنة الثالثة والستون، ربيع الآخر ١٤١١ هـ - نوفمبر ١٩٩٠ م/ ٤١١ - ٤١٦، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٤٩ - ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، والمنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١ / ٢٣٩» انظر أيضا العمليات التعرضية والدفاعية عند

المسلمين - الرائد نهاد عباس الجبورى / ٦٠ - ٦٤، ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ١٣٦ - ١٣٨، وأيام العرب فى الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاورى / ٥٩ - ٦٧، وأخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة للإمام الحافظ محمد بن محمود بن النجار - حققه وعلق عليه صالح محمد جمال / ٦٠ - ٦٥.

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية:

١ - الخريطة من أطلس تاريخ الإسلام - د. حسين مؤنس.

٢ - الرسم من معجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ١٣٧.

٣ - رسم الخندق من بحث لواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ بمجلة الأزهر. انظر ثبت المراجع.

*** الخندمة (جبل-):**

من الجبال المباركة بمكة وحرمها. وجاء فى الجامع اللطيف (ص ٢١١) أن جبل الخندمة. جبل شامخ مشهور معروف فى ظهر أبى قبيس. ومن فضائله ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ما مطرت مكة قط إلا كان للخندمة عزة، وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهى. والله أعلم بصحته. وفيه يقول القائل فى يوم الفتح:

إنك لو شهدت يوم الخندمه
إذ فر صفوان وفر عكرمه

ويروى ابن هشام كيف أن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا، وقد كان حماش بن قيس بن خالد أخو بنى بكر، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لى عله
هذا سلاح كامل وألّه
وذو غرارين سريع السله

(الألة: الحربة ذات السنان الطويلة، غرارين: حدين).

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال، فقتل كرز بن جابر، أحد بنى محارب بن فهر، وخنيس ابن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بنى منقذ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلوا جميعا، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر. قال ابن هشام: خنيس بن خالد من خزاعة وكان يكنى أبا صخر.

وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء؛ من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا، ثم انهزموا، فخرج حماش منهزما حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقى علىّ بابى، قالت فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمهْ
إذ فر صفوان وفر عكرمهْ
وأبو يزيد قائم كالموتمه
واستقبلهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيب خلفنا وهمهمه
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

(السيرة النبوية ٤ / ٣٧، ٣٨).

(الجامع اللطيف لمولانا جمال الدين محمد جار الله، على بن ظهيرة / ٢١١، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٣٧، ٣٨).

*** الخندمة (يوم-):**

انظر: الخندمة (جبل-)

*** الخنزير:**

تتناول مصنفات التراث الإسلامى «الخنزير» فى إطار عدد من العلوم منها علم الحيوان، وعلم الفقه، وعلم الطب. وقد درج الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» أن يجمع بين هذا كله فى معظم الحالات.

ومن ثم نبدأ بما أورده عن الخنزير، وهو هنا يتكلم على الخنزير البرى تمييزا له عن الخنزير البحرى الذى يقول عنه:

(الخنزير البحرى) سئل مالك عنه فقال أنتم تسمونه

خنزيرا يعنى أن العرب لا تسميه بذلك لأنها لاتعرف فى البحر خنزيرا والمشهور أنه الدلفين وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الدال المهملة قال الربيع سئل الشافعى رضى الله تعالى عنه عن خنزير الماء فقال يؤكل . وروى أنه لما دخل العراق قال فيه حرمه أبو حنيفة وأحله ابن أبى ليلى، وروى هذا القول عن عمر وعثمان وابن عباس وأبى أيوب الأنصارى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن البصرى والأوزاعى والليث وأبَىٰ مالك أن يقول فيه شيئا وأبقاه مرة أخرى على جهة الورع وحكى ابن أبى هريرة عن ابن خيران أن أكارًا صاد له خنزير ماء وحمله إليه فأكله وقال كان طعمه موافقا لطعم الحوت سواء وقال ابن وهب سألت الليث بن سعد عنه فقال إن سماه الناس خنزيرا لم يؤكل لأن الله حرم الخنزير.

وفيما يلى ما أورده عن الخنزير البرى :

(الخنزير البرى) بكسر الخاء المعجمة جمعه خنازير وهو عند أكثر اللغويين رباعى وحكى ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر فهو على هذا ثلاثى يقال تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر كقولك تعامى وتجاهل قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فى يوم صفين :

إذا تخازرت وما بى من خزر
ثم كسرت الطرف من غير حور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر
كالحية الصماء فى أصل الشجر
أحمل ما حملت من خير وشر

وكنية الخنزير أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو علية وأبو قادم وهو يشترك بين البهيمية والسبعية فالذى فيه من السبع الناب وأكل الجيف والذى فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب والعلف ... يقال إنه ليس لشىء من ذوات الأنياب والأذناب ما للخنزير من القوة فى نابه حتى إنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل مالاقى من جسده من عظم وعصب، وربما طال ناباه فيلتقيان فيموت عند ذلك جوعا لأنهما يمنعانه من الأكل وهو متى عض كلبا سقط شعر الكلب وهو إذا كان وحشيا ثم تأهل لا يقبل التأديب ويأكل الحيات أكلا ذريعا ولا يؤثر فيه سمومها وهو أروغ من الثعلب وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سَمِنَ فى يومين وهكذا تفعل النصارى بالخنازير فى الروم يجيعونها ثلاثة أيام ثم يطعمونها يومين لتسمن وإذا مرض أكل السرطان فيزول مرضه . وإذا ربط على حمار ربطا محكما ثم بال الحمار مات الخنزير.

ومن عجيب أمره إنه إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعا وفيه من الشبه بالإنسان أنه ليس له جلد يسلخ إلا أن يقطع بما تحته من اللحم . وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حَكَمًا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» وفى رواية «ويهلك فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ويمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفاه الله فيصلى عليه المسلمون» وهذا الحديث رواه أبو داود فى آخر سننه فى كتاب الملاحم مطولا قال الخطابى وفى قوله ويقتل الخنزير دليل على وجوب قتل الخنازير وبيان أن أعيانها نجسة وذلك أن عيسى عليه السلام إنما ينزل فى آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية وقوله ويضع الجزية معناه أنه يضعها عن النصارى واليهود وأهل الكتاب ويحملهم على الإسلام فلا يقبل منهم غير دين الحق فذلك معنى وضعها . وفى أواخر الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لقى خنزيرا على الطريق فقال له اذهب بسلام فقيل له أتقول هذا لخنزير فقال عيسى عليه الصلاة والسلام إنى أخاف أن أعوِّد لسانى النطق بالسوء ... وذكر ابن أبى الدنيا عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال قيل لأبى أسيد الفزارى من أين تعيش فحمد الله تعالى وكبره وقال يرزق الله الكلب والخنزير ولا يرزق أبا أسيد . وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والدروالذهب» وفى إسناده كثير بن شنظير وهو مختلف فى توثيقه وتضعيفه وقال فى الإحياء : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت أنى أقلد الدر أعناق الخنازير فقال أنت تعلِّم الحكمة غير أهلها، وفيه أيضا فى الباب السادس من أبواب العلم روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه الصلاة والسلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله

ففقده موسى عليه السلام وجعل يسأل عنه فلم يجد له أثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال ياموسى أتعرف فلان قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلام يارب أسألك أن ترده إلى حاله الأول حتى أسأله بم أصابه ذلك فأوحى الله تعالى إليه لو دعوتني بالذى دعا به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وكذلك رواه الإمام أبو طالب المكى فى قوت القلوب وفى المستدرك عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال «يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون وقد مسخوا خنازير وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا فيقولوا قد خسف الليلة بدار بنى فلان وليرسلن عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم» ثم قال صحيح الإسناد .

الحكم : لا يجوز بيع الخنزير لما روى أبو داود من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله عز وجل حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه» واختلفوا فى جواز الانتفاع به فكرهت طائفة ذلك وممن منع منه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعي وأحمد وإسحاق ورخص فيه الحسن والأوزاعى وأصحاب الرأى وهو نجس العين كالكلب يغسل ما نجس بملاقاة شيء من أجزائه سبعا إحداهن بالتراب .

ويحرم أكله لقوله تعالى ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام : ١٤٥] والرجس النجس قال الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردى الضمير فى قوله تعالى ﴿فإنه رجس﴾ عائد على الخنزير لكونه أقرب مذكور ونظيره قوله تعالى ﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ [النحل : ١١٤]ونازعه الشيخ أبو حيان وقال إنه عائد على اللحم لأنه إذا كان فى الكلام مضاف ومضاف إليه عاد الضمير على المضاف دون المضاف إليه لأن المضاف هو المحدث عنه والمضاف إليه وقع ذكره بطريق العرض وهو تعريف المضاف وتخصيصه وقال شيخنا الأسنوى رحمه الله تعالى : وما ذكره الماوردى أولى من حيث المعنى وذلك أن تحريم اللحم قد استفيد من قوله تعالى ﴿أو لحم خنزير﴾ فلو عاد الضمير لزم خلو الكلام من فائدة التأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم اللحم والكبد والطحال وسائر أجزائه وقال القرطبى فى تفسير سورة البقرة لا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسته وفى دعواه الإجماع نظر لأن مالكا يخالف فيه . نعم هو أسوأ حالا من الكلب فإنه يستحب قتله ولا يجوز الانتفاع به فى حالة بخلاف الكلب وقال شيخ الإسلام النووى رحمه الله ليس لنا دليل على نجاسته بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأرة وقد روى أن رجلا سأل النبى ﷺ عن الخرازة بشعره، فقال لا بأس بذلك رواه ابن خويز منداد قال ولأن الخرازة به كانت على عهد النبى ﷺ وبعده موجودة ظاهرة ولم يعلم أنه ﷺ أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده وقال الشيخ نصر المقدسى لا يجوز المسح على خف خرز بشعره ولا الصلاة فيه وإن غسله سبعا إحداهن بالتراب لأن التراب والماء لا يصلان إلى مواضع الخرز المتنجسة قال الإمام النووى وهذا الذى ذكره الشيخ أبو الفتح نصر هو المشهور وقال القفال فى شرح التلخيص سألت الشيخ أبا زيد عنه فقال الأمر إذا ضاق اتسع ومراده أن بالناس ضرورة إليه فتصح الصلاة فيه لذلك وفى الشرح والروضة فى أواخر كتاب الأطعمة قريب من ذلك ولا يجوز اقتناء الخنزير سواء كان يعدو على الناس أو لم يكن يعدو فإذا كان يعدو وجب قتله قطعا و إلا فوجهان أحدهما يجب قتله ، والثانى يجوز قتله ويجوز إرساله وهو ظاهر نص الشافعى فالوجهان فى وجوب قتله وأما اقتناؤه فلا يجوز بحال كما صرح به فى شرح المهذب وغيره وفى سنن أبى داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أحسبه عن رسول الله ﷺ قال «إذا صلى أحدكم إلى غير سترة فإنه يقطع صلاته الكلب والحمار والخنزير واليهودى والمجوسى والمرأة الحائض ويجزئ عنه إذا مروا بين يديه قذفه بحجر» وفيه أيضا من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «من باع الخمر فليشقص الخنازير» قال الخطابى معناه فليستحل أكلها وقال فى النهاية معناه فليقطعها ويفصلها أعضاء كما

تفصل الشاة إذا بيع لحمها والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنزير فإنهما فى التحريم سواء وهذا لفظ أمر معناه النهى تقديره من باع الخمر فليكن للخنازير قصَّابا وجعله الزمخشرى من كلام الشعبى.

الأمثال: قالوا أطيش من عفر والعفر ولد الخنزير والعفر أيضا الشيطان والعفر أيضا العقرب. وقالوا أقبح من خنزير وقالوا أكرهه كراهة الخنازير الماء الموغر وأصله أن النصارى تغلى الماء للخنازير فتلقيها فيه لتنضج فذلك هو الإيغار قال أبو عبيد ومنه قول الشاعر

ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم

ككراهة الخنزير للإيغار

وقال ابن دريد: الإيغار أن يغلى الماء للخنازير فتسمط وهى حية ...

التعبير: الخنزير تدل رؤيته على الشر والنكد والإفلاس وعلى المال الحرام وتدل رؤية إناثه على كثرة النسل فأن حصل له منه ضرر فى المنام ربما تنكد من نصرانى. وقيل الخنزير فى المنام عدو قوى ملعون خدوع عند النوائب غدار فمن رأى أنه ركب خنزيرا نال مالا وقهر عدوا كما وصفت ومن أكل لحم الخنزير مطبوخا نال مالا وتجارة من غير حل. ومن رأى أنه تحول خنزيرا نال مالا مع ذلة ووهن فى الدين. ومن رأى أنه يمشى كما يمشى الخنزير نال سرورا وقرة عين. وأولاد الخنازير هموم لمن ملكها والخنزير الأهلى خصب لمن رآه بداره وكل حيوان يتربى عاجلا ويألف فهو تمام قصد من رآه وقضاء حاجته والبرى يدل للمسافر على مطر أو برد. ومن رعى الخنازير فى المنام فإنه يلى على قوم من اليهود والنصارى. ومن رأى كأن زوجته صارت خنزيرة فإنه يطلقها لأنها حرمت عليه ولحمه خير لجميع الناس لأن الخنزير لا ينفع إلا بعد موته وهو مال حرام لقوله تعالى ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [البقرة: ١٧٣] ففيه إشارة لذلك والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٨).

وقال عنه القزوينى: الخنزير حيوان سمج والعين تكرهه. له نابان كنابى الفيل يضرب بهما، ورأسه كرأس الجاموس، وله ظلف كما للبقر والغنم ... وإذا دفنت سفرجلة ينبش الأرض كلها حتى يظفر بها. والخنزير أنسل الحيوان لأن الأنثى قد تضع عشرين خنوصا والخنزير يأكل الحيات أكلا ذريعا وسموم الحيات لا تؤثر فى الخنزير، وهو أروغ من الثعلب يهرب عن من قصده حتى يمشى خلفه كثيرا ويتعب ثم يكر عليه فيضربه بنابه يقطعه، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين وهكذا تفعل بها النصارى بالروم يجوعونها ثلاثا ثم يعلفونها لتسمن، وإن مرض أكل السرطان يزول مرضه. ومن خواصه العجيبة ما ذكروا أن الخنزير إذا شد على ظهر الحمار بحيث لا يقدر على الحركة فإذا بال الحمار مات الخنزير، والفيل يهرب من صوت الخنزير (عجائب المخلوقات / ٢٥٧).

والآيات الكريمة التى وردت فى تحريم لحم الخنزير أربع هى:

قال الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ [البقرة: ١٧٣]؛

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ [المائدة: ٣].

﴿إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ [النحل: ١١٥].

ومن ثم كان تحريم لحم الخنزير فى الإسلام يقول الدكتور الفاضل العبيد عمر:

حرم الإسلام أكل لحم الخنزير منذ القرن السابع الميلادى ومنذ ذلك التاريخ السحيق نجد أن العالم يكتشف يوما بعد يوم الأضرار الصحية التى تنتج من تناول هذا اللحم النجس. وتدريجيا فهم العلماء أن فى عدم تناول لحم الخنزير وقاية من عدة أمراض. فقد نشرت مجلة «الأربعاء» السعودية بتاريخ الثانى من جمادى الأول ١٤٠٥ هـ موجزا لدراسة علمية أجراها الأستاذ الدكتور هانزريكفيج مدير المعهد الطبى الألمانى عن ازدياد الأمراض وتدهور صحة الإنسان من جراء تناول لحم الخنزير. فقد ذكر هذا الطبيب أنه خلال الحرب العالمية الثانية لاحظ الأطباء الألمان أن جنودهم فى شمال إفريقيا يتعرضون إلى مرض غريب يظهر على شكل دمامل فى

أطرافهم السفلية، مما يقضى معالجتهم فترات طويلة فى ظروف صعبة. وظلت هذه المشكلة تقلق أذهان القوات المسلحة الألمانية، وفشل الأطباء فى تفسير هذه الظاهرة المرضية المعقدة. إلى أن استطاعت مجموعة من الأطباء الألمان التوصل إلى معرفة السبب بعد مقارنة الغذاء الذى يتناوله الجنود الألمان بذلك الذى يتناوله المواطنون المسلمون فى شمال إفريقيا والذين لا يصابون بمثل هذه الأمراض الداخلية والجلدية. ومن ثم لجأ الأطباء إلى تطبيق الغذاء المحلى على الألمان. فإذا بهذا المرض الغريب يختفى تماما، بعد أن تم منع تناول كل ما له علاقة بلحم الخنزير وشحمه.

وبعد نهاية الحرب قام العلماء الألمان بأبحاث علمية أثبتت أن تناول لحم الخنزير الطازج يسبب حدوث التهابات فى الزائدة الدودية والمرارة، وتعفنات فى الأمعاء الغليظة، ومرض التيفوس والقرحة المعدية وبعض الأمراض الجلدية. ولاحظ الأطباء الألمان أيضا أن المواطنين الألمان كانوا يعانون من نقص وندرة فى لحم الخنزير بعد نهاية الحرب، الأمر الذى دفعهم إلى تناول الخضروات والقمح والبطاطس، وأصبحوا أصحاء تماما. ولكن بعد سنوات قليلة، توفر لحم الخنزير فى ألمانيا، فظهرت بوادر الأمراض الجلدية والداخلية. وخلال الخمسينات والستينات فوجىء الأطباء بازدياد عدد حالات السرطان مثل سرطان المعدة والمرىء والأمعاء. وقد تبين لهم أن السبب الرئيسى لذلك يعود إلى تناول لحم الخنزير ومشتقاته. ومن التجارب العلمية التى أجريت على الحيوانات اكتشف العلماء أن الحيوانات التى كانت تأكل لحم الخنزير قد أصيبت بالسرطان والأمراض الجلدية على عكس الحيوانات التى كانت تتغذى باللحوم الأخرى. ودفع ذلك مدن الملاهى والسيركات للامتناع عن تقديم أى نوع من أنواع مشتقات الخنزير إلى حيواناتها. كما توقفت المؤسسات المشرفة على رعاية الثروة السمكية عن تقديم لحم الخنزير ومشتقاته للأسماك التى تربى فى الأحواض والبحيرات.

وأوضح الدكتور ريكفيج الأضرار الناتجة من تناول لحم الخنزير فى النقاط التالية:

أولا: ان لحم الخنزير يحتوى على نسبة عالية من الدهون والشحوم وتوجد الخلايا الدهنية داخل لحم الخنزير نفسه، على عكس لحم البقر أو الغنم. ونظرا لأن الدهون فى حد ذاتها تحتوى على نسبة كبيرة من الزلال والحراريات، فإن من يأكل لحم الخنزير يشكو عادة من البدانة المتزايدة وسوء الهضم وتراكم الشحوم، وما يتبع ذلك من أمراض.

ثانيا: زيادة الدهون فى لحم الخنزير تؤدى إلى ارتفاع نسبة الكولسترول فى جسم من يأكله، ويتحد من ثمَّ الكولسترول مع الدم ويسبب أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم والجلطة الدموية وضيق التنفس واختلال الدورة الدموية والجلطة الدماغية والشلل النصفى (يأتى المزيد عن ذلك فيما بعد).

ثالثا: أن أخطر أنواع الأغذية المنتشرة فى أوربا وأمريكا والتى تسبب السرطان وأمراض القلب وانتفاخ الأنسجة والبدانة هى أطعمة لحم الخنزير المتداولة على شكل سجق أو قديد أو لحوم مملحة. حيث تحتوى هذه الأطعمة على نسبة كبيرة من بقايا لحم الخنزير.

رابعا: أن تراكم مخلفات لحم الخنزير ومشتقاته فى جسم الإنسان يؤدى إلى أمراض العظام والمفاصل ومرض النقرس والتشوه فى العمود الفقرى وتقل نسبة مقاومة الجسم للأمراض والأصابات.

خامسا: أن وجود مادة الهستامين فى لحم الخنزير يسبب حدوث البؤر والدمامل والالتهابات الداخلية والخارجية، وخاصة قرحة المعدة والتهاب الجلد وتساقط وانتفاخ الوجه والأطراف السفلية من جسم الإنسان.

سادسا: أما السجق المعروف باسم «هوت دوجز» فهو من أخطر أنواع لحم الخنزير ومشتقاته. ويتكون من أحشاء الخنزير ورئته وبعض التوابل التى تخفى رائحة هذه المواد. فقد ثبت لدى الأطباء الألمان أن تناول هذا النوع من الطعام يعتبر العامل الأساسى فى انتشار أمراض البرد ونزلات الشتاء. وهى الأمراض التى تسببها الفيروسات المتواجدة فى لحم الخنزير ورئته.

سابعا: أن الأمراض المعدية والأوبئة والسموم التى تنتشر بين الخنازير تدخل جسم الإنسان ولا تخرج منه بالطرق

العادية المعروفة بل تخرج فى شكل دمامل جلدية وتؤدى إلى تحولات فى لون الجلد والوجه، وتظهر الحكة والالتهابات والفطور على الجلد. وهذا يعزى لأن البيئة التى تعيش فيها الخنازير تعتبر وسطا مناسبا لانتشار هذه الأمراض والجراثيم (الطب الإسلامى عبر القرون / ١٣٢ ـ ١٣٤).

ويحصر الدكتور أحمد شوقى الفنجرى الأسباب الطبية والعلمية التى تدعو إلى تحريم لحم الخنزير فى خمسة أسباب يوضحها على النحو التالى:

السبب الأول: يرجع إلى كثرة أصابة الخنزير بأنواع خطيرة من الديدان وأهمها دودة التنيا ودودة التريكينا.

(أ) الإصابة بدودة الخنزير الشريطية:

وقد يقول قائل إن البقر أيضا قد يتعرض لنوع مختلف من الدودة الشريطية وليس الخنزير وحده. وهنا وبالبحث العلمى تبرز لنا حكمة الله.

فهناك فارق كبير من ناحية الخطر على صحة الإنسان وحياته بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى.

فدودة الخنزير اسمها العلمى ساليوم لتمييزها عن دودة البقرة والمسماة ساجيناتا.

وهناك فوارق ميكروسكوبية وعلمية بين الدودتين ولكن الفارق الذى يهمنا هو مدى ضررها بالإنسان. فدودة البقرة عندما تصل إلى أمعاء المصاب تصيبه بأعراض طفيفة ويمكن القضاء عليها بأدوية بسيطة تعطى بالفم.

أما دودة الخنزير فإنها لا تكتفى بالحياة فى الأمعاء فكثيرا ما تكمل دورة حياتها فى جسم نفس الشخص المريض أو فى جسم أى إنسان آخر إذ تخرج الأجنة (اليرقات) من البيض وتخترق جدار الأمعاء إلى الدورة الدموية وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة فى غلاف سميك الجدار وقد تصل إلى حجم حبة الفول (٢ سم تقريبا) ومما يزيد خطرها أنها تفضل التحوصل فى الجهاز العصبى وتسمى الحوصلة ـ فإذا كانت الحوصلة فى المخ أصابت الإنسان بالجنون أو الشلل أو التشنجات العصبية.

ـ وإذا كانت فى العين أصابتها بالعمى.

ـ وإذا كانت فى جدار القلب أصابته بالهبوط أو الذبحة القلبية.

ـ وقد أثبتت الفحوصات المخبرية أن بين كل ١٠٠ (مائة) ورم بالمخ أزيل بالجراحة وفحص ميكروسكوبيا وجد أن ٢٥ منهم من دودة الخنزير أى بمعدل الربع.

ومعروف أن هذه الحوصلة فى مثل هذه الحالات لا تتأثر بالأدوية العادية التى تعطى بالفم لأنها تكون مغطاة بجدار سميك عازل وفى كثير من الأحيان تترسب مادة الكالسيوم فى الجدار.

وحتى اليوم لا يعرف العلم أسباب اتخاذ دودة الخنزير دون سائر الديدان لهذا المسار الغريب الذى يتنافى مع مبدأ المحافظة على النوع. وذلك لأن انتقالها من أمعاء الإنسان إلى التحوصل فى عضلات جسمه سوف يؤدى إلى توقف دورة حياتها برغم أن المراجع العلمية تذكر أن اليرقة تعيش فى هذه الحوصلة إلى مدة قد تزيد على ٢٣ عاما.

والتعليل الوحيد هو أن الخنزير ربما كان فى العهود السابقة للتاريخ يأكل لحم الإنسان الميت وبذلك وحده تنتقل الدودة من الإنسان إلى الخنزير مرة أخرى وتكمل دورة حياتها.

وحتى عصرنا هذا لم يكتشف الطب الحديث أى دواء أو علاج لإصابة الإنسان بحوصلة دودة الخنزير والعلاج الوحيد حتى يومنا هذا هو إزالتها بالجراحة.. إذا أمكن الوصول إلى مكانها.

(ب) الدودة الثانية التى تصيب الإنسان عن طريق الخنزير هى التريكينا:

وقد جاء فى أحد الإحصاءات العالمية أن بين كل ٦ خنازير فى أمريكا يوجد واحد مصابا بهذا المرض. وبديهى أن هذه النسبة تزيد جدا فى البلاد المتخلفة وقد بلغ عدد المصابين من البشر فى العالم بهذا المرض سنة ١٩٤٧، ٢٦ مليون إصابة.

ويذكر الدكتور ج. جوردون أن كل طرق الوقاية عن طريق فحص لحم الخنزير أثبتت عدم فعاليتها علاوة على تكاليفها الباهظة كما أنها تعطى الإنسان شعورا كاذبا بالسلامة من الإصابة بالمرض.

وأعراض الإصابة بالتريكينا فى الإنسان تشمل ارتفاع الحرارة وتورم الوجه ونزلة معوية حادة وقد تؤدى إلى هبوط

القلب . وفى كثيـر من الأحيـان يصعب تشخيص المـرض ويعالج على أنه حمى عادية وخاصة أنه من الصعب اكتشاف الدودة عن طريق تحليل البراز.

ومن المهم أن نعرف أن الطب الحـديث لم يكتشف حتى يومنا هذا أى علاج للإصابة بالتريكينا فى الإنسان.

ومعنى ذلك أنه لا يوجد أى علاج طبى لهذين النوعين من ديدان الخنزير.

طهو اللحم لقتل الديدان :

من المعروف أن الطهو الجيـد للحوم فى درجة لا تقل عن ٧٠ ْم ولمـدة كافيـة قـد تصل إلى ٣ سـاعات يمكنـه أن يقتل جميع الديدان فى الغنم والبقـر . ولكن الخنزير يختلف عن لحم البقـر فى سرعـة طهوه واستـوائه أى أنه يستوى فـى درجة حـرارة أقل وفى مدة أقصـر من غيـره من اللحـوم وأتذكـر أننى عنـدما كنت أدخل أى مطعم للشـوى فى أوروبـا كنت أطلب لحم بقـر وطلب زملائى الأوروبيون لحـم خنزير، فكـان لحم الخنزير يأتيهم بعد عشـر دقائق على النار فى حين أن مثيلتها من لحم البقـر وعلى نفس النـار كـانـت لا تأتينى قبل نصف ساعة وربما أكثر . .

ومن هنا تـذكر المراجـع العلمية أن لحم الخنزيـر يستوى على النار ويكـون صالحـا للأكل قبل أن تمـوت الديـدان فيه وخاصة التى بالداخل.

وجديـر بالذكـر أن الوقايـة الوحيـدة المضمونة التى يـراها الأطباء الـوقائيـون من الإصابـة بهذه الدودة هى فـى عدم أكل لحم الخنزير فى المناطق الموبوءة بهذا المرض وهذا هو نفس الحل الذى توصل إليه الإسلام منذ ١٤ قرنا من الزمان.

وأخيرا قـد يقول قائل : إن العلم الحديث قـد جعل الناس فى أوروبا يهتمون بنظافة الخنزيـر ويضعونه فى حظائر حديثة لا يأكل فيهـا إلا الأعشـاب والبطـاطس والخضـروات ولكن الملاحظ برغم ذلك أن ديدان الخنزير ما زالت منتشرة فى أكثر أنحاء العالم وخاصة فى آسيا كلها وشرق أوروبا وجميع بلدان أمريكا الـلاتينية وإذا كان مجموع المصابين بديـدان الخنزير فى العالم حسب آخـر إحصائية سنـة ١٩٤٧ كانوا ٢٩ مليـونا من البشر فلا بد أن هذا العدد قد تزايد الآن.

السبب الثـانى : أن لحـم الخنزيـر أكثر قابليـة لنقل جميع الأمراض الميكروبية المعدية من كل اللحوم الأخرى.

فقد جـاء فى نشـرة هيئة الصحـة العالميـة سنة ١٩٥٣ أن مخبـراتهـا فى الـدانمـارك التـى تقـوم بفحص أنـواع اللحـوم الحيوانية قـد وجدت أن لحم الخنزير هو أكثر قـابلية للتلوث ونقل الميكروبات . وقد وجد أن ٦٠ ٪ فقط من لحوم الخنازير فى الـدانمارك خـاليـة من الميكـروبات والبـاقى ٤٠٪ يحمل أنواعـا مختلفة من الميكروبات المعـدية وغير المعديـة . كما جـاء فى النشرة أن الميكـروبات الشـديـدة العدوى فى لحـوم الغنم لا تزيد عن ٣ ٪ فى حين أن هذه النسبة فى لحم الخنزير ١٤ ٪ أى أكثـر من أربعة أضعـاف . وجـاء فى تعليل ذلك أن نسبة التعادل القلوى فى لحوم الخنزير تكون عالية مما يساعد على سرعة نمو الميكروبات فى عضلاته وسهولة معيشتها فيها سـواء كـان حيا أم بعـد ذبحـه . فإذا كـانت هـذه النسب فى خنازير الدانمارك أنظف بلد فى العـالم فما بالك بغيـرها من البلدان . ومـن هذه الحقيقـة نرى أن لحم الخنـزير هـو أسرع اللحوم إلى التلوث وخاصة فى المناطق الحارة.

السبب الثالث : آكلات اللحوم محرمة على الإنسان :

ولكى نفهم هذا السبب علينا أن نسأل أنفسنا أولا . . لماذا لا يأكل الإنسـان القطط والكـلاب والـذئب والثعلب؟ . بل لمـاذا لا يأكل لحم أخيه الإنسـان وربما كـان لحمها ألـذ من غيره وأكثر فائدة لجسمه؟ . وما هو شعور أى فرد منا لو قيل له وهو يهم بأكل لحم أن هـذا ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب أو قيل له إن هذا ليس لحم بقر ولكنه لحم إنسان؟ .

لاشك أننا نصاب بالغثيان والقىء . .

ويرجع ذلك إلى حقيقة علمية هامة . .

فمن المعروف أن الحيوانات تنقسم من الناحية العلمية إلى نوعين :

(أ) قسم يسمى آكـلات العشـب مثل الغـزال والجمل والبقر والغنم والأرنب.

(ب) وقسم يسمى آكـلات اللحـوم مثل الأسـد والـذئب والثعلب والكلب وتعـرف آكـلات اللحوم علميـا بأنهـا ذات الناب لأن لهـا أربعة أنياب كبيـرة فى الفك العلوى والسفلى. ويعتبر الخنزير حسب هذا التقسيم العلمى من آكلات اللحوم لأن له أنيابا كبيرة لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر.

وهذا التقسيم العلمى لا يقتصر على الحيوانات وحدها بل

يشمل الطيور أيضا إذ تنقسم إلى آكلات عشب ونبات كالدجاج والحمام.

وإلى آكلات لحوم كالصقور والنسور والغراب والحدأة والتمييز العلمي بينهما أن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد يقتل فريسته ويمزقها ولا يوجد مثل هذا المخلب في الطيور المستأنسة والداجنة.

ومنذ عرف الإنسان الحضارة حتى يومنا هذا لم يحاول أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم إلا فيما ندر وفي الظروف القاهرة أو في بعض القبائل المتخلفة جدا.

ومن الحقائق المذهلة أن الإسلام قد حدد هذا التقسيم العلمي ونبه إليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان. إذ يقول رسول الله:

«حرم على أمتي كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع».

قالت المؤلفة: أورد الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، باب المناهي، حديثين بهذا المعنى. الأول بالفظ «نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي ثعلبة.

والحديث الثاني بلفظ: «نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير» لأحمد في مسنده، ومسلم وأبي داود والنسائي عن ابن عباس، وقال حديث صحيح.

والسؤال الآن هو: لماذا يحرم أكل هذه الحيوانات؟. ونقول ردا على ذلك:

١ ـ لأن هذه اللحوم تصيب آكلها بالضراوة والميل إلى العنف للأسباب الآتية:

(أ) من المعروف في علم التغذية أن الإكثار من أكل اللحوم عامة وبصرف النظر عن نوعية هذه اللحوم يؤدي إلى ارتفاع الضغط وسرعة الانفعال وهياج الأعصاب. وقد نبه الإسلام إلى هذه الحقيقة قبل أن يقررها علماء التغذية في عصرنا الحديث. فرغم أن الإسلام قد نهى عن المذاهب النباتية وحث على أكل اللحوم إلا أنه قد نهى عن الإكثار منها إذ يقول رسول الله ﷺ:

«إياكم والإكثار من اللحم فإن للحم ضراوة مثل ضراوة الخمر» ويقول أيضا: «لا بارك الله في أهل بيت لحميين».

قالت المؤلفة: لم أعثر على أي من هذين الحديثين فيما بين يدي الساعة من مراجع ويمضي الدكتور الفنجري فيقول:

ولكي تقدر مدى هذه الضراوة عليك أن تقارن بين حيوانين أحدهما كل أكله لحم كالذئب والثعلب وبين آخر كل أكله العشب كالغزال والغنم.. وحتى بين الحيوانات المستأنسة قارن بين القط في شقاوته ومكره وبين الأرنب في مسالمته ووداعته.

وقد لاحظت أثناء زيارتي للمكسيك والبلاد التي تهوى المراهنة على قتال الديوك أنهم يلجأون إلى إطعام هذه الديوك المقاتلة باللحوم بدلا من الحبوب لكي تزداد ضراوة وحبا في القتل والقتال مما يجعل هذه الطيور لا تكتفي بإنهاء القتال قبل أن يُقتل أحدها وهو أمر مخالف لطبيعتها في الحياة العادية.

(ب) من المعروف أيضا أن نوعية اللحم الذي تأكله الشعوب المختلفة يؤثر على طبائع هذه الشعوب بسبب احتواء هذه اللحوم على سميات ومفرزات داخلية ناتجة عن عملية التمثيل الغذائي التي كانت تجري في جسم ذلك الحيوان وهذه المفرزات والهرمونات تحول في دم الحيوان وفي عضلاته وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر في أخلاقهم وطبائعهم». ولا يقتصر هذا التأثير على اللحم وحده بل على كل المنتجات الحيوانية وأولها اللبن.. فلبن الحمير مثلا له تأثير على طبيعة الطفل الرضيع يختلف عن لبن الغنم.

والحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على غريزة القتال واقتناص الفريسة ويقول الدكتور (س ليبج) المرجع في علم التغذية أن هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان حتى وهو حبيس في القفص عندما تقدم له قطعة لحم لكي يأكلها. ويعلل لنظريته هذه بقوله: «ماعليك إلا أن تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقي نظرة على النمر في حركاته العصبية أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضغها فترى صورة الغضب والاكفهرار مرسومة على وجهه. ثم ارجع بصرك إلى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما

يأكل العشب والحَب وهـو يلعب مع الأطفـال ويحيـي الزائريـن».

من هـذه المعلـومـات نخرج بحقيقتين هـامتين يمكن تطبيقهما على الخزير:

الأولى: أن الخنـزيـر بحكم انتمـائه إلى عـائلـة آكـلات اللحوم أكثر عنفا وشراسة من الغنم والأبقار آكلات العشب . . ورغم أن الخنزير الـذى يباع في الأسواق حاليـا هو فصيلة من الخنازير الوحشية تم لـلإنسان استئناسها منذ آلاف السنين إلا أن هذا الخنـزير المستأنس لا تـزال فيه ضـراوة أجداده. ومن المعروف عن أنثى الخنزير أنها كثيرا ما تصاب بحالات عصبية بعد الـولادة كما يحـدث للحيوانـات المفترسـة فتقتل أولادها كلهم أو بعضهم ثم تأكلهم . وقـد تهاجم من يقتـرب منها من البشر بضـراوة . . وعادة يضطر رعاة الخنـزير إلى خلع أنيـابه وهو صغيـر حتى لا يصبح خطرا عنـدما يكبـر. والملاحظ أن علماء العرب الأقدمين أمثال ابن سينا كانوا يقولون عن الخنزير هذه العبارة: «الخنزير منه الأليف والوحشى فهو وحشى».

الحقيقـة الثانيـة : أن أكل لحم الخنزيـر بصفة رئيسيـة فى طعام الإنسان لا بـد بالتالى وبالبـديهة أن يصيب آكله بشيء من الضراوة والعنف ولعل لحم الخنزير هو أحد أسباب ظاهرة العنف المنتشـرة فى المجتمع الأوروبى والأمـريكى والتى مـا زالوا فى حيرة من تعليل أسبابها .

٢ ـ تأثير هذه اللحوم على ترابط الأسرة والعفة الجنسية :

جاء فى بعض كتب الفقـه (ومنها الموسوعـة الفقهية باب الأطعمـة ص ٤٧) أن لحم الخنزيـر قد يكـون له تأثيـر سيىء على العفة والغيـرة الجنسية . وهـذه ظاهرة جـديدة بـالاهتمام والتحليل العلمى. لقد ذكرنا أن طبـائع الإنسان وأخلاقه تتأثر بنـوع اللحوم التى يأكلهـا وطبيعة هـذه الحيونـات فى حياتهـا الخاصة ... ومن المعروف فى طبيعـة الحيوانات آكلة اللحوم إنها لا ترتبط بنظام الأسرة الواحدة . . وغالبا يكون للذكر أكثر من أنثى كما أن الأنثى لا ترتبط بذكر واحد . . وكثيرا ما يتعدى الـذكـر على إناث غيره ويقتلـه ليستولى على إناثـه . . وقـد لوحظت هـذه الحالة فى معظم القبـائل البشرية البـدائية التى تعيش على آكـلات اللحـوم. حيـث يقل الارتبـاط الأسـرى ويعيشون حيـاة أقرب إلى حيـوانات الغـابة. وربمـا كان لحم الخنزير هو أحد أسباب ضعف العفة الجنسية وظهور الكثير من الظواهر الشاذة مثل تبادل الـزوجات والزواج الجماعى بين الكثيرين من شعوب العالم الغربى .

الخنزير له صفات آكلات اللحوم :

بعض الناس قد يعترض بأن الخنزير قد أصبح مستأنسا فى أوروبا فـى حظائر ومزارع نظيفـة يعيش فيها على أكـل البقول والنباتات فلم تعد تنطبق عليه اليوم صفات آكلات اللحوم ونرد على ذلك بالنقاط الآتية :

١ ـــ حسب التقسيم العلمى فإن كل حيوان لـه ناب كبيـر لكى يقطع به اللحم يعتبر من آكلات اللحوم والخنزير له أربعة أنياب كبيرة فى فكيه لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر.

٢ ـ أن العبرة هنا ليست بنوعية الأكل وحدها ولكن بنوعية الحيوان وطبيعتـه التى يتوارثها فى دمـه عن أجداده الأولين . . ومهما استؤنس الحيـوان وحاولنا تغيير طعامـه وطباعه فستظل فيـه بعض صفـاتـه الأولى المتـوارثـة وسيظـل الثعلب ثعلبـا والخـنـزيـر خنـزيـرا ولو تـربيـا فى البيـوت أو الأقفـاص آلاف السنين .

٣ ـــ ومعظم المـراجع العلمية تضـع الخنزيـر فى فصيلـة تسمى أومنيفـارا وهى التى تأكل اللحوم والنبـاتات معـا ومنها الكلب والقط والإنسان والخنزير وهى فصيلة وسط بين آكلات اللحوم وآكلات العشب .

٤ ـــ وبرغم أن معيشـة الخنـزير فـى الحظائر النظيفـة فى أوروبا فما أن يخرج إلى الغـابة أو الحقل مع الرعاة حتى يقبل على التهام الفئران الميتة والرمم وإذا دهست سيارة عابرة أحد الخنازير فإن القطيع يتجمع حول جثته ليأكله ويجد فى ذلك لذة أكثر من البقول التى تقدم إليه .

٥ ـ وتذكر المراجع العلمية أن محاولة إطعام الخنزير على النباتات والخضراوات وحدها قد فشلت فى أوروبا وأمريكا إذ وجـد أنه لا ينمـو النمو الكـافى كغيره من الخنـازير الطليقـة وذلك لأن أمعاءه ليست طـويلة الطول الكافى للحيـاة النباتية مثل الغنم وقد وجـدوا أن الطعام المثـالى له هـو الذى يشمل وجبـات من اللحم إلى جـانب النبات وغـالبـا يطعمونـه لحم خنـزيـر أو غنم أو خيل فهو لا يختلـف فى هذه الحـالـة عن الذئب أو الكلب .

من هذه الحقائق نجد أن كل ماينطبق على آكلات اللحوم ينطبق على الخنزير مهما كان مستأنسا ويعيش على الأعشاب .

السبب الرابع : دهن الخنزير يسبب عسر الهضم ويزيد احتمال الإصابة بالذبحة القلبية وتصلب الشرايين .

من المعروف طبيا أن اللحوم المختلفة التى يأكلها الإنسان تتوقف سهولة هضمها فى المعدة على كمية الدهنيات التى تحويها وعلى نوع هذه الدهون . . فكلما زادت كمية الدهنيات كان اللحم أصعب فى الهضم ومن هذه الناحية يحتوى لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن بين جميع اللحوم ثم يليه الغنم وأقلهم لحم البقر.

وقد جاء فى الموسوعة العلمية الأمريكية أن كل ١٠٠ رطل من لحم الخنزير تحتوى على ٥٠ رطلا من الدهن أى بنسبة ٥٠٪ فى حين أن الدهن فى الضأن يمثل ١٧٪ فقط وفى العجول ٥٪ .

وليست هذه هى المشكلة الوحيدة . ولكن نوع الدهن أيضا يختلف إذ ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة منها تريجلسربدز وتبلغ نسبة الكولسترول فى دهن الخنزير إلى الضأن إلى العجول ٩ ، ٧ ، ٦ ومعنى ذلك بحسبة بسيطة أن الكوليسترول فى لحم الخنزير ١٥ خمسة عشر ضعفا لما فى البقر. ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة .

لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول فى دم الإنسان وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين وخصوصا شرايين القلب وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط وهى السبب الرئيسى فى معظم حالات الذبحة القلبية والتى تسمى : القاتل رقم ١ فى أوروبا .

وقد ظهر من الإحصاءات التى نشرت عن مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الإصابة بهذين المرضين فى أوروبا أضعاف النسبة فى العالم العربى .

ونحن لا نريد أن ننكر أو نتجاهل أن التوتر العصبى الذى تخلقه الحضارة الحديثة فى المجتمعات الصناعية مثل أوروبا وأمريكا من أهم أسباب مرض الذبحة القلبية . وأن هذا التوتر أقل بكثير فى المجتمعات المتخلفة أو الزراعية ولكن العلم لا ينكر أيضا الدور الخطير الذى يلعبه الكوليسترول فى الذبحة وتصلب الشرايين وهكذا يجتمع العاملان معا فى المجتمع الأوروبى .

خامسا ـ الإنفلونزا الخنزيرية القاتلة .

لقد اكتشف العلم الحديث أخيرا أن الخنزير يقوم بدور حامل الميكروب أو خزان للميكروب فى حالة وباء الإنفلونزا الذى يعتبر فى العصر الحديث أشد الأوبئة فتكا فى العالم .

ولهذا السبب سميت الإنفلونزا الخنزيرية لأن نوبات الوباء تظهر أولا بين المزارعين المشرفين على الخنازير (الطب الوقائى / ٢٩٠ـ٣٠٣) .

هذه بعض الأمراض والأضرار التى تنجم عن أكل لحم الخنزير كما أفاض فى وصفها الدكتور الفنجرى . ويضيف إليها الدكتور محمد عادل أبو الخير الأمراض التالية التى ينقلها الخنزير:

١ ـ كوليرا الخنازير: وهى مرض حاد يسببه فيروس .

٢ ـ الإجهاض النتن : وتحدثه بكتريا البروسيلا الخنزيرية .

٣ ـ الحمرة الجلدية : الحادة والمزمنة . والأولى مميتة فى بعض الأحيان . والثانية تحدث تورم المفاصل .

٤ ـ مرض التقشر الجلدى (باراكيراتوتس) .

٥ ـ طفيل الإسكارس : وهو معد للإنسان .

كما يضيف سببا لما أوردناه آنفا ، الذى من أجله حرم لحم الخنزير، وهو يتصل بالخنزير نفسه وطبائعه فيقول سيادته :

لقد نزه الله البشر عن الحيوانية والدنس فى الأديان السماوية جميعا ، ولقد جاءت الأديان كلها تحمى الإنسان وتسمو به فوق بهيمية الحيوانات وتصرفاتها التلقائية البدائية ، وطهرته عن الرجس ، والخبائث من الأكل والخبائث من الأفعال ـ كما أنها سمت به عن أكل المحرمات ولذلك فلقد حرم الإسلام أكل الميتة ـ إلا ميتة البحر ـ لما فيها من حيوانية وشرور فى أكلها ، ولو تركت الميتة لأصابها العفن ، مما يضر الإنسان إذا أكلها ضررا شديدا . وكذلك حرم الدم . فإذا نظرنا إلى الخنزير من حيث طباعه البهيمية نجد أنه :

١ ـ حيوان شره فى أكله شراهة لا توجد فى غيره من

الحيوانات. حيث إنه يأكل حتى يأتى على الأكل كله الذى أمامه، وإذا أكل حتى تمتلىء بطنه أو انتهى الأكل ـــ أخذ يتقيأ ويرجع الأكل الذى أكله، ليأكله ثانية ويشبع شراهته. فهو حيوان لا يستنكف بل يحب أن يأكل ما تقيأ.

٢ ـ يأكل أى مأكول أمامه ويأكل أى فضلات أمامه بشرية كانت أم حيوانية أو نباتية، حتى إنه أيضا يأكل فضلاته، أو برازه، حين لا يجد أمامه أى شىء يؤكل.

٣ ـــ يبول على طعامه وأكله إذا وجده أمامه، ثم يأكله ثانية.

٤ ـ يأكل القمامة والعفن والمعفن وروث البهائم.

٥ ـــ الحيوان الشديى الوحيد الذى يأكل الطين. ويأكله بكميات كبيرة ولساعات طويلة إذ ترك بدون إزعاج.

٦ ـ حين يهاجم الخنزير فإنه ينفعل انفعالا حيوانيا شديدا ويستعمل أنيابه فى جرح خصمه.

ثم يقول الدكتور أبو الخير: ثبت بالأبحاث العلمية الحديثة فى قطرين من أقطار العالم الشرقى والغربى وهما الصين والسويد، أحدهما معظمه وثنى والآخر معظمه ملحد، أثبت علماء هذين القطرين أن أكل الخنزير مسئول هام عن سرطان المستقيم والقولون الذى ترتفع نسبته ارتفاعا مذهلا فى دول أوروبا وأمريكا أساسا وفى دول آسيا التى تأكل الخنزير كالصين والهند، بينما تنخفض انخفاضا ملحوظا يصل إلى واحد من الألف فى الدول الإسلامية. ولقد صدر هذا البحث فى سنة ١٩٨٦ ميلادية من هاتين الدولتين فى المؤتمر السنوى العالمى لأمراض الجهاز الهضمى الذى عقد فى ذلك العام فى ساوباولو (اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم / ١٢٢ ـ ١٢٤).

ومن الأمراض التى ينقلها الخنزير بقذارته تلك التى أحصاها مؤلفا كتاب «مع الطب فى القرآن الكريم» الدكتور عبد الحمد دياب والدكتور أحمد قرقوز، وهى كما يلى، وقد حذفنا منها ما سبق وروده آنفا تفاديا للتكرار:

١ ـ الزحار الزقى: تسببه طفيلة الزقيات الكولونية التى تعيش فى أمعاء الخنزير الذى يعتبر أهم مصادر العدوى ينتشر المرض عالميا ويكثر فى الأماكن التى تنتشر فيها تربية الخنازير وتداولها.

٢ ـ الداء البريمى اليرقانى النزفى (داء وايل): وهو ينتقل للإنسان عن طريق الماء الملوث ببول الخنزير أو الكلاب أو الجرذان، أما الداء البريمى نموذج (رومونا) فمستودعه الأساسى هو الخنزير.

٣ ـ شريطية السمك العريضة: وهى تصيب الإنسان، يبلغ وطولها (٣ ـ ١٠ م) ويلعب الخنزير دور العائل الخازن فى دورة حياتها.

٤ ـــ الأميبا النسيجية وتسبب للإنسان الزحار الأميبى، يلعب الخنزير فيها دور العائل العادى.

٥ ـــ الحمرانية (حصبة الخنزير) وهو مرض يصاب به الخنزير وغيره من الحيوانات وينتقل منه إلى بعض فئات الناس (كاللحامين والدباغين والسماكين) وتكون بشكل لوحة محمرة، ومؤلمة جدا وحارقة على الأيدى مع أعراض عامة كالحرارة والقشعريرة، والتهاب العقد والأوعية البلغمية.

(مع الطب فى القرآن الكريم / ١٣٧، ١٣٨).

أما عن الفتاوى التى تتصل بأحكام الخنزير فقد أورد فضيلة الشيخ عطية صقر فى كتابه القيم الفتوى التالية:

س: ما حكم الفراجين «الفرش» التى تصنع من شعر الخنزير؟

ج: معلوم أن لحم الخنزير يحرم أكله كما قال تعالى **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾** [المائدة: ٣] وتحريم أكل اللحوم يشمل تحريم كل أجزائه من الشحم والكبد والطحال وغيرها، لقوله تعالى **﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾** [الأنعام: ١٤٥] لأنه الضمير فى قوله **﴿فإنه رجس﴾** عائد على لفظ الخنزير لا على لفظ «لحم» لأن تحريم اللحم معلوم بالنص عليه، فلو عاد الضمير عليه لزم خلو الكلام من فائدة التأسيس، فوجب عوده إلى كلمة «خنزير» ليفيد الكلام تحريم بقية أجزائه.

ومع تحريم أكل أى جزء منه فهو نجس، إن الله وصفه بأنه رجس، والرجس هو النجس. وجمهور الفقهاء على نجاسته حيا وميتا بدليل هذه الآية، وإن كان فى الدليل مناقشة، فقد يراد بالنجاسة النجاسة الحكمية وهى حرمة

الأكل، وليس النجاسة العينية، كنجاسة المشركين فى قوله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾ [التوبة : ٢٨] فالمراد نجاسة الاعتقاد وليس النجاسة العينية، حيث لم يقل أحد بأن المشرك ينجس.

على مثال ما جاء فى قوله تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ فنجاسة الأنصاب والأزلام حكمية وهى الحرمة، وليست نجاسة عينية.

ولما كانت الآية لاتدل دلالة قطعية على نجاسة الخنزير نجاسة عينية استدل بعض العلماء على ذلك بالقياس على نجاسة الكلب، لأنه أسوأ حالا منه حيث لا يجوز الانتفاع به، ولكن هذا الدليل غير مسلّم، لأن الحشرات لا ينتفع بها ومع ذلك هى طاهرة.

ومن هنا قال النووى : ليس لنا ـ أى الشافعية ـ دليل على نجاسة الخنزير، بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأر، ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسة الخنزير، لكن دعوى الإجماع فيها نظر، لأن مالكا يخالف فيه ويقول بطهارته.

نخلص من هذا إلى أن الخنزير يحرم أكله، أما طهارته فالجمهور على أنه نجس، والبعض قال إن طاهر كالحمار والذئب يحرم أكلهما ومع ذلك هما طاهران.

وكل حيوان لم يذبح ذبحا شرعيا أو كان مما يحرم أكله حتى لو كان طاهرا حال حياته كالحمار فإنه يعتبر «ميتة» ولحم الميتة مع حرمة أكله نجس، والنجاسة تشمل الجلد والشعر وكل ما يتصل به، غير أن جلد الميتة يطهر بالدباغ عند الجمهور، إلا جلد الكلب والخنزير فلا يطهره الدباغ، ومثله الفراء والشعر، ومذهب داود الظاهرى وأبى يوسف أن الدباغ يطهر كل جلود الميتة حتى الكلب والخنزير، لأن الأحاديث الواردة فى ذلك لم يفرق فيها بين الكلب والخنزير وما سواهما، ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم ونقله الشوكانى فى نيل الأوطار (١ / ٧٥). وعليه فلا يجوز استعمال جلد الخنزير وشعره فى ملابس أو أحذية أو غيرهما على رأى جمهور العلماء.

(من هذه الأحاديث ما رواه مسلم «أيما إهاب دبغ فقد طهر» وما رواه الدارقطنى «طهور كل أديم دباغه»).

هذا هو حكم شعر الخنزير إذا أخذ بعد موته، أما إذا أخذ حال حياته فإن حكمه كحكم ميتته، وميتته نجسة فشعره بالتالى نجس، وذلك لحديث رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين «ما قطع من حى فهو كميتته» (الإقناع للخطيب ج ١ ص ٢٤). واستثنى العلماء من هذا الحديث شعر وصوف ووبر مأكول اللحم فهى طاهرة. وعلى هذا لا يجوز استعمال شعر الخنزير إذا قص منه وهو حى فى عمل الفراجين «الفرش» حتى لو غلى هذا الشعر وعقم سواء أخذ حال الحياة أو بعد الموت، لأن هذه الإجراءات الصحية لا تطهره، بل هى للتأكد من خلوه من الأمراض المعدية، والنجاسة باقية، لأنها نجاسة عين لا تطهر بهذه الرسائل مطلقا، بخلاف الشىء الطاهر الذى لاقته النجاسة فإنه يقال عنه إنه متنجس، ويطهر بالغسل بالماء على ما هو مفصل فى كتب الفقه :

هذا، وقد يقرأ فى بعض الكتب أن شعر الخنزير يجوز الانتفاع به فى خرازة النعال، لما روى أن رجلا سأل النبى ﷺ عن ذلك فقال لا بأس، كما رواه ابن خويز منداد، فكانت الخرازة به موجودة فى عهد النبى وبعده، ولم يعلم أنه أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده.

لكن جواز خرازة النعال بشعر الخنزير لا ينفى نجاسته، ولذلك لا يجوز المسح على النعل المخروز به ولا الصلاة فيه، وإن أجاز بعضهم ذلك فهو عند الضرورة (حياة الحيوان الكبرى للدميرى ـ خنزير برى) (أحسن الكلام ٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٨).

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٨، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٥٧، ٢٥٨، والطب الإسلامى عبر القرون ـ د. الفاضل العبيد عمر / ١٣٢ ـ ١٣٤، والطب الوقائى فى الإسلام ـ د. أحمد شوقى الفنجرى / ٢٩٠ ـ ٣٠٣، واجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم ـ د. محمد عادل أبو الخير / ١٢٢ ـ ١٢٤، ومع الطب فى القرآن الكريم ـ د. عبد الحميد دياب، و د. أحمد قرقوز، تقديم د. محمود ناظم نسيمى / ١٣٧، ١٣٨، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر ٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٨).

انظر مادة «الحشر (سورة ـ) فى م ١٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠٦.

*** الخنساء (٢٤هـ / ٦٤٥م):**

قال الإمام النووي : خنساء بنت خذام الأنصارية الصحابية مذكورة في المختصر ثم في المهذب في كتاب النكاح وهي التي أنكحها أبوها وهي كارهة فرد رسول الله ﷺ نكاحها . روى حديثها هذا أبو داود والنسائي وغيرهما وهي خنساء بفتح الخاء المعجمة وبعدها نون ساكنة والألف ممدودة بنت خذام بخاء معجمة مكسورة ثم ذال معجمة مخففة ابن خالد وقيل ابن وديعة من بني عمرو بن عوف وكنية خذام أبو وديعة والصحيح أن أباها كان زوجها وهي ثيب وقيل وهي بكر روى لها عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث (تهذيب ٢ / ٣٤٢).

وأفاض الكلام عنها الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله فقال :

هي السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية . والخنساء لقب غلب عليها : نبتت في دوحة الشرف، وازدهرت في روضة الفضل، فكان أبوها وأخواها معاوية وصخر سادات سليم من مضر. وكانت بارعة الجمال والأدب فخطبها دريد بن الصمة سيد هوازن وفارس جشم، فردته وآثرت التزوج في قومها. ولما قوض الدهر ركني بيتها بموت أخويها معاوية وصخر جزعت عليهما أشد الجزع، وبكتهما أحر البكاء، ورثتهما بأبلغ الرثاء، ولا سيما صخر لما بلته من كثرة إحسانه، وشدة حنانه، وقوة جنانه . ثم وفدت في قومها على الرسول ﷺ فأسلمت، وأنشدته فاهتز لشعرها واستزادها بقوله : هيه يا خناس ! وكان الظن أن تنهنه الخنساء بعد إسلامها دموع الجزع على أبيها وأخويها تعزيا بالدين وعزوفا عن سنة الجاهلية، إلا أن وجدها على صخر كان وراء الصبر وفوق العزاء، فلم تزل تبكيه وترثيه حتى ابيضت عيناها من الحزن. وكانت تقول: كنت أبكي له من الثار، وأنا اليوم أبكي له من النار. على أن السن والزمن والدين ما زالت بهذه الكبد القريحة حتى اندملت؛ فوجدت الخنساء في شيخوختها آسيا من روح الله ومواسيا من فضله، فقبلت مصرع بنيها الأربعة صابرة محتسبة وقد حرضتهم على القتال في حرب القادسية فاستشهدوا جميعا، فلم تزد على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته . ثم توفيت بالبادية عام ٢٤ هـ.

شعرها :

ليس في شواعر العرب قبل الإسلام وبعده من تفوق الخنساء في رصانة شعرها، ورقة لفظه، وحلاوة جرسه، ولربما ضارعت في هذه الصفات الشعراء الفحول. ويرى النابغة وجرير وبشار أنها أفضل من الرجال، لما في شعرها من قوة الرجولة ورقة الأنوثة . وقد غلب في شعرها الفخر والرثاء . أما الفخر فلأن أباها أمثل قومه، وأخويها خير مضر ؛ وأما الرثاء فلفجيعتها فيهم وطول وجدها عليهم . والأسى يدق الشعور، ويرق العاطفة، ويفتق القريحة في الرجل، فكيف به في المرأة؟ وكانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها، فلما قتلا فاض الدمع من عينها، والشعر من قلبها، فأتت في رثائها بالمعجب المعجز. وظلت الخنساء في شعرها بدوية جاهلية، فلم تتأثر بالإسلام كثيرا ولا قليلا .

نموذج من شعرها .

قالت ترثي أخها صخرا :

أعينيّ جُودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى؟
ألا تبكيان الجريء الجميل
ألا تبكيان الفتى السيدا؟
رفيع العماد طويل النجا
د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدُّوا بأيديهم
إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم
من المجد ثم انتمى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم
وإن كان أصغرهم مولدا
وإن ذُكر المجد ألفيته
تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقالت ترثيه أيضا

ألا يا صخر إن أبكيت عيني
فقد أضحكتني زمنا طويلا

دفعت بك الخطوب وأنت حى
فمن ذا يدفع الخطب الجليلا؟
إذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت ترثى وتفتخر:

تعرقنى الدهر نهسا وحزًا
وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالى فبادوا معا
فأصبح قلبى بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى
إذا الناس فى ذاك من عز بزا
وخيل تكدس بالدارعين
وتحت العجاج يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح
فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصى فرسانها
وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب
بألا يُصاب فقد ظن عجزا
نعف ونعرف حق القرى
ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا
ونلبس فى الحرب نسج الحديد
وفى السلم نلبس خزا وبزا

ومن قولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب
أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
إن الجديدين فى طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس

(تاريخ الأدب العربى / ١٤٩ ـ ١٥١).

قال الزركلى: لها «ديوان شعر» مطبوع فيه ما بقى محفوظا من شعرها (الأعلام ٢ / ٨٦).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٤٢، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ١٤٩ ـ ١٥١، والأعلام للزركلى ٢ / ٨٦).

*** الخُنَّس:**

جاء فى اللسان فى مادة «خنس»: الخنوس: الانقباض والاستخفاء. وأنخس: انقبض وتأخر. وقيل: رجع... وفى الحديث: «الشيطان يوسوس إلى العبد، فإذا ذكر الله خنس»، أى انقبض منه وتأخر. قال الأزهرى: وكذا قال الفراء فى قوله تعالى: ﴿**من شر الوسواس الخناس**﴾ [الناس: ٤] قال: إبليس يوسوس فى صدور الناس، فإذا ذكر الله خنس...

والكواكب الخُنَّس: الدرارى الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الظباء وهى: زحل، والمشترى، والمريخ، والزُهرة، وعطارد، لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس، وتكنس أى تستتر كما تكنس الظباء فى المغار، وهى الكناس، وخنوسها استخفاؤها بالنهار، بينا نراها فى آخر البرج كرت راجعة إلى أوله، ويقال: سميت خُنَّسا لتأخرها، لأنها الكواكب المتحيرة التى ترجع وتستقيم ويقال: هى الكواكب كلها تخنس فى المغيب، أو لأنها تخفى نهارا، ويقال هى الكواكب السيارة منها دون الثابتة.

الزجاج فى قوله تعالى: ﴿**فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس**﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]، قال: أكثر أهل التفسير فى الخنس أنها النجوم، وخنوسها أنها تغيب، وتكنس تغيب أيضا كما يدخل الظبى فى كناسه، قال: والخُنَّس جمع خناس ا. هـ (لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٢٧٧).

*** الخنفساء:**

يأتى وصفها فى المراجع الحديثة على النحو التالى: هى فصيلة من الحشرات تحور الزوج الأول من الأجنحة فيها إلى غطاء ينطوى تحته الزوج الثانى منها. والهيكل الخارجى يكون فى العادة شديد الصلابة وفى الغالب يكون لامعا براقا كالمعدن.

وكثير من الخنافس توقع أضرارا بالغة بالمحاصيل، ومن هذه الخنفساء المعروفة بالويفل التى توقع أضرارا بالقطن والحبوب، وخنفساء كولورادو التى تؤذى محاصيل

البطاطس، فى حين أن هناك أنواعا أخرى تأكل الأخشاب والأثاث. ومن أنواع الخنافس الشائعة أيضا الجعل الأوربى، وسوس الحنطة (وهو فى طور اليرقة) والحباحب (سراج الليل) الذى ينبعث منه ضوء، والخنفساء الدوارة، والخنفساء المائية الضخمة (دائرة معارف الشباب / ٤٣٩، ٤٤٠).

أما بالنسبة لمصنفات التراث الإسلامى فقد أوردها القزوينى (عجائب المخلوقات / ١٩٣، ١٩٤) ثم أوردها من بعده الشيخ كمال الدين الدميرى فقال عنها: الخنفساء: معروفة، ونونها زائدة، وهى بفتح الفاء ممدودة، الأنثى خنفساء.

وضم الفاء فى كل ذلك لغة والخنفس اسم للكثير من الخنافس وقال الأصمعى لا يقال خنفساءة بالهاء وكنيتها أم الفسو وأم الأسود وأم مخرج وأم اللجاج وأم النتن تتولد من عفونة الأرض وهى طويلة الطم، وبينها وبين العقرب صداقة ولهذا يسميها أهل المدينة الشريفة جارية العقرب وهى أنواع منها الجعل وحمار قبان وبنات وردان والحنطب وهو ذكر الخنافس... قال حنين بن إسحاق طريق طرد الخنافس أن يطرح فى أماكنها الكرفس فإنها تهرب من ذلك المكان وروى ابن عدى فى كامله فى ترجمة أبى معشر واسمه نجيح عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال ليدعن الناس فخرهم فى الجاهلية أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٧٩).

وقال القزوينى وقد أدرجها من الهوام والحشرات: الخنفساء هى الدويبة السوداء التى تتولد فى الأرواث ذات الرائحة النتنة، ثم ساق ما أسماه الدميرى «غريبة» فقال: حكى أن رجلا رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله من خلق هذه حُسْن شكلها أو طيب رائحتها؟ فابتلاه الله بقرحة حتى عجز الأطباء عنها فترك العلاج. فسمع ذات يوم صوت طبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر فى أمرى، فقالوا له ماذا تصنع برجل طرقى وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: هاتوه ونسمع قوله وليس فيه ضرر، فلما رأى الطبيب القرحة وسأل عنها قال علىَّ بالخنفساء، فضحك الحاضرون من قوله فتذكر العليل القول الذى سبق منه فقال: هاتوا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها وذر رمادها على القرحة فبرأت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين: إن الله أراد أن يعرفنى أن أخس الأشياء أعز الأدوية (عجائب المخلوقات/ ٢٩٤، وحياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٧٩).

وحكى ابن خلكان فى ترجمة جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى أنه كان عنده أبو عبيدة الثقفى فقصدته خنفساء فأمر جعفر بإزالتها فقال أبو عبيدة دعوها عسى أن يأتينى بقصدها إلى خير فإنهم يزعمون ذلك فأمر له جعفر بألف دينار فقال تحقق زعمهم فأمر بتنحيتها فقصدته ثانيا فأمر له بألف دينار أخرى.

الحكم: يحرم أكلها لاستخباثها. وقال الأصحاب ما لا يظهر فيه ضرر ولا نفع كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة والسلحفاة والذباب وأشباهها يكره قتلها للمحرم وغيره هكذا قطع به الجمهور. وحكى أمام الحرمين وجها شاذا أنه لا يحرم قتل الطيور والحشرات ودليل الكراهة أنه عبث بلا حاجة وقد ثبت فى صحيح مسلم عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وليس من الإحسان قتلها عبثا. وروى البيهقى عن قطبة الصحابى رضى الله تعالى عنه أنه كان يكره أن يقتل الرجل ما لا يضره.

الأمثال: قالوا الخنفساء إذا مست نتنت أى جاءت بالنتن الكثير يضرب لمن ينطوى على خبث معناه لا تفتشوا على ما عنده فإنه يؤذيكم بنتن معايبه وقال خلف الأحمر النحوى يهجو العتبى:

لنا صاحب مولع بالخلاف
كثيرا الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء
وأدهى إذا ما مشى من غراب

(دائرة معارف الشباب ـ د. فاطمة محجوب / ٤٣٩، ٤٤٠، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٩٤، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٢٧٩، ٢٨٠).

*** أبو خُنَيس الغفارى:**

أبو خُنَيْس الغفارى، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فى غزاة تهامة حتى إذا كنا بعسفان جاءه أصحابه، فقالوا: يارسول الله، أجهدنا الجوع، فأذن لنا فى الظَّهْر أن نأكله. فقال له عمر: لو دعوت لهم فى أزوادهم بالبركة، فذكر حديثا حسنا فى أعلام النبوة. حديثه هذا عند أبى بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر شيخ مالك، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة ـ أنه سمع أبا خنيس الغفارى يقول: خرجت مع رسول الله ﷺ.. فذكر الحديث.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٤٠).

*** خوات بن جبير (٤٠ هـ)**

خوات بن جبير: الصحابى مذكور فى الوسيط فى صلاة الخوف وهو بفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو وهو خوات بن جبير بن النعمان بن أمين بن امرىء القيس وهو البرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ابن مالك بن أوس الأنصارى الأوسى وكنيته أبو عبد الله. وقيل أبو صالح قلت ويحتمل أنهما كنيتان له كما لغيره كنيتان بل كُنًى وهو أحد فرسان رسول الله ﷺ شهد بدرا هو وأخوه عبد الله ابن جبير فى قول بعضهم وقال موسى بن عقبة أنه رجع من الصفراء لمرض أو جرح أصابه فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره وكذلك قال الحفاظ ابن منده وأبو نعيم الأصبهانيان وأبو عمر بن عبد البر النمرى الشاطبى لا القرطبى كما ظنه ابن الأثير فى معرفة الصحابة وكذا قاله أيضا من أصحاب السير والمغازى محمد بن إسحاق بن يسار والكلبى وهو صاحب «ذات النحيين» فى الجاهلية وهى امرأة من بنى تيم الله. روى عن النبى ﷺ فى صلاة الخوف ما أسكر كثيره فقليله حرام. وتوفى بالمدينة سنة أربعين وعمره أربع وتسعون سنة مائة إلا ست سنين قاله ابن منده وأبو نعيم الأصبهانيان وأبو عمر بن عبد البر رحمهم الله تعالى (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٨، ١٧٩).

قال ابن قتيبة: هو من «الخزرج»، ويكنى أبا صالح، ويقال: يكنى أبا عبد الرحمن.

ومات بالمدينة سنة أربعين، وله عقب. وأخوه: عبد الله ابن جبير، أمير الرماة «يوم أحد»، وقتل «عبد الله» يومئذ. ولا عقب له (المعارف / ٣٢٧).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٨، ١٧٩، والمعارف لابن قتيبة، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٢٧).

*** خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز من لطائف العلوم والحكم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٨١٣٩

ـ رتبه على ثلاثمائة وستين سؤالا من لطائف الأسئلة الحكمية والأجوبة العلمية استخرجها من كتب المحققين كالفتوحات المكية لابن عربى وكنز الأسرار للصنهاجى والمناسبات للنيسابورى وغيرها.

المؤلف: علاء الدين على دده بن مصطفى الموستارى السكتوارى المشهور بشيخ التربة المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ/ ١٥٩٨ م.

أوله: الحمد لله العلى الأعلم، الفياض الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، الحكيم الذى جعل قلوب الحكماء أوعية الحكم، واصطفى منهم فى علمه القدم، فصير العقل المنور كالقلم، والقلب السليم كاللوح المكرم، فأثنى على الحكماء فى كتابه الكريم...

آخره: وقد ورد أيضا فى يوم القيامة كأنه ألف سنة قال أهل التفسير ذلك فى طوائف دون طوائف، فللحشر مواقف ومواطن بحسب الأشخاص من جهة الأعمال والأحوال والمقامات، وأخرج ابن عطية فى تفسيره عن عكرمة...

الخط نسخى جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ: إبراهيم.

تاريخ النسخ: سنة ١١٣٤ هـ.

ملاحظات: نسخة حسنة.

مصادر عن الكتاب: معجم المطبوعات ١٣٦٢، فهرس الخديوية ٦ / ١٣٧

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٧/ ٢٤٣

طبعة الكتاب: الشرفية بمصر سنة ١٣١٤ هـ بـ ٢٠٦ ص.

بعض نسخ الكتاب: الأوقاف ببغداد ١٣٨ الفهرس الأول أى الكشاف.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٥١٠، ٥١١).

*** خواتم السور:**

معرفة خواتم السور هى النوع الثامن من علوم القرآن الكريم وفقا لتقسيم الإمام البدر الزركشي، والنوع الحادى والستون فقا لتقسيم الإمام السيوطى وقد قال كل منهما:

وهى مثل الفواتح فى الحسن؛ لأنها آخر مايقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعانى البديعة؛ مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد.

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم: **﴿هذا بلاغ للناس﴾** [إبراهيم: ٥٢] وخاتمة سورة الأحقاف: **﴿بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾** [٣٥] ولأنها بين أدعية ووصاياوفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل، ووعد ووعيد؛ إلى غير ذلك. كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة فاتحة الكتاب؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصى المسببة لغضب الله والضلال؛ ففصل جملة ذلك بقوله: **﴿الذين أنعمت عليهم﴾** [الفاتحة: ٧]؛ والمراد المؤمنون؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم؛ ثم وصفهم بقوله: **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** [الفاتحة: ٧] يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهى نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدى حدوده. وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

(وذلك قوله تعالى: **﴿ربنا وإليك المصير﴾** [٢٨٥] **﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...﴾** [٢٨٦]).

وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران، بالصبر على تكاليف الدين، والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم، (وذلك قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** [٢٠٠])، والصبر على شدائد الحرب والمرابطة فى الغزو المحضوض عليها بقوله: **﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** [الأنفال: ٦٠]، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق فى المضايق وسهولة الرزق فى قوله: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** [الطلاق: ٢، ٣] وبالفلاح لأن **﴿لعل﴾** من الله واجبة.

وكالوصايا والفرائض التى ختمت بها سورة النساء (وذلك قوله تعالى: **﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد...﴾** [١٧٦])وحسن الختم بها لأنها آخر مانزل من الأحكام عام حجة الوداع.

وكالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة: **﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير﴾** [المائدة: ١٢٠]، ولإرادة المبالغة فى التعظيم اختيرت «ما» علىٰ «من» لإفادة العموم، فيتناول الأجناس كلها.

وكالوعد والوعيد الذى ختمت به سورة الأنعام بقوله: **﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾** [١٦٥] ولذلك أورد على وجه المبالغة فى وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع.

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به سورة الأعراف.

(وذلك قوله تعالى: **﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾** [٢٠٦]) والحض على الجهاد وصلة الأرحام الذى ختم به الأنفال.

(وذلك قوله تعالى: **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم﴾** [٧٥]).

ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذى ختمت به براءة. (وذلك قوله تعالى: **﴿فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾** [١٢٩])، وتسليته عليه الصلاة والسلام الذى ختم بها سورة يونس (وذلك قوله تعالى: **﴿واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾**، [١٠٩] (مثلها خاتمة هود (وذلك قوله تعالى: **﴿فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾** [١٢٣]) ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به سورة

يوسف (وذلك قوله تعالى: ﴿ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [١١١])، والرد على من كذب الرسول الذى ختم به الرعد. (وذلك قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ...﴾ [٤٣]).

ومدح القرآن وذكر فائدته والعلة فى أنه إله واحد الذى ختمت به إبراهيم (وذلك قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به ...﴾ [٥٢])، ووصية الرسول التى ختم بها الحجر (وذلك قوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [٩٩]) وهو مفسر بالموت فإنها فى غاية البراعة وتسلية الرسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الذى ختمت به النحل (وذلك قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [١٢٨])، والتحميد الذى ختمت به سبحانه (وذلك قوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ...﴾ [الإسراء: ١١١].

وتحضيض الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه، والأمر بالتوحيد الذى ختمت به الكهف (وذلك قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ...﴾ [١١٠])(البرهان ١ / ١٨٢ - ١٨٥ والإتقان ٢ / ١٣٧).

كان هذا ما أورده كل من الإمام البدر الزركشى والإمام الجلال السيوطى، ثم يضيف الإمام السيوطى ما يلى قائلا:

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [٧، ٨] وانظر إلى براعة آخر آية نزلت وهى قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١] وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة. وكذا آخر سورة نزلت وهى سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [١] فقالوا: فتح المدائن والقصور. قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل ضرب لمحمد نُعيت له نفسه. وأخرج أيضا عنه قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم فقال: ما تقولون فى قول الله ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم لم يقل شيئا، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وذلك علامة أجلك «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فقال عمر: إنى لا أعلم منها إلا ما تقول (الإتقان ٢ / ١٣٧، ١٣٨).

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ١٨٢ ـ ١٨٥ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، والإتقان فى علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٣٧، ١٣٨).

انظر مادة «الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور» فى م ١٣ / ٤٨٩ ـ ٤٩٩.

* **خواتيم سورة الحشر:**

عن سؤال يقول: ما هى خواتيم الحشر وما ثواب قراءتها يجيب فضيلة الشيخ عطية صقر بقوله: خواتيم الحشر الواردة فى الحديث «من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة» المراد بها الآيات التى فى آخر سورة الحشر المبدوءة بقوله تعالى: ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ [٢٢].

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره هذا الحديث ولم يذكر درجته. وجاء فى حاشية الجمل على الجلالين حديث أخرجه الترمذى وقال: إنه حسن غريب «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حين يمسى؛ وإن مات من يومه مات شهيدا، ومن قرأها حين يمسى فكذلك».

ومهما يكن من شيء فإن هذه الآيات منها بعض أسماء الله الحسنى التى أمرنا أن ندعوه بها فى قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقراءتها لها ثوابها إن شاء الله، بكل حرف عشر حسنات كما صحت بذلك الأحاديث.

(أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر. ط دار الغد العربى ٣/ ٢٩٤).

* **خواجا يارسا (٧٥٦-٨٢٢ هـ / ١٣٥٥-١٤١٩م):**

نسبه وشيوخه وتلاميذه:

محمد بن محمد بن محمود الحافظى النجارى المعروف بخواجا يارسا ولد سنة ٧٥٦ هـ وأخذ الفقه عن أبى الطاهر محمد بن محمد بن الحسن الطاهرى وحصَّل الفروع والأصول وبرع فى المعقول والمنقول وقرأ على علماء عصره وبز أقرانه فنشأ عالما فقيها من أكابر فقهاء الحنفية محدِّثا أصوليا مفسرا وأخذ عنه ولده أبو نصر يارسا محمود وقد رحل المترْجَم له إلى عدة بلاد لنشر العلم وقد خرج حاجًّا ومر على نسف وصفاتيان وبلخ وهراة وجام وغيرها فعرف قدره علماء هذه البلاد فأنزلوه منزلته وانتفعوا به ولما حج قصد إلى المدينة وقد توفى فيها.

مصنفاته ووفاته:

من مؤلفاته الفصول الستة فى الأصول، وفصل الخطاب فى التصوف، وتصنيف فى تفسير القرآن الكريم فى مائة مجلد. وكانت وفاته سنة ٨٢٢ وصلى عليه شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى ودفن ليلة الجمعة بجوار سيدنا العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه.

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ... صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى المراغى ٣/ ٢٤ وما بهامشه من مصادر).

* **الخواجه:**

قال أحمد تيمور باشا:

الخواجه وقد يرسمه بعضهم بألف فى آخره بدل التاء لفظ فارسى دخيل فى التركية ويرسم فى اللغتين بهاء فى آخره غير منطوقة وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأفندى والسيد وما فى معناها، ويطلق أيضا على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ المعممين منهم، وقد يحرف فى هذا المعنى فيقال فيه خوجة بحذف الألف التى بعد الواو. وفى الفوائد البهية فى تراجم الحنفية أن النقشبندية يطلقون الخواجه على مشايخهم للتكريم. ورأينا فى بعض التواريخ تلقيب الوزراء به ثم لقب به كبار التجار واستعمل فى ذلك إلى عصر الجبرتى ولما كثر نزوح الإفرنج إلى مصر فى أوائل هذا العصر وكان أغلب الوافدين منهم فى أول الأمر تجاراً كرموهم بهذا اللقب ثم توسعوا فيه فأطلقوه على كل إفرنجى ثم قيل للوجيه من غير المسلمين وإن لم يكن إفرنجيا وقد فصلنا الكلام عليه فى معجم العامية المصرية (الآثار النبوية / ٥٤).

وقال الدكتور حسن الباشا:

لفظ فارسى بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد. وقد استعمل فى العالم الإسلامى كلقب عام. وكان اللقب فى استعماله يأتى أحيانا فى أول الألقاب. ومن أمثلة استعمالاته فى النقوش أن أطلق على مقدم المشايخ يوسف ابن كثير العلى فى نص جنائزى بتاريخ شهر شوال سنة ٥٥٧ هـ من نخجوان، وعلى التاجر رشيد الدين عزيزى بن أبى الحسين الزنجانى فى نقش بتاريخ شهر المحرم سنة ٥٥٩ هـ على سطل من البرنز المكفت بالفضه من إيران. وكان هذا اللقب يطلق أحيانا على من يمت بصلة إلى الأصل الفارسى: ومن ذلك إطلاقه على الخواجا مصطفى ابن الخواجا محمود ابن الخواجا رستم البرصاوى، المشرف على بعض التجديدات فى الجامع الأزهر فى عهد الملك الأشرف قايتباى فى نص بتاريخ شهر شعبان سنة ٩٠٠ هـ فى الجامع الأزهر. ومن الملاحظ أن ورود اسم رستم ضمن سلسلة أسماء الملقب يؤكد أصله الفارسى. وفضلا عن ذلك فقد استعمل اللقب فى عصر المماليك ضمن ألقاب التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم.

واستعمل كتاب الإنشاء فى عصر المماليك كذلك اللقب مضافا إلى ياء النسبة: «الخواجكى»، بزيادة الكاف التى تدخل فى الفارسية مع ياء النسبة فى هذه الحالة. ومكان اللقب فى هذه الصيغة يأتى ضمن سلسلة ألقاب التجار فى آخر الألقاب المفردة: أى قبل لقب التعريف الخاص المضاف إلى «الدين»؛ وكانت مهمته حينئذ الدلالة على وظيفة الملقب دلالة خاصة؛ ومثلها فى ذلك مثل «الحاكى» للقضاة، «والوزيرى» للوزراء من العسكريين، «والصاحبى» للوزراء من المدنيين (الألقاب الإسلامية / ٢٧٩، ٢٨٠).

(الآثار النبوية - أحمد تيمور باشا / ٥٤، والألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٩، ٢٨٠).

* **خُوار:**

قال ياقوت:

خوار: بضم أوله، وآخره راء: مدينة كبيرة من أعمال الرى

بينهـا وبين سمنان للقـاصـد إلى خراسان على رأس الطـريق تجـوز القـوافل فى وسطهـا، بينها وبين الرى نحـو عشـرين فـرسخـا، جئتهـا فى شـوال سنـة ٦١٣، وقـد غلب عليهـا الخـراب؛ وقـد نسب إليهـا قـوم من أهل العلم، منهم: أبـو يحيى زكرياء بن مسعود الأشقر الخوارى، حدث عن على بن حـرب المـوصلى. وخـوار أيضا: قـريـة من أعمـال بيهق من نواحى نيسـابور؛ وقد نسب إليهـا قوم من أهل العلم، منهم: أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخوارى البيهقى، إمام مسجد الجامع بنيسابور أحد الأئمة المشهورين.

حـدث عن الإمامين أبى بكـر أحمـد بن الحسين بن على البيهقى وأبى الحسن علـى بن أحمـد الـواحـدى بقطعـة من تصانيفهمـا،. روى عنه جمـاعة من الأئمـة، آخرهـم شيخنا المؤيـد بن محمد بـن على الطوسى وغيـره، فإنه حـدث عنه بـالوسيط وغيـره، ومات فـى تاسع عشـر شعبان سنـة ٥٣٦؛ وأخوه عبـد الحميد بن محمد الخوارى، حـدث عن الحافظ أبى بكر البيهقى، حـدث عنه أبو القـاسم بن عساكـر. وخوار أيضا: قريـة من نواحى فارس. والخوار: قـرية فى وادى ستارة من نواحى مكة قرب بُرْزة، فيها مياه ونخيل.

(معجم البلدان / ٢٩٤).

*** الخوارج:**

الخـوارج اسم يطلق على كل من خرج على الإمـام الحق الـذى اتفقت الجمـاعـة عليه، سـواء كـان الخـروج فى أيـام الصحابة على الأئمة الراشـدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان.

والخوارج أطلقت عليهم أسماء... منها:

١ ـ الحرورية: لأنهم حينما انشقوا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عند رجوعـه من صفين إلى الكوفة، انحازوا إلى «حروراء»، وهى قرية من قرى الكوفة.

٢ ـ الشراة: وذلـك لقولهم: شرينا أنفسنا فـى طاعة الله. آخذين هذا المعنى من قـوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

٣ ـ المـارقـة: وهم ـ طبعا ـ لا يـرضـون بهـذا الاسم، لاعتقـادهم أنهم هم المـؤمنون، ومـن عداهم هم الكـافـرون والمشركون والمارقون.

وأول من خـرج علـى أميـر المـؤمنين علـى رضى الله عنـه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين، وأشدهم خروجا عليه ومروقـا من الـدين: الأشعث بن قيس الكنـدى، ومسعـر بن مـذكى التميمى، وزيد بن حسين الطـائى حين قـالوا: القـوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنت تـدعونا إلى السيف! حتى قال: أنا أعلم بما فى كتاب الله! انفروا إلى بقية الأحزاب: انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله قالوا: لترجعن الأشتـر عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنـا بعثمان. فـاضطر إلى رد الأشتـر بعد أن هـزم الجمع وولوا مدبرين وما بقى منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة. فامتثل الأشتر أمره.

وكان من أمر الحكمين: أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا. وكان يريد أن يبعث عبـد الله بن عباس رضى الله عنه فما رضى الخوارج بـذلك، وقالو ا هـو منك. وحملوه على بعث أبى موسى الأشعرى على أن يحكم بكتاب الله تعالى. فجرى الأمر على خلاف مـا رضى به. فلما لم يرض بـذلك خرجت الخوارج عليه، وقالـوا: لم حكَّمت الرجال؟ لا حكم إلا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان (الملل والنحـل ١ / ١١٤، ١١٥).

وهذه طائفة كـانت فى أول نشأتها قد نقمت على الخليفة الثالث، عثمـان بن عفان رضى الله تعـالى عنه، أشيـاء منها: إيثاره آلـه بالولايـات، فخرجت عليه، وانتهى الأمـر بقتله، ثم انضموا إلى من بايعوا على بن أبى طـالب بالخلافة، ثم نقموا عليـه ارتضـاءه تحكيم أبى مـوسى الأشعرى، وعمـرو بن العاص، مع أنهم، هم الذين أشاروا عليه بقبول التحكيم، ثم انتقضوا عليـه بعد ذلك، وعاثوا فى الأرض فسـادا، فقاتلهم، حتى قُتل منهم خلق كثير، وفـر من بقى منهم، ومن بعد مقتل على، توالى خروجهم على الخلفـاء من بنى أمية، ثم من بنى العباس وواقعاتهم مروية مشهورة فـى التاريخ وقد انقسموا فرقا كثيرة، ونجحـوا فى بلاد المغرب، وانتشر مـذهبهم بين قبائل البربر، وانحاز بعضهـم إلى الجهة الشـرقية الجنوبية من جزيرة العرب («البحث عن الفقه الإسلامى» / ٢٤٦).

ويفصل ذلك فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو، فيقول رحمه الله منـذ قتل الخليفة عثمان رضى الله عنه، انصـدع بناء

الإسلام، ودب الشقاق بين جماعة المسلمين، فقد بايع الناس على بن أبى طالب، ولكن لم تصف له الخلافة يوما واحدا ولم تستقم له البلاد جميعها. فهذه الشام فى يد معاوية الذى قام يطالب بدم عثمان وامتنع عن بيعة على حتى يثأر للخليفة المقتول. فوقعت حروب طاحنة بين على ومعاوية أكلت كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر بموقعة صفين التى آل أمرها إلى التحكيم فرضيه من أصحاب على جماعة وأنكره آخرون. وبذلك رجعوا متخاصمين بعد أن جاءوا إخوانا متحابين.

انقسم المسلمون من ذلك الحين إلى «خوارج» وهم الذين يعدون قبول التحكيم كفرا فحكموا بكفر على وأصحابه لقبولهم التحكيم. «وشيعة» وهم الذين شايعوا عليا وقبلوا التحكيم وأصبح لهم عقيدة فى الإمامة خاصة بهم «وجمهور» وهم الذين لم يتلوثوا ببدعة الخروج أو التشيع. وكان منهم فريق مع على وفريق مع معاوية وفريق وقف على الحياد فلم يغمس يده فى تلك الفتنة أو يلوثها بهذه الدماء.

أصبح الخوارج خطرا على جيش على فاشتغل بحروبهم فكان ذلك قوة لمعاوية الذى كان فى أطوع جند. ثم إنه لم يطل الحال على ذلك حتى تطوع ثلاثة من الخوارج بقتل هؤلاء الثلاثة الذين كانوا سببا فى هذه المنازعات على ومعاوية وعمرو بن العاص فنجا من القتل عمرو ومعاوية وأصيب خليفة المسلمين على كرم الله وجهه بطعنة من خارجى أثيم يدعى عبد الرحمن بن ملجم. وبقتل على اجتمع أهل الكوفة وبايعوا ابنه الحسن فمكث فى الخلافة ستة أشهر وأياما. ثم تنازل عنها لمعاوية على صلح أبرم بينهما حقنا للدماء وذلك سنة إحدى وأربعين التى سميت بعام الجماعة لاجتماع الناس على معاوية. ولكن رغم تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة لم تخمد جذوة الشيعة ولم تهدأ ثورة الخوارج بل تغالى كل فريق فى رأيه واشتط كل حزب فى عقيدته حتى أصبح لكل طائفة منزع دينى خاص كان له أثره فى الحديث والفقه.

ثم يقول رحمه الله عن مبدأهم العام ورأيهم فى الخلافة كان من رأيهم أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر فإذا ما اختير الإمام فليس له أن يتنازل أو يحكّم، وأن الخلافة ليست فى بيت بعينه فهى ليست فى قريش وحدهم ولم يفرق الخوارج بين كافر وفاسق بل كل من تعدى حدود الله فهو فاسق والفاسق كافر لأن العمل عندهم جزء من الايمان فمرتكب الكبيرة فى نظرهم كافر.

اعترف الخوارج بصحة خلافة الشيخين أبى بكر وعمر لصحة انتخابهما. وبصحة خلافة عثمان فى سنيه الأولى التى سار فيها سيرة الشيخين فلما آثر قرابته بالولاية نقموا عليه. كذلك أقروا بصحة خلافة على رضى الله عنه إلى أن قبل التحكيم بينه وبين معاوية فى «صفين» فحكموا بكفره لأنه حكم الرجال فى دين الله ولا حكم إلا الله مستندين إلى قوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ [المائدة: ٤٤] وأنكروا على معاوية استبداده بالخلافة فهو فى نظرهم غاصب لها، وكان من مذهبهم أن من تعاون مع معاوية ولم يبرأ من على وعثمان فهو كافر يستباح دمه. فعلى وشيعته ومعاوية وأعوانه وعثمان ومن لم يبرأ منه كل هؤلاء فى نظر الخوارج كفار تستحل دماؤهم.

والذى يظهر أن الخوارج فى مبدئهم كانوا قوما من الأعراب الجفاة الغلاظ الذين قال الله تعالى فى شأنهم ﴿**الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ [التوبة: ٩٧] فليس فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الذين استضاؤا بنور النبوة وفهموا القرآن على وجهه الصحيح، فلا عجب أن يغتر الخوارج بظواهر القرآن ولو كلفوا أنفسهم النظر فيه وحده لاهتدوا إلى آيات تأمر بالتحكيم فالله تعالى يقول فى سورة النساء ﴿**فابعثوا حكما من أهلها وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾ [النساء: ٣٥] فالتحكيم أمر مشروع والحكمان إنما يحكمان حسب ما أمر القرآن العزيز ﴿**فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول**﴾ [النساء: ٥٩] وإنما لم يرض على بالتحكيم أولا لأنه كان يرى الحق معه وأن طلب التحكيم إنما هو خدعة من معاوية وعمرو بن العاص، يريدان بها توهين جيش على وتخدير أعصابهم، لما رأياه من تفوقهم فى الموقعة، فرفعوا المصاحف على أسنة الرماح طالبين تحكيم كتاب الله. ولو أن أصحاب على أطاعوه فى عدم قبول التحكيم لتغير وجه التاريخ ولوقع معاوية وأهل الشام فى براثن الأسد ولكن أراد الله ما قد كان ولا راد لقضائه. قال العلامة ابن حزم فى كتابه الفصل (٤ -

١٥٦) «أنما حكَّم على رضى الله عنه أبا موسى وعمرا ليكون كل منهما مدليا بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له. وإذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن أن يفهم لغط العسكرين أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم فصح يقينا لا محيد عنه صواب على فى التحكيم والرجوع إلى ما أوجبه القرآن وهذا الذى لا يجوز غيره ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعرابا قرءوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا من أصحاب عمر ولا أصحاب على ولا أصحاب عائشة ولا أصحاب أبى موسى ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبى الدرداء ولا أصحاب سلمان ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر، ولهذا تجدهم يكفِّر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم». أهـ.

استحل الخوارج قتال جمهور المسلمين وقتلهم فحاربوا خلفاء بنى أمية وظلوا شجى فى حلق الدولة الأموية طيلة أيامها يقاتلونها فى شجاعة نادرة حتى أوشكوا أن يقضوا عليها. واستمر المهلب بن أبى صفرة ينازلهم الحروب وهم مستبسلون فى حربه لا يفترون عنها حتى أروه الأهوال. واستمروا على ذلك حتى جاءت الدولة العباسية فناوءوها فى أول أمرها ولكن أطاحت بهم تلك الحروب الطويلة فخمدت جذوتهم وانكسرت شوكتهم وأراح الله المسلمين من شرهم.

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهر رحمه الله عن فقه الخوارج.

كان جهلهم بالحديث وعدم تحملهم له عن غيرهم لأنه متهم فى نظرهم سببا فى أن فقههم جاء مخالفا لأحكام الشريعة الإسلامية بل منه ما جاء مخالفا لنصوص القرآن الكريم. فمنهم من يرى أن التيمم جائز ولو على رأس بئر ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشى. ومنهم من يرى الحج فى جميع شهور السنة. ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمى إلى عسكرهم. ومنهم من أباح نكاح بنات البنات وبنات البنين مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم وأكثر ذلك أتاهم كما قلنا من أنهم لا يعتدون برواية جمهور المسلمين وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار فى نظرهم وإنما يعتمدون ما رواه لهم أئمتهم وهم كما قلنا خلو من العلم بسنة رسول الله ﷺ بل خلو من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح. ثم لا يغيب عن البال أن هذا الحكم لا يسرى على جميع أفراد الخوارج بل قد وجد منهم فيما بعد أفراد وأئمة تفقهوا فى الدين ورووا الحديث واعتمدهم كما قال ابن الصلاح فى مقدمته بعض أئمة الحديث كالبخارى فقد احتج بعمران بن حطان وهو من الخوارج لا سيما إذا علمت أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب لأن مرتكب الكبيرة كافر فى نظرهم والكذب من الكبائر.

ثم يقول رحمه الله عن الخوارج ووضع الحديث.

هذا ومع أن الخوارج يحكمون بكفر الكاذب فقد وجد من بعضهم الوضع فى الحديث والكذب على رسول الله ﷺ لتأييد مذاهبهم الباطلة حتى تروج لدى أتباعهم فابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات يروى عن ابن لهيعة أنه قال: سمعت شيخًا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيَّرناه حديثًا. وهذا عبد الرحمن بن مهدى يقول فيما نسبوه إلى النبى ﷺ من قولهم «إذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ... إلخ»: أن الخوارج والزنادقة وضعوا ذلك الحديث. وهذا ليس ببعيد من قوم وقفوا عن ظواهر الكتاب وردوا الحديث إذا جاء من غير من ينتمون إليه. إلا أن وضع الخوارج للحديث لم يكن بالكثرة التى جاءت عن الشيعة وذلك لأمور:

١ ـ أن الخوارج كان من مذهبهم تكفير الكاذب وذلك مما يجعل الكذب فيهم قليلا.

٢ ـ أنهم كانوا لبداوتهم وجفاء طبعهم وغلظتهم غير مستعدين لقبول أفراد من الأمم الأخرى كالفرس واليهود الذى اندسوا فى الشيعة ووضعوا كثيراً من الأحاديث.

٣ ـ كان عماد الخوارج فى محاربة خصومهم إنما هو أسلحتهم وقوتهم وشجاعتهم وكانوا مع ذلك صرحاء لا يعرفون التقية التى استخدمها الشيعة. (انظر مادة «التقية» فى م ١٠ / ٣٠٤ ـ ٣٠٧) لذلك تراهم لم يلجأوا إلى الكذب لانتقاص أعدائهم لأنهم فى نظرهم كفار وليس بعد الكفر عيب ينتقص

به صاحبه فلم يبق سوى السيف يعملونه فى رقابهم من غير مداهنة ولا مداجاة.

فكل هذه العوامل كان لها أثر فى تقليل الكذب فى الحديث من الخوارج بالنسبة إلى غيرهم من الفرق الأخرى. ومع ذلك لم يعدموا أفرادًا منهم اصطنعوا الأكاذيب واختلقوا الأحاديث كما رأيت (الحديث والمحدثون / ٨٢ ـ ٨٧).

وقد انقسمت الخوارج إلى فرق كثيرة منهم المعتدل والمتغالى (ومن زعمائهم، عبد الله بن وهب الراسبى، وحرقوص بن زهير البجلى، وعبد الله بن الكواء، ونافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر).

وغلاتهم انحرفوا عن الجادة وخرجوا بمبادئهم عن ملة الإسلام مثل:

اليزيدية الذين قالوا ببعثة رسول من العجم بكتاب ناسخ للقرآن، والميمونية الذين أباحوا نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وأنكروا أن سورة يوسف من القرآن.

وأعدل طوائفهم وأقربها إلى الملة هى فرقة الإباضية (أوردناها فى م ٢ / ٧١ ـ ٧٥ فانظرها فى موضعها). ولهذا كتب لها البقاء إلى اليوم. أما باقى الخوارج فقد حاربوا الأمويين والعباسيين إلى منتصف القرن الثالث الهجرى وكانت نهايتهم.

وقد عرف عن الخوارج أنهم عُبَّاد زُهَّاد يصومون النهار، ويقومون الليل، ويقرءون القرآن. كما عرف عن مجموعهم مبالغتهم فى التشنيع على سيدنا علىٍّ وقسوتهم فى معاملة مخالفيهم وقد قال الإمام على: «لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس مَنْ طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فناله، وقال عمر بن عبد العزيز لهم: «إنى قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أو متع، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها «وهذا القول فى المعتدلين منهم (مذكرة الفرق / ١٥، ١٦).

قال الإمام الشهرستانى: وكبار الفِرق منها: المحكِّمة، والأزارقة، والنجدات، والبهيسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفراوية، والباقون فروعهم (الملل والنحل ١ / ١١٥).

قال المقريزى: فى الكلام على الخوارج، وهم الفرقة العاشرة حسب إحصائه: الخوارج، ويقال لهم النواصب، والحرورية نسبة إلى حروراء موضع خرج فيه أولهم على علىٍّ رضى الله عنه وهم الغلاة فى حب أبى بكر وعمر، وبغض على ابن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين، ولا أجهل منهم فإنهم القاسطون المارقون خرجوا على علىٍّ رضى الله عنه، وانفصلوا عنه بالجملة، وتبرءوا منه، ومنهم من صحبه، ومنهم من كان فى زمنه وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة، أ هـ.

ثم يعدد المقريزى هذه الفرق العشرين ونكتفى هنا بذكر أسمائها، ومن شاء الاستزادة فليرجع إلى الأصل. وهذه الفرق هى: الحكمية، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والميمونية، والشعبية، والحمزية، والحازمية، والمعلومية مع المجهولية، والصلتية، والأحسنية، والمعبدية، والشيبانية، والشبيبية، والرشيدية، والمكرمية، والحفصية، والإباضية، واليزيدية (المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٥٤، ٣٥٥) يقول الإمام الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق: والإباضيون فى إمامة مسقط بسلطنة عمان، وفى بلاد زنجبار بشرق أفريقيا، وجبال وبلاد طرابلس بليبيا وجزيرة جربة بتونس، وجنوب الجزائر، والمؤرخون يعتبرون هذه الطائفة من الخوارج، لكنهم أنفسهم، ينكرون ذلك («بحث عن الفقه الإسلامى» ٢ـ/ ٢٤٧).

وبرغم تطرف الخوارج الشديد سواء فى موقفهم من الإمام على، أو بالنسبة للإمام وأحقية عزله أو قتله، فقد كانوا شديدى التمسك بالقرآن وتطبيق أحكامه، حتى لقد سماهم الشهرستانى (الملل والنحل) «أهل صيام وصلاة» لكنهم تطرفوا تطرفا دينيًّا شابهه تطرفهم السياسى، فقد اعتبروا مرتكبى الكبائر كفارًا، بل اعتبروا أيضا من يرتكب الصغائر كفارًا، ثم ألحقوا مذمة الكفر على كل معارضيهم. وقد تعددت فرق الخوارج نتيجة للاجتهادات وللمآرب الخاصة، وقد انطبعت هذه الاتجاهات فى المبادئ الأساسية للخوارج، فنجد الفرق العشرين للخوارج تخالف كل فرقة منها الأخرى فى تعاليمها كلها أو بعضها (حضارة الدول العربية / ١٥٧، ١٥٨).

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله قبل أن يسوق نماذج من شعر الخوارج:

وكانوا مع هذا الورع الشديد والخشية البالغة يقسون على مخالفيهم، فلا يرحمون ضعف المرأة، ولا براءة الطفل، ولا شيخوخة الهرم، ولا وشائج الرحم، لأنهم - كما ظنوا - باعوا أنفسهم وأموالهم لله بأن لهم الجنة، فقطعوا أسباب الحياة، وأماتوا عواطف الدنيا، وقاتلوا وقتلوا وقتلوا في سبيل هذا المذهب وتلك الغاية. وهم لصراحة بداوتهم، وشدة عصبيتهم، وخلوص عقيدتهم وما تقتضيه دعوتهم من إدمان الحجاج والمناظرة أسلس الناس منطقاً، وأروعهم كلاماً، وأمتنهم شعرًا. ولكن الشعر كان عندهم في المحل الثاني من الخطابة، لقيام أمرهم على الإقناع والجدل بآيات الله وأحاديث الرسول؛ وغناء الشعر في ذلك قليل. فإذا ما برز الخارجي للخصم، أو هجم على الموت، أو وقع في الأسر، جاشت نفسه بمتين الرجز، أو رصين القصيد، يضمنه وصفه للحرب، وولهه للقتال، وزهده في الحياة، واستخفافه بالموت، وشوقه إلى الشهادة، وظمأه إلى الجنة، في لفظ جزل وأسلوب قوي. وقلما يدور شعرهم على غير ذلك. فمن الرجز قول ابن أم حكيم:

احمل رأساً قد سئمت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عني ثقله!

ومن القصيدة قول معاذ بن جوين يحرض قومه وهو أسير:

ألا أيها الشارون قد حان لامرىء ... شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة ... وكل امرىء منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فإنها ... أقامتكم للذبح رأيا مضللا
ألا فاقصدوا ياقوم للغاية التي ... إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا
فياليتني فيكم على ظهر سابح ... شهدتُ القُصيري دارعاً غير أعزلا
فيا رب جمع قد فللت، وغارة ... شهدت، وقرن قد تركت مجندلا

وقول الطرماح بن حكيم:

لقد شقيتُ شقاءً لا انقطاع له ... إن لم أفز فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من لهيبها أحد ... إلا المنيبُ بقلب المخلص الشاري
أو الذي سبقت من قبل مولده ... له السعادة من خلاَّقها الباري

وقوله:

وأمسي شهيدًا ثاوياً في عصابة ... يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألَّف بينهم ... تقى الله نزَّالون عند الزواحف
إذ فارقوا دنياهمو فارقوا الأذى ... وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

وكقول قَطَري بن الفجاءة في يوم دولاب:

فلم أر يوما كان أكثر مقعصاً ... يمج دماً من فائظ وكليم
وضاربة خدًا كريمًا على فتى ... أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنًا ... له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم ... بجنات عدن عنده ونعيم

وقليلا ما يجادل الخوارج بالشعر ويقارعون بالهجاء، لاعتمادهم في الجدل على الخطابة، وفي القراع على السيف. ومن هذا القليل قول بعضهم في الجدل وقد هزم أربعون منهم ألفين لابن زياد:

أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويقتلكم بآسك أربعونا

كـــــذبتم ليس ذاك كمـــــا زعمتم
ولكـن الخـــوارج مـــؤمنـــونـــا
هـى الفئــــة القليلـــــة قـــد علمتم
علـى الفئـــة الكثيـــرة ينصــــرونـــا

وقول عمران بن حطان فى هجاء الإمام:

لله در المـــــــرادى الـــــــذى سفكت
كفــــاه مهجــــة شــر الخلق إنســـانـــا
أمسى عشيـــــة غشــــاه بضـــــربتــــه
ممـــا جنـــاه من الآثــــام عـــريـــانـــا

وماحمله على ذلك إلا أنه من القعدة لضعفه عن الحرب لكبر سنه فجاهد بلسانه (تاريخ الأدب العربى / ١٣٤ ـ ١٣٦).

وقد عرضت على الإمام ابن تيمية مسألة فى الخوارج والبغاة وعما إذا كانت الشريعة قد فرقت بينهما فى الأحكام، وأجاب عنها رحمه الله، وننقلها فيما يلى:

(مسألة) فى البغاة والخوارج، هل هى ألفاظ مترادفة بمعنى واحد أم بينهما فرق، وهل فرّقت الشريعة بينهما فى الأحكام الجارية عليهما أم لا؟ وإذا ادَّعى مدَّع أن الأئمة اجتمعت على أن لا فرق بينهم إلا فى الاسم، وخالفه مخالف مستدلاً بأن أمير المؤمنين عليًّا رضى الله عنه فرّق بين أهل الشام وأهل النهر فهل الحق مع المدعى أو مع مخالفه؟

(الجواب) الحمد لله. أما قول القائل أن الأئمة اجتمعت على أن لا فرق بينهما إلا فى الاسم فدعوى باطلة، ومدعيها مجازف فإن نفى الفرق بينهما إنما هو قول طائفة من أهل العلم من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم، مثل كثير من المصنفين فى قتال أهل البغى فإنهم قد يجعلون قتال أبى بكر مانعى الزكاة وقتال على الخوارج وقتاله لأهل الجمل وصِفّين إلى غير ذلك من قتال المنتسبين إلى الإسلام من باب قتال أهل البغى، ثم مع ذلك فهم متفقون على أن مثل طلحة والزبير ونحوهما من الصحابة من أهل العدالة لا يجوز أن يحكم عليهم بكفر ولا فسق، بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون، وذنوبهم مغفورة لهم ويطلقون القول بأن البغاة ليسوا فُسّاقًا فإذا جعل هؤلاء وأولئك سواء لزم أن تكون الخوارج وسائر من يقاتلهم من أهل الاجتهاد الباقين على العدالة،

ولهذا قال طائفة بفسق البغاة ولكن أهل السنة متفقون على عدالة الصحابة.

وأما جمهور أهل العلم فيفرقون بين الخوارج المارقين وبين أهل الجمل وصفين وغير أهل الجمل وصِفين ممن يعد من البغاة المتأولين، وهذا هو المعروف عن الصحابة وعليه أصحاب مالك وأحمد والشافعى وغيرهم، وذلك أنه قد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أوْلَى الطائفتين بالحق.

وهذا الحديث يتضمن ذكر الطوائف الثلاثة ويبين أن المارقين نوع ثالث ليسوا من جنس أولئك، فإن طائفة على أولى بالحق من طائفة معاوية، وقال فى حق الخوارج المارقين «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة» وفى لفظ «لو يعلم الذين يقاتلونهم ما لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل».

وقد روى مسلم أحاديثهم فى الصحيح من عشرة أوجه، روى هذا البخارى من غير وجه ورواه أهل السنن والمسانيد وهى مستفيضة عن النبى ﷺ، متلقاة بالقبول، أجمع عليها علماء الأمة من الصحابة ومن اتبعهم واتفق الصحابة على قتال هؤلاء الخوارج وأما الجمل وصِفِّين فكانت منهم طائفة قابلت من هذا الجانب، وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا لا من هذا الجانب ولا من هذا الجانب.

واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبى ﷺ فى ترك القتال فى الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة، وكان علىٌّ رضى الله عنه مسرورًا لقتال الخوارج، ويروى الحديث عن النبى ﷺ فى الأمر بقتالهم وأما قتال صفين فذكر أنه ليس معه فيه نص، وإنما هو رأى رآه، وكان أحيانا يحمد من لم ير القتال.

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال فى الحسن إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». فقد مدح الحسن وأثنى عليه بإصلاح الله به بين الطائفتين أصحاب على وأصحاب معاوية، وهذا يبين أن ترك

القتال كان أحسن وأنه لم يكن القتال واجبًا ولا مستحبًا، وقتال الخوارج قد ثبت عنه أنه أمر به وحض عليه فكيف يسوى بين ما أمر به وحض عليه، وبين ما مدح تاركه وأثنى عليه فمن سوّى بين قتال الصحابة الذى اقتتلوا بالجمل وصفين وبين قتال ذى الخويصرة التميمى وأمثاله من الخوارج المارقين والحرورية المعتدين كان قولهم من جنس أقوال أهل الجهل والظلم المبين. ولزم صاحب هذا القول أن يصير من جنس الرافضة والمعتزلة الذين يُكفِّرون أو يُفسِّقون المقاتلين بالجمل وصفين، كما يقال مثل ذلك فى الخوارج المارقين، فقد اختلف السلف والأئمة فى كفرهم على قولين مشهورين مع اتفاقهم على الثناء على الصحابة المقتتلين بالجمل وصفين والإمساك عما شجر بينهم.

وأما أهل البغى فإن الله تعالى قال فيهم **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فالاقتتال ابتداء ليس مأمورًا به، ولكن إذا اقتتلوا أمر بالإصلاح بينهم، ثم إن بغت الواحدة قوتلت، ولهذا قال من قال من الفقهاء إن البغاة لا يبتدئون بقتالهم حتى يقاتلوا.

وأما الخوارج فقد قال النبى ﷺ فيهم «أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة. وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وكذلك مانعو الزكاة فإن الصديق والصحابة ابتدءوا قتالهم وقال الصديق والله لو منعونى عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وهم يقاتلون إذا امتنعوا من أداء الواجبات وإن أقروا بالوجوب، ثم تنازع الفقهاء فى كفر من منعها وقاتل الإمام عليها مع إقراره بالوجوب على قولين هما روايتان عن أحمد كالروايتين عنه فى تكفير الخوارج، وأما أهل البغى المجرد فلا يكفرون باتفاق أئمة الدين، فإن القرآن قد نص على إيمانهم وإخوتهم مع وجود الاقتتال والبغى والله أعلم (الفتاوى م ٤ جـ ٢ / ٢٠٨، ٢٠٩).

أما ماقيل من الشعر فى الخوارج فنسوق منه هذه الأبيات من أرجوزة القاضى نعمان حيث يقول فى أصل ما تقوله الخوارج ومن قال بقولها فى صفة القائم بعد النبى ﷺ وأمره وحاله:

وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

٢٦٨ــ وقال من قال من الخوارج لم ندر ما كان من المخارج

٢٦٩ــ إن كان قد أمر أو لم يأمرُ ونحن فى ذاك أولو بصائر

٢٧٠ــ نقيم فينا واليًا، نرضاهُ ما قام لله، فإن عصاهُ

٢٧١ــ قمنا عليه فانتزعنا أمرهُ نكف عنا بأسه وشره

٢٧٢ــ فاجتمع الكل على التقرير بأنه لابد من أمير

ويقول فى الرد على الخوارج ومن قال بقولها:

٣٧٩ــ ثم نقولُ بعد للخوارج كمثل ما قد قلت فى التحاجج

٣٨٠ــ لكل من زعم عند الذكر بأنه لم يك كان يدرى

٣٨١ــ هل كان أوصى الصادق المبعوثُ وذاك فيما قلته مبثوثُ

٣٨٢ــ وهو مقال الخارجى الجائر على الذى روى على التذاكر

٣٨٣ــ لأنه يقول باستقامة لم أدر، هل أمرت بالإمامة

٣٨٤ــ أم لا، وقد أوجبها افتراضا فى قوله واعترض اعتراضا

٣٨٥ــ قيل له، أليس قد أنبانا ربك حين أنزل البيانا

٣٨٦ــ بأنه قد أمر الرسولا بأن يبين للورى التنزيلا

٣٨٧ــ فهل أبان ذاك لما أمرهْ أو كان قد كتمه أو سترهْ؟

٣٨٨ــ فإن تكن عن ذاك قد نزهته
فاطلب بيانه الذى جهلته

٣٨٩ ــ فإن يقل، ليست بفرض مفترَضْ
دخل لما قال هذا، إذ نقضْ

٣٩٠ــ مقاله فى جملة المرجيَّةْ
والرد فى ذلك بالسويَّةْ

٣٩١ ــ عليه، كالرد عليهم أوَّلا
ولو أتى مكرراً لثقلا

ثم يقول فى الرد على الخوارج فى إنكارهم الحكومة :

١٦٤٧ــ قد مر فى المقدَّم المعلومِ
ذكر ابتداء سبب التحكيمِ

١٦٤٨ــ وما أراد القوم فى ابتدائهم
به من الخلاص من أعدائهم

١٦٤٩ــ وذكر ما قال عليٌّ فيه
وعلمه بما انطووا عليه

١٦٥٠ــ من مكرهم به ونصب الخدعةْ
ولم يكن لما أتاه بدْعةْ

١٦٥١ــ لأنهم دعوا إلى البيان
والحكم بالسنة والقرآن

١٦٥٢ــ وسألوا الإرشاد والدليلا
فلم يجد لردهم سبيلا

١٦٥٣ــ والحكم بالحق وبالسداد
فرض من الله على العباد

١٦٥٤ــ وقد ذكرت شرطه عليهم
بذاك إذ قدمه إليهم

١٦٥٥ــ والله قد حكَّم فيما قالا
فى وجه المنزَّل الرجالا

١٦٥٦ــ عند جزاء الصيد للحُجَّاج
وفى الشقاق بينما الأزواج

١٦٥٧ــ وحكَّم النبى فى اليهود
سعدا بحضرة من الشهود

١٦٥٨ــ وليس بين الناس من خلاف
فى أن من حكم بائتلاف

١٦٥٩ــ فى أهل حصن قد رضوا بحكمه
لعلمهم بفضله وعلمه

١٦٦٠ــ فإن قضى بالقتل فى الرجال
والسبى فى النساء والأطفال

١٦٦١ــ أو أن يباعوا أو يكونوا ذمه
أجاز أهل الحق فيهم حكمه

١٦٦٢ــ وإن قضى بأنهم أحرار
وهم على سبيلهم كفار

١٦٦٣ــ لم يجز الحكم له لأنه
خالف فيما قد قضاه السنه

١٦٦٤ــ وإنما كان عليٌّ حكما
على الذى شرطه وأبرما

١٦٦٥ــ أن يحكم الحاكم بالكتاب
وسنة النبى بالصواب

١٦٦٦ــ وذلك الذى دعا إليه
وقاتل القوم معا عليه

١٦٦٧ــ فلم يكن يصلح أن يمتنعا
لما أجابوا للذى كان دعا

١٦٦٨ــ لأنهم لو حكَّموا بالحق
كان إماما لجميع الخلق

١٦٦٩ــ وإذ أرادوا الكيد والخديعة
فحكمهم تبطله الشريعة

١٦٧٠ــ وكان مما قالت الخوارج
إذ أنكروا التحكيم لما حاججوا

١٦٧١ــ جهالة بأنه قبل لزمه
حُكم الذى حكمه وقدَّمه

١٦٧٢ــ وإن قضى بالجهل أو أضاعا
فجهلوا السنة والإجماعا

١٦٧٣ــ وقــال قــوم منهم قــد شكَّـا
إذ قبـل الحكـم وإذ تلكَّـــــا
١٦٧٤ــ ولـم يكن شـك وقــد ذكــرنـا
فســاد هــذا في الــذى قـدَّمنــا
١٦٧٥ــ وقــال قــوم حكَّـم الكفــارا
فـأنجـــد الجهل بهـم وغـــارا
١٦٧٦ــ ومــا هم كمـا حكــوا كفـار
لكنهـم لمـــا بغـــوا وجـــاروا
١٦٧٧ــ قــاتلهم حتى إذا أجــابـوا
للحكـم رأى أنهـم أنـــابـــوا
١٦٧٨ــ في ظـاهـر القـول فلمـا أنكـروا
عــاودهـم ولـم يكــونـــوا كفـــروا
١٦٧٩ــ بـالله كـاليهــود والنصـارى
وكـــالمجـــوس إذ غـــدوا حيـــارى
١٦٨٠ــ لكنهم قـد كفـروا بـالطـاعـة
لمـــا بغـــوا وفــارقـــوا الجمــاعــه
١٦٨١ــ وهـم على أصـل مـن الإســلام
وحكمهـم فـى أكثـــر الأحكـــام
١٦٨٢ــ كحكمنــا بغيــر مــا التيـاث
فـى عقـــدة النكـــاح والميـــراث
١٦٨٣ــ ولــيس تُســبى لهـم ذريـــه
ولا نســـاؤهـم على الكليـــه
١٦٨٤ــ ويــؤمنــون بـالصـلاة الخمس
ليســوا من افتـــراضهـــا فى لبس
١٦٨٥ــ ولا من الحـج ولا الجهـــاد
لأهـل دار الشـــرك والأعـــادى
١٦٨٦ــ وليس فيمـــا بينهم فـى الحـال
وبيـن أهـل العـــدل و المقـــال
١٦٨٧ــ غيـر قبـول الأمـر والأحكـام
والسمـع والطــاعـــة لـــلإمـــام
١٦٨٨ــ فـإذ أجـــابــوه إلى التسليم
للحكـم بـــالكتـــاب والمعلـــوم
١٦٨٩ــ من سنَّــة النبى ثم طــالبـــوا
بيـــان مـــا قــد جهلـــوا فـــالـــواجب
١٦٩٠ــ أن يمنحــوا من ذاك مـا قــد طلبـوا
وذاك فـى الحــق لهـم قـــــد يجب
١٦٩١ــ وإن يكــونـــوا غيــر ذاك أضمـروا
فـإنمـــا الحكـم على مـــا يظهـــروا

وفيما يلى تعليق المحقق على بعض الأبيات :

البيتـان ٣٨٣، ٣٨٤ : يقول الخـوارج إنهم لا يـدرون هل أقام النبى أحدا أو لم يُقم، ومع هذا فإنهم يعتقدون أن الإمامة واجبة .

البيتان ٣٨٥، ٣٨٦ : قال الله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل : ٤٤] .

البيتـان ١٦٥٥، ١٦٥٦ : يشيـر إلى قـولـه تعـالى ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ [النساء : ٣٥] وقوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمـدا فجزاء مثل مـا قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم﴾ [المائدة : ٩٥] .

الأبيـات ١٦٥٧ ــ ١٦٦٠ : حكم سعـد بن معـاذ فى بنى قريظة . ابن هشام ٣ / ٢٥٠، ٢٥١ .

البيت ١٦٧٣ : تلكأ : أى أبطأ

البيت ١٦٨٤ : اللبس : اختـلاط الأمـر، لبس عليه الأمـر يلبسه لبسا فالتبس إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته (الأرجوزة المختارة / ٥٢، ٦٢، ١٧١ـ١٧٥، ٢٥٩، ٢٦٢، ٣٠٦).

(الملل والنحل للشهرستانى ـ تحقيق محمد سيد كيلانى ١ / ١١٤، ١١٥، و «البحث عن الفقه الإسلامى» ـ صـاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جـاد الحق على جـاد الحق شيخ الأزهـر. دراسـات فى الحضـارة الإسلاميـة . الهيئة المصرية العامـة للكتاب ١٩٨٥، ٣ / ٢٤٦، ٢٤٧، الحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٨٢ـ٨٧، ومذكرة الفرق ـ حسن متولى. الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م / ١٥، ١٦ والمـواعظ والاعتبـار فى الخطط و الآثـار لتقى الدين المقـريـزى ٢ / ٣٥٤ـ٣٥٦، وحضارة الدولة العربية فى عهـد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمـد رمضان أحمد محمد / ١٥٧، ١٥٨، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الـزيات / ١٣٤ـ١٣٦، والفتاوى لابن تيمية

ط. دار الغد العربى م ٤ جـ ٢ / ٢٠٨، ٢٠٩، والأرجوزة المختارة للقاضى النعمان ـ تحقيق وتعليق إسماعيل قربان حسين يونا والا / ٥٢، ٦٢، ٦٣، ١٧١ ـ ١٧٥، ٢٦٢، ٣٠٦. انظر أيضا حجج القرآن للإمام أبى الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى / ٥٨ ـ ٦٤، ونقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى / ٨٧ ـ ٩٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه ـ بتحقيق محمد سعيد العريان ٢ / ٢١٨ ـ ٢٢٢).

***خوارزم:**

من أقاليم بلاد ما وراء النهر (انظر هذه المادة فى م ٧ / ٣٩٠ ـ ٣٩٥ فانظرها فى موضعها) وهى فى شمال خراسان انظر مادة «خراسان» فى م ١٥ / ٣٨٢ ـ ٣٩٣). قال المقدسى عن خوارزم:

فأما خوارزم فهى كورة على حافتى جيحون. قصبتها العظمى بهيطل، ولها قصبة بخراسان. وهم يخالفون أهل الجانبين فى الرسوم واللسان والخلق والطباع، وهى كورة جليلة، واسعة كثيرة المدن. ممتدة العمارة، على عمل بلاد الروم وسجستان وكازرون. لا ينقطع المنازل والبساتين، كثيرة المعاصروالمزارع والشجر والفواكه والخيرات، مفيدة لأهل التجارات.

أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب، وأقل إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى، قد تقدم وزجا (أى نجح وأفلح) إلا أن فيهم انغلاقا، ولا لهم ظُرف ولا لباقة، ولا أثين ولا لطافة. رغفانهم صغار، وفراسخهم كبار، قد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب، وخصهم بصحة القراءة والزهد. أهل ضيافة ونهمة فى الأكل وبأس وشدة فى الحرب.

وسمعت طائفة من أهل نسا وأبيورد يذكرون أنهم يذهبون إلى بلخان ويحملون من ثمَّ بيضا كثيرا. قالوا: وأبقار ودواب قد توحشت. قلت: فلم رؤوسكم تخالف رؤوس الناس؟ قالوا: إن قدماءنا فعلوا ثلاثة أشياء غلبوا بها أهل البلدان. أما الواحدة فإنهم كانوا يغزون الترك، فيأسرونهم، وفيهم شبه من الترك. فما كانوا يعرفون، فربما وقعوا إلى الإسلام فبيعوا فى الرقيق. فأمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤوس الصبيان من الجانبين حتى ينبسط الرأس فبعد ذلك لم يسترقوا، ورد من وقع منهم إلى الكورة، والثانية جعلوا الدرهم أربعة دوانق لئلا يخرجها التجار من عندهم، فإلى اليوم الفضة تحمل إلينا ولا تخرج من عندنا، وأنسيت الثالثة. واعلم أن مثل خوارزم فى إقليم المشرق كسجلماسة فى المغرب، وطباع خوارزم كالبربر، وهى ثمانون فى ثمانين، متصلة المنازل، عزيزة الأنهار، معدن السمك والأعقام، ومطرح الغز والأتراك اسم قصبتها الكبرى «كاث»، ومن مدنها الهيطلية، غردمان، وإيخان، أرذخيوه، نوكفاغ، كردر، فردا خكان، جشيرة، سدور، زردوخ، قرية براتكين، مدكمينية، واسم قصبتهم الخراسانية: الجرجانية. ومن مدنها: تروزوار، زمخشر، أوزارمند، وزارمند، دسكا خان خاس، خشميشن، مداميثن، خيوه، كردرا نخاس، هزاراسب، جكربند، جاز، درغان، جيت، جرجانية الصغرى، جيت، سدفر، مساسان، كاردار، أندرستان (أحسن التقاسيم / ٢٢٧ ـ ٢٢٩).

وقد زارها ابن بطوطة فى رحلته فى أواخر سنة ٧٣٣ وقال عنها: وصلنا إلى خوارزم، وهى أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها، لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة، والعمارة الكثيرة، والمحاسن الأثيرة، وهى ترتج بسكانها لكثرتهم، وتموج بهم موج البحر، ولقد ركبت بها يوما ودخلت السوق، فلما توسطته، وبلغت منتهى الزحام فى موضع يقال له الشور، لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع، لكثرة الازدحام، وأردت الرجوع فما أمكننى لكثرة الناس، فبقيت متحيرا، وبعد جهد شديد رجعت، وذكر لى بعض الناس أن تلك السوق يخف زحامها يوم الجمعة، لأنهم يسدون سوق القيسارية وغيرها من الأسواق، فركبت يوم الجمعة وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة.

وهذه المدرسة تحت إمرة السلطان أوزبك، وله فيها أمير كبير يسمى «قطلو دمور»، وهو الذى عَمَّر المدرسة وما معها من المواضع المضافة. وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة «تُرابك» وبخوارزم مارستان (انظر مادة «البيمارستان» فى م ٨ / ٢٣٧ ـ ٢٤٤) له طبيب شامى، يعرف بالصهيونى، نسبة إلى صهيون من بلاد الشام. ولم أر فى بلاد الدنيا أحسن أخلاقا من أهل خوارزم، ولا أكرم نفوسا ولا أحب للغرباء. ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم أرها لغيرهم: وهى أن

المؤذنين فى مساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما لهم بحضور الصلاة. فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام بمحضر الجماعة. وفى كل مسجد درة معلقة لـذلك (الدرة: السوط يضرب به ومنه درة عمر بن الخطاب ـ المعجم الوسيط ١ / ٢٧٩)، ويغرّم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد، أو لإطعام الفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان. وبخارج خوارزم نهر جيحون (انظر مادة «جيحون» فى م ١٢ / ٥٧٠، ٥٧١) (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٢٩٧، ٢٩٨، وتاريخ البيمارستانات فى الإسلام / ٢٦٩).

وقال ابن الوردى فى خريدتـه: أرض خوارزم إقليم عظيم منقطع عن أرض خراسان وبعيد عما وراء النهر، ويحيط به مفاوز من كل جانب. وأول أعمالـه الظاهرية خوارزم وهى قاعدة هذه الأرض، وهى مدينة عظيمة. وفى الوضع مدينتان شرقية وغربية. فالأولى على ضفة نهرها الشرقية تسمى درغاشا، والثانية على ضفته الغربية وتسمى الجرجانية (خريدة العجائب / ٤٩).

وقد زارها ياقوت فى سنة ٦١٦ هـ (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام/٢٦٩) وقال يصفها كما كانت فى زمانه:

قال ابن الكلبى: ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل الخزر والبزر والبرسل وخوارزم وفيل؛ قال بطليموس فى كتاب الملحمة: خوارزم طولها مائة وسبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة، وهى فى الإقليم السادس، طالعها السماك ويجمعها الذراع، بيت حياتها العقرب، مشرقة فى قبة الفلك تحت ثلاث وعشرين درجة من السرطان، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، وقال أبو عون فى زيجه: هى فى آخر الإقليم الخامس، وطولها إحدى وتسعون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها أربع وأربعون درجة وعشر دقائق؛ وخوارزم ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية وأهلها يسمونها كركانج، وقد ذكروا فى سبب تسميتها بهذا الاسم أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمائر مائة فرسخ، فلم يجدوا على هذه الصفة إلا موضع مدينة كاث، وهى إحدى مدن خوارزم، فجاؤوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا؛ فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك فأمر قوما بكشف خبرهم، فجاؤوا فوجدوهم قد بنوا أكواخا ووجدوهم يصيدون السمك وبه يتقوّتون وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم: كيف حالكم؟ فقالوا: عندنا هذا اللحم، وأشاروا إلى السمك، وعندنا هذا الحطب فنحن نشوى هذا بهذا ونقوت به؛ فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمى ذلك الموضع خوارزم لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم، فصار خواررزم فخفف وقيل خوارزم استثقالا لتكرير الراء؛ وقد جاء به بعض العرب على الأصل، فقال الأسدى:

أتانى، عن أبى أنس، وعيد،
فسلّ تغيظ الضحاك جسمى

ولم أعص الأمير، ولم أربه.
ولم أسبق أبا أنس برغم

ولكن البعوث جرت علينا.
فصرنا بين تطويح وغُرم

وخافت من رمال السُّغد نفسى.
وخافت من رمال خواررزم

فقارعت البعوث وقارعتنى
ففاز بضجعة فى الحى سهمى

وأعطيت الجعالة، مستميتا،
خفيف الحاذ من فتيان جرم

وأقر أولئك الذين نفاهم بذلك المكان وأقطعهم إياه وأرسل إليهم أربعمائة جارية تركية وأمدهم بطعام من الحنطة والشعير وأمرهم بالزرع والمقام هناك، فلذلك فى وجوههم أثر الترك وفى طباعهم أخلاق الترك وفيهم جلد وقوة، وأحوجهم مقتضى القضية للصبر على الشقاء، فعمروا هناك دورا وقصورا وكثروا وتنافسوا فى البقع فبنوا قرى ومدنا وتسامع بهم من يقاربهم من مدن خراسان فجاؤوا وساكنوهم فكثروا وعزوا فصارت ولاية حسنة عامرة؛ وكنت قد جئتها فى سنة ٦١٦، فما رأيت ولاية قط أعمر منها، فإنها على ما هى عليه من

رداءة أرضها وكونهـا سبخة كثيرة النزوز متصلة العمـارة متقاربة القرى كثيـرة البيوت المفردة والقصـور فى صحاريهـا ، قَلَّ ما يقع نظرك فى رساتيقها على موضع لا عمارة فيه، هذا مع كثرة الشجر بها، والغالب عليه شجـر التوت والخلاف لاحتياجهم إليـه لعمـائرهم وطعم دود الإبـريسم، ولا فـرق بين المـار فى رساتيقهـا كلها والمـار فى الأسواق، ومـا ظننت أن فى الـدنيا بقعة سعتها سعة خوارزم وأكثر من أهلها مع أنهم قد مرنوا على ضيق العيش والقنـاعة بـالشىء اليسير؛ وأكثـر ضياع خـوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وفـى النادر أن يكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمأنينة تامة.

والشتاء عندهم شديد جدا بحيث أنى رأيت جيحون نهرهم وعرضه ميل وهو جامد، والقـوافل والعجل الموقرة ذاهبة وآتية عليه؛ وذلك أن أحدهم يعمد إلى رطل واحد من أرز أو ما شاء ويكثر من الجزر والسلجم فيه ويضعه فى قِدر كبيرة تسع قربة ماء ويوقد تحتها إلى أن ينضج ويترك عليه أوقية دهنا ثم يأخذ المغرفة ويغـرف من تلك القِدر فى زبدية أو زبـديتين فيقنع به بقية يومـه، فإن ثرد فيه رغيفا لطيفـا خبزا فهو الغايـة، هذا فى الغـالـب عليهم، على أن فيهم أغنيـاء متـرفهين إلا أن عيش أغنيائهم قـريب من هذا ليس فيه ما فى عيش غيـرهم من سعة النفقة وإن كان النـزر من بلادهم تكون قيمته قيمـة الكثير من بـلاد غيـرهم؛ وأقبح شىء عنـدهم وأوحشه أنهم يـدوسـون حشـوشهم بأقـدامهم ويـدخلـون إلى مسـاجـدهم على تلك الحـالة لا يمكنهم التحـاشى من ذلك لأن حشـوشهم ظاهـرة على وجـه الأرض، وذلك لأنهم إذا حفـروا فى الأرض مقـدار زراع واحد نبع المـاء عليهم، فدروبهم وسطـوحهم ملأى من القذر، وليس لأبنيتهم أسـاسات إنما يقيمون أخشـابا مقفصة ثم يسدونهـا باللبن، هذا غـالب أبنيتهم، والغالب على خلق أهلها الطول والضخامة، وكلامهم كأنه أصوات الزرازير، وفى رؤوسهم عرض، ولهـم جبهات واسعة، وقيل لأحـدهم: لم رُؤوسكم تخالف رؤوس الناس؟ فقال: إن قدماءنا كانوا يغزون الترك فيأسرونهم وفيهم شبه من الترك فما كـانوا يعرفون، فربما وقعوا إلى الإسلام فبيعوا فى الرقيق، فأمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكيـاس الرمل على رؤوس الصبيـان من الجانبين حتى ينبسط الرأس، فبعـد ذلك لم يسترقـوا ورد من وقع منهم إليهم إلى الكوفة؛ قال عبد الله الفقير إليه: وهذا من أحاديث العامة لا أصل له، هب أنهم فعلوا ذلك فيمـا مضى فالآن ما بالهم؟ فإن كانت الطبيعـة ورثته وولدته على الأصل الـذى صنعه بهم أمهاتهم كـان يجب أن الأعور الـذى قلعت عينه أن يلـد أعور وكذلك الأحدب وغير ذلك، وإنما ذكرت ما ذكر الناس.

قال البشارى: ومثل خوارزم فـى إقليم الشرق كسجلماسة فى الغرب، وطباع أهل خوارزم مثل طبع البـربر، وهى ثمانون فرسخـا فى ثمانين فرسخـا، آخر كلامـه؛ قلت: ويحيط بها رمال سيالة يسكنها قوم من الأتراك والتركمان بمواشيهم، وهذه الرمـال تنبت الغضا شبه الـرمال التى دون ديار مصـر، وكانت قصبتها قديما تسمى المنصورة، وكانت على الجانب الشرقى فأخذ الماء أكثر أرضها فـانتقل أهلها إلى مقابلها من الغربى، وهى الجـرجانيـة، وأهلها يسمـونهـا كركـانج، وحوَّطـوا على جيحون بالحطب الجـزل والطرفاء يمنعونـه من خراب منازلهم يستجدونه فى كل عام ويرمون ما تشعث منه، وقرأت فى كتاب ألفه أبى الريحان البيرونى فى أخبار خوارزم ذكر فيه أن خوارزم كانت تدعى قديما فيل، وذكـر لذلك قصة نسبتها فإن وجدها واحد وسهل عليـه أن يلحقها بهذا الموضع فعل مأذونـا له فى ذلك عنى؛ قال محمد بن نصر بن عنين الدمشقى:

خـــوارزم عنــــدى خيـــــر البــــــلاد
فـــــلا أقلعت سحبهــــا المغـــدقـــــه
فطـــوبى لــــوجـــه امــــرىء صبحتـــ
ـــــه أوجــــه فتيـــانهـــا المشــــرقــــه
ومـــــا أن نقمت بهـــــا حــــالـــــة
ســــوى أن أقـــامت بهــــا مقلقــــه

وكان المـؤذن يقوم فى سحـرة من الليل يقارب نصفـه فلا يـزال يزعق إلـى الفجر قـامت؛ وقـال الخطيب أبـو المؤيـد الموفق بن أحمد المكى ثم الخوارزمى يتشوقها.

أأبكـــــاك لمــــا أن بكى فـى رُبـى نجــد
سحــاب ضحـــوك البـرق منتحب الـرعـد
لـــه قطـــرات كـــالـــلآلىء فى الثـــرى
ولـى عبـــرات كـــالعقيق على خـــدى
تلفت منهـــا نحـــو خـــوارزم والهـــا
جـــزينــا، ولكن أيـن خـــوارزم من نجــد؟

وقرأت فى الرسالة التى كتبها أحمد بن فضلان بن العباس ابن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة ذكر فيها ما شاهده منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها فقال بعد وصوله إلى بخارى، قال: وانفصلنا من بخارى إلى خوارزم وانحدرنا من خوارزم إلى الجرجانية، وبينها وبين خوارزم فى الماء خمسون فرسخا؛ قلت: هكذا قال ولا أدرى أى شىء عنى بخوارزم لأن خوارزم هو اسم الإقليم بلا شك؛ ورأيت دراهم بخوارزم مزيفة ورصاصا وزيوفا وصفرا، ويسمون الدرهم طازجه، ووزنه أربعة دوانق ونصف، والصيرفى منهم يبيع الكعاب والدوامات والدراهم... فأقمنا بالجرجانية أياما وجمد جيحون من أوله إلى آخره، وكان سُمك الجمد تسعة عشر شبرا، قال عبد الله الفقير: وهذا كذب منه، فإن أكثر ما يجمد خمسة أشبار وهذا يكون نادرا، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة، شاهدته وسألت عنه أهل تلك البلاد، ولعله ظن أن النهر يجمد كله وليس الأمر كذلك، إنما يجمد أعلاه وأسفله جار، ويحفر أهل خوارزم فى الجليد ويستخرجون منه الماء لشربهم، لا يتعدى الثلاثة أشبار إلا نادرا، قال: وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطريق، وهو ثابت لا يتحلحل، فأقام على ذلك ثلاثة أشهر فرأينا بلدا ما ظننا إلا أن بابا من الزمهرير فتح علينا منه، ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريح عاصف شديدة؛ قلت: وهذا أيضا كذب فإنه لولا ركود الهواء فى الشتاء فى بلادهم لما عاش فيها أحد، قال: وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه وأراد بره قال: تعالى إلىّ حتى نتحدث فإن عندى نارا طيبة، هذا إذا بلغ فى بره وصلته، إلا أن الله عز وجل قد لطف بهم فى الحطب وأرخصه عليهم، حمل عجلة من حطب الطاغ وهو الغضا بدرهمين يكون وزنها ثلاثة آلاف رطل؛ قلت: وهذا أيضا كذب لأن العجلة أكثر ما تجر على ما اختبرته، وحملت قماشا لى عليها، ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لا يجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس، وأما رخص الحطب فيحتمل إن كان فى زمانه بذلك الرخص، فأما وقت كونى بها فإن مائة مَنٍّ كان بثلث دينار ركنى، قال: ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب بل يدخل إلى دار الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلى ثم يقول: يكند، وهو الخبز، فإن أعطوه شيئا وإلا خرج، قلت أنا: وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه فى الرستاق دون المدينة شاهدت ذلك، ثم وصف شدة بردهم الذى أنا شاهدته من بردها أن طرقها تجمد فى الوحول ثم يمشى عليها فيطير الغبار منها، فإن تغيمت الدنيا ودفئت قليلا عادت وحولا تغوص فيها الدواب إلى ركبها، وقد كنت اجتهدت أن أكتب شيئا بها فما كان يمكننى لجمود الدواة حتى أقربها من النار وأذيبها، وكنت إذا وضعت الشربة على شفتى التصقت بها لجمودها على شفتى ولم تقاوم حرارة النفس الجماد، ومع هذا فهى لعمرى بلاد طيبة وأهلها علماء فقهاء أذكياء أغنياء، والمعيشة بينهم موجودة وأسباب الرزق عندهم غير مفقودة، وأما الآن فقد بلغنى أن التتر صنف من الترك وردوها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها وتركوها تلولا، وما أظن أنه كان فى الدنيا لمدينة خوارزم نظير فى كثرة الخير وكبر المدينة وسعة الأهل والقرب من الخير وملازمة أسباب الشرائع والدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والذين ينسبون إليها من الأعلام والعلماء لا يحصون، منهم: داود بن رشيد أبو الفضل الخوارزمى، رحل فسمع بدمشق الوليد بن مسلم وأبا الزرقاء عبد الله بن محمد الصغانى، وسمع بغيرها خلقا، منهم بقية بن الوليد وصالح بن عمرو وحسان بن إبراهيم الكرمانى وأبو حفص عمر به عبد الرحمن الأمار وغيرهم، روى عنه مسلم بن الحجاج وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وصالح بن محمد جزرة، روى البخارى عن محمد بن عبد الرحيم فى كفارات الأيمان، وقال البخارى مات فى سنة ٢٣٩، وآخر من روى عنه أبو القاسم البغوى (معجم البلدان ٢ / ٣٩٥-٣٩٨).

ولمحمود بن محمد بن العباس بن أرسلان العباسى، الخوارزمى كتاب «تاريخ خوارزم»، والمؤلف فقيه، محدث، مؤرخ، صوفى سمع وحدث ووعظ بالمدرسة النظامية، ثم رجع إلى بلده، وتوفى سنة ٥٦٨ هـ تقريبا - وفى كتابه هذا بسط الكلام فى وصف خوارزم وأهلها حتى بلغ إلى ثمانين مجلدة، وقد اختصره شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (التاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية / ١٧٦).

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٢٢٧-

٢٢٩، ومهذب رحلة ابن بطوطة ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٢٩٧ ـ ٢٩٩ وخريدة العجائب لابن الوردي / ٤٩، وتاريخ البيمارستانات في الإسلام ـ د. أحمد عيسى / ٢٦٩، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٣٩٥ ـ ٣٩٨، والتاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ١٧٦).

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «بلاد ما وراء النهر» في م ٧ / ٣٩٢.

*** خوارزم (بيمارستان ـ):**

انظر: خوارزم.

*** الخوارزمي (جابر بن محمد) (٦٦٧-٧٤١ هـ / ١٢٦٩-١٣٤٠ م):**

قال عنه ابن تغري بردي:

جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف، العلامة افتخار الدين أبو عبد الله الخوارزمي الحنفي، الإمام الفقيه النحوي.

مولده في عاشر شهر شوال سنة سبع وستين وستمائة، وتفقه على خاله أبي المكارم بن أبي المفاخر الخوارزمي، وقرأ المفصل والكشاف على أبي عاصم الأسفندري عن سيف الدين عبد الله بن أبي سعيد محمود الخوارزمي، عن أبي عبد الله البصري عن الزمخشري، وعلى جماعة أخر، وبرع، وأفتى ودرس، وأقرأ عدة سنين، وولي مشيخة الخانقاة الركنية المظفرية بيبرس الجاشنكير بالقاهرة، وسمع من الحافظ شرف الدين الدمياطي، وغيره.

مات في المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بظاهر القاهرة، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله تعالى.

(المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٤ / ٢٠٤).

انظر مادة «بيبرس الجاشنكير (مسجد وخانقاه ـ)» في م ٨ / ٧٢ ـ ٧٨.

*** الخوارزمي (محمد بن أحمد) (ـ ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م):**

صاحب كتاب «مفاتيح العلوم» قال عنه الزركلي: محمد ابن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، باحث من أهل خراسان له كتاب. مفاتيح العلوم «مطبوع» ألفه وأهداه للوزير العتبي (عبيد الله بن أحمد) ويعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب على الطريقة الموسوعية. قال المقريزي: وهو كتاب جليل القدر (الأعلام ٥ / ٣١٢، ٣١٣).

وقد كتب عنه الأستاذ الدكتور أحمد رمضان أحمد باعتبار أن الخوارزمي من أشهر وأقدم مصنفي العلوم في التاريخ الإسلامي بعد الفارابي، ويقارن بين منهج الفارابي في كتابه «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها» (أوردناه تحت عنوان أحمد «إحصاء العلوم» في م ٢ / ٥٩١، ٥٩٢) وبين منهج الخوارزمي في كتابة «مفاتيح العلوم» فيقول: ولد الخوارزمي سنة وفاة الفارابي (سنة ٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م) وتوفي (سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) عاش في مدينة نيسابور بخراسان وأهدى كتابه (مفاتيح العلوم) إلى أبي حسن عبيد الله بن أبي العتبي وزير نوح الثاني الساماني، الذي حكم من (سنة ٣٣٦ هـ ـ ٩٧٦ م) إلى (سنة ٣٨٧ هـ ـ ٩٩٧م).

ويقدم الخوارزمي لكتابه «مفاتيح العلوم» فيقول: إن نفسه تتوق إلى تأليف كتاب يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات. متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من الممواصفات والاصطلاحات التي منها أو من أجلها ألفت الكتب المعاصرة لعلم اللغة حتى إن اللغوي المبرز في الأدب إذا تأمل كتابا من الكتب في أبواب العلوم والحكمة، ولم يكن يدري شيئا من تلك الصناعة، لم يفهم شيئا منه كأنه الأمي والأغتم عند نظره إليه (قالت المؤلفة: في نسختي: وكان كالأمي الأغتم ...).

مما تقدم يتبين لنا أن الغرض من هذا المؤلف، أن الخوارزمي أراد وضع كتاب في علم اللغة العربية يعني بتوضيح المعاني المختلفة التي يستعمل فيها اللفظ الواحد في مختلف العلوم والمعارف ويستشهد الخوارزمي بلفظ «الرجعة» على سبيل الاستشهاد فإنها عند أصحاب اللغة، المرة الواحدة من الرجوع، لا يكادون يعرفون غيرها. وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن، وعند المتكلمين، ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطي في العسكر لطمع واحد، وعند المنجمين، سير الكواكب الخمسة المتحيرة على خلاف نضد البروج (قالت المؤلفة: في نسختي ص / ٣ وتم منها تصحيح الجملة).

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن الخوارزمي ما يلي: هو أقدم كاتب مسلم ألف كتابا موسوعيا هو (مفاتيح العلوم). ويستدل من كتابه أنه كان يلي وظيفة إدارية، وكان بحكم مقامه في خراسان خبيرا بالأحوال السائدة في المشرق خاصة. ويعد كتابه الذي كان العرب ينزلونه منزلة كبيرة عظيم

النفع في إظهارنا على معارف في مواضيع جد متباينة، وقد تناولها الخوارزمي في دقة وإتقان.

كذلك أضاف الخوارزمي إلى العلوم التي ذكرها الفارابي علمين هامين هما علم الطب وعلم الكيمياء، وما تفرع عنهما، وبذلك جاء أكثر شمولا للعلوم من كتاب الفارابي «إحصاء العلوم».

ولقد نقل عن الخوارزمي كثير من أطباء المسلمين الذين جاءوا من بعده، أسلوبه وطريقته في الكتابة الطبية مثل، ابن الجزار المتوفى (سنة ٤٠١ هـ / ١٠٠٩ م) في كتابه (زاد المسافر) لمعالجة الأمراض الباطنية (قالت المؤلفة: الكتاب عندي، وهو بتحقيق الدكتور محمد سويسي والدكتور الراضي الجازي ط الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٦)، وابن زهر الإشبيلي الأندلسي «التيسير في المداواة والتدبير» في معالجة الاستسقاء واتباع أغذية الحمية، وعمار الموصلي وهو من العصر الفاطمي توفي سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م في كتابه في علم العين وعللها ومداواتها، وابن النفيس المعروف باسم (ابن سيناء الثاني) توفي (سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) وكتابه في الدورة الدموية. وعلي بن عيسى وكتابه «التذكرة في طب العيون» الذي ذكر فيه (١٣٠) مرضا واستعمل (١٤٣) دواء. وابن الخاتمة المتوفى (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) (أوردنا ترجمته في م ١٥ / ٢٢٢ فانظرها في موضعها). وكتابه مبحث في الطاعون. وأبو القاسم من أبناء القرن العاشر الهجري وكتابه التعريف في الجراحة استعمل فيه (٢٠٠) آلة للجراحة، اشتهر عند الغرب أكثر من شهرته في المشرق. كما ذكر الخوارزمي في مقدمة كتابه أنه لم يحط بجميع العلوم والمعارف الإنسانية التي كانت موجودة في عصره بقوله: وسميت هذا الكتاب (مفاتيح العلوم) إذ كان مدخلا لها ومفتاحا لأكثرها.

أما عن المنهج الذي سلكه الخوارزمي في تصنيف مؤلفه «مفاتيح العلوم» فهو يختلف اختلافا جوهريا عن منهج الفارابي، ذلك أن استعانته بالتصنيف لتحقيق أغراضه، جعله ينحو نحوا عمليا في تقسيمه بعيدا عن المنهج الفلسفي لتصنيف العلوم، فجاء هدفه وأسلوبه علميا لا أكاديميا (تطور علم التاريخ الإسلامي / ١٨٤ - ١٨٦).

ونفرد مادة خاصة لكتاب الخوارزمي «مفاتيح العلوم» في حرف الميم إن شاء الله تعالى.

(الأعلام للزركلي ٥ / ٣١٢ - ٣١٣، وتطور علم التاريخ الإسلامي - أ. د. رمضان أحمد / ١٨٤ - ١٨٦).

*** الخوارزمي (محمد بن موسى) (- بعد ٢٣٢ هـ / - بعد ٨٤٧ م):**

العالم محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب «الجبر والمقابلة» الذي أفردنا له مادة خاصة في م ١٢ / ٥ - ١١.

قال عنه الزركلي: محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله، رياضي فلكي مؤرخ، من أهل خوارزم (انظر هذه المادة في موضعها) ينعت بالأستاذ، أقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار «المجسطي» لبطليموس، فاختصره وسماه «السند هند» أي الدهر الداهر، فكان هذا الكتاب كما يقول «مالت برن» أساسا لعلم الفلك بعد الإسلام. وللخوارزمي كتاب «الجبر والمقابلة» تُرجم إلى اللاتينية ثم إلى الإنكليزية، ونُشر بهما وطُبع بالعربية «مختصر» منه، و «الزيج» نقل عنه المسعودي، و «التاريخ» نقل عنه حمزة الأصفهاني، و «صورة الأرض من المدن والجبال ... إلخ» مخطوط، و «عمل الأسطرلاب» و «وصف إفريقية» وهو قطعة من كتابه «رسم المعمور من البلاد». وعاش إلى ما بعد وفاة الواثق بالله (الأعلام ٧ / ١١٦).

وعرَّف به وبأهم أعماله الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندي فقال:

هو محمد بن موسى الخوارزمي المكنى بأبي جعفر، نبغ في حدود عام ٢٠٥ هـ. وعاصر الخليفة المأمون العباسي الذي أدرك فضل هذا العالم العربي، واتساع آفاق معرفته، فأغدق عليه النعم، وأولاه برعاية عظيمة، ولا يعرف تاريخ ميلاده، على وجه الدقة (وإن كانت هناك رواية تقول إنه ولد



الخوارزمي (محمد بن موسى) (٢٣٢ هـ / بعد ٨٤٧ م)

عـام ٧٨٠ م وتـوفى عـام ٨٥٠ م) لأن أولئك العلمـاء لم يكن يهتم بميلادهم أحد، حتى يظهر نبوغهم فيحتفي بهم الجميع.

والخوارزمي عالم عربي، يزدهي به العلم في كل عصر أبد الدهر، فهو مبتدع علم الجبر، وواضع أسسه، ومبتكر حساب اللوغاريتمات. ولهذا كان أهلا لتسميته بأبي الجبر.

وقد نبغ الخوارزمي في علوم الحساب والفلك والجغرافيا، كما برع في علوم الهيئة، وتميز بالذكاء في استنباط الحقائق، وبنفاذ البصيرة عند الكلام، فكان أحد علماء العصر الإسلامي البـارزين الـذين لهم الفضل، كل الفضل، في تطـور العلـوم الحديثة.

ويعتبر الخوارزمي بحق مبتكر علم الجبر، ومما يدل على إمامته في هذا العلم، استخدامه التعبيرات الجبرية لأول مرة، وتكرار معادلاته الجبرية حتى يومنا هذا مثل:

س٢ + ٥ س = ٢٤ ؛ ٢ س + ٥ = س٢

والخوارزمي أول من حل معادلات الدرجة الثانية الجبرية. كما كان أحد العلماء الأفذاذ الذين أحاطوا بمعارف عصرهم، وبرزوا في كثيـر منها كالفلـك والجغرافيا والحسـاب، ولذلك جعله المأمون من خلصائه المقربين كما سلفت الإشارة («تراث المسلمين في ميدان العلوم» ٢ / ٢٦٨).

وقد اعتنى بالخوارزمي وبكتابـه «الجبر والمقابلة» الأستاذ قدري حافظ طوقان رحمه الله عنـاية كبيرة، مما ننقله لك فيما يلي. قال رحمه الله: الخـوارزمي: أول من ألف في الحساب والجبر والأزياج من رياضيي العرب.

ظهر الخـوارزمي في عصر «المأمون»، وكان ذا مقـام كبير عنده، أحاطـه بضروب من الرعايـة والعناية وولاه منصب بيت الحكمـة، وجعله على رأس بعثـة إلى الأفغان بقصـد البحث والتنقيب، وخلط بعض الإفـرنج بينه وبين «أبي جعفـر محمد ابن مـوسى بن شـاكر»، وبقي معـروفـا بهـذا الاسم مدة مـن الزمـن؛ ونسبوا مؤلفات «أبناء موسى بن شاكر» إليه.

أصله من «خوارزم» وأقـام في «بغداد»، حيث اشتهر وذاع صيته وانتشر اسمـه بين الناس، وبرز في الريـاضيات والفلك وكـان له أكبـر الأثـر في تقدمهـا، فهـو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحسـاب وفي قالب منطقي علمي، كما أنه أول من استعمل كلمة «جبر» للعلم المعروف الآن بهذا الاسم، ومن هنـا أخذ الإفرنج هـذه الكلمـة واستعملوهـا في لغاتهم. وكفاه فخرا أنه ألف كتابا في الجبر - في علم يعد من أعظم أوضاع العقل البشري، لما يتطلبـه من دقة وإحكام في القياس - ولهذا الكتاب قيمة تـاريخية علمية، فعليـه اعتمد علماء العـرب في دراساتهم عن الجبـر، ومنه عرف الغـربيون هذا العلم.

كـان لهـذا الكتاب شأن عظيم فـي عالم الفكـر والارتقـاء الـرياضـي، ولا عجب فهو الأسـاس الـذى شيـد عليه تقـدم الجبر، ولا يخفى ما لهذا الفرع الجليل من أثر في الحضارة، من نـاحيـة الاختـراع والاكتشـاف اللـذين يعتمـدان على المعادلات والنظريات الرياضية.

كـان «الخـوارزمي» أول من ألَّف في الجبـر، وقـد ورد في «مقدمة ابن خلدون» ما يؤيد هذا، فقال عند الكلام عن الجبر والمقـابلـة: «... وأول من كتب في هـذا الفن «أبـو عبـد الله الخوارزمي»، وبعده «أبو كامل شجاع بن أسلم» وجاء الناس على أثـره فيـه، وكتابـه في مسـائلـه الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه، وشرحه كثير من أهل الأندلس...» (المقدمة / ٥٧٩).

وورد أيضا في مقدمة «كتاب الوصايا بالجبر والمقابلة لأبي كامل شجاع بن أسلم»، ما يشير إلى أن «الخوارزمي» أول من ألَّف في طرق علم الجبر، وأن «الخـوارزمي» سبقه إلى ذلك، وورد أيضـا ما نصـه: «... فألفت كتـابا في الجبـر والمقابلـة رسمت فيه بعض مـا ذكره «محمد بن مـوسى الخوارزمي» في كتـابـه، وبينت شـرحـه وأوضحت مـا تـرك إيضاحـه وشرحـه ...».

ومن الطبيعي أن شـرح «أبي كـامل» لبعض المسـائل الغامضة في كتاب «الخوارزمي»، لا يقلل من قيمته، بل على الضـد يـرفع من شأنـه ويقيم الـدليل على منـزلته. وقـد قـدم «الخوارزمي» كتابـه بتبيان الغاية التي من أجلهـا يضع العلماء كتبهم ومـؤلفاتهم «... ولـم تزل العلمـاء في الأزمنـة الخاليـة والأمم المـاضيـة يكتبون الكتـب، مما يصنفـون من صنـوف العلم ووجوه الحكمة، نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة، ورجـاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره، ويبقى لهم من لسان الصدق ما يصغر في جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من

المؤونة، ويحملونه على أنفسهم من المشقة فى كشف أسرار العلم وغامضه، إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فورثه من بعده، وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ما كان مستغلقا، فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه، وإما رجل وجد فى بعض الكتب خللا فلمَّ شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه، غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه ...» (الخوارزمى: مقدمة كتاب الجبر والمقابلة / ١٥) وكذلك أشار فى المقدمة إلى أن «الخليفة المأمون» هو الذى طلب إليه وضع الكتاب وهو الذى شجعه على ذلك، كما بيَّن أيضا شأن «الكتاب» والفوائد التى يجنيها الناس منه فى معاملاتهم التجارية، وفى مسح الأراضى ومواريثهم ووصاياهم، ويقول فى هذا كله: «وقد شجعنا ما فضَّل الله به الإمام «المأمون» أمير المؤمنين مع الخلافة. التى حاز له إرثها وأكرمه بلباسها وحلاه بزينتها، من الرغبة فى الأدب وتقريب أهله وإدنائهم وبسط كنفه لهم، ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا، على أنى ألفت من «كتاب الجبر والمقابلة» كتابا مختصرا، حاصرا للطيف الحساب وجليله، لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم، وفى مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفى جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحه الأرضين وكرى الأنهار والهندسة، وغير ذلك من وجوهه وفنونه، مقدما لحسن النية فيه، راجيا لأن ينزله أهل الأدب بفضل ما استودعوا من نعم الله تعالى وجليل آلائه وجميل بلائه عندهم منزلته، وبالله توفيقى فى هذا وفى غيره، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» (الخوارزمى، مقدمة كتاب الجبر والمقابلة / ١٥، ١٦).

قسمَّ «الخوارزمى» الأعداد التى يحتاج إليها فى الجبر إلى ثلاثة أنواع: جزر أى «س»، ومال أى «س٢»، ومفرد وهو الخالى من «س» ثم يذكر الضروب الستة للمعادلات ـ على رأيه ـ وقد أتينا فى «باب الجبر» عليها، وأوضح أيضا حلولها بالتفصيل.

ومن هذه الأنواع والحلول يتبين أن العرب؛ كانوا يعرفون حلول معادلات الدرجة الأولى والدرجة الثانية، وهى نفس الطرق الموجودة فى كتب الجبر الحديثة، ولم يجهلوا أن لهذه المعادلات جذرين واستخرجوهما إذا كانا موجبين.

(جاء فى «كتاب الخوارزمى» المثل الآتى: ـ

«... وأما الأموال والعدد التى تعدل الجذور فنحو قولك، مال وواحد وعشرون من العدد يعدل ١٠ أجذاره» وبحسب الرموز تكون المعادلة.

س٢ + ٢١ = ١٠ س وقد حلها واستخرج جذريها ٣ أو ٧ راجع باب الجبر).

وتنبه «الخوارزمى» إلى الحالة التى يكون فيها الجذر كمية تخيلية، جاء فى كتابه:

«واعلم أنك إذا نصفت الأجذار وضربتها فى مثلها، فكان يبلغ ذلك أقل الدراهم التى مع المال، فالمسألة مستحيلة»، أى أنه حينما تكون الكمية التى تحت علامة الجذر سالبة ـ وفى هذه الحالة يقال لها تخيلية بحسب التعبير الرياضى الحديث ـ لا يكون هناك حل للمعادلة. وأتى على طرق هندسية مبتكرة فى حل بعض معادلات الدرجة الثانية. وقد أوردنا أنواعا منها فى فصل الجبر.

وورد أيضا حل المعادلات الآتية هندسيا:

$\text{س}^{2} + ٢١ = ١٠\ \text{س}$

، $\text{س}^{2} = ٣\text{س} + \text{ع}$

ثم يأتى بعد ذلك إلى «باب الضرب ويبين كيفية ضرب الأشياء؛ وهى الجذور بعضها فى بعض إذا كانت منفردة، أو كان معها عدد، أو كان يستثنى منها عدد، أو كانت مستثناة من عدد؛ وكيف تجمع بعضها إلى بعض، وكيف تنقص بعضها من بعض ...».

ويعقب بعد ذلك باب الجمع والنقصان؛ حيث وضع عدة قوانين لجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها، وكيفية إجراء العمليات الأربع على الكميات الصم، وكيفية إدخال المقادير تحت علامة الجذر، أو إخراجها منها.

(أبان «الخوارزمى» بأن: ـ

$\text{حـ}\sqrt{\text{س}} = \sqrt{\text{حـ}^{2}\ \text{س}}$

، $\frac{\sqrt{\text{س}}}{\sqrt{\text{ص}}} = \sqrt{\frac{\text{س}}{\text{ص}}}$

، $\sqrt{\text{س}} \cdot \sqrt{\text{ص}} = \sqrt{\text{س ص}}$

، $\sqrt{\text{حـ}^2\,\text{ص}} = \text{حـ}\sqrt{\text{ص}}$ وقد أوضح هذه بأمثلة عددية).

ثم يأتى إلى باب «المسائل الست» . ويقول فى هذا الصدد:

«... ثم اتبعت ذلك من المسائل بما يقرب من الفهم، وتخف فيه المئونة، وتسهل فيه الدلالة إن شاء الله تعالى ... » .

(« فالأولى من الست نحو قولك، عشرة قسمتها قسمين، فضربت أحد القسمين فى الآخر، ثم ضربت أحد هما فى نفسه فصار المضروب فى نفسه مثل أحد القسمين فى الآخر أربع مرات ... » .

أى $\text{س}^2 = \text{س}\,(10 - \text{س})$.

و«المسألة الثانية : عشرة قسمتها قسمين فضربت كل قسم فى نفسه، ثم ضربت العشرة فى نفسها، فكان ما اجتمع من ضرب العشرة فى نفسها مثل أحد القسمين مضروبا فى نفسه مرتين وسبعة أتساع مرة، أو مثل الآخر مضروبا فى نفسه ست مرات وربع مرة ... » .

أى $\frac{7}{9}\,2\,\text{س}^2 = 100$

أو $\frac{1}{4}\,6\,(10 - \text{س})^2 = 100$.

و «المسألة الثالثة : عشرة قسمتها قسمين، ثم قسمت أحدهما على الآخر، فخارج القسمة أربعة ... » .

أى : $\frac{10 - \text{س}}{\text{س}} = 4$

و«المسألة الرابعة : مال - وهنا يعنى بها كمية - ضربت ثلثه ودرهم فى ربعه ودرهم فكان عشرين ... » .

أى : $(\frac{1}{3}\text{س} + 1)\,(\frac{1}{4}\text{س} + 1) = \frac{1}{12}\text{س}^2 + \frac{1}{3}\text{س} + \frac{1}{4}\text{س} + 1 = 20$.

و«المسألة الخامسة : عشرة قسمتها قسمين، ثم ضربت كل قسم فى نفسه وجمعتها، فكان ثمانية وخمسين درهما» .

أى $\text{س}^2 + (10 - \text{س})^2 = 58$.

و «المسألة السادسة : كمية ضربت ثلثها فى ربعها، فعادت الكمية وزيادة أربعة وعشرين درهما ... » .

أى : $\frac{1}{3}\text{س} \times \frac{1}{4}\text{س} = \text{س} + 24$.

ويذكر «الخوارزمى» حلول جميع هذه المسائل) .

ثم يأتى بعد ذلك إلى باب «المسائل المختلفة»، وفيه تجد مسائل مختلفة تؤدى إلى معادلات من الدرجة الثانية وكيفية حلها، وهى من نمط بعض المسائل التى نجدها فى كتب الجبر الحديثة التى تدرس فى المدارس الثانوية .

نأتى على مثال واحد لإعطاء فكرة عن نوع المسائل التى أتى بها «الخوارزمى» : «فإن قال : عشرة قسمتها قسمين، فقسمت هذا على هذا، وهذا على هذا، فبلغ ذلك درهمين وسدسا ... » .

أى : $\frac{\text{س}}{10 - \text{س}} + \frac{10 - \text{س}}{\text{س}} = 2\frac{1}{6}$

بعد هذه الأبواب؛ يأتى باب المعاملات حيث يقول :

«اعلم أن معاملات الناس كلها من البيع والشراء والصرف والإجارة وغير ذلك، على وجهين بأربعة أعداد يلفظ بها السائل وهى : المسعر والسعر والثمن والمثمن ... » ويوضح معانى هذه الكلمات، ويورد مسائل تتناول البيع والإجارات وما يتعامل به الناس من الصرف والكيل والوزن ... إلخ .

ويعقب المعاملات باب المساحة، وفيه : يوضح معنى الوحدة المستعملة فى المساحات، كما يأتى على مساحات بعض السطوح المستقيمة الأضلاع والأجسام - وكذلك مساحة الدائرة والقطعة، ويشير إلى النسبة التقريبية وقيمتها، وأورد برهانا لنظرية «فيثاغورس»، واقتصر على المثلث القائم الزاوية المتساوى الساقين، واستعمل كلمة «سهم» لتدل على العمود النازل من منتصف القوس على الوتر، ووجد من قطر الدائرة والسهم طول الوتر، كما وجد حجوم بعض الأجسام كالهرم الثلاثى والهرم الرباعى والمخروط (استعمل الخوارزمى كلمة «تكسير» لتدل إما على المساحة، وإما على الحجم) .

وأخيرا يأتى كتاب الوصايا، حيث يتطرق إلى مسائل عملية، تتعلق بالوصايا، وتقسيم التركات، وتوزيع المواريث، وحساب الدور.

(نأتى على مسألة من المسائل التى وردت فى كتاب الوصايا :

« ... رجل مات وترك أمه وامرأته وأخاه وأختيه لأبيه، وأوصى لرجل بتُسع ماله، فإن قياس ذلك أن تقيم فريضته، فتجدها من ثمانية وأربعين سهما . فأنت تعلم أن كل مال نزعت تُسعه بقيت ثمانية أتساعة، وأن الذى نزعت مثل ثُمن ما

أبقيت، فتزيد على الثمانية الأتساع ثمنها. وعلى الثمانية والأربعين مثل ثمنها ليتم مالك وهو ستة، فيكون ذلك أربعة وخمسين للموصى له بالتسع، من ذلك ستة وهو تسع المال، وما بقى فهو ثمانية وأربعون بين الورثة على سهامهم ...» راجع «كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى» «ص ٦٨ ـ ٩٢».

وعن حساب الدور: يدخل فى الحساب: باب فى التزويج والمرض، وباب فى العتق والمرض، وباب العقد فى الدور، وباب السلم فى المرض. راجع «كتاب الخوارزمى» ص ٩٢ ـ ١٠٦).

ولكتاب «الجبر والمقابلة» الذى فرغنا من شرح فصوله شأن تاريخى كبير إذ كل ما ألفه العلماء فيما بعد كان مبنيا عليه، فقد بقى عدة قرون مصدرا اعتمد عليه علماء العرب فى مختلف الأقطار فى بحوثهم الرياضية، كما أنه كان النبع الذى استقى منه فحول علماء أوروبا فى القرون الوسطى، وقد نقله إلى اللاتينية «روبرت أف شستر»، وكانت ترجمته أساسا لدراسات كبار العلماء أمثال: «ليونارد أف بيزا» الذى اعترف بأنه مدين للعرب بمعلوماته الرياضية، وكردان وترتجليا، وباسيولى، ولوكا، وفراى وغيرهم. ولا يخفى أنه على بحوث هؤلاء تقدمت الرياضيات، وتوسعت موضوعات الجبر العالى.

وقد نشر الكتاب «فردريك روزن» كما نشر ترجمته فى لندن سنة ١٨٣١ م. وفى سنة ١٩١٥ م نشر «كاربنسكى» ترجمة للكتاب المذكور من ترجمة «شستر» اللاتينية، ولأول مرة ينشر الدكتوران الأستاذ على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد، الأصل العربى «لكتاب الجبر والمقابلة»، مشروحا ومعلقا عليه باللغة العربية، وقد رجعنا إليه عند الكلام على فصوله وموضوعاته.

ولهذا الكتاب شروح كثيرة؛ منها:

شرح «عبد الله بن الحسن بن الحاسب المعروف بالصيدلانى» فى كتاب اسمه: «كتاب شرح كتاب محمد بن موسى الخوارزمى فى الجبر».

وكذلك «لسنان بن الفتح الحرانى» شرح للكتاب نفسه.

وهناك شروح أخرى لعلماء العرب فى عصور مختلفة، وقد اعتمدوا عليه وأخذوا عنه كثيرا، واستعملوا نفس المعادلات التى وردت فيه.

إن من أكبر المآثر بل من أكبر النعم التى جاء بها العرب على العالم، نقلهم الحساب الهندى وتهذيبهم الأرقام الهندية المنتشرة بين الناس، والمعروفة عند الغربيين بالأرقام العربية، لأنها وصلت إليهم عن طريق العرب بالأندلس.

ويعود الفضل فى تناول الأرقام إلى «الخوارزمى» عن طريق مؤلفاته وكتبه فى الحساب، وقد أوضحها وبيَّن فوائدها ومزاياها. ويمتاز «الخوارزمى» على غيره، أنه وضع كتابا فى الحساب؛ كان الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة. فقد نقله «أدلار داف باث» إلى اللاتينية تحت عنوان «الغورتمى»، وهذا الكتاب ـ وهو أول كتاب دخل أوربا ـ بقى زمنا طويلا مرجع العلماء والتجار والحاسبين، والمصدر الذى عليه يعتمدون فى بحوثهم الحسابية، وقد يعجب القارىء إذا علم أن الحساب بقى عدة قرون معروفا باسم «الغورتمى» نسبة إلى «الخوارزمى».

وأبدع «الخوارزمى» فى الفلك؛ وأتى على بحوث مبتكرة فيه وفى المثلثات؛ «فقد اصطنع زيجا ـ أى جداول فلكية ـ سماه «السند هند» وخالفه فى التعاديل والميل، فجعل تعاديله على مذاهب الفرس، وجعل ميل الشمس فيه على مذهب «بطلميوس ...».

وليس المهم أنه أبدع فى الفلك وتوفق فى الأزياج، بل المهم أن زيجه هذا كان له الأثر الكبير فى الأزياج الأخرى التى عملها العرب فيما بعد، إذ استعانوا به واعتمدوا عليه وأخذوا منه.

ويقول «ابن الآدمى»: «فاستحسنه أهل ذلك الزمان وطاروا به فى الآفاق، وما زال نافعا عند أهل العناية بالتعديل إلى زماننا هذا ...» وهو من المجددين لجغرافية «بطليموس»، وتجديده هذا ـ على رأى «نللينو» ـ «لا يعتبر مجرد تقليد للآراء الإغريقية، بل هو بحث مستقل فى علم الجغرافيه لا يقل أهمية عن بحث أى كاتب أوربى من مؤلفى ذلك العصر...»، وقد اختصر هذا الزيج «مسلمة بن أحمد المجريطى» فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى.

ويظن بعض علماء الإفرنج؛ أن «الخوارزمى» كان أحد

الذين كلفهم «المأمون» قياس محيط الأرض. وقد بحثت فى هذا الموضوع فلم يثبت عندى أن «الخوارزمى» كان من البعثة التى اشتركت فى قياس درجة من درجات محيط الأرض.

ولـه مؤلفـات أخـرى (سبق أن أوردناهـا فى بـداية المـادة فارجع إليها).

وعلى كل حال؛ «فـالخوارزمى» من أكبر علمـاء العرب، ومن العلمـاء العالميين الـذين تـركوا مـآثـر جليلة فى العلـوم الـريـاضيـة والفلكيـة، فهـو واضـع الجبر فى شكل مستقل منطقى، وهو المبتكر لكثير من بحوث الجبر التى تدرس الآن فى المدارس الثانوية والعالية. وإليه يرجع الفضل فى تعريف النـاس بالأرقـام الهنديـة، وفى وضع بحوث الحسـاب بشكل علمى لم يسبق إليه ... حَلَّق فى سماء الرياضيات وكان نجما متألقا فيها، اهتدى بنوره علمـاء العرب وعلماء أوربا، وكلهم مدين له، بل المـدنية الحديثة مدينة له، بمـا أضاف من كنوز جديدة إلى كنوز المعرفة الثمينة.

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك / ١٥٤ - ١٦٢).

الخوارزمى وحلا معادلة الدرجة الثانية:

عن ذلك يقـول الـدكتـور جـلال شـوقى والـدكتـور على الدفـاع.

كان الحل الصحيح فى نظـر الخوارزمى هو دائمـا القيمة الموجبة للشىء أو المجهول س التى تحقق منطوق المسألة، وقـد تنبـه الخـوارزمى إلى إمكـانيـة وجـود حليـن مـوجبين للمعـادلة، من ذلك المثـال الـذى ساقـه فى حـالة «الأمـوال والعدد التى تعدل الجذور» حيث يقول الخوارزمى:

«... نحو قولك مال وأحد وعشرون من العدد يعدل عشرة أجذار» أى أن المعـادلة عنـدما يعبر عنهـا بالرموز الريـاضية المألوفة لنا اليوم تتخذ الصورة:

$$\text{س}^{٢} + ٢١ = ١٠\ \text{س}$$

ويورد الخـوارزمى حل هذه المعادلة على النحـو التالى: «فبابه أن تنصف الأجذار، فتكون خمسة، فاضربها فى مثلها، تكون خمسة وعشرين، فانقص منها الواحـد والعشرين التى ذكر أنها مع المـال، فيبقى أربعة، فخذ جذرها ـ وهو اثنان ـ فانقصه من نصف الأجـذار ـ وهو خمسة ـ فيبقى ثـلاثة، وهو المال الذى تريده، والمال تسعة.

وإن شئت فزد الجذر على نصف الأجذار، فتكون سبعة، وهو جذر المال الذى تريده، والمال تسعة وأربعون.

فإذا وردت عليك مسألة تخرجك إلى هذا الباب، فامتحن صوابها بالزيادة، فإن لم يكن فهى بالنقصان لامحالة.

وهذا الباب يعمل بالـزيادة والنقصان جميعا، وليس ذلك فى غيـره من الأبـواب الثـلاثـة التى يحتـاج فيهـا إلى تنصيف الأجـذار». فإذا ما نفـذنـا ما جـاء بنص الخـوارزمى لخرجنـا بالنتيجة الآتية:

$$\frac{١٠}{٢} \times ٥ = ٢٥ - ٢١ = ٤ ،\ \sqrt{٤} = ٢$$

$$\frac{١٠}{٢} - ٢ = ٣ = \text{الجذر، والمال} = ٩$$

$$\text{أو}\ \frac{١٠}{٢} + ٢ = ٧ = \text{الجذر، والمال} = ٤٩$$

هـذان همـا الحلان اللـذان تـوصل إليهمـا الخـوارزمى، ويمكننـا أن نرى حـل الخوارزمى فى ضـوء التعبيـر بـالرمـوز الريـاضية المعـاصرة: إذا عبرنـا عن الصيغة العـامة لمعـادلة الدرجة الثانية بالمعادلة:

$$\text{أس}^{٢} + \text{ب س} + \text{جـ} = \text{صفرا}$$

فإن جذري المعادلة يكونان كالآتى:

$$\text{س} = -\frac{\text{ب}}{\text{٢أ}} + \sqrt{\left(\frac{\text{ب}}{\text{٢أ}}\right)^{٢} - \frac{\text{جـ}}{\text{أ}}}$$

وبالتعويض بـالقيم أ = ١، ب = -١٠، حـ = ٢١، وهى المعـامـلات السواردة فى مسألـة الخـوارزمـى، يكـون جـذرا المعادلة:

$$\text{س} = \frac{١٠}{٢} \pm \sqrt{\left(\frac{-١٠}{٢}\right)^{٢} - ٢١}$$

ومن الواضح تطابق هذه النتيجة مع القيمتين اللتين حصل عليهما الخوارزمـى بادئا بحساب الجذر التربيعى، ثـم طرحه من أو إضافته إلى «نصف الأجذار» أى $\left(\frac{١٠}{٢}\right)$ فى المثال.

قـد يعـود مصدر اعتـراف الخـوارزمى بـالقيمة المـوجبـة فحسب لجذر معادلة الدرجة الثـانية إلى اهتمامه ـ فى المقام الأول ـ بـالتصدى لحل مشاكل النـاس فى معامـلاتهم، الأمر الذى قـد يجعل الجواب السالب غير مستسـاغ ولا مقبول فى أمور المداولات والوصايـا والمقاسمات وما إلى ذلك مما يهم الناس من أمور دنياهم.

حالة استحالة الحل.

يشير الخوارزمى فى كتابه إلى حالة يكون إيجاد قيم لجذر

معادلة الدرجة الثانية فيها أمرا مستحيلا، وهذه الحالة يحددها الخوارزمى بقوله:

«واعلم أنك إذا نصفت الأجذار فى هذا الباب، وضربتها فى مثلها، فكان مبلغ ذلك أقل من الدراهم التى مع المال، فالمسألة مستحيلة.

وإن كان مثل الدراهم بعينها، فجذر المال مثل نصف الأجذار سواء لازيادة ولانقصان.».

يعرض حديث الخوارزمى هنا لما نسميه اليوم بالمميِّز، وهو ما يقع تحت علامة الجذر التربيعى، نقصد:

$[(\frac{\text{ب}}{\text{٢ا}})^{٢} - \frac{\text{جـ}}{\text{ا}}]$.

فطالما كانت $(\frac{\text{ب}}{\text{٢ا}})^{٢}$ أكبر من $(\frac{\text{جـ}}{\text{ا}})$ كان هناك حل للمعادلة.

أما إن كانت $(\frac{\text{ب}}{\text{٢ا}})^{٢}$ أقل من $(\frac{\text{جـ}}{\text{ا}})$،

فإن الكمية الموجودة تحت علامة الجذر التربيعى تكون سالبة، ولا يكون لها جذران حقيقيان، وهو ماعبر عنه الخوارزمى بقوله:

«فالمسألة مستحيلة»، واستمر الحال كذلك حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد حين بدأت فكرة الكميات التخيلية.

أما الحالة الثانية التى أشار إليها الخوارزمى، فهى حالة تساوى الكميتين الموجودتين تحت علامة الجذر التربيعى (حالة انعدام المميز)، أى عندما تكون: $(\frac{\text{ب}}{\text{٢ا}})^{٢} = \frac{\text{جـ}}{\text{ا}}$،

وفى هذه الحالة: س = $-\frac{\text{ب}}{\text{٢ا}}$

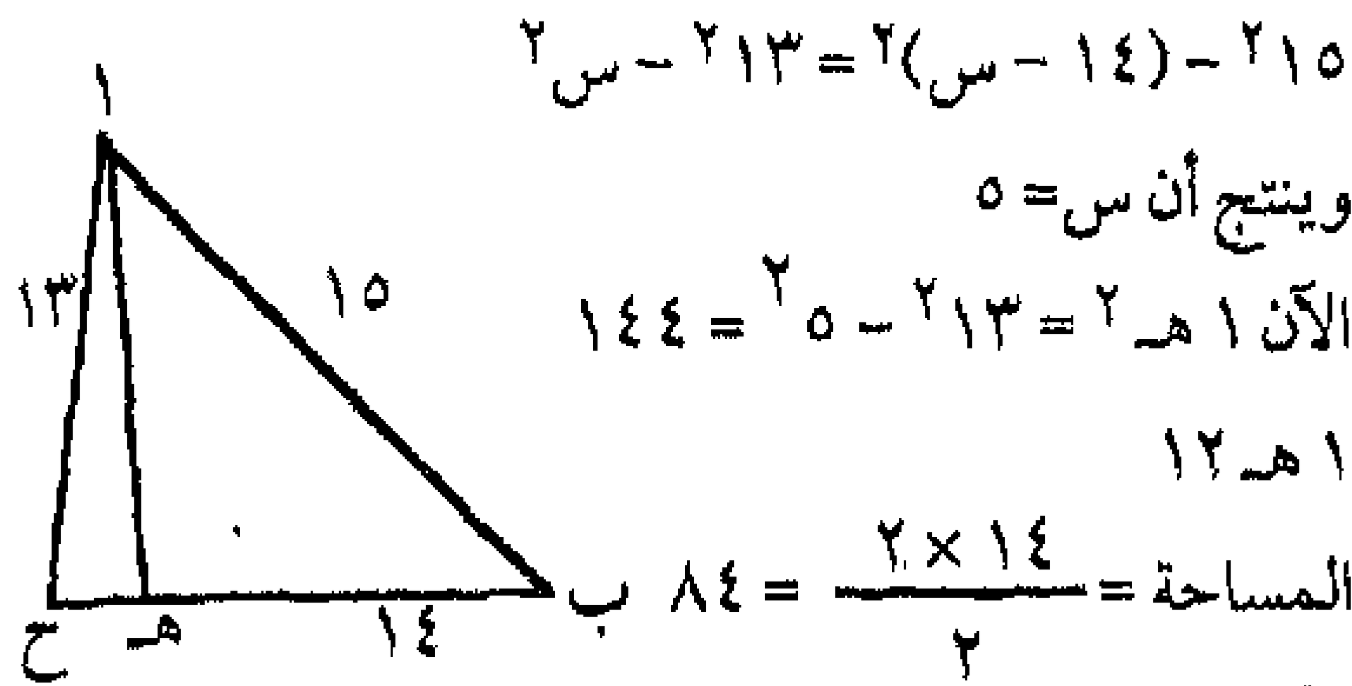
ويكون «جذر المال مثل نصف الأجذار سواء لازيادة ولا نقصان». أصاب الخوارزمى، ولا غرو فهو الذى وضع علم الجبر وعلمه للناس أجمعين (العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ١ / ٢٥٤ـ٢٥٧).

وفيما يلى مثل من الحلول الهندسية لمعادلات من الدرجة الثانية (علماء العرب/ ٧٤).

فرض الخوارزمى مثلثا طول أضلاعه: ١٥، ١٤، ١٣، وتوخى حساب مساحته كما يلى:

لتكن ح هـ = س

ب هـ = ١٤ − س



$١٥^{٢} - (١٤ - \text{س})^{٢} = ١٣^{٢} - \text{س}^{٢}$

وينتج أن س = ٥

الآن ا هـ^{٢} = $١٣^{٢} - ٥^{٢} = ١٤٤$

ا هـ ١٢

المساحة = $\frac{١٤ \times ١٢}{٢} = ٨٤$

الأعلام للزركلى ٧ / ١١٦، و«تراث المسلمين فى ميدان العلوم» ـ د. محمد جمال الدين الفندى. دراسات فى الحضارة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م، ـ/ ٢٦٨، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ١٥٤ ـ ١٦٢، والعلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقى و د. على الدفاع ١ / ٢٥٤ ـ ٢٥٦، وعلماء العرب ـ إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٧٤. انظر أيضا العلوم عند العرب ـ قدرى حافظ طوقان / ٩٧ ـ ١٠٣، وتطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى عند علماء المسلمين ـ د. محمد على محمد الجندى. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م / ٥٢، ٥٣.

*** الخوارق الحسية:**

سأل سائل شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله يقول: هل كان للرسول معجزة غير القرآن؟ وهل يجب على المسلم أن يؤمن بكل ما روى من الخوارق الحسية من مثل تكثير الطعام القليل على يديه، وتسبيح الحصى ونحو ذلك؟

فأجاب رحمه الله قائلا:

لكل نبى آية تناسب زمنه:

صح عن النبى ﷺ أنه قال «ما من نبى من الأنبياء إلا أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

وهذا الحديث يرشدنا فى شأن المعجزات إلى أمرين:

أحدهما خاص بالرسل السابقين. وهو أن الله أعطى كل نبى من المعجزات وخوارق العادات ما يكفى فى حمل الناس الذين يعاصرونهم ويشاهدونها على الإيمان بهم والتصديق برسالتهم، ومن ذلك ما جاء فى القرآن من آيات موسى وعيسى عليهما السلام. وهو كلها كما نرى معجزات حسية

تقع أمام الأقوام على يد صاحبها، وتنقرض بانقراض وقتها، وسبيل التصديق بها لم يكن إلا ورود الأخبار بها في المنقول المتواتر المقطوع بصحته وهو القرآن الكريم وبذلك كان القرآن شاهدا بالرسالات السابقة.

آية النبي محمد ﷺ:

أما الأمر الثاني: فهو خاص بالنبي محمد ﷺ، وهو أن الذي أعطاه الله إياه من المعجزات، كان غير الذي أعطاه للأنبياء السابقين، كان «وحيا» يسمع، ويفهم، ويعقل؛ فيدرك العقل منه جهات إعجازه ولا ينقرض بانقراض زمنه ولا بموت صاحبه؛ بل يظل قائما محفوظا بحفظ الله الذي أوحاه، ينظره الناس على توالي العصور، ويكثر المؤمنون به، وبرسالة صاحبه إلى يوم الدين.

ومن هنا يرجو الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون أكثر الأنبياء أتباعا يوم القيامة ولعلنا لو قارنا عدد المسلمين اليوم بعددهم يوم حياة الرسول لوجدنا مصداق ذلك الرجاء، ولعرفنا أن مرد ذلك إلى التأثر بروح الإعجاز الدائم الذي يحمله القرآن، ويتذوقه الإنسان.

القرآن هو المعجزة الخالدة.

٢ ـ وقد جاء في القرآن أن المعجزة التي تحدى بها عليه الصلاة السلام قومه، هي القرآن خاصة، **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾** [البقرة: ٢٣] وأنه قد تحداهم بالقرآن على صور شتى: تحداهم بكله، وتحداهم ببعضه، وأنه سجل عليهم عجزهم عن الإتيان بمثله: **﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكفرين﴾** [البقرة: ٢٤] **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * ولقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾** [الإسراء: ٨٨، ٨٩] وراحوا يقترحون على النبي الآيات. ويطلبون منه خوارق كالتي يسمعونها عن الأنبياء السابقين **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهر خللها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتبا نقرؤه﴾** [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

- وقد رد القرآن عليهم في ذلك **﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا؟﴾** [الإسراء: ٩٣] **﴿قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾** [الدخان: ٥٠، ٥١] وأخيرا يبين لهم الحكمة في عدم إجابتهم إلى ما اقترحوا من آيات، فيقول **﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾** [الأنعام: ٨] ويقول **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾** [الإسراء: ٥٩] لم يجبهم الله إلى ما اقترحوا من آيات حسية يرونها بأعينهم، إبقاء عليهم، وحفظا لهم من عذاب الاستئصال الذي كان يلحق بالأولين حين يكذبون أنبياءهم بعد رؤية الآيات.

الخوارق ممكنة وواقعة:

٣ ـ وليس معنى هذا أن خوارق العادات غير ممكنة، أو غير حاصلة، كيف وهي منذ القدم تحت سلطان القدرة الإلهية، بها حصلت، وبها شوهدت، ولا تزال إلى يومنا هذا نرى ونسمع خوارق عادات في خلق الأشخاص، وفي مظاهر الكون: نراها في الإعصار، والصواعق، التي تنتزع المدن من أماكنها وتترك أهلها جاثمين، وهي مثل التي تحدث عنها القرآن الكريم في الأمم السابقة، وتحدث عما حدث لسليمان من نطق الحيوانات ومحادثتهم معه، وعما سيحدث من نطق جوارح الإنسان، وشهادتها عليه بما فعل **﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصرهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾** [فصلت: ٢٠، ٢١].

لسنا نعلم كل نواميس الكون:

والله قد كون العالم على نواميس، بعضها ظاهر جلي، كثيرا ما يقف الإنسان بإيمانه عندها، ولكن ـ والله يقول **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** [الإسراء: ٨٥] لاينبغي الوقوف بالإيمان عند حد ما أدركنا وظهر لنا من تلك النواميس؛ فلله في خلقه شئون، وله وراء النواميس المألوفة، نواميس لايعلمها إلا هو، يجربها كما يريد على يد من يريد، ولا عن يد أحد.

فأنا أومن بخوارق العادات، أومن بإمكانها ووقوعها تكريما وتثبيتا لمن أراد الله أن يكرمه ويثبته، وانتقاما وعقوبة لمن أراد أن يعاقبه وينتقم منه، وأصدق الأخبار بها متى صحت الرواية، ونقلت النقل الصحيح السليم، ودرجة الإيمان بالخارق تتبع درجته فى النقل، فليس كل ما ينقل بصحيح، وليس كل الصحيح فى درجة واحدة من القوة؛ فمن المنقول: الموضوع، ومنه الضعيف، ومن الصحيح المتواتر القطعى، ومنه المشهور الظنى.

الخوارق الحسية لنبينا ليست إجابة للكفار:

وإنما الذى لا أقبله، أن يكون حصول الخارق إجابة لاقتراح الكفار. وإذا ما صح الخبر بشىء من الخوارق الحسية، مسندا إلى الرسول، وتواتر فى نقله، وآمنا به لصدق الرسول. فليس سبيله إجابة الكفار إلى ما اقترحوا، وليس سبيله المعجزة التى تحدى بها القوم وإنما سبيله كما قال القاضى عياض فيما نقله من المعجزات الحسية، كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، ومحادثة الضب، ومخاطبة الأشجار، ونبع الماء من بين أصابع الرسول، وتكثير الطعام والشراب قال فى كل ذلك:

«إنى لم أجمع هذه الآثار التى وردت بالخوارق لمنكرى نبوته ﷺ ولا لطاعن فى معجزته وإنما جمعناه لأهل ملته الملبين لدعوته، المصدقين لنبوته، ليكون تأكيدا لهم فى محبتهم له، وزيادة فى أعمالهم، وليزدادوا إيمانا على إيمانهم ولتدل على عظيم قدره ﷺ»

وبذلك يتبين أن فائدة تلك الخوارق ترجع إلى المؤمنين بتأكيد محبتهم للرسول، وترجع للرسول بدلالتها على قدره عند ربه، ولم يقصد بها تحدى القوم أو إجابتهم إلى ما اقترحوا من آيات.

ولعلنا نجد فى آية الإسراء ما يرشد إلى أن المقصد به كان تكريم الرسول وتثبيت قلبه، وتطمينه على عناية الله به: ﴿لنريه من ءايٰتنا﴾ [الإسراء: ١] ﴿أفتمٰرونه على ما يرى﴾ [النجم: ١٢].

المدار على صحة النقل:

٤ - والرأى أن من اطمأن قلبه إلى صدق الرواية فى شىء من الخوارق الحسية، كان إيمانه بها حتما، تابعا لدرجة صدق الرواية عنده، ومن لم يطمئن إلى شىء منها فلا يتوقف صحة إيمانه بالرسول على إيمانه بها، وكفى بالقرآن ومتواتر أخلاقه ﷺ برهانا وبراهين على صدقه عليه الصلاة والسلام.

(الفتاوى للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق فضيلة الشيخ محمود شلتوت / ٤٢ - ٤٧).

*** خواشت:**

قالت ياقوت:

خواشت: بضم أوله ويفتح، وبعد الألف الساكنة شين معجمة ساكنة أيضا: من قرى بلخ؛ ينسب إليها أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن على الخواشتى، فقيه محدث، روى عن على بن عبد العزيز البغوى وعبد الصمد ابن المفضل.

(معجم البلدان ٢ / ٣٩٨).

*** خواص آية الكرسى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١٠٤٣٧.

المؤلف: مجهول.

أولها: فصل فى التصريف بآية الكرسى الشريفة لقضاء الحاجات ونيل الرغبات. تقرأ آية الكرسى ثلاثا ثم تقول: الله الحى القيوم العلى العظيم مائة مرة، ثم تقرأ الدعوة الآتية مرة وإذا كان الأمر مهما جدا فاقرأ الصلاة الكمالية.

آخرها: صلاة وسلاما يتم نورهما ويدوم لنا أبدا ويتجدد ثوابهما ولا ينقطع سرمدا يا الله عدد ٣. إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد عدد ٣ وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

أوصاف المخطوط: نسخة حديثة كتبت بخط معتاد. وموضوعها أقرب إلى الأدعية من علوم القرآن.

ق	م	س
٢	١١×١٧	٢٤

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٥، ١١٦).

*** خواص الأحجار:**

انظر: نزهة الأبصار فى خواص الأحجار.

*** خواص الأحجار من اليواقيت والجواهر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الأحجار مخطوط بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف عز الدين أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن على بن طرخان الأنصارى السويدى (٦٠٠ - ٦٩٠ هـ).

(بروكلمان ملحق ١ / ٦٥٠).

ابتدأه بالياقوت وختمه بحجر المغناطيس.

أوله: بعد الديباجة: فمنه الياقوت. قال أبو الريحان: الياقوت أربعة أنواع ... إلخ.

وآخره: وذلك أنه إذا أخذ منه زنة أوقية أو أقل، ثم وضع شىء من الفضة بعيدا عنه بقدر خمسة أذرع جذب الفضة ولو كانت مسمرة والله أعلم بالصواب.

ـ نسخة بقلم معتاد بخط محمد أبى اليسر بن أحمد شهاب بن محمد بن أبى الجود بن برهان الدين سنة ٩٨٩. فى ٤ ورقات ومسطرتها ٢٨ سطرا.

[دار الكتب المصرية - ١٢٠ طب].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ٤٠).

*** خواص الأسماء:**

مخطوط بدار الكتب القطرية.

لعثمان النحريرى الحنفى الشناوى.

ناقص الطرفين

المقاس ١٤ × ١٠ سم، مسطرتها ١٧ سطرا.

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٥).

*** خواص أسماء الله الحسنى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٩٢٧٦.

المؤلف: جلال الدين؟

أولها: هذه معرفة خواص أسماء الله الحسنى وهى تسعة وتسعون أسما من إملاء الشيخ الأصل العالم جلال الحق والحقيق والشريعة والدين قدس الله تعالى سره. هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة.. من قرأها كل يوم ألف مرة جعله الله من أهل اليقين.

آخرها: يا وارث: كل من قرأ هذا الاسم ماية مرة قبل طلوع الشمس لم يصب جسده ألم..

ياصبور: كل من كان به مرض أو وجع فى جسده يقرأ هذا الاسم ثلاثا وثلاثين فإن الله يصبره ويعفيه ويشفيه.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود، الأسماء الحسنى مكتوبة بالأحمر.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم من الرسائل فى التصوف والمنطق وغيرها، منها: مطالع الجود بتحقيق التنزيه فى وحدة الوجود، الدرة الفاخرة فى تحقيق مذهب الصوفية، إتحاف أهل الإيمان فى أن النبى ﷺ لا يخلو عنه زمان أو مكان وغيرها.. على المجموع قيد وقف الشيخ حسن بن عبد اللطيف العمرى، وقيدا تملك الأول باسم محمد بن إبراهيم ابن محمد الدكدجى. والآخر باسم على بن محمد محب الدين، كتب المجموع بخطوط مختلفة وهو بحالة حسنة.

ق	م	س
٣(١٥٠-١٥٢)	٢٠,٥ × ١٥	٢٩

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٢، ١١٣).

*** خواص أسماء الله الحسنى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١١١٦٣.

المؤلف: مجهول.

أولها: الله - وخاصيته زيادة اليقين، وتيسير المقاصد المحمودة فى الذوات والصفات والأفعال فقد قالوا: من داومه بصيغة (يا ألله ياهو) رزقه الله كمال اليقين. وفى الأربعين الإدريسية - يا ألله المحمود فى كل فعاله - قال السهروردى من تلاه يوم الجمعة قبل الصلاة على طهارة ونظافة ثياب خاليا سرا مائتى مرة تيسر له مطلوبه.

آخرها: الرشيد ـ وخاصية قبول العمل فليكن لذلك بعد العشاءماية مرة والله أعلم، الصبور ـ وخاصيته لدفع البلايا فمن ذكره قبل طلوع الشمس ماية مرة لم تصبه نكبة وبالله التوفيق.

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الحادى عشر الهجرى كتبت سنة ١٠٠١ هـ (ق ٢٢) بخط نسخى معتاد وبالمداد الأسود الأسماء الحسنى مكتوبة بالأحمر. أحيطت الكتابة بأطر مرسومة بالأحمر.

على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد شمس الدين الرفاعى. توجد هذه النسخة فى مجموع يضم الصلوات المسماة بالكبريت الأحمر، وإسبال الكسا على النسا، وترقيق الأسل لتصفيق العسل، وقلائد العقيان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان لابن حجر.

الغلاف من الجلد المزخرف ولكنه ممزق.

ق	م	س
١٣ (١ ـ ١٣)	٢٠×١٤	١٧.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٤، ١١٥).

*** خواص الأسماء الحسنى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتب الأسد).

الرقم ٩٨٢٨

المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ.

أوله: قال الشيخ الأجل العالم العلامة جلال الدين قدس الله سره العزيز، هذا ما أمليته فى خواص أسماء الله الحسنى فمن ذلك **﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾** من قرأه كل يوم ألف مرة جعله الله من أهل اليقين.

«الرحمن» من قرأه بعد كل صلاة ماية مرة أزال الله عنه الغفلة والنسيان وقسوة القلب.

آخره: «النافع» من قرأ هذا الاسم فى السفر كل يوم لم يصبيه [يصبه] شىء ولو كان بين الأعداء: وإن قرأه فى سفينة جارية ماية مرة سلمها الله تعالى.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى مخرومة الآخر كتبت بخط نسخى معتاد، وبالمداد الأسود أسماء الله الحسنى مكتوبة بالأحمر، فى بداية المخطوط ذكر لقسم من الأسماء الحسنى.

أصيب المخطوط بالرطوبة فتلفت أوراقه الأولى.

ق	م	س
١٢ (٣ ـ ١٤)	١٨ × ١١ م	١١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٣، ١١٤).

*** خواص الأسماء الحسنى ـ منقولة من المناوى الكبير شرح الجامع الصغير:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١٠٢١٩

المؤلف: مجهول.

أولها: الله ـ خاصيته زيادة اليقين لتيسير المقاصد المحمودة فى الذات والصفات والأفعال، فقد قالوا: من قرأه كل يوم ألف مرة بصيغة (يا الله، ياهو) رزقه كمال اليقين.

آخرها: الرفيع الشاهد: خاصيته الرجوع عن الباطل إلى الحق حتى إنه إذا أخذ من جبهة الولد العاق شعرا وقرأ عليه أو على الزوجة كذلك ألفا صلح حالها.

الواحد: خاصيته إخراج الخلق من القلب، فمن قرأه كل يوم ألف مرة أخرج الخلائق من قلبه فكفى خوف الخلق، وهو أصل كل بلاء. تم الخواص المنقول من شرح الجامع الصغير للمناوى.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى كتبت بخط نسخى جيد، الأسماء الحسنى مكتوبة بالمداد الأحمر. أصيبت النسخة بالرطوبة فتأثرت أعالى الأوراق.

ق	م	س
٦	١٨ × ١١ م	١٩.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١٢٣).

*** خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة (علم.):**

قال صاحب مفتاح السعادة:

واعلم: أن كنكة الملك ـ من حكماء الهند ـ استنبط الأعداد المتحابة. وذكر أنها إذا وضعت فى طعام أو شراب أو غير ذلك مما يستعمله شخصان، تألف بينهما محبة عجيبة،

وإن رسمتها على ثوبك لم يفارقك. والعدد الأصغر منها «كر»، والعدد الأكبر منها «دفر»، وترسمها برسم قلم الغبار، وتعطى الأصغر من شئت وتأكل أنت الأكبر، فإن الأصغر يطيع الأكبر بخاصية ظريفة. ويستعمل فى الزبيب، والحب، والرمان وأشباهها من الفاكهة عددا لا رسما.

ثم إن أفلاطون الإلهى، بيّن خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة، وذكر أنه: لو كتب الأعداد المتحابة فى كوز لم يمسه الماء، وشرب منه شخصان، فإنه يتولد بينهما محبة أكيدة لم يعهد ذلك قبل؛ وأنه: لو روعى فى الأعداد المتباغضة مثل ذلك، فإنه يظهر بينهما عداوة راسخة بإذن الله تعالى.

وأما طريق استخراج الأعداد المتحابة فقد بُين مستوفًى ببراهين عددية فى كتاب «تذكرة الأحباب فى بيان التحاب»؛ وهذا كتاب نفيس يدل على فضل مؤلفه، وعلو كعبه فى العلوم الرياضية، يشهد بذلك كتابه المذكور.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٤).

انظر: خواص الأعداد وجمع المتواليات.

*** خواص الأعداد وجمع المتواليات:**

مما أورده عالم الرياضيات بهاء الدين العاملى (انظر ترجمته فى م ٧ / ٥٤٨ ـ ٥٥٠) فى كتابه «الكشكول». فيقول الأستاذ الدكتور جلال شوقى عن ذلك:

تناول صاحب الكشكول فى هذا المجال تعريف العدد. وبيان الأعداد المتحابة بيد أنه لم يأت فيها بجديد حيث سبقه إليها ثابت بن قرة الحرانى. ثم عرج العاملى إلى الأعداد التامة والزائدة والناقصة. وربط بين صفات آدم وحواء وبين خواص الأعداد. وقدم تفسيرا للقول المنسوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام من أن حواء خلقت من الضلع الأيسر (من اليسير أو القليل حسب قول العاملى) لآدم.

ولقد تعرّض العاملى لقواعد إيجاد مجموع الأعداد على النظم الطبيعى (أى جمع المتوالية الحسابية التى أساسها الواحد). ومجموع الأزواج دون الأفراد، ومجموع الأفراد دون الأزواج، كذا مجموع المربعات المتوالية، ومجموع المكعبات المتوالية، وهذه المتواليات جميعها قد سبق ورودها فى متن كتاب العاملى «خلاصة الحساب» (انظر مادة «خلاصة الحساب»).

«أجمع الحسَّاب على أن تعريف العدد بأنه نصف مجموع حاشيتيه، وهو لا يصدق على الواحد، إذ ليس له حاشية تحتانية، وفيه نظر. إذ الحاشية الفوقانية لكل عدد تزيد عليه بمقدار نقصان الحاشية التحتانية عنه. ومن ثمة كان مجموعهما ضعفه.

وقد أجمعوا على أن العدد إما صحيح أو كسر، فنقول الحاشية التحتانية للواحد هى النصف، فالفوقانية واحد ونصف، لأنها تزيد على الواحد بقدر نقصان التصف عنه، كما هو شأن حواشي الأعداد، والواحد نصف مجموعها.

فالتعريف المذكور صادق على الواحد، بل نقول: التعريف المذكور صادق على جميع الكسور أيضا، وليس مخصوصا بالصحاح، مثلا يصدق على الثلث أنه نصف مجموع حاشيتيه. فالتحتانية السدس والفوقانية ثلث وسدس. أعنى نصفا، ولا شك أن الثلث نصف مجموع النصف والسدس، وهو المراد».

[٢] «للشيخ الرئيس رسالة فى العشق، وقال فيها إن العشق سار فى المجردات والفلكيات والعصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات، حتى إن أرباب الرياضى قالوا الأعداد المتحابة، واستدركوا ذلك على إقليدس، وقالوا فاته ذلك ولم يذكره، وهى:

المائتان والعشرون عدد زائد، أجزاؤه أكثر منه، وإذا جُمعت كانت أربعة وثمانين ومائتين بغير زيادة ولا نقصان.

والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص، أجزاؤه أقل منه، وإن جُمعت كانت جملتها مائتين وعشرين.

فلكل من العددين المتحابين أجزاء مثل الآخر:

فالمائتان والعشرون لها نصف، وربع، وخمس، وعشر، ونصف عشر، وجزء من أحد عشر، وجزء من اثنين وعشرين، وجزء من أربعة وأربعين، وجزء من خمسة وخمسين، وجزء من مائة وعشرة، وجزء من مائتين وعشرين، وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون.

والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف، وربع، وجزء من أحد وسبعين، وجزء من مائتين واثنين وأربعين، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين، فذلك مائتان وعشرون.

فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين، وأصحاب العدد يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة فى المحبة. مجرب. انتهى».

[٣] أشرف الأعداد العدد التام، وهو ما كانت أجزاؤه مساوية له: قالوا ولهذا كان عدد الأيام التى خلقت فيها السموات والأرض، وهو الستة، كما نطق به الذكر الحكيم.

وأما العدد الزائد أو الناقص فما زادت عليه أجزاؤه أو نقصت، كالاثنى عشر فإنه زائد، والسبعة فإنها ناقصة، إذ ليس لها إلا السُّبع.

قال فى الأنموذج (للمحقق الدوانى) وقد نظمت قاعدة فى تحصيل العدد التام، فقلت

حو باشد فرد أول ضع ف زوج الزوج ناقص وزايد.

بـــود مضـــرب ايشـــان تـــا

م وزنـــه نـــاقص وزايـــد

ومعناه أنه يؤخذ زوج الزوج، وهو زوج لا يعده من الأفراد سوى الواحد.

وبعبارة أخرى عدد لا يعده عدد فرد، وهذا مبنى على أن الواحد ليس بعدد كالاثنين فى المثال المذكور، ويضعَّف حتى يصير أربعة، ويسقط منه واحد فيصير ثلاثة، وهو فرد أول لأنه لا يعده سوى الواحد فرد آخر وهو المراد بالفرد الأول، فتضرب الثلاثة فى الاثنين الذى هو زوج الزوج، فيصير ستة وهو العدد التام، وقس عليه.

مثلا تأخذ الأربعة، وهو زوج الزوج، وتضعفه حتى يصير ثمانية، وتسقط منه واحدا، فيصير سبعة، وهو فرد أول، فتضربه فى الأربعة فيصير ثمانية وعشرين، وهو أيضا عدد تام.

ومن خواص العدد التام أنه لا يوجد فى كل مرتبة من الآحاد والعشرات وما فوقها إلا واحدا.

لا يوجد مثلا فى مرتبة الآحاد إلا الستة، وفى العشرات إلا الثمانية والعشرين، فقس واستخرج الباقى كما عرفت».

[٤] «قال بعض أصحاب الأرتماطيقى (انظر مادة «الأرتماطيقى (علم ـ) فى م ٣/ ٥٥٩ ـ ٥٦١):

إن عدد التسعة بمنزلة آدم عليه السلام، فإن للآحاد نسبة الأبوة إلى سائر الأعداد.

والخمسة بمنزلة حوآ، فإنها التى يتولد منها مثلها، فإن كل عدد فيه خمسة، إذا ضرب فيما فيه الخمسة، فلا بد من وجود الخمسة بنفسها فى حاصل الضرب ألبتة.

وقالوا فى قوله تعالى ﴿طه﴾ إشارة إلى آدم وحوآ، وكل من هذين العددين إذا جمع من الواحد إليه على النظم الطبيعى، اجتمع ما يساوى عدد الاسم المختص به، فإذا جمعنا من الواحد إلى التسعة، كان خمسة وأربعين، وهو عدد آدم، وإذا جمع من الواحد إلى الخمسة، كان خمسة عشر، وهو عدد حوآ.

وقد تقرر فى الحساب إنه إذا ضرب عدد فى عدد، يقال لكل من المضروبين ضلع، وللحاصل مضلع.

وإذا ضربت الخمسة فى التسعة، حصل خمسة وأربعون، وهى عدد آدم، وضلعاه التسعة والخمسة.

قالوا وما ورد فى لسان الشارع صلوات الله عليه وآله من قوله خلقت حوآ من الضلع الأيسر لآدم، إنما ينكشف سره بما ذكرناه، فإن الخمسة هى الضلع الأيسر للخمسة والأربعين، والتسعة الضلع الأكبر، والأيسر من اليسير وهو القليل، لا من اليسار، انتهى».

[٥] «جمع الأعداد على النظم الطبيعى: بزيادة واحد على الأخير، وضرب المجموع فى نصف الأخير.

وجمع الأزواج دون الأفراد: بضرب نصف الزوج الأخير فيما يليه بواحد، والعكس بزيادة واحد على الفرد الأخير، وتربيع نصف الحاصل.

وجمع المربعات المتوالية بزيادة واحد على ضعف العدد الأخير، وبضرب ثلث المجموع فى مجموع تلك الأعداد.

وجمع المكعبات المتوالية بضرب مجموع تلك الأعداد المتوالية من الواحد فى نفسه».

ويسوق الأستاذ الدكتور جلال شوقى خمس مسائل من كتاب «الكشكول» لبهاء الدين العاملى ويشرحها، ما عدا المسألة الثالثة. وكتاب «الكشكول» طبعة مصر سنة ١٣٠٢ هـ ـ ١٨٤٤ م. المطبعة العامرة الشرفية (مطبعة الشيخ شرف موسى، بخان أبى طاقية بمصر). وهاهى المسائل الخمس وشرحها:

الكشكول ـ طبعة مصر ـ صفحة ٢٨٢ (الجزء الثالث).

شرح المسألة الأولى: يعرف العدد هنا بأنه نصف مجموع العدد السابق له والعدد اللاحق له (ويعبر عنهما فى المتن بالحاشيتين). مثل ذلك الرقم ٥ نصف مجموع ٤ ، ٦ . وبالنسبة للواحد يقول العاملى إن التعريف السابق ينطبق عليه أيضا إذا اعتبرنا حاشيتيه هما $\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٢}$ ١ (أى أن الواحد حدا فى سلسلة عددية تزايدها = $\frac{١}{٢}$).

كذلك بالنسبة للكسر $\frac{١}{٣}$. فإذا اعتبرناه حدا فى متوالية حسابية تتزايد حدودها بالقيمة $\frac{١}{٦}$. يكون الكسر $\frac{١}{٣}$ وسطا حسابيا لـ $\frac{١}{٦}$ و(وهو الحاشية التحتانية). ($\frac{١}{٣}$ + $\frac{١}{٦}$) = $\frac{١}{٢}$ (وهو الحاشية الفوقانية).

الكشكول ـ طبعة مصر ـ الصفحتان ١٩١ ، ١٩٢ (الجزء الثانى).

شرح المسألة الثانية: يشير بهاء الدين العاملى ـ فى هذا النص إلى الأعداد المتحابة، ويسوق لها مثلا هو العددان ٢٢٠ ، ٢٨٤ : فالعدد ٢٢٠ يقبل القسمة على كل من الأعداد التالية (وهى عوامله).

٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ ، ٢٢٠ فتكون أجزاؤه على التوالى: ١١٠ ، ٥٥ ، ٤٤ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١١ ، ١٠ ، ٥ ، ٤ ، ٢ ، ١ . ومجموع هذه الأجزاء هو ٢٨٤ ، ومن ثمَّ فهى أكثر من العدد نفسه، ومن هنا جاءت تسميته بعدد زائد.

أما العدد ٢٨٤ فإنه من الممكن قسمته على كل من الأعداد (العوامل):

٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ ، ٢٨٤ ، فتكون أجزاؤه على التوالى:

١٤٢ ، ٧١ ، ٤ ، ٢ ، ١ ، ومجموعها ٢٢٠ ، وهو أقل من العدد الأصلى ٢٨٤ ، ولذا يسمى عدد ناقص.

يتضح فى هذا المثال أن العدد ٢٢٠ يقبل القسمة على مجموعة من الأعداد (يطلق عليها هنا عوامل العدد) تؤدى إلى أن يكون المجموع الحسابى لأجزائه هو ٢٨٤ ، بينما هذا العدد الأخير ٢٨٤ يقبل القسمة على مجموعة من الأعداد (العوامل) ليصبح المجموع الحسابى لأجزائه ٢٢٠ وهو العدد الأول. ومن ثمَّ تطلق على العددين ٢٢٠ ، ٢٨٤ تسمية العددين المتحابين.

هذا وينسب إلى ثابت بن قرة الحرانى (٨٣٦ ـ ٩٠١م) أنه توصل إلى قاعدة لإيجاد الأعداد المتحابة . حيث إنه ألَّف فيها رسالة، يوجد مصور لها فى معهد المخطوطات العربية٤٤٨ بالقاهرة تحت رياضيات رقم ١٨ .

المسألة الثالثة:

الكشكول ـ طبعة مصر ـ الصفحتان ٣٢٦ ، ٣٢٧ (الجزء الثالث).

المسألة الرابعة: الكشكول ـ صفحة ٢٩١ (الجزء الثالث).

شرح: يشير العاملى هنا إلى الربط بين صفات آدم وحواء وبين خواص الأعداد . فينقل عن بعض أصحاب الأرتماطيقى (أى الحساب) قولهم بأن آدم يقابل رقم ٩ ، وأن حواّ تقابل رقم ٥ ، معتمدين فى هذه النسبة إلى أن التسعة هى كبرى الأرقام العشرة من الصفر إلى التسعة، وبذلك تكون بمرتبة الأبوة بالنسبة إلى بقية الأرقام، وأن الخمسة ينشأ عن ضربها فيما فيه الخمسة عدد فيه خمسة، ومن ثمَّ وصفها بأنها التى يتولد منها مثلها.

فإذا أخذنا رقم ٩ وجدنا أن مجموع الأرقام من الواحد إليه (أى ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩) =٤٥ وهو عدد آدم، ولتفسير ذلك يجدر بنا أن نشير إلى أن العرب ــ قبل استعمالهم الأرقام الهندية وتهذيبها ـ كانوا يشيرون إلى الأعداد بحروف الهجاء، كما كان الحال عند اليونان فى صدر الفتح الإسلامى، وذلك على النحو التالى:

أ	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
جـ	٣	ى	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
هـ	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

ومن هنا فإن كلمة آدم تشتمل على الحروف أ، د، م، وبالتالى يكون المقابل العددى لكلمة آدم هو:

أ+ د+ م = ١ + ٤ + ٤٠ = ٤٥

وهو نفس العدد الناتج عن جمع الأرقام من الواحد إلى التسعة (منزلة آدم) بتسلسلها الطبيعي.

كذلك الحال بالنسبة لكلمة حوآ. فإن المقابل العددى لها هو:

ح+ و +أ + ٨ + ٦ + ١ = ١٥

وهو نفس العدد الذى نحصل عليه بجمع الأرقام من الواحد إلى الخمسة (منزلة حوآ).

انظر مادة «أبجد» فى م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨، ومادة «حساب الجُمَّل» فى م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤.

يعرج العاملى بعد تناوله لجمع مكونات كلمتى آدم وحوآ ومنزلتهما من الأرقام إلى السمات الناتجة عن عمليات الضرب، فيبدأ بتعريف الضلع والمضلع بأن الضلع هو المضروب أو المضروب فيه، وأن المضلع هو حاصل الضرب، ويستطرد قائلا بأن حاصل ضرب التسعة (وهى منزلة آدم) فى الخمسة (وهى منزلة حوآ) هو ٤٥، وهو عدد آدم كما تقدم، فيكون ضلعا عدد آدم هما منزلتا آدم وحوآ (أى التسعة والخمسة).

وبناء على هذه الخواص يقول فى تفسير خلق حوآ من الضلع الأيسر لآدم بأن منزلة حوآ وهو الخمسة هى الضلع الأصغر (الأيسر) من الضلعين ٩، ٥ المكونين للمضلع ٤٥ وهو عدم آدم.

المسألة الخامسة:

الكشكول ـ طبعة مصر ـ صفحة ٣١٣ (الجزء الثالث).

(١) أضيفت لتتفق مع القاعدة الثانية من الباب التاسع من كتاب «خلاصة الحساب»، وهى قاعدة صحيحة.

شرح المسألة الخامسة: يشير العاملى هنا إلى جمع المتواليات العددية على النظم الطبيعى، كذا جمع المربعات المتوالية والمكعبات المتوالية، وهو ما جاء ذكره تفصيلا بقواعد الباب التاسع من كتابه «خلاصة الحساب»:

جمع الأعداد على النظم الطبيعى

= (١ + ٢ + ٣ + ٤ + ... + ن)

= (ن + ١) $\frac{ن}{٢}$ (القاعدة الأولى)

جمع الأزواج دون الأفراد

= (٢ + ٤ + ٦ + ٨ + ... + (ن ـ ٢) + ن)

= $\frac{ن}{٢}$. ($\frac{ن}{٢}$ + ١) (القاعدة الثالثة)

جمع الأفراد دون الأزواج

= (١ + ٣ + ٥ + ٧ + ... + (ن ـ ٢) + ن)

= ($\frac{ن + ١}{٢}$)^{٢} (القاعدة الثانية)

جمع المربعات المتوالية

= (١^{٢} + ٢^{٢} + ٣^{٢} + ٤^{٢} + ... + ن^{٢})

= $\frac{٢ ن + ١}{٣}$ [١ + ٢ + ٣ ... + ن]

= $\frac{ن (ن + ١) (٢ ن + ١)}{١ × ٢ × ٣}$ (القاعدة الرابعة).

جمع المكعبات المتوالية

= (١^{٣} + ٢^{٣} + ٣^{٣} + ٤^{٣} ... + ن^{٣})

= (١ + ٢ + ٣ + ٤ + ... + ن)^{٢}

= [$\frac{ن (ن + ١)}{٢}$]^{٢} (القاعدة الخامسة)

(الأعمال الرياضة لبهاء الدين العاملى ـ تحقيق وشرح وتحليل د. جلال شوقى / ١٨١ ـ ١٨٩).

*** خواص الأقاليم (علم-):**

قال صاحب مفتاح السعادة:

وهو علم يتعرف منه ما فى كل أقليم أو بلد من المنافع والمضار والعجائب والغرائب. وهذا علم جليل ترتاح إليه النفوس. مثل: ما روى أن ببلاد الهند وردًا مكتوباً فى الورقة منها: «محمد رسول الله»، رواه الذهبى فى «الميزان». ونظيره ما ذكره ابن العديم فى «تاريخه»، فى ترجمة الحسن بن أحمد ابن الحسن الوراق الخواص المصيصى، أنه روى مسندًا إلى على بن عبد الله الهاشمى، أنه رأى فى بعض بلاد الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض «لا إله إلا الله محمد رسول الله. أبو بكر الصديق عمر الفاروق».

فظننت أنه معمول، ففتحت وردة لم تفتح بعد فكان فيها مثل ذلك، وفى البلد منه شىء كثير، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، ولا يعرفون الله عز وجل.

وحكى الشيخ اليافعى فى كتابه المسمى «بروض الرياحين»، عن بعض الشيوخ، أنه ببلاد الهند، شجرة تحمل

ثمرة تشبه اللوز لها قشير، إن كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية، مكتوب عليها بالحمرة: «لا إله إلا الله. محمد رسول الله» كتابة جلية، وهم يتبركون بها، ويستسقون بها إذا منعوا من الغيث. فحدثت بها أبا يعقوب الصياد، فقال لي: ما أستعظم هذا. كنت أصطاد على نهر الأبلة، فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن أو أذنها اليمنى: «لا إله إلا الله»، وعلى جنبها الأيسر أو أذنها اليسرى: «محمد رسول الله»، فقذفتها في الماء احترامًا لما عليها.

قلت: سمعت من أثق به، أنه يروى عمن يثق به، أنه رأى جرادة في أحد جناحيها: لا إله إلا الله» وفي الآخر: «محمد رسول الله».

وأمثال هذه الغرائب والعجائب في الآفاق. خارج عن إحاطة الأوراق. سبحان مبدعها ومخترعها، جل جلاله وعم نواله. وكتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني أتى بالعجب العجاب. وكتاب آخر في هذا الباب أحسن من كتاب القزويني، لكن لم أتذكر اسمه، ثم سألت عنه واحدًا من أصحابي، فقال: إنه «خريدة العجائب» لابن الوردي.

وفيها كتاب آخر، «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الصقلي، و «تقويم البلدان» لياقوت الحموي، وغير ذلك.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٦٢، ٣٦٣).

قالت المؤلفة: عندي كتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني، ط مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م، وكذلك عندي كتاب «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لابن الوردي. مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاجه عبد السلام بن محمد بن شقرون. بدون تاريخ.

*** خواص الإكسير:**

من مخطوطات الكيمياء بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي :-

تأليف جابر بن حيان الصوفي.

الموجود منه المقالة السادسة إلى المقالة الحادية عشرة وبها ينتهي الكتاب.

وأولها بعد البسملة: واعلم أن الإكسير الأعظم له خواص عجيبة، وقد رأيناها وامتحناها فوجدناها صحيحة، ومنها سريع، ومنها بطيء، فإنا لابد ضرورة محتاجون إلى أن نقول في ماهيته أولا، وإنما هو من الأكاسير، فنقول ونبدأ بعون الله أن الإكسير الأعظم ينقسم قسمين تامين، أحدهما الذي يعمل البياض والثاني الذي يعمل الحمرة ... إلخ.

وآخره: وخاصيته: أنك إذا أخذته وجعلت منه في لوائك حجراً زنة أربع دوانق، فلا تلق بلوائك عسكراً إلا هزمته.

ـ نسخة بقلم نسخ معتاد، لعله من خطوط القرن الحادي عشر، ومسطرتها ١٥ سطرا ١٤×٢١ سم.

(الكتاب الأول ضمن مجموعة)

[مكتبة الفاتح ـ ٥٣٠٩].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد السيد، القاهرة ١٩٦٣ / ٤٠، ٤١).

قالت المؤلفة: جاء في المعجم الوسيط ١ / ٢٢ مادة الإكسير ما يلي: مادة مركبة، كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب.

*** خواص الإنسان:**

في القسم السادس من بحثه في حقيقة الإنسان يتناول القزويني خواص الإنسان وفوائد أجزائه نسوق لك بعضًا منها فيما يلي:

أما خواصه فكثيرة:

منها النطق وهو القوة التي يعرف بها الإنسان ما في ضمير غيره بواسطة رمز أو إشارة أو كناية والكلام أقوى الدلالات منها.

ومنها قوة التعجب وهي التي توجب الضحك عند رؤية ما يتعجب منه وذلك من خاصة الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات.

ومنها نبات الشعر على رأسه بخلاف سائر الحيوان لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون شعر الحيوانات كسوتها ووقايتها من الحر والبرد، أما الإنسان فلما كانت كسوته من خارج جعل شعره على رأسه ليكون زينة ووقاية، وخلق الإنسان أزعر إذ لو كان أزغب لبطل الجمال وحاسة اللمس.

ومنهـا الشيب فإنـه لا يـوجـد إلا في الإنسـان وسببـه أن الإنسان أضعف حرارة وأكثـر رطوبة وبياض الشعـر إنما يكون من بلغم متعفن ولهذا لا يوجد إلا عند تغير المزاج إلى الرطوبة في آخر سن الكهولة عند قصور الحرارة وكثرة الرطوبة فيحدث بخار متراوح متعفن يتولد منه شعر أبيض.

ومنهـا أنه إذا لمس العضـو الـوجع بالكف خف وجعـه، وكذلك إذا أصابـه ضربة أو خدشـة يمسكها بكفه فيسكن في الحال.

ومنها سراية بعض الأمـراض، زعموا أن من أدام النظر إلى العين الـرمـدة تـرمـد عينـه، ومن خـالط الأجـرب والأبـرص والمجذوم يحل به مثله.

ومنهـا أن الأبـرص إذا مشى حـافياً على الأرض لا ينبت موضع قدمه.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٣١).

*** خواص أهل التخصيص والتنصيص:**

من مخطـوطات المنـاقب بمـركز الملك فيصل للبحـوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وجاء بيانه كما يلي:

رقم الحفظ: ٦٧. ف.

الفن: مناقب.

عنــوان المخطــوطـــة: خــواص أهل التخصيـــص والتنصيـص.

اسم المـؤلف: محمـود بـن محمـد، القـزويني، ضيـاء الدين.

اسم الشهرة: القزويني.

تاريخ وفاته: ...

المصادر: نوادر المخطوطات العربية ٢ / ١٧٨.

بدايـة المخطوطة: ... مـا من أصحابي أحـد إلا لو شئت لوجدت عليه إلا أبا عبيدة، رضي الله عنه وعنهم وأجمعين.

نوع الخط: نسخ معتاد.

تاريخ النسخ: ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م القرن ٧ هـ

ملاحظات عامة: نسخة جيدة وكـاملة، تناول فيها مؤلفها خصـائص وصفات العشـرة المبشـرين بـالجنة من أصحـاب رسـول الله ﷺ، وفي آخر النسخـة شجرة بنسبـه عليه الصـلاة والسلام وأصحابه العشرة.

مكان الحفظ: رشيد أفندي، برقم ١٢٠ / ٣.

(فهـرس المصورات الميكـروفيلميـة بقسم المخطوطـات مركز الملك فيصل للبحـوث والدراسات الإسلاميـة الرياض. العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م/ ٦٥).

*** خواص أوراد شهاب الدين السهروردي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف

مخطـوط بـدار الكتب الظـاهـريـة بـدمشق (أو بمكتبـة الأسد).

الرقم ٨٧٣٤

ـ رسالة في خواص أسمـاء الله بحساب الجمل مع إقرانها بفضائل وما تنتجه من الخواص.

المـؤلف: أبـو حفص شهـاب الـدين عمـر بن محمـد السهروردي الشافعي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ١٢٣٤ على رواية.

أولهـا: الحمـد لله رب العـالميـن والصـلاة والسـلام على رسوله... اعلم أن هذه الرسالة في شرح خواص الأربعين اسم من أسمـاء الله تعالى العظيمة ينبغـي لكل إنسان ما يحـرم من بركات هذا الدعاء والاسم العظيم ثم الله.

آخرها: وكذلك يقبل الأعضـاء قبولاً حسناً لاستغذائها من الفضلات بسبب الـرياضة فتستقيم الصحـة بإذن الله عز وجل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم...

الخط نسخ معتاد الحبر: أسود.

تاريخ النسخ: سنة ١١٢٥ هـ.

مصـــادر عن المـــؤلـف: معجم المـــؤلفين ٧ / ٣١٣، الأسنوي: طبقات الشافعية ٢ / ٦٣.

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظـاهـرية. التصـوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥١١، ٥١٢).

*** خواص البُردة في برء الداء:**

من مخطوطـات الأدب في مكتبة المتحف العـراقي وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٢٩١٠٤

لعبد السلام بن إدريس المراكشي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢م.

وهي شرح على البردة للبوصيري. ذكرها بروكلمان بالعنوان الذي ذكرناه (بروكلمان ٥ / ٩٥).

نسخة جيدة، ناقصة قليلا من الديباجة، كتبها إبراهيم بن محمد البلواجي سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م، في آخرها مجموعة من القصائد والتخاميس، كالقصيدة المضرية، والقصيدة الاستغفارية لأبي مدين المغربي، والقصيدة النعمانية، ومناجاة الميمونة لجمال القرماني.

٧٨ ص. ٢١ × ١٥,٤٥ سم. ١١ س.

في فهرس أوقاف الموصل نسب الكتاب لعبد السلام النابلسي ٥ / ١٧.

نسخة أخرى

الرقم ١٣٠٥٩ / ٢

جيدة الخط، مؤطرة الصفحات، كتبها سليمان بن عمر.

٨ ص ٢٤×١٦ سم. ١٧ س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٩).

*** خواص البسملة:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم.

مخطوطات بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦٠٩٠

المؤلف: أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني الجزائري المتوفى سنة ١١٣٩.

أوله: قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق أبو العباس البوني... الحمد لله الذي أودع سره المصون عباده المخلصين وخص بغوامض علمه من اختار ولم يخالطهم ظنون فوصف نفسه الواصفون **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾** ... وبعد فقد سألني بعض أهل الرغبة والمجدين من الطلبة عن الله الكريم الخفي عن التعليم المودع في بسم الله الرحمن الرحيم.

آخره: وإذا كتبت البسملة والقمر في الحوت والطالع به سعيد في رق غزال وحمله عاش سعيدا ومات شهيدا. ولم ير في ماله ونفسه وأهله ما يكره ببركتها وفضائلها. وخواصها لاتحصى ولا توازيها الجبال والحمد لله رب العالمين.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط فارسي معتاد وبالمداد الأسود، مع النسخة مجموعة من الرسائل، فيها شرح كلمات الإمام علي كرم الله وجهه، ومناقب الإمام أبي حنيفة للزيلعي، والأحاديث الموضوعة لحسن بن محمد الصنعاني [الصغاني] المجموع مفروط الأوراق منزوع عن الغلاف وهو يحتاج إلى صيانة.

م	ق
١٥,٥ × ٢١,٥.	٤ (٥٤ ـ ٥٧)

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١١٦، ١١٧).

قالت المؤلفة: مؤلف كتاب الأحاديث الموضوعة المذكور أعلاه هو «الصغاني» «وليس الصنعاني»، والكتاب عندي وقد طبع بعنوان «موضوعات الصغاني» للإمام أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني المتوفى سة ٦٥٠ هـ ـ حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه نجم عبد الرحمن خلف. دار المأمون للتراث. دمشق بيروت. الطبعة الثانية.

*** الخَوّاص (جامع ـ):**

قال عنه علي مبارك في خططه:

وهو بحارة الخواص من الحسينية على يسار الذاهب من الحارة إلى السور المطل على باب النصر بقرب الموضع المعروف بالزلاقة. وبه منبر وخطبة وشعائره مقامة بنظر ديوان الأوقاف.

وفيه ضريح سيدي علي الخواص رضي الله عنه عليه قبة صغيرة، وله حضرة كل أسبوع ومولد سنوي، وقد ذكرنا مناقبه من طبقات تلميذه سيدي عبد الوهاب الشعراني في الكلام على بلدته البرلس.

وبجواره ضريح يقال إنه للشيخ محمد أبي البركات.

وبجواره ضريح عليه مقصورة من الخشب يقال إنه للشيخ يوسف العبري.

وفي طبقات الشعراني أن هناك قبر الشيخ ناصر الدين

النحاس. قال: كان من رجال الله المستورين، وكان على قدم التعب لا يذيق نفسه راحة ولا شهوة، وكان يذهب كل يوم إلى المذبح فيأتي بكروش البهائم وطحالاتها ونحو ذلك فى قفة على رأسه، فيطعمها للكلاب والقطط العاجزة عن التقوت والحدا والغربان، وسافر إلى مكة على التجريد ولم يقبل من أحد شيئا ألبتة. وكان له كرامات كثيرة تركناها لكونه كان يحب الخمول. مات رضى الله عنه سنة خمس وأربعين وتسعمائة ودفن بزاوية الشيخ على الخواص رضى الله عنه خارج باب الفتوح بالمحروسة انتهى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٧، ٢٢٨).

انظر: الخواص (على).

*** خواص الحروف (علم٠):**

قال صاحب مفتاح السعادة:

واعلم أن للحروف المذكورة فى فواتح السور، بل للحروف مطلقا خواص جليلة، ومنافع جزيلة، يعرفها أهلها وقد أورد هذا العلم الشيخ عبد الرحمن البسطامى فى كتبه المؤلفة فى هذا الشأن.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٤٧).

*** خواص حزب البحر للشاذلى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٤٠١٢.

ـ تكلم فيه على خواص حزب البحر جعله من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة المقدمة على خواصه١ ـ الكلام على حقيقة الحزب وحكمته وحكمه ٢ ـ فى شروطه والعمل به ونية واضعه ٣ ـ فى اختصاصه وسبب وضعه الخاتمة تدور على فصول ثلاثة مرجعها لحكم التشابه ووجهه وكيفيته.

المؤلف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن أحمد بن زروق البرلسى الفاسى المتوفى سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣.

أوله: الحمد لله الذى فتح لأوليائه طرق الوسائل، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بها انتصر واحتدى، ومن حاز عن طريقهم انعكس وتردى...

آخره: كما دارت بمدينة الرسول سبحان من ألجم كل متمرد بقدرته وأحاط علمه بما فى بره وبحره، سبحان الله وبحمده العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين...

الخط نسخ على القاعدة المغربية ردىء الخط، الحبر: أسود ومتنه بالأحمر.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ١ / ١٥٥.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥١٢).

*** خواص الدمياطية وشرحها:**

لأبى عبد الله محمد ولد ابن الحاج:

أولها: الحمد لله المنزه عن الحدوث والأعراض فى الأحكام والأفعال والحلول فى المحل والمكان الرحمن الرحيم العظيم الذى خلق العالم ودبر أمره حادثا وقديما وقد سبق ذلك فى علم غيبه قبل تصويره وبروزه.

أول القصيدة:

بدأت بسم الله والحمد أولا
على نعم لم تحص فيها تنزّلا

آخر القصيدة:

كذا الأنبيا والآل والصحب كلهم
وبعد فحمد الله ختما وأولا

آخرها: ومن عطس وقال الحمد لله رب العالمين ثم تلا الأبيات مرة وصلى على النبى ﷺ أمنه الله تعالى من كل داء إلى العطسة الأخرى فمن واظب على ذلك لم تصبه نكبة فى جسده وإذا أراد الله به شيئا أنساه ذلك حتى يتصل به ما أراد.

تمت بعون الله الملك الوهاب.

الأبيات بالحمرة ولكل بيت أو مجموعة من الأبيات مربعات صغيرة وزعت الأبيات عليها بشكل هندسى جميل.

٥١ ق، ١٦ × ٢١ سم، ١٩ س، عام ١٣٠١ه

(المستدرك على فهرس مخطوطات الشعر ـ إعداد رياض عبد الحميد مراد/ ٢٤، ٢٥).

*** الخواص الروحانية (علم ـ):**

قال صاحب مفتاح السعادة: علم الخواص الروحانية من الأوفاق العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية.

وهو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر فى القوابل، حسب ما يراد ويقصد من ترتيب. الأعداد والحروف وكيفياتها.

وموضوعه: الأعداد أو الحروف.

وغايته: الوصول إلى المطالب الدينية أو الدنيوية أو الأخروية.

وغرضه وغايته وفائدته لا تخفى. وكتب عبد الرحمن المغربى نافعة فى هذا الباب، وكذا كتب الشيخ أحمد البونى، وغير ذلك من المشايخ.

وهذا العلم يمكن جعله من فروع علم الحساب، من حيث ترتيب الأعداد؛ ومن فروع علم الهندسة، من جهة تعديل تلك الأعداد أو الحروف فى الجداول الوفقية. لكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوفق حرفيا، ذكرناه فى علم الحروف التى هى من خواص القرآن ا. هـ.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٤٨)

*** الخوّاص (سيدى على):**

انظر: الخواص (جامع ـ)، الخواص (على)

*** الخواص (علم ـ):**

قال حاجى خليفة:

علم الخواص هو علم باحث عن الخواص المترتبه على قراءة أسماء الله سبحانه وتعالى وكتبه المنزلة وعلى قراءة الأدعية ويترتب على كل من تلك الأسماء والدعوات خواص مناسبة لها كذا فى مفتاح السعادة لمولانا طاش كبرى زاده قال: واعلم أن النفس بسبب اشتغالها بأسماء الله سبحانه وتعالى والدعوات الواردة فى الكتب المنزلة تتوجه إلى جناب القدس وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه فبواسطة ذلك التوجه والتخلى تفيض عليها آثار وأنوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب الاشتغال ومن هذا القبيل الاستعانة بخواص الأدعية بحيث يعتقد الرائى أن ذلك بفعل السحر انتهى. أقول: خواص الأشياء ثابتة وأسبابها خفية لأنا نعلم أن المغناطيس يجذب الحديد ولا نعرف وجهه وسببه وكذلك فى جميع الخواص إلا أن علل بعضها معقولة وبعضها غير معقولة المعنى ثم إن تلك الخواص تنقسم إلى أقسام كثيرة منها خواص الأسماء المذكورة الداخلة تحت قواعد علم الحروف، وكذلك خواص الحروف المركبة عنها الأسماء، وخواص الأدعية المستعملة فى العزائم وخواص القرآن. قال المولى المذكور وغاية ما يذكر فى ذلك كان مسنده [مستنده] تجارب الصالحين وورد فى ذلك بعض من الأحاديث أوردها السيوطى فى الإتقان وقال بعضها مرقوفات عن الصحابة والتابعين وما لم يرد [وأما ما لم يرد به] أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا والله سبحانه وتعالى أعلم بصحته.

ويقال الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله سبحانه وتعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسمانى ويشير إلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام «لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال» وأجاز القرطبى الرقية بأسماء الله سبحانه وتعالى وكلامه قال فإن كان مأثورا استحب وقال الربيع: سألت الشافعى عن الرقية فقال لابأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله. وقال الحسن البصرى ومجاهد والأوزاعى لا بأس بكتب القرآن فى إناء ثم غسله وسقيه المريض، وكرهه النخعى.

ومنها خواص العدد والوفق والتكسير. ومنها خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة كما بين فى تذكرة الأحباب فى بيان التحاب وخواص البروج والكواكب وخواص المعدنيات وخواص النباتات وخواص الحيوانات ومنها خواص الأقاليم والبلدان وخواص البر والبحر وغير ذلك وصنف فى هذه الخواص جماعة منهم أحمد البونى والغزالى والتميمى والجلدكى فى كنز الاختصاص وهو كتاب مفيد فى تلك المقاصد وغيرهم.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٥، ٦٢٦. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٤١، ٣٤٢).

*** الخوّاص (على):**

على الخواص أستاذ الإمام الشعرانى والذى نقل عنه فى

كتابيه الجواهر والدرر والطبقات، وكان حرفته ضفر الخوص، وهو مصرى من البرلس، وأمى لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك تكلم فى الطريقة وله مذهب وتفسيرات وتأويلات للقرآن والسنة حيرت العلماء. والخواص يحب للمريد أن تكون له حرفة ولم يكن يقبل ضمن تلاميذه إلا من كان من أصحاب الحِرف، ويقول إن السوقة وأهل الصنائع والحرف أعظم درجة عند الله وأنفع من المجاذيب لقيامهم فى الأسباب. والعالم عنده هو الذى علمه مستفاد من نقل فهو حاك لعلم غيره وله أجر الذى يحمل العلم فيؤديه، وأما الصوفى المتحقق فهو المُسلك أى من أهل التسليك، وعلمه خِضْرى أو لَدُنِّى يكفى الناس كلهم فى سائر ما يطلبونه. ولو أراد العالم أن يعلم مرتبته فى العلم فليرد كل قول حفظه إلى قائله وسيرى أنه لن يتبقى مما يعلمه إلا النزر اليسير الذى لا يمكن أن يصنع منه عالما. وبداية التصوف أن يعلم المبتدئ كل الشريعة بمجملها ومفصلها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها، وليس بالرجل فى اعتبار أهل الطريق من يجهل حكما واحدا. ويشرح الخواص قول الإمام أحمد بن حنبل أن التقرب إلى الله بتلاوة كلامه بفهم وبغير فهم، أن الفهم لعلماء الشريعة فإن وسيلتهم للإحاطة بمضمون القرآن هو التفكير، وأما علماء الحقيقة أو العلماء من الصوفية فطريقتهم للإحاطة بذلك المضمون هو الكشف والتعريف الإلهى وذلك لا يحتاج إلى فهم، وقد أنكر الخواص على أهل المعرفة أن يخوضوا فى التدليل على وجود الله والبرهنة على وحدانيته لهذا السبب، وقال إن الحمار يكون حينئذ أعرف منهم بالله، فالإيمان بالله شيء لا يتحدث عنه لأنه وقر فى الصدر ولا يمكن التعبيير عنه، وما ورد فى السنة من ألفاظ الإيمان يرجع إلى التصديق والإذعان اللذين يفتحان على العلم بالمعلوم المستقر فى القلب بالفطرة ولذلك لم يسأل أحد رسول الله ﷺ عن حقيقة هذه الألفاظ ولا ناقشوا أصحابها. ومن يصح توحيده ينتفى عنه الرياء والإعجاب وسائر الدعاوى المضلة، لانه يشهد بأن كل الصفات والأفعال ليست له وإنما هى لله وحده، وكمال الإسلام والإيمان فى التسليم والرضا، ومناط ذلك القلب فإذا صلح القلب كان بيت الله ومهبط الوحى الأنور، فالبيت لا يقبل إلا مشاكله فكما أن الأحرف وعاء المعانى فكذلك القلب وعاء للحق والشرع والنور، وكما أن الحرف إذا تغير بعض صورته أو نقطه فسد المعنى فكذلك القلب إذا تغير بعض صورته وصفته فسد ما فيه، وإصلاح القلب يكون بإصلاح الطعمة، وإصلاح الطعمة يكون بالكسب فى الكون مع التوكل على الله، والتوكل حقيقة هو المراقبة لله. ومذهب الخواص الذى يعلنه هو ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣].

(الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٥١، ١٥٢).

انظر: الخواص (جامع ـ).

*** خواص الفاتحة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦٨٥٠

المؤلف: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد الغزالى الطوسى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

أولها:

إذا ما كنت ملتمسا لرزق
ونجح القصد من عبد وحر
وتظفر بالذى تهوى سريعا
وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها
لما أمّلت من خير وشر

آخرها: وميم الملك ونور النبوة وها الهداية، وواو الوقاية ولام ألف الولاية وياء اليقين، أن تسخر لى عبدك الأخيضر خادم الفاتحة تسخيرا أتصرف به فى كل الأمور إنك على كل شيء قدير يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى معتاد، وتتألف من قصيدة ومن دعاء وصلاة وطريقة العمل بقراءتها.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم عددا كبيرا من الرسائل فى موضوعات مختلفة ومجموعة كبيرة من المختارات

الشعرية والفوائد العامة والطبية والفقهية وغيرها. المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة بعض أوراقه تالفة وغلافه ممزق.

ق	م	س
٢ (١٣٠ - ١٣١)	١٩ × ١٢	٢٠

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١١٧).

*** خواص القرآن:**

أدرجها الإمام البدر الزركشي تحت النوع السابع والعشرين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه:

وقد صنف فيه جماعة منهم التميمي، وأبو حامد الغزالي. قال بعضهم: وهذه الحروف التي في أوائل السور جعلها الله تعالى حفظا للقرآن من الزيادة والنقصان؛ قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩].

وذكر بعضهم أنه وقف على أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع، فيحفظ.

وأخبر رجل من أهل الموصل قال: كان الكيا الهراسي الإمام رحمه الله (انظر ترجمته في م ٥ / ٦٣١، ٦٣٢) إذا ركب في رحلة يقول هذه الحروف التي في أوائل السور، فسئل عن ذلك فقال: ما جُعل ذلك في موضع أو كتب في شيء إلا حفظ تاليها وماله، وأمن في نفسه من التلف والغرق.

وحكى عن الشافعي رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمدا، فكتب إليه في رقعة: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾. ﴿**فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾ [قٓ: ٢٢] ﴿**للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾ [فصلت: ٤٤]؛ فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ.

وكان سفيان الثوري يكتب للمطلقة [من أصابها المخاض - طلق الولادة] رقعة تعلق على قلبها: ﴿**إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت**﴾ [الانشقاق: ١ - ٤]. ﴿**فخرج على قومه**﴾ [القصص: ٧٩].

وروى ابن قتيبة قال: كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتثقل عليه، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي**﴾ إلى قوله ﴿**مددا**﴾ [الكهف: ١٠٩]، ثم أضمر. في أي وقت أضمرت فإنك تقوم فيه، قال: ففعلت فقمت في الوقت المعين.

قال الغزالي: وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول، فكتب في صحيفة: البسملة ﴿**وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا**﴾. [الواقعة: ٥، ٦]. ﴿**وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة**﴾ [الحاقة: ١٤]. ﴿**دكا دكا**﴾ [الفجر: ٢١]، وألقى عليه الماء وشربه فيستر عليه البول، وألقى الحصى.

وحكى الثعلبي في تفسيره أن قوله تعالى: ﴿**لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون**﴾ [الأنعام: ٦٧] يكتب على كاغد، ويوضع على شق الضرس الوجع، يبرأ بإذن الله تعالى.

ويحكى أن الشيخ أبا القاسم القشيري رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له رسول الله ﷺ: مالي أراك محزونا؟ فقال: ولدي قد مرض، واشتد عليه الحال، فقال له: أين أنت عن آيات الشفاء: ﴿**ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾ [التوبة: ١٤] ﴿**وشفاء لما في الصدور**﴾ [يونس: ٥٧]. ﴿**فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ [النحل: ٦٩]. ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾. [الإسراء: ٨٢]. ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ [الشعراء: ٨٠]. ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾ [فصلت: ٤٤]! فقرأ هذه الآيات عليه ثلاث مرات فبرأ.

وحكى ابن الجوزي عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية رضي الله عنها قالت: آذانا جار لنا، فصليت ركعتين، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن، وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت وفتحت عيني؛ وإذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه، فسقط ومات.

وحكى عن ابنها أنه كان في دارها حائط له جوف، فقالت: هات رقعة ودواة، فناولتها، فكتبت في الرقعة شيئا، وقالت: دعه في ثقب منه، ففعلت، فبقي نحوا من عشرين سنة، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس، فقمت فأخذته فوقع الحائط، فإذا في الرقعة: ﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**﴾ [فاطر: ٤١]، ياممسك السموات والأرض، أمسكه.

ثم يسوق الإمام البدر الزركشي هذا التنبيه :

هذا النوع والذى قبله (يقصد معرفة فضائل القرآن) لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب فى عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره فى ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره. هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذبا لقوله؛ كما روى أن عارفا وقعت له واقعة، فقال له صديق له : نستعين بفلان فقال : أخشى أن تبطل صلاتى التى تقدمت هذا الأمر، وقد صليتها. قال صديقه : وأين هذا من هذا، قال : لأنى قلت فى الصلاة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة : ٥] فإن استعنت بغيره كذبت، والكذب فى الصلاة يبطلها، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجيم لا تكون إلا مع تحقق العداوة، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب قوله، فبطل ذكره (البرهان ١/ ٤٣٤ـ٤٣٧).

أما الإمام السيوطى فقد أدرجها تحت النوع الخامس والسبعين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه :

أفرده بالتأليف جماعة منهم التميمى وحجة الإسلام الغزالى، ومن المتأخرين اليافعى، وغالب ما يذكر فى ذلك كان مستنده تجارب الصالحين، وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك فى الحديث ثم ألتقط عيونا مما ذكر السلف والصالحون.

أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود «عليكم بالشفاءين : العسل، والقرآن». وأخرج أيضا من حديث على «خير الدواء القرآن». وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال : كان يقال : إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة. وأخرج البيهقى فى الشعب عن واثلة بن الأسقع «أن رجلا شكا إلى النبى ﷺ وجع حلقه، قال : عليك بقراءة القرآن». وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال «جاء رجل إلى النبي فقال : إنى أشتكى صدرى، قال. اقرأ القرآن» يقول الله تعالى ﴿وشفاء لما فى الصدور﴾ [يونس : ٥٧] أخرج البيهقى وغيره من حديث عبد الله بن جابر «فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء». وأخرج الخلعى فى فوائده من حديث جابر بن عبد الله «فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام» والسام : الموت. وأخرج سعيد بن منصور والبيهقى وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى «فاتحة الكتاب شفاء من السم». وأخرج البخارى من حديثه أيضا قال «كنا فى مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحى سليم [لديغ] فهل معكم راق؟ فقام معها رجل فرقاه بأم القرآن فبرئ، فذكر للنبى ﷺ فقال : وما كان يدريه أنه رقية»

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن السائب بن يزيد قال. عوذنى رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلا. وأخرج البزار من حديث أنس «إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت». وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة «إن البيت الذى تقرأ في البقرة لا يدخله الشيطان».

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند بسند حسن عن أُبى بن كعب قال «كنت عند النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال : يا نبى الله إن لى أخا وبه وجع، قال : ما وجعه ؟ قال : به لمم، قال : فائتنى به، فوضعه بين يديه فعوذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة : ١٦٣] وآية الكرسى وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [١٨] وآية من الأعراف ﴿إن ربكم الله﴾ [٥٤]وآخر سورة المؤمنين ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ وآية من سورة الجن ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ [٣] وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشك قط».

وأخرج الدارمى عن ابن مسعود موقوفا : من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسى وآيتين بعد آية الكرسى وثلاثا من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق. وأخرج البخاري عن أبى هريرة فى قصة الصدقة «أن الجنى قال له : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبى ﷺ : أما أنه صدقك وهو كذوب».

وأخرج المحاملى فى فوائده عن ابن مسعود : قال : قال رجل «يارسول الله علمنى شيئا ينفعنى الله به، قال آية الكرسى فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك». وأخرج الدينورى فى المجالسة عن الحسن أن النبى ﷺ قال «إن جبريل أتانى فقال : إن عفريتا من الجن يكيدك،

فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى». وفى الفردوس من حديث أبى قتادة «من قرأ آية الكرسى عند الكرب أغاثه الله».

وأخرج الدارمى عن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد الله قال: من قرأ وعشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن، أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث من آخرها. وأخرج الديلمى من حديث أبى هريرة مرفوعا «آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله تعالى، الآيتان من آخر سورة البقرة»، وأخرج الطبرانى عن معاذ «أن النبى ﷺ قال له: ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل ثبير أداه الله عنك: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء**﴾ إلى قوله ﴿**بغير حساب**﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧] رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطى من تشاء منهما وتمنع من تشاء، ارحمنى رحمة تغننى بها عن رحمة من سواك.

وأخرج البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس: إذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنيها ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**﴾ [آل عمران: ٨٣] وأخرج البيهقى فى الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علىّ موقوفا: سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلا شفاه الله تعالى.

وأخرج ابن السنى عن فاطمة «أن رسول الله ﷺ لما دنا ولادتها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسى و ﴿**إن ربكم الله**﴾ [الأعراف: ٥٤] ويعوذاها بالمعوذتين». وأخرج ابن السنى أيضا من حديث الحسين بن على «أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا أن يقرءوا ﴿**بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم**﴾ [هود: ٤١]، ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ [الأنعام: ٩١] وأخرج ابن أبى حاتم عن ليث قال: بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور، الآية التى فى سورة يونس ﴿**فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر**﴾ إلى قوله ﴿**المجرمون**﴾ [يونس: ٨١، ٨٢] وقوله ﴿**فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون**﴾ [الأعراف: ١١٨] إلخ أربع آيات، وقوله ﴿**إنما صنعوا كيد ساحر**﴾ [طه: ٦٩] وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبى هريرة «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل فقال: يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت و﴿**الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا**﴾ [الإسراء: ١١١] وأخرج الصابونى فى المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا: هذه الآية أمان من السرق ﴿**قال ادعوا الله أو ادعوا الرحمن**﴾ [الإسراء: ١١٠] إلى آخر السورة. وأخرج البيهقى فى الدعوات من حديث أنس «ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ولا مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت».

وأخرج الدارمى وغيره من طريق عبدة بن أبى لبابة عن زر ابن حبيش قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها. قال عبدة: فجربناه فوجدناه كذلك. وأخرج الترمذى والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص: دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾ [الأنبياء: ٨٧] لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له. وعند ابن السنى: إنى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه، كلمة أخى يونس ﴿**فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾ [الأنبياء: ٨٧] وأخرج البيهقى وابن السنى وأبو عبيد عن ابن مسعود «أنه قرأ فى أُذن مبتلى فأفاق، فقال رسول الله ﷺ: ما قرأت فى أذنيه؟ قال ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**﴾ [المؤمنون: ١١٥] إلى آخر السورة، فقال: لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال» وأخرج الديلمى وأبو الشيخ ابن حبان فى فضائله من حديث أبى ذر «ما من ميت يموت فيقرأ عنده يسٓ إلا هون الله عليه».

وأخرج المحاملى فى أماليه من حديث عبد الله بن الزبير «من جعل يسٓ أمام حاجته قضيت له» وله شاهد مرسل عند الدارمى. وفى المستدرك عن أبى جعفر محمد بن على قال: من وجد فى قلبه قسوة فليكتب يسٓ فى جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه، وأخرج ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يسٓ فبرئ. وأخرج أيضا عن يحيى بن أبى كثير قال: من قرأ يسٓ إذا أصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى، ومن قرأها إذا أمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح، أخبرنا من جرب ذلك.

وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة «من قرأ الدخان

كلها وأول غافر إلى ﴿إليه المصير﴾ [غافر: ١ ـ ٣] وآية الكرسي حين يمسى حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسى» ورواه الدارمى بلفظ «لم ير شيئا يكرهه».

وأخرج البيهقى والحارث بن أبى أسامة وأبو عبيد عن ابن مسعود مرفوعا «من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» وأخرج البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة تعسر عليها ولادتها قال: يكتب فى قرطاس ثم تسقى بسم الله الذى لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [الأحقاف: ٣٥] وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: إذا وجدت فى نفسك شيئا: يعنى الوسوسة فقل: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم﴾ [الحديد: ٣].

وأخرج الطبرانى عن على قال «لدغت النبى ﷺ عقرب، فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: قل يا أيها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس». وأخرج أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود «أن النبى ﷺ كان يكره الرقى إلا بالمعوذات». وأخرج الترمذى والنسائى عن أبى سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها. فهذا ما وقفت عليه فى الخواص من الأحاديث التى لم تصل إلى حد الوضع، ومن الموقوفات على الصحابة والتابعين. وأما ما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا، الله أعلم بصحته.

تنبيه: قال ابن التين. الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجثمانى. قلت: ويشير إلى هذا قوله ﷺ «لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال» وقال القرطبى تجوز الرقية بكلام الله تعالى وأسمائه، فإن كان مأثورا استحب.

وقال الربيع: سألت الشافعى عن الرقية فقال: لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى. وقال ابن بطال: فى المعوذات سر ليس فى غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك، ولهذا كان ﷺ يكتفى بها.

وقال ابن القيم فى حديث الرقية بالفاتحة: إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها؟ لتضمنها جميع معانى الكتاب. فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الرب فى طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نُهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته، وضال بعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع، وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء اهـ.

مسألة: قال النووى فى شرح المهذب: لو كتب القرآن فى إناء ثم غسل وسقاه المريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعى: لا بأس به، وكرهه النخعى. قال: ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به فقد قال القاضى حسين والبغوى وغيرهما: لو كتب قرآنا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله اهـ. قال الزركشى: وممن صرح بالجواز فى مسألة الإناء العماد النبهى مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية، لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضا لأنه يلاقيه نجاسة الباطن، وفيه نظر (الإتقان ٢ / ٢٠٨ ـ ٢١٢).

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٤٣٤ ـ ٤٣٧، والإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٢٠٨ ـ ٢١٢. انظر أيضا طاش كبرى زاده ٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٩).

انظر: كشف السرالمصون.

*** خواص القرآن:**

خواص القرآن : للحكيم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد كان حيا في مصر سنة ٣٩٠، التميمي ذكر فيه أنه أخذه من بعض الحكماء بالهند. وللإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة، ولأبي بكر محمد بن عبد الله المالقي المتوفى سنة ٥٧٠ خمسين وسبعمائة.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٧).

*** خواص القرآن . ترجمته بالتركية:**

لم يعلم مؤلفه.

ترجمه عن الفارسية محمود بن جنيد ابن هبة الله الخوارزمي لأحد أمراء الترك وهو يحيى بك ابن المرحوم أمين بك:

أحد المخطوطات التركية العثمانية بدار الكتب القومية

أولها - الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ... إلخ.

- نسخة مخطوطة، بقلم نسخ، بدون تاريخ، في ١٠٩ ورقات، مسطرتها ١١ سطرا في ٥, ٢٢ × ٥, ١٥ سم.

(١٣٧ تصوف تركي).

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠، ١/ ٢٠٠).

*** خواص القرآن العظيم:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٧٣٦٥.

المؤلف: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى سنة ١٤٨ هـ سنة ٧٦٥ م.

أولها: قال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن علي بن زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كتب سورة البقرة وعلقها عليه زالت عنه الأوجاع كلها وإن علقت على صغير زالت عنه الأوجاع وهان عليه الفطام ولم يخف هواما بإذن الله تعالى وإن علقت على المصروع زال عنه الصرع بإذنه تعالى وفيها من المنافع ما لا حد له ولا نهاية.

آخرها: سورة الفاتحة من قرأها في كل ساعة. تغفر له جميع الذنوب. وهي لكل مرض يقرأ عليه يبرأ بإذن الله تعالى - تم منافع القرآن العظيم.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثامن الهجري مكتوبة بخط نسخي معتاد. أسماء السور مكتوبة بالأحمر. توجد هذه النسخة في مجموع يحوي منافع القرآن في المنام ومنافع القرآن للتميمي، المجموع مفروط الأوراق - الورقة الأولى والورقتان الأخيرتان من المجموع مكتوبة بخط مغاير للأصل، على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد بن محمود لطف الله تاريخ سنة ١٠٠٩ هـ. وقيد تملك آخر باسم محمد عطا الأيوبي.وثالث باسم محمد سعيد الأيوبي ثم مجموعة من الفوائد المختلفة، على الورقة الأخيرة قيد مطالعة باسم سليمان القادري تاريخه ١١٩٨ وقيود تملك بأسماء أحمد مهدي بن محمد الأيوبي وآخر باسم محمد أمين الأيوبي سنة ١١٩٥.

ق	م	س
١٣ (٢٠-٣٣)	٢٦×١٨	١٧

نسخة ثانية مخرومة

الرقم ٩٥٩٤

أولها: في قرطاس بمسك وماء ورد، وجعلها في أنبوبة قصب ريحي قد قطعت قبل طلوع الشمس وشدت بشمع وعلقها على طفل أمن من الشيطان ومن جميع الحوادث.

سورة النساء: عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن من كتبها وجعلها في منزل أربعين ليلة ...

آخرها: سورة القارعة: إذا كتبت وعلقت على من هو مقتَّر الرزق رزقه الله.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجري كتبت بخط نسخي جيد مشكول. أسماء السور والفواصل بين الآيات مكتوبة بالذهب. أصيبت بالرطوبة الشديدة وبالتلف وقد رممت بعض الأوراق قديما وبخاصة في أوائلها وأواخرها.

ق	م	س
٦٨	١٥×١٢	٥

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٨ ، ١١٩).

*** الخواص الكبير أو المقالات الكبرى فى علم الصنعة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الكيمياء

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف أبى موسى جابر بن حيان الصوفى الأزدى .

أوله : الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكبير الجواد الفعّال لما يريد ، وتعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا : من كان حافظا لقواعد كتبنا هذه وترتيبها وما عليه موضوعها فسيعلم علما يقينا أنا وعدنا أن نذكر فى جملة كتبنا مفردات من علم الخواص ، ولما كان سبيلنا فى جميع تعاليمنا أن نذكر فيها شروحنا فى جميع الأشياء لنخلص كتابنا هذا بتفسير كلمة «الخواص» وما معناها ، وترتيب كتب الخواص وكم فيها ، فنقول ونبدأ بعون الله وتأييده فى ذلك ... وجملة كتب الخواص إحدى وسبعون كتابا . منها سبعون كتابا برسم الخواص ، ومنها كتاب واحد يعرف بخواص الخواص ، وهو أشرف هذه الكتب ... وكتابنا هذا يعرف بكتاب الجمع ، معناه جمع الكتب ، والكتاب الثانى والثالث إلى السبعين يعرف بالرسالة الفلانية ، أعنى فى العدة إلى السبعين ، فإذا كملت بالحادى والسبعين كتاب خواص الخواص ، ترى فيه كيف الشيء الخاص وكيف يمكن إيجاد مثله «بالميزان» ...

وآخره : فاعلم ذلك وابن أمرك بحسبه والسلام ، وحق سيدى أنه يكون من جزءين ونصف من الذهب .

ـــ نسخة بقلم معتاد كتبها «على» ويبدو أنها من مخطوطات القرن الحادى عشر الهجرى فى ١٧٠ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

[مكتبة بلدية الإسكندرية ـ ٤ ٢٠ ٥ حـ]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ٤١ ، ٤٢).

انظر مادة «جابر بن حيان» فى م ١١ / ٣٩٢ ـ ٤٠٢ .

*** خواص النباتات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

خواص النباتات :

لعبد الغنى بن أبى سرحان بن مسعود الأزمورى .

(مجلة معهد المخطوطات ٥ / ٢٧٢).

أوله : هذا الباب فى شرح أدوية باللسان اليونانى والسريانى والفارسى ، والعجمى ... جمعت ذلك فى هذه المقالة على حسب طاقتى ووسعى ورتبت ذلك على حروف المعجم .

وآخره : هنا انتهى القول فى الباب الخامس عشر ، فى شرح ما وقع من الأدوية المفردة من هذا الكتاب ...

نسخة بقلم مغربى ـ ضمن مجموعة .

من ورقة ١٨٦ إلى ٢٠٠ ٢٩ سطرا ٢١ × ٢٩ سم

[الخزانة العامة بالرباط ١٣٦٣ / ٣ د]

OUNESC

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثانى القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م / ٨٨) .

*** الخواطر السوانح فى كشف أسرار الفواتح:**

أى فى فواتح السور.

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم . مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩١٦٩

المؤلف : زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله محمد بن جعفر بن الحسن المصرى المعروف بابن أبى الإصبع المتوفى سنة ٦٥٤ هـ .

أولها : الحمد لله واهب العقول ، ومميز الفاضل من المفضول ، والصلاة على السيد الرسول وعلى آله ... وبعد : فإنى لما أظلنى شهر رمضان المعظم ، أعظم الله تعالى علينا من بركاته ، ورزقنا العمل فيه بمرضاته . رغبت فى أن أشتغل بما يشغلنى عن الرفث ، ويذهلنى عن التدنس بالخبث ، ففكرت فى فصاحة القرآن العزيز وبلاغته ، وجوامع كلامه وفوائده وغرابة أسلوبه ونظمه ، وعجائب معانيه وبديعه وعذوبة ألفاظه .

آخرها: وقوله تعالى ﴿الٓمٓ * غلبت الروم﴾ [الروم: ١، ٢] وما أشبه ذلك. والإخبار بالغيب معجزة من كبار المعجزات وآية من أعظم الآيات. فقد صح استخراج المعجز من مفردات هذه الفواتح، فأشكر لمن استخرجها بما خطر له من الخواطر السوانح، وأسأل الله لك أيها المطلع على هذا الكتاب ولمؤلفه الثواب.

أوصاف المخطوط: نسخة من أوائل القرن الرابع عشر الهجرى كتبها مع غيرها من الرسائل فى المجموع حسنين الرفاعى الكمالى سنة ١٣١٣ هـ [٥٦] ق كتبت بخط نسخى حسن، الأبواب ورؤوس الفقر بالأحمر.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم رسالة الأوائل فى الحديث لعبد الله بن سالم البصرى، ثم قصيدة فى مديح رسول الله ﷺ المجموع بحالة حسنة ورقا وغلافا.

ق	م	س
٤٠ (١-٤)	٢٤ × ١٧	١٩.

المصادر: فوات الوفيات: ١ / ٢٩٤ - النجوم الزاهرة: ٧ / ٣٧.

شذرات الذهب: ٥ / ٢٦٥ - بروكلمان الذيل: ١ / ٥٣٩.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٩، ١٢٠ انظر أيضا كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٧ وفيه العنوان بدون لفظ «كشف»).

*** الخواطر الفكرية فى الفتاوى البكرية:**

الخواطر الفكرية فى الفتاوى البكرية: للشهاب أحمد بن محمد بن عبد السلام الشافعى الذى ولد سنة ٨٤٧ سبع وأربعين وثمانمائة جمع فيه فتاوى شيخه.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٧).

*** خواف:**

قال ياقوت:

خواف: بفتح أوله، وآخره فاء: قصبة كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان، يتصل أحد جانبيها ببوشنج من أعمال هراة والآخر بزوزن، يشتمل على مائتى قرية، وفيها ثلاث مدن: سنجان وسيراوند وخرجرد؛ ينسب إليها جماعة من أهل العلم والأدب، منهم: أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافى الفقيه الشافعى من أصحاب الإمام أبى المعالى الجوينى، كان أنظر أهل زمانه وأعرفهم بالجدل وكان الجوينى معجبا به. وولى قضاء طوس ونواحيها فى آخر أيامه وبقى مدة ثم عزل عنها من غير تقصير بل قصد وحسد، ومات بطوس سنة ٥٠٠ ودفن بها، قال عبد الغافر: ولم يخلف مثله.

وأبو الحسن على بن القاسم بن على الخوافى الأديب الشاعر، سمع محمد بن يحيى الذهلى وأقرانه، روى عنه أبو الطيب أحمد الذهلى، وله مختصر كتاب العين.

(معجم البلدان ٢ / ٣٦٩).

*** خواقند:**

قال ياقوت:

خُواقَنْد: بضم أوله، وبعد الألف قاف مفتوحة ثم نون ساكنة، وآخره دال: بلد بفرغانة؛ منها الأديب المقرى أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن الخير المخزومى الخواقندى، سمع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، سكن سمرقند، روى عنه ابنه محمد بن طاهر، وتوفى فى صفر سنة ٥٠١.

(معجم البلدان ٢ / ٣٦٩).

*** ابن الخوام (٦٤٣-٧٢٤ هـ / ١٢٤٥-١٣٢٤م):**

هو «عماد الدين عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق الحربوى بن الخوام». من أهل بغداد، ولد بها فى سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥، وتوفى فيها سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م.

من الذين اشتهروا بالعلوم الرياضية، ولا سيما الحساب. له من الكتب: «مقدمة فى الطب». «الفوائد البهائية فى القواعد الحسابية»، وفيه بحث فى الحساب الهوائى. وشرحه كمال الدين الأصفهانى فى كتاب سماه «أساس القواعد فى أصول الفوائد». وشرحه أيضا يحيى أحمد الكاشى باسم «إيضاح المقاصد فى الفوائد». وهناك شرح ثالث كتبه عبد العلى البرجندى فرغ منه سنة ٨٩١ هـ.

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٤٠٥، والأعلام للزركلى ٤ / ١٢٦).

*** الخوانق:**

جمع «خانقاه» كما تجمع على «خانقاوات» و«خانقاهات». وأوردها كل من المقريزى وعلى مبارك بلفظ «الخونك» بالكاف قال على مبارك:

مفرد الخوانك: خانكاه بالكاف وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه بالقاف أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، وقد بسطنا القول فى ذلك فى الكلام على الخانقاه السرياقوسية فراجعه.

قال المقريزى: حدثت الخوانك فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى، والصوفية: اسم لخواص أهل السنة المراعين أنفسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن طوارق الغفلة، واشتهر هؤلاء بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة.

قال السهروردى رحمه الله: الصوفى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم، يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ويأتى بالأمور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص؛ فمن لبس لِبْسة الصوفية ولم يكن على هذه الصفة فليس منهم فى شيء.

وأول من اتخذ بيتا للعبادة: زيد بن صوحان بن صبرة عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة وليس لهم كسب ولا غلة؛ فبنىٰ لهم دوّرا وأسكنهم فيها، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره؛ فدعاهم عبد الله بن عامر عامل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بالبصرة ليقربهم ويشيروا عليه فأتاه ابن صوحان وقال له: أتأتى إلى قوم قد انقطعوا إلى الله فتدنسهم بدنياك حتى إذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة وقال لهم: قوموا إلى مواضعكم فقاموا انتهى ملخصا. وليس اسم الخانكاه اليوم مستعملا عندنا بمصر فى هذا المعنى، وإنما المستعمل بدله التكية والزاوية. (الخطط التوفيقية ٦ / ١٣٨).

وقال على مبارك فى موضع آخر:

وأول خانقاه بديار مصر حدثت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة تسع وخمسين وستمائة برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم، ووقف عدة أملاك يصرف من ريعها عليها، ورتب للصوفية كل يوم طعاما؛ لحما وخبزا، وبنى لهم حماما بجوارها، ثم لما انقرضت دولة الأيوبية حذا حذوهم السلاطين الجراكسة وبعض الأمراء.

فصار فى مصر إلى أول القرن التاسع اثنتان وعشرون خانقاه، ثم لما زال ملك السلاطين الجراكسة. حصل ما حصل للمدارس من الإهمال وعدم الصرف وضياع الأوقاف التى عليها، فاندثر أغلبها، وتخرَّب كثير منها، وبقى الأمر على ذلك إلى أيامنا هذه فاستبدلت بالتكايا كما تقدم، وتنوسى اسم الخانقاه بالكلية، وهى كلمة فارسية، معناها بيت العبادة.

(الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ٢٢٥).

قالت المؤلفة: والمستعمل فى سوريا أيضا هو لفظ «تكية» وعلى هذا الأساس أوردنا ما فى دمشق من تكايا فى مادة «التكية» فى م ١٠ / ٣٥٩، كما أوردنا التكايا التى فى القاهرة، المادة نفسها ص ٣٥٨، ٣٥٩ فانظرها فى موضعها.

ومن تعريفات كلمة «الخانقاه» أيضا أنها كلمة فارسية تتكون من لفظين: خوان بمعنى الأكل وجاه بمعنى المكان وكان يطلق على المكان الذى يأكل فيه الملك، ثم أطلقت بعد ذلك على مكان الصوفية (هنداوى: الألفاظ الأعجمية حرف (خ) (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام/ ١٥٠) ويقول الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين نقلا عن الأستاذ عامر المهندس أستاذ اللغة الفارسية أن كلمة «خانقاه» هى «خوانكاه» (بجيم قاهرية) ومعناها دير أو منزل أو معبد، ودخلت العامية باسم «خانكة» (ابن قيم الجوزية/ ٥٣).

ويقول الدكتور صالح لمعى مصطفى: وقد أقيمت أول خانقاه فى الإسلام فى حوالى ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م، إلا أنه قبل ذلك بكثير أقام زيد بن صبرة فى البصرة بالعراق فى عهد الخليفة عثمان بن عفان أول مسكن لإقامة بعض المسلمين حتى يتفرغوا للعبادة طوال اليوم ولا يعرف الشكل الأول لهذه المبانى التى انتشرت بعد ذلك عبر العالم الإسلامى.

وفى بعض الدراسات أرجعت الكلمة إلى خوان = طاولة أو إلى خواندن = ترتيل وذلك على أساس ارتباط هذه الكلمات بالتصوف، إلا أن ذلك يحتاج إلى الكثير من الإثبات.

وقد ظهرت كلمة خانقاه في المصادر في القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى في خراسان، ففى المؤلف حدود العالم (مؤلف مجهول) والمكتوب فى جورجان عام ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م ذكر فيه: «فى سمرقند توجد خانقاه المانويين الذين أطلق عليهم المستمعين. وقد أشار ابن النديم فى الفهرست عن نقل مركز المانيكيزم من بابل إلى سغديا، وعلى ذلك ليس من المستغرب وجود مركز لهم فى سمرقند.

كذلك أشار المقدسى بأن الخوانق جزء أساسى من النظام الدينى للكرامية. وقد ازدهرت جماعة الكرامى فى خراسان، جورجان، جورجان، طبريستان، وغرب القدس حول قبر ابن كرام (توفى ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م)، وكان لهم خوانق. ويعتبر نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بداية تطور الخوانق بظهور الشيوخ فى نيسابور، وهو ما أشار إليه المقريزى، وتعتبر فترة النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فترة التأسيس والتنظيم. ومنذ هذه الفترة ألحق المدفن بالخانقاه. وقد أدى ارتباط التصوف مع المذهب الشافعى ثم بالمذهب الحنفى إلى الانتشار الكبير والسريع خارج إيران، فقد أنشأ السلاجقة فى الربع الثالث من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى مجموعة من الخوانق فى سوريا ودمشق.

وعلى الرغم من أن الأنصارى فى طبقات الصوفية يشير إلى وجود خانقاوات فى الرملة فى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى، إلا أنها على الأرجح ربط ساحلية ومنذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى أصبح لفظ خانقاه ورباط مترادفان وهو ما أشار إليه ابن جبير خلال زيارته لسوريا فى العصر الأيوبى، أما فى العراق فقد سادت كلمة رباط.

وقد انشرت الخوانق شرق خراسان وامتدت إلى أفغانستان ومملكة الغزنويين والغوريين، الذين هربوا إلى الهند حاملين معهم هذا النظام بعد قيام دولة المماليك. وقد أقامت طائفة الشيستية والسهروردية شبكة كبيرة من الخوانق فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى. وتختلف الأمثلة الهندية عن الأمثلة المصرية والسورية.

ويرجح أن نظام التصوف قدم من إيران إلى العراق وسوريا، ثم بعد ذلك فى عهد صلاح الدين الأيوبى انتقل إلى مصر. فقد أقام صلاح الدين أول خانقاه فى مصر وهى دار سعيد السعداء فى عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وكانت مخصصة للصوفية القادمين من الشام . . .

ويرجح أن نظام الخانقاه مأخوذ عن الرباط حيث إنه فى الرباط كان المرابطون يؤهلون دينيا وروحيا بجانب تدريبهم عسكريا (سورة ٣ (آل عمران) آية ٢٠٠ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾. وذلك للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية حيث إن الرباط كان يقام على الحدود. وقد ظهر الرباط قبل الخانقاه. فنجد رباط المنستير تونس (١٧٩ هـ/ ٧٩٥م)، ورباط سوسة على خليج جابس بشمال إفريقيا (٢٠٦ هـ ٨٢١ م)، ورباط أبى شوتران فى إيران (٣١٥ هـ/ ٩٢٧ م) والمقام من قبل حاكم سيستان فى عهد السمانيد (التراث المعمارى الإسلامى فى مصر/ ٢١، ٢٢).

ومن ثم فإن الباحث يكاد أن يضل سبيل الاهتداء إلى وجوه التفرقة بين كل من الخانقاه، والرباط، والزاوية. وفى ذلك يقول الدكتور توفيق الطويل، تحت عنوان «الحياة فى رحاب الخوانق والربط والزوايا :

ومن دلائل الصعوبة فى التفرقة بين هذه الأنواع من المعابد، اشتراك الخوانق والربط فى سبعة أمور وعدم انفراد أحد النوعين بخاصة تميزه عن النوع الآخر، أما وجوه الشبه بينهما فهى:

(١) أن الخوانق كالربط كانت بيوتا يشيدها الأمراء والملوك والأثرياء ليقيم فيها أهل التصوف ليلا ونهارا متفرغين إلى عبادة الله.

(٢) أنها كانت معاهد ثقافة يدرس فيها العلم الشائع يومذاك، فكان فى رباط الآثار مثلا درس لفقهاء الشافعية يتولاه مدرس بطلبة يعيشون لطلب العلم فى هذا الرباط كما ضم بين جدرانه خزانة كتب تعين على دراسة العلم، وكان فى الرباط العلائى قراء وعشرة من الفقهاء عليهم أن يحضروا يوما فى كل أسبوع، وأما الخوانق فحسبنا أن نسوق المثال بثلاث منها: خانقاه شيخو التى رتبت فيها مدة من الزمان دروس منها أربعة لطوائف الأئمة الأربعة، ودرس للحديث النبوى وآخر لإقراء القرآن بالروايات السبع، وكان لكل درس مدرس يتولاه

وطلبة اشترط فيها ألا يتغيبوا عن حضوره وحضور وظيفة التصوف، وخانقاه الجيغا المظفرى التى اشترط فى فقرائها أن يحضروا وظيفة التصوف وكان بجانبها كتاب يقرأ فيه الأيتام من أطفال المسلمين كتاب الله ويتعلمون فيه الخط، وخانقاه ركن الدين بيبرس وقد نظم فيها درس للحديث النبوى له مدرس يتولى تدريسه، وعنده عدة من المحدثين، وضمت قراءً يتناوبون القراءة ليلا ونهارا حتى اكتفى أهلها بالعلم الذى توفر بين جدرانها، فحرموا على الفقهاء أن ينزلوا ساحتها..!

(٣) إن الجمعة كانت لا تقام فى أكثر هذه الخوانق والربط، روى المقريزى فى حديثه عن خانقاه سعيد السعداء ـ وهى من أكبر الخوانق التى عرفتها مصر ـ أن الصوفية بها كانوا يتوجهون إلى الجامع الحاكمى كل أسبوع لصلاة الجمعة فى موكب جميل كان الناس يقبلون لرؤيته من مصر إلى القاهرة تيمنا ببركة أهله وأن خانقاه سرياقوس التى انطوت على مائة خلوة لمائة صوفى كان بجانبها مسجد تقام فيه الجمعة، ولكن المقريزى يقول عن خانقاه البندقدارية إنها كانت خانقاه ومسجدا لله.

وكذلك الحال فى الربط، لم يرد ذكر لإقامة الجمعة فى غير اثنين منها (مع أن عددها عند المقريزى قد بلغ السبعة عشر رباطا) وهما رباط الست كليلة الذى كان رباطا ومسجدا لله ورباط الأفرم الذى ضم صوفية وشيخا وإماما ومنبرا يخطب عليه للجمعة وللعيدين.

(٤) أن منشئيها كانوا يحبسون عليها الأوقاف ويجرون على أهلها الأرزاق ويجزلون لهم العطاء، كان لصوفية سعيد السعداء فى كل يوم طعام ولحم وخبز وكان فى خانقاه ركن الدين بيبرس أربعمائة صوفى وفى الرباط المجاور له مائة من الجند وأبناء العجزة، فكان فيها مطبوخ يوزع منه على المجاورين اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر، وتفرق الحلوى على كل فقير من فقرائها، وإن كان هذا المقرر يتناسب مع حال النيل ورخاء العيش فى مصر وكان هذا هو الحال فى خانقاه بشتاك، ورتب للطلبة فى خانقاه شيخو طعام ولحم وخبز فى كل يوم وحلوى وزيت وصابون فى كل شهر وكان لها أوقاف جليلة وكان لفقراء خانقاه سرياقوس ثمن كسوة كل سنة وتوسعة فى كل رمضان والعيدين والمواسم، فوق ما كان لهم من طعام شهى وخبز نقى، وما كان يوزع عليهم من الحلوى وزيت الزيتون والصابون وثمن الفواكه عند ظهورها، وفوق ما كانت تضم الخانقاه من السكر وألوان الشراب وأنواع الأدوية وهكذا نرى الأرزاق والمعاليم والأوقاف فى خوانق بكتمر وقوصون وأم أنوك والخروبية وطيبرس.

وكذلك الحال فى الربط وإن كانت الأوقاف التى حبست عليها والمعاليم التى كانت توزع على سكانها والأرزاق التى كانت تصيب أهليها، أقل بكثير منها فى الخوانق ــ كما نرى فى رباط الآثار ورباط الأقرم والرباط العلائى وأكثر الربط لم يذكر شىء بشأن أرزاقه وأوقافه.

(٥) ولما كان الغرض من هذه الأرزاق والأحباس تهيئة الجو الصالح لتفرغ المجاورين لعبادة الله، فقد زودت بعض الخوانق والربط بالحمامات والمطابخ والمدافن، ومدت بالفرش وآلات النحاس والكتب والقناديل من النحاس المكفت أو الزجاج المذهب وغير ذلك من الأمتعة والنفائس التى لا ترى فى غير قصور الملوك والأثرياء كما نرى فى خانقاه بكتمر وطغاى النجمى والرباط العلائى وإن لم يتوفر هذا النعيم فى الكثير من الخوانق والربط.

(٦) والظاهر أن بعض الخوانق قد ضم نساء، فقد نص المقريزى على أن خانقاه سرياقوس كان بها حمام للرجل وآخر للنساء، وأما فى الربط فقد عرفنا أن النساء كان لهن رباط خاص بهن هو رباط البغدادية.

(٧) كان بأكثر الخوانق والربط قراء وأئمة ومؤذنون وبوابون... فوق من ضمت من فقراء وشيوخ (التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى / ٣٩ـ٤٢).

ويوافينا الدكتور محمد محمد أمين بمعلومات قيمة عن الأوقاف الخاصة بالخوانق فى مصر فى العصر المملوكى فيقول:

وجرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر، وعدد من الصوفية مثال ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف السلطان الغورى «ومن ذلك ستة آلاف درهم تصرف لرجلين من أكابر العلماء أهل الدين والورع والفقه يقررهما الناظر فى وظيفتى مشيخة التصوف بالخانقاه المذكورة بالسوية خارجا عن السكن

المعين لشيخ نوبة العصر والمبلغ الذى يعين لشيخ نوبة الصبح فى نظير السكن».

واشترط بعض الواقفين أن يكون مدرس الحنفية هو نفسه شيخا للصوفية، ويشترط فيه أن يكون «له قدم عالٍ فى شروط طريق الصوفية ويكون حسن الهيئة، حسن الاعتقاد، حافظا لنقول الفقهاء، وتأويل العلماء واختلاف المذاهب، ونصوص الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ومن بعده من أصحابه رضى الله عنهم».

ومن الوثائق ما تنص على أن يكون شيخ الصوفية واحدا منهم، «وشرط هذا الواقف المذكور بلغه الله ما يؤمله فى سائر الأوقات والدهور أن يكون شيخ الصوفية منهم لا من غيرهم، ومن بين من عرف بصحبة المشايخ، ولبس خرقة التصوف».

واختلف عدد الصوفية فى كل خانقاه حسب اتساعها، وريع أوقافها، وتراوح هذا العدد فى الغالب بين مائة صوفى، وعشرة نفر من الصوفية، فبينما تذكر وثيقة بيبرس الجاشنكير أن عدد الصوفية المنزلين بالخانقاه مائة نفر، فضلا عن مائة آخرين بالرباط، وبشرط ألا يزيد عدد الصوفية بالخانقاه «من المقيمين والمترددين والعزاب والمتزوجين لا يزيد عن أربع مائة نفس» نجد وثيقة السلطان الغورى تنص على أن عدد الصوفية ثمانون صوفيا من الفقراء المحتاجين، بينما ينخفض عدد الصوفية إلى عشرة أفراد فى الخانقاه الخروبية التى استجدها المؤيد، شيخ بالجيزة.

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى الصوفية النازلين بالخانقاه، فقد أجمعت معظم الوثائق على أن يكونوا من العارفين بطرائق الصوفية، وآدابهم، بغض النظر عن جنسيتهم وأعمارهم، من ذلك ما تذكره لنا وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير أن الواقف «وقف ذلك وقفا شرعيا على الصوفية والمتصوفة الشيوخ والكهول والشبان البالغين العرب منهم والعجم، وغير ذلك من الأجناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، الملتزمين بآدابهم وطرايقهم المقيم منهم بهذا المكان المذكور من أهل القاهرة ومصر المحروستين وطوابعهما (هكذا) وضواحيهما وغيرهما من البلاد والواردين إلى هذا المكان من الخوانق وغيرها من أى مكان كان قريبا أو بعيدا بطرايق الصوفية وآدابهم بحيث أن لا يدخل عليهم أحد من غير جنسهم بشفاعة شافع فالأولى العزاب إذا كان من الأهلية لذلك، ومن فعل خلاف ذلك فوزره على الشافع والمشفوع له».

ومن الواقفين من حرص على تقسيم الصوفية إلى قسمين يحضر أحد القسمين وظيفة التصوف فى الصباح، والقسم الثانى يحضر فى العصر، ولكل من القسمين شيخ خاص به، فجاء فى وثيقة وقف السلطان الغورى «ويقرر معها (شيخا التصوف) ثمانين صوفيا من الفقراء المحتاجين، وستة خدام، وستة عشر قارئ صُفّة ومادحين، ويقسمهم فرقتين، فرقة تحضر مع الشيخ فى نوبة الصبح دايما وفرقة تحضر مع الشيخ فى نوبة العصر دايما، على أن يجلس الشيخ بالخانقاه المذكورة صدرا على سجادته ويأخذ الباقون مجالسهم على قدر مرتبتهم فى الفضل، ويتقدم خادم المصحف والكرسى ويجعلان المصحف بين يدى الشيخ رافعين له على الكرسى ويدور خادم الربعة وخادم السجادة بأجزاء الربعتين الشريفتين على الحاضرين فيأخذ كل جزأه ويقرأ به إلى أن تنتهى قراءة الشيخ، ويقفل المصحف الشريف، فيتناوب قراء الصُّفة باليمنة واليسرى القراءة والأذكار ورفع العشر على ما جرت به عادة أمثالهم فى ذلك، فإذا فرغوا من القراءة ولم يبق إلا الدعا قام المادح وأنشد من مدح خير الورى محمد هادى الأمة وكاشف الغمة ﷺ وكلام القوم ما يحصل به الطرب والتواجد للسامعين ثم يجلس المادح ويدعو الداعى».

أما فى خانقاه بيبرس الجاشنكير فقد اقتصرت وظيفة التصوف بالنسبة للمقيمين والمترددين على الخانقاه، على وقت العصر، فقد نصت وثيقة الوقف على أن «يجتمع هو (شيخ الخانقاه)، وجماعة الصوفية المنزلون بهذه الخانقاه من مقيم ومتردد وقت العصر من كل يوم، بأسرهم ما لم يكن لأحد منهم عذر أو ضرورة، ويقرؤن بالإيوان العظيم ما تيسر على ما يراه شيخهم من ربع شريفة، ويدعو أحدهم بعد قراءته للواقف المسمى بأعاليه، وللناظر وللمسلمين بما يجريه الله على لسانه من الخير».

أما المقيمون بالخانقاه، والذين رتبهم شيخ التصوف بها، وهم حسب شرط الواقف مائة صوفى، فقد كان عليهم أن

يقوموا عقب كل صلاة مفروضة «يقرؤون آية الكرسي ويسبحون الله ثلاثا وثلاثين مرة، ويحمدون الله كذلك - ويكبرون كذلك وثلاثين مرة كما جاء في الحديث النبوي، فإذا فرغ مما ذكر يدعو كل واحد منهم للواقف المذكور أعلاه بما يجريه الله على لسانه من الخير».

ومن الواقفين من زاد في وظيفة التصوف، بجعل الحضور خمس مرات في كل يوم وليلة عقب كل صلاة، واعترف الواقف «أن هذا الحضور فيه زيادة بحضور أربعة أوقات في كل يوم على غيره»، كذلك من الواقفين من زاد في معلوم بعض الصوفية مقابل إسناد أعمال إضافية لهم مما يتعلق بالصوفية «فمنهم تسعة عليهم من العمل زيادات على حضورهم التصوف على ما يبين فيه، فأحد التسعة يكون خادما لشيخ الصوفية المذكور يجتمع مع مباشري الوقف المذكور أعلاه كلما اجتمعوا، وكذلك في يوم النفقة لعمل مصلحة الوقف المذكور ومستحقيه، والثاني من التسعة يكون كاتب غيبة الصوفية المذكورين يكتب غيبة من يغيب منهم غير أيام المسامحة الآتي ذكرها فيه فمن غاب منهم وفر معلومه من الفلوس والخبز أيام غيبته وأضيف إلى حاصل الوقف لجهة الوقف المذكورة، والثالث من التسعة يكون خادم الربعة ومفرقها وخادم المصحف الشريف المعلق ذلك بالصوفية وشيخهم على أن يتولى في كل وقت من أوقات حضور التصوف المذكور إحضار المصحف والربعة الشريفين من محلهما لمحل الحضور ويفرق الربعة وقت الحضور على الصوفية وجمعها بعد الفراغ من القراءة وجعلها هي والمصحف الشريف في محلهما على العادة في ذلك وغير ذلك مما جرت عادة خدام الربعة بعمله في مثل ذلك، والستة الباقون من التسعة قراء صفة يجلسون عند حضور التصوف ثلاثة أمامهم ثلاثة يقرؤن بعد فراغ قراءة الشيخ والصوفية سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوايل سورة البقرة وأواخرها وما جرت العادة به من ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يدعو بعد ذلك واحد منهم للنبي ﷺ وآله وأصحابه ثم لمولانا المقام الشريف المنوه باسمه الشريف أعلاه شرفه الله تعالى وعظمه ثم لأولاده وذريته ومن يلوذ به وجميع المسلمين.

وحرص الواقفون على تحديد كل ما يتعلق بوظيفة التصوف بدقة تامة، بما في ذلك طريقة جلوس الصوفية حول شيخهم وأمامه المصحف مرفوعا على كرسيه «على أن يحضر الصوفية الأربعون وشيخهم كل يوم وليلة بالجامع المذكور بالإيوان القبلي منه عقب كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضات ويجلس الشيخ بالقبلة والصوفية عن يمينه ويساره مستديرين وقراء الصفة يتميزون عنهم في الجلوس ثلاثة أمام ثلاثة فيقدم أمام الشيخ المصحف الشريف مرفوعا على كرسيه ويفرق من الربعة الشريفة التي بالجامع المذكور على كل واحد من الصوفية جزء فيقرأ الشيخ ما تيسر له قراءته من القرآن العظيم بالمصحف الشريف وتقرأ الصوفية بالأجزاء الشريفة من الربعة الشريفة التي تفرق عليهم عند الحضور يختمون قراءتهم عند ختم الشيخ قراءته إن كان حاضرا وإلا فقدرها على العادة ثم يفتتح قراء الصفة بما عُيِّن وشرط عليهم أعلاه وعند نهايتهم ذلك يدعو أحد قراء الصفة الدعاء المذكور أعلاه على ما نص وشرح أعلاه كما جرت العادة به في حضور التصوف بمدارس الديار المصرية».

ومثال ذلك أيضا ما جاء في وثيقة وقف الأمير قرقماس عن ترتيب صوفية بالجامع الأزهر إذ نصت على أن «يصرف لعشرة أنفار صوفية يحضرون كل يوم مع شيخ لهم بالجامع الأزهر داخل المقصورة بعد صلاة العصر، فيجلس الشيخ جهة القبلة، والصوفية عن يمينه ويساره مستديرين ويقرؤن - بربعة شريفة يفرق على كل واحد جزء ويقرأ الشيخ ما تيسر قراءته من القرآن العظيم والصوفية بالأجزاء الشريفة من الربعة ويختمون قراءتهم (كذا) عند ختم الشيخ قراءته إن كان حاضرا وإلا فبقدرها على العادة في ذلك ويختمون قراءتهم بسورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب العزيز وخواتيم سورة البقرة والصلاة على النبي ﷺ».

وحرصت وثائق الوقف الخاصة بالخانقاوات والصوفية بوضع الشروط الكفيلة بانقطاع الصوفية للعبادة، فاشترط الواقفون تفضيل الأعزب على المتزوج للسكنى بالخانقاه، ومنهم من اشترط ألا ينزل بالخانقاه إلا من كان أعزبَ ولا يسمح للمتزوجين بسكنى الخانقاه إلا بغير «زوجات ولا جواري على ممر الأيام والشهور والأعوام» ومثال ذلك ما جاء

فى إحدى الوثائق «وشرط الواقف أثابه الله تعالى الجنة، وضاعف عليه المنة أن يكون من هو ساكن بالخانقاه المذكورة عازبا غير متزوج»، ولم يستثن من هذا الشرط «إلا الشيخ خاصة فإنه يرخص له فى السكن بزوجته للضرورة».

كذلك حرص الواقفون على ألا يتغيب الصوفية لمدد طويلة خارج الخانقاه، وأقصى ما سمح به الواقفون من غياب هو خمس ليال كل شهر، فنصت إحدى الوثائق على أنه «وشرط على أرباب البيوت الإقامة والمبيت بها، ويسامح كل منهم بالمبيت خارج الخانقاه «لخمس ليال من كل شهر»، ويبدو أن هذا السماح للمتزوجين إذ نصت الوثيقة بعد ذلك مباشرة «وأن لا يعطى لأحد بيت بالخانقاه إلا بعد تكفية المجردين كما ذكر أعلاه».

ومن أجل ضبط حضور الصوفية رتب بعض الواقفين وظيفة «كاتب غيبة الصوفية» ويرتب رجلا ثقة أمينا عدلا غير ذى غرض يكون كاتب غيبة الصوفية الآتى ذكرهم يفعل ما جرت العادة بفعله من ضبط عدد من يغيب من الصوفية فى أوقات الحضور على العادة فى ذلك ... إلخ.

وفى مجال حرص الواقفين على أن ينقطع الصوفية للعبادة، نجد أن نظام عمارة الخانقاه أسس على أساس أن تكون الخانقاه وحدة قائمة بذاتها، وبداخلها عدد معين من الخلوات خصصت كل منها لأحد الصوفية، مثال ذلك ما جاء عن خانقاه سرياقوس فى وثيقة وقف الناصر محمد «الرباط بناحية سماسم المشتمل على ستين بيتا وجعله رباطا مأوى للفقراء الواردين إليه، والرباطان الباقيان المشتمل كل منهما على أحد وعشرين بيتا، فإنه جعل ذلك رباطين برسم سكنى الفقراء الصوفية المقيمين بهذا المكان المذكور على الدوام والاستمرار».

كذلك زودت الخانقاه بكل ما يحتاجه المقيمون بها، ورتبت من أجل ذلك بها الكثير من الوظائف التى يتولاها الصوفية أنفسهم، سواء من المقيمين بالخانقاه أو من بين المترددين عليها، حتى يتحقق للخانقاه استقلالها، ويمكن للصوفية بها أن يعيشوا فى معزل تام عن المجتمع، ينقطعون فيها للعبادة، فكان يوزع على الصوفية «خبز البر الطيب»، ولحم الضأن، وكان بالخانقاه طباخ يعد الطعام للصوفية، ووزان يقوم بوزن الطعام والخبز للصوفية ليحصل كل منهم على نصيبه حسب شرط الواقف، وهو حسب ما جاء بوثيقة بيبرس الجاشنكير ثلاثة أرطال من الخبز، وثلث رطل من اللحم الضأن، وكان لشيخ الخانقاه كمية مضاعفة، كما كان يصرف للمتصوفة درهمان ونصف فى الشهر برسم غسل ثيابهم، وكذلك درهم برسم دخولهم الحمام فى كل شهر «إن لم يكن حماما برسم دخولهم (الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر / ٢٠٨-٢١٩).

ويصف الدكتور صالح لمعى مصطفى الخانقاه والتكية من الناحية المعمارية فيقول:

ولا يختلف مسقط الخانقاه عن مسقط المدرسة إلا أنه فى بعض الأحيان تعمل الخلوات فى جناح منفصل، وذلك إذا اجتمعت المدرسة والخانقاه فى مجموعة واحدة. مثل ما حدث فى مدرسة وخانقاه برقوق بالنحاسين حيث عملت الخلوات منفصلة فى أربع وحدات سكنية خلف المدرسة بالجهة الغربية.

وفى العهد العثمانى أنشئت التكية بدلا من الخانقاه. وهى تختلف من ناحية المسقط وتجميع ونوع العناصر اختلافا جذريا عن الخانقاه. فالتكية مسقطها عبارة عن حوش به حديقة وفسقية. ويحيط بالحوش والجهات الأربع جاليرى يفتح على الصحن بعقود محمولة على أعمدة. ويغطى الجاليرى قباب كروية صغيرة. وينتظم حول الجاليرى غرف الدراويش المعقودة بالقبوات الدائرية ومسجد صغير. ويلحق بالتكية سبيل، وتكية السلطان محمود بالحبانية (١١٦٤ هـ / ١٧٥٠ م) تعطينا فكرة عن هذه المنشآت فى ذلك العصر.

وقد جرت العادة على دفن الدراويش فيها بحوش ملحق بالمبنى. وتوضع دورات المياه كما هو الحال فى المدرسة والخانقاه فى منسوب منخفض عن منسوب المبنى ...

وكانت الخلوات عبارة عن حجرات صغيرة مفروشة ببلاط من الحجر الجيرى ويفرش عليها حصير. وقد يحتوى بعضها على مسطبة يرتفع منسوبها عن أرضية الغرفة بدرجة واحدة. والخلوة لها سقف عبارة عن قبو نصف دائرى. وتستعمل جلسات النوافذ المنخفضة كمسطبة للقراءة. ويغلب وجود فتحة أعلى الباب بها حاجز من الخشب الخرط حتى تتم

تهوية الغرفة مع ضمان عدم تعرض الجالس بالداخل لتيارات هوائية . هذا بالإضافة إلى تهوية وإنارة الطرقة بين الغرف على جانبيها ويلحق بها بالطابق الأرضي - مثل المدرسة - قاعات للشيوخ بالطوابق العليا مع الخلوات غرف للمدرسين أو الجهاز والإدارة ...

قالت المؤلفة : انظر صورة الخلوات (الخلاوى) التى بخانقاه بيبرس الجاشنكير فى مادة «بيبرس الجاشنكير (مسجد وخانقاه -)» فى م ٨ / ٧٧ .

ويقول الدكتور صالح لمعى مصطفى؛ وبالقاهرة حاليا تسع خانقاوات وهى :

١ - خانقاه إيدكين البندقدارى :

(٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ - ١٢٨٥ م - بقايا، أثر رقم ١٤٦).

٢ - خانقاه بيبرس الجاشنكير.

(٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣١٠ م - فى حالة جيدة، أثر رقم ٣٢).

٣ - خانقاه أم أنوك

قبل (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م - بقايا، أثر رقم ٨١).

٤ - خانقاه الأمير شيخون (شيخو)

(٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م - فى حالة جيدة، أثر رقم ١٥٢).

٥ - خانقاه السلطان برقوق

(٧٨٦ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٤ - ١٣٨٦ م - فى حالة جيدة - لوحة ١٤ - مساكن الصوفية متهدمة، أثر ١٨٧).

٦ - خانقاه سعد الدين بن غراب .

(٨٠٣ - ٨٠٨ هـ / ١٤٠١ - ١٤٠٦ م - بقايا، أثر رقم ٣١٢).

٧ - خانقاه فرج بن برقوق .

(٨٠١ - ٨١٣ هـ / ١٣٩٩ - ١٤١١ م - فى حالة جيدة - لوحة ١٩، أثر رقم ١٤٩).

٨ - خانقاه برسباى .

(٨٣٥ هـ / ١٤٣٢ م - المسجد فى حالة جيدة وباقى المبنى متهدم، أثر رقم ١٢١).

٩ - خانقاه الأشرف إينال

(٨٥٥ - ٨٦٠ هـ / ١٤٥١ - ١٤٥٦ م - مبانى متعددة ولكن فى حالة سيئة، أثر رقم ١٥٨).

(التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٢٢ - ٢٥).

هذا بينما أحصى المقريزى عدد الخوانق فى مصر فى زمانه باثنتين وعشرين خانقاه ذكر منهم على مبارك ثمانى عشرة ورتبه هجائيا على النحو التالى :

خانقاه ابن غراب، خانقاه آقبغا (كان يجب أن تذكر قبل ابن غراب)، خانقاه أم أنوك، (أوردناها تحت عنوانها فى حرف الألف فى م ٦ / ٢٨ - ٣٠ مع صورة لها فانظرها فى موضعها)، خانقاه بشتاك، الخانقاه البندقدارية، خانقاه بيبرس، الخانقاه الجاولية، الخانقاه الجمالية، خانقاه الجيبغا المظفرى، خانقاه سعيد السعداء، الخانقاه الشرابيشية، خانقاه شيخو، خانقاه طغاى النجمى، خانقاه طيبرس، الخانقاه الظاهرية، خانقاه قوصون، الخانقاه المهمندارية، خانقاه يونس .

أما الخوانق الأربع التى أغفلها على مبارك وذكرها المقريزى فهى : خانقاه سرياقوس (وهى خارج القاهرة)، وخانقاه أرسلان، وخانقاه بكتمر، والخانقاه الخروبية .

أما عن التكايا بالقاهرة فيقول الدكتور صالح لمعى مصطفى :

ويوجد بالقاهرة حاليا خمس تكايا :

١ - تكية الدراويش المولوية الملحقة بمدفن حسن صدقة (مدفن حسن صدقة ٧١٥ - ٧٢١ هـ / ١٣١٥ - ١٣٢١ م - أثر رقم ٢٦٣).

٢ - تكية عبد الله المغاورى تعرف باسم التكية البكتاشية للمذهب البكتاشى - أول قبر بها مؤرخ عام ١٤٥٣ م .

٣ - تكية الجلشنى .

(٩٢٦ - ٩٣١ هـ / ١٥١٩ - ١٥٢٤ م للمذهب القادرى - أثر رقم ٣٣٢).

٤ - التكية السليمانية .

(٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م - أثر رقم ٢٥٥).

٥ - تكية السلطان محمود

(١١٦٤ هـ/ ١٧٥٠ م ـ أقامها مصطفى أغا ـ أثر رقم ٣٠٨) (التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٢٣، ٢٤).

ذاك كان عن الخوانق والتكايا فى مدينة القاهرة. أما عن دمشق فقد سبق أن أوردنا فى مادة «التكية» فى م ١٠ / ٣٥٩ ما ذكره الدكتور يوسف جميل نعيسة من أنه فى العهد العثمانى أقيمت التكايا بديلا عن الخوانق. وقد ذكر سيادته الخوانق فى هامش (١) فى نفس الموضع (ص ١٥٩) فقال:

وكان فى دمشق ست وعشرون خانقاه هى: الأسدية ـ الإسكافية ـ الأندلسية ـ الباسطية ـ والحامية الشبلية ـ الخاتونية ـ والدويرية ـ والروزنهارية ـ والسمسياطية ـ والشومانية ـ والشهابية ـ والشبلية ـ والشنباشية ـ والشريفية ـ وخانقاه الطاحون ـ والطواوسية ـ والقرية ـ وخانقاه القصر ـ والقصاعية ـ والكججانية ـ والمجاهدية ـ والنهرية ـ والنجيبية ـ والناصرية ـ فى جبل قاسيون، والناصرية خلف (مجهولة) ثم اليونسية والنحاسية.

ومن الخوانق الحديثة، خانقاه أحمد باشا الشهير بين أمراء الأروام أى العثمانيين بشمسى أحمد باشا. تولى دمشق فطالت مدته، وبنى فيها خانقاها قبالة قلعة دمشق من جانب القبلى ملاصقة لخندقها. وجعل فيها حجرات للصوفية. وهى من محاسن دمشق، وما زالت هذه الخانقاه عامرة. ولكن لا على الصورة التى أرادها الواقف بل صارت جامعا. ويذكر النقشبندى أنه كانت فى دمشق فى القرن التاسع وظيفة شيخ الشيوخ وموضوعها التحدث على جميع الخوانق فى دمشق وأعمالها، والعادة أن يتولاها شيخ الخانقاه السمسياطية انظر: المقريزى. تقى الدين ابن أبى العباس أحمد بن على المتوفى سنة ٨٤٥ هـ «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ح ٢. / ٤١٤و ٤١٦. طبعة أوفست بغداد. ثم انظر: كرد على، محمد. خطط الشام. ٦ / ١٣٠ ـ ١٣٤ سنة ١٩٧٢ طبعة بيروت.

(مجتمع مدينة دمشق ١ / ١٥٩).

وعن الخوانق فى سوريا يقول الدكتور أحمد رمضان محمد:

من العمائر والمنشآت الدينية التى لعبت دورا هاما فى المجتمع الإسلامى عامة وبلاد الشام بصفة خاصة منذ القرن السادس الهجرى، الخوانق، وقد عدَّد لنا ابن شداد وابن الشحنة وابن العديم وغيرهم عدد الخوانق الموجودة بعواصم سورية الثلاث، فقالوا، أن عدد ما بحلب فى الشمال حتى نهاية القرن السابع الهجرى كان ثمان وعشرين خانقا منها سبع للنساء، وتحتوى العاصمة الوسطى دمشق على ثمان وثلاثين خانقاه ورباط أما العاصمة الجنوبية، القدس، فتحتوى على سبع وعشرين خانقاه ورباط وزاوية، هذا بخلاف ما فى هذه المدن وغيرها من الأضرحة والمزارات التى لا نستطيع أن نأتى لها على حصر.

ويعتبر القرن السادس الهجرى عصر انطلاق للصوفية فى بلاد الشام، فقد انتشرت بين طبقات الناس الذين عرفوا الكثير من مبادئها وأصولها التى صاغها الشعراء، حتى اتخذ منهم الملوك والسلاطين جلسائهم وانتصحوا بنصحهم مثل علاقة الخيوشانى وصلاح الدين. وكذلك كانت الصوفية موضع ثقة المجتمع على اختلاف طبقاته، ومن ثم فقد سعوا لإصلاح ذات البين بين مذاهب السنة والشيعة والتقريب بينهما.

وقيل إن أول خانقاه بنيت فى بلاد الشام للصوفية كانت برملة بيت المقدس بناها «أمير النصارى» حين استولى الفرنج على الديار القدسية، ويبين محمد كرد على السبب فى ذلك فيقول: إن أمير النصارى رأى طائفة من الصوفية وألفتهم فى طريقتهم، فسأل عنهم، ما هذه الألفة والصحبة والأخوة الخاصة بينكم؟ فقالوا له «الألفة والصحبة لله طريقتنا»، فقال لهم: «أبنى لكم مكانا لطيفا تتآلفون فيه وتتعبدون». فبنى لهم تلك الخانقاه. وتشبه الخانقاه من حيث التصميم المعمارى إلى حد كبير المدرسة، إذ إن كلا منهما يحتوى على عدد من الإيوانات قد تكون اثنان أو أربعة، إلا أن المدرسة تحتوى على غرف لإقامة الطلاب، أما الخانقاه فتحتوى على خلاوى للصوفية.

ومن أحسن الأمثلة للخانقاه ذات التخطيط المتكامل وأقدمها فى حلب، خانقاه البلاط. أنشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم عتيق الملك رضوان بن تاج الدولة تتش وذلك سنة ٥٠٩ هـ/ سنة ١١١٥ م. وعرفت باسم البلاط لأنها تقع فى سوق البلاط الذى يعرف الآن بسوق الصابون وكانت الخانقاه موقوفة على الفقراء المتجردين دون المتأهلين بحلب، ثم

هجرت واتخذت بيتا إلى أن أحياها الشيخ علاء الدين الجبرتى بنفقة الأمير تغرى بردى .

وكانت الخوانق الأولى فى القرن الرابع بسيطة لا تنظمها قواعد، حتى ظهر أبو سعيد بن أبى الجز الذى وضع الأسس الأولى لتنظيم الخوانق حتى عرف باسم (أبو الخانقاه) .

أو كما يقول الشيخ نصر (صقر الطريقة) (القزوينى ص ٢٤٢) .

(المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٥٠، ١٥١) .

وقد أفرد ابن الشحنة الباب الثانى عشر من كتابه لذكر ما بباطن حلب وظاهرها من الخوانق والربط جاء فيه ما يلى :

«قال» ابن شداد : فمما فى باطنها «خانقاه» القصر وهى تحت القلعة أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وسميت بهذا الاسم لأنه كان مكانها قصر من بناء شجاع الدين فاتك وكان مبدأ عمارتها فى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة .

«خانقاه» القديم أنشاها نور الدين أيضا وتولى النظر على عمارتها شمس أبو القاسم الطرسوسى . «وخانقاه» الست أم الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين تحت القلعة فى سنة ثمان وسبعين وخمس مائة وبنت إلى جانبها تربة دفنت بها ولدها الملك الصالح .

«قلت» وجعلت بها قرَّاء عميان ووقفت عليها البستان المعروف بالبقعة غربى حلب . والله أعلم .

«خانقاه» البلاط أنشأها شمسى الخواص لؤلؤ الخادم عتيق الملك رضوان بن تاج الدولة تنش وهى أول خانقاه بنيت بحلب وذلك فى سنة تسع وخمس مائة وكان يتولى حلب نيابة فسمت نفسه إلى التغلب عليها فقتل (يقول خير الدين إن سوق البلاط هو سوق الصابون الآن) .

«خانقاه» الملك المعظم مظفر الدين كول بن زين الدين على كوجك صاحب إربل بالسهيلة وهى الآن معروفة بسويقة حاتم بالقرب من الجامع الكبير.

«خانقاه» بعرصة الفرانى أنشأها مجد الدين بن الدايه أبى بكر محمد بن محمد بن بوستكين وكانت وفاته سنة خمس وستين وخمس مائة .

«قلت» وعنه أخذ جدى محمود الشحنة نيابة حلب . والله أعلم .

«خانقاه» أنشأها سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بنت الأتابك عماد الدين وتوفى سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة مخنوقا بوتر.

«خانقاه» أنشأها شمس الدين أبو بكر أحمد بن العجمى وكانت دارا يسكنها فوقفها الشيخ شرف الدين أبو طالب أخيه على الصوفية عند موته وتوفى سنة إحدى وثلاثين .

«خانقاه» أنشأ الامير جمال الدين أبو الثنا عبد القاهر بن عيسى المعروف بابن التنبى ـ وتَنَّب كقنَّب قرية من بلد إعزاز. والله أعلم ـ فى دار العقبة وكانت دارا يسكنها فوقفها عند موته فى رابع عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وستمائة .

«خانقاه» أنشأها الأمير علاء الدين طيبغا كانت دارا يسكنها فوقفها على الصومية عند موته سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

«خانقاه» أنشأها بيرم مولى ست حارم بنت التعسنا خالة صلاح الدين فى دهليز دار الملك المعظم وتعرف بخانقاه حوشى .

«خانقاه» أنشأها الشيخ الفقيه الإمام العالم بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد كانت دارا يسكنها وتوفى سنة اثنين وثلاثين وستمائة .

«خانقاه» أنشأها سعد الدين مسعود بن عز الدين أيبك قطس عتيق عز الدين فرخشاه وكانت دارا يسكنها فوقفها .

ـ «خانقاه» سنقر شاه وهى برأس زقاق البهاء قبلى دار العدل بحلب وهى من المشاهير. والله أعلم .

ثم ذكر خوانق النساء فقال : «خانقاه» أنشأتها الصاحبة فاطمة خاتون بنت الملك الكامل بالقطعية ثم توفت سنة ست وخمسين وستمائة .

ـ «خانقاه» أنشأتها بنت صاحب شيزر سايق الدين عثمان قبالة دورهم .

ـ «خانقاه» بدرب البنات .

ـ «خانقاه» أنشأتها زمرد خاتون وأختها بنتا حسام الدين لاجين عمر بن النورى وأمها أخت صلاح الدين يوسف .

ـ «خانقاه» أنشأها الأمير نور الدين محمود بن زنكى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة.

ـ «خانقاه» أنشأتها بنت ولى قوص.

ـ «خانقاه» أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل داخل باب الأربعين تجاه مسجد الشيخ الحافظ عبد الرحمن ابن الأستاذ.

ـ «خانقاه» تعرف بالكاملية قريبا من دار بنى الخشاب.

والخوانق التى بظاهر حلب.

ـ «خانقاه» أنشأها الأمير مجد الدين بن الدايه بمقام إبراهيم عليه السلام.

ـ «خانقاه» أنشأها الأمير شهاب الدين طغرلبك الأتابك خارج باب الأربعين بالجبيل.

ـ «خانقاه» أنشأتها الكاملية زوجة علاء الدين بن أبى الرجا.

«ثم ذكر الربط» وهى جمع الرباط.

«رباط» أنشأه الأمير سيف الدين على بن سليمان بن جندر بالرحبة الكبيرة وكانت فى دار تعرف ببدر الدين محمود ابن شكرى الذى خنقه الملك الظاهر غياث الدين غازى.

«رباط» يعرف بالخدام تحت القلعة لم يتصل بى ذكر بانيه.

«قلت» تحت القلعة رباطان للخدم أحدهما برأس درب الملك الحافظ والآخر برأس الزقاق المبلط بينه وبين السلطانية طريق.

«رباط» قريب من مدرسة النفرى. والله أعلم (الدر المنتخب / ١٠٦ ـ ١٠٩ وأحياء حلب وأسواقها / ٤٠٢).

يقول خير الدين الأسدى: فقدت الخانقاهات وظائفها ودرس أكثرها عدا خانقاه الفرافرة المائل إلى الخراب والذى ما يزال إلى الآن يحوى أخلاطا من الفقراء وأبناء السبيل. وكان بعض أهل الخير يقفون دورهم بعد موتهم للمتصوفة والفقراء (أحياء حلب وأسواقها / ٤٠٢، ٤٠٣).

أما عن الخوانق فى القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام، فقد ذكرها الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى، هى والزوايا، فعرَّف الخانقاه كما سبق أن عرفناها، وعرَّف الزاوية بقوله: الزاوية ركن البناء، والمقصود بها هنا مكان يقيم فيه شيخ ما، وهى أشبه أن تكون مدرسة يرتادها طالبو العلم، وغيرهم. وكانت الزوايا تقوم بدور علمى، ويمارس فيها التصوف. وقال بعضهم: لم يفرقوا بين الخانقاه، وبين الزاوية، والرباط.

ثم يقول: تعد الخوانق والزوايا من المعاهد والمؤسسات الدينية الإسلامية، وهى دور عبادة وعلم، وتقوم بأدوار مختلفة: دينية، وثقافية، واجتماعية. لقد كانت هذه المعاهد مراكز علم حقا، فكانت تدرس فيها المذاهب الفقهية. كما يدرس الحديث النبوى، والقراءات والتصوف، وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، بشكل خاص. وكانت هذه المعاهد العلمية الدينية مراكز إقامة للوافدين أيضا. ومن هذا يتبين لنا الدور الثقافى والاجتماعى الذى كانت تقوم به.

ومما يوضح هذا الأمر الحديث عن الخانقاه الصلاحية فى بيت المقدس، والزاوية الختنية فيه، على سبيل المثال، وسنفصل الحديث عن هذين المركزين وغيرهما من المراكز فيما بعد.

ويوضح هذا الأمر أيضا أن بعض الخوانق كانت مدارس فكرية بكل ما فى الكلمة من معنى، وسيبدو ذلك جليا فى الحديث عن الخانقاه الصلاحية مثلا، ومن ذلك أنه رُتِّب بخانقاه ركن الدين بيبرس بالقاهرة، على سبيل المثال، درس للحديث النبوى له مدرس، وعنده عدة من المحدثين، ورتب القراء الذين كانوا يتناوبون القراءة فيها. ويبدو الأمر أكثر جلاء فى خانقاه سيف الدين شيخو بالقاهرة، فقد رتب فيها واقفها «دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة، وهم الشافعية، والحنفية، والمالكية، والحنابلة، ودرسا للحديث النبوى، ودرسًا لإقراء القرآن بالقراءات السبع، وجعل لكل درس مدرسا، وجماعة من الطلبة، وشرط عليهم حضور الدرس، وحضور وظيفة التصوف ...، وتخرج بها كثير من أهل العلم». ومن هذا يتضح الدور الذى كانت تقوم به مثل هذه المؤسسات فى الحركة الفكرية. وسيتضح هذا الدور بجلاء من خلال الحديث عما قامت به مثل هذه المؤسسات فى الحركة الفكرية، فى بيت المقدس.

وكانت بعض الزوايا تقوم بما كانت المدارس تقوم به، ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى الزاوية الختنية، وزاوية

الدركاة، فقد كـانتا مركزين من مراكز الحركة الفكـرية، وقامتا بدور فعال فيها، كما سنتبينه فيما بعد.

وليس هذا فحسب، فإن عددا من المدارس كانت تسمى زوايا أيضا، مثل: الزاوية أو المدرسة النصرية، وغيرها اهـ.

لقد أنشئت هذه المراكـز فى بيت المقدس، فـى العصر الأيـوبى، من قبل السـلاطين، والأمـراء، والقضـاء والشيـوخ وغيرهم.

ومن ذلك أن صلاح الدين أنشأ فى بيت المقدس الخانقاه الصلاحية، والزاوية الختنية، وأنشأ الملك شهاب الدين غازى ابن الملك العادل زاوية الدركاه فى سنة ٦١٣ هـ (المدارس فى بيت المقدس ١ / ٤٠٠ ـ ٤٠٢).

قالت المؤلفة: أوردنا زاويـة الختنية تحت عنوان «الختنية (المدرسة ــ) مع صورة لها فى م ١٥ / ٣٤٩ ـ ٣٥١ فـانظرها فى موضعها.

ويعـدد الـدكتـور كـامل جميـل العسلى خـوانق القـدس الشريف فيـذكر الخانقاه الصـلاحية والدوادارية والكـريمية، والفخرية، والمنجكية، والمولوية، والأسعردية، وقد أوردناها تحت عنوانها فى م ٤ / ٣٦٥، والتنكزية، وقد أوردناها تحت عنوان «التنكزية (خانقاه ــ)» فى م ١٠ / ٥٢٧، وتحت عنوان «التنكزية (المدرسة ــ بالقدس الشريف)» فى م ١٠ / ٥٢٨ ـ ٥٣٤ (معاهد العلم فى بيت المقدس / ٣٣٠ ـ ٣٤١).

هذا ونورد ما سقناه من أسماء الخوانق فى مواضعه إن شاء الله تعالى:

(الخطط التوفيقية الجديـدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٣٨ و ١ / ٢٢٥، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ـ د. أحمد رمضان محمـد / ١٥٠، ١٥١، وابن قيم الجوزية ـ د. عبـد العظيم عبد السلام شـرف الدين / ٥٣، والتراث المعمـارى الإسلامى فى مصـر ـ د. صـالح لمعى مصطفى / ٢١ ــ ٢٥، والتصـوف فى مصر إبـان العصـر العثمانى ـ د. توفيق الطويل / ٣٩ ـ ٤٢، والأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ـ د. محمد محمد أمين / ٢٠٨ ـ ٢١٩، ومجتمع مدينة دمشق ـ د. يـوسف جميل نعيسة / ١٥٩، والـدر المنتخب فى تاريخ مملكـة حلب لابن الشحنـة ـ تقديـم عبد الله محمـد الدرويش / ١٠٦ ــ ١٠٩، وأحياء حلب وأسـواقها لخيـر الـدين الأسدى ــ تحقيق عبـد الفتاح قلعـه جى / ٤٠٢، والمدارس فى بيت المقدس ـ د. عبـد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ٤٠٠ ـ ٤٠٢. انظر أيضا المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الـدين المقـريـزى ٢ / ٤١٤ ــ ٤٢٦، و «العـلاقـة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى للمدرسة فى العصر المملوكى» ـ د. محمد حمزة إسماعيل. تاريخ المدارس الإسلامية (٥١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ / ٢٩٥ ـ ٣٠٢).

انظر المواد التالية: بيبرس الجاشنكير (مسجد وخانقاه ـ) فى م ٨ / ٧٢ ــ ٧٨، والتصـوف (علم ــ) فى م ٩ / ٤٦٣ ـ ٤٧٧، والتكية فى م ١٠ / ٣٥٧ ـ ٣٦٠.

*** الخوانيق:**

من المفــردات الطبيـة التى تـرد فى مصنفـات التــراث الإسلامى فى الطب وجـاء تعريفها كمـا يلى: ورم يحدث فى الحنك واللهـاة والمبلع، ومن أنـواعـه الـذبحـة، والـذئبـة، واللوزتان.

(كتاب التنويـر فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصـور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٣).

*** خُوجانُ:**

قال ياقوت:

خُوجانُ: بضم أوله، وبعد الواو جيم، وآخره نون: قصبة كورة أستـوا من نـواحى نيسابـور، وأهلها يسمـونها خبـوشان، بـالشين؛ ينسب إليهـا جمـاعــة وافـرة من العلمــاء، ومن المتأخرين: الأميـر أبو الفضل أحمد بن محمـد بن أحمد بن أبى الفراتى الخوجـانى أخـو الأمير سعيـد من أهل خوجـان نيسابور مـن أولاد العلماء، وكان فاضلا، ولـى القضاء بقصبة خوجان وحمدوا سيرته، وذكـره أبو سعد فى التحبير وقال: ولد فى سنة ٤٦٥، ومات بقريـة زاذيك من نواحى أُستوا فى شوال سنة ٥٤٤. وخوجان أيضا: قرية بالمغرب.

(معجم البلدان ٢ / ٣٩٩).

*** خُوَجّان:**

قال ياقوت:

خُوَجَّان: مثـل الذى قبله غير أن جيمه مشـددة: من قرى مرو، وأهلها يقولون خَجَّـان؛ ينسب إليها أبو الحارث أسد بن محمد بن يحيى الخـوجَّانى، سمع ابن المقرى، وكان عـالما فاضلا؛ ومن خوجان محمد بن على بن منصور بن عبد الله بن أحمـد بن أبى العبـاس بن إسمـاعيل أبـو الفضل السنجى ثم الخوجَّانى أخو المقرى عقيق الأكبر، كان يسكن قرية خوجان

من قرى مرو، شيخ صدوق ثقة، سمع الحديث ونسخ بخطه وطلب بنفسه الحديث، وله رحلة إلى نيسابور، سمع بمرو أبا المظفر السمعاني وأبا القاسم إسماعيل بن محمد الزاهري وأبا عبد الله محمد بن جعفر الكتبي، وبنيسابور أبا بكر أحمد بن سهل بن محمد السراج وأبا الحسن على بن أحمد المدينى وغيرهما، قرأ عليه أبو سعد، وكانت ولادته ليلة نصف شعبان سنة ٤٦٩ بمرو، ومات سنة ٥٣٨.

(معجم البلدان ٢/ ٣٩٩، ٤٠٠).

*** الخوخ:**

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

«ع» فى الأنفس: شجرة الخوخ فى قضبانها وفى ورقها مرارة، فلذلك صار ورقها يقتل الديدان متى سحق ووضع على السُّرة، ومع هذا هو دواء يحلل، وأما ثمرته التى تؤكل فمزاجها رطب يبرد، والرطوبة المستكنة فيه وجرمها سريع الفساد رديئان فى جميع الخصال، فلا ينبغى أن يؤكل بعد الطعام، وكذلك تُمنع الأطعمة المولدة للدم الردىء الرطبة اللزجة، السريعة الانحدار عن المعدة، فإنها إذا أكلت بعد الطعام فسدت، وأفسدت ما قبلها من الأطعمة. وهو بارد رطب فى آخر الدرجة الأولى، أو فى مبدأ الثانية، يولد بلغما غليظا، سريع الفساد والعفونة فى المعدة. وهو جيد للمعدة الحارة، والعطش الملتهب، واللهيب منها. وهو مشهٍّ للطعام، ويطفىء الحرارة «ج» أجوده المسكى، والذى يخرج منه نواه بسهولة، وهو أسرع انهضاما وهو بارد رطب فى آخر الدرجة الثانية، وقيل فى الأولى، وهو ملين، وفيه قبض ما، وأقبضه المقدد، والبالغ منه صالح للمعدة، يشهِّى الطعام، وينفع من الحميات المحرقة، فلا يفسد كفساد المشمش، ويولد بلغما رقيقا، وقديده ليس بجيد الغذاء بطىء الهضم، وإن أكله بارد المزاج فليأكل بعده زنجبيلا مربى وعسلا..

«ف» نضيجه جيد للمعدة. وينفع من الجوع الكلبى. وهو بطىء الهضم، ويعفِّن الأخلاط، ويدفع ضرره الحلواء والخمر الريحانى.

وجاء فى هامش (١) مايلى:

الخوخ: منفعته تطفئة الصفراء، وتسكين الحرارة والحميات المحرقة مضرته: يرخى المعدة، ويولد البلغم، سريع الاستحالة. دفع ضرره: يحذر من شرب الماء البارد بعده، ويشرب بعده السكنجبين، والمبرود المزاج يأكل بعده شيئا من الزنجبيل المربى. اهـ والله أعلم (المعتمد١ / ١٤١، ١٤٢).

وقال عنه ابن سينا:

رطوبته سريعة العفونة. ملين، فيه قبض ما، وأقبضه المقدد وفيه منع للسيلان، والفج قابض. يقطع ورقه، إذا طلى به رائحة النورة «الكلس غير المنطفىء بالماء». يقطر ماء ورقه فى الأُذن، فيقتل الديدان. وينفع دهنه فى الشقيقة، وأوجاع الأُذن الحارة والباردة. النضيج منه جيد للمعدة، وفيه تشهية للطعام. ويجب أن لا يؤكل على غيره فيفسد عليه ويفسده. بطىء الهضم ليس جيد الغذاء، وإن كان أكثر غذاء. يضمد بورقه السُّرة فيقتل ديدان البطن. وكذلك إن شرب عصارته وورقه. النضيج منه يلين البطن، والفج عاقل (القانون فى الطب / ٣٢٣).

أما عن فلاحة الخوخ فيقول القزوينى:

الخوخ: قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يحمر الخوخ غاية الحمرة فخذ النواة التى تنشق بنفسها واجعل فى شقها شيئا من الزنجفر وضع اللحم فيها ولا تنقها عن اللحم واترك لحمها عليها فإنها تثمر خوخا شديد الحمرة وإذا نقشت فى باطن النواة نقشا بالسكين أو كتابة يكون ذلك فى جميع أفراد ثمرتها، وإذا أخذت النوى وأخرجت ما فى جوفه من الأصل الذى يشرب به بحيث لا ينسد شىء من عيونه وغرسته فإذا أدرك لا يكون لثمرة تلك الشجرة نوى دون عظم وورق الخوخ يقطع رائحة الثوم، وإذا طلى به السرة قتل ديدان البطن (عجائب المخلوقات / ١٦٦).

ويقول مؤلف مجهول عن أعلام القرن الثامن الهجرى:

قال ابن وحشية: الخوخ أخو المشمش ومشاكل له فى

جميع أموره إلا في البقاء، فإن المشمش أطول عمرا منه وذلك أن الخوخ أكثر ما يحمل أربع سنين، ثم يقطع حمله، وهو سريع القبول لما يرد عليه من الحر والبرد، والبرد يهلكه وينهكه. وأحسن ما زرع في الوقت الذي زرع فيه المشمش، ويفلح كما يفلح (انظر الفلاحة النبطية لابن وحشية / ٤٨٢). قلت وهو نوعان: نوع يسمى الشعرى وهو أبيض فيه نقط حُمر، وله زغب وجرم، ونوع يسمى الأقرع وهو خلوقي اللون (من الأحمر والأصفر) ويسميه أهل مصر الزهرى، وفيه ما نصفه لون الزعفران ونصفه الآخر مثل الدم، وليس له زغب البتة، وهو ألطف جرما من الشعرى وأصدق حلاوة، وأطيب ريحا.

أما عما قيل في الخوخ من شعر فقد ورد ما يلي في الوصف والتشبيه:

قال بعضهم في الخوخ الأقرع: *(الوافر)*

وبنت ندى مخطط الأعالي
بمحمر كلون الأرجوان
كوجنة غادة خافت رقيبا
فغطتها بمحمر البنان

(نسب الشعر في نهاية الأرب ١١/ ١٤٠ إلى ابن القوطية، ونورد ترجمته في حرف القاف إن شاء الله تعالى).

وقال آخر في الخوخ الشعرى:

(البسيط)

وطيب الريق عذب آب في آب
وزار مشتملا في زى أعراب
في مخمل النسج لم تحمل مناصبه
بين الفواكه من نقص ولا غاب
خالسته نظرى فاحمر من خجل
ثم انثنى معرضا عنى كمرتاب
من اسمه فيه مقلوبا ومبتدأ
أرنى على اللوز في تطريز جلباب

(مفتاح الراحة ١٩٥ـ١٩٧).

وجاء في حسن المحاضرة قول بعضهم:

كأنما الخوخ في دوحه
وقد بدا أحمره العندمي
بنادق من ذهب أصفر
قد خُضِّبت أنصافها بالدم

(حسن المحاضرة ٢ / ٤٣٧، ٤٣٨).

وقال السيوطي في واحدة من مقاماته هي «المقامة التفاحية»:

وما أدراك ما الخوخ بارد في آخر الأولى رطب في مبدأ الثانية، ينفع الأبدان اليابسة الحارة الواهية، جيد للمعدة الحارة يقطع اللهيب والعطش ومضاره ويشهي الطعام... ويطفيء الحرارة المطلقة وينفع المحموم وقت صعود الحمى الحادة إذا كانت غبا خالصة أو محرقة.

وورقه إذا دُق وعُصر وشُرب مرات متواليات أسهل حب القرع والحيات وإذا ضمد به السرة قتل ما في البطن من الديدان، وإذا دُلّك به بعد الطلاء بالنورة طيب الأبدان، ودهنه ينفع من الشقيقة ومن أوجاع الأبدان والآذان.

وكم فيه للشعراء من تشبيهات حسان

وقال الشاعر:

وخوخة بستان ذكى نسيمها
من المسك والكافور قد كسبت نشرا
ملبسة ثوبا من التبر نصفها
مصاغا وباقيها كياقوتة حمرا

وقال آخر:

وخوخة جمعت طعما ورائحة
ومظرا يا له من منظر حسن
فيها من الطعم أصنافا مضاعفة
طعم الفواكه مجنى من الغصن
وفي وسطها عجوة تشفى إذا عصرت
من كل داء جرى في الرأس والبدن
أضحت شفاء وريحانا وفاكهة
زين الفواكه في الأمصار والمدن

وقال آخر:

وخوخة يحكى لنا نصفها
وجْنة معشوق رآه الرقيب

ونصفـــــه الآخـــــر شبهتــــه
بلـــــون صب غـــاب عنـــه الحبيب

وجاء ما يلي في هامش التحقيق (١):

إجاص شائك:

(شجر شائك من فصيلة الورديات ويسمى عندنا خوخ السياج)

مكان النبتة: برية في السياج والأدغال والأحراج وحفافي (جوانب) الطرق والأراضي المقفرة. ويمكن زرعها.

أوصافها: شجرة يبلغ ارتفاعها نحو (٣) أمتار، قشرتها (لحاؤها) سواد، وفي أغصانها الكثير من الشوك المنفرد الصلب. تزهر في شهري نيسان وأيار، وقبل ظهور أوراقها. زهورا دائرية صغيرة ناصعة البياض لها رائحة اللوز المر، وتتكون منها أثمار كروية وحيدة النواة تنضج في تشرين الأول ويصبح لونها أزرق أسود. أما الأوراق فصغيرة بيضية الشكل ومسننة الحوافي.

الجزء الطبي منها: الأزهار ما دامت ناصعة البياض في شهر نيسان وأيار (إبريل ومايو) والأثمار المجففة في الشمس في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني (أكتوبر ونوفمبر).

المواد الفعالة فيها: في الأزهار كلوكوزيد الفلافون وهو ملين ومعرق ومدر للبول ومسكن للتشنجات.

وفي الأثمار حوامض عضوية ومواد دابغة ومادة البكتين المجلطة.

استعمالها طبيا:

أ ـ من الخارج: يستعمل عصير الأثمار لمعالجة قروح الفم والرعاف (النزيف من الأنف).

ب ـ من الداخل: يستعمل مستحلب الأزهار كملين لطيف حتى للأطفال، ويعمل بالطريقة المعروفة وبنسبة نصف ملعقة كبيرة من أوراق الأزهار، لكل فنجان من الماء الساخن بدرجة الغليان. ويشرب في المساء قبل النوم ويستمر على ذلك بضعة أيام. ويعالج بمستحلب الأزهار أيضا التهاب المثانة والكلى وصعوبة التبول الناتجة عن تضخم البروستات عند الشيوخ.. ويشرب منه فنجانان في اليوم.

وتعطى الأثمار مطبوخة بالسكر (مربى) بمقدار ملعقة كبيرة ثلاث مرات يوميا لمعالجة الإسهال وتضخم الكبد (مقامات السيوطي / ٦٤-٦٦).

وذكره صاحب الأرجوزة الشقرونية في فاكهة الخريف فقال محذرا من أضراره، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص:

٣٢٥ ـــ *والخــوخ لا يعقبــه ســلامــه*
فكـن لمـن يهـــواه ذا مـــلامــــه

٣٢٦ ـــ *يحــدث أمــراضـا كحمـى العفنْ*
فـي الحين أو بعــــد مضـي زمـنْ

٣٢٧ ـــ *فهــو وإن كـان لـذى الصفـراء*
مبــــردا يحــــدث شــــر داء

٣٢٨ ـــ *أصلحـــه بعـــد أكلـــه بعسل*
ومصطكـي لـــــدفـع داء معضـل

(الطب العربي / ١٢٣، ١٢٥).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٤١، ١٤٢، والقانون في الطب لابن سيناء شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطي / ٣٢٣، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٦٦، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من أعلام القرن الثامن الهجري ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي العمد / ١٩٥ - ١٩٧، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢ / ٤٣٧، ٤٣٨، ومقامات السيوطي للحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري ومحمد السعيد بسيوني زغلول / ٦٤ - ٦٦، والطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازي، تعريب وتقديم د. عبد الهادي التازي).

*** الخَوْخَة:**

جاء في اللسان: الخَوْخَة: واحدة الخوخ.. والخَوْخَة: كوة في البيت تؤدي إليه الضوء. فالخَوْخَة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز، وعم به بعضهم فقال: هي مخترق ما بين كل شيئين وفي الحديث: لا تبقى خوخة في المسجد إلا سُدَّت غير خوخة

أبـي بكر الصديق، رضى الله عنه، وفي حديث آخر: إلا خوخة على، رضوان الله عليه، هي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب، قال الليث: وناس يسمون هذه الأبواب التي تسميها العجم بنحرقات خَوْخات (لسان العرب ١٥ / ١٢٨٤).

وقد ذكر المقريزى «الخوخ» من بين أخطاط القاهرة، وقد آثرنا أن ننقل ما أورده برمته، مع ما جاء به من تراجم، تيسيرا على القارئ، وحتى لا تفقد المادة ترابطها، وإليك البيان. قال المقريزى والقصد إيراد ما هو مشهور من الخوخ أو لذكر فائدة، وإلا فالخُوَخُ والدروب والأزقة كثيرة جدا.

الخوخ السبع: كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة يتوصل منها الخلفاء إذا أرادوا الجامع الأزهر فيخرجون من باب الديلم الذى هو اليوم باب المشهد الحسينى إلى الخوخ ويعبرون منها إلى الجامع الأزهر فإنه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الأمير عقيل ولم يكن فيه مساكن ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم أثر ألبتة ويعرف اليوم بالأبارين.

باب الخوخة: هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حد القاهرة البحرى يسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ويخرج منه إلى الخليج الكبير وميمون دبه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله.

خوخة أيدغمش: هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة يخرج منها إلى ظاهر القاهرة عند غلق الأبواب فى الليل وأوقات الفتن إذا غلقت الأبواب فينتهى الخارج منها إلى الدرب الأحمر واليانسية ويسلك من هناك إلى باب زويلة ويصار إليها من داخل القاهرة إما من سوق الرقيق أومن حارة الروم من درب أرقطاى وهذه الخوخة بجوار حمام أيدغمش وهو أيدغمش الناصرى، الأمير علاء الدين أصله من مماليك الامير سيف الدولة يلبان الصالحى ثم صار إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكرك جعله أمير أخور عِوضا عن الأمير بيبرس الحاجب ولم يزل حتى مات الملك الناصر فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الأمراء مع إيدغمش على الأمير قوصون فوافقهم على محاربته وقبض على قوصون وجماعته وجهزهم إلى الإسكندرية وجهز من أمسك الطنبغا ومن معه وأرسلهم أيضا إلى الإسكندرية وصار إيدغمش فى هذه النوبة هو المشار إليه فى الحل والعقد فأرسل ابنه فى جماعة من الأمراء والمشايخ إلى الكرك بسبب إحضار أحمد بن الملك الناصر محمد فلما حضر أحمد من الكرك وتلقب بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج إيدغمش نائبا بحلب فسار إلى عين جالوت وإذا بالفخرى قد صار إليه مستجيرا به فآمنه وأنزله فى خيمة فلما ألقى عنه سلاحه واطمأن قبض عليه وجهزه إلى الملك الناصر أحمد وتوجه إلى حلب فأقام بها إلى أن استقر الملك الصالح إسماعيل بن محمد فى السلطنة نقله عن نيابة حلب إلى نيابة دمشق فدخلها فى يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومازال بها إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعاد من مطعم طيوره وجلس بدار السعادة حتى انقضت الخدمة وأكل الطارى وتحدث ثم دخل إلى داره فإذا جواريه يختصمن فضرب واحدة منهن ضربتين وشرع فى الضربة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد فى تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكان جوادا كريما وله مكانة عند الملك الناصر الكبير بحيث إنه أمَّر أولاده الثلاثة وكان بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته فى قطيا فعاد.

خوخة الأرقى: بحاره الباطلية يخرج منها إلى سوق الغنم وغيره وهى بجوار داره.

خوخة عسيلة: هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهى بحارة الباطلية مما يلى حارة الديلم فى ظهر الزقاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار الست حدق.

خوخة الصالحية: هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزيك التى هدمها ابن قايمار وعمرها وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بحتكين وهو الأمير جمال الدولة بحتكين الظاهرى ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزيك لأن داره كانت هناك وبها كان سكنه قبل أن يلى وزارة الظافر.

خوخة المطوع : هذه الخوخة بحارة كتامة في أولها مما يلى الجامع الأزهر عند اصطبل الحسام الصفدى عرفت بالمطوع الشيرازى .

خوخة حسين : هذه الخوخة فى الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الإسوانى ويسلك فيه إلى حكر الرصاصى بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب وإنه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب وهو كذب مختلق وإفك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق وفى القبر الآخر إنه قبر أبى تراب النخشبى وفى القبر الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة إنه قبر زارع النوى وإنه صحابى وغير ذلك من أكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم أنصابا ليكونوا لهم عزا .

وحسين هذا هو الأمير سيف الدين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك وكان كرديا قدمه الصالح بن رزيك ابن الصالح لما ولى الوزارة ونوه به فلما مات وقام من بعده ابنه رزيك بن الصالح فى الوزارة كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح واستشار حسينا فى صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه بإبقائه فأبى وولى الأمير أبا الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص إلى طريق الواحات فلما سمع رزيك بمسيره رأى فى النوم مناما عجيبا فأخبر حسينا بأنه رأى مناما فقال إن بمصر رجلا يقال له أبو الحسن على بن نصر الإرتاجى وهو حاذق فى التعبير فأحضره وقال رأيت كأن القمر قد أحاط به حنش وكأننى روّاس فى حانوت فغالطه الإرتاجى فى تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى خرج وقال له ما أعجبنى كلامك والله لابد أن تصدقنى ولا بأس عليك فقال يا مولاى القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رواس، اقلبها تجدها شاور مصحفا وما وقع لى غير هذا فقال حسين اكتم هذا عن الناس وأخذ حسين فى الاهتمام بأمره ووطأ أنه يريد التوجه إلى مدينة الرسول ﷺ وكان قد أحسن إلى أهلها وحمل إليها مالا وقماشا وأودعه عند من يثق به هذه وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الإرجاف به إلى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح فى بنى رزيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك فقالوا خرج فانقطع قلبه لأن حسينا كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها وله تقدم فى الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهزم إلى ظاهر طفيح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب وأحضره إلى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين فى سنة ...

خوخة الحلبى : هذه الخوخة فى آخر اصطبل الطارمة بجوار حمام الأمير علم الدين سنجر الحلبى وفى ظهر داره .

وسنجر الحلبى : أحد المماليك الصالحية ، ترقى فى الخدم إلى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده فى السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ودعا إلى نفسه وتلقب بالملك المجاهد وبقى أشهرا والملك الظاهر يكاتب أمراء دمشق إلى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياما فلما خشى أن يقبض عليه فر من القلعة إلى بعلبك فجهز إليه الظاهر الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى وما زال يحاصره حتى أخذه أسيرا وبعث به إلى الديار المصرية فاعتقله الظاهر ومازال فى الاعتقال من سنة تسع وخمسين إلى سنة تسع وثمانين وسبعمائة مدة تنيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر، وولديه ، وأيام الملك المنصور قلاوون فلما ولى الملك الأشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجعله أحد الأمراء الأكابر على عادته فلم يزل أميرا بمصر إلى أن مات على فراشه فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وقد جاوز تسعين سنة وانحنى ظهره وتقوس .

خوخة الجوهرة : هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها من دار الأمير علاء الدين الكورانى والى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وأقام فى ولاية القاهرة من محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد أستدمر القلنجى والى القاهرة إلى ...

خوخة مصطفى : هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة يخرج منها إلى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه إلى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج عرفت بالأمير

فـارس المسكين مصطفى أحد أمـراء بنى أيـوب الملوك وهـو أيضا صاحب هذا الحمام.

خوخة ابن المأمون: هذه الخـوخة فى حارة زويلة بالدرب الذى بقـرب حمام الكوبك، ويقـال لهذه الخوخة اليـوم باب حارة زويلة، وأصلها خوجة فى درب ابن المأمون البطائحى.

خوخة كوتيه آق سنقر: هذه الخوخة فى الزقاق الذى يظهر المدرسة الفخرية بآخـر سويقة الصاحب كان يسلك منها إلى الخليج من جوار باب الذهب ومـوضعها بحذاء بيت القاضى أمين الـدين نـاظـر الدولـة ولم تـزل إلى أن بنى المهتـار عبـد الرحمـن البابا داره بجـوارها فى سنى بضع وتسعيـن وسبعمائة فسدها وعرفـت هذه الخوخة أخيرا بخوخـة المسيرى وهو قمر الدين بن السعيد المسيرى.

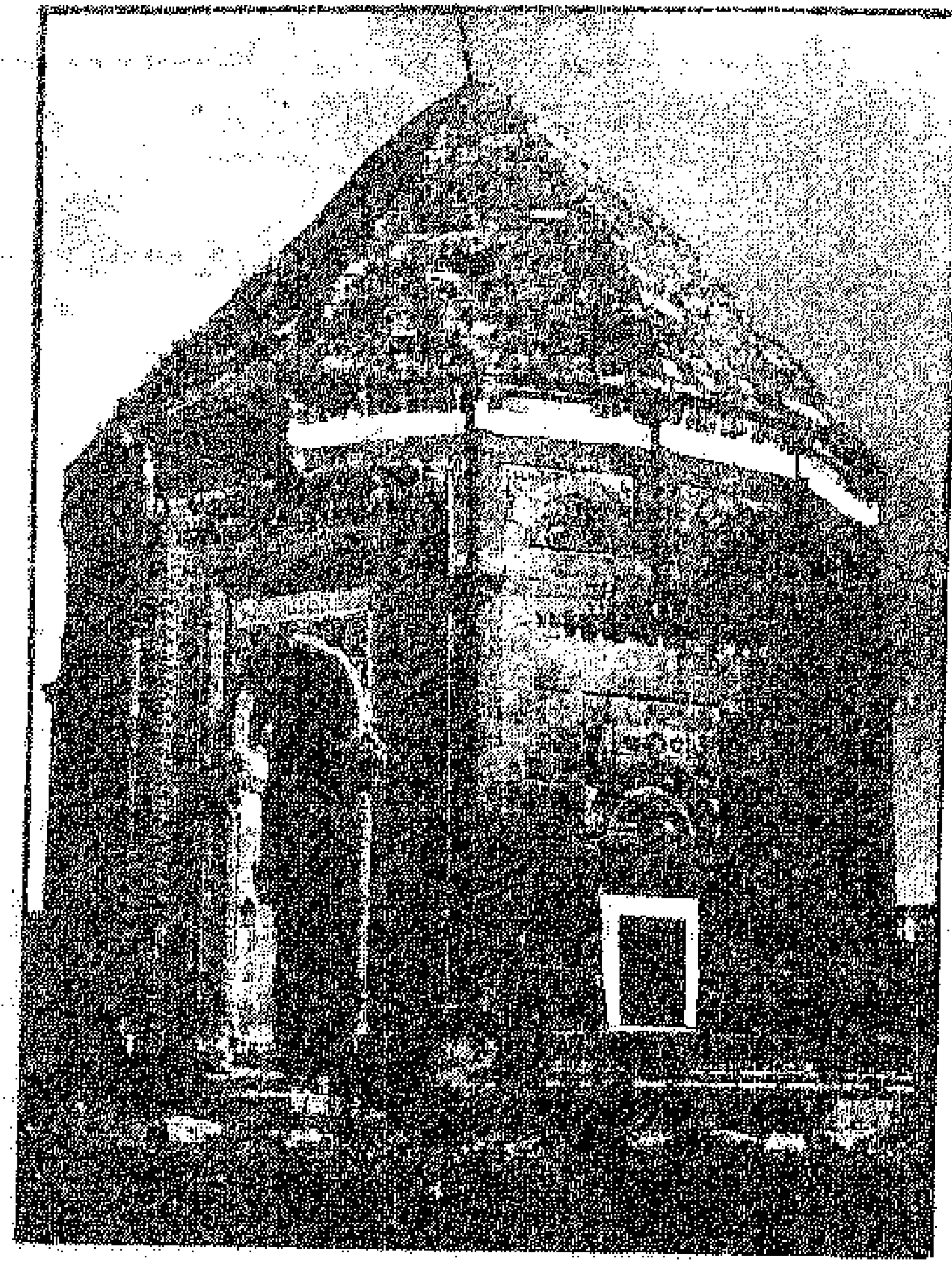
خوخة أمير حسين: هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منهـا إلى تجاه قنطـرة أمير حسيـن فتحها الأميـر شرف الـدين حسين بن أبى بكـر بن إسماعيل بن حيدرة بيـك الرومى حين بنى القنطـرة على الخليج الكبير وأنشأ الجـامع بحكر جـوهر التوبى. وجرى فـى فتح هذه الخوخة أمر لا بـأس بإيراده وهو أن الأمير حسين قصد أن يفتح فى السور خوخة لتمر الناس من أهل القاهرة فيهـا إلى شارع بين السورين ليعمر جـامعه فمنعه الأميـر علم الـدين سنجر الخـازن والى القـاهـرة من ذلك إلا بمشـاورة السلطان الملك النـاصـر محمـد بن قلاوون وكـان للأمير حسين إقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرفه أنه أنشأ جـامعا وسألـه أن يفسح لـه فى فتح مكـان من السور ليصيـر طريقا نافـذا يمر فيه الناس من القاهرة ويخـرجون إليه فأذن له فى ذلك وسمح به فنـزل إلى السور وخـرق منه قدر بـاب كبير ودهن عليه رنكه بعد ما ركب هناك بابا ومر الناس منه واتفق أنه اجتمع بالخازن والـى القاهرة وقال له على سبيـل المداعبة كم كنت تقول ما أخلِّيك تفتح فى السور بابا حتى تشاور السلطان ها أنا قد شاورته وفتحت بابا على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول وصعد إلى القلعة ودخل على السلطان وقال ياخوند أنت رسمت للأميـر شرف الديـن أن يفتح فى السور بابـا وهو سور حصيـن على البلد فقال السلطـان إنما شـاورنى أن يفتح خوخـة لأجل حضور الناس للصـلاة فى جامعه فقـال الخازن ياخوند ما فتح إلا بابا يعادل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطانا على البارد وما جـرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثـر هـذا الكـلام من الخـازن فى نفس السلطـان أثـرا قبيحـا وغضب غضبا شـديدا وبعث إلى النائب وقد اشتـد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر إلى دمشـق بحيث لا يبيت فى المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ما تقدم ذكره.

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٢٨٤، والمـواعظ والاعتبار بـذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٤٥ ـ ٤٧).

*** خودا بنده (ضريح ـ):**

قال عنه الأستاذ الدكتور ثروت عكاشة:

أقيم هذا الضريح للأميرة خودا بنده ابنة السلطان أولجايتو أحد سـلاطين الإيلخانات، غير أنـه جاء مخالفا كل التقـاليد المعماريـة السائدة فى إيران فى ذلك الوقت. وهـو واحد من النمـاذج المتأخـرة لهذا الطـراز من المقـابر فـى الأناضـول، ويمتاز بغنى زخارفـه. وتدلنا الأفاريز التى تثقلهـا المقرنصات والتى طـوقت أعلى البناء وأسفلـه على مدى مـا كان يتسم بـه الـذوق السلجوقى من غـرابـة وشغف بقلب النظام التقليـدى للعنـاصـر المعمـارية ووضعهـا فى غيـر مـواضعهـا. ومع أن حشوات الزخرفة المركبـة على مسطحات البناء جاءت ضحلة العمق إلا أنهـا تكشف عن أن الصُّنـاع كـانوا لا يـزالـون على مستوى عال من الإجادة والبراعة. وتنفرد هذه المقبرة السداسية الأضلاع بنافـذة فى كل واجهة من واجهاتها الستـة متسقة مع سياج القضبـان الحجرية الأنيقـة، كما تـزخر بنقوش زخـرفية تمثل حوريـات البحر، والمرأة العقاب «هاربـى» أو أُسودا قد نهضت على قوائمهـا الخلفية. وأهم مـا يسترعى انتبـاهنا فى هذا البنـاء الغريب أن منطقة الانتقـال فوق الـواجهات الست تحتوى على بـروزات مثلثة مستندة إلى مقرنصـات من أسفلها حـولت المسـدس إلى اثنى عشـر ضلعا. وقـد شُيـد السقف الجمـالـونى العلـوى مـن ستـة أضـلاع، محمَّـلا على هـذه البـروزات التى تتـوسط الـواجهـات الست ممـا أضفى على التصميم المعمـارى حركـة ديناميكيـة. وقد أحيت المثلثـات البارزة أسطح واجهـات المبنى الستة، ولعلها ترمـز بحشواتها الزخرفيـة المعقودة فوق المقرنصات، ومن تحتهـا النافـذة إلى العينين والأنف والفم فى وجه الإنسان.



ضريح خوداينده بالأناضول

والصورة تبين الأضلاع الستة السفلى تعلوها البروزات المثلثة فى كل ضلع من أضلاع المسدس. وقد ركبت أضلاع السقف الجمالونى الستة على رؤوس نتوءات هذه البروزات المثلثة، وليس على أضلاع المسدس نفسه كما هو المتوقع.

(القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٢٨٣).

***الخَوَرْنَق:**

قال ياقوت:

الخَوَرْنَقُ: بفتح أوله وثانيه، وراء ساكنة، ونون مفتوحة، وآخره قاف: بلد بالمغرب، قرأت فى كتاب النوادر الممتعة لأبى الفتح بن جنى: أخبرنا أبو صالح السليل بن أحمد عن أبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى قال: قال الأصمعى سألت الخليل بن أحمد عن الخورنق فقال: ينبغى أن يكون مشتقا من الخِرْنِق الصغير من الأرانب، قال الأصمعى: ولم يصنع شيئا إنما هو من الخُورْنْقاه، بضم الخاء وسكون الواو وفتح الراء وسكون النون والقاف، يعنى موضع الأكل والشرب بالفارسية، فعربته العرب فقالت الخورنق ردته إلى وزن السفرجل؛ قال ابن جنى: ولم يؤت الخليل من قِبل الصنعة لأنه أجاب على أن الخورنق كلمة عربية، ولو كان عربيا لوجب أن تكون الواو فيه زائدة كما ذكر لأن الواو لا تجىء أصلا فى ذوات الخمسة على هذا الحد فجرى مجرى الواو كذلك، وإنما أتى من قبل السماع، ولو تحقق ما تحققه الأصمعى لما صرف الكلمة؛ أنَّى وسيبويه إحدى حسناته؟

والخورنق أيضا: قرية على نصف فرسخ من بلخ، يقال لها خبنك، وهو فارسى معرب من خرنكاه، تفسيره موضع الشرب؛ ينسب إليها أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد البسطامى الخورنقى، وهو أخو عمر البسطامى الخورنقى، كان يسكن الخورنق فنسب إليها، سمع أباه أبا الحسن بن أبى محمد وأبا هريرة عبد الرحمن بن عبد الملك ابن يحيى بن أحمد القلانسى وأبا حامد أحمد بن محمد الشجاعى السرخسى وأبا القاسم أحمد بن محمد الخليلى وأبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأصبهانى التاجر، وكانت له إجازة من أبى على السرخسى، كتب عنه أبو سعد، وكانت ولادته فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة ٤٦٨ ببلخ، ووفاته بالخورنق فى السابع عشر من رمضان سنة ٥٥١؛ وأما الخورنق الذى ذكرته العرب فى أشعارها وضربت به الأمثال فى أخبارها فليس بأحد هذين إنما هو موضع بالكوفة قال أبو منصور: هو نهر؛ وأنشد:

وتجبى إليه السيلحون ودونها
صريفون فى أنهارها والخورنق

قال: وهكذا قال ابن السكيت فى الخورنق، والذى عليه أهل الأثر والأخبار أن الخورنق قصر كان بظهر الحيرة، وقد اختلفوا فى بانيه فقال الهيثم بن عدى: الذى أمر ببناء الخورنق النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن الحارث بن عمر بن لخم بن عدى بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، ملك ثمانين سنة وبنى الخورنق فى ستين سنة، بناه له رجل من الروم يقال له سِنِمَّار، فكان يبى السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك وأقل، فيُطلب فلا يُوجد، ثم يأتى فيحتج، فلم يزل يفعل هذا الفعل ستين سنة حتى فرغ من بنائه، فصعد النعمان على رأسه ونظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه فرأى الحوت والضب والظبى والنخل فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قط! فقال له سنمَّار: إنى أعلم موضع آجُرَّة لو زالت لسقط القصر

كله، فقال النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ قال: لا، قال: لا جرم لأدعنها وما يعرفها أحد! ثم أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع، فضربت العرب به المثل، قال شاعر:

جزاني جزاه الله شر جزائه،
جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب
سوى رَمِّه البنيان، ستين حجة،
يعلُّ عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سحوقه،
وآض كمثل الطود والشامخ الصعب
فظن سنمار به كل حبوة،
وفاز لديه بالمودة والقُرْب
فقال اقذفوا بالعلج من فوق رأسه!
فهذا، لعمر الله من أعجب الخطب

وقد ذكرها كثير منهم وضربوا سنمار مثلا، وكان النعمان هذا قد غزا الشام مرارا وكان من أشد الملوك بأسا، فبينما هو ذات يوم جالس في مجلسه في الخورنق فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق والخورنق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخندق فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار فقال لوزيره: أرأيت مثل هذا المنظر وحسنه؟ فقال: لا والله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم! قال: فما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة، قال: فبم ينال ذلك؟ قال: بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده، فترك ملكه في ليلته ولبس المسوح وخرج مختفيا هاربا، ولا يعلم به أحد ولم يقف الناس على خبره إلى الآن، فجاؤوا بابه بالغداة على رسمهم فلم يؤذن لهم عليه كما جرت العادة، فلما أبطأ الإذن أنكروا ذلك وسألوا عن الأمر فأشكل الأمر عليهم أياما ثم ظهر تخليه من الملك ولحاقه بالنُّسك في الجبال والفلوات، فما رؤي بعد ذلك ويقال: إن وزيره صحبه ومضى معه؛ وفي ذلك يقول عدي بن زيد:

وتبيّن رب الخورنق، إذ
أشرف يوما، وللهُدى تفكير
سره ما رأى وكثرة ما يمـ
ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبـ
ـطة حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمّـ
ـة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جفـ
ـف، فألوت به الصبا والدبور

وقال عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة عند غلبة خالد بن الوليد على الحيرة في خلافة أبي بكر، رضي الله عنه:

أبعد المنذرين أرى سواما
تروَّح بالخورنق والسدير
تحاماه فوارس كل حي،
مخافة ضيغم عالي الزئير
فصرنا، بعد هلك أبي قبيس،
كمثل الشاء في اليوم المطير
تقسّمنا القبائل من معد
كأنا بعض أجزاء الجزور

وقال ابن الكلبي: صاحب الخورنق والذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف، وذلك أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد وكان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره عِلة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء والأسقام ليبعث بهرام إليه خوفا عليه من العلة، فأشار عليه أطباؤه أن يخرجه من بلده إلى أرض العرب ويسقى أبوال الإبل وألبانها، فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبني له قصرا مثّله على شكل بناء الخورنق، فبناه له وأنزله إياه وعالجه حتى برأ من مرضه، ثم استأذن أباه في المقام عند النعمان فأذن له، فلم يزل عنده نازلا قصره الخورنق حتى صار رجلا ومات أبوه فكان من أمره في طلب الملك حتى ظفر به ما هو متعارف مشهور؛ وقال الهيثم بن عدي: لم يقدم أحد من الولاة الكوفة إلا أحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئا من الأبنية، فلما قدم الضحاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيّضه وتفقده، فدخل إليه

شريح القاضي فقال: يا أبا أمية أرأيت بناء أحسن من هذا؟ قال: نعم، السماء وما بناها! قال: ما سألتك عن السماء، أقسم لتسبن أبا تراب، قال: لا أفعل، قال: ولم؟ قال: لأنا نعظم أحياء قريش ولا نسب موتاهم، قال: جزاك الله خيرا! وقال علي بن محمد العلوي الكوفي المعروف بالحماني:

كم وقفة لك بالخور نق ما توازي بالمواقف
بين الغدير إلى السدير إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرهبان في أطمار خائفة وخائف
دمَنٌ كأن رياضها يكسين أعلام المطارف
وكأنما غدرانها فيها عشور في مصاحف
وكأنما أغصانها تهتز بالريح العواصف
طُرر الوصائف يلتقين بها إلى طرر المصاحف
تلقى أواخرها أوا ئلها بألوان الرفارف
بحرية شتواتها، برية منها المصائف
درية الصهباء كا فورية منها المشارف

(معجم البلدان ٢/ ٤٠١ـ٤٠٣).

انظر: السّدير

*** الخورنق والسدير:**

انظر: الخورنق، السدير

*** خُوز**

قال ياقوت:

خوز: بضم أوله، وتسكين ثانيه، وآخره زاي: بلاد خوزستان يقال لها الخوز، وأهل تلك البلاد يقال لهم الخوز وينسب إليه؛ ومنهم: سليمان بن الخوزي، روى عن خالد الحذاء وأبي هاشم الرماني، حدث عنه عبد الله بن موسى؛ وعمرو بن سعيد الخوزي، حدث عنه عباد بن صهيب.

والخوز أيضا، شعب الخوز: بمكة؛ قال الفاكهي محمد ابن إسحاق: إنما سمي شعب الخوز لأن نافع بن الخوزي مولى عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي نزله وكان أول من بنى فيه، ويقال شعب المصطلق، وعنده صُلِّي على أبي جعفر المنصور؛ ينسب إليه أبو إسماعيل إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي مولى عمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو ابن دينار وأبي الزبير وغيرهما بمناكير كثيرة وكان ضعيفا، روى عنه المعتمر بن سليمان والمعافى بن عمران الموصلي؛ وقال التوزي: الأهواز تسمى بالفارسية هُرمشير وإنما كان اسمها الأخواز فعربها الناس فقالوا الأهواز، وأنشد لأعرابي:

لا ترجعن إلى الأخواز ثانية . قُعيقعان الذي في جانب السوق
ونهر بط الذي أمسى يؤرقني فيه البعوض بلَسب غير تشفيق

والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا؛ قال ابن الفقيه قال الأصمعي: الخوز هم الفعلة وهم الذين بنوا الصرح واسمهم مشتق من الخنزير، ذهب أن اسمه بالفارسية خوه فجعله العرب خوز، زادوه زايا كما زادوها في رازي ومروزي وتوزي؛ وقال قوم: معنى قولهم خوزي أي زيهم زي الخنزير، وهذا كالأول، وروى أن كسرى كتب إلى بعض عماله: ابعث إليَّ بشرّ طعام على شر الدواب مع شر الناس، فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزي؛ وروى أبو خيرة عن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: ليس في ولد آدم شر من الخوز ولم يكن منهم نجيبه؛ والخوز: هم أهل خوزستان ونواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان.

والخوزيون: محلة بأصبهان نزلها قوم من الخوز فنسبت إليهم فيقال لها در خوزيان؛ نسب إليها أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد الخوزي يعرف بابن نجوكه، سمع أبا نعيم الحافظ، وقيل إنه آخر من حدث عنه السمعاني منه إجازة، ومات في سنة ٥١٧ أو ٥١٨؛ وأحمد بن محمد

ابن أبي القاسم بن فليزة أبو نصر الأمين الخوزى الأصبهانى، سكن سكة الخوزيين، بها سمع أبا عمرو بن منده وأبا العلاء سليمان بن عبد الرحيم الحسناباذى، مات يوم الأربعاء ثالث عشر شوال سنة ٥٣١؛ ذكره فى التحبير.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٤).

*** خوزان:**

قال ياقوت:

خوزان: بضم أوله، وبعد الواو زاى، وآخره نون: قرية من نواحي هراة. وخوزان أيضا: قرية من نواحي ينج ده كثيرة الخير والخضرة، وهاتان من نواحي خراسان؛ قال الحازمي: وخوزان من قرى أصبهان ورأيتها، قال: وقال لى أبو موسى الحافظ وينسب إليها أحمد بن محمد الخوزانى شاعر متأخر، روى عنه أبو رجاء هبة الله بن محمد بن على الشيرازى؛ قال: انشدنى أحمد بن محمد الخوزانى لنفسه:

خذ فى الشباب من الهوى بنصيب،
إن المشيب إليه غير حبيب
ودع اغترارك بالخضاب وعاره،
فالشيب أحسن من سواد خضيب

وفى التحبير: محمد بن على بن محمد المعلم أبو سحمة الصوفى الخوزانى من أهل مرو، وكان شيخا فقيرا صالحا، سمع أبا الفتح عبد الرزاق بن حسان المنيعى، وسمع منه أبو سعد بالدرق، وكانت ولادته فى حدود سنة ٤٧٠، ومات فى سنة ٥٣٢ أو ٥٣٣.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٣، ٤٠٤).

*** خوزستان:**

الإقليم الحادى عشر من أقاليم العالم وفقا لتقسيم المقدسى، وقد جعل المقدسى خوزستان مجموعة واحدة، وبهذا انفرد بذلك، وخالف الإصطخرى إذ جعل السوس كورة من كور هذا الإقليم.

وقد قسم المقدسى إقليم خوزستان إلى سبع كور، أولها من قبل الجبال: السوس، ثم جنديسابور (أوردناها فى م ١٢ / ٣٨٣، ٣٨٤)، ثم تُستر (أوردناها فى م ٩ / ٣٣٠ - ٣٣٢)، ثم عسكر مكرم، ثم الأهواز (أوردناها فى م ٦ / ٢٢٣ - ٢٢٥)، ثم رام هرمز، ثم الدورق. وفيما يلى بيان بكل كورة وقصبتها ومدنها كما أوضحها المقدسى.

الكور	القصبة الناحية	المدن
١ - السوس من تخوم العراق وحد الجبال	السوس	بصنا. متوت، بيروت، البذان. قرية الرمل. كرخة.
٢ - جند يسابور		الدز، الروناش، بايوه، قاضبين. اللور.
٣ - تستر		ليس لها مدن، وهذا ما يخالف أصل المقدسى الذى اعتبر أنه لا بد لكل قصبة من مدن.
٤ - العسكر	عسكر مكرم	بها رستاق المشرقان لها من المدن: جوبك، وزيدان، سوق الثلثاء، حبك، ذو قرطم، برجان خان، طوق سوق العسكر يوم الجمعة. ثم إلى خان طوق ست مدائن على أسامى أيام الأسبوع لكل يوم سوق.
٥ - الأهواز مصر الإقليم		نهر تيرى، مناذر الكبرى. مناذر الصغرى، جوزدك بيروه، سوق الأربعاء حصن مهدى، باسيان، شوارب، بندم، الدورق، وسنة، جبى.
٦ - الدورق تتاخم العراق على القرنة	الدورق	آزر، أجم. بخسا باذ، الدز اندبار، ميراقيان، ميراثيان.
٧ - رام هرمز	رام هرمز	سنبل، إيذج، تيرم، بازنك، لاذ، غروة، بابج كوزوك.

(المقدسى/ ٧٦، ٩٨، ٩٩).

قال المقدسى عن خوزستان:

هذا إقليم أرضه نحاس نباتها الذهب، كثير الثمار والأرزاز والقصب، وفيه الإنجاص والحبوب والرطب، والأترنج الفائق والرمان والعنب، نزيه طيب أنهاره عجب. بزه الديباج والخز، والرقاق من القطن والقز. معدن السكر، والقند (هو عسل قصب السكر إذا جمد معرب) والحلواء الجيدة وعسل القطر. به تستر التى اسمها فى المشرقين. والعسكر التى تميز الدولتين، والأهواز المشهورة فى الخافقين. وبَصِنّا التى ستورها فى الدنيا إلى سدرة المنتهى، ومثل خز السوس



لا ترى. ومع هذا به معادن النفط والقار، ومزارع الرياحين والأطيار. ثم واسطة بين فارس والعراق به كانت وقائع الإسلام وثَمّ معارك القوم وقبر دانيال لا يخلو من فقيه وأستاذ ولا فى الثمانية أفصح منهم لغات، به الدواليب الظريفة، والطواحين الغريبة، والأعمال العجيبة، والخصائص الكثيرة، والمياه الغزيرة. دخله كان يعضد الخليفة، وله آثين وطيبه. لم يطب لى فى الثمانية غيره...

ولا تراهم مع تلك الأموال الجمة والتجارات العجيبة والصناعة النفيسة عندهم من التمييز والتدبير ما عند غيرهم، إذا ترعرع أولادهم طرحوهم فى الغرب وأبلوهم بالأسفار والكسب فيتيهون من بلد إلى بلد ولا حظ لهم فى علم ولا أدب. والخوز ما علا عن الأهواز لأن أكثر أهل الأهواز ناقلة من البصرة وفارس. وكنت يوما أسير مع أبى جعفر بن محسن بالأهواز فشاجره بعض السوقة فقال له أنتم معاشر الخوز لا خير فيكم، فقال له السوقى. الخوز ما كان فوق الأهواز مثل العسكر وجنديسابور والسوس وأما نحن فعراقيون...

اعلم أن هذا الإقليم كان يعرف قديما بالأهواز وسبع كورها والآن قد تعطلت بعض تلك الكور واختلف فى بعض وناقض أصولنا بعض، وقد قلنا إن مثل الملوك فى علمنا مثل الصحابة فى علم الشريعة، إذا قال أحدهم قولا لم يُعلم له مخالف من الصحابة عمل بقوله وكان حجة، وكان عضد الدولة من أجلة ملوك زمانه لأن له فى الإسلام آثارا وعجائب ألا ترى إلى مدنه التى بناها وأنهاره التى كراها والأسماء التى اخترعها والأشياء التى ابتدعها. وقد كان يسمى هذا الإقليم سبع الكور وتعارف الناس ذلك فاتبعناه فى ذلك إذ لم نجد له مخالفا. فأولها من قبل الجبال السوس ثم جنديسابور ثم تُستر ثم عسكر مكرم ثم الأهواز ثم رام هرمز ثم الدورق هذه الأسامى تجمع الكور والقصبات وهن قليلات المدن والإقليم قريب الأطراف.

ثم يتكلم المقدسى على كل كورة من الكور السبع على حدة، وقد سبق أن ذكرنا فى أول المادة أننا أوردنا كلا من الأهواز، وتُستر، وجنديسابور، ونورد باقى الكور فى مواضعها إن شاء الله تعالى ـ وبعدها يتكلم على جمله شئون إقليم خوزستان فيقول:

هو إقليم حار مياهه معتدلة إلا ماء جنديسابور فإنه مع صحته خشن، وهواء السوس غير صحيح وكلما قرب من دجلة بغداد فهو أصحُّ، وبه نخل كثير، وليس به جبل شاهق ولا رمل دهس إلا بين البذان ونهر تيرى ولا يقع به ثلج ولا يتجلد الماء إلا بسواد رام هرمز ويشق أكثره الأنهار يجرى فى جميعها السفن. قليل النصارى غير كثير اليهود والمجوس، وبه مذكرون لهم جلبة وأدنى صيت، وبه متقرئون إلا الأهواز ورباطات وتصوف إلا العسكر، وقبلتهم غير صحيحة بخاصة بصِنًّا، ولما عُدت منه إلى البصرة قال لى أصدقائى يمزحون أعد الصلوات التى صليتها بخوزستان فإنهم يصلونها إلى غير القبلة.

ومذاهبهم مختلفة هو أكثر الإقليم معتزلة أما العسكر فكلهم وأكثر أهل الأهواز ورام هرمز والدورق وبعض أهل جنديسابور، وأما السوس وأجنادها فحنابلة وحُبيَّة، ونصف الأهواز شيعة، وبه أصحاب أبى حنيفة كثير ولهم فقهاء وأئمة وكبراء، وبالأهواز مالكيون. ولما دخلت السوس قصدت الجامع فى طلب شيخ أسمع منه شيئا من الحديث وعلىَّ جبة صوف قبرصية وفوطة بصرية فدفعت إلى مجلس الصوفية فلما

قربت منهم لم يشكوا إلا وأنا صوفي، فتلقوني بالترحيب والتحية وأجلسوني فيما بينهم وجعلوا يسألونني، ثم بعثوا رجلا فأتي بطعام فجعلت انقبض عن الأكل وما كنت صحبت هذه الطائفة قبل ذلك، فجعلوا يتعجبون من انقباضي وعدولي عن رسومهم، وقد كنت أحب أن أخالط هذه الطائفة وأعرف طريقتهم وأعلم حقائقهم، فقلت في نفسي هذا وقتك هذا موضع أنت به مجهول فانبسطت إليهم فكشفت ثوب الحياء عن وجهي، فمرة كنت أراسلهم وكرة أزعق معهم وتارة أقرأ لهم القصائد وأخرج معهم إلى الرباطات وأذهب إلى الدعوات حتى والله حللت من قلوبهم وقلوب أهل البلد بحيث لا غاية ووقع لي بها اسم وقصدني الزوار وحُملت إليَّ الثياب والصُّرر وكنت آخذه وأدفعه إليهم برمته في الوقت لأني كنت غنيا، في وسطي نفقة وافرة وأنا كل يوم في دعوة وأي دعوة وكانوا يظنون أني أفعله زهدا وجعل الناس يتمسحون بي ويذيعون خبري ويقولون لم نر فقيرا قط أفضل من هذا حتى إذا وقفت على سرائرهم وعرفت ما أردت منهم هربت منهم في سجو ليلة فأصبحت وقد قطعت أرضا. فبينا أنا يوم بالبصرة وعليَّ ثوبي وغلام يتبعني إذ رآني رجل منهم فوقف ينظر إليَّ شبه المتعجب فجزت عليه شبه المنكر.

ورسومهم لا يتطلس إلا وجيه أكثرها أردية مربعة والعوام بالمناديل والفوط، ولهم لباقة، وإذا صلى الإمام الغداة بجوامعهم اجتمع عليه الناس فختم بها ودعا وكذلك بشيراز، والخطباء به يلبسون الأقبية والمناطق (وهو ما يُشد به الوسط) على رسم العراق ولا يهللون بعد الجمعة ويلتفت الخطيب يمينا وشمالا ويضجون بالدعاء خلف الصلوات على رسم الشام ومصر. ويدخلون الحمامات بلا ميازر، ويكثرون خبز الأرز وركوب البقر ووضع حباب الماء (هي الجرار الضخمة) في الشوارع والطرق بين الأجناد على كل فرسخ وربما حُمل إليها الماء من بعد. ورسومهم قريبة من رسوم العراق يختارون ما كبر من الفصوص وجل من اللؤلؤ، ولا يرى في الإسلام أصح من موازين العسكر ثم الكوفة.

والتجارات به مفيدة لأن كل سكّر تراه ببلدان الأعاجم والعراق واليمن فمن ثَم يُحمل، ويرتفع من تستر الديباج الحسن والأنماط وثياب مروية حسنة وفواكه كثيرة، ومن السوس السكر الكثير وبز والخزوز، ومن العسكر مقانع القز تحمل إلى بغداد وبز جيد له بقاء وثياب القنب والمناديل وغير ذلك مما يرتفق به أهل الأهواز، وستور بصنا وأنماط قرقوب معروفة، وتعمل بنواحي واسط ستور يكتب عليها مما عُمل ببصنًا وتخرج خروجها وليست مثلها، ويعمل بالأهواز فوط من القز حسنة تلبسها النساء، ويعمل بنهر تيرى أُزُر كبار.

ولهم خصائص ليس مثل مُرى جنديسابور وحلواء الإقليم، وخز السوس غير العمائم لأن سكب الكوفة لا نظير له (السكب ضرب من الثياب) وسكر العنب، وببصنا الأنماط والستور الجيدة، وبُقُول حسنة، ودستنبوى تستر (نوع من البطيخ الأصفر) وقصب السوس، ورطب نهر تيرى في غاية الجودة.

ويقع عصبيات في الأهواز بين المروشيِّين وهم شيعة وبين الفضليين وهم سنة حروب، وبين أهل البذان وبصنًا، وبين أهل تستر والعسكر، وبين أهل تستر والسوس عصبيات من أجل تابوت دانيال عليه السلام، وذلك أنهم ذكروا لما ظهر قبر دانيال عليه السلام جعل في تابوت، فكان يحمل إلى المواضع يستسقى به، قالوا فتباعد التابوت عنا ثم عاد إلى تستر، فضبطوه فبعثنا إليهم عشرة من المشايخ رهائن إلى وقت رده، فلما حصلوه شقوا له هذا النهر وبنوا هذا الأزج وخلوا عليه الماء وبقى أولائك الرهائن عندهم، فمن ثَمَّ وقعت بيننا هذه العصبيات ومن أجل هذا ذهب قدر مشايخنا إلى اليوم.

ومَنُّ الإقليم في اللحم والسمك غير الأهواز أربعة أرطال ومَنُّ الخبز مكي ومن الأهواز بغدادى في كل شيء، ونقودهم مثل المشرق الذهب بالدوانيق كل دانق ثمان وأربعون تمونة وهى الأرزة، وكل ألف درهم وزنت بأصفهان فإنها تنقص بتستر خمسة وعشرين، ثم التسترية تزيد على الأهوازية بستة دراهم، وكل مائة دينار وزنت بقزوين فإنها تزيد بتستر خمسة وأربعة دوانيق، وكل مائة درهم وزنت بخراسان نقصت بخوزستان درهمين، وليس يعرفون القيراط.

ومكاييلهم المكّوك والكُرُّ والمختوم والكف والقفيز. فمكوك جنديسابور ثلاثة أمناء ونصف، والكر أربعمائة وثمانون، ومختوم الأهواز صاعان وهو ثلاثة أكف، والقفيز

سبعة أمناء من الحنطة، وكرُّهم ألف ومائتان وخمسون منا حنطة ويكون ألفا من الشعير.

وليس فى أقاليم الأعاجم أفصح من لسانهم وكثيرا ما يمزجون فارسيتهم بالعربية ويقولون أين كتاب وصلا كن وأين كار قطعا كن، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلون إلى العربية، وإذا تكلموا بأحد اللسانين ظننت أنهم لا يحسنون الآخر، وفى كلامهم طنين ومد فى آخره، وإذا قالوا اسمع قالوا ببخش، ويسمون الكباد خيمال. ورؤوس أهل رام هرمز مبلطحة وليس لهم صفاء ولهم لسان لا يفهم ...

وخراج الأهواز ثلاثون ألف ألف درهم، وكانت الفرس تقسط على جميع الإقليم خمسين ألف ألف درهم.

وأما المسافات تأخذ من السوس إلى قرقوب مرحلة ثم إلى الطيب مرحلة، وتأخذ من السوس إلى بصنًا بريدين ثم إلى البذان مثلها. وتأخذ من جنديسابور إلى اللور مرحلة ثم إلى الدز مرحلتين ثم إلى رايكان مرحلة ثم إلى كل بايكان ٤٠ فرسخا مفازة ثم إلى كرج أبى دلف مرحلة. وتأخذ من تستر إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة. وتأخذ من العسكر إلى الحصن مرحلة ثم إلى الحصن أيضا مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة. وتأخذ من العسكر إلى تستر أو إلى الأهواز مرحلة مرحلة. وتأخذ من جنديسابور إلى السوس أو إلى تستر مرحلة مرحلة ومن بيروت إلى السوس أو البذان مرحلة مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى شوراب بريدا ثم إلى مندم مرحلة ثم إلى قصبة الدورق مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى سوق الأربعاء مرحلة ثم إلى حصن مهدى مرحلة ثم إلى فم العضدى مرحلة ثم أنت فى دجلة العراق. وتأخذ من حصن مهدى إلى بيان فى سبخة على الظهر مرحلة. واعلم أن نهر الأهواز ودجلة يفيضان إلى بحر الصين بينهما هذه السبخة، وكان الناس فى القديم يذهبون فى النهر إلى البحر ثم يعودون فيدخلون من البحر إلى دجلة ثم إلى الإبلّة، وكان على خطر وفى تعب حتى شق عضد الدولة نهرا عظيما من نهر الأهواز إلى نهر دجلة طوله أربعة فراسخ والطريق اليوم فيه. وتأخذ من الأهواز إلى أجم مرحلة ثم إلى آزر مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى الدورق مرحلة ثم إلى خان مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة ثم إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى قرقوب مرحلة. ولها طريقان أخريان. وتأخذ من الأهواز إلى نهر تيرى مرحلة ثم إلى نهر العباس مرحلة ثم إلى الخوزية مرحلة ثم تركب الماء إلى الإبلّة مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى الإسحاقية مرحلة ثم إلى الجسر المحترق مرحلة ثم إلى حصن مهدى مرحلة. وتأخذ من نهر العباس إلى عسكر أبى جعفر مرحلة ثم تعبر إلى الأبلة وهى طريق الدواب. وتأخذ من رام هرمز إلى سنبل مرحلتين ثم إلى ارَّجان مرحلة. وتأخذ من رام هرمز إلى تيرم مرحلة ثم إلى غروة مرحلة ثم إلى البازير بريدين ثم إلى إيذج مرحلة ثم إلى الدز مرحلة ومن الدز إلى الدولاب مرحلة ومن الرام إلى الزط مرحلة. وتأخذ من رام هرمز إلى بده مرحلة ثم إلى جسر جهنم مرحلة (أحسن التقاسيم / ٣٠٩ ـ ٣٢٢).

المرحلة: المسافة يقطعها السائر نحو يوم أو ما بين المنزلين (المعجم الوسيط ١ / ٣٣٥).

أما ياقوت الحموى فيقول عن خوزستان:

خوزستان: بضم أوله، وبعد الواو الساكنة زاى، وسين مهملة، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون: وهو اسم لجميع بلاد الخوز المذكورة قبل هذا، واستان كالنسبة فى كلام الفرس؛ قال شاعر يهجوهم:

بخوزستان أقوام
عطاياهم مواعيد
دنانيرهم بيض
وأعراضهم سود

وقال المضرجى بن كلاب السعدى أحد بنى الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم شهدوا وقائع المهلب بن أبى صفرة للخوارج فقال:

ألا يا من لقلب مستجن
بخوزستان قد ملَّ المزونا
لهان على المهلب ما ألاقى،
إذا ما راح مسرورا بطينا
ألا ليت الرياح مسخرات
لحاجتنا يرحن ويغتدينا

قال أبو زيد: وليس بخوزستان جبال ولا رمال إلا شىء يسير يتاخم نواحى تستر وجنديسابور وناحية إيذج وأصبهان، وأما أرض خوزستان فأشبه شىء بأرض العراق وهوائها وصحتها، فإن مياهها طيبة جارية ولا أعرف بجميع خوزستان

بلدا ماؤهم من الآبار لكثرة المياه الجارية بها، وأما تربتها فإن ما بعُد عن دجلة إلى ناحية الشمال أيبس وأصحُّ، وما كان قريبا من دجلة فهو من جنس أرض البصرة فى السبخ وكذلك فى الصحة، قال: وليس بخوزستان موضع يجمد فيه الماء ويروح فيه الثلج، ولا تخلو ناحية من نواحيها المنسوب إليها من النخل، وهى وخمة والعلل بها كثيرة خصوصا فى الغرباء المترددين إليها، وأما ثمارهم وزروعهم فإن الغالب على نواحى خوزستان النخل ولهم عامة الحبوب من الحنطة والشعير والأرز فيخبزونه وهو لهم قوت كرستاق كسكر من واسط، وفى جميع نواحيها أيضا قصب السكر إلا أن أكثره بالمسرقان ويرفع جميعه إلى عسكر مكرم، وليس فى قصبة عسكر مكرم شىء كثير من قصب السكر وكذلك بتستر والسوس وإنما يحمل إليها القصب من نواح أخر، والذى فى هذه الثلاثة بلاد إنما يكون بحسب الأكل لا أن يستعصر منه سكر، وعندهم عامة الثمار إلا الجوز وما لا يكون إلا ببلاد الصرود.

وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية، غير أن لهم لسانا آخر خوزيا ليس بعبرانى ولا سُريانى ولا عربى ولا فارسى، والغالب على أخلاق أهلها سوء الخلق والبخل المفرط والمنافسة فيما بينهم فى النزر الحقير، والغالب على ألوانهم الصفرة والنحافة وخفة اللحى ووفور الشعر، والضخامة فيهم قليل، وهذه صفة لعامة بلاد الجروم، والغالب عليهم الاعتزال، وفى كورهم جميع الملل، وتتصل زاوية خوزستان هذه بالبحر فيكون له هور، والهور كالنهر يند من البحر ضاربا فى الأرض تدخله سفن البحر إذا انتهت إليه، فإنه يعرض وتجتمع مياه خوزستان بحصن مهدى وتنفصل منه إلى البحر فتتصل به ويعرض هناك حتى ينتهى فى طرفه المد والجزر ثم يتسع حتى لا يُرى طرفاه.

قالوا: وغزا سابور ذو الأكتاف الجزيرة وآمد وغير ذلك من المدن الرومية فنقل خلقا من أهلها فأسكنهم نواحى خوزستان فتناسلوا وقطنوا بتلك الديار، فمن ذلك الوقت صار نقل الديباج التسترى وغيره من أنواع الحرير بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد بصنا ومتوث إلى هذه الغاية، والله أعلم.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٤، ٤٠٥).

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالشارى ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٣٠٩ ـ ٣٢٢، والمعجم الوسيط ١/ ٣٣٥، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤٠٤، ٤٠٥).

*** الخوف:**

جاء فى اللسان: الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة. قال الليث: خاف يخاف خوفا، وإنما صارت الواو ألفا فى يخاف لأنها على بناء عمل يعمل، فاستثقلوا الواو فألقوها، ومنها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا منها الصوت، وقالوا يخاف، وكان حده يَخْوَفُ بالواو منصوبة، فألقوا الواو واعتمد الصوت على صرف الواو قالوا خاف، وكان حده خَوِف بالواو مكسورة، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها ألفا لينة، ومنه التخويف والإخافة والتخوف، والنعت خائف، وهو الفزع ...

والاسم من ذلك كله الحنيفة، والخيفة: الخوف. وفى التنزيل العزيز: **﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة﴾** [الأعراف: ٢٠٥] (لسان العرب ١٥ / ١٢٩٠، ١٢٩١).

وقال الإمام ابن الجوزى فى باب الخوف:

الخوف: خاصة من خواص النفس، يظهر عند المخوف. والخوف لما يستقبل والحزن لما فات.

والخوف فى القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: نفس الخوف، ومنه فى آل عمران **﴿ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** [آل عمران: ١٧٠] وفى الأعراف **﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾** [الأعراف: ٥٦].

والثانى: العلم، ومنه فى البقرة **﴿فمن خاف من موص جنفا﴾** [البقرة: ١٨٢] وفيها **﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾** [البقرة: ٢٢٩] وفى النساء **﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾** [النساء: ٣] وفيها **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾** [النساء: ١٢٨] وفى الأنعام **﴿وأنذر به الذين يخافون﴾** [الأنعام: ٥١].

والثالث: الظن، ومنه فى البقرة **﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾** [البقرة: ٢٢٩].

والرابع: القتال، ومنه في الأحزاب ﴿فإذا جاء الخوف﴾ [الأحزاب: ١٩] وفيها ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ [الأحزاب: ١٩].

الخامس: النكبة تصيب المسلمين من قتل أو هزيمة، ومنه في النساء ﴿أمر من الأمن أو الخوف﴾ [النساء: ٨٣].

(لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٢٩٠، ١٢٩١، ومنتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزي- تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوي ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ١٠٥، ١٠٦).

* **الخوف (صلاة ـ)**

مشروعيتها:

قوله تعالى: **﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾** [النساء: ١٠١: ١٠٢].

كما وردت في صلاة الخوف وكيفيتها أحاديث نبوية شريفة أوردها الإمام البخاري في صحيحه (وأرقامها ٨٥٤ ـ ٨٥٩) وشرحها شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»، وهو ما ننقله هنا، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ طه عبد الرءوف سعد بين أقواس في ثنايا النص، كما احتفظنا بأرقام الأحاديث كما وردت في النص ليسهل الرجوع إليها:

٩٤٢ ـ حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: سألته هل صلى النبي ﷺ- يعني صلاة الخوف؟ قال: أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا العدو فصاففناهم، فقام رسول الله ﷺ يصلي لنا فقامت طائفة معه تصلي وأقبلت طائفة على العدو، وركع رسول الله ﷺ بمن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل، فجاءوا فركع رسول الله ﷺ بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين.

(أخرجه البخاري أيضا في المغازي عن أبي اليمان. وأخرجه مسلم أيضا عن عبد بن أبي حميد، وأخرجه أبو داود عن مسدد بن عبد الملك وأخرجه النسائي أيضا عن عبد الأعلى بن واصل).

٢ ـ باب صلاة الخوف رجالا وركبانا. . راجل: قائم

٩٤٣ ـ حدثنا سعيد بن يحيي بن سعيد القرشي قال: حدثني أبي قال: حدثنا ابن جريج، عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر نحوا من قول مجاهد: إذا اختلطوا قياما. وزاد ابن عمر عن النبي ﷺ: وإن كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قياما وركبانا.

٣ ـ باب: يحرس بعضهم بعضا في صلاة الخوف.

٩٤٤ ـ حدثنا حيوة بن شريح قال: حدثنا محمد بن حرب، عن الزبيدي عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام النبي ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناس منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا معه وحرسوا إخوانهم. وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في صلاة ولكن يحرس بعضهم بعضا.

٤ ـ باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو.

وقال الأوزاعي: إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرئ لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين. فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين فإن لم يقدروا فلا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا؛ وبه قال: مكحول. وقال أنس: حضرت عند مناهضة حصن تُسْتَر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبي موسى ففُتح لنا. وقال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها.

٩٤٥ ـ حدثنا يحيي، قال: حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيي بن كثير، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله قال: جاء عمر يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش ويقول: يارسول الله، ما صليت العصر حتى كادت الشمس أن تغيب فقال النبي ﷺ: وأنا والله ما صليتها بعد. قال: فنزل إلى بطحان فتوضأ وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها.

٥ ـ باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء.

وقال الوليد: ذكرت للأوزاعى صلاة شرحبيل بن السمط وأصحابه على ظهر الدابة. فقال: كذلك الأمر عندنا إذا تخوف الفوت. واحتج الوليد بقول النبى ﷺ: لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة.

٩٤٦ ـ حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء قال: حدثنا جويرية، عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبى ﷺ لنا ـ لما رجع من الأحزاب (انظر: الخندق (غزوة ـ): لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة. فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها. وقال بعضهم بل نصلى، لم يرد منا ذلك. فذكر للنبى ﷺ فلم يعنف أحدا منهم (قيل أشار بذلك إلى أن صلاة الخوف لا يشترط فيها التأخير إلى آخر الوقت كما شرطه من شرطه فى صلاة الخوف عند التحام القتال. وقيل يحتمل أن يكون للإشارة إلى تعيين المبادرة إلى الصلاة فى أول وقتها).

٦ ـ باب التبكير والغلس بالصبح والصلاة عند الإغارة والحرب.

٩٤٧ ـ حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد، عن عبد العزيز ابن صهيب، وثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس، ثم ركب فقال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فخرجوا يسعون فى السكك ويقولون: محمد والخميس، قال والخميس: الجيش. فظهر عليهم رسول الله ﷺ فقتل المقاتلة وسبى الذرارى فصارت صفية لدحية الكلبى، وصارت لرسول الله ﷺ ثم تزوجها وجعل صداقها عتقها. فقال عبد العزيز لثابت: يا أبا محمد، أنت سألت أنسا ما أمهرها؟ قال أمهرها نفسها، فتبسم.

(صحيح البخارى ٢ / ١٨٩ ـ ١٩٤، وفتح البارى ٣ / ٤١٥ ـ ٤٢٩).

وعن صلاة الخوف يقول الإمام الفقيه القاضى أبو شجاع:

وصلاة الخوف على ثلاثة أضرب أحدها أن يكون العدو فى غير جهة القبلة فيفرقهم الإمام فرقتين فرقة تقف فى وجه العدو وفرقة خلفه فيصلى بالفرقة التى خلفه ركعة ثم تتم لنفسها وتمضى إلى وجه العدو وتأتى الطائفة الأخرى فيصلى بها ركعة وتتم لنفسها ويسلم بها. والثانى أن يكون فى جهة القبلة فيصفهم الإمام صفين ويحرم بهم فإذا سجد سجد معه أحد الصفين ووقف الصف الآخر يحرسهم فإذا رفع سجدوا ولحقوه والثالث أن يكون فى شدة الخوف والتحام الحرب فيصلى كيف أمكنه راجلا أو راكبا مستقبل القبلة وغير مستقبل لها (متن الغاية والتقريب / ١٧، ١٨).

ويقول الإمام ابن قدامة:

وتجوز صلاة الخوف على كل صفة صلاها رسول الله ﷺ، والمختار منها أن يجعلهم الإمام طائفتين: طائفة تحرس والأخرى تصلى معه ركعة، فإذا قام إلى الثانية نوت مفارقته وأتمت صلاتها وذهبت تحرس، وجاءت الأخرى فصلت معه الركعة الثانية، فإذا جلس للتشهد قامت فأتت بركعة أخرى، وينتظر حتى تتشهد ثم يسلم بها. وإن اشتد الخوف صلوا رجالا وركبانا إلى القبلة وإلى غيرها، يومئون بالركوع والسجود وكذلك كل خائف على نفسه يصلى على حسب حاله، ويفعل كل ما يحتاج إلى فعله من هرب أو غيره (عمدة الفقه / ٢٤).

أما عن النظم فلدينا النماذج التالية، ونتبعها بالشرح إتماما للفائدة:

١ ـ منظومة ابن أبى زيد القيروانى، وهو فى الفقه المالكى: قال الناظم (١ / ١٠٨):

وسن بالرخصة فى حال السفر
إن ظن خوفا من عدو أو سفر
أن يتقدم الإمام بنفر
ونفر مواجه العدا تَدِرْ
فأمَّهم بركعة وقاما
حتى يُصَلُّوا ركعة تماما
فوقفوا مكانهم وصلى
بالآخرين الركعة اللَّتْ خلا
وليتشهد وليُسلِّم وقفوا
ركعتهم وانصرفوا كما قضوا
وفى سوى اثنتين ركعتين
صلى بالأولى ولكل عين

إقـــامــة مع أذانـــه وإذا
مــا اشتـد عنــد ذلك خــوف فإذا
صلــوا بطــائفتهم وحــدانـــا
إيمــاء أو رجــالا أو ركبـانـــا
مــا شين أو جــارين فى ذا البــال
مستقبلين أو بـــلا أستقبـــال

وإليك الشرح :

(وسن بالرخصة فى حال السفر إن ظن خوفا من عدو أو سفر أن يتقدم الإمام بنفر ونفر مواجه العدا ندر فأمهم بركعة وقاما حتى يصلوا ركعة تماما فوقفوا مكانهم وصلى بالآخرين الركعة اللت خلا وليتشهد وليسلم وقفوا ركعتهم وانصرفوا كما قضوا) اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز صلاة الخوف من الكفار أو البغاة وهى أن يقسم الإمام الجيش فرقتين فرقة أمام العدو وفرقة تصلى معه فإن كانوا مسافرين أو الصلاة ركعتين كالجمعة والصبح صلى بالطائفة الأولى ركعة ويتمون ثم تأتى الطائفة الثانية فيصل بهم ركعة ويسلم ويتمون وعند المالكية الجمعة كالظهر، والأظهر أنه لا بد فى كل طائفة من اثنى عشر غير الإمام ممن تنعقد بهم وعند الشافعية تصح الجمعة فى الخوف حيث وقع بالبلد ويشترط أن يحضر الخطبة أربعون من كل فرقة ممن تنعقد بهم وعند الحنفية الجمعة كالظهر فى السفر وتصح فيها التفرقة فى الخوف وعند الحنابلة تجوز صلاة الجمعة فى الخوف إذا كان كل طائفة أربعين فأكثر ممن تجب عليهم.

(وفى سوى اثنتين ركعتين صلى بالأولى) ركعتين وأتموا لأنفسهم ثم تأتى الطائفة الثانية فيصلى بها ما بقى من صلاته فيسلم ويتمون لأنفسهم وقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز هذه الصفة . ما جاء فى صلاة الخوف قال الله عز وجل **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾** [النساء : ١٠٢] وعن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وصفوا وجاء العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم رواه مالك ومسلم (ولكل عين إقامة مع أذانه وإذا ما اشتد عند ذلك خوف فإذا صلوا بطائفتهم وحدانا إيماء أو رجالا أو ركبانا ماشين أو جارين فى ذا البال مستقبلين أو بلا استقبال) اتفق أهل المذاهب الأربعة على أن الخوف إذا اشتد جاز للمجاهدين أن يصلوا مشاة أو ركبانا يومئون للركوع والسجود متوجهين للقبلة أو غيرها . ما جاء فى ذلك «عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال يتقدم الإمام فى طائفة من الناس فيصلى بهم الإمام ركعة وتكون طائفة منهم بينه وبين العدو لم يصلوا فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلمون ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين فتقوم كل واحدة من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة ركعة بعد أن ينصرف الإمام فتكون كل واحدة من الطائفتين قد صلوا ركعتين فإن كان خوفا هو أشد من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم أو ركبانًا مستقبلى القبلة أو غير مستقبليهما قال مالك قال نافع لا أرى عبد الله بن عمر حدثه إلا عن رسول الله ﷺ» رواه مالك والبخارى (الفتح الربانى ١ / ١٠٨ ، ١٠٩).

٢ ـ منظومة صفوة الزبد للإمام أحمد بن رسلان ، وهى فى الفقه الشافعى . قال الناظم (٤١ ، ٤٢):

أنـــواعهـــا ثـــلاثــة فإن يكن
عـــدونـــا فى غيـــر قبلـــة فسن
تحـــرس فـــرقـــة وصلى من يـــؤم
بـــالفـــرقـــة الـــركعـــة الأولى وتتم
وحـــرست ثـــم يصلى ركعـــةً
بـــالفـــرقـــة الأخـــرى ولـــو فى جمعـــه
ثـــم أتمـــت وبهـــم يسلـــم
وإن يكـــن فى قبلـــة صفهـــم
صفين ثـــم بـــالجميع أحـــرمـــا
ومعـــه يسجـــد صف منهمـــا

وحـــــرس الآخـــــر ثم حيث قـــــام
فيسجـــــد الثـــــانى ويلحق الإمـــــام
وفى التحـــــام الحـــــرب صلـــــوا مهمـــــا
أمكنهم ركبـــــانـــــا أو بـــــالإيمـــــا

وإليك الشرح :

(قوله فى غير قبلة) أى فى غير جهتها أو فيها وحال دونهم حائل يمنع رؤيتهم وهذه صلاة رسول الله ﷺ بذات الرقاع رواها الشيخان أ هـ (قوله وبهم يسلم) ولو لم تفارقه الأولى بل ذهبت إلى وجه العدو ساكتة وجاءت الأخرى فصلت معه الثانية فلما سلم ذهبت إلى العدو وجاءت الأولى مكان الصلاة وأتمت وذهبت إلى العدو وجاءت الأخرى وأتمت صح لرواية ابن عمر والأولى رواية سهل واختارها الشافعى لسلامتها من كثرة المخالفة ولأنها أحوط لأمر الحرب وهذه الصلاة بكيفيتيها المذكورتين صلاة رسول الله ﷺ بذات الرقاع رواه الشيخان وله أن يصلى مرتين كل مرة بفرقة فتكون الثانية له نافلة وهذه صلاة رسول الله ﷺ ببطن نخل رواها الشيخان أيضا وتلك بكيفيتيها أفضل من هذه لأنها أعدل بين الطائفتين ولسلامتها عما فى هذا صلاة من اقتداء المفترض بالمتنفل المختلف فيه ولهذا ترك الناظم هذا النوع الذى ذكره غيره رابعا اقتصارا على الأفضل. تنبيه : هذا كله إذا صلى ثنائية كما مر فإن صلى رباعية صلى بكل من الفرقتين ركعتين أو مغربا فيصلى بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وبالعكس وينتظر الفرقة الثانية فى قيام الركعة الثالثة أهـ فتنى (قوله فيسجد الثانى) وهو من حرس فى الركعة الأولى ويلحق الإمام ويسجد مع الإمام فى الركعة الثانية هؤلاء الذين حرسوا أولا وحرس الآخرون وهم الفرقة الساجدة مع الإمام فإذا جلس الإمام للتشهد سجد من حرس وفى الركعة الثانية وتشهّد الإمام وسلم بالجميع وهذه صلاة رسول الله ﷺ بعسفان كما رواه مسلم ا هـ (متن الزبد / ٤١، ٤٢).

٣ ـ منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية ـ نظم الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى . قال الناظم (٢٨) :

علـى صفـــــات قـــــد أتت مختلفـــــة
فيهـــــا رووا لسبع عشـــــرة صفـــــه
وكلهـــــا مجـــــزئة فمن يصل
كيفيـــــة منهـــــا كفـــــاه مـــــا فعل
منهـــــا أتـى صـــــلاة ركعتين
لكـل فـــــرقـــــة بتسليمين
وفـى روايـــــة لكـل فـــــرقـــــة
مع الإمـــــام قل صـــــلاة ركعـــــة
مع القضـــــا كـل لنفســـــه وفـى
كيفيـــــة القضـــــاء أوصـــــاف تفـى
يـــــؤخـــــذ بـــــالأحـــــوط للحـــــرس وفى
روايـــــة بفعـل الأولـى يكتفـى
وكـل ذى حيث بغيـــــر القبلـــــه
عـــــدونـــــا فإن يكـن فـى القبلـــــه
فجـــــاء صفين يصفهم معـــــا
وتـــــابعـــــوه فى الصـــــلاة أجمعـــــا
إلا السجـــــود تسجـــــد المقـــــدمـــــه
وتحـــــرس الفـــــرقـــــة الأخـــــرى قـــــائمـــــه
وسجـــــدوا من بعـــــدهـم وقـــــدمـــــوا
لنحـــــوه وأخـــــر المقـــــدم
وفعلـــــوا فى الـــــركعـــــة الأخـــــرى كمـــــا
فـى قبلهـــــا وسلمـــــوا إذ سلمـــــا
وحيـث شـــــدة التحـــــام حـــــانـــــا
صلـــــوا رجـــــالا كـــــان أو ركبـــــانـــــا
لقبلـــــة وغيـــــر قبلـــــة ولـــــو
بـــــركعـــــة ولـــــو بإيمـــــاء رووا

(مجموع / ٢٨).

(صحيح البخارى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٧ هـ، ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٤، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى ـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ط دار الغد العربى ٣/ ٤١٥ ـ ٤٢٩، ومتن الغاية والتقريب للإمام الفقيه القاضى أبى شجاع / ١٧، ١٨ وعمد الفقه لابن قدامة ، ـ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى، ومحمد دغيليب البراق العتيبى / ٢٤، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى / ١٠٨، ١٠٩، ومتن الزبد فى الفقه للشيخ الإمام أحمد بن

رسلان الشافعي - شرح المناوى / ٤١، ٤٢، ومجموع: «السبل السوية لفقه السنن المروية» - نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٢٨، انظر أيضا منهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائرى / ٢٥١ - ٢٥٣، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى - تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٧١، ٧٢).

* **الخوف من الله تعالى:**

فى الخوف من الله تعالى ومراقبته عز وجل قال الله تعالى **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾** [الحج: ١، ٢] والآيات فى ذلك كثيرة. وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين» (الخنين البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف) وروى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وروى الشيخان عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة» وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالا أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات. «الموبقات المهلكات» وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى المرء ما حرم الله عليه» (مختصر كتاب رياض الصالحين / ١٣ - ١٥).

قال التهانوى:

الخوف بالفتح وسكون الواو عند أهل السلوك هو الحياء من المعاصى والمناهى والتألم منها قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «أنا أخوفكم لله تعالى» وأوحى الى داود خفنى كما يخاف السبعَ الفأرُ وقال من خاف الله خافه كل شىء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شىء كذا فى الصحائف فى الصحيفة التاسعة عشرة (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٤).

والإيمان بوجوب الخوف من الله تعالى من شعب الإيمان التى أحصاها الإمام البيهقى (الشعبة الحادية عشرة) لقوله تعالى: **﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾** [آل عمران: ١٧٥] **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾** [المائدة: ٤٤]، **﴿وإياى فارهبون﴾** [البقرة: ٤٠] **﴿وهم من خشية ربهم مشفقون﴾** [الأنبياء: ٢٨] **﴿ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾** [الأنبياء: ٩٩٠] **﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾** [الرعد: ٢١] **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** [الرحمن: ٩٠] **﴿ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد﴾** [إبراهيم: ١٤] ولحديث عدى بن حاتم رضى الله عنه فى الصحيحين: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ومسلم فى كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة): ولحديث أنس رضى الله عنه فيهما «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس) وعاتب رجل بعض إخوانه على طول بكائه فبكى ثم قال

بكيت على الذنوب لعظم جرمى
وحق لكل من يعصى البكاء
ولو كان البكاء يرد همى
لأسعدت الدموع معا دماء

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لا يجف فوه من هذا البيت:

ولا خير فى عيش امرئ لم يكن له
من الله فى دار القرار نصيب

(دار القرار هى الجنة لقرار الصالحين فيها فلا يبغون عنها حولا.

وسمع أبو الفتح البغدادى هاتفا يهتف بالشونيزية:

وكيف تنام العين وهى قريرة
ولم تدر فى أى المحلين تنزل

فذهب عنه النوم (الشونيزية: مقبرة للصالحين ببغداد)

(مختصر شعب الإيمان / ٢٠، ٢١).

وجاء في تيسير الوصول في باب الخوف:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» أخرجه الترمذي (أدلج: أي سار من أول الليل).

٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في الموت، فقال: كيف تجدك؟ فقال أرجو الله تعالى يا رسول الله وأخاف ذنوبي. فقال ﷺ: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف». أخرجه الترمذي.

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم»، أخرجه الخمسة إلا النسائي (اللهوات: جمع لهاة بفتح اللام، وهو: اللحمات في سقف أقصى الفم).

وزاد البخاري في رواية: «وكان إذا رأى غيما عرف في وجهه، فقلت: يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون منه المطر، وأراك إذا رأيت غيما عُرف في وجهك الكراهة؟ فقال ياعائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب. قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا» (العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء).

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة لما قنط من جنته». أخرجه رزين.

٥ ـ وعن أبي بردة عامر بن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قلت: لا. قال: إن أبي قال لأبيك يا أبا موسى: هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه، وعملنا كله معه يرد لنا، وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس؟ فقال أبوك لأبي: لا والله، قد جاهدنا بعده وصلينا، وصمنا، وعملنا خيرا كثيرا، وأسلم على أيدينا بشر كثير، وإنا لنرجو أجر ذلك. قال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يرد لنا، وأن كل شيء عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس، فقلت: إن أباك والله خير من أبي» أخرجه البخاري (تيسير الوصول ٢ / ٢٤، ٢٥).

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهاني / ١٣ ـ ١٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٤٤٤، ومختصر شعب الإيمان للإمام البيهقي ـ اختصار القزويني ـ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٢٠، ٢١، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٢ / ٢٤، ٢٥. انظر أيضا الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري / ١٠٠ ـ ١٠٤).

انظر: الخوف والرجاء.

*** الخوف والرجاء:**

كتاب «الخوف والرجاء» أحد أبواب كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي، وقد اختصر «الإحياء» الإمام ابن الجوزي وسماه «منهاج القاصدين»، ثم اختصر «المنهاج» الإمام ابن قدامة وسماه «مختصر منهاج القاصدين»، وهو ما ننقله هنا، أي أننا ننقل مختصر المختصر وبالله التوفيق:

اعلم: أن الرجاء والخوف جناحان، بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود، ولا بد من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسببهما، وما يتعلق بذلك. ونحن نذكرهما في شطرين:

الأول: في الرجاء. والثاني: في الخوف.

الشطر الأول: الرجاء.

واعلم: أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت وأقام، فإن كان عارضا سريع الزوال سمي حالا، كما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة، كصفرة الذهب، وإلى سريعة، كصفرة الوجل، وإلى ما بينهما كصفرة المرض، وكذلك صفات القلب تنقسم إلى هذه الأقسام، وإنما سمي غير الثابت حالا، لأنه يحول عن القلب.

واعلم: أن كل ما يلاقيك من محبوب أو مكروه ينقسم إلى موجود في الحال، وإلى موجود فيما مضى.

فالأول: يسمى وجدا وذوقا وإدراكا.

والثاني: يمسى ذكرا، وإن كان قد خطر ببالك شيء في الاستقبال، وغلب على قلبك، سمي انتظارا وتوقعا، فإن كان المنتظر محبوبا، سمي رجاء، وإن كان مكروها، سمي خوفا.

فالرجاء: هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المتوقع لا بد له من سبب حاصل، فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء، سمي تمنيا، لأنه انتظار من غير سبب. ولا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، فأما ما يقطع به فلا، إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها، لأن ذلك مقطوع به عند طلوعها وغروبها، ولكن يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه.

وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار ومساقي الماء إليها.

وإن القلب المستغرق بالدنيا، كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر.

ويوم القيامة هو يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقل أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة.

فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضا طيبة، وألقى فيها بذرا جيدا غير مسوس ولا عفن، ثم ساق إليها الماء في أوقات الحاجة، ونقى الأرض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع، ثم جلس ينتظر من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة، إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، فهذا يسمى انتظار رجاء.

فأما إن بذر في أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها الماء ولم يتعاهدها أصلا، ثم انتظر الحصاد، فهذا يسمى انتظاره حمقا وغرورا، لا رجاء.

وإن بث البذر في أرض طيبة، ولكن لا ماء لها، وأخذ ينتظر مياه الأمطار، سمي انتظاره تمنيا لا رجاء.

فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس إلى اختياره، وهو فضل الله سبحانه، بصرف الموانع المفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه ماء الطاعات، وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك رجاء محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت، وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق، وانهمك في طلب لذات الدنيا، ثم انتظر المغفرة، كان ذلك حمقا وغرورا. قال الله تعالى: **﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾** [الأعراف: ١٦٩] وذم القائل: **﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾** [الكهف: ٣٦].

وروى شداد بن أوس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل الأماني».

(أخرجه الترمذي (٢٤٦١) وأحمد ٤ / ١٢٤، وابن ماجه (٤٢٦٠) وفي سنده أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف كان قد سرق بيته، فاختلط، وأخرجه الحاكم ١ / ٥٧، وصححه على شرط البخاري، فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله أبو بكر واه).

وقال معروف الكرخي رحمه الله: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق. ولذلك قال الله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾** [البقرة: ٢١٨].

المعنى: أولئك الذين يستحقون أن يرجوا، ولم يرد به تخصيص وجود الرجاء، لأن غيرهم أيضا قد يرجو ذلك.

واعلم: أن الرجاء محمود، لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم، لأنه صارف عن العمل، إذ من عرف أن الأرض سبخة، وأن الماء مغور، وأن البذر لا ينبت، ترك تفقد الأرض، ولم يتعب في تعاهدها.

وأما الخوف، فليس بضد الرجاء، بل رفيق له، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وحال الرجاء يورث طريق المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله عز وجل، والتنعم بمناجاته، والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لا بد أن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك، أو شخصا من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله سبحانه وتعالى؟ فمتى لم يظهر، استدل به

على حرمان مقام الرجاء، فمن رجا أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات، فهو مغرور.

فصل في فضيلة الرجاء.

روى في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي» وفي رواية أخرى «فليظن بي ما شاء».

وفي حديث آخر من رواية مسلم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله».

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبني، وأحب من يحبني، وحببني إلى خلقي. قال: يارب: كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرني بالحسن الجميل، واذكر آلائي وإحساني.

وعن مجاهد رحمه الله قال: يؤمر بالعبد يوم القيامة إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظني فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول أن تغفر لي، فيقول: خلوا سبيله.

فصل في دواء الرجاء والسبب الذي يحصل به.

اعلم: أن دواء الرجاء يحتاج إليه رجلان:

إما رجل قد غلب عليه اليأس حتى ترك العبادة.

وإما رجل غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله.

فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة، فلا ينبغي أن يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف، فإن أدوية الرجاء تقلب في حقه سموما، كما أن العسل شفاء لمن غلبت عليه البرودة، مضر لمن غلبت عليه الحرارة.

ولهذا يجب أن يكون واعظ الناس متلطفا، ناظرا إلى مواضع العلل، معالجا كل علة بما يليق بها، وهذا الزمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء، بل المبالغة في التخويف، وإنما يذكر الواعظ فضيلة أسباب الرجاء إذا كان مقصوده استمالة القلوب إليه، لإصلاح المرضى.

وقد قال علي رضي الله عنه: إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم مكر الله.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن من أسباب الرجاء، ما هو من طريق الاعتبار، ومنها ما هو من طريق الإخبار. أما الاعتبار، فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه من أصناف النعم في كتاب الشكر، فإذا علم لطائف الله تعالى بعباده في الدنيا، وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة الإنسان، وأن لطفه الإلهي لم يقصر عن عباده في دقائق مصالحهم في الدنيا، ولم يرض أن تفوتهم الزيادات في الرتبة، فكيف يرضى سياقتهم إلى الهلاك المؤبد؟! فإن من لطف في الدنيا يلطف في الآخرة، لأن مدبر الدارين واحد. وأما استقراء الآيات والأخبار، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿**والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض**﴾ [الشورى: ٤].

وأخبر تعالى أنه أعد النار لأعدائه، وإنما خوّف بها أولياءه، فقال: ﴿**لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده**﴾ [الزمر: ١٦]. وقال تعالى: ﴿**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**﴾ [آل عمران: ١٣١]. وقال: ﴿**فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب وتولى**﴾ [الليل: ١٤ـ١٦]. وقال تعالى: ﴿**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم**﴾ [الرعد: ٦].

ومن الأخبار ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك، لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال الله عز وجل: فبعزتي وجلالي، لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني» (أخرجه أحمد ٣ / ٢٩، ٧٦ والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري وفيه دراج عن أبي الهيثم وهو ضعيف في روايته عنه، وأخرجه أحمد ٣ / ٤١ من طريق آخر ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم» رواه مسلم.

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا،

فإنه لـن يدخل أحدا الجنـة عمله، قـالوا: ولا أنت يـا رسـول الله؟ قـال: ولا أنا إلا أن يتغمدنـي الله مـنه برحمتـه».

وفي «الصحيحين» من حـديث أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم قـال: «يقول الله عز وجل يـوم القيامة: يـا آدم: قم فابعث بعث النـار فيقول: لبيك وسعـديك والخير في يـديك. يـا رب: وما بعث النـار؟ قال: من كل ألف تسعمـائة وتسعة وتسعـون، فحينئذ يشيب المولود، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج: ٢]. فشق ذلك على الناس، حتـى تغيرت وجوههم، وقـالوا: يـا رسول الله! وأينا ذلك الواحد؟ فقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد» فقال الناس: الله أكبر. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنـة، والله إني لأرجـو أن تكـونـوا نصف أهل الجنة»، فكبـر الناس، فقـال: «ما أنتم يـومئذ فـي الناس إلا كالشعـرة البيضاء فـي الثور الأسود، أو كـالشعرة السـوداء في الثورة الأبيض».

فانظر كيف جـاء بالتخويف، فلما أزعج جـاء باللطف، ومتى اطمأنت القلوب إلى الهـوى، فينبغي أن تزعج فإذا اشتد قلقها، ينبغي أن تسكن ليعتدل الأمر.

وقال ابن مسعـود رضي الله عنه: ليغفرن الله عـز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر.

وروى أن مجوسيـا استضاف إبراهيم الخليل عليـه السلام فلم يضفـه وقـال: إن أسلمت، أضفتـك، فأوحى الله تعـالى إليـه: يـا إبراهيـم منذ تسعين سنـة أطعمـه على كفـره فسعى إبراهيم عليـه السلام خلفه، فرده وأخبـره في الحال، فتعجب من لطف الله تعالى. فأسلم.

فهـذه الأسبـاب التي تجتلب بهـا روح الرجـاء إلى قلـوب الخائفين واليائسين، فأمـا الحمقى المغرورون، فلا ينبغي أن يستمعوا شيئـا من ذلك، بل يسمعـون ما سنورده فـي أسباب الخـوف، فإن أكثر النـاس لا يصلحون إلا على ذلك، كعبـد السوء الذي لا يستقيم إلا بالعصا (مختصر منهاج القاصدين / ٢٩٧ ـ ٣٠١).

والإيمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل من شعب الإيمان التي أحصـاها الإمـام البيهقي (الشعبـة الثانيـة عشـرة) لقولـه تعالى: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿قل يـاعبادي الـذين أسـرفوا على أنفسهم لا تقنطـوا من رحمة الله إن الله يغفر الـذنوب جميعا إنه هـو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[النساء: ٤٨].

ولحديث أبـي هريرة في الصحيحيـن«لو يعلم المؤمـن ما عند الله من العقوبـة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكـافر ما عنـد الله من الـرحمة مـا قنط من جنتـه أحـد» (رواه مسلم في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى)، ولحديث جابر في صحيح مسلم «لا يموتن أحدكـم إلا وهو يحسن الظن بالله». «رواه مسلـم في كتاب الجنـة وصفة نعيمهـا وأهلها بـاب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند المـوت)، وحديث أبي هريرة في الصحيحين. يقـول الله عز وجل «أنا عنـد ظن عبدي بـي وأنا معـه حين يذكـرني» وذكر الحـديث (رواه البخاري في كتـاب التوحيد ومسلم في التوبة).

وأنشد أبو عثمان سعيد بن إسماعيل:

مـــا بــــال دينك تــــرضى أن تـــدنســـه
وإن ثـــوبـك مغســـول من الـــدنس
تــرجـــو النجـــاة ولم تسلك مســالكهـــا
إن السفينـــــة لا تجـــــري على اليبس

(مختصر شعب الإيمان / ٢١ ـ ٢٣).

ونعـود إلى مـا بـدأنـاه مـن كتـاب «مختصـر منهـاج القاصدين». يقول المؤلف:

الشطـر الثـاني من الكتـاب في الخوف وحقيقته وبيـان درجاته وغير ذلك.

اعلم: أن الخوف عبـارة عن تألم القلب واحتـراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

مثال ذلك، من جنى على ملك جنـاية، ثم وقع في يده، فهـو يخـاف القتل، ويجوز العفـو، ولكـن يكـون تألم قلبـه بحسب قـوة علمه بـالأسبـاب المفضية إلـى قتله، وتفـاحش

جنايته، وتأثيرها عند الملك، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية، بل عن صفة المخوف وعظمته وجلاله، إذ قد علم أن الله سبحانه، لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه، وبجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل، يكون خوفه.

وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أعرفكم بالله، وأشدكم له خشية».

«أخرجه البخارى ١٠ / ٤٣٧، ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسا من أصحابه فكأنهم كرهوه، وتنزهوا عنه فبلغه ذلك، فقام خطيبا، فقال: «ما بال رجال بلغهم عنى أمر ترخصت فيه فكرهوه، وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية له»».

وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وإذا كملت المعرفة، أثرت الخوف، ففاض أثره على القلب، ثم ظهر على الجوارح والصفات بالنحول والاصفرار والبكاء والغشى، وقد يفضى إلى الموت، وقد يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل.

وأما ظهور أثره على الجوارح، فبكفها عن المعاصى، وإلزامها الطاعات، تلافيا لما فرط، واستعدادا للمستقبل.

قال بعضهم: من خاف أدلج. وقال آخر: ليس الخائف من بكى، إنما الخائف من ترك ما يقدر عليه.

ومن ثمرات الخوف، أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سما، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعب الهم لخوفه، والنظر فى خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة، والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله كحال من وقع فى مخالب سبع ضار لا يدرى أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه، ولا شغل له إلا ما وقع فيه، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديهما من الأخطار والأهوال.

وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال، أن يمنع المحظورات، فإن منع ما يتطرق إليه إمكان التحريم. سمى ورعا، وإن انضم إليه التجرد والاشتغال بذلك عن فضول العيش، فهو الصدق.

فصل الخوف سوط الله تعالى

اعلم: أن الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى.

والخوف، له إفراط، وله اعتدال، وله قصور.

والمحمود من ذلك الاعتدال، وهو بمنزلة السوط للبهيمة، فإن الأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وليس المبالغة فى الضرب محمودة، ولا المتقاصر عن الخوف أيضا محمود، وهو كالذى يخطر بالبال عند سماع آية، أو سبب هائل، فيورث البكاء، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الغفلة، فهو خوف قاصر قليل الجدوى، ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيف الذى يضرب به دابة قوية فلا يؤلمها ألما مبرحا، فلا يسوقها إلى المقصد، ولا يصلح لرياضتها، وهذا هو الغالب على الناس كلهم، إلا العارفين والعلماء، أعنى العلماء بالله وبآياته، وقد عز وجودهم. وأما المترسمون برسوم العلم، فإنهم أبعد الناس عن الخوف.

وأما القسم الأول، وهو الخوف المفرط، فهو كالذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو أيضا مذموم، لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج المرض والوله والموت، وليس ذلك محمودا، وكل ما يراد لأمر، فالمحمود منه ما يفضى إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه، فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر، والورع، والتقوى، والمجاهدة والفكر، والذكر، والتعبد وسائر الأسباب التى توصل إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعى الحياة، مع

صحة البدن وسلامة العقل، فإذا قدح فى ذلك شىء، كان مذموما.

فإن قيل: فما تقول فيمن مات من الخوف؟

فالجواب: أنه ينال لموته على تلك الحالة مرتبة لا ينالها لو مات من غير خوف، إلا أنه لو عاش وترقى إلى درجات المعارف والمعاملة، كان أفضل، فإن أفضل السعادة طول العمر فى طاعة الله تعالى، فكل ما أبطل العمر والعقل والصحة فهو نقصان وخسران.

بيان أقسام الخوف

اعلم: أن مقامات الخائفين تختلف، فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم، أو خوف الميل عن الاستقامة، ومنهم من يغلب عليه خوف سوء الخاتمة، وأعلى من هذا خوف السابقة، لأن الخاتمة فرع السابقة، والله تعالى يرفع من يشاء من غير وسيلة، ويضع من يشاء من غير وسيلة، لا يُسأل عما يفعل.

وقد قال: «هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى».

ومن أقسام الخائفين، من يخاف سكرات الموت وشدته، أو سؤال منكر ونكير، أو عذاب القبر.

ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدى الله تعالى، والخوف من المناقشة، والعبور على الصراط، والخوف من النار وأهوالها، أو حرمان الجنة، أو الحجاب عن الله سبحانه وتعالى، وكل هذه الأسباب مكروهة فى أنفسها، مخوفة.

فأعلاها رتبة خوف الحجاب عن الله تعالى، وهو خوف العارفين، وما قبل ذلك خوف الزاهدين والعابدين.

فصل فى فضيلة الخوف والرجاء وما ينبغى أن يكون الغالب منهما.

فضيلة كل شىء بقدر إعانته على طلب السعادة، وهو لقاء الله تعالى، والقرب منه، فكل ما أعان على ذلك فهو فضيلة. قال الله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه﴾ [البينة: ٨].

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا اقشعر جلد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه ذنوبه، كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها».

(رواه الطبرانى والبيهقى من حديث العباس رضى الله عنه بسند ضعيف كما قال الحافظ العراقى).

وفى حديث آخر: «لن يغضب الله على من كان فيه مخافة» (لم نجده).

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عز وجل: «وعزتى وجلالى، لا أجمع على عبدى خوفين، ولا أجمع له أمنين، إن أمننى فى الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإن خافنى فى الدنيا، أمنته يوم القيامة» (أخرجه ابن حبان (٢٤٩٤) من حديث أبى هريرة، وسنده حسن).

وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عينان لاتمسهما النار أبدا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله».

واعلم: أن قول القائل: أيما أفضل الخوف، أو الرجاء؟ كقوله: أيما أفضل الخبز أو الماء؟

وجوابه: أن يقال الخبز للجائع أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمعا، نظر إلى الأغلب، فإن استويا، فهما مستاويان والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب الأمن من مكر الله، فالخوف أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية، وإن كان الغالب عليه اليأس والقنوط، فالرجاء أفضل. ويجوز أن يقال مطلقا: الخوف أفضل، كما يقال: الخبز أفضل من السكنجبين لأن الخبز يعالج به مرض الجوع، والسكنجبين يعالج به مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر، فالحاجة إلى الخبز أكثر، فهو أفضل بهذا الاعتبار، لأن المعاصى والاغترار من الخلق أغلب.

وإن نظرنا إلى موضع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل، لأن الرجاء يستقى من بحر الرحمة، والخوف يستقى من بحر الغضب.

وأما المتقى، فالأفضل عنده اعتدال الخوف والرجاء، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه، لاعتدلا.

قال بعض السلف: لو نودى: ليدخل الجنة كل الناس إلا

رجلا واحدا، لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل. ولو نودى: ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا، لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل. وهذا ينبغى أن يكون مختصا بالمؤمن المتقى.

فإن قيل: كيف اعتدال الخوف والرجاء فى قلب المؤمن، وهو على قدم التقوى؟ فينبغى أن يكون رجاؤه أقوى.

فالجواب: أن المؤمن غير متيقن صحة عمله، فمثله من بذر بذرا ولم يجرب جنسه فى أرض غريبة، والبذر الإيمان، وشروط صحته دقيقة، والأرض القلب، وخفايا خبثه وصفائه من النفاق، وخبايا الأخلاق غامضة، والصواعق أهوال سكرات الموت، وهناك تضطرب العقائد، وكل هذا يوجب الخوف عليه، وكيف لا يخاف المؤمن؟

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة رضى الله عنه: هل أنا من المنافقين؟ وإنما خاف أن تلتبس حاله عليه، ويستتر عيبه عنه، فالخوف المحمود هو الذى يبعث على العمل، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا.

وأما عند نزول الموت، فالأصلح للإنسان الرجاء، لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل، وليس ثمة عمل، فلا يستفيد الخائف حينئذ إلا تقطيع نياط قلبه (النياط: عرق علق به القلب من الوتين) والرجاء فى هذه الحال يقوى قلبه، ويحبب إليه ربه، فلا ينبغى لأحد أن يفارق الدنيا إلا محبا لله تعالى، محبا للقائه، حسن الظن به.

وقد قال سليمان التيمى عند الموت لمن حضره: حدثنى بالرخص، لعلى ألقى الله وأنا أحسن الظن به.

فصل فى بيان الدواء الذى يستجلب به الخوف.

وذلك يحصل بطريقين:

أحدهما أعلى من الآخر. مثاله أن الصبى إذا كان فى بيت، فدخل عليه سبع، أو حية، ربما لم يخف منه، وربما مد يده إلى الحية ليأخذها يلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه فهرب منها وخافها، هرب الصبى، وخاف موافقة لأبيه، فخوف الأب عن معرفة، وخوف الولد من غير معرفة، بل هو تقليد لأبيه.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:

أحدهما: الخوف من عذابه، وهذا خوف عامة الخلق، وهو حاصل بالإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية، ويضعف هذا الخوف بسبب ضعف الإيمان، أو قوة الغفلة.

وزوال الغفلة يحصل بالتذكر، والتفكر فى عذاب الآخرة، ويزيد بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم، أو سماع أخبارهم.

المقام الثانى: الخوف من الله تعالى، وهو خوف العلماء العارفين. قال الله تعالى: ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ [آل عمران: ٣٠].

وصفاته سبحانه تقتضى الهيبة والخوف، فهم يخافون البعد والحجاب.

قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق، كقطرة فى بحر، ولعامة الناس حظ من هذا الخوف، ولكن بمجرد التقليد، فهو يضاهى خوف الصبى من الحية، تقليدا لأبيه، فلذلك يضعف، فإن العقائد التقليدية ضعيفة فى الغالب، إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المولدة لها على الدوام، وبالمواظبة على مقتضاها فى تكثير الطاعات، واجتناب المعاصى، فإذا ارتقى العبد إلى معرفة الله تعالى، خافه بالضرورة، ولا يحتاج إلى علاج يجلب الخوف إلى قلبه، بل يخاف بالضرورة.

ومن قصر، فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار، فيطالع أحوال الخائفين وأقوالهم، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين، فلا يتمارى فى أن الاقتداء بهم أولى، لأنهم الأنبياء والعلماء والأولياء.

وفى «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضى الله عنها، قالت: دعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار. فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يدرك الشر ولم يعمله، قال: «أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم».

ومن أعجب ما ظاهره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿**وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾ [طه: ٨٢] فإنه علق المغفرة على أربعة شروط، يبعد تصحيحها.

ومن المخوفات قوله تعالى: ﴿**والعصر * إن الإنسان لفى**

خسر﴾[العصر: ١، ٢] ثم ذكر بعدها أربعة شروط، بها يقع الخلاص من الخسران. وقال تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣].

ومعلوم أنه لو كان الأمر مستأنفا لامتدت الأطماع فى التحيل، فأما ما حُق فى القدم، فلا يمكن تداركه، فليس إلا التسليم، لولا أن الله تعالى لطف بعارفيه، وروَّح قلوبهم بالرجاء، لاحترقت من نار الخوف.

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه.

ولما حضرت سفيان الثورى الوفاة، جعل يبكى، فقال له رجل: يا أبا عبد الله: أراك كثير الذنوب، فرفع شيئا من الأرض وقال: والله لذنوبى أهون عندى من هذا، ولكن أخاف أن أسلب الإيمان قبل الموت.

وكان سهل رحمه الله تعالى يقول: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.

ويروى أن نبيا من الأنبياء، شكا إلى الله تعالى الجوع والعرى، فأوحى الله عز وجل إليه: عبدى، أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفرنى حتى تسألنى الدنيا؟! فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت، فاعصمنى من الكفر. فإذا كان هذا خوف العارفين من سوء الخاتمة مع رسوخ أقدامهم، فكيف لا يخاف ذلك الضعفاء؟!

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت، مثل البدعة، والنفاق، والكبْر، ونحو ذلك من الصفات المذمومة، ولذلك اشتد خوف السلف من النفاق.

قال بعضهم: لو أعلم أنى برىء من النفاق، كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ولم يريدوا بذلك نفاق العقائد، إنما أرادوا نفاق الأعمال، كما ورد فى الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

وسوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما أعظم، وهى أن يغلب على القلب والعياذ بالله شك، أو جحود عند سكرات الموت وأهواله، فيقتضى ذلك العذاب الدائم.

والثانية دونها، وهى أن يسخط الأقدار، ويتكلم بالاعتراض، أو يجور فى وصيته، أو يموت مصرا على ذنب من الذنوب.

وقد روى أن الشيطان لا يكون فى حال أشد على ابن آدم من حال الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه.

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أنه كان يدعو: «اللهم إنى أعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت». (أخرجه أبو داود (١٥٥٢) والنسائى ٨ / ٢٨٢ من حديث أبى اليسر أن رسول الله ﷺ كان يدعو «اللهم إنى أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردى، وأعوذ بك من الحرق والغرق والهدم وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا» وسنده قوى، وصححه الحاكم).

قالت المؤلفة: ورد هذا الحديث فى كتاب الدعاء المستجاب للشيخ أحمد عبد الجواد (ص ١٥٨) بلفظ «اللهم إنى أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحرق ... إلخ» رواه النسائى والحاكم عن أبى اليسر رضى الله عنه اهـ.

قال الخطابى: وذلك أن يستولى على الإنسان حينئذ، فيضله ويحول بينه وبين التوبة أو يمنعه الخروج من مظلمة، أو يؤيسه من رحمة الله ويكره إليه الموت، فلا يرضى بقضاء الله عز وجل.

والأسباب التى تفضى إلى سوء الخاتمة لا يمكن انحصارها على التفصيل، لكن يمكن الإشارة إلى مجامع ذلك. أما الختم على الشك والجحود، فسببه البدعة، ومعناها أن يعتقد فى ذات الله تعالى، أو صفاته، أو أفعاله خلاف الحق، إما تقليدا، أو برأيه الفاسد، فإذا انكشف الغطاء عند الموت، بان له بطلان ما اعتقده، فيظن أن جميع ما اعتقده هكذا لا أصل له.

ومن اعتقد فى الله سبحانه وصفاته اعتقادا مجملا على طريقة السلف من غير بحث ولا تنقير، فهو بمعزل عن هذا الخطر إن شاء الله تعالى.

وأما الختم على المعاصى، فسببه ضعف الإيمان فى

الأصل، وذلك يورث الانهماك فى المعاصى، والمعاصى مطفئة لنور الإيمان، وإذا ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى، فإذا جاءت سكرات الموت، ازداد ذلك ضعفا، لاستشعاره فراق الدنيا، فإن السبب الذى يفضى إلى مثل هذه الخاتمة، وهو حب الدنيا، والركون إليها، مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله، فمن وجد فى قلبه حب الله تعالى، أغلب من حب الدنيا، فهو أبعد من هذا الخطر، وكل من مات على محبة الله تعالى، قدم به قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم، فضلا عما يستحقه من الإكرام.

ومن فارقه الروح فى حال، خطر بباله فيها لإنكار على الله سبحانه فى فعله، أو كان مصرا على مخالفته، قدم على الله قدوم من قدم به قهرا، فلا يخفى ما يستحقه من النكال.

فمن أراد طريق السلامة، تزحزح عن أسباب الهلاك، على أن العلم بتقليب القلوب وتغيير الأحوال، يقلقل قلوب الخائفين.

وقد ورد فى «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وإنه لمن أهل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار».

وروى: «إن العبد إذا عرج بروحه إلى السماء، قالت الملائكة: سبحان الله! نجا هذا العبد من الشيطان: يا ويحه! كيف نجا»؟!

وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة، فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسويف بالاستعداد، فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك، لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه.

واعلم: أنه لا يتيسر لك الاستعداد بما يصلح، إلا أن تقنع بما يقيمك، وترفض طلب الفضول، وسنورد عليك من أخبار الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة من قلبك، فإنك متحقق أن الأنبياء والأولياء كانوا أعقل منك، فتفكر فى اشتداد خوفهم، لعلك تستعد لنفسك.

ذكر خوف الملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى فى صفتهم: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [النحل: ٥٠].

وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته». وذكر تمام الحديث (لم نجده).

وبلغنا أن من حملة العرش من تسيل عيناه مثل الأنهار، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك ما تُخشى حق خشيتك، فيقول الله: لكن الذى يحلفون باسمى كاذبين لا يعلمون ذلك.

وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما كان ليلة أسرى بى، رأيت جبريل عليه السلام كالشن البالى من خشية الله تعالى» (الشن: القربة).

وبلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكى فقال له: «ما يبكيك، قال: ما جفت لى عين منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه، فيلقينى فيها».

وعن يزيد الرقاشى قال: إن لله تعالى ملائكة حول العرش تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة، يميدون كأنما تنفضهم الريح من خشية الله تعالى، فيقول لهم الرب عز وجل: يا ملائكتى ما الذى يخيفكم وأنتم عندى؟ فيقولون: يارب! لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه، ما أساغوا طعاما ولا شرابا، ولا انبسطوا فى فرشهم، ولخرجوا إلى الصحارى يخورون كما تخور البقر.

وقال محمد بن المنكدر: لما خلقت النار، طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق آدم عادت.

وروى أنه لم ظهر من إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل يبكيان، فأوحى الله تعالى إليهما: «ما هذا البكاء؟ قالا: يارب! ما نأمن من مكرك. فقال تعالى: هكذا فكونا».

ذكر خوف الأنبياء عليهم السلام.

قال وهب: بكى آدم عليه السلام على الجنة ثلاثمائة عام، وما رفع رأسه إلى السماء بعد ما أصاب الخطيئة.

وقال وهيب بن الورد: لما عاتب الله تعالى نوحا عليه السلام فى ابنه فقال: ﴿**إنى أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ [هود: ٤٦] بكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء.

وقال أبو الدرداء رضى الله عنـه : كان يسمع لصدر إبراهيم عليه السلام إذا قـام إلى الصلاة أزيز من بُعد خـوفا من الله عز وجل .

وقال مجاهد : لما أصاب داود عليه السلام الخطيئة ، خر لله ساجـدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيـه من البقل ما غطى رأسه ، ثم نادى يـارب : قرح الجبين ، وجمدت العين ، وداود لم يـرجع إليـه فى خطيئته شيء ، فنـودى : أجـائع أنت فتطعم؟ أم مـريض فتشفى؟ أم مظلـوم فتنصر ، فنحب نحيبـا هاج كل شيء نبت ، فعند ذلك غفر له .

وقيل : كـان داود عليـه السـلام يعـوده النـاس يظنـون أنـه مريض ، وما به إلا شدة الفرق من الله عز وجل .

وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت يقطر جلده دما .

وبكى يحيى بن زكريا عليهما السلام حتى بدت أضراسه ، فاتخذت أمه قطعتين من لبود فألصقتهما بخديه .

ذكر خوف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قط مستجمعا ضاحكا ، حتى أرى لهـواته إنمـا كـان يبتسم ، وكان إذا رأى غيمـا وريحـا عـرف ذلك فى وجهه ، فقلت : يا رسول الله : النـاس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عُرفت الكراهة فى وجهك : فقال : «يـاعائشة : ما يـؤمننى أن يكون فيه عذاب؟ قـد عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا» أخـرجـاه فى «الصحيحين» (اللهـاة : اللحمة المشـرفـة على الحلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسـان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ، جمعها لهوات ولهيات) .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يصلى ولجـوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

ذكر خوف أصحابه رضى الله عنهم .

روينا عن أبى بكـر الصديق رضى الله عنه أنـه كان يمسك لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد . وقال : يا ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل . وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر رضى الله عنهم .

وكان عمـر بن الخطاب رضـى الله عنه يسمع آيـة فيمرض فيعاد أياما . وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال : ياليتنى كنت هذه التبنـة ، يا ليتنى لم أك شيئـا مذكـورا ، ياليت أمى لم تلـدنى .

وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء وقال عثمـان رضـى الله عنه : وددت أنـى إذا مـت لا أُبعـث .

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : وددت أنى كنت كبشا فذبحنى أهلى . فأكلوا لحمى ، وحسوا مرقى .

وقـال عمـران بن حصين : يـا ليتنى كنت رمـادا تـذروه الرياح .

وقال حذيفة رضى الله عنـه : وددت أن لى إنسانا يكون فى مالى ، ثم أغلق علىَّ بـابى ، فلا يدخل علىَّ أحد حتى ألحق بالله عز وجل .

وكـان مجـرى الـدمع فى خـد ابن عبـاس رضى الله عنـه كالشراك البالى .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يا ليتنى كنت نسيا منسيا .

وقال على رضى الله عنه : والله لقـد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم ، فما أرى اليوم شيئـا يشبههم . لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتـوا لله سجدا وقياما ، يتلـون كتاب الله تعالى ، يـراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فـذكروا الله عز وجل ، ما دوا كمـا يميد الشجـر فى يـوم الـريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين .

ذكر خوف التابعين ومن بعدهم .

قال هرم بن حيان : وددت والله أنى شجرة أكلتنى ناقة ، ثم قـذفتنى بعرا ، ولم أكـابد الحسـاب يوم القيـامة ، إنى أخـاف الداهية الكبرى .

وكان على بن الحسين إذا تـوضأ اصفر وتغير ، فيقـال : ما لك؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم؟

وكان محمد بن واسع يبكى عامة الليل لا يكاد يفتر .

وكان عمر بـن عبد العزيز إذا ذكر المـوت انتفض انتفاض الطيـر ، ويبكى حتى تجرى دمـوعـه على لحيته . وبكى ليلـة فبكى أهل الدار ، فلما تجلت عنهم العبرة قالت فاطمة : بأبى أنت يا أميـر المؤمنين مم بكيت؟ قال : ذكرت منصـرف القوم من بين يدى الله تعالى ، فريـق في الجنة ، وفريق في السعير . ثم صرخ وغشى عليه .

ولما أراد المنصور بيت المقدس ، نزل بـراهب كان ينزل به عمر بـن عبد العزيـز فقال لـه : أخبرنى بأعجب مـا رأيت من عمر . فقال ؛ بات ليلة على سطح غرفتي هذه وهو من رخام ،

فإذا أنـا بماء يقطر مـن الميزاب، فصعـدت فإذا هو ساجد، وإذا دموع عينه تنحدر من الميزاب.

وقد روينـا عن عمر بن عبد العـزيز وفتح المـوصلى أنهما بكيا الدم.

وقـال إبـراهيم بن عيسى اليشكـرى: دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس وتفرغ لنفسه، فذاكرته شيئًا من أمر الآخـرة، وذكـر المـوت. قـال: فجعـل يشهق حتى خـرجت نفسه.

وقـال مسمع: شهدت عبد الـواحد بن زيد وهـو يعظ، فمات يومئذ في ذلك المجلس أربعة أنفس.

وكان يزيـد بن مرشد يبكى كثيرًا ويقول: والله لـو تواعدنى ربي أن يسجننى فـى الحمـام، لكـان حقى أن لا أفتـر من البكاء، فكيف وقد تواعدنى أن يسجننى في النار إن عصيته؟!

وقال السرى السقطى: إنى لأنظر كل يوم إلى أنفى مخافة أن يكون قد اسود وجهى.

فهذه مخاوف الملائكة والأنبياء والعلماء والأولياء، ونحن أجدر بالخوف منهم، ولكن ليس الخوف بكثرة الذنوب ولكن بصفاء القلـوب وكمال المعرفة، وإنمـا أمنا لغلبة جهلنـا وقوة قساوتنا، فالقلب الصافى تحركه أدنى مخافة، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ (مختصر منهاج القاصدين / ٣٠٢_٣١٥).

قالـت المؤلفـة: ويوجد بـدار الكتب الظاهـرية بـدمشق (بمكتبة الأسد) مخطوط للغزالى بعنوان «الخوف والرجاء» جاء بيانه كما يلى:

الرقم: ٨٥٢٨

_ كتاب الخوف والرجاء من كتاب إحياء علوم الدين الجزء الرابع ويوافق من ص١٠٤ ــ ١٣٦ طبعة الميمنية سنة ١٣١٢ هـ راجع إحياء علوم الدين.

المؤلف: أبو حـامد زين الدين محمد بـن محمد الغزالى الطوسى الشافعى المتوفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١ _

أوله الحمد لله المرجو لطفه وثوابه، المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليـائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطف آلائه إلى النزول بفنائه.

آخرها: وإنما هى صفـاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتهـا فإن أردت أن تقتلها وتقهـرها وأنت قبل المـوت قادر عليها فافعل.

الخط نسخ معتاد مشكل، الحبـر: أسود وبعض كلمـاته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة عادية عليها تملكات منها باسم سليم الجندى مفتى المعرة سنة ١٣٣٢ هـ (مخطوط الظاهرية ١/ ٥١٣)

(مختصر منهاج القاصدين للإمام ابن قـدامة _ قدم له الأستاذ محمد أحمـد دهمان، علق عليه شعيب الأرنوط وعبـد القادر الأرنـؤوط/ ٢٩٧_ ٣١٥، ومختصر شعب الإيمان للإمام البيهقى، اختصار القزوينى _ حققه وكتب حـواشيه عبـد الله حجاج/ ٢١ ــ ٢٣ والدعـاء المستجاب ــ جمع وتـرتيب أحمـد عبد الجـواد/ ١٥٨ وهـامش٤، وفهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية. التصوف _ وضع محمد رياض المالح ١/ ٥١٣).

*** خَوْلان:**

ذكرها ابن حوقل في كتابه «صورة الأرض» فقال:

وبـلاد خـولان تشتمل على قـرى ومـزارع ومياه معمـورة بأهلها، وهي مفتـرشة بهـا أصناف من قبـائل اليمن. ونجران ونجرش مدينتان متقاربتان في الكبر وبها نخيل وتشملان على أحياء من اليمن كثيرة، وصعدة أكبر وأعمر منهما، وبها يتخذ مـا كـان يتخـذ بصنعـاء من الأدم. ويتخـذ بنجـران وجـرش والطـائف أدم كثيـر وأكثـره من صعـد، وبهـا مجمع التجـار والأمـوال، والحسنى المعـروف بـالـرسى بهـا مقيم (كتابات مضيئة/ ٧٠)

خَولان: بفتح أولـه، وتسكين ثانيه، وآخره نـون: مخلاف من مخـاليف اليمن منسوب إلى خـولان بن عمرو بن الحـاف ابن قضـاعة بن مـالك بن عمرو بن مـرة بن زيد بن مـالك بن حميـر بن سبأ؛ فتح هـذا المخـلاف فى سنة ثـلاث أو أربع عشرة فى أيـام عمر بن الخطاب، رضى الله عنـه، وأميره يعْلَى ابن مُنية وقتل وسبى، وفى خـولان كـانت النار التى تعبـدهـا اليمن، ويجـوز أن يكـون فعـلان من الخـول وهـم الأتبـاع. وخولان: قرية كانت بقـرب دمشق خربت، بها قبر أبى مسلم الخولانى وبها آثار باقية.

(معجم البلدان ٢/ ٤٠٧).

(كتابات مضيئـة فى التراث الجغرافى العربى _ د. شـاكر خصباك / ٧٠، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٤٠٧).

***ابن خَوْلان (-٨٠٣ هـ):**

ذكره صاحب الطبقات السنية فقال هو إبراهيم بن محمد ابن عبد المحسن بن خولان الدمشقي الحنفي .

قال السخاوي : ذكره شيخنا (يقصد الحافظ ابن حجر) في «معجمه» ، وقال : رافقنا في سماع الحديث بالقاهرة ، ثم ولي وكالة بيت المال ، بدمشق ، وكانت لديه فضائل ، وحدث عن أبي جعفر الغرناطي المعروف بابن الشرفي ، بكثير من شعره .

مات في الكائنة العظمى ، فيما أظن ، وترجمه أيضا فيما قرأته بخطه ، فيما استدركه على المقريزي ، فقال : سمع كثيرا ، وولي وكالة بيت المال ، بدمشق ، وكان يلازم يلبغا السالمي ، فاعتنى به ، وكان لطيف المحاضرة ، مات بدمشق ، في الفتنة العظمى ، سنة ثلاث وثمانمائة . رحمه الله تعالى :

(الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين عبد القادر التميمي الداري الغزي ــ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ١ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ . انظر أيضا الضوء اللامع لشمس الدين السخاوي ١ / ١٥٣) .

***خَوْلة بنت الأزْوَر (- نحو ٣٥ هـ / - نحو ٦٥٥م):**

قال عنها الزركلي : خَوْلة بنت الأزْوَر الأسدي ، شاعرة ، كانت من أشجع النساء في عصرها ، وتشبه بخالد بن الوليد في حملاتها . وهي أخت ضرار بن الأزور ، لها أخبار كثيرة في فتوح الشام . وفي شعرها جزالة وفخر . توفيت في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه (الأعلام ٢ / ٣٢٥) .

قالت المؤلفة : ونحن نورد طرفا من أخبار شجاعتها النادرة ، فهي مثال يحتذى بين النساء المسلمات .

قال الواقدي :

قال ووصل الخبر إلى خالد أن ضرارا (وهو أخو خولة) قد أسر بيد الروم ، وأنه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد ، وقال في كم العدو؟ قالوا في اثني عشر ألف فارس . فقال والله ما ظننت إلا أنهم في عدد يسير ، ولقد غررت بقومي ، ثم سأل عن مقدمهم من يكون ؟ فقيل وردان صاحب حمص ، وقد قتل ضرار ولده همدان ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم أرسل إلى أبي عبيدة يستشيره فبعث إليه أبو عبيدة يقول له : اترك على الباب الشرقي (أحد أبواب مدينة دمشق) من تثق به وسر إليهم فإنك تطحنهم بإذن الله تعالى . فلما وصل الجواب إلى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ثم أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه ومعه ألف فارس ، وقال له احذر أن تنفذ من مكانك . فقال ميسرة حبا وكرامة ، وعطف خالد بالناس ، وقال لهم أطلقوا الأعنة وقوّموا الأسنة فإذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار إن شاء الله تعالى إن كانوا أبقوا عليه ، والله إن كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثأره إن شاء الله تعالى وأرجو أن لا يفجعنا به ، ثم تقدم أمام القوم وجعل يقول :

اليوم يوم فاز فيه من صدق ... لا أرهب الموت إذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوي الحدق ... لأهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق ... في جنة الخلد وألقى من سبق

فبينما خالد يترنم بهذه الأبيات ، إذا نظر إلى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه إلا الحدق ، والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه ، وقد سبق أمام الناس كأنه نار ، فلما نظره خالد قال ليت شعري من هذا الفارس وايم الله إنه لفارس شجاع ، ثم اتبعه خالد والناس ، وكان هذا الفارس أسبق الناس إلى المشركين . قال وكان رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه في قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه إذ نظر خالدا وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ، ونظر إلى الفارس الذي وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ، ثم غاب في وسطهم فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم ، وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم في الناس وكثر قلقهم عليه ، فأما رافع بن عميرة ومن معه فما ظنوا إلا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات إلا لخالد فهم على ذلك إذا أشرف عليهم رضي الله عنه وهو في كبكبة من الخيل : فقال رافع بن عميرة من الفارس الذي تقدم أمامك

فلقد بذل نفسه ومهجته. فقال خالد والله إننى أشد إنكارا منكم له ولقد أعجبنى ما ظهر منه ومن شمائله. فقال رافع أيها الأمير إنه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا.

فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله. قال فأطلقوا الأعنة وقوّموا الأسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم إذ نظر إلى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل فى أثره، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين. قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء اكشف لنا عن لثامك. قال فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون، وقالوا أيها الرجل الكريم: أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا، فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال له ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى بفعلك من أنت؟ قال فلما لج عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث، وقال: إننى يا أمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد زائدة الكمد، فقال لها من أنت؟ قالت أنا خولة بنت الأزور. المأسور بيد المشركين أخى وهو ضرار وأنى كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بأن ضرار أسير فركبت وفعلت ما فعلت. قال خالد نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل إلى أخيك فنفكه.

ثم ينتقل الواقدى إلى الكلام على ثورة الأسيرات واشتراك خولة بنت الأزور.

(عندما انسحب أبو عبيدة وخالد عن حصار دمشق للتوجه إلى أجنادين ظن أهل دمشق بهم ضعفا وخرجوا لملاحقتهم بقيادة أخوين هما بولص وبطرس ولحقوا بمؤخرة الجيش واستطاعوا اقتطاع جزء منه فيهم النساء والأطفال وكانت المؤخرة بقيادة أبى عبيدة بينما تقدمه خالد مسرعا نحوا أجنادين) (انظر مادة «أجنادين (موقعة ـ)» فى م ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٨).

قال: حدثنى سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعى، قال سمعت حبيب بن مصعب يقول: لما اقتطعوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص إلى أن نزل بهم على النهر الذى ذكرناه، ثم قال بطرس أنا لا أبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخى ثم إنه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن إلا خولة بنت الأزور أخت ضرار، قال بطرس هذه لى وأنا لها لا يعارضنى فيها أحد، فقال له أصحابه هى لك وأنت لها. قال وكل من سبق إلى واحدة يقول هى لى حتى قسموا الغنيمة على ذلك، ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص وأصحابه، وكان فى النساء عجائز من حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضات الليل والهجوم على القبائل، قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الأزور: يا بنات حمير بقية تبع أترضين بأنفسكن علوج الروم، ويكون أولادكن عبيدا لأهل الشرك، فأين شجاعتكن وبراعتكن التى نتحدث بها عنكن فى أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك، وإنى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكم من خدمة الروم الكلاب.

فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت، ووالله يا بنت الأزور نحن فى الشجاعة كما ذكرت، وفى البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام، ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت، وإنما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن إلا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب، فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسعت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتبةوسلمة بنت زراع ولبنى بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان، ومثل هؤلاء رضى الله عنهن. فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض،

وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن، فيقع بكن التشتيت. وحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن، قال فهجمت خولة أمامهن، فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعمود فتجندل صريعا والتفت الروم ينظرون ما الخبر، فإذا هم بالنسوة، وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا، فقالت عفرة هذه فعالنا فلنضربن القوم بهذه الأعمدة ولا بد من قطع أعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر. قال فجاء بطرس، وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتي فلا ينالها بمكروه، فتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول إليهن فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن أحد من الروم إلا ضربن قوائم فرسه فإذا تنكس عن جواده بادرت النساء بالأعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه.

قال الواقدي: ولقد بلغني أن النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم، فلما نظر بطرس إلى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجل أصحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما، وأظهر بطرس بأسه وتلهفه عندما نظر إلى فعلهن، ونظر إلى خولة بنت الأزور، وهي تجول كالأسد وتقول:

نحن بنات تبع وحمير
وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تسعر
اليوم تسقون العذاب الأكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها، ورأى حسنها وجمالها، قال لها يا عربية اقصري عن فعالك فإني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذي تهابني أهل النصرانية ولي ضياع ورساتيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل، وجميع ما أنا فيه مردود إليك. أما ترضين أن تكوني سيدة أهل دمشق فلا تقتلي نفسك، فقالت له يا ملعون ويا ابن ألف ملعون والله لئن ظفرت بك لأقطعن رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لي الإبل فكيف أرضاك أن تكون لي كفؤا. قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال، وقال أترون عارا أكبر من هذا في بلاد الشام أن النسوة غلبنكم فاتقوا غضب الملك، قال فافترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرت النساء لهم صبر الكرام، فبينما هم على ذلك إذ أقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن معه من المسلمين، ونظروا إلى الغبار وبريق السيوف، فقال لأصحابه من يأتيني بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائي أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت. قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى، فقال خالد لا أعجب من ذلك أنهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة، وما بينهن وبين تبع إلا قرن واحد (من كتاب فتوح الشام / ٦١ - ٧٠).

وقد ذكر ابن الحوراني خولة بنت الأزور من بين من دفنوا في الجانب الشرقي من دمشق وتوابعه وكذلك أخاها ضرار وقال إن قبره، يُزار ويُتبرك به (الإشارات / ٨٥، ٨٧).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣٢٥، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدي - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها ماجد اللحام / ٦١ - ٧٠، والإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام لابن الحوراني - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي / ٨٥).

***خولة بنت حكيم:**

خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية زوج عثمان بن مظعون، ويقال لها أم شريك، ويقال لها خويلة (بالتصغير) ويقال هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد اشتبه على كثيرين هذه بالتي قبلها من إفراد البخاري وخولة بنت ثعلبة صاحبة خولة بنت نامر وخولة أم حبيبة، والله أعلم بحقيقة الأمور (الرياض المستطابة / ٣٢٤).

قال هشام بن عروة عن أبيه: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ (الإصابة ٧ / ٧٠).

خرّج مسلم لخولة بنت حكيم حديثا واحدا وهو قولها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.. الحديث.

وخرّج عنها الأربعة غير ابن ماجه، روى عنها سعد بن أبي وقاص وابن المسيب وجماعة (الرياض المستطابة / ٣٢٤).

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٧ / ٩، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى / ٣٢٤).

*** خولة بنت مالك:**

خولة بنت مالك بن ثعلبة راوية كفارة الظهار وهي المجادلة ذكرها في المهذب وهكذا وقع في بعض نسخ المهذب خولة بنت مالك بن ثعلبة وفي بعضها خويلة بزيادة ياء وهما مرويان ورواية أبي داود بالياء وفي بعض الروايات خولة بنت ثعلبة بن أصرم وفي بعضها خولة بنت ثعلبة بن مالك وفي بعضها خويلة بنت خويلد بالتصغير فيهما وهي أنصارية امرأة أوس بن الصامت رضى الله عنه ويقال فيها أيضا جميلة بفتح الجيم كذا جاء في رواية لأبي داود والبيهقي وغيرهما (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٣٤٣).

قال أبو عمر: روينا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف فجعل يحدثها وتحدثه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز! فقال: ويلك، أتدرى من هى؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التى أنزل الله فيها: ﴿**قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما**﴾ [المجادلة: ١]. قال: وقد روى خليد بن دعلج عن قتادة قال: خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدى فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام فقالت: هيها ياعمر، عهدتك وأنت تسمى عُميرا فى سوق عكاظ تُرع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت، فقال الجارود: قد أكثرتِ على أمير المؤمنين أيتها المرأة. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات فَعُمَرُ أحقُّ والله أن يسمع لها. قال أبو عمر: هكذا فى الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة وهو وهم يعنى فى اسم أبيها وزوجها وخليد ضعيف سيىء الحفظ (الإصابة ٨ / ٦٩).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ٢/ ٣٤٢، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٨ / ٦٩).

*** خونجان:**

قال ياقوت:

خونجان: بضم أوله، وبعد الواو الساكنة نون مفتوحة بعدها جيم، وآخره نون: قرية من قرى أصبهان؛ منها أبو محمد بن أبى نصر بن الحسن بن إبراهيم الخونجانى، شاب فاضل، سمع الحافظ أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهانى وغيره.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٧).

*** الخونجي (٥٩٠-٦٤٦ هـ / ١١٩٤-١٢٤٨م):**

قال عنه الزركلي: محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله، أفضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق. فارسى الأصل، انتقل إلى مصر، وولي قضاءها. وتوسع فيما يسمونه «علوم الأوائل» وصنف كتاب «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» مخطوط فى استانبول والقاهرة، فى الحكمة، و «الموجز» مخطوط فى المنطق، بالقاهرة، و«الجمل» اختصار «نهاية الأمل» لابن مرزوق التلمسانى وغير ذلك توفى بالقاهرة (الأعلام ٧ / ١٢٢).

وقد ذكره الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة فمين كان بمصر من أرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين، وذكر من بين مؤلفاته شرحه مقالة ابن سينا. ثم قال عن توليه قضاء مصر: ولى قضاء الديار المصرية بعد عزل الشيخ عز الدين بن عبد السلام. قلت: فاعتبروا يا أولى الأبصار، يعزل شيخ الإسلام وإمام الأئمة شرقا وغربا ويولى عوضه رجل فلسفى! ما زال الدهر يأتى بالعجائب! (حسن المحاضرة ١ / ٥٤١).

كما ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٦٤٨ (كتاب الوفيات / ٣٢٠).

له ترجمة فى: شذرات الذهب ٥ / ٢٣٦، ٢٣٧، وذيل الروضتين / ١٨٢، ومفتاح السعادة ١ / ٢٤٦ وفيه وفاته سنة ٦٤٩ هـ، ولعله من خطأ الطبع.

(الأعلام للزركلى ٧ / ١٢٢، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٤١ وفيه وفاته سنة ٦٤٢ هـ).

*** الخوند:**

قال الدكتور حسن الباشا: الخوند لفظ فارسى عرفته اللغة التركية؛ وأصله «خداوند»، ومعناه السيد أو الأمير، ويخاطب به الذكور والإناث. وقد غلب استعماله فى العالم الإسلامى كلقب عام بمعنى السيدة أو الأميرة؛ وربما كان يحتفظ فى هذه الحالة بصيغته الفارسية «خوند»، وقد يرد معربا فتلحق به أداة التعريف «ال» أو تضاف إليه تاء التأنيث فى حالة استعماله المؤنث.

وقد استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك كلقب من ألقاب النساء التى تتفرع على الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا. وقد ورد فى كثير من النقوش المملوكية: ومن ذلك إطلاقه على شقرا بنت الناصر فرج فى نص بتاريخ سنة ٨٨٧ هـ فى ضريحه، وكذلك على زوجة الأشرف قايتباى فى نص من ح سنة ٩٠٥ هـ فى منبر مسجد الأميرة أصل باى بالفيوم.

وكان هذا اللقب يطلق على زوج السلطان أيضا: فقد ذكر خليل الظاهرى فى «زبدة كشف الممالك» بشأن القاعات أن القاعة الكبرى بالقلعة كانت برسم خوند الكبرى، وقاعة رمضان بها خوند الثانية، وقاعة المظفرية وبها خوند الثالثة، ثم قاعة المعلقة وبها خوند الرابعة، وقاعة البربرية برسم السرارى.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٨٠، ٢٨١).

*** خوند (زاوية ـ):**

ذكرها على مبارك فى خططه (٢ / ٣٣٩) عند الكلام على شارع الشعرانى فقال عنها: وبآخره زاوية خوند بجوار ضريح الأربعين منقوش على بابها فى الحجر اسم فاطمة خوند، وهى مقامة الشعائر، وبها منبر، وكانت تعرف أولا بمدرسة أم خوند، وكان سيدى الوهاب الشعرانى يتعبد بها ـ كما هو مذكور فى كتاب وقفيته اهـ.

ثم عاد وذكرها فى الزوايا (٦ / ٧٤) فقال عنها: زاوية خوند هى بخط بين السورين تجاه زاوية المغازى وأبى الحمائل مكتوب على بابها نقوش فى الحجر بقى منها اسم فاطمة خوند، وهى مقامة الشعائر وبها منبر.

وكان سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه يتعبد فى هذه الزاوية كما فى كتاب وقفيته، وعبر فى الطبقات عند ذكر مناقب الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلى المجذوب بمدرسة أم خوند قال: كان يأتينى الشيخ شهاب وأنا فى مدرسة أم خوند ساكن فيقول: أقل لى بيضا قريصات. فأفعل له ذلك فيأكل البيض أولا ثم الخبز وحده ثانيا، وذكرنا ترجمته فى الكلام على زاويته اهـ.

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ٢ / ٣٣٩، و ٦ / ٧٤).

قالت المؤلفة: أدرجت هذه الزاوية فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة تحت عنوان «فاطمة أم خوند» (زاوية ـ) وجاء بيانها كمايلى: (النصف الأخير من القرن التاسع الهجرى / القرن الخامس عشر الميلادى) أثر رقم ٥٨).

*** أم خوند (مدرسة ـ):**

انظر: خوند (زاوية ـ):

*** خُوَى:**

قال ياقوت:

خوى: بلفظ تصغير خو: يوم من أيامهم فى هذا الموضع، ويقال: هو واد من وراء نهر أبى موسى؛ قال وائل ابن شرحبيل:

وغادرنا يزيد لدى خوى،
فليس بآيب أخرى الليالى

وقال أبو أحمد العسكرى (وفى رواية: أبو حامد العسكرى): يوم خوى يوم بين تميم وبكر بن وائل وهو اليوم الذى قتل فيه يزيد بن القحارية فارس بنى تميم، قتله شيبان ابن شهاب المسمعى؛ قال عامر بن الطفيل:

هلا سألت، إذا اللقاح تراوحت،
هدج الرئال، ولم تبل صرارا
إنا لنعجل بالعبيط لضيفنا،
قبل العيال، ونطلب الأوتارا
ونعد أياما لنا ومآثرا
قدما تبذ البدو والأمصارا
منها خوى والذهاب، وبالصفا
يوم تمهد مجد ذاك فسارا

وفي كتاب نصر: خوى واد يفرغ من فلج من وراء حفر أبي موسى. وخويٌّ أيضا: بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه، ينسب إليها الثياب الخوية.

وينسب إليها أيضا أبو معاد عبدان الطبيب الخوى، يروى عن الجاحظ، روى عنه أبو على القالى ويوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخوى الأديب أبو يعقوب من أهل خوى، أديب فاضل وفقيه بارع حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر مستحسن النظم، كتب لأبى سعد الإجازة وقد كان سكن نوقان طوس وولى نيابة القضاء بها وحمدت سيرته فى ذلك، وله تصانيف، من جملتها رسالة تنزيه القرآن الشريف عن وصمة اللحن والتحريم، وقال أبو سعد: وظنى أنه قُتل فى وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ أو قبلها بيسير.

وينسب إليها أيضا أبو بكر محمد بن يحيى بن مسلم الخوى، حدث عن جعفر بن إبراهيم المؤذن، روى عنه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن إدريس الشافعى وغيره.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٨، ٤٠٩).

***الخيار:**

خيار: بالكسر القثاء كما قاله الجوهرى وليس بعربى أصيل كما قاله الفنارى وصرح به الجوهرى وقيل شبه القثاء وهو الأشبه كما صرح به غير واحد (المعجم / ٥٥).

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

«ع» الخيار أبرد وأغلظ وأثقل من القثاء، لأن برودته فى آخر الدرجة الثانية، وبرودة القثاء فى وسطها، ولذلك صار الخيار أشد تطفئة وتبريدا، ولأجل ذلك فعله فى توليد البلغم الغليظ، والإضرار بعصب المدة، وتفجيج الغذاء، أكثر من فعل القثاء، لأنه أثقل وأبعد انهضاما، فهو يولد الخلط البارد الغليظ المسمى خاما. والمختار منه ما كان جسمه صغيرا، وحبه رقيقا غزيرا متكاثفا، وأفضل ما يؤكل منه لبه فقط، لأنه أسرع انهضاما، وأكثر انحدارا، وهو يوافق الكبد والمعدة الملتهبتين، ولبه ألطف من لب القثاء، وإذا أكل اليسير منه طيب النفس. وخاصة الخيار إنه إن شمه من قد اختلف اختلافا كثيرا، أو أصابه غشى من حرارة مفرطة، وضعفت قواه، سكن عنه ما يجده. والخيار والقثاء إن جعل منهما سلائق، وأطعم صاحب الحميات الحادة، انتفع بها، وبزر الخيار بارد رطب فى الثالثة، نافع من احتراق الصفراء والدم، والورم الحار فى الكبد والطحال، ومن أوجاع الرئة وقروحها وجرم الخيال بطىء الانهضام، يدر البول إدرارا كثيرا، وهو قوى البرد جدا، وربما هاج منه وجع الخاصرة، وليحذره من يعتريه الرياح الغليظة. ولبه ينفع المحرورين.

«ج» يسمى القثد وهو ألطف من القثاء وأبرد، وفيه يسير قبض، وهو بارد رطب فى الدرجة الثانية، وينفع من الحميات المحترقة ويدر البول، وإذا أخذ من مائه ما بين ثلث رطل مع عشرة دراهم من السكر السليمانى أسهل المرار الأصفر، وقد يحدث عطشا لآكله طريا لاستحالته إلى المرار، ويحدث وجع المعدة والخواصر، ويصلحه العسل والزبيب.

«ف» يبرد أحشاء المحرورين، ويسكن العطش. المستعمل منه: بقدر الحاجة. (المعتمد ١ / ١٤٢، ١٤٣).

وقال عنه داود الأنطاكى:

الخيار نبت يشبه أصل البطيخ إلا أنه أدق وأنعم ورقا يغرس فى نحو مصر مرتين إحداهما بطوبه وأمشير ويدرك ببرموده والأخرى بتموز ويدرك بتوت فى غيرها مرة واحدة بأشباط وأذار ويدرك بحزيران وتموز (انظر مادة «أسماء الشهور» فى ٤/ ٥١٢) وهو نوعان: طويل يسمى بمصر الشامى، وقصير إلى استدارة محرف يسمى البلدى، وأجود الخيار الطويل الرقيق الأملس الغض فإن أخذ قبل انعقاد مائه فهو الجيد وإن كبر فليترك إلى بلوغه فإن الرطوبات الفجة تنحل فيها وشره المتوسط وهو بأسره بارد فى الثانية أو فى الثالثة رطب فيها أو فى الثانية يطفىء اللهيب والعطش وغليان الدم وكرب الصفراء ويسكن الصداع الحار ويفتح سدد الكبد ويدر البول ويفتت الحصى وإذا اعتصر ماؤه وشرب بسكر أسهل المحترقين واليابسين ويسكن الحميات وينفع من

اليرقان منفعة ظاهرة ومتى غرس فيه القرنفل ثم نزع بعد ليلة وجعل فى ماء العسل وشرب جود اللون وفتح السدد وحل الرياح الغليظة الكائنة عن حرارة وسدد وأزال الخفقان من يومه وإن عصر الخيار وطلى بمائه الشعر منع القمل أن يتولد فيه وإن درس جميعه وعرك البدن به قطع الحرارة والحكة والجرب والخصف ونعّم البشرة وهو ردىء الهضم ثقيل نفاخ يولد القراقر ووجع الجنبين ويصلحه فى المحرورين السكنجبين وفى المبرودين العسل أو الزبيب أو النانخواه . وغلط من قال إنه لا يؤكل إلا مقشرا فإن أكله بقشره يخرجه عن المعدة سريعا قبل تعفينه ولا يجوز أكله مع لبن خصوصا للمبرود فإنه يجلب الفالج وبزره أجود من القثاء بل كله من كله لبعد العفونة فى الخيار ومتى أكل لبه نفع الكلى وحرقان البول وإذا مزج بالبورق والعسل ولطخ به الورم حلله (التذكرة ١ / ١٤٨).

ويضيف الدكتور سامى محمود من مستحدث الطب الحديث إلى ماجاء فى التذكرة أعلاه فيقول : هذا ما قاله داود عن الخيار . . والخيار من النباتات الزاحفة، وهو يحتوى على قدر كبير من الماء (٩٥٪) عُرف الخيار منذ أزل بعيد، وكان موطنه الهند ومنها انتقل إلى الشام ومصر وأوربا . والناس قد ألفوا تناول الخيار بمفرده أو ضمن مكونات السلطة، كما تفنن البعض فى صنع مخللات من الخيار لإضافته كنكهة جيدة وفاتح للشهية . والحقيقة أن الخيار له فوائد عديدة منها ما هو ظاهرى ومنها ما هو باطنى .

الخيار علاج للبشرة، وهو مهدئ للأعصاب ومفيد للمصابين بالسمنة (البدانة) . . والخيار من النباتات الخضراوية التى يفضل العامة تناولها بكثرة، وهو قد يؤكل منفردا، أو مخللا، أو يقطع على هيئة شرائح توضع على الأطعمة المختلفة أو السلاطات، ولعل ذلك يعود إلى قيمته الغذائية الكبيرة، فهو يحتوى على قدر معقول من فيتامين «أ» وفيتامين «ج» إضافة إلى الأملاح والأحماض المختلفة .

ويستعمل الخيار من الخارج (ظاهريا) لترطيب وتلطيف الجلد، فعصير الخيار الطازج ينقى جلد الوجه ويكسبه نضارة، ولهذا الغرض توضع شرائح من قشر الخيار على الوجه وتترك فترة كافية، أو يطلى الوجه بعصير الخيار فى المساء ليستمر مفعوله طوال الليل .

كما يستعمل الخيار طبيا من الداخل (باطنيا) كمسكن ومهدئ، والخيار المفروم مع اللبن الحليب يسكن العطش فى الحميات ويخفف الاضطرابات العصبية، كذلك يوصى مرضى البول السكرى بالإكثار من أكل الخيار الغض لتنقية الجسم من السموم .

وقد أثبتت التجارب أن خلاصة ثمرة الخيار لها تأثير انقباضى كبير على عضلات الرحم وذلك بتأثير مباشر على هذه العضلات مما يجعل له فائدة فى إدرار الطمث، كذلك ينصح بالإقلال من تناول الخيار فى الشهور الأولى من الحمل .

أيضا يعتبر الخيار من المأكولات المفيدة جدا للمصابين بالسمنة (البدانة) إذ أنه يمكن أن يعطى الإحساس بامتلاء المعدة والشعور بالشبع دون أن يسبب تراكم الشحم والدهن بالجسم(تذكرة داود / ٣٠٠، ٣٠١) .

أما عن فلاحة الخيار فيقول القزوينى :

الخيار: قال صاحب الفلاحة، إن أردت استعجال باكورته فاعمد إلى فخارة فى ذى ماء وازرع فيها الخيار بزرا وكلما سخنت الشمس أطلعها إليها وكذلك للمطر أيضا وإذا غابت الشمس ردها إلى أكفان البيوت وتعاهد سقيها نضحا ورشا، فإذا انسلخ الشتاء فانقل مافى الفخارة إلى الأرض فإذا نبتت فاقطع شيئا من أعلى ورقها فإنه يسرع بثمرته على جميع أصنافه بأيام يسيرة وإذا أردت أن لا يضره الدود فاخلط بزره إذا زرعته شيئا من النخاواه، ثمرته تنفع من الحميات المحرقة ويدر البول ويعطش فى الحال لاستحالته إلى الصفراء، بزره يدق ويطلى به الوجه يحسن اللون (عجائب المخلوقات / ١٨٧).

ويقول الشيخ عبد الغنى النابلسى : والخيار ويسمى القثد يزرع سقيا، وهو نوعان، صغير أبيض وأخضر مكتنز وأترجى اللون، وهو فى حاجة مستمرة إلى الماء، ويزرع بزره ويتعهد بالسقى، فإذا نبت فلا يرش بالماء وإلا احترق ورقه، وإذا سقى بالماء لا يغمر به، ويزرع بزره فى البيوت فى أوانى فخار مثقوبة إن أريد التبكير به، ويزرع فى آب (أغسطس)، ويؤكل فى الخريف وبعده، والخيار ألطف من القثاء وأبرد (علم الملاحة فى علم الفلاحة / ١٣٣).

وأما عن النظم فقد أورد الحافظ السيوطى هذين البيتين لبعضهم.

خيـــار حين تنسبـــه لبيت
كـــريحان الســرور بــه اخضـــرار
كـأن نسيمـــه أنفـــاس حب
فليس لمغـــرم عنـــه اصطبـــار

(حسن المحاضرة ٢/ ٤٤٣).

كما أورده الطبيب المغربي عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته المعروفة بالشقرونية، من بين ما أسماه «ما تثمر البحيرة» وهى الخيار والقثاء والبطيخ والقرع بأنواعه وننقل هنا ما قاله عن الخيار، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. قال الناظم رحمه الله:

٢٦٧ ــ البـــرد ثم اللين فى الخيـــار
لا نكـــه يفضى إلى المــــرار
٢٦٨ ــ يطفى لهيب العطش الشـديـد
وغليـــان الـــدم بـــالتبـــريـــد
٢٦٩ ــ والـــرأى أن تـأكلـــه بقشـــره
يخــــرج بـــالإســــراع قبل ضـــره
٢٧٠ ــ أضف أخى لمـــائه المعتصـــر
منـــه، هـــديت وزنـــه من سكـــر
٢٧١ ــ واشـــربـــه تسهل عفن الصفــــراء
بســــرعــــة وعفن الســــوداء

(الطب العربى/ ١١٦).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى/ ٥٥، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٢٤٢، ١٤٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٨، وتذكرة داود للعلاج بالأعشاب والوسائل الطبيعية للطبيب العلامة داود الأنطاكى ــ الإشراف العلمي والإعداد د. سامى محمود/ ٣٠٠، ٣٠١ وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٨٧، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى/ ١٣٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٤٤٣، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونيه ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى/ ١١٦).

***خيار المجلس:**

انظر: الخيار (فى علم الفقه)

***خيار التعيين:**

أن يشترى أحد الثوبين بعشرة على أن يعيِّن أيًّا شاء

(التعريفات للشريف الجرجانى/ ١٣٧).

***خيار جنبر:**

انظر: خيار شنبر.

***خيار الرؤية:**

هو أن يشترى ما لم يره ويرده بخياره.

(التعريفات للشريف الجرجانى/ ١٣٧).

***خيار الشرط:**

انظر: الخيار (فى علم الفقه)

***خيارُ شَنْبَر:**

قال الزبيدى:

خيارُ شَنْبَر: شجر معروف وهو ضرب من الخروب شجره مثل كبار الخوخ والجزء الأخير منه معرب كثير بالإسكندرية ومصر وله زهر أصفر عجيب (المعجم/ ٥٥).

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى

ز: الزهراوى.

قال:

«ع» الخيار شنبر معروف، وثمره مألوف، وهو بمصر وإسكندرية وما والاهما، ومنهما يحمل إلى الشام. وشجرته وورقه قريب من شجر الجوز، وورقه زهر ياسمينى الشكل، خمس ورقات فى كل زهرة، فى نهاية الصفرة، فإذا قارب أن يذوى استحال لونه إلى البياض ويسقط، وتبرز أنابيب القضيب الشنبرية، منها الطويل ومنها القصير، كعناقيد

الخرنوب، شديدة الخضرة، ثم تسود إذا انتهت، وداخل أنابيبه طبقات لُب سود حلوة معسلة، وبين كل طبقتين نواة كنواة الخرنوب فى القدر، والمستعمل منه طبقاته، دون نواه وقصبه، والمختار منه ما اسود جوفه، وما كان براقا رزينا، ليس بمتحشف، وكان فى قصبه. و الخيار شنبر معتدل فى الحرارة والبرودة، وهو إلى الحرارة أميل، يسهل المرة الصفراء المحترقة، ويسكن حدة الدم، ويحلل الأورم الحارة أيضا، ويلين الصدر، وينقى العصب. والشربة منه: ثلاثة دراهم إلى عشرة دراهم، ويحل بالماء الحار، ويشرب، وهو يلين الأورام الصلبة طلاء وأورام الحلق والجوف، إذا تغرغر به مع طبيخ الزبيب، ومع عنب الثعلب، ويسهل بلا نكاية ولا أذى، ولا غائلة له، ويسقى للحبالى للمشى، ويُمْشِى المِرة، وينقى اليرقان، وينفع من وجع الكبد، ويطلى على النقرس والمفاصل، وإذا مرست فلوسه بماء الكزبرة الرطبة، ولعاب بزر قطونا، ثم تغرغر به، نفع من الخوانيق، ويسهل الطبيعة برفق، وينقى المعدة والأمعاء من الرطوبات والمرار، ويسهل خروج البراز المنعقد المتحجر، وإن سقى مع التمر هندى أسهل الصفراء وإن سقى مع التربد أسهل بلغما ورطوبة.

«ج» أجوده الهندى، وينفع من القولنج، وإسهاله بقوة جالية. والشربة: من خمسة دراهم إلى خمسة عشر درهما. وبدله: نصف وزنه ترنجبين. وثلاثة أوزانه لحم الزبيب، مع شيء من تربد.

«ف» مختازه الحديث الكثير العسل، معتدل فى الحر والبرد، ينفع من اليرقان ووجع الكبد، ويسهل البلغم والمرار، الشربة: عشرة دراهم. وقال: ينفع من المرة والصفراء ويقوى البدن، ويذهب بالحرارة والسحج.

«ز» بدله: مثل وزنه ترنجبين ونصف وزنه زبيب منزوع العجم. وقيل بدله: سكر سليمانى (المعتمد ١/ ١٤٣، ١٤٤).

وقال عنه داودالأنطاكى:

الخيار شنبر: يسمى البكتر الهندى شجر فى حجم الخرنوب الشامى لونا وورقا ويركب فيه لكنه لا ينجب إلا فى البلاد الحارة له زهر أصفر إلى بياض مبهج يزداد بياضه عند سقوطه ويخلف قرونا خُضْرا نحو نصف ذراع داخلها رطوبه سوداء وحب كحب الخرنوب بين فلوس رقيقة والمستعمل من ذلك كله الرطوبة وأجوده المقطوف بِبَابَه وأن يستعمل بعد سنة ولا ينزع من قشرة إلا عند الاستعمال والمستعمل كما قطف ردى يبول الدم ويوقع فى الثفل والزحير وهو معتدل أو حار رطب فى الأولى أو . ' د فيها يخرج الصفراء المحترقة مع التمر هندى والبلغم مع التربد رالسوداء مع الهندبا أو البسفايج ويطفيء ضرر الدم بماء العناب ولعدم غائلته تسهل به الحبالى ويخرج الخام وينقى الدماغ والصدر ويفتح السدد ويزيل اليرقان وأهل مصر تستعمله بماء الجبن فى الحكة والاحتراقات والحب الفارسى وليس ببعيد ويضمد به النقرس ومع ماء عنب الثعلب يحلل الورم ومع الزعفران يفجر الخنازير والدبيلات وقشره بالزعفران والسكر بماء الورد يسهل الولادة مجرب ويسقط المشيمة وكذا قيل فى خيار الأكل وهو يضر البسفل ويصلحه العناب وشربته إلى ثلاثين درهما وبدله ثلاثة أمثاله شحم زبيب مع نصفه ترنجبين أو مثله رب سوس (التذكرة ١/ ١٤٨/ ١٤٩).

وقال عنه ابن سينا وقد أسماه «خيار جنبر» (الخروب الهندى): (جاء فى إحدى المخطوطات النباتية أن خيار جنبر هو الخروب الهندى).

منه كابلى، ومنه بصرى، ويمكن أن لا ينبت فى البصرة، إذ يحمل من الهند إلى البصرة. أجوده ما يؤخذ عن القصب، وما هو أبرق، وأدسم، وأجود قصبه أيضًا البراق الأملس. محلل ملين ينفع من الأورام الحارة فى الأحشاء، خصوصا فى الحلق، إذا تغرغر به، وبماء عنب الثعلب، ويطلى على الأورام الصلبة فينتفع به. يطلى به النقرس (مرض)، والمفاصل الوجعة. إذا مزج فى ماء الكزبرة الرطبة، بلعاب بزر قطونا، ثم يغرغر به من الخوانيق، منق للكبد، نافع من اليرقان، ووجع الكبد، ملين البطن، يخرج المرة المحرقة، والبلغم. وإسهاله إسهال بلا أذى، حتى يصلح للحبالى فيسهلن (القانون فى الطب/ ٣١٥).

وقال عنه صاحب المواكب الإسلامية: البق لا يقرب عوده، معقل للطبع، ويعمل منه دبسا يسمى عسل الخروب (المواكب الإسلامية ٢/ ٢٧٥).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى/ ٥٥. والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا، ١/ ١٤٣، ١٤٤،

وتذكره أولي الألباب لداود بن عمر الأنطكي ١/ ١٤٨، ١٤٩، والقانون في الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطي/ ٣١٥، والمواكب الإسلامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي - تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري ٢/ ٢٧٥. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية. ود. إحسان صدقي العمد/ ٣٢٨).

***خيار العيب:**

خيار العيب: هو أن يختار رد المبيع إلى بائعه بالعيب

(التعريفات للشريف الجرجاني: ١٣٧)

انظر: الخيار (في علم الفقة).

*** الخيار (في علم الفقة):**

هو طلب خير الأمرين من الإمضاء أو الإلغاء (فقه السنة م ٣ ج ١١/ ٢٦٨) جاء في تيسير الوصول ما يلي في الخيار (الباب الخامس):

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما. أن النبي ﷺ قال «المتبايعان بالخيار ما لم يفترقا، أو يقول أحدهما للآخر: اختر، وربما قال: أو يكون بيع خيار». أخرجه الستة.

٢- وفي روايه للشيخين: «إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا أو يخير أحدهما الآخر، فإن خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع، وإن تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب».

٣- وفي أخرى لمسلم: «كل بيعين لا بيع بينهما حتى يتفرقا إلا بيع الخيار».

٤- وله في أخرى. قال نافع: «وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا بايع رجلا فأراد أن لا يقيله قام فمشى هنيهة ثم رجع».

٥- وفي أخرى للترمذي: «كان ابن عمر إذا ابتاع بيعا وهو قاعد قام ليجب له».

٦- وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «قال رسول ﷺ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما». أخرجه الخمسة.

٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا إلا أن تكون صفقة خيار فلا يحل أن يفارق صاحبه خشية أن يستقيله». أخرجه أصحاب السنن.

٨- وفي أخرى لأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يتفرقن اثنان إلا عن تراض».

٩- وعن جابر رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ خير أعرابيا بعد البيع». أخرجه الترمذي وصححه.

١٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال «قال رسول الله ﷺ: إذا اختلف البيعان فالقول قول البائع، والمبتاع بالخيار». أخرجه مالك والترمذي واللفظ له.

١١- وعن أبي الوضيء قال: «غزونا غزوة فنزلنا منزلا فباع صاحب لنا فرسا بغلام ثم أقاما بقية يومهما وليلتهما؛ فلما أصبحنا حضر الرحيل فقام الرجل إلى فرسه ليسرجه فندم فأتى الرجل فأخذه بالبيع فأبى الرجل أن يدفعه إليه، فقال: بيني وبينك أبو برزة صاحب رسول الله ﷺ، فأتياه فأخبراه فقال: أترضيان أن أحكم بينكما بقضاء رسول الله ﷺ؟ قال رسول الله ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا. ولا أراكما افترقتما». أخرجه أبو داود. (تيسير الوصول ١/ ٧٤, ٧٥).

قال الإمام ابن قدامة في باب الخيار:

البيعان بالخيار ما لم يتفرقا بأبدانهما، فإن تفرقا ولم يترك أحدهما البيع فقد وجب البيع إلا أن يشترط الخيار لهما أو لأحدهما مدة معلومة فيكونان على شرطهما وإن طالت المدة إلا أن يقطعاه، وإن وجد أحدهما بما اشتراه عيبا لم يكن علمه فله رده أو أخذ أرش العيب، وما كسبه المبيع أو حدث فيه من نماء منفصل قبل علمه بالعيب فهو له لأن الخراج بالضمان. وإن تلفت السلعة أو عتق العبد أو تعذر رده فله أرش العيب، وقال النبي ﷺ: «لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعا من تمر، فإن علم بتصريتها قبل حلبها ردها ولا شيء معها». وكذلك كل مدلس لا يعلم تدليسه فله رده (التدليس ستر عيب المبيع) أو كذلك لو وصف المبيع بصفة تزيد بها ثمنه فلم يجدها فيه كصناعة في العبد أو كتابة، أوأن الدابة هملاجة (الهملاجة: السريعة) والفهد صيود أو معلم، أو أن الطائر مصوت ونحوه. ولو أخبره بثمن المبيع فزاد عليه رجع عليه بالزيادة وحظها من الربح إن

كان مرابحة، وإن بان أنه غلط على نفسه خير المشترى بين رده وإعطائه ما غلط به، وإن بان أنه مؤجل ولم يخبرة بتأجيله فله الخيار بين رده وإمساكه. وإن اختلف البيعان فى قدر الثمن تحالفا، ولكل واحد منهما الفسخ إلا أن يرضى بما قال صاحبه. (عمدة الفقه/ ٤٩، ٥٠). ويبين فضيلة الشيخ السيد سابق أقسام الخيار على النحو التالى: وهى خيار المجلس وخيار الشرط، وخيار العيب:

خيار المجلس:

إذاحصل الإيجاب والقبول من البائع والمشترى وتم العقد فلكل واحد منهما حق إبقاء العقد أو إلغائه ما داما فى المجلس (أى محل العقد) ما لم يتبايعا على أنه لا خيار.

فقد يحدث أن يتسرع أحد المتعاقدين فى الإيجاب أو القبول ثم يبدو له أن مصلحته تقتضى عدم إنفاذ العقد فجعل له الشارع هذا الحق لتدارك ما عسى أن يكون قد فاته بالتسرع.

روى البخارى ومسلم عن حكيم بن حزام أن رسول الله ﷺ قال:

«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

أى أن لكل من المتبايعين حق إمضاء العقد أو إلغائه ما داما لم يتفرقا بالأبدان، والتفرق فى كل حالة بحسبها، ففى المنزل الصغير بخروج أحدهما، وفى الكبير بالتحول من مجلسه إلى آخر بخطوتين أو ثلاث، فإن قاما معا أو ذهبا معا فالخيار باق.

والراجح أن التفرق موكول إلى العرف فما اعتبر فى العرف تفرقا حكم به وما لا فلا.

روى البيهقى عن عبد الله بن عمر قال: بعت من أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه مالا بالوادى بمال له بخيبر، فلما تبايعنا رجعت على عقبى حتى خرجت من بيته خشية أن يردنى البيع، وكانت السُّنة أن المتبايعين بالخيار حتى يتفرقا.

وإلى هذا ذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين. وأخذ به الشافعى وأحمد من الأئمة وقالا: إن خيار المجلس ثابت فى البيع والصلح والحوالة والإجارة وفى كل عقود المعاوضات اللازمة التى يقصد منها المال.

(خالف ذلك أبو حنيفة ومالك قالا: إن خيار المجلس باطل. والعقد بالقول كاف لازم وإذا وجب البيع فليس لأحدهما الخيار وإن كانا فى المجلس. وحملا التفرق فى الحديث على التفرق فى الأقوال).

أما العقود اللازمة التى لا يقصد منها العوض مثل عقد الزواج والخلع فإنه لا يثبت فيها خيار المجلس. وكذلك العقود غير اللازمة كالمضاربة والشركة والوكالة.

خيار الشرط:

خيار الشرط هو أن يشترى أحد المتبايعين شيئا على أن له الخيار مدة معلومة وإن طالت إن شاء أنفذ البيع فى هذه المدة وإن شاء ألغاه (هذا مذهب أحمد. وذهب أبو حنيفة والشافعى إلى أن مدة الخيار ثلاثة أيام فما دونها. وقال مالك: المدة مقدرة بقدر الحاجة).

ويجوز هذا الشرط للمتعاقدين معا ولأحدهما إذا اشترطه.

والأصل فى مشروعيته:

١ـ ما جاء عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال.

«كل بيعين لا بيع بينهما حتى يتفرقا إلا بيع الخيار».

أى لا يلزم البيع بينهما حتى يتفرقا إلا إذا اشترط أحدهما أو كلاهما شرط الخيار مدة معلومة.

٢ـ وعنه أن النبى ﷺ قال:

«إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعًا، أو يخير أحدهما الآخر فيتبايعا على ذلك فقد وجب البيع» رواه الثلاثة.

ومتى انقضت المدة المعلومة ولم يفسخ العقد لزم البيع.

ويسقط الخيار بالقول كما يسقط بتصرف المشترى فى السلعة التى اشتراها بوقف أو هبة أو سوم لأن ذلك دليل رضاه.

ومتى كان الخيار له فقد نفذ تصرفه.

متى يسقط:

ويسقط خيار الشرط بإسقاطهما له بعد العقد وإن أسقطه أحدهما بقى خيار الآخر وينقطع بموت أحدهما.

خيار العيب

حرمة كتمان العيب عند البيع:

يحرم على الإنسان أن يبيع سلعة بها عيب دون بيانه للمشترى.

١ـ فعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعا وفيه عيب إلا بيَّنه».

رواه أحمد وابن ماجه والدارقطنى والحاكم والطبرانى.

٢ـ وقال العدَّاء بن خالد:

«كتب لى النبى ﷺ: هذا ما اشتراه العدَّاء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله اشترى منه عبداً أو أمة، لا داء ولا غائلة، ولا خبثة، بيع المسلم من المسلم».

٣ـ ويقول الرسول ﷺ:

«من غشنا فليس منا».

حكم البيع ومع وجود العيب:

ومتى تم العقد وقد كان المشترى عالما بالعيب فإن العقد يكون لازما ولا خيار له لأنه رضى به.

أما إذا لم يكن المشترى عالما به ثم علمه بعد العقد فإن العقد يقع صحيحا، ولكن لا يكون لازما، وله الخيار بين أن يرد المبيع ويأخذ الثمن الذى دفعه إلى البائع وبين أن يمسكه ويأخذ من البائع من الثمن بقدر ما يقابل بالنقص الحاصل بسبب العيب إلا إذا رضى به أو وجد منه ما يدل على رضاه كأن يعرض ما اشتراه للبيع أو يستغله أو يتصرف فيه.

قال ابن المنذر: إن الحسن وشريحًا وعبد الله بن الحسن وابن أبى ليلى والثورى وأصحاب الرأى يقولون:

إذا اشترى سلعة فعرضها للبيع بعد علمه بالعيب بطل خياره.

وهذا قول الشافعى:

خيار التدليس فى البيع:

إذا دلس البائع على المشترى ما يزيد به الثمن حرم عليه ذلك وللمشترى خيار الرد ثلاثة أيام، وقيل إن الخيار يثبت له على الفور. أما الحرمة فللغش والتغرير والرسول ﷺ يقول:

«من غشنا فليس منا».

وأما ثبوت خيار الرد فلقوله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عنه أبو هريرة:

«لا تصروا الإبل والغنم» (أى لا تتركوا لبنها فى ضرعها أياما حتى يعظم فتشتدالرغبة فيها). فمن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاعا من تمر »، وراه البخارى ومسلم.

(أى يرد معها صاعا من تمر أو شيئا من غالب قوتهم بدلا من اللبن الزائد عن نفقتها إذا كانت تعلف أو ما يرتضيه المتعاقدان من قوت وغيره).

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث أصل فى النهى عن الغش وأصل فى أنه أى التدليس لا يفسد أصل البيع، وأصل فى أن مدة الخيار ثلاثة أيام، وأصل فى تحريم التصرية وثبوت الخيار بها».

فإذا كان التدليس من البائع بدون قصد انتفت الحرمة مع ثبوت الخيار للمشترى دفعا للضرر عنه.

خيار الغبن فى البيع والشراء (ويسمى بالمسترسل):

الغبن قد يكون بالنسبة للبائع كأن يبيع ما يساوى خمسة بثلاثة.

وقد يكون بالنسبة للمشترى كأن يشترى ما قيمته ثلاثة بخمسة.

فإذا باع الإنسان أو اشترى وغبن كان له الخيار فى الرجوع فى البيع وفسخ العقد بشرط أن يكون جاهلا ثمن السلعة، ولا يحسن المماكسة لأنه يكون حينئذ مشتملا على الخداع الذى يجب أن يتنزه عنه المسلم.

فإذا حدث هذا كان له الخيار بين إمضاء العقد أو إلغائه.

ولكن هل يثبت الخيار بمجرد الغبن؟

قيده بعض العلماء بالغبن الفاحش، وقيده بعضهم بأن يبلغ ثلث القيمة وقيده البعض بمجرد الغبن.

وإنما ذهبوا إلى هذا التقييد لأن البيع لا يكاد يسلم من مطلق الغبن.

ولأن القليل يمكن أن يتسامح به فى العادة.

وأولى هذه الآراء أن الغبن يقيد بالعرف والعادة. فما اعتبره العرف والعادة غبنا ثبت فيه الخيار. وما لم يعتبراه لا يثبت فيه.

وهذا مذهب أحمد ومالك وقد استدلا عليه بما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال:

ذكر رجل ـ اسمه حبان بن منقذ للنبي ﷺ أنه يُخدع في البيوع، فقال:

«إذا بايعت فقل: لا خلابة» (أي لا خديعة. وظاهر هذا أن من قال ذلك ثبت له الخيار سواء غبن أم لم يغبن) زاد ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير وعبد الأعلى عنه:

«ثم أنت بالخيار في كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال، فإن رضيت فأمسك، وإن سخطت فأردد».

فبقي ذلك الرجل حتى أدرك عثمان وهو ابن مائة وثلاثين سنة.

فكثر الناس في زمن عثمان فكان إذا اشترى شيئًا، فقيل له: إنك غبنت فيه، رجع فيشهد له رجل من الصحابه بأن النبي ﷺ قد جعله بالخيار ثلاثًا فترد له دراهمه.

وذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لا يثبت الخيار بالغبن لعموم أدلة البيع ونفوذه من غير تفرقة بين ما فيه غبن وغيره. وأجابوا عن الحديث المذكور: بأن الرجل كان ضعيف العقل، وإن كان ضعفه لم يخرج به عن حد التمييز فيكون تصرفه مثل تصرف الصغير المميز المأذون له بالتجارة فيثبت له الخيار مع الغبن. ولأن الرسول ﷺ لقنه أن يقول: لا خلابة أي عدم الخداع فكان بيعه وشراؤه مشروطين بعدم الخداع فيكون من باب خيار الشرط.

تلقي الجلب:

ومن صور الغبن تلقي الجلب، وهو أن يقدم ركب التجارة بتجارة فيتلقاه رجل قبل دخولهم البلد وقبل معرفتهم السعر فيشتري منهم بأرخص من سعر البلد، فإذا تبين لهم ذلك كان لهم الخيار دفعا للضرر، لما رواه مسلم عن أبي هريرة النبي ﷺ نهى عن تلقي الجلب وقال:

لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه فإذا أتى السوق فهو بالخيار» وهذا النهي للتحريم في قول أكثر العلماء. (فقه السنة ٣ ج ١١/ ٢٦٨-٢٧٤).

ومنه التناجش (انظرها في «النجش»). ومنه الإقالة (انظر مادة «الإقالة» في م ٥/ ٤٧٢).

أما عن الأجنبي واشتراط الخيار له فقد جاء ما يلي في موسوعة الفقة الإسلامي:

يجيز الأحناف اشتراط الخيار لأحد المتعاقدين أو لهما معا أو لغيرهما، لأن حكمة مشروعيته تقتضي ذلك، ولأن اشتراطه للغير ـ الأجنبي عن العقد ـ اشتراط لنفسه إذا يجعل غيره وكيلا عنه، ولذا لم يسقط حق العاقد نفسه في الخيار.

وخالف في جواز اشتراطه للأجنبي زفر وعلل لذلك بأن خيار الشرط من حقوق العقد وهي تثبت للعاقد واشتراطهما ذلك للغير مفسد للعقد، ولأن هذا الشرط يتعلق بانفساخ العقد وإبرامه، وينبغي ألا يكون ذلك بفعل الغير (بدائع الصنائع/ ٢٧١).

وإذا اشترط أحدهما الخيار لأجنبي عن العقد فالأحناف، عدا زفر، يرون أن حق الخيار يثبت للمشترط وللأجنبي.

يقول الزيلعي: «لو شرط المشتري الخيار لغيره صح وأيهما أجاز أو نقض صح، فإن أجاز أحدهما ونقض الآخر فالأسبق أحق وإن كانا معا في وقت واحد كان الفسخ أولى من الإجازة» (تبيين الحقائق ١٤/ ١٩).

وفي رواية أخرى تصرف المالك أولى فسخا كان أو إجازة، لأن الأصل أقوى، إذا النائب يستفيد الولاية منه، فلا يصح أن يكون معارضا للأصل. ولأنه لما أقدم على التصرف كان عزلا منه بالفعل حكما.

مذهب المالكية:

قال المالكية: وجاز الخيار ولو كان لغير المتبايعين، والكلام في إمضاء البيع وعدمه لمن جعل له الخيار دون غيره من المتبايعين بخلاف المشورة كبعته وإشتريته بكذا على مشورة فلان، فلمن علق على المشورة من المتبايعين الاستبداد بالإمضاء أو الرد دون من علقت المشورة عليه، والفرق أن من علق الأمر على خيار غيره ورضاه قد أعرض من نفسه بالمرة ومن علق على المشورة لغيره فقد جعل لنفسه ما يقوي نظره فله أن يستقل بنفسه. هذا هو الراجح (الشرح الصغير للدردير مطبوع بهامش بلغة السالك ٢/ ٤٣ المكتبة التجارية).

وذكر الصاوي في بلغة السالك في المسألة أقوالا أربعة:

الأول، وهو المعتمد: أنه لا استقلال له في الخيار بائعا كان أو مشتريا.

والثاني: له الاستقلال.

والثالث: له الاستقلال في الرضا وليس له الاستقلال في الخيار.

والرابع: له الاستقلال إن كان بائعا فى الخيار والرضا وليس له ذلك إن كان مشتريا.

مذهب الشافعية:

قال الشافعية: وإن شرط ل الخيار لأجنبى ففيه قولان.

أحدهما: لا يصح لأنه حكم من أحكام العقد، فلا ثبت لغير المتعاقدين.

والثانى: يصح لأنه جعل إلى شرطهما للحاجة، وربما دعت الحاجة إلى شرطه للأجنبى بأن يكون أعرف بالمتاع منهما فإن شرطه للأجنبى وقلنا إنه يصح فهل يثبت له؟ فيه وجهان:

أحدهما: يثبت له لأنه إذا ثبت للأجنبى من جهته فلأن يثبت له أولى.

والثانى: لا يثبت لأن ثبوته بالشرط فلا يثبت إلا لمن شرط له (المهذب للشيرازى ١/ ٢٥٨، طبعة الحلبى).

مذهب الحنابلة:

وإن شرط الخيار لأجنبى صح وكان اشتراطا لنفسه وتوكيلا لغيره.. وهذا قول أبى حنيفة ومالك، وللشافعى فيه قولان: أحدهما لا يصح، وكذلك قال القاضى: إذا أطلق الخيار لفلان أو قال لفلان دونى لم يصح لأن الخيار شرط لتحصيل الحظ لكل واحد من المتعاقدين بنظره فلا يكون لمن لا حظ له فيه وإن جعل الأجنبى وكيلا صح.

ثم قال: وإن كان العاقد وكيلا فشرط الخيار لنفسه صح فإن النظر فى تحصيل الحظ مفوض إليه وإن شرطه للمالك صح لأنه هو المالك والحظ له وإن شرطه لأجنبى لم يصح لأنه ليس له أن يوكل غيره ويحتمل الجواز بناء على الرواية التى تقول للوكيل التوكيل (المغنى مع الشرح الكبير ٤/ ١٠٠ طبعة المنار).

مذهب الظاهرية:

قال ابن حزم الظاهرى: كل بيع وقع بشرط خيار للبائع أو للمشترى أو لهما جميعا أو لغيرهما خيار ساعة أو يوم أو أكثر أو أقل فهو باطل تخيرا إنفاذه أو لم يتخيرا (المحلى لابن حزم ٨/ ٣٧٠ مسألة رقم ١٤٢٠).

مذهب الزيدية:

قال الزيدية: ويصح الخيار للأجنبى ولا بد أن يكون معلوما كزيد مثلا ويتبعه خيار الجاعل ويكون الخيار لهما معا وفائدته أن من سبق من الجاعل أو المجعول له وهو الأجنبى المعين إلى فسخ أو أمضاء كان الحكم له ثم قال: إلا أن يشترط الجاعل أن لا خيار لنفسه فيبطل خياره ويبقى الخيار للأجنبى فقط، ثم قال: وأما لو وقع الخيار لأجنبى مجهول فإن كان حال العقد فلا يصح العقد ولا الشرط وإن كان بعده صح العقد ولغا الشرط (التاج المذهب ٢/ ٤٠٤، الطبعة الأولى).

مذهب الإمامية:

قال الإمامية: ويجوز اشتراط الخيار لأجنبى عنهما أو عن أحدهما، ولأجنبى مع أحدهما عنه وعن الآخر ومعهما واشتراط الأجنبى تحكيم ولا توكيل عمن جعل عنه فلا اختيار له معه (الروضة البهية ١/ ٣٢٣ طبع دار الكتاب العربى).

مذهب الأباضية:

قال الإباضية: وجاز اشتراط الخيار لغير المتبايعين ممن جاز فعله فى البيع والشراء فى الجملة ولو كان محجورا عليه فى ماله، لأن التحجير عليه فى ماله لا فى رضاه البيع أو الشراء لغيره ثم قال: وبطل ممن لا يصح كطفل ونحوه.

(النيل وشرحه ٤/ ٥٥١).

(موسوعة الفقه الإسلامى ٣/ ١٥٤_١٥٦).

وعن هذا كله يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى منظومته تحت عنوان «باب الشروط والخيار والعيوب فى البيع»:

وأمضى اشتراط الانتفاع
إن كان معلوما على المبتاع
كذا اشترى العبد لأجل العتق تم
وكل شرط فاسد فكالعدم
ولا يحل سلف وبيع أو
شرطان فى بيع كذلك قد رووا
ويشرك المبتاع إن خاف الغبن
سلامة ثم ثلاثا خيرن
وأضرب الخيار فيما أثرا
شرط ومجلس وعيب ظهرا

أمـــا خيـــار الشــرط فـــالخـــلاف فى
ثبـــوتـــــه وحــــــده لـم ينتـف
والنـص قـــــد أجـــازه ولـم يــــزد
فـى حــــده علـى ثـــلاث فـــاعتمـــد
والثــــانـى حــــده الفــــراق إلا إذا
صفقتهـم كــــانـت خيـــارًا فخـــذا
ثـم خيــــار العيب حين يظهــــر
للمشتــــرى فـى أى وقـت يـــؤثـــر
وعلـــــة المبيـع بــــالضمـــــان
لــــــه ولا بــــــد مـن البيـــــان
لعيب مــــا بـــاع ولا يحـل لـــــه
ولا لمـن يعلم ستـــر الغـــائلـــــه
وفـى المصــــرات خيـــار مـن شـــرى
ثـــلاثـــة الأيـــام نصًّـــا قـــد يــرى
إن شــــاء فليمسك وإلا ردهـــــا
وصــاع تمـــر فـــارعهـــا لا تعـــدهـــا
وعهــــدة الــــرقيـق فـى نـص نقـل
ثـــلاثـــة الأيـــام لكن قـــد أعـل
ومـن أقـــــال عشــــرة لمسلم
أقـــالــــه عثـــرتــــه ذو النعم

(مجموع/ ٥٣).

(فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٣ج ١١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٤، وتيسير الـوصول إلى جامع الأصـول للإمام ابن الـديبع الشيبانى ١/ ٧٤، ٧٥، وعمدة الفقـه لابن قدامة ـ تخـريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبـادة العبدلى الغـامـدى، ومحمد دغيليب البراق العتيبى/ ٤٩، ٥٠، ومـوسـوعة جمـال عبـد النـاصر فـى الفقه الإسـلامى ٣/ ١٥٤ ـ ١٥٦، ومجمـوع: « السبل السويـة لفقه السنن المـروية» ـ نظم حافظ بن أحمـد الحكمى/ ٦٣).

*** الخيار (فى علم مصطلح الحديث):**

من ألفاظ التعديل

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٤)

انظر مادة «الجـرح والتعديل (علم ـ) فى م/ ٢١/ ١٠٩ ـ ١١٦

*** الخيار والفسخ:**

يثبت الخيار لكل من الزوجين:

١ ـ إذا ظهر العيب: كالجنون، والجذام، والبرص.

٢ ـ أو كان الزوج عاجزا.

٣ ـ وبـالغرر، (الخـداع والغش) كأن يتزوج مسلمـة فتظهر كتابية، أو حرة فتظهر أمة.

وللزوجـة الفسخ بإعساره، بدفع الصداق قبل الـدخول، وبالإعسار بالنفقة بواسطة القاضى.

فإذا غاب الزوج ولم يعرف مكانه، ولم يترك لديها ما تنفقه على نفسهـا فإن لهـا الحق فى الفسخ بـواسطـة القـاضى الشرعى.

(مختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى ـ تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور/ ١٩٦).

*** الخياط (محمد بن أحمد) (٤٠١ ـ ٤٩٩ هـ / ١٠١١ ـ ١١٠٥ م).**

محمد بـن أحمد بن على، أبـو منصور، الخياط، عـالم بـالقراءات، زاهـد من أهل بغداد. انقطع لإقـراء القرآن طـول حياته. وصنف «المهذب» فى القراءات.

(الأعلام للزركلى ٥/ ٣١٦ عن غاية النهاية لابن الجزرى ٢/ ٧٤).

*** الخياط (محمد بن يوسف) (ـ بعد ١٣٠٣ هـ / بعد ١٨٨٦ م).**

محمد بن يوسف الخياط: فلكـى موقت. له كتب، منها «البـاكـورة الجنية فى عمل الآلـة الجيبية ـ» منظـومة فى خـزانة الرياض، و«لآلىء الطل الندية» فلك.

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٥٦).

*** الخياط (يحيى بن غالب) (ـ نحو ٢٢٠ هـ / ـ نحو ٨٣٥ م):**

قال عنه ابن النديم: وهو أبو على يحيى بن غـالب، وقيل إسمـاعيل بن محمـد وكـان تلميذ مـا شـاء الله. من أفـاضل المنجمين، ولـــه من الكتب «المـدخـل»، و «المســائل» و«المعـانى»، و «الـدول»، و «المـواليـد» و «تحـويل سنى المواليـد»، و «المنثور»، عمله ليحيى بن خـالد، و «قضيب الـذهب»، و «تحاويل سنى العـالم»، و «النكت» (الفهرست / ٣٨٥، ٣٨٦).

وقد أورده الزركلى تحت عنوان «أبو على الخياط» وقال إنه يرد ذكره فى كتب الأوربيين باسم «البوهلى»، وأضاف إلى مؤلفاته كتاب «فوائد فلكية» (الأعلام ٨/ ١٢٦).

(الفهرست لابن النديم/ ٣٨٥، ٣٨٦، والأعلام للزركلى ٨/ ١٦٢).

*** ابن الخياط (عبد الرحيم) ـ نحو ٣٠٠ هـ / ـ نحو ٩١٢ م):**

عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين بن الخياط، شيخ المعتزلة ببغداد. تنسب إليه فرقة منهم تدعى «الخياطية» ذكره الذهبى فى الطبقة السابعة عشرة، وقال: لا أعرف وفاته.

وفى اللباب: هو أستاذ الكعبى (المتوفى سنة ٣١٩ هـ). له كتب منها «الانتصار» فى الرد على ابن الراوندى، و«الاستدلال» و «نقض نعت الحكمة».

الأعلام للزركلى ٣/ ٣٤٧).

*** ابن الخياط (محمد بن أحمد) (ـ ٣٢٠ هـ):**

من النحويين الذين جمعوا بين النزعتين البصرية والكوفية، وهو أبو بكر محمد بن أحمد، أصله من سمرقند. قدم بغداد بعد وفاة المبرد، واجتمع مع إبراهيم بن السرى الزجاج وجرت بينهما مناظرة فى بغداد، له من الكتب: النحو الكبير، والموجز، والمقنع، ومعانى القرآن كان دمث الأخلاق، ومات بالبصرة سنة ٣٢٠ هـ.

(نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى/ ١٧٧، والفهرست لابن النديم/ ١٢١).

*** الخيالة (الفرسان):**

مما يتصل بالعسكرية الإسلامية الخيالة (أو الفرسان)، أحد أقسام الجيش الإسلامى ويبسط القول فيها الدكتور خالد جاسم الجنابى مما ننقله لك فيما يلى:

لقد عرف العرب فضل الخيل وقيمتها وأهميتها لحياتهم، لأنها كانت عدتهم فى الحرب والغارات والكر والفر كما كانت عنوان مجدهم وفخرهم، لذلك بالغوا فى العناية بها وتحسين نسلها وحفظ أنسابها حتى عرفت الخيول العربية بأنها أجود خيول العالم. وقد أشار القرآن الكريم إلى اقتران القوة بالخيل عند الإعداد للحرب بقوله تعالى **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** فكان الرسول ﷺ يحث أصحابه على اقتناء الخيل قائلا «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة». وخصص موضع النقيع قرب المدينة وجعله حمى لخيل المهاجرين والأنصار.

قالت المؤلفة: هذا جزء من الحديث الذى أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير من رواية أحمد فى مسنده عن جابر وقال عنه حديث صحيح. والحديث بتمامه هو كما يلى: «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار».

ولما كان الجهاد ركنا أساسيا من أركان الإسلام فإن العرب لم يجابهوا صعوبة كبيرة فى أعداد الخيول للفرسان فقد كان المقاتل ينفر للحرب مع فرسه الذى عوده على شظف العيش وتتبع الكلإ والاكتفاء بأوراق الشجر أو العشب الذى يرافق سقوط الأمطار لذلك لم تتكلف الدولة أو بيت المال شيئا. كما أن الإسلام جعل نصيب الفارس من الغنائم ثلاثة أسهم بينما نصيب الراجل سهم واحد، وإذا كان الفارس يقاتل على أكثر من فرس فيسهم لفرسين من أفراسه. فكان لذلك أثره فى تشجيع الجند على اقتناء الخيول.

ووجه الخلفاء الراشدون عنايتهم إلى تهيئة كتائب الخيالة بالنظر للأهمية البارزة التى تحتلها كقوة فعاله تتحمل العبء الكبير فى القتال وعليها يتوقف تقرير النتائج النهائية للمعركة، فأقطعوا أراضى معينة لرعى الخيل والماشية وأولوا اهتماما كبيرا بالحمى وعينوا عمالا للإشراف عليها. وأن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع أحد أصحابه وهو نافع بن عبد الله أرضا بالبصرة لزراعتها ولرعى خيله.

وحرصا من الخليفة على تهيئة قوة كافية من الفرسان للاستعانة بهم عند الضرورة، خصص فى كل مصر من الأمصار أربعة آلاف فرس وعين عليها من له دراية وخبرة فى تربيتها ورعايتها وتدريبها لتكون عدة للطوارئ فإذا داهم المصر خطر انطلق عليها الفرسان لمواجهته إلى أن تستعد بقية القوات. وكان يعطى المحتاجين أو من كان عطاؤه قليلا من الفرسان على شرط أن يضمن رعايته وإطعامه.

وبذل والى مصر عمرو بن العاص جهودا كبيرة بالخيالة لكى يستطيع مواجهة جيوش الروم فى مصر وإفريقية فكان

يخرج جنده إلى ريف مصر فى وقت الربيع ليربعوا دوابهم ويسمونها فإذا ما رجعوا من الريف أخرجوا خيولهم لتضميرها وتدريبها فى المضمار.

وكان يعرض الخيل كما يعرض الجند فإذا وجد أحدا من الجند قد أهزل فرسه أو أهمل العناية به أنقص من عطائه وكذلك كان يفعل قتيبة بن مسلم وعمر بن عبد العزيز.

وبدأ صنف الفرسان يزداد قوة وعدة بتوالى انتصارات العرب فى معاركهم، ولم تمض فترة طويلة من قيام الدولة العربية الإسلامية حتى أصبحت معظم قوتهم الضاربة من الفرسان وذلك لشعورهم بأهمية هذا الصنف فى المعركة، وقد مكنتهم هذه القوة من كسب المعارك الواحدة تلو الأخرى حتى مال ميزان القوى فى ذلك الوقت لصالحهم فى حين لم يستعمل الحصان فى فرنسا مثلا إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى للتنقل أولا ثم للقتال بعد ذلك.

وبالنظر للدور الكبير الذى يلعبه الفارس فى المعركة فقد اشترطوا فى الفارس أن يكون عارفا بالخيول وآلاتها كأن يعرف شيئا من البيطرة أو إصلاح نعل الفرس إذا سقط منه المسمار وكل ما يحتاج إلى إصلاحه عندما تدعو الضرورة إلى ذلك. كما يجب أن تكون له دراية بالفروسية وما يجب على الفارس عند القتال من مقابلة العدو والثبات له والمراوغة والاستطراد.

واجبات الفرسان (الخيالة):

تقع على كتائب الفرسان واجبات عديدة لما تمتاز به من سرعة الحركة والمناورة وقوة الصدمة، وهذه الواجبات هى:

الهجوم:

وهو أهم واجبات الفرسان وكانت القوات العربية تستخدم كتائب الفرسان فى الأجنحة بينما كانت كتائب الروم والفرس يستخدمونها فى الصفوف الأمامية وقد أتاح ذلك حرية الحركة للخيالة العربية وقابلية المناورة وبالتالى المرونة فى الاستخدام.

وعندما يبدأ الهجوم يحمل الفرسان على مجنبتى العدو لضعضعة صفوفه وفى هذه الحالة لا ينبغى للفارس أن يستنفذ مجهود فرسه فى قوة الاندفاع لاحتمال استمرار القتال فلا يمكنه المطاولة، ويبدو أن الغاية من ذلك هو ادخار قوة الفرسان لحين الصولة أو الحملة على العدو.

ولم يكن يسمح للفرسان بالتلفت أثناء الهجوم لئلا يأخذه عدوه على حين غرة فقد كان المفضل بن المهلب لا يرى أحدا من فرسانه ملتفتا إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليقبل على عدوه فلا يكون له هم غيره. وكانوا يفضلون أن يتم التعاون بين الفرسان والمشاة فى الهجوم لأن الفرسان تحمى الرجالة والرجالة تحمى الفرسان وإذا لم يكن مع الفرسان رجالة ترجل قسم من الفرسان وقاتلوا راجلين.

الالتفاف والمطاردة:

ومن واجبات الفرسان القيام عند الضرورة بالالتفاف على العدو لتطويقه من الخلف أو إرباك صفوفه ليتسنى للقوة الرئيسية مهاجمته وتوجيه الضربات له، وقد تميزت كتائب الفرسان العربية بقابلياتها على المناورة وسرعة الحركة وكان هذا من العوامل المساعدة فى تحقيق النصر على العدو وإذا ما حلت الهزيمة بالعدو قامت كتائب الفرسان المعدة لهذا الغرض بمطاردة العدو والسيطرة على معسكره وأثقاله. ويظهر أن القواد كانوا يستخدمون قوة احتياطية من الخيالة للقيام بواجب المطاردة لأن الكتائب الرئيسية ربما تكون قد أجهدت فى القتال.

الاستطلاع والحماية:

ويكلف الفرسان أيضا بواجب الاستطلاع والحماية فترسل مجموعات من الفرسان لاستطلاع خبر العدو والسيطرة على المناطق الحيوية والمرتفعات المحيطة بميدان القتال لقطع الإمدادات عن العدو وكشف كمائنه كما تقوم أيضا بواجب حماية القطعات أثناء التعسكر وحماية الساقة عند المسير.

أما أسلحة كتائب الفرسان فإنهم كانوا يجيدون استخدام الأسلحة الرئيسية المعروفة وهى السيف والرمح والقوس ببراعة فائقة وامتازوا على أعدائهم بذلك، حيث لم يستطع الخيالة الفرس استخدام السيوف وهم راكبون بينما كان العرب يجيدون ذلك، كما برعوا فى استخدام القوس من على ظهور خيولهم. وبرعوا أيضا فى استخدام الرماح فكانوا يستخدمون الرماح الطويلة منها والقصيرة وكان الفرسان يفاخرون بحمل الرماح الطويلة ويسمى (الخطل) وهو الذى يضطرب فى يده صاحبه لإفراط طوله ولم يكن يحمله منهم إلا الفارس الشديد الذى إذا رآه عدوه هابه وحاد عنه أما الرماح القصيرة فكانوا يستخدمونها

للمطاردة، وإذا لم يستطع الفارس اللحاق بعدوه رماه بالرمح القصير فيطعنه، أو يستخدمه فى حالة استخدام عدوه للرمح الطويل وعدم تمكنه من مواجهته عن قرب فيطعنه بالرمح القصير أيضا.

وبرع العرب كذلك فى استخدام السيوف وكانوا يفضلون استخدام السيوف القصيرة للدلالة على الشجاعة والنجدة حتى قال شاعرهم:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا

قدما ونلحقها إذا لم تلحق

أما استخدام الفرسان للركاب فيبدو أن العرب لم يعودوا أنفسهم على استخدامه وإن كان معروفا لديهم قبل الإسلام، يقول الجاحظ «وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها فى الركب وإنما كانت تنزو نزوا» (البيان والتبيين ٣ / ٢٣، وتنزو نزوا أى تثبت وثبا من غير الاستعانة بالركاب). ولعل سبب ذلك يعود إلى تمسك العرب بتقاليد الفروسية والشجاعة فلم يستعملوا الركاب وإن كان موجودا، لئلا يورثهم الاسترخاء، ويقول ابن عبد الحكم إن ولد معاوية بن خديج فى مصر ليست لسروجهم ركب إنما يثبون على الخيل وثبا، دلالة على القوة والبأس وكذلك كان يفعل الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ثم بدأ الفرسان العرب باستخدام ركب الخشب بالنظر لطبيعة المعارك واتساعها مما يستوجب إراحة القدمين، ثم أخذوا يستخدمون ركب الحديد وذلك فى أوائل العصر الأموى، ويشير الجاحظ إلى أن ركب الحديد لم تستعمل إلا فى أيام الأزارقة ويعتبر المهلب بن أبى صفرة أول من اتخذ الركاب من الحديد لأن ركب الخشب كانت غالبا ما تنقطع ويبقى الفارس يضرب ويطعن دون أن يكون له ما يستند عليه.

وبالإضافة إلى الركاب كانت الخيول تدرع بدروع من الجلد أو الحديد لتحميها من أسلحة العدو وسهامه ويسمى التجفاف ويطلق على الخيول التى تجلل بهذه التجافيف بالخيول «المجففة» أما الخيول التى لاتوضع عليها هذه التجافيف فتسمى «بالمجردة» وتقوم عادة كتائب الخيالة «المجردة» بتعقب الفارين والمنهزمين من جنود العدو لأنها تكون قد تخففت من الدروع ومن كل ما يثقلها.

(تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى - د. خالد جاسم الجنابى / ١١٤ - ١٢١، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ١٤).

انظر مادة «الأحيان الخمسة» فى م ٣ / ٢٧ حيث أوردنا الباب الثانى والعشرين فى وضع الخيل المعدة مواضعها من الأحيان الخمسة نقلا عن كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمى / ٣٩.

*** الخيام:**

جاء فى اللسان: الخيمة: بيت من بيوت الأعراب مستدير يبنيه الأعراب من عيدان الشجر... وقيل هى ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها فى الحر ... وقيل: الخَيْم أعواد تنصب فى القيظ، وتجعل لها عوارض، وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية، وقيل هى عيدان يبنى عليها الخيام (لسان العرب ١٥ / ١٣٠٨).

ومما يتصل بالعسكرية الإسلامية اتخاذ الخيام والقباب والفسطاط فى سبيل الله تعالى، وهو ما أفرد له ابن جماعة الحموى الباب العشرين من كتابه، وننقله فيما يلى:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: «أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش فى الأكحل فضرب النبى ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب» (سنن النسائى ٢ / ٤٥، صحيح البخارى ٥ / ٥٠ - ٥١ صحيح مسلم ٢ / ٩٤).

وعن أنس فى حديث الأنصار فى أموال هوازن قال: «فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدم، ولم يدع معهم أحدا غيرهم» (صحيح البخارى ٥ / ١٠٤) (فى بعض مغازيه) وعن عوف ابن مالك رضى الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم» (صحيح البخارى ٤/ ٦٨). وعن زيد ابن خالد قال: كان لرسول الله فسطاط، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يكبر فى قبته أو فى فسطاطه بمنى، وعن ابن صبح قال: «انطلق أبو عبيدة إلى بيت المقدس والناس بالجابية (قرية فى حوران صوب دمشق) واستخلف على الناس معاذ بن جبل وهو فى خباء» (سنن ابن ماجه مع اختلاف فى النص) وعن النبى ﷺ «أن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة» (سنن أبى داود ٢ / ٢١٠، الحاكم النيسابورى ٢ / ٤٨٦) إلى جانب القباب، والخيام،

والأخبية في سبيل الله . كما اتخذها رسول الله ﷺ ولأن الحاجة تدعو إليها ـ لحفظ المتاع، والستر عن الناس ، واتقاء الحر، والبرد، والأمطار والثلوج ونحوها .

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٣٠٨ ، ومستند الأجناد في آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى / ٧٧) .

*** الخيّام: (ـ ٥١٥ هـ / ـ ١١٢١م):**

ويقال له «الخيامى» أيضا . أورد له الزركلى ترجمة مطولة جاء فيها ما يلى :

عمر بن إبراهيم الخيامى النيسابورى أبو الفتح : شاعر فيلسوف فارسى، مستعرب . من أهل نيسابور، مولدًا ووفاة . كان عالما بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ . له شعر عربى، وتصانيف عربية . بقيت من كتبه رسائل، منها «شرح ما يشكل من مصادرات إقليدس ـ ط» و «مقالة فى الجبر والمقابلة ـ ط»و «الاحتمال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة في جسم مركب منهما ـ خ» و« الخلق والتكيف ـ ط»بعث به إلى القاضى أبى نصر النسوى .

و «رسالته جوابا لثلاث مسائل ـ خ» فى أربع ورقات، فى المجموع ١٩٣٣ بخزانة سعد أفندى باستنبول، وصفها الميمنى بأنها جليلة ملوكية، و «رسالة فى الموسيقى ـ خ» ثلاث ورقات، فى معهد المخطوطات . وبلغت شهرة الخيام ذروتها بمقطعاته الشعرية «الرباعيات» نظمها شعرًا بالفارسية، وترجمت إلى العربية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والدنمركية وغيرها . وعرف قدره في أيامه، فقربه الملوك والرؤساء . وكان السلطان ملكشاه السلجوقي ينزله منزلة الندماء، والخاقان شمس الملوك ببخارى يعظمه ويجلسه معه على سريره . وقدح أهل زمانه فى عقيدته، فحج، وأقام مدة ببغداد، وعاد يتقى الناس بالتقوى . وكان من خاصة خلصائه فى شبابه «نظام الملك» و «حسن الصباح» واتفق معهما على أن من ينال منهم رتبة يساعد صاحبيه، فلما استوز نظام الملك جعل لعمر عشرة آلاف دينار في السنة، من دخل نيسابور. ولكن السلطان ما عتم أن رفع الحساب من عهدة نظام الملك . قال البيهقى، وكان معاصرًا للخيام، وقد رآه وعرّفه بالإمام وبحجة الحق: إنه تلو ابن سينا فى أجزاء علوم الحكمة، وقال: كان يتخلل بخلال من ذهب . وفى الكامل لابن الأثير: كان الخيام أحد المنجمين الذين عملوا «الرصد» للسلطان ملكشاه السلجوقى سنة ٤٦٧ هـ. وقال القفطى في نعته : إمام خراسان، وعلامة الزمان، يعلم علم يونان، ويحث على طلب الواحد الديان، بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الإنسانية . وأورد أبياتا من شعره العربى . ونقل القمى أن الخيام كان أحد الحكماء الثمانية فى عصر السلطان جلال الدين «ملكشاه» وهم الذين وضعوا التاريخ الذى مبدأه نزول الشمس أول الحمل وعليه كان بناء التقاويم . وأكثر كتاب العرب المعاصرون وغيرهم، من الكتابة عنه، فمن ذلك بالعربية «عمر الخيام ـ ط» لأحمد حامد الصراف. و «ثورة الخيام ـ ط» لعبد الحق فاضل . ومن التحف الفنية، باللغة الإنكليزية، طبعة خاصة أصدرتها مطابع بيشوب وجاريت، بباريس، سنة ١٩٢٣ لمجموعة من ترجمات قطع منها، ومنظومات بمعناها، لبيرون، وفيتس جيرالد، وغيرهما، محلاة بصور ملونة ونقوش وكتابات متقنة كل الإتقان سميت أصداء حياة . (الأعلام ٥/ ٣٨) .

ونحن معنيون فى هذه المادة بالتركيز على ما حققه عمر الخيام في مجال العلوم الرياضية، ومن ثم فإننا ننقل بعض ما جاء عن ذلك من مصدرين أساسيين هما كتاب الأستاذ قدرى طوقان رحمه الله، وكتاب الدكتور جلال شوقى والدكتور على الدفاع (انظر ثبت المراجع) .

يقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله :

لا نجد كثيرين من يعرفون أن «عمر الخيام» له فضل فى الرياضيات والفلك، وقد يكون لدى هؤلاء بعض العذر، إذا علمنا أنه كان فيلسوفا، وشاعرا وأن شهرته فى هاتين الناحيتين جعلت الناس لا ترى عبقريته في النواحى الأخرى .

يقول «بول» : إن «الخيام» و «الكرخى» كانا من أنبغ الذين اشتغلوا بالرياضيات ولاسيما الجبر. واستعمل أحدهما وهو «الخيام» بعض المعادلات التى استعملها «الخوارزمى» في كتابه « الجبر والمقابلة» . فمن هذه المعادلات :

$س^٢ + ١٠ س = ٣٩$

$س^٢ + ٢٠ = ١٠ س$

$٣ س + ٤ = س^٢$

والمعادلة الأولى: كثيرا ما ظهرت فى كتب العلماء الذين أتوا بعد «الخوارزمى»، وكانت تستعمل للشرح.

يقول «كاجورى»: إن «عمر الخيام» كان لا يعتقد أنه بالإمكان حل المعادلات ذات الدرجة الثالثة بطريقة جبرية، وكذلك معادلات الدرجة الرابعة: بوساطة الهندسة. ولا شك أن «الخيام» مخطىء فى اعتقاده، فلقد تمكن علماء القرن الخامس عشر للميلاد من حل معادلة الدرجة الثالثة جبريا. أما معادلة الدرجة الرابعة، فقد سبق وحل «أبو الوفاء البوزجانى» المعادلتين.

س^{4} = م

، س٤ +م س^{3} = د   هندسيا

ولا ندرى ما الذى حمل «كاجورى» على هذا القول، بينما نجد فى مؤلفات و «الخيام» المعادلة الآتية، وهى من الدرجة الرابعة:

(١٠٠ س^{3})(١٠ +س^{2}) = ٨١٠٠

وجذرها — يقول الخيام — هو نقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:

(١٠ + س) ص = ٩٠

س^{2} + ص^{2} = ١٠٠

ولم يستعمل «الخيام» الجذور السالبة، ولم يوفق فى بعض الأحيان إلى إيجاد الجذور الموجبة.

وقد حل «الخيام» أيضا المعادلات التكعيبية هندسيا، وهى كما يأتى:

م، ج في المعادلات الآتية أعداد موجبة صحيحة.

(١) س^{3} +د^{2}س = د^{2}حـ.

ويقول «الخيام»: إن جذور هذه المعادلة؛ هو الإحداثى الأفقى لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:

س^{2} = دص

ص^{2}= س (ح ـ س).

(٢) س^{3} + م س^{2} = حـ^{3}.

وجذرها هو؛ الأحداثى الأفقى لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:ـ

س ص = حـ^{2}.

ص^{2} = حـ (س + م).

(٣) س^{3} + م س^{2} + د^{2}س = د^{2}حـ.

وجذرها هو؛ الإحداثى الأفقى لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:ـ

ص^{2} = (س + م) (ح − س).

، س = (د + ص) = د حـ.

وهو أيضا من أوائل الذين حاولوا تقسيم المعادلات إلى أقسام متنوعة. واعتبر المعادلات ذات الدرجة الأولى، والثانية، والثالثة؛ إما بسيطة، وإما مركبة.

فالبسيطة تكون على ستة أشكال كما يأتى:ـ

حـ = س

حـ = س^{2}

حـ=س^{3}

م س =س^{2}

م س = س^{3}

م س^{2} = س^{3}

والمركبة تكون على اثنى عشر شكلا كما ياتى:ـ

س^{2} + د س =حـ

س^{2} + حـ = د س

د س + حـ = س^{2}

س^{3} + دس^{2} = حـ س

س^{3} +حـ س = د س^{2}

حـ س + د س^{2} = س^{3}

س^{3} + حـ س = هـ

س^{3} + هـ =حـ س

حـ س + هـ =س^{3}

س^{3}+دس^{2} = هـ

س^{3}+هـ=دس^{2}

دس٢ + هـ =س^{3}

والمركبة قد تكون أيضا مركبة من خمسة حدود وهى كما يأتى:ـ

س^{3} +د س^{2} + حـ س = هـ

س^{3} + دس^{2} +هـ = حـ س

س^{3}+دس^{2} = حـ س + هـ

س^{3} ـ حـ س = ء س^{2} + هـ

س^{3} + هـ = دس^{2} + حـ

وبحث «الخيام» فى النظرية المسماة بنظرية «فرما» وقال :

إن مجموع عددين مكعبين لا يمكن أن يكون مكعبا .

ولم يثبت لدى الباحثين : أن «الخيام» تمكن من إيجاد البرهان الصحيح لهذه النظرية .

ويقال : إن «الخجندى» بحث فيها أيضا وظن أنه برهنها . ويقال : إن برهانه غير صحيح .

ويوجد فى كتاب «الخيام» عن الجبر، قانون لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية . والقانون الذى وضعه يستعمل للمعادلات التى تكون على النمط الآتى :

س^{2} + د س = حـ .

أما القانون فهو :

س = $\sqrt{\frac{1}{4}\text{د}^{2} + \text{حـ}} - \frac{1}{2}$ د .

وأرجح أن هذا القانون، مأخوذ عن القانون العام لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية، والذى كان معروفاً فى زمن «الخوارزمى» .

وقد أوجد أيضا قوانين أخرى لحل المعادلات التى تكون على النمط الآتى :

س^{2} + حـ = د س، د س + حـ = س^{2}

وبحث الأقدمون «بصورة بسيطة» فى نظرية ذات الحدين، وهى التى بوساطتها يمكن رفع أى مقدار جبرى، إلى أى قوة معلومة أسها عدد صحيح موجب . «فأقليدس» فك مقدارا جبريا ذا حدين أسه اثنان . أما كيفية إيجاد مفكوك أى مقدار جبرى ذى حدين مرفوع إلى قوة أسها أكثر من اثنين، فلم تظهر إلا فى جبر «عمر الخيام» .

ومع أنه لم يعط القانون لذلك؛ لكنه يقول؛ إنه تمكن من إيجاد مفكوك المقدار الجبرى ذى الحدين، حينما تكون قوته مرفوعة إلى الأسس ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ ... أو أكثر بوساطة قانون كشفه هو.

والذى أرجحه : أن «الخيام» وجد قانونا لفك أى مقدار جبرى ذى حدين أسه أى عدد موجب صحيح، وأن هذا القانون لم يصل بعد إلى أيدى العلماء، ولعله فى أحد كتبه المفقودة .

وقد ترجم العالم «ويكة» كتاب «الخيام» فى الجبر، ونشره فى باريس سنة ١٨٥١ م .

ومن الغريب أن نجد «كاجورى»، يستدل على أن العرب فضلوا اتباع الطريقة اليونانية على الهندية، وأنهم تأثروا بالثقافة اليونانية أكثر من تأثرهم بالهندية . والحقيقة التى ظهرت لنا : أن العرب نقلوا ما وصل إلى أيديهم من تآليف اليونان والهنود، وأنهم لم يفكروا فى تفضيل طريقة أمة على أخرى، وإذا حصل تفضيل فإنه غير مقصود .

وجل ما فى الأمر أن العرب إذا عثروا على شىء من كتب الهنود واليونان، نقلوه وتوسعوا فيه، وقد يضيفون إليه شيئا . وأستطيع أن أقول : إن ما يقوله بعض المستشرقين، وعلماء تاريخ الرياضيات، فى هذا الشأن؛ ــ أى التفضيل فى الثقافات ــ، وهم لا يقوم على أساس .

وقبل الختام لا بد من الإشارة إلى أن «الخيام» لم ينبغ فى الرياضيات والشعر فحسب، بل برع أيضا فى الفلك .

ويقال : إنه بلغ فى ذلك درجة قلَّ مَن وصل إليها من علماء عصره، حتى إن السلطان «ملكشاه» دعاه سنة ٤٦٧ هـ ـ ١٠٧٤ م، وطلب منه مساعدته فى تعديل التقويم السنوى .

ويقال : إن «الخيام» كان أحد الثمانية الذين انتدبوا لذلك . وقد نجح «عمر» فى التقويم نجاحا كان موضع إعجاب مولاه «ملكشاه» وتقديره .

وقد قال العالم الإنكليزى «جيبون» : إن تقويم «الخيام»، كان أدق من غيره من التقاويم، وتقرب دقته من دقة التقويم «الجريجورى» .

وتشير بعض المصادر إلى أن هذا التقويم أدق من التقويم «الجريجورى الذى يؤدى إلى خطأ مقداره يوم فى كل ٣٣٣٠ سنة، بينما الخطأ الذى ينجم عن تقويم «الخيام» هو يوم فى كل ٥٠٠٠ سنة (تراث العرب العلمى / ٣٥٩ـ٣٦٥) .

وجاء فى كتاب «العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية» للدكتور جلال شوقى والدكتور على الدفاع ما يلى :

قام عمر بن إبراهيم الخيام باستنباط القانون التالى لحل معادلة الدرجة الثانية ذات الصيغة :

ا س ٢ + ب س = جـ

فأعطى جذر المعادلة على النحو التالى :

$$س = \sqrt{\frac{١}{٤} ب^{٢} + جـ} - \frac{١}{٢} ب ،$$

ويقول الأستاذ دريك سترويك فى كتابه «مصادر تاريخية فى علم الرياضيات» : «إن عمر الخيام ذكر فى كتابه الجبر والمقابلة قانونا لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية ، والتى تـرد على الصيغة : $ا س٢ + ب س = حـ$ ، حيث إن $ا = ١$ ،

$$، لذا\ س = \sqrt{\frac{١}{٤} ب^{٢} + جـ} - \frac{١}{٢} ب» .$$

مثال : أوجد قيمة س إذا كانت : $س^{٢} + ١٠ س = ٣٩$.

بما أن $س = \sqrt{\frac{١}{٤} ب^{٢} + جـ} - \frac{١}{٢} ب$ ، لذا فإن $ب = ١٠$ ، $جـ = ٣٩$ ، $ا = ١$

$$\therefore س = \sqrt{\frac{١}{٤} (١٠٠) + ٣٩} - \frac{١}{٢} (١٠)$$

$$= \sqrt{٢٥ + ٣٩} - ٥ = \sqrt{٦٤} - ٥ = ٣ .$$

إن حل معادلات الدرجة الثالثة قد حظى بأكبر عناية ـ فى العصر الوسيط ـ من العالم الفذ والفيلسوف الشاعر أبى الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام الذى تعرض لعدة صور من صور معادلة الدرجة الثالثة .

تصدى عمر الخيام فى مؤلفه القيم : «رسالة فى البراهين على مسائل الجبر والمقابلة» لتصنيف المعادلات الجبرية حتى الدرجة الثالثة ، حيث قسمها ٢٥ صنفا ، نسوق منها هنا ثلاث عشرة صورة تشكل الصور الرئيسية لمعادلة الدرجة الثالثة :

تصنيف الخيام	التعبير بالرموز الرياضية المعاصرة
(١) كعب وجذر	يعدل عددا : $س^{٣} + ب س = حـ$
(٢) كعب وعدد	يعدل جذرا : $س^{٣} + حـ = ب س$
(٣) عدد وجذر	يعدل كعبا : $حـ + ب س = س^{٣}$
(٤) كعب ومال	يعدل جذرا : $س^{٣} + ا س^{٢} = حـ$
(٥) كعب وعدد	يعدل مالا : $س^{٣} + حـ = أ س$
(٦) عد ومال	يعدل كعبا : $حـ + ا س^{٢} = س^{٣}$

(٧) كعب ومال وجذر يعدل عددا : $س^{٣} + ا س^{٢} + ب س = حـ$

(٨) كعب ومال وجذر يعدل جذرا : $س^{٣} + ا س^{٢} + حـ = ب س$

(٩) كعب وجذر وعدد يعدل مالا : $س^{٣} + ب س + حـ = أ س^{٢}$

(١٠) كعب يعدل جذرا ومالا وعددا : $س^{٣} = ب س + ا س^{٢} + حـ$

(١١) كعب ومال يعدل جذرا وعددا : $س^{٣} + ا س^{٢} = ب س + حـ$

(١٢) كعب وجذر يعدل مالا وعددا : $س^{٣} + ب س = ا س^{٢} + حـ$

(١٣) كعب وعدد يعدل جذرا ومالا : $س^{٣} + حـ = ب س + ا س^{٢}$

هذه ثلاث عشرة صورة إن نحن أضفنا إليها ست معادلات يمكن اختزالها إلى معادلات من الدرجة الأولى ، وست معادلات أخرى يمكن وضعها على صورة معادلات الدرجة الثانية ، اكتملت عدة الأنواع الخمسة والعشرين التى ورد ذكرها فى رسالة عمر الخيام ، حيث يشير إليها بقوله :

« ... وأما نحن فسنأتى بالطريق التى بها يمكن أن يُستخرج المجهول بالمعادلة بين أربع مراتب [هى] التى قلنا إنها لا يمكن أن يقع أكثر منها فى المقادير ، أعنى العدد والشىء والمال والكعب . » .

وجدير بالذكر أن الخيام تصدى لحل معادلات الدرجة الثالثة مستخدما فكرة إيجاد جذور المعادلة بأسلوب هندسى ، وذلك عن طريق تقاطع المنحنيات الممثلة لقطوع مخروطية كالدائرة والقطع المكافىء والقطع الناقص والقطع الزائد .

ونورد هنا مثالا لما ساقه الخيام من حلول ، نختار منها حلا لأعم صور معادلة الدرجة الثالثة التى قام بدراستها وهى :

$$س^{٣} + ا س^{٢} + ب^{٢} س = ب^{٢} حـ$$

حيث العددان أ ، حـ عددان صحيحان موجبان .

توصل عمر الخيامى إلى أن جذر هذه المعادلة هو قيمة الشىء (المجهول) س التى تنشأ من تقاطع المنحنيين :

$$ص^{٢} = (س + ا) (حـ - س)$$

$$، س (ب \pm ص) = ب حـ$$

ومن الواضح أن هاتين المعادلتين تمثلان دائرة . وقطعا زائدا على التوالى .

بعض حلول عمر الخيام .

اهتم عمر الخيامى اهتمام بالغا بإيجاد قيمة $\sqrt[٣]{٢}$ ، وهناك طريقتان مشهورتان نشرحهما فيما يلى :

الطريقة الأولى :

بإيجاد نقطة تقاطع قطع مكافىء مع قطع زائد ، وللقيام بهذا يلزم أن نفرض :

$$ص = س^{٢}$$

$$، س ص = ٢$$

حيث إن ص = $\frac{٢}{س}$ ∴ $\frac{٢}{س}$ = س ٢ ← س^{٣} = ٢

لذا فإن: س = $\sqrt[٣]{٢}$

الطريقة الثانية:

بافتراض أنه يوجد قطعان مكافئان، فاتبع الطريقة الآتية:

ص = س^{٢} . (١)

ص^{٢} = ٢س . (٢)

بتربيع طرفي المعادلة (١) نجد أن ص٢ = س ٤ . (٣)

من المعادلتين (٢)، (٣):

٢ س = س^{٤} ، س٤ - ٢ س= صفرا.

∴ س (س^{٣} - ٢) = صفرا، ومن ذلك نستنتج أن:

إما س = صفرا أو س^{٣} = ٢

∴ س = $\sqrt[٣]{٢}$.

هكذا أبدع عمر الخيام في علم الجبر والمقابلة حيث إنه توصل إلى حل بعض أنواع معادلات الدرجة الثالثة باستعمال القطوع المخروطية، فحصل على جذر المعادلة بإيجاد الإحداثي السيني لنقطة تقاطع قطع مخروطي مع دائرة أو قطعين مخروطيين. والجدير بالذكر أن عمر الخيام أهمل الجذور السالبة ولم يهتم بإيجاد كل الجذور لمعادلة الدرجة الثالثة أو الرابعة، ونذكر فيما يلي بعض معادلات الدرجة الثالثة التي اهتم بها عمر الخيام وهي: س^{٣} + ب^{٢} س = ب^{٢} حـ، وفي هذه الحالة اعتبر الجذر نقطة تقاطع المعادلتين:

س^{٢} = ب ص (قطع مكافيء)، ص^{٢} = (حـ - س) وهي معادلة دائرة.

س^{٣}± ا س^{٢} + ب^{٢}س = ب^{٢} حـ بواسطة نقطة تقاطع المعادلتين:

ص^{٢} = (س + ا) (حـ - س) وهي معادلة دائرة.

، س (ب ± ص) ب حـ وهي معادلة قطع زائد (خط هذلولي).

س^{٣} + أس^{٢} = حـ^{٣} ، وفيها تعين الجذر نقطة تقاطع المعادلتين:

س ص = حـ^{٢} : قطع زائد.

، ص^{٢} = حـ (أ + س) : قطع مكافيء.

الحالة الأولى: س^{٣} + ب^{٢}س = ب^{٢} حـ.

العمل: ارسم نصف دائرة، وليكن قطرها م ك = حـ

نقطة تقاطع الدائرة ص ^{٢} = س (حـ - س) والقطع المكافئ س ^{٢} = ب ص هي «ا».

ص^{٢} = حـ س - س^{٢} ← ص^{٢} + س^{٢} - حـ س = صفرا،

وبإكمال المربع نحصل على:

[ص^{٢} + س^{٢} - حـ س + ($\frac{حـ}{٢}$)^{٢}] = [($\frac{حـ}{٢}$)^{٢} ص^{٢} + (س - $\frac{حـ}{٢}$)^{٢}] = $\frac{حـ}{٤}$

∴ نصف القطر = $\frac{حـ}{٢}$

، قيمة الجذر = لـ ع = س.

البرهان:

س٢ = ب ص = ب (ا ع)، حيث إن ص = ا ع:

∴ $\frac{س}{اع}$ = $\frac{ب}{س}$ (١)

المثلث أ ك م يشابه المثلث ع ك ا

∴ $\frac{اك}{ع ك}$ = $\frac{ام}{اع}$ ← $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{ع ك}{اع}$

لذا نجد أن: $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{س}{اع}$ (٢)

المثلث ام ك يشابه المثلث ع م ا

∴ $\frac{ام}{ع م}$ = $\frac{اك}{اع}$ ← $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{اع}{ع م}$

من هنا يمكن القول بأن: $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{اع}{حـ - س}$ (٣)

من المعادلتين (٢)، (٣) نستنتج أن:

$\frac{س}{اع}$ = $\frac{اع}{حـ - س}$ (٤)

ومن المعادلتين (١)، (٤) نجد أن:

$\frac{ب}{س}$ = $\frac{أع}{حـ - س}$ (٥)

ومن المعادلة (١): أ ع = $\frac{س^{٢}}{ب}$ (٦)

ومن المعادلتين (٥)، (٦):

$\frac{ب}{س}$ = $\frac{س^{٢}}{(حـ - س)}$

∴ س^{٣} = ب^{٢} (جـ - س) = ب^{٢} حـ - ب^{٢} س

لذلك فإن: س^{٣} + ب^{٢} س = ب ^{٢} حـ.

مما تقدم يتضح أن قيمة س هي الإحداثي السيني لنقطة تقاطع القطع المكافيء س^{٢} = ب ص مع الدائرة ص^{٢} = س

(جـ - س). وهذا يبرهن بدون شك على أن عمر الخيام كان مدركا تماما للإحداثيات السينية والصادية للهندسة التحليلية، وبذلك يكون قد سبق ديكارت فى هذا المضمار (رينيه ديكارت (Rene Des Cartes) عالم فرنسى عاش فيما بين ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ ميلادية، له شهرة عظيمة فى علم الفلسفة وفى الهندسة التحليلية، كما أن له مبتكرات فى القوانين المثلثية).

وجدير بالذكر أن الكتابات الرياضية لعمر الخيامى تشتمل على معادلة من الدرجة الرابعة على الصورة الآتية:

$$(١٠٠ - \text{س}^{٢})(١٠ + \text{س})^{٢} = ٨١٠٠$$

ويفك القوسين نحصل على الصورة المألوفة لمعادلات الدرجة الرابعة:

$$\text{س}^{٤} + ٢٠\,\text{س}^{٣} - ٢٠٠٠\,\text{س} = ١٩٠٠$$

وقد تصدى عمر الخيام لحل هذه المعادلة بطريقة هندسية، فأعطى جذر هذه المعادلة قيمة الشيء (المجهول) س التى تحقق المعادلتين الآتيتين فى آن واحد، أو بعبارة أخرى هو قيمة س عند تقاطع المنحنيين الممثلين للمعادلتين:

$$\begin{cases} \text{س}^{٢} + \text{ص}^{٢} = ١٠٠ \\ (١٠ + \text{س})\,\text{ص} = ٩٠ \end{cases}$$

ومن الواضح أن المعادلة الأولى هى معادلة دائرة نصف قطرها = ١٠، بينما تمثل المعادلة الثانية معادلة قطع زائد.

ومن اليسير بيان أن المعادلتين الأخيرتين يمكن تحويلهما إلى الصورة الأصلية، وذلك بالتعويض فى المعادلة الأولى بقيمة ص من المعادلة الثانية، وذلك على النحو التالى:

من المعادلة الثانية: $\text{ص} = \frac{٩٠}{(١٠ + \text{س})}$

وبالتعويض فى المعادلة الأولى، نحصل على:

$$\text{س}^{٢} + \text{ص}^{٢} = \text{س}^{٢} + \frac{٨١٠٠}{(١٠ + \text{س})^{٢}} = ١٠٠ = ١٠^{٢}$$

أى أن: $\text{س}^{٢}(١٠ + \text{س})^{٢} + ٨١٠٠ = ١٠^{٢}(١٠ + \text{س})^{٢}$

$$(١٠^{٢} - \text{س}^{٢})(١٠ + \text{س})^{٢} = ٨١٠٠$$

ونسوق فيما يلى تفاصيل الحل الهندسى لهذه المعادلة كما أورده عمر الخيام.

العمل:

ارسم شبه المنحرف المتماثل أ ب جـ د بحيث تكون القاعدة د جـ = ١٠، القاعدة أ ب أكبر من القاعدة د جـ

ـ انزل العمودين جـ ك، د ف على ا ب لتستنتج أن ك جـ = د ف = ع مثلا.

ك ف = جـ د = ١٠ خاصية من خواص المستطيل.

ـ نستنتج أن ب ك = ف ا = س

البرهان:

ا ب جـ د شبه منحرف، من ذلك أ ب // جـ د.

ا د = ب جـ = جـ د = ١٠، علما بأن مساحة شبه المنحرف ا ب جـ د = ٩٠

ـ Δ جـ ك ب مثلث قائم الزاوية.

لذ $(١٠)^{٢} = \text{ع}^{٢} + \text{س}^{٢} \leftarrow \text{ع} = \sqrt{١٠٠ - \text{س}^{٢}}$

ولكن مجموع قاعدتى شبه المنحرف = ا ب + جـ د = (س + ١٠ + س) + ١٠ = (٢٠ + ٢ س).

∴ مساحة شبه المنحرف ا ب جـ د =

$$\frac{١}{٢}(٢٠ + ٢\,\text{س})\sqrt{١٠٠ - \text{س}^{٢}} = ٩٠$$

$$= (١٠ + \text{س})\sqrt{١٠٠ - \text{س}^{٢}} = ٩٠$$

وبتربيع طرفى المعادلة نحصل على:

$$(١٠ + \text{س})^{٢}(١٠٠ - \text{س}^{٢}) = ٨١٠٠$$

ومن مسائل معادلات الدرجة الرابعة التى يمكن تحويلها إلى معادلة من الدرجة الثانية المسألة الآتية:

«إذا قيل لك مال ضربت ثلثه فى ربعه، فعاد المال بزيادة أربعة وعشرين درهما ...».

فإذا ما عبرنا عن هذه المسألة بالرموز الرياضية المعاصرة نخلص إلى المعادلة:

$$(\frac{١}{٣}\text{س}^{٢}).(\frac{١}{٤}\text{س}^{٢}) = \text{س}^{٢} + ٢٤$$

أى أن: $\frac{١}{١٢}\text{س}^{٤} - \text{س}^{٢} - ٢٤ = \text{صفرا}$

$$\therefore \text{س}^{٤} - ١٢\,\text{س}^{٢} - ٢٨٨ = \text{صفرا}$$

وهذه هى فى الحقيقة معادلة من الدرجة الرابعة فى المجهول س، إلا أن هذه المعادلة لا تحتوى إلا على $\text{س}^{٤}$، $\text{س}^{٢}$، س صفر.

فإذا ما استبدلنا $\text{س}^{٢}$ بالرمز ص مثلا اتخذت المعادلة الصورة التالية:

$$\text{ص}^{٢} - ١٢\,\text{ص} - ٢٨٨ = \text{صفرا}.$$

وهي بلا شك معادلة من الدرجة الثانية في ص، يمكن حلها بجبر الخوارزمي لنخرج بقيمة ص = ٢٤ = س ^{٢}.

(العلوم الرياضية ١ / ٢٥٩ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٦٨، ٢٧١ - ٢٧٣).

(الأعلام للزركلي ٥ / ٣٨، وتراث العربي العلمي في الرياضيات والفلك ــ قدري حافظ طوقان / ٣٥٩ـ ٣٦٥، والعلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقي، و د. علي الدفاع / ٢٥٩ـ ٢٦٤، ٢٦٦ـ ٢٦٨، ٢٧١ـ ٢٧٣).

* **الخيانة:**

الكبيرة التاسعة والثلاثون من الكبائر السبعين التي أحصاها الإمام الذهبي، وقال عنها:

قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون﴾**[الأنفال: ٢٧] قال الواحدي رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم فقالوا: يا أبا لبابة.. ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه ـ أي انه الذبح فلا تفعلوا ــ فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله، وقوله: **﴿وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾** عطف على النهي ـ أي ولا تخونوا أماناتكم ــ قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ـ يعني الفرائض ـ يقول: لا تنقضوها. قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله، فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله تعالى. **﴿وأنتم تعلمون﴾**، أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: **﴿إن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾** [يوسف: ٥٢] أي لا يرفد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية، وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

(رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وزاد مسلم: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وروى نحوه يعلى من حديث أنس قاله المنذري في ترغيبه وقال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» (رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه من حديث أنس، وللطبراني في الأوسط والصغير عن حديث ابن عمر. قاله المنذري).

والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» وفي الحديث أيضا: «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب» (رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش قال: حدثت عن أبي أمامة ... اهـ ترغيب، ففيه انقطاع بين الأعمش وأبي أمامة).

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه» (رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد).

وفيه أيضا: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، ورُبَّ مصل لا خير فيه» وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة».

(رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأوله: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ...» إلخ، أفاده المنذري في الترغيب) وقال عليه الصلاة والسلام: «هكذا أهل النار ـ وذكر منهم رجلا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه».

(لا يخفى أي لا يظهر والظهور والإخفاء من الأضداد) (رواه مسلم في حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعي) وقال ابن مسعود: يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له: أد أمانتك فيقول: أنَّى يا رب وقد ذهبت الدنيا! قال: فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال له: انزل إليها فأخرجها، قال: فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع (عزاه في الترغيب والترهيب إلى أحمد والبيهقي موقوفا بنحو ما هنا، قال: وذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال إسناده جيد اهـ).

(الكبائر للإمام أبي عبد الله محمد شمس الدين الذهبي ـ نقحه وراجعه محمد الأنور أحمد البلتاجي ط دار التراث العربي / ١١٠، ١١١ ـ انتظر طبعة مكتبة الكليات الأزهرية / ١١٢ ـ ١١٤).

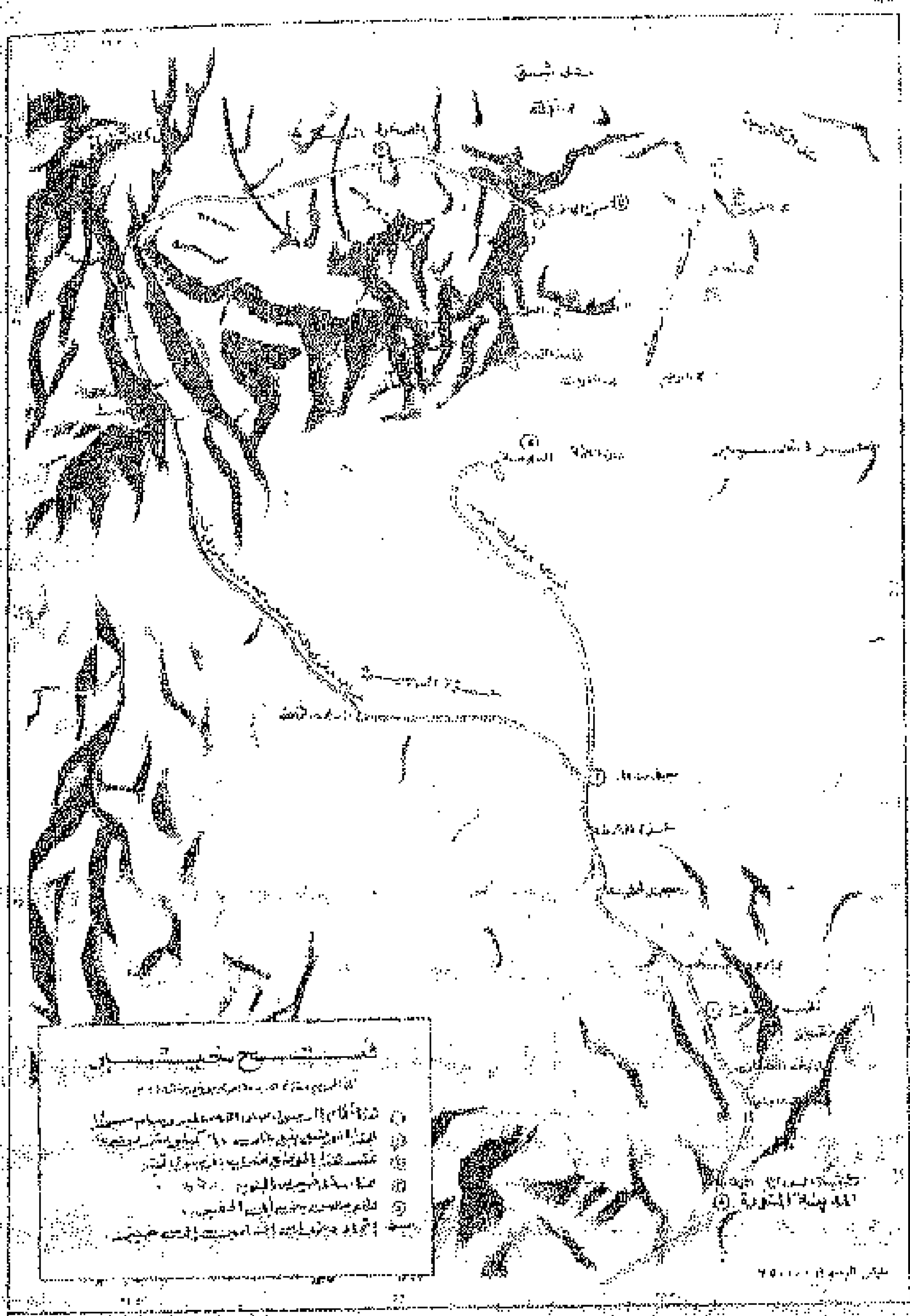
* خيبر (غزوة):

قال الإمام النووى: خيبر: البلدة المعروفة على نحو أربع مراحل من المدينة إلى جهة الشام ذات نخيل ومزارع فتحها رسول الله ﷺ فى أوائل سنة سبع من الهجرة أقام رسول الله ﷺ على حصارهم بضع عشرة ليلة. وذكر الحازمى فى المؤتلف أن أراضى خيبر يقال لها خيابر بفتح الخاء (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٠٣).

وقال ياقوت:

خيبر: الموضع المذكور فى غزاة النبى، ﷺ، وهى ناحية على ثمانية برد (جمع بريد. انظر مادة «بريد» فى م ٧/ ٦٨) من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم وعنده قُتل مسعود بن مسلمة أُلقيت عليه رحى، والقموص حصن أبى الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السُّلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر، وقد فتحها النبى، ﷺ، كلها فى سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان، وقال محمد بن موسى الخوارزمى: غزاها النبى ﷺ، حين مضى ست سنين وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوما للهجرة؛ وقال أحمد بن جابر: فتحت خيبر فى سنة سبع عنوة، نازلهم رسول الله ﷺ، قريبا من شهر ثم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية على أن يخلوا بين المسلمين وبين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة إلا ما كان منها على الأجساد وأن لا يكتموه شيئا ثم قالوا: يا رسول الله إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علما فأقرنا، فأقرهم وعاملهم على الشطر من التمر والحب، وقال: « أقركم ما أقركم الله».

فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عه، ظهر فيهم الزنا وتعبثوا بالمسلمين فأجلاهم إلى الشام وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين وجعل لأزواج النبى، ﷺ، فيها نصيبا وقال: أيتكن شاءت أخذت الثمرة وأيتكن شاءت أخذت الضيعة فكانت لها ولعقبها، وإنما فعل عمر، رضى الله عنه، ذلك لأنه سمع أن النبى، صلى الله عليه وسلم قال: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب، فأجلاهم؛ وقسم



أطلسى تاريخ الإسلام - د. حسين مؤنس / ٧٠

النبى، ﷺ وسلم، خيبر لما فتحها على ستة وثلاثين سهما وجعل كل سهم مائة سهم فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به وقسم الباقى بين المسلمين، فكان سهم رسول الله، ﷺ، مما قسم الشق والنطاة وما حيز معهما، وكان فيما وقف على المسلمين الكتيبة وسُلالم، وهى حصون خيبر، ودفعها إلى اليهود على النصف مما أخرجت فلم تزل على ذلك حياة رسول الله ﷺ، وأبى بكر، رضى الله عنه.

فلما كان عمر، رضى الله عنه، وكثر المال فى أيدى المسلمين وقووا على عمارة الأرض وسمع أن النبى ﷺ، قال فى مرض موته: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب، فأجلى اليهود إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين، وكان رسول الله ﷺ، بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر ليخرص عليهم فقال: إن شئتم خرصت وخيرتكم وإن شئتم خرصتم وخيرتمونى، فأعجبهم ذلك وقالوا: هذا هو العدل، هذا هو القسط وبه قامت السموات والأرض؛ وذكر أبو القاسم الزجاجى أنها سميت بخيبر بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل، وعبيل أخو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، عليه

السلام، وهو عم الربذة وزرود والشقرة بنات يثرب وكان أول من نزل هذا الموضع؛ وخيبر موصوفة بالحمَّى؛ قال شاعر:

كأن به، إذا جئته، خيبرية
يعود عليه وردها وملالها

وقدم أعرابي خيبر بعياله فقال:

قلت لحمى خيبر: استعدى!
هاك عيالي فاجهدي وجدي
وباكري بصالب وورد،
أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات وبقي عياله؛ واشتهر بالنسبة إليها جماعة، منهم: ابن القاهر الخيبري، الدمشقي ولا أدري أهو اسم جده أو نسبه إلى هذا الموضع، روى عنه أبو القاسم الطبراني، ومات بعد سنة ٥٥٩؛ وقال الأخنس بن شهاب:

فلابنة حطان بن قيس منازل
كما نمّق العنوان في الرق كاتب
ظللت بها أعرى وأسعر سخنة
كما اعتاد محموما بخيبر صالب

وهي أيضا موصوفة بكثرة النخل والتمر؛ قال حسان بن ثابت:

أتفخر بالكتّان لمّا لبسته،
وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا
فلا تك كالعاوي، فأقبل نحره،
ولم تخشه سهما من النبل مضمرا
فإنا، ومن يهدي القصائد نحونا،
كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

(معجم البلدان ٢/ ٤٠٩ - ٤١١).

ويعطينا الإمام ابن عبد البر وصفا مفصلا لما دار في المعركة، وما نجم عنها من نتائج فيقول:

وأقام رسول الله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وخرج في بقية منه غازيا إلى خيبر، ولما يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام، واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي (وفي رواية: سباع بن عرْفطة) وذكر موسى بن عقبة، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفه من الحديبية مكث عشرين يوما أو قريبا منها ثم خرج غازيا إلى خيبر، وكان الله عز وجل وعده إياها وهو بالحديبية.

قال أبو عمر:

قال الله عز وجل في أهل الحديبية: **﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيم﴾**، فلم يختلف العلماء في أنها البيعة بالحديبية. قال ابن قتيبة وقتادة وعكرمة وغيرهم: كانت الشجرة سمرة (هي شجرة الطلح) كانت بالحديبية. وعلم ما في قلوبهم من الرضا بأمر البيعة على أن لا يفروا واطمأنت بذلك نفوسهم **﴿وأثابهم فتحا قريبا﴾**: خيبر، ووعدهم المغانم فيها **(ومغانم كثيرة يأخذونها)** وقد روى عن ابن عباس ومجاهد في قوله: **﴿وعدكم الله مغانم كثيرة﴾** أنها المغانم التي تكون إلى يوم القيامة. وقالوا في قوله: **﴿ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾**: فارس والروم وما افتتحوا إلى اليوم، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى. قال: وقوله: **﴿فتحا قريبا﴾**: خيبر.

رجع الخبر إلى ابن إسحاق، قال:

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر دفع رايته، وكانت بيضاء، إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ طريق الصهباء إلى وادي الرجيع، فنزل بين خيبر وغطفان لئلا يمدوهم، لأنه بلغه أن غطفان تريد إمداد يهود خيبر. ولما خرجوا لإمدادهم اختلفت كلمتهم، وأسمعهم الله عز وجل حسا من ورائهم وهدًّا راعهم وأفزعهم فانصرفوا إلى ديارهم، فأقاموا بها. وأقبل رسول الله ﷺ حتى أشرف على خيبر مع الفجر، وعُمَّالهم غادون بمساحيهم ومكاتلهم. فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش نادوا: محمد والخميس معه، وأدبروا هُرَّابا، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وتحصنت يهود في حصونهم وكانت حصونا كثيرة، فكان أول حصن افتتحوه حصنا يسمى «ناعما» وعنده قتل محمود به مسلمة أخو محمد ابن مسلمة أُلقيت عليه رحى فشدخته، رحمه الله، ثم حصنا يدعى «القموص» وهو حصن بني أبي الحقيق، ومن سبايا ذلك الحصن كانت صفية بنت حيي بن أخطب وقد أسلمت ثم أعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، ، وجعل عتقها صداقها.

وهـذه مسألـة اختلف الفقهـاء فيهـا فمنهم مـن جعل ذلك خصوصا لها كما خُصَّ بـالموهوبة، ومهم من جعل ذلك سنة لمن شاء من أمته.

ثم فتح حصن الصعب بن معـاذ ولم يكن في حصن خيبر أكثر طعاما وودكا منه ووقف إلى بعض حصونهم فامتنع عليهم فتحه ولقوا فيه شدة، فأعطى رايتـه أبا بكر الصديق فنهض بها وقاتل واجتهـد ولم يفتح عليه، ثم أعطى الراية عمـر فقاتل ثم رجع ولم يفتح لـه وقـد جهـد. فحينئـذ قـال رسـول الله ﷺ: لأعطين الراية غـدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبـه الله ورسوله ليس بفرَّار يفتح الله عز وجل على يديه. فلما أصبح دعا عليا، وهو أرمد، فتفل في عينيه، ثم قال: خذ الراية فامض بها حتى يفتح الله بها عليك. ذكر هذا الخبر ابن إسحاق، قال، قال: حدثني بريدة بن سفيان بن فـروة عن أبيه سفيان عن سلمة بن الأكـوع، وذكر من حـديث أبي رافع مـولى النبي ﷺ، قـال: خرجنا مع على حين بعثه رسـول الله ـ ﷺ ـ بـرايته إلى حصن من حصـون خيبـر، فلمـا دنـا مـن الحصن خـرج إليـه أهلـه وقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فـألقى ترسه من يده، فتناول عليٌّ بابـا كان عند الحصن فترَّس به عن نفسـه، فلم يزل في يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله علَيـه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتنى في نفـر معي سبعـة وأنا ثـامنهم نجتهـد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. وذكـر ابن إسحاق من روايـة يونس بن بكيـر وزياد وإبـراهيم بن سعـد والأمـوى عنه عن عبـد الله بن سهل، قال أخو بني حارثـة، عن جابر بن عبد الله. وبعضهم يرويـه عن ابن إسحاق عن عبد الله بن سهل، عن جـابر، ولم يشهد جابر خيبر:

أن محمد بن مسلمة هو الذى قتـل مرحبا اليهودى بخيبر. قال ابن إسحاق: فذكـر أن رسول الله ﷺ قال: من لهذا يعنى مرحبـا اليهودى، فقال محمد بـن مسلمة، أنا له يـا رسول الله أطلب الثأر، قتل أخي بـالأمس. قال: فقم إليـه. فنهض إليه محمـد بن مسلمـة، فتقاتـلا، وكـانا يستتران بشجـرة فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع بسيفه ما دونـه منهـا حتى ذهبت أغصـانهـا وبـرز كل واحـد منهمـا لصـاحبه، وحمل مـرحب على محمـد بن مسلمـة فضربـه، فاتقاه بـالدرقة (هي ترس من جلد) فوقع سيفـه فيها فعضت به وأمسكتـه وضَربـه محمـد، فقتلـه. ثم انصـرف. ثم برز أخـو مرحب واسمه يـاسر، فدعا إلى البراز، فخرج إليـه الزبير. هذا ما ذكـره ابن إسحاق في قتل مـرحب اليهودى بخيبر. وخـالفه غيـره، فقـال: بل قتلـه على بن أبي طـالب، وهـو الصحيح عندنا.

حدثنـا عبد الله بن محمد، قـال: حدثنا محمـد بن بكر، قال: حـدثنا أبو داود، قال: حـدثنا هرون بن عبـد الله، قال: حدثنا روح بن عبـادة، قال حدثنا عـوف، عن ميمون أبي عبد الله، عن عبد الله بن أبي بريدة، عن أبيه أبي بريدة الأسلمي:

أن النبي ﷺ قال: لما نزل بحصـن خيبر ـ: لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا عليا، وهو أرمد، فتفل في عينيه، وأعطـاه اللواء، ونهض معه الناس، فلقـوا أهل خيبر، فإذا مرحب بين أيديهم يرتجز:

قـد علمت خيبـر أنى مـرحب
شـاكى السـلاح بطل مجـرَّب
إذا السيـوف أقبلت تلهَّـب
أطعـن أحيـانـا وحينـا أضـرب

(شاكي السلاح: شاهره) فـاختلف هو وعلى ضـربتين، فضربـه عليٌّ على رأسه حتى عض السيف بأضـراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، قال: فما تتامَّ الناس حتى فتحوا لهم.

حـدثنـا سعيد بـن نصر، قـال: حـدثنـا قـاسم بن أصبغ [قال]: حدثنـا محمد بن وضاح قال: حدثنـا أبو بكر بن أبي شيبة [قال]: حدثنا هاشم بن القـاسم قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: أخبرني أبي، قال (انظر في هذا الحديث صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٧٤ وما بعدها).

لما خـرج عمي عامر بن سنان إلى خيبـر بارز يوما مـرحبا اليهودى، فقال مرحب:

قـد علمت خيبـر أنى مـرحب
شـاكى السـلاح بطل مجـرب
إذا الحـروب أقبلت تلهـب
أطعـن أحيـانـا وحينـا أضـرب

وقال عمي:

قــــد علمت خيبـــــر أنى عــــامـــــر

شـــاكـى الســـلاح بطل مغـــاور

فـاختلفا ضـربتين، فوقع سيف مرحب فى تـرس عامـر، ورجع سيف عامر على ساقه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه (أى أنه مات) قال سلمة: إن رسول الله ﷺ - أرسلنى إلى على بن أبى طـالـب، وقـال: لأعطين الـرايـة غـدا رجـلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله قال: فجئت به أقوده أرمد، فبصق النبى ﷺ - فى عينيه، ثم أعطاه الراية، فخرج مـرحـب يخطر بسيفه، وقال:

قــــد علمت خيبـــــر أنى مــــرحـب

شـــاكـى الســـلاح بطل مجـــرب

** إذا الحروب أقبلت تلهب**

وقال على رضى الله عنه:

أنـــا الـــذى سمتنى أمى حيـــدره

كليث غـــابـــات كـــريـــه المنظـــره

**أوفيهم بالصاع كيل السندره **

ففلق رأس مرحب بالسيف، وكان الفتح على يد على.

(الحيدرة: الأسـد. ويروى الشطر الثانى: كليث غـابـات شديـد قسوره* والصـاع: مكيال صغيـر، والسندرة: مكيـال كبير. وفى رواية: * أكيلكم بالسيف كيل السندرة*. والمعنى أقتلكم قتلا ذريعا.

قـالـت المؤلفة: فى طبعـة ديوان على التى عنـدى، وهى طبعـة خاليـة من اسم النـاشر ومكـان النشـر، جاءت أبيـات مرحب اليهودى وأبيات الإمام على كما يلى:

قال مرحب اليهودى يوم خيبر:

قــــد علمت خيبـــــر أنى مــــرحـب

شـــاكـى الســـلاح بَطل مجـــرب

أطعـن أحيـــانــــا وحينـــا أضــــرب

إذا الليــــــــوث أقبلـت تلهـب

فأجابه على رضى الله عنه:

أنـــا الـــذى سمتنى أمى حيـــدره

ضــــرغـــام آجـــام وليث قســـوره

عبل الـــذراعين شـــديـــد القصـــره

كليث غـــابـــات كـــريـــه المنظـــره

أكيلكم بـــــالسيف كيل الســـنـــدره

أضـــربكم ضـــربـــا يبين الفقـــره

وأتـــرك القـــرن بقـــاع جـــزره

أضـــرب بـــالسيف رقـــاب الكفـــره

ضـــرب غـــلام مـــاجـــد حـــزوره

مـن يتـــرك الحق يقـــوم صغـــره

أقتـل منهـم سبعـــة أو عشـــره

فكلهـم أهـل فســـوق فجـــره

(ديوان الإمام على/ ٥٣).

قـال ابن إسحـاق: وآخـر مـا افتتح رسـول الله ﷺ من حصونهم الوطيح والسلالم.

وقال موسى بن عقبة: حاصر رسول الله - ﷺ حصون خيبر بضع عشرة ليلة، وكان بعضها صلحا وأكثرها عنوة، ذكر ذلك عن ابن شهاب. وقال ابن إسحاق: قسم رسول الله أرض خيبر كلها لأنه غلب على جميعها عنوة. وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبـر فى حصنهم الـوطيح حتى إذا أيقنـوا بالهلكـة سألـوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل.

مقاسم خيبر وأموالها:

وكـان رسول الله ﷺ قـد حـاز الأمـوال كلها: الشق ونطـاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين فلما سمع بهم أهل فـدك (قـرية كـانت لليهـود شمـالى خيبر) قـد صنعوا مـا صنعوا بعثوا إلى رسـول الله يسألـونـه أن يسيرهـم وأن يحقن لهم دمـاءهم ويحلوا لـه الأموال، ففعل. وكـان فيمن مشى بين رسول الله - ﷺ - وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنـى حارثة. قـال: فلما نـزل أهل خيبر على ذلك سـألوا رسـول الله أن يعاملهم فى الأمـوال على النصف، فعـاملهم، وقال لهم: على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فصالحه أهل فدك علـى مثل ذلك. وكانت خيبر فيئـا بين المسلمين،

وكانت فدك خاصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يوجفوا (أى يجتمعوا) عليها بخيل ولا ركاب.

قال أبو عمر:

هذا هو الصحيح فى أرض خيبر أنها كانت عنوة كلها مغلوبا عليها بخلاف فدك وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قسم جميع أرضها (قال ابن سيد الناس إن الحصنين المفتتحين أخيرا وهما الوطيح والسلالم لم يجر لهما ذكر فى القسمة) على الغانمين لها الموجفين بالخيل والركاب، وهم أهل الحديبية. ولم يختلف العلماء فى أن أرض خيبر مقسومة وإنما اختلفوا هل تقسم الأرض إذا غنمت البلاد أو توقف؟ فقال الكوفيون (أصحاب مذهب أبى حنيفة) الإمام مخير بين قسمتها كما فعل رسول الله ﷺ ـ بأرض خيبر وبين إيقافها كما فعل عمر بسواد العراق، وقال الشافعى: تقسم الأرض كلها ـ كما قسم رسول الله ﷺ خيبر لأن الأرض غنيمة كسائر أموال الكفار، وذهب مالك إلى إيقافها اتباعا لعمر، لأن الأرض مخصوصة من سائر الغنيمة بما فعل عمر فى جماعة من الصحابة: فى إيقافها لمن يأتى بعده من المسلمين. وروى مالك عن زيد ابن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر يقول: لولا أن يترك آخر الناى لا شىء لهم ما افتتح المسلمون قرية إلا قسمتها سهمانا كما قسم رسول الله ﷺ خيبر سهمانا، وهذا يدل على أن أرض خيبر قسمت كلهاسهمانا كما قال ابن إسحاق وأما قول من قال إن خيبر كان بعضها صلحا وبعضها عنوة، فقد وهم وغلط، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم، فلما لم يكن أهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية مغنومين ظُن أن ذلك صلح. ولعمرى إنه فى الرجال والنساء والذرية لضرب من الصلح، ولكنهم لم يتركوا أرضهم إلا بالحصار والقتال، فكان حكم أرض ذينك الحصنين كحكم سائر أرض خيبر كلها غنيمة مغلوبا عليها عنوة مقسومة بين أهلها. وربما شبه على من قال إن نصف خيبر صلح ونصفها عنوة بحديث يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار أن رسول الله ﷺ قسم خيبر نصفين: نصفا له، ونصفا للمسلمين. وهذا لو صح لكان معناه أن النصف له مع سائر من وقع فى ذلك النصف معه، لأنها قسمت على ستة وثلاثين سهما، فوقع سهم النبى ﷺ وطائفة معه فى ثمانية عشر سهما منها، ووقع سائر الناس فى باقيها، وكلهم ممن شهد الحديبية ثم شهد خيبر (اعترض ابن سيد الناس على هذه العبارة لابن عبد البر فإن جابر بن عبد الله الأنصارى كان ممن شهد الحديبية ولم يشهد خيبر، وقسم له الرسول، وأيضا فإنه قسم لأهل السفينتين الذين جاءوا من الحبشة ممن لم يشهدوا الحديبية وخيبر، كما قسم للدوسيين والأشعريين الذين قدموا عليه فى هذا الفتح).

وليست الحصون التى أسلمها أهلها بعد الحصار والقتال صلحا، ولو كانت صلحا لملكها أهلها كما يملك أهل الصلح أراضيهم وسائر أموالهم. فالحق فى هذا والصواب ما قاله ابن إسحاق دون ما قاله موسى وغيره عن ابن شهاب. والله أعلم.

(أى أن خيبر فتحت كلها عنوة خلافا لموسى بن عقبة وغيره ممن قالوا بأن بعضها فتح صلحا وبعضها فتح عنوة، وقد أورد ابن سيد الناس آثارا مختلفة تشهد لابن عقبة وأن الوطيح والسلالم فتحا صلحا وفتح بعض الكتيبة عنوة وبعضها صلحا، وحاول ابن سيد الناس أن يوفق بين الرأيين، فقال إن أهل هذه الحصون نقضوا الصلح، فصارت جميعها عنوة، ثم خمسها الرسول وقسمها.

قال أبو عمر:

قسم رسول الله ﷺ خيبر، وأخرج الخمس مما قسم، ولم يقدر أهلها على عمارتها وعملها فأقر اليهود فيها على العمل فى النخل والأرض، وقال لهم: أقركم ما أقركم الله. ثم أذن الله له فى مرضه الذى مات فيه بإخراجهم، فقال: لا يبقين دينان بأرض العرب. وقال عليه الصلاة والسلام: أخرجوا اليهود والنصارى من أرض الحجاز، ولم يكن بقى يومئذ بها مشرك وثنى ـ ولا بأرض اليمن أيضا ـ إلا أسلم فى سنة تسع وسنة عشر. فلما بلغ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى خلافته قوله عليه الصلاة و السلام: أخرجوا اليهود والنصارى من أرض العرب أجلاهم عنها، فأخذ المسلمون سهامهم فى خيبر، فتصرفوا فيها تصرف المالكين.

قال ابن إسحاق: وكان المتولى للقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصارى من بنى سلمة، وزيد بن ثابت من بنى النجار، كانا حاسبين قاسمين. وكانت قسمة خيبر لأهل الحديبية: من حضر الوقيعة بخيبر ومن لم يحضرها، لأن الله أعطاهم ذلك فى سفر الحديبية (إشارة إلى قول الله عز وجل

الذى افتتح به هذه الغزوة: ﴿وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة﴾ ولذلك قال موسى بن عقبة: لم يقسم من خيبر شىء إلا لمن شهد الحديبية، وروى ذلك عن جماعة من السلف.

قال ابن إسحاق: فوقع سهم رسول الله ﷺ وعمر وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى وسهام بنى سلمة وسهام بنى حارثة وبنى ساعدة وبنى النجار وغفار وأسلم وجهينة واللفيف، كلها وقعت فى الشق. ووقع سهم أبى بكر والزبير وسهام بنى بياضة وبنى الحارث بن الخزرج ومزينة بالنطاة، ولذكر سهامهم وأقسامهم موضع غير هذا. وكان عبيد بن أوس من بنى حارثة قد اشترى يومئذ من سهام الناس سهاما كثيرة، فسمى يومئذ عبيد السهام، واشترى عمر ابن الخطاب مائة سهم من سهام المسلمين، فهى صدقته الباقية إلى اليوم.

وأما فدك فلم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فكانت كبنى النضير خالصة لرسول الله ﷺ.

ومن العجب قول من قال إن الكتيبة لم تفتح عنوه وإنها من صدقات النبى عليه الصلاة والسلام إلا أن ينزل سهم النبى عليه الصلاة والسلام فيها مع المؤمنين وإلا فلا وجه لقوله غير هذا. وبالله التوفيق.

وفى غزوة خيبر حرّم رسول الله ﷺ - لحوم الحمر الأهلية، لم تختلف الآثار فى ذلك. واختلف فى حين تحريم المتعة (أى زواج المتعة) بعد إباحتها. وقد ذكرنا الآثار بذلك فى التمهيد. وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم إلى رسول الله ﷺ الشاة المصلية وسمت له منها الذراع وكان أحب اللحم إليه ﷺ. فلما تناول الذراع ولاكها لفظها ورمى بها، وقال: إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم. ودعا باليهودية فقال: ما حملك على هذا؟ فقالت: أردت أن أعلم إن كنت نبيا، وعلمت أن الله إن أراد بقاءك أعلمك. فلم يقتلها رسول الله ﷺ وأكل من الشاة معه بشر بن البراء بن معرور، فمات من أكلته تلك.

وكان المسلمون يوم خيبر ألفا وأربعمائة راجل ومائتى فارس.

تسمية من استشهد من المسلمين يوم خيبر

ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدى من بنى غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة، وثقف بن عمرو، ورفاعة بن مسروح. وكلهم من بنى أسد، حلفاء لبنى عبد شمس. ومسعود بن ربيعة القارى، من القارة، حليف لبنى زهرة.

وعبد الله بن الهُبيب، ويقال ابن أُهيب الليثى حليف لبنى أسد بن عبد العزى بن قصى وابن أختهم.

وبشر بن البراء بن معرور من بنى سلمة مات من أكله مع رسول الله - ﷺ - الشاه المسمومة، وفضيل بن النعمان من بنى سلمة أيضا ومسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزرقى.

ومحمود بن مسلمة بن خالد أخو محمد بن مسلمة من الأوس حليف لبنى عبد الأشهل.

وأبو ضياح ثابت بن ثابت بن النعمان من بنى عمرو بن عوف من أهل قباء، ومبشر بن عبد المنذر بن دينار من بنى مالك بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب، وأوس بن قتادة، وعروة بن مرة بن سراقة، وأوس بن الفاكه، وأنيف بن حبيب، وثابت بن واثلة بن طلحة، والأسود الراعى واسمه أسلم وكل هولاء من بنى عمرو بن عوف.

ومن بنى غفار: عمارة بن عقبة بن حارثة أصابه سهم فقتله.

ومن أسلم: عامر بن الأكوع (عدَّ ابن عبد البر منهم فى الاستيعاب ص ٣٨: أوس بن عابد) (الدرر / ١٩٦ - ٢٠٥).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٣، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤٠٩ - ٤١١، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقى ضيف / ١٩٦ - ٢٠٥، وديوان الإمام على - جمع وترتيب عبد العزيز كرم / ٥٣. انظر أيضا الفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٧٥ - ٧٧، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقى - للإمام العلامة الشيخ عبد الرزاق المناوى - قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ١٩٨ - ٢٠٠، وخريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردى / ٢٢١ - ٢٤٢، ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ١٣٨، ١٣٩، ومن كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة - أعدته للطبع مديرية إحياء التراث العربى. دمشق ١٩٧٧ / ٢٤١، والمنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية م ١ / ٢٧٧ - ٢٨٧، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليه وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ٢١٦ - ٢٣٢).

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «بزاخة (موقعة ـ) في م ٧ / ٧٣.

* **ابن أبي خيثمة (١٨٥-٢٧٩ هـ / ٨٠١-٨٩٢ م):**

أحمد بن زهير (أبي خيثمة) بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي، أبو بكر: مؤرخ، من حفاظ الحديث. كان ثقة راوية للأدب، بصيرا بأيام الناس (الأعلام ١ / ١٢٨) سمع يحيى ابن معين وأحمد بن حنبل، ومصعب بن عبد الله الزبيري (التاريخ والجغرافية / ٩٤، ٩٥) له مذهب. ونسب إلى القول بالقدر. أصله من «نسا» بفتح النون والسين المخففة ـ ومولده ووفاته ببغداد، من تصنيفه «التاريخ الكبير» مخطوط كما في تذكرة النوادر، ومنه الجزء الخمسون، مخروم الآخر، في المحمودية بالمدينة (٢٦ أصول الحديث) قال الزركلي: ورأيت كراسا منه مكتوبا على الرق، هو الكراس الثاني من الجزء الثامن، وفيه تراجم بعض الكوفيين، في خزانة الرباط، «الرقم ٢٦٧١ كتاني» وبلغني أن منه مجلدا في خزانة القرويين بفاس. قال الدارقطني: لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه (الأعلام ١ / ١٢٨) وتاريخه هذا على طريقة المحدثين أحسن فيه وأجاد (التاريخ والجغرافية / ٥٩).

قالت المؤلفة: كتاب التاريخ الكبير المذكور أعلاه أوردنا نبذة قصيرة عنه تحت عنوان «التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة» في ٨ / ٣٨٣. ونضيف هنا أنه يوجد مخطوطه بالمجمع العلمي العراقي، وقد قال واضع الفهرس الأستاذ ميخائيل عواد عنه في هامش (١) ما يلي:

قال الخطيب البغدادي («تاريخ بغداد» ٤ : ١٦٣): «... وله كتاب التاريخ الذي أحسن تصنيفه وأكثر فائدته ...، قلت: ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي صنفه ابن أبي خيثمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه، فسمعه الشيوخ الأكابر، كأبي القاسم البغوي ونحوه. وأخبرنا محمد بن أحمد ابن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، حدثني أبو أحمد الحافظ. قال: استعار أبو العباس ـ يعني محمد بن إسحاق السراج ـ من أبي بكر بن أبي خيثمة شيئا من التاريخ. فقال: يا أبا العباس على يمين أن لا أحدث بهذا الكتاب إلا على الوجه، فقال أبو العباس: وعلى عزيمة أن لا أكتب إلا ما أستفيد، فرده عليه، ولم يحدث في تاريخه عنه بحرف ...».

ونقل: ياقوت الحموي («معجم الأدباء» ١ : ١٢٨ ـ ١٢٩)، والصفدي («الوافي بالوفيات» ٦ : ٣٧٦، الرقم ٢٨٧٩) بعض فقرات من كلام الخطيب.

وذكره الحاج خليفة («كشف الظنون» ١ ٠ : ٢٧٦)، بقوله «تاريخ ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد بن زهير النسائي ثم البغدادي الحافظ، المتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين، وهو على طريقة المحدثين. أحسن فيه وأجاد».

وذكر بعضهم أنه لم يتمه.

و «التاريخ الكبير» هذا، لم يطبع ا هـ.

أما بيان المخطوط نفسه فقد جاء في الفهرس كما يلي:

التاريخ الكبير.

المؤلف: ابن أبي خيثمة

(السفر الثالث: في قسمين).

(القسم الأول: ق: ١ ـ ١٠٤).

أوله:

آخره:

لم أصح قراءة أوله وآخره.

(١٨ / تاريخ).

التاريخ الكبير.

المؤلف: ابن أبي خيثمة.

(السفر الثالث ـ القسم الثاني: ق: ١٠٥ ـ ٢٠٦).

أوله: (تتمة الكلام في آخر القسم الأول) ويبدأ: «عن طلحة عن عبد الرحمن بن أزهر...».

ثم يلي ذلك، الكلام على (محمد بن جبير بن مطعم).

آخره: «... السفر الثالث ... بحمد الله وحسن عونه ... في أول السفر الرابع منه ... في السادس عشر من شهر جمادي الآخرة سنة عشر و... [؟] والحمد لله ... وصلوات على محمد وسلامه كثيرا».

القسمان: الأول والثاني (= ٢٠٦ ق، ٢٥ س) مصوران بالفتغراف عن نسخة خطية في خزانة كتب جامعة القرويين

بفاس، بخط مغربى وعر. وقد عبثت الأرضة بالنسخة بفظاعة، فزالت معالم كثير من الأسطر والكلمات.

(١٩ / تاريخ).

(فى نشرة («أخبار التراث العربى» ـ القاهرة ١٥ / ٥ / ١٩٧٣) أن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، صور قطعة من تاريخ ابن أبى خيثمة، بخط أندلسى قديم، على رق الغزال، فى ١٠ ق، محفوظة فى الخزانة العامة بالرباط، برقم ٢٦٧١ ك.

وذكر: عمر رضا كحالة فى بحثه «المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة»: («مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق» ٤٩ [نيسان ١٩٧٤] ص ٣٨٢ أن فى «المكتبة المحمودية» «كتاب التاريخ لأبى بكر أحمد بن زهير...، الجزء الخمسون وهو الثالث من الشاميين وغيرهم ـ مخروم الآخر ـ عدد صفحاته ٢٣٠ ـ قديم النسخ (٢٦ أصول الحديث)».

وراجع بشأنه: «تذكرة النوادر» ص ٧٩).

وفى سنة وفاة ابن أبى خيثمة خلاف. فى «لسان الميزان»: سنة ٢٩٩ هـ، وفى «المنتظم» (٦: ١١٣) و «التبيان» (مخطوط): سنة: ٢٩٦ هـ (مخطوطات المجمع العلمى العراقى / ٢٤٨، ٢٤٩).

وقد ذكره الإمام الكتانى فى الكتب المؤلفة فى تواريخ الرجال وأحوالهم وقال عنه: وهو كبير أحسن فيه وأجاد فى ثلاثين مجلدا صغارا واثنى عشر كبارا ذكر فيه الثقاة والضعفاء وقال: قال الخطيب: لا أعرف أغزر فوائد منه (الرسالة المستطرفة / ٩٧).

(الأعلام للزركلى ١ / ١٢٨، والتاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ٩٤، ٩٥، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد، ١ / ٢٤٨، ٢٤٩، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٩٧).

*** أبو خيثمة (١٦٠-٢٣٤ هـ / ٧٧٧-٨٤٩ م):**

زهير بن حرب بن شداد النسائى البغدادى، أبو خيثمة، محدث بغداد فى عصره. أصله من «نسا» وشهرته ببغداد قال الخطيب البغدادى: «كان اسم جده أشتال، فعرب وجعل شداد». له كتاب «العلم» مطبوع أكثر الإمام مسلم من الرواية عنه (الأعلام ٣ / ٥١).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى أصحاب الكتب المفردة فى الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب... إلخ وقال عنه: و «العلم» لأبى خيثمة زهير بن حرب بن شداد الحربى النسائى البغدادى نزيلها الحافظ المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين، روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث (الرسالة المستطرفة / ٤٢).

(الأعلام للزركلى ٣ / ٥١، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٤٢).

*** أبو خيثمة الأنصارى السالمى:**

قال عنه ابن عبد البر:

أبو خيثمة الأنصارى السالمى. اسمه عبد الله بن خيثمة. وقيل مالك بن قيس، أحد بنى سالم، من الخزرج. شهد أحدا مع النبى ﷺ، وبقى إلى أيام يزيد بن معاوية، ولا أعلم فى الصحابة من يكنى أبا خيثمة غيره إلا عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى والد خيثمة بن عبد الرحمن صاحب ابن مسعود، فإنه يكنى أبا خيثمة بابنه خيثمة.

ومن خبر أبى خيثمة هذا ما ذكره ابن إسحاق فى غزوة تبوك قال: ثم إن أبا خيثمة بعد أن سار رسول الله ﷺ أياما دخل على أهله فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبَرّدت له فيه ماء، وهيأت له طعاما، فلما نظر أبو خيثمة إلى ذلك قال: رسول الله ﷺ فى الضح والريح والحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام وامرأة حسناء، مقيم فى ماله؛ ما هذا بالنَّصَف، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق النبى ﷺ؛ فهيئا لى زادا. ففعلتا. ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك. وقد كان عمير بن وهب الجمحى أدرك أبا خيثمة فى الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لى ذنبا؛ فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك؛ فقال الناس: هذا راكب فى الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة. فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أولى لك يا أبا خيثمة. ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فدعا له رسول الله ﷺ، وقال له خيرا.

وذكر الواقدى قال: قال هلال بن أمية الواقفى ـ حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ـ كان أبو خيثمة تخلف معنا، وكان يسمى عبد الله بن خيثمة.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤/ ١٦٤١ ـ ١٦٤٣).

*** الخير:**

قال التهانوى:

الخير بالفتح وسكون الياء المثناة التحتانية فى اللغة وضده الشر قيل الحكماء ربما يطلقون الخير على الوجود والشر على العدم وربما يطلقون الخير على حصول كمال الشىء والشر على عدم حصوله. قالوا: الوجود خير محض والعدم شر محض فإن أرادوا بالخير فى هذا القول الوجود يكون معنى ذلك الوجود وجود محض فيخلو عن الفائدة، وإن أرادوا به حصول الكمال فلا يشتمل لوجود الواجب لقيامه بذاته سواء أريد بالكمال صفة تناسب ما حصل له ويليق به أو صفة كمال مقابلة لصفة نقصان فظهر أن قولهم المذكور ليس بصحيح على الإطلاق وقيل لم يريدوا بذلك تصوير معنى الخير والشر كما حسب هذا القائل فقال ما قال فإن معناهما معلوم لجمهور الناس بداهة يوصفون بكل منهما أشياء مخصوصة ويسلبونهما عن أشياء أخر ولكنهم لا يفرقون ما بالذات وما بالعرض ويطلقون الخير على كل منهما وكذا الشر. والقوم ذهبوا إلى أن ما يطلقون عليه الخير قسمان: خير بالذات وخير بالعرض وكذا الشر فإن القتل مثلا إذا تأملنا فيه وجدناه شرا باعتبار ما يتضمنه من العدم فإنه ليس شرا من حيث إن القاتل كان قادرا عليه ولا من حيث إن الآلة كانت قاطعة ولا من حيث إن العضو المقطوع كان قابلا للقطع بل من حيث إنه أزال الحياة وهو قيد عدمى وباقى القيود الوجودية خيرات نعم التجاؤهم فى هذه المقدمة بأنها ضرورية غير صحيح والظاهر أنها إقناعية وأن الأمثلة التى ذكروها فى هذا المقام توقع بها ظنا هكذا يستفاد من شرح التجريد وحواشيه.

والأحسن ما قال بعض الصوفية إن الوجود خير محض وبالذات لكونه مستندا إلى العزيز الحكيم والعدم شر محض وبالذات لعدم استناده إليه وقد سبق فى لفظ الجمال زيادة تحقيق لهذا فى فصل اللام من باب الجيم فإنك إذا قابلت المنافع بالمضار تجد المنافع أكثر وإذا قابلت الشر بالخير تجد الخير أكثر وكيف لا لأن المؤمن يقابله الكافر ولكن المؤمن قد يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه شر أصلا من أول عمره إلى آخره كالأنبياء والأولياء والكافر لا يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه خير أصلا غاية ما فى الباب أن الكفر يحبطه ولا ينفعه ويستحيل نظرا إلى العادة أن يوجد كافر لا يسقى العطشان شربة ماء ولا يطعم الجائع لقمة خبز ولا يذكر ربه فى عمره وكيف لا وهو فى زمان صباه كان مخلوقا على الفطرة المقتضية للخيرات فخلق الخير الغالب كما أن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل لا يناسب الحكمة.

ألا ترى أنه التاجر إذا طلب منه درهم بدينار فلو امتنع ويقول فى هذا شر وهو زوال الدرهم عن ملكى فيقال له لكن فى مقابلته خير كثير وهو حصول الدينار فى ملكك وكذلك الإنسان لو ترك الحركة اليسيرة لما فيها من المشقة مع علمه أنها تحصل له راحة مستمرة ينصب إلى مخالفة الحكمة فإذا نظر إلى الحكمة كان وقوع الخير المشوب بالشر القليل من اللطيف فخلق الله العالم الذى فيه الشر لذلك وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ فقال الله تعالى فى جوابهم ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ٣٠] أى إنى أعلم أن هذا القسم يناسب الحكمة لأن الخير فيه كثير وبيّن لهم خيره بالتعليم كما قال ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [البقرة: ٣١] يعنى أيها الملائكة خلق الشر المحض والشر الغالب والشر المساوى لا يناسب الحكمة وأما خلق الخير الكثير فمناسب، فقولهم ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ إشارة إلى الشر وأجابهم الله بما فيه من الخير بقوله: ﴿**وعلم آدم الأسماء**﴾ فإن قال قائل فالله قادر على تخليص هذا القسم من الشر بحدث لا يوجد فيه شر فيقال له ما قال الله تعالى ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [السجدة: ١٣] يعنى لو شئنا خلصنا الخير من الشر لكن حينئذ لا يكون خلق الخير الغالب وهو قسم معقول فهل كان تركه للشر القليل وهو لا يناسب الحكمة وإن كان لا لذلك فلا

مانع من خلقه فيخلقه لما فيه من الخير الكثير هذا خلاصة ما فى التفسير الكبير فى تفسير قوله ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ فى سورة آلم السجدة.

وفى شرح المواقف فى خاتمة مقصد أنه تعالى مريد لجميع الكائنات أن الحكماء قالوا الموجود إما خير محض لا شر فيه أصلا كالعقول والأفلاك وإما الخير غالب فيه كما فى هذا العالم الواقع تحت كرة القمر فإن المرض مثلا وإن كان كثيرا فالصحة أكثر منه وكذلك الألم كثير واللذة أكثر منه فالموجود عندهم منحصر فى هذين القسمين وأما ما يكون شرا محضا أو كان الشر فيه غالبا أو مساويا فليس شىء منها موجودا فالخير فى هذا العالم واقع بالقصد الأول داخل فى القضاء دخولا أصليا ذاتيا والشر واقع بالضرورة داخل فى القضاء دخولا بالتبع والعرض وإنما التزم فى هذا العالم فعل ما غلب خيره لأن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير فليس من الحكمة، كما أنه ليس من الحكمة إيجاد الشر المحض أو الكثير أو المساوى فلا يعد من الحكمة ترك المطر الذى به حياة العالم لئلا تنهدم به دور معدودة ألا ترى أنه إذا لدغ أصبع إنسان وعلم أن حياته فى قطعها فإنه يأمر بقطعها ويريده طبعا لإرادة سلامته من الهلاك فسلامة البدن خير كثير يستلزم شرا قليلا فلا بد للعقل أن يختاره وإذا احترز عنه حتى هلك لم يعد عاقلا فضلا عن أن يعد حكيما فاعلا لما يفعله على ما ينبغى انتهى (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤١٧ ـ٤١٩).

وقال الراغب الأصفهانى فى مادة «خير»: الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشىء النافع، وضده الشر، قيل والخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد كما وصف عليه السلام به الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة» وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر كالمال الذى ربما يكون خيرا لزيد وشرا لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال فى موضع ﴿**إن ترك خيرا**﴾ [البقرة: ١٨٠] وقال فى موضع آخر ﴿**أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات**﴾ [المؤمنون: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿**إن ترك خيرا**﴾ [البقرة: ١٨٠] أى مالا. وقال بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيب كما روى أن عليا رضى الله عنه دخل على مولى له فقال: ألا أوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: ﴿**إن ترك خيرا**﴾ وليس لك مال كثير وعلى هذا قوله: ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾ [العاديات: ٨] أى المال الكثير. وقال بعض العلماء: إنما سمى المال هاهنا خيرا تنبيها على معنى لطيف وهو أن الذى يحسن الوصية به ما كان مجموعا من المال من وجه محمود وعلى هذا قوله: ﴿**قل ما أنفقتم من خير فللوالدين**﴾ وقال: ﴿**وما تنفقوا من خير يعلمه الله**﴾ وقوله: ﴿**فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**﴾ قيل عنى به مالا من جهتهم، وقيل إن علمتم أن عتقهم يعود عليكم وعليهم بنفع أى ثواب. والخير والشر يقالان على وجهين، أحدهما: أن يكونا اسمين كما تقدم وهو قوله: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**﴾ والثانى: أن يكونا وصفين وتقديرهما تقدير أفعل منه أو هذا خير من ذاك وأفضل وقوله: ﴿**نأت بخير منها**﴾ وقوله: ﴿**وأن تصوموا خير لكم**﴾ فخير هاهنا يصح أن يكون اسما وأن يكون بمعنى أفعل ومنه قوله تعالى: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ تقديره تقدير. أفعل منه. فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير**﴾ وقوله: ﴿**فيهن خَيْرَاتٌ حسان**﴾ قيل أصله خيِّرات فخفف، فالخيرات من النساء الخَيِّرات، يقال رجل خيْر وامرأة خيْرة وهذا خير الرجال وهذه خيرْة النساء، والمراد بذلك المختارات أى فيهن مختارات لا رذل فيهن. والخير الفاضل المختص بالخير، يقال ناقة خيار وجمل خيار، واستخار الله العبد فخار له أى طلب منه الخير فأولاه، وخايرت فلانا كذا فخرته، والخيرة الحالة التى تحصل للمستخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس. والاختيار طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرا وإن لم يكن خيرا، وقوله: ﴿**ولقد اخترناهم على علم على العالمين**﴾ [الدخان: ٣٢] يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيرا، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار فى عرف المتكلمين يقال لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه، فقولهم هو مختار فى كذا، فليس يريدون به ما يراد بقولهم فلان له اختيار فإن الاختيار أخذ ما يراه خيرا،

والمختار قد يقال للفاعل والمفعول (المفردات / ١٦٠، ١٦١).

ويحدد الإمام ابن الجوزى أوجه ورود «خير» فى القرآن الكريم باثنين وعشرين وجها فيقول:

الخير: اسم لكل ممدوح، والخير: الكرم.

والاستخارة: أن تسأل خير الأمرين.

والخير فى القرآن على اثنين وعشرين وجها:

أحدها: الإيمان، ومنه فى الأنفال ﴿ولو علم الله فيهم خيرا﴾ [٢٣] وفيها ﴿إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا﴾ [٧٠]، وفى هود ﴿لن يؤتيهم الله خيرا﴾ [٣١].

والثانى: الإسلام، ومنه فى نون [القلم] ﴿مناع للخير﴾ [١٢] نزلت فى الوليد بن المغيرة منع ابنى أخيه من الإسلام.

والثالث: المال، ومنه فى البقرة ﴿إن ترك خيرا﴾ [١٨٠]، وفيها ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ [٢١٥].

والرابع: العافية، ومنه فى الأنعام ﴿وإن يمسسك بخير﴾ [١٧]، وفى يونس ﴿وإن يردك بخير﴾ [١٠٧].

والخامس: الأجر، ومنه فى الحج ﴿لكم فيها خير﴾ [٣٦].

والسادس: الأفضل، ومنه ﴿وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١٠٩، ١١٨] ومثله ﴿خير الرازقين﴾ [المؤمنون: ٧٢] و [سبأ: ٣٩] و ﴿خير الحاكمين﴾ [الأعراف: ٨٧] و [يونس: ١٠٨] و [يوسف: ٨٠]

والسابع: الطعام، ومنه فى القصص ﴿من خير فقير﴾ [٢٤]

والثامن: الظفر ومنه فى الأحزاب ﴿لم ينالوا خيرا﴾ [٢٥].

والتاسع: الخيل، ومنه فى ص ﴿أحببت حب الخير﴾ [٣٢].

والعاشر: القرآن، ومنه فى البقرة ﴿من خير من ربكم﴾ [١٠٥].

والحادى عشر: الأنفع، ومنه ﴿نأت بخير منها﴾ [البقرة: ١٠٦].

والثانى عشر: رخص الأسعار، ومنه فى هود ﴿إنى أراكم بخير﴾ [٨٤].

والثالث عشر: الصلاح، ومنه فى النور ﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾ [٣٣].

والرابع عشر: القوة، ومنه فى الدخان ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ [٣٧]

والخامس عشر: الدنيا، ومنه فى العاديات ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [٨].

والسادس عشر: الإصلاح، ومنه فى آل عمران ﴿يدعون إلى الخير﴾ [١٠٤]

والسابع عشر: الولد الصالح، ومنه فى النساء ﴿ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [١٩]

والثامن عشر: العفة، ومنه فى النور ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ [١٢].

والتاسع عشر: حسن الأدب، ومنه فى الحجرات ﴿لكان خيرا لهم﴾ [٥]

والعشرون: النوافل، ومنه فى الأنبياء ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ [٧٣]

والحادى والعشرون: النافع، ومنه فى الأعراف ﴿لاستكثرت من الخير﴾ [١٨٨]

والثانى والعشروين: الخير المضاد للشر، ومنه فى آل عمران ﴿بيدك الخير﴾ [٢٦].

(منتخب قرة العيون النواظر / ١٠٨ ـ ١١١).

وعن كثرة طرق الخير يقول الإمام النووى:

قال الله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ [الزلزلة: ٧].

روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كل سُلاَمَىْ من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة. وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار

وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسـول ﷺ قـال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكـر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتـان يـركعهمـا مـن الضحى (السـلامى المفصل). وروى مسلم عن أبى ذر أيضـا قـال قـال لى النبى ﷺ لا تحقـرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» والأحاديث فى ذلك كثيرة» (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٣٠٤، ٣٠٥).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهـانوى ١ / ٤١٧ - ٤١٩، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى - تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٦٠، ١٦١، ومنتخب قرة العيـون النواظر فى الوجوه والنظـائر فى القرآن الكريم لـلإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيـد الصفطاوى، ود. فـؤاد عبـد المنعم أحمـد / ١٠٨ ـ ١١١، ومختصـر كتـاب ريـاض الصـالحين للإمـام يحيى بن شرف الـدين النووى ـ اختصره ورتبـه الشيخ النبهـانى / ٣٠٤، ٣٠٥. انظر أيضـا تهذيـب الأسماء واللغـات للإمـام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٠).

*** الخيّر:**

الخيـر فى اللغـة خـلاف الشـريـر. وقـد أطلق فى عصـر المـمـاليك علـى أهل الـدين والصـلاح. وكـان يستعمل فى الغـالـب مضـافـا إلى يـاء النسبـة فيقال «الخيـرى» للمبـالغـة (التعريف / ١٢٥). وكثيرا ما كان فى صيغة الجمع «الأخيار» فى وصف أهل بيت النبى ﷺ ومن أمثلـة استعمـالـه فى النقـوش وروده على كسـوة للكعبة بمكـة بتـاريخ سنة ١٩٩ هـ، وفى نص جنائزى بتـاريخ سنة ٢٤٤ هـ من مصـر، وعلى قطعة من النسيج خاصة بالمطيع بتاريخ سنة ٣٤٥ هـ من مصر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٥ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ١٣، والألقـاب الإسلاميـة - د. حسن البـاشا / ٢٨١).

*** ابن خير (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ ١١٠٩ - ١١٧٩م):**

محمـد بن خيـر بن عمـر بن خليفـة اللمتـونى الأمـوى الإشبيلى، أبـو بكر، مقـرئ، من حفـاظ الحديث، لغـوى، أديب، من أهل إشبيليـة، يقـال لـه «الأمـوى» بفتح الهـمـزة والميم، نسبة إلى «أمـة» وهى جبل بالمغـرب بقى من تصنيفه «فهرسـة ما رواه عن شيوخه» مطبـوع. قال ابن ناصـر الدين: بيعت كتبـه لصحتهـا بأغلى الأثمـان، ولم يكن لـه نظيـر فى الإتقـان. ووصف الكتـانى (فى فهرس الفهـارس) نسخـة من صحيح مسلم، لا تزال محفـوظة بفاس، كـانت من كتب ابن خير، وقد كتب على هامشها كثيرا من الفوائد فى شرح الغريب من ألفاظه، وتفسير بعض معانيه (الأعلام ٦ / ١١٩).

ولد ابن خيـر فى مدينة إشبيليـة عام ٥٠٢ هـ، وتوفى فى قرطبة عام ٥٧٥ هـ، وذلك فى شهر ربيع الأول. وكان قد دفن فى قرطبة ثم جرى نقل جثمانه إلى إشبيلية.

ولا نعرف عن حياته سوى القليل مما نستقيه من ابن الأبار (صـاحب كتاب «الحلـة السيـراء») والضبى (صاحب كتـاب «بغيـة الملتمس فى تـاريخ رجـال الأنـدلس»)، والـذهبى (صاحب كتاب «تذكرة الحفاظ»).

وقد أحب العلم منذ صباه، وتتلمذ خاصة على العالم أبى الحسن شـريح بن محمـد بن شـريح، وتوثقت بينهمـا عُـرى صداقة حميمة دامت حتى وفاة الأستاذ عام ٥٣٩ هـ.

ويظهـر أنـه بـدأ طلبـه العلم منـذ عـام ٥١٨ أو ٥٢٠ فى إشبيلية. ومن المرجح أنه لم يغادر مدينة مولده قبل عام ٥٢٧ هـ. ويشيـر المؤلف نفسه فى كتابـه إلى إقامته زمنا فى مـدينة قرطبـة عام ٥٢٩ هـ، وفى مـدينتى ألمرية وطـريف عام ٥٤٠ هـ. وبعد رجوعه عام ٥٣٥ هـ إلى إشبيلية عاد من جديد إلى الأخذ عن أستاذه أبى الحسن شريح ... ثم استمع عامى ٥٦٣ هـ و٥٦٤ هـ فى مدينـة مـورور إلى المعلم أبى إسحـاق بن إبراهيم بن خلف.

ومن المرجح أن ابن خير تجول فى معظم مدن الأندلس، لأنه هو نفسـه يذكر أساتذة من مختلف المدن الأنـدلسية قرأ عليهم بعض الكتب.

ولما اعتراه المرض فى بدء العام السبعين من عمره، عرض عليه حاكم قرطبة إمامـة المسجد الكبير فقبل، وكان يتقاضى عن ذلك مـرتبا إلى يـوم وفاته، أى يـوم الأربعاء فى الـرابع من ربيع الأول عام ٥٧٥ هـ.

لقـد قضى ابن خيـر حيـاتـه كلها إذن ـ مـاخـلا السنتين الأخيرتين - فى طلب العلم، فتتلمذ لأساتذة عديدين، وروى عنهم عـددا مـن الكتب يفـوق التصـديـق، وهكـذا ألف «الفهرسة». ويظهر من هذا الكتاب أن ابن خير كان قد قرأ أو سمع قراءة أو أجيـز له ما ينوف على ١٠٤٥ كتـابا. فليس من العجب أن يقول عنه ابن الأبار إنه فاق الجميع فى قراءة الشعر وشرح السير.

كـان ابن خير رفيع الأخـلاق، فلم يعرفه أحـد إلا مدحـه (فهرسة ابن خير / ى، ك).

وقد وصفه معاصروه فقـالوا: فقيه محدث من أهل الإتقان وجودة الضبط مقرئ مجود» (الضبى: بغية الملتمس / ٦٥).

ووصفه ابن العماد (شذرات الذهبى ٢ / ٢٥٢) فقال: المقرئ والحافظ: فاق الأقـران فى ضبط القراءات. سمع الكثير من أبى مروان الباجى (المشهور باسم «صاحب الصلاة» ت ٥٧٨

هـ/ ١١٨٢ م) وابن العربى (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ/ ١١٦٤ ـ ١٢٤٠ م) وحلّق وبرع فى الحديث، واشتهر بالإتقان، وسعة المعرفة بالعربية (تطور علم التاريخ / ٢٠٣).

(الأعلام للزركلى ٦ / ١١٩، وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير ـ وقف على تحقيقه وطبع طبعته الأولى الشيخ فرنشسكه قداره زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوه / ى، ك، وتطور علم التاريخ الإسلامى ـ أ. د. أحمد رمضان أحمد / ٢٠٣).

ونفرد مادة خاصة لفهرسة ابن خير فى حرف الفاء إن شاء الله تعالى.

*** خير الأثر فى أحوال الأئمة الاثنى عشر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السير والمناقب.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١٠٣١٠.

لم يعلم اسم المؤلف.

الأول ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾ وأرسل أفضل المرسلين إمام المتقين محمد [محمدا] مبشرا ونذيرا ...).

وهو كتاب فى مناقب الأئمة الاثنى عشر رتبه المؤلف فى اثنى عشر بابا لكل إمام باب.

نسخة جيدة حديثة الخط فى أولها فائدة عن المؤلف والكتاب كتبها محمد مهدى الموسوى الأصفهانى الكاظمى سنة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م نصها «قد لاحظت هذا الكتاب المسمى بخير الأثر فى أحوال الأئمة الاثنى عشر ومؤلفه من علماء العامة وعصره متأخر عن عصر الشهاب الآلوسى البغدادى صاحب التفسير المشهور لأنه يذكر شبه فى ص ٧٣ من كتابه هذا».

القياس ٩٤ص ٢٠ × ١٢,٥ سم ٢٢ س.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٩، ١٧٠).

*** أبو الخير الأقطع التيناتى:**

أوردناه تحت عنوان «التيناتى» فى م ١١/ ٢٤٦ فانظره فى موضعه.

*** خير الأنبياء:**

من آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى قوله فى رسول الله ﷺ:

إذا أملت من مولاك قربا
فجدد ذكر خير الأنبياء
وصل عليه أول كل قول
وآخره بصبح والمساء
فإن محمداً أعلى البرايا
محلا فى السيادة والعلاء
لواء الحمد فى يمنى يديه
وكل الناس من دون اللواء
فحدث عن دلائله ففيها
شفاء للنهى من كل داء
ولست بناقل للعشر منها
وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا
محال ليس يحصر بانتهاء
براهين البسيطة ليس تحصى
فدونكم براهين السماء

(آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى ـ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ١٥٤).

*** الخير الباقى فى جواز الوضوء من الفساقى:**

رسالة لزين الدين بن نجيم المصرى الحنفى المتوفى ٩٦٠ ستين وتسعمائة [٩٧٠] أولها الحمد لله الذى أنزل من السماء ماء طهورا ... إلخ.

(كشف ١ / ٧٢٧).

وهى إحدى الرسائل الزينية، ونوردها بتمامها فى موضعها فى حرف الزاى إن شاء الله تعالى يوجد مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية السليمانية وجاء بيانه كما يلى:

الخير الباقى فى جواز الوضوء من الفساقى (رسالة)

مؤلفه: زين الدين إبراهيم بن محمد بن محمد المصرى الحنفى الشهير بابن نجيم المتوفى ٩٧٠ هـ.

أوله: (الحمد لله الذى أنزل من السماء ماء طهورا بفضله وجعله مزيلا للأحداث والأخباث بطبعه ... إلخ).

آخره: (من أهمل ما ذكرناه حار فى الخطأ والغلط هذا ما يسر الله تعالى جمعه فى أقل من نصف يوم على يد مؤلفها المرحوم الشيخ زين بن نجيم الحنفى من أواسط شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وتسعماية وكان ذلك بالخانقاه الشيخونية والحمد لله وحده).

ناسخه: فتحى بن الحاج محمد سعيد سنة ١١٩٩ هـ.

خط نسخى: جميل ورقه مصقول.

و: ٦

م: ٢٢ × ١٥

س: ٢٣ ت/ ٣١٠ ـ ٣١١

(فهرس الأوقاف ١/ ٣٣٣).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٧، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد ١ / ٣٣٣).

*** خير البشر بخير البشر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ والسير.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر الصقلى، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ.

(بروكلمان ١ / ٣٥٢ وملحق ١ / ٥٩٥).

أوله: «الحمد لله مولى أولى الرفعة والتمكين ... ومرسل محمد ﷺ بخير الملل على حين فترة من الرسل ...».

وآخره: «قال الشيخ رضى الله عنه: وقد انتهيت فى كتابى هذا إلى حده والحمد لله حق حمده ...».

نسخة كتبت بخط نسخى، خط قديم، فى ٤٢ ورقة، ومسطرتها ١٩ سطرا.

[دار الكتب ١٥ مجاميع م]　　UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ-١٩٧٠ م/ ١٦٤).

*** خير بك (مسجد ـ):**

انظر مادة «خاير بك (مسجد ـ)» فى م ١٥ / ٢٩١ - ٢٩٣.

*** أبو الخير الجونپورى (ـ ١١٩٨هـ):**

عربى من ذرية عمر بن الخطاب، من علماء العرب فى الهند.

وهو الشيخ العالم الفقيه أبو الخير بن القاضى ثناء الله العمرى الجونپورى أحد العلماء الصالحين.

ولد ونشأ ببلدة «جونپور» ودرس العلم وسافر إلى بلاد شتى، وأخذ عن غير واحد من العلماء، ثم تصدى للتدريس والإفادة، وكان زاهدا قنوعا شديد التعبد كثير الاشتغال بالتدريس والإفادة، أراد الحاكم العام فى الهند أن يوليه الإفتاء فلم يجبه.

له مصنفات عديدة: حاشية على «شرح العقائد» للتفتازانى وحاشية على «شرح العقائد» للدوانى.

مات سنة ثمان وتسعين ومائة وألف ببلدة جونپور ودفن بها.

(علماء العرب فى شبه القاره الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٥٩).

*** ابن خير الدين:**

من شيوخ المعظمية وهو القاضى شمس الدين أبو اللطف محمد بن محمد بن خليل القدسى، الحنفى، المعروف بابن خير الدين:

ذكر مجير الدين الحنبلى، وكان معاصرا لابن خير الدين أن ابن خير الدين درس بالمدرسة المعظمية «نيابة بعد أن كان له الوظيفة استقلالا، فإنه كان بيده حصة منها قدرها الخمسان تلقاها عن والده». وأضاف مجير الدين أن ابن خير الدين «باشرها ـ المعظمية ـ مدة فى زمن الشيخ تاج الدين الديرى بمشاركته له فيها». ولكن ابن خير الدين تنازل عن حصته بها للقاضى فخر الدين الخزرجى، ثم نزل عنها القاضى فخر الدين للشيخ تاج الدين الديرى «فكملت الوظيفة» كما يقول مجير الدين الحنبلى (الأنس الجليل ٢ / ٢٤٢).

وكان ابن خير الدين قد نشأ فى بيت المقدس، وتلقى تعليمه فيه، فحفظ كتاب «كنز الدقائق»، وكتاب «منار الأنوار»، وغيرهما (الضوء اللامع٩ / ٨٢)، ذكر السخاوى أن ابن خير الدين سمع معه ومع غيره، فى بيت المقدس (الضوء اللامع ٩ / ٨٢).

ولم يقتصر ابن خير الدين على الاشتغال بالتدريس، فقد اشتغل بالقضاء فى بين المقدس أيضا (الضوء اللامع ٩ / ٨٢).

وقد درَّس بالمعظمية بعد زين الدين الكركى، وقد تقدم أنه استنيب للتدريس فيها، وابتدأ التدريس فيها سنة ٨٩٧ هـ، بعد وفاة سلفه زين الدين الكركى، الآنف الذكر (الأنس الجليل ٢ / ٢٤٢).

ولا شك أنه درَّس الفقه وأصوله، فقد كان معنيا بهما فى دراسته. ولعله درَّس كتاب «كنز الدقائق» فى أصول الفقه الحنفى، وكتاب «منار الأنوار» فى أصول الفقه.

ولم نستطع أن نتبين السنة التى توفى فيها، فقد أغفل ذلك السخاوى. وذكر مجير الدين أنه كان معاصرا له. وأضاف أن ابن خير الدين استمر فى التدريس بالمعظمية إلى اليوم الذى كان مجير الدين يتحدث عنه (الأنس الجليل ٢ / ٢٤٢)، ولما كانت وفاة مجير الدين فى نحو سنة ٩٢٨ هـ، فإن حديثه عن

تولى ابن خير الدين التدريس بالمعظمية كان قبل هذا التاريخ.

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ٣٨٩، ٣٩٠، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٥ حـ ٩ / ٨٢).

*** خير الدين الغزى (٨٣٨ـ٨٩٤ هـ):**

قاضى القضاة الإمام خير الدين محمد بن شمس الدين بن عمران الغزى ثم المقدسى الحنفى.

ولد بغزة سنة ٨٣٨ هـ، ونشأ فيها، ثم رحل إلى مصر طالبا العلم، فدرس الفقه والحديث، وعاد إلى القدس، وولى القضاء فيها، كما ولى الإمامة بالصخرة، وكتب المصاحف، واشتغل بالتدريس والإفتاء. وقد انتهت إليه رياسة المذهب الحنفى بالقدس. توفى سنة ٨٩٤ هـ.

(انظر: الأنس الجليل ٢ / ٢٣٩. ٢٤١).

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ١٥٥ وهامش ٨٢).

*** أبو الخير السويدى (١١٣٤ـ١٢٠٠ هـ / ١٧٢٢ـ١٧٨٦م):**

عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدى العباسى البغدادى، زين الدين، أبو الخير، مؤرخ، من بيت قديم فى العراق. ولد ونشأ فى بغداد (الأعلام ٣ / ٣١٤).

ترك من العقب ولدا واحدا هو محمد، وبنتا اسمها زينب، وأعقب محمد ولدين كل منهما كان عالما أديبا مؤرخا هما عبد الرحيم (توفى سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م)، وسلمان (توفى سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م).

(تأريخ حوادث بغداد والبصرة / ٣١).

وقد قدم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ترجمة ضافية (من ص ١٦ ــ ٣١) فى مقدمة تحقيقه لكتاب أبي الخير «تأريخ حوادث بغداد والبصرة» فارجع إليها إن شئت، ونكتفى هنا بما أورده الدكتور عماد فى مقدمة التحقيق عن آثار أبى الخير السويدى وقد صنفها كما يلى:

آثاره:

أولا: فى التاريخ والسير.

١ ـ حديقة الزوراء فى سيرة الوزراء. وهو فى سيرة واليى بغداد الوزيرين حسن باشا (١١١٦ ــ ١١٣٦ هـ / ١٧٠٤ ـ ١٧٣٣ م) وابنه أحمد باشا (١١٣٦ ــ ١١٤٧ هـ / ١٧٢٣ ـ ١٧٣٤م). نشر الدكتور صفاء خلوصى القسم الأول منه، وهو الخاص بسيرة حسن باشا (بغداد ١٩٦١، ١٢٨ ص). وأقوم بإعداد طبعة علمية، محققة، ومزودة بدراسة وتعليقات وشروح، للكتاب بقسميه، مقابلا على نسخ خطية متعددة.

٢ ـ الكتيبة فى السير، وهو من كتبه الضائعة، أشار إليه يوسف بن محمد العبادى فى كتابه المسمى بالجمانات السنية شرح المنظومة السليمانية (مخطوط نقل منه كاظم الدجيلى فى مجلة لغة العرب ٢ (١٩١٢) ص ٢٨٠) وإسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين (٢ / ٥٥٦).

٣ ـ تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ إلى سنة ١١٩٢ هـ وهو هذا الكتاب.

ثانيا ـ فى الفقه:

٤ ـ الدرة السنية على شرح الحضرمية، وهى حاشية على الشرح المنسوب لأحمد بن محمد بن محمد بن حجر الهيتمى الشافعى (ت ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦م) للمقدمة الحضرمية فى فروع الشافعية تأليف عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمى الشافعى. مخطوط لم يطبع بعد، منه نسخة فى المكتبة القادرية ببغداد برقم ٤٧٣، وتاريخها فى ١٢٣٤ هـ. وتقع فى ٢١٣ ورقة (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية ٢ / ٢٨٢).

٥ ـ حاشية على تحفة المحتاج لشرح المنهاج لأحمد بن محمد بن محمد بن على، ابن حجر الهيتمى السعدى الأنصارى (ت ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م) و «منهاج الطالبين» فى فقه الشافعى ليحيى بن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ) وهو مرتب على أربعة أرباع، شرح السويدى فى حاشيته ربع العبادات وأشار إليه العبادى فى الجمانات السنية المقدم ذكره (لغة العرب ٢ / ٢٧٩)، والبغدادى فى الهدية (هدية العارفين ١ / ٥٥٦)، والمرادى (سلك الدرر ٢ / ٣٣٠).

٦ ـ إرواء المحتسى من كؤوس الشبراملسى، وهى حاشية على حاشية أبى الضياء نور الدين الشبراملسى على نهاية المحتاج لشرح المنهاج. أشار إليه العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩)، والبغدادى (هدية العارفين ١ / ٥٥٦).

ثالثا ـ في الحكمة والعقائد والتصوف :

٧ ـ الهبة الإلهية فى شرح الشيبانية، وهو فى شرح «العقيدة الشيبانية» فى علم الكلام والعقائد، أشار إليه البغدادى فى الذيل على كشف الظنون ونقل أوله، وفى الهدية، العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩).

٨ ـ حديقة الجانى فى حل قصيدة الشيبانى. شرح فيه «القصيدة الشيبانية» فى علم الكلام، وفرغ منه فى جمادى الأولى سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م منه نسخة فى المكتبة القادرية برقم ٥٨٥ كتبها كاظم بن الحاج عبد الله سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م ويقع فى ٢٦ ورقة (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية ٢ / ٤٢٩، ٤٣٠).

٩ ـ الأجوبة الهندية فى الحكمة الإلهية. فى علم الحكمة. كذا سماه العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩) وعند البغدادى «الأجوبة العندية فى الحكمة الربانية» (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦).

١٠ ـ كشف الحجب المسبلة شرح التحفة المرسلة. و«التحفة المرسلة» رسالة فى موضوع «وحدة الوجود» تأليف الشيخ محمد بن فضل الله البرهانبورى الهندى الصوفى المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م. وقد رد السويدى فى شرحه لها على مدعى الحلول. نوه به البغدادى (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦ وإيضاح المكنون ٢ / ٣٥٩) وطبع فى مصر.

١١ ـ هبة المنان شرح كلمات الشيخ رسلان، فى التصوف. ذكره البغدادى، ونقل أوله، وسماه العبادى «شرح الرسلانية».

١٢ ـ شرح قصيدة للشيخ الأكبر (لعله: محيى الدين بن عربى المتوفى ٦٣١ هـ / ١٢٣٣) فى التصوف. ذكره العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩).

١٣ ـ شرح الصلوات المشيشية. فى التصوف، والصلوات للشيخ عبد السلام بن مشيش، من أهل القرن الثانى عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد). طبع فى مصر، فى ذيل كشف الحجب المتقدم.

١٤ ـ رسالة فى الدراويش. منه نسخة فى مكتبة الأوقاف ببغداد برقم [٣ / ٤٧١٥ مجاميع] (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٣٩٣).

رابعا ـ فى النحو والبلاغة :

١٥ ـ الغيث الهامى على شرح القطر للعصامى. وهو حاشية على حاشية عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامى الإسفرائينى المشهور بملا عصام (توفى سنة ١٠٣٧ هـ ١٦٢٨ م) على شرح عبد الله بن يوسف بن هشام النحوى (توفى ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠م) لمقدمته المشهورة فى النحو «قطر الندى وبل الصدى». ومنه نسخة فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد برقم ٣٣٤٢ وتقع فى ٢٩١ ص (أسامة النقشبندى: المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى / ٢٧).

١٦ ـ التبيان شرح الجمان. شرح فيه كتاب «جمان الاستعارات» الذى ألفه والده فى الاستعارة، وكان أبوه قد ابتدأ بشرحه حتى المقصد الأول، ثم كلف ابنه عبد الرحمن سنة ١١٦٨ هـ / ١٧٥٤ م بإتمام ما بدأ فيه. منه نسخة فى المكتبة القادرية برقم (١٠٨٠) كتبت سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢) م - (٣٠ ورقة) (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية جـ ٤، غير مطبوع).

وأخرى فى مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (١٣٧٩٩) فى (٨٣ ورقة) وثالثة فى مكتبة المتحف العراقى برقم ٧٧٥٨ فى (٨٠ ص).

١٧ ـ حاشية على شرح لامية الأفعال، والشرح لابن حجر، واللامية لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م. أشار إليها البغدادى (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦).

خامسا : فى الأدب والشعر:

١٨ ـ مجموعة منشآته من الرسائل التى كتبها إلى معاصريه أو التى كتبها عن لسان بعضهم. وهو دفتر يفتح طولا، بخطه، محفوظ فى المكتبة القادرية ببغداد (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية جـ ٤ غير مطبوع).

١٩ ـ جامع الامثال عزيزة المثال، أشار إليه البغدادى (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦).

٢٠ ـ مجموعة أشعاره، وتضم قصائد ومقطعات عديدة نظمها فى مناسبات تاريخية واجتماعية شتى، آخرها مؤرخ فى سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م. وقد جمعت فى حياته، على يد أحد إخوته، والراجع أنه أحمد السويدى كما تدل على

ذلك قرائن عدة (عبد الرحمن الكيلانى: المخطوط رقم ١٣٥٥ / شعر وفى المكتبة القادرية. مجلة المجمع العلمى العراقى ١٩، ١٩٧٠، ص ١٦٥). نسخة خطية فى المكتبة القادرية، على هيئة دفتر يفتح طولا، وعدد أوراقه ٥٨ ورقة (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية جـ ٤) وأخرى كانت فى مكتبة عباس العزاوى (تاريخ الأدب العربى فى العراق ٢ / ٢٨٤).

سادسا: فى علم الفلك:

٢١ - زينة الأملاك فى شرح تشريح الأفلاك. وهو حاشية على شرح تشريح الافلاك تأليف عبد الله الفخرى الموصلى توفى سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م. وتشريح الافلاك: فى الهيئة، لبهاء الدين محمد بن حسن بن عبد الصمد العاملى الهمدانى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م. منه نسخة بخط المؤلف فى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (٢ / ٦٢٨١) مجاميع. وتقع فى ١٤ ورقة. (عبد الله الجبورى، فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ج ٤ ص ٢٤٥ وعز الدين علم الدين فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٨ / ٤٩٩).

٢٢ - شرح مسألة الشعيرة لمحمود بن محمد بن عمر الجغمينى (توفى ظنا سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) منه نسخة خطية فى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم [٣ / ٦٢٨١ مجاميع]، وتقع فى ١٢ ورقة (الفهرس نفسه ٤ / ١٢٩).

(تأريخ حوادث بغداد والبصرة / ٣٢-٣٦).

٢٣ - تأريخ حوادث بغداد والبصرة وهو ما نقلنا منه هذه المادة، وهو بتحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف. الكتاب عندى وجاء بيانه كاملا فى مادة «آدمى» فى م ١ / ٤٤٥ ولأبى الخير السويدى نظم نسوق منه أمثلة فيما يلى.

فى سنه ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م قدم نادر شاه بجيوش ضخمة فحاصر مدن العراق الرئيسية، ومنها بغداد والموصل والبصرة... وقد اضطر أبو الخير إلى مشاركة أهل الجانب الغربى فى نزوحهم الجماعى للتحصن بأسوار الجانب الشرقى، ولم يكن له من ملجأ فى موطنه الجديد سوى أن يقيم فى جامع العاقولى (انظر مادة «آل العاقولى» فى م ١ / ٥٢٢)، أحد جوامع بغداد الشرقية، قريبا من الجسر، وأن يتخذ من غرفة إمام الجامع مسكنا له ولأخيه محمد سعيد البالغ من عمره آنذاك خمسة عشر عاما، ويصف أبو الخير معاناته من إقامته تلك وحنينه الشديد إلى محلته الأولى وجيرته، فيقول: «وبقينا فى هذه المدة نعانى كرب الفراق، ونقاسى شدائد المشاق، ونتعهد الدور فى النهار، ونحنُّ إلى الأيام الماضية حنين الثكلى بإجراء الدمع، ونأنُّ على الأوطان الخالية أنين الحبلى وقت الوضع، وقد انتبهت سحر بعض الليالى فاشتقت إلى الكرخ، وصلاة الفجر بين هاتيك الأطلال، فجرى دمعى توأما، وكاد أن يكون دما» (حديقة الزوراء. الورقة ١٧١).

ويورد شعرا نظمه وهو فى تلك الحال يفيض لوعة، ويعبر عن صدق إحساس نادر:

عرِّج على الكرخ وانزل فى مغانيه
واسأله كيف خلت منه غوانيه
عهدى به وهو معمور بسادته
وجملة الصحب كانوا فى نواديه
عهدى به وهو محفوف بكل هنا
والشمل مجتمع والسعد تاويه
والنَّوْر والنُّور فى أرجائه سطعا
والورد والآس تاها فى نواحيه
وللصَّبا أرج تحيى النفوس به
مما على الأرض عطر كامن فيه
والطير فوق أصول البان فى طرب
والغصن بالخود يزرى فى تثنيه
فما له ذهبت أصحابه وعفت
آثاره وخوت منه أعاليه
لهفى على الجانب الغربى أجمعه
فجانب الشرق طيبا لا يدانيه
بالله قف بدلى فيه كسارية
ولم تزل من صدى التفريق ترويه
وقف وقوفى به يوم الرحيل ضحى
حيث العقيق على الخدين أجريه

ونلمح فى قصائد أخرى له شكوى مُرة من صروف الزمان،

وضيق مما ألمَّ به من أمور، ففى قصيدة نظمها وكان عمره يومذاك خمسة وأربعين عاما، أى فى حدود سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤م، نراه يشكو من الضيم، وجور الأعادى، وجهل الجبابرة والباغين، منذرا إياهم بالزوال فيقول...

ألا من يخبـر الأعـداء عنـا ... بأنـا فـوق جهل الجـاهلينـا

وأن الله دام لنـا نصيـرا ... وأن الله مـولـى المسلمينـا

وأن البغـى مـرتعـه وخيـم ... وأن عـدونـا لـم يبق حينـا

(تأريخ حوداث بغداد والبصرة / ٢٥، ٢٦، ٣٠).

(الأعلام للزركلى ٣ / ٣١٤، وتأريخ حوادث بغداد والبصرة لعبد الرحمن بن عبد الله السويدى البغدادى ـ حققه وقدم له وعلق عليه د. عماد عبد السلام رؤوف / ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٢ـ٣٦).

*** خير العالمين:**

من المدائح النبوية، ومن آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى.

قال من اللزومى:

أصبح فلخيـر العـالمين منـاقب ... تـدل على التمكين والشـرف الأسـرى

أتى والـورى أسـرى فكـان غيـاثهم ... بنـور سمـاء ينقلـون عن الإسـرا

وعفَّى رسـوم الكـافـرين وأهلهـا ... فـلا قيصـر من بعـد ذلك ولا كسـرى

تقـدم كل العـالمين إلى مـدى ... تظل بـه الأوهـام طـالعـة حسـرى

وخص بتشـريف على النـاس كلهم ... ومـن لم يقل هـذا تقـوَّلـه قسـرا

رتـرقى إلى السبع الطبـاق تـرقيـا ... حقيقـا ولـم يعبـر سفينـا ولا جسـرا

وبـالجسم أسـرى الله وهـو دلالـة ... يمحلهـا مـن لا ييسـر لليسـرى

فسبحـان مـن أسـرى إليـه بعبـده ... وبـورك فى السـارى وبـورك فى المسـرى

وكـم عجب أوحى إلى عبـده بـه ... فدونك تجميـلا ولا تطلب الفسـرا

(فى النفح ٧ / ٥٠٨: صواب قوله «تجميلا». «إجمالا».

(آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى ـ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ١٥٤).

*** خير القرون قرنى...؟**

انظر: خير الناس قرنى...

*** خير الكلام على البسملة والحمدلة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٥١٣٩.

المؤلف: نور الدين أبو الفرج على بن برهان الدين إبراهيم ابن أحمد بن على بن عمر الحلبى القاهرى الشافعى المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ.

أوله: قال الشيخ الإمام الأوحد المفيد القدوة الفهامة الفريد صدر المدرسين... على الحلبى الشافعى... وبعد: فإن حسن التأليف مواهب، وللناس فيما يعشقون مذاهب. وقد كنت من مدة مديدة وسنين عديدة سنة تسع وتسعين وتسعماية من السنين علقت تعليقا طريفا وأنموذجا لطيفا لم يكن كخابط سيل ولا كحاطب ليل، بل حميته عن الأقوال الكاسدة وصنعته عن تمويه الخيالات الفاسدة التى تضاف إلى سبق ألسن الأقلام.

آخره: والراجح أن نقص البركة لا يتوقف على الجمع بينهما بل يحصل بأيهما كان كما دل عليه فعله ﷺ، فإنه تارة اقتصر فى كتبه على البسملة وأخرى على الحمدلة وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده. تم الكلام على الحمدلة.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى واضح، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وضعه المؤلف سنة ٩٩٩ وأعاد النظر فيه ١٠١٨ هـ وقد أورد ذلك فى مقدمة الكتاب.

النسخة مصابة بالرطوبة فى أوراقها الأولى، كما أن بعض

أوراقها مفروط. مع هذه النسخة رسالة أخرى للمؤلف بعنوان بيان النسب بين كل من الحمد اللغوى والعرفى.

ق	م	س
٥٢ (١ × ٥٢)	٢١ × ١٥	٢٣

نسخة ثانية

الرقم ١٠٢٩٧

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى، فقد ورد ذلك على الورقة الأولى الوجه (أ) وكان الفراغ من كتابتها فى ٩ شوال سنة ١٢٨٩ وقد طمس اسم الناسخ...

كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود، الغلاف من الورق.

ق	م	س
٤٠	٢٢ × ١٥	٢٢

نسخة ثالثة

الرقم ١٠٢٨٠

آخره: وقيل: الوقف على كل من بسم الله، وبسم الله الرحمن الرحيم كاف. وتضعيف هذا القول واضح لأن كلا من الرحيم نعت، والنعت متصل بمنعوته ومتعلق به لفظا ومعنى، قوله: وعلى الرحيم تام أى اتفاقا لأنه منفصل عما بعده وغير متعلق به لفظا ومعنى والله سبحانه وتعالى أعلم.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى معتاد واضح، أصيبت بالرطوبة فتأثرت الكتابة فيها.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم شرح الحمد والشكر لغة وعرفا للزيادى. على الورقة الأولى قيد تملك باسم الشيخ زين بن عبد العزيز الزعبى تاريخه سنة ١١٧٣ هـ.

ق	م	س
٤٤ (١ ـ ٤٤)	١٦ × ١٠	١٨

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١٢١ ـ ١٢٣).

*** أبو الخير الكليباتى (ـ٩٠٩):**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الأولى من المائة العاشرة وقال عنه:

أبو الخير الكليباتى الشيخ الصالح الولى المكاشف الغوث المجذوب كان رجلا قصيرا يعرج بإحدى رجليه وله عصا فيها حلق خشاخيش وكان لا يفارق الكلاب فى أى مجلس كان فيه حتى فى الجامع والحمام وأنكر عليه شخص ذلك فقال له زُحْ وإلا جرسوك على ثور فشهد ذلك النهار زورا فجرسوه على ثور دائر مصر وأنكر عليه بعض القضاة ذلك فقال هو أولى بالجلوس فى المسجد منك فإنهم لا يأكلون حراما ولا يشهدون زورًا ولا يستغيبون أحدا ولا يدخرون عندهم شيئا من الدنيا ويأكلون الرمم التى تضر رائحتها الناس...

وقال الحمصى بعد أن ترجمه بالقطب الغوث كان صالحا مكاشفا وظهرت له كرامات دلت على ولايته وكان مجذوبا يصحو تارة ويغيب أخرى وكان يسعى له الأمراء والأكابر فلا يلتفت إليهم توفى فى ثلاث جمادى الآخرة سنة تسع وتسعمائة وحمل جنازته القضاة والأمراء ودفن بالقاهرة بالقرب من جامع الحاكم بالقاهرة وبنى عليه عمارة وقبة القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة وانتهت عمارتها فى ختام رجب من السنة المذكورة وقال الشعراوى إنه مات سنة اثنتى عشرة وتسعمائة والأول هو ما حرره الشيخ الحمصى فى تاريخه وكان يومئذ بمصر وما قاله أصح لأنه يتقيد بالوقائع والحوادث يوما يوما وأكثر ما أرخه الشعراوى رحمه الله تعالى فى طبقاته تقريب رحمه الله.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١/ ١٢٠، ١٢١).

انظر: أبو الخير الكليباتى (زاوية ـ).

*** أبو الخير الكليباتى (زاوية ـ أثر ٤٧٧):**

أوردها على باشا مبارك فى القسم السادس، عند الكلام على شارع الكليباتى ومرجوش فقال: يبتدئ الشارع من ضريح سيدى دويدار تجاه شارع بين السيارج، وينتهى بجامع السلحدار، واشتهر هذا الشارع بهذا الاسم لأن به زاوية الشيخ أبى الخير الكليباتى فى أوله، وبصدرها ضريحه، وهى مقامة الشعائر، وترجم القطب الشعرانى الشيخ أبا الخير المذكور، وذكر أنه دفن فى المكان الذى كان يتعبد به (الخطط التوفيقية الجديدة ٢ / ٨٣).

وذكر الدكتور أحمد فكرى هذه الزاوية فقال :

أشار القلقشندى إلى أنه كان بجانب المسجد الحاكم زيادة بناها ابنه الظاهر «ولم يكملها» وأنها أضيفت إلى المسجد فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ثم «بنى بها ما هو موجود الآن فى الأيام المعزية أيبك التركمانى، ولم تسقف». واتخذ هذا البناء فيما بعد ضريحا أطلق عليه «زاوية أبو الخير الكليباتى».

وقد نسبت هذه الزيادة إلى العصر الفاطمى، بالرغم من نص القلقشندى على أن بناءه قد تم فى منتصف القرن السابع (الثالث عشر الميلادى)، وذلك لأن العقود الحجرية المبنية فيها مدببة شبه منفرجة على هيئة العقود الفاطمية.. والبناء عبارة عن قاعة صغيرة مربعة طول كل ضلع فيها خمسة أمتار تقريبا، ولها سقف من قبوة متعارضة. وأهمية هذه الزيادة ترجع إلى بروزها خارج جدار المسجد (مساجد القاهرة ومدارسها / ٣١).

هذا وقد أدرجت زاوية أبى الخير الكليباتى فى فهرس الآثار الإسلايمة بمدينة القاهرة (انظر الجدول فى مادة «الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة»، فى م ١ / ٨٢ أثر ٤٧٧) تحت عنوان: زاوية أبى الخير الكليباتى (مدخل زيادة جامع الحاكم) وذلك فى موضعين من الفهرس، فذكرت أولا فى القسم المرتب وفقا لرقم الأثر (ص ٩)، ثم ذكرت فى القسم الخاص بآثار العصر الفاطمى (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م (ص٢).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢ / ٨٣، ومساجد القاهرة ومدارسها - د. أحمد فكرى / ٣١، وفهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة. مصلحة المساحة، ١٩٥١).

*** أبو الخير مرثد بن عبد الله (ـ ٩٠ هـ):**

ذكر الإمام السيوطى فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه :

أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى الحميرى. روى عن ثابت وابن عمرو وأبى أمامة، وعقبة بن عامر الجهنى، وعنه يزيد بن أبى حبيب وجعفر بن ربيعة وآخرون. قال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر فى زمانه، وكان عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا وقال الذهبى فى العبر: تفقه على عقبة ابن عامر، وكان مفتى أهل مصر فى وقته. مات سنة تسعين من الهجرة (العبر ١ / ١٠٥).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٢٩٦ وهامش ٥ للمحقق).

*** «خير الناس قرنى...»:**

حديث «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

أخرجه الشيخان عن ابن مسعود وعمران بن حصين.

وأحمد ومسلم عن أبى هريرة وعائشة.

وأحمد عن بريدة والنعمان بن بشير.

والطيالسى عن عمر والطبرانى عن سعد بن تميم وجعدة ابن هبيرة.

والطبرانى فى الأوسط عن سمرة.

وفى الكبير عن أبى برزة وعن جميلة بنت أبى لهب.

وابن أبى شيبة عن عمرو بن شرحبيل موسلا (الأزهار المتناثرة / ٧٢، ٧٣).

«قرنى» أى عصرى، والمراد هنا الصحابة: قيل والقرن: ثمانون سنة، أو أربعون أو مائة، وغير ذلك والمشهور مائة.

والحديث بتمامه كما أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، هو كما يلى (رقم ٢٣٨٧): «حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله (يعنى ابن مسعود) ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ، قال: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (صحيح البخارى ٤ / ٣٦٣، ٣٦٢).

وقد أخرج هذا الحديث بنفس لفظه الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (٢ / ٩) من رواية أحمد فى مسنده، والبخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود، ثم أخرج أربعة أحاديث أخرى بألفاظ مختلفة نوردها فيما يلى :

- «خير الناس القرن الذى أنا فيه، ثم الثانى، ثم الثالث» رواه مسلم عن عائشة.

ـ «خير الناس قرنى، ثم الثانى، ثم الثالث، ثم يجيء قوم لا خير فيهم» للطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود.

ـ «خير الناس قرنى الذين أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والآخرون أراذل»، رواه الطبرانى فى الكبير، والحاكم عن جعدة بن هبيرة. حديث حسن.

ـ «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتى من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يُسألوها» رواه الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين. حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ٩، ١٠).

أما الحافظ المناوى فقد أخرج الأحاديث الثلاثة الآتية:

ـ «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الآخرون أرذل» رواه الطبرانى فى الكبير عن جعدة بن هبيرة ورجاله رجال الصحيح وفيه ممن لم يسمع ممن فوقه.

ـ «خير الناس قرنى الذين أنا منهم ثم الذين يلونهم ثم ينشأ أقوام يُفشا فيهم يشهدون ولا يستشهدون ولهم لقط فى أسواقهم» رواه البزار عن عمر ورجاله ثقات.

ـ «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم تأتى قوم تسبق أيمانهم شهادتهم وشهادتهم أيمانهم» رواه أحمد فى مسنده والبزار والطبرانى فى الكبير والصغير والأوسط عن النعمان بن بشير وفى طرقهم عاصم بن بهدلة حسن الحديث وبقية رجال أحمد رجال الصحيح (الجامع الأزهر ١ / ٢٢٧ ورقة ب، ٢٢٨ ورقة أ وورقة ب).

كما أخرج الحافظ السيوطى الحديث بلفظ: «خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن». رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن عمران بن حصين، حديث صحيح.

قالت المؤلفة: هذا الحديث الشريف وفيناه حقه فى مادة «اتباع السنة» فى م ٢ / ٢٧٨ ـ ٢٨١، وقد أفردنا له مادة خاصة هنا ليسهل الاستدلال عليه، ولأنه يعتبر الأساس الذى بنى عليه المصنفون فى علوم الحديث تقسيمها إلى عصور بعينها هى عصر الصحابة (ويأتى فى حرف الصاد إن شاء الله تعالى) وعصر التابعين (انظر مادة «التابعون» فى م ٨ / ٢٩٩ ـ ٣٠٤)، وعصر أتباع التابعين (انظر هذه المادة فى م ٢ / ٢٧٤، ٢٧٥)، وعصر أتباع أتباع التابعين (انظر هذه المادة فى م٢ / ٢٧٣)، كما جعلوا من أنواع علوم الحديث معرفة كل منهم، أى معرفة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وأتباع أتباع التابعين.

أما عن النظم فقد جاءت فى جوهرة التوحيد للإمام اللقانى هذه الأبيات:

وصحبه خير القرون فاستمع
فتابعى فتابع لمن تبع
وخيرهم من ولى الخلافه
وأمرهم فى الفضل كالخلافه
يليهم قوم كرام بروه
عدتهم ست تمام العشره
فأهل بدر العظيم الشان
وأهل أحد فبيعة الرضوان

(جوهرة التوحيد / ١٥).

كما جاءت الأبيات التالية فى منظومة رسالة ابن أبى زيد القيروانى. قال الناظم رحمة الله:

وأفضل القرون قرن المصطفى
من آمنوا فمن قفى فمن قفى
وأفضل الأمة أصحاب النبى
والخلفاء الراشدون من أبى
بكر يليه عمر ثم يلى
عثمان والتاليه فى الفضل على

(الفتح الربانى ١ / ٣٥).

(الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ قدم له وأتمه أحمد حسن جابر رجب هدية مجلة الأزهر. صفر ١٠٤٩ هـ / ٧٢، ٧٣، وصحيح البخارى. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء كتب السُّنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م، ٤ / ٣٦٢، ٣٦٣، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٩، ١٠، ١٢، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور للحافظ المناوى

١/ ٢٢٧ ورقة ب، ٢٢٨ ورقة أ وورقة ب وجوهرة التوحيد للإمام اللقانى المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ١٥، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١ / ٣٥).

*** خير النساج:**

ذكره الإمام عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه:

هو أبو الحسن محمد بن إسماعيل، المسمى بخير النساج، كان أصله من سامرا، وأقام ببغداد.

صحب أبا حمزة البغدادى، وسأل السرى السقطى عن مسائل، وكان إبراهيم الخواص تاب فى مجلسه، وكذلك الشبلى تاب فى مجلسه، وكان من أقران النورى وطبقته.

وإنما سمى خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة، فقال: «أنت عبدى، واسمك خير»، وكان أسود فلم يخالفه، فأخذه الرجل واستعمله فى نسج الخز سنين. وكان يقول له: ياخير، فيقول: لبيك. ثم قال له الرجل بعد سنين: أنا غلطت، لا أنت عبدى، ولا اسمك خير. فلذلك سمى خير النساج. وكان يقول: لا أغير اسما سمانى به رجل مسلم.

عاش مائة وعشرين سنة.

قال أبو الحسين المالكى: «سألت من حضر موت خير النساج عن أمره، فقال: لما حضرته صلاة المغرب غشى عليه، ثم فتح عينيه، وأومأ إلى ناحية البيت وقال: قف، عافاك الله، إنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمض فيما أمرت به، ثم امض لما أمرت به، فدعا بماء فتوضأ وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه، وتشهد ومات».

وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه فى النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألنى عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة (أى الوسخة القذرة).

ومن كلامه:

من عرف من الدنيا قدرها وجد من الآخرة حقها، ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.

ـ الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

ـ شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق الإيمان.

ـ من لاحظ شكره استصغر نعمه.

ـ من سبق بخطوة لا يُدْرَك إذا كان صادقا مجتهدا.

ـ الإخلاص هو الذى لا يقبل عمل عامل إلا به.

ـ العمل الذى يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

ـ لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه، ولا علم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه فى وقت جريان القدر والقضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس، لم ينجه ذلك من المسبوق عليه.

ـ توحيد كل مخلوق ناقص لقيامه بغيره وحاجته إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾ أى المحتاجون إليه فى كل نفس، ﴿**والله هو الغنى**﴾[فاطر: ١٥] عنكم وعن توحيدكم وأفعالكم، ﴿**الحميد**﴾ الذى يقبل منك ما لا يحتاج إليه، ويثيبك عليه ما تحتاج إليه.

ـ ميراث أفعالك ما يليق بأفعالك، فاطلب ميراث فضله، فإنه أتم وأحسن، قال الله تعالى: ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾[يونس: ٥٨].

ـ الخوف سوط الله فى الأرض، يقوِّم به أنفسا تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى/ ٧٨، ٧٩).

*** خير الورى:**

من المدائح النبوية. من آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى.

قال رحمه الله:

كملتْ بنعت محمد خير الورى
غررُ القصائد كلها وحجولها
واختص دون الأنبياء بدعوة
وسع العباد عمومها وشمولها
فاضت على الثقلين منه أشعة
طلعت وما عقب الطلوع أفولها

فالإنس تعلم أنه مقصودها
والجن تـوقن أنه مأمولها
كم آية بالصدق كان ظهورها
كم آية بالسبق كان نزولها
وكفاك هذا الوحى فهو شهادة
لمحمد لزم العباد قبولها
جمع الإله المكرمات لأمة
هذا النبى الهاشمى رسولها

(آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى ـ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ١٦٥).

*** الخير والشر:**

يشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له. لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبى ﷺ (رواه أحمد والترمذى (٢٦٣٥) وقال: حديث حسن صحيح). وقال الله عز وجل: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾**[يونس ١٠٧]

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله، وبقضائه، لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد، فلا يقال يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفى ذلك ورد قول رسول الله ﷺ فى دعاء الاستفتاح «تباركت وتعاليت، والخير فى يديك، والشر ليس إليك» (صحيح. انظر صفة صلاة النبى ﷺ للشيخ محمد ناصر الألبانى) ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفرادا وقصدا، حتى يقال لك فى المناداة: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعا، لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه، فقال: فيما أخبر الله عنه فى قوله: **﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها﴾**ولما ذكر الخير والبِرَّ والرحمة أضاف إرادتها إلى الله عز وجل فقال: **﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾**، [الكهف: ٨٣] ولذلك قال مخبرا عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾**[الشعراء: ٨٠] فأضاف المرض إلى نفسه. والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء ألا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية، قال الله عز وجل: **﴿إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾** [الزمر: ٧٨](عقيدة الفرقة الناجية / ٧٨ ـ ٨٠).

وهذه مسألة أجاب عنها ابن هشام: **﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾**[النساء: ٧٩].

قيل: هذا يقتضى أن الله تعالى يخلق الخير، والعبد يخلق الشر.

فأجبت بأن المعنى، والله أعلم:

ما أصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله فضلا منه عليك، وما أصابك من أمر يسوؤك فمن نفسك، أى: فمن ذنب أذنبته فعقوبته عليك (ثلاث رسائل / ٨٣).

(عقيدة الفرقة الناجية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ إعداد وتقديم عبد الله حجاج / ٧٨ ـ ٨٠، وثلاث رسائل فى النحو لابن هشام ـ تحقيق نصر الدين فارس وعبد الجليل زكريا / ٨٣).

*** الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السير والمناقب.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١١٢٤٨

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٦م.

الأول (الحمد لله الذى اختص العلماء بوراثة الأنبياء والتخلق بأخلاقهم ...).

رتبه المؤلف على ثلاث مقدمات وأربعين فصلا وخاتمة وفرغ منه سنة ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢م.

نسخة نفيسة مزوقة الأول ومذهبة كتبت بخط النسخ فى الموصل سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م.

القياس ٦٠ ص ٢٧×١٦ سم ٢٩س.

معجم المؤلفين ٢ / ١٥٢ ذ/ كشف ١ / ٤٤٠ معجم ٨٣ طبعت بمصر سنة ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م.

نسخة أخرى.

الرقم ٩٤٠٩

جيدة الخط كتبت فى حياة المؤلف سنة ٩٦٤ هـ ١٥٥٦م ناقصة قليلا من الديباجة فى آخرها فوائد ومنقولات.

القياس ٨٠ ص ١٩ × ١٣,٥ سم ٢١س

نسخة أخرى

الرقم ١٩٨٧

كتبت بخط النسخ وبالمدادين الأسود والأحمر سنة ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥ م.

القياس ١٥٢ ص ٢٠ × ١٣,٥ سم ١٥س.

نسخة أخرى:

الرقم ٨٢٩٦

جيدة الخط عليها تملك مؤرخ سنة ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م.

القياس ١٥٢ ص ٢١×١٥ سم ١٢ س.

نسخة أخرى.

الرقم ١٣٣٥٦.

تملكها محمد بن إسماعيل بيك زاده وحسن الأنصارى الماتردى.

القياس ١٦٦ ص ١٩,٥ × ١٥ سم ١٥ س.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٧٠ - ١٧٢).

*** أبو الخيرات والحسنات:**

من الألقاب. قال الدكتور حسن الباشا:

أبو الخيرات والحسنات: أطلق على فخر الدولة على بن الحسين فى نص تأسيس بتاريخ سنة ٦٧٠ هـ فى جوك مدرسه فى سيواس. والصيغة نادرة غير أن مترادفاتها شائعة فى هذا العصر.

ومعناه صاحب الخيرات والحسنات. والخيرات جمع خيرة وهى الفاضلة من كل شىء، والحسنات جمع حسنة وهى ضد السيئة.

وهو من الألقاب التى ترتبط بتعاليم الإسلام ارتباطا وثيقا. ففى القرآن حث كبير على فعل الخيرات والحسنات: **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** [البقرة: ١٤٨]، **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾**[الأنبياء: ٧٣]، **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾**[فاطر: ٣٢]، **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾**،[هود: ١١٤] **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾**[الأنعام: ١٦٠].

وظهر اللقب ومترادفاته بوضوح ضمن أشباهه من الألقاب مع النهضة السُّنية التى كانت من مظاهرها الدعوة إلى تعاليم الإسلام الأولى، وتحبيذ فضائله، والتى قامت على يد السلاجقة ومن جاء فى أعقابهم.

وأطلقت مترادفات لهذا اللقب على السلاطين والأمراء فى عصر المماليك الذين نصبوا أنفسهم أبطالا للمذهب السنى بصفة خاصة، وحماة للإسلام بصفة عامة.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا/ ١٢٠، ١٢١).

*** خيركم قرنى...:**

انظر: خير الناس قرنى...

*** الخيرئ:**

ويسمى «المنثور» أيضا. مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. وقد أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيا يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي.
قال:

الخيرى ـ «ع» هو نبات معروف، وله زهر مختلف، بعضه أبيض وبعضه فرفيرى، وبعضه أصفر نافع فى أعمال الطب. وقوة هذا النبات قوة تجلو، وهى لطيفة مائية، وأكثر ما توجد هذه القوة فى زهره، وهى فى اليابس من الزهر أكثر منها فى الرطب، فهو يلطف، ويرقق الأثر الغليظ الكائن فى العين، وماؤه إذا طبخ يدر الطمث ويحدر المشيمة والأجنة إذا جلس فيه، وإن شرب أيضا فهو دواء يفسد الأجنة، لأنه شديد الحرارة، وماؤه الذى يطبخ فيه يشفى الأورام الحادثة فى الأرحام إذا نُطل عليها، وخاصة لما طال مكثه وصلب. وأما بزر الخيرى فقوته قوة الخيرى بعينها، إلا أنه أنفع من الأشياء كلها فى إحدار الطمث، إذا شرب مقدار مثقالين، وإذا احتمل من أسفل مع العسل فهو يفسد الأجنة الأحياء، ويخرج الموتى، وقوة أصوله قريب من قوته إلا أنها أغلظ. وإذا خلط الأصل بالخل شفى الطحال الصلب، وإن تضمد بعروقه يابسة مع الخل حللت أورام الطحال، وينفع من امتلاء الرأس من البلغم، وطبيخ أصوله بالخل نافع من وجع الأسنان. «ج» الأسود منه معتدل، والأصفر فيه حرارة، وقيل حار يابس فى الدرجة الأولى. «ف» له زهر أصفر وأسود، جيده الأصفر الذكى الرائحة، حار يابس فى الثانية، ينفع الرياح فى المعدة والأمعاء، ويمنع من الفؤاق، ووردة محلل ملطف، إذا شم ينفع من برودة الدماغ ورطوبته، ويحلل الرياح الغليظة من الدماغ (المعتمد ١ / ١٤٤).

ويقول عنه وعن فلاحته الشيخ عبد الغنى النابلسى:

والخيرى ثمانية أنواع، بستانى زهره فرفرى اللون معروف، وبستانى أبيض الزهر، وبستانى زهره أصفر، ومنه ما لونه فيه بياض وحمرة، ومنه أزرق، ومنه أحمر قان ومنه عصفورى منسوب إلى صبغ العصفر، ومنه سمائى، ومنه الأسود، وهذه كلها بستانية، ومنه برى فرفيرى دقيق، ومنه ما يعرف بخيرى الماء، زهره فرفيرى فى الصيف، ويزرع فى آب أو فى شباط، ويعظم ورده من كانون الآخر حتى حزيران، تناسبه الأرض التى لا رطوبة فيها، وإن خلط فيها رماد وجير فهى أحسن، ويعطى أكثر، ولا يقوى على الماء الكثير ولا الشمس، فيختار له المواضع الظليلة وبين الاشجار حتى لا تصيبه الشمس إلا بعض النهار. وقيل الأحمر يزرع فى آب خاصة، وينور فى الشتاء والربيع، وإن زرع فى آذار نور فى الخريف والشتاء كله، والأصفر يزرع فى تشرين الأول وقيل فى آب مع الأحمر. والخيرى شبيه البنفسج فى زراعته والاعتناء بها إلا أنه أقوى وأصبر وله منافع البنفسج وتضره الروائح المنتنة كما تضر البنفسج، وإذا لقطت ورده امرأة حائض فسد وذبل، والأصفر منه فيه حرارة وقيل يابس فى الأولى، وقيل فى الثانية، والأسود معتدل، ودهنه حار رطب فى الثانية، لطيف محلل، وقيل معتدل ينفع الجراحات وخاصة إذا عمل بلوز حلو. والمرزنجوش ويسمى العبقر وحبق الفىء وهو بستانى وبرى، ومنه كبير الورق ودقيقه، وهو لا يحب الماء الكثير، ولا شيئا من الزبل البتة، ويسقى برفق مرتين أو ثلاثة فى الأسبوع حتى ينبت ثم يقطع عنه السقى ويعطش وينقى من عشبه، ويسقى مرة فى الأسبوع وزرعه أول أيار ويعمر نحو ستة أعوام، وإذا امتلات رؤوسه بزرا وكمل حصد وجفف، ويؤخذ بزره ويحفظ فى فخار ولا يسقط ورق هذا النبات فى البرد لحرارته، وورقه وبزره يطيب به اللحم والشحم، فيزيل عنه النتن وتغير الرائحة، ولهذا النبات فى إزالة الأنتان والعفونات كلها فعل قوى، ومن خواصه أنه إذا غبر بمسحوق تراب مخلوط بزبل الناس، فإنه يقوى وتذكو رائحته، وأجوده البستانى، وهو حار يابس فى الثالثة، وقيل فى الرابعة، وقيل فى الثانية، وهو ملطف محلل وينفع من الصداع الناشىء عن رطوبة وبرد، وينفع من عسر البول والمغص، وطبيخه ينفع من الاستسقاء، وخمسة دراهم منه تنفع من الشرى البلغمى، ويضمد به لسع العقرب مع الخل، وقال بعض الحكماء: إذا جعل فى بيت تألفت سكانه ... وهو ينفع من وجع الظهر، ويفتح انسداد الدماغ، ودهنه لطيف حاد، يضمد به الفالج فى العنق وغيره من أنواع الفالج، ويجعل فى الأذن بقطنة فينفع من انسدادها، وقيل يضر بالمثانة، ويصلحه بزر الرجلة (علم الملاحة / ١٦٠ ـ ١٦٢).

وعن فلاحة الخيرى يقول القزوينى:

الخيرى، ويسمى المنثور أيضا: قال صاحب الفلاحة: إذا أخذت من الأحمر والأصفر والأبيض من كل واحد قضيبا

وضفّرتهـا مثل الضفيرة ثم غـرستها فإذا نبتت تجـد فى غصن واحد أوراقا مختلفـة الألوان، شمُّه ينفع الدمـاغ البارد الرطب وتحلل الـريـاح الغليظـة ويـدر الحيـض ويسقط المشيـمة شربـا.

وعن فلاحتـه أيضا جاء مـا يلى لمؤلف مجهـول من القرن الثامن الهجرى، قال تحت عنوان «القول فى إفلاح الخيرى»:

وهو المنثـور، والمنثور نـوعان، برى وبستـانى، ويسمى الخزامى، قال أبو حنيفة الدينورى: ليس فى زهر البرية أطيب رائحة منه أى الخـزامى، وهو طويل العيـدان، صغير الورق، أحمـر اللون وهـو جـزل البـزور ورائحته تشـابـه رائحـة فاغيـة الحناء.

وقال التميمى فى المرشد (انظر مادة التميمى (محمد بن أحمد) فى م ١٠ / ٤٤٦):

والخزامى لا تعبق إلا ليلا. ولونها خمرى مشوب ببياض، ورائحتها رائحة القرنفل الزكى الرائحة. وقال: الخيرى ذو ألوان مختلفة، فمنه الذهبى وهو يعبق ليلا ونهارا زكى الرائحة جدا، ومنه الخيرى الخمرى، والبنفسجى، والأكحل، والأبيض وهو أردؤها لأنه لا رائحة له البتة، والأبرش الملمع ببياض.

وقـال ابن وحشيـة: والبستانى ينقسم إلـى سبعة أقسـام، ألوان ستة كثيرة معروفة، وواحد غريب قليل وهو أزكاها وأقواها وأحسنها وأصبرها على العطش والآفات، ومنه يتخـذ الدهن لـرائحتـه، ولـونه أسـود، والسـواد منـه فى نصف أوراقـه إلى أطـرافه. والنصف الـذى يلى منـه المنبت تشـوبه صفـرة وفى رائحتـه حـدة ساعـة يقطف. فكلمـا بقى انسلخ ريحـه حتى يعقـد. وقد ينفعـه ما ينفع البنفسـج فى الفلاحـة، وهو أخـوه وشقيقه فى كل أموره.

فمن أراد غرسـه فليبتدئ فى طـرح بذره فى الأرض نصف أيلـول الآخـر إلى خمسة وعشـرين يـومـا تمضى من تشـرين الأول، ولا يـزرع فى يوم تهـب فيـه ريح باردة، وتـوافقه الـريح الجنوبية والصبا، فينبغى أن يبذر فى أرض مشرقة، ويقطع له أحـواض كأحواض البنفسج، ولا تسقـى الأحواض قبل طـرح بزره بأربع عشرة ساعة ويغطـى بالتراب الرقيق الجيد، ويسقى بعـد يوم وليلـة إلى أن قـال: ومن خـاصيته بأجمعـه أنـه متى لقطت امرأة حـائض ورده فسد وذبل، أو غير حـائض أيضا، وينبغى أن لا يباشره إلا رجل قد جاوز حـد البلوغ، وهو طاهر نظيف بعيد العهد بالملامسة.

وقال ابن بصـال: يوافق هـذا النبات من الأرضين، الأرض التى ترابهـا حر أحمر اللـون، السليمة من الـرمل، وفى طينها علوكـة ماء، والأرض السوداء التـربة الغليظـة، إلا أن الحمراء أنجع لـه. والشمس تضعفه، إلى أن قـال: ومما يحفظ هـذا النبات ويقويـه أن ينثر فى أصوله شىء من بعر المعز مـدقوقا بعد أن يسقـى وينضب عنه الماء، فـإن ذلك يزيد فـى رائحته وكـذلك يغبر بأخثـاء البقـر بحيث أن لا يكثر منـه، بل يعمل ذلك فى كل سبعة أيام أو اثنى عشر يوما مرة. والروائح المنتنة تضره، والـرماد الذى يصلح لأن تقطع أصـوله بعروقها ونـورها وتحرق بعد أن تجفف، وتتعهد بعد أن تخلط بشىء من تراب حـر عتيق (إلى هنـا انتهت نسخـة بـرلين رقم ٦٢٠٧، وهـذا النص المنسـوب إلى ابن بصـال غيـر مـوجـود فى فـلاحتـه المطبوعة، فهو نص ضائع منها فيما نرى).

الوصف والتشبيه:

قال بعضهم: (السريع)

انظـــر إلى المنثــــور مــــا بيننــــا
وقـــد كســـاه الطل قمصــانـــا
كأنمـــا صـــاغتـــه أيـدى الحيـــا
من أحمـــر اليـــاقـــوت مـــرجـــانـــا

(أورد السيـوطى هذين البيتيـن فى حسن المحاضـرة ٢ / ٤٢٢).

وهذا النبات لا تعبق له رائحـة إلا ليلا، وقد تكلم بعضهم فى وصفه له: (الطويل)

وخيــــريـــــة بين النسيم وبينهــــا
حـــــديـث إذا جـن الظـــــلام يطيب
يهب مع الإمســـــاء حتى كأنمــــا
لـــــه خلف أستــــار الظـــلام حبيب
ويخفى مع الإصبــــاح حتى كأنمـــا
عليـــــه لأنــــوار الصبـــــاح رقيب

وأظرف منه قول من قال: (السريع)

مـــا أكـــرم الخيـــرى فى فعلـــه
يسهـــر إذ نـــور الـــرُّبـــا نـــاعس

كأنمـــا خـــاف عليـــه العـــدا

فهـــو لـــه فى ليلـــه حـــارس

وقال ابن الحداد. (الكامل)

عـاف النهـار مخـافـة الـرقبـاء

نســرى يضمخ حلـة الظلمـاء

يطـوى شـذاه عن الأنـوف نهـاره

ويجـود فـى الظلمـاء بـالإفشـاء

متهتك فـى طبعـه متستـر

وكـذا تكـون شمـائل الظـرفـاء

لمـا رأى حب الأنـوف لعـرفـه

لبس الغيـاهب خيفـة الـرقبـاء

كـالطيف لا يصل الجفـون لسُهـدهـا

ويهب فيهـا سـاعـة الإغفـاء

وقال أبو العلاء السروى: البسيط

أهـدى إلـىَّ فنـون الشـوق والأرق

نسيم رائحـة الخيـرى فـى طبق

كأنـه عـاشق يطـوى صبـابتـه

صبحـا وينشـرهـا فـى ظلمـة الغسق

(مفتاح الراحة / ٢٥٩-٢٦٢).

ومن بعض ما أورده السيوطى فى حسن المحاضرة قول ابن وكيع:

انظـر إلـى المنثـور فـى ميـدانـه

يـدنـو إلى النـاظـر من حيث نظـر

كجـوهـر مختلف لـونـه

أسلمـه سلك نظـام فـانتثـر

(حسن المحاضرة ٢ / ٤٢١، ٤٢٢).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٤٤، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٧، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١٦٠-١٦٢، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ٢٥٩-٢٦٢، وحسن المحاضره للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٤٢١، ٤٢٢).

*** ابن الخيضرى (٨٢١-٨٩٤هـ / ١٤١٨-١٤٨٩م):**

محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر (بكسر الضاد) بن سليمان بن داود بن فلاح بن حيمدة، الخيضرى الزبيدى الدمشقى الشافعى، الحافظ قطب الدين، ولد فى رمضان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وأقبل على الحديث صغيرا فأكثر من السماع، ولازم الحافظ ابن ناصر الدين فتنبه به، ثم لازم الحافظ ابن حجر وتخرج. ووصفة الحافظ ابن حجر بالحفظ (نظم العقيان / ١٦٢).

قال الزركلى: قاضى، من العلماء بالتراجم والأنساب والحديث. أصله من عرب البلقاء. ولد فى بيت لهيا (انظر هذه المادة فى م ٨ / ١٠٤، ١٠٥) من قرى دمشق، وقرأ بدمشق وبعلبك والقدس ومصر ومكة، وولى قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق. وتوفى بالقاهرة.

له كتب منها «الاكتساب فى تلخيص كتب الأنساب» مخطوط، الأول منه، بخطه فى البصرة، و«اللفظ المكرم بخصائص النبى الأعظم» مخطوط، و«شرح ألفية العراقى» و«طبقات الشافعية» و «البرق اللموع فى الخبر الموضوع» فى الأحاديث الموضوعة، و «الروض النضر فى حال الخضر» مخطوط، و «زهر الرياض» مطبوع (الأعلام ٧ / ٥١، ٥٢).

وقد ذكر صاحب الرسالة المستطرفة كتاب ابن الخيضرى «الاكتساب» بين الكتب المؤلفة فى الأنساب فقال: ولخص أيضا أنساب السمعانى القاضى قطب الدين محمد بن محمد ابن عبد الله بن خيضر (الخيضرى) الشافعى المتوفى سنة أربع وتسعين وثمانمائة وضم إليها ما عند ابن الأثير والرشاطى وغيرهما من الزيادات وسماه «الاكتساب فى تلخيص كتب الأنساب» اهـ (الرسالة المستطرفة / ٩٣، ٩٤).

وقد ترجم له السخاوى ترجمة مطولة فى الضوء اللامع فانظرها فى موضعها إن شئت الاستزادة فى م ٥ جـ ٩ / ١١٧-١٢٤.

(نظم العقيان فى أعيان الأعيان للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى / ١٦٢، والأعلام للزركلى ٧ / ٥١، ٥٢، والرسالة المستطرفة للإمام محمد جعفر الكتانى / ٩٣، ٩٤. انظر أيضا الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٥ جـ / ١١٧-١٢٤).

* **الخيضرية (دار القرآن.):**

من دور القرآن فى دمشق. قال عنها النعيمى:

شمالى دار الحديث السكرية بالقصاعين. أنشأها فى سنة ثمان وسبعين وثمانماية، قاضى القضاة، قطب الدين أبو الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الخيضرى الدمشقى الشافعى الحافظ. ورتب فيها للفقراء الجوامك (جمع الجامكية، وهى الرواتب. قال آدى شير: «هى رواتب خدام الدولة تعريب «حامكى») والخبز. ووقف عليها وعلى تربته لصيق المنجكية بمحلة مسجد الذبان، وعلى مطبخ بباب الفراديس، ومطبخ بنى عديسة بالمدينة المنورة، على الحالّ بها أفضل الصلاة وأتم السلام، أوقافا دارة.

ولد الخيضرى سنة إحدى وعشرين وثمانماية بدمشق. ونشأ يتيما فى حجر والدته. وحفظ القرآن، والتنبيه (التنبيه فى فروع الشافعية. أحد الكتب الخمس المشهورة المتداولة بين الشافعيين. ألفه أبو إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى (ت ٤٧٦ هـ) وشرحه الخيضرى. انظر كشف الظنون ١ / ٤٨٩) واشتغل بتحصيل الحديث. وسمع بمكة المشرفة والقدس وبعلبك ومصر. وتخرّج فيه بابن حجر، وتفقه بالتقى ابن قاضى شهبة وغيره. وأخذ النحو على البصروى، وخرَّج له التحرير. وفهرس مشيخته.

وولى تدريس دار الحديث الأشرفية، ووكالة بيت المال وكتابة السر وقضاء الشافعية وتوفى سنة أربع وتسعين وثمان ماية. ودفن بتربته بالقاهرة.

(دور القرآن فى دمشق لعبد القادر محمد النعيمى ـ صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد / ٣ـ٦)

* **الخَيْف:**

قال ياقوت:

خَيْف: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره فاء؛ والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمى مسجد الخيف من منى؛ وقل ابن جنى: أصل الخيف الاختلاف، وذلك أنه ما انحدر من الجبل فليس شرفا ولا حضيضا فهو مخالف لهما، ومنه: الناسُ أخياف أى مختلفون؛ قال:

الناس أخياف وشتى فى الشيم،
وكلهم يجمعهم بيت الأدم

وقال نصيب، وقيل للمجنون:

ولم أر ليلى، بعد موقف ساعة،
بخيف منى ترمى جمار المحصَّب
ويبدى الحصى منها، إذا قذفت به،
من البرد أطراف البنان المخضب
وأصبحت من ليلى الغداة كناظر
من الصبح فى أعقاب نجم مغرِّب
ألا إنما غادرت، يا أم مالك،
صدى أينما تذهب به الريح يذهب

وقال القاضى عياض: خيف بنى كنانة هو المحصَّب، كذا فسر فى حديث عبد الرزاق، وهو بطحاء مكة، وقيل: مبتدأ الأبطح، وهو الحقيقة فيه لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل؛ وقال الزهرى: الخيف الوادى، وقال الحازمى: خيف بنى كنانة بمنى نزله رسول الله، ﷺ؛ والخيف: ما كان مجنبا عن طريق الماء يمينا وشمالا متسعا. وخيف سلام: بلد بقرب عسفان على طريق المدينة فيه منبر وناس كثير من خزاعة، ومياهها قنيّ وباديتها قليلة من جشم وخزاعة. وخيف الحميرا: فى أرض الحجاز؛ قال ابن هرمة:

كأن لم تجاورنا بنعف رواوة
وأخزم أو خيف الحميراء ذى النخل

وقيل: إنما سماه خيف سلام، بالتخفيف، الرشيد. وخيف الخيل: موضع آخر جاء فى شعر سويد بن جدعة القسرى، فقال:

ونحن نفينا خثعما عن بلادها
تقتَّل حتى عاد مولى سنيدها
فريقين فرق باليمامة منهم،
وفرق بخيف الخيل تبرى حدودها

وخيف ذى القبر: أسفل من خيف سلام، وليس به منبر وإن كان آهلا، وبه نخيل كثير وموز ورمان، وسكانه بنو مسروح وسعد كنانة وتجار الفاق، وماؤه من القنى وعيون تخرج من ضفتى الوادى، وبقبر أحمد بن الرضا سمى خيف ذى القبر وهو مشهور به، وسلام هذا كان من أغنياء هذا البلد من الأنصار، بتشديد اللام؛ قاله أبو الأشعث الكندى، وقال:

أسفل منه خيف النَّعم به منبر وأهله غاضرة وخزاعة وتجار بعد ذلك وناس، وبه نخيل ومزارع، وهو إلى عسفان، ومياهه خرَّارة كثيرة.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٢، ٤١٣).

* **الخَيْف (مسجد):**

قال عنه صاحب الجامع اللطيف: من المساجد المباركة في منى، وهو مسجد عظيم الفضل، وقد وردت في فضله أحاديث وآثار فمن ذلك ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدي» وإسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ وإنما ذكرته لغرابته ولجواز العمل به في فضائل الأعمال كما ذكره النووي وغيره من علماء الحديث. وأخرج أيضا في معجمه الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه ﷺ أنه قال «صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى» وكذا أخرجه الأزرقي أيضا وفي رواية عن مجاهد خمسة وسبعون نبيا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا. وأما الأثار فروى الشيخ العلامة مجد الدين صاحب القاموس في كتابه «الوصل والمنى في بيان فضل منى» بسند جيد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت. وأخرج الأزرقي عن أبي هريرة بلفظ لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد الخيف كل سبت وفي آخر عنه أخرجه الجندي لو كنت امرءا من أهل مكة ما أتى عليَّ سبت حتى آتى مسجد الخيف فأخرج الأزرقي بسنده إلى جده أن الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلاه ﷺ والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة لا المنارة التي على الباب، والمحراب الذي في القبة هو موضع مصلاه ﷺ لأنه في موضع الأحجار التي ذكرها الأزرقي كذا نقله الجد رحمه الله (الجامع اللطيف / ٢٠٧).

وقال عنه الإمام الزركشي:

الخيف اسم يقع على ما بين الجبلين. وقيل فيه (أي في تعريفه): الخيف: ارتفاع وهبوط في سفح الجبل، وأشهر الأخياف، خيف منى، ومسجده مسجد الخيف، وهي خيف بني كنانة الذي ورد فيه الحديث، قال الطبراني في الأوسط حدثنا محمد بن العباس المؤدب حدثنا شريح بن النعمان ثنا حماد بن سلمة عن كلثوم بن جبر عن خثيم بن مروان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الخيف ومسجد الحرام، ومسجدي هذا» وقال: لم يروه عن كلثوم بن جبر إلا حماد بن سلمة، ولم يذكر مسجد الخيف في شد الرحال إلا في هذا الحديث انتهى، وعلة هذا الخبر خثيم بن مروان ضعفه الأزدي. وقال البخاري: سمع منه كلثوم بن جبر هذا الحديث ولا يتابع في مسجد الخيف، ولا يعرف لخثيم سماع عن أبي هريرة، وقال أيضا: أخبرنا ابن أبي خثيم ثنا عبد الله بن هاشم الطوسي ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا، منهم موسى ﷺ كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان على بعير أحمر وقال: تفرد به عبد الله بن هاشم. وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي: وادي السرر بمنى على أربعة أميال من مكة فيه دوحة سر تحتها سبعون نبيا (هذا طرف من حديث ذكره الفاسي مما خرجه ابن حبان في صحيحه ومالك والنسائي من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من منى ونفخ بيده نحو المشرق فإن هناك واديا يقال له: وادي السرر به سرحة سر تحتها سبعون نبيا» ثم ذكر الفاسي عن المحب الطبري أن معنى قوله: سر تحتها سبعون نبيا، قطعت سررهم والسرر ما تقطعه القابلة من المولود والباقي من القطع يقال له: السرة والمقطوع السرر والسرر، والمراد أنهم ولدوا تحت تلك السرحة، والموضع الذي هو فيه يسمى وادي السرر بضم السين وقيل بفتحها، وقيل بكسرها، والراء مفتوحة في الأحوال الثلاثة).

وبمنى أربع آيات عظيمة:

إحداهن: أن الجمار على كثرتها في كل سنة تمتحق وترى على قدر واحد. وقد جاء ذلك من طرق كثيرة أوضحتها في تخريج أحاديث الرافعي.

الثانيـة : أن اللحوم بمنى فى أيامها تشـرق على الجدران، وعلى صخـرات الجبال وفى أسطحـة السوق، وهى محـروسة بحراسة الله من تخطف الطير لشىء منها، ومعلـوم أن الحدأة إذا رأت شيئا أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه حتى تخطفـه، وهى تحـوم حول تلك اللحـوم لا تستطيع أن تأخـذ منها شيئا.

الثـالثة : أن الـذباب فـى أيام منى لا يقع على الطعـام بل يؤكل العسل ونحـوه مما يجمع الذباب ويتهافـت على الوقوع فيه ولا يقع فيه بل لا يحوم عليه فـى الغالب مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب من الدماء والأنتان الملقاة فى الطرقات، فإذا انقضت أيام الضيـافة والإكرام، تهافت الـذباب على كل طعـام حتى لا يطيب للطاعم طعم، وتلك آيـات ظاهـرة لمن اعتبرها، وعبرة ظاهرة لم أنعم النظر فيها.

الرابعة : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، إن أمـر منى لعجب، هى ضيقـة فإذا نـزلها الحـاج اتسعت، فقـال رسـول الله ﷺ: إنمـا مثل منى كـالـرحم إذا حملت وسعها الله تعالى.

(إعلام الساجد/ ٦٨ ـ ٧٠).

(الجامع اللطيف فى فضل مكـة وأهلها وبناء البيت الشريف لـلإمام جمال الدين محمـد جار الله بن على بن ظهيرة/ ٢٠٧، وإعـلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى ـ تحقيق فضيلة الشيخ أبى الـوفا مصطفى المـراغى/ ٦٨ ـ ٧٠، وقـد وضعنا تعليقـات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

* خَيْل:

قال ياقوت:

خيل : بلفظ الخيل التى تـركب: كـورة وبليـدة بين الـرى وقزوين محسـوبة من أعمـال الرى، وهى إلى قـزوين أقرب، بينها وبين قزوين عشرة فراسخ، ولها عدة قرى ومنبر وأسواق؛ وقال نصر:

بقيع الخيل موضع بالمدينة عنـد دار زيد بن ثابت دفن به عامـة قتلى أُحـد، قال نصر: وأظنـه بقيع الغـرقد (انظـر مادة «البقيع» فى م ٧/ ٣٢٤ ـ ٣٣٣) وأيضـا جبل الخيل: قـرب المـدينـة بين محنَّب وضِرار لـه ذكـر فى المغـازى. وروضـة الخيل : نجدية.

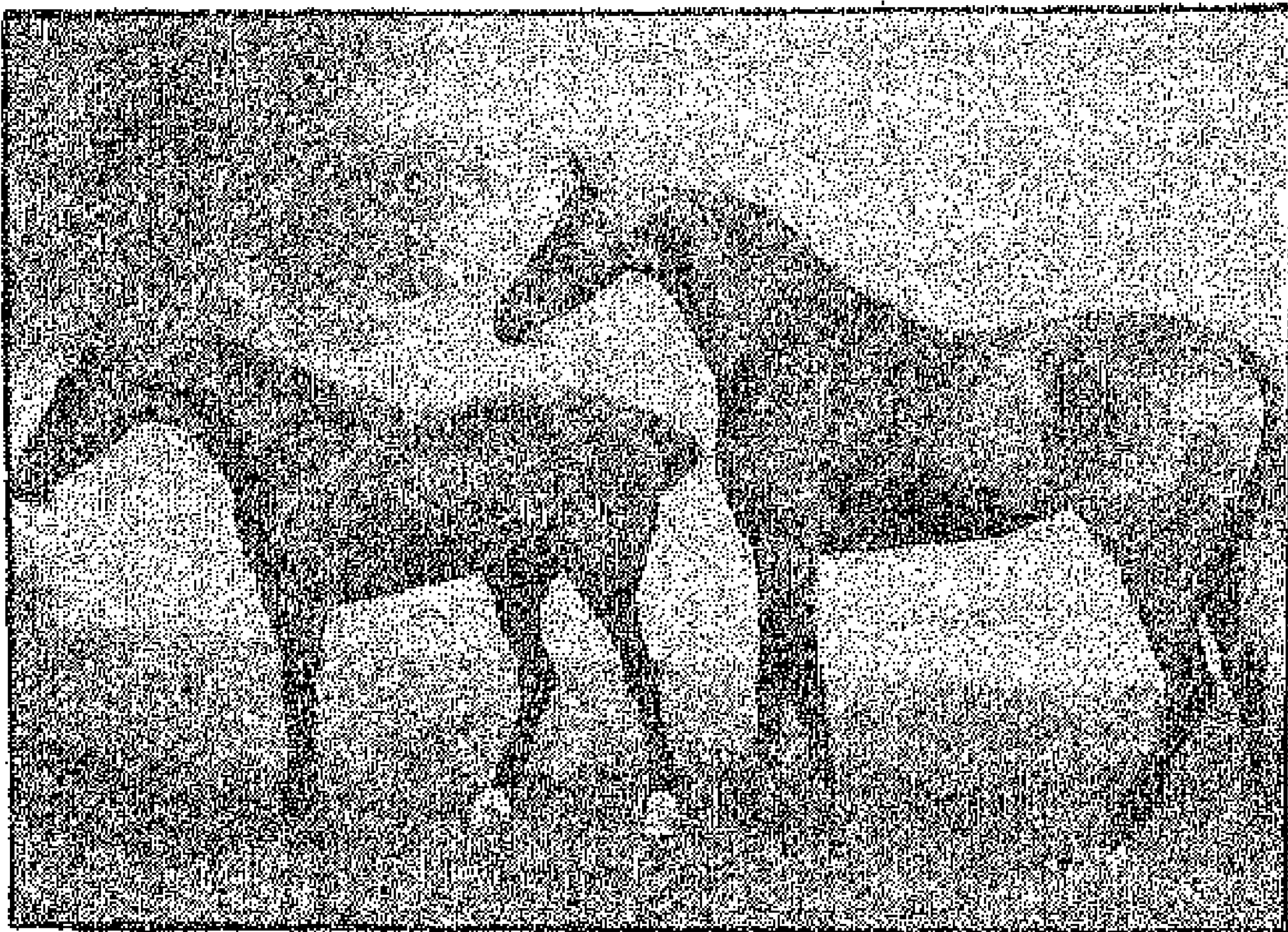
(معجم البلدان ٢/ ٤١٣).

* الخيل:

تـرتبط الخيل ارتبـاط وثيقـا بالحضـارة الإسـلامية، فهى مـذكـورة فى القرآن الكـريم، وفى السنـة النبـوية المشـرفـة، ولانكاد نجد علما من العلوم لم يأت فيه ذكر الخيل، مختصرا أو مطولا، فقد جـاء ذكر الخيل فى علم الأدب، وعلم اللغة، وعلم المغـازى والسيـر، وعلم العسكـرية الإسـلامية، وعلم الحيـوان، وعلم البيطـرة، وعلم أنسـاب الخيل، وفـى هـذه المادة سنحـاول جاهـدين الإلمام بهـذا كله قـدر المستطاع. ونبدأ بالتعاريف:

جـاء فى اللسـان: الخيل: الفِـرسـان، وفى المحكم: جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه، قال أبو عبيدة: واحدها خـائل لأنـه يختال فـى مشيته، قـال ابن سِيـدَهْ: وليس هـذا بمعـروف، وفى التنـزيل العـزيـز: ﴿وأجلـب عليهم بخيلـك ورجلك﴾ [الإسراء: ٦٤] أى بفرسـانك ورجّالتك. والخيل: الخيـول. وفى التنزيـل العزيـز: ﴿والخيل والبغـال والحمير لتركبوها﴾[النحل: ٨]. وفى الحديث: «ياخيل الله اركبى»، قال ابن الأثير: هذا على حـذف المضاف، أراد يافرسان خيل الله اركبى، وهـذا من أحسن المجـازات وألطفهـا، وقـول أبى ذؤيب.

فتنـــازلا وتـــواقفت خيـــلاهمـــا
وكـــلاهمـــا بطل اللقـــاء مُخـــدَّع



الخيول العربية



ثنّاه على قولهم هما لقاحان أسودان وجمالان، وقوله بطل اللقـاء أى عنـد اللقاءوالجمع أخيـال وخيـول، الأول عن ابن الأعرابى، والأخير أشهر وأعرف (لسان العرب ١٥ / ١٣٠٧).

وقال الإمام النووى فى مـادة «خيل» الخيل والخيلاء تكرر ذكرهما قـال الإمام الواحدى فى أول سـورة آل عمران: الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقـوم والرهط والنساء قال سميت خيلا لاختيالهـا فى مشيتها بطول أذنابهـا والاختيال مأخوذ من التخيل وهو التشبه بالشىء فالمختال يتخيل فى صورة من هو أعظم منـه كبرا والخيال صـورة الشىء والأخيل الشقـرّاق لأنه يتخيل مرة أحمر ومرة أخضر هذا آخر كلام الواحدى وكذا قال جمهور الأئمة إن الخيل لا واحد له مـن لفظه. وقال أبو البقاء فى إعرابه-مثـل ما قال الجمهور. وقال وقيل واحـده خائل مثل طـائر وطير وواحـد الخيل عنـد الجمهـور فرس والفـرس اسم للذكـر والأنثى قال أبـو حاتم السجستـانى فى كتـابه المـذكر والمؤنث الخيل مؤنثة وتجمع على خيول وتصغير الخيل خييل (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٠١).

وقال الراغب الأصفهانى فى مادة «خيل»:

والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل إنه لا يركب أحد فرسا إلا وجد فى نفسـه نخوة، والخيل فى الأصل اسم لـلأفراس والفـرسان جميعـا وعلى ذلك قـولـه تعـالى: ﴿ومن ربـاط الخيل﴾ ويستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ماروى: يا خيل الله اركبى، فهذا للفرسان، وقوله عليه الصلاة والسلام: «عفوت لكم عن صدقة الخيل» يعنى الأفراس (المفردات/ ١٦٢).

أما الآيات القرآنية الكـريمة التى جاء فيها ذكر الخيل فهى كما يلى:

- ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضـة والخيل المسومة﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿وأعـدوا لهم مـا استطعتم مـن قـوة ومن ربـاط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠].

- ﴿والخيل والبغال والحميـر لتركبـوها وزينـة ويخلق ما لاتعلمون﴾[النحل: ٨].

- ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾[الحشر: ٦].

- ﴿واستفـزز مَن استطعت منهم بصـوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾[الإسراء: ٦٤].

أما عن الأحاديث النبوية الشريفة فبعضها جاء فى صفات الخيل، وبعضها الآخر جاء فى فضلها والحث على رعايتها والعناية بها.

فأما ماجاء فى صفات الخيـل فهو ما ورد فى كتاب تيسير الوصول للإمام ابن الديبع وهو كلما يلى:

١ ـ عن أبى وهب الجشمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم من الخيل بكل كميت أغر مُحجَّل، أو أشقر أغـر محجل، أو أدهم أغـر محجل قيـل لأبى وهب لم فُضِّل الأشقـر، قال: لأن النبى ﷺ بعث سـرية فكان أول من جـاء بالفتح صاحب أشقر». أخرجه أبو داود والنسائى.

وعنده: اربطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار.

ومعنى لاتقلدوها الأوتار: أنهم كانوا يقلدون خيلهم الأوتار من العين فأعلمهم أن ذلك لا يرد من قدر الله شيئـا. وقيل: معناه لاتطلبوا عليها الأوتار التى وترتم بها فى الجاهلية.

٢ ـ وعن أبى قتادة رضى الله عنـه قـال: «قال رسـول الله ﷺ: خيـر الخيل الأدهم الأقـرح الأرثم ثم الأقـرح المحجل طلق اليمين، فـإن لم يكن أدهم فكميت على هـذه الشيـة» أخرجه الترمذى.

(الأقـرح الذى فى جبهتـه قـرحة، وهـى بياض يسيـر فى

وسطها . (والأرثم) الذى فى شفته العليا بياض . (وطلق اليمين) بضم الطاء واللام : غير محجلها . (والشية) كل لون خالف معظم لون الخيل وغيره .

٣ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «قال رسول الله ﷺ : يُمْنُ الخيل فى شُقرها» . أخرجه أبو داود والترمذى . (اليمن) البركة .

٤ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ يكره الشكال فى الخيل ، وهو أن يكون الفرس فى رجله اليمنى بياض وفى يده اليسرى ، أو يده اليمنى ورجله اليسرى . وقيل : الشكال أن يكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة أو الثلاث مطلقة وواحدة محجلة ولا يكون الشكال إلا فى رجل ، وقيل هو اختلاف الشية ببياض فى خلاف» . أخرجه الخمسة إلا البخارى .

٥ ـ وعن عروة بن الجعد رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : الخيل معقود فى نواصيها الخير: الأجر والمغنم إلى يوم القيامة» أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

قالت المؤلفة : أخرج الإمام السيوطى هذا الحديث بلفظ : «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر، والمغنم» من رواية الإمام أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، عن عروة البارقى من رواية أحمد فى مسنده ومسلم ، والنسائى عن جرير حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ١٣) .

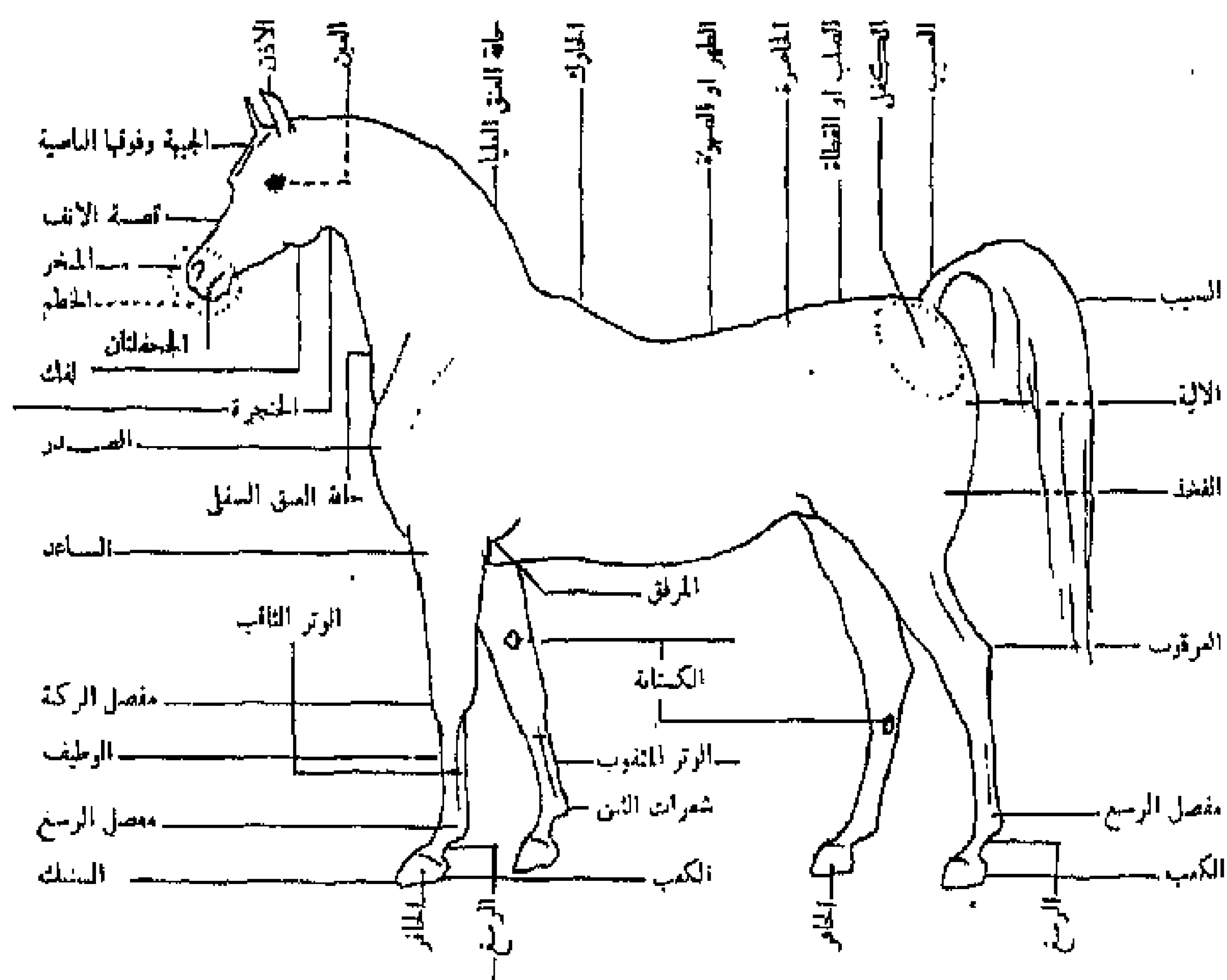
٦ ـ وعن عتبة بن عبد الله السلمى رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : «لا تقصوا نواصى الخيل ولا أعرافها ولا أذنابها فإن أذنابها مذابُّها ، ومعارفها دفاؤها ونواصيها معقود فيها الخير» . أخرجه أبو داود .

٧ ـ وعن جرير رضى الله عنه قال : «رأيت النبى ﷺ يلوى ناصية فرس بأصبعه ويقول : الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة» أخرجه مسلم والنسائى .

٨ ـ وعن يحيى بن سعيد قال : «رؤى النبى ﷺ يمسح وجه فرسه بردائه . فقيل له فى ذلك فقال : إنى عوتبت الليلة فى الخيل» . أخرجه مالك .

٩ ـ وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : ما من فرس عربى إلا يؤذن له عند كل سَحَر بكلمات يدعو

وصف الخيل العربية



بهن : اللهم خولتنى من خولتنى من بنى آدم وجعلتنى له فاجعلنى أحب أهله وماله إليه ، أو من أحب أهله وماله إليه» . أخرجه النسائى .

١٠ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «كان النبى ﷺ يسمى الأنثى من الخيل فرسا» . أخرجه أبو داود .

١١ ـ وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : «كان لرسول الله ﷺ فرس فى حائطنا يقال له اللخيف» . أخرجه البخارى .

ويروى بالحاء والخاء مكبرا ومصغرا .

١٢ ـ وعن على رضى الله عنه قال : «أهديت للنبى ﷺ بغلة فركبها . فقلت له : لو حملنا الحمر على الخيل فكانت لنا مثل هذه؟ فقال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون» . أخرجه أبو داود والنسائى (تيسير الوصول ٢ / ١٥٥ ـ ١٥٧) .

وإليك الأحاديث التى وردت فى مصادر أخرى :

ـ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» أخرجه الشيخان عن ابن عمر وأبى هريرة وأنس وعروة البارقى ، وأحمد عن جابر بن عبد الله وأبى ذر وأبى سعيد وأسماء بنت يزيد .

والبزار عن حذيفة وأنس وسوادة بن الربيع .

والطبرانى عن ابن الحنظلية وعريب والنعمان وأبى كبشة



« يا خيل الله اركبي »

وأبى أمامـة والدارقطنـى فـى المؤتلـف عـن جسر بـن وهـب.

وابن أبى شيبة من مرسل مكحول (الأزهار المتناثرة / ٥٧).

وقـد أخـرج الحافـظ السيوطى فى الجـامع الصغيـر هـذا الحديث بلفظ «فى نواصيها» بـدل «بنواصيها» من رواية مالك وأحمد فى مسنـده والبخارى ومسلم والنسائى وابن مـاجه عن ابن عمـر من روايـة أحمـد فى مسنـده والبخـارى ومسلم والنسائى وابن مـاجه، عن عروة بن الجعـد، والبخارى، عن أنس، من رواية مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه، عن أبى هريرة من رواية أحمد فى مسنده عن أبى ذر وعن أبى سعيد من رواية الطبرانى فى الكبير عن سوادة بن الربيع وعن النعمان بن بشير وعن أبى كبشة. حديث حسن (الجامع الصغير ٢ / ١٣).

والأحاديث التاليـة أخرجها الحافظ السيـوطى فى الجامع الصغير:

الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة، والمنفق على الخيل كالباسط كفه بـالنفقة لا يقبضها» للطبرانى في الأوسط عن أبي هريرة

* ـ «الخيل معقـود فى نـواصيهـا الخيـر واليمـن إلى يـوم القيامـة، وأهلها معانون عليهـا، قلدوها ولا تقلدوهـا الأوتار» للطبرانى فى الأوسط عن جابر. ضعيف.

ـ «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة، وقلدوها ولا تقلـدوها الأوتـار» لأحمـد فى مسنـده عن جابـر. حـديث صحيح.

ـ «الخيل معقـود بنواصيها الخير والنيل إلى يـوم القيامة، وأهلها معانـون عليها، والمنفق عليها كباسط يـده فى صدقة، وأبوالهـا وأرواثها لأهلهـا عند الله يـوم القيام من مسـك الجنة» للطبرانى فى الكبير عن عريب المالكى. حديث صحيح.

ـ «الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الـرحمن فالذي يرتبط فى سبيل الله فعلفه وروثه وبـوله فى ميزانـه، وأما فرس الشيطـان فالذى يقـامر أو يـراهن عليه، وأمـا فرس الإنسـان فـالفرس يـرتبطها الإنسـان يلتمس بطنها فهى ستر من فقر» رواه أحمد فى مسنده عن ابن مسعود. حديث صحيح.

ـ «الخيل لثلاثة: هى لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الـذى هى له أجر فرجل ربطهـا فى سبيل الله فأطال لهـا فى مـرج أو روضـة فما أصـابت فى طيلهـا من المـرج أو الروضـة كانت لـه حسنات، ولـو أنها قطعت طيلهـا فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له. ولو أنها مرت بنهر فشربت ولم يرد أن يسقيهـا كان ذلك له حسنات، ورجل ربطها تغنيا وسترا وتعففا ثم لم ينس حق الله فى رقابها وظهورها فهى له ستر، ورجل ربطها فخرا ورياء ونوءا لأهل الإسلام فهى لـه وزر». رواه مالك عن أحمـد فى مسنده والبخـارى ومسلم والتـرمـذى والنسـائى وابن مـاجـه عن أبى هـريـرة. حـديث صحيح.

ـ «الخيل فى نـواصى شقـرهـا الخيـر» للخطيب عن ابن عباس. حديث حسن (الجامع الصغير ٢ / ١٣، ١٤).

وقد أورد الحافظ المناوى عددا من الأحاديث بعضها مثل ما سقناه آنفا مع بعض الاختلاف فى اللفظ، وذلك فى الجامع الأزهر ١ / ٢٢٩ ورقة ب، ٢٣٠ ورقة أ، فارجع إليه إن شئت.

وعن مكـانة الخيـل عند العـرب قبل وبعـد الإسلام يقـول الأستـاذ قـدرى الأرضروملـى فى مقدمـة كتـابـه القيم «الخيل العراب»:

كان العرب قبل ظهـور محمد ﷺ منقسمين إلى آلاف من القبائل المستقلة. وكانت الخلافات والحزازات القبلية تلعب دورا كبيرا فى حياة هذه القبائل التى كانت تلجأ فى الغالب إلى السلاح لحل مشاكلها. وكان من البديهى أن تولد النتائج التى

تترتب على استعمال السلاح . الحقد والضغينة والكراهية وحب الانتقام . وعليه فقد كان من الطبيعي أن تستمر الحروب والغزوات بين القبائل ، الأمر الذى جسم فضل الخيل وفائدتها فى تنفيذ حملات الغزو وتحركات أفراد القبيلة التى كانت تتطلب السرعة الهائلة فى كلا الحالتين الهجوم للانقضاض والانسحاب طلبا للنجاة هذا بالإضافة إلى شدة حاجة العرب إلى الخيل فى أسفارهم وتنقلاتهم فى المناطق الشاسعة البعيدة طلبا للكلأ لماشيتهم ، ولصيد الحيوانات وللقيام بفعاليات الفروسية التى هى من صلب حياة العربى ومن مقومات بقائه وسلامته .

وانطلاقا من هذا الواقع فقد كان من قبيل الاعتراف بالفضل والإنصاف أن تحتل الخيل مكانتها السامية فى قلوب العرب قبل الإسلام وإن تحظى بحصة الأسد من قصائدهم الشعرية التى خلدت الخيل بفضلها ومآثرها ووفائها وشجاعتها ووصف جمالها وخلقها .

ثم ازداد حب الخيل عند العرب حين بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين آمرًا إياه باتخاذ الخيل وارتباطها كما جاء فى الآية الكريمة **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** ، [الأنفال : ٦٠] فلبى الرسول الكريم ﷺ أوامر البارىء عز وجل وارتبط الخيل وخصها بعنايته وحببها إلى المسلمين معلنا لهم ما جعل الله تعالى فيها من العز والشرف وما يكسبونه بارتباطها من الأجر والمنفعة .

قالت المؤلفة : ثم أورد المؤلف عددا من الأحاديث النبوية مما سقناه آنفا فحذفناه تفاديا للتكرار .

ثم يقول المؤلف :

روى صاحب رشحات المداد : أن روح بن زنباع الجذامى رأى تميما الدارى ينقى لفرسه شعيرا ثم يعلقه عليه وحوله أهله وعياله فقال له روح : ما كان لك من كل هؤلاء من يكفيك ؟ قال تميم : بلى . ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرىء مسلم ينقى لفرسه شعيرا ثم يعلقه عليه إلا كتب الله عز وجل له بكل حبة حسنة .

وقد فضلها ﷺ على أصحابها فى تقسيم الغنائم . فجعل للفرس سهمين بينما جعل لصاحبه سهما واحدا والراجل سهما واحدا . فزاد إقبال العرب المسلمين على جنيها راجين الله تعالى حسن الثواب والرزق الحلال . ومن الثابت إنه ﷺ كان يمسح بكمه وجه فرسه وعينيه ومنخريه إمعانا فى تكريمه .

وقد بلغ اعتزاز العرب بخيلهم الغاية القصوى . [illegible] هذا الاعتزاز ، بأسمى معانيه بحرصهم الشديد على المحافظة على هذا النسل النبيل من الخيل ـ الذى كان مقدرا له أن يصبح قبلة أنظار العالم ـ من التلوث بدم أجنبى . وكانت أمنية العربى أن يسعفه الحظ فيتيسر له الفحل الأصيل العريق النسب ليسفد فرسه .

وقد ميز العرب بين خيلهم العربية العريقة الأصيلة وغيرها من الخيل الغريبة كليا أو التى امتزج دمها بدم عربى بأن أطلقت على كل نسل منها اسما معينا ، كما هو مبين فيما يلى :

العربى : هو الفرس الذى يولد من أم عربية معروفة النسب وأب (فحل) معروف النسب أيضا .

البرذون : وهو الغريب كليا ، وأبوه وأمه عجميان . وقيل فى ذلك :

نجى علاجا وبشرا كل سلهبة
واستلحم الموت أصحاب البراذين

سلهبة : ـ وصف للفرس العربى الشامخ الطويل .

الهجين : وهو الذى ولدته برذونة من حصان عربى . وقيل فى هذا :

ولا يدرك العرب الهجين بجريه
ولا حليه فى سرجه ولجامه

المقرف : وهو الذى ولدته فرس عربية من أب (فحل) غير عربى . (الخيل العراب / ١٤ ، ١٥) .

قالت المؤلفة : وفى كتاب «أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها» لأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ما يشفى الغليل فى هذا الباب .

يقول الدكتور عبد الرحمن زكى :

والمعروف أن خيل العرب أجود خيول العالم ، وكانت أهم ما يعتمد عليه الفارس العربى ، فأولاها عناية ورعاية ، وكانوا لا يستعملونها إلا فى الرياضة والقتال ، فإذا شاءوا الحرب ركبوا الإبل وقادوا الخيل لإراحتها . . وقد ذكر ابن قيم الجوزية :

الفروسية أربعة أنواع، أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها، والثاني الرمى بالقوس. والثالث المطاعنة بالرماح، والرابع المداورة بالسيوف، فمن استكملها استكمل الفروسية.

ولما كانت أعداد الخيل المتوافرة عند المسلمين قليلة أثناء غزوات الرسول الأولى فقد استخدمت على نطاق ضيق، ثم زاد عددها بعد فتح مكة، ويعود ذلك إلى وفرتها عند تجار مكة الأثرياء (الحرب عند العرب / ٣٢، ٣٣).

فإذا انتقلنا إلى الخيل فى مصنفات علم الحيوان نجد الوصف التالى عن كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للشيخ كمال الدين الدميرى. والمنهج المعروف فى كتابه هذا هو أنه يمزج بين علوم شتى من بينها علم الحيوان، وعلم اللغة والفقه، والطب، والأدب، والشعر، وتعبير الرؤيا وغير ذلك. كتب رحمه الله يقول فى مادة «الخيل»:

جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر وقيل مفرده خائل قاله أبو عبيدة وهو مؤنثة والجمع خيول وقال السجستانى تصغيرها خُيَيْل سميت الخيل خيلا لاختيالها فى المشية فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه وجمع عند أبى الحسن ويكفى فى شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها فى كتابه فقال ﴿والعاديات ضبحا﴾ [العاديات: ١] وهى خيل الغزو التى تعدو فتضبح أى تصوت بأجوافها وفى الصحيح عن جرير بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال «رأيت رسول الله ﷺ يلوى ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة».

ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها كأنه معقود فيها والمراد بالناصية هنا الشعر المترسل على الجبهة قاله الخطابى وغيره قالوا وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية وميمون الغرة أى الذات فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال ﷺ بل أنتم أصحاب إخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يارسول الله قال ﷺ أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بُهم ألا يعرف خيله؟ قالوا بلى يارسول الله قال ﷺ فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وأنا فرطهم على الحوض» وفى رواية البيهقى «إن أمتى يأتون يوم القيامة غرا من السجود محجلين من الوضوء ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم» وروى مسلم وأبو داود الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يكره الشكال من الخيل والشكال أن يكون الفرس فى رجله اليمنى بياض وفى يده اليسرى بياض أو فى يده اليمنى ورجله اليسرى كذا وقع تفسيره فى صحيح مسلم وهذا أحد الأقوال فى الشكال وقال أبو عبيدة وجمهور أهل اللغة والغريب هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة تشبيها بالشكال الذى يشكل به الخيل فإنه يكون فى ثلاث قوائم غالبا وقال أبو عبيدة وقد يكون الشكال ثلاث قوائم مطلقة وواحدة محجلة قال ولا تكون المطلقة أو المحجلة إلا فى الرجل وقال ابن دريدهو أن يكون محجلا فى شق واحد فى يده ورجله فان كان مخالفا قيل شكال مخالف وقيل الشكال بياض اليدين وقيل بياض الرجلين قال العلماء إنما كرهه ﷺ لأنه على صورة المشكول وقيل يحتمل أن يكون جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة وقال بعض العلماء فإذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة لزوال شبهه بالشكال وقال ابن رشيق فى عمدته فى باب منافع الشعر ومضاره أن أبا الطيب المتنبى لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى وأجزل جائزته رجع من عنده قاصدا بغداد وكان معه جماعة فخرج عليهم قطاع الطريق بالقرب من بغداد فلما رأى الغلبة فر هاربا فقال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكَرَّ راجعا وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله هذا البيت وذلك فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة.

وفى سنن النسائى من حديث سلمة بن نفيل السكونى إن النبى ﷺ نهى عن إزالة الخيل وهو امتهانها فى الحمل عليها واستعمالها وأنشد أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد لابن عباس رضى الله تعالى عنهما:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها
فإن العز فيها والجمالا

إذا مـــــا الخيل ضيعهـــــا أنـــــاس
ربطنـــــاهـــــا فأشـــــركت العيـــــالا
نقـــــاسمهـــــا المعيشـــــة كل يـــــوم
ونكســـــوهـــــا البـــــراقع والجـــــلالا

فائدة رأيت فى تاريخ نيسابور للحاكم أبى عبد الله فى ترجمة أبى جعفر الحسن بن محمد بن جعفر الزاهد العابد أنه روى بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب إنى خالق منك خلقا أجعله عزاً لأوليائى ومذلة لأعدائى وجمالا لأهل طاعتى فقال الريح اخلق: يارب فقبض منها قبضة فخلق منها فرسا وقال جلا وعلا خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بنواصيك والغنائم محتازة على ظهرك وبوأتك سعة من الرزق وأيدتك على غيرك من الدواب وعطفت عليكِ صاحبك وجعلتك تطيرين بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب وإنى سأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى ويهللونى ويكبرونى ثم قال ﷺ ما من تسبيحة وتهليلة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعه الملائكة إلا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة بخلق الفرس قالت يارب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك فماذا لنا فخلق الله تعالى لها خيلا لها أعناق كأعناق البخت يمد بها من شاء من أنبيائه ورسله . قال فلما استوت قوائم الفرس فى الأرض قال الله تعالى له إنى أذل بصهيلك المشركين وأملأ منه آذانهم وأذل به أعناقهم وأرعب به قلوبهم قال فلما أن عرض الله تعالى على آدم كل شىء مما خلق قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا أبدا الآبدين ودهر الداهرين وهو فى شفاء الصدور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بغير هذا اللفظ ...

فائدة أخرى : أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام ولذلك سميت بالعراب وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل إنى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله إلى إسماعيل أن اخرج فادع بذلك الكنز فخرج إلى أجياد وكان لا يدرى ما الدعاء والكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته فأمكنته من نواصيها وتذللت له ولذلك قال نبينا ﷺ« اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل ... » .

وفى طبقات ابن سعد بسنده عن عريب المليكى أن النبى ﷺ سئل عن قوله تعالى ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[البقرة : ٢٧٤] من هم فقال النبى ﷺ هم أصحاب الخيل . ثم قال ﷺ« إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها وأبوالها وأرواثها يوم القيامة كذكى المسك» وعُريب بضم العين المهملة . وروى الشيخان عن ابن عمر رضىَ الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ سابق بين الخيل التى ضمرت وكان أمدها من الحفياء إلى ثنية الوداع وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية الى مسجد بنى زريق وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فيمن أجرى فائدة أخرى : خيل السباق عشرة ذكرها الرافعى وغيرها وحذفها من الروضة وهى مجل ومصل وتال وبارع ومرتاح وحظى وعاطف ومؤمل والسكيت والفسكل وإلى ذلك أشرت فى المنظومة بقولى :

مهمـــــة خيل السبـــــاق عشـــــره
فى الشـــــرح دون الـــــروضـــــة المعتبـــــره
وهـــــى مجـــــل ومصـــــل تـــــالـــــى
والبـــــارع المـــــرتـــــاح بـــــالتـــــوالى
ثـــــم حظـــــى عـــــاطـــــف مـــــؤمـــــل
ثـــــم السكيت والأخيـــــر الفسكـــــل

فائدة أخرى قال السهيلى فى التعريف والأعلام وأما خيل رسول الله ﷺ فأسماؤها السكب وهو من سكب الماء كأنه سيل ، والسكب أيضا شقائق النعمان ، والمرتجز سمى بذلك لحسن صهيله ، واللحيف كأنه يلحف الأرض لجريه ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكره البخارى فى جامعه واللزاز ومعناه أنه ما سابق شيئا إلا لزه أى أثبته وملاوح والضرس والورد وهبه لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فحمل عليه عمر فى سبيل الله تعالى وهو الذى وجده يبتاع برخص انتهى (انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» فى م ٥ / ٤٤٣ ، ٤٤٤) .

فائدة أخرى : روى ابن السنى وأبو القاسم الطبرانى عن أبان بن أبى عياش والمستغفرى أيضا عن أنس بن مالك رضى

الله تعالى عنه قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فأدن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه قال فأتيته فقال لى يا أبا حمزة إنى أريد أن أعرض عليك خيلى فتعلمنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله ﷺ فعرضها فقلت شتان ما بينهما تلك كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجرا وهذه هيئت للرياء والسمعة فقال الحجاج لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذى فيه عيناك فقلت ما تقدر على ذلك قال ولم؟ قلت لأن رسول الله ﷺ علمنى دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان ولا سلطان ولاسبع فقال يا أبا حمزة علمه ابن أخيك يعنى ابنه محمد بن الحجاج فأبيت عليه فقال لابنه ائت عمك أنسا فلتسأله أن يعلمك ذلك قال أبان فلما حضرته الوفاة دعانى فقال يا أبا أحمد إن لك إلىَّ انقطاعا وقد وجبت حرمتك وإنى معلمك الدعاء الذى علمنى رسول الله ﷺ فلا تعلمه من لا يخاف الله أو نحو ذلك وهو هذا الدعاء المبارك: الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله على كل شيء أعطانيه ربى بسم الله خير الأسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله الله ربى لا أشرك به شيئا أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذى لا يعطيه أحد غيرك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اجعلنى فى عبادك واحفظنى من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك من الشيطان الرجيم اللهم إنى أحترس بك من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك منهم وأقدم بين يدى بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن يسارى مثل ذلك ومن فوقى مثل ذلك ومن تحتى مثل ذلك.

مسألة: قال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى ورد مثال كريم ممن هو حقيق بالتبجيل والتعظيم يتضمن السؤال عن الخيل هل كانت قبل آدم عليه السلام أو خلقت بعده وهل خلق الذكور قبل الإناث أو الإناث قبل الذكور وهل العربيات قبل البراذين أو البراذين قبل العربيات وهل ورد فى الحديث أو الأثر أو السير أو الأخبار ما يدل على ذلك.

(والجواب أن نختار أن خلق الخيل كان قبل خلق آدم عليه السلام بيومين أو نحوهما وأن خلق الذكور قبل الإناث وأن العربيات قبل البراذين أما قولنا إن خلقها كان قبل خلق آدم فالآيات فى القرآن سنذكرها آية آية ونذكر وجه الاستدلال والمعنى فيه وهو أن الرجل الكبير يهيىء له ما يحتاج إليه قبل قدومه وقال تعالى «خلق لكم ما فى الأرض جميعا» فالأرض وكل ما فيها مخلوق لآدم وذريته إكراما لهم ومن كمال إكرامهم وجودها قبلهم فجميع ذلك مقدم على خلقه ثم كان خلق آدم بعد ذلك آخر الخلق لأنه وذريته أشرف الخلق ألا يرى أن النبى ﷺ أشرف من الجميع ولذلك كان آخر الخلق لأن به ﷺ تم كمال الوجود وما سوى آدم مما هيىء له حيوان وجمادوالحيوان أشرف من الجماد والخيل من أشرف الحيوان غير الآدمى فكيف يؤخر خلقها عنه فهذه الحكمة تقتضى تقديم خلقها مع غيرها من المنافع وإنما قلنا بيومين أو نحوهما لحديث ورد فيه يتضمن أن بث الدواب يوم الخميس، والحديث فى الصحيح لكن فيه كلام ولا شك أن خلق آدم عليه السلام كان يوم الجمعة والحديث المذكور يتضمن أنه بعد العصر فلذلك قلنا إنه بيومين أو نحوهما على التقريب وأما التقدم فلا يتردد فيه والمعنى فيه قد ذكرناه وأما الآيات التى تدل له فمنها قوله تعالى **﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾** [البقرة: ٢٩] ووجه الاستدلال أن الآية الكريمة اقتضت خلق ما فى الأرض جميعا قبل تسوية الرحمن السماء ومن جملة ما فى الأرض الخيل فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء عملا بالآية ودلالة ثم على الترتيب وتسوية السماء قبل خلق آدم عليه السلام لأن تسوية السماء كانت فى جملة الأيام الستة لقوله تعالى **﴿رفع سمكها فسواها﴾** إلى قوله جل وعلا **﴿والارض بعد ذلك دحاها﴾**[النازعات: ٢٨ ـ ٣٠] ودلالة الحديث الصحيح المجمع عليه على أن خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة بعد كمال المخلوقات أما آخر الأيام الستة إن قلنا إن ابتداء الخلق يومَ الأحد كما يقوله المؤرخون وأهل الكتاب وهو المشهور عند أكثر الناس وأما فى اليوم السابع فهو خارج عن الأيام الستة كما يقتضيه الحديث الذى أشرنا إليه فيما سبق الذى فى صحيح مسلم الذى صدره أن الله تعالى خلق التربة يوم السبت وإن كان فيه كلام وأما تأخر خلق آدم عليه السلام فلا كلام فيه فثبت بهذا أن خلق الخيل قبل خلق آدم عليه السلام وهى من جملة المخلوقات فى الأيام الستة لا كما

يقوله بعض الجهلة الكفرة ويروى فيه أحاديث موضوعة لا تصدر إلا عن أسخف المجانين لا حاجة بنا الى ذكرها .

ومن الآيات قوله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ [البقرة : ٣١ ــ ٣٣] وجه الاستدلال بهذه الآية أن الأسماء كلها إما أن يراد بها نفس الأسماء أو صفات المسميات ومنافعها وعلى كلا التقديرين المسميات موجودة فى ذلك الوقت للإشارة إليها بقوله ﴿هؤلاء﴾ ومن جملة المسميات الخيل فلتكن موجودة حينئذ والأسماء عام بالألف واللام مؤكدة بقوله تعالى ﴿كلها﴾ فتقوى العموم فيه والمسميات لا بد من إرادتها بقوله تعالى ﴿ثم عرضهم﴾ وقوله تعالى ﴿بأسمائهم﴾ فهذا دليل قاطع فى ذلك والعموم شامل للخيل فمن رأى دلالة العموم قطعية يقطع بدخولها ومن لا يرى ذلك يستدل به فيه كما يستدل بسائر الأدلة الشرعية ومن الآيات قوله تعالى فى سورة السجدة ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الآية : ٤] وجه الاستدلال اقتضاؤها خلق ما بينهما فى الستة وقد قلنا إن خلق آدم عليه السلام خارج عن الأيام الستة بعدها أو حاصل فى آخرها بعد خلق غيره كما سبق وفى الآيات قوله تعالى فى سورة قٓ : ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب﴾ [قٓ : ٣٨] وجه الاستدلال بها ما قدمناه فيما قبلها فهذه أربع آيات تدل على ذلك فيها كفاية . وقد جاء عن وهب بن منبه فى الإسرائيليات إن الخيل خلقت من ريح الجنوب وذلك لاينافى ماقلناه ولا نلتزم صحته لأنا لا نصحح إلا ما صح لنا عن الله تعالى ورسوله ﷺ وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخيل كانت وحوشا وأن الله تعالى ذللها لإسماعيل عليه الصلاة والسلام وذلك لا ينافى ما قلناه فقد تكون مخلوقة من قبل آدم عليه السلام واستمرت على وحشيتها إلى عهد إسماعيل عليه السلام أو كانت تركب فى وقت ثم توحشت ثم ذللت لإسماعيل عليه السلام وليس فى ذلك عن النبى ﷺ ولا عن الصحابة دليل فالمعتمد ما قلناه من دلالة القرآن والذى قيل من أن إسماعيل عليه السلام أول من ركبها أمر مشهور ولكن إسناده ليس صحيحا حتى نلتزمه وقد قلنا إنا لا نلتزم إلا ما صح عن الله تعالى ورسوله ﷺ . وفى تفسير القرطبى من رواية الترمذى الحكيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام برفع القواعد قال الله تبارك وتعالى إنى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله إلى إسماعيل عليه السلام أن اخرج إلى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج إلى أجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها الله تعالى له ولو ذكرنا ما قال الناس فى ذلك وشرحناه بطوله لطال فقد تكلم الناس فى ذلك كثيرا وذكروا من خواص الخيل ومنافعها شيئا كثيرا ليس ذلك كله مما نلتزم صحته ومطالبة القاصد بسرعة الجواب فى أسرع وقت تقتضى الاقتصار على ما قلناه وفيه كفاية وأما قولنا أن خلق الذكور قبل الإناث فلأمرين أحدهما شرف الذكر على الأنثى والثانى حرارته وإن كان الاثنان من جنس واحد من مزاج واحد فأحدهما أكثر حرارة من الآخر فقد جرت عادة القدرة الإلهية بتكوين أقواهما حرارة قبل الآخر والذكر أقوى حرارة من الأنثى فناسب أن يكون وجوده أسبق ولتحصل المنة به أكثر ولذلك كان خلق آدم عليه السلام قبل خلق حواء ولأن أعظم ما يقصد له الخيل الجهاد والذكر فى الجهاد خير من الأنثى لأن الذكر أجرى وأجرأ أعنى أشد جريا وأقوى جراءة ويقاتل مع راكبه والأنثى بخلاف ذلك وقد تقطع بصاحبها أحوج ما يكون إليها إذا كانت وديقا ورأت فحلا ولا يرد على ذلك ركوب جبريل عليه السلام أنثى لما جاز البحر بموسى عليه السلام لأن ذلك لركوب فرعون فحلا فقصد طلبه للأنثى وعجز فرعون عن إمساك رأسه . وأما قولنا إن العربيات قبل البراذين فلما ذكر من حديث إسماعيل عليه السلام ، ولأن العربيات أشرف وأصل والبرذون إنما يكون بعارض أو علة إما فيه وإما في أبيه أو أمه ولم تكن البراذين تذكر فيما خلا من الزمان ألا ترى إلى قصة إسماعيل عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام وإنما البراذين ما انتحس من الخيل حتى اختلف العلماء هل يسهم له كما يسهم للفرس العربى أو لا وفى حديث من مراسيل مكحول فى بعض ألفاظه للفرس سهمان وللهجين سهم فهذه الرواية تقتضى أن الهجين لا يسمى فرسا والهجين وهو البرذون أو قريب منه وبالجملة البراذين حثالة الخيل وما كان الله

تعالى ليخلق من الجنس حثالة فى الأول وأما الأحاديث النبوية والآثار الصحيحة فإن ما جاء منها فى فضيلة الخيل وسباقها وشياتها وفضيلة اتخاذها وبركتها والنفقة عليها وخدمتها ومسح نواصيها والتماس نسلها وثمنها ونمائها والنهى عن خصائها وجز نواصيها وأذنابها وإزالتها وفيما يقسم لصاحبها من الغنيمة واختلاف العلماء فيه وهل يجب فيها زكاة أو لا وغير ذلك أضربنا عنه للعجلة وهذه نبذة يسيرة كتبتها على سبيل العجلة فى ساعة من النهار لعجلة المطالب بها وإن اخترتم كتبت فيها كتابا مستقلا أن شاء الله تعالى ا. هـ.

الحكم: أكل لحوم الخيل يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ «الفرس» (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٥).

قالت المؤلفة: عن أكل لحوم الخيل جاء فى التيسير ما يلى:

١ ـ عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسا، ونحن بالمدينة فأكلناه». أخرجه الشيخان والنسائى.

٢ ـ وعن جابر رضى الله عنه قال: «أكلنا زمن خيبر الخيل، وحمر الوحش ونهانا رسول الله ﷺ عن الحمر الأهلية، وأذن فى الخيل». أخرجه أصحاب السنن، واللفظ لغير الترمذى، وصححه الترمذى (تيسير الوصول ٣ / ١١٨، ١١٩).

كما رد فضيلة الشيخ عطية صقر على سؤال عما إذا كان لحم الفرس حلالا بأن أورد حديث أسماء بنت أبى بكر المذكور أعلاه، ثم قال: ومن القائلين بحل لحم الخيل شريح القاضى والحسن البصرى وعطاء وسعيد بن جبير والليث بن سعد وسفيان الثورى وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وأبو ثور وغيرهم، وذهب أبو حنيفة والأوزاعى ومالك إلى أنه مكروه، غير أن الكراهة عند مالك كراهة تنزيه لا كراهة تحريم، واستدلوا بما فى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه أن النبى ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير، لقوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨].

وقال الشافعى ومن وافقه: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، وأما الحديث الذى استدل به أبو حنيفة ومالك ومن وافقهما فقال الإمام أحمد: ليس له إسناد جيد، وفيه رجلان لا يعرفان، ولا ندع الأحاديث الصحيحة لهذا الحديث، وعلى هذا فأكل لحم الخيل حلال على أكثر المذاهب (أحسن الكلام ٣ / ٣٧٣).

ونستكمل ماجاء بكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للشيخ الدميرى الذى يقول: ذكر الصميرى فى شرح الكفاية أنه لا يجوز بيعها لأهل الحرب كالسلاح ويكره أن تقلد الأوتار لما روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى بشير الأنصارى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ نهى عن ذلك قال الخطابى وأمره ﷺ بقطع قلائد الخيل قال مالك أراه من أجل العين وقال غيره إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس وقال آخرون لئلا تختنق بها عند شدة الركض ويحتمل أن يكون أراد عين الوتر خاصة دون غيره من السيور والخيوط وقيل معناه لا تطلبوا عليها الأوتار والدخول ولا تركضوها فى درك الثأر على ما كان من عادتهم فى الجاهلية والسبق فيها معتبر بالأعناق وفى الإبل بالأكتاف لأن الإبل ترفع أعناقها فى العدو فلا يمكن اعتبار مدها والخيل تمدها والمراد إذا استوت أعناقها فى الطول والقصر والارتفاع لقوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كفرسى رهان كاد أحدهما أن يسبق الآخر باذنه» وفى المستدرك وسنن أبى داود وابن ماجه ومسند أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «من أدخل فرسا بين فرسين ولا يأمن أن يسبق فليس بقمار ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار» والصحيح أن الذمى يمنع من ركوبها لقوله تعالى ﴿**ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ [الأنفال: ٦٠] فأمر أولياءه بإعدادها لأعدائه ولأن ظهورها عز وهم ضربت عليهم الذلة وفى وجه أنهم لا يمنعون وينسب لأبى حنيفة مثله وقال الشيخ أبو محمد الجوينى يمنعون من الشريفة دون البراذين الخسيسة وألحق الإمام والغزالى البغال النفيسة بالخيل وجزم به الفورانى ولم يقيده بالنفيسة ولا زكاة فى الخيل عند الجمهور لقوله ﷺ ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة متفق عليه وأوجبها أبو حنيفة فى إناثها المنفردة أو المجتمعة مع الذكور فعند ذلك صاحبها بالخيار إن شاء أعطى عن كل فرس دينار أو إن شاء قومها وأعطى من كل مائتى درهم خمسة دراهم وإن كانت ذكورا منفردة فلا شىء فيها.

الأمثال: قالوا الخيل ميامين أى مباركات، وقالوا الخيل أعلم بفرسانها، يضرب للرجل يظن أن عنده غناء وولا غناء عنده ومن كلمات النبى ﷺ التى لم يسبق إليها قوله «يا خيل الله اركبى» قالها يوم حنين فى حديث أخرجه مسلم وهو على حذف مضاف أراد ﷺ يا فرسان خيل الله اركبى وهو من أحسن المجازات كقوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عن يونس بن حبيب أنه قال لم يبلغنا من بدائع الكلام ما بلغنا عن النبى ﷺ وغلط فى هذا الحديث ونسب إلى التصحيف وإنما قال القائل ما بلغنا عن البتي يريد عثمان البتى فصحف الجاحظ قالوا والنبي ﷺ أجل من أن يُخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيره كلامه أجل من ذلك وأعلى ﷺ.

الخـواص: الخيل إذا سُقيت الزرنيخ الأحمر قتلها، وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك فى باب الفاء فى لفظ الفرس، ويأتى طرف من خواصه.

التعبير: الخيل فى المنام قوة وزينة وعز وهى أشرف ماركب من الدواب فمن رأى عنده منها شيئا نال قوة وعزا وربما دل ذلك على اتساع حاله وإدرار رزقه وانتصاره على أعدائه لقوله تعالى ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ [آل عمران: ١٤] وربما ظفر بعدوه لقوله عز وجل ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال: ٦٠] من رأى خيلا تتطاير فى الهواء فإنها فتنة ولا خير فى ركوب الخيل فى غير محل الركوب كالسطح والحائط ونحوهما وخيل البريد فى الرؤيا قرب أجل من ركبها وسيأتى إن شاء الله تعالى تتمة الكلام فى باب الفاء فى لفظ الفرس كما وعدنا والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٦).

وجاء فى كتاب الاقتضاب للسيد البطليوسى باب فى «معرفة ما فى الخيل وما يستحب من خلقها» وفى كتاب «الاقتضاب» كما نعلم، ينبه المؤلف على مواضع بعينها وردت فى كتاب «أدب الكُتّاب» لابن قتيبة وهى ـ كما يقول ـ مواضع يلزم التنبيه عليه، وارشاد قارئه إليها. وفيما يلى ما جاء فى الباب الذى نحن بصدده:

يقول السيد البطليوسى مشيرا إلى نفسه بعبارة: قال المفسر:

عيوب الخيل:

وقال فى هذا الباب: «والحافر والمُصْطَرّ: هو الضيق، وذلك معيب. والأرح: الواسع، وهو محمود».

قال المفسر: هذا الذى قاله: قول أبى عبيدة وقد جاء فى شعر حميد الأرقط ما يخالف هذا؛ وهو قوله:

لا رحح فيها ولا اصطرار
ولم يقلّب أرضها البيطار

فنفى عن الفرس: الرحح، كما نفى عنها الاصطرار. فكأن الرحح نوعان: محمود ومذموم، فالمحمود منه: ما كان معه تقعب. والمذموم: مالا تقعب فيه، لأنه إذا لم يكن مع سعته تقعب، صار فرشخة، وهى مذمومة. كما قال الآخر:

ليس بمصطر ولا فرشاخ

(الفرشاخ من الحوافر: المنبطح).

وقد حكى أبو عبيد فى الغريب المصنف عن أبى عمرو: الحافر المجمر: هو الوقاح. والمفجّ: المقبب، وهو محمود، والمصرور: المتقبض. والأرح: العريض. وكلاهما عيب وهو نحو ما ذكرناه.

خلق الخيل:

مسألة:

قال فى هذا الباب: «والضرة: لحم الضرع، ولها أربعة أطْباء.

(قال المفسر): هذا الذى قاله قول أبى عبيدة معمر فى كتاب الديباجة. ومنه نقل هذه الأبواب، وأنشد أبو عبيدة:

«كأنما أطباؤها المكاحل»

(واحد الأطباء طبى (بضم الطاء)، وبعضهم يقول «طبى» (بكسر الطاء). عن إصلاح المنطق / ٤٣).

وأما أبو حاتم، فرد ذلك على أبى عبيدة، وقال: ليس للفرس إلا طُبيان. وكان يروى أن أبا عبيدة إنما غلط فى ذلك لقول الراجز الذى أنشده. وليس فى جمع الشاعر للطبى مايدل على أنها أربعة. لأن العرب قد تخرج التثنية مخرج الجمع، كقولهم: رجل عظيم المناكب، وإنما له منكبان وكذلك يخرجون الجمع مخرج التثنية، كقولهم لبيك

وسعديك، وحنانيك ودواليك. ولا يريدون بذلك اثنين فقط.

[٢] مسألة:

وقال في هذا الباب: «يقولون للفرس عتيق وجواد وكريم. ويقال للبرذون والبغل والحمار: فاره. قال الأصمعي: كان عدي بن زيد يخطيء في قوله في وصف الفرس:

فارها متتابعا.

قال ولم يكن له علم بالخيل.

قال المفسر: ما أخطأ عدي بن زيد، بل الأصمعي هو المخطيء، لأن العرب تجعل كل شيء حسن فارها. وليس ذلك مخصوصا بالبرذون والبغل والحمار، كما زعم. وعلى هذا قالوا: أفرهت الناقة: إذا نجبت، فهي مفرهة. قال أبو ذؤيب:

ومفـــرهـــة عنس قـــدرت لســـاقهـــا
فخـــرّت كمـــا تتـــابع الـــريح بـــالقفل

(ومفرهة: ناقته، وعنس: شديدة. وقدرت لرجلها: هيأت وضربت رجلها. فخرت: عرقبتها.

والقفل: ما يبس من الشجر.

والمعنى: خرت حين ضربت رجلها، كما تمر الريح باليبيس، فيتبع بعضه بعضا).

وقال النابغة:

أعطى لفـــارهـــة حُلـــو تـــوابعهـــا
مـــن المـــواهـب لا تُعطى على حســـد

ولو كان ما قاله الأصمعي صحيحا، لما كان قول عدي خطأ. لأن العرب تقول: فره فرها فهو فاره وفره: إذا أشر وبطر. وكذلك إذا كان ماهرا حاذقا. وعلى هذا قرأ القراء، «فارهين» وفرهين. فممكن أن يكون قول عدي من هذا. وكان الأصمعي عفا الله عنه يتسرع إلى تخطئة الناس وينكر أشياء كلها صحيح.

(قال في اللسان: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين﴾ [الشعراء: ١٤٩] فمن قرأه كذلك فهو من هذا شرهين بطرين. ومن قرأه فارهين فهو من فره بالضم).

ألوان الخيل:

[١] مسألة:

وقال في هذا الباب: «والبهيم: هو المصمت الذي لا شية به ولا وضح: أي لو كان. ومما لا يقال له بهيم ولا شية به: الأبرش المدنر، والأنمر، والأشيم، والأبقع والأبلق».

قال المفسر: كذا وقع في النسخ من هذا الكتاب، وقد طلبته في كل نسخة وقعت منه إلي، فوجدته هكذا ووجدت في كتاب الديباجة لأبي عبيدة، الذي نقل منه ابن قتيبة هذه الأبواب كلها مما يخالف هذا.

قال أبو عبيدة: ومما لا يقال له بهيم، وهو مما لا شية به الأشهب والصنابي وهو مستكره. ومما لا يقال له بهيم. وهو مما له شية: (الشية: كل لون خالف سائر لون جميع الجسد في الدواب) الأبرش والأنمر والأبلق والمدنر والأبقع. وهذا هو الصحيح وما نقله ابن قتيبة غلط.

والفرق بين الشية والوضح: أن الشية لمعة تخالف معظم الفرس، وهي بياض في سواد، أو سواد في بياض، ألا ترى أن ابن قتيبة ذكر شيات الخيل ها هنا، فجعلها بياضا، وذكر شيات الضأن، فجعلها سوادا. وأما الوضح فإنه البياض خاصة.

الدوائر في الخيل وما يكره من شياتها:

قال ابن قتيبة: «والدوائر ثماني عشرة دائرة»...

قال المفسر: ذكر أبو عبيدة في كتاب الديباجة الثماني عشرة دائرة كلها. وذكرها كراع. فمنها دائرة المحيا، وهي اللاصقة بأسفل الناصية. ومنها دائرة اللطاة، وهي التي في وسط الجبهة،

فإن كانت هناك دائرتان، قالوا: فرس نطيح. ومنهن دائرة اللاهز: وهي التي تكون في اللهزمة ومنهن دائرة المعوذ: وهي التي تكون في موضع القلادة. كذا وقع في كتاب أبي عبيدة، بالذال المعجمة، وواو مفتوحة مشددة، كأنه جعله مصدرا بمعنى التعويذ، من قولك: عوذت الصبي تعويذا ومعوذا؛: إذا جعلت في عنقه عوذة، كما تقول: مزقت تمزيقا وممزقا.

وأما كراع فقال: دائرة العمود بدال غير معجمة، على وزن ضروب ورسول. ومنهن دائرة السمامة، وهي التي تكون في وسط العنق، في عرضها. ومنها دائرة البنيقتين.

وقال كراع: البنيقتين، وهما الدائرتان اللتان في نحر الفرس. ومنهن دائرة الناحر: وهي التي تكون في الجران إلى

أسفل من ذلك. ومنهن دائرة القـالع: وهى التى تكـون تحت اللبـد. واسم ذلك المكـان: ملبـد الفـرس. ومنهن دائرة الهقعة، وهى التى تكون فى عرض زوره. وقال أبو عبيد: إنها تكـون فى الشقين جميعـا. ومنهن دائرة النـافـذة، وهى دائرة الحزام. ومنهن دائرتا الصقرين: وهما اللتان تحت الحجبتين والقصريين (وهمـا اللتان عند مـؤخر اللبد من ظهـر الفرس. قال: وحد الظهـر إلى الصقرين). ومنهن دائرة الخرب، وهى التى تكون تحت الصقـرين. ومنهن دائرة الناخس: وهى التى تكـون تحت الجـاعرتين إلـى الفائلين (فى اللسـان (جعـر): الجـاعـرتان: لحمتـان تكتنفـان أصل الـذنب. وفى اللسـان (فيل): الفـائل: اللحم الذي على خـرب الورك. وقيل: هـو عـرق. وقيل الفـائلان: مضيفتـان من لحم، أسفلهـا على الصلـويـن، من لـدن أدنى الحجبتين إلى العجـب مكتنفتـا العصعص، منحدرتان فى جانبى الفخذين).

وزاد أبو القـاسم الزجـاجى دائرة الخطاف، وهى دائرة فى المركض.

وقـال كـراع: العـرب تستحـب دائرة العمـود، ودائرة السمـامـة، ودائرة الهقعـة وتكـره الـلاهـز والنطيـح والفـالع والناخس.

وقال أبو عبيدة نحو قول كراع، إلا أنه قال: كانوا يستحبون الهقعة، لأن أبقى الخيل المهقوع، حتـى أراد رجل شراء فرس مهقوع، فامتنع صاحبـه من بيعه منه (الهقعة: دائرة فى وسط زور الفرس وهى دائرة الحزام. (اللسان هقع) وفى كتاب العين ص ١١٠ الهقعـة دائرة حيث تصيب رجل الفارس من جـانب الفرس) (الاقتضاب ٢/ ٧١-٧٧).

ونحن نحب دائما أن ننوه بثراء اللغـة العربية فى المفردات (بالإضافة إلى المستويات الأخـرى). ويوافينا صاحب كتاب «كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ» بقـائمة مطولة لأسماء الخيل نجد من المفيد نقلها هنا إن شاء الله تعالى، وهى كما يلى:

الحصان: الذكر من الخيل.

الحِجْر: الأنثى.

الجَوّاد: الفرس الكريم السريع.

الطِرْف: مثله

العناجيج: جياد الخيل، الواحد عنجوج.

اليعبوب: الفرس الجواد.

الهِضَب: الكثير العرق.

الطِّمْر: السريع وقيل هو المشرف.

العِجْلزة: الفرس الشديدة.

المقَرَّبة: الخيل المعدة للحرب فهى تُقرب وتكرَّم.

المذاكى: الخيل المنتهية فى السن وهى المذكيات أيضا واحدها مُذْك.

ومنه قولهم جـرى المذكيات غلاء وتـروى غلاب. وجرى المذكيات غلاء وتروى غلاب.

المراخى: الخيل السراع واحدها مرخاء.

السابح: الفرس السريع الذى كأنه يسبح بيديه.

المسح: السريع أيضا كأنه يسبح العدو أى يصبه صبا.

الصافن: الفـرس الذى يرفـع أحد قوائمـه إذا وقف ويقوم على ثلاث يقال خيل صافنات وصوافن.

المسنفات: من الخيل المتقدمات فى السير. ويقال فرس بحر.

وغَمْر: إذا كان كثير الجرى. وفرس.

محِضِير: إذا كان عداء. يقال أحضر الفرس إذا عدا.

الحُضْر: والأحضار، العدو (الحضر والحضار: من عدو الدواب).

من عدو الخيل:

الهملجة: وهو سير يزيد على العَنَق

الإلهاب: وهو اضطراب الجرى

الرديان: وهـو أن يَرْجُمَ الأرض بحوافـره رجما، يقال ردى الفرس يردى رديا ورديانا.

التقريب: مثل الرديان.

الضبر: الوثب.

الخناف: أن يهوى الفرس بحافـره إلى وحشيه، وهو سير لين.

الوحشى: من حافره ما أدبر منه عن بدنه.

الأنسى: ما أقبل منه عليه. فأما الجانب الوحشى فالأيمن فى قول أبى الأنصارى.

والأنسى، الأيسر وقيل الوحشى هو الأيسر، والأنسى هو الأيمن هذا قول أبى عبيدة والأصمعى قال أبو عبيدة وكذلك هو فى الناس أيضا. وقد توصف الإبل بالخناف أيضا، يقال ناقة خنوف وجمل خنوف، الذكر والأنثى فى ذلك سواء.

الضبع: أن يهوى الفرس بحافره إلى عضده إذا عدا، وقيل وهو أن يمد ضبعيه أى عضديه حتى لا يجد مزيدا.

الضبح: وهو بالحاء فى قوله بعضهم قال الله تعالى: ﴿والعاديات ضبحا﴾ [العاديات: ١] وقيل الضبح صوت يخرج من صدورها إذا عدت.

ـ فصل ـ

الخيل الأعوجية: منسوبة إلى أعوج وهو فحل كريم لبنى هلال بن عامر.

الحرونية: منسوبة إلى الحرون وهو فرس كريم كان لمسلم ابن عمرو بن قتيبة بن مسلم بن مسام وهو من نسل أعوج فيما يقال.

ومن الفحول المشهورة التى تنسب إليها الخيل:

الوجيه. الغراب. لاحق. مذهب. مكتوم وكانت كلها لغنى. وقيل كان الوجيه، ولاحق، لبنى أسد ومنها:

قيد. حلاب: وهما لبنى تغلب. مياس: وهو لبنى أعيا من باهلة. داحس والغبراء: وهما لبنى عبس الخطار. والحنفاء: وهما لبنى بدر من فزارة. النعامة: وهى للحارث بن عباد من بنى قيس بن ثعلبة.

ـ فصل ـ

الكميت: الفرس الشديد الحمرة، ولا يقال كميت حتى يكون عرفه وذنبه أسودين، فإن كانا أحمرين فهو: الأشقر. الورد: فيما بين الكميت والأشقر والجمع وراد. الأدهم: الأسود. الأحوى. الأخضر الذى يضرب لونه إلى سواد والجمع حو. البهيم: المصمت اللون وهو الذى لا شية فيه أى لون كان. وإذا كان بوجه الفرس بياض بقدر الدرهم فما دون فذلك: القرحة، والفرس أقرح.

فإذا جاوز البياض قدر الدرهم فهو:

الغرة: والفرس أغر.

فإن كان بجحفلته العليا بياض فهو: أرثم والجحفلة من ذوات الحافر بمنزلة الشفة من الإنسان فإن كان البياض بجحفلته السفلى فهو: ألمظ، وإن كان أبيض الظهر فهو: أرحل، وإن كان أبيض البطن فهو: أنبط، فإن كانت قوائمه الأربع بيضا لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو: محجَّل: فإن كان البياض بيديه، دون رجليه فهو: أرجل: فإن لم يبيض من قوائمه سوى رجل واحده فهو: أعصم: وذلك مذموم، إلا إن يكون مع الرجل وضح غيره فلا يذم.

ـ باب ـ

الكتيبة: الجماعة من الخيل والجمع كتائب. (الكتيبة: الجماعة المتميزة من الخيل أو جماعة الخيل إذا غارت على العدو من المائة إلى الألف: القطعة العظيمة من الجيش). الرعلة: القطعة من الخيل (القطيع أو القطعة من الخيل ليست بالكثير، وقيل أولها ومقدمتها وجعلها بعضهم قدر عشرين. الجمع رعال وأرعال). وكذلك. السرية (الجمع سرب: جماعة الخيل من العشرين إلى الثلاثين أو ما بين العشرة إلى العشرين: جماعة العسكر ينسلون فيغيرون ويرجعون. المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة وكذلك المنسر و... الفيلق: الكتيبة العظيمة (الجيش العظيم والكتيبة الكثيرة السلاح، والجمع فيالق. الخميس (الجيش الجرار لأنه يؤلف من خمس فرق هى المقدمة والقلب والمسافة والميمنة والميسرة وهو أربعة آلاف إلى اثنى عشر ألفا). الجحفل: : الجيش العظيم.

ـ أسماء الخيل فى السباق ـ

المُجَلِّى: وهو السابق والمبرز ثم: المُصَلِّى وهو الثانى ثم: المُسَلِّى وهو الثالث ثم: التالى: وهو الرابع ثم: المرتاح: وهو الخامس ثم: العاطف: وهو السادس ثم: الحظى: وهو السابع ثم: المؤمَّل: وهو الثامن، ثم: اللطيم: وهو التاسع، ثم: السكيت: وهو العاشر. والمحفوظ عن العرب، السابق والمصلى، السكيت الذى هو العاشر. فأما باقى الأسماء فأراها محدثة. الفسكل: الذى يأتى آخر الخيل فى الحلبة (كفاية المتحفظ / ٤٨ـ٥٣).

وعن المفاخرة بالخيل فى الشعر يقول الأستاذ قدرى الأرضروملى:

أما عن المفاخرة بالخيل وفضلها وشرف نسبها وشجاعتها وجريها وجمالها فحدث ولا حرج . إذ لم يسبق العرب قوم فى هذا المضمار ولم يأت بعدهم من الأقوام من جعل للخيل هذه المكانة الغالية والسبب واضح جدا ، فقد كان الفرس للعربى بمثابة فرد من أفراد عائلته ومتمما لمفهوم العائلة وعنصرا مهما جدا من عناصر بقائه وسلامته فى الظروف التى كانت مسيطرة على الجزيرة العربية .

ثم جاء الدين الإسلامى الحنيف الذى أمر بارتباطها والاعتناء بها فكساها ببرقع ذى صبغة دينية ، وتطورت نظرة العربى للخيل بعد أن أصبحت تتمتع بهذا الشرف الجديد ، فصارت علاقته بها روحية أكثر منها مادية بينما كانت نظرة الأقوام غير العربية إليها تسيطر عليها الناحية المادية .

وقد خلد العرب خيلهم بالآلاف من الأبيات الشعرية التى تصف شجاعتها وجمالها ووفاءها .

ويكفى الفرس العربى عزا وقدرا أن يفخر مشاهير فرسان العرب بأن يُكنون بأسماء أفراسهم كأن يلقب الفارس منهم بفارس الأشقر أو فارس ذى اللمة إلخ ... وفى تاريخ العرب الكثير من هؤلاء الشجعان الذين كان لهم القدح المعلى بصولاتهم وجولاتهم فى الحروب ممن تكنوا، بفخر، بأسماء خيلهم وإلى القارئ بعض مشاهيرهم ــ شداد بن معاوية العبسى والد عنترة المشهور. وكان يعرف بفارس جروة (فرسه) ويقول فيها :

فمن يك سائلا عنى فإنى
وجروة لا تباع ولا تعار
مقربة الشتاء ولا تراها
أمام الحى يتبعها المهار
أقوتها بقوتى إن شتونا
وألحفها ردائى فى الجليد
لها بالصيف جرجار وجل
وست من كرائم المهار غزار

والمعنى أنه اقتناها للحرب فلا تباع ولا يطلب نسلها كما أنه يعطيها قوته ويلحفها رداءه معزة بها ، ويقدم لها الجرجار «نوع من النبات» صيفا . ولها من كرائم الإبل ست نوق تشرب من ألبانها .

ـ مالك بن عوف النصرى وكان يلقب بالأسد الرهيص ويعرف بفارس محاج (فرسه) وله يقول يوم حنين :

أقدم محاج أنه يوم نكر
مثلى على مثلك يحمى ويكر

ـ عنترة بن شداد العبسى ــ فارس عبس ـ ويعرف بفارس الأبجر (فرسه) وفيه يقول :

لا تعجلى اشدد حزام الأبجر
إنى إذا الموت دنا لم أضجر
ولم أُمَنِّ النفس بالتأخر

ــ سفيان بن ربيعة الباهلى ويعرف بفارس خصاف (فرسه) . وهى التى يضرب بها المثل «لأنت أجرأ من فارس خصاف» . وعليها قتل سفيان بن ربيعة «قولا المرزبان» وكان كسرى قد وجه جندا عظيما من المرازبة لمحاربة قبائل مضر التى هابتهم فى بادىء الأمر لما رأت من تجهيزاتهم الحربية وخصوصا ألبستهم الحديدية والدروع التى كانت تغطى كل أجسامهم تقريبا ووجوههم . وظن المضريون أن هؤلاء القوم لا يموتون . وبينما كان سفيان على فرسه خصاف ، وإذا بنشابة تقع عند حافر فرسه إلا أنها لم تصب الحافر بل غرزت فى الأرض وبقيت تهتز فى موقعها . فنزل سفيان وحفر عنها فوجد أنها وقعت على رأس يربوع فقتلته . فقال : ما المرء فى شىء ولا اليربوع فى شىء مع القضاء فذهبت مثلا . وحمل سفيان على «قولا المرزبان» فطعنه بين ثدييه وقتله فصرخ فى قومه قائلا :

يا لقيس إنهم يموتون . فقال العرب : ــ «لأنت أجرأ من فارس خصاف» .

ـ عكاشة بن محصن الأسدى من أصحاب رسول الله ﷺ وكان معروفا بشجاعته وكان يلقب بفارس ذى اللمة الذى يقال إن النبى ﷺ كان قد أهداه إليه .

ــ حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وقال فى فرسه المسمى الورد :

ليس عندى إلا سلاح وورد
قارح من بنات ذى العقال
أتقى دونه المنايا بنفسى
وهو دونى يغشى صدور العوالى

جـرشع مـا أصـابت الحـرب منـه
حين تحمي أبطالهـا لا أبـالي
فـإذا مـا هلكت كـان تـراثي
وسجـالا محمـودة من سجـالي

وقال كعب بن مالك :

ونعـد للأعـداء كل محصن
ورد ومحجـول القـوائم أبلق
أمـر المليك بـربطهـا لعـدوه
فـي الحـرب إن الله خيـر مـوفق
فتكـون غيضـا للعـدو وحـائطـا
للـدار إن دلفت خيـول المـرق

وسئل عربي لماذا يتضاغى أولادك جوعا : فقال لأننا نبدأ بالخيل قبل العيال .

وقال أحد الشعراء :

يـا حسنـه من أشقـر قصـرت
عنـه بـروق الجـو في الـركض
لا تستطيع الشمس من جـريـه
تـرسمـه ظـلا على الأرض

وقال صفي الدين الحلي :

إذا افتخـر الأقـوام يـومـا بمجـدهم
فـإنك من قـوم بهم يفخـر المجـد
تعـود متن الصـافنـات صغيـرهم
إلى أن تسـاوى عنـده السـرج والمهـد

وقال المتنبي يصف حدة السمع عند الخيل :

وتنصب للجـرس الخفي سـوامعـا
تخلن منـاجـاة الضميـر تنـاديـا

أي أنها تنصب الكـلام الخفي آذانـا تكـاد تسمع حتى (مناجاة الضمير) أي عندما يكلـم الشخص نفسه بـدون أن يسمع لـه صوت . وليس هذا فحسـب بل إنها تسمعـه وكأنـه صوت عال .

والأبيات التـالية لعـامر بن الطفيل وهـو من أشهر فـرسان العرب وقد قالهـا بعد أن أصابه مسهر بن يزيـد الحارثي برمح فقأ عينيه يوم ـ فيض الريح ـ وهـو بهذه الأبيات يخاطب فرسه المسمى (المزنوق) وكأنه بشر مثله .

لقـد علم المـزنـوق أني أكـرُّه
على جمعهم كـر المنيح المشهـر
إذا ازور من وقـع الـرمـاح زجـرتـه
وقلت لـه ارجع مقبـلا غيـر مـدبـر
وأنبأتـه أن الفـرار خـزايـة
على المـرء مـا لـم يبل عـذرا فيعـذر
ألست تـرى أرمـاحهم فيَّ شُـرَّعـا
وأنت حصـان مـا جـد العـرق فـاصبـر
فبئس الفتى إن كنت أعـور عـاقـرا
جبـانـا فمـا أرجى لـدى كـل محضـر
لعمـري ومـا عمـري على بهين
لقـد شـان حـر الـوجـه طعنـة مسهـر

(الخيل العراب / ـ١٦ـ١٨) .

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٣٠٧ ، وتهذيب الأسماءواللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ٣ / ١٠١ ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٦٢ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٢ / ١٥٥ ـ ١٥٧ حـ ٣ / ١١٨ ، ١١٩ ، والأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام السيوطي ـ قدم له وأتم ما رمز له من أحاديث وما اختصره فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر . صفر ١٤٠٩ هـ / ٥٧ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢ / ١٣ ، ١٤ ، والجامع الأزهر في حديث النبي الأنور للحافظ المناوي ١ / ٢٢٩ ورقة ب ، ٢٣٠ ورقة أ ، والخيل العراب وفضلها على الأنسال العالمية ـ قدري الأرضروملي . الدار العربية للطباعة . بغداد . بدون تاريخ / ١٤ ـ ١٨ ، والحرب عند العرب ـ د . عبد الرحمن زكي . كتابك (٨٨) دار المعارف / ٣٢ ، ٣٣ ، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٦ ، و أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر ٣ / ٣٧٣ ، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ـ بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ، ٢ / ٧١ ـ ٧٧ ، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة لابن الأجدابي الطرابلسي ـ

تحقيق عبد الرزاق الهلالى (٤٨ ـ ٥٣) انظر أيضا مستند الأجياد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى / ٦٥ ـ ٦٩، و من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ـ أعدته للطبع مديرية إحياء التراث العربى. دمشق ١٩٧٧ م / ١٣٦ ـ ١٤٢، والتاريخ والمؤرخون العرب ـ د. السيد عبد العزيز سالم / ٢٤٧ ـ ٢٥٠ و «ياخيل الله اركبى» ـ فضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم، مجلة الأزهر الجزء الخامس، السنة الثامنة والستون جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٥ م / ٦٣٩ ـ ٦٤١).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الآتية: الخيل العراب / ٣٧، والعلوم الإسلامية ٣ / ٢٦، ومجلة ARabia ص ٦٨، ٦٩.

انظر مادة «البيطرة (علم ـ)» فى م ٨ / ١٨٦ ـ ٢٠٠

*** خيل الأولاق:**

مراكز البريد بين أطراف مملكة مصر وبلاد الأردو حيث كان ملك بنى هولاكو. وعبارة القلقشندى «فأما من أطراف ممالكنا إلى حضرة الأردو حيث هو ملك بنى هولاكو فلهم مراكز تسمى خيل الأولاق وخيل اليام يحمل عليها ولا تشترى بمال السلطان ولا يكلف ثمنها، وإنما هى أهل تلك الأرض نحو مراكز العرب فى رمل مصر ونحو ذلك».

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٦ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١٤ / ٤٧).

*** خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» فى م ٥ / ٤٤٣، ٤٤٤.

*** الخيل (كتاب ـ):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٣٧٦١ مجاميع ٢٤.

كتاب الخيل لأبى سعيد عبد الملك بن قريب بن على الباهلى الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ١/ ١٦٣، والأعلام ٤ / ٣٠٧ ومعجم المؤلفين ٦ / ١٨٧).

أوله: وقال رجل من بلحارث:

ومستنة كاستنان الخروف
قد قطع الحبل بالمرود

يعنى طعنه فإذا بلغ السنة ففطم فهو فلوٌ وجمعها فلاء ممدود ...».

آخره: «... وقال ابن مقبل:

كأن اصطفاق مآقيه بطرفه
كصفق الصناع بالأديم تقابله

ويقال قد حذ الفرس يحذ حذذا إذا كان خفيف الوثب.

آخر الكتاب والحمد لله وحده».

نسخة جيدة قديمة عليها سماعات على ابن رزمة سنة ٤٢٥ وعلى الخطيب البغدادى سنة ٤٣٣ وعلى ابن منازل سنة ٤٩٧ وسماعات أخرى سنة ٥٧٠ و ٥٧١.

نسخة مخرومة من أولها.

(١٣٨ ـ ١٤٥) ٨ ق ٢٢ س ١١,٥ × ١٦ سم.

نسخة ثانية.

الرقم ٣٣٢٣

رواية الشيخ أبى منصور محمد بن على بن إسحاق الكاتب عن أبى سعيد السيرافى عن أبى بكر بن دريد عن أبى حاتم سهل بن محمد بن حاتم السجستانى عنه.

أوله: «قال الأصمعى: كل ذات حافر فأجود حملها أن يحمل عليها بعد نتاجها بسبعة أيام، وحينئذ تكون فريشا، والجماع الفرائش، ويقال هو أنقى ما تكون الرجم وأقبله للنطفة ...».

آخره: «... وحصيره: العصبة التى فى الجنب فى أعلى الأضلاع إلى جنب الصلب. والشاكلة: الطفطفة.

تم والحمد لله رب العالمين ... وكتب شاكر بن عبيد الله ابن على الطرابلسى لنفسه فى ذى القعدة سنة عشر وأربع مائة».

نسخة قديمة كتبت بخط نسخ مشكول. عليها سماعات سنة ٤١٠ لكاتبه سمعه على راويه.

(٧١ ـ ٨٧) ١٧ ق ١٦ س ١٤ × ١٩ سم.

(فهرس الظاهرية ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٠).

والكتاب نشر فى فينا سنة ١٨٨٨ م، وأعاد نشره دكتور أوجست هفنر سنة ١٨٩٥ ببيروت (الأعراب الرواة / ٣٣٢).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٠، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣٢).

*** الخيل (كتاب ـ):**

كتاب الخيل: لمحمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧ سبع وخمسين وستمائة ولابن أخى حرام محمد بن يعقوب الجيلى المتوفى سنة ... ولأبى جعفر محمد بن حبيب البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين ولأبى محلم محمد ابن هشام الشيبانى اللغوى المتوفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين.

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٧).

*** الخيل (كتاب ـ)**

كتاب الخيل لمعمر بن المثنى أبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ رواية أبى حاتم السجستانى نشره الدكتور فريتس كرنكوى. حيدر آباد الهند سنة ١٣٥٨ هـ.

(الأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣٢).

*** الخيل والبيطرة**

من مخطوطات قسم التراث العربى بالكويت وجاء بيانه كما يلى:

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يعقوب ابن أخى حزام الختلى (ت ٢٥١ هـ).

أوله: الحمد لله ولى الحمد وأهله مستخلصة لنفسه ... أما بعد فإنى لم أذل بعد ما وهب الله لى من المعرفة بآلات الفروسية موهبة لطيف النظر شديد الفحص عن ما (كذا) وضعه أهل النجدة والبأس من ذوى النيات الحسنة.

آخره: يؤخذ صبر ومر واشق وسكباج ومغات ومقل وجاوشير وصمغ عربى وعلك وكندر وخطمى يدق ناعما ويسحق وينخل ثم يستعمل على الانتشار والأورام نافع إن شاء الله تعالى ولأورام الجوف تسقى الدابة منه بشراب إن شاء الله تعالى. سنة النسخ: ٦٥٤ هـ.

عدد الأوراق: ١٦٠ ورقة.

المسطرة: ١٧ سطرا.

المكتبة: جستر بيتى ـ ٤١٦١

ملاحظات: عنوان المخطوطات (كتاب الفروسية) لأبى عبد الله محمد بن يعقوب. عرف بابن أخى حزام.

وهو مقسم إلى أبواب يبدأ بعد مقدمة طويلة الباب الأول: وهو باب (الحجور) وينتهى المخطوط بباب (ابتداء الركوب وتعليم الفروسية) وهو ناقص الآخر.

ويعد هذا الكتاب من أقدم كتب البيطرة. ومنه عدة مخطوطات فى أماكن كثيرة.

المصادر ـ بروكلمان النسخة العربية ـ ٤ / ٣٢٨.

ـ الأعلام ٧ / ١٤٥.

نسخة ثانية:

أوله: ... أما بعد فإنى لم أزل بعد ما وهب الله لى من المعرفة وما وهب لى من لطيف النظر شديد الفحص إلى ما وصفه أهل النجدة والبأس من ذوى النيات الحسنة.

آخرة: صفة دواء ملين لصلبة الأورام يؤخذ من الشمع عشرة أساتير ومن الزيت عشرة أواق ومن الراتينج والقافونية ثلاثة أساتير يجمع ويطبخ ويصير فى إناء ويستعمل فيما يحتاج إلى تليينه إن شاء الله تعالى نافع. تم الكتاب ... ابن أبى حزام الختلى من البيطرة.

سنة النسخ: ٨٦٩ هـ.

عدد الأوراق: ١٤٦ ورقة.

المسطرة: ١٥ سطرا.

المكتبة: جستر بيتى ـ ٣٣١٩.

ملاحظات: صحفته الأولى مطموسة تصعب قراءتها وفى آخره تملك باسم باسم محمد بن حرو.

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٩، ٨٠).

وقد جاء من مجلة أخبار التراث العربى ما يلى: صدر عن مركز إحياء التراث العلمى بجامعة بغداد كتاب «الخيل والبيطرة» لابن أخى حزام الذى صنفه للخليفة العباسى المتوكل المقتول سنة ٢٤٧ هـ.

حقق الكتاب د. نورى القيسى وهلال ناجى، واعتمدا فى تحقيقهما ثلاث مخطوطات: واحدة محفوظة فى العراق، وثانية فى مكتبة جستر بيتى فى دبلن بأيرلندة، والثالثة مخطوطة تركية. ويقول بروكلمان عن هذا الكتاب إنه أقدم

كتاب وصل إلينا عن بيطرة الخيل عن العرب (أخبار التراث العربى / ١٣).

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة، قسم التراث العربى بالكويت - تصنيف هيا محمد الدوسرى، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٧٩، ٨٠، وأخبار التراث العربى، معهد المخطوطات العربية. القاهرة. جمادى الأولى - شوال ١٤١١ هـ - نوفمبر ١٩٩٠ م - مايو ١٩٩١ م / ١٣).

انظر مادة «البيطرة (علم -) فى م ٨ / ١٨٦ - ٢٠٠، ومادة «الخيل».

*** الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها:**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

للملك المجاهد على بن داود الرسولى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ.

أوله: نكت مستحسنة. قال جامعها: وجدت تعاليق بخط السلطان الملك المجاهد ... أعنى الدواب كافة والخيل خاصة، وقد علمنا أمورهم وما يفعلون من خدمتهم.

وآخره: وأكثر ما يعيش الفيل عندنا فى اليمن خمسون أو ستون سنة وما دونها والله سبحانه وتعالى أعلم. تم الكتاب.

نسخة بقلم نسخى حسن من القرن العاشر تقديرا.

١٠٠ ورقة　　٢١ سطرا　　١٤ × ٢٥ سم.

[مكتبة سيف الإسلام عبد الله بصنعاء بدون رقم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب. الكتاب الثانى. القاهرة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م / ٨٨).

*** خَيْلاَم:**

قال ياقوت:

خَيْلاَم: بفتح أوله، وسكون ثانيه: بلدة بما وراء النهر من أعمال فرغانة؛ ينسب إليها الشريف حمزة بن على بن المحسن بن محمد بن جعفر بن موسى الخيلامى من ولد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، كان فقيها فاضلا، روى عن القاضى أبى نصر أحمد بن عبد الرحمن بن إسحاق الريغذ مونى، روى عنه عمر بن محمد بن أحمد النسفى، مات بسمرقند فى ذى الحجة سنة ٥٣٣.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٣).

*** خيمة أم مَعْبد:**

قال ياقوت:

خيمة أم مَعْبد: ويقال بئر أم معبد: بين مكة والمدينة، نزله رسول الله، ﷺ، فى هجرته ومعه أبو بكر، رضى الله عنه، وقصته مشهورة، قالوا: لما هاجر رسول الله، ﷺ، لم يزل مساحلا حتى انتهى إلى قديد فانتهى إلى خيمة متنبذة، وذكروا الحديث، وسمع هاتف ينشد:

جزى الله خيرا، والجزاء بكفه　　رفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالهدى ثم تروحا　　فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهنىء بنى كعب مكان فتاتهم　　ومقعدها، للمؤمنين، بمرصد

وخيمة أم معبد، ويقال لها بئر أم معبد أيضا كان على بن محمد بن على الصليحى الذى استولى على اليمن فى سنة ٤٧٣ عزم على التوجه إلى مكة فى ألفى فارس حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاهر مصنع يقال له أم الدهيم وبئر أم معبد وخيمت عساكره والملوك الذين كانوا معه من حوله فكبسه الأحول بن نجاح صاحب زبيد، فقال عبد الله بن محمد أخو الصليحى: إن الأحول قد دهمنا، فقال: لا تخف فإنى لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد، معتقدا أنها أم معبد التى نزل بها رسول الله، ﷺ، حين هاجر ومعه أبو بكر، رضى الله عنه، فقال له مشعل ابن فلان العكى: قاتل عن نفسك، فهذه والله بئر الدهيم بن عنس وهذا المسجد وموضع خيمة أم معبد بنت الحارث العنسى، وقتل الصليحى يومئذ.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٤، ٤١٥).

انظر: أم معبد.

*** ابن الخيمى (محمد بن عبد المنعم) (٦٠٢ - ٦٨٥ هـ / ١٢٠٥ - ١٢٨٦ م):**

قال عنه صاحب فوات الوفيات: محمد بن عبد المنعم ابن محمد، شهاب الدين ابن الخيمى الأنصارى اليمنى الأصل، المصرى الدار. حدث بجامع الترمذى عن ابن البناء المكى، وحدَّث بكثير من مروياته، روى عنه الصقلى

وابن منير وابن الظاهرى، وكان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة في كثير من العلوم، وشعره في الذروة، وكان يعانى الخدم الديوانية، وباشر وقف مدرسة الشافعى ومشهد الحسين، وفيه أمانة ومعرفة، وكان معروفا بالأجوبة المسكتة، ولم يعرف عنه غضب، عاش اثنتين وثمانين سنة، وكانت وفاته بالقاهرة سنة خمس وثمانين وستمائة (فوات الوفيات ٣ / ٤١٣).

وقال عنه صاحب عقد الجمان وقد ذكره فى وفيات سنة ٦٨٥ هـ:

الشاعر الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمى.

كانت له مشاركة فى علوم كثيرة، ويد طولى فى النظم الرائق الفائق، جاوز الثمانين سنة، وقد تنازع هو ونجم الدين ابن إسرائيل فى قصيدة بائية مطلعها:

يــــا مطلبـــا ليس لى فى غيـــره أرب

إليــك آل التقصـــى وانتهـــى الطلـــب

فتحاكما إلى ابن الفارض، فأمرهما بنظم أبيات على رويهما، فنظم كل منهما فأحسن، ولكن حكم لابن الخيمى، وكذلك فعل القاضى شمس الدين بن خلكان، رحمه الله (عقد الجمان ٢ / ٣٥٦، ٣٥٧).

قال الزركلى: له «ديوان شعر» مخطوط، منه نسخة نفيسة رأيتها فى مكتبة فلورانسى (الرقم ١٨٦) (الأعلام ٦ / ٢٥٠).

وابن الخيمى كان محمد لقيهم فى القاهرة الرحالة ابن رشيد وسمع عليهم. يقول عنه سماحة الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة فى مقدمة تحقيق كتاب «ملء العيبة»:

الأديب البارع والإمام العالم الصوفى المعمر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن الخيمى سمع الترمذى من أبى الحسن بن البناء، وأجازه زاهر ابن رستم، ومنصور الفراوى، وذكر عنه إجازة هذا الأخير له.

سمع عليه ابن رُشَيْد من جامع الترمذى فى النسخة التى بخط الكروخى من باب ما جاء من البكاء من خشية الله إلى آخر باب الاستئذان ثلاثا، ومن باب ما جاء مثل النبى والأنبياء إلى آخر الكتاب.

وسمع منه أيضا الحديث الثلاثى الوحيد به.

وكذلك حديث ابن عمر: «أنه استأذن النبى ﷺ فى العمرة...».

وحديث البراء: «إذا أخذت مضجعك...».

ومسلسل إذا اشتكت عينى.

وحديث أبى هريرة: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له...».

وحديث من قال: «سبحان الله وبحمده...».

وحديث ابن السرجس: «اللهم أنت الصاحب...».

وحديث أنس: «يأتى على الناس زمان...».

وسمع ابن رشيد على ابن الخيمى أيضا جميع ثلاثيات البخارى وعارضها بأصل شيخه ومنها حديث أنس: «إن ابنة النضر...».

وفى أعقاب ذلك أثبت ابن رشيد صفة سماع ابن الخيمى لمثلثات البخارى. ثم ذكر أن آخر حديث فى نسخة الشيخ ليس ثلاثيا كما ظن، ولكنه رباعى فنبه عليه، وذكر طرقه. وهو حديث جرير بن عبد الله «بايعت النبى ﷺ على إقامة الصلاة...».

وفى نهاية الرسم وصف ابن رشيد شيخه ابن الخيمى بكونه صدرا فى أدباء المصريين فى عصره. له أشعار عذبة المطالع حلوة المقاطع... وكان قد صحب صدر أدباء المصريين فى عصره شرف الدين ابن الفارض، وكانت بينهما مودة قائمة، وأنه قرأ عليه تائيته وجميع ديوانه. ثم أنشد ابن الخيمى صاحبنا قطعا كثيرة من الشعر لنفسه منها القصيد البارع الذى نازعه فيه النجم الإسرائيلى وقص عليه ما جرى من تحكيم ابن الفارض فى ذلك وحكمه له. وأتبع جميع ذلك ملاحظات رائعة أدبية ومقارنات بديعة شعرية.

وتفصيل ذلك هو ما أورده ابن رشيد حيث يقول عن لقائه لابن الخيمى وسماعاته:

وممن لقيته بمصر الأديب البارع الإمام العالم الصوفى الفاضل المعمر الحسن السمت والصمت أبو عبد الله محمد ابن أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد اليمانى الأنصارى شهر بابن الخيمى.

لقيته بالقاهرة بإيوان مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وكتب لي خطه في الثامن عشر من شهر رجب من سنة أربع وثمانين وستمائة. وسمعت عليه، وأجاز لي إجازة عامة ولبني محمد وعائشة وأمة الله.

سمع جامع الترمذي على أبي الحسن ابن البناء عام أحد عشر وستمائة، وأجاز له أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني قالا، أنا الكروخي وأنا الترياقي من أوله إلى مناقب ابن عباس ومن مناقب ابن عباس إلى آخره الشيخ أبو المظفر عبيد الله ابن علي بن ياسين الدهان قالوا، أنا الجراحي، أنا المحبوبي، عن الترمذي.

وسمعت أنا عليه من هذا الجامع - في النسخة التي بخط أبي الفتح الكروخي رحمه الله، بقراءة صاحبنا محمد بن عبد الرحمن بن سامة المجتهد الرحال - سلمه الله وحفظه - من باب: ما جاء في البكاء من خشية الله إلى آخر باب: الاستيذان ثلاثا، ومن باب: ما جاء مثل النبي والأنبياء إلى آخر الكتاب.

وصح ذلك وثبت في مجالس آخرها يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من رجب سنة أربع وثمانين وستمائة، بمشهد الحسين ابن علي رضي الله عنهما، ومن نسخة بخط الكروخي نقلت كتابي والحمد لله.

وسمعت أيضا منه، بقراءة صاحبنا ابن سامة، الحديث الثلاثي. وليس في الجامع حديث ثلاثي غيره، وقد تقدم كتبه.

(الثلاثيات جملة: منها بمسند الشافعي، وكثير منها في مسند أحمد، وتنيف عن عشرين حديثا في صحيح البخاري، وهي حديث واحد عند أبي داود، وعند الترمذي كذلك، وهي خمسة أحاديث في سنن ابن ماجه لكن من طريق بعض المتهمين. السخاوي ٣ / ١١. والحديث الوحيد الثلاثي المشار إليه هنا أورده الترمذي ٣ / ٣٥٩، ٢٣٦١).

قالت المؤلفة: أوردنا في م ١١ / ٣٢٢ - ٣٢٤ من الثلاثيات ما يأتي: ثلاثيات البخاري / ٣٢٢، ٣٢٣، ثلاثيات الدارمي / ٣٢٣، ثلاثيات سنن ابن ماجه / ٣٢٣، ثلا ثيات عبد بن حميد / ٣٢٣، ٣٢٤، ثلاثيات مسند أحمد ابن حنبل / ٣٢٤ فانظرها في مواضعها.

ونعود إلى ابن رشيد الذي يقول:

انا ابن الخيمي سماعا عليه، أنا ابن البناء سماعا وأبو شجاع الأصبهاني إجازة قالا، أنا الكروخي، أنا الأشياخ الثلاثة أبو عامر الأزدي، والغورجي والترياقي، أنا الحراني، أنا المحبوبي، أنا الترمذي، نا سفيان بن وكيع قال: نا أبي، عن سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم، عن ابن عمر:

«أنه استأذن النبي ﷺ في العمرة. فقال: أي أخي، أشركنا في دعائك ولا تنسنا».

حديث حسن صحيح.

وبالإسناد من المسموع، نا سفيان بن وكيع قال، نا جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة قال، حدثني البراء، أن النبي ﷺ قال:

«إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قال: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت. فإن مت في ليلتك مت على الفطرة. قال: فرددتهن لأستذكره. فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت. فقال: ؛ قال: آمنت بنبيك الذي أرسلت».

وهذا حديث حسن صحيح، قد روى من غير وجه عن البراء. ولا نعلم في شيء من الروايات ذكر الوضوء إلا في هذا الحديث.

(راجع الترمذي ٥ / ٢٢٧، ٣٦٤٥. وقد أخرجت الجماعة هذا الحديث وهو مختلف اللفظ رواه البخاري ومسلم وأهل السنن. وفي بعض رواياته «فإن مت في ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به» وفي رواية للبخاري: «فإن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت. خيرا» الشوكاني. التحفة: ٨٥).

وبالإسناد من المسموع، وهو من مسلسلات الترمذي بالتحديث، نا عبد الوارث بن عبد الصمد قال، حدثني أبي

قال، نـا محمد بـن سالم قـال، نا ثابـت البنانـي قـال، قال لـي:

«يامحمـد، إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي، ثم قل باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا. ثم ارفع يـدك ثم أعد ذلك وتـرا فإن أنس بن مالك حـدثني أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك.

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وبالإسناد من المسموع، نا الأنصاري قال، نا معن قال، نا مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهـو على كل شيء قدير، في يـوم مائة مرة كان له عدل عشـر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنـه مائة سيئـة، وكان لـه حرزا من الشيطـان يومـه ذلك حتى يمسي. ولم يأت أحد بأفضل ممـا جاء به إلا أحـد عمل أكثر من ذلك».

قـال الترمذي: وبهـذا الإسنـاد عن النبي ﷺ: «من قـال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطـاياه، وإن كانت أكثر من زبد البحر».

هـذا حديث حسن صحيـح (راجع الترمـذي ٥ / ١٧٥، الـدعـوات، باب ٦١، حـديث ٣٥٣٥، ومثلـه حـديث ابن عياش أخـرجه أبو داود والنسائي، وحـديث أبي أمامة أخـرجه الطبراني بإسنـاد رجاله رجال الصحيح. الشوكـاني. التحفة: ٦٤، وخـرج التسبيح المذكـور ثانيـا مسلم باعتبـاره طرفـا من حديث أبي هريرة السابق الـذي تختلف روايته عما هاهنا عند البخاري ومسلم الشوكاني التحفة ٧٥، ٧٦).

وبالإسناد إلـى الترمذي من المسموع، نا أحمـد بن عبدة الضبي بصري قال، نا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس قال:

«كان النبي ﷺ إذا سـافر يقول: اللهـم أنت الصاحب في السفر والخليفـة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنـا واخلفنا في أهلنـا، اللهم إني أعـوذ بك من وعثـاء السفـر، وكـآبـة المنقلب، ومن الحور بعـد الكور، ومن دعـوة المظلوم، ومن سوء المنظر في الأهل والمال».

هذا حـديث حسن صحيح. ويـروى: الحور بعـد الكون أيضا. ومعنى قولـه: الحور بعد الكون، أو الكور، كـلاهما له وجه. يقـال: إنما هو الـرجوع من الإيمـان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية. إنما يعني من رجوع شيء إلى شيء من الشـر (راجع التـرمـذي ٥١ / ١٦١، الدعـوات، بـاب ٤٢، حديث ٣٥٠٢).

وقع هذا الحديث للترمذي رباعيا، وهو من عـواليه، وله نظـائر في الجامع. وليس له حـديث ثـلاثي إلا واحد. وقـد سمعتـه كمـا تقدم على شيخنـا ابن الخيمي، ولنعـده ليكـون حاضرا بين اليدين:

نا إسماعيل بن موسى الفزاري ابن ابنة السدي الكوفي، نا عمر بن شاكر عن أنس بن مالك قال:

«قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر».

هذا حديث غـريب من هذا الوجه، وعمـر بن شاكر روى عنـه غيـر واحـد من أهل العلم. وهـو شيـخ بصـري (راجع الترمذي: ٣ / ٣٥٩، الوصايا، باب ٦٢ الحديث ٢٣٦١).

ومما سمعت عليـه أيضا: جميع ثلاثيات الإمـام أبي عبد الله البخاري، بقراءة صاحبنا المحـدث النبيل الرحال أبي عبد الله محمد بن عبـد الرحمن بن سامة الـدمشقي. وذلك بإيوان مشهد الحسين من القاهرة، في يـوم الثلاثاء الثالث والعشرين لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة.

قيل له: أخبـركم الشيخ الإمام الفقيه العالم المحـدث نور الدين أبو عبـد الله محمد بن أبي المعالي عبـد الله بن موهوب الصوفي البغـدادي المعروف بـابن البناء يـوم الخميس الثامن عشر من رجب سنـة سبع وستمائة، بالخـانقاه بالقـاهرة وأنت تسمع، فقال: نعم - قال، أنـا الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الصـوفي قراءة عليـه وأنا أسمع في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، أنـا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد بن المظفـر الداوودي البـوشنجي، أنا أبـو عبد الله محمد البخـاري، وذكر جميع الثـلاثيات. وعـارضت بأصله أعني بأصل ابن الخيمي.

منهـا: نا محمـد بن عبد الله الأنصـاري، نا حميـد، عن أنس:

«أن ابنة النضر لطمت جاريـة فكسرت ثنيتها، فأتوا النبي ﷺ فأمر بالقصاص» (البخاري ٤ / ١٩٠).

صفة سماع شيخنا ابن الخيمي رضي الله عنه. شاهدت على أصله ما مثاله:

سمع جميع هذا الجزء وهو مثلثات البخارى على الشيخ الإمام الصالح المحدث نور الدين أبى عبد الله محمد بن أبى المعالى عبد الله بن موهوب الصوفى البغدادى المعروف بابن البناء، بالإسناد المذكور فى أوله، صاحبه الفقيه الأجل تقى الدين فخراور بن عثمان بن محمد الدورقى، ومحمد ابن الفقيه الورع أبى محمد عبد المنعم بن محمد الأنصارى، والشيخ عبيد بن حسام الخيى وسهرار بن قتبان المصرى، وكاتب السماع أبو بكر بن عثمان بن إسماعيل السلماسى، فى يوم الخميس الثامن من رجب سنة سبع وستمائة. والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله.

وكتب الشيخ تحته:

السماع صحيح والقراءة أيضا. وكتب محمد بن البناء البغدادى الصوفى فى تاريخه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيرا.

وكان عند شيخنا ابن الخيمي، فى كتابه فى جملة الثلاثيات، هذا الحديث الذى نورده. وهو آخر حديث ثبت عنده فى الجزء. ولم يقع لنا فى الثلاثيات من طريق غيره، إلا ما ذكر شيخنا أبو الحسن بن عبد الكريم من أن ثبت أيضا فى نسخة شيخه أبى الحسن بن الجميزى من طريق ابن سلامة:

نا محمد بن المثنى، نا قيس، عن جرير بن عبد الله الأنصارى أنه قال:

«بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» انتهى.

فانظر كيف وقع هذا الإسناد فى البخارى. فلعله سقط منه رجل نظرت إليه، وجعله فى الثلاثيات غلط. وقد أخرجه البخارى فى الصلاة عن أبى موسى محمد بن المثنى، عن يحيى بن سعيد (انظر البخارى: ١/ ١٠١، ٢٣٤) وفى الزكاة عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن أبيه (يعنى أبا هشام عبد الله بن نمير الهمدانى الخارقى ١١٥-١٩٩ هـ/ ٧٣٤-٨١٤ م) وفى البيوع عن على بن عبد الله المدينى. عن ابن عيينة (انظر البخارى ٢/ ١١٦) وفى الصلاة أيضا وفى الشروط عن مسدد بن مسرهد، عن يحيى بن سعيد القطان (ورد بمثل هذا السند فى آخر كتاب الإيمان. انظر البخارى ١/ ٢٠).

كلهم، عن إسماعيل، عن قيس. / فاعلم ذلك وبالله التوفيق.

وشيخنا ابن الخيمى هذا صدر فى أدباء المصريين فى عصره، له أشعار عذبة المطالع، حلوة المقاطع، تستميل السامع والمطالع، كأنما يفرغ منها فى أصداف الآذان درا، أو يلقى فى الأفواه سكرا أو قطرا. وكان قد صحب صدر أدباء المصريين فى عصره شرف الدين ابن الفارض ويقال: ابن المفرض، وحمل عنه شعره.

سمعت شيخنا شهاب الدين بن الخيمى يقول: سمعت جميع ديوان شعر شرف الدين ابن المفرض عليه، والقصيدة التائية (هما تائيتان صغرى وكبرى. الأولى طالعها:

نعم بالصبا قلبى صبا لأحبتى
فيا حبذ ذاك الشذا حين هبت

والثانية هى المعروفة بقصيدة نظم السلوك وأولها:

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى
وكأسى محيا من على الحسن جلت

ولعل المقصود من التائية المسموعة هذه) قال: وكان إذا نظم شيئا من شعره عرضه على، رضى الله عنه.

وصحب أيضا غيره من أدباء المصريين.

وسمعته أيضا يقول: أجاز لى جميع رواياته منصور الفراوى، وقد سمع على بهذه الإجازة، وهو أبو الفتح منصور ابن أبى المعالى عبد المنعم بن أبى البركات عبد الله ابن الإمام أبى عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدى الفراوى.

أنا ابن الخيمى بالإجازة المذكورة قال، أجاز لنا منصور الفراوى قال، أنا جد أبى أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدى الفراوى، أنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسى، أنا أبو أحمد محمد بن عيسى ابن عمرويه الجلودى، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه قال، نا أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، حدثنا يحيى بن يحيى قال، قرأت على مالك، عن نافع، عن ابن عمر:

«أن رسول الله ﷺ نهى عن النجش» (انظر مسلم ٣/ ١١٥٦، ١٥١٦).

وبه إلى مسلم، نا عبد الله بن مسلمة القعنبى، نا مالك؛ ونا يحيى قال: قرأت على مالك، عن نافع، عن ابن عمر:

- «أن رسول الله ﷺ قال: من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه (انظر مسلم ٣/ ١١٦٠، ١٥٢٦).

الحديثان من صحيح مسلم. وبهذا الإسناد يروى شيخنا شهاب الدين جميعه (ملء العيبة ٣/ ٧٣ـ ٧٥, ١٩١ـ ٢٠١).

ومن شعره: قال ملغزا فى الملعقة:

وممدودة كيد المجتدى ... بكف على ساعد مسعد

ترى بعضها فى فمى كاللسان ... وجملتها فى يدى كاليد

(فوات الوفيات ٣/ ٤٢٣).

ويمكنك إذا أردت الوقوف على شعره الرجوع إلى ملء العيبة ٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٩، وإلى فوات الوفيات ٣/ ٤١٤ ـ ٤٢٤.

(فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبى ـ تحقيق د: إحسان عباس ٣/ ٤١٣، ٤٢٣، وعقد الجمان لبدر الدين العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٢/ ٣٥٦، ٣٥٧، والأعلام للزركلى ٦/ ٢٥٠، وملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣/ ٧٣ ـ ٧٥، ١٩١ ـ ٢٠١).

*** ابن الخيمى (محمد بن على) (٥٤٩ ـ ٦٤٢ هـ / ١١٥٤ ـ ١٢٤٥م):**

قال عنه الحافظ السيوطى:

محمد بن على بن على بن على بن المفضل بن القامغار الحلى مهذب الدين أبو طالب بن الخيمى.

قال الأدفوى فى البدر السافر: كان إماما فى اللغة، أديبا شاعرا، دخل بغداد، وسمع بها من الزاغونى، وتأدب بابن القصار وابن الأنبارى، وأخذ عن الكندى بدمشق، وله مصنفات.

روى عنه المنذرى، وقال فى تاريخه: شاعر مفلق، وأديب بارع؛ له تصانيف حسنة.

ولد فى ثامن شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة بالحلة المزيدية، ومات يوم الأربعاء فى العشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة بالقاهرة؛ ودفن بسفح المقطم.

وأنشدنى لنفسه (فى رثاء ثغر دمياط):

ولقد بكيت لثغر دمياط دمًا ... ووجدت وجد الفاقد المحزون

أرض العبادة والزهادة والتقى ... وتلاوة القرآن والتأذين

ويئت وأوبأها العدو، فأهلها ... شهداء بين الطعن والطاعون

وله يرثى الحافظ أبا الحسن على بن المفضل المقدسى:

أبكى وحق لناظرى غرقه ... إن الحديث توعرت طُرُقُه

سفَت الرياح على معالمه ... فعفت وأصبح مظلما أفقه

وغدت معطلة محابره ... بعد النبيه وفُرِّقَت فرقه

ونسوا روايته وهل غصُن ... يسلوى فيلبث بعده ورقه!

وقال ابن النجار: كان نحويا فاضلا، كامل المعرفة بالأدب، حسن الطريقة، متدينا متواضعا؛ وله مصنفات كثيرة.

ذكر لى أنه قرأ الأدب على فرسان الحلى، وابن الخشاب، وابن القصار، وابن الأنبارى، وابن الدباغ، وابن عبيد، والبندنيجى، وابن أيوب، وابن حميدة، وأبى الحسن بن الزاهد ببغداد، وعلى الكندى بدمشق (بغية الوعاة ١/ ١٨٤).

وقد صنف ابن الخيمى مصنفات كثيرة، منها:

١ ـ كتاب الأربعين والأساميات.

٢ ـ كتاب استواء الحاكم والقاضى.

٣ـ اسطرلاب الشعر.

٤ ـ أمثال القرآن.

٥ ـ الجمع بين الأخوات والمحافظة عليهن وهن مسيئات.

٦ ـ جهينة الأخبار وجُنينة الأذكار. لخصها من «أنيس المسافر وجليس الحاضر».

٧ ـ كتاب حرف فى علم القرآن. كذا ذكره الصفدى. وفى البغية «كتاب حروف القرآن».

٨ ـ الديوان المعمور فى مدح الصاحب .

٩ ـ الرد على الوزير المغربى .

١٠ ـ شرح لفظة التحيات ، وفى البغية «شرح التحيات لله» (قالت المؤلفة : أوردناها فى مادة «التحية» فى م ٩ / ٧٥ ، ٧٦ فانظرها فى موضعها) .

١١ ـ كتاب صفات القبلة مجملة ومفصلة .

١٢ ـ كتاب قد .

١٣ ـ كتاب الكلاب المكلَّبين . وسماه فى معجم المؤلفين ١١ / ٢٩ «نزهة الملك فى وصف الكلب» .

١٤ ـ كتاب لزوم الخمس .

١٥ ـ كتاب المطاول فى الرد على أبى العلاء المعرى فى مواضع سها عنها ستة .

١٦ ـ كتاب المقصورة .

١٧ ـ المخلص الديوانى فى علم الأدب والحساب ، وفى البغية «الملخص ...» .

١٨ ـ رسالة من أهل الإخلاص والمودة إلى الناكثين من أهل الغدر والردة .

١٩ ـ كتاب المؤانسة فى المقايسة . كذا فى البغية ، وعند الصفدى «كتاب المقايسة» .

٢٠ ـ كتاب يحيى .

ويبدو من هذه المصنفات ــ التى لم تصل إلينا ـ عدا رسالة التحيات ، أن ابن الخيمى غلب عليه الاهتمام بالأدب واللغة والشعر ، وأنه رد على أبى العلاء المعرى ، وعلى الوزير المغربى . وهذا يدل على علو كعبه فى اللغة والأدب .

ونجد عند ابن خلكان قطعتين من شعره ، الأولى جواب عن قصيدة أرسلها إليه التاج الكندى من دمشق إلى القاهرة ، والثانية قطعة قالها بدمشق فى رجل خُلقت نصف لحيته (ثلاث رسائل / ٤٢ ، ٤٣) .

قال ابن النجار : وسمعته يقول : لما توفى أبو عثمان الفقيه الشارعى بالقاهرة لقينى بعض الأشعرية فذكره بما يذكر الأشعرية الحنابلة ، ونهانى على الصلاة عليه ، فإنى تلك الليلة نائم ، إذ رأيت اثنين فأنشدانى :

صل على المسلمين جمعا
واغتنم الوقت قبل فوته
من ذا الذى ليس فيه شىء
يقوله الناس بعد موته !

فاستيقظت وكتبتهما ، وصليت عليه (بغية الوعاة ١ / ١٨٥) .

(بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطى ــ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، وثلاث رسائل فى اللغة ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد / ٤٢ ، ٤٣ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٦ / ٢٨٢) .

*** الخيوشانى (٥١٠ ـ ٥٨٧ هـ):**

ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء الشافعية وقال عنه :

الخيوشانى نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد بن على . كان فقيها فاضلا ، كثير الورع ، وبه يضرب المثل فى الزهد . تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالى . وألّف تحقيق المحيط فى شرح الوسيط فى ستة عشر مجلدا ، وتفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعى . وكان شيخها وناظرها ، وله بنيت . وُلِد فى رجب سنة عشر وخمسمائة ، ومات يوم الأربعاء ثانى عشر ذى القعدة سنة سبع وثمانين ، ودفن فى قبة مفردة تحت رجلى الإمام الشافعى (العبر ٤ / ٢٦٢ ، واسمه هناك : «محمد بن الموفق») .

(حسن المحاضرة للحافظ السيوطى ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١٥ / ٤٠٦ ، ٤٠٧ وهامش (١) للمحقق) .

*** خيوق:**

انظر : خيوة

*** خيوة:**

أوردها ياقوت تحت اسم «خيوق» فقال :

خيوق : بفتح أوله وقد يكسر ، وسكون ثانيه ، وفتح الواو ، وآخره قاف : بلد من نواحى خوارزم وحصن ، بينهما نحو خمسة عشر فرسخا ، وأهل خوارزم يقولون خيوة وينسبون إليه الخيوقى ، وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية ؛ وهو من شذوذ الكلام لأن الواو صحت فيه وقبلها ياء ساكنة والأصل أن تقلب وتدغم ، ومثله فى الشذوذ حيوة اسم رجل ، والله أعلم (معجم البلدان ٢ / ٤١٥) .

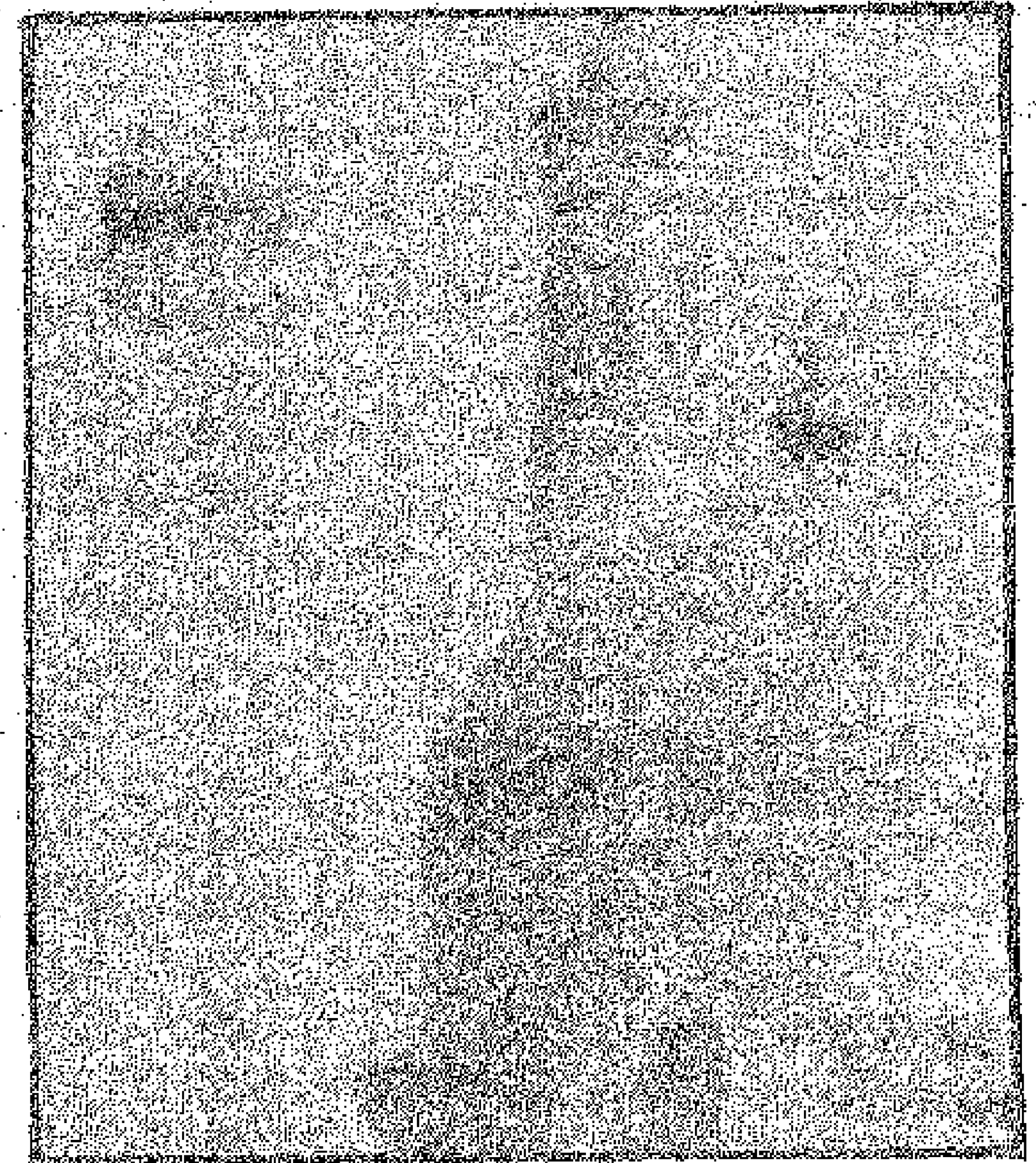
يقول الدكتور نعمة الله إبراهيموف فى كتابه «الآثار الإسلامية فى أوزبكستان» (ص ١٣ ـ ١٥) :

خيوة عاصمة خوارزم من القرن السابع عشر . وتنقسم المدينة إلى قسمين داخلى «إيشان قلعة» حيث الآثار المعمارية وخارجى «ديشان قلعة» حيث يسكن الأهالى اليوم . والمنظر الأسطورى الشرقى للمدينة يمكن مشاهدته من فوق المنارة أو أسوارها التى ترتفع عالية فوق أزقة المدينة الضيقة وبوابات المبنى الأثرى الضخم الذى تلتف حوله مربعات

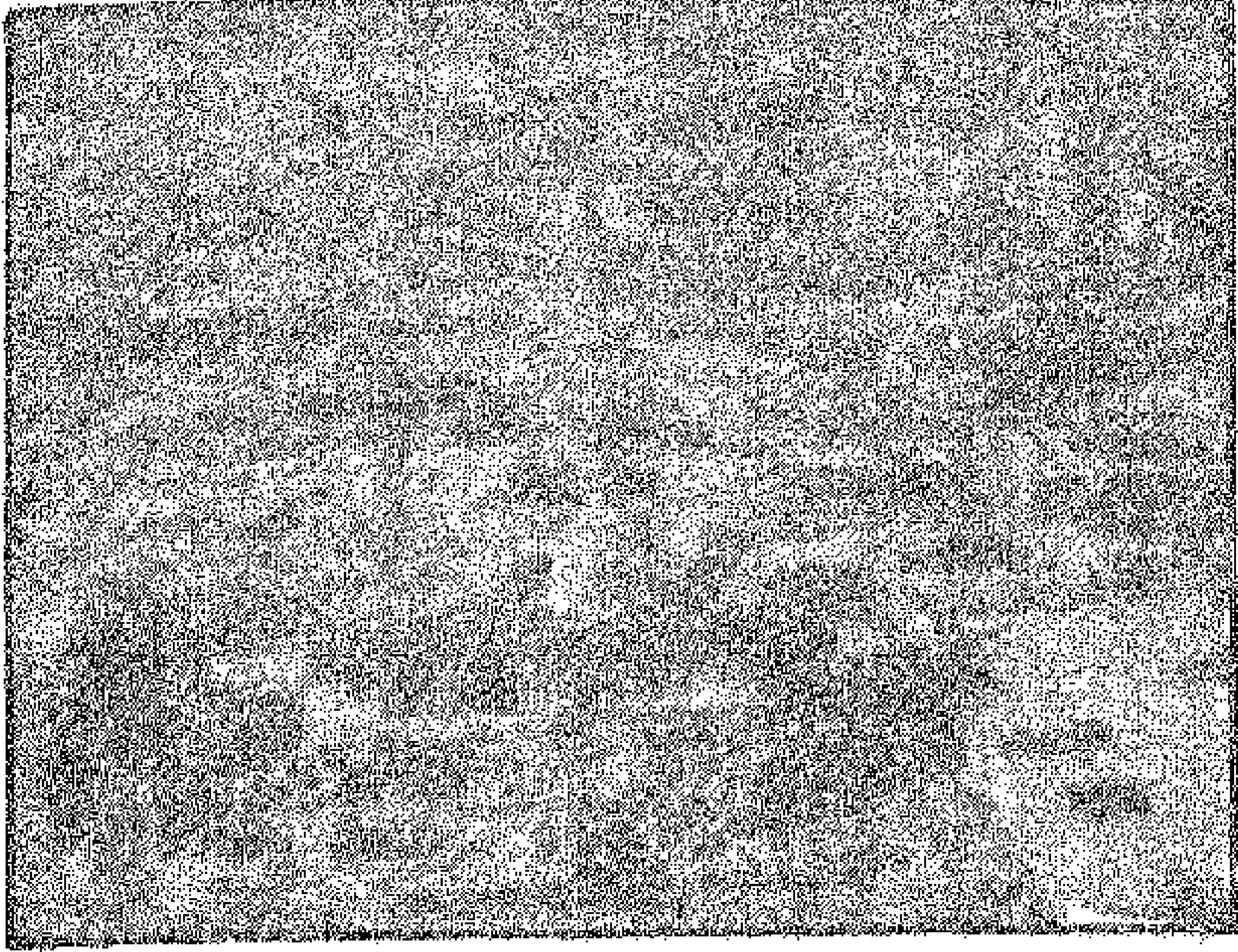
الأبنيـة المتكـاملة مـع بعضها البعض بصفـوف الآجـر مـربع الشكل المغشى بالأحزمة والنقوش.

وفي مركز المدينة يرتفع المسجد الجامع ـ بأعمدته الرائعة الكثيرة، والتي ترجع إلى «القرن الثامن عشر الميلادى» ـ أحد أجمل المبانى الأثـرية فى آسيا الوسطى، وإلى جـانبه المنارة المشيدة خلال القرن التاسع الميلادى. زخارف زاهية وكتابات منمقة تغطى بناء مدرسة «شيردار غازى خان» «عامى ١٧١٨ ـ ١٨٧٢م» ومدرسة «كتلوك مراد إينـاك» بشكلها الفريد، وأبنية ضريح «بهلوان محمود»، و «عـلاء قولى خان» «القرن ١٩ م» وقصر «طاتش حوالى» «عام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨ م».

بيوت خيوة البالغة من العمر ٢٥٠٠ عام المبنية من الطين خـربتهـا الكوارث الطبيعيـة والسيـاسـة السوفيتيـة الملحـدة الظالمـة وبعد انتشار استخـدام الحجارة والآجـر المشوى فى البناء أضيفت التسمية «طاش» للمبـانى وتعنى حجراً لتمييزها عن سـائر المبانى الأخـرى، ومنها طـاش حولى، أى القصـر الحجرى الذى شيد بأمر من «خان خيوة الله قولى» عام ١٨٢٦ ـــ ١٨٤٢ م»، ويضم هـذا القصـر ثـلاثـة مبـان كبيـرة موشاةبالنقوش والكتابات والأعمدة الخشبية المحفورة، وهى: «أرض حـولى» وهـو المكـان المعد لاستقبـال السفـراء والمـراجعين. و «عشرت حولى» مكـان الـراحـة والـولائم والمباريات الشعرية والموسيقية وحفلات الزواج. و «الحرم» مكان إقامة الخـان ـ وزوجاته وأولاده وأقاربه. إضـافة لـ ١٦٣ غرفة مخصصة لمختلف الأغراض.



خيوه. منظر لقبة ضريح «بهلوان محمود» عام ١٨٣٥، ومئذنة «إسلام خوجه» عام ١٩١٠



خيوه. مدينة اثرية ومنظر لقلعة «ايتشان»

وفى خيوة أيضا «طاش كوبير»، أى الجسر الحجرى الذى شيـد فى القسم الشمـالى من «إيشـان قلعة» على قنـاة «سير شالى»، إبان «حكم الله قولى خان» ـ وتالى مسجد الذى شيد فى عهـد سعيد محمـد خـان «عـام ١٨٥٥ ـ ١٨٦٥ م» والـد محمد رحيم الثـانى «فيروز» عام «١٨٦٥ ـــ ١٩١٠م» وتشتهر المـدينة بـآبـارها الحجرية «طـاش كيـو» المميزة عن الآبـار العاديـة. بمواد بنائها، وهنـا يجدر بنا أن نـذكر قرية سـانغار موطن ناحتى الحجارة بالقرب من خيوة حيث يستخرج المرمر وهناك يعيش أحفاد النحاتين الذين نفذوا المبانى الحجرية فى المـدينة، ولكن لـلأسف فقـدت هذه المهنـة بـريقها خـلال الحكم الستالينى (المسلمون فى آسيا الوسطى ٢ / ٢٢٦ـ٢٢٨).

(معجم البلـدان لياقوت الحمـوى ٢ / ٤١٥، والمسلمون فـى آسيا الـوسطى ـ إعـداد مصطفى دسـوقى كسبة. هـديـة مجلة الأزهـر. رجب ١٤١٤ هـ/ ٢٢٦ـ٢٢٨).

انظر الخـريطة المصـاحبة لمـادة «خراسان» فى م ١٥ / ٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى وعونه

حرف الخاء

ويليه بمشيئة الله تعالى

حرف الدال

أعان الله على إتمامه